

بَيْتُ الْقُرْآنِ

آيَةُ اللَّهِ الْعَظِيمَةِ
السَّيِّدِ مُحَمَّدٍ الْعَسْكَرِيِّ
(قُدُّوسٌ سُبُّهُ يَرُدُّ)



نَبِيِّ الْقُرْآنِ

نَبِيُّ الْقُرْآنِ

آيَةُ اللَّهِ الْعَظْمَى

السَّيِّدُ مُحَمَّدٌ الْحَسِينِيُّ الشَّيرَازِي

« أَعْلَى اللَّهِ دَرَجَاتُهُ »



للتحقيق والطباعة
والنشر والتوزيع
دار العلوم بيروت - لبنان

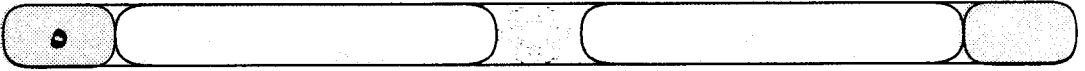
الطبعة الثالثة جميع حقوق الطبع محفوظة ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م

من مراكز التوزيع:

سوريا. دمشق. السيدة زينب (ع) مكتبة الرسول الأعظم (ص) هاتف ٦٤٧١١٦ مقسم ١٠٩
إيران. قم المقدسة : مؤسسة برهيز كار للطباعة والنشر. شارع صفائية. فرع ممتاز
تلفكس: ٧٧٤٦١٨٢ - ٧٧٤٦١٨٢ - ٢٥١ - ٠٠٩٨
البحرين. المنامة : مكتبة الرسول الأعظم (ص) تلفكس: ٠٠٩٧٣٥٩١٩٢٧ - النقال: ٩٢١٦٢١٥
الكويت. هيئة محمد الأمين (ص) ص.ب. ١٥٩١٠ الرمز البريدي ٣٥٤٦٠ الدعية. الكويت

للتحقيق والطباعة
والنشر والتوزيع
دارالعلوم

المكتبة : حارة حريك - بئر العبد - شارع السيد عباس الموسوي - الهاتف : ٠١/٥٤٥١٨٢ - ٠٣/٤٧٣٩١٩ - ص.ب. : ١٣/٦٠٨٠
المستودع: حارة حريك - بئر العبد - مقابل البنك اللبناني الفرنسي - تلفاكس : ٠١/٥٤١٦٥٠
www.daraloloum.com E-mail : daraloloum@hotmail.com



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾

[سورة الحجر : ٩]



كلمة الناشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله على ما وفق له من الطاعة، وذاد عنه من المعصية، ونسأله لمنته تماماً ويحبّله اعتصاماً، والصلاة والسلام على رسوله الذي صدع بالحق، ونصح للخلق، وهدى إلى الرشد. قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٧].

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): واعلموا أن هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغش، والهادي الذي لا يضل، والمحدث الذي لا يكذب، وما جالس هذا القرآن أحد إلا قام عنه زيادة أو نقصان - زيادة في هدى، أو نقصان من عمى... فاستشفوه من أدوائكم، واستعينوا به على لأوائكم، فإن فيه شفاء من أكبر الداء [نهج البلاغة: ١٧٤].

فالقرآن الكريم حبل الله المتين، وسببه الأمين، وفيه ربيع القلب، وينابيع العلم وتفسير القرآن من أوائل العلوم في أصول الشريعة والتي اهتم بها رسول الله (صلى الله عليه وآله) منذ أول زمن التنزيل، فكان (صلى الله عليه وآله) يحرص أشد الحرص على تعليم أصحابه معاني الآيات القرآنية وكل ما يتعلق بعلوم ومفاهيم القرآن. وكان في الطليعة أمير المؤمنين علي (عليه السلام) حيث كان يأخذ علوم القرآن وأحكامه ومفاهيمه وأسباب نزوله من نبعه ليكون محفوظاً ومتداركاً من السهو أو النسيان أو العبث. وقد قال الإمام علي (عليه السلام) في ذلك «علمني رسول الله ألف باب من العلم يفتح من كل باب ألف باب»^(١). وقد برع الكثير من الصحابة في التفسير بعد أن تتلمذوا على يد أمير المؤمنين (عليه السلام) كعبد الله بن عباس، وعلى هذا فإن التفسير من العلوم التي تفرّد بها البيت النبوي ابتداءً برسول الله (صلى الله عليه وآله) والإمام علي (عليه السلام) وامتداداً بالأئمة الأطهار (عليهم السلام)، فأخذ منهم هذا العلم من زامنهم ومن جاء بعدهم حتى وصل إلينا بالشكل الذي نراه.

وكتاب تبیین القرآن للإمام الراحل آية الله العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي «قدس سره» هو تفسير مختصر للقرآن فيه توضيح للكلمات القرآنية كان الإمام الراحل قد

خلص إلى تأليفه في كربلاء المقدسة سنة ١٣٨٩هـ وهو واحد من مؤلفاته الكثيرة ضمن اهتماماته الواسعة بالقرآن الكريم وعلومه وأحكامه ومفاهيمه، منها مثلاً لا على سبيل الحصر:

الفقه: حول القرآن الحكيم - سلسلة القصص الحق ٥٠ جزء - تقريب القرآن إلى الأذهان ٣٠ جزء - توضيح القرآن ٣ مجلدات، مخطوط - قصص الأنبياء من القرآن الكريم والروايات، مخطوط - التفسير الموضوعي للقرآن ١٠ مجلدات، مخطوط - محمد ﷺ والقرآن - الجنة والنهار في القرآن، مخطوط - توضيح آيات الجنة والنار، مخطوط - متى جمع القرآن؟ - القرآن حياة، مخطوط - لماذا يحاربون القرآن؟ - عاشوراء والقرآن المهجور - الإله والكون في القرآن، مخطوط - الرسالة والخلافة في القرآن، مخطوط - العبادة والطاعة في القرآن، مخطوط - الأحكام والأخلاق في القرآن، مخطوط - الإيمان والقرآن في القرآن، مخطوط - بيان التجويد - أهمية القرآن الكريم، مخطوط - القرآن منهج وسلوك، مخطوط - القرآن يتحدى، مخطوط ..

وضمن اهتمامات دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع في الأخذ بما هو مفيد ونافع إن شاء الله كان اختياره في طبع هذا الكتاب مع مجموعة أخرى من مؤلفات الإمام محمد الشيرازي قدس الله نفسه الزكية، والذي كان العمل فيه وقد بلغنا نبأ المصائب الأليم بفقده (رضوان الله عليه) فمن واقع المصائب المؤلم بفقده كان عملنا الدؤوب لإتمام طبعه وبالشكل المميز، ليكون له قرّة عين عند جده الرسول الأعظم صاحب التنزيل ﷺ.

مع الحرص أن لا يفوتنا تسجيل الشكر والعرفان (لمؤسسة المستقبل للثقافة والإعلام) لمجهودهم الماثب في إخراج هذا الكتاب النافع.

وحيث روي أنه ينادي يوم القيامة «ألا إنّ كل حارث مبتلى من حرثه وعاقبة عمله، غير حرثه القرآن»^(١) فلنكن من حرثه والمهتدين إليه والعاملين بأحكامه. والله نسأل أن يتقبل منا ويعطينا ما نأمله من الأجر.

الناشر

بيروت - لبنان

١ / صفر / ١٤٢٣هـ



المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين، ولعنة
الله على أعدائهم أجمعين.

وبعد، هذا مختصر في توضيح بعض الكلمات القرآنية، سميته (تبيين القرآن)
وأسأل الله سبحانه العصمة والتمام والثواب، وهو المستعان.

كربلاء المقدسة

٢٧ / جمادى الأولى / ١٣٨٩ هـ

محمد الشيرازي

١: سورة الفاتحة

مكية وقيل نزلت ثانياً بالمدينة وآياتها سبع
﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

[١ - ٢] ﴿بسم الله الرحمن الرحيم * الحمد لله رب العالمين﴾ عالم الإنسان والحيوان والملك والجن وغيرهم.
[٣ - ٤] ﴿الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين﴾ الجزاء.
[٥ - ٧] ﴿إياك نعبد وإياك نستعين * اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم﴾ في حال كونهم ﴿غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ الذين ضلوا من الطريق.

سُورَةُ الْفَاتِحَةِ ١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ١
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٢
الرَّحِيمِ ٣
إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ٤
اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ٥
الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ
عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ٦

وَأَشْأَاتُهَا

٢: سورة البقرة

مدنية وآياتها ست وثمانون ومائتان
﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

سُورَةُ الْبَقَرَةِ ٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَى
لِلْمُتَّقِينَ ۝ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ
الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ۝
وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ
قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ أُولَئِكَ عَلَى
هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝

وَاللَّهُ يَتَّبِعُ الْمُتَّقِينَ ۝

[١] ﴿الم﴾ رمز بين الله والرسول ﷺ .
[٢] ﴿ذلك﴾ الإشارة إلى البعيد للتعظيم ﴿الكتاب﴾ لا ريب
فيه ﴿ليس محل الشك﴾ هدى للمتقين ﴿فإنهم هم الذين
يهتدون بالقرآن .
[٣ - ٥] ﴿الذين يؤمنون بالغيب﴾ ما غاب عن حواسهم ،
كالله سبحانه ﴿ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ﴾
والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة
هم يوقنون ﴾ أولئك على هدى من ربهم ﴿هداية جاءتهم
من ربهم ﴾ وأولئك هم المفلحون .

[٦ - ٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ كفراً بعناد ﴿سواء عليهم﴾
 أنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون * ختم الله على قلوبهم
 أي علم قلوبهم وطبع عليها بعلامة الانحراف
 ﴿وعلى سمعهم﴾ وعلى أبصارهم غشاوة أي غطاء ﴿ولهم عذاب عظيم﴾.

[٨ - ٩] ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر﴾
 وما هم بمؤمنين * يخادعون الله والذين آمنوا ﴿يعملون عمل المخادع الذي ظاهره يخالف باطنه، فإن ظاهرهم الإيمان وباطنهم الكفر﴾ وما يخدعون إلا أنفسهم ﴿إذ نتيجة الخداع ترجع إليهم﴾ وما يشعرون ﴿أي لا يفهمون أنهم يخدعون أنفسهم﴾.

[١٠] ﴿في قلوبهم مرض﴾ تشبيه للانحراف عن الهدى
 بالانحراف عن الصحة ﴿فزادهم الله مرضاً﴾ لأن القرآن سبب زيادة الانحراف القلبي فيهم بجحده وترك العمل به ﴿ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون﴾ كذبوا بأنهم مؤمنون.

[١١] ﴿وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض﴾ المنافق
 يفسد في الأرض بسبب نفاقه ﴿قالوا إنما نحن مصلحون﴾
 نصلح أمور ديننا ونصلح غيرنا بسبب الوقوف أمام نفسي الإسلام بين الناس.

[١٢] ﴿ألا إنهم هم المفسدون﴾ فإن المنافق يفسد نفسه ويفسد غيره ﴿ولكن لا يشعرون﴾.

[١٣] ﴿وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس﴾ ظاهراً وباطناً ﴿قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء﴾ إلا إنهم هم السفهاء إذ يفعلون فعلاً يتجنبه المؤمنون والكفار ﴿ولكن لا يعلمون﴾.

[١٤] ﴿وإذا لقوا﴾ من (لقي) بمعنى الملاقة ﴿الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم﴾ المنافقين الذين هم أشباههم في النفاق ﴿قالوا إنا معكم﴾ منافقون أمثالكم ﴿إنما نحن مستهزون﴾ بالمؤمنين، حيث تظهر لهم الإيمان.

[١٥] ﴿الله يستهزي بهم﴾ يفعل بهم فعل المستهزئ، لأنه يعاملهم في الدنيا معاملة المؤمن، وفي الآخرة معاملة الكافر ﴿ويمدهم﴾ يقويهم ويعطيهم القدرة، وإمداد الله تعالى بتركهم ليفعلوا ما يشاءون ﴿في طغيانهم يعمهون﴾ العمه في البصيرة كالعمى في البصر.

[١٦] ﴿أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى﴾ أعطوا الهدى وأخذوا الضلالة بدله ﴿فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين﴾ فهم ضالون عن الطريق، وبالأخرة خاسرون في تجارتهم.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتِيهِمُ الْآخِرُ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُم لَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُم ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذْ لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنُوا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَؤُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾

[١٧ - ١٨] ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ أي طلب الضياء بإشعال النار ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ﴾ النار ﴿مَا حَوْلَهُ﴾ ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمة لا يبصرون ﴿صُمُّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَةٌ وَرَعْدٌ وَنَارٌ يَجْعَلُونَ أَصْبَعَهُمْ فِيهَا ذُنُوبَهُمْ مِنَ الضَّوْعِ حَذَرَالْمَوْتِ وَاللَّهُ يَحِيطُ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشْوَافَةٌ إِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ عِبْدًا وَإِذْ نَسُوا اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْزَنُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾

[١٩ - ٢٠] ﴿أَوْ﴾ مثلهم والهداية ﴿كصيب﴾ فالهداية كالمطر الشديد ﴿من السماء فيه ظلمات﴾ فإن السحاب المتراكم يوجب ظلمة الفضاء ﴿ورعد وبرق يجعلون﴾ أي الذين ابتلوا بهذا المطر ﴿أصابعهم في آذانهم من الصواعق﴾ أي من خشية أن تخلع الصواعق قلوبهم، إذا سمعوا صوتها ﴿حذر الموت﴾ أي إن جعلهم الأصابع في الآذان، من جهة خوفهم من الموت بسبب صوت الصاعقة ﴿والله محيط بالكافرين﴾ إحاطة علم وقدره، فجعل أصابعهم في آذانهم، لا يدفع عنهم الموت، وهذا مثل المناق في عند بزوغ شمس الإسلام، حيث إن في الإسلام ظلمة له لتظاهرة بالإسلام، أو إذا أمر الإسلام بالجهاد فالمناق في ظلمة حيرته فلا يتمكن من توطيد نفسه للقتل لعدم إسلامه ولا يمكنه التخلف خوفاً من كشف أمره، ورعد وهو تهديدات الإسلام لمن خالف، وبرق وهو ما إذا تقدم المسلمون، كأنه برق ينير الطريق، والمناق لا يريد سماع التهديدات لثلا يظهر الخوف على وجهه، فيتبين نفاقه. ﴿يكاد البرق يخطف﴾ أي يعمي، لأن الباطل لا يتمكن أن يرى تقدم الحق ﴿أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه﴾ أي ساروا في ضوء الإسلام إلى الأمام ﴿وإذا أظلم عليهم﴾ بأن غلب الكفار ﴿قاموا﴾ أي وقفوا في مكانهم لا يعملون للإسلام ﴿ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم﴾ فكما أن الله قادر بأن يعمي ببرق البرق، ويصم بصوت الرعد الذين أصابهم الصيب، كذلك الله قادر أن يفعل ذلك بالمناق، بمعنى إن أمره بيد الله، ولا ينفع الحذر عن ضرره بالإسلام ﴿إن الله على كل شيء قدير﴾.

[٢١] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ أي إن الخلق لأجل التقوى. [٢٢] ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾ كالفرش مهياً لمصالحكم ﴿وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ كسقف البيت الواقي لأهله ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ﴾ بالماء ﴿من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً﴾ أمثلاً، أي لا تشركوا بالله، فإن الله وحده خلقكم وهياً لكم كل شيء ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي والحال أنتم تعرفون أن الله خلقكم ورزقكم دون غيره. [٢٣] ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ شك ﴿مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا﴾ محمد ﷺ، أي في شك من صدق القرآن ﴿فَاتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ﴾ أي الذين يشهدون أن القرآن ليس من عند الله، أدعوهم ليساعدوكم في الإتيان بمثل سورة ﴿من دون الله إن كنتم صادقين﴾ في أن القرآن ليس كلام الله.

[٢٤] ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾ بإتيان مثل سورة ﴿وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ هذا إخبار بأنهم لا يقدرُونَ من الإتيان بمثل سورة ﴿فَاتُوا النَّارَ﴾ أي لا تكفروا، لأن الكفر عاقبته النار ﴿التي وقودها﴾ أي الذي يشعلها، عوض قطع الخشب والعود ﴿الناس﴾ للتحويل ﴿والحجارة﴾ للتشديد والدلالة على عظمة النار ﴿أعدت﴾ هيئت ﴿للكافرين﴾.

[٢٥] ﴿وَبَشِّرِ﴾ يا رسول الله ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أن لهم جنات تجري من تحتها أشجارها، فإن الجنة هي البستان ﴿الْأَنْهَارُ﴾ كلما رزقوا منها أي من تلك الجنات ﴿مِنْ ثَمَرَةٍ رَزَقُوا﴾ قالوا هذا أي مثل هذا الرزق ﴿الَّذِي رَزَقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ في الدنيا، فإن ثمار الجنة كشمار الدنيا في أصلها وإن اختلفت في الخصوصيات، والإنسان ينشرح بما ألفه أكثر ﴿وَأَنْتُمْ﴾ أي يؤتى لهم ﴿بِهِ﴾ أي بالرزق ﴿مُتَشَابِهًا﴾ يشبه بعض الرزق بعضاً ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ لا يرين دماً ولا وساخة ومطهرة أخلاقهن عن الرذائل ﴿وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ يبقون في الجنة إلى الأبد.

[٢٦] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي﴾ أي لا يخجل ولا يمتنع ﴿أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا﴾ أي: أي نوع من المثل، وهذا جواب ما قال الكفار بأن الله لماذا يمثل بالأشياء الحفيرة كالعنكبوت وشبهها ﴿بِعَوْضَةٍ﴾ بدل (ما) وهي البق ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾ أي أكبر من البعوضة ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ﴾ أي المثل ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ أي إن الله إنما مثل مثلاً صحيحاً، وإن لم تدرك عقولهم وجه المثل ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾ أي بهذا المثل ﴿يُضِلُّ بِهِ﴾ أي إن فائدة هذه الأمثال، امتحان الناس، فيضل الذي في قلبه مرض، ويهدي الإنسان المستقيم، وإضلال الله عبارة عن تركه العبد حتى يضل، كما تقول: أفسد فلان ولده، إذا ترك ولده حتى فسد ﴿كثيراً﴾ أي كثيراً من الناس ﴿ويهدي به كثيراً وما يضل به إلا الفاسقين﴾ الخارجين عن جادة الاستقامة، فإن من كانت نفسه منحرفة يضل بمجرد شبهة أو إشكال.

[٢٧] ﴿الَّذِينَ﴾ صفة الفاسقين ﴿يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ﴾ المعاهدة التي أخذها الله بسبب أنبيائه عن الناس، بأن يطيعوه ﴿من بعد ميثاقه﴾ أي استحكام العهد المأخوذ منهم بسبب الأنبياء ﷺ ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ بدل (ما) أي ما أمر الله بوصله، مثلاً يقطع الرحم، وقد أمر الله بوصلها ﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ أولئك هم الخاسرون ﴿كالتاجر الذي خسر رأس ماله، فإنهم يخسرون حياتهم وعمرهم.

[٢٨] ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ﴾ أي والحال أنكم كنتم ﴿أَمْوَاتًا﴾ لا حياة لكم، فإن الطعام الذي يأكله الأبوان فينقلب ميتاً ثم آدمياً، لا حياة له ﴿فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ في الآخرة ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تَرْجَعُونَ﴾ ترجعون إلى جزائه وحسابه.

[٢٩] ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾ أي قصد إلى بناء السماء ﴿فَسَوَّاهُنَّ﴾ خلقهن ﴿سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ أي مدارات للأجرام ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رَزَقُوا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾
 إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بِعَوْضَةٍ فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢٧﴾
 كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تَرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾

[٣٠] ﴿وَإِذْ قَالَ﴾ أي اذكر يا رسول الله ﷺ ﴿قَوْلَ رَبِّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ أي اريد أن اجعل ﴿فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ أي إنساناً يخلف الخلق الذي كان سابقاً، أو خلفاً لي يمثلني في الأرض وهم الأنبياء والأئمة ﷺ ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ أي يريق الدم الحرام، وقد علمت الملائكة أن طبيعة الأرض طبيعة فساد وقتل ﴿وَنَحْنُ﴾ أي اجعل الخليفة منا، فإنا لا نفسد، بل ﴿نَسْبَحُ بِحَمْدِكَ﴾ أي ننزهك تنزيهاً من سنخ الحمد، فإن من حمد الله تعالى فقد نزهه، كقولك ننزهك بذكر فضائلك، أو ننزهك متلبسين بحمدك فإن التنزيه هو التبرئة عما لا يليق به، والحمد هو الثناء على الجميل الاختياري ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ أي نطهر الأرض من الأنداس لأجلك، من (قدسه) إذا ذكر طهارته عن الأنداس ﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أعلم أن من بين البشر أناس كرام، وأخلق الخليفة لأجل أولئك الطاهرين وهم فاطمة وأبوها وبعليها وبنوها ﷺ .

[٣١] ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ وحيث أراد الله تعالى إعلام الملائكة بأن خلق آدم إنما هو لفضله، وإنه قابل لما ليسوا بقابليين له، علمه أسامي الأشياء والحقائق فتعلمها، لكن الملائكة لم يكونوا قابليين لهذا التعلم، كالولد الفطن الذي يتعلم بما لا يتعلمه الولد غير الذكي، فإن الإنسان

خلق من العناصر المختلفة القابلة لإدراكات ليست الملائكة قابلة لها، ولذا كان الإنسان الصالح أفضل من الملائكة ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾ أي مسميات تلك الأسماء ﴿عَلَى الْمَلَأِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي﴾ أخبروني ﴿بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ﴾ إشارة إلى المسميات، وهذا كقولك: علمت زيدا أسماء الأدوية، ثم عرضت الأدوية عليه وقلت له أخبرني بأسماء هذه الأدوية ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في زعمكم بأنكم أحق بالخلافة من آدم .

[٣٢] ﴿قَالُوا﴾ أي الملائكة ﴿سُبْحَانَكَ﴾ أنت منزّه لا تفعل غير الصلاح، فخلقك لآدم واستخلافك إياه فيه مصلحة ﴿لَا عِلْمَ لَنَا بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ﴾ إلا ما علمتنا ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ﴾ فأنت أعلم بمصلحة استخلاف آدم ﴿الْحَكِيمُ﴾ الذي تضع كل شيء في موضعه اللائق به .

[٣٣] ﴿قَالَ﴾ الله سبحانه ﴿يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ﴾ أخبر الملائكة ﴿بِأَسْمَائِهِمْ﴾ بأسماء هؤلاء ﴿فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾ أخبر آدم ﷺ الملائكة بأسماء هؤلاء ﴿قَالَ﴾ الله للملائكة بعد ظهور تفوق آدم ﷺ عليهم ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي ما غاب عنكم، فإن فضل آدم كان غائباً عليهم وهم يجهلونه، أو كل شيء غائب سواء كان في السماء أو في الأرض ﴿وَأَعْلَمُ مَا تَبْدُونَ﴾ أي تظهرون من عدم الاحتياج إلى خلق آدم ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ أي تخفون في نفوسكم من إرادتكم أن اجعل منكم خليفة .

[٣٤] ﴿وَإِذْ﴾ أي اذكر يا رسول الله الزمان الذي ﴿قُلْنَا لِلْمَلَأِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى﴾ أي امتنع من السجود ﴿وَاسْتَكْبَرَ﴾ أي تكبر حيث رأى نفسه وزعم أنه أشرف من آدم ﴿وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ بسبب هذا الإباء .

[٣٥] ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا﴾ أي أكلاً واسعاً مباركاً لكثرة أرزاق الجنة ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ أي: من أي مكان من الجنة ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ هذه الشجرة خاصة قيل: هي الحنطة، وقد كان النهي عن أكلها للامتحان ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ إذا أكلتما من هذه الشجرة .

[٣٦] ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ أي حملهما على الزلة والسقوط بسبب وسوسته ﴿عَنْهَا﴾ أي عن الجنة حيث أكلتا من الشجرة

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً
قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ
نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ
﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَأِكَةِ
فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا
سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ
﴿٣٢﴾ قَالَ يَكَادُمُ أَنْبِئُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ
أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا
تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَأِكَةِ اسْجُدُوا
لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ
﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا
حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾
فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا
بَعْضُكُم لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتْنَعٌ إِلَىٰ أَحَدٍ
فَلْتَقُوا يَوْمَ رَبِّكُمْ فَكَانَ عَلَيْهِ السَّاعَةُ هُوَ الْوَلِيُّ الرَّحِيمُ ﴿٣٦﴾

﴿فأخرجهما مما كانا فيه﴾ من الخيرات ﴿وقلنا﴾ لآدم وحواء والشيطان ﴿اهبطوا﴾ من هذه الجنة الرفيعة المرتبة ﴿بعضكم لبعض عدو﴾ فإن الشياطين أعداء الرجال والنساء وكذا العكس، ﴿ولكم في الأرض مستقر﴾ محل استقرار ﴿ومتاع﴾ أي تمتع في الأرض بالنعم ﴿إلى حين﴾ أي حين الوفاة، أو حين انقضاء الدين^(١).

[٣٧] ﴿فتلقى﴾ أخذ ﴿آدم من ربه كلمات﴾ ليقولها، فيتوب الله عليه ببركة تلك الكلمات، وهي أسامي الخمسة الطيبة: محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ﴿فتاب﴾ الله (تعالى) عليه بسبب تلك الكلمات لما قالها آدم عليه السلام، وكان أثر توبته على آدم وحواء عليهم السلام أن رضي عنهما، وإن لم يرجعهما إلى الجنة ﴿إنه هو التواب﴾ كثير التوبة، أي في قبول التوبة ﴿الرحيم﴾ بعباده وقد كان عمل آدم عليه السلام ترك الأولى، لا أنه معصية حقيقية كما حقق في علم أصول الدين.

(١) ربما يكون المراد انقضاء التكليف.

[٣٨] ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا﴾ أي انزلوا يا آدم وحواء والشيطان ﴿منها﴾ أي من الجنة ﴿جميعاً فإما﴾ (ما) زائدة أي إن ﴿يأتينكم مني هدى﴾ أي هداية، كالقرآن وسائر الكتب السماوية ﴿فمن تبع هداي فلا خوف عليهم﴾ إذ لمن آمن بالله وعمل صالحاً، الأمن في الدنيا والآخرة، والمخاوف التي يراها ليست مخاوف بالنسبة إلى ما يراه الكفار من العذاب والنار ﴿ولاهم يحزنون﴾ الخوف لمكروه مترقب، والحزن لمكروه واصل.

[٣٩ - ٤٠] ﴿والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ يا بني إسرائيل، إسرائيل لقب يعقوب عليه السلام بمعنى عبد الله، وبنو إسرائيل هم اليهود ﴿اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم﴾ بيث الأنبياء فيكم وجعل ملوك منكم ﴿وأوفوا بعهدي﴾ الذي أخذت منكم بالإيمان والطاعة ﴿أوف بعهديكم﴾ بإعطائكم خير الدنيا وسعادة الآخرة ﴿ولياي فارهبون﴾ أي خافوني.

[٤١] ﴿وآمنوا بما أنزلت﴾ أي القرآن ﴿مصدقاً لما معكم﴾ من التوراة ﴿ولا تكونوا أول كافر﴾ أي في مقدمة الكافرين ﴿به﴾ أي بما أنزلت من القرآن ﴿ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً﴾ بأن لا تؤمنوا بالآيات لأجل رئاسة زائلة في الدنيا ﴿ولياي فاتقون﴾ أي خافوا مني، فآمنوا واعملوا صالحاً.

[٤٢] ﴿ولا تلبسوا الحق بالباطل﴾ بأن تضعوا لباس الباطل على الحق، فتقولون للحق أنه باطل ﴿وتكتموا﴾ أي تخفوا ﴿الحق وأنتم تعلمون﴾ أنه حق.

[٤٣] ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين﴾ قيل إن صلاة اليهود لا ركوع فيها ولذا أمروا بالصلاة بلفظ الركوع.

[٤٤] ﴿أتأمرون الناس بالبر﴾ الإيمان والتقوى ﴿وتنسون أنفسكم﴾ أي لا تفعلون البر ﴿وأنتم تتلون الكتاب﴾ فأنتم أولى بالبر من الجهال ﴿أفلا تعقلون﴾ ألا عقل لكم يمنعكم عن هذه الأعمال.

[٤٥ - ٤٦] ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها﴾ الاستعانة بالصبر والصلاة ﴿لكبيرة إلا على الخاشعين﴾ الذين يظنون ﴿إشارة إلى أن مجرد الظن كاف في البعث على الإيمان﴾ أنهم ملاقوا ربهم ﴿أي يرون جزاء﴾ وأنهم إليه ﴿أي إلى حسابه وجزائه﴾ راجعون.

[٤٧] ﴿يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين﴾ في زمان موسى عليه السلام فإن كل مؤمن في زمان نبيه أفضل من سائر العالمين.

[٤٨] ﴿واتقوا﴾ أي خافوا ﴿يوماً﴾ هو يوم القيامة ﴿لا تجزي نفس عن نفس شيئاً﴾ أي إن في ذلك اليوم جزاء كل إنسان لنفسه، لا أن يعطى جزاء إنسان لإنسان آخر ﴿ولا يقبل منها﴾ أي من النفس ﴿شفاعة﴾ إلا بإذن الله ﴿ولا يؤخذ منها عدل﴾ أي فدية تعادله ليفك الإنسان بسبب ذلك العدل عن العذاب ﴿ولاهم ينصرون﴾ لا ينصر أحد أحداً عن عذاب الله ليدفع عن المجرم.

قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾ يٰٓبَنِي إِسْرَءِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَازِيكُمْ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَاتِكُونُ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ أَنَا مُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنَسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَسَوْنَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٤٦﴾ يٰٓبَنِي إِسْرَءِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَأَتَقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾

[٤٩] ﴿وَإِذْ﴾ واذكروا يا بني إسرائيل زمان ﴿نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ يظلمونكم بعذاب سيئ ﴿يَذْبَحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ يبقونهن أحياء للاستمتاع بهن واستخدامهن، وذلك حين أخبر فرعون بولادة موسى ﷺ فإنه أخذ يذبح الأولاد ويبقي النساء، لأجل أن لا يولد موسى فيكون سبباً لذهاب مملكته ﴿وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ لِّمَنْ رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ امتحان ﴿مَنْ رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ لعل الله ابتلاهم بذلك، لما كانوا يخالفون أوامر الله المنزلة على الأنبياء السابقين على موسى ﷺ .

[٥٠] ﴿وَإِذْ﴾ واذكروا يا بني إسرائيل زمان ﴿فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ﴾ أي جعلنا ماء البحر فرقة فرقة، لتمرروا من وسطها إلى اليابسة ﴿فَانجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ إلى غرقهم .

[٥١ - ٥٢] ﴿وَإِذْ﴾ واذكروا زمان موسى أربعين ليلة ﴿وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَنْ يُأْتِيَ إِلَى الطُّورِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ لأعطيه التوراة لأجلكم ﴿ثُمَّ أَخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾ عيديموه ﴿مَنْ بَعْدَهُ﴾ حين غاب موسى ﷺ ﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ ثم عفونا عنكم من بعد ذلك ﴿الجِرمَ الَّذِي أُجْرِمْتُمُوهُ عِبَادَةَ الْعِجْلِ﴾ لعلكم تشكرون ﴿لي بسبب هذا العفو .

[٥٣] ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ﴾ أي التوراة الفارق بين الحق والباطل، وهو عطف بيان للكتاب ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ بسبب التدبر في الكتاب .

[٥٤] ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ﴾ أي عبادتكم له ﴿فَتَوْبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾ خالفكم ﴿فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ ورد أنهم أمروا بقتل بعضهم بعضاً، وكان ذلك القتل توبة لكل من القاتل والمقتول ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ القتل لأجل التوبة ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ﴾ خالفكم ﴿فَنَابَ عَلَيْكُمْ﴾ بعد أن قتل بعضهم بعضاً ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ﴾ .

[٥٥] ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ حتى نرى الله جهرة ﴿أَي عِيَاناً﴾ أي عياناً ﴿فَأَخَذْتُمْ الصَّاعِقَةَ﴾ حيث جاءتهم صاعقة فأحرقتهم ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ حين جاءكم الصاعقة .

[٥٦ - ٥٧] ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ﴾ أحييناكم ﴿مَنْ بَعْدَ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ وظللنا عليكم الغمام ﴿أَي السحاب﴾ بأن جاء السحاب فوق رؤوسهم - حين كانوا في الصحراء - لئلا تؤذيهم الشمس ﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ﴾ لأجل طعامكم، حيث لم يكن لكم طعام في الصحراء ﴿الْمَنَّ﴾ مادة حلوة كالترنجبين ﴿وَالسَّلْوَى﴾ طير يسمى السمانى ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴿أَي إن بني إسرائيل بكفروهم وانحرفهم لم يظلموا الله تعالى، فإن من كفر يظلم نفسه .

وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ
يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ
مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ
وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ
أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ أَخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ
﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾
وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾
وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يُقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ
بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتَوْبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ
خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَنَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ
﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً
فَأَخَذْتُمْ الصَّاعِقَةَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ
بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ
الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَىٰ كُلًّا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا
رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾

[٥٨] ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ وذلك بعد أن خرجوا من البحر، ويقوا في التيه مدة مديدة بلا مأوى، والمراد بالقرية بيت المقدس كما قيل ﴿فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ مِنْ رِغْدًا﴾ أي واسعاً، لأنه يوجد في المدينة مختلف أنواع الطعام ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ أي اسجدوا لله حين تدخلون باب القرية ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ أي اللهم حط ذنوبنا ﴿تَغْفِرَ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ﴾ إن فعلتم كما أمرتم ﴿وَسَنَزِيدَ الْمُحْسِنِينَ﴾ علاوة على غفران الخطايا.

[٥٩] ﴿فَبِذَلِ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ فقالوا: حطة حمراء خير لنا، عوض أن يقولوا: حطة ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا﴾ عذاباً ﴿مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ أي بسبب فسقهم وخرجهم عن طاعة الله.

[٦٠] ﴿وَإِذْ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ﴾ أي طلب السقيا والماء، حين كانوا في التيه ﴿فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾ كان حجر هناك ﴿فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ﴾ أي كل سبط من أسباط بني إسرائيل الاثني عشر ﴿مَشْرَبُهُمْ﴾ مكان شربهم، لأنهم ما كانوا يريدون شرب الجميع من مشرب واحد لما بينهم من العداوة ﴿كُلُوا﴾ قلنا لهم كلوا من المن والسلوى ﴿وَشَرِبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ العثو مجاوزة الحد في الفساد.

[٦١] ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ﴾ حال كنتم في التيه ﴿يَا مُوسَىٰ لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾ الثوم ﴿وَوُفُوهُمَا﴾ الخيار ﴿وَقَثَائِهَا﴾ الخضروات من بقلها ﴿مِمَّا تَنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا﴾ أي إن المن والسلوى خير مما طلبتم فكيف تتركون الأحسن وتريدون الأسوأ ﴿أَهْبَطُوا مِصْرًا﴾ أي انزلوا في قرية من القرى الموجودة في التيه، وذلك قبل أن يدخلوا الأرض المقدسة ﴿فَإِنْ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ﴾ فإن في المدينة توجد أنواع الأطعمة ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾ فهم أذلاء فقراء النفس، لا يشبعون من المال مهما أثروا، وهذه الذلة باقية إلى الآن، إلا بحبل من الحكومات الكبار، ولجشع في نفوسهم، ومعنى الضرب: طبعهم بهذا الطابع ﴿وَبَاءُوا﴾ أي رجعوا ﴿بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾ أي وعليهم الغضب فكانهم ذهبوا إلى موسى ورجعوا بغضب الله ﴿ذَلِكَ﴾ هذا الضرب والغضب ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ أي بسبب أنهم ﴿كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ صفة توضيحية ﴿ذَلِكَ﴾ أي الكفر والقتل ﴿بِمَا عَصَوْا﴾ أي بسبب أنهم عصاة ﴿وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ يتجاوزون حدود العقل والشرع.

وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا
وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرَ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ
وَسَنَزِيدَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبِذَلِ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا
غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ
السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ وَإِذْ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ
لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ
اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا
وَشَرِبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾
وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعَ لَنَا رَبَّكَ
يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تَنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا
وَعَدَسِهَا وَبَصِلَهَا قَالَ أَنْتُمْ تُبَدِّلُونَ الَّذِي هُوَ آدَنُ
بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْبَطُوا مِصْرًا فَإِنْ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ
وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ
اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ
النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾

[٦٢] ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالصَّبَاطِينَ﴾ دین خاص، ولعلمهم انشعبوا من أهل الكتاب ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ أي كل هذه الطوائف الموجودين فعلاً إن آمنوا بالله إيماناً صادقاً - أي أسلموا - وعملوا صالحاً ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ تقدم تفسيره^(١).

[٦٣] ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ عهدكم الشديد بالعمل بما في التوراة ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾ جبل ناجى الله عليه موسى ثم قلعه الله سبحانه وجعله فوقهم، وهددهم إن لم يقبلوا الدين، أوقعه عليهم وأهلكهم بسببه ﴿خَذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ﴾ أعطيناكم من الأحكام والشرائع ﴿بِقُوَّةٍ﴾ بجد وعزم ﴿وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾ أي ما في الكتاب الذي آتيناكم، بأن لا تنسوه وتتركوه ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ النار والعقاب، فإن العامل بالأحكام تتكون فيه ملكة التقوى.

[٦٤] ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أعرضتم عن العمل بالأحكام ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ الميثاق ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ بتوفيقكم للتوبة ﴿لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ الذين خسرتهم آخرتكم ودنياكم.

[٦٥] ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ﴾ أيها اليهود المعاصرون لنزول القرآن وما بعده ﴿الَّذِينَ اعْتَدُوا مِنْكُمْ﴾ جاوزوا أوامر الله ﴿فِي السَّبْتِ﴾ فإنهم نهوا عن الصيد في السبت، فاحتال بعضهم بحفر سواقي فكانت الأسماك تأتي إلى تلك السواقي في السبت فيأخذونها في يوم الأحد ويقولون: لم نصد في السبت ﴿فَجَعَلْنَاهَا﴾ أي تلك العقوبة ﴿نَكَالًا﴾ أي رادعاً وزجراً ﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾ أي يدي تلك العقوبة، أي للذين عاصروا المسخ ورأوه بعينهم ﴿وَمَا خَلْفَهَا﴾ أي الذين يأتون بعد تلك العقوبة، ليعلموا أن جزاء المعتدي المسخ ﴿وَمَوْعِظَةً﴾ للمتقين ﴿أَيْ تَخْوِيفًا لِمَنْ يَتَّقِي وَيَخَافُ مِنْ اللَّهِ﴾ ليعرف أنه جزاء العاصي.

[٦٦] ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ وذلك أنه قتل شخص فلم يعرف قاتله، فتحاكموا إلى موسى عليه السلام فأمرهم أن يذبحوا بقرة، ويضربوا الميت ببعضها، ليحيي القاتل ويخبر عن قاتله ﴿قَالُوا أَتُخَذُونا هُزُؤًا﴾ أي نأخذنا هزواً ﴿أَنْعَ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنُ لَنَا مَا هِيَ﴾ قالوا ربنا ما نعلمها ﴿قَالَ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِصٌ وَلَا يَكَرُّ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾ ﴿قَالُوا أَنْعَ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنُ لَنَا مَا لَوْ هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوُثُهَا تَسْمَرُ النَّظِيرُ كُنَّ﴾

[٦٧] ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ وذلك أنه قتل شخص فلم يعرف قاتله، فتحاكموا إلى موسى عليه السلام فأمرهم أن يذبحوا بقرة، ويضربوا الميت ببعضها، ليحيي القاتل ويخبر عن قاتله ﴿قَالُوا أَتُخَذُونا هُزُؤًا﴾ أي نأخذنا هزواً ﴿أَنْعَ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنُ لَنَا مَا هِيَ﴾ قالوا ربنا ما نعلمها ﴿قَالَ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوُثُهَا تَسْمَرُ النَّظِيرُ كُنَّ﴾ أي تبث السرور في قلب من يراها لكل هذه الصفات الحسنة أو كانت الصفرة بحيث تجلو القلب.

[٧٠] ﴿قَالُوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي﴾ ما هي صفاتها الأخرى غير السن واللون ﴿إن البقر تشابه علينا﴾ إذ البقر بهذا السن وهذا اللون كثير ﴿وإننا إن شاء الله لمهتدون﴾ نريد اتباع الأمر لا أننا نسأل لمجرد العلم والمجادلة.

[٧١] ﴿قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض﴾ أي لا تكون عاملة في إثارة الأرض للزراعة ، وهذا تفسير للذلول ﴿ولا تسقي الحرت﴾ أي ليست تسقي لأجل الزرع ﴿مسلمة﴾ سلمها الله من العيوب لا عيب فيها ﴿لا شية فيها﴾ لا لون فيها يخالف لونها ﴿قالوا الآن جئت بالحق﴾ الواضح ﴿فذبوحها وما كادوا يفعلون﴾ وذلك لأن ثمنها كان كثيراً جداً ، حتى قالوا إنه كان ملاء جلد ثور ذهباً .

[٧٢] ﴿وإذ قتلتم نفساً فادارءتم﴾ أي تدافعتم في قتل النفس بأن قال كل واحد : أنا لم أقتله وإنما قتله غيري ﴿فيها﴾ أي في تلك النفس ، وانه من قتلها ﴿والله مخرج ما كنتم تكتمون﴾ أي ما أخفيتموه من القاتل ، فإن الله يظهره بسبب ذبح البقرة .

[٧٣] ﴿فقلنا اضربوه﴾ أي القتل ﴿ببعضها﴾ أي ببعض تلك البقرة ﴿كذلك﴾ أي كما أحى الله هذا القتل ﴿يحيي الله الموتى﴾ في يوم القيامة ﴿ويريكم آياته﴾ أي دلالة على كامل قدرته ﴿لعلكم تعقلون﴾ .

[٧٤] ﴿ثم قست قلوبكم﴾ بينما كان مقتضى القاعدة أن

ترق وتلين حيث شاهدت آيات الله تعالى ﴿من بعد ذلك﴾ بعد رؤية الآيات ، أو إحياء القتل ﴿فهي كالحجارة أو أشد قسوة﴾ كالحديد وما أشبهه ، في عدم تقبل النصيحة والوعظ ﴿وإن من الحجارة لَمَا﴾ أي لحجارة ﴿يتفجر منها الأنهار﴾ فإن قسماً من الأنهار تنفجر من الحجارات ﴿وإن منها لما يشقق﴾ أي يتشقق ﴿فيخرج منه الماء﴾ القليل ، فبعض الحجارات يخرج منها الماء الكثير ، وبعضها يخرج منها الماء القليل ، أما قلوب هؤلاء فلا يخرج منها خير أصلاً ، لأنها قاسية ﴿وإن منها﴾ أي من الحجارة ﴿لَمَا يهبط﴾ لحجارة ينزل من أعالي الجبل ﴿من خشية الله﴾ إما خشية واقعية أو خشية تكوينية ، ولكن قلوب اليهود لا تهبط من خشية الله ، إذ هي كالحجارة أو أشد قسوة ﴿وما الله بغافل عما تعملون﴾ من الأعمال السيئة : الكفر والعصيان .

[٧٥] ﴿أفتطمعون﴾ أيها المؤمنون ﴿أن يؤمنوا﴾ هؤلاء اليهود ﴿لكم وقد كان فريق منهم﴾ طائفة من أسلاف هؤلاء ، وحيث إن الطبيعة واحدة ، فما هي حالة الأسلاف تكون حالة الأخلاف عادة ﴿يسمعون كلام الله﴾ التوراة ﴿ثم يحرفونه﴾ يغيرونه فيجعلون الحلال حراماً والحرام حلالاً ﴿من بعد ما عقلوه﴾ أي فهموه ﴿وهم يعلمون﴾ أنهم يحرفونه .

[٧٦] ﴿وإذا لقوا الذين آمنوا﴾ قسم من اليهود كانوا منافقين فإذا لقوا أي رأوا المؤمنين أظهروا الإيمان و ﴿قالوا آمنا وإذا خلا بعضهم إلى بعض﴾ في مكان خلوة ليس فيها مؤمن حقيقي ﴿قالوا﴾ أي قال بعضهم الذين لم ينافقوا ﴿أتحدثونهم﴾ أي لماذا أيها اليهود المنافقون تحكون للمسلمين ﴿بما فتح الله عليكم﴾ أي بما بين الله لكم من نعت محمد ﷺ ﴿ليحاجوكم به عند ربكم﴾ أي ليكون للمؤمنين حجة عليكم عند الله ، فإن المؤمنين في يوم القيامة يقولون لله : يا رب هؤلاء كانوا يعلمون صفات محمد ﷺ لأنهم اعترفوا بها أمامنا ﴿أفلا تعقلون﴾ أيها اليهود فتعترفون أمام المسلمين .

قَالُوا ادْع لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِئَةَ فِيهَا قَالُوا أَأَتْنَحْنُ جُنُتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ نَفْسًا فَاذْرَءْ ثُمَّ فِيهَا وَاللَّهُ خَرَجَ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَعَلْنَا أضرِبُوهُ بَعْضَهَا كَذَلِكَ يُخَيِّ اللَّهُ الْمَوْتَى وَرُبِّيَكُم مَّا يَنْتَهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنْ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ أَفَتُطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ لَنُحَرِّقُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذْ لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِعَضُفُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾

[٧٧] ﴿أَوْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ هؤلاء اليهود المنافقون ﴿أَنْ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَسْرُونَ وَمَا يَعْلَنُونَ﴾ سرهم وعلايتهم، فسواء اعترفوا أمام المسلمين أم لا، الله يعلم أنهم يعرفون صفات محمد ﷺ .

[٧٨] ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ﴾ منسوب إلى الأم، بمعنى الذي لا يقرأ ولا يكتب ﴿لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿إِلَّا أَمَانِي﴾ جمع أمانة أي لا يقرؤون الكتاب حتى يعرفون الحقائق بل لهم أمانى بنجاتهم في الآخرة بسبب هذا الكتاب، فلو قرأوا الكتاب علموا أنهم على باطل وزالت تلك الأمانى من قلوبهم ﴿وَلَنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ بأنهم أهل النجاة، لا علم لهم بذلك .

[٧٩] وحيث إن جهل الأميين بالواقع إنما هو بسبب ما حرفة علماؤهم من التوراة، إذن ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ فليس هو كتاباً أنزله الله، وإنما هو كتاب محرف كتبه أيدي رؤسائهم المحرفين ﴿ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا﴾ الكتاب المحرف ﴿مَنْ عِنْدَ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ أي كي يحصلوا بهذا الكتاب المحرف غرضاً من أغراض الدنيا من الرئاسة والمال فكانهم أعطوا المحرف وأخذوا المال والرئاسة ﴿فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ أي مما فعلوه من تحريف الكتاب ﴿وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ من المال الحرام في إزاء الكتاب المحرف .

﴿أَوْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُرْسُونَ وَمَا يُعْلَنُونَ﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ وَقَالُوا لَنْ تَمْسَنَا نَارُ الْكَافِرِينَ إِلَّا أَنْصَابًا مَعْدُودَةً قُلْ أَخَذْتُ عَهْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَتَمْ نَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَاطَبَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾

[٨٠] ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمْسَنَا﴾ أي لن تصيبنا ﴿النار﴾ نار جهنم في الآخرة ﴿إِلَّا أَنْصَابًا مَعْدُودَةً﴾ أي قليلة ﴿قُلْ أَخَذْتُ عَهْدَ اللَّهِ﴾ أخذت من اليهود ﴿عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا﴾ بأن الله يعذبكم أياماً قليلة فقط ﴿فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ﴾ أم تقولون على الله ما لا تعلمون؟ أي إن نسبتكم إلى الله بأنه يعذبكم أياماً قليلة، إنما هو اعتباطي وبدون علم .

[٨١] ﴿بَلَى﴾ ليس الأمر كما قلتم، بل لكم عذاب دائم أيدي ﴿مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ أي عمل عملاً سيئاً، كأنه اكتسبه ﴿وَأَحَاطَتْ بِهِ خَاطَبَتُهُ﴾ أي ذنوبه، فإن من الناس من يكون كل أعماله معصية، فهو كالذي أحاط به الدخان ﴿فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ ملازمون لها ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ دائمون فيها، ولعل وجه تخصيص الخلود بهؤلاء، لأن القاصر منهم يمتحن يوم القيامة .

[٨٢ - ٨٣] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أي الأعمال الصالحة ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ * وإذ أي أذكر يا رسول الله حيث ﴿أَخَذْنَا مِيثَاقَ﴾ العهد الشديد ﴿بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ بدل من الميثاق ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ أي تحسنون ﴿وَذِي الْقُرْبَى﴾ أي تحسنون إلى أقربائكم ﴿وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أي أعرضتم عن أوامر الله، بأن وليتم الدبر ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ في حال إعراضكم

[٨٤] ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا﴾ واذكروا يا بني إسرائيل الزمان الذي أخذنا فيه ﴿مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾ كان الميثاق أن لا يريق بعضهم دم بعض ﴿وَلَا تَخْرُجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ﴾ بتباعد بعضهم بعضاً عن الديار ﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ﴾ بالميثاق وقبلتموه ﴿وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ أي تشهدون بالإقرار، وهذا كقوله: (أقر وأنا شاهد علي هذا).

[٨٥] ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾ أي إنكم بعد الإقرار بنقضتم ذلك، وأنتم جماعة يقتل بعضهم بعضاً ﴿وَتَخْرُجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ﴾ أي بعضكم ﴿مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ﴾ أي يعاون بعضهم مع بعض في القيام ضد أولئك الفريق ﴿بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ أي أن التظاهر تظاهر معصية وتعد وظلم، لا تظاهر في الحق والعدل ﴿وَإِنْ يَأْتُواكُمْ﴾ الآن الفريق الذي أخرجتموه من البلد ﴿أَسَارَى﴾ جمع أسير ﴿فَتَادُوهُمْ﴾ أي تعطون الفدية لأجل خلاصهم، فإذا رأيتم الآن هذا الذي تخرجونه من البلد في يد غيركم أسيراً تعطون الفدية لخلاصه! فما هذا التناقض في أفعالكم؟ ﴿وَهُوَ مُحْرَمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجَهُمْ﴾ أي يحرم عليكم إخراج وتبعد هؤلاء الفريق من البلد، ولفظة (هو) عائد إلى (الإخراج) ﴿أَفْتَوْنَهُمْ بِيَعْسِ الْكِتَابِ﴾ الذي يأمركم بالفدية ﴿وَتَكْفُرُونَ بِيَعْسِ﴾ الذي ينهى عن القتل والإخراج، والاستفهام إنكارى، والمراد بالكتاب التوراة

﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ﴾ أي الإيمان ببعض الكتاب والكفر ببعض ﴿الْأَخْزَى﴾ وذل ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَرُدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا لِلَّهِ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ بل يعلم كل أعمالكم فيجازيكم عليها.

[٨٦] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَكَافَرُوا بِبَعْضٍ﴾ ﴿اشْتَرَوْا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾ ﴿أَخَذُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا، وَأَعْطَوْا بِهَا الْآخِرَةَ﴾ ﴿فَلَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ﴾ ﴿فِي الْآخِرَةِ﴾ ﴿وَلَا هُمْ يَنْصُرُونَ﴾ ﴿لَا يَنْصُرُهُمْ أَحَدٌ مِنَ عَذَابِ اللَّهِ﴾.

[٨٧] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿وَوَقَفِينَا﴾ أي اتبعنا ﴿مَنْ بَعْدَهُ بِالرُّسُلِ﴾ فكان كثير من الرسل بعد موسى ﷺ ﴿وَأَتَيْنَا﴾ أعطينا ﴿عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْنَاتِ﴾ الأدلة الواضحات الدالة على نبوته ﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ روح طاهرة عن الآثام ، والتأييد بمعنى التقوية ، ولعل المراد به جبرئيل ﷺ ﴿أَفَكُلَّمَا﴾ استفهام إنكاري ﴿جَاءَكُمْ﴾ أيها اليهود ﴿رَسُولٌ﴾ بما لا تهوى أنفسكم ، أي جاءكم رسول بالحكم الذي لا تميلون إليه ﴿اسْتَكْبَرْتُمْ﴾ تكبرتم عن الإطاعة لذلك الرسول ﴿فَفَرِّقُوا﴾ من الرسل كموسى ﷺ وعيسى ﷺ ﴿كَذَّبْتُمْ وَفِرْقًا تَقْتُلُونَ﴾ كزكريا ﷺ ويحيى ﷺ .

[٨٨] ﴿وَقَالُوا﴾ اليهود ﴿قلوبنا غلف﴾ جمع أغلف، أي في غطاء فلا نفهم ما تقول يا محمد ﷺ ﴿بل﴾ ليس في غلاف وإنما ﴿لعنهم الله﴾ بقدّمهم الله عن قبول الحق ﴿بكفرهم﴾ أي بسبب كفرهم، فحيث إنهم عقدوا العزم على الكفر بقدّمهم الله عن الهداية، كما أنك لو أعطيت ولدك مالا ليتاجر، فغزم الولد على المقامرة بالمال، طرده من قربك ﴿فقليلا ما﴾ مبالغة للقلة ﴿يؤمنون﴾.

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَاسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ
أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَضْتُمْ وَأَسْرَفْتُمْ تَسُدُّونَ ﴿٨٥﴾
ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْنَلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا
مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ
وَإِنْ يَأْتُواكُمْ أَسْرَى تُقْسِدُوا وَهُمْ وَهُوَ حَرْمٌ عَلَيْكُمْ
إِخْرَاجُهُمْ أَفْثُونٌ مِنْ بَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ
بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا آخَرٌ
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَسَدِ الْعَذَابِ
وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٦﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا
الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخَفُفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ
يُنصَرُونَ ﴿٨٧﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَفَتَيْنَا مِنْ
بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَنِينَ وَأَيَّدْنَاهُ
بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ
اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٨﴾ وَقَالُوا
قُلُونَا عَلَفٌ لَنَا وَلِلْغُلَامِ اللَّهُ يُكْفِرُ هُمْ قَلِيلًا مَانُونُونَ ﴿٨٩﴾

[٨٩] ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ﴾ اليهود ﴿كِتَابٌ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ﴾ هو القرآن ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ لكتابهم، فإن القرآن يصدق التوراة الأصلية التي لم تحرف ﴿وَكَانُوا﴾ اليهود ﴿مِن قَبْلِ﴾ أي قبل نزول القرآن وبعثة النبي ﷺ ﴿يَسْتَفْتِحُونَ﴾ على الذين كفروا ﴿أَي يَطْلُبُونَ﴾ من الله النصر والفتح على الكفار بمجيء النبي ﷺ، فإن اليهود في المدينة كانوا إذا تخاصموا مع المشركين، توجهوا إلى الله تعالى أن ينقذهم بمحمد ﷺ من المشركين ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا﴾ أي ما عرفوه سابقاً، من محمد ﷺ والقرآن ﴿كَفَرُوا بِهِ﴾ بمحمد ﷺ والقرآن ﴿فَلَعَنَهُ اللَّهُ﴾ أي عذابه وطرده عن الخير ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

[٩٠] ﴿يَسْمَأُ﴾ أي ينس الشيء الذي ﴿اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ﴾ فباعوا أنفسهم للعذاب لينالوا خيراً قليلاً في الدنيا ﴿أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ والحاصل ينس الاشتراء: الكفر بما أنزل الله ﴿بَغْيًا﴾ أي كفراً ناشئاً من البغي والظلم والفساد ﴿أَن يَنْزِلَ اللَّهُ﴾ فقد حسدوا أن ينزل الله بالوحي ﴿مِن فَضْلِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ أي محمد ﷺ، لأن اليهود كانوا يترقبون أن ينزل الوحي على قبيلتهم من ولد إسحاق لا على ولد إسماعيل ﴿فَبَاءُوا﴾ أي رجع اليهود بسبب هذا الكفر والحسد ﴿بِغَضَبٍ﴾ من الله لكفرهم بمحمد ﷺ ﴿عَلَى غَضَبٍ﴾

سابق لكفرهم بعبسى ﷺ ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ يهينهم ويذلهم.

[٩١] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ أي لليهود ﴿آمَنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ من الكتب كالإنجيل والقرآن ﴿قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنزَلَ عَلَيْنَا﴾ أي التوراة فقط ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ﴾ أي بما نزل بعد توراتهم، وهو الإنجيل والقرآن ﴿وَهُوَ الْحَقُّ﴾ أي والحال أن ما وراءه حق ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾ في حال كون ما وراء كتابهم مصدق للكتاب الذي مع اليهود، وهو التوراة ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مَن قَبْلُ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ بالتوراة لأن التوراة ينهى عن قتل الأنبياء، فإذا ادعواكم بقولكم (نؤمن بما أنزل علينا) كذب، فأنتم لا تؤمنون حتى بالتوراة.

[٩٢] ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالأدلة الواضحة ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾ عبدتم ما يشبه ولد البقر ﴿مِن بَعْدِهِ﴾ أي بعد مجيء موسى ﷺ بالبينات، فهذا دليل آخر على أنكم لا تؤمنون بالتوراة أيضاً ﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾.

[٩٣] ﴿وَإِذْ﴾ واذكروا يا بني إسرائيل الزمان الذي ﴿أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ عهدكم الأكيد باتباع التوراة ﴿وَوَرَعْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ﴾ قطعة من الجبل، وذلك لتخويفكم وتهديدكم بأنكم إذا لم تؤمنوا سقط عليكم وأهلككم، فقلنا لكم ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ﴾ من الأحكام ﴿بِقُوَّةٍ﴾ بشدة وتأكد ﴿وَأَسْمَعُوا﴾ الأوامر سماع طاعة وانقياد ﴿قَالُوا سَمِعْنَا﴾ قولك ﴿وَعَصَيْنَا﴾ أمرك ﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾ كأن قلوبهم شرب حب العجل، فلا يخرج حبه من قلوبهم، ولذا لما ذره موسى ﷺ في البحر كان جماعة منهم يلقون بأنفسهم في الماء ليشربوا منه ﴿يَكْفُرُهُمْ﴾ أي بسبب كفرهم الكامن في أنفسهم ﴿قُلْ يَسْمَأُ﴾ أي ينس الشيء الذي ﴿يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيْمَانُكُمْ﴾ فإنهم كانوا يقولون إن إيمانهم بموسى ﷺ يأمرهم بعدم اتباع محمد ﷺ ﴿إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾.

وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلِ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعَنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ يَسْمَأُ أَشْرَبُوا بِهِ وَأَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ نَبِيًّا أَن يَنْزِلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا تَأْمِنُوا بِمَا أَنزَلَ عَلَيْنَا وَنَكْفُرُ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مَن قَبْلُ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ يَسْمَأُ يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيْمَانُكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾

[٩٤] ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﷺ لليهود ﴿إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ﴾ فلا يدخل سائر الناس الجنة، كما تزعمون أيها اليهود ﴿فَتَمْنُوا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في هذا الزعم، لأن اليهود كانوا يقولون الجنة لهم فقط، وقد أمرهم القرآن بتمني الموت، لكنهم ما كانوا يتمنون له لما علموا بأن محلهم النار.

[٩٥] ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوهُ﴾ أي الموت ﴿أَبَدًا﴾ بما قدمت أيديهم، أي بسبب ما عملوه من الكفر والمعاصي، وحيث إن اليد تعمل الأعمال نسب ما عملوه إلى أيديهم، فأيديهم قدمت تلك الأعمال البشعة إلى الآخرة ﴿وَاللَّهُ عَالِمُ بِالظَّالِمِينَ﴾.

[٩٦] ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ﴾ يا رسول الله ﴿أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ﴾ فإن حرصهم على بقائهم في الدنيا أشد من حرص سائر الناس، فكيف يتمنون الموت؟ ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ أي اليهود أحرص من المشركين ومن غير المشركين على الحياة، وإنما خص المشرك بالذكر، لأن المشرك حيث يرى أنه لا آخرة يشتد حرصه على الحياة ﴿يُودُ﴾ أي يحب ﴿أَحَدَهُمْ لَوْ﴾ للتمني ﴿يَعْمُرُ﴾ أي يبقى في الدنيا ويطول عمره ﴿أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُصَدِّقٍ لِّعَمَلِهِ﴾ ليس العمر الطويل ﴿بِمُزَحَّزِحَةٍ﴾ أي يبعده ﴿مِنَ الْعَذَابِ﴾ أن يعمر ﴿بَدَلْ﴾ (هو) فلا فائدة في طول عمرهم ﴿وَاللَّهُ

قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمْنُوا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَنْ يَتَمَنَّوهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ إِلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَالِمُ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِ وَمِمَّا هُوَ بِمُزَحَّزِحٍ مِنْ الْعَذَابِ أَنْ يُعْمَرُوا لَوْ يَعْمُرُوا أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحَّزِحٍ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعْمَرُوا وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَلَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴿٩٩﴾ أَوْ كَلِمَاتٍ أَعْلَهُدُ وَأَعْلَهُدُ أَنْبَاءُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾

بصير بما يعملون﴾ فيجازيهم بسيئاتهم.

[٩٧] ﴿قُلْ﴾ يا رسول الله ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾ فإن اليهود كانوا أعداء جبرئيل، وكانوا يقولون للرسول: حيث إن جبرئيل ينزل عليك لا نؤمن نحن بك ﴿فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ فإن الله أذن لجبرئيل في نزول القرآن، وعلى فرض المحال بكون جبرئيل مذنباً، فإن ذلك لا يرتبط بالقرآن وبالرسول ﷺ ﴿مُصَدِّقًا﴾ أي في حال كون القرآن يصدق ﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي لما تقدمه من الكتب كالطورا والإنجيل ﴿وَهْدًى﴾ هداية ﴿وَبُشْرًى﴾ بشارة بمستقبل زاهر، وهذان عطفان على ﴿مُصَدِّقًا﴾ ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

[٩٨] ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ﴾ بمخالفة الله عن عناد ﴿وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾ فإن الله عدو للكافرين ﴿أَيُّ عَدُوٍّ هَؤُلَاءِ يَجَازِي بِأَنَ اللَّهِ يَعَادِيهِ﴾، فيعاقبه.

[٩٩] ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ ووضحات ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾ الخارجون عن طريق الهدى والرشاد. [١٠٠] ﴿أَوْ كَلِمَاتٍ﴾ الهمزة للإنكار، والواو عطف على مقدر، أي أ كفر اليهود وكلما ﴿عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ﴾ طرحه ولم يعمل به، فإنهم عهدوا بالعمل بما في التوراة، ومن جملة أحكام التوراة أن يؤمنوا بمحمد ﷺ، لكنهم نبذوه ولم يعملوا به ﴿فَرِيقٍ مِنْهُمْ﴾ أما بعض اليهود فقد آمنوا بمحمد ﷺ ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ هذا لدفع وهم أن يراد بـ (فريق) جماعة قليلة، فكانه قال: الفريق النابذ هم الأكثر منهم.

[١٠١] ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ﴾ محمد ﷺ ﴿مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ من التوراة ﴿نَبَذَ﴾ ترك ﴿فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ وهم علماء اليهود الذين أعطاهم الله التوراة ﴿كِتَابَ اللَّهِ﴾ أي أحكام التوراة بالإيمان بمحمد ﷺ ﴿وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ بأن هذا كتاب الله وأنه يحرم نبذه وعدم العمل به.

[١٠٢ - ١٠٥] ﴿وَاتَّبِعُوا﴾ أي إن اليهود لما جاءهم محمد ﷺ تركوا اتباعه، بل اتبعوا كتب السحر، فعوض أن يؤمنوا بالرسول وبالقرآن، أخذوا يتبعون كتب السحر التي كانت على عهد سليمان عليه السلام، والتي كانت من متروكات هاروت وماروت ﴿مَا تَتْلُوا﴾ أي ما تقرأ، وهذا مستقبل بمعنى الماضي ﴿الشياطين على ملك سليمان﴾ أي في زمن ملك سليمان عليه السلام فإن الشياطين كتبوا السحر والقوه تحت كرسي سليمان عليه السلام بعد موته، ليظن الناس أن سليمان عليه السلام كان بالسحر نال ما نال من الملك ﴿وما كفر سليمان﴾ فإن السحر كفر، ولو كان سليمان عليه السلام يعمل بالسحر لكان كافراً، والعياذ بالله ﴿ولكن الشياطين﴾ الذين كتبوا السحر والقوه تحت كرسي سليمان عليه السلام ﴿كفروا﴾، يعلمون ﴿أولئك الشياطين﴾ الناس السحر وما أنزل على الملكين ﴿أي اتبعوا ما أنزل﴾ فإن الله أنزل على هاروت وماروت السحر، حيث إن السحر شاع في ذلك الزمان، فأنزل الله الملكين وعرفهما السحر، ليعلموا الناس السحر وما يبطله، وذلك التعليم كان بقصد إبطال السحر، كما يقول الطبيب للمريض: (السم مهلك ودواؤه كذا) لكن الناس حيث تعلموا السحر أخذوا يعملون به عصباناً لله تعالى ﴿ببابل﴾ مدينة قرب الحلة في العراق ﴿هاروت وماروت﴾ عطف بيان للملكين ﴿وما يعلمان من أحد﴾ لا

وَاتَّبِعُوا مَا نَزَّلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَىٰ مَلِكٍ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَر سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا خُنْ فَتَنْهَ فَلَا تُكْفِرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَيْفَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّو كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ مَا يَوْءُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الَّذِينَ أَنْزَلْنَا عَلَىٰكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾

يعلم الملكان أحداً شيئاً من السحر ﴿حتى يقولوا إنما نحن فتنه﴾ أي إنا امتحان لكم أيها البشر ﴿فلا تكفر﴾ باستعمال السحر، بل استعمل مبطل السحر فقط ﴿فيتعلمون﴾ الناس ﴿منهما﴾ أي من الملكين ﴿ما﴾ أي سحراً ﴿يفرقون به بين المرء وزوجه﴾ بينما كان من الضروري أن يتعلموا ما يبطلون به التفرقة، فإن الملكين كانا يقولان: (إن كذا يفرق، وإن كذا يبطل السحر المفرق) لكن الناس كانوا يعملون بالسحر لا بمبطل السحر ﴿وما هم﴾ العاملون بالسحر ﴿بضارين به﴾ أي بسبب السحر ﴿من أحد﴾ أي أحداً ﴿إلا بإذن الله﴾ إذنا تكوينياً، حيث إن الله جعل هذا الأثر المفرق في السحر وهذا لإفادة أن الناس تحت قبضة الله واختياره سواء أطاعوا أم عصوا، حتى لا يزعم العاصي أنه خرج عن تحت سلطة الله تعالى ﴿ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم﴾ تأكيد لـ (ما يضرهم) ﴿ولقد علموا﴾ هؤلاء اليهود الذين كفروا بمحمد ﷺ واتبعوا سحر الشياطين وسحر الملكين ﴿لمن﴾ أي الذي، فـ (اللام) للتأكيد ﴿اشتره﴾ أي اشترى السحر، كأنه أعطى الإيمان بمحمد ﷺ وأخذ السحر مكانه ﴿ماله في الآخرة من خلاق﴾ نصيب من الخير ﴿ولبئس ما شروا به أنفسهم﴾ باعوا أنفسهم لعذاب الآخرة، واشتروا مكانه الكفر والسحر ﴿لو كانوا يعلمون﴾ أي لو كانوا يعلمون لعلموا قبح ما شروه. ﴿ولو أنهم﴾ أي أهل الكتاب ﴿آمنوا واتقوا﴾ المعاصي ﴿لمثوبة﴾ أي ثواب ﴿من عند الله خير﴾ من السحر والكفر ﴿لو كانوا يعلمون﴾ أي لو كان لهم علم لعلموا خيرية الثواب. ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا﴾ وهذه سيئة أخرى من سيئات اليهود فإنهم كانوا يقولون لمحمد ﷺ (راعنا) أي راع أحوالنا، وهذا كان في لغتهم شتماً بمعنى (أسمعت لا سمعت) وكانوا يقصدون الشتم لخبثهم ﴿وقولوا انظرونا﴾ ومعناه راع أحوالنا وتلطف بنا، وإنما وجه الخطاب للمؤمنين لأنهم المنتفعون بالخطاب ﴿واسمعوا﴾ سماع إطاعة ﴿ولللكافرين﴾ الذين يخالفون أمر الله تعالى ﴿عذاب أليم﴾ مؤلم. ﴿ما يود﴾ أي لا يحب ﴿الذين كفروا من أهل الكتاب﴾ وهذا تكذيب لليهود الذين كانوا ينافقون فيقولون للمؤمنين إنا نحب الخير لكم، وهم مقابل الذين آمنوا برسول الله ﷺ من أهل الكتاب ﴿ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم﴾ أي لا يحب أهل الكتاب والمشركون أن ينزل الله خيراً على المؤمنين ﴿والله يختص برحمته من يشاء﴾ فليس رحمة الله حسب أهواء الكفار ﴿والله ذو الفضل العظيم﴾.

[١٠٦] ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾ النسخ تبديل الآية بآية أخرى والحال أن الآية الأولى باقية، كما ينسخ التوراة بالقرآن، و(الإنساء) تركها حتى تنسى، فإن عدم الاعتناء بشيء يوجب نسيانها، كما أن الكتب السابقة النازلة على الأنبياء ﷺ نسييت فلم يبق منها أثر ﴿نَاتٍ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾ قال اليهود كيف يجوز نسخ القرآن للتوراة، إذ أن التوراة لو كان صالحاً لم يجز نسخه، وإن لم يكن صالحاً كيف أمر الله موسى ﷺ باتباعه؟ وجاء الجواب في هذه الآية الكريمة، بأن الحكم الجديد إما مماثل للحكم السابق مع فارق أن هذا لهذا الزمان وذاك للزمان السابق، كما لو قام الدينار الورقي الجديد مقام الدينار الورقي القديم، أو أفضل من الحكم السابق، كما أن الدراسة العالية أفضل من الدراسة الابتدائية ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فيقدر على النسخ والتبديل.

[١٠٧] ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فمن له الملك له التشريع أيضاً، إذ للمالك حق أن يشرع لملكه ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ يلي أموركم ويتولى شؤونكم فله حق التشريع ﴿وَلَا نَصِيرٌ﴾ فهو ينصركم على أعدائكم والمجادلين في دينكم.

[١٠٨] ﴿أَمْ﴾ اعتراض على اليهود، لماذا يجادلون كل رسول يأتيهم بعد ثبوت رسالته، فمعنى (أم): (بل)، أي إنكم بقصد المجادلة لا بقصد التفهم ﴿تَرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سَأَلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ﴾ بأن ترك الإيمان وأخذ الكفر، كاليهود ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ أي وسط الطريق الموصل إلى المطلوب.

[١٠٩] ﴿وَدُ﴾ وهذه رذيلة أخرى لأهل الكتاب فقد أحب ﴿كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفْرًا﴾ أي يرجعونكم إلى الكفر، بعد أن آمنتم بالرسول ﷺ أيها المسلمون ﴿حَسَدًا﴾ هذا علة (ود) أي أنهم يحسدونكم، لذا يريدون إرجاعكم إلى الكفر ﴿مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾ أي هذا الحب^(١) ناشئ من نفوسهم، لا أنه من أجل تدينهم ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ بأن الرسول ﷺ حق ﴿فَاعْفُوا﴾ ولا تواخذوا أهل الكتاب، فعلاً ﴿وَاصْفَحُوا﴾ أعرضوا عنهم واتركوهم ﴿حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ في قتالهم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فيقدر على الانتقام من أهل الكتاب.

[١١٠] ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تَقْدُمُوا﴾ إلى الآخرة ﴿لَأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ في دار ثوابه ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فلا يضيع عنده شيء.

[١١١] ﴿وَقَالُوا﴾ أي أهل الكتاب ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا﴾ أي يهوداً ﴿أَوْ نَصَارَى﴾ تلك أمانيتهم ﴿جَمْعُ أَمْنِيَّةٍ﴾ أي طلبهم القلبي، فإنهم يتوقعون دخولهم وحدهم الجنة ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ أي اثبتوا بدليلكم على أنكم وحدكم تدخلون الجنة ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

[١١٢] ﴿بَلَى﴾ الجنة لكل مؤمن، ف ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ﴾ أي جعل وجهه مسلماً، كناية عن الإطاعة والانقياد ﴿لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ في عمله، وهذه عبارة أخرى عن الإيمان والعمل الصالح، فغير المؤمن لم يسلم وجهه لله، والعاصي ليس بمحسن، ﴿فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ في الآخرة ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ لا خوف من مكروه المستقبل، ولا حزن لمكروه وارد، لأن خوفهم وحزنهم ليس بشيء في مقابل خوف وحزن الكفار.

[١١٣] «وقالت اليهود ليست النصارى على شيء» من الدين فلا دين لهم «وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب» أي قالوا هذه المقالة والحال أنهم من أهل العلم، وأهل العلم يجب أن لا يناذب بعضهم بعضاً «كذلك» أي مثل قول هؤلاء «قال الذين لا يعلمون» أي الكفار، «مثل قولهم» فإن الكفار يحاربون أهل الكتاب، وبالعكس^(١) «قاله يحكم بينهم» أي بين اليهود والنصارى والمشركون «يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون».

[١١٤] «ومن أظلم» هذا تعريض بأهل الكتاب، حيث إن نصارى الروم غزوا بيت المقدس وخرّبوه، انتقاماً من اليهود - كما قيل - والآية عامة «ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه» أي منع من ذكر الله في المساجد «وسعى في خرابها» بهدم بنائها وتعطيلها عن العبادة «أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين» أي ينبغي أن يخافوا من عقاب الله تعالى، حيث حاربوا أوليائه وهدموا بيوتهم «لهم في الدنيا خزي» حيث إن المسلمين يغلبون عليهم ويجزون بصنيعهم «ولهم في الآخرة عذاب عظيم».

[١١٥] «ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا» أينما اتجهتم حال الصلاة، وهذا رد على اليهود الذين قالوا

كيف حول رسول الله ﷺ وجهه من بيت المقدس إلى الكعبة «فثم» أي في ذلك الجانب «وجه الله» أي ذاته فإن الله تعالى لا مكان له، فأين توجه الإنسان، فقد توجه إلى الله تعالى «إن الله واسع» ليس له مكان خاص، بل هو في كل مكان «عليم» بالمصالح، ولذا حول القبلة إلى الكعبة المعظمة.

[١١٦] «وقالوا» اليهود والنصارى «اتخذ الله ولداً» فاليهود قالوا عزيز ابن الله، والنصارى قالوا المسيح ابن الله «سبحانه» أي انه تعالى منزّه من أن يتخذ ولداً «بل له ما في السماوات والأرض» فلا يحتاج إلى أن يتخذ ولداً «كل له قانتون» خاضعون.

[١١٧] «بديع» أي مبدع وخالق «السماوات والأرض وإذا قضى أمراً» أراد شيئاً «فإنما يقول له كن» موجوداً «فيكون» فأي حاجة له إلى الولد لأنه خالق كل شيء وقادر على إيجاد كل شيء.

[١١٨] «وقال الذين لا يعلمون» من جهلة أهل الكتاب والمشركون «لولا يكلمنا الله» أي لماذا لا يكلمنا الله كما يكلمك يا محمد ﷺ «أو تأتينا آية» أي ينزل إلينا معجزة وآية كما ينزلها إليك، حتى نؤمن «كذلك قال الذين من قبلهم» قالوا لأنبيائهم «مثل قولهم تشابهت قلوبهم» في العمى والفساد «قد بينا الآيات لقوم يوقنون» أي يطلبون اليقين، والآيات كافية في ذلك، ولا حاجة إلى تنزيل أخرى إلى المعاندين.

[١١٩] «إنا أرسلناك بالحق بشيراً» لمن آمن «ونذيراً» لمن كفر «ولا تسئل عن أصحاب الجحيم» أي ليس عليك أن تجبر الكفار على القبول، وإنما عليك البلاغ فقط، فلا يضرّك عنادهم.

وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُ وَاسْمُ مَنْ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَسَمِعَ اللَّهُ دَعْوَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ وَسَّعَ عَلَيْهِ ﴿١١٥﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلِّ لَهٍ قَلْبُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَاهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾

(١) أو أن المشرّكين قالوا للنبي ﷺ وأصحابه: أنهم ليسوا على شيء من الدين.

[١٢٠] ﴿وَلَنْ رَضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ﴾ فلا تتوقع يا محمد ﷺ رضاهم عنك ﴿حتى تتبع ملتهم﴾ وطريقتهم ﴿قل﴾ يا محمد ﷺ ﴿إن هدى الله هو الهدى﴾ والصحيح، فلا أحمده عنه وعدم رضاكم ليس بهمهم ﴿ولئن اتبعت﴾ يا رسول الله ﴿أهواءهم﴾ أي أهواء اليهود والنصارى في دينهم المنحرف ﴿بعد الذي جاءك من العلم﴾ ببطان طريقتهم وصحة طريقة الإسلام ﴿مالك من الله من ولي ولا نصير﴾ ينصرك من بأس الله.

[١٢١] ﴿الَّذِينَ آمَنُوا هُمُ الْكُتَّابُ﴾ أي كل من أرسلنا إليه الكتاب، تورا أو إنجيلاً أو قرآنًا ﴿يتلونهم﴾ أي إن تلوهم ﴿حق تلاوته﴾ وحق التلاوة هو العمل به، وإلا كان لقلقة لسان ﴿أولئك﴾ فقط، وهذا خبر (الذين) ﴿يؤمنون به ومن يكفر به﴾ بعدم العمل به ﴿وأولئك هم الخاسرون﴾ الذين خسروا دنياهم وعقباهم، وهذه الآية تعريض بأهل الكتاب، ببيان أنهم ليسوا بمؤمنين إذ لا يعملون بكتابهم.

[١٢٢] ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم ﴿بإرسال الأنبياء﴾ فيكم وجعل ملوكاً منكم ﴿وأني فضلنكم على العالمين﴾ عالمي زمانكم حيث إن المؤمن مفضل على كل أهل العالم في زمانه.

[١٢٣] ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا﴾ خافوا من يوم القيامة، فلا تعملوا ما يوجب عقابكم وعذابكم ﴿لا تجزي نفس عن نفس ثمن في مقابل فكاكه﴾ ولا يتفعلها شفاعته ﴿إلا بإذن الله﴾ ولا هم ينصرون ﴿لا ينصروهم أحد لينقذهم من عذاب الله، فهذه الوسائل الموجودة في الدنيا لخلاص المجرم لا توجد هناك وإنما ينفع الإنسان عمله.

[١٢٤] ﴿وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ﴾ واذكر يا رسول الله الوقت الذي امتحن فيه الله تعالى رسوله إبراهيم عليه السلام، والابتلاء هو التكليف الشاق، أو النازلة المريرة ﴿بكلمات﴾ أي بأمور، فإن الكلمة تطلق على اللفظ وعلى الشيء الملقى، ولذا يقال للمسيح عليه السلام (كلمة الله)، ولعل من تلك الكلمات (نار نمرود) و(إقصاء أهله إلى مكة) و(ذبح إسماعيل) و(الاعتراف بالخمس الطيبة) ﴿فأنهم﴾ بأن قام بمقتضى العبودية في كل ذلك، ونجح في الامتحان ﴿قال﴾ الله حين ذاك ﴿إني جاعلك للناس إماماً﴾ أي مقتدى، وهذه رتبة فوق الرسالة، لأن الرسول يمكن أن لا يكون إماماً فعلياً للناس ﴿قال﴾ إبراهيم عليه السلام ﴿ادعأ وطلباً﴾ ومن ذريتي وأولادي هل تجعل يا رب إماماً للناس؟ ﴿قال﴾ الله ﴿لا ينال﴾ لا يصل ﴿عهدي﴾ بالإمامة ﴿الظالمين﴾ من أهلكت وذريتك، وفيه دلالة على أن غير الظالمين من ذرية إبراهيم عليه السلام وهم المعصومون ﷺ ينالون عهد الإمامة من قبل الله تعالى.

[١٢٥] ﴿وَإِذْ﴾ واذكر يا رسول الله ﷺ الزمان الذي ﴿جعلنا البيت﴾ الحرام ﴿مكة للناس﴾ مرجعاً ومحل ثواب فأهل العالم يرجعون كل عام إلى البيت بقصد الحج ﴿وأمناً﴾ أي محل أمان، فإنه لا يحق لأحد إيذاء أحد في البيت، ولو كان مستحقاً للاذية ﴿واتخذوا﴾ أيها الناس ﴿من مقام إبراهيم﴾ وهو الصخرة التي كان إبراهيم عليه السلام يعلوها حين ما يريد بناء حائط البيت ﴿مصلًى﴾ أي محل صلاة الطواف، بمعنى أن صلوا حواله ﴿وعهدنا﴾ أي أمرنا ﴿إلى إبراهيم وإسماعيل﴾ أن يطهرا بيته من الأصنام والأنداس ﴿للطائفين﴾ الذين يدورون حول الكعبة المشرفة ﴿والعاكفين﴾ الذين يعتكفون في المسجد الحرام ﴿والركع السجود﴾ أي الراكعين الساجدين هناك، والمراد بهم المصلون.

[١٢٦] ﴿وَإِذْ﴾ واذكر يا رسول الله ﷺ الزمان الذي ﴿قال إبراهيم رب اجعل هذا﴾ البلد ﴿بلداً آمناً﴾ بأن تحكم بلزوم

وَلَنْ رَضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هَٰذِهِ هِيَ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَدَأَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا مَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ الَّذِينَ آمَنُوا هُمُ الْكُتَّابُ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٢١﴾ يٰٓبَنِي إِسْرَءِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يَقْبَلَ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَتْهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾

شَيْئًا﴾ أي أن كل نفس تجزي بما عملت فلا يتحمل أحد عن أحد عقابه ﴿ولا يتفعلها شفاعته﴾ إلا بإذن الله ﴿ولا هم ينصرون﴾ لا ينصروهم أحد لينقذهم من عذاب الله، فهذه الوسائل الموجودة في الدنيا لخلاص المجرم لا توجد هناك وإنما ينفع الإنسان عمله.

[١٢٤] ﴿وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ﴾ واذكر يا رسول الله ﷺ الزمان الذي امتحن فيه الله تعالى رسوله إبراهيم عليه السلام، والابتلاء هو التكليف الشاق، أو النازلة المريرة ﴿بكلمات﴾ أي بأمور، فإن الكلمة تطلق على اللفظ وعلى الشيء الملقى، ولذا يقال للمسيح عليه السلام (كلمة الله)، ولعل من تلك الكلمات (نار نمرود) و(إقصاء أهله إلى مكة) و(ذبح إسماعيل) و(الاعتراف بالخمس الطيبة) ﴿فأنهم﴾ بأن قام بمقتضى العبودية في كل ذلك، ونجح في الامتحان ﴿قال﴾ الله حين ذاك ﴿إني جاعلك للناس إماماً﴾ أي مقتدى، وهذه رتبة فوق الرسالة، لأن الرسول يمكن أن لا يكون إماماً فعلياً للناس ﴿قال﴾ إبراهيم عليه السلام ﴿ادعأ وطلباً﴾ ومن ذريتي وأولادي هل تجعل يا رب إماماً للناس؟ ﴿قال﴾ الله ﴿لا ينال﴾ لا يصل ﴿عهدي﴾ بالإمامة ﴿الظالمين﴾ من أهلكت وذريتك، وفيه دلالة على أن غير الظالمين من ذرية إبراهيم عليه السلام وهم المعصومون ﷺ ينالون عهد الإمامة من قبل الله تعالى.

[١٢٥] ﴿وَإِذْ﴾ واذكر يا رسول الله ﷺ الزمان الذي ﴿جعلنا البيت﴾ الحرام ﴿مكة للناس﴾ مرجعاً ومحل ثواب فأهل العالم يرجعون كل عام إلى البيت بقصد الحج ﴿وأمناً﴾ أي محل أمان، فإنه لا يحق لأحد إيذاء أحد في البيت، ولو كان مستحقاً للاذية ﴿واتخذوا﴾ أيها الناس ﴿من مقام إبراهيم﴾ وهو الصخرة التي كان إبراهيم عليه السلام يعلوها حين ما يريد بناء حائط البيت ﴿مصلًى﴾ أي محل صلاة الطواف، بمعنى أن صلوا حواله ﴿وعهدنا﴾ أي أمرنا ﴿إلى إبراهيم وإسماعيل﴾ أن يطهرا بيته من الأصنام والأنداس ﴿للطائفين﴾ الذين يدورون حول الكعبة المشرفة ﴿والعاكفين﴾ الذين يعتكفون في المسجد الحرام ﴿والركع السجود﴾ أي الراكعين الساجدين هناك، والمراد بهم المصلون.

[١٢٦] ﴿وَإِذْ﴾ واذكر يا رسول الله ﷺ الزمان الذي ﴿قال إبراهيم رب اجعل هذا﴾ البلد ﴿بلداً آمناً﴾ بأن تحكم بلزوم

كونه محل آمن للناس، ولذا لا يحد حد ولا يقتص فيه ﴿وارزق أهله من الثمرات﴾ الفواكه، أو مطلق نتائج الأرض ﴿من آمن منهم﴾ بدل (أهله) أي ارزق من آمن من أهل هذا البلد ﴿بالله واليوم الآخر قال﴾ الله ﴿ومن كفر فأمتعه قليلاً﴾ أي أعطي من الثمار من سكن هذا البلد من الكفار أيضاً، وهذا المتاع قليل بالنسبة إلى تمتع المؤمن الذي يتمتع في الدنيا والآخرة ﴿ثم أضطره إلى عذاب النار﴾ أجعله مضطراً لعذاب الآخرة، فإن الكافر يلقي في العذاب مضطراً بدون اختياره ﴿وبئس﴾ العذاب ﴿المصير﴾ والمرجع للكافر.

[١٢٧] ﴿وَإِذْ﴾ واذكر يا رسول الله الزمان الذي ﴿يُرفَعُ﴾ إبراهيم القواعد ﴿جمع قاعدة، وهي أساس البيت، ورفعها بناء الحائط عليها﴾ ﴿مِنَ الْبَيْتِ﴾ الكعبة ﴿وإسماعيل﴾ أي يرفع إبراهيم وإسماعيل معاً، ببناء الأول ومساعدة الثاني له بإعطائه الحجارة... وهما يقولان حين البناء ﴿وَبِنَا تَقْبِلْ مِنَّا﴾ هذه الخدمة لبيتك ﴿إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ﴾ لدعائنا ﴿الْعَلِيمُ﴾ بنيائنا الخالصة لأجلك.

[١٢٨] ويقولان في دعائهما أيضاً: ﴿وَبِنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ﴾ في المستقبل، كما كنا مسلمين في الماضي ﴿وَوَجْعَلْ﴾ من ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا ﴿أي علمنا﴾ ﴿مَنَاسِكَنا﴾ كيف نفعل ونتعبد لك في مراسيم الحج، فإن المنسك بمعنى العبادة ﴿وَتُبَّ﴾ اعطف باللطف والرحمة ﴿عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ كثير اللطف والرحمة.

[١٢٩ - ١٣٠] ﴿وَبِنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ﴾ أي في ذريتنا ﴿رَسُولاً مِنْهُمْ﴾ أي من نفس الذرية، لا من ذرية إنسان آخر ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ﴾ كالقرآن الحكيم ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾ فإن التلاوة مجرد القراءة، والتعليم جعل الطرف يعلمه أيضاً ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ الشريعة المقتضية لوضع كل شيء موضعه، حتى يستقيموا في دنياهم وأخراهم ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ يطهرهم بقلع جذور المفساد الاجتماعية والروايات الخلقية ﴿إِنَّكَ﴾

أنت العزيز الذي تقدر على ما أردت من إرسال الرسول ﴿الحكيم﴾ الذي يضع الأشياء مواضعها، وجعل الرسول في الذرية من وضع الشيء في موضعه. ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ﴾ استفهام إنكار ﴿عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾ طريقته ﴿إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ أي أدلها وأهانها فإن طريقة الإسلام هي طريقة إبراهيم عليه السلام. ﴿وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَا﴾ اخترنا إبراهيم عليه السلام ليكون نبياً ﴿فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ الذين يصلحون للجنة.

[١٣١ - ١٣٣] ﴿إِذْ﴾ طرف لوقت الاصطفاء، أي اخترناه في وقت ﴿قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمُ﴾ لما يأمرك ربك ﴿قَالَ أَسْلَمْتَ لِلَّهِ الْعَالَمِينَ﴾. ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ﴾ أي بالملة ﴿إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ﴾ أي وصى يعقوب عليه السلام ببنيه بالملة أيضاً ﴿يَا بَنِيَّ﴾ قال إبراهيم ويعقوب عليه السلام لأولادهم، وبني جمع ابن ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ﴾ أي اختار الله أن تكونوا أنتم من حملة الدين ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ أي في حال كونكم مسلمين، وحيث إن المهم موت الإنسان على الإسلام خصص هذا الحال بالذكر. ﴿أَمْ كُنْتُمْ﴾ استفهام إنكار، أي لم تكونوا يا أهل الكتاب حاضرين حال وصية يعقوب عليه السلام فكيف تقولون إنه كان يهودياً أو نصرانياً، والحال أنه كإبراهيم عليه السلام كان مسلماً ﴿شُهَدَاءُ﴾ أي حاضرين ﴿إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ﴾ زمان حضر الموت يعقوب عليه السلام ﴿إِذْ قَالَ﴾ يعقوب عليه السلام ﴿لَبَنِيهِ﴾ أولاده الاثنى عشر ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي﴾ استفهام لأجل الإرشاد والتنبية ﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ﴾ هذا عم أولاد يعقوب عليه السلام وإنما ذكر في سلسلة الآباء تغليفاً، ولأنه يطلق الأب على العم أيضاً^(١) ﴿وَإِسْحَاقَ إِلَهاً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾.

[١٣٤] ﴿تِلْكَ﴾ إبراهيم عليه السلام وأولاده ﴿أُمَّةٌ﴾ جماعة ﴿قَدْ خَلَتْ﴾ قد مضت وماتت فما الفائدة في محاجتكم يا أهل الكتاب حولهم، وإنهم كانوا يهوداً أو نصارى، فسواء كانوا مسلمين أم لا ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ فأعمالها الصالحة لها ولا ترتبط بكم ﴿وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ﴾ أعمالكم الطالحة لكم فلا ترتبط بهم ﴿وَلَا تَسْأَلُونَ﴾ أنتم يا أهل الكتاب ﴿عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

(١) ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبْنَيْهِ أَزْرُقْ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبْنَيْهِ﴾ سورة الأنعام ٧٤ وسورة التوبة ١١٤.

[١٣٥] ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ﴾ أي اليهود قالوا كُونُوا يهوداً، والنصارى قالوا كُونُوا نصارى ﴿تَهْتَدُوا﴾ أي حتى تكونوا مهتدين ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ أي نكون من أهل طريقة إبراهيم عليه السلام، فإن طريقته التوحيد، أما طريقة اليهود والنصارى فهي الشرك ﴿حَنِيفًا﴾ أي إن دين إبراهيم عليه السلام كان مثلاً من الأديان الباطلة إلى الحق ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ تعريض باليهود والنصارى وأنهما مشركان.

[١٣٦] ﴿قُولُوا﴾ أيها المؤمنون ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ أي القرآن ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ وهي صحف إبراهيم عليه السلام وقد فقدت نسخها ﴿وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط﴾ أولاد يعقوب عليه السلام وهؤلاء لم ينزل عليهم بالذات شيء، وإنما كانت الصحف المنزلة على إبراهيم منزلة إليهم أيضاً، كما نقول إن القرآن أنزل إلينا ﴿وما أوتي﴾ أعطي ﴿موسى﴾ أي التوراة ﴿وعيسى﴾ أي الإنجيل ﴿وما أوتي النبيون﴾ سائر النبيين كنوح عليه السلام وغيره ﴿من ربهم﴾ لا نفرق بين أحد منهم، أي لا نفرق بأن نؤمن بنبي ونكفر بنبي كما فعل اليهود والنصارى، حيث آمنوا ببعض الأنبياء وكفروا ببعض الأنبياء ﴿ونحن له﴾ أي لله تعالى ﴿مسلمون﴾ لا مشركون كاليهود والنصارى.

[١٣٧] ﴿فَإِنْ آمَنُوا﴾ أي أهل الكتاب ﴿بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ﴾

من الإيمان بالأنبياء جميعاً وبالله الواحد ﴿فَقَدْ اهْتَدَوْا﴾ فهم على هداية ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ وأعرضوا عن الإسلام ﴿فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ أي مخالفة الحق، فإن كل واحد من المتخالفين في شق وجانب مخالف لشق الآخر وجانبه ﴿فَنَسِيتُكُمُ اللَّهُ﴾ أي يمنعكم من أذى اليهود والنصارى، فلا يتمكنون من أذاكم ولكم النصر عليهم ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ بنياتكم. [١٣٨] ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ أي قولوا أيها المسلمون لقد صبغنا الله بصبغة الإيمان، فإن لكل جماعة لوناً خاصاً، والمسلمون لهم لون الإسلام وهو اللون الذي اختاره الله لهم ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾ أي لا صبغة أحسن من صبغة الله ﴿ونحن له عابدون﴾ نحن نعبد الله وحده، ولا نشرك به شيئاً كما يشرك اليهود والنصارى.

[١٣٩] ﴿قُلْ﴾ يا رسول الله، في جواب اليهود الذين كانوا يقولون: لو كان محمداً منا لآمنا به، إذ الأنبياء كلهم كانوا من أولاد يعقوب عليه السلام ﴿أَتَحَاجُّونَنَا﴾ استفهام إنكار، أي تجادلوننا ﴿فِي اللَّهِ﴾ أي في فضل الله سبحانه على أولاد إسماعيل عليه السلام ببعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم منهم ﴿وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ فلماذا تكون رسالته خاصة بكم كما تزعمون ﴿وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ كل واحد منا ومنكم يرى نتيجة عمله ﴿ونحن له مخلصون﴾ في العبادة إذ لا نشرك به وهذا تعريض بهم بأنهم مشركون.

[١٤٠] ﴿أَمْ تَقُولُونَ﴾ يا أهل الكتاب بمعنى (بل) وهذا استفهام إنكار ﴿إِنْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ﴾ فاليهود كانوا يقولون إنهم كانوا يهوداً، والنصارى كانوا يقولون إنهم كانوا نصارى ﴿قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ بِدِينِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾ فإن الله قال: (ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً) ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِنْكُمْ﴾ أي أخفى شهادة عنده من الله، أي شهادة ناشئة من قبل الله تعالى لأن أهل الكتاب كانوا يعلمون بطلان قولهم ﴿وما الله بغافل عما تعملون﴾ من الأعمال السيئة، فإنه تعالى يعرفها وسيجازيكم عليها، وهذا تهديد لهم.

[١٤١] ﴿تِلْكَ﴾ إبراهيم عليه السلام وأولاده ﴿أُمَّةٌ﴾ جماعة ﴿قَدْ خَلَتْ﴾ مضت ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ فكل جماعة لها عملها، ومنها يُسأل عما أتت به من خير أو شر.

وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قُولُوا ءَأَمَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوْتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نَفْرَقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ فَإِنْ ءَأَمَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَأَمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَرَأَيْتُمْ وَمَنْ أَظْلَمُ مِنْكُمْ كَتَبَ شَهَادَةً عِنْدَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ

سَمِعُوا الشَّهَادَةَ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّهُمْ عَنْ قِيْلِهِمْ اَلَيْكَ كَافًا
عَلَيْهَا قُلْ لِلّٰهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ اِلٰى صِرَاطٍ
مُسْتَقِيمٍ ﴿١٤٦﴾ وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ اُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا
شُهَدَاءَ عَلٰى النَّاسِ وَيَكُوْنَ الرَّسُوْلُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا
جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا اِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعَ الرَّسُوْلَ
مِمَّنْ يَنْقَلِبْ عَلٰى عَقْبَيْهِ وَاِنْ كَانَتْ لَكَبِيْرَةٌ اِلَّا عَلٰى الَّذِيْنَ
هَدٰى اللّٰهُ وَمَا كَانَ اللّٰهُ لِيُضِلَّ اِيْمَانَكُمْ اِنَّ اللّٰهَ بِالنَّاسِ
لَرءٍ وَّفَرِيْعٍ ﴿١٤٧﴾ قَدْ رَئٰى نَقْلَبْ وَجْهَكَ فِى السَّمٰوٰتِ
فَلَنَوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ
الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوْا وُجُوْهَكُمْ شَطْرَهُ وَاِنَّ الَّذِيْنَ
اُوْتُوْا الْكِتٰبَ لَيَعْلَمُوْنَ اَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللّٰهُ بِغَيْبِلٍ
عَمَّا يَعْمَلُوْنَ ﴿١٤٨﴾ وَلَيَنْ اَتٰىتِ الَّذِيْنَ اُوْتُوْا الْكِتٰبَ بِكُلِّ
اٰيَةٍ مَّا يَتَّبِعُوْا فِتْنًا وَمَا اَنْتَ بِتَابِعٍ قِيْلِهِمْ وَمَا بَعْضُهُمْ
بِتَابِعٍ قِيْلَةً بَعْضٌ وَلٰكِنْ اَنْتُمْ اَهْوَاۗءُهُمْ مِنْ بَعْدِ
مَا جَآءَكَ مِنَ الْوَحْيِ اِنَّكَ اِذَا لَيَنْ اَتٰىتِ الْفُلَاحِيْنَ ﴿١٤٩﴾

[١٤٢ - ١٤٥] ﴿سيقول السفهاء﴾ وهم الذين لا يحكمون عقولهم، والمراد بهم أهل الكتاب ﴿من الناس ما ولّاهم﴾ أي صرفهم ﴿عن قبلتهم التي كانوا عليها﴾ أي بيت المقدس، إلى الكعبة فإن المسلمين كانوا يصلون إلى بيت المقدس، ثم إن الله أمرهم بأن يصلوا إلى الكعبة ﴿قل﴾ يا رسول الله في جوابهم ﴿لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾ بما يقتضيه الصلاح، فقد كان الصلاح سابقاً للتوجه إلى بيت المقدس والآن يقتضي الصلاح الصلاة إلى الكعبة، فكل واحد منهما هداية في زمانه. ﴿وكذلك﴾ أي كما جعلناكم مهتدين بما هو صلاح لكم من تغيير القبلة ﴿جعلناكم أمة﴾ جماعة ﴿وسطاً﴾ ليس في طريقكم إفراط ولا تفريط كما في سائر الأديان والمذاهب ﴿لتكونوا﴾ علة لجعلهم أمة وسطاً ﴿شهداء على الناس﴾ فإن الإنسان المعتدل يتمكن أن يشهد على المنحرف يميناً أو شمالاً ﴿ويكون﴾ أي ليكون ﴿الرسول عليكم شهيداً﴾ فإن الرسول ﷺ حيث إنه أعدل من الجميع يشهد على الأمة، والأمة لأنها عادلة في طريقها تشهد على سائر الناس، وهذا مثل أن يقال: (السلطة قائمة على الناس والملك قائم على السلطة)، وكأن القصد من جملة (وكذلك) بيان أن المسلمين أمة مستقلة، فلا داعي لاتباعها قبله غيرها، حتى يظن الناس أنهم تبع لمن سواهم ﴿وما جعلنا القبلة﴾ أي لم نقرر القبلة السابقة ﴿التي كنت عليها﴾ وهي بيت المقدس

﴿إلا لنعلم﴾ علماً خارجياً، أي ما يقع معلومه في الخارج، وإلا فأصل العلم حاصل لله تعالى قبل ذلك ﴿من يتبع الرسول ممن ينقلب﴾ يرجع ﴿على عقبيه﴾ عقب الرجل ورائه، وهذا كناية عن الارتداد عن الإسلام إلى الوراء، كالمشي إلى الوراء، فإن جعل القبلة الأولى ثم تغييرها يوجب ظهور كفر من يعترض على أعمال الرسول ﷺ ثم يترد حيث لا يروقه المنهج الجديد ﴿وإن كانت﴾ التولية، أي تحويل القبلة إلى جهة جديدة، و (إن) مخففة من الثقيلة ﴿لكبيرة﴾ أي ثقيلة فإن ترك العادة ثقيل على بعض النفوس ﴿إلا على الذين هدى الله﴾ أي هداهم الله إلى التسليم بأحكامه، والمراد هداية زائدة، لا أصل الهداية ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾ زعم بعض أن الصلوات التي صلوها إلى بيت المقدس صارت باطلة عند تحويل القبلة، فجاءهم الجواب بأن الله لا يضيع ما هو مقتضى الإيمان من الصلاة إلى القبلة الأولى سابقاً ﴿إن الله بالناس لرؤوف رحيم﴾ الرأفة: شدة الرحمة، فكيف يضع الله أعمال المؤمنين . ﴿قد﴾ للتحقيق ﴿نرى قلب وجهك في السماء﴾ عبرت اليهود المسلمين بأنهم تابعون لقبلتهم: بيت المقدس، وأغتم الرسول ﷺ لذلك وأخذ يتوجه بوجهه الكريم في آفاق السماء ينتظر نزول الوحي بتحويل القبلة ﴿فلنولينك﴾ أي نأمر بأن تتوجه حالة الصلاة ﴿قبلة ترضاها﴾ وتكون موافقة للمصالح التي تتوخاها ﴿فول﴾ اصرف ﴿وجهك شطر المسجد الحرام﴾ أي جزءه، فإن الواجب توجه الإنسان إلى جزء من المسجد لا إلى كله ﴿وحيث ما كنتم﴾ من الآفاق ﴿فولوا وجوهكم شطره﴾ فليس المسجد قبله لأهل المدينة فقط، بل لكل أهل الأرض ﴿وإن الذين أوتوا﴾ أي أعطوا ﴿الكتاب﴾ وهم اليهود الذين اعترضوا على القبلة الجديدة ﴿ليعلمون أنه﴾ تحويل القبلة ﴿الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون﴾ من القيام ضد الرسول ﷺ والاعتراض على القبلة الجديدة حسداً وبغياً، وسيجازيهم على ذلك . ﴿ولئن أنيت﴾ يا رسول الله ﴿الذين أوتوا الكتاب بكل آية﴾ دالة على صدقك وصحة قبلتك ﴿ما تبعوا قبلتك﴾ لأنهم معاندون ﴿وما أنت بتابع قبلتهم﴾ لأن الله أمرك بالقبلة الجديدة ﴿وما بعضهم﴾ من اليهود والنصارى ﴿بتابع قبلة بعض﴾ فإن اليهود تستقبل الصخرة والنصارى المشرق، وذلك لأن كل طائفة ترى بطلان طريقة الطائفة الأخرى ﴿ولئن اتبعت أهواءهم﴾ باتباع قبلتهم ﴿من بعد ما جاءك من العلم﴾ الدال على بطلان طريقة أهل الكتاب، وهذه الجملة لأجل أن يأس أهل الكتاب من رجوع المسلمين عن القبلة الجديدة ﴿إنك إذا لمن الظالمين﴾ .

[١٤٦] ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ أَعْيُنَاهُمْ﴾ أعطيناهم ﴿الكتاب﴾ المراد جنس الكتب السماوية ﴿يعرفونه﴾ أي الرسول ﷺ ﴿كما يعرفون أبناءهم﴾ فكما لا يشبه الأب ولده كذلك هؤلاء لا يشبهون في الرسول ﷺ ﴿وإن فريقاً منهم﴾ وإلا فإن بعضهم اعترفوا بالرسول ﷺ ﴿ليكنتمون﴾ أي يخفون الحق وهم يعلمون ﴿الحق﴾.

[١٤٧] ﴿الحق من ربك﴾ أي ما أوتيت يا رسول الله حق من ربك ﴿فلا تكونن من الممترين﴾ أي الشاكين، فلا تشك فيما آتيناك، وهذا إرشاد للامة وإن كان الخطاب للرسول ﷺ.

[١٤٨] ﴿ولكل أمة وجهة﴾ أي جهة ﴿هو﴾ أي الله ﴿موليها﴾ أي أمر تلك الأمة بالتوجه إلى تلك الجهة، وهذا جواب آخر عن إشكال أهل الكتاب، فلا يصح اعتراضهم على المسلمين، إذ لكل أمة قبله، فلهم أيها المسلمون أيضاً قبله، ﴿فاستبقوا الخيرات﴾ أي سابقوا في عمل الخير ﴿أين ما تكونوا﴾ من البلاد والصجاري ﴿يأت بكم الله جميعاً﴾ أي يأت بكم للحساب، فليس استباقكم يذهب سدى ﴿إن الله على كل شيء قدير﴾ قادر على إحيائكم والإتيان بكم للحساب.

[١٤٩] ﴿ومن حيث خرجت﴾ أي من أي بلد خرجت، وهذه الآية تبين أن حال السفر كحال الحضر في التوجه إلى القبلة، فإن الآية السابقة كانت للحضر ﴿فول وجهك شطر المسجد الحرام وانه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون﴾.

[١٥٠] ﴿ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم﴾ في بر أو بحر أو جو ﴿فولوا وجوهكم شطره ثلاثاً﴾ علة لتحويل القبلة وأنه لأجل قطع تعبير اليهود بأن المسلمين تابعون لقبلتهم ﴿يكون للناس عليكم حجة﴾ أي احتجاج وتعير ﴿إلا الذين ظلموا منهم﴾ فإن الظالم المعاند يقول ما يشتهي، ويقول لدى التحويل إن تحويل القبلة لأجل ميل الرسول ﷺ إلى دين قومه، وإنما سمي حجة للمشابهة، كقوله تعالى: ﴿حجتهم داحضة﴾ ﴿فلا تخشوهم﴾ لا تخشوا أيها المسلمون، من أهل الكتاب، فإن مطاعهم لا تضركم ﴿واخشوني﴾ في اتباع أوامري ﴿ولأنتم﴾ علة أخرى لتحويل القبلة ﴿نعمتي عليكم ولعلمكم تهتدون﴾ علة ثالثة، فإن كون التحويل موافقاً لرغبة المسلمين يوجب اقترابهم إلى الهداية.

[١٥١] ﴿كما أرسلنا فيكم﴾ أي حولنا القبلة إلى قبلة جديدة كما أرسلنا إليكم رسلاً جديداً هو محمد ﷺ ﴿رسولاً منكم﴾ لا من اليهود ﴿يثلوا﴾ يقرأ ﴿عليكم آياتنا ويزكيكم﴾ يطهركم من أدران العقيدة وموبقات الاجتماع ﴿ويعلمكم الكتاب﴾ القرآن ﴿والحكمة﴾ الشريعة ﴿ويعلمكم﴾ تأكيد لما سبق ﴿ما لم تكونوا تعلمون﴾.

[١٥٢] ﴿فأذكروني﴾ وإذ أنعمت عليكم فأذكروني بالطاعة ﴿أذكركم﴾ بإعطاء السعادة والثواب ﴿واشكروا لي﴾ نعمي ﴿ولا تكفروني﴾ بالعصيان ووجد النعم.

[١٥٣] ﴿يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين﴾ بالنصر والثواب.

الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلِّ وُجْهَةٍ مُّوَلِّيُهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لِلْحَقِّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَئِمَّةٌ بِنَعْمِيَّ عَلَيْهِمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَأَذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٣﴾

[١٥٤] ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ﴾ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿بِحَيَاتِهِمْ﴾ إِذِ الْمَرَادُ حَيَاتِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ .

[١٥٥] ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ أَي نَمْتَحِنُكُمْ ﴿بَشِيءٍ﴾ قَلِيلٍ ﴿مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ﴾ بِالْمَوْتِ وَالْقَتْلِ ﴿وَالشَّمْرِاتِ وَبَشَرٍ﴾ يَا رَسُولَ اللَّهِ ﴿الصَّابِرِينَ﴾ .

[١٥٦] ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ﴾ فِي أَمْوَالِهِمْ أَوْ أَنْفُسِهِمْ ﴿قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ فَالْإِنْسَانُ مَلِكٌ لِلَّهِ ، وَبَعْدَ مَوْتِهِ يَرْجِعُ إِلَى ثَوَابِ اللَّهِ تَعَالَى أَوْ عِقَابِهِ .

[١٥٧] ﴿أُولَئِكَ﴾ الصَّابِرُونَ ﴿عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ﴾ عَطَفَ وَرَأْفَةً ﴿مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ إِذِ الْمُهْتَدِي يَسْلُمُ أَمْرُهُ لِلَّهِ تَعَالَى .

[١٥٨] ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ﴾ مَرْتَفَعَانِ مُتَصِلَانِ بِالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ يَطْنُونَ حَرَمَةَ السَّعْيِ بَيْنَهُمَا وَأَنَّهُ مِنْ أَعْمَالِ الْجَاهِلِيَّةِ ، فَجَاءَتِ الْآيَةُ لِتُبَيِّنَ أَنَّ هَذَا الظَّنَّ خَاطِئٌ ﴿مِن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ جَمْعُ شَعِيرَةٍ ، بِمَعْنَى الْعَلَامَةِ ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ﴾ أَي أَتَى بِالْعُمْرَةِ ﴿فَلَا جُنَاحَ﴾ أَي لَا حَرَجَ ﴿عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا﴾ أَي يَسْعَى بَيْنَهُمَا ، وَهَذَا لِدَفْعِ تَوَهُمِ الْحَظَرِ ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ أَي فَعَلَ طَاعَةً ، فَإِنَّ التَّطَوُّعَ فَعْلُ الطَّاعَةِ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ﴾ يُثِيبُ عَلَى الطَّاعَةِ ﴿عَلِيمٌ﴾ بِأَعْمَالِ النَّاسِ .

[١٥٩] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ﴾ أَي يَخْفُونَ فَلَا يَظْهَرُونَ الْحَقَائِقَ ﴿مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ﴾ الْآيَاتِ الدَّالَّةُ عَلَى صِحَّةِ النَّبُوَّةِ ﴿وَالْهُدَى﴾ أَي الطَّرِيقَ الَّتِي تَهْدِي إِلَى الْحَقِّ ﴿مَنْ بَعْدَ مَا بَيْنَاهُ﴾ أَوْضَحْنَاهُ ﴿لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ .

[١٦٠] ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ عَنِ الْكُتْمَانِ ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ مَا أَفْسَدُوا ﴿وَبَيَّنُوا﴾ الْآيَاتِ ﴿فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ بِقَبُولِ تَوْبَتِهِمْ ﴿وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ .

[١٦١] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ فِي مِقَابِلِ مَا إِذَا آمَنُوا ثُمَّ مَاتُوا ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ .

[١٦٢] ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أَي فِي تِلْكَ اللَّعْنَةِ وَالْعَذَابِ ﴿لَا يَخْفُفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يَنْظُرُونَ﴾ أَي لَا يَمْهَلُونَ لِأَن يَعْمَلُوا صَالِحًا كَمَا أَهْمَلُوا فِي الدُّنْيَا .

[١٦٣] ﴿وَالْهَيْكَمُ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ ﴿إِلَهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ .

وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالشَّمْرِاتِ وَبَشَرٍ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِمَّا سَعَى اللَّهُ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَاُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَخْفُفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يَنْظُرُونَ ﴿١٦٢﴾ وَلِلَّهِ الْهَيْكَمُ وَحْدَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾

[١٦٤] ﴿إِن فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ أي تعاقبهما بإتيان أحدهما وراء الآخر ﴿وَالْفَلَكَ﴾ أي في وجود السفينة ﴿التي تجري في البحر بما ينفع الناس﴾ أي ملابساً بالشئ الذي ينفع الناس من التجارة وحمل المسافرين ﴿و﴾ في ﴿ما أنزل الله من السماء﴾ جهة العلو ﴿من ماء﴾ بيان (ما أنزل) ﴿فأحى به﴾ أي بذلك الماء، والإحياء عبارة عن الإنبات والعمران ﴿الأرض بعد موتها﴾ موت الأرض كونها قفراً ﴿وبث﴾ أي نشر، وهذا عطف على (أنزل) ﴿فيها من كل دابة﴾ من جميع أصناف الدواب ﴿وتصريف﴾ أي في تصريف ﴿الرياح﴾ وصرفها من جانب إلى جانب ﴿والسحاب﴾ أي في السحاب ﴿المسخر بين السماء والأرض لآيات﴾ دلالات على وجود الله وصفاته ﴿لقوم يعقلون﴾.

[١٦٥] ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَاداً﴾ أضداداً، أي الأصنام ﴿يحبونهم﴾ أي يحبون تلك الأنداد ﴿كحب الله﴾ أي مثل حبهم لله ﴿والذين آمنوا أشد حبا لله﴾ أي حب المؤمنين لله أشد من حب المشركين لله ولأناده ﴿ولو يرى الذين ظلموا﴾ بالشرك ﴿إذ﴾ أي في زمان ﴿يرون العذاب أن﴾ مفعول (يرى) ﴿القوة لله جميعاً﴾ ولا قوة لأصنامهم ﴿وأن الله شديد العذاب﴾ لتبرأوا من الأنداد، وهذا بيان أنهم يندمون من الشرك.

[١٦٦] ﴿إِذ﴾ وذلك التبري من الأنداد في زمان ﴿تبرأ الذين اتبعوا﴾ أي تبرأ المتبعون من أتباعهم ﴿من الذين اتبعوا وروا﴾ جميعهم ﴿العذاب وتقطعت بهم الأسباب﴾ أسباب المودة بين التابع والمتبوع تقطع في يوم القيامة، فإن أسباب المحبة: الرئاسة والمال والرحم وما أشبه، وكلها تنقطع هناك.

[١٦٧] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ﴾ للترجي ﴿أن لنا كرة﴾ أي رجوعاً إلى الدنيا ﴿فنتبرأ منهم﴾ أي من المتبعين وتباعد عنهم عداوة ﴿كما تبرءوا﴾ أي المتبعون ﴿منا كذلك﴾ أي هكذا الذي ذكرنا ﴿يربهم الله﴾ أي الأتباع ﴿أعمالهم حسرات عليهم﴾ الحسرة شدة الندامة، لأن الأتباع لم ينتفعوا بأعمالهم، ولم يساعدهم المتبعون ﴿وما هم بخارجين من النار﴾.

[١٦٨] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلالاً طيباً﴾ لا خبث فيه ولا ضرر ﴿ولا تتبعوا خطوات الشيطان﴾ جمع خطوة أي لا تسلكوا مسلك الشيطان ﴿إنه لكم عدو مبين﴾ ظاهر العداوة.

[١٦٩] ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمُ الشَّيْطَانُ بِالْإِسْوَاءِ﴾ العمل السيئ ﴿وَالْفَحْشَاءِ﴾ مصدر، أي العمل المتجاوز عن حد الشرع والعقل ﴿وأن تقولوا﴾ أي يأمركم الشيطان بأن تقولوا ﴿على الله ما لا تعلمون﴾ كاتخاذ الأنداد، وتشريع القوانين الباطلة.

إِن فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
وَالْفَلَكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ
مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا
مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ
بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا تَسْجُدْ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٦٥﴾ وَمِنَ
النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ
وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ
الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٦﴾
إِذْ تَبَرَأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ
وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٧﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا
لَنَّا كَرِهْنَا فَنَتَّبِعَهُمُ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يَرَبُّهُمُ اللَّهُ
أَعْمَلَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٨﴾
يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلالاً طيباً وَلَا تَتَّبِعُوا
خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٩﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ
بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾

[١٧٠] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ أي اعملوا بأحكام الله ﴿قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا آفَيْنَا﴾ أي وجدنا ﴿عليه آباءنا﴾ من العقيدة والطريقة ﴿أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ استفهام إنكار وتعجب بأنهم كيف يتبعون الآباء والحال أن آباءهم لم يكونوا عقلاء ولا هم مهتدين .

[١٧١] ﴿وَمِثْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي مثل دعوة الكفار ﴿كمثل الذي ينطق﴾ أي يصيح ﴿بمعا﴾ أي بالحيوان الذي ﴿لا يسمع إلا دعاء ونداء﴾ فإن الحيوان يفهم إذا دعاه الإنسان إلى المأكل والمشرب ويسمع بإذنه النداء والصوت ولا يفهم ما سوى ذلك، والذي يدعو الكافر المعاند مثله كمثل الناقع بالحيوان ﴿صم بكم عمي﴾ جمع أصم وأبكم وأعمى، أي إن المعاند يكون هكذا ولذا لا يستجيب لمن يدعوه ﴿فهم﴾ أي الكفار المعاندون ﴿لا يعقلون﴾ .

[١٧٢] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ أي إن كنتم تعبدون الله فكلوا الطيب وذروا الخبث . . .

[١٧٣] ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾ التي لم تذبح ذيحاً شرعياً ﴿وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾ الإهلال أول الصوت، أي ذكر عند ذبحه اسم غير الله،

بأن سمي الصنم عند ذبحه مثلاً ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ﴾ لأكُل هذه المحرمات ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ بأن لم يبغي ولم يطلب الحرام ﴿وَلَا عَادٍ﴾ ولم يتعد عند الأكل من مقدار الضرورة، بل كان أكله اضطراراً وبقدر الاضطرار ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ في أكله ﴿إِنْ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ .

[١٧٤] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ﴾ أي يخفون ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾ أي التوراة المبشر بمحمد ﷺ ﴿وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً﴾ أي بهذا الكتمان، إذا أنهم بكتمانهم يبقون على رئاستهم التي هي ثمن قليل منقطع ﴿أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ﴾ أي لا يجرون إلى بطونهم، من ثمن الكتمان ﴿إِلَّا النَّارَ وَلَا يَكْلَهُمُ اللَّهُ﴾ كلاماً حسناً ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ لا يطهرهم من المعاصي بالغفران لهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم .

[١٧٥] ﴿أُولَئِكَ﴾ الكاتمون ﴿الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهَدْيِ﴾ بأن باعوا الهداية واشتروا مكانها الضلالة ﴿وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ﴾ بأن باعوا الغفران واشتروا العذاب ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ هذا للتعجب وأنهم كيف يصبرون على النار والتي هي جزاء كتمانهم .

[١٧٦] ﴿ذَلِكَ﴾ العذاب ﴿بِأَنَّ اللَّهَ﴾ أي بسبب أن الله ﴿نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ فرفضوه ﴿وَأَنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ﴾ أي قال بعضهم إنه كلام الرسول ﷺ وبعضهم أنه من تعليم رجل فارسي ﴿لَفِي شِقَاقٍ﴾ أي شق في مقابل شق الحق ﴿بَعِيدٌ﴾ من الحق .

وَإِذَا قِيلَ لَهُم اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا آفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا نَآ أُولُو كُتُبٍ عَابِكَا وَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمِثْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمِثْلِ الَّذِي يَنْتَعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءَ وَنِدَاءَ صُمُّ بِكُمْ عُمَى فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكْلَهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهَدْيِ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾

[١٧٧] ﴿لَيْسَ الْبِرُّ بِالْخَيْرِ﴾ وأن تولوا ﴿أي تتوجهوا وجوهكم قبل﴾ طرف ﴿المشرق والمغرب﴾ وهذا رد لما كان أهل الكتاب يزعمونه من أن التوجه إلى قبلتهم هو البر، دون التوجه إلى قبلة المسلمين ﴿ولكن البر من آمن بالله﴾ أي عمل من آمن بالله ﴿واليوم الآخر والملائكة﴾ بأن آمن بوجود الملائكة ﴿والكتاب﴾ أي جنس الكتاب المنزل من السماء ﴿والنبيين﴾ أي أعطى المال على حبه ﴿أي مع أنه يحب المال﴾ ذوي القربى ﴿أي أقرباءه﴾ واليتامى والمساكين ﴿الفقراء﴾ وابن السبيل ﴿أي المسافر الذي انقطع به الطريق وتمت نفقته﴾ والسائلين ﴿الطالبين للمال لفقر أو لأجل عمل خير﴾ وفي الرقاب ﴿أي لأجل عتق رقاب العبيد﴾ وإقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا ﴿أي إذا عاهدوا عهداً وفوا بذلك العهد﴾ والصابرين في البأساء ﴿كالفقر والضراء﴾ كالمرضى ﴿وحين البأس﴾ أي الحرب ﴿أولئك الذين صدقوا﴾ في كونهم مؤمنين ﴿وأولئك هم المتقون﴾ الذين يتجنبون الكفر والعصيان.

[١٧٨] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ﴾ بأن يقتل القاتل ﴿في القتلى﴾ جمع قتيل ﴿الحر بالحر والعبد بالعبد والأثني بالأثني﴾ فلا يقتل الحر في مقابل العبد ولا يقتل الرجل في مقابل المرأة والتفصيل في الفقه ﴿فمن

﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ﴾ قَدْ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالسَّبِيلَ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرُّ بِالْحَرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ الْأَنْثَىٰ بِالْأَنْثَىٰ فَمَنْ عَفَىٰ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَأَتْبَاعُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءُ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَتَأُولَىٰ الْأَلْبَابُ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا أَحْضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتَ أَنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَلَدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾

عفي له﴾ أي ترك لأجله ﴿من أخيه﴾ أي من جانب أخيه، والمراد به ولي المقتول ﴿شيء﴾ من الدية ﴿فاتباع بالمعروف﴾ أي فعلى من عفى أن يتبع بقايا الدية اتباعاً بلا عنف ﴿وأداء﴾ من القاتل ﴿إليه﴾ أي ولي المقتول ﴿بإحسان﴾ من غير ملاحظة، فإذا قتل زيد والد بكر، ثم عفى بكر عن بعض الدية، فعلى بكر أن يتبع زيدا لأخذ بقية الدية اتباعاً بمعروف، وعلى زيد أن يؤدي بقية الدية إلى بكر أداءً بإحسان ﴿ذلك﴾ الحكم بإعطاء الدية بدل القصاص ﴿تخفيف﴾ على الناس ﴿من ربكم﴾ من قبل الله تعالى ﴿ورحمة﴾ ترحم بكم ﴿فمن اعتدى﴾ تجاوز ﴿بعد ذلك﴾ الحكم بأن قتل ثانياً، أو ما طل في الأداء، أو عنف ولي المقتول في الطلب ﴿فله عذاب أليم﴾ مؤلم.

[١٧٩] ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ لأن القصاص يوجب خوف الناس من أن يقتلوا فيسبب بقاء حياة الناس ﴿يا أولي الألباب﴾ أصحاب العقول ﴿لعلكم تتقون﴾ إراقة الدماء، فقد شرعنا لكم القصاص لأجل الاتقاء.

[١٨٠] ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ﴾ أي شرع من قبل الله تعالى ﴿إذا حضر أحدكم الموت﴾ بأن أشرف على الموت ﴿إن ترك خيراً﴾ أي ما لا ﴿الوصية﴾ نائب فاعل (كتب) أي كتب الله عليكم إن تركتم ما لا أن توصوا ﴿للولدين والأقربين﴾ أي الأقرباء، فتوصون بأن يعطوهم زيادة على الإرث من بعض أموالكم ﴿بالمعروف﴾ أي وصية بالمعروف، بأن لا يكون الموصى به زائداً على الثلث ﴿حقاً﴾ أي إن هذه الوصية تكون حقاً، وليست باطلاة ﴿على المتقين﴾ لأن أهل التقوى هم الذين يعملون بهذه الوصايا.

[١٨١] ﴿فمن بدله﴾ أي غير ما أوصى به ﴿بعد ما سمعه﴾ أي تحققت عنده الوصية ﴿فإنما إثمهم﴾ أي عصيان التبديل ﴿على الذين يبدلون﴾ أي يبدلون ما أوصى به، وليس الإثم على الموصى ﴿إن الله سميع عليم﴾.

[١٨٢] ﴿فَمَنْ﴾ من الأوصياء ﴿خاف من موصل جنفا﴾ أي ميلاً عن الحق خطأ ﴿أو إثمًا﴾ أي عصياناً على جهة العمد، بأن رأى الوصي أن الموصي أوصى بالباطل، كان أوصى بإعطاء أولاده الذكور والإناث متساوياً ﴿فأصلح﴾ الوصي ﴿بينهم﴾ أي بين الموصي لهم، بإجرائهم على نهج الشرع ﴿فلا إثم عليه﴾ في تبديل الوصية ﴿إن الله غفور رحيم﴾.

[١٨٣] ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب﴾ أي قرر وشرع ﴿عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم﴾ من الأنبياء والأمم ﴿لعلكم تتقون﴾ المعاصي، فإن الصوم يوجب التقوى.

[١٨٤] تصومون ﴿أياماً معدودات﴾ قلائل، وهو شهر رمضان ﴿فمن كان منكم مريضاً أو على سفر﴾ مسافراً، كأنه ركب السفر ﴿فعدة﴾ أي صوموا بعدد تلك الأيام ﴿من أيام آخر﴾ بعد شهر رمضان ﴿وعلى الذين يطيقونه﴾ أي إن الصوم منتهى طاقتهم، وفيه مشقة شديدة لهم ﴿فدية﴾ أي بدل عن الصوم وهو ﴿طعام مسكين﴾ واحد بأن يطعمه عوض الصوم ﴿فمن تطوع خيراً﴾ بأن أتى بالطاعة، صياماً أو فدية ﴿فهو﴾ أي التطوع ﴿خير له﴾ لأنه يوجب خير الدنيا وسعادة الآخرة ﴿وأن تصوموا﴾ أي صيامكم، مقابل الإفطار ﴿خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ ما

فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨٢﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَا مَأْمَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِلَعَلِّهِمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾

في الصيام من الفضيلة.

[١٨٥] ﴿شهر رمضان﴾ ^(١) بدل من (الصيام) ^(٢) الذي أنزل فيه، في شهر رمضان ﴿القرآن هدى﴾ أي في حال كون القرآن هداية للناس وبيّنات، أي إن القرآن آيات واضحات ﴿من﴾ سنخ الهدى والإرشاد والفرقان، أي إن القرآن يفرق بين الحق والباطل ﴿فمن شهد منكم﴾ أي حضر ولم يكن مسافراً ﴿الشهر﴾ أي شهر رمضان ﴿فليصمه ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة﴾ أي فليصم قضاء بعده ﴿من أيام آخر يريد الله بكم اليسر﴾ في تشريع الإفطار والقضاء للمسافر والمريض، وهذا علة للإفطار ﴿ولا يريد بكم العسر ولتكمّلوا العدة﴾ وإنما شرع القضاء لتكمّلوا عدد الشهر، لما في ذلك من الفوائد ﴿ولتكبّروا الله على ما هداكم﴾ علة لوجه إكمال العدة، أي إن إكمال العدة لأجل أن يعظم الله في نفوسكم، فإن الصيام يوجب سمو النفس الملازم لتكبير الله ﴿ولعلكم تشكروا﴾ علة لتكبير الله، فإن تكبيره يوجب شكره.

[١٨٦] ﴿وإذا سألك﴾ يا رسول الله ﴿عبادي عني﴾ فقالوا: أ قريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه؟ ﴿فإني﴾ فقل لهم: إني ﴿قريب﴾ قرب اطلاع وعلم وقدرة ﴿أجيب دعوة الداع﴾ الذي يدعوني ﴿إذا دعان﴾ طلب مني شيئاً ﴿فليستجيبوا لي﴾ أي فكما أنني أجيبهم إذا دعوني، فليجيبوني إذا دعوتهم للطاعة والعبادة ﴿وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون﴾ يصيبون طريق الرشd والصلاح.

(١) قالوا: رمضان من الرّمض وهو شدة وقوع الشمس على الرمل وغيره، فانهم لما سموا الشهور بالآزمنة التي وقعت فيها، فوافقت رمضان أيام رمض الحر.

(٢) أو خير لمحدوف، أو مبتدأ لما بعده.

[١٨٧] ﴿أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ﴾ في الليلة التي تصومون غدا ﴿الرَّفَثُ﴾ الجماع ﴿إِلَى نَسَائِكُمْ﴾ زوجاتكم ﴿مَنْ لِبَاسٍ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ الزوج والزوجة كل واحد بمنزلة لباس الجسد للآخر، فكما أن اللباس حافظ للجسد وجمال له ومحرم معه، كذلك كل من الزوجين مع الآخر، وهذا شبه تعليل للحلية ﴿عَلِمَ اللَّهُ﴾ لقد كان أول تشريع الصوم يحرم الجماع في الليل كما يحرم الأكل بعد النوم ثم رفع هذان الحكمان بهذه الآية ﴿أَنْتُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾ من الخيانة، فإن معصية الله خيانة للنفس، فقد كان بعض المسلمين يوقعون ليلاً ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ عصيانكم بالمواقعة حال كونها حراماً في الليالي ﴿وَعَفَا عَنْكُمْ﴾ بأن أباح الوقاع ﴿فَالآنَ﴾ في ليالي الصيام ﴿بِأَشْرَوْهُمْ﴾ كناية عن الجماع، أي يجوز لكم الوقاع ﴿وَابْتَغُوا﴾ أي اطلبوا حال الجماع ﴿مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ من الولد، فإن الله قدر لبعض الناس الأولاد فإذا أتى بمقدماته رزق الولد، وهذا إشارة إلى أنه ينبغي أن يكون الجماع لأجل الولد لا لأجل الشهوة فقط ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ يباح لكم الأكل والشرب طول الليل، خلافاً للحكم السابق الذي كان لا يباح الأكل والشرب بعد النوم ليلاً ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾ الخيط الأبيض كناية عن الضياء والخيط الأسود كناية عن

أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ أَرَفْتُ إِلَى نَسَائِكُمْ مَنْ لِبَاسٍ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلَّمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَيِّنْتُ لَكُمْ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُوا الصَّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَشِّرْوهُمْ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْفَكَامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَفْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾

الظلام ﴿مَنْ الْفَجْرِ﴾ بيان للخطيئين، والمراد تبين الفجر الصادق ﴿ثُمَّ أَتُوا الصَّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تَبَشِّرْوهُمْ﴾ أي لا تجامعوا النساء ﴿وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾ في حال الاعتكاف، نهاراً وليلاً ﴿تِلْكَ﴾ الأحكام التي ذكرت ﴿حُدُودُ اللَّهِ﴾ فكما أن للبلد حداً كذلك للشرع حد فمن عمل بها دخل في حيلة المؤمنين ﴿فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾ بالمخالفة، أي لا تخترقوها ﴿كَذَلِكَ﴾ أي هكذا، كما بين الأحكام السابقة ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ المعاصي.

[١٨٨] ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ أي أكلًا بالباطل ﴿وَتُدْلُوا﴾ من الإدلاء بمعنى الإلقاء، أي تلقوا ﴿بِهَا﴾ أي بتلك الأموال ﴿إِلَى الْحُكَامِ﴾ بأن ترفعوا قضية المال إلى القضاة ﴿لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ﴾ أي بالعصيان بأن تحلفوا عند القاضي حلفاً كاذباً أو تأتوا بشهادة زور، وذلك لتأكلوا أموال الناس ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ بأنكم مبطلون.

[١٨٩] ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ﴾ جمع هلال، والسؤال كان عن سبب اختلاف أحوال الهلال ﴿قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ﴾ جمع ميقات وهو يطلق على الزمان الموقت والمكان الموقت ﴿لِلنَّاسِ﴾ في ديونهم وعدة نساءهم ومواعيد معاملاتهم ﴿وَالْحَجِّ﴾ أي ميقات للحج، فإن وقت الحج يعرف بواسطة الهلال ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ﴾ كان بعض الناس إذا أحرموا للحج دخلوا خباءهم من ظهره لا من بابه ويقولون إن ذلك من البر ﴿بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾ أي ورئها، ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى﴾ المعاصي ﴿وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ فإن الإتيان من الظهور بعنوان الدين بدعة غير جائزة ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ تظفرون بالفلاح.

[١٩٠] ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فلا يكون القتل للسيطرة والانتقام بل لأجل إعلاء كلمة الله ونجاة المستضعفين ﴿الَّذِينَ يِقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا﴾ بمجاوزة الحد في القتال ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾.

[١٩١] ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ﴾ أي الذين يقتلونكم ﴿حيث تفقتموهم﴾ أي وجدتموهم ﴿وأخرجوهم من حيث أخرجوكم﴾ أي من المكان الذي أخرجوكم منه وهو مكة المكرمة ﴿والفئة﴾ فئتين الكفار لكم بالإيذاء ﴿أشد من القتل﴾ أي من قتلهم إياهم ﴿ولا تقتلواهم عند المسجد الحرام﴾ أي في الحرم ﴿حتى يقتلوكم فيه﴾ أي فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين ﴿فإن انتهوا﴾ فإن الله غفور رحيم ﴿فإن قاتلوهم حتى لا تكون فئنة ويكون الذين لله﴾ فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين ﴿الشهر الحرام﴾ بالشهر الحرام والحرمات فصا صمى اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين ﴿وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا﴾ إن الله يحب المحسنين ﴿وأتوا الحج والعمرة لله﴾ فإن أحصرتم فما استيسر من الهدي ولا تحلقوا رؤسكم حتى تبلغ الهدي محلهم فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك فإذا أمنتم فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدي فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام واتقوا الله واعلموا أن الله شديد العقاب ﴿١٩٢﴾

[١٩٢] ﴿فإن انتهوا﴾ أي انتهى الكفار عن الكفر بأن آمنوا أو انتهوا من قتالكم بأن لم يقتلوكم ﴿فإن الله غفور رحيم﴾. [١٩٣] ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فئنة﴾ أي افتتان، فإن دينين متصادمين لا يجتمعان في مكان ﴿ويكون الدين﴾ الطريقة في الحياة ﴿لله﴾ وحده، بأن يحق دين سواء ﴿فإن انتهوا﴾ عن الكفر والمحاربة لكم ﴿فلا عدوان﴾ أي لا يتعدى عليهم، وسمي تعديا بعلاقة المماثلة ﴿إلا على الظالمين﴾.

[١٩٤] ﴿الشهر الحرام﴾ إذا قاتل المشركون المسلمين في الشهر الحرام، جاز أن يقتلهم المسلمون في الشهر الحرام ﴿بالشهر﴾ أي بمقابل الشهر ﴿الحرام والحرمات﴾ جمع حرمة، وهي ما يجب حفظه ﴿قصاص﴾ يجري فيها القصاص، فإذا هتكوا حرمة شهركم فاهتكوا حرمة شهرهم، كما أنه إذا هتكوا حرمة حرمتكم فاهتكوا حرمة حرمتهم ﴿فمن اعتدى عليكم﴾ في الشهر الحرام ﴿فاعتدوا عليه﴾ أي قابله بالمثل ﴿بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله﴾ فلا تجاوزوا حدود الشرع في قتالكم ﴿واعلموا أن الله مع المتقين﴾.

[١٩٥] ﴿وأنفقوا في سبيل الله﴾ القتال يتطلب النفس والمال، وحيث تقدم ذكر النفس أتى السياق لذكر المال ﴿ولا تلقوا أنفسكم﴾ أي بواسطة أيديكم ﴿إلى التهلكة﴾ أي الهلاك، بأن تحاربوا فيما نهى عنه الشرع، أو تركوا المحاربة فيما أمر الشرع بها ﴿وأحسنوا﴾ في حالة الحرب والسلام ﴿إن الله يحب المحسنين﴾.

[١٩٦] ﴿وأنموا﴾ أي أكملوا إذا شرعتم ﴿الحج والعمرة لله﴾ اقتصدوا بهما التقرب إلى الله ﴿فإن أحصرتم﴾ أي منعت عن الحج بواسطة عدو أو خوف أو مرض ﴿ف﴾ عليكم أن تقربوا ﴿ما استيسر﴾ ما تمكنتم ﴿من الهدي﴾ بأن تذبحوه أو تبعثوه إلى مكة المكرمة ليذبح هناك، والهدي بقرة أو شاة أو إبل، فإذا فعلتم ذلك تحللتم من الإحرام ﴿ولا تحلقوا رؤسكم﴾ أي لا تحلوا من إحرامكم ﴿حتى يبلغ الهدي محله﴾ أي الحرم في حالة الحصر بالمرض، والموضع الذي يصد فيه في الحصر بالعدو ﴿فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه﴾ لم يقدر أن يؤخر الحلق إلى وصول الهدي محله ﴿أو به أذى من رأسه﴾ لقل أو شبهه، يجوز له أن يحلق قبل وصول الهدي، لكن الواجب عليه أن يعطي فدية لأجل حلقه قبل الإحلال ﴿ففدية من صيام﴾ بيان الفدية، والصوم ثلاثة أيام ﴿أو صدقة﴾ على عشرة مساكين لكل مسكين مذب من طعام ﴿أو نسك﴾ جمع نسكة، وهي: الذبيحة ﴿فإذا أمنتم﴾ من الخوف، بأن لم يصادفكم خوف بعد الإحرام ﴿فمن تمتع بالعمرة﴾ بأن أتى بعمرة التمتع، منتهيا ﴿إلى الحج﴾ لأن حج التمتع بعد عمرته ﴿ف﴾ الواجب ذبح ﴿ما استيسر﴾ ما تمكنتم ﴿من الهدي﴾ بقرة أو إبلا أو شاة ﴿فمن لم يجد﴾ الهدي لفقر أو نحوه ﴿ف﴾ عليه ﴿صيام ثلاثة أيام في الحج﴾ بدل الهدي ﴿وسبعة إذا رجعتم﴾ إلى أهاليكم ﴿تلك﴾ الصيامات الواجبات بدل الهدي ﴿عشرة كاملة، ذلك﴾ أي حج التمتع الذي تقدم ذكره إنما هو فرض ﴿لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام﴾ أي لم يكن من أهل مكة المكرمة ومن يجري مجراه ممن في حوالي مكة، وإلا فالواجب على أهل مكة حج القرآن أو الأفراد، وفي كليهما يقدم الحج، وليس في الأفراد هدي ﴿واتقوا الله﴾ في المحافظة على أوامره ﴿واعلموا أن الله شديد العقاب﴾ لمن خالفه.

وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقْتُلُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجْتُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تَقْتُلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يَقْتُلُوَكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَتَلْتُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنْ أَنْهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَتَقْتُلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِئْنَةٌ وَيَكُونَ الَّذِينَ لِلَّهِ فَإِنْ أَنْهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٣﴾ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتِ فَصَا صُمِيَ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ وَأَتُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أَحْصَرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنْ ذَلِكَ فَإِنْ أَصَابَكُمْ حَضْرَى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾

[١٩٧] ﴿الحج﴾ أي وقت الحج ﴿أشهر معلومات﴾ هي شوال وذو القعدة وذو الحجة ولا يجوز تقدم الحج أو تأخيره عنها ﴿فمن فرض﴾ على نفسه بأن أحرم ﴿فيهن﴾ أي في هذه الأشهر ﴿الحج فلا رث﴾ أي جماع ﴿ولا فسوق﴾ خروج عن طاعة الله، وفسر بالكذب والسباب ﴿ولا جدال﴾ وفسر بـ (لا والله) و(بلى والله) فإن هذه الثلاثة لا يجوز في حال الإحرام ﴿في الحج وما تفعلوا من خير﴾ بيان (ما) ﴿يعلمه الله وتزودوا﴾ الزاد هو الطعام الذي يتخذ للسفر، والمراد اعملوا الأعمال الحسنة لآخرتكم ﴿فإن خير الزاد﴾ للآخرة ﴿التقوى، واتقون﴾ خافوا عقابي ﴿يا أولي الألباب﴾ يا أصحاب العقول.

[١٩٨] ﴿ليس عليكم جناح﴾ إثم ﴿أن تبتغوا﴾ تطلبوا ﴿فضلاً﴾ رزقاً بالتجارة ﴿من ربيكم﴾ فقد كانوا يزعمون أن التجارة لا تجوز في حال الحج، فنزلت هذه الآية ﴿فإذا أنفضتم﴾ أي دفعتم أنفسكم بكثرة كفيض الماء ﴿من عرفات﴾ صحراء قريب مكة ﴿فاذكروا الله عند المشعر الحرام﴾ صحراء بين العرفات ومكة ﴿واذكروه كما هداكم﴾ أي بإزاء هدايته لكم ﴿وإن كنتم من قبله﴾ أي قبل أن يهديكم ﴿لمن الضالين﴾ لا تعرفون طريق الرشاد.

[١٩٩] ﴿ثم أفيضوا﴾ إلى منى ﴿من حيث﴾ أي من المكان الذي ﴿أفاض الناس﴾ سائر الناس التابعون

للأنبياء، فقد كان قريش لا يقفون بعرفات، بل يذهبون إلى المشعر رأساً ترفعاً من أن يقفوا مع الناس بعرفات، وفي الآية قول آخر ﴿واستغفروا الله﴾ من ذنوبكم ﴿إن الله غفور رحيم﴾.

[٢٠٠] ﴿فإذا قضيت﴾ أي أدبتم ﴿مناسككم﴾ أي أعمال الحج، جمع منسك بمعنى العبادة ﴿فاذكروا الله كذاكركم آباءكم﴾ فإن أهل الجاهلية، كانوا إذا فرغوا من الحج يذكرون مفاخر آبائهم، فنهوا عن ذلك وأمروا أن يذكروا الله ﴿أو أشد ذكراً﴾ لأن الله أحق بالذكر والتعظيم من الآباء ﴿فمن الناس من يقول ربنا آتنا﴾ أعطنا الخير ﴿في الدنيا﴾ ولا يهتم بالآخرة ﴿وما له﴾ ليس له ﴿في الآخرة من خلاق﴾ نصيب.

[٢٠١] ﴿ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة﴾ أي جنس الحسنة الشامل لجميع أنواعها ﴿وفي الآخرة حسنة وقنا﴾ واحفظنا من ﴿عذاب النار﴾.

[٢٠٢] ﴿اولئك﴾ الذين يطلبون الدنيا والآخرة ﴿لهم نصيب مما كسبوا﴾ فإن كسب الكافر يذهب هباءً إذا مات، أما كسب المؤمن فيبقى منه ما أرسله إلى الآخرة ﴿والله سريع الحساب﴾ فلا يظن الإنسان أن القيامة بعيدة فلا يعمل لها.

الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوفَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَكَزَّوْدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ ﴿١٩٨﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَنْفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّاكِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مِنْ مَنَاسِكِكُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ﴿٢٠١﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠٢﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٠٣﴾

[٢٠٣] «وَاذْكُرُوا اللَّهَ أَيُّهَا الْحُجَّاجُ» ﴿فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾ وهي الأيام التي هم في منى، ويستحب فيها ذكر الله تعالى ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ بأن نفر من منى إلى مكة المكرمة في ثاني اليومين أي اليوم الثاني عشر ﴿فَلَا إِنْهُ عَلَيْهِ﴾ بتعجيله ﴿وَمَنْ تَأَخَّرَ﴾ بأن بقي إلى اليوم الثالث عشر ﴿فَلَا إِنْهُ عَلَيْهِ لَمَنْ اتَّقَى﴾ الصيد والنساء في حال الحج، فإنه يختار بين الأمرين، أما من لم يتق فواجب عليه أن يبقى إلى الثالث عشر ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ واعلموا أنكم إليه ﴿إِلَى ثَوَابِهِ وَعِقَابِهِ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ تحشرون أي تجمعون من أين ما كنتم.

[٢٠٤] «وَمَنْ النَّاسُ مِنْ يَعْبُجُكَ» يا رسول الله ﴿قَوْلُهُ﴾ أي من تستحسن كلامه، لفصاحته وبلاغته ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي استحسان قوله إنما هو في الدنيا، أما في الآخرة فلا يعجبك قوله لما يظهر لك من باطنه السيئ ﴿وَيَشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ﴾ أي يقول: إن الله شهيد بأن قلبي موافق لما أظهره ﴿وَهُوَ أَلَدُ الْخِصَامِ﴾ أشد الأعداء، والمراد بهذه الآية المناق العليم اللسان.

[٢٠٥] «وَإِذَا تَوَلَّى» أدبر وانصرف من عندك ﴿سَعَى﴾ أسرع ﴿فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ﴾ النبات ﴿وَالنَّسْلَ﴾ الأولاد، والمراد به كل مفسد ﴿وَاللَّهُ لَا يَحِبُّ﴾ أي لا يرتضي ﴿الْفُسَادَ﴾.

﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِنْهُ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِنْهُ عَلَيْهِ لَمَنْ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ وَمَنْ النَّاسُ مِنْ يَعْبُجُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُ الْخِصَامِ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُ جَهَنَّمَ وَلِبِئْسَ الْمِهَادُ وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ يَتَأَيَّمُوا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا خُلُوا فِي السِّبَةِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ

[٢٠٦] «وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتق الله» خف من الله فلا تفسد ﴿أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾ أي حملته الحمية الجاهلية على أن يأثم ويعصي الله تعالى، فإن من يرى نفسه عزيزاً شريفاً لا يستعد لسماع النصائح وترك المعاصي ﴿فَحَسْبُ جَهَنَّمَ﴾ أي كفته جهنم عقوبة لعمله ﴿وَلِبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ أي إن جهنم محل سيئ للعاصي.

[٢٠٧] «وَمَنْ النَّاسُ مِنْ يَشْرِي نَفْسَهُ» أي يبيع نفسه ﴿ابْتِغَاءَ﴾ أي طلباً لـ ﴿مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ لرضا الله، ومعنى بيع النفس قيامه بأوامر الله تعالى، نزلت في أمير المؤمنين علي عليه السلام حيث نام على فراش النبي ﷺ ليلة الهجرة ﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ﴾ الرأفة أرق الرحمة ﴿بِالْعِبَادِ﴾.

[٢٠٨] «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادخلوا في السلم» الاستسلام لله ﴿كَافَّةً﴾ جميعاً ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَ الشَّيْطَانِ﴾ لا تسيروا في سلك الشيطان، بأن تضعوا القدم مكان قدمه ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ واضح العدا.

[٢٠٩] «فَإِنْ زَلَلْتُمْ» بأن وقعتم في المعاصي ﴿مَنْ بَعْدَ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾ الأدلة الواضحة على أوامر الله تعالى ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يعجزه البطش ﴿حَكِيمٌ﴾ لا يعاقب إلا بحق، لأنه يضع الأشياء مواضعها.

[٢١٠] «هَلْ يَنْظُرُونَ» أي هل ينتظر هؤلاء الكفار، وهذا استفهام إنكاري ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ﴾ جمع ظلة، وهي ما أظلت ﴿مِنَ الْغَمَامِ﴾ السحاب الأبيض فإنه مظنة المطر والرحمة، فإتيان العذاب منه أشد في الإيلام ﴿وَوُتِّيَ الْمَلَائِكَةُ﴾ مع الله أيضاً ﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ بأن حكم على الكفار بالهلاك ﴿وَاللَّهُ تَرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ أي تنتهي كل أمر إليه سبحانه فيجازي العاملين بما يستحقون، ومعنى الآية أن الكفار إذ لم يؤمنوا مع هذه الحجج الظاهرة فكأنهم بانتظار إتيان الله حتى يؤمنوا، ولو أتى الله أهلهم وقضى الأمر، فإن أهل الكتاب والكفار كانوا يزعمون أن الله يأتي في الغمام ومعه الملائكة.

[٢١١] ﴿سَلِّ اسأل يا رسول الله﴾ «بني إسرائيل» علماء اليهود ﴿كَمْ آتَيْنَاهُمْ﴾ أعطينا لأنبيائهم ﴿مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ﴾ معجزة ظاهرة، والاستفهام للتوبيخ، وهي في مقام بيان إن الله أتم الحجة عليهم حيث ذكر الرسول ﷺ في كتبهم مرات وكرات ﴿وَمَنْ يَبْدِلْ نِعْمَةَ اللَّهِ﴾ بأن لم يؤمن، فإن الإيمان نعمة من الله ﴿مَنْ بَعْدَ مَا جَاءَتْهُ﴾ وصلت إليه فلم يعمل بمقتضى النعمة ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ تهديد لبني إسرائيل الذين لا يؤمنون برسول الله ﷺ.

[٢١٢] ﴿زَيْنٌ﴾ حسن في أعينهم ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ صفة الحياة، مقابل الحياة الآخرة، فهم يعملون لأجلها فقط ﴿وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي يستهزئون بالمؤمنين، ويقولون إنهم سفهاء حيث يعملون لشيء مجهول ﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ﴾ أي فوق مكان الكفار، أو فوقهم في الرتبة والكرامة ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ كناية عن الكثرة، فهم والكفار كلاهما يرزقان في الدنيا على حد سواء، وفي الآخرة الممتقون فوقهم.

[٢١٣] ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ على كيفية واحدة في العقيدة والعمل وهكذا كل أمة قبل ظهور المصلحين، فإنهم يختلط فيهم الحق بالباطل، ثم يأتي المصلحون لينبهوا على مواضع الخطأ ﴿فَبَعَثَ﴾ أي أرسل ﴿اللَّهُ

النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق﴾ أي إن إنزال الكتاب إنما هو بسبب بيان الحق، أو إن إنزال الكتاب كان حقاً ﴿لِيُحْكَمَ﴾ الله ﴿بَيْنَ النَّاسِ﴾ فيما اختلفوا فيه، أي في موارد الخلاف بين الناس ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ﴾ أي في الحق ﴿إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ﴾ أي أعطوا الكتاب، فإن أهل الكتاب لم يلبثوا أن اختلفوا في حقائق الكتاب ومراداته ﴿مَنْ بَعْدَ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾ الأدلة الواضحة على مرادات الكتاب، وإنما اختلفوا ﴿بَغْيًا﴾ أي ظلماً ﴿بَيْنَهُمْ﴾ فإنهم عوض أن يرشدوا الناس الكفار وقع بعضهم في محاربة بعض ﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ﴾ فالذين هم مؤمنون واقعاً من أهل الكتاب، وليسوا بظالمين للرباسة والمال، يتبعون الحق و (من الحق) بيان (ما) ﴿بِإِذْنِهِ﴾ أي هدايم بلطفه ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ وليست مشيئته اعتباطية، بل هي لمن كان في طريق الحق ومريداً للهداية.

[٢١٤] ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ﴾ استهتام إنكاري، أي هل تظنون دخول الجنة بدون الامتحان الشاق ﴿وَلَمَّا يَأْتِكُمْ﴾ أي والحال أنه بعد لم يأتكم ﴿مِثْلَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ أي مضوا من المؤمنين السابقين، أي لم يصيبكم مثل ما أصابهم ﴿مُسْتَهْمٌ﴾ أي أصابهم، وهذا بيان لـ (مثل) ﴿الْبَأْسَاءِ الشَّدَائِدِ وَالْضَّرَاءِ﴾ الأمراض ﴿وَوَلَّوْا﴾ أزعجوا بأنواع البلاء والأذى ﴿حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ وذلك لطول البلاء ﴿مَتَى نَصَرَ اللَّهُ﴾ وذلك لنفاذ صبرهم، ومعناه تمنى النصر وانتظاره، قل لهم يا رسول الله ﴿أَلَا﴾ تنبهوا ﴿إِنَّ نَصَرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ فإن كل آت قريب، لأنه مقبل، بخلاف الماضي الذي هو بعيد، لأنه مدبر، فلا يزداد إلا بعداً.

[٢١٥] ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ من الأموال ﴿قُلْ﴾ يا رسول الله ﷺ ﴿مَا أَنفَقْتُ مِنَ خَيْرٍ﴾ بيان (ما) أي أنفقوا ما تشاءون من خير، فليس الإنفاق خاصاً بشيء معين، ثم فرع على ذلك كون الخير للمذكورين ﴿فَلِللَّذِينَ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ الأقرباء ﴿وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَإِذَا السَّبِيلِ﴾ الذي انقطع به الطريق ولا يجد المال لمصرفه ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ بيان (ما) ﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾.

سَلِّ بَنِي إِسْرَءِيلَ بِلْ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبْدِلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ زَيْنٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيُحْكَمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا يَنْهَاهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مِثْلَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مُسْتَهْمٌ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصَرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصَرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّذِينَ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾

[٢١٦] ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢١٦﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْقِتَالِ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدْعٌ سَبِيلَ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُم عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَعِمْتَ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١٧﴾ إِنَّا لِلَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْلَىٰكَ إِنْ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْغَفْوُ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾

[٢١٧] ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ هو رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم، حرم القتال فيه، ﴿قِتَالٌ فِيهِ﴾ بدل عن (الشهر الحرام) أي يسألك عن القتال في الشهر الحرام، وقد قتل مسلم كافراً في هذا الشهر^(١) فاتخذ الكفار ذلك وسيلة لانتقاد المسلمين، فنزلت هذه الآية ﴿قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ ذنب كبير ﴿وَصَدْعٌ﴾ أي منع، وهذا مبتدأ خبره (أكبر) ﴿عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي منع الكفار الناس عن الإسلام ﴿وَكُفْرٌ بِهِ﴾ أي إن كفر هؤلاء الكفار بالله ﴿وَكُفْرٌ بِ﴾ المسجد الحرام ﴿حَيْثُ إِنْ جَعَلَهُ مَحَلَّ الْأَصْنَامِ وَابْتِدَاعِ الْبِدْعِ فِيهِ بِمَثَابَةِ الْكُفْرِ بِاحْتِرَامِ الْمَسْجِدِ وَإِخْرَاجِ أَهْلِهِ﴾ أي إخراج أهل المسجد وهم المسلمون من مكة ﴿مِنْهُ﴾ أي من القتل الذي حدث من المسلم في الشهر الحرام ﴿أَكْبَرُ﴾ ذنباً ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ وإذا فعل الكافر منكراً أشد جاز رده بما هو يجوز في باب ردع المنكر، كما أن من قتل إنساناً يقتل به، مع أن القتل في نفسه

جريمة ﴿وَالْفِتْنَةُ﴾ افتتان الكفار المسلمين عن دينهم ﴿أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ الذي صدر عن ذلك المسلم في الشهر الحرام ﴿وَلَا يَزَالُونَ﴾ الكفار ﴿يَقَاتِلُونَكُمْ﴾ أي إلى أن يصرفوكم ﴿عَنِ دِينِكُمْ إِنْ اسْتَطَاعُوا﴾ صرفكم عن دينكم، بأن يرجعوكم كافراً ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ﴾ يرجع ﴿مِنْكُمْ عَنِ دِينِهِ فَعِمْتَ وَهُوَ كَافِرٌ﴾ في قبال ما إذا ارتد ثم آمن فمات في حال الإيمان ﴿فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ﴾ أي فسدت واضمحلت ﴿أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾ لحرمانه من منافع الإسلام ﴿وَالْآخِرَةِ﴾ لحرمانه من الثواب ﴿وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ الملازمون لها ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

[٢١٨] ﴿إِنَّا لِلَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام ﴿وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْلَىٰكَ إِنْ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ﴾ تفضل عليهم في الدنيا والآخرة ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

[٢١٩] ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ﴾ كل ما يوجب السكر ﴿وَالْمَيْسِرِ﴾ كل أنواع القمار، والسؤال عن أنهما هل يجوز أن لا قتل فيهما إثم كبير، فتعاطيهما محرم ﴿وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾ منفعة اقتصادية وشهوية ﴿وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَّفْعِهِمَا﴾ كالسرقة التي فيها نفع للشارق لكن إثمها أكبر من نفعها، وما كانت مفسده أكثر من مصالحه فهو محرم ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ من المال ﴿قُلِ الْغَفْوُ﴾ هو نقيض الجهد، والمراد به ما تيسر ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي هكذا ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ﴾ الحجج في الأحكام ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾.

(١) وفي تفسير شير: وكان القتل في غرة رجب، والمسلم يظن أنه من جمادى الآخرة، فاستعظمت قريش ذلك فنزلت الآية المباركة.

[٢٢٠] ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ أي تنفكرون في أمور الدارين فتأخذون الصلاح وتتركون الفساد ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى﴾ هل نخالطهم أو نجانبهم خوفاً من التلوث بأموالهم ﴿قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ﴾ بتربيتهم والقيام بشؤونهم ﴿وَإِنْ تَخَالَطُوهُمْ﴾ وتعاشرهم ﴿فَ﴾ هم ﴿إِخْوَانُكُمْ﴾ والأخ يعاشر أخاه بالإصلاح وهذا حث على مخالطتهم بالحسن ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمَفْسَدَ مِنَ الْمَصْلَحِ﴾ من خالطهم بقصد الإفساد ممن خالطهم بقصد الإصلاح ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ﴾ أي كلفكم العنت والمشقة، بأن يأمرهم بمخالطتهم والدقة الكثيرة في أموالهم، لكن الله يسر عليكم حيث أمركم بالمخالطة كمخالطة الأخ لأخيه ﴿إِنْ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ مقتدر يفعل الأشياء ويحكم بالصلاح.

[٢٢١] ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ﴾ لا تتخذوا زوجة مشركة ﴿حَتَّىٰ يُؤْمِنَ﴾ إلا إذا آمن بالإسلام ﴿وَلَا مَآءٌ﴾ أي زوجة أو وصيفة ﴿مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ المشركة بأن كانت ذات جمال ومال ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ فلا تعطوا بناتكم لرجال مشركين ﴿حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ بأن استحسنتم ماله أو جماله، وإنما كان المسلم والمسلمة خير لأن ﴿أُولَئِكَ﴾ المشركون ﴿يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ فإنه يتأثر كل من الزوجين بأخلاق الآخر ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ

الجنة والمغفرة بإذنه﴾ أي بلفظه وتوفيقه، ولذا لا يريد زواج المسلم من الكافرة، وزواج المسلمة بالكافر ﴿وَبَيْنَ آيَاتِهِ﴾ أحكامه ﴿لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ما أودع في فطرتهم، فإن أحكام الإسلام موافقة للطرة.

[٢٢٢] ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾ مصدر كالمجيء، بمعنى الحيض، أي تكليف الأزواج في حال حيض زوجاتهم ﴿قُلْ هُوَ أَذًى﴾ مرض في المرأة وقذارة ﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ﴾ أي اتركوا المقاربة ﴿فِي الْمَحِيضِ﴾ أي في حال الحيض ﴿وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ﴾ تأكيد لـ (اعتزلوا) ﴿حَتَّىٰ يَطْهَرْنَ﴾ من الدم ﴿فَإِذَا طَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ حلالاً، لا حراماً بالفجور ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾ الذين يتوبون عن الإتيان في حال الحيض ﴿وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ من المرأة التي تغتسل بعد الحيض والرجل الذي لا يواقع إلا في حال الطهر.

[٢٢٣] ﴿نَسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ أي محل حرث، فكما أن الأرض لحرث الزرع كذلك المرأة لحرث الولد ﴿فَأَتُوا حَرْثَكُمْ﴾ أي احرثوا وضعوا ولدكم الذي هو حرث ﴿أَنْتُمْ شِئْتُمْ﴾ في أي زمان أردتم ﴿وَقَدِمُوا لِأَنْفُسِكُمْ﴾ بالطاعة، فإن كل طاعة يفعلها الإنسان يقدمها لآخرته ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُّلاقُوهُ﴾ أي تلاقون جزاء الله على أعمالكم في يوم القيامة ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

[٢٢٤] ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً﴾ أي معرضاً ﴿لِأَيْمَانِكُمْ﴾ بأن تكثروا من الحلف به ﴿أَنْ تَبْرُوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ﴾ أي تحلفون بالله لأجل أنكم تريدون البر والتقوى والإصلاح، مثلاً تقول للغني: أقسمك بالله إلا ما أدبت زكاة مالك، وتقول لمن أصر على أن تظفر عنده وماله حرام: أقسمك بالله أن لا تصر علي، وتقول للمتخاصمين: أقسمكما بالله إلا تصالحتما.. فإن الله أعظم من أن يحلف به في كل مناسبة ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

واليوم الآخر﴾ جوابه محذوف، أي فلا يكتمن ﴿وبعولتهن﴾ أي أزواجهن الذين طلقهن ﴿أحق بردهن في ذلك﴾ أي زمان التبرص، قبل انقضاء العدة، أحق بأن يرجعوا إليهن ويعيدوا حالة الزوجية ﴿إن أرادوا إصلاحاً﴾ بأن أراد الأزواج إصلاحاً بإرجاع المطلقة، لا إذا أرادوا الإضرار بها ﴿ولهن﴾ أي للنساء من الحقوق على الرجال ﴿مثل الذي عليهن﴾ من حقوق الرجال، فلكل من الزوجين حق على الآخر ﴿بالمعروف﴾ أي الحقوق التي هي معروفة لدى العقل والشرع، لا الحقوق التي تقرها التقاليد والعادات ﴿وللرجال عليهن درجة﴾ زيادة في الحق والفضل، وذلك لأنه المدير لها، واللازم أن يكون المدير ذا مزية حتى يتمكن بمزيته من إدارة المدار ﴿والله عزيز حكيم﴾. ﴿الطلاق مرتان﴾ فإن الطلاق الذي يحق فيه الرجوع مرتان، أما الطلاق الثالث فلا يحق بعده الرجوع، وبعد الطلاق الثاني ﴿فإمسك﴾ للزوجة وحفظ لها بالرجوع إليها ﴿بم معروف﴾ بأن لا يكون الرجوع بقصد الإضرار ﴿أو تسريح﴾ أن يتركها حتى تنقضي عدتها ﴿بإحسان﴾ بأداء حقوقها والإحسان إليها ﴿ولا يحل لكم﴾ أيها الأزواج ﴿أن تأخذوا مما آتيتموهن﴾ أعطيتموهن من المهور ﴿شيثاً﴾ فإنه لا يحق للزوج أخذ شيء من مهر المرأة ﴿إلا أن يخافا﴾ أي الزوجان ﴿الأيقيما﴾ في حال بقائهما على قيد الزوجية ﴿حدود الله﴾ أحكامه المرتبطة بالزوجين، فإنه في هذا الحال جاز للمرأة أن تعطي مهرها لخلاص نفسها بالطلاق ﴿فإن خفتم﴾ أيها الحكام المرتبطون بفصل قضايا الأزواج ﴿الأيقيما﴾ أي الزوجان ﴿حدود الله﴾ أحكامه المرتبطة بالأزواج ﴿فلا جناح عليهما﴾ لا على الزوج في الأخذ ولا على الزوجة في الإعطاء ﴿فيما﴾ أي في المال الذي ﴿اقتدت به﴾ أي بذلته كغدية لخلاص نفسها ﴿وتلك﴾ أي الأحكام المذكورة ﴿حدود الله فلا تعتدوها﴾ لا تخالفوها ﴿ومن يتعد﴾ يتجاوز ﴿حدود الله فأولئك هم الظالمون﴾. ﴿فإن طلقها﴾ إن طلقها بعد التطليقتين طلاقاً ثالثاً ﴿فلا تحل﴾ الزوجة ﴿له﴾ لزوجها ﴿من بعد﴾ الطلاق الثالث ﴿حتى تنكح﴾ المرأة ﴿زوجاً غيره﴾ غير المطلق ﴿فإن طلقها﴾ الزوج الثاني ﴿فلا جناح عليهما﴾ الزوج الأول والزوجة ﴿أن يترابعا﴾ بنكاح جديد ﴿إن ظنا أن يقيما حدود الله﴾ بأن ظنا تمكنهما من القيام بالواجبات التي قررها الله للزوجين ﴿وتلك﴾ الأحكام التي ذكرت ﴿حدود الله يبينها لقوم يعلمون﴾ أي لأهل العلم، فإنهم هم المستفوعون بهذه الأحكام، أما الجاهل العاصي فلا يتنفع بهذه الأحكام.

[٢٣١] ﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلْيُنَّ أَجْلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ الْعِدَّةِ﴾ «فأمسكوهن» بالرجوع إليهن «بمعروف» عند الشرع والعقل ﴿أَوْ سَرَحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ بعدم التعرض لإرجاعهن حتى تنقضي العدة وتنفك من قيد الزواج ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضَرَارًا﴾ بأن ترجعوا إليهن لا بقصد الزوجية، بل بقصد الإضرار بهن ﴿لَتَعْتَدُوا﴾ من الاعتداء بمعنى الظلم ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ الإمساك بقصد الإضرار «فقد ظلم نفسه» لأن وبال الضرر وعقابه يرجع إلى نفسه ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ أَحْكَامَهُ﴾ «همزوا» لا تستخفوا بها كالمستهزئ ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ﴾ الشريعة التي بها تعرفون مصالحكم ومفاسدكم، فإن ذكر النعمة يوجب قبول الإنسان لأحكام المنعم ﴿يُعْظَمُكُمُ﴾ الله «به» أي بواسطة ما أنزله على الرسول ﷺ من الكتاب والحكمة ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعِلِّمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

[٢٣٢] ﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلْيُنَّ أَجْلَهُنَّ﴾ أي انقضى زمان العدة ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ أي لا تمنعهن ﴿أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ﴾ أي من نكاح من يشأن من الأزواج، سواء كان الزوج الأول أو زوجاً جديداً ﴿إِذَا تَرَاضَوْا﴾ المطلقات والأزواج «بينهم بالمعروف» فيكون الزواج الجديد مقبولا لدى الشرع والعقل، فلا يمنع الزوج الأول الزوجة

وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلْيُنَّ أَجْلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرَحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضَرَارًا لِتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَنْجِدُوا ءَايَاتِ اللَّهِ هُزُوا وَادْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يُعْظَمُكُمُ اللَّهُ وَعِلِّمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣١﴾ وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلْيُنَّ أَجْلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ رُكْنٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدٍ وَلَا مَوْلُودٌ بِوَالِدَةٍ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا إِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْرِعُوا بِالْوِلْدَانِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا ءَاتَيْتُمُ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعِلِّمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٣﴾

من الزواج برجل جديد تعصباً، ولا يمنع أهل المرأة رجوع الزوج إليها بزواج جديد انتقاماً ﴿ذلك﴾ الذي ذكرناه من الأحكام «يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر» فاللزام أن يعمل بها ﴿ذلكم﴾ (ذا) إشارة إلى الأحكام المذكورة، و (كم) خطاب «أزكى لكم» خير وأفضل لنمو المجتمع «وأطهر» لموازين الأسرة والعائلة «والله يعلم وأنتم لا تعلمون».

[٢٣٣] ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ﴾ أي عامين «كاملين» أي أربعة وعشرين شهراً «لمن أراد أن يتم الرضاعة» أي هذا الحكم لمن يريد أن يتم إرضاع الأولاد «وعلى المولود له» أي الأب «رِزْقُهُنَّ» طعام المرضعات «وكسوتُهُنَّ» لباسهن «بالمعروف» بالحد الوسط، أجرة للرضاع أو لأجل الزوجية «لا تكلف نفس إلا وسعها» فالأمر مكلف بالرضاع حسب قدرتها في الجملة^(١)، والأب مكلف بالنفقة حسب وسعه «لا تضار والدة بولدها» أي بسبب ولدها بأن يستغل الأب عطف والدة فلا ينفق عليها «ولا مولود له» أي الأب «بولده» بأن تستغل الأم عطف الأب فتأخذ منه نفقة زائدة بحجة أنها ترضع ولده «وعلى الوارث» أي وارث الأب إذا مات «مثل ذلك» أي مثل الذي كان على الأب من مؤونة المرضعة مادام الرضاع «فإن أراد» أي الأبوان «فصلاً» للولد عن الرضاع وفطامه قبل الحولين «عن تراضٍ منهما» بأن رضي كلا الأبوين بالفصال، الأب لأن عليه النفقة، والأم لأن لها التربية، فاللزام رضاية كليهما في الفصال «وتشاور» أي مشورة تؤدي إلى مصلحة الولد «فلا جناح عليهما» في هذا الفصال «وإن أردتم» أيها الآباء «أن تسترعوا أولادكم» بأن تطلبوا لهم مرضع غير الأم «فلا جناح عليكم إذا سلمتم ما آتيتهم» أي ما تريدون إعطاؤه إلى المرضعة «بالمعروف» بأن لا تنقصوها حقها حين التسليم «واتقوا الله واعلموا أن الله بما تعملون بصير».

(١) كما إذا استلمت أجرة على ذلك.

[٢٣٤] ﴿وَالَّذِينَ يَتوفُونَ مِنكُم يَمُوتُونَ﴾ «منكم ويموتون أزواجاً» يتركون زوجاتهم «يترصن» أي ينتظرن تلك الزوجات «بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً» أي عشرة أيام، فهذه هي مدة الوفاة «فإذا بلغن أجلهن» بأن انقضت عدتهن المذكورة «فلا جناح عليكم» أيها المسلمون «فيما فعلن في أنفسهن» من اختيار الأزواج «بالمعروف» بما يجوز في الشرع «والله بما تعملون خبير».

[٢٣٥] ﴿ولا جناح عليكم﴾ أيها الرجال «فيما عرضتم به» التعريض ضد التصريح «من خطبة النساء» أي ذكرهن وطلب زواجهن بعد العدة، فإن الخطبة توجيه الكلام بقصد الإيهام «أو أكنتم في أنفسكم» أخفيتم من قصدكم لنكاحهن «علم الله أنكم ستذرونهن» لرغبتكم فيهن، ولذا بين حكم ذكرهن بأنه يجوز في النفس مطلقاً، ويجوز التعريض باللفظ أيضاً «ولكن لا تواعدوهن سرا» أي لا تجعلوا بينكم وبينهن مواعدة سراً، فإن الخلوة بالأجنبية لا تجوز خصوصاً إذا كانت في العدة «إلا» استثناء منقطع «أن تقولوا قولاً معروفاً» بأن لا يكون تصريحاً، وهذا تكرير لما سبق بلفظ آخر زيادة في التأكيد «ولا تعزموا» أي لا تقصدوا أن تعقدوا «عقدة النكاح» بأن تنكحوا الزوجة المتوفى زوجها «حتى يبلغ الكتاب» أي الذي كتب عليهم من العدة «أجله» بأن تنقضي العدة «واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم» من العزم على الزواج في العدة أو ما أشبه «فاحذروه» خافوا عقابه وعذابه «واعلموا أن الله غفور حلیم» لا يعاجلكم بالعقوبة فلا يغركم حلمه.

[٢٣٦] ﴿ولا جناح عليكم﴾ أيها الأزواج فلا إثم ولا مهر «إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن» أي لم تجامعهن «أو تفرضوا لهن فريضة» أي لم تذكروا لهن مهراً حال العقد فطلقوهن «ومتوهن» أعطوها ما تتمتع به، إذا لم يكن لها مهر «على الموسع» من أوسع ماله، أي المشرى «قدره» أي مقدار ما يليق به من المال «وعلى المقتر» الفقير الضيق «قدره، متاعاً» أي متعهن متاعاً «بالمعروف» لدى العقل والشرع، في حال كون هذا التمتع «حقاً» واجباً «على المحسنين».

[٢٣٧] ﴿وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن» أي قبل المجامعة معها «وقد فرضتم لهن فريضة» أي جعلتم لهن مهراً «ف» الواجب إعطاؤهن «نصف ما فرضتم» أي نصف المهر «إلا أن يعفون» أي المطلقات، بأن لم يأخذن المهر أصلاً، أو عفون شيئاً عن النصف الذي لهن «أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح» وهو الزوج، بأن أعطاهما المهر كاملاً أو أكثر من النصف «وأن تعفوا» أيها الأزواج وأيتها المطلقات «أقرب للتقوى» لأنه استرضاء للجانب الآخر وطلب فضل من الله «ولا تنسوا الفضل بينكم» بأن يتفضل بعضكم على بعض «إن الله بما تعملون بصير».

وَالَّذِينَ يَتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عِلْمَ اللَّهِ أَنْكُمْ سَتَذَرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تَوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْرِضُوا عَقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجْلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى اللَّوْصِيقِ قَدَرَهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدَرَهُ مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْحَسَنِينَ ﴿٢٣٦﴾ وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُوَا أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾

[٢٣٧] ﴿وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن» أي قبل المجامعة معها «وقد فرضتم لهن فريضة» أي جعلتم لهن مهراً «ف» الواجب إعطاؤهن «نصف ما فرضتم» أي نصف المهر «إلا أن يعفون» أي المطلقات، بأن لم يأخذن المهر أصلاً، أو عفون شيئاً عن النصف الذي لهن «أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح» وهو الزوج، بأن أعطاهما المهر كاملاً أو أكثر من النصف «وأن تعفوا» أيها الأزواج وأيتها المطلقات «أقرب للتقوى» لأنه استرضاء للجانب الآخر وطلب فضل من الله «ولا تنسوا الفضل بينكم» بأن يتفضل بعضكم على بعض «إن الله بما تعملون بصير».

[٢٣٨] ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ﴾ وهي صلاة الظهر ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ بأن تقفوا في الصلاة، والقنوت عبارة عن الخضوع.

[٢٣٩] ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ من القيام قانتين في الصلاة ﴿ف﴾ صلوا ﴿رُجُلًا﴾ أي على أرجلكم في حال المشي ﴿أَوْ رُكْبَانًا﴾ أي في حال الركوب ﴿فَإِذَا أَمْتُمْ﴾ من الخوف ﴿فَإَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ أي الصلاة المتعارفة.

[٢٤٠] ﴿وَالَّذِينَ يَتوفُونَ﴾ أي يموتون ﴿منكم﴾ ويذرون أي يتركون ﴿أَزْوَاجًا وَصِيَّةً﴾ أي فليوصوا وصية ﴿لأزواجهم﴾ أي نسائهم ﴿مَتَاعًا﴾ بأن يعطين المتعة من الكسوة والنفقة ﴿إِلَى الْحَوْلِ﴾ إلى سنة كاملة ﴿غَيْرِ إِخْرَاجٍ﴾ أي بدون أن يخرجن من مسكنهن فلهن حق السكنى إلى السنة، ولعل هذا مستحب بأن يوصي الميت هكذا ويخرج من الثلث^(١)، وإلا فالعدة أربعة أشهر وعشرًا ﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾ من مسكنهن ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ أيها الورثة للميت ﴿فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ﴾ من الزواج بالغير بعد العدة ﴿مِنْ مَعْرُوفٍ﴾ مما لا ينكره الشرع ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

[٢٤١] ﴿وَاللْمُطْلَقَاتُ مَتَاعٌ﴾ بأن يمتع المطلق المطلقة إرضاء لها وجبراً لخطأها ﴿بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ أي إن تمتيعهن حق على الإنسان المتقي.

[٢٤٢] ﴿كَذَلِكَ﴾ هكذا ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ آيَاتِهِ﴾ أحكامه ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

[٢٤٣] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ ألم يصلك خبر الخارجين من ديارهم من خوف الطاعون، وكانوا من بني إسرائيل ﴿وَهُمُ الْوُفُ﴾ كان عددهم آلاف الأشخاص ﴿حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ لأجل خوف الموت من الطاعون ﴿فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مَوْتُوا﴾ بأن أماتهم في طريق الفرار ﴿ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ بدعوة أحد الأنبياء وهو حزقيال النبي ﷺ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ كما تفضل على أولئك بالإحياء ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾.

[٢٤٤] ﴿وَقَاتِلُوا﴾ وحيث بين تعالى أن الفرار لا يجدي من الموت أمر بالقتال مع الكفار ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

[٢٤٥] ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يقرضُ اللَّهَ﴾ فإن إعطاء المال في سبيل الله بمنزلة قرض لله تعالى، لأنه سبحانه يردده عليه في الآخرة ﴿قرضاً حسناً﴾ بدون منة أو رياء ﴿فِيضَاعُهُ لهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ﴾ الرزق عن أناس ﴿وَيَبْسُطُ﴾ الرزق لمن يشاء، فلا يبخل الإنسان عن إعطاء المال في سبيل الله من جهة خوف الفقر، فإن الغنى والفقر بيد الله ﴿وَالِيهِ تَرْجِعُونَ﴾ فيجازيكم بما أقرضتم له.

﴿٢٤٦﴾ ﴿ألم تر إلى﴾ أي ألم تعلم ﴿الملا﴾ الجماعة من
الأسراف ﴿من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي
لهم﴾ أحد أنبيائهم^(١) ﴿ابعث لنا ملكاً﴾ أي هيئ لنا
شخصاً ليكون ملكاً علينا ﴿نقاتل﴾ تحت لوائه ﴿في سبيل
الله، قال﴾ النبي ﷺ ﴿هل عسيتم﴾ أي لعلكم ﴿إن
كتب﴾ أي وجب ﴿عليكم القتال ألا تقاتلوا﴾ بأن لا تفوا
بما تقولون ﴿قالوا﴾ أي الملا ﴿وما لنا ألا نقاتل﴾ أي أي
شيء لنا في عدم القتال، بل نقاتل قطعاً ﴿في سبيل الله
وقد﴾ أي والحال أنه ﴿أخرجنا من ديارنا وأبنائنا﴾ أي
أخرج أبناؤنا من ديارهم، لأن العمالة أخرجوا هؤلاء من
بلادهم وكانوا بين مصر وفلسطين ﴿فلما كتب عليهم
القتال تولوا﴾ أي أعرضوا عن القتال ﴿إلا قليلاً منهم والله
عليم بالظالمين﴾ فيسجزيههم بتوليهم عن القتال.

﴿٢٤٧﴾ ﴿وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً﴾ فقد قرر الله أن يكون رجل يسمى بطالوت ملكاً عليهم ﴿قالوا أنى﴾ أي كيف ومن أين ﴿يكون له الملك علينا ونحن﴾ أي والحال ﴿أحق بالملك منه﴾ أي من طالوت، فقد تكبروا أن يملكهم طالوت، ﴿و﴾ قالوا ﴿لم يؤت﴾ طالوت ﴿سعة من المال﴾ فلا ثروة له ﴿قال﴾ النبي ﷺ ﴿إن الله اصطفاه﴾ اختاره للملكية ﴿عليكم وزاده بسطة﴾ اتساعاً ﴿في العلم والجسم﴾ فجسمه كبير ﴿فليست الملكية باختياركم لتقولوا نحن أحق منه﴾ والله

واسع ﴿الفضل﴾ يتفضل على من يشاء ﴿عليم﴾.

[٢٤٨] ﴿وقال لهم نبيهم إن آية ملكه﴾ أي علامة أن الله جعله ملكاً عليكم ﴿أن يأتيكم التابوت﴾ وهو الذي أنزله الله على أم موسى ﷺ فوضعت فيه وألقته في اليم، وقد كان عند بني إسرائيل يتصورون بسببه على أعدائهم، فلما استهانوا به رفعه الله من بينهم فذلوا ﴿فيه سكينه﴾ إذ رجوع التابوت إليهم يوجب سكون خاطرهم ﴿من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون﴾ أي فيه ألواح موسى ﷺ وآثار الأنبياء ﷺ، وهارون هو أخو موسى ﷺ ﴿تحمله﴾ أي التابوت ﴿الملائكة﴾ فقد رأوا التابوت بيد الملائكة بين السماء والأرض ﴿إن في ذلك﴾ أي رجوع التابوت ﴿لآية لكم﴾ علامة لاختيار الله طالوت ملكاً عليكم ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ مهتدين.

أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَكِ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ أَهْبِثْ لَنَا مَلِكًا نُنَافِسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ قَالُوا قَاتِلُوا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسَاطَةً فِي أَعْيُنِنَا وَالْجَسَدُ وَاللَّهُ يُوَفِّي مَلَكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آءَالُ مُوسَى وَءَالُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٦٨﴾

[٢٤٩] ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ وَهَمَّ عَاطِشٌ قَالُوكَ طَالُوتُ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ﴾ مختبركم ﴿بِنَهَرٍ﴾ من الماء ﴿فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي﴾ فإن من لا يصبر على العطش لا يصبر على حر السهام والسيوف ﴿وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ﴾ أي لم يشرب منه ﴿فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾ أي إذا شرب بقدر كفه، فإنه مني، وهذا استثناء من (ليس مني) ﴿فَشَرَبُوا مِنْهُ﴾ شرباً منهيّاً عنه ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾ وكان عددهم ثلاثمائة وثلاثة عشر ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ﴾ أي جاوز النهر إلى طرف الأعداء ﴿هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا﴾ أي القليل الباقيون معه ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ﴾ هو رئيس الكفار ﴿وَجُنُودِهِ﴾ لقوة الكفار وكثرتهم ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾ أي يعلمون ﴿أَنَّهُمْ مَلَاقُوا اللَّهَ﴾ أي ملاقوا جزائه وثوابه في الآخرة ﴿كَمْ﴾ للتكثير ﴿مِنْ فِتْنَةٍ﴾ أي جماعة ﴿قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةُ كَثِيرَةٍ﴾ ياذن الله ﴿ومشيته، فمن الممكن أن تغلب نحن على قتلنا هؤلاء الكفار الكثيرين﴾ والله مع الصابرين.

[٢٥٠] ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا﴾ أي ظهر المؤمنون في ساحة الميدان ﴿لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا﴾ أي المؤمنون ﴿رَبَّنَا أفرغ﴾ أي اصبب ﴿علينا صبراً﴾ أي ألهمنا الصبر ﴿ووثب أقدامنا﴾ حتى لا نزل ﴿وانصبرنا على القوم الكافرين﴾.

[٢٥١] ﴿فَهَزَمُوهُمْ﴾ هزم المؤمنون الكافرين ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ﴾ النبي الذي كان في جيش طالوت ﴿جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ﴾ أي أعطى الله داود ﴿الملك والحكمة﴾ أي السلطة والنبوة ﴿وعلمه مما يشاء﴾ من العلوم ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض﴾ بأن دفع الكفار بسبب المؤمنين ﴿لفسدت الأرض﴾ لأن الكفار يفسدون في الأرض ﴿ولكن الله ذو فضل على العالمين﴾ فيدفع الكافرين حتى لا يفسدوا.

[٢٥٢] ﴿تِلْكَ﴾ التي ذكرناه من القصص والأحكام ﴿آيَاتِ اللَّهِ تَتْلُوهَا﴾ نقرأها ﴿عليك بالحق وإنك لمن المرسلين﴾.

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْكُوا اللَّهَ كَمِ مَنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةُ كَثِيرَةٍ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبَّتْ أَدْمَانَا وَأَنْصَرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مَا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾

[٢٥٣] ﴿تِلْكَ﴾ الأنبياء الذين تقدمت أسماؤهم ﴿الرسل﴾ الذين أرسلهم الله إلى الناس ﴿فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله﴾ وهو موسى ﷺ ﴿ورفع بعضهم درجات﴾ بأن كان بعضهم فوق بعض بدرجات متعددة، بينما أن بعضهم كان أفضل من آخر بدرجة واحدة، ولعل الآية إشارة إلى رسول الإسلام ﴿وآتينا﴾ أعطينا ﴿عيسى ابن مريم البينات﴾ الأدلة الواضحات ﴿وايدناه﴾ قويناه ﴿بروح القدس﴾ بروح مطهرة ﴿ولو شاء الله﴾ مشينة إلقاء واضطرار ﴿ما اقتتل﴾ ما تقاتلوا ﴿الذين من بعدهم﴾ أي بعد الرسل، كما اقتتل اليهود والنصارى ﴿من بعد ما جاءتهم البينات﴾ لأن الأدلة الواضحة شأنها اتفاق الناس فيها ﴿ولكن اختلفوا﴾ حسداً وظلماً ﴿فمنهم من آمن ولكن الله يفعل ما يريد﴾ من إعطاء الاختيار للإنسان حتى يفعل ما يشاء ليجازيه في الآخرة بأعماله.

[٢٥٤] ﴿يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم﴾ من مال وجاه وقوة وعلم وغيرها ﴿من قبل أن يأتي يوم﴾ هو يوم القيامة ﴿لا بيع﴾ تجارة ﴿فيه ولا خلة﴾ صداقة، فلا تنفع الصداقة هناك ﴿ولا شفاعة﴾ إلا بإذن الله ﴿والكافرون هم الظالمون﴾ لأنهم يظلمون أنفسهم التي هي أعز الأشياء عندهم.

﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ ﴿٢٥٣﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفِيعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿٢٥٤﴾ ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ ﴿٢٥٥﴾ ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿٢٥٦﴾

[٢٥٥] ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ قائم على جميع الأمور بالعلم والقدرة والرعاية ﴿لا تأخذه سنة﴾ الفتور قبل النوم ﴿ولا نوم﴾ له ما في السماوات وما في الأرض، من ذا ﴿استفهام إنكار﴾ الذي يشفع عنده إلا بإذنه ﴿أي لا يتمكن أحد من الشفاعة لأحد إلا إذا أذن الله له بالشفاعة﴾ يعلم ﴿الله سبحانه﴾ ما بين أيديهم ﴿أي ما فعلوا في حياتهم كأنه أمامهم﴾ وما خلفهم ﴿أي الآثار التي خلفوها من بعدهم من خير أو شر﴾ ولا يحيطون ﴿أي الناس إحاطة اطلاع﴾ بشيء من علمه معلوماته ﴿إلا بما شاء﴾ من العلم فما أراد أن يعلمه الناس علموه ﴿وسع كرسيه﴾ أي ملكه ﴿السماوات والأرض﴾ أي كل الكون ﴿ولا يؤوده﴾ أي لا يشق عليه ﴿حفظهما﴾ أي حفظ السماوات والأرض ﴿وهو العليُّ﴾ الرفيع العظيم.

[٢٥٦] ﴿لا إكراه في الدين﴾ فإن الله لم يلجئ الإنسان إلى قبول دينه بل جعل لهم الاختيار حتى يشيب من قبل ويعاقب من رفض ﴿قد تبين﴾ أي وضح بسبب الآيات ﴿الرشد من الغي﴾ الضلال ﴿فمن يكفر بالطاغوت﴾ ما يعبد من دون الله ﴿ويؤمن بالله﴾ وحده ﴿فقد استمسك﴾ تمسك ﴿بالعروة﴾ هي يد الكوز وما أشبهه، شبه بها الدين ﴿الوثقى﴾ مؤثوث أوثق أي الأكثر استحكاماً ﴿لا انفصام لها﴾ أي لا انقطاع لتلك العروة حتى يوجب ابتعاد الإنسان عن الخير ﴿والله سميع عليم﴾.

[٢٥٧] ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي أولى بهم من أنفسهم أو نصيرهم ﴿يُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ من ظلمات الكفر والانحطاط إلى نور الإيمان والرقى ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ يعني أن الطاغوت ولي للكفار وإنما قال: (أولياؤهم) لتعدد الطواغيت يخرجونهم أي الطواغيت يخرجون الكفار ﴿مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ فإن للفطرة نوراً يهتدي الإنسان بسبب ذلك النور - إن خلى ونفسه - إلى الحق لكن الطواغيت يحولون بينهم وبين الاهتداء، فالطاغوت يوجب خروج الإنسان من نور الفطرة إلى ظلمة الكفر ﴿أُولَئِكَ﴾ الكفار وطواغيتهم ﴿أَصْحَابُ النَّارِ﴾ ملازمون لها ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

[٢٥٨] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ أي تعلم ﴿إِلَى الَّذِي﴾ هو نمرود ﴿حَاجٌّ﴾ جادل إبراهيم عليه السلام مع إبراهيم عليه السلام ﴿فِي رَبِّهِ﴾ بأن كان منكراً للرب تعالى ﴿أَن آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ فقد كان جداله في قبال إتيان الله لنمرود الملك والسلطة فعوض أن يشكر ويعترف بالإله كفر وأخذ يجادل في وجود الله ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّي﴾ هو ﴿الَّذِي يَحْيِي وَيُمِيتُ﴾ قال ﴿نَمْرُودُ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ﴾ أحيي المستحق للقتل فأعفو عنه وأميت الشخص بأن أقتله ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ إن كنت إليها

كما تزعم ﴿فَبُهِتَ﴾ تحير ﴿الَّذِي كَفَرُ﴾ أي نمرود لأنه لا يتمكن من إتيان الشمس من المغرب ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي﴾ إلى المحاجة أو لا يلفظ بهم اللطف الخاص، بعد أن أعرضوا عن الحق ﴿الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.

[٢٥٩] ﴿أَوِ كَالَّذِي﴾ أي ألم تر إلى مثل الذي ﴿مَرَّ﴾ من المرور بمعنى العبور ﴿عَلَى الْقَرْيَةِ﴾ وهو ارميا النبي أو عزيز النبي عليه السلام ﴿وَهِيَ﴾ أي القرية ﴿خَاوِيَةٌ﴾ ساقطة ﴿عَلَى عُرُوشِهَا﴾ بأن سقطت سقوف بنااتها وسقطت الحيطان على السقوف وهذا التعبير لإفادة التدمير الكامل، إذ الحيطان تسقط بعد مدة من سقوط السقوف ﴿قَالَ﴾ النبي في نفسه ﴿أَنِّي﴾ أي متى وكيف ﴿يَحْيِي هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ والمراد أهلها ﴿اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ قال ذلك على طريق التعجب، حيث رأى أن السباع والحيوانات تأكل الجيف ﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ﴾ وذلك لأن يعرف كيف يموت الإنسان وكيف يحيى، معرفة عملية بعد أن كانت له معرفة علمية ﴿ثُمَّ بَعَثَهُ﴾ أحياه ﴿قَالَ﴾ له قاتل بعد أن حيى ﴿كَمْ لَبِثْتَ﴾ مكثت في حالة الموت ﴿قَالَ﴾ عزيز ﴿لَبِثْتُ﴾ في حال الموت ﴿يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ أي قسماً من اليوم ﴿قَالَ﴾ القاتل له، من قبل الله تعالى ﴿بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ﴾ لترى قدرة الله تعالى ﴿إِلَى﴾ ما كان معك من تين ولبن وحمار، ف ﴿طَعَامُكَ﴾ التين ﴿وَشَرَابُكَ﴾ اللبن ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ لم يغيره السنون الطوال بقدرة الله تعالى ﴿وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ﴾ كيف تفرقت عظامه ﴿وَوُ﴾ قد فعلنا ذلك بك لترى البعث أولاً و ﴿لَنَجْمَعَنَّكَ آيَةً﴾ دليلاً وحجة على البعث ثانياً ﴿لِلنَّاسِ﴾ وانظر إلى العظام كيف ننشزها ﴿نَرْفَعُ بَعْضًا إِلَى بَعْضٍ لِّنُصْنَعَ الْهِكْلَ الْعَظْمِيَّ﴾ ثم نكسوها لحماً أي نأتي باللحم لإعادة جسم الحمار ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ﴾ أي ظهر له الإحياء برؤية العين ﴿قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ
وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ
النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ
خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ
أَن آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُبْعِثُ
وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي
بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي
كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ أَوِ كَالَّذِي
عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنِّي يُبْعِثُ هَذِهِ
اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ
قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ
فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى
حِمَارِكَ وَلِنَجْمَعَنَّكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى
الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِئُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا
تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾

[٢٦٠] ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَرَأَيْتَ إِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنَّ لِيْطْعِمَن قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦١﴾ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَكْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٢﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٣﴾ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٤﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَمْوَالٌ لَّا يُبْطَلُونَ صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابُهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦٥﴾

[٢٦١] ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ

حبة الحنطة﴾ أنبتت سبع سنابل التي عليها الحب ﴿في كل سنبله مائة حبة والله يضاعف﴾ على السبعائة ﴿لمن يشاء والله واسع﴾ فيقدر أن يعطي جزاء الإنفاق سبعائة ضعف وأكثر ﴿عليهم﴾ .

[٢٦٢] ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُونَ﴾ لا يعقبون ﴿مَا أَنْفَقُوا مَنًّا﴾ أي منة على الآخذ ﴿وَلَا أَذًى﴾ له ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ خوفاً وحزناً كخوف وحزن الكفار والعصاة .

[٢٦٣] ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ رد جميل لطالب الصدقة ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ ستر على السائل بعدم فضحه ﴿خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى﴾ والله غني ﴿عن صدقاتكم﴾ حليم ﴿لا يعاجل بالعقوبة لمن عصاه﴾ .

[٢٦٤] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَمْوَالٌ لَّا يُبْطَلُونَ﴾ ثواب ﴿صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ﴾ لأجل الرياء فإن المراني والذي يمن في صدقته تبطل صدقاتهما ﴿وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ﴾ أي مثل المراني والذي يمن في صدقته ﴿كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾ حجر أملس ﴿عليه تراب فأصابه وابل﴾ مطر عظيم ﴿فَتَرَكَهُ صَلْدًا﴾ نقياً من التراب ﴿لَا يَقْدِرُونَ﴾ المراؤون والمنانون ﴿عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا﴾ من الخيرات ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ فيه إشارة إلى أن المرأة والمن والأذى من صفات الكفار، وأصل المثل أن زارعا هياً تراباً فوق صخرة ليزرع فيه فأصابه المطر فأذهب بالتراب وأفسد زرع .

[٢٦٥] ﴿وَمِثْلَ الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ﴾ أي طلباً لرضاء سبحانه ﴿وَتَثْبِيئاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ توطيئاً للنفس على الخير باعثاً ذلك التوطين من النفس أيضاً ﴿كَمِثْلِ جَنَّةٍ بَسْتَانٍ﴾ بستان ﴿بَرْبُورَةٍ﴾ موضع مرتفع من الأرض، فإن أنفسهم الرفيعة شبيهة ببرورة، كما أن نفس المرآني التي لا خير فيها شبيهة بحجر ﴿أَصَابِهَا وَأَبِلَ﴾ مطر عظيم ﴿فَأَتَتْ﴾ أعطت ﴿أَكْلَهَا﴾ ثمرها ﴿ضَعْفَيْنِ﴾ مثلين بسبب ذلك الوابل ﴿فَإِنْ لَمْ يَصْبِهَا وَأَبِلَ فَطُلَّ﴾ أي يصيبها مطر صغير القطر، وذلك كاف في إثمارها، وهذا كناية عن إن الإنفاق القليل في النفس المرتفعة خير من الإنفاق الكثير في النفس الحجرية ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

[٢٦٦] ﴿أَبُودَ﴾ أي هل يحب ﴿أَحَدَكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ﴾ بستان ﴿مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا﴾ تحت أشجارها ﴿الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا﴾ في تلك الجنة ﴿مِنْ كُلِ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ﴾ أي والحال أنه صار شيخاً كبيراً ﴿وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ﴾ فهو في كمال الحاجة إلى تلك الجنة، لنفسه ولذريته غير القادرين على الكسب ﴿فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ﴾ ريح مستديرة ﴿فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ﴾ الجنة لما أصابها من الإعصار، فإن الإنسان الذي ينفق ثم يراني أو يمن، يحرق ثمار إنفاقه، فلا يجد ثمره في يوم القيامة والحال أنه يحتاج إليه كاحتياج ذلك الشيخ الذي له ذرية ضعفاء.

﴿كَذَلِكَ يَبِينُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ فتعتبرون.

[٢٦٧] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ﴾ هي الحلال الذي ترغب النفس فيه ﴿مَا كَسَبْتُمْ﴾ كالنقد ﴿وَمِمَّا﴾ أي من طيبات ما ﴿أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ كالثمار ﴿وَلَا تَيْمَمُوا﴾ أي لا تقصدوا إنفاق ﴿الْخَبِيثِ﴾ الحرام والذي تكرهه النفس ﴿مِنْهُ﴾ أي مما كسبتم ومما أخرجنا ﴿تَنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِأَخَذِيهِ﴾ والحال أنتم لا تأخذونه لرداءته ﴿إِلَّا أَنْ تَغْمِضُوا فِيهِ﴾ بأن تسامحوا، وكنت ذلك بغمض العين، كأن الذي يأخذه أغمض عينه حتى لا يرى ردائه فأخذه ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌ غَنِيٌ حَمِيدٌ﴾ محمود في قبوله الصدقة، وإلا فإنه ليس محتاجاً إليها.

[٢٦٨] ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾ فينهاكم عن الإنفاق بزعم أنكم إن أنفقتم تفتقروا ﴿وَيَأْمُرُكُمُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ أي المعصية المجاوزة للحد ﴿وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَغْفِرَةً مِنْهُ﴾ إن أنفقتم ﴿وَفَضْلاً﴾ بأن يفضل عليكم بالبدل علاوة على الغفران ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

[٢٦٩] ﴿يُؤْتِي﴾ يعطي الله ﴿الْحِكْمَةَ﴾ وهي علم الشرائع ومعرفة وضع الأشياء موضعها، ولعل الإتيان بهذه الآية هنا لإفادة أن فهم لزوم كون الصدقة بدون رياء ومن وأذى، وأنها توجب البدل، من الحكمة التي لا يؤتاها إلا أهلها ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ ممن استعد لقبولها ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ﴾ يعطاها ﴿فَقَدْ أَوْتِيَ خَيْراً كَثِيراً﴾ لأن الخير في اتباع الشرع ﴿وَمَا يَذْكُرُ﴾ ما يتعظ بما تقدم ﴿إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ أصحاب العقول.

وَمِثْلَ الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ
وَتَثْبِيئاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمِثْلِ جَنَّةٍ بَرْبُورَةٍ
أَصَابَهَا وَأَبِلَ فَتَأْتَتْ أَكْلَهَا ضَعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ
يَصْبِهَا وَأَبِلَ فَطُلَّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ
لَمْ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ
الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ
فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ
لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا
أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيْمَمُوا الْخَبِيثَ
مِنْهُ تَنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِأَخَذِيهِ يَخْذِيهِ
إِلَّا أَنْ تَغْمِضُوا فِيهِ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌ
غَنِيٌ حَمِيدٌ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ
بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً
وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ
وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أَوْتِيَ خَيْراً كَثِيراً
وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ

[٢٧٠] ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كُنْزُ الصَّلَاةِ وَالصَّيَامِ﴾ فإن الله يعلمه ﴿فيجازيكم عليه﴾ وما للظالمين الذين يظلمون أنفسهم بعدم الوفاء بالنذر، والمن في الصدقة ﴿من أنصار﴾ ينصرهم من بأس الله. [٢٧١] ﴿إِنْ تَبَدَّلُوا الصَّدَقَاتِ﴾ تظهروها وتعطوها علانية ﴿فَنَعْمَا هِيَ﴾ فنعمة شيئاً هي، أي الصدقة الظاهرة ﴿وإن تخفوها﴾ الصدقة ﴿وتؤتوها﴾ تعطوها ﴿الفُقَرَاءَ﴾ الإخفاء ﴿خير لكم ويكفر﴾ أي يمحي الله بواسطة الصدقة ﴿عنكم من سيئاتكم﴾ أي معاصيكم ﴿والله بما تعملون خبير﴾.

[٢٧٢] ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ﴾ يا رسول الله ﴿هداهم﴾ فإن لم يهتدوا لست مسؤولاً عنهم ﴿ولكن الله يهدي من يشاء﴾ باللطف بالنسبة إليه، فإن من طابت نفسه تنفذ الهداية في قلبه، فإذا لم يهتدوا بما أمروا من التصديق بدون من وأذى فليس تبعة ذلك عليك ﴿وما تنفقوا من خير فلأنفسكم﴾ لأن فائدة الصدقة تعود إليكم ﴿وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله﴾ أي ذاته، أي ليست النفقة نفقة إلا ما إذا كانت لأجل الله تعالى ﴿وما تنفقوا من خير يوف إليكم﴾ أي يرجع إليكم ثوابه ﴿وأنتم لا تظلمون﴾ فلا ينقص ثواب النفقة عن أصل النفقة بل يزداد عليها.

[٢٧٣] والإنفاق الكامل إنما هو ﴿للفقراء الذين أحصروا﴾ ضيق عليهم سواء في الجهاد أو غيره ﴿في سبيل الله لا يستطيعون ضرباً﴾ أي ذهاباً ﴿في الأرض﴾ فإن الفقير لا يستطيع السفر ولذا سمي مسكيناً لأن الفقر أسكنه ﴿يحسبهم الجاهل﴾ بحالهم وفقيرهم ﴿أغنياء من التعفف﴾ أي من جهة امتناعهم عن المسألة، وعفتهم ﴿تعرفهم﴾ أي تعرف كونهم فقراء ﴿بسيمهم﴾ أي بمظهرهم لثرائه حالهم ﴿لا يسألون الناس إلحافاً﴾ أي إلحاحاً، كما هو شأن بعض الفقراء الملحين في السؤال ﴿وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم﴾.

[٢٧٤] ﴿الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرّاً وعلانية﴾ أمام الناس، سواء بالليل أو بالنهار ﴿فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ نزلت في علي عليه السلام حيث أنفق في الحالات الأربعة.

وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهَا وَاللَّهُ لَظَلِيلٌ مِّنْ أَنْصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِنْ تَبَدَّلُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا يُنْفِسْكُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا يُبْذَرْ فَاتَّبِعُوا أَمْرَ اللَّهِ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ الْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢٧٢﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْإِيلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٣﴾

﴿٢٧٤﴾

[٢٧٥] ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا﴾ في مقابل الصدقة، فهي إعطاء المال والربا أخذ المال ﴿لَا يَقُومُونَ﴾ شبه قيامهم بالأموال في حال امتلاء بطنهم من الربا وامتلاء فكرهم بأموال الناس، بالمجنون الذي فيه دوار فإذا قام سقط على الأرض كالمصروع ﴿إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ﴾ أي يؤذيه خبْطاً بعقله ﴿الشَّيْطَانُ﴾ فإن قسماً من الصرع إنما يكون بالأرواح الشريرة ﴿مَنْ الْمَسِّ﴾ أي مس الجنون ﴿ذَلِكَ﴾ الأكل للربا منهم ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ بسبب أنهم ﴿قَالُوا﴾ إنما البيع مثل الربا ﴿فَكَمَا يَجُوزُ الْبَيْعُ يَجُوزُ الرِّبَا﴾ و﴿وَلَيْسَ كَذَلِكَ إِذْ﴾ أحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه ﴿بَعْدَ أَكْلِ الرِّبَا﴾ فانتهى ﴿مَنْ أَكَلَ الرِّبَا﴾ ﴿فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾ من الربا، ولا يُرد منه لأن ما قبل النهي لم يكن نهياً حتى يحرم ﴿وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ فإن الله يحاسبه وهذا إشارة إلى أن توبته لا توجب انقطاع أمره، بل إلى الله ينتهي كل محسن ومسيء ﴿وَمَنْ عَادَ﴾ إلى أكل الربا ﴿فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ ملازمون لها ﴿وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ لا يخفى أن الخلود طبعي^(١) وإن نالته الشفاعة بسبب إسلامه أو ما أشبه.

[٢٧٦] ﴿يَمْحَقُ﴾ أي ينقص ويبطل ﴿اللَّهُ الرِّبَا﴾ فإن الربا يوجب ذهاب مال المعطي بإعطائه، والآخذ لأن المترفع يسرف في أمواله، وآخذوا الربا عادة يكونون مترفين، مع الغش عن السبب الواقعي في ذلك ﴿وِيرِي الصَّدَقَاتِ﴾ أي يزيد، أما الآخذ فإنه يأتيه المال، وأما المعطي فإن من اعتاد إعطاء الصدقة يكون تفكره في الاسترباح وحفظ المال وملكة الاستئمان أكثر، بالإضافة إلى السبب الواقعي ﴿وَاللَّهُ لَا يَحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ﴾ مقيم على الكفر، والمراد في هذه الآيات الكفر العملي، أي العصيان العمدي، لا الكفر العقيدي ﴿أَنَّهُمْ﴾ عاص.

[٢٧٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ الخوف والحزن الذين يصيبان الكفار والعصاة.

[٢٧٨] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ خافوه في أمر الربا ﴿وَذَرُوا﴾ اتركوا ﴿مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا﴾ البقايا التي اشترطتم على الناس، فلا تأخذوها بعد النهي ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ إيماناً صادقاً.

[٢٧٩] ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾ بأن تريدوا أخذ بقايا الربا ﴿فَأَذْنُوا﴾ أي أعلنوا ﴿بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ أي من جهة الله ورسوله، كما تقول الجيش حارب من جهة الجنوب أو الشمال ﴿وَأِنْ تَبَتُّمْ﴾ من استحلال الربا ﴿فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ﴾ دون الزيادة فإنها لأربابها ﴿لَا تَظْلِمُونَ﴾ بأخذ أموال الناس ﴿وَلَا تَظْلَمُونَ﴾ فلا يقال لكم إن راس مالكم صار حراماً بسبب اختلاطه بالربا.

[٢٨٠] ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ﴾ أي إن كان المعسر غريباً ومديوناً لكم ﴿فَنَظْرَةٌ﴾ أي فانتظروا في مطالبته ﴿إِلَىٰ مِيسْرَةٍ﴾ إلى حالة يسره ﴿وَأَنْ تَصَدَّقُوا﴾ بأن تصدقوا على المعسر بما عليه من الدين ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ الخير من الشر.

[٢٨١] ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ إلى حسابه وجزائه ﴿ثُمَّ تُوفَىٰ﴾ تعطى ﴿كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ﴾ من خير أو شر ﴿وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ﴾ لا ينقص من ثوابهم ولا يزداد في عقابهم.

(١) أي ما يقتضيه طبع الربا، فلا يكون علة تامة.

[٢٨٢] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ دَابِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا ﴿بَدِينِ إِلَى أَجَلٍ﴾ وَقْتُ ﴿مَسْمَى﴾ قَدْ سَمِيَ ﴿فَاكْتُبُوهُ وَلِيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾ لَا يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ فِي الدِّينِ أَوْ فِي الْأَجَلِ ﴿وَلَا يَأْبُ﴾ لَا يَمْتَنِعُ ﴿كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ﴾ سَنَدُ الدِّينِ ﴿كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ بِهِ بَلَا زِيَادَةَ أَوْ نَقْصَانٍ ﴿فَلِيَكْتُبَ وَلِيَمْلُلَ﴾ أَيِ يَمْلِي وَيَقْرُرُ مَقْدَارَ الدِّينِ وَأَجَلَهُ ﴿الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾ وَهُوَ الْمَدْيُونُ ﴿وَلِيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾ الْمَدْيُونُ، فَلَا يَكْذِبُ، مَثَلًا يَكُونُ الْأَجَلُ أَوَّلَ شَهْرِ رَمَضَانَ فَيَقُولُ أَوَّلُ شَوَالٍ ﴿وَلَا يَبْخَسُ﴾ أَيِ لَا يَنْقُصُ الْكَاتِبُ ﴿مِنْهُ﴾ أَيِ مِنَ الدِّينِ ﴿شَيْئًا﴾ كَانَ يَكْتُبُ تَسْعَمَانَةَ عَوْضِ أَلْفٍ مَثَلًا ﴿فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾ أَيِ الْمَدْيُونُ ﴿سَفِيهًا﴾ لَا يَعْرِفُ الْإِمْلَاءَ عَلَى الْكَاتِبِ، لَضَعْفِ عَقْلِهِ ﴿أَوْ ضَعِيفًا﴾ لِمَرْضٍ أَوْ نَسْيَانٍ أَوْ مَا أَشْبَهَ ﴿أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَمْلُ هُوَ﴾ لِأَنَّهُ مَشْغُولٌ أَوْ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ ﴿فَلِيَمْلُلْ وَلِيَهُ﴾ الْقَائِمُ مَقَامَهُ وَلَوْ كَانَ حَاكِمُ الشَّرْعِ ﴿بِالْعَدْلِ﴾ لَا يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ ﴿وَاسْتَشْهِدُوا﴾ أَيِ اطْلُبُوا ﴿شُهَدَاءَ﴾ بِمَضِيَانِ الْكِتَابَةِ وَشُهَدَاءَ عَلَيْهَا ﴿مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ الْمُسْلِمِينَ ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ﴾ لِحُجَّةِ كِلَاهُمَا لِأَنَّهُمَا مَوْثِقَانِ ﴿مِنْ الشُّهَدَاءِ﴾ جَمَعَ شَاهِدٍ ﴿أَنْ تَضِلَّ﴾ أَيِ إِنَّمَا اعْتَبَرَ التَّعَدُّدُ فِي الْمَرْأَةِ لِأَجْلِ أَنَّهُ إِنْ ضَلَّتْ وَنَسِيَتْ ﴿إِحْدَاهُمَا﴾

يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بَدِينِ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاتَّكْتُبُوهُ وَلِيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبًا بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبُ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلِيَمْلُلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلِيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسُ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَمْلُ هُوَ فَلْيَمْلُ وَلِيَهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبُ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْمَعُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾

المتذكرة ﴿فتذكر إحداهما الأخرى﴾ الناسية ﴿ولا ياب﴾ لا يمتنع ﴿الشهداء﴾ الشهود ﴿إذا ما دعوا﴾ لأجل تحمل الشهادة، أو لأجل أدائها ﴿ولا تسموا﴾ أي لا تضجروا أيها المتدانيون ﴿أن تكتبوه﴾ أي الدين ﴿صغيراً﴾ كان الدين كبيراً ﴿ليبقى الكتاب حجة﴾ إلى أجله ﴿أي وقت انتهاء مدة الدين﴾ ذلكم ﴿الكتاب﴾ أفسط ﴿أي أقرب إلى القسط والعدل﴾ عند الله ﴿أي عندما حكم به﴾ أي انه حكم الله ﴿واقوم﴾ أي أثبت ﴿لِلشَّهَادَةِ﴾ فَإِنَّ الشَّهَادَةَ بِدُونِ الْكِتَابَةِ ضَعِيفَةٌ وَأَدْنَى ﴿أي أقرب﴾ أَلَّا تَرْتَابُوا ﴿أي في عدم دينكم وشككم في المقدار والمدة﴾ إِلَّا استثناء عن الأمر بالكتابة ﴿أن تكون﴾ المعاملة ﴿تجارة حاضرة تدبرونها بينكم﴾ ولا يكون دين في البين ﴿فليس عليكم جناح ألا تكتبوها﴾ أي التجارة الحاضرة ﴿واشهدوا﴾ خذوا شهوداً ﴿إذا تبايعتم﴾ معاملة حاضرة، لثلا يقع النزاع بعد ذلك في القدر والتسليم وما أشبهه، والمنساق من الآية إن الأمر بالإشهاد إنما هو في الأمور الجليلة ﴿ولا يضار﴾ بأن يعنف أو يكلف بشيء كأجور الطريق وثمان القرطاس مثلاً ﴿كاتب ولا شهيد وإن تفعلوا﴾ ضرر الكاتب والشهيد ﴿فإنه فسوق بكم﴾ أي خروج عن أمر الله تعالى ﴿واتقوا الله ويعلمكم الله﴾ أحكام دينكم ومصالح دنياكم ﴿والله بكل شيء عليم﴾.

[٢٨٣] ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهْنَ مَقْبُوضَهُ﴾ الدين ﴿فرهان مقبوضة﴾ يقوم مقام الكتابة بأن يعطي المديون للدائن رهناً، والتأنيث باعتبار تقدير (عين) ﴿فإن أمن بعضكم بعضاً﴾ فلم يأخذ منه رهناً ﴿فليؤد﴾ أي يعطي ﴿الذي أؤتمن﴾ وهو المديون، لأن الدائن ائتمن عليه فلم يأخذ منه رهناً ﴿أمانته﴾ أي دينه ﴿وليتق الله ربه﴾ في الأداء كاملاً ﴿ولا تكتُموا﴾ أي لا تخفوا أيها الشهود ﴿الشهادة﴾ ومن يكتُمها فإنه آثم قلبه ﴿إنما نسب الإثم إلى القلب، لأنه محل الكتمان﴾ والله بما تعملون عليم.

[٢٨٤] ﴿لله ما في السماوات وما في الأرض وإن تبدوا﴾ تظهروا ﴿ما في أنفسكم﴾ أو تخفوه يحاسبكم ﴿يجازيكم﴾ به الله فيغفر لمن يشاء ﴿وليست مشيئته تعالى اعتبارية بل حسب الحكمة والصلاح﴾ ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير ﴿من المحاسبة والعذاب والغفران﴾.

[٢٨٥] ﴿أمن الرسول﴾ محمد ﷺ ﴿بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله﴾ يقولون: ﴿لا نفرق بين أحد من رسله﴾ كما فعلت اليهود والنصارى والمجوس وغيرهم حيث آمنوا بكتاب دون كتاب أو رسول دون رسول ﴿وقالوا﴾ أي المؤمنون ﴿سمعنا وأطعنا غفرانك﴾ نطلب غفرانك يا ربنا وإليك المصير ﴿فإننا نرجع إلى ثوابك وعقابك﴾.

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهْنَ مَقْبُوضَهُ﴾ فَإِنْ آمَنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمْنَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ ءَآثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٤﴾ اللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٥﴾ ءَآمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَآمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نَفَرَقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٦﴾ لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن سَبِّحْنَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٧﴾

[٢٨٦] ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾ أي بقدر يتمكن منه بلا حرج ﴿لها ما كسبت﴾ من الثواب ﴿وعليها ما اكتسبت﴾ من الأعمال السيئة، يا ﴿ربنا لا تؤاخذنا﴾ لأجل أن تعاقبنا ﴿إن نسينا أو أخطأنا﴾ فيما كان النسيان والخطأ بمقدمات اختيارية ﴿ربنا ولا تحمل علينا إصراً﴾ أي تكليفاً شاقاً ﴿كما حملته على الذين من قبلنا﴾ لأنهم كانوا أقدر على تحمل المشاق، أو لأنهم عصوا فعوقبوا بالتكاليف الشاقة ﴿ربنا ولا تحمّلنا ما لا طاقة﴾ قدرة ﴿لنا به﴾ أي بذاك التكليف، طاقة عرقية، كما يقال: لا طاقة لي بمقابلة زيد، يريد التكليف الشاق الذي هو فوق الإصر مشقة، وإلا فالله سبحانه لا يكلف بما لا قدرة للعبد إطلاقاً ﴿واعف عنا﴾ فلا تعذبنا ﴿واغفر لنا﴾ استر علينا فلا تفضحنا ﴿وارحمننا﴾ بإعطاء النعمة والفضل ﴿أنت مولانا﴾ سيدنا ﴿فانصرنا على القوم الكافرين﴾.

٣: سورة آل عمران

مدنية وآياتها مائتان

بسم الله الرحمن الرحيم

- [١] ﴿الم﴾ رمز بين الله ورسوله ﷺ .
 [٢] ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾ القائم بالأمور .
 [٣] ﴿نزل عليك﴾ يا رسول الله ﴿الكتاب﴾ القرآن ﴿بالحق﴾ تنزيلاً بالحق ﴿مصدقاً لما بين يديه﴾ ما تقدمه من التوراة والإنجيل وسائر الكتب السماوية ﴿وأنزل التوراة والإنجيل﴾ .
 [٤] ﴿من قبل﴾ أي قبل القرآن ﴿هدى﴾ في حال كون التوراة والإنجيل هداية ﴿لنناس وأنزل الفرقان﴾ القرآن، كرر تأكيداً، أو المراد كل ما يفرق بين الحق والباطل ﴿إن الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام﴾ ينتقم من الكفار .
 [٥] ﴿إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء﴾ فهو يعلم كفركم وإيمانكم .
 [٦] ﴿هو الذي يصوركم﴾ يعطيكم الصورة ﴿في الأرحام﴾ أرحام النساء ﴿كيف يشاء﴾ ذكراً أو أنثى، جميلاً أو قبيحاً... ﴿لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾ يفعل حسب الحكمة والصلاح .

- [٧] ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه﴾ أي من الكتاب ﴿آيات محكمات﴾ ظاهرة الدلالة ﴿هن﴾ تلك الآيات المحكمات ﴿أم الكتاب﴾ أصل الكتاب أي المرجع للناس، كما أن الأم مرجع للطفل ﴿و﴾ منه آيات ﴿آخر متشابهات﴾ يشبه المراد منها لكونها مجملة، وهذا طبيعي أن يقع التشابه في كلام بليغ ﴿فأما الذين في قلوبهم زيغ﴾ أي ميل إلى الباطل ﴿فيتبعون ما تشابه منه﴾ أي يتعلقون بالمتشابه لقصد الميل عن الحق أو لانحراف في نفوسهم، مثلاً المؤمن يتبع (لن تراني) والزناغ يتبع (إلى ربها ناظرة) وإنما يتبع المتشابه لأجل ﴿ابتغاء﴾ وطلب ﴿الفتنة﴾ والإضلال ﴿وابتغاء تأويله﴾ بما يوافق رأيه ﴿وما يعلم تأويله﴾ أي تأويل المتشابه ﴿إلا الله والراسخون في العلم﴾ الذين هم ثابتو القدم لكثرة علمهم ﴿يقولون آمنا به﴾ أي بالمتشابه على ما يريده الله سبحانه ﴿كل﴾ من المتشابه والمحكم ﴿من عند ربنا وما يذكر﴾ بعدم التسرع إلى تفسير المتشابه ﴿إلا أولوا الألباب﴾ أصحاب العقول .
 [٨] يقول الراسخون ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا﴾ أي لا تحرفها عن الحق، وإنما يدعون هكذا لأن الله سبحانه إذا أوكّل العبد إلى نفسه ولم يلطف به مال عن الحق ﴿بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة﴾ أي ارحمنا ﴿إنك أنت الوهاب﴾ معطي الهبات الكثيرة .
 [٩] ويقولون ﴿ربنا إنك جامع الناس ليوم﴾ أي في يوم ﴿لا ريب فيه﴾ لا شك في مجيء ذلك اليوم وهو يوم القيامة ﴿إن الله لا يخلف الميعاد﴾ أي الوعد، فحيث إنه وعد لجميع الناس، لا بد وأن يجمعهم كما قال .

سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۝ زُلْ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزِلُ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ۝ مِنْ قَبْلِ هَٰذَا هَدَىٰ لِلنَّاسِ وَأَنْزِلُ الْفُرْقَانَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۝ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ۝ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ۝ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ۝ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ ۝ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۝ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۝ وَمَا يَسْلُمُ تَأْوِيلُهُ إِلَّا اللَّهُ ۝ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ۝ آمَنَّا بِهِ ۝ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ۝ وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أَهْلَ الْأَنْبِيَاءِ ۝ رَبَّنَا لَا تَزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً ۝ إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ۝ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ ۝ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ۝

[١٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تَغْنِي﴾ أي لن تفيد لدفع العذاب ﴿عَنَّهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً﴾ أي ولو مقداراً قليلاً فما يريد الله بهم من العقاب لا يد وإن ينفذ في حقهم ﴿وَأُولَئِكَ هُم وَقُودُ﴾ ما تشعل به ﴿النَّارِ﴾ أي نار جهنم.

[١١] ﴿كَذَّابٌ﴾ أي عادة هؤلاء الكفار في تكذيب الرسول ﷺ كعادة ﴿أَلْ فِرْعَوْنَ﴾ والمراد به أتباعه ﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من سائر الكفار ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾ أي بسبب معاصيهم ﴿وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

[١٢] ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَهْلُوبُونَ﴾ يغلبكم الله في الدنيا والآخرة ﴿وَتَحْشَرُونَ﴾ أي تجمعون ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَيَسُورُ الْمِهَادِ﴾ أي إن جهنم مكان سحر.

[١٣] ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ﴾ أيها الناس ﴿آيَةٌ﴾ علامة تدل على نصرة الله للمؤمنين ﴿فِي فِتْنَتَيْنِ﴾ جماعتين: المسلمين والكفار ﴿التَّقَاتِ﴾ اجتمعتا في (بدر) ﴿فِتْنَةٌ تَقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ﴾ هم مشركو مكة ﴿يُورِنَهُمْ﴾ أي المسلمون يرون الكفار ﴿مُثْلِهِمْ﴾ ضعفاً لهم، فلا يهتمون بشأنهم، لأنهم لم يكونوا في نظر المسلمين كثيرين جداً حتى يخافوا منهم وينسحبوا عن قتالهم، وفي الآية احتمالات آخر ﴿وَأَيُّ الْعَيْنِ﴾ لا رؤية القلب، فانهم كانوا يعلمون أن الكفار ثلاثة أضعافهم ﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ﴾ يقوي ويساعد ﴿بِنَصْرِهِ مِنْ شَاءَ﴾ من المؤمنين إذا وفوا بشروط الله ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ﴾ نصرة المسلمين على الكافرين ﴿لَعِبْرَةٌ﴾ وجه اعتبار وتفهم لحقيقة نصرة الله للمؤمنين القليلين على الكفار الكثيرين ﴿لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ من له عين يرى بها آيات الله.

[١٤] ﴿زَيْنٌ﴾ أي زين الله حب الشهوات بقدر، لأجل المصالح، وزين الشيطان المحرم من ذلك ﴿لِلنَّاسِ حُبَّ الشَّهَوَاتِ﴾ المشتهايات ﴿مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ﴾ الأولاد ﴿وَالْقَنَاطِيرِ﴾ جمع قنطار بمعنى المال الكثير ﴿الْمُقَنْطَرَةِ﴾ تأكيد، مثل ليل آليل، أي الأموال المكدسة المجموعة ﴿مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ﴾ الأفراس ﴿المُسَوَّمَةِ﴾ أي المعلمة علامة الجودة والحسن ﴿وَالْأَنْعَامِ﴾ جمع نعم كالإبل والبقر والغنم ﴿وَالْحَرْثِ﴾ الزرع ﴿ذَلِكَ﴾ الذي ذكر من الأموال ﴿مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي ما يتمتع ويتنفع بها الإنسان في دنياه فلا ينبغي أن يصرف كل همه فيها ناسياً آخرته ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنُ الْمَآبِ﴾ أي المرجع، فاللزام أن يحصل الإنسان على المحل الحسن الذي عند الله في الآخرة.

[١٥] ﴿قُلْ﴾ يا رسول الله ﴿أَوْثِقْكُمْ﴾ أخبركم ﴿بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ﴾ أي الذي ذكر من المشتهايات، ويكون ذلك الخير ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ المحرمات، وذلك الخير ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ في الآخرة ﴿جَنَاتٍ﴾ بساتين ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا﴾ تحت أشجارها ﴿الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ عن الدماء والقذارات والردائل ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ﴾ فإن الإنسان إذا عرف أن الله رضي عنه كان في غاية السرور ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ يعلم أفعالهم ويجازيهم عليه.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَأُولَئِكَ هُم وَقُودُ النَّارِ ﴿١٠﴾ كَذَّابٌ أَلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١١﴾ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَهْلُوبُونَ وَتَحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَيَسُورُ الْمِهَادِ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِتْنَتَيْنِ التَّقَاتِ فِتْنَةٌ تَقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ فِي جَحَنَّمَ وَتِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ وَلِلَّهِ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٣﴾ زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَ حُسْنِ الْمَآبِ ﴿١٤﴾ قُلْ أَوْثِقْكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾

[١٦] الذين اتقوا هم ﴿الذين يقولون ربنا إنا آمنة فأغفر لنا ذنوبنا وقنا﴾ احفظنا من ﴿عذاب النار﴾.

[١٧] ﴿الصَّابِرِينَ﴾ وصف للذين اتقوا ﴿وَالصَّادِقِينَ﴾ والقانتين، أي الخاضعين لله ﴿وَالْمُتَّقِينَ﴾ والمستغفرين بالأسحار، فإن الاستغفار في هذا الوقت أقرب إلى الغفران.

[١٨] ﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾ شهادته أي خلقه الخلق الدال على وحدته، ويمكن أن تكون هناك شهادة لفظية ﴿أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ شهدت ﴿الملائكة وأولو العلم﴾ أصحاب العلم أيضاً شهدوا بالوحدانية ﴿قائماً﴾ أي في حال كون الله قائماً ﴿بالقسط﴾ أي بالعدالة، فهو عادل في خلقه وفي تشريعه ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ .

[١٩] ﴿إِنَّ الدِّينَ﴾ الطريقة الصحيحة في الحياة ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ الإسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب ﴿الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى﴾ إلا من بعد ما جاءهم العلم ﴿بِأَن عِلْمُوا بِالطَّرِيقَةِ﴾ الصحيحة لكنهم أعرضوا عنها ﴿بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ أي حسداً منهم وطلباً للرئاسة ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ بأن لم يتبع الآيات بل اتبع هواه ﴿فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ فإن كل آت قريب .

[٢٠] ﴿فَإِنْ حَاجُوكَ﴾ أي خاصموك وجادلوا معك، والمراد جدال أهل الكتاب ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾ أي

أخلصت ديني أو نفسي لله ، فإن الوجه كناية عن الذات أو ما يتعلق بها ﴿و﴾ أسلمت وجهي لـ ﴿من اتبعن﴾ من المؤمنين فإن المسلم خاضع للمسلم بأمر ربه ﴿وقل للذين أتوا الكتاب﴾ اليهود والنصارى الذين أعطاهم الله الكتاب ﴿والأمة﴾ أي وقل للمشركين الذين لا كتاب لهم ﴿ء أسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا﴾ أعرضوا عن الإسلام ﴿فإنما عليك﴾ يا رسول الله ﴿البلاغ﴾ أن تبلغ الناس الإسلام ، لا أن تجبرهم على الدين ﴿والله بصير بالعباد﴾ .

[٢١] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ أي يجحدون كون الآيات له تعالى ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿مِّنَ النَّاسِ﴾ بيان (الذين) ﴿فَبُشِّرْهُمْ﴾ استهزاء بهم، لأن البشارة في الخير لا في الشر ﴿بِعَذَابِ اللَّهِ﴾.

[٢٢] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ ﴿أَعْمَالُهُمْ﴾ الْحَسَنَةُ ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ بِعَدَمِ تَعَمُّهِمْ بِمَا يَتَنَعَّمُ بِهِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿وَالْآخِرَةُ﴾ بِعَدَمِ الثَّوَابِ لَهُمْ ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ يَدْفَعُونَ الْعَذَابَ عَنْهُمْ.

الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا آتِنَا مِمَّا فَاعْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا
عَذَابَ النَّارِ ﴿٦٧﴾ الْمَكِيدِينَ وَالْمُضِلِّينَ وَالْمُفْسِدِينَ وَالْمُسْتَفْزِعِينَ يَا أَيُّهَا السَّحَابُ ﴿٦٨﴾ شَهَدُ
أَنَّهُ أَتَى لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَابِئًا بِالْقَسِطِ
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ
اللَّهِ أَسْلَمُوا وَمَا أَخْتَلَفَ الَّذِينَ أَلْتَمَسُوا أَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ
بَدَلُ مَا جَاءَهُمْ أَلَمْ يَعْلَمُوا بِمَا فِي نُفُسِهِمْ وَمَنْ يَكْفُرْ يَأْتِ
اللَّهُ قَاتِلًا أَلَّا يَكُونَ اللَّهُ سَرِيعَ الْحِسَابِ ﴿٧٠﴾ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسَلْتُ
وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ
أَسَلْتُكُمْ فَإِنْ أَتَسْلَمُوا فَقَدِ اسْتَمْسَكُوا ذُرِّيَّتَهُمْ فَلَا إِلَى كُنْ
عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَاللَّهُ بِبَصِيرٍ بِالْإِعْبَادِ ﴿٧١﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ
يَأْتِيَتِ اللَّهُ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ
الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم
بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ ﴿٧٣﴾



﴿أَخْلَصْتُ دِينِي أَوْ نَفْسِي لِلَّهِ، فَإِنَّ الْوَجْهَ كِتَابَةٌ عَنِ الذَّاتِ أَوْ مَا يَتَوَلَّى﴾
 ﴿فَإِنَّ الْمُسْلِمَ خَاضِعٌ لِلْمُسْلِمِ بِأَمْرِ رَبِّهِ﴾ ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ بَيْنِ أَصْحَابِنَا أَنْ يَكُونُوا صِدْقًا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾
 ﴿يَا رَسُولَ اللَّهِ﴾ ﴿الْبَلَاغُ﴾ أَنْ تَبْلُغَ النَّاسَ الْإِسْلَامَ، لَا أَنْ تَكُونَ الْإِسْلَامَ. [٢١] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ ﴿أَيَّ يَجْحَدُونَ كُونَ الْآيَاتِ﴾
 ﴿يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ﴾ بِالْعَدْلِ ﴿مِنَ النَّاسِ﴾ بَيَانُ (الَّذِينَ) ﴿فَيُشْرِكُوا بِهِمُ﴾
 ﴿الْبَلَاغُ﴾. [٢٢] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ﴾ ﴿بَطُلَتْ﴾ ﴿أَعْمَالُهُمْ﴾ الْحَسَنَةُ ﴿فَأُولَئِكَ﴾
 ﴿يُجْزَوْنَ الْعَذَابَ﴾ ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ يَدْفَعُونَ الْعَذَابَ عَنْهُمْ.

[٢٣] ﴿الْم تَرَىٰ﴾ يا رسول الله ﴿إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا﴾ أعطوا ﴿فَضِيلاً مِنَ الْكِتَابِ﴾ أي حظاً وقسماً منه، وهم اليهود ولم يعطوا الكتاب الكامل، لأن التوراة حُرِفَتْ منذ زمان قديم ﴿يَدْعُونَ﴾ والداعي لهم الرسول ﷺ ﴿إِلَى كِتَابِ اللَّهِ﴾ أي التوراة ﴿لِيُحْكَمَ بَيْنَهُمْ﴾ في صفات الرسول ﷺ فإن التوراة كانت ذكرت أوصاف الرسول ﷺ ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّى﴾ يعرض ﴿فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾ لا كلهم، إذ بعضهم آمنوا بمحمد ﷺ ﴿وَهُمْ مَعْرُضُونَ﴾ عن اتباع الحق.

[٢٤] ﴿ذَلِكَ﴾ التولي والإعراض ﴿بِ﴾ سبب تسهيلهم أمر العقاب على أنفسهم لـ ﴿أَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمْسَنَا النَّارُ﴾ أي لن نعذب ﴿إِلَّا أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ﴾ أربعين يوماً فقط ﴿وَعَرَّضْهُمْ﴾ خدعهم ﴿فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ أي هذا الافتراء وهو أن عذابهم أربعين يوماً فقط.

[٢٥] ﴿فَنَكِيفٌ﴾ حالهم ﴿إِذَا جُمِعْنَا لَهُمُ لَيُومٍ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ آت بلا شك وهو يوم القيامة ﴿وَوُفِّيَتْ﴾ أعطيت ﴿نَفْسٌ مَا كَسَبَتْ﴾ جزاء جميع أعماله ﴿وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ﴾.

[٢٦] ﴿قُلْ﴾ يا رسول الله: ﴿اللَّهُمَّ﴾ أي يا الله أنت ﴿مَالِكُ الْمَلِكِ تَوْتِي﴾ تعطي ﴿الْمَلِكُ مِنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ﴾ تأخذ ﴿الْمَلِكُ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتَعَزُّ مِنْ تَشَاءُ وَتَذَلُّ مِنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[٢٧] ﴿تَوَلَّجَ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ وَتَوَلَّجَ النَّهَارُ فِي اللَّيْلِ﴾ أي تدخل، لأن الليل يدخل في النهار حتى يذهب النهار، وكذلك العكس ﴿وَتَخْرُجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ يخرج من البيضة الميتة ﴿وَتَخْرُجُ الْمَيِّتُ مِنَ الْحَيِّ﴾ فان البيضة تخرج من الطائر الحي، إلى غيرها من الأمثلة ﴿وَتَرْزُقُ مِنْ تَشَاءُ بَغِيرِ حِسَابٍ﴾ أي رزقاً كثيراً.

[٢٨] ﴿لَا يَتَّخِذُ﴾ نهى عن موالاة الكفار ﴿الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ﴾ أصدقاء وسادة ﴿مَنْ دُونَ﴾ اتخاذ ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾ أولياء، أي يترك موالاة المؤمن ويتخذ الكافر ولياً ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ اتخاذ الكافر ولياً ﴿فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ يصح أن يسمى ولاية، أي ليس من أولياء الله والمربوطين به تعالى ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا﴾ تخافوا ﴿مِنْهُمْ﴾ أي من الكفار ﴿تَقَاةً﴾ خوفاً، فلا بأس باتخاذ الكفار أولياء تقية ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ فخافوا من الله ولا تخالفوا أوامره ﴿وَالِلَّهِ الْمَصِيرُ﴾ المرجع، فيجازيكم على أعمالكم.

[٢٩] ﴿قُلْ إِنْ تَخْشَوْنَ مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾ من موالاة الكافر وغيرها ﴿أَوْ تَبْذُرُوهُ﴾ تظهروه ﴿يَعْلَمَهُ اللَّهُ﴾ جزاء الشرط ﴿وَيَعْلَمُ﴾ الله ﴿مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَدْعُونَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيُحْكَمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمْسَنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جُمِعْتُمْ فِي يَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمَلِكِ تَوْتِي الْمَلِكُ مِنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكُ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتَعَزُّ مِنْ تَشَاءُ وَتَذَلُّ مِنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تَوَلَّجَ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ وَتَوَلَّجَ النَّهَارُ فِي اللَّيْلِ وَتَخْرُجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتَخْرُجُ الْمَيِّتُ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مِنْ تَشَاءُ بَغِيرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ إِنْ تَخْشَوْنَ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تَبْذُرُوهُ يَعْلَمَهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾

[٣٠] ويكون المصير إلى الله في ﴿يوم تجد كل نفس ما عملت﴾ أي جزاء أعمالها ﴿من خير محضراً﴾ أي حاضراً لديه قد أحضره الله تعالى ﴿وما عملت من سوء﴾ محضراً أيضاً ﴿تود﴾ أي تحب كل نفس ﴿لو أن بينها﴾ أي بين النفس ﴿وبينها﴾ أي بين ما عملت ﴿أمداً﴾ مسافة ﴿بعيداً﴾ بأن يتعد عن أعماله كل البعد ﴿ويحذركم الله نفسه﴾ بأن تخافوا منه ﴿والله رؤوف بالعباد﴾ غاية اللطف، فكيف تحرمون أنفسكم من رافته؟

[٣١] ﴿قل﴾ يا رسول الله لأهل الكتاب الذين يدعون محبة الله لهم ﴿إن كنتم تحبون الله فاتبعوني﴾ واسلموا حتى ﴿يحببكم الله﴾ أيضاً ﴿ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم﴾.

[٣٢] ﴿قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا﴾ أعرضوا ﴿فإن الله لا يحب الكافرين﴾ فيتلون بسخط الله تعالى.

[٣٣] ﴿إن الله اصطفى﴾ اختار للنبوّة والإمامة ﴿آدم ونوحاً وآل إبراهيم﴾ إسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف ﴿وآل عمران﴾ موسى وهارون ﴿على العالمين﴾.

[٣٤] ﴿ذرية﴾ أي في حال كون هؤلاء ﴿بعضها من نسل بعض﴾ فكلهم من شجرة واحدة ﴿والله سميع عليم﴾.

[٣٥] واذكر يا رسول الله ﴿إذ قالت امرأة عمران﴾ والدة

مريم الطاهرة، حين كانت حاملاً بمريم ﴿رب إنني بطني محرراً﴾ معتقاً لخدمة بيت المقدس، محرراً من أن يعمل للدنيا ﴿فتقبل مني﴾ النذر ﴿إنك أنت السميع العليم﴾.

[٣٦] ﴿فلما وضعتها﴾ جاءت بمريم إلى الدنيا ﴿قالت﴾ امرأة عمران، تحزناً وتأسفاً ﴿رب إنني وضعتها أنثى﴾ وهي لا تصلح لخدمة بيت المقدس الذي هو محل العباد من الرجال ﴿والله﴾ جملة مستأنفة ﴿أعلم بما وضعت﴾ امرأة عمران ﴿وليس الذكر كالأنثى﴾ إذ هو يصلح للخدمة هناك دونها ﴿وإنني سميتها مريم﴾ ومعناها في لغتهم العابدة ﴿وإنني أعيذها﴾ أجبرها ﴿بك﴾ يا رب ﴿وذريتها﴾ أي وأعيذ أولادها ﴿من الشيطان الرجيم﴾ أي لا يمسهم بسوء وكفر، والرجيم بمعنى المرجوم الذي رمي بالحصى أو باللعن.

[٣٧] ﴿فتقبلها ربها﴾ أي فرضي الله بمريم في نذرها ﴿بقبول حسن﴾ كما يقبل سائر النذور، وهو إقامة مريم مقام الذكر في خدمة بيت المقدس ﴿وأنبتها نباتاً حسناً﴾ رباها تربية حسنة ﴿وكفلها زكريا﴾ أي جعل الله زكريا ﴿كافلاً﴾ لها، وكان زكريا زوج خالتها ﴿كلما دخل عليها﴾ أي على مريم ﴿زكريا المحراب﴾ الغرفة التي بنا لها في المسجد ليكون محلاً لها ولعبادتها، وسمي محراباً لأنه محل المحاربة مع الشيطان ﴿وجد عندها رزقاً﴾ ورد أنه كان يجد فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء ﴿قال يا مريم أنى لك﴾ من أين لك ﴿هذا قالت هو من عند الله﴾ فإن الله كان ينزل عليها المائدة ﴿إن الله يرزق من يشاء بغير حساب﴾ كناية عن الكثرة.

يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾ إِنْ اللَّهُ أَصْلَفُ مَا دَمَ نُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةٌ مِّنْ بَعْضِهِمْ بَعْضٌ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بطني مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَنصَرُّنِي آلِي هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾

[٣٨] ﴿هَٰذَاكَ﴾ في ذلك الوقت لما رأى زكريا عليه السلام فضل الله سبحانه بأوليائه ﴿دعاً﴾ زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة ﴿نفساً وأخلاقاً﴾ فإن من يقدر على إنزال الفاكهة يقدر على إعطاء الذرية ﴿إنك سميع الدعاء﴾ أي تسمع سماع قبول.

[٣٩] ﴿فنادته﴾ أي نادى زكريا ﴿الملائكة﴾ وهو أي والحال أن زكريا قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيى أي بولد اسمه يحيى ﴿مصدقاً﴾ أي في حال كون يحيى يصدق بكلمة من الله أي بالمسيح عليه السلام ﴿وسيداً وحضوراً﴾ في حال كون يحيى يحضر نفسه عن الإتيان بالموبقات، أو المراد به الذي لا يتزوج ﴿ونبياً من الصالحين﴾ مقابل الفاسد.

[٤٠] ﴿قال رب أنى يكون لي غلام﴾ استفهام عن كيفية حدوث الولد ﴿والحال﴾ قد بلغني الكبر أي الشيخوخة ﴿والحال إن﴾ امرأتي عاقرة عقيم لاتلد ﴿قال كذلك﴾ أي هكذا الذي ذكرنا من إعطاء الولد يفعل ما يشاء.

[٤١] ﴿قال﴾ زكريا عليه السلام ﴿رب اجعل لي آية﴾ أي علامة أعرف بها حمل الزوجة بالولد، لاستقبل ذلك بالشكر والفرح ﴿قال﴾ الله ﴿آيتك﴾ أي علامة الحمل ﴿ألا تكلم الناس ثلاثة أيام﴾ أي لا تقدر على التكلم في هذه المدة

﴿إلا رمزاً﴾ إيماء وإشارة ﴿واذكر ربك كثيراً وسبح بالعشي﴾ عصرًا ﴿والإبكار﴾ صباحاً.

[٤٢] ﴿واذ﴾ واذكر يا رسول الله زمان ﴿قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك﴾ اختارك ﴿وطهرك﴾ من الأقدار التي تصيب النساء ﴿واصطفاك على نساء العالمين﴾ عالمي زمانك وهو المنساق عند الإطلاق كما لو قيل الدولة الفلانية أقوى الدول فإن ظاهرها من الدول المعاصرة، والاختيار أولاً لذاتها وثانياً لتفضيلها على سائر النساء.

[٤٣] ﴿يا مريم اقنتي﴾ من القنوت بمعنى الخضوع أو هو العمل المخصوص ﴿لربك واسجدي واركعي مع الراكعين﴾ لعل الإتيان بالمذكر لأجل كون أهل بيت المقدس كانوا رجالاً.

[٤٤] ﴿ذلك﴾ الذي ذكرنا من القصص ﴿من أنباء﴾ أخبار ﴿الغيب﴾ أي الغائب عن الحواس، لأن الرسول ﷺ لم يشهد القصص^(١)، أو أن المسلمين لم يشهدوها ﴿نوحية إليك﴾ أي تلقية عليك ﴿وما كنت لديهم﴾ أي لدى أهل بيت المقدس ﴿إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم﴾ فإنهم اختلفوا فيمن يكفل مريم عليه السلام في بيت المقدس، وجعلوا الحكم أن يلقوا أقلامهم الحديدية التي كانت بأيديهم وكانوا يكتبون بها التوراة في الماء، فأى الأقلام وقف على الماء بالإعجاز أخذ صاحب القلم مريم لكفالتها ﴿وما كنت﴾ يا رسول الله ﴿لديهم﴾ أي لدى أولئك العباد ﴿إذ يختصمون﴾ يتشاحون في أمر كفالة مريم عليه السلام.

[٤٥] ﴿إذ﴾ اذكر يا رسول الله زمان ﴿قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه﴾ أي من قبل الله، والكلمة معناها الشيء الملقى، ويسمى الكلام كلاماً لأنه يلقى، وسمى كلمة الله لأنه ولد من غير أب كأن الله ألقاه مباشرة بلا واسطة، أي خلقه ﴿اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيهاً﴾ أي في حال كون المسيح عليه السلام موجهاً ﴿في الدنيا﴾ بالنبوة ورفعة الاسم ﴿والآخرة﴾ بالمقام الرفيع ﴿ومن المقربين﴾ إلى الله تعالى قرب شرف وسؤدد.

[٤٦] ﴿ويكلم الناس في المهد﴾ أي في حال الصبا الذي لم يؤلف تكلم مثله ﴿وكهلاً﴾ أي ويكلم الناس في حالة الكهولة أي قبل الشيب، ولعل المراد انه يتكلم في الحالين على حد سواء وهذه معجزة، أو المراد يكلمهم كهلاً بالوحي والإنجيل ﴿ومن الصالحين﴾ في مقابل الفاسدين .
[٤٧] ﴿قالت﴾ مريم ﴿رب أنى﴾ أي كيف ﴿يكون لي ولد ولم يمسسني بشر﴾ مساً يوجب الحمل وهذا استفهام تعجب ﴿قال﴾ جبرئيل ﴿كذلك﴾ أي هكذا وكاف للخطاب ﴿الله يخلق ما يشاء إذا قضى﴾ أراد (تعالى) ﴿أمرأ فأنما يقول له كن فيكون﴾ .

[٤٨] ﴿ويعلمه﴾ يعلم الله المسيح ﷺ ﴿الكتاب﴾ جنس الكتب المنزلة من السماء ﴿والحكمة﴾ معرفة وضع الأشياء مواضعها ﴿والتوراة والإنجيل﴾ .
[٤٩] ﴿و﴾ يرسله ﴿رسولاً إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم﴾ معجزة دالة على صدقي، وهذا كلام عيسى ﷺ ﴿أنني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير﴾ مثل صورة الطائر ﴿فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وأبرئ﴾ أشفي ﴿الأكمه﴾ الذي ولد أعمى ﴿والأبرص﴾ الذي تغير لون جلده فظهرت بقع بيضاء ﴿وأحيي الموتى﴾ بإذن الله وأنبتكم بما تاكلون وما تخرجون ﴿تجعلونه ذخيرة﴾ في بيوتكم إن في ذلك ﴿الذي ذكرت من الآيات﴾ لآية

وَيَكْلِمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٦﴾
قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسَّسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ
اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾
وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٤٨﴾
وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ
أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ
فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ
وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَكُونُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ
فِي بُيُوتِكُمْ إِن فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُم إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾
وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَأُحِلَّ لَكُم
بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ
فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿٥٠﴾ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ
هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ فَلَمَّا أَحْسَسَ عِيسَىٰ مِنْهُمْ
أَلْكَفَرًا قَالَ مَن أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ فَأَلْكَ الْخَوَارِثُ وَنَحْنُ
أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ أَنَّا مَسْلُومُونَ ﴿٥٢﴾

لكم إن كنتم مؤمنين ﴿مصدقين بالمعجزات، أي في صدد تصديق الحق، مقابل المعاند .
[٥٠] ﴿ومصدقاً لما بين يدي﴾ أي ما تقدم علي من الكتاب السماوي ﴿من التوراة ولأحل﴾ عطف على (مصدقاً) ﴿لكم بعض الذي حرم عليكم﴾ في شريعة موسى ﷺ ﴿وجئتكم بآية﴾ تأكيد لما تقدم ﴿من ربكم فاتقوا الله وأطيعون﴾ .
[٥١] ﴿إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا﴾ ما أبينه لكم من الدين ﴿صراط﴾ طريق ﴿مستقيم﴾ .
[٥٢] ﴿فلما أحس عيسى منهم الكفر﴾ أي تحقق كفرهم لديه ﴿قال﴾ عيسى ﷺ ﴿من أنصاري﴾ جمع ناصر ﴿إلى الله﴾ أي في سلوكي إلى الله ﴿قال الخواريون﴾ جمع خواري وهو خاصة الرجل ﴿نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون﴾ فإن يوم القيامة يشهد الأنبياء ﷺ على الناس .

[٥٣] ثم قال الحواريون ﴿ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول﴾ أي عيسى عليه السلام ﴿فأكتبنا مع الشاهدين﴾ بالوحدانية واتباع الأنبياء عليهم السلام .

[٥٤] ﴿ومكروا﴾ اليهود الذين أحس عيسى عليه السلام منهم الكفر، فتامروا على قتل المسيح عليه السلام ﴿ومكر الله﴾ المكر هو علاج الأمر من طريق خفي ومكر الله هو رفع عيسى عليه السلام وإلقاء شبهه على رئيس اليهود فصلب بدل المسيح عليه السلام ﴿والله خير الماكرين﴾ أنفذهم كيداً وأحسنهم علاجاً للأمر .

[٥٥] ﴿إذ﴾ ظرف لـ (ماكرين) أو بمعنى اذكر ﴿قال الله يا عيسى إني متوفيك﴾ أخذك أخذاً وافياً، بأخذ جسمك وروحك، كما تقول: وفي الدين، إذا أعطاه إعطاءً كاملاً ﴿ورافعك إني﴾ إلى محل كرامتي في السماء ﴿ومطهرك من الذين كفروا﴾ من سوء جوارهم ﴿وجاعل الذين اتبعوك﴾ من النصارى في زمان حقيقتهم والمسلمين بعد مجيء رسول الإسلام ﷺ وهذه حقيقة واقعة نشاهدها إلى اليوم ﴿فوق الذين كفروا﴾ أعلى منهم رتبة ﴿إلى يوم القيامة ثم إني﴾ إلى جزائي ﴿مرجعكم﴾ رجوعكم أنت والمتبعون والكافرون ﴿فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون﴾ من أمر الدين حكماً يتبعه الجزاء .

[٥٦] ﴿فأما الذين كفروا فأعذبهم عذاباً شديداً في الدنيا﴾ بالذلة والقتل وتسلط المؤمنين عليهم ﴿وفي﴾ في الآخرة وما لهم من ناصرين ﴿يدفعون عنهم العذاب والذلة﴾ ﴿وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيههم أجورهم﴾ يعطيهم ثواب أعمالهم ﴿والله لا يحب الظالمين﴾ الذين ظلموا أنفسهم بالكفر .

[٥٨] ﴿ذلك﴾ الذي تقدم من أخبار يحيى وزكريا ومريم والمسيح عليه السلام ﴿تتلوه﴾ نقرأه ﴿عليك من الآيات﴾ من جملة الآيات الدالة على قدرتنا ﴿والذكر﴾ من جملة القرآن ﴿الحكيم﴾ المحكم .

[٥٩] ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه﴾ أي خلق الله آدم عليه السلام ﴿من تراب ثم قال له كن﴾ بشراً ﴿فيكون﴾ حكاية حال ماضية أي فكان، وهكذا عيسى عليه السلام خلق بدون أب بأمر الله تعالى .

[٦٠] ﴿الحق من ربك فلا تكن﴾ أيها السامع ﴿من الممترين﴾ الشاكين في الحق .

[٦١] ﴿فمن حاجك﴾ خاصمك وجادلوك ﴿فيه﴾ أي في الحق، وأراد الجدال والتعنّت ﴿من بعد ما جاءك من العلم فقل﴾ لهم يا محمد ﷺ ﴿تعالوا﴾ اثنا عندي ﴿ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم﴾ أي يدعو كل منا ومنكم أبناءنا ونساءه ومن هو بمنزلة نفسه ﴿ثم نبتهل﴾ أي نطلب من الله لعن الكاذب منا، فقد دعا الرسول ﷺ نصارى نجران إلى قبول أنه رسول وان عيسى عليه السلام عبد الله، ولما لم يقبلوا دعاهم إلى المباهلة، وجاء هو ﷺ بعلي وفاطمة والحسين عليهم أفضل الصلاة والسلام للابتهال، لكن النصارى خافوا وتراجعوا وقرروا إعطاء الجزية ﴿فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾ .

رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أُنزِلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكُرُوا وَمَكَّرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَرَافِعُكَ إِلَى مَوْطِئِكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذُّهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمُ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ مِثْلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمِثْلِ آدَمَ خَلَقْنَاهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٦١﴾

[٦٢] ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا اللَّهُ الَّذِي ذَكَرَ مِنَ الْقِصَصِ السَّابِقَةِ﴾ لهو القصص الحق وما من إله إلا الله ﴿فليس المسيح عليه السلام إلهاً كما يزعمون﴾ وإن الله لهو العزيز الحكيم.

[٦٣] ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أعرضوا عن اتباعك ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ فإن كل من تولى عن الحق مفسد.

[٦٤] ﴿قُلْ﴾ يا رسول الله: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ كل من عنده كتاب سماوي ﴿تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ﴾ مستوية ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ كلنا نتعرف بتلك الكلمة ﴿أَلَا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً﴾ أي لا نجعل أحداً شريكاً لله تعالى، فلا نتخذ عزيز والمسيح شركاء لله ﴿وَلَا يَتَّخِذُ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ يتأهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ هاتم هؤلاء حجتهم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ إن أولي الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين ﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ يتأهل الكتاب لم تكفرون بتأييد الله وأنتم تشهدون.

[٦٥] ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَحَاجُونَ﴾ أي تجادلون ﴿فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ فتقولون إنه كان يهودياً أو نصرانياً ﴿وَمَا﴾ أي والحال أنه ما ﴿أَنْزَلَتْ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ فكيف يمكن أن يكون إبراهيم عليه السلام تابعا لكتاب وطريقة متأخرين عنه؟

[٦٦] ﴿هَا﴾ للتنبيه ﴿أَنْتُمْ﴾ يا أهل الكتاب ﴿هَؤُلَاءِ﴾ أي جماعة ﴿حَاجَجْتُمْ﴾ أي جادلتم ﴿فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ أي في مطالب التوراة والإنجيل ﴿فَلِمَ تَحَاجُونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ أي من أمر إبراهيم عليه السلام وأنه كان على أي دين، فانه لم يذكر في كتبكم انه كان على أي دين ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ دِينَ إِبْرَاهِيمَ﴾ وأنتم لا تعلمون.

[٦٧] ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا﴾ مائلاً عن الباطل إلى الحق ﴿مُسْلِمًا﴾ موحداً ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ تعريض بأهل الكتاب حيث أشركوا بالله باتخاذ عزيز والمسيح إلهاً.

[٦٨] ﴿إِنْ أُولَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ﴾ أولاهم بأن ينسب إلى إبراهيم عليه السلام ويقول أنا من جماعته عليه السلام ﴿لِلَّذِينَ﴾ اللام للتأكيد ﴿اتَّبَعُوهُ﴾ في توحيده وشريعته من الأمم السابقة ﴿وَهَذَا﴾ عطف على ﴿الَّذِينَ﴾ النبي والذين آمنوا ﴿لَا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ﴾ والله ولي المؤمنين ﴿نَاصِرِهِمْ وَمَتَوَلَّى شُؤْنِهِمْ﴾.

[٦٩] ﴿وَدَّتْ﴾ أي أحببت واهتمت ﴿طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾ فان وبال إضلالهم يرجع إليهم ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ لا يعلمون أن وبال إضلالهم يرجع إليهم.

[٧٠] ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ القرآن الكريم ﴿وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ في قرارة أنفسكم بأنها آيات الله.

إِنْ هَذَا إِلَّا اللَّهُ الَّذِي ذَكَرَ مِنَ الْقِصَصِ السَّابِقَةِ ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أعرضوا عن اتباعك ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ فإن كل من تولى عن الحق مفسد.

[٦٣] ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أعرضوا عن اتباعك ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ فإن كل من تولى عن الحق مفسد.

[٦٤] ﴿قُلْ﴾ يا رسول الله: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ كل من عنده كتاب سماوي ﴿تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ﴾ مستوية ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ كلنا نتعرف بتلك الكلمة ﴿أَلَا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً﴾ أي لا نجعل أحداً شريكاً لله تعالى، فلا نتخذ عزيز والمسيح شركاء لله ﴿وَلَا يَتَّخِذُ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ يتأهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ هاتم هؤلاء حجتهم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ إن أولي الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين ﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ يتأهل الكتاب لم تكفرون بتأييد الله وأنتم تشهدون.

[٧١] ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَتَكْتُمُونَ﴾ تخفون ﴿الحق وأنتم تعلمون﴾ بأنه حق .
[٧٢] ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا﴾ أي أظهروا الإيمان ﴿بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي القرآن ﴿وَجِهَ النَّهَارِ﴾ أوله ﴿وَكَافَرُوا﴾ به ﴿آخِرَهُ﴾ عصراً ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عن ميلهم إلى الإسلام، أرادوا المكر فإنهم إذا آمنوا صباحاً يرونهم الناس منصفين، ثم إذا كفروا عصراً زعم الكفار بأن القرآن والإسلام باطل، لان المنصفين كفروا به .

[٧٣] ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ أي قالت الطائفة : لا تظهروا إيمانكم إلا لضعفاء أهل الكتاب الذين يتبعون دينكم، لأن القصد إبقاء هؤلاء على دينهم ودفع الشك عن قلوبهم ﴿قُلْ﴾ يا رسول الله ﴿إِنَّ الْهُدَى﴾ الكامل ﴿هُدَى اللَّهِ﴾ فمن يوفقه الله للإيمان لا يضره كيد هؤلاء، وهذه جملة معترضة بين كلام تلك الطائفة ﴿أَنْ يُؤْتَى﴾ أي قالت الطائفة لا تأمنوا أن يعطى ﴿أَحَدٌ﴾ من الناس ﴿مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ﴾ من الشريعة والكتاب، أي أن محمداً ﷺ لا يتمكن أن يأتي مثل التوراة ﴿أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾ أي لا تؤمنوا أن يتمكن أحد أن يحاجكم ويخاصمكم عند ربكم، وهذا تأكيد لقولهم (أن يؤتي) يعني لا يتمكن أحد

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَتَكْتُمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَكَافَرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤْذِهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤْذِيكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾

من أن يبطل دينكم في يوم القيامة ﴿قُلْ﴾ يا رسول الله ﴿إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ﴾ فليس الفضل خاصاً بأهل الكتاب حتى يقولوا: لا يؤتى أحد مثل ما أوتيتم ﴿يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ في فضله ﴿عليمٌ﴾ .

[٧٤ - ٧٥] ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ * ومن أهل الكتاب من إن تأمنه أي تجعله أميناً وتودع عنده ﴿بِقِنطَارٍ﴾ المال الكثير ﴿يُؤْذِيكَ﴾ أي يردده إليك عند المطالبة ﴿ومِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ﴾ وهو مال قليل ﴿لَا يُؤْذِيكَ﴾ أي ينكره فلا يؤذه ﴿إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾ أي مطالباً منه بعنف وشدة ﴿ذَلِكَ﴾ أي تركهم الأداء ﴿بأنهم﴾ أي بسبب أن هؤلاء الذين لا يؤدون ﴿قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ﴾ أي المسلمين المنسوبين إلى أم القرى ﴿سَبِيلٌ﴾ فلا يتمكنون من مطالبتنا يوم القيامة، لان أموالهم حلال لنا ﴿وَيَقُولُونَ﴾ هؤلاء الذين قالوا: ليس علينا في الأميين سبيل ﴿عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ فان الله لم يبيح أموال المسلمين للكافرين ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنهم كاذبون .

[٧٦] ﴿بَلَى﴾ ليس سبيل على ﴿مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ﴾ مع الله بأن آمن وعمل صالحاً ﴿وَاتَّقَى﴾ المعاصي ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ .

[٧٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ بأن ينقضوا عهد الله في مقابل ثمن قليل وهو رئاستهم الدنيوية، وهم أهل الكتاب ﴿أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ﴾ لا نصيب ﴿لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يَكَلِّمُهُمُ اللَّهُ﴾ كلاماً يسرهم ﴿وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ﴾ بنظر رحمته ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ لا يطهرهم من المعاصي ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم .

[٧٨] ﴿وَإِنْ مِنْهُمْ﴾ أي من أهل الكتاب المحرفين ﴿لَفَرِيقًا﴾ اللام للتأكيد، و(فريقًا) اسم (إن) ﴿يَلُودُونَ﴾ أي يحرفون ﴿السنتهم﴾ بالكتاب أي بالتوراة بأن يزيّدوا فيه وينقصوا منه ﴿لنحسبوه﴾ أي تحسبوا هذا المحرف ﴿من الكتاب﴾ وما هو من الكتاب أي والحال انه ليس من التوراة ﴿ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله﴾ ويقولون على الله الكذب ﴿فقولهم هذا من عند الله كذب وهم يعلمون﴾ أن هذا كذب.

[٧٩] ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ﴾ أي يعطيه الله ﴿الكتاب والحكم﴾ الحكومة ﴿والنبوة﴾ ثم يقول للناس كونوا عباداً لي ﴿بأن تعبدوني﴾ كما أن اليهود والنصارى ينسبون إلى أنبيائهم كالمسيح وعزير ﴿انهم قالوا للبشر اعبدونا﴾ من دون الله ولكن ﴿الأنبياء﴾ كانوا يقولون للناس ﴿كونوا ربانيين﴾ الرباني منسوب إلى الرب، وهو المطيع الكامل للرب ﴿بما كنتم﴾ أي بسبب أنكم ﴿تعلمون الكتاب﴾ معلمين للكتاب المنزل، فكونكم علماء يقتضي أن تكونوا ربانيين، لا أن تكونوا مشركين ﴿وبما كنتم تدرسون﴾ أي تقرأون، فالعالم المعلم يلزم أن يكون ربانياً.

[٨٠] ﴿وَلَا أَنْ يَأْمُرَكُمْ﴾ عطف على (يؤتيه) أي ما كان لبشر أن يأمركم ﴿أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا﴾ كان لبشر أن يأمركم ﴿استفهام إنكار﴾ أي لا يأمركم الأنبياء ﴿بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون﴾ بالتوحيد، فإن قول الأنبياء للناس آمنوا بالله يسبب إسلامهم، فكيف يقولون لهم اكفروا؟ [٨١] ﴿وَإِذْ أَوْحَىٰ إِلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ﴾ أخذ الله ميثاق النبيين ﴿أَيَّ عَهْدِهِمُ الشَّدِيدِ﴾ أي لا يأمركم الأنبياء ﴿لَمَّا آتَيْتُكُمْ﴾ أي لأجل إعطائي لكم ﴿مَنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾ أي بعد إعطائي لكم ﴿جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّمَّنْ لَمَّا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ﴾ أي بذلك الرسول، وهذا متعلق بـ(لما) أي اخذ الله ميثاق الأنبياء السابقين بأن يؤمنوا بالأنبياء اللاحقين، لأنه تعالى أعطى السابقين الكتاب والحكمة، وهذا مثل أن تقول: حيث أكرمتك، فافعل كذا. . . ﴿وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ وإيمان السابق ونصرته للاحق كناية عن إعلام أممهم بوجوب ذلك ﴿قَالَ﴾ الله ﴿أَقْرَرْتُمْ﴾ أيها الأنبياء السابقون واعترفتهم بالأنبياء اللاحقين ﴿وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ﴾ على الإيمان بالأنبياء اللاحقين ﴿إِصْرِي﴾ عهدي الشديد ﴿قَالُوا﴾ أي الأنبياء السابقون ﴿أَقْرَرْنَا﴾ قال ﴿اللَّهُ﴾ الله ﴿فَاشْهَدُوا﴾ على أممكم بأنهم بلغوا وجوب الإيمان بالأنبياء اللاحقين ﴿وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ على أممكم.

[٨٢] ﴿فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ بعد ذلك ﴿الأخذ للإصر﴾ الأخذ لذلك ﴿فأولئك هم الفاسقون﴾ الخارجون عن طاعة الله.

[٨٣] ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ﴾ يطلبون ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فإن الكون كله خاضع لله تعالى في جميع شؤون الكونية، والإنسان المسلم تابع لله تعالى في شؤونه الإرادية ﴿طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ يوم القيامة.

وَلَا مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُودُونَ أَلَيْسَتْ لَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنْ أَلْكِتَابٍ وَمَا هُوَ مِنَ أَلْكِتَابٍ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْحِينَ يَمَّا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَلْكِتَابَ وَمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَّا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

[٨٤] ﴿قُلْ﴾ يا رسول الله ﴿آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط﴾ أولاد يعقوب عليه السلام فان بعضهم كيوسف عليه السلام كان نبياً، وكان ذرية بعضهم نبياً ككثير من أنبياء بني إسرائيل ﴿وما أوتي﴾ أعطي ﴿موسى وعيسى والنبيون من ربهم﴾ أي من قبل الله ﴿لا نفرق بين أحد منهم﴾ بأن نؤمن ببعض دون بعض كما فعل اليهود والنصارى ﴿ونحن له مسلمون﴾ متقادون.

[٨٥] ﴿ومن يتبع﴾ يطلب ﴿غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه﴾ لأن الإسلام دين الله الوحيد ﴿وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ الذين خسروا رأس مالهم، وهو العمر إذ حصلوا جهنم بذلك.

[٨٦] ﴿كيف يهدي الله قوماً كفروا بعد إيمانهم﴾ فان قسماً من الناس دخلوا في الإسلام طوعاً، ثم كفروا أو نافقوا ومثل هؤلاء لا يلفظ الله بهم لطفه الخفي لأنهم أعرضوا عن الحق بعد المعرفة، والاستفهام للإنكار ﴿و﴾ بعد أن ﴿شهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات﴾ الأدلة الواضحات ﴿والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ الذين تعمدوا الضلال وظلموا أنفسهم بذلك.

[٨٧] ﴿أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله﴾ طردهم عن رحمته، وعذابه ﴿والملائكة والناس أجمعين﴾.

[٨٨] ﴿خالدين فيها﴾ أي في تلك اللعنة ﴿لا يخفف﴾ بأن يقل ﴿عنهم العذاب ولا هم ينظرون﴾ لا ينظرهم الله نظر رحمة ولطف.

[٨٩] ﴿إلا الذين تابوا من بعد ذلك﴾ الارتداد ﴿وأصلحوا﴾ أمورهم باتباع الشرع والعقل ﴿فإن الله غفور رحيم﴾.

[٩٠] ﴿إن الذين كفروا بعد إيمانهم﴾ بأن أصروا على الكفر حتى تمكن الكفر في قلوبهم مما سبب أن يكون إظهارهم الإيمان بعد ذلك نفاقاً ﴿ثم ازدادوا كفراً لن تقبل توبتهم﴾ لان توبتهم صورية ﴿وأولئك هم الضالون﴾ الذين ضلوا عن الطريق المستقيم.

[٩١] ﴿إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء﴾ أي بقدر ﴿الأرض ذهباً ولو افتدى به﴾ الفدية البدل أي لا تنجيه الفدية من عذاب الله ﴿أولئك لهم عذاب أليم﴾ مؤلم ﴿وما لهم من ناصرين﴾ ينصرهم بدفع العذاب عنهم.

قُلْ ءَامَنَّا بِاللّٰهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرٰهٖمَ وَإِسْمٰعٖلَ وَإِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٨٥﴾ وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخٰسِرِينَ ﴿٨٦﴾ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَن عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٨﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٠﴾ إِنَّا لَنَقْبِلُ تَوْبَتَهُمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴿٩١﴾ إِنَّا لَنَنظَرُهُمْ غَضَبًا هُمْ أَكْثَرُ تَوْبَتِهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴿٩٢﴾ إِنَّا لَنَنظَرُهُمْ غَضَبًا هُمْ أَكْثَرُ تَوْبَتِهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴿٩٣﴾ إِنَّا لَنَنظَرُهُمْ غَضَبًا هُمْ أَكْثَرُ تَوْبَتِهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا لَنَنظَرُهُمْ غَضَبًا هُمْ أَكْثَرُ تَوْبَتِهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴿٩٥﴾ إِنَّا لَنَنظَرُهُمْ غَضَبًا هُمْ أَكْثَرُ تَوْبَتِهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴿٩٦﴾ إِنَّا لَنَنظَرُهُمْ غَضَبًا هُمْ أَكْثَرُ تَوْبَتِهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴿٩٧﴾ إِنَّا لَنَنظَرُهُمْ غَضَبًا هُمْ أَكْثَرُ تَوْبَتِهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴿٩٨﴾ إِنَّا لَنَنظَرُهُمْ غَضَبًا هُمْ أَكْثَرُ تَوْبَتِهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّا لَنَنظَرُهُمْ غَضَبًا هُمْ أَكْثَرُ تَوْبَتِهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴿١٠٠﴾

[٩٢] ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ﴾ أي لن تبلغوا بر الله، أي رحمته ﴿حَتَّى تَنفِقُوا مِمَّا تَحِبُّونَ﴾ أي بعض ما تحبون من المال والجاه وما أشبه ﴿وَمَا تَنفِقُوا مِنْ شَيْءٍ﴾ بيان (ما) ﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾.

[٩٣] ﴿كُلِ الطَّعَامِ﴾ المأكولات ﴿كَانَ حَلَالًا﴾ أي حلالاً ﴿لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أي [بني يعقوب] ﴿إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ فانه حرم أكل لحم الإبل على نفسه ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ تَنْزَلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَأَتَلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿فَمَنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿إِنْ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿قُلْ يَتَّهِلُّ الْكِتَابَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مَعْبَدًا إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ﴿قُلْ يَتَّهِلُّ الْكِتَابَ لَمْ يَصُدِّقْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ يَتَّبِعْهُا عَوجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿يَتَّهِلُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَطِيعُوا رَبَّاعَيْنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّكُمْ بَعْدَ إِعْنَتِكُمْ كَثِيرِينَ﴾

[٩٤] ﴿فَمَنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ بان قال إن الله حرم بعض الطيبات من القديم وقبل نزول التوراة ﴿مَنْ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ أي قيام الحجة ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ لأنفسهم لأنهم يأتون بالباطل وهم يعلمون بطلان كلامهم.

[٩٥] ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ﴾ في أن هذه الطيبات كانت حلالاً من القديم ﴿فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ﴾ أي طريقة ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ وهي حلية الطيبات ﴿حَنِيفًا﴾ أي في حال كون إبراهيم عليه السلام مائلاً عن الشرك ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ فإن أهل الكتاب كانوا يقولون إن إبراهيم عليه السلام على دينهم الذي هو الشرك.

[٩٦] ﴿إِنْ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ بأن يكون معبداً لهم ﴿لِلَّذِي﴾ أي البيت الذي ﴿بِبَكَّةَ﴾ اسم لمكة المكرمة، في حال كون ذلك البيت ﴿مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ فان الناس يهتدون بسبب مكة لأنهم يتوجهون إليها في الصلاة وغيرها.

[٩٧] ﴿فِيهِ﴾ أي في البيت ﴿آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ أدلة واضحات ﴿مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ بدل آيات بينات وهو المحل الذي كان يقف عليه إبراهيم عليه السلام فيبني البيت ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ﴾ أي البيت، والمراد الحرم ﴿كَانَ آمِنًا﴾ لا يمس بسوء حتى يخرج عن البيت ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ﴾ أي قصده لإتيان المناسك ﴿مَنْ اسْتَطَاعَ﴾ بدل (الناس) ﴿إِلَيْهِ﴾ أي إلى البيت ﴿سَبِيلًا﴾ أي طريقاً ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ بأن لم يذهب إلى الحج وهو مستطيع، والمراد كفر عمل لا كفر عقيدة ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ فإنه تعالى لا يحتاج إلى البشر وإلى عبادته وإنما أمرهم بالأحكام لأجل أنفسهم.

[٩٨] ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ مَعْبَدًا إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم عليه.

[٩٩] ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ مَعْبَدًا إِلَّا اللَّهُ﴾ أي تمتعون ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فإن أهل الكتاب كانوا يمنعون الناس عن سلوك سبيل الإسلام ﴿مَنْ آمَنَ﴾ مفعول تصدون ﴿تَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ أي طالبين لسبيل الله اعوجاجاً، فإن من يقول: المعوج طريق الله، يطلب اعوجاج الطريق ﴿وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ﴾ أي تشهدون على الطريق المستقيم لأنهم كانوا يعلمون أن الإسلام هو طريق الله ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم عليه.

[١٠٠] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَطِيعُوا فَرِيقًا﴾ أي جماعة، وهذا نهي للمسلمين أن يتبعوا كلام الكفار ﴿مَنْ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّكُمْ﴾ بعد إيمانكم كافرين.

لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تَحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ كُلِّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِبَنِي إِسْرَءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَأَتَلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنْ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾ قُلْ يَتَّهِلُّ الْكِتَابَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مَعْبَدًا إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَتَّهِلُّ الْكِتَابَ لَمْ يَصُدِّقْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ يَتَّبِعْهُا عَوجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ يَتَّهِلُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَطِيعُوا رَبَّاعَيْنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّكُمْ بَعْدَ إِعْنَتِكُمْ كَثِيرِينَ ﴿١٠٠﴾

وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا
وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾
وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ
وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ
فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلْكَ ءَايَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٨﴾

[١٠١] ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَاتُ اللَّهِ﴾ فإن من يقرأ النبي ﷺ عليه آيات الله يلزم أن يكون بعيداً عن الكفر ﴿وَفِيكُمْ رَسُولُهُ﴾ محمد ﷺ قائم لهدايتكم فكيف تكفرون ﴿وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ﴾ بأن يتمسك بدين الله ﴿فَقَدْ هُدِيَ﴾ اهتدى ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ وهو طريق الإسلام.

[١٠٢] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ أي خافوه ﴿حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ أي حق التقوى وحق اتباع الأوامر ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ﴾ نهي عن الكفر الموجب لأن يموت الإنسان كافراً ﴿إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

[١٠٣] ﴿وَأَعْتَصِمُوا﴾ أي تمسكوا ﴿بِحَبْلِ اللَّهِ﴾ أي دينه ﴿جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ أي لا تختلفوا في الحق ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ أي الإيمان ﴿إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً﴾ في الجاهلية ﴿فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ بالإسلام ﴿فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ﴾ أي بسبب نعمة الله ﴿إِخْوَانًا﴾ حال أحدمكم بالنسبة إلى الآخر كحال الأخ بالنسبة إلى أخيه ﴿وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا﴾ شفه، طرف ﴿حُفْرَةٍ﴾ يراد بها جهنم ﴿مِنْ النَّارِ﴾ بيان (حفرة) فإنهم إذا ماتوا في حالة الجاهلية وقعوا في جهنم ﴿فَأَنْقَذَكُمْ﴾ الله أي نجاكم ﴿مِنْهَا﴾ أي من النار بهدايتكم إلى الإسلام ﴿كَذَلِكَ﴾ أي هكذا ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ أي لأجل هدايتكم.

[١٠٤] ﴿وَلَتَكُنَّ﴾ أمر ﴿مِنْكُمْ﴾ للنشوء لا للتبعض وذلك بدليل آخر الآية (المفلحون) وإلا لزم عدم فلاح غير الأمر الناهي ﴿أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

[١٠٥] ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا﴾ كاليهود والنصارى ﴿وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ الأدلة الواضحات ﴿وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

[١٠٦] ﴿يَوْمَ﴾ أي ذلك العذاب العظيم إنما هو في يوم ﴿تَبْيَضُّ وُجُوهٌ﴾ بياض النور والسرور ﴿وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ بسواد الحزن والظلمة ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ﴾ أي يقال لهم على طريق التعنيف والتوبيخ ﴿بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ إما المراد أهل الكتاب والذين كفروا بمحمد ﷺ بعد إيمانهم بالأنبياء السابقين أو مطلق من كفر بعد إيمانه ﴿فَذُوقُوا﴾ أمر إهانة ﴿الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ أي بسبب كفركم.

[١٠٧] ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ﴾ أي المؤمنون ﴿فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا﴾ في رحمة، كرر للتأكيد ﴿خَالِدُونَ﴾.

[١٠٨] ﴿تِلْكَ﴾ التي ذكرناها من الوعد والوعيد ﴿ءَايَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﷺ ﴿بِالْحَقِّ﴾ فليست الآيات باطلة ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ﴾ فعقابه إنما هو عدل وبالاتحقاق.

[١٠٩] ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ التي منها أعمال العباد فيجازيهم بحسبها .
 [١١٠] ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَكَوْنُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ لَنْ يَضُرَّوْكُمْ إِلَّا أَذًى
 [١١١] ﴿لَنْ يَضُرَّوْكُمْ﴾ أيها المسلمون ﴿إِلَّا أَذًى﴾ يسيراً ، فلا تهتموا بأمرهم ﴿وَأَنْ يَضُرَّوْكُمْ يُولَوْكُمْ الْأَذْيَارَ﴾ أي ينهزمون ، وأذياب جمع (دبر) ﴿ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ﴾ لا ينصرهم قومهم .

[١١٢] ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةُ﴾ أي إن الله طبعهم بطابع أنهم أذلاء ﴿أَيْنَ مَا تَقِفُوا﴾ أي وجدوا ﴿إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ﴾ بأن يسلموا ﴿وَحَبْلٌ مِنَ النَّاسِ﴾ بأن يدخلوا تحت حماية الناس ، كحكومة قوية وهذا من معاجز القرآن فان اليهود إلى اليوم أذلة^(١) ﴿وَبَاءُوا﴾ أي رجع اليهود ، كأنهم جاءوا لأخذ الحق فلم يأخذوه فرجعوا ﴿بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾ أي والله ساخط عليهم ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ﴾ النفسية فإن نفسهم تتطلب المال مهما أثروا ، فنفسهم دائمة المسكنة ﴿ذَلِكَ﴾ إنما فعل الله باليهود ذلك ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ أي بسبب أنهم

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ
 ﴿١٠٩﴾ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَكَوْنُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَنْ يَضُرَّوْكُمْ إِلَّا أَذًى وَلَنْ يَضُرَّوْكُمْ يُولَوْكُمْ الْأَذْيَارَ ثُمَّ لَا يَضُرُّوكُمْ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةُ أَيْنَ مَا تَقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ الْيَتْلِ وَهُمْ يَسْتَحْجِدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾

بابتنائهم على المعصية ﴿وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ أي تماديهم في الاعتداء .
 [١١٣] ﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾ أي متساويين ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ﴾ فاعل (ليسوا) ﴿قَائِمَةٌ﴾ أي قائمة على الحق ، وهم الذين آمنوا بمحمد ﷺ ﴿يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ﴾ أي في ساعاته ﴿وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ لله تعالى تواضعاً .
 [١١٤] ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ أي يبادرون إلى الأعمال الحسنة ﴿وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ .
 [١١٥] ﴿وَمَا﴾ أي والذي ﴿يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ بيان (ما) ﴿فَلَنْ يُكْفَرُوهُ﴾ أي لن يحرموه بل الله يعطيهم ثواب أعمالهم ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ أي الذين يجتنبون المعاصي .

[١١٦] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ أي لن تفيد في دفع العذاب عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله عذاب أليم ﴿شَيْئاً﴾ أي ولا جزءاً صغيراً من العذاب ﴿وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ الملازمون لها ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدِينَ﴾.

[١١٧] ﴿مِثْلُ مَا يَنْفِقُونَ﴾ هؤلاء الكفار ﴿فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي الحياة القريبة، مقابل حياة الآخرة ﴿كَمِثْلِ رِيحٍ فِيهَا صَرْ﴾ أي برد شديد ﴿أَصَابَتْ﴾ تلك الريح ﴿حَرْثَ﴾ أي زراعة ﴿قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بالكفر ﴿فَأَهْلَكْتَهُمْ﴾ أي أهلكت تلك الريح حرثهم، وذلك لأن كفرهم يبطل إنفاقهم ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ﴾ حيث لم يثبهم على إنفاقهم، لأن الله شرط قبول الطاعة بالتقوى حيث قال: (إنما يتقبل الله من المتقين) ﴿وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ حيث إن كفرهم سبب بطلان إنفاقهم.

[١١٨] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً﴾ وهو الذي يطلع على أسرار الرجل، لأنه موضع ثقته، شبه ببطانة الثوب للصوقها به ﴿مِنْ دُونِكُمْ﴾ أي من الكافرين ﴿لَا يَالُونَكُمْ﴾ أي يقصرون بالنسبة إلى المسلمين ﴿خَبَالاً﴾ أي فساداً ﴿وَدَوَاءً﴾ تمنوا وأحبوا ﴿مَا عَنْتُمْ﴾ أي عنتكم وضرركم ﴿قَدْ بَدَتِ﴾ أي ظهرت ﴿الْبَغْضَاءُ﴾ العداوة ﴿مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ فإن كلامهم كلام العدو فيه تلميح إلى عدائكم ﴿وَمَا تَخْفَى صُدُورُهُمْ﴾ من العداوة ﴿أَكْبَرُ﴾ مما ظهر على لسانهم ﴿قَدْ بَيْنَا لَكُمْ الْآيَاتِ﴾ الأدلة الدالة على الأمور المربوطة بدينكم وديناكم ﴿إِنْ كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

[١١٩] ﴿هَآءِ﴾ تنبيه ﴿أَنْتُمْ أَوْلَاءُ﴾ أي الجماعة الذين ﴿تُحِبُّونَهُمْ﴾ أي الكفار ﴿وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾ فإن الكافر لا يحب المسلم ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ﴾ أي بجنس كتب السماء ﴿كُلِّهِ﴾ حتى بكتابهم التوراة، وهم لا يؤمنون بكتابكم، والمعنى لا يحبونكم مع إنكم تؤمنون بكتابهم ﴿وَإِذَا لَقِوْكُمْ قَالُوا آمَنَّا﴾ نفاقاً ﴿وَإِذَا خَلَوْا﴾ بعضهم إلى بعض ﴿عَضُوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ﴾ أطراف الأصابع ﴿مَنْ الْغِيظُ﴾ من أجل الغيظ ﴿قُلْ﴾ يا رسول الله ﴿مُوتُوا﴾ أيها الكفار ﴿يَغِيظُكُمْ﴾ وهو دعاء عليهم بزيادة قوة الإسلام حتى يهلكوا بذلك ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أي بما في صدوركم أيها الكفار فيجازيكم عليه.

[١٢٠] ﴿إِنْ تُمْسِكُمْ﴾ تصبكم ﴿حَسَنَةً﴾ خير ونعمة ﴿تُسَوِّهُمُ﴾ أي ساء الكفار ذلك ﴿وَإِنْ تَصْبِكُمْ سَيِّئَةً يَفْرَحُوا بِهَا﴾ أي بإصابتكم السيئة ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا﴾ على عداوتهم ﴿وَتَتَّقُوا﴾ من الله سبحانه بأن تعملوا لله تعالى ﴿لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ﴾ أي مكر الكفار لكم ﴿شَيْئاً﴾ إن الله بما يعملون محيط ﴿إِذَا غَدَوْتُ﴾ خرجت غدوة ﴿مِنْ أَهْلِكَ تَبَوَّءُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي تهيب للمؤمنين ﴿مَقَاعِدَ﴾ أي مواطن ومواقف ﴿لِلْقِتَالِ﴾ في غزوة أحد ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

[١٢١] ﴿وَرُ﴾ اذكر يا رسول الله ﴿إِذَا غَدَوْتُ﴾ خرجت غدوة ﴿مِنْ أَهْلِكَ تَبَوَّءُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي تهيب للمؤمنين ﴿مَقَاعِدَ﴾ أي مواطن ومواقف ﴿لِلْقِتَالِ﴾ في غزوة أحد ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١١٦﴾
 مِثْلُ مَا يَنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمِثْلِ رِيحٍ فِيهَا صَرْ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكْتَهُمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾
 يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تَخْفَى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيْنَا لَكُمْ الْآيَاتِ إِنْ كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾
 هَآءِ أَوْلَاءُ يُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقِوْكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغِيظِ قُلْ مُوتُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾
 إِنْ تُمْسِكُمْ حَسَنَةً تَسْؤُهُمْ وَإِنْ تَصْبِكُمْ سَيِّئَةً يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾
 تَبَوَّءُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾

[١٢٢] ﴿إِذْ﴾ بدل (إذ غدوت) ﴿همت﴾ قصدت ﴿طائفتان منكم﴾ بنو سلمة وبنو حارثة ﴿أن تفشلا﴾ تجنبنا عن القتال ﴿والله وليهما﴾ يتولى شؤونهما فلم تفشلا ﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾.

[١٢٣] ﴿ولقد﴾ أي والحال أنه ﴿نصركم الله بيدر﴾ في غزوة بدر ﴿وانتم أذلة﴾ أي في حال كونكم أذلة، لقوة الكفار وضعفكم ﴿فاتقوا الله﴾ واثبتوا في الحرب ﴿لعلكم تشكرون﴾.

[١٢٤] ﴿إذ﴾ ظرف لـ (نصركم) ﴿تقول﴾ يا رسول الله ﴿للمؤمنين أن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين﴾ فان المسلمين كانوا كالأيس من النصر ولذا قوى الله قلوبهم بإنزال الملائكة، والاستفهام للإنكار، أي تجنبون مع نزول الملائكة.

[١٢٥] ﴿بلى﴾ يكفيكم ذلك ﴿إن تصبروا وتتقوا﴾ ويتوكلوا ﴿المشركون﴾ من فورهم هذا ﴿في هذه الساعة﴾، إذ هم في تلك الحال أشد بأساً وأقوى عزيمة، كما هو كذلك في أول كل حركة ﴿يمدكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين﴾ معلمين بأنهم ملائكة، قالوا: كانت عليهم العمام البيضاء.

[١٢٦] ﴿وما جعله الله﴾ أي إمداد الملائكة ﴿إلا بشراً﴾ بشارة ﴿لكم ولتطمئن قلوبكم به﴾ أي بالنصر ﴿وما النصر

إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشِلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُبَدِّدَ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ أَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُزِيلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ أَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ ﴿١٢٧﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٢٨﴾ وَاللَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ بِغَفُورٍ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾

إلا من عند الله العزيز الحكيم ﴿فليس بكثرة العدد.

[١٢٧] ﴿ليقطع﴾ نصركم وبهلك ﴿طرفاً﴾ جماعة ﴿من الذين كفروا أو يكبتهم﴾ يخزيهم ﴿فينقلبوا﴾ يرجعوا إلى بلادهم خائبين ﴿خاسرين لم ينالوا ما أرادوا.

[١٢٨] ﴿ليس لك﴾ يا رسول الله ﴿من الأمر شيء﴾ أي أمر كبتهم أو عذاب الله لهم أو توبته عليهم، وهذه جملة معترضة، ﴿أو يتوب عليهم﴾ بأن يسلموا ﴿أو يعذبهم فإنهم ظالمون﴾ استحقوا العذاب بظلمهم.

[١٢٩] ﴿ولله ما في السماوات وما في الأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء﴾ ممن استحق العقاب ﴿والله غفور رحيم﴾.

[١٣٠] ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة﴾ زيادة مكررة، وهذا طبيعة الربا ﴿واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾ أي لرجاء الفلاح.

[١٣١] ﴿واتقوا النار التي أعدت﴾ هيت ﴿للكافرين﴾.

[١٣٢] ﴿وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون﴾ أي يرحمكم الله تعالى.

[١٣٣] ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أي بادروا ﴿إلى مغفرة من ربكم﴾ أي سبب الغفران وهو العمل الصالح ﴿وجنة عرضها﴾ أي سعتها ﴿السموات والأرض أعدت﴾ هيئت ﴿للمتقين﴾ .
 [١٣٤] ﴿الَّذِينَ﴾ صفة المتقين ﴿ينفقون في السراء﴾ في حالة اليسر ﴿والضراء﴾ في حالة العسر ﴿والكاظمين الغيظ﴾ الذين يوقفون سورة غضبهم مع تمكنهم على إمضائه ﴿والعافين عن الناس﴾ يتركون عقاب من استحق العقاب، حيث لم يوجب الشرع العقوبة كما في الحدود ﴿والله يحب المحسنين﴾ الذين يحسنون إلى أنفسهم وإلى غيرهم .

[١٣٥] ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً﴾ الذنب العظيم ﴿أو ظلموا أنفسهم﴾ بإتيان معصيته ﴿ذكروا الله﴾ تذكروا عظمته وعقابه ﴿فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب﴾ إلا الله ﴿استغفهم إنكار﴾ أي ليس هناك غافر للذنوب سواه تعالى ﴿ولم يصروا﴾ لم يقيموا ﴿على ما فعلوا﴾ من الذنب ﴿وهم يعلمون﴾ أي في حال علمهم بقبح ما فعلوا .

[١٣٦] ﴿أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ غفران لذنوبهم ﴿من ربهم وجنتان﴾ بساتين ﴿تجري من تحتها﴾ تحت أشجارها ﴿الأنهار خالدين فيها ونعم﴾ تلك الجنات ﴿أجر العاملين﴾ الذين يعملون للأخرة .

[١٣٧] ﴿قَدْ خَلَتْ﴾ مضت ﴿من قبلكم سنن﴾ أي طرق للأمم السابقة سلكوها فسببت هلاكهم ﴿فسيروا﴾ أي اذهبوا وسافروا ﴿في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾ الذين أهلكوا، فإن الإنسان إذا ذهب إلى بلادهم علم أخبارهم ورأى آثارهم .

[١٣٨] ﴿هَذَا﴾ القرآن ﴿بيان للناس وهدى﴾ يهديهم إلى الحق ﴿وموعظة﴾ إرشاد ﴿للمتقين﴾ فانهم هم المستفيدون بالقرآن .

[١٣٩] ﴿وَلَا تَهِنُوا﴾ أي لا تضعفوا عن مقاومة الأعداء ﴿ولا تحزنوا﴾ بما أصابكم من الشدائد ﴿وأنتم الأعلون﴾ أي والحال أنتم أعلى من الكفار ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ إن صح إيمانكم .

[١٤٠] ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ﴾ أي مسكم أيها المسلمون وأصابكم في حرب أحد ﴿قرح﴾ جراح ﴿فقد مس القوم﴾ أي الكفار ﴿قرح مثله﴾ أي مثل ما أصابكم وهذه تسلية للمسلمين ﴿وتلك﴾ أي هذه الأيام نداولها نصرتها تارة لهؤلاء وأخرى لغيرهم ﴿بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا﴾ أي لتمييز المؤمنون الثابتون عن غيرهم، فإن التمييز إنما يكون في الشدائد ﴿ولـ﴾ يتخذ ﴿الله منكم شهداء﴾ يكرم بعضكم بالشهادة ﴿والله لا يحب الظالمين﴾ الذين يظلمون أنفسهم بالانسحاب لدى الشدائد .

﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ

[١٤١] ﴿وَلِيَمْحَصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي يخلصهم من ذنوبهم، فإن الذنب يذهب عند الشدائد إذا صبر عليها الإنسان ﴿وَيَمَحُقُ﴾ أي يهلك ﴿الكَافِرِينَ﴾.

[١٤٢] ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾ أي هل زعمتم، وهذا استفهام إنكار ﴿أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾ أي وبعد لم تجاهدوا ﴿وَيَعْلَمِ الصَّابِرِينَ﴾ أي وبعد لم تصبروا على الشدائد.

[١٤٣] ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ﴾ وذلك حيث إنهم تمنوا الشهادة في بدر حيث لم يستشهدوا هناك، وهذا تذكير لهم بأنهم كيف يخافون في أحد وهم قد تمنوا الموت قبل ذلك ﴿فَقَدْ رَأَيْتُمْوهُ﴾ في أحد، حيث رأوا القتلى ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ نظر عين، لا رؤية علمية فقط.

[١٤٤] ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ﴾ أي مضت ﴿مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ فهو يموت أيضاً كما ماتوا، وهذا توبيخ لهم بأنهم كيف يضعفون عن مقاومة الكفار بمجرد سماعهم بموت الرسول ﷺ ﴿أَفَلَنْ مَاتَ﴾ مorte عادية ﴿أَوْ قُتِلَ﴾ انقلبتم رجعت إلى الكفر ﴿عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ جمع عقب، فإن الإنسان المتقهقر يضع عقبه أولاً على الأرض ﴿وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبِهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً﴾ بل يضر نفسه ﴿وَيَسْجِزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ لنعمة الإسلام بثباتهم عليه،

فباللزام عليكم أن تثبتوا على الإيمان وإن مات الرسول ﷺ كما أن الأمم السابقة بقيت على دينها بعد موت أنبيائها.

[١٤٥] ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بإجازته في موتها، وفيه تشجيع على الجهاد ﴿كِتَاباً مُوجِلاً﴾ أي كتب الموت على الإنسان كتاباً موقتماً فليس يموت الإنسان قبل ذلك ﴿وَمَنْ يَرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾ خيرها ﴿ثَوْتُهُ مِنْهَا﴾ كما نرى أن الكفار يؤتون من خيرات الدنيا ﴿وَمَنْ يَرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ ثَوْتُهُ مِنْهَا﴾ إذا عمل صالحاً ﴿وَيَسْجِزِي الشَّاكِرِينَ﴾ الذين يشكرون الله بإطاعته.

[١٤٦] ﴿وَكَايُنَ﴾ أي وكم وهو للتكثير، وفيه تشجيع للمسلمين ﴿مَنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ﴾ ربايون المربوطون بالبر علماء وعملاً ﴿كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا﴾ ما وهن عزم أولئك الربيون ﴿لَمَّا أَصَابَهُمُ﴾ من القتل والشدّة ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا﴾ عن القتال ﴿وَمَا اسْتَكَانُوا﴾ خضعوا لعدوهم ﴿وَاللَّهُ يَحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾.

[١٤٧] ﴿وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ﴾ أي قول أولئك الربيون ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا آغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا﴾ الإسراف مجاوزة الحد ﴿فِي أَمْرِنَا﴾ أي أمر كان ﴿وَتُبْتَ أَعْدَاؤُنَا﴾ في جهاد العدو ﴿وَانصَرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

[١٤٨] ﴿فَاتَّاهَمَ اللَّهُ﴾ أعطاهم ﴿ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾ النصر على العدو وسائر خيرات الدنيا ﴿وَحَسَنَ ثَوَابَ الْآخِرَةِ﴾ بالجنة، أي ثواب الآخرة الحسن، وهذا تأكيد ﴿وَاللَّهُ يَحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ في أقوالهم وأفعالهم.

وَلِيَمْحَصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمَحُقَ الْكَافِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمِ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبِهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَتَبْنَا مُوَجِّلاً وَمَنْ يَرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُوْتُوهُ مِنْهَا وَمَنْ يَرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُوْتُوهُ مِنْهَا وَسَيَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيُنَ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا آغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَتُبْ عَلَيْنَا أَفْدَأْمَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَاتَّاهَمَ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾

[١٤٩] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ حيث قال المنافقون في غزوة أحد للمؤمنين: ارجعوا إلى دينكم السابق، حتى تنجوا من هذه المشاكل ﴿يُردوكم على أعقابكم فتنقلبوا﴾ أي ترجعوا ﴿خاسرين﴾ قد خسرتكم الدين والدنيا.

[١٥٠] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَكُمْ أُولَىٰ بِكُمْ، فَالْإِذَا لَمْ يَنْزِلْ إِلَيْكُمْ أَن تَطِيعُوا الْكُفَّارَ﴾ لا أن تطيعوا الكفار ﴿وهو خير الناصرين﴾ سينصركم على الكفار.

[١٥١] ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ أي الخوف من المسلمين وذلك بسبب انهزامهم أمام زحف الإسلام ﴿بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ﴾ أي بسبب إشراكهم بالله ﴿مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ أي إشراكاً لم ينزل الله عليه دليل ﴿وَمَا وَاهِمٌ﴾ أي محلهم ﴿النار وبئس﴾ النار ﴿مَثْوًى﴾ أي محل ومنزل ﴿الظالمين﴾.

[١٥٢] ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ بنصركم على الكفار، فإن الرسول ﷺ أمر جماعة من الرماة بلزوم أماكنهم، ولما حارب المسلمون الكفار هزموهم، ثم خالف الرماة الأمر، ولذا غلب الكفار على المسلمين ﴿إِذْ تَحْسُونَهُمْ﴾ أي تبطلون حس الكفار بقتلهم وتشريدهم ﴿بِإِذْنِهِ﴾ فقد أذن الله للمسلمين بذلك ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ﴾ ضعف رأيكم وجبتكم ﴿وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ أي في أمر الرسول ﷺ فإن

يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوًى الْقَاطِلِينَ ﴿١٥١﴾ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ ۚ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّا أَرَّيَكُمْ مَا تُحِبُّونَ ۖ مِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ ۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ إِذْ تَصْعَدُونَ وَلَا تُلَوُّونَ عَلَىٰ أَحَدٍ ۚ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَجَكُمْ فَأَتَيْتُمُكُمْ عَنْمَا يَعْرِ ۖ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ ۗ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾

قسماً من الرماة قالوا: نسمع قول الرسول، وقسماً آخر منهم قالوا: نذهب لجمع الغنيمة ﴿وعصيتكم﴾ بأن خالفتم أمر الرسول ﷺ ﴿من بعد ما أراكم﴾ الله ﴿ما تحبون﴾ من نصر الله لكم ﴿منكم من يريد الدنيا﴾ وهم الذين خالفوا أمر الرسول ﷺ بقصد جمع الغنيمة ﴿ومنكم من يريد الآخرة﴾ وهم الذين بقوا ممثلين لأمره ﴿ثم صرفكم﴾ أيها المسلمون، أي كفكم ﴿عنهم﴾ عن الكفار، وذلك حين كر الكفار على المسلمين ﴿ليبتليكم﴾ أي يمتحنكم، حيث إن الكفار قتلوهم وجرحوهم ﴿ولقد عفا عنكم﴾ أي عن مخالفتكم بأن قبل توبة من خالف الرسول ﷺ ﴿والله ذو فضل على المؤمنين﴾ يقوي عزيمتهم للغلبة ويعفو عن سيئتهم.

[١٥٣] ﴿إِذْ تَصْعَدُونَ﴾ كان صرف المسلمين عن الكفار في زمان فرارهم، وتصعدون أي تفرون ﴿ولا تلون على أحد﴾ لا يقف أحد لأحد ﴿والرسول يدعوكم﴾ يناديكم ﴿في أحراركم﴾ في سافتكم التي كانت باقية مع الرسول ﷺ ﴿فأتايتكم﴾ أي جازاكم الله ﴿غماً بغم﴾ أي حزناً بالانهزام بسبب غمكم رسول الله ﷺ لعصيان أمره أو حزنكم على فوت الغنيمة وإنما أصابكم الله بهذا الغم ﴿لكيلا تحزنوا على ما فاتكم﴾ من الغنيمة فإن حزنهم على فوت الغنيمة سبب مخالفتهم التي أوجبت غلبة الكفار ﴿ولا ما أصابكم﴾ من الأضرار، ومعنى هذه الجملة أنه إذا أصابكم بسبب إطاعة الرسول ﷺ الحزن بضرر أو فوت نفع، فإن أردتم زوال ذلك الحزن بمخالفة الرسول ﷺ يصيبكم الله حزناً آخر، فلا يفيد الفرار عن الحزن ﴿والله خبير بما تعملون﴾ فيجازيكم عليه.

[١٥٤] ﴿ثُمَّ أُنزِلَ إِلَيْكَ اللَّهُ ﴿عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ﴾ الَّذِي أَصَابَكُمْ بِوَاسِطَةِ الْإِنْهَامِ ﴿أَمْنَةً﴾ أَمْنًا، مَفْعُولٌ (أُنزِلَ) ﴿نِعَاسًا﴾ أَي نَوْمًا، فَان الْإِنْسَانَ الْآمِنَ بِأَخْذِهِ النَّوْمَ بِخِلَافِ الْخَائِفِ، وَهُوَ بَدَلُ اشْتِمَالٍ عَنْ (أَمْنَةٍ) ﴿يَغْشَى﴾ النَّعَاسُ، أَي يَشْمَلُ ﴿طَائِفَةٌ مِنْكُمْ﴾ وَهُمْ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ظَفَرُوا ثَانِيًا عَلَى الْكُفَّارِ، حَيْثُ إِنْ الْكُفَّارَ بَعْدَ قَتْلِ جَمَاعَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَقَعَ فِي قُلُوبِهِمُ الْخَوْفُ فَانْهَزَمُوا ﴿وَطَائِفَةٌ﴾ أُخْرَى هُمُ الْمُنَافِقُونَ ﴿قَدْ أَهْمَتَهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ يَرِيدُونَ نَجَاتَهَا، حَتَّى بَعْدَ أَنْ ذَهَبَ الْكُفَّارُ، لَمَّا دَخَلَهُمْ مِنَ الرَّعْبِ وَالْخَوْفِ ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ فَانْهَمَ كَانُوا يَظُنُّونَ أَنَّ اللَّهَ خَدَعَهُمْ بَوَعْدِ النَّصْرِ لَهُمْ، بَيْنَمَا إِنْ اللَّهَ وَعَدَهُمْ وَعَدَ الْحَقَّ بِالنَّصْرِ، لَكِنْ مَخَالَفَةَ الْأَمْرِ سَبَبَتْ هَزِيمَتَهُمْ أَوَّلًا ﴿ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةُ﴾ فَان أَهْلَ الْجَاهِلِيَّةِ كَانُوا يَسْتَوْنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ ﴿يَقُولُونَ﴾ الطَّائِفَةُ الْمُنَافِقَةُ ﴿هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ﴾ أَي أَمْرُ النَّصْرِ ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ وَهَذَا اسْتِفْهَامُ إِنْكَارٍ مِنْهُمْ، أَي لَا نَصْرَ لَنَا عَلَى الْكُفَّارِ ﴿قُلْ إِنْ الْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ فَان النَّصْرُ وَالْإِنْهَامُ بِيَدِ اللَّهِ، ﴿يَخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا﴾ أَي النِّفَاقُ الَّذِي لَا يَبْدُونَ لَكَ لَا يَظْهَرُ وَنَهْ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ أَصْدِقَاؤُنَا فِي أَحَدٍ﴾ لَمْ يَكُنْ قَتْلُ الْمُسْلِمِينَ فِي أَحَدٍ لَأَنَّهُمْ خَرَجُوا لِلْمَقَاتِلَةِ، بَلْ لَأَنَّ وَقْتُ قَتْلِهِمْ حَضَرَ ﴿لَوْ

ثُمَّ أُنزِلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نُبَأَ يَنْشَأُ طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُوا هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنْ الْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ يُخَفُّونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يَبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قَاتَلْنَا هَهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٥﴾ إِنْ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٦﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُرَى لَوْ كَانُوا عُنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُمِيتُ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٧﴾ وَلَكِنْ قَاتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٨﴾

كُتِمَ فِي بُيُوتِكُمْ، أَي مَنَازِلِكُمْ وَلَمْ تَخْرُجُوا لِلْقِتَالِ ﴿لَبَرَزَ﴾ أَي خَرَجَ ﴿الَّذِينَ كُتِبَ﴾ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ ﴿عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ﴾ أَنْ يَقْتُلُوا فِي هَذَا الْيَوْمِ ﴿إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾ جَمْعُ مَضْجَعٍ أَي مَحَلِّ الْقَتْلِ ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ﴾ أَي فَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ بِكُمْ لِيَمْتَحِنَ ﴿مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾ مِنَ الْإِخْلَاصِ وَالنِّفَاقِ فَان فِي الشَّدَةِ يَظْهَرُ الْإِيمَانُ وَالنِّفَاقُ ﴿وَلِيُمَحَّصَ﴾ أَي يَخْلَصَ ﴿مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ مِنَ الْوَسْوَاسِ أَي يَظْهَرُ وَسْوَاسُ قُلُوبِكُمْ ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أَي بِأَسْرَارِهَا.

[١٥٥] ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ﴾ وَانْهَزَمُوا يَوْمَ أَحَدٍ ﴿يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ﴾ الْكُفَّارَ وَالْمُسْلِمُونَ، التَّقْيَا فِي سَاحَةِ الْمَعْرَكَةِ ﴿إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ﴾ أَي طَلَبَ الشَّيْطَانُ زَلْلَهُمْ وَانْهَزَامَهُمْ فَأَطَاعُوهُ ﴿بِبَعْضٍ﴾ أَي بِسَبَبِ بَعْضٍ ﴿مَا كَسَبُوا﴾ مِنَ الْمَعَاصِي السَّابِقَةِ، إِذَا الْمَعْصِيَةُ تَوَجَّبَ تَزَلُّلُ الْإِيمَانِ إِذَا صَارَ وَقْتُ الْامْتِحَانِ ظَهَرَ الضَّعْفُ فِي الْعَاصِي ﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾.

[١٥٦] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ﴾ أَي قَالُوا فِي بَابِ إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ قَتَلُوا وَمَاتُوا فِي الْحَرْبِ أَوْ فِي السَّفَرِ ﴿إِذَا ضَرَبُوا﴾ أُولَئِكَ الْإِخْوَانُ، وَالضَّرْبُ كِتَابَةٌ عَنِ السَّفَرِ ﴿فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا﴾ أُولَئِكَ الْإِخْوَانُ ﴿غُرَى﴾ جَمْعُ غَايَ، بِمَعْنَى الَّذِي يَغْزُو وَيَجَاهِدُ ﴿لَوْ كَانُوا﴾ هَذَا مَفْعُولٌ (قَالُوا) ﴿عِنْدَنَا﴾ بِأَنَّ لَمْ يَسَافَرُوا وَلَمْ يَجَاهِدُوا ﴿مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ﴾ وَإِنَّمَا فَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ بِهِمْ، بَانَ تَرْكُهُمْ فِي نِفَاقِهِمْ وَلَمْ يَلْطَفْ بِهِمُ الْأَلْطَافُ الْخَاصَّةُ ﴿حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ فَيُضَافُ إِلَى فَقْدِ إِخْوَانِهِمُ التَّحَسُّرُ وَالْحُزْنُ جَزَاءُ لِنِفَاقِهِمْ ﴿وَاللَّهُ يَحْيِي وَيُمِيتُ﴾ فَبِيْهِدِ الْحَيَاةَ وَالْمَوْتَ وَلَا رِبْطَ بِالْخُرُوجِ وَعَدَمَ الْخُرُوجِ إِلَى الْجِهَادِ ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

[١٥٧] ﴿وَلَنْ قَتَلْتُمْ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مِتُّمْ﴾ فِي سَبِيلِهِ عَزَّ وَجَلَّ كَمَا لَوْ خَرَجْتُمْ لِلْجِهَادِ أَوْ الْحَجِّ ثُمَّ أَدْرَكْتُمُ الْمَوْتَ ﴿لَمَغْفِرَةٌ﴾ غَفْرَانُ لَذُنُوبِكُمْ ﴿مَنْ اللَّهُ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ أَي يَجْمَعُ مِنَ الْأَمْوَالِ مَنْ لَمْ يَخْرُجْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَمْ يَمُتْ.

[١٥٨] ﴿وَلَمَن مَّمَّ أَوْ قَتَلْتُمْ إِلَى اللَّهِ تَحْشَرُونَ﴾ أي تجمعون في يوم القيامة فيكون أجركم عليه، ولا تخشرون بموتكم إذ تعوضون عن ذلك.

[١٥٩] ﴿فِيمَا رَحْمَةً﴾ أي فبرحمة، و(ما) مزيدة للتأكيد ﴿مَنْ اللَّهُ لَمْتُ﴾ يا رسول الله، أي كنت لينا فان ذلك رحمة من الله للمسلمين ﴿لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ ظَفَا﴾ جافياً ﴿غَلِيظَ الْقَلْبِ﴾ قاسياً سيئ الخلق ﴿لَا نَفْضُوا﴾ أي تفرقوا ﴿مَنْ حَوْلَكَ﴾ من أطرافك ﴿فَاعْفُ﴾ يا رسول الله عنهم ﴿وَلَا تَوَاخِذْهُمْ بِمُخَالَفَةِ أَمْرِكَ﴾ يوم أحد - واستغفر لهم ﴿اطْلُبْ غَفْرَانَ اللَّهِ وَتَجَاوَزْهُ عَنْ عَصِيَانِهِمْ وَشَاوَرِهِمْ فِي الْأَمْرِ﴾ طلباً لرضا قلوبهم ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ﴾ على أمر ورأيت فيه الصلاح ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ واثت به ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾.

[١٦٠] ﴿إِنْ يَنْصَرِكُمْ اللَّهُ﴾ كما نصركم بيدر ﴿فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ لا يغلب عليكم أحد ﴿وَلِنْ يَخْذَلْكُمْ﴾ ولم ينصركم ﴿فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصَرِكُمْ مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي بعد خذلان الله لكم، فلا ناصر لكم مع خذلان الله تعالى ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

[١٦١] ﴿وَمَا كَانَ﴾ أي لا يجوز ﴿لِنَبِيِّ أَنْ يَغْلُ﴾ أي يخون، فقد فقدت قطيفة حمراء يوم بدر فقال المنافقون إن الرسول ﷺ أخذها ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ﴾ يخون ﴿يَأْتِ بِمَا غُلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ فيأتي هنالك وهو يحمل على ظهره ما غل، فضيحة له بين الناس ﴿ثُمَّ تَوَفَّى﴾ يعطى جزاؤها وافيأ ﴿كُلِّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ﴾ من خير وشر ﴿وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ﴾.

[١٦٢] ﴿أَفَمَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانُ اللَّهِ﴾ بأن أتى بما وجب عليه ﴿كَمَنْ بَاءَ﴾ رجع بسبب عصيانه ﴿يَسْخَطُ مِنَ اللَّهِ وَمَا وَاهُ﴾ محله ﴿جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ أي محل يصير الإنسان إليه.

[١٦٣] ﴿هُمُ﴾ أي المطيعون والعصاة ذوو ﴿دَرَجَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ﴾ إذ تفاوتت درجات المؤمنين والمطيعين ودرجات الكافرين والعاصين ﴿وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ فيجازيهم على أعمالهم كل بقدره.

[١٦٤] ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ﴾ أي أنعم ﴿عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ﴾ أرسل ﴿فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ من جنسهم لا من جنس الملائكة ﴿يَتْلُو﴾ يقرأ ﴿عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾ القرآن ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ يطهرهم من رذائل الأخلاق ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾ القرآن الحكيم ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ الشرائع ﴿وَإِنْ كَانُوا﴾ إن: مخففة من الثقيلة ﴿مَنْ قَبْلَ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ واضح.

[١٦٥] ﴿أَوْ لَمَّا﴾ الهمزة للاستفهام والواو عاطفة ﴿أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ﴾ هي قتل سبعين منهم في أحد ﴿قَدْ أَصَبْتُمْ﴾ من الكفار في بدر ﴿مِثْلَهَا﴾ لأن المسلمين قتلوا في بدر سبعين وأسرهم سبعين ﴿قَتَلْتُمْ أَنَّى هَذَا﴾ أي من أين أصابتنا هذه الإصابة، وقد وعدنا الله النصر ﴿قُلْ هُوَ﴾ أي هذا الانكسار في أحد ﴿مَنْ عِنْدَ أَنْفُسِكُمْ﴾ حيث خالفتم الرسول ﷺ في ترككم مواقعكم في الجبل ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ قادر بأن ينصركم.

وَلَمَن مَّمَّ أَوْ قَتَلْتُمْ إِلَى اللَّهِ تَحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ فِيمَا رَحْمَةً مِّنَ اللَّهِ لَمْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَي كُنْتَ لِينًا فَإِنْ ذَلِكَ رَحْمَةٌ مِنَ اللَّهِ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ ظَفَا﴾ جَافِيًا ﴿غَلِيظَ الْقَلْبِ﴾ قَاسِيًا سَيِّئَ الْخَلْقِ ﴿لَا نَفْضُوا﴾ أَي تَفَرَّقُوا ﴿مَنْ حَوْلَكَ﴾ مِنْ أَطْرَافِكَ ﴿فَاعْفُ﴾ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَنْهُمْ وَلَا تَوَاخِذْهُمْ بِمُخَالَفَةِ أَمْرِكَ - يَوْمَ أُحُدٍ - وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴿اطْلُبْ غَفْرَانَ اللَّهِ وَتَجَاوَزْهُ عَنْ عَصِيَانِهِمْ وَشَاوَرِهِمْ فِي الْأَمْرِ﴾ طَلَبًا لِرِضَا قُلُوبِهِمْ ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ﴾ عَلَى أَمْرٍ وَرَأَيْتَ فِيهِ الصَّلَاحَ ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ وَاثْتَبِهِ بِهِ ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ ﴿١٥٩﴾ ﴿إِنْ يَنْصَرِكُمْ اللَّهُ﴾ كَمَا نَصَرَكَ بِدَرٍ ﴿فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ لَا يَغْلِبُ عَلَيْكُمْ أَحَدٌ ﴿وَلِنْ يَخْذَلْكُمْ﴾ وَلَمْ يَنْصَرِكُمْ ﴿فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصَرِكُمْ مِنْ بَعْدِهِ﴾ أَي بَعْدَ خِذْلَانِ اللَّهِ لَكُمْ، فَلَا نَاصِرَ لَكُمْ مَعَ خِذْلَانِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٦٠﴾ ﴿وَمَا كَانَ﴾ أَي لَا يَجُوزُ ﴿لِنَبِيِّ أَنْ يَغْلُ﴾ أَي يَخُون، فَقَدْ فَدَّتْ قُطِيفَةُ حِمْرَاءَ يَوْمَ بَدْرٍ فَقَالَ الْمُنَافِقُونَ إِنَّ الرَّسُولَ ﷺ أَخَذَهَا ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ﴾ يَخُون ﴿يَأْتِ بِمَا غُلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ فَيَأْتِي هُنَاكَ وَهُوَ يَحْمِلُ عَلَى ظَهْرِهِ مَا غُلَّ، فَضِيحَةٌ لَهُ بَيْنَ النَّاسِ ﴿ثُمَّ تَوَفَّى﴾ يُعْطَى جَزَاؤُهَا وَافِيًا ﴿كُلِّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ﴾ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ ﴿وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ﴾ ﴿١٦١﴾ ﴿أَفَمَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانُ اللَّهِ﴾ بِأَنْ أَتَى بِمَا وَجِبَ عَلَيْهِ ﴿كَمَنْ بَاءَ﴾ رَجَعَ بِسَبَبِ عَصِيَانِهِ ﴿يَسْخَطُ مِنَ اللَّهِ وَمَا وَاهُ﴾ مَحَلُّهُ ﴿جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ أَي مَحَلُّ يَصِيرُ الْإِنْسَانُ إِلَيْهِ. ﴿١٦٢﴾ ﴿هُمُ﴾ أَي الْمُطِيعُونَ وَالْعَصَاةُ ذُو دَرَجَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ ﴿إِذْ تَفَاوَتَ دَرَجَاتُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُطِيعِينَ وَدَرَجَاتُ الْكَافِرِينَ وَالْعَاصِينَ﴾ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿فِيَجَازِيهِمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ كُلَّ بَقْدَرِهِ﴾. ﴿١٦٣﴾ ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ﴾ أَي أَنْعَمَ ﴿عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ﴾ أَرْسَلَ ﴿فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ مِنْ جَنْسِهِمْ لَا مِنْ جَنْسِ الْمَلَائِكَةِ ﴿يَتْلُو﴾ يَقْرَأُ ﴿عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾ الْقُرْآنَ ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ يَطَهِّرُهُمْ مِنْ رِذَائِلِ الْأَخْلَاقِ ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾ الْقُرْآنَ الْحَكِيمَ ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ الشَّرَائِعَ ﴿وَإِنْ كَانُوا﴾ إِنْ: مُخَفَّفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ ﴿مَنْ قَبْلَ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ وَاضِحٌ. ﴿١٦٤﴾ ﴿أَوْ لَمَّا﴾ الْهَمْزَةُ لِلِاسْتِفْهَامِ وَالْوَاوُ عَاطِفَةٌ ﴿أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ﴾ هِيَ قَتْلُ سَبْعِينَ مِنْهُمْ فِي أَحَدٍ ﴿قَدْ أَصَبْتُمْ﴾ مِنَ الْكَافِرِينَ فِي بَدْرٍ ﴿مِثْلَهَا﴾ لِأَنَّ الْمُسْلِمِينَ قَتَلُوا فِي بَدْرٍ سَبْعِينَ وَأَسْرَوْهُمُ سَبْعِينَ ﴿قَتَلْتُمْ أَنَّى هَذَا﴾ أَي مِنْ أَيْنَ أَصَابَتْنَا هَذِهِ الْإِصَابَةُ، وَقَدْ وَعَدَنَا اللَّهُ النَّصْرَ ﴿قُلْ هُوَ﴾ أَي هَذَا الْإِنْكَسَارُ فِي أَحَدٍ ﴿مَنْ عِنْدَ أَنْفُسِكُمْ﴾ حَيْثُ خَالَفْتُمُ الرَّسُولَ ﷺ فِي تَرْكِكُمْ مَوَاقِعَكُمْ فِي الْجَبَلِ ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ قَادِرٌ بِأَنْ يَنْصَرَكُمْ.

[١٦٦] ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّقِي الْجَمْعَانِ﴾ المسلمون والمشركون في أحد حيث تلاقيا ﴿فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾ حيث ترككم وشأنكم ﴿وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ .

[١٦٧] ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا﴾ أي يميز المؤمنين من المنافقين ﴿وَقِيلَ﴾ عطف على ﴿نافقوا﴾ ﴿لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا﴾ أي قاتلوا إما لله أو لأجل الدفاع عن أنفسكم وأهلكم ﴿قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا﴾ أي لو علمنا أن هذا قتال، وليس إلقاء نفس في التهلكة ﴿لَا تَبْعَانَا﴾ في الخروج إلى الجهاد، لكنه ليس بقتال بل هلاك لنا وإبادة ﴿هُمْ﴾ هؤلاء المنافقون ﴿لِلْكَفَرِ يَوْمَئِذٍ﴾ أي يوم قالوا هذا القول ﴿أَقْرَبَ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ فانهم كانوا منافقين أما الآن فقد مالوا إلى جانب الكفر ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ أنهم مؤمنون ﴿مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ إذ في قلوبهم الكفر ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ يخفون من النفاق .

[١٦٨] وهم ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ﴾ أي حول إخوانهم المؤمنين الذين قتلوا في أحد ﴿وَوُكِّلَ لَهُمُ الْقِتَالُ﴾ عن الجهاد لنفاقهم ﴿لَوْ أَطَاعُونَا﴾ في القعود وترك القتال ﴿مَا قُتِلُوا﴾ كما لم تقتل نحن بسبب قعودنا ﴿قُلْ﴾ إن كان الموت بأيديكم ﴿فَادْعُوا﴾ أي ادفعوا ﴿عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ﴾ حين أناكم ملك الموت ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أن قعودكم كان سبب بقاء حياتكم .

[١٦٩ - ١٧٣] ﴿وَلَا تَحْسِبَنَّ﴾ أي لا تظن أيها السامع ﴿الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ﴾ هم ﴿أَحْيَاءُ﴾ حياة طيبة ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ بخلاف الكافر فإنه ميت إذ هنالك في العذاب، وبخلاف المؤمن إذا مات، فليست له حياة طيبة كحياة الشهيد ﴿يَرْزُقُونَ﴾ تأكيد لحياتهم . في حال كون أولئك الشهداء ﴿فرحين﴾ أي مسرورين ﴿بِمَا آتَاهُمْ﴾ أعطاهم ﴿اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ﴾ أي يسرون ﴿بِالَّذِينَ﴾ أي بسائر المؤمنين الذين ﴿لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ بعد بل هم في الحياة الدنيا ﴿من خلفهم﴾ أي الذين خلفوهم في الدنيا ﴿أَلَا﴾ أي من جهة أن لا ﴿خوف عليهم﴾ أي على المؤمنين الباقين في الحياة، فإن الإنسان إذا كان في نعمة وعلم أن إخوانه الذين ليسوا معه لهم مستقبل زاهر، يكون في أشد أحوال الفرح والسرور ﴿ولا هم يحزنون﴾ . ﴿يستبشرون﴾ أي الشهداء ﴿بنعمة من الله﴾ حيث أنعم عليهم بأنواع النعم ﴿وفضل﴾ زيادة ثواب على ما يستحقون ﴿و﴾ بـ ﴿أَنَّ اللَّهَ لَا يَضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الذين هم إخوانهم من خلفهم . ﴿الَّذِينَ﴾ صفة المؤمنين ﴿استجابوا﴾ أي أجابوا بمعنى أطاعوا في الخروج إلى بدر الصغرى^(١) ﴿لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾ أي أحسنوا منهم ﴿وَاتَّقُوا أَجْرَ عَظِيمٍ﴾ للذين أحسنوا منهم . من للبيان ﴿وَاتَّقُوا أَجْرَ عَظِيمٍ﴾ إذ من لم يبق منهم على إيمانه وتقواه لا ينال الأجر، فإن الرسول ﷺ بعد أحد عقب أبا سفيان والكفار إرهاباً لهم وهذه الآية نزلت فيمن تبع الرسول ﷺ في تلك الغزوة، وقد أعطى أبو سفيان نعيم بن مسعود عشرة من الإبل ليفتر أصحاب الرسول ﷺ عن معاقبة الكفار بعد أحد، ففترهم ولذا خرج الرسول ﷺ بسبعين من أصحابه فقط . ﴿الَّذِينَ﴾ أي المؤمنون الذين ﴿قال لهم الناس﴾ والمراد به نعيم بن مسعود المرتشي ﴿إن الناس﴾ أي أبا سفيان وحزبه ﴿قد جمعوا﴾ العدة ﴿لكم﴾ لقتالكم فلا تخرجوا إليهم ﴿فأخشوهم﴾ أي فخافوا الكفار ولا تخرجوا لقتالهم ﴿فزادهم﴾ أي زاد قول نعيم للمؤمنين ﴿إيماناً﴾ فإن أصحاب النفوس المؤمنة إذا عرفوا قوة الكفار يزدادون صلابة وإيماناً ﴿وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل﴾ أي يكفينا ﴿ونعم الوكيل﴾ خير وكيل لكل الإنسان إليه أمره .

[١٧٤] ﴿فَانْقَلِبُوا﴾ أي رجع هؤلاء المؤمنون من بدر الصغرى بعد أحد ﴿بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ﴾ فإن الله أنعم عليهم بالعافية من الحرب إذ خاف الكفار وانهزموا ﴿وَفَضَّلَ﴾ زيادة ثواب ﴿لَمْ يَمْسَسْهُمْ﴾ لم يمسهم ﴿سُوءٌ﴾ جراحة أو كيد أو ما أشبهه ﴿وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ﴾ أي رضاه حيث أطاعوا أمره بالخروج إلى بدر ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾.

[١٧٥] ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ﴾ أي المشبط عن الخروج إلى القتال ﴿الشَّيْطَانُ﴾ الذي خَوْفُ المسلمين ﴿يَخَوْفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ أي أجباء الشيطان فانهم يخافون، أما المؤمنون فلا يخافون ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾ أي لا تخافوا أولياء الشيطان ﴿وَخَافُونَ﴾ أي خافوا عقابي بالمخالفة ﴿إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

[١٧٦] ﴿وَلَا يَحْزَنْكَ﴾ يا رسول الله ﴿الَّذِينَ يَسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ أي يبادرون إلى الكفر بالارتداد عن الإسلام ﴿إِنَّهُمْ لَنُيْضِرُّوهُنَّ﴾ أي يضرّوهم الله شيئاً يريد الله ﴿بِتَرْكِهِمْ حَتَّى يَكْفُرُوا﴾ ألا يجعل لهم حظاً نصيباً من الثواب ﴿فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

[١٧٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ﴾ بأن تركوا الإيمان واتخذوا الكفر ﴿لَنُيْضِرُّوهُنَّ﴾ أي يضرّوهم الله شيئاً ولهم عذاب أليم مؤلم.

[١٧٨] ﴿وَلَا يَحْسِبَنَّ﴾ أي لا يظننّ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُؤْمِلُ﴾ الإيماء: الإمهال وإطالة العمر ﴿لَهُمْ خَيْرٌ﴾ فانه ليس خيراً ﴿لأنفسهم إنما نُؤْمِلُ لَهُمْ لِيُزَادُوا إِثْمًا﴾ فان طول عمرهم سبب زيادة معاصيهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ يهينهم في نار جهنم.

[١٧٩] ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيُذَرَ﴾ أي يترك ﴿الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾ من اشتباه المؤمن بالمنافق ﴿حَتَّى يُمَيِّزَ الْخَبِيثَ﴾ المنافق ﴿مِنَ الطَّيِّبِ﴾ المؤمن، والتميز إنما هو بأوامر يطيعها المؤمن ويتركها المنافق فيتميزان ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾ حتى تميزوا الإيمان من النفاق في القلوب، وإنما يظهر ذلك بالشدائد في الامتحانات ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يُجْتَبِي﴾ يختار ﴿مَنْ رُسُلَهُ مِنْ إِيَّاهُ﴾ فيطلعه على الغيب ويعرف المؤمن من المنافق ﴿فَأَمَّنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ مخلصين، لان الرسول ﷺ يعرف المخلص من غيره ﴿وَأِنْ تَوَمَّنُوا وَتَتَّقُوا﴾ المعاصي ﴿فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

[١٨٠] ﴿وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا أَنَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ أي بخلهم بمنع الحق الواجب الذي أعطاهم الله إياه ﴿هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُوَ﴾ أي البخل ﴿شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ﴾ أي يكون وبال بخلهم كالطوق الملازم لأعناقهم ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فان الله يرث كل شيء، فما بال هؤلاء يبخلون مما سيتقل عنهم إلى الله ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

فَانْقَلِبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضَّلَ لَمْ يَمَسَّهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَا يَحْزَنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنُيْضِرُّوهُنَّ اللَّهُ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنُيْضِرُّوهُنَّ اللَّهُ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُؤْمِلُ لَهُمْ خَيْرٌ لَأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُلْمِ لَهُمْ لِيُزَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٧٨﴾ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يُمَيِّزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَأَمَّنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تَوَمَّنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا أَنَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾

[١٨١] ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ﴾ هم اليهود حين سمعوا قوله سبحانه (من ذا الذي يقرض الله) ﴿قَالُوا إِنْ اللَّهُ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا﴾ في صفح الكتبة و(السين) للتأكيد ﴿و﴾ سكتب ﴿قتلهم الأنبياء بغير حق ونقول﴾ لهم يوم القيامة ﴿ذوقوا عذاب الحريق﴾ المحرق.

[١٨٢] ﴿ذلك﴾ العذاب ﴿بما﴾ أي بسبب ما ﴿قدمت﴾ إلى الآخرة ﴿أيديكم﴾ عبر عن الأنفس بالأيدي، لأن أكثر الأعمال باليد ﴿وأن الله ليس بظلام﴾ أي بذي ظلم صيغة نسبة فليس تعذيبهم ظلماً وإنما بالعدل ﴿للعبيد﴾.

[١٨٣] ﴿الذين﴾ صفة للذين قالوا إن الله فقير وهم اليهود ﴿قَالُوا إِنْ اللَّهُ عَهْدُ الْبَيْنَا﴾ أي أوصانا ﴿أَلَا نُؤْمِنُ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِينَا﴾ ذلك الرسول ﴿بقربان﴾ أي ما يتقرب به من الذبائح أو ما أشبه ﴿فَأَكَلَهُ النَّارُ﴾ فقد كانت هذه معجزة لبعض أنبياء بني إسرائيل أن يقرب قرباناً فيدعو فتأتي نار من السماء وتحرق القربان ﴿قل﴾ لهم يا رسول الله ﴿قد جاءكم رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أي بالأدلة الدالة على صدقهم ﴿وبالذي قلتم﴾ من القربان ﴿فلم تقتلوهم﴾ كزكريا ويحيى ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أنكم تؤمنون إذا جاءكم الرسول ﷺ بالقربان.

[١٨٤] ﴿فإن كذبوك﴾ يا رسول الله ﴿فقد كذب رُسُلٌ مِنْ

قبلك﴾ كذبهم أقوامهم، وهذا تسلية لرسول الله ﷺ ﴿جاءوا بالبينات﴾ بالمعجزات ﴿والزُّبُرِ﴾ جمع الزبور وهو الكتاب المقصور على الحكم فقط - اصطلاحاً - ﴿والكتاب﴾ المشتمل على الأحكام والمواعظ وغيرها كالتوراة والإنجيل ﴿المنير﴾ ذي النور الذي يهدي من ظلمات الكفر والأخلاق السيئة.

[١٨٥] ﴿كل نفس ذائقة﴾ أي تذوق ﴿الموت وإنما توفون﴾ أي تعطون ﴿أجوركم﴾ جزاء أعمالكم ﴿يوم القيامة، فمن رُحِزَ﴾ نجي ﴿عن النار وأدخل الجنة فقد فاز﴾ وريح ﴿وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾ متاع يخدع به الإنسان.

[١٨٦] ﴿لنبلون﴾ أي تمتحن ﴿في أموالكم﴾ بالزكاة والخمس وغيرهما ﴿وأنفسكم﴾ بالشدائد والقتل في سبيل الله ﴿ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم﴾ اليهود والنصارى ﴿ومن الذين أشركوا﴾ الكفار الذين لا كتاب لهم ﴿أذنى كثيراً﴾ من الطعن في دينكم والمؤامرة ضدكم ﴿وإن تصبروا﴾ على ذلك ﴿وتتقوا﴾ المعاصي والآثام ﴿فإن ذلك﴾ الصبر والتقوى ﴿من عزم الأمور﴾ أي من الأمور التي يحسن العزم عليها، بمعنى أهمية الذي يعزم عليها، لأنها من الصعوبة بمكان.

لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنْ اللَّهُ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلُ دُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ الَّذِينَ قَالُوا إِنْ اللَّهُ عَهْدُ الْبَيْنَا أَلَا نُؤْمِنُ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِينَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨٣﴾ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمَتَاعٌ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ لَنَبْلُوَنَّكُمْ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ آتَوْا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذْنَى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾

[١٨٧] ﴿وَإِذْ﴾ واذكر يا رسول الله نقض اليهود لليهود بعد أن ذكرت تكذيبهم للرسل ﴿أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ عهدهم الأكيد، أخذه بواسطة أنبيائه ﴿لَتُبَيِّنَنَّ﴾ أي الكتاب السماوي ﴿لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ أي لا تخفونه ﴿فَنُبْذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ أي الكتاب أو الميثاق، إذ أن في كتابهم رسالة محمد ﷺ ولذا تركوا العمل به ولم يظهره للناس ﴿وَاشْتَرَوْا بِهِ﴾ أي بدل البيان للناس ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ هي رئاستهم الدنيوية ﴿فَبُئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾.

[١٨٨] ﴿لَا تَحْسِنَ﴾ الذين يفرحون بما أتوا، كاليهود كانوا يفرحون بإظهار أحكام التوراة المحرفة ﴿وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِحَمْدِهِمُ النَّاسَ وَيُمْدَحُونَهُمْ﴾ بما لم يفعلوا فإنهم أخفوا الحق ومع ذلك كانوا يحبون أن يقول الناس عنهم إنهم أظهروا الحق ﴿فَلَا تَحْسِبَنَّاهُمْ بِمَفَازَةٍ﴾ أي بمنجاة ﴿مِنَ الْعَذَابِ﴾ أي فائزين بالنجاة منه ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم بسبب كفرهم وتدليسهم.

[١٨٩] ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فيقدر على عقاب اليهود.

[١٩٠] ﴿إِنْ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ أي تعاقب أحدهما وراء الآخر ﴿لَايَاتٍ﴾ دالة على وجود الله سبحانه وصفاته ﴿لَأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ أصحاب العقول.

[١٩١] ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا﴾ قائمين ﴿وَقُعُودًا﴾ قاعدين ﴿وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ وهم نائمون ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ تفكر اعتبار ﴿رَبِّنَا﴾ أي يقولون يا ربنا ﴿مَا خَلَقْتَ هَذَا﴾ الكون ﴿بِاطِلًا﴾ عبثاً وبدون غاية ﴿سُبْحَانَكَ﴾ تنزيهاً لك عن العبث ﴿فَقَنَّا﴾ أي احفظنا ﴿عَذَابَ النَّارِ﴾.

[١٩٢] ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مِنْ تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ﴾ فضحته وأهنته ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾.

[١٩٣] ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا﴾ الرسول ﷺ ﴿يُنَادِي لِلْإِيمَانِ﴾ إلى الإيمان بـ ﴿أَنْ آمَنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا﴾ فامتثلنا ﴿رَبَّنَا فَافْغِرْ﴾ استر ﴿لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ﴾ أي امح ﴿عَنَّا سَيِّئَاتِنَا﴾ أي معاصينا ﴿وَتُوفِّقْنَا﴾ وتوفقنا مع الأبرار، أي اقْبض أرواحنا في جملة الصالحين، بأن نكون منهم.

[١٩٤] ﴿رَبَّنَا وَآتِنَا﴾ أعطنا ﴿مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ أَلْسِنَةِ رُسُلِكَ﴾ من الثواب ﴿وَلَا تُخْزِنَا﴾ أي لا تفضحنا ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ فإنك وعدت الجنة والمغفرة لمن آمن بك.

وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسِبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ إِنِّي فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطُلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ مِنْ تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمَنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتُوفِّقْنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾

[١٩٥] ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ أجاب دعاءهم، بـ ﴿أَنِّي لَا أُضِيعُ﴾ الإضاعة: الإهلاك ﴿عَمَلٌ عَامِلٌ مِنْكُمْ﴾ بيان (عامل) ﴿ذَكَرَ أَوْ أَنشَىٰ بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ﴾ أي كلكم محسوبون جماعة واحدة، أيها المسلمون ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ الشرك، أو عن أوطانهم ﴿وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ أخرجوهم المشركون ﴿وَأُودُوا فِي سَبِيلِي﴾ آذاهم الكفار ﴿وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا﴾ في سبيل الله ﴿لَا تُكْفِرُوا﴾ أي لأحمون ﴿عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَآدْخُلَنَّهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا أَنْهَارٌ﴾ تحت أنبيتها وأشجارها ﴿الْأَنْهَارُ ثَوَابٌ﴾ أي إن ما يفعل الله بهم في الآخرة يكون جزاء ﴿مَنْ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنُ الثَّوَابِ﴾ أي الثواب الحسن.

[١٩٦] ﴿لَا يَغْرَنَكْ﴾ أيها السامع، أي بان تغتر بـ ﴿تَقَلَّبَ﴾ الذين كفروا في البلاد ذهابهم ومجيئهم في سعة ورفاه، بأن تظن حسن حالهم وانهم قادرون على كل شيء. [١٩٧] ﴿فَإِنَّمَا تَقَلِّبُهُمْ﴾ يتمتع به الكافر ﴿قَلِيلٌ﴾ في أيام قلائل ﴿ثُمَّ مَأْوَاهُمْ﴾ منزلهم ﴿جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ بئس المستقر ما مهدوا وهبأوا لأنفسهم.

[١٩٨] ﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ﴾ وتركوا المعاصي ﴿لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا﴾ أي تحت أشجارها ﴿الْأَنْهَارُ﴾ خالدين فيها ﴿نُزُلًا﴾ هو ما يُعَدُّ للضيف من الطعام ونحوه ﴿مَنْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ من الثواب ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ﴾ مما

فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنشَىٰ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَآ كُفْرَنَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا دْخُلَنَّهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا أَنْهَارٌ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنُ الثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ لَا يَغْرَنَكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴿١٩٦﴾ مَتَّعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِيعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِمَا يَدَيَّتِ اللَّهُ ثَمَنًا قَلِيلًا أَوْ لُتْلِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ عِنْدَ اللَّهِ سَرِيعَ الْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَاصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾

سُورَةُ آلِ الْإِنْسَانِ

يتقلب فيه الذين كفروا ﴿لِلْأَبْرَارِ﴾.

[١٩٩] ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ﴾ من التوراة والإنجيل، في حال كونهم ﴿خَاشِعِينَ﴾ خاضعين ﴿لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ بأن يخفون الحق لأجل رئاسة ودنيا قليلة ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ فان كل آت قريب. [٢٠٠] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا﴾ يأمر بعضكم بعضاً بالصبر ﴿وَرَابِطُوا﴾ أقيموا في الثغور رابطين خيولكم ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ لكي تظفروا بما تبغون من الفلاح.

٤: سورة النساء

مدنية آياتها مائة وست وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم

[١] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَاللَّهُ نَافِلٌ عَلَيْكُمْ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَمِينِ فَادْفَعُوا عَنكُمْ الصَّكُوفَ إِنَّكُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَأَنْتُمْ أَعْيُنٌ عَلَىٰ آلَيْهِمْ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ اتَّقَوْا لِيَكُونَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

[٢] ﴿وَاتَّقُوا﴾ أعطوا ﴿اليتامى أموالهم﴾ ولا تبدلوا الخبيث بالطيب ﴿بأن تأخذوا طيب أموال اليتيم وتعطوا الخبيث مكانه﴾ ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم ﴿أي مع أموالكم﴾ ﴿إنه﴾ أي الأكل ﴿كان حوباً﴾ ذنباً ﴿كبيراً﴾.

[٣] ﴿وإن خفتهم ألا تقسطوا﴾ أي لا تعدلوا ﴿في اليتامى﴾ أي يتامى النساء إذا تزوجتم بهن، فانهن كانوا يتزوجون باليتيمات ثم لا يعدلون فيهن لعدم وجود أب لهن يخافون منه ﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء﴾ أي سائر النساء غير اليتيمات ﴿مثنى وثلاث ورباع﴾ اثنين اثنين وثلاث ثلاث وأربع أربع بأن يطلق ثلاثاً ويأخذ غيرها وهكذا

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَاللَّهُ نَافِلٌ عَلَيْكُمْ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَمِينِ فَادْفَعُوا عَنكُمْ الصَّكُوفَ إِنَّكُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَأَنْتُمْ أَعْيُنٌ عَلَىٰ آلَيْهِمْ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ اتَّقَوْا لِيَكُونَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ

بالنسبة إلى الأربع ﴿فإن خفتهم ألا تعدلوا﴾ بين المتعدد من النساء ﴿فواحدة﴾ أي اكتفوا بها ﴿أو﴾ اقتصروا بـ ﴿ما ملكتم﴾ أي ما كنتم من الإماء لأنه ليس لهن حق القسم ﴿ذلك﴾ الاكتفاء بواحدة وبملك اليمين ﴿أدنى﴾ أقرب ﴿ألا تعلموا﴾ أي أن لا تجرروا على النساء.

[٤] ﴿وَاتَّقُوا﴾ أعطوا ﴿النساء صدقاتهن﴾ مهورهن ﴿نحلة﴾ أي هدية بلا توقع عوض ﴿فإن طبن﴾ أي رضين ﴿لكم عن شيء منه﴾ من الصداق ﴿نفساً﴾ بأن طابت نفسهن بذلك ﴿فكلوه هنيئاً مريئاً﴾ أي كلوا ذلك الشيء سائغاً بدون غصة.

[٥] ﴿ولا تؤتوا﴾ أي لا تعدوا ﴿السفهاء أموالكم﴾ المراد أموالهم، وأضيف إلى (كم) باعتبار أن المال بالنتيجة مال المجموع^(١)، فهو إلتاف لمال المجتمع ﴿التي جعل الله لكم قياماً﴾ فان قيام معاش الإنسان إنما هو بالمال ﴿وارزقوهم﴾ أي في تلك الأموال ﴿واكسوهم﴾ أي أعطوا كسوتهم منها ﴿وقولوا لهم قولاً معروفاً﴾ أي تلطفوا بالكلام مع السفهاء حتى لا ينكسر خاطره.

[٦] ﴿وابتلوا﴾ أي اختبروا ﴿اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح﴾ بأن بلغوا بلوغاً شرعياً يحق لهم معه النكاح والدخول ﴿فإن أنستم﴾ أبصرتهم ﴿منهم رشداً﴾ بأن كانت لهم ملكة إدارة أمورهم وحفظ أموالهم ﴿فادفعوا إليهم أموالهم﴾ لأنهم صلحوا لأخذ أموالهم حينذاك ﴿ولا تأكلوها﴾ أي لا تأكلوا أموال اليتامى ﴿إسرافاً﴾ تجاوزاً عن الحد المباح ﴿وبداراً﴾ أي لأجل مبادرتكم في أكل أموالهم قبل ﴿أن يكبروا﴾ فيمنعوكم عن أكل أموالهم ﴿ومن كان﴾ من أولياء اليتيم المشرف على إدارة شؤونه ﴿غنياً فليستعفف﴾ ولا يأكل من أموال اليتيم أجره لإشرافه ﴿ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف﴾ بمقدار أجره عمله ﴿فإذا دفعتم إليهم أموالهم﴾ بعد أن كبروا ﴿فأشهدوا عليهم﴾ لتكونوا أبعد عن التهمة ﴿وكفى بالله حسيباً﴾ أي محاسباً فلا تتعدوا حدوده، فانه سيجازيكم على ما فعلتم.

(١) فإن الاسلام يقر الملكية الفردية، والمقصود النتيجة الاقتصادية للمال حيث تعود فائدته الى الجميع.

[٧] ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ ٧ ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ ٨ ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ ٩ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَكُونُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ ١٠ ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كَرِ مِثْلَ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنْ الْوَيْدَ اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ ١١

[٨] ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ﴾ أي قسمة التركة ﴿أولوا القربى﴾ بأن شهد وقت القسمة فقراء قرابة الميت الذين لا يرثون ﴿واليتامى والمساكين﴾ ويتاماهم ومساكينهم ﴿فارزقوهم منه﴾ أي أعطوهم شيئاً من التركة على وجه الندب وذلك فيما إذا رضي سائر الورثة وكانوا كباراً ﴿وقولوا لهم قولاً معروفاً﴾ حسناً غير خشن فانه كثيراً ما يتوقع هؤلاء أن يعطوا شيئاً كثيراً من التركة .

[٩] ﴿وليخش﴾ أمر للأوصياء بأن يخشوا الله في أمر اليتامى فيفعلوا فيهم ما يحبون أن يفعل بيتاماهم بعدهم ، فليخف الأوصياء ﴿الذين لو تركوا من خلفهم﴾ من بعد موتهم ﴿ذرية ضعافاً﴾ أيتاماً لا يملكون قوة حفظ أموالهم ﴿خافوا عليهم﴾ أي على تلك الذرية من إجحاف الناس بهم ﴿فليتقوا الله﴾ يخافه هؤلاء الأوصياء في أمر يتامى الموصين ﴿وليقلوا قولاً سديداً﴾ أي سليماً فلا يجحفوا

على الأيتام في قول أو عمل .
[١٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا﴾ مقابل من يأكل من مال اليتيم بحق ، كحقه في إدارة أموره ﴿إنما يأكلون في بطونهم﴾ أي يملأونها ﴿ناراً﴾ فان المال نار ، لأنه يجر إلى النار ﴿وسيلصلون سعيراً﴾ أي سيلزمون ناراً مشتعلة .
[١١] ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ﴾ يأمركم ﴿في﴾ باب ميراث ﴿أولادكم﴾ انه ﴿للكر مثل حظ﴾ نصيب ﴿الأنثيين فإن كن﴾ الأولاد ﴿نساء فوق اثنتين﴾ أي اثنتين فما فوق ﴿فلهن ثلثا ما ترك﴾ الميت ، ولو لم يكن وارث آخر أخذن الباقي بالقرابة ﴿وإن كانت﴾ الأولاد بنتاً ﴿واحدة﴾ فقط ﴿فلها النصف﴾ مما ترك والباقي تأخذه بالقرابة إن لم يكن هناك وارث آخر ﴿ولأبويه﴾ أب وأم الميت ﴿لكل واحد منهما السدس مما ترك﴾ الميت ﴿إن كان له﴾ للميت ﴿ولد﴾ سواء كان ذكراً أو أنثى ﴿فإن لم يكن له﴾ للميت ﴿ولد وورثه أبواه﴾ الأب والأم للميت ﴿فلأمه الثلث﴾ والثلثان لأبيه إن لم يكن للميت اخوة ﴿فإن كان له﴾ للميت ﴿إخوة﴾ ، وكان الوارث الأبوين ﴿فلأمه السدس﴾ والباقي لأبيه ، والإرث إنما هو ﴿من بعد وصية يوصي بها﴾ أي يوصي الميت بها ، إلى حد الثلث ﴿أو دين﴾ فان الدين والوصية مقدمان على الإرث ﴿أبأؤكم وأبنأؤكم لا تدرون﴾ أي لا تعلمون ﴿أيهم أقرب لكم نفعاً﴾ أي أنفع لكم في دنياكم وأخراكم فلا تخالفوا أوامر الوصية بأن تزيدوا على أحد الطرفين وتنقصوا من الطرف الآخر ، بزعم أن أحد الطرفين أنفع لكم ، بل أقسموا كما فرض الله ﴿فريضة من الله﴾ أي فرض الله هذا التقسيم فريضة ﴿إن الله كان عليماً﴾ بالمصالح ﴿حكيماً﴾ يضع الأشياء مواضعها .

[١٢] ﴿وَلَكُمْ﴾ أيها الأزواج ﴿نصف ما ترك أزواجكم﴾ أي زوجاتكم ﴿إن لم يكن لهن ولد﴾ منكم أو من غيركم ﴿فإن كان لهن ولد فلكن﴾ أيها الأزواج ﴿الربع مما تركن﴾ من الميراث ﴿من بعد وصية يوصين بها أو دين ولهن﴾ للزوجات إذا مات الزوج ﴿الربع مما تركتم﴾ من الميراث ﴿إن لم يكن لكم ولد﴾ منهن أو من غيرهن ﴿فإن كان لكم ولد فلهن الثمن﴾ زوجة واحدة كانت أو أكثر ﴿مما تركتم من بعد وصية يوصون بها أو دين وإن كان رجل يورث﴾ أي كان الميت الذي يورث ﴿كلالة﴾ أي أخت أو أختاً من الأم ﴿أو﴾ الميت التي تورث ﴿امراً﴾ أي للميت ﴿أخ أو أخت﴾ من الأم ﴿فلكل واحد منهما السدس﴾ والباقي للإخوة من الأبوين ﴿فإن كانوا أكثر من ذلك﴾ بأن كان للميت أكثر من واحد من الأخت والأخ الأميين ﴿فهم شركاء في الثلث﴾ فثلث التركة للأكثر بالتساوي بين الذكر والأنثى ﴿من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار﴾ أي في حال كون الوصية لا تضر بالورثة بأن لم تكن أكثر من الثلث ﴿وصية من الله والله عليم حلیم﴾.

[١٣] ﴿تلك حدود الله﴾ التي قررها للشريعة، ومن خرج عنها كان عاصياً ﴿ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها﴾ تحت أشجارها وأبنيتها ﴿الأنهار﴾ خالدين فيها وذلك ﴿دخول الجنة﴾ الفوز الفلاح العظيم.

[١٤] ﴿ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده﴾ بان خالف أحكامه ﴿يدخله﴾ الله ﴿ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين﴾ يهينه ويذلّه.

﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّوْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرَّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِن الْمِيرَاثِ مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِيَنَّ بِهَا أَوْ دِيْنٌ وَلَهُنَّ الرَّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمُ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمْنُ مِمَّا تَرَكَتُمُ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دِيْنٌ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورِثُ كَلَلَةً أَوْ امْرَأَةً وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دِيْنٍ غَيْرِ مَضَارٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلَيْهِ حَلِيمٌ ﴿١٣﴾ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٤﴾ وَمَن يَعَصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٥﴾﴾

﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّوْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرَّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِن الْمِيرَاثِ مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِيَنَّ بِهَا أَوْ دِيْنٌ وَلَهُنَّ الرَّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمُ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمْنُ مِمَّا تَرَكَتُمُ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دِيْنٌ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورِثُ كَلَلَةً أَوْ امْرَأَةً وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دِيْنٍ غَيْرِ مَضَارٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلَيْهِ حَلِيمٌ ﴿١٣﴾ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٤﴾ وَمَن يَعَصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٥﴾﴾

[١٥] ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ﴾ الزنا ﴿مِنْ نَسَائِكُمْ﴾ فاستشهدوا عليهن أربعة منكم ﴿أَيِ اطْلُبُوا مِنْكُمْ قَذْفَهُنَّ﴾ أربعة شهداء ﴿فَإِنْ شَهِدُوا﴾ أي الأربعة عليهن بالزنا ﴿فَاصْطَلَحُوا فِي الْبُيُوتِ﴾ أي احتسبوهن عقوبة لهن ﴿حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ﴾ حتى يمتن ﴿أَوْ يُجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ أي طريق عقوبة أخرى وقد جعل سبحانه ذلك الطريق بتشريع الحدود.

[١٦] ﴿وَاللَّذَانِ﴾ أي الرجل والمرأة ﴿يَأْتِيَانَهَا﴾ أي الفاحشة، وهما الزاني والزانية ﴿مِنْكُمْ فَادْءُوهُمَا﴾ بإجراء الحد عليهما ﴿فَإِنْ تَابَا﴾ في المستقبل ﴿وَأَصْلَحَا﴾ أنفسهما فلم يرتكبا الزنا بعد ذلك ﴿فَاعْرِضُوا عَنْهُمَا﴾ أي اصفحوا ولا تبادوا في الاشتهار بهما وإذائهما ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا﴾ يقبل التوبة عن عباده ﴿رَحِيمًا﴾.

[١٧] ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ﴾ أي إنما يقبل الله التوبة ﴿عَلَى اللَّهِ﴾ أي القبول الذي جعله الله على نفسه ﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾ أي متلبسين بجهالة، إذ ارتكاب الذنب جهل وسفاهة ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾ أي زمان قريب وهو قبل حضور الموت ﴿فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ وكان الله عليماً حكيمًا.

[١٨] ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ يتمادون في عمل المعاصي ﴿حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾ بأن عاين أمر الآخرة فإنه لا توبة مع المعاينة ﴿قَالَ إِنِّي تَبَتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كَفَارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا﴾ هَيَّاْنَا ﴿لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلماً.

[١٩] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا﴾ كان الرجل إذا مات قريبه ألقى ثوبه على زوجة الميت وقال أنا أحق بها فإن شاء تزوجها بلا صداق وإن شاء زوجها وأخذ صداقها، والمراد على كره منهن ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ أي لا تمسكوهن إضراراً بهن ﴿لَتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ﴾ من المهر، فقد كان الرجل يبقي على زوجته بلا نفقة يريد بذلك جبرها على أن تفتدي بمهرها مقابل طلاقه لها ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مَبْنِيَّةٍ﴾ أي ظاهرة وهي الزنا فيحل للزوج أن يخلعها ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ﴾ أي صاحبوهن ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ لدى العقل والشرع ﴿فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ﴾ فلا تطلقوهن لمجرد الكراهة ﴿فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ وكثيراً ما يبقي الإنسان على الزوجة مع كراهته لها وفي الإبقاء مصالح وخير كثير.

وَالَّتِي يَأْتِيَنَّ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّيَهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾ وَالَّذَانِ يَأْتِيَانَهَا مِنْكُمْ فَادْءُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿١٦﴾ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ يَأْتِيَانَهَا اللَّذَيْنِ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾

﴿٢٠﴾ وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج ﴿تطليق زوجة﴾
ونكاح زوجة أخرى مكانها ﴿وأتيتم﴾ أعطيتم ﴿إحداهن﴾
إحدى الزوجات ﴿تنتظراً﴾ مალأ كثيراً بعنوان المهر ﴿فلا
تأخذوا منه﴾ من مهرها ﴿شيئاً أتأخذونه﴾ استفهام إنكار
وتوبيخ ﴿بهتاناً﴾ فقد كان الرجل إذا أراد تزويج امرأة
أخرى بهت زوجته بالفاحشة ليجبرها بالافتداء فيأخذ المال
ليصرفه مهراً لجديده ﴿ورائماً﴾ أي معصية ﴿مبيناً﴾
ظاهراً.

[٢١] ﴿وكيف تأخذونه﴾ أي تأخذون المهر من الزوجة بالبهتان ﴿وقد أفضى﴾ الإفضاء إلى الشيء هو الوصول إليه بالملامسة وهذا كناية عن الجماع ﴿بعضكم إلى بعض﴾ أي أفضى الرجل إلى زوجته ﴿و﴾ الحال أن الزوجات ﴿أخذن منكم ميثاقاً غليظاً﴾ والميثاق الشديد هو العقد الذي مقتضاه إعطاء المهر كاملاً والإمساك بالمعروف والتسريح بالإحسان .

﴿٢٢﴾ ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ فإنه تحرم روجة الأب والجد على الولد والحفيد ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ فإنكم معاقبون على نكاحهن إلا ما سبق على إسلامكم فإن الإسلام يجب ما قبله ﴿إِنَّهُ﴾ نكاح زوجات الآباء ﴿كَانَ فَاَحْشَى﴾ زناً بالمحارم ﴿وَمَقْتاً﴾ أي موجباً لمقت الله وغيظه ﴿وَسَاءَ سَبِيلاً﴾ من عمل بذلك فقد ساء طريقه .

وَأِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَاتٍ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ
إِحْدَهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذْ وَائِمَةً شَيْئًا أَنَّا نَأْخُذْ وَنَهْمُ
بِهِنَّ تَنَاقُصًا وَإِنَّمَا كُنَّ مِثْلًا ۝ وَكَيْفَ تَأْخُذُ وَهِنَّ قَدْ أَفْضَى
بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْتَ مِنْكُمْ مِثْقَالًا
غَلِيظًا ۝ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنْ
النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّكُمْ كَانُمْ فَاحِشَةً وَمَعْتَدًا
وَسَاءَ سَبِيلًا ۝ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ
وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ
الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأَخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمْ الَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ
وَأَخَوَاتُكُمْ مِنْ الرِّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ
وَرَبِّبَتُكُمْ أَلَيْتُمْ فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمْ
الَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمُ بِهِنَّ
فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَخَلِيلُ آبَائِكُمُ الَّذِينَ
مِنْ أَصْنَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ
إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا ۝

[illegible]

[٢٤] ﴿و﴾ تحرم ﴿المحصنات﴾ أي ذوات الأزواج واللاتي في العدة ﴿من النساء﴾ إلا ما ملكت أيمانكم ﴿من سبايا دار الكفر﴾، إذ السبي يقطع صلة الزوجة بزوجه الكافر السابق، فتحل نكاح المسيبة، وذلك مقابلة بالمثل لما يفعله الكفار بالمسلمين ﴿كتاب الله عليكم﴾ أي كتب الله ذلك الحكم عليكم كتاباً ﴿وأحل لكم ما وراء﴾ أي سوى المحرمات المذكورة ﴿ذلكم﴾ (ذا) إشارة (كم) خطاب ﴿أن تبتغوا﴾ أي أن تطلبوا، وهذا بدل اشتغال من (ما) ﴿بأموالكم﴾ بجعلها مهرأ للنساء المحلات ﴿محصنين﴾ أي في حال كونكم أعفاء بأن تعطوا المال مهرأ لنكاح ﴿غير مسافحين﴾ أي غير زناة، من السفاح وهو إراقة المنى حراماً، بأن لا تعطوا المال أجرة للزنا ﴿فما استمتعتم به﴾ أي فالمرأة التي تمتعتم بها ﴿منهن﴾ بيان (ما) ﴿فآتوهن﴾ أي أعطوهن ﴿أجورهن﴾ أي مهورهن، وهذه الآية تشمل نكاح الدائم والمنقطع ﴿فريضة﴾ أي إن إعطاء مهورهن مفروض واجب ﴿ولا جناح عليكم﴾ أي لا حرج ﴿فيما تراضيتن به﴾ الضمير عائد إلى (ما) ﴿من بعد الفريضة﴾ بأن تزيدوا في المهر أو تنقصوا برضا الطرفين ﴿إن الله كان عليماً حكيماً﴾.

[٢٥] ﴿ومن لم يستطع﴾ أيها الرجال ﴿منكم طولا﴾ أي غنى، فلم يجد غنىً ومالاً ﴿أن ينكح المحصنات﴾ أي العفيفات ﴿المؤمنات﴾ الحرائر ﴿ف﴾ أنكحوا ﴿من ما ملكت أيمانكم﴾ جمع يمين، وإنما نسب الملك إلى اليمين لأن اليد تحصل المال الذي يشتري به العبيد ﴿من فتياتكم﴾ جمع فتاة ﴿المؤمنات﴾ أي من الإماء ﴿والله أعلم بإيمانكم﴾ فلا تستنكفوا عن نكاح الأمة، فإن الإيمان هو الميزان ولعل إيمانها أفضل من إيمان الحرة أو من إيمان الزوج ﴿بعضكم من بعض﴾ فإن البشر جنس واحد وكله من آدم ﷺ، وإنما اختلف حكم الحر والعبد والذكر والأنثى في بعض الموارد لمصالح خاصة ﴿فأنكحوهن﴾ أي الفتيات ﴿بإذن أهلهن﴾ فإن نكاح الأمة إنما يجوز بإجازة موليها ﴿وآتوهن أجورهن﴾ أي مهورهن ﴿بالمعروف﴾ بلا مظل أو ضرار، في حال كون تلك الفتيات اللاتي تريدون تزويجهن ﴿محصنات﴾ أعفاء ﴿غير مسافحات﴾ أي غير زناة معلنات ﴿ولا متخذات أخدان﴾ جمع خدن بمعنى الصديق أي لا يكون للفتاة صديق يزني بها ﴿فإذا أحصن﴾ بالأزواج، بأن تزوجت الفتاة ﴿فإن آتين﴾ تلك الإماء ﴿بفاحشة﴾ أي الزنا ﴿فعليهن نصف ما على المحصنات﴾ الحرائر ﴿من العذاب﴾ أي حد الزنا فحدهن خمسون جلدة ﴿ذلك﴾ أي نكاح الإماء ﴿لمن خشي العنت﴾ أي الجهد والمشقة ﴿منكم وأن تصبروا﴾ فلا تتزوجوا بالأمة ﴿خير لكم﴾ لما قد يلحق الولد من العار عند بعض الناس ﴿والله غفور رحيم﴾.

[٢٦] ﴿يريد الله ليبين لكم﴾ الحلال من الحرام ﴿ويهديكم﴾ يرشدكم ﴿سنن﴾ أي طرائق ﴿الذين من قبلكم﴾ من أهل الحق لتقتدوا بهم ﴿ويتوب عليكم﴾ بأن يقبل توبتكم عما أسلفتم من المعاصي ﴿والله عليم حكيم﴾.

﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٥﴾ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكَحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَيَتَيْكُمْ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَإِنْ كُنَّ حُرٌّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أَحْصَيْتُمْ أَنْ تَتْرَكَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٦﴾ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ الَّذِي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾

[٢٧] ﴿وَاللّٰهُ يَرِيْدُ اَنْ يَّتُوْبَ عَلَيْكُمْ﴾ كَرَّرَ لِأَن يُبْنَى عَلَيْهِ قَوْلُهُ: ﴿وَيُرِيْدُ الَّذِيْنَ يَتَّبِعُوْنَ الشَّهْوَاتِ﴾ وَهُمْ أَهْلُ الْمَعَاصِي الَّذِيْنَ لَا يَهْمُهُمُ الْحَلَالُ مِنَ الْحَرَامِ ﴿أَنْ تَمِيلُوْا﴾ إِلَى الْمَحْرَمَاتِ ﴿مَيْلًا عَظِيْمًا﴾ فَإِنْ نَكَاحَ الْمَحْرَمَاتِ مِنْ أَعْظَمِ الْآثَامِ.

[٢٨] ﴿يُرِيْدُ اللّٰهُ اَنْ يَّخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾ وَلِذَا سَرَعَ الْأَحْكَامُ السَّهْلَةُ فِي بَابِ النِّكَاحِ وَغَيْرِهِ ﴿وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيْفًا﴾ لَا يَتَحَمَّلُ الْأَحْكَامَ الشَّاقَّةَ.

[٢٩] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ بِغَيْرِ الرَّجْحِ الْمَحْلَلِ ﴿إِلَّا أَنْ تَكُوْنَ﴾ الْأَكْلَةُ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ﴿بِأَنْ يَقْتُلَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾ فَإِنَّ الْمَالَ وَالدَّمَ مُحْرَمَانِ عِنْدَ الْإِسْلَامِ ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيْمًا﴾.

[٣٠] ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ الْأَكْلُ بِالْبَاطِلِ أَوْ الْقَتْلُ ﴿عَدُوًّا نَا﴾ لَا بِوَجْهِ مَشْرُوعٍ ﴿وَوَلَّيْنَا﴾ تَأْكِيْدٌ ﴿فَسَوْفَ نَضِلُّهُ﴾ نَدْخِلُهُ ﴿نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ﴾ الْإِدْخَالُ فِي النَّارِ ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ سَهْلًا.

[٣١] ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا﴾ أَي تَتْرَكُوا ﴿كِبَائِرَ مَا تَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ الْمَعَاصِيَ الْكُبْرَى ﴿نُكَفِّرْ﴾ أَي نَغْفِرَ ﴿عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ مَعَاصِيَكُمْ ﴿وَنُدْخِلْكُمْ مَدْخَلًا﴾ اسْمُ مَكَانٍ، أَي مَكَانًا ﴿كَرِيْمًا﴾ يَكْرُمُ الْإِنْسَانَ فِيهِ.

[٣٢] ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ فَلَا يَقُولُ الْإِنْسَانُ لَيْتَ لِي مَالُ زَيْدٍ أَوْ جَاهُ عَمْرٍو ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ﴾ وَحِظٌ ﴿مِمَّا اكْتَسَبُوا﴾ مِنْ كَسْبِهِمْ ﴿وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ﴾ فَلِكُلِّ مِنَ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ نَصِيبُهُ بِوَاسِطَةِ الْعَمَلِ فَاعْمَلُوا أَنْتُمْ حَتَّى تَبْلُغُوا مَا تَرِيدُونَ وَلَا تَتَمَنَّوْا اعْتِبَاطًا كَمَا هُوَ حَالُ الْكَسَالِيِّ ﴿وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ أَنْ يَعْطِيَكُمْ كَمَا أَعْطَى الْمُحْظوظِينَ ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيْمًا﴾ فَيَعْلَمُ الْمَصَالِحَ، وَلِذَا يُفَضَّلُ بَعْضًا عَلَى بَعْضٍ.

[٣٣] ﴿وَلِكُلٍّ﴾ أَي كُلِّ مِنَ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ ﴿جَعَلْنَا مَوَالِي﴾ هُمْ أَوْلَى بِالْإِرْثِ - وَهَذَا بَيَانُ أَنَّ الْفَضْلَ بِالإِضَافَةِ إِلَى الْكَسْبِ وَالتَّقْدِيرِ، يَكُونُ بِالْإِرْثِ يَرِثُونَ ﴿مِمَّا تَرَكَ﴾ مِنَ الْأَمْوَالِ ﴿الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ وَمِمَّا تَرَكَ ﴿الَّذِينَ عَقَدْتَ أَيْمَانَكُمْ﴾ جَمْعُ يَمِيْنٍ بِمَعْنَى الْقَسَمِ وَالْمَرَادُ بِهِمُ الْحُلَفَاءُ الَّذِيْنَ يَعَاهِدُهُمُ الْإِنْسَانُ وَهُمْ ضَامِنُو الْجَرَائِرِ فَإِنْهُمْ يَرِثُونَ إِذَا لَمْ يَكُنْ وَارِثٌ نَسْبِي ﴿فَاتَّوَهُمُ﴾ أَي أَعْطُوا كُلَّ قَرِيبٍ وَضَامِنٍ ﴿نَصِيبَهُمْ﴾ مِنَ الْإِرْثِ ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ فَلَا تَبْخَسُوا إِرْثَ أَحَدٍ فَإِنَّهُ سَبْحَانَهُ يَشْهَدُ ذَلِكَ وَيَعَاقِبُكُمْ عَلَيْهِ.

وَاللّٰهُ يُرِيْدُ اَنْ يَّتُوْبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيْدُ الَّذِيْنَ يَتَّبِعُوْنَ الشَّهْوَاتِ اَنْ يَمِيلُوْا مَيْلًا عَظِيْمًا ۝ يُرِيْدُ اللّٰهُ اَنْ يَّخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيْفًا ۝ يَتَأَيُّهَا الَّذِيْنَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوْا اَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ اِلَّا اَنْ تَكُوْنَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوْا اَنْفُسَكُمْ ۝ اِنَّ اللّٰهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيْمًا ۝ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عَدُوًّا نَا وَظَلْمًا فَسَوْفَ نَضِلُّهُ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللّٰهِ يَسِيْرًا ۝ اِنْ تَجْتَنِبُوا كِبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيْمًا ۝ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللّٰهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللّٰهَ مِنْ فَضْلِهِ ۚ اِنَّ اللّٰهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيْمًا ۝ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِي مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ۚ وَلَّذِيْنَ عَقَدْتُمْ اَيْمَانَكُمْ فَآتُوْهُمْ نَصِيْبَهُمْ ۚ اِنَّ اللّٰهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ۝

﴿٣٤﴾ **﴿الرجال قوامون﴾** يَتِمُّونَ مَسْلُطُونَ **﴿على النساء بما فضل الله﴾** أي بسبب تفضيل الله الرجال على النساء **﴿بعضهم على بعض﴾** في العقل والجسم وما أشبه **﴿وبما أنفقوا من أموالهم﴾** أي وبسبب إنفاق الرجال على النساء المهر والنفقة وما أشبه **﴿فالصالحات﴾** من النساء **﴿قانتات﴾** خاضعات لله تعالى في ما أمر ونهى ولا يعترضن عليه بأنه لِمَ لم يجعلهن كالرجال **﴿حافظات للغيب﴾** أي حال غيبة الأزواج يحفظن نفسهن ومالهن **﴿بما حفظ الله﴾** أي بحفظ الله فإنه لولا حفظ الله لا يتمكن الإنسان من حفظ نفسه **﴿و﴾** النساء **﴿اللاتي﴾** جمع التي **﴿تخافون﴾** أيها الأزواج **﴿تشوهن﴾** ترفعهن عن الطاعة للأزواج في المباشرة والخروج عن البيت، فإنهما حقان للرجل على الزوجة **﴿فغظوهن﴾** أي عظاً بالكلام **﴿واهجروهن في المضاجع﴾** جمع مضجع، والهجر يتحقق بعدم الوقاع وبعدم الإقبال عليهن وقت المنام، وبعدم المنام معهن **﴿واضربوهن﴾** فإن ضرباً خفيفاً تأديباً بشروطه^(١) يَبْقَى كيان الأسرة خير من انهدامها بسبب عواطف طائشة، ويجب أن يكون الضرب غير مبرح لولا مدم حتى قال البعض انه بالسواك **﴿فإن أطعنكم فلا تبغوا﴾** أي لا تطلبوا **﴿عليهن سبيلاً﴾** أي سبيلاً في إيذاهن لأنهن رجعن إلى الطاعة **﴿إن الله كان علياً﴾** فهو

الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ۚ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ
عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ۚ فَأَلْصَقَ اللَّهُ
قُلُوبَهُمْ حَفِظْتُ لَهُ الْغَيْبُ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ۗ وَالَّذِي تَخَافُونَ
شُرُوءَهُمْ فَعُظُوهُمْ ۚ وَاهْجُرُوهُمْ فِي الْمَصَاجِعِ
وَأَضْرِبُوهُمْ ۚ فَإِنْ أَطَعَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِمْ سَبِيلًا
إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ﴿٢٦﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ
بَيْنِهِمَا فَاعْبُدُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ ۚ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا ۚ إِنْ
يُرِيدُ أَصْلَحًا حَائِضٌ فِي اللَّهِ بَيْنَهُمَا ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا
﴿٢٧﴾ ۞ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۚ وَاللَّوَلَدِينَ
إِحْسَانًا ۚ وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ
ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ
وَأَبْنِ السَّبِيلِ ۚ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَنُكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ
كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٢٨﴾ الَّذِينَ يَسْبَحُونَ وَيُؤْمِرُونَ
النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ
مِنْ فَضْلِهِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿٢٩﴾

فوقكم، وأنتم أرفع درجة من المرأة، فلا تجاوزوا الحد بالنسبة إليهن ﴿كبيراً﴾.

[٣٥] ﴿وإن خفتن﴾ أيها الحكام والمسلمون ﴿شقاق بينهما﴾ أي مخالفة بين الزوجين ﴿فابعثوا﴾ أرسلوا أيها الحكام ﴿حكماً من أهله وحكماً من أهلها﴾ مصلحاً من كل جانب من الجانبين لينظرا في أمرهما وينصحانهما ﴿إن يُريدا﴾ أي الزوجان ﴿إصلاحاً﴾ بأن كانت نيتهما طيبة ﴿يوفق الله بينهما﴾ فإن التوفيق لا يأتي إلا نتيجة لمقدمات طبيعية ﴿إن الله كان عليماً خبيراً﴾ يعرف السرائر.

﴿٣٦﴾ **﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً﴾** لا تجعلوا شيئاً شريكاً مع الله **﴿و﴾** أحسنوا **﴿بالوالدين إحساناً وبذي القربى﴾** أقربائكم **﴿واليتامى والمساكين والجار ذي القربى﴾** أي الجار الذي هو قريب بالنسب **﴿والجار الجنب﴾** أي الجار البعيد بالنسب **﴿والصاحب بالجنب﴾** أي الذي يصحب الإنسان وهو في جنبه كالرفيق في السفر والشريك وما أشبه **﴿وابن السبيل﴾** وهو المنقطع في طريقه وقد تمت نفقته **﴿وما ملكت أيمانكم﴾** أي العبيد، فاللازم الإحسان إلى كل هؤلاء **﴿إن الله لا يحب من كان مختلاً﴾** متكبّراً يأنف عن أقاربه وجيرانه وأصحابه **﴿فخوراً﴾** يفترح عليهم.

[٣٧] ﴿الَّذِينَ﴾ صفة (مختلاً) ﴿يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبَخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ من المال والعلم وغيرهما ﴿وَأَعْتَدْنَا﴾ هَيَّأْنَا ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ بِأَحْكَامِ اللَّهِ ﴿عَذَابًا مِهْنًا﴾ أي يهينهم ويذلهم.

(١) أي بالشروط المذكورة في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

[٣٨] ﴿وَالَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ﴾ أي لأجل الرياء ﴿وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ فإنه لو كان مؤمناً لم ينفق رياءً ﴿وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا﴾ فيها عن الإحسان أو يفعل الخير مرئياً، كأن الشيطان مقترن معه أخذ بزمame ﴿فَسَاءَ قَرِينًا﴾ أي ان الشيطان قرين سيئ.

[٣٩] ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ﴾ أي ضرر على هؤلاء ﴿لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾ وعد لفاعل الخير ووعد لفاعل الشر.

[٤٠] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ أي بقدر ثقل هباءة يراها الإنسان في الضياء الداخل من كوة في الغرفة المظلمة ﴿وَإِنْ تَكُ﴾ تلك الذرة ﴿حَسَنَةً يَضَاعِفْهَا﴾ ليردها على فاعلها ﴿وَيُؤْتِ﴾ يعطى ﴿مَنْ لَدُنْهُ﴾ من عنده ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

[٤١] ﴿فَكَيْفَ﴾ حال هؤلاء الكفرة ﴿إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ من يشهد على الأمم بأعمالها، والشهداء هناك يشهدون على الأمم ﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾ يا محمد ﴿عَلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ﴾ شهاداً لتشهد على أعمالهم والاستفهام للتهديد.

[٤٢] ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي يوم القيامة ﴿يُؤْذِ﴾ أي يحب ويتمنى ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصُوا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ﴾ أي يموتوا فيدفنوا كما تُسَوَّى بالموتى ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ أي لا يقدرون على أن يكتُموا شيئاً من الله بل يحدثونه بكل حديث مربوط بهم.

[٤٣] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾ أي لا تصلوا في حال كونكم سكارى من الشراب ﴿حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ أي تشعروا بان لا تكونوا في حال السكر ﴿وَلَا﴾ تصلوا ﴿جُنُبًا﴾ بالانزال أو الدخول ﴿إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ﴾ أي في حال السفر، فإنه تصح صلاة الجنب في السفر بالتيمم إذا لم يجد الماء ﴿حَتَّى تَغْتَسِلُوا﴾ غسل الجنابة ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى﴾ جمع مريض ﴿أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾ أي مسافرين ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ﴾ هو المكان المنخفض من الأرض الذي يقصد للحدث، وهذا كناية عن كون الإنسان محدثاً بالحدث الأصغر ﴿أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ أي جامعتموهن ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً﴾ أي لم تتمكنوا من استعماله لأنه مفقود أو لأنكم لا تقدرون كالمرضى ﴿فَتَيَمَّمُوا﴾ أي اقصدوا ﴿صَعِيدًا﴾ أي أرضاً ﴿طَيِّبًا﴾ ليس بنجس ﴿فَامْسَحُوا﴾ بيديكم المضروبتين على ذلك الصعيد ﴿بِوُجْهِكُمْ﴾ أي بعض وجوهكم ﴿وَأَيْدِيكُمْ﴾ إلى الله كان عفواً غفوراً ﴿وَلِذَا يَسَّرَ لَكُمْ الْهَيْمَةَ﴾

[٤٤] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ يا أيها المرأى، والاستفهام للتعجب ﴿إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا﴾ أعطوا ﴿نَصِيبًا﴾ حظاً وقسماً ﴿مِنَ الْكِتَابِ﴾ التوراة، وهم أحبار اليهود ﴿يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ﴾ يبيعون الهدى ويأخذون بدلها الضلالة ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضَلُّوا﴾ أنتم أيها المسلمون ﴿السَّبِيلَ﴾ سبيل الحق.

وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مَنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصُوا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾ يَتَّبِعُ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَفْرُقُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿٤٤﴾

[٤٥] ﴿وَاللّٰهُ اَعْلَمُ بِاَعْدَاكُمْ﴾ فهو يعلم أن هؤلاء اليهود أعداء لكم ﴿وَكُفِّيْ بِاللّٰهِ وَلِيًّا﴾ يلي أمركم فلا يضركم كيد اليهود ﴿وَكُفِّيْ بِاللّٰهِ نَصِيرًا﴾ ينصركم على أعدائكم .

[٤٦] ﴿مَنْ الَّذِينَ﴾ بيان (للذين أوتوا) ﴿هَادُوا﴾ أي اليهود ﴿يَحْزَنُونَ﴾ يبذلون ﴿الْكَلِمَ﴾ جمع كلمة، والمراد بها كلام التوراة ﴿عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ التي وضعه الله فيها فيبذلون كلمة الله بكلام أنفسهم ﴿وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا﴾ قولك ﴿وَعَصَيْنَا﴾ أمرك ﴿وَاسْمِعْ غَيْرَ مَسْمُوعٍ﴾ أي اسمع لا سمعت، وهذا دعاء منهم على الرسول ﷺ لخبيثهم ﴿وَيَقُولُونَ رَاعِنَا﴾ يريدون به السب، لأن معناه اسمع لا سمعت ﴿لِيَأْخُذَ﴾ أي التواء ﴿بِأَلْسِنَتِهِمْ﴾ فإنهم يقولون لفظاً له معنيان، ويريدون به المعنى السيئ ﴿وَوَطَعْنَا﴾ أي عيأ ﴿فِي الدِّينِ﴾ أي الإسلام ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ﴾ بدل ما تقدم ﴿قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ أو أمرك ﴿وَوَقَالُوا﴾ قالوا ﴿اسْمِعْ﴾ قالوا ﴿انظُرْنَا﴾ عوض: راعنا ﴿لَكَانَ﴾ قولهم ذلك ﴿خَيْراً لَهُمْ﴾ في دنياههم وأخراهم ﴿وَأَقْنُومُ﴾ أقرب إلى العدل ﴿وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ أبعدهم عن الخير ﴿بِكُفْرِهِمْ﴾ أي بسبب كفرهم ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ منهم .

[٤٧] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمَنُوا بِمَا نُزِّلْنَا﴾ أي القرآن ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾ فَإِنَّ الْقُرْآنَ يَصَدِّقُ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا﴾ بَانَ نَمَحُو مَعَالِمَ

الوجه من العين وما أشبه ﴿فَنَرَدَهَا﴾ أي تلك الوجوه ﴿عَلَى أَدْبَارِهَا﴾ بأن يوضع الوجه مكان القفا والقفا مكان الوجه ﴿أَوْ نُلَنَعْنَهُمْ﴾ أي نَسْخَهُمْ ﴿كَمَا لَعْنَا أَصْحَابَ السَّبْتِ﴾ الذين كانوا يصطادون في السبت بعد تحريم ذلك عليهم فمسخناهم قردة ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ الذي يريدہ ﴿مَفْعُولًا﴾ أي يفعل وينطبق في الخارج.

[٤٨] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ إِذَا مَاتَ مُشْرِكًا ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ﴾ دُونَ الشِّرْكِ ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾ مِنْ عِبَادِهِ تَفَضُّلاً ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ فَإِنَّهُ ذَنْبٌ عَظِيمٌ، وَافْتِرَاءٌ، لِأَنَّهُ تَعَالَىٰ لَا شَرِيكَ لَهُ.

[٤٩] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ فإن أهل الكتاب كانوا يقولون نحن أحباء الله، ومعناه أنهم طاهرون عن الآثام ﴿بَلِ اللَّهُ يَزْكِي مِنَ يَشَاءُ﴾ فإنه أعلم بالسرائر ولذا تكون تركيته مطابقة للواقع، أو المراد أن الله يطهر من يشاء من الذنوب ﴿وَلَا يَظْلِمُونَ شَيْئًا﴾ هو ما في شق النواة من الخيط أي لا يظلم الله الإنسان بمقدار هذا الخيط.

[٥٠] ﴿انظر﴾ يا رسول الله ﴿كيف يفترون﴾ أي أهل الكتاب ﴿على الله الكذب﴾ في تحريفهم التوراة ﴿وكنى به﴾ أي كفى، هذا الافتراء ﴿إنما﴾ أي عصياناً ﴿مبيناً﴾ واضحاً.

[٥١] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا﴾ أي قسمًا ﴿مِنَ الْكِتَابِ﴾ أي التوراة، وهم اليهود حيث أُوتوا قسمًا منه لأن السابقين منهم حُرفوا وضيعوا قسمًا منه ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ﴾ كل صنم ﴿وَالطَّاغُوتِ﴾ كل طاغ يُعبد دون الله، وذلك حين قال أهل الكتاب للمشركين دينكم خير من دين محمد ﷺ ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ﴾ أي في الذين ﴿كُفَرُوا﴾ من المشركين ﴿هَؤُلَاءِ أَهْدَى﴾ أرشد طريقاً ﴿مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾.

[٥٢] ﴿أُولَٰئِكَ﴾ أهل الكتاب ﴿الذين لعنهم الله﴾ بعدهم عن رحمته ﴿ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً﴾ ينصرهم من بأس الله .

[٥٣] ﴿أَمْ لَهُمْ﴾ لليهود ﴿نصيب من الملك﴾ والسلطة، وهذا مقدمة لقوله: ﴿فَإِذَا﴾ في ما إذا كانت لهم سلطة ﴿لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾ وهي النقرة في ظهر النواة، أي إنهم ليلخلهم لا يعطون الناس بمقدار النقيير، إذا كان لهم الملك، فكيف بهم إذا لم يكن لهم، فهم كذابون، مؤمنون بالجبوت والطاغوت بخلاء وحساد كما قال:

[٥٤] ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ﴾ أي بل يحسدون ﴿الناس﴾ كالنبي ﷺ ﴿عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ من النبوة، فما وجه حسدهم، وبيت محمد ﷺ بيت النبوة وليست مستغربة فيه ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ﴾ إبراهيم عليه السلام ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ وآله ﴿الْكِتَابَ﴾ الكتب السماوية ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ علم الشريعة ﴿وَأَتَيْنَاهُمُ مَّلَكًا عَظِيمًا﴾ سلطة على الناس دينية ودنيوية .

[٥٥] ﴿فَمِنْهُمْ﴾ أي من أهل الكتاب ﴿مَنْ آمَنَ بِهِ﴾ بمحمد ﷺ ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ﴾ أي أعرض عن النبي ﷺ ومنع الناس عن اتباعه ﴿وَكُفِيَ بِهِمْ سَعِيرًا﴾ أي كفى جهنم لهؤلاء اليهود، والسعير النار المشتعلة .

[٥٦] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا﴾ أي نوصلهم ونلقيهم فيها ﴿كَلِمًا نَضْجَتْ﴾ احترقت ﴿جُلُودُهُمْ بِذُلَّتِهِمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ أي رددناها على حالتها السابقة ﴿لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ ليدوم لهم ذوق العذاب ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا﴾ لا يمتنع عليه شيء ﴿حَكِيمًا﴾ .

[٥٧] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ﴾ بساتين ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا﴾ تحت أبنيتها وأشجارها ﴿الأنهار خالدين فيها أبداً﴾ لهم فيها أزواج مطهرة ﴿عَنِ الْأَفْثَارِ وَالرَّذَائِلِ﴾ دائماً لا تسخنه الشمس، بارداً لا حرق فيه .

[٥٨] ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا﴾ أي تردوا ﴿الْأَمَانَاتَ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ لا بالجور ﴿إِنَّ اللَّهَ نَعَمًا﴾ أي نعم ما يعظكم به إن الله كان سميعاً ﴿بَصِيرًا﴾ بما تفعلون فيجازيكم عليه .

[٥٩] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ أي الذين بيدهم السلطة وهم الأئمة عليهم السلام ومن استتابوهم ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ﴾ من أمور دينكم ﴿فَرُدُّوهُ﴾ فراجعوا فيه ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ كتاب الله ﴿وَسنة﴾ الرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ﴿فَإِنْ مِنْكُمْ لَا يُرَاجِعُ اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَا إِيمَانَ لَهُ﴾ ذلك العمل بما ذكرنا ﴿خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ فإن أول ذلك ومرجه أحسن من المخالفة .

أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنُ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾
أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾
يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا
آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾
فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفِيَ بِهِمْ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾
إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كَمَا نَضْجَتْ
جُلُودُهُمْ بِذُلَّتِهِمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ
كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا
لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا ظِلِيلٌ ﴿٥٧﴾
إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتَ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ
النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نَعَمًا عَلِيمًا ﴿٥٨﴾
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ
الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ
تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾

[٦٠] ﴿الْم تَرَىٰ أَيُّ أَلَمٍ لَّهُمْ تَنْظُرُ﴾ استفهام تعجب ﴿إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا﴾ وهم المنافقون الذين يقولون آمنا، ولكنهم لا يرضون بحكم الرسول ﷺ ﴿بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ من القرآن ﴿وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ كالتوراة والإنجيل ﴿يُرِيدُونَ أَن يُتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾ كل طاغ تعد الحدود، والمراد حكام الجور ﴿وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ﴾ أي بالطاغوت في قوله تعالى (فمن يكفر بالطاغوت) ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتُ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ ﴿فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ﴾ بما قَدِمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾ ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا لَّيْلِيًّا﴾ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا سَلِيمًا﴾

[٦١] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ أي للمنافقين ﴿تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ إلى حكم الله في القرآن ﴿وَالِی الرَّسُولِ﴾ في سنته ﴿رَأَيْتَ﴾ يا محمد ﷺ ﴿الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ﴾ يعرضون ويمنعون الناس ﴿عَنْكَ صُدُودًا﴾ إعراضاً.

[٦٢] ﴿فَكَيْفَ﴾ حالهم ﴿إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ﴾ عقوبة من الله ﴿بِمَا﴾ أي بسبب ما ﴿قَدِمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من التحاكم إلى الطاغوت ﴿ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا بِالرَّجُوعِ إِلَىٰ غَيْرِكَ﴾ تخفيفاً عنك ﴿وَتَوْفِيقًا﴾ أي تأليفاً بين الخصمين بحل وسط، فإنهم لو كانوا تحاكموا إليك لأمكن إنقاذهم من مصيبتهم.

[٦٣] ﴿لَكِنْ كَيْفَ يَرْجِعُونَ إِلَيْكَ﴾ ﴿وَأُولَٰئِكَ﴾ المنافقون ﴿الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ من النفاق ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ أي اتركهم ﴿وَعِظْهُمْ﴾ بلسانك ﴿وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ في شأنهم ﴿قَوْلًا لَّيْلِيًّا﴾ يبلغ الحق.

[٦٤] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ﴾ ليطيعه الناس، فلماذا لا يطيعه المنافقون ويرجعون إلى غيره ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بأمره ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بالتحاكم إلى الطاغوت ﴿جَاءُوكَ﴾ تائبين ﴿فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ﴾ طلب من الله أن يغفر لهم ﴿لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ يتوب عليهم، ومعنى (وجدوا) ان الرسول ﷺ قبل توبتهم ﴿رَحِيمًا﴾.

[٦٥] ﴿فَلَا﴾ نفى لزعمهم الإيمان ﴿وَرَبِّكَ﴾ أي قسماً بربك ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ إيماناً صحيحاً ﴿حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ﴾ أي يجعلوك حكماً ﴿فِيمَا شَجَرَ﴾ اختلف، فالشجار الخصومة ﴿بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا﴾ وضيقاً ﴿مِمَّا قَضَيْتَ وَحَكَمْتَ بِهِ﴾ ويسلموا ينقادوا لأمرك ﴿تَسْلِيمًا﴾.

[٦٦] ﴿وَلَوْ أَنَا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ اخْرَجُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ ﴿مَنْ دِيَارَكُمْ﴾ ﴿بِلَادَكُمْ﴾ ﴿مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ﴾ ﴿المخلصون جداً﴾ ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ﴾ ﴿من إطاعة الرسول ﷺ﴾ ﴿والتحاكم إليه﴾ ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ ثَبَاتًا﴾ ﴿لإيمانهم والمعنى إنا كلفناهم بشيء سهل يترتب عليه فائدة أحسن .

[٦٧] ﴿وَإِذَا﴾ ﴿أَي إِذَا امْتَثَلُوا أَمَرْنَا﴾ ﴿لَأَتَيْنَاهُمْ﴾ ﴿أَعْطَيْنَاهُمْ﴾ ﴿مَنْ لَدُنَّا﴾ ﴿عِنْدَنَا﴾ ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ .

[٦٨] ﴿وَلَهْدَيْنَاهُمْ﴾ ﴿فِي أُمُورِهِمُ الْمُسْتَقْبَلَةَ﴾ ﴿صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ .

[٦٩] ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ ﴿يَكُونُ مَعَهُمْ وَيُحْشَرُ فِي زَمْرَتِهِمْ﴾ ﴿مِنَ النَّبِيِّينَ﴾ ﴿بيان (الذين)﴾ ﴿وَالصَّادِقِينَ﴾ ﴿المدام على التصديق﴾ ﴿وَالشَّهَدَاءَ﴾ ﴿الذي قتلوا في سبيل الله﴾ ﴿وَالصَّالِحِينَ﴾ ﴿وحسن أولئك رفيقاً﴾ ﴿فهم رفقاء للمطيع، أي حسنت رفقة أولئك الأنبياء والشهداء .

[٧٠] ﴿ذَلِكَ﴾ ﴿الثَّوَابُ لِلْمُطِيعِ﴾ ﴿الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عِلِيمًا﴾ ﴿فهو يعلم بالمطيع فيجزيه على عمله .

[٧١] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ ﴿أَي حَذْرَكُمْ مِنْ الْأَعْدَاءِ مِنَ الْيَقِظَةِ وَالسَّلَاحِ﴾ ﴿فَانْفِرُوا﴾ ﴿اخرجوا إلى الحرب﴾ ﴿ثَبَاتٍ﴾ ﴿جمع (ثبة) بمعنى جماعات جماعات﴾ ﴿أَوْ انفِرُوا جميعاً﴾ ﴿كتلة واحدة .

[٧٢] ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ﴾ ﴿الداخل في جماعتكم أي المؤمنون﴾ ﴿لَمَنْ لِيَبْطِشَنَّ﴾ ﴿وهم المنافقون الذين يتناقضون عن الجهاد﴾ ﴿فَإِنْ أَصَابَكُمْ مُصِيبَةٌ﴾ ﴿مِنَ الْقَتْلِ وَالْهَزِيمَةِ﴾ ﴿قَالَ﴾ ﴿الْمُتَّبِعُ﴾ ﴿قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا﴾ ﴿أي لم أحضر معه حتى تشملني المصيبة .

[٧٣] ﴿وَلَوْ أَنَّ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ﴾ ﴿كَالْفَتْحِ وَالْغَنِيمَةِ﴾ ﴿لَيَقُولَنَّ كَأَن لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ﴾ ﴿أي محبة، وهذه جملة معترضة، بين القول والمقول﴾ ﴿يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ﴾ ﴿حتى أفوز بالغنيمة﴾ ﴿فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ ﴿من السمعة والغنيمة، وهذا كلام من ليس في زمرة المسلمين، إذ من في زمرة لا يقول: يا لیتني كنت معهم، بل يكون معهم دائماً، وقد قال تعالى: (كَأَن لَمْ تَكُنْ . . .)

[٧٤] ﴿فَلْيُقَاتِلْ﴾ ﴿أَمْرٌ بِالْجِهَادِ﴾ ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾ ﴿بأن يبيعوا الدنيا لشراء الآخرة﴾ ﴿وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ﴾ ﴿على الكفار، سواء قتل منهم أم لا﴾ ﴿فَسَوْفَ﴾ ﴿فِي الْآخِرَةِ نُؤْتِيهِ﴾ ﴿نِعْمَتَهُ﴾ ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ .

وَلَوْ أَنَا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ اخْرَجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ ثَبَاتِيًّا وَإِذَا لَا تَأْتِيهِمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا وَلَهْدَيْنَهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشَّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عِلِيمًا يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ انفِرُوا جَمِيعًا وَإِنْ مِنْكُمْ لَمَنْ لِيُبْتَغِيَ فَاِنْ أَصَابَكُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْنَا إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَلَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا

[٧٥] ﴿وَمَا لَكُمْ﴾ استفهام إنكار ﴿لَا تقاتلون في سبيل الله و﴿ في سبيل إنقاذ المستضعفين﴾ من أيدي المستغلين ﴿من الرجال والنساء والولدان﴾ جمع ولد ﴿الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية﴾ مكة ﴿الظالم أهلها﴾ فإن أهل مكة كانوا مشركين ظالمين ﴿واجعل لنا من لدنك﴾ من عندك ﴿وليّاً﴾ يلي أمرنا ﴿واجعل لنا من لدنك نصيراً﴾ ينصرنا على الظالمين، أي قاتلوا في سبيل إنقاذ المسلمين المستضعفين من أهل مكة .

[٧٦] ﴿الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله﴾ لنصرة دينه ﴿والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت﴾ لأجل تقوية الطغيان ﴿فقاتلوا أولياء الشيطان﴾ أصدقاء وهم الكفار ﴿إن كيد الشيطان﴾ أي مكره وخداعه ﴿كان ضعيفاً﴾ فلا بد وأن تغلبوا عليهم .

[٧٧] ﴿ألم تر إلى الذين﴾ أي بعض المسلمين حيث كانوا في مكة يستأذنون النبي ﷺ في قتال الكفار فلا يأذن لهم، فلما أمرهم النبي ﷺ في المدينة بالقتال، خافوا ﴿قل﴾ القاتل هو النبي ﷺ ﴿لهم كفوا أيديكم﴾ لا تبسطوها بالقتل ﴿واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ فإن التكليف في مكة كان صلاة وزكاة ﴿فلما كتب﴾ أمروا في المدينة ﴿عليهم القتال إذا فريق﴾ جماعة ﴿منهم﴾ أي من الذين كانوا يريدون القتال ﴿يخشون الناس كخشية الله﴾ فإنهم

يخافون أن يقتلوا على أيدي الكفار كما يخافون أن يموتوا بأمر الله ﴿أو أشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال﴾ اعتراض على حكم الله ﴿لولا﴾ هلاً ﴿أخرجتنا إلى أجل﴾ مدة ﴿قريب﴾ وذلك لاستزادة العمر وتبعد المكره حسب الإمكان ﴿قل﴾ يا محمد لهم ﴿متاع﴾ أي ما يستمتع به ﴿الدنيا قليل﴾ فما فائدة بقائكم ﴿والآخرة خير لمن اتقى﴾ الكفر والعصيان ﴿ولا تظلمون فتيلاً﴾ هو ما في شق النواة من الخيط الدقيق .

[٧٨] ﴿أينما تكونوا﴾ في أي مكان كنتم ﴿يدرككم الموت ولو كنتم في بروج﴾ حصون ﴿مشيدة﴾ قد شيدت وبنيت باستحكام، إذا فما فائدة فراركم من الجهاد، لحب البقاء فإنكم ميتون لا محالة ﴿وإن تصبهم﴾ أي المنافقين ﴿حسنة﴾ نعمة ﴿يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة﴾ نعمة وبلاء ﴿يقولوا هذه من عندك﴾ أي من جهتك يا محمد ﴿قل﴾ يا رسول الله لهم ﴿كل﴾ من الحسنة والسيئة ﴿من عند الله﴾ صادر من الله فإن الله خطط وحكم بهذه الأشياء، وإن كان للإنسان مدخل في الأمور الاختيارية منها أيضاً ﴿فمال هؤلاء القوم﴾ ما شأن هؤلاء المنافقين ﴿لا يكادون يفقهون حديثاً﴾ لا يقاربون فهم كلام صحيح، كما لا يفهمون كون الله هو المقدر لكل من الحسنة والسيئة .

[٧٩] ﴿ما أصابك﴾ أيها الإنسان ﴿من حسنة فمن الله﴾ تفضلاً، فلولاً فضله لم يعطك تلك النعمة ﴿وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾ لأنك السبب في تلك السيئة، وهذا لا ينافي الآية السابقة، إذ مقدر السيئة هو الله ولكن بسبب الإنسان، فمثلاً أن الإنسان إذا لم يتورع أكل الطعام الضار أصابه المرض بسبب نفسه وبإنزال الله المرض عليه ﴿وَأرسلناك للناس رسولا﴾ فإن شأنك الرسالة ولا ربط لك بما تصيهم من السيئات ﴿وكفى بالله شهيداً﴾ شاهداً على رسالتك .

وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِمَّنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِمَّنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَكَانِبَ عَلَيْهِمُ الْفِتْنَاءُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْفِتْنَةَ لَوْلَا أَخْرَجْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَنْعَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَرَأَاهُ اللَّهُ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَرَأَاهُ أَنْفُسُكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾

[٨٠] ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ يُتَكَلَّمُ عَنْ اللَّهِ﴾ ﴿وَمَنْ تَوَلَّى﴾ أعرض عن أوامر الرسول ﷺ ، التي منها أمره بالقتال ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾ تحفظ أعمالهم، أي أنت لست مسؤولاً عنهم.

[٨١] ﴿وَيَقُولُونَ﴾ أي المنافقون، أمرك ﴿طاعة﴾ نطيعه ﴿فَإِذَا بَرِزُوا﴾ خرجوا ﴿مَنْ عِنْدَكَ بَيْتٌ﴾ أي دبر ليلاً ﴿طائفة منهم﴾ وهم المنافقون ﴿غَيْرِ الَّذِي تَقُولُ﴾ بان دبروا مخالفتك ﴿وَاللَّهُ يَكْتُبُ﴾ في صحائف سيئاتهم ﴿مَا يَبْتَغُونَ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ﴾ ولا تهتم بشأنهم في مخالفة أمرك بالقتال ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ فوِّض أمرك إلى الله ﴿وَكُفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ حافظاً.

[٨٢] ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ يفكرون فيه حتى يعلموا انه كلام الله ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ في مطالبه وبلاغته، إذ البشر لا يقدر على الاحتفاظ برأي ولا لهجة طيلة ثلاث وعشرين سنة.

[٨٣] ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ﴾ أي المنافقين ﴿أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ﴾ أي أمر يوجب اطمئنان المسلمين وأمنهم ، أو خوفهم من أعدائهم ﴿أَذَاعُوا بِهِ﴾ أي أفشوه، وذلك خلاف الصلاح إذ رب أمن لا بد وأن يكتم فإن في إفشائه سبب اشتغال المسلمين بأعمالهم فيغتنم العدو تشتتهم ويباغتهم، ورب خوف لا بد وأن يكتم فإن في إفشائه

سبب انسحاب المسلمين عن الإقدام ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ﴾ أي ذكروا ذلك الأمر ﴿إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾ أصحاب الأمر الذين عينهم الرسول ﷺ مرجعاً ﴿لَعَلِمَهُ﴾ علماً يبين انه مما ينبغي كتماناً أو إفشائه ﴿الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ﴾ أي يستخرجون انه من أي قسم، قسم الإفشاء أو قسم الكتمان ﴿مِنْهُمْ﴾ من أولي الأمر ﴿وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ يحفظكم عن الانحراف ﴿لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ منكم.

[٨٤] ﴿فَقَاتِلْ﴾ يا رسول الله، ولا يهملك إعراض المنافقين عن القتال ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تَكْلَفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ فإنك مكلف بالذهاب إلى القتال ﴿وَحَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ حثهم على القتال ﴿عَسَى اللَّهُ﴾ لعله ﴿أَنْ يَكْفَى﴾ يمنع ﴿بِأَسْ﴾ أي شدة ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بِأَسًا﴾ من الكفار ﴿وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾ تعذيباً للكفار.

[٨٥] ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً﴾ كتحريضك الناس على القتال، أي يتوسط لفعل أمر حسن ﴿يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا﴾ أي من ثواب تلك الحسنة ﴿وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً﴾ أي لفعل أمر سيئ ﴿يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا﴾ نصيب من وزرها ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا﴾ مقتدراً وحافظاً.

[٨٦] ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ﴾ هي السلام أو مطلق البر ﴿فَحَيُّوا بِأَحْسَنِ مَا أَنْتُمْ فِيهِ أَوْ بِذَوَاهَا﴾ أي ردوا مثلها ﴿إِنْ كَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ يحاسبكم على أعمالكم.

مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا ﴿٨٠﴾ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرِزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّنُونَ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تَكْلَفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكْفِ بِأَسِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بِأَسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾ مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا ﴿٨٥﴾ وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنِ مَا أَنْتُمْ فِيهِ أَوْ بِذَوَاهَا إِنْ كَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾

سبب انسحاب المسلمين عن الإقدام ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ﴾ أي ذكروا ذلك الأمر ﴿إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾ أصحاب الأمر الذين عينهم الرسول ﷺ مرجعاً ﴿لَعَلِمَهُ﴾ علماً يبين انه مما ينبغي كتماناً أو إفشائه ﴿الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ﴾ أي يستخرجون انه من أي قسم، قسم الإفشاء أو قسم الكتمان ﴿مِنْهُمْ﴾ من أولي الأمر ﴿وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ يحفظكم عن الانحراف ﴿لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ منكم.

[٨٤] ﴿فَقَاتِلْ﴾ يا رسول الله، ولا يهملك إعراض المنافقين عن القتال ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تَكْلَفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ فإنك مكلف بالذهاب إلى القتال ﴿وَحَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ حثهم على القتال ﴿عَسَى اللَّهُ﴾ لعله ﴿أَنْ يَكْفَى﴾ يمنع ﴿بِأَسْ﴾ أي شدة ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بِأَسًا﴾ من الكفار ﴿وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾ تعذيباً للكفار.

[٨٥] ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً﴾ كتحريضك الناس على القتال، أي يتوسط لفعل أمر حسن ﴿يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا﴾ أي من ثواب تلك الحسنة ﴿وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً﴾ أي لفعل أمر سيئ ﴿يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا﴾ نصيب من وزرها ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا﴾ مقتدراً وحافظاً.

[٨٦] ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ﴾ هي السلام أو مطلق البر ﴿فَحَيُّوا بِأَحْسَنِ مَا أَنْتُمْ فِيهِ أَوْ بِذَوَاهَا﴾ أي ردوا مثلها ﴿إِنْ كَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ يحاسبكم على أعمالكم.

[٨٧] ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ أي جمعاً ينتهي للاجتماع في يوم المعاد ﴿لَا رِبَّ فِيهِ﴾ أي في الحشر ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ فكلامه بجمعكم كلام صادق.

[٨٨] ﴿فَمَا لَكُمْ﴾ أيها المؤمنون ﴿فِي﴾ شأن ﴿الْمُنَافِقِينَ﴾ ففتنن ﴿أَي﴾ أصبحتم فرقتين فرقة تقول بأنهم معذورون في تركهم القتال وفرقة تقول بأنهم مقصرون ﴿وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ﴾ رذمهم ﴿بِمَا كَسَبُوا﴾ من ترك الحرب، فإنه تعالى أظهر كفرهم بذلك، فاللازم أن تقولوا كلكم بأنهم آثمون غير معذورين ﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا﴾ أن تحكموا بهداية ﴿مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ﴾ بأن تركهم وشأنهم حتى ضلوا ﴿وَمَنْ يُضِلَّ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ إلى الخير.

[٨٩] ﴿وَدُّوا﴾ تمنوا وأحبوا هؤلاء المنافقون ﴿لَوْ﴾ تكفرون ﴿أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ كما كفروا فتكونون سواء ﴿فِي الْكُفْرِ﴾ فلا تتخذوا منهم أولياء لا تصادقوهم ﴿حَتَّى يَهَاجَرُوا﴾ يخرجوا من دار الشرك ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أعرضوا عن الهجرة ﴿فَخَذَوْهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ﴾ وخذلتموهم ولا تتخذوا منهم ولياً خيلاً ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ فإنهم لا ينصرونكم، نزلت في جماعة أظهرها الإسلام ثم رجعوا إلى مكة نفاقاً فاختلف المسلمون في إيمانهم وكفرهم.

[٩٠] ﴿إِلَّا﴾ استثناء من (خذوهم) ﴿الَّذِينَ يَصِلُونَ﴾ بالمعاهدة ﴿إِلَى بَيْنِكُمْ وَيَبْنِيهِمْ﴾ أي بين ذلك القوم ﴿مِيثَاقٌ﴾ أي معاهدة، فإن انضمام هذا المنافق يوجب الكف عن قتاله ﴿أَوْ جَاءَكُمْ﴾ عطف على (يصلون) في حال كونهم قد ﴿حَصَرْتُمْ صُدُورَهُمْ﴾ أي ضاقت أنفسهم ﴿أَنْ يَقَاتِلُوكُمْ أَوْ يَقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ﴾ فلا يريدون قتالكم ولا قتال قومهم الكفار ولذا تجنبوا الانضمام معكم ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ بتقوية قلوب هؤلاء الذين انضموا إلى قبيلة معاهدة أو حصرت صدورهم ﴿لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ﴾ أيها المسلمون ولو فعل الله ذلك ﴿فَلَقَاتِلُوكُمْ﴾ ولعل في هذه الجملة إشارة إلى قوة هؤلاء فينبغي اجتناب قتالهم ﴿فَإِنْ اعْتَزَلُوكُمْ﴾ أي تنحوا عنكم ﴿فَلَمْ يَقَاتِلُوكُمْ وَالْقَوَا إِلَيْكُمُ السَّلَامُ﴾ أي سالموكم ﴿فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ فلا يحق لكم قتالهم.

[٩١] ﴿سَتَجِدُونَ﴾ أيها المسلمون قوماً ﴿آخَرِينَ﴾ من المنافقين ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَايِعُواكُمْ وَيُبَايِعُوا قَوْمَهُمْ﴾ أي يأمنوا جانبكم وجانب قومهم الكفار ﴿كَلِمًا رَدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ﴾ الشرك ﴿أَرْكَسُوا فِيهَا﴾ أي سقطوا فيها بأن كفروا، وهم قوم جاؤوا إلى المدينة فأظهروا الإسلام، ثم رجعوا إلى مكة فأظهروا الكفر ﴿فَإِنْ لَمْ يَعْزِلُوكُمْ﴾ أي لم يتنحوا عن محاربتكم ﴿وَلَمْ يَلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ﴾ الاستسلام ﴿وَلَمْ يَكْفُوا﴾ يمنعوا ﴿أَيْدِيَهُمْ﴾ بأن صاروا بصدد محاربتكم ﴿فَخَذَوْهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ﴾ حيث ثقتهموهم، أي وجدتموهم ﴿وَأُولَئِكَ﴾ أي أولئك المنافقون، و (كم) خطاب ﴿جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا﴾ حجة ﴿مُبِينًا﴾ واضحة، لقتلكم إياهم، لأنهم أظهروا عداوتهم.

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رِبَّ فِيهِ
وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ﴾
فَتْنَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ
أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يَضِلَّ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ وَدُّوا
تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ
أَوْلِيَاءَ حَتَّى يَهَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ
وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ
وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ
وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءَكُمْ حَصَرْتُمْ صُدُورُهُمْ
أَنْ يَقَاتِلُوكُمْ أَوْ يَقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ
اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتِلُوكُمْ فَإِنْ اعْتَزَلُوكُمْ
فَلَمْ يَقَاتِلُوكُمْ وَالْقَوَا إِلَيْكُمُ السَّلَامُ فَمَا جَعَلَ
اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾ سَتَجِدُونَ آخَرِينَ
يُرِيدُونَ أَنْ يُبَايِعُواكُمْ وَيُبَايِعُوا قَوْمَهُمْ كُلِّ
مَارَدٍّ وَإِلَى الْفِتْنَةِ أَرْكَسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْزِلُوا
وَلَمْ يَلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ وَكَفُوا أَيْدِيَهُمْ
فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ
وَأُولَئِكَ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿٩١﴾

[٩٢] ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً﴾ أي قتل خطأ ﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ أي فعلیه أن يعتق عبداً ﴿مُؤْمِنَةً وَدِيَةً﴾ مقدار من المال ﴿مُسْلِمَةً﴾ يسلمها ﴿إِلَى أَهْلِهِ﴾ أهل المقتول ﴿إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا﴾ بأن يتصدق أولياء المقتول الدية على القاتل ﴿فَإِنْ كَانَ الْقَتِيلُ مِنْ قَوْمٍ عَدُوِّكُمْ﴾ من الكفار ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ أي المقتول كان مؤمناً ﴿فَدِّ عَلَى الْقَاتِلِ﴾ أي على القاتل رقة مؤمنة فقط ولا دية عليه لهم، إذ لا يرث الكافر من المؤمن ﴿وَأَنْ كَانَ الْقَتِيلُ مِنْ قَوْمٍ﴾ كفار ﴿بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ معاهدة عدم الاعتداء ﴿فَدِّ عَلَى الْقَاتِلِ﴾ دية مسلمة إلى أهله ﴿لأن أهله الكفار في معاهدتكم﴾ وتحرير رقة مؤمنة فمن لم يجد رقة لان يعتقها كفارة ﴿فَدِّ عَلَيْهِ﴾ صيام شهرين متتابعين ﴿مُتَوَالِيَيْنِ﴾ نوبة من الله أي شرع ذلك لأن يتوب الله عليه توبة ﴿وَمَا كَانَ لِلَّهِ عَلَيْهِمْ حَكِيمًا﴾.

[٩٣] ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا﴾ مقابل قتل الخطأ ﴿فَنَجْزِئْهُ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا﴾ أي يبقى فيها أبداً، إذا لم تدركه الشفاعة ﴿وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ﴾ أبعد الله عن رحمته ﴿وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾.

[٩٤] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ﴾ أي سافرتم ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ لأجل الجهاد ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ أي اطلبوا بيان الأمر،

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٍ مُسْلِمَةٍ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوِّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِّ عَلَى الْقَاتِلِ دِيَةً مُسْلِمَةً إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٣﴾ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٤﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ آتَى إِلَيْكُمُ السَّلَامُ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٥﴾

ولا تسرعوا في محاربة من لا تعلمون أنهم أسلموا أم لا ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ آتَى إِلَيْكُمُ السَّلَامُ﴾ حياكم بتحية الإسلام ﴿لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ فإن أحد الكفار أظهر الإسلام وكان له غنم فقتله أحد المسلمين بزعم أنه لم يسلم وأخذ أغنامه ﴿تَبْتَغُونَ﴾ أي تطلبون بقولكم (لست مؤمناً) ﴿عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ هو ما في الدنيا من الثروة إذ لا ثبات له ﴿فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ﴾ جمع مغنم، تغنيكم عن عرض الحياة الدنيا، فاطلبوها ولا تطلبوا عرض الحياة الدنيا ﴿كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ﴾ أي مثل هذا الذي آتى إليكم السلام ﴿كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ﴾ فإن إسلامكم كان مجرد السلام والشهادتين ﴿فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ بتقوية الإسلام في قلوبكم ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ تأملوا في حكمكم بالإسلام وعدم الإسلام ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾.

[٩٥] ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ عَنِ الْجِهَادِ﴾ عن الجهاد ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ غير أولي الضرر ﴿أما من له ضرر كالعمى والزمانة، فليس مكلف بالجهاد، حتى يؤنب بتركه﴾ والمجاهدون ﴿عطف على﴾ (القاعدون) ﴿في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة﴾ أي درجة كبيرة ﴿وكلاً﴾ أي كل واحد من المجاهد والقاعد، الذي لم يكن قعوده مخالفة ﴿وعد الله الحسنی﴾ أي الصفة الحسنة، لأن كل واحد منهما مسلم قد عمل بشرائط الإسلام ﴿وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً﴾.

[٩٦] ﴿درجات﴾ بدل (أجراً) ﴿منه﴾ أي من الله ﴿ومغفرة﴾ أي غفراناً لذنوبهم ﴿ورحمة﴾ وكان الله غفوراً رحيماً.

[٩٧] ﴿إن الذين توفاهم﴾ أي أمانتهم ﴿الملائكة ظالمي أنفسهم﴾ أي في حال كونهم ظلموا أنفسهم بترك أوامر الله، وترك الهجرة ﴿قالوا﴾ أي الملائكة لهم ﴿فيم﴾ أي في ماذا من أمر دينكم ﴿كنتم﴾ وهذا استفهام توبيخ ﴿قالوا﴾ كننا مستضعفين ﴿عاجزين عن إقامة الدين﴾ في الأرض ﴿قالوا﴾ أي الملائكة لهم ﴿ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها﴾ بأن تخرجوا إلى أرض أخرى تتمكنوا من إقامة الدين فيها كما فعل المهاجرون إلى الحبشة وإلى

لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٩٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا قَالُوا لَيْتَكُمَاؤُنْهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَيْسْتَ طَاعُونَ حِيلَهُ وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ قَالُوا لَيْتَكُمَاؤُنْ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَفْعُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٩٩﴾ وَمَنْ يَهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْعَاً كَثِيراً وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا ﴿١٠١﴾

المدينة المنورة ﴿فأولئك مأواهم﴾ مرجعهم ﴿جهنم وساءت مصيراً﴾ أي محلاً ومزلاً.

[٩٨] ﴿إلا المستضعفين﴾ حقيقة ﴿من الرجال والنساء والولدان﴾ العبيد أو الأولاد الذين بلغوا الرشد، لكن يطلق عليهم الولد ﴿لا يستطيعون حيلة﴾ أي لا يجدون أسباب الهجرة ﴿ولا يهتدون سبيلاً﴾ أي لا يعرفون طريقاً.

[٩٩] ﴿فأولئك عسى الله﴾ لعل ﴿أن يعفو عنهم﴾ لأنهم قاصرون، وفي هذا دلالة على أن قصورهم مشوب بالتقصير أيضاً ﴿وكان الله غفوراً غفوراً﴾.

[١٠٠] ﴿ومن يهاجر في سبيل الله﴾ بأن يترك وطنه إلى محل آخر ﴿يجد في الأرض مراغماً﴾ متحولاً، أي محل التحول والتقلب، وأصله من الرغام بمعنى التراب ﴿كثيراً وسعة﴾ توسعة في الحركة والرزق ﴿ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله﴾ يقصد إقامة أحكام الله ﴿ورسوله ثم يدركه الموت﴾ في الطريق ﴿فقد وقع أجره﴾ ثواب عمله ﴿على الله﴾ أي لا يذهب تعبهُ باطلاً ﴿وكان الله غفوراً رحيماً﴾.

[١٠١] ﴿وإذا ضربتم﴾ أي سافرتم ﴿في الأرض فليس عليكم جناح﴾ أي حرج ﴿أن تقصروا من الصلاة﴾ بأن تصلوا الظهر والعصر والعشاء ركعتين فقط ﴿إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا﴾ أي يصيبوكم بفتنة في الدين أو في المال، وهذا شرط باعتبار الغالب في ذلك الوقت، ولذا ليس له مفهوم، مثل (وربائبكم اللاتي في حجوركم)^(١)، بل القصر مشروع في كل سفر ﴿إن الكافرين كانوا لكم عدواً مبيناً﴾ أي ظاهراً.

[١٠٢] ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَلَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَّيُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جَنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٣﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٥﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرْنَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ يهينهم

ويزلهم .

[١٠٣] ﴿فَإِذَا قُضِيَتُمْ أَدَيْتُمْ﴾ الصلاة فاذكروا الله﴾

بالنسيح وسائر أنواع الذكر ﴿قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ أي في حال القيام والقعود والاضطجاع ﴿فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ﴾ بأن زال الخوف من الكفار ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ كاملة بدون قصر ﴿إِن الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا﴾ أي مكتوباً مفروضاً ﴿مَوْقُوتًا﴾ محدد الوقت .

[١٠٤] ﴿وَلَا تَهِنُوا﴾ لا تضعفوا أيها المسلمون ﴿فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ﴾ في طلب الكفار لأجل قتالهم ﴿إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ﴾ يصيبكم الألم بسبب الجروح ﴿فَإِنَّهُمْ﴾ أي الكفار ﴿يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ﴾ أنتم ﴿وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ﴾ ثواب الله ونصره ﴿مَا لَا يَرْجُونَ﴾ أولئك الكفار ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ فهو حين يأمركم بالجهاد فإنما هو لمصلحتكم .

[١٠٥] ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿بِالْحَقِّ﴾ لا بالباطل ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾ بما أعلمك الله في كتابه ﴿وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِنِينَ﴾ أي لأجلهم وللدفاع عنهم ﴿خَصِيمًا﴾ بأن تدافع عن الخائن وتكون على البريء لأجله .

وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَلَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَّيُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جَنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٣﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٥﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرْنَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾

[١٠٦] ﴿وَاسْتَغْفِرِ اللَّهُ﴾ اطلب غفرانه، فإن (أبا طعمة) سرق شيئاً فأتى قومه يبرئونه ويطلبون من النبي ﷺ أن يكون بجانبهم فنزلت الآيات إرشاداً للنبي ﷺ ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً﴾.

[١٠٧] ﴿وَلَا تَجَادَلْ﴾ يا رسول الله ﴿عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ﴾ أي يخونون ﴿أَنْفُسَهُمْ﴾ فإن كل معصية خيانة للنفس، كـ (أبي طعمة)، بأن تكون في جانبه وتدافع عنه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّاناً﴾ مصراً على الخيانة ﴿أَثِيماً﴾ عاصياً. [١٠٨] ﴿يَسْتَخْفُونَ﴾ أي يكتُمون جرمهم، كما كتُم (أبو طعمة) وقومه سرقة ﴿مِنَ النَّاسِ﴾ حياءً أو خوفاً ﴿وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ﴾ إذ لو كتُموا عن الله لزم أن لا يعصوا ﴿وَهُوَ مَعَهُمْ﴾ والحال أن الله معهم بالاطلاع ﴿إِذْ يَبْتَئِنُّونَ﴾ يدبرون بالليل ﴿مَا لَا يَرْضَى﴾ الله ﴿مِنَ الْقَوْلِ﴾ فإن (أبا طعمة) وقومه دبروا الحلف الكاذب واتهام البريء وشهادة الزور، لأجل إبراء (أبي طعمة) السارق ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطاً﴾ إحاطة علم وقدرة.

[١٠٩] ﴿هَا﴾ للتنبيه ﴿أَنْتُمْ﴾ يا قوم أبي طعمة ﴿هَؤُلَاءِ﴾ هم الذين ﴿جَادَلْتُمْ﴾ خاصمتم ﴿عَنْهُمْ﴾ دافعاً عن الخائنين ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي الحياة القريبة ﴿فَمَنْ يَجَادِلِ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ استفهام للنفي، أي فلا أحد يدافع عن الخائنين أمام الله ﴿أَمْ مِنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾

وَاسْتَغْفِرِ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً ﴿١٠٦﴾ وَلَا تَجَادَلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّاناً أَثِيماً ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُمْ مَعَهُمْ إِذْ يُبْتَئِنُّونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطاً ﴿١٠٨﴾ هَاتَانِ هَؤُلَاءِ جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلِ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوْءً أَوْ يُظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً ﴿١١٠﴾ وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْماً فَإِنَّمَا يَكْسِبُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً ﴿١١١﴾ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْماً ثُمَّ يَرَوْهَا بَرِيئاً فَقَدْ أَحْتَمَلَ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً ﴿١١٢﴾ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً ﴿١١٣﴾

لیدافع عنهم ويحفظهم من عذاب الله.

[١١٠] ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءً﴾ عصباناً يتعداه إلى غيره كالسرقة ﴿أَوْ يُظْلِمْ نَفْسَهُ﴾ بعصبان لا يتعدى إلى غيره كترك الصلاة ﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ﴾ يطلب غفرانه ﴿يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً﴾.

[١١١] ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْماً﴾ بأن يعمل المعصية ﴿فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ لان ضرر ذلك العصبان يرجع إلى نفسه ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً﴾ بعمله ﴿حَكِيماً﴾ في عقابه.

[١١٢] ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً﴾ صغيرة ﴿أَوْ إِثْماً﴾ كبيرة ﴿ثُمَّ يَرَوْهَا بَرِيئاً﴾ أي ينسب ذلك الإثم ﴿بَرِيئاً﴾ كما نسب أبو طعمة السرقة إلى شخص بريء ﴿فَقَدْ أَحْتَمَلَ بُهْتَاناً﴾ كذباً ﴿وَإِثْماً مُبِيناً﴾ أي ظاهراً فعليه عقابان.

[١١٣] ﴿وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ﴾ يا رسول الله ﴿وَرَحْمَتُهُ﴾ بإرشادك إلى سرقة (أبي طعمة) وبراءة ذلك الرجل ﴿لَهَمَّتْ﴾ أي قصدت ﴿طَائِفَةٌ مِنْهُمْ﴾ وهم قوم أبي طعمة ﴿أَنْ يُضِلُّوكَ﴾ عن الحكم بالحق في باب السارق ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾ لان وبال ما هموا به يرجع إلى أنفسهم ﴿وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ﴾ بسبب كيدهم ﴿وَوُكِّلَ﴾ كيف تضل والحال أنه ﴿أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ﴾ من العلم بأحوال الناس ﴿وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً﴾.

[١١٤] ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ﴾ أي تناجيهم ، كما كان يناجي قوم (أبي طعمة) بعضهم من بعض لأجل تبرئة السارق ﴿وَلَا﴾ نجوى ﴿مِّنْ أَمْرِ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ﴾ أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ﴿كأعمال البر﴾ أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك النجوى لأجل الخير ﴿إِبتغاء مرضاة﴾ أي يطلب رضا ﴿الله فسوف﴾ في الآخرة ﴿نؤتيه﴾ نعطيهِ ﴿أجرًا عظيمًا﴾ .

[١١٥] ﴿وَمَن يَشَاقِقِ﴾ يخالف ﴿الرسول﴾ من بعد ما تبين ﴿له الهدى﴾ بأن خالف حكم النبي ﷺ ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فإن سبيل المؤمنين الأخذ بأقوال الرسول ﷺ ﴿نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى﴾ أي نخلي بينه وبين ما أَرَادَهُ مِنَ الضَّلَالِ ﴿وَنُصْلِهِ﴾ نذيقه ﴿جهنم وساءت﴾ جهنم ﴿مصيرًا﴾ له .

[١١٦] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾ إذا مات المشرك على شركه ﴿ويغفر ما دون ذلك﴾ ما سوى الشرك من المعاصي ﴿لَمَن يَشَاءُ﴾ ممن اقتضت المصلحة غفرانه ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ سَبِيلَ الْحَقِّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ ابتعد بعداً كبيراً عن الطريق .

[١١٧] ﴿إِن﴾ بمعنى (ما) ﴿يَدْعُونَ﴾ هؤلاء المشركون ﴿مِّنْ دُونِهِ﴾ دون الله ﴿إِلَّا إِنَانَا﴾ أصناماً مؤنثة كالكالات والمناة والعزى ﴿وَأَن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا﴾ لأنه أمرهم بعبادة الأصنام ﴿ومريداً﴾ عاتياً خارجاً عن الطاعة .

[١١٨] ﴿لَعَنَهُ اللَّهُ﴾ جملة إنشائية ، أي اللهم العن الشيطان ﴿وَقَالَ﴾ الشيطان ﴿لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا﴾ أي قسماً ﴿مَّفْرُوضًا﴾ أي مقطوعاً لنفسي بمعنى إضلالهم عن الطريق .

[١١٩] ﴿وَلَا ضَلَّاهُمْ﴾ عن الحق ﴿وَلَا مَنَّاهُمْ﴾ بالأمانى الباطلة الموجبة لاتباع الهوى ﴿وَلَا مَنَّاهُمْ فَلْيَتَّكِنْ﴾ يقطعن ﴿آذَانَ الْإِنْعَامِ﴾ فإنهم كانوا يقطعون آذان بعض الأنعام علامة لتحريمها ، والحال أنها كانت محللة في الشريعة ﴿وَلَا مَنَّاهُمْ فَلْيَغْتَرِبْ﴾ خلق الله ﴿بالمثلة ونحوها﴾ ومن يتخذ الشيطان ولياً ﴿يتولاه في إطاعة أمره﴾ من دون الله ﴿بإيثار طاعة على طاعة الله﴾ فقد خسر خسراناً مبيناً ﴿ظاهراً حيث خسر نفسه﴾ .

[١٢٠] ﴿يَعْدُهُمُ﴾ الشيطان بالوعود الكاذبة ﴿وَيَمْنِيهِمْ﴾ بالأمانى الباطلة ﴿وما يعدهم الشيطان إلا غروراً﴾ أي إيهام النفع والحال انه لا نفع فيه بل ضرر وخسران .

[١٢١] ﴿أُولَئِكَ﴾ الذين اتخذوا الشيطان ولياً ﴿مَّاوَاهُمْ﴾ محلهم ﴿جهنم ولا يجدون عنها﴾ عن جهنم ﴿محيصاً﴾ أي مخلصاً ومهرباً .

﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنسًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَا ضَلَّاهُمْ وَلَا مَنَّاهُمْ فَلْيَتَّكِنْ آذَانَ الْإِنْعَامِ وَلَا مَنَّاهُمْ فَلْيَغْتَرِبْ خَلْقَ اللَّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعْدُهُمْ وَيَمْنِيهِمْ وَمَا يَعْدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾

[١٢٢] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ﴾ أي وعد الله ذلك وعداً ﴿حَقًّا﴾ أي ليس وعداً باطلاً وكذباً ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ أي قولاً، وهذا استفهام إنكار.

[١٢٣] ﴿لَيْسَ﴾ تقدم الدنيا وثواب الآخرة يحصل ﴿بِأَمَانِيكُمْ﴾ أيها المسلمون، والأمانى جمع أمنية ﴿وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ ومن يعمل من الصالحات من ذكرٍ أو أنثى وهو مؤمنٌ فأُولَئِكَ يُدْخِلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يَظْلَمُونَ نَفْسًا ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ والله ما

[١٢٤] ﴿وَمَنْ يَعْمَلُ مِنَ الصَّالِحَاتِ﴾ أي من هذا الجنس ﴿مَنْ ذَكَرَ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ﴾ أي في حال كونه ﴿مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يَظْلَمُونَ نَفْسًا﴾ النقرة التي في ظهر النواة.

[١٢٥] ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ﴾ استفهام للتقرير ﴿دِينًا﴾ أي طريقة ﴿مِمَّنْ أَسْلَمَ﴾ بأن استسلم إلى الله في كل أوامره ﴿وَجْهَهُ﴾ أي ذاته ﴿لِلَّهِ وَ﴾ الحال ﴿هُوَ مُحْسِنٌ﴾ في أعماله ﴿وَاتَّبَعَ مِلَّةَ﴾ أي طريقة ﴿إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ أي في حال كون إبراهيم عليه السلام مائلاً عن الباطل إلى الحق

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يَظْلَمُونَ نَفْسًا ﴿١٢٤﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا ﴿١٢٦﴾ وَاسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتِمُّ النِّسَاءِ الَّتِي لَا تَنْتَوْنَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَرَرَّعْبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾

﴿واتخذ الله إبراهيم خليلًا﴾ يجبه كما يجب الخليل خليله، فهل هناك طريقة أحسن من طريقته.

[١٢٦] ﴿ولله ما في السماوات وما في الأرض وكان الله بكل شيء محيطاً﴾ إحاطة علم وقدرة.

[١٢٧] ﴿واسفتونك في النساء﴾ أي يسألونك يا رسول الله عن الفتوى في باب أحكام النساء ﴿قل الله يفتيكم فيهن﴾ أي يبين حكمهن ﴿وما يتلى عليكم في الكتاب﴾ عطف على (يفتيكم) أي أن أحكام النساء تبين هاهنا، وفي ما تقدم من القرآن في أول سورة النساء، و (يتلى) بمعنى الماضي ﴿في يتامى النساء﴾ ظرف لـ (يتلى) والمراد اليتيمات ﴿اللاتي لا تؤتونهن﴾ لا تعطونهن ﴿ما كتب لهن﴾ من الميراث ﴿وترغبون أن تنكحوهن﴾ فقد كان الرجل يضم اليتيمة إلى نفسه، فإن كانت جميلة تزوجها وأكل إرثها وإلا عضلها ليرثها ويأكل حقوقها ﴿و﴾ في ﴿المستضعفين من الولدان﴾ أي الأيتام فإنهم كانوا لا يورثونهم، كما لا يورثون النساء ﴿و﴾ يفتيكم في ﴿أن تقوموا﴾ من القيام بالأمر ﴿لليتامى بالقسط﴾ أي بالعدل في أنفسهم وأموالهم ﴿وما تفعلوا من خير﴾ بيان (ما) فلا يضيع خيركم بالنسبة إلى الأيتام ﴿فإن الله كان به عليماً﴾.

[١٢٨] ﴿وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُورًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝١٢٩﴾ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُواهَا كَالْمِغْلَقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا ۝١٣٠﴾ وَإِنْ يَفْرَقَا يَغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ۝١٣١﴾ وَلِلَّهِ مَكَافِي السَّمَوَاتِ وَمَكَافِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ۝١٣٢﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ۝١٣٣﴾ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا ۝١٣٤﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدِ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ۝١٣٥﴾

[١٢٩] ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا﴾ أيها الرجال ﴿أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ﴾ بين زوجاتكم المتعددة عدلاً بقول مطلق من حيث الميل القلبي ومن سائر اللوازم الجسدية ﴿وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ لأن رغبات الإنسان ليست تحت اختياره، إذا فالمأمور به من العدل هو ما تحت اختياركم ﴿فَلَا تَمِيلُوا﴾ إلى إحداهن ﴿كُلَّ الْمِيلِ﴾ بأن تركوا بالنسبة إلى الأخرى حتى ما تقدرون عليه من العدل ﴿فَتَدْرُواهَا﴾ أي تدعون من لا رغبة قلبية لكم إليهما ﴿كَالْمِغْلَقَةِ﴾ أي كالمرأة

المغلقة لا ذات زوج ولا بلا زوج، بل لا بأس بميلكم إلى إحداهن إذا أدت حق الأخرى، ولا يخفى أن هذه الآية ثلاث الآية الأخرى، وهي قوله سبحانه: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾^(١)، فإن تلك الآية لبيان وجوب العدل الميسور، وهذه الآية لبيان أنه فيما لا يمكن العدل بقول مطلق فعليكم العدل بالقدر الميسور، فالآيتان هكذا: إذا لم يتمكن الرجل من العدالة أصلاً فليأخذ واحدة، وإن تمكن من العدالة الممكنة فليعدل ولا يترك إحداهما بدون نصيب لها من العدل ﴿وَإِنْ تُصْلِحُوا﴾ أمر العائلة بترك الميل الكلي ﴿وَتَتَّقُوا﴾ الله بأن تخافوه فلا تعرضوا لعقابه في ترك الزوجة ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا﴾ لما ليس تحت اختياركم العرفي ﴿رَحِيمًا﴾.

[١٣٠] ﴿وَإِنْ يَفْرَقَا﴾ أي الزوجان بالطلاق، حال ما صار بينهما شقاق ﴿يَغْنِ اللَّهُ كُلًّا﴾ منهما ﴿مِنْ سَعَتِهِ﴾ يغني الزوج بزوجة أخرى، والزوجة بزوج آخر ﴿وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا﴾ في إنفاقه وإغنائه ﴿حَكِيمًا﴾.

[١٣١] ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ تقرير لسعة الله تعالى ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ السماوي كاليهود والنصارى ﴿مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ أي وصيناكم ﴿أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا﴾ وتجددوا لله، أو لم تعملوا بأوامره ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ فلا يضره كفركم ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾ محموداً في أفعاله.

[١٣٢] ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ حافظاً ومدبراً لخلقه فمن عمل بأوامره كفاه ما أراد.

[١٣٣] ﴿إِنْ يَشَأْ﴾ الله ﴿يُذْهِبْكُمْ﴾ يفتنكم ﴿أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ﴾ بأن يخلق أناساً آخرين ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ﴾ الإفناء والإيجاد ﴿قَدِيرًا﴾ فلا يحتاج إليكم.

[١٣٤] ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾ أي خيرها، فليطلبه من عند الله تعالى ﴿فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ فكل خير بيده ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾.

[۱۳۵] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ﴾ دائمي القيام في كل الأمور ﴿بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾ بأن تشهدوا شهادة حق ﴿وَلَوْ﴾ كانت الشهادة ﴿عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ﴾ بأن تضركم الشهادة ﴿أَوْ﴾ الشهادة على ﴿الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ أقربائكم ﴿إِنْ يَكُن﴾ المشهود له أو المشهود عليه ﴿غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَآلَهُ أُولَىٰ بِهَمَّا﴾ أي إنه عز وجل أولى بأن تراعه فتشهدوا على الغني، ولنفع الفقير، بأن لا تتركوا الشهادة على الغني لأنه غني، أو لنفع الفقير لعدم الاعتناء به ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ﴾ في أن تشهدوا باطلاً، أو تتركوا الشهادة الحق لـ ﴿أَنْ تَعْدِلُوا﴾ عن الحق ﴿وَأَنْ تَلْوُوا﴾ ألسنتكم عن الشهادة الصحيحة ﴿أَوْ تَعْرِضُوا﴾ بأن لا تشهدوا أصلاً ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ فيجازيكم على أعمالكم.

[۱۳۶] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ في الظاهر ﴿آمَنُوا﴾ إيماناً قلبياً وواقعياً ﴿بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ﴾ القرآن ﴿الَّذِي نَزَلَ﴾ الله ﴿عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ﴾ الله ﴿مَنْ قَبْلُ﴾ أي جنس الكتب السماوية ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ﴾ عن طريق الحق ﴿ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ فهو بعيد عن طريق الهداية والرشاد.

[۱۳۷] ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ أَرَادُوا كُفْرًا﴾ كاليهود آمنوا بموسى عليه السلام ثم كفروا بعبادة

العجل ثم آمنوا وتابوا، ثم كفروا بعيسى عليه السلام، ثم ازدادوا كفراً بمحمد ﷺ، أو المراد المنافقون الذين تارة آمنوا وتارة كفروا وهكذا حتى ترسخ فيهم النفاق ﴿لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَكْفُرْ لَهُمْ﴾ لأن أمرهم انتهى إلى الكفر ﴿وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾ إلى الجنة، أو لا يُلطف بهم لطف الخاص.

[۱۳۸] ﴿بَشُرْ﴾ على سبيل الاستهزاء، لأن البشارة إنما تستعمل في الخير فقط ﴿الْمُنَافِقِينَ﴾ بأن لهم عذاباً أليماً مؤلماً. [۱۳۹] ﴿الَّذِينَ﴾ صفة المنافقين ﴿يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ﴾ أصدقاء حقيقين ﴿مَنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ من دون المؤمنين أبيتنون ﴿استفهام﴾ إنكار، أي هل يطلب هؤلاء المنافقون ﴿عندهم﴾ أي عند الكافرين ﴿الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ فلا يعز إلا أوليائه.

[۱۴۰] ﴿وَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ﴾ وتجالسونهم والحال انه ﴿قَدْ نَزَلَ﴾ الله ﴿عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾ القرآن ﴿أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يَكْفُرُ بِهَا وَيَسْتَهْزِئُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ أي يدخلوا ﴿فِي حَدِيثٍ﴾ كلام ﴿غَيْرِهِ﴾ غير الاستهزاء والكفر ﴿إِنْ كُنْتُمْ إِذَا﴾ إذا قعدتم إليهم ﴿مِثْلَهُمْ﴾ في كونكم في شقاق مع المسلمين ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَآلَهُ أُولَىٰ بِهَمَّا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ أَرَادُوا كُفْرًا لَرَّىٰ اللَّهُ يُكْفِرْهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾ ﴿بَشُرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِيتُّنَا عَنْهُمْ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يَكْفُرُ بِهَا وَيَسْتَهْزِئُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِذَا مَثَلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾

[١٤١] ﴿الَّذِينَ﴾ بدل من ﴿الَّذِينَ يَتَخَذُونَ﴾ ﴿يَتَرَبَّصُونَ﴾ بكم ﴿أَيِ يَنْتَظِرُونَ﴾ وقع أمر بكم ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ﴾ وتقدم ونصر ﴿مِنَ اللَّهِ قَالُوا﴾ أي المنافقون ﴿أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾ فأسهموا لنا من الغنائم ﴿وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ﴾ بأن غلب الكفار على المسلمين، فكان لهم حظ في الغلبة ﴿قَالُوا﴾ أي المنافقون ﴿أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ﴾ نستولي عليكم أيها الكفار ﴿وَنَنْتَعِمُكَم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فإننا منعناكم عن أن يصيبكم المؤمنون بمكرهه بما أرشدناكم من أسرارهم، فأعطونا حق عملنا لكم ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ أيها المؤمنون والمنافقون ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ فيظهر نفاق هؤلاء وخلوصكم أنتم ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ أي طريقاً للغلبة عليهم غلبة كاملة بالقوة والحجة، فإنهم إن غلبوا بالقوة لن يغلبوا بالحجة.

[١٤٢] ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ﴾ يفعلون فعل المخادع فيظهرون الإيمان ويبطنون النفاق ﴿وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ يقبلهم مسلمين في الدنيا ويعاملهم معاملة الكافرين في الآخرة ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى﴾ في حالة الكسالة، لأنهم لا يعتقدون بالصلاة ﴿وَيَرَاءُونَ النَّاسَ﴾ أي يصلون صلاة رياءية ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أذكأراً ظاهرة رياءية.

[١٤٣] ﴿مُذَبِّبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ مترددين بين الإيمان والكفر ﴿لَا إِلَى هَؤُلَاءِ﴾ المؤمنين ﴿وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ﴾ الكافرين، حيث ظاهرهم إيمان وباطنهم الكفر ﴿وَمَن يَضِلَّ اللَّهُ﴾ يتركه حتى يضل، لأنه لم يقبل الهداية ﴿فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ إلى الهداية والحق.

[١٤٤] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ﴾ أصدقاء كما يصنع المنافقون ﴿مِّن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بل اتخذوا المؤمنين أولياء لكم ﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا﴾ حجة ﴿مُبِينًا﴾ واضحاً، إذ اتخذا الكافرين أولياء يكون سبباً لعذاب الله لكم بهذه الحجة الواضحة.

[١٤٥] ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ﴾ الطبقة ﴿الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ في قعر جهنم لأنهم زادوا على الكفر الواقعي غش المسلمين وخيانتهم ﴿وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ ينصرهم بإخراجهم من النار.

[١٤٦] ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ عن النفاق ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ حالهم ﴿واعتصموا بالله﴾ تمسكوا به ﴿وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾ لا يريدون إلا وجهه بلا رياء ﴿فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ في عدادهم ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

[١٤٧] ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ﴾ استفهام إنكار، أي أية فائدة تكون لله إذا عذبكم ﴿إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا﴾ يشكر إيمانكم ﴿عَلِيمًا﴾ بحالككم.

الَّذِينَ يَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعُكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾
إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى الَّذِينَ لَمْ يَدْعُوا إِلَى اللَّهِ قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُذَبِّبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَن يُضِلَّ اللَّهُ فَمَا لَهٗ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أُرِيدُوا أَن يَجْعَلُوا اللَّهَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾

[١٤٨] ﴿لَا يَحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ أي يكره «الجهر بالسوء من القول» أن يجهر الإنسان ويظهر القول السيئ بالنسبة إلى شخص «إلا من ظلم» بأن يشكو المظلوم ظالمة «وكان الله سميعاً» لكلامكم «عليماً» بأحوالكم.

[١٤٩] ﴿إِنْ تَبَدُّوا﴾ تظهروا «خيراً» عمل خير «أو تخفوه» بأن تأتوا بالخير خفية «أو تعفوا عن سوء» بأن لا تقابلوه بالمثل ولا تعطوا جزاء المسيء «فإن الله كان عفواً» يعفو عنكم «قديراً» على كل شيء ومع ذلك يعفو عن المذنب.

[١٥٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ يُؤْتَوْنَ أَجْرًا مِمَّا عَمِلُوا وَيَكْفُرُونَ بَأْسَهُمْ﴾ أي الذين يكفرون بالله ورسوله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسوله ويقولون نؤمن ببعض «الرسول كاليهود والنصارى» «ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك» الإيمان التام «سبيلاً» طريقاً جديداً لا إيمان محض ولا كفر محض.

[١٥١] ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾ أي كفراً ثابتاً، إذ الكفر هو إنكار شيء من أصول الدين «وأعتدنا» هتانا «للكافرين عذاباً مهيناً» يهينهم ويذلهم.

[١٥٢] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَمْ يَفْرُقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ من الرسل بل آمنوا بالكل «أولئك سوف يؤتيهم أجورهم» بالثواب «وكان الله غفوراً رحيماً».

[١٥٣] ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تَنزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنْ

السماء﴾ جملة كما نزلت التوراة جملة، وهذا السؤال تعنتي، إذ يكفي الكتاب المنزل تدريجاً حجة وإعجازاً «فقد سألوهم الصاعقة» جاء صاعقة وقتلتهم «بظلمهم» أي بسبب ظلمهم بهذا السؤال «ثم اتخذوا العجل» إلهاً «من بعد ما جاءتهم البينات» الأدلة الواضحات «نعمفونا عن ذلك» أي اتخذهم العجل «وأتينا موسى سلطاناً مبيناً» حجة ظاهرة.

[١٥٤] ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ﴾ بأن قطعنا قطعة من الجبل ورفعت فوق رؤوسهم، بالإعجاز «بميثاقهم» أي بسبب أن قبلوا التوراة فإذا لم يعطوا العهد وقع الجبل عليهم «وقلنا لهم ادخلوا الباب سجداً» وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً «وثيقاً»، لكنهم نقضوه أيضاً.

﴿لَا يَحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ (١٤٨) إِنْ تَبَدُّوا خَيْرًا أَوْ تَخْفَوْهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا قَدِيرًا (١٤٩) إِنْ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ يُؤْتَوْنَ أَجْرًا مِمَّا عَمِلُوا وَيَكْفُرُونَ بَأْسَهُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (١٥٠) أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا (١٥١) وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَمْ يَفْرُقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرُهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (١٥٢) يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تَنزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرًا مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرَأَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ أَلَيْنَتُمْ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَأَتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا (١٥٣) وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا (١٥٤)

[۱۵۵] ﴿فِيمَا نَقُضُهُمْ مِثْقَهُمْ وَكُفِّرَهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ حَقًّا تَأْكِيدَ﴾ ﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ جمع (أغلف) أي في غلاف فلا تعي قولك يا محمد ﷺ ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا﴾ أي على قلوبهم، وطبع الله أن يجعل عليه علامة تدل على عنادهم ﴿بِكُفْرِهِمْ﴾ أي بسبب كفرهم ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ منهم، من لم يسلك العناد.

[۱۵۶] ﴿وَبِكُفْرِهِمْ﴾ أي بسبب كفرهم ﴿وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بَهْتَانًا عَظِيمًا﴾ وهو رميها بالفاحشة.

[۱۵۷] ﴿وَقَوْلِهِمْ﴾ افتخاراً واجترأ على الله ﴿إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَّبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ بأن وقع شبه المسيح على رئيس اليهود فقتلوه ورفع عيسى ﷺ إلى السماء ﴿وَأَنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ أي في قتل المسيح ﷺ هل قتل أم لا ﴿لَفِي شَكٍّ مِنْهُمْ﴾ تردد من قتله ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعُ الظَّنِّ﴾ أي لكنهم يتبعون الظن في قولهم قتل ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾.

[۱۵۸] ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ إلى محل كرامته في السماء الرابعة ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا﴾ لا يغلب على ما أراد ﴿حَكِيمًا﴾.

[۱۵۹] ﴿وَأَنَّ﴾ نفي، أي ليس أحد ﴿مَنْ أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنُوا بِهِ﴾ أي بالمسيح ﷺ ﴿قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ حين ينزل إلى الدنيا في زمان الإمام المهدي (عج) ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ﴾ المسيح ﷺ ﴿عَلَيْهِمْ﴾ أي على أهل الكتاب ﴿شَهِيدًا﴾ بأنهم آمنوا به أو لم يؤمنوا، وفي معنى الآية احتمال آخر.

[۱۶۰] ﴿فَبِظُلْمٍ﴾ أي بسبب ظلم ﴿مَنْ الَّذِينَ هَادُوا﴾ اليهود ﴿حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ كانت حلالاً لهم قبل ذلك، كلحوم الأنعام، حرمت مجازاة كما تقدم ﴿وَبِصَدْمِهِمْ﴾ أي منهم الناس ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ أي صدأ كثيراً.

[۱۶۱] ﴿وَوَصَّيْنَا الْيَهُودَ﴾ أي بسبب ﴿أَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ﴾ عن الأخذ ﴿وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾ بالرشوة ونحوها ﴿وَأَعْتَدْنَا﴾ أي هيأنا ﴿لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ﴾ دون من تاب وآمن ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلماً.

[۱۶۲] ﴿لَكِنَّ الرَّاكِشِينَ﴾ الثابتون ﴿فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ﴾ من اليهود ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ﴾ أي سائر المؤمنين ﴿يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ من الكتب ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾ إنما نصب (المقيمين) للإلفات، ونصبه على المدح، أي المؤمنون بك وبالكتب السابقة ﴿وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ أي معطونها ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ قدم أولاً الإيمان بالأنبياء ثم الإيمان بالله والمعاد ﴿أُولَئِكَ﴾ كل أولئك المتقدم وصفهم ﴿سَنُعْطِيهِمْ﴾ سنعطيهم في الآخرة ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

فِيمَا نَقُضُهُمْ مِثْقَهُمْ وَكُفِّرَهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ
بِعَرِيقٍ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ
فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ
بَهْتَانًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ
رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَّبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ
اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُمْ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعُ الظَّنِّ
وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا
﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنُوا بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ
الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ فَبِظُلْمٍ مِنْ الَّذِينَ هَادُوا
حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدْمِهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ
كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ
بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ لَكِنَّ
الرَّاكِشُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا
أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ
وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُعْطِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾

[١٦٣] ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾ أولاد يعقوب ﷺ الذين كانوا أنبياء ﴿وَعِيسَى وَإِيتُوبَ وَيونسَ وهارونَ وسليمانَ وآتيناهُ﴾ أعطيناهُ ﴿دَاوُدَ زبوراً﴾.

[١٦٤] ﴿و﴾ أرسلناه ﴿رسلاً﴾ آخرين ﴿قد قصصناهم عليك من قبل﴾ أي قبل هذا المقام ﴿ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليماً﴾ بأن خلق الصوت فسمعه الكليم ﷺ.

[١٦٥] ﴿رسلاً﴾ أرسلناهم ﴿مبشرين﴾ بالشواب ﴿ومنذرين﴾ بالعقاب ﴿لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾ بأن يقولوا لو أرسلت إلينا رسلاً لاهتدينا ﴿وكان الله عزيزاً حكيماً﴾.

[١٦٦] ﴿لكن الله يشهد﴾ إن لم يشهد الكفار وأهل الكتاب، وشهادة الله إجراء المعاجز على يديه ﴿بما أنزل إليك﴾ أنه حق ﴿أنزله يعلمه﴾ فلم يكن ذلك نسياناً أو خطأ ﴿والملائكة يشهدون﴾ أيضاً ﴿وكفى بالله شهيداً﴾ لأن شهادة الله بإجراء المعجز كافية في الإثبات.

[١٦٧] ﴿إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله﴾ بأن منعوا غيرهم عن الإيمان ﴿قد ضلوا ضلالاً بعيداً﴾ عن الحق.

[١٦٨] ﴿إن الذين كفروا﴾ برسالة محمد ﷺ ﴿وظلموا﴾ أنفسهم بالكفر ﴿لم يكن الله ليغفر لهم﴾ ذنوبهم ﴿ولا ليهديهم طريقاً﴾ بعد أن عاندوا.

[١٦٩] ﴿إلا طريق جهنم خالدين فيها﴾ أي في جهنم ﴿أبداً﴾ دائماً ﴿وكان ذلك﴾ الإدخال في النار خالداً ﴿على الله يسيراً﴾.

[١٧٠] ﴿يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق﴾ فليس باطلاً ﴿من ربكم فآمنوا خيراً لكم﴾ أي يكون الإيمان أحسن لكم ﴿وإن تكفروا﴾ فلا يضر الله بل يضركم ﴿فإن لله ما في السموات والأرض وكان الله عليماً حكيماً﴾.

﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَإِيتُوبَ وَيونسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زبوراً﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ لَئِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَمْرَ اللَّهِ أَنْزَلَ يُعَلِّمُهُ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَهُمُ الرُّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَتَأْمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾

[۱۷۱] ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا﴾ لا تجاوزوا الحد ﴿فِي دِينِكُمْ﴾ كما غلا اليهود في عزير عليه السلام والنصارى في المسيح عليه السلام ﴿وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ فإنه واحد لا شريك له ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ وليس ابن الله، بل هو ﴿رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ﴾ الكلمة ما يلقيه الإنسان بواسطة الفم، شبه بها المسيح عليه السلام لأن الله أوجده بأمره وقوله: (كن) ﴿أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ أي روح مخلوقة من قبل الله تعالى ﴿فَأَمْنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً﴾ أي آلهة ثلاثة: الله والمسيح ومريم ﴿انتهوا﴾ عن القول بالتثليث، يكن ﴿خَيْرًا لَكُمْ﴾ في دنياكم وأخراكم ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ﴾ أنزهه تنزيهاً ﴿أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ﴾ له ما في السماوات وما في الأرض ﴿فليس شيء شبيهاً له حتى يكون ولداً له﴾ وكفى بالله وكيلاً ﴿فهو مستغن، والغني لا يحتاج إلى اتخاذ الولد﴾.

[۱۷۲] ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ﴾ أي لا يأنف ﴿المسيح أن يكون عبداً لله ولا﴾ يستنكف ﴿الملائكة المقربون﴾ أن يكونوا عباد الله ﴿ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر﴾ يترفع عن العبادة ﴿فسيحشرهم﴾ أي يجمعهم ﴿إليه﴾ أي إلى جزائه ﴿جميعاً﴾ المستنكف وغير المستنكف.

[۱۷۳] ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ أي يعطيهم جزاء أعمالهم ﴿ويزيدهم﴾ أي

زيادة على مقدار ثوابهم ﴿من فضله وأما الذين استنكفوا واستكبروا فיעذبهم﴾ الله ﴿عذاباً أليماً﴾ مؤلماً ﴿ولا يجدون لهم من دون الله ولياً﴾ يتولى شؤونهم بالحسنى ﴿ولا نصيراً﴾ ينصرهم من عذاب الله.

[۱۷۴] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ﴾ دليل وحجة ﴿من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً﴾ يهدي الإنسان إلى دروب الحياة الحالكة ﴿مبيناً﴾ واضحاً وهو القرآن.

[۱۷۵] ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ﴾ أي تمسكوا به ﴿فسيدخلهم في رحمة منه وفضل﴾ زيادة على استحقاقهم ﴿ويهديهم إليه صراطاً﴾ إلى طريق ﴿مستقيماً﴾.

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً انْتَهُوا خيراً لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً ﴿١٧١﴾ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرْهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيَعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾ يَتَأْتِيَ النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَتِنَا وَفَضْلٍ وَنَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾

[١٧٦] ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِن لَّمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلَثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَاءً فَلِلَّذَكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ۚ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝١٧٦﴾

حكم الكلالة، وهم اخوة الميت ﴿قل الله يفتيكم في الكلالة﴾ بين لكم حكمها ﴿إن امرؤ هلك﴾ مات و﴿ليس له ولد﴾ ولا أبوان ﴿وله أخت فلها نصف ما ترك﴾ والنصف الآخر يُعطى إذا لم يكن وارث آخر ﴿وهو﴾ أي الأخ ﴿يرثها﴾ يرث الأخت إن ماتت الأخت ﴿إن لم يكن لها﴾ للأخت ﴿ولد﴾ ولا أبوان ﴿فإن كانتا﴾ أي الأختان ﴿اثنتين﴾ أو أكثر ﴿فلهما الثلثان﴾ من التركة والباقي لهما، إذا لم يكن له وارث آخر ﴿مما ترك﴾ الميت ﴿وإن كانوا﴾ اخوة الميت ﴿إخوة﴾ ولو اثنتين ذكراً وأنثى رجالاً ونساءً فللذكر مثل حظ الأنثيين ﴿لأخت واحد وللأخ اثنان﴾ ﴿يبين الله لكم﴾ الأحكام ﴿أن تضلوا﴾ أي لثلاثا تضلوا عن الطريق المستقيم ﴿والله بكل شيء عليم﴾.

٥: سورة المائدة

مدنية آياتها مائة وعشرون

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

[١] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ أي العقد الذي تعقدونه في بيع أو شراء أو ما أشبهه، والعقد الذي بينكم وبين الله، ومنه تحليل الأنعام، فلا تحرموها كأهل الجاهلية واليهود ﴿أحلت﴾ أي حلال ﴿لكم بهيمة الأنعام﴾ الأنعام هي الإبل والبقر والغنم وغيرها، والبهيمة الحيوان الذي لا يتكلم ﴿إلا ما يتلى عليكم﴾ أي يقرأ عليكم انه محرم، كما في آية (حرمت عليكم الميتة)^(١) في حال كونكم غير محلّي الصيد﴾ أي لا تحلون الصيد في حال الإحرام ﴿وأنتم حُرّم إن الله يحكم ما يريد﴾ من التحليل والتحريم حسب المصالح.

[٢] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ﴾ جمع شعيرة وهي الأمر المربوط بالله، فلا تتعدوها، بل قفوا عند أمر الله تحليلاً وتحريماً ﴿ولا الشهر الحرام﴾ فلا تقاتلوا فيه ﴿ولا الهدى﴾ ما يهدي إلى الكعبة من الأنعام، فلا تأخذوه وتصرفوا فيه ﴿ولا الفلأند﴾ هي الهدى الذي يجعل في عنقه قلادة إبان الحج ﴿ولا آمين﴾ قاصدين ﴿البيت الحرام﴾ أي الحج بأن لا تصدوا الناس عن الحج، في حال كون الآمين ﴿يبتغون﴾ يطلبون ﴿فضلاً﴾ ثوابهم ﴿من ربهم ورضواناً﴾ رضاية منه تعالى ﴿وإذا حللتم﴾ عن الإحرام ﴿فاصطادوا﴾ أي يجوز لكم الصيد، أما في حال الإحرام فلا يجوز ﴿ولا يجرمكم﴾ أي لا يحملنكم ﴿شنان قوم﴾ أي شدة عداوتهم ﴿أن صدوكم﴾ أي لأن منعوكم عام الحديبية ﴿عن المسجد الحرام﴾ حيث أردتم زيارته ﴿أن تعتدوا﴾ مفعول (لا يجرمكم)، أي لا يسبب ذلك تعديكم عليهم بالقتل والأسر والنهب ﴿وتعاونوا﴾ يعين بعضكم بعضاً ﴿على البر﴾ الأعمال الحسنة ﴿والتقوى﴾ الانقضاء عن المعاصي ﴿ولا تعاونوا﴾ لا يعين بعضكم بعضاً ﴿على الإثم﴾ المعصية ﴿والعدوان﴾ التعدي والظلم ﴿واتقوا الله إن الله شديد العقاب﴾ فلا تخالفوه حتى تتلوا بعقابه.

يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِن لَّمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلَثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَاءً فَلِلَّذَكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ۚ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝١٧٦

سُورَةُ الْمَائِدَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ
الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُبَيِّنُ عَلَيْكُمْ غَيْرُ مُحْلِي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنْ
يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ۝١ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ
وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْفُلْأَنْدَ وَلَا آمِينَ الْبَيْتِ
الْحَرَامِ يَنْتَفِعُونَ فَضْلًا مِنْ رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا
وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نَقَوْمٍ أَنْ صَدَّوْكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ
الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا
عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝٢

[٣] ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ﴾ ما لم يُذَكَّ من الحيوان ﴿وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أَهْلٌ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ أي الحيوان الذي لم يذكر اسم الله عليه حال ذبحه، والضمير راجع إلى ﴿مَا﴾ ﴿وَالْمُنْخَنِقَةُ﴾ الحيوان الذي مات بالخنق ﴿وَالْمَوْقُوذَةُ﴾ الحيوان الذي مات بشدة الضرب ﴿وَالْمُتْرَدِيَّةُ﴾ الذي مات بسبب السقوط من مكان عال ﴿وَالنَّطِيحَةُ﴾ الحيوان الذي نطحه حيوان آخر فمات ﴿وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ﴾ بأن افترسه السبع فمات ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ أدركتم ذكاته من الحيوانات المذكورات، ما عدا الخنزير ﴿وَمَا ذَبَحَ عَلَى النَّصَبِ﴾ الأصنام، أي ما سمي عليه الصنم حين ذبحه ﴿وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا﴾ أي حرام ما قسمتموه ﴿بِالْأَزْلَامِ﴾ أي السهام، وهذا حرام لكونه قماراً ﴿ذَلِكَمُ﴾ المتناول للمذكورات ﴿فَسُقْ﴾ خروج عن طاعة الله ومحرم ﴿الْيَوْمِ﴾ وبعد قوة الإسلام ونصب الخليفة ﴿يَشُ﴾ الذين كفروا من دينكم ﴿مَنْ أَنْ يَنْالُوهُ بِسُوءِ لِقَاةِ الْإِسْلَامِ﴾ خصوصاً بعد أن عين الرسول ﷺ الخليفة القائم مقامه وهو الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾ أن يقهروكم ﴿وَإِخْشَوْنِي﴾ فلا تخالفون أوامري ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ وإكماله بنصب علي أمير المؤمنين عليه السلام في غدیر خم، بعد حجة الوداع ﴿وَأَنْتُمْ عَلَىكُمْ نِعْمَتِي﴾ بولاية علي عليه السلام ﴿وَوَضَّيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِيناً﴾ من بين

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالِدَمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أَهْلٌ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتْرَدِيَّةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذَبَحَ عَلَى النَّصَبِ وَمَنْ تَقَسَّمْ أَوْ تَخَفَّحُوا عَلَى الْيَوْمِ فَسُقُ الْيَوْمِ بِسُقُ الْيَوْمِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَإِخْشَوْنِي الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَنْتُمْ عَلَىكُمْ نِعْمَتِي وَرَضَّيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِيناً فَمَنْ أَضْطَرَّ فِي مَخْصَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَحَلَّ لَكُمْ قُلْ أَحَلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمُ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ يَعْلَمُونَ مَا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكَنَّ عَلَيْكُمْ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَأَقْنُوا لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢﴾ الْيَوْمَ أَحَلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلَّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلَّ لَكُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِينَ غَيْرَ مُسَفِّحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٥﴾

الأديان، فإنه قبل الكمال لم يكن رضا كاملاً، وإنما الرضا المطلق حصل بعد نصب الخليفة^(١) ﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ فِي مَخْصَصَةٍ﴾ مجاعة، بأن اضطر إلى أكل المحرمات التي ذكرت، في حال كونه ﴿غَيْرِ مُتَجَانِفٍ﴾ أي غير متمايل ﴿لِلْإِثْمِ﴾ بأن لا يأكل تلذذاً بل اضطراراً ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ بعباده لذا يبيح للمضطر المحرمات.

[٤] ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ يا رسول الله ﴿مَاذَا أَحَلَّ لَهُمْ﴾ فإنهم بعد ما علموا المحرمات سألوا عن المحللات ﴿قُلْ أَحَلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتِ﴾ وهي كل ما لم يأت عليه تحريم ﴿وَوُحِّدَ لَكُمْ صَيْدَ﴾ ما علمتم من الجوارح ﴿أَيَّ الْحَيَوَانَاتِ﴾ التي تجرح الصيد والمراد بها الكلاب إذا كانت معلّمة، بأن علمها الإنسان ذلك ﴿مُكَلِّبِينَ﴾ أي حال كونكم صاحبي كلاب ﴿تَعْلَمُونَهُنَّ﴾ أي تعلمون الكلاب الاصطياد ﴿مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾ من طرق التأديب، فإن علم الإنسان إنما هو إلهام من الله ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكَنَّ﴾ أي أخذت تلك الكلاب وقتلته ﴿عَلَيْكُمْ﴾ أي لأجلكم ﴿وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ أي سموا الله عند إرسال الكلاب ﴿وَاقْنُوا لِلَّهِ﴾ فلا تناولوا محرّماته ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ فإن كل آت قريب.

[٥] ﴿الْيَوْمَ أَحَلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتِ﴾ ليس المراد الحرمة قبل هذا اليوم بل بيان هذا الحكم إنما كان في هذا اليوم ﴿وَطَعَامُ﴾ أي الحبوب^(٢)، ولذا يقال يتابع الطعام، لبائعي الحبوب، ولذا يعنونون الفقهاء مسألة (بيع الطعام) مريدين به الحبوب، فالطعام منصرف إليها ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلَّ﴾ حلال ﴿لَكُمْ﴾ والتخصيص بأهل الكتاب لأنهم محل ابتلاء المسلمين، كما أن العكس أيضاً كذلك وهو: ﴿وَطَعَامُكُمْ حَلَّ لَهُمْ﴾ فالتخصيص لما ذكر وإلا فطعام المسلم حلّ حتى لغير أهل الكتاب ﴿وَوُحِّدَ لَكُمْ﴾ أي النساء العفيفات بأن تزوجوهن ﴿مِنْ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتِ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا

(١) وهناك حكمة في جعل آية الولاية في هذا الموضع، مذكورة في المفصلات.

(٢) أهل الحجاز إذا أطلقوا اللفظ بالطعام، عناه به البر خاصة، وقال الخليل: إن الطعام هو البر خاصة. راجع لسان العرب ج ١٢

الكتاب من قبلكم ﴿اليهود والنصارى﴾ إذا آتيتموهن ﴿أعطيتموهن﴾ أجورهن ﴿مهورهن في حال كونكم﴾ محصنين ﴿أعفاء﴾ غير مسافحين ﴿أي غير زانين، بأن لا تزنوا معهن جهراً﴾ ولا متخذي ﴿أي لا تتخذوا﴾ أخدان ﴿تزنون بهن سرّاً، والخدن الصديق يقال للذكر والأنثى﴾ ومن يكفر بالإيمان ﴿بمقتضيات الإيمان من العمل بالأحكام، والمراد بالكفر الكفر العملي﴾ فقد حبط عمله ﴿لم يستحق ثوابه﴾ وهو في الآخرة من الخاسرين ﴿الذين خسروا أعمارهم ولم يحصلوا جزاءاً حسناً﴾.

[٦] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَرُوا﴾ وَأَرَدْتُمْ الصَّلَاةَ ﴿فَاطَّهَرُوا﴾ اغْتَسَلُوا ﴿وَلَوْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ﴾ جمع مريض، بحيث يضرركم الماء ﴿أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِّنَ الْمَوَاطِنِ﴾ أي اقتصدوا ﴿فَاسْتَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾ أي اغتسلوا ﴿وَلَوْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَرُوا﴾ فامسحوا بوجوهكم بعض وجوهكم ﴿وَأَيْدِيَكُمْ مِنْهُ﴾ أي من ذلك الصعيد، بأن تضربوا اليد عليه ثم تمسحوا ﴿مَا يَرِيدُ اللَّهُ فِي أَمْرِهِ بِالطَّهَارَةِ مَاءً وَتَيَمُّمًا﴾ ليجعل عليكم من حرج ﴿أَيِ يَضِيقُ عَلَيْكُمْ﴾ ولكن يريد ليطهركم ﴿مِنَ الْأَقْدَارِ الْمَعْنَوِيَةِ وَالظَّاهِرِيَةِ﴾ وليتم نعمته عليكم ﴿بِتَشْرِيْعِهِ مَا يَسْبَبُ نِظَافَتَكُمْ﴾ لعلكم تشكرون ﴿نِعْمَهُ سُبْحَانَهُ﴾.

[٧] ﴿وَاذْكُرُوا﴾ لأجل الشكر، ولأجل العمل ﴿نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بالإسلام وسائر النعم ﴿وَوَاقِعَ الْوَعْدِ﴾ اذكروا ﴿مِيثَاقَهُ﴾ عهده ﴿الَّذِي وَاقَعَكُمْ﴾ عاهدكم ﴿بِهِ﴾ عند مبايعتكم للرسول ﷺ ﴿إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِّنَ الْمَوَاطِنِ أَوْ لَمْ تَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ فَمَسْحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ مِنْهُ مَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾ وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾

أوامره ونواهيه ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أي بالخفيات التي في صدوركم من نواياكم الحسنة والسيئة.

[٨] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ﴾ دائمي القيام ﴿لِلَّهِ﴾ لأجله سبحانه ﴿شُهَدَاءَ﴾ تشهدون ﴿بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل، لا بشهادة الزور ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ يحملنكم ﴿شَنَاٰنُ قَوْمٍ﴾ عداوتهم لكم ﴿عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾ بالنسبة إليهم بأن تزيدوا في الانتقام منهم ﴿اعْدِلُوا﴾ فيهم وفي غيرهم ﴿هُوَ﴾ أي العدل ﴿أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ أقرب إلى الخوف من الله ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ إن الله خبير بما تعملون ﴿فَلَا تَجَاوَزُوا حُدُودَهُ﴾.

[٩] ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ لذنوبهم ﴿وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

[١٠] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ الملازمون لها .

[١١] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ عَزَمَ وَقُصِدَ ﴿قَوْمٌ﴾ هُم أَهْلُ مَكَّةَ قَبْلَ فَتْحِهَا ﴿أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ بِالْقَتْلِ وَالْأَذْيَةِ ﴿فَكَفَّ﴾ أَي مَنَعَ اللَّهُ ﴿أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾ بِأَنْ لَمْ يُمْكِنَهُمْ أَنْ يُؤْذَوْكُمْ وَذَلِكَ بِالصَّلَاحِ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ﴾ يَكُلُ ﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾ أُمُورَهُمْ إِلَيْهِ سَبَّحَانَهُ .

[١٢] ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أَي عَهْدَهُم الْإَكِيدَ ﴿وَبَعَثْنَا﴾ أَي سَلَّطَ وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ ﴿مِنْهُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ كَفِيلًا لِكُلِّ سَبْطٍ نَقِيبٌ ﴿وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ﴾ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ بِالنَّصْرَةِ لَكُمْ ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ ﴿فِيمَا نَقُضُهُمْ بِبَيْتِهِمْ لَعْنَتُهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَلْسِيَّةً يُحْزِنُونَ أَلْكَامَهُمْ عَنْ مَوَاضِعِهِمْ وَتَسُوأُ حِظْلًا مِمَّا دُكِرُوا بِهِ﴾ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ

[١٣] ﴿فِيمَا﴾ أَي بِسَبَبِ ﴿نَقُضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ﴾ بِأَنْ لَمْ يَعْمَلُوا بِهِ ﴿لَعْنَاهُمْ﴾ طَرَدْنَاهُمْ عَنْ رَحْمَتِنَا ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ الْقَاسِيَةُ خِلَافُ اللَّيْنِ، أَي لَا يَدْخُلُ فِيهَا الْخَيْرُ، فَإِنْ مِنْ يِعَانَدُ وَيَسْتَمِرُّ فِي عُنَادِهِ يَقْسُو قَلْبَهُ ﴿يُحْزِنُونَ﴾ أَي يَبْدُلُ هَؤُلَاءِ الْيَهُودَ ﴿الْكَلِمَ﴾ كَلِمَاتِ اللَّهِ ﴿عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ بَوْضِعَ شَيْءٍ مَكَانَ شَيْءٍ آخَرَ ﴿وَنَسُوا حَظًّا﴾ أَي قِسْمًا مِنَ التَّوْرَةِ ﴿مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ مِمَّا أَنْزَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى تَذَكِيرًا لَهُمْ فِكْتَابَهُمْ أَصْبَحَ نَاقِصًا وَمَحْرَفًا ﴿وَلَا تَزَالُ﴾ يَا رَسُولَ اللَّهِ ﴿تَطْلُعُ﴾ وَتَعْلَمُ ﴿عَلَى﴾ نَفْسٍ ﴿خَائِنَةٍ مِنْهُمْ﴾ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾ حَيْثُ لَا يَخُونُونَ ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾ مَا دَامُوا عَلَى عَهْدِكَ ﴿وَاصْفَحْ﴾ أَعْرِضْ فَإِنْ شَأْنُ الْكِبَارِ الْإِعْرَاضُ ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ .

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ
الْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ
اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ
فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي
إِسْرَءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ
إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ
وَوَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا
حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ
ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فِيمَا
نَقُضُهُمْ بِبَيْتِهِمْ لَعْنَتُهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَلْسِيَّةً
يُحْزِنُونَ أَلْكَامَهُمْ عَنْ مَوَاضِعِهِمْ وَتَسُوأُ حِظْلًا مِمَّا
دُكِرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ
فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾

[١٤] ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ﴾
عهدهم الأكيد ﴿فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ من كتابهم
الإنجيل، تركوه حتى صار منسياً ﴿فَاغْرَيْنَا﴾ أزرنا، بسبب
تحريفهم ونسيانهم ﴿بَيْنَهُمْ﴾ بين اليهود والنصارى
﴿الْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ وذلك سنة الله، فإن
من لا يعمل بأحكامه لا بد وأن يجزي جزاء عمله السيئ
﴿وَسَوْفَ﴾ في الآخرة ﴿يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ﴾ يخبرهم ﴿بِمَا كَانُوا﴾
يصنعون ﴿مِنَ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي﴾ فيجازيهم عليها.

[١٥] ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ محمد ﷺ
﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ فإن
الرسول ﷺ يبين الأحكام التي حرفوها أو نسوها ﴿وَيَعْفُو﴾
عن كثير ﴿مِمَّا ارْتَكَبْتُمْ﴾ فلا يؤاخذكم عليه وذلك استدراج
من الرسول ﷺ لهدايتهم ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ﴾ هو
الرسول ﷺ ﴿وَكِتَابٌ﴾ القرآن ﴿مُبِينٌ﴾ واضح.

[١٦] ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ﴾ أي بسبب هذا النور والكتاب ﴿مَنِ﴾
اتبع رضوانه ﴿بِأَن كَانَ فِي سَبِيلِ تَتَبِعَ رِضَا اللَّهِ﴾ سبل
السلام ﴿مَفْعُولٌ﴾ (يهدي) أي الطرق الموجبة للسلامة في
الدنيا والآخرة ﴿وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ﴾ مختلف
ظلمات الحياة والآخرة ﴿إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ﴾ بلطفه
﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ لا انحراف فيه ولا
اعوجاج.

[١٧] ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ وهم النصارى، حيث جعلوا المسيح ﷺ أحد الآلهة الثلاثة
﴿قُلْ﴾ يا رسول الله ﴿فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ أي من يمنع من قدرته وإرادته ﴿إِن أَرَادَ﴾ الله ﴿أَن يَهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ﴾
مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً ﴿فَلَمَّا كَانَ الْمَسِيحُ وَأُمُّهُ﴾ ﷺ ومن في الأرض مقهورين قابلين للفناء فليس المسيح إلهاً
﴿وَلِلَّهِ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ فهو مالك للمسيح ﷺ ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ فيقدر على خلق المسيح ﷺ من
أشئ فقط ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فيقدر على خلق الإنسان بدون أب.

وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ
فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ، فَاغْرَيْنَا الْعَدَاوَةَ
وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ
بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ
قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا
كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ
كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ
مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ
سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى
النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ
﴿١٦﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ
ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ
أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَفِي
الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾

[١٨] ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ جمع حبيب، أي يحبنا الله تعالى ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمْ﴾ فإنهم كانوا معترفين بأنهم يعذبون في الآخرة، ومن المعلوم الابن الحبيب لا يعذبه الأب ﴿بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾ من جملة من خلقه الله تعالى ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرَّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَقُوا أَوْذَكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿يَقُوا مَا دَخَلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ ﴿قَالُوا لِمُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَدْخُلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ عَلَيْهِمْ وَ عَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾

[١٩] ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ محمد ﷺ ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ﴾ الدين ﴿على فترة من الرسل﴾ أي في حين فتور وانقطاع من الإرسال، لأن مدة مديدة قبل محمد ﷺ لم يرسل رسول إلى البشر ﴿أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾ أي لثلاثا تقولوا احتجاجاً على الله أنه لم ياتكم نبي مرشد يبشر ونذير ﴿فقد جاءكم بشير ونذير﴾ هو محمد ﷺ ﴿والله على كل شيء قدير﴾ قادر على إرسال الرسول.

[٢٠] ﴿وَ﴾ اذكر يا رسول الله ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاءَ﴾ فشرّفكم ببعث الأنبياء فيكم ﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾ فالملك منكم ولستم تحت سلطة الغير ﴿وَاتَاكُم﴾ أعطاكم ﴿مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ عالمي زمانكم، من التوراة والمعاجز والسيادة.

[٢١] ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾ بيت المقدس، أو غيرها مما طهرها الله ببعث الأنبياء فيها، وكان قول موسى ﷺ لهم بعد خروجهم عن مصر ﴿التي كتب الله لكم﴾ دخولها ﴿وَلَا تَرْتَدُّوا﴾ لا ترجعوا ﴿عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ﴾ كفاراً، أو منهزمين أمام عمالقة الأرض المقدسة ﴿فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ من ثواب الدارين.

[٢٢] ﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا﴾ في الأرض المقدسة ﴿قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ جمع جبار وهو المكره للناس والمراد بهم: قوماً أقوياء لا نقدر عليهم ﴿وَإِنَّا لَنَدْخُلُهَا﴾ لن ندخل الأرض المقدسة ﴿حَتَّىٰ يَخْرُجُوا﴾ أي الجبارون ﴿مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ أما الآن فلا تمكن من مقاومتهم.

[٢٣] ﴿قَالَ رَجُلَانِ﴾ كالب ويوشع ﴿مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ الله ﴿أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ بأن وفقهما للإيمان ولاتباع أوامر موسى ﷺ ﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ﴾ أي على الجبارين ﴿الْبَابَ﴾ باب القرية ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ﴾ لأن الغلبة عادة لمن أغار ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا﴾ أي كلوا أمركم إليه، فإنه ناصر أوليائه على أعدائه ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾.

[٢٤] ﴿قَالُوا﴾ أي اليهود ﴿يا موسى إنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها﴾ فآذَهِبْ دَامُوا فِيهَا ﴿أي ما دام الجبارون في الأرض المقدسة﴾ فآذَهِبْ أَنْتَ وَرَبِّكَ فَقَاتِلَا ﴿قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله﴾ ﴿إنا ههنا قاعدون﴾ فإذا رجعت ظافراً دخلناها .

[٢٥] ﴿قال﴾ موسى ﷺ ﴿رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي﴾ فإنا أملك التصرف في هذين فقط، أما القوم فلا يطيعوني ﴿فافرق﴾ افصل يا رب ﴿بيننا وبين القوم الفاسقين﴾ أي اليهود .

[٢٦] ﴿قال﴾ الله ﴿فإنها﴾ أي الأرض المقدسة ﴿محزمة عليهم﴾ دخولها ﴿أربعين سنة يتيهون﴾ أي يتحIRON ﴿في الأرض﴾ بلا مأوى ولا بلد يجمعهم ﴿فلا تأس﴾ لا تحزن ﴿على القوم الفاسقين﴾ أي على تيههم، والتهيه إما كان إعجازاً، أو بمعنى أنهم بقوا بلا مأوى في هذه المدة ولذا بقوا في الصحراء كالبدو .

[٢٧] ﴿واتل﴾ أي اقرأ يا رسول الله ﴿عليهم﴾ أي على اليهود ﴿نبأ﴾ أي خبر ﴿ابني آدم﴾ قابيل وهابيل، فإن حال اليهود في الفساد كحال قابيل ﴿بالحق﴾ أي النبأ الصدق الذي ليس بكذب ﴿إذ قربا قربانا﴾ لله تعالى، والقربان ما يهدي إلى الله تعالى ﴿فتقبل من أحدهما﴾ هابيل حيث قدم خير غنمه فجاءت نار فاحترقت وهو علامة القبول ﴿ولم يتقبل من الآخر﴾ قابيل إذ قرب أردى زرعه ﴿قال﴾

قابيل ﴿لأقتلنك﴾ يا هابيل، حسداً عليه ﴿قال﴾ هابيل ﴿إنما يتقبل الله من المتقين﴾ أي إني لا ذنب لي في عدم قبول قربانك، وإنما لم يقبل منك لأنك لست بأهل للتقوى .

[٢٨] ﴿لئن بسطت﴾ أي مددت يا قابيل ﴿إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك﴾ إني أخاف الله رب العالمين ﴿ولذا لا أقصد قتلك، ولعل في شريعة آدم ﷺ لم يجز الدفاع عن النفس إذا أراد المجرم القتل أو لم يجب ذلك .

[٢٩] ﴿إني أريد أن تبوء﴾ ترجع يا قابيل ﴿بإثمي﴾ أي إثم قتلي ﴿وإثمك﴾ الذي كان لك قبل أن تقتلني ﴿فتكون﴾ بهذه الآثام ﴿من أصحاب النار﴾ الملازمين لها ﴿وذلك﴾ العقاب ﴿جزاء الظالمين﴾ .

[٣٠] ﴿فطوعت﴾ أي سهلت ﴿له﴾ لقابيل ﴿نفسه قتل أخيه﴾ هابيل ﴿فقتله فأصبح من الخاسرين﴾ خسر ديناه وآخرته .

[٣١] ﴿فبعث﴾ أي أرسل ﴿الله غرباً يبحث في الأرض﴾ أي يحفر، كمن يبحث عن شيء، وذلك إن قابيل لم يدر كيف يصنع بجثة أخيه ﴿لئريه﴾ أي يري الغراب قابيل ﴿كيف يوارى﴾ يستر ﴿سوءة أخيه﴾ أي جسد هابيل، وغبر بالسوء لأن الميت يتعفن بالبقاء ﴿قال﴾ يا ويلتي أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي فأصبح قابيل ﴿من النادمين﴾ عن قتل أخيه .

قَالُوا يَمْوَسَّىٰ إِنَّا لَنَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ يَا حَقُّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتَقَبَّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِن بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يُوَالِيهِ أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٣١﴾

[٣٢] ﴿مَنْ أَجَلَ ذَلِكَ﴾ أي من ابتداء قتل قابيل، فإن هذا الحكم شُرع من ذلك الوقت ﴿كُتِبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ فإن هذا الحكم ثبت لليهود أيضاً ﴿أَنَّهُ مِنْ قَتْلِ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ بدون أن كان المقتول قتل إنساناً حتى يكون القتل قصاصاً ﴿أَوْ فُسَادٍ فِي الْأَرْضِ﴾ أي بدون أن يكون القتل لفساد المقتول في الأرض ﴿فَكَانَمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ لأن القتل جريمة، سواء تعلقت بالواحد أو الكثير كالماء قطرته مثل بحره في انه ماء، وهذا لبيان تعظيم هذه الجريمة ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾ بالنسل أو الهداية أو الخلاص من الموت ﴿فَكَانَمَا أَحْيَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾ ولقد جاءتهم ﴿أي بني إسرائيل﴾ رسلنا بالبينات الأدلة الواضحات ﴿ثُمَّ إِنْ كَثُرُوا مِنْهُمْ بِعَدْلٍ﴾ الحكم ومجيء الرسل ﴿فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ يقتلون ويكفرون.

[٣٣] ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ﴾ بمحاربة أوليائه كما يقال حارب زيد الملك إذا حارب جنوده ﴿وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ أي يفسدون في الأرض، ومنهم قطع الطرق ﴿أَنْ يُقْتَلُوا أَوْ يَصَلَّبُوا﴾ شتقاً ﴿أَوْ تَقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ﴾ اليد اليمنى والرجل اليسرى ﴿أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾ التي هم فيها، بأن ينفوا من بلدهم إلى بلد آخر ﴿ذَلِكَ﴾ الحكم ﴿لَهُمْ﴾ لهؤلاء المحاربين المفسدين ﴿خِزْيٌ﴾ عقاب وفضيحة ﴿فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي

مَنْ أَجَلَ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَانَمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَانَمَا أَحْيَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنْ كَثُرُوا مِنْهُمْ بِعَدْلٍ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدُرُوا عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٤﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجْهًا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ إِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَهُمْ فِي عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٦﴾

الآخرة عذاب عظيم.

[٣٤] ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدُرُوا عَلَيْهِمْ﴾ إذ الحدود تُدْرَأُ بالتوبة إذا تاب المجرم قبل القدرة عليه ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

[٣٥] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا﴾ أي اطلبوا ﴿إِلَيْهِ﴾ إلى الله ﴿الْوَسِيلَةَ﴾ ما تصلون به إلى ثوابه ﴿وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ تظفرون بنعيم الأبد.

[٣٦] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ من الثروة ﴿وَمِثْلَهُ مَعَهُ﴾ بأن كان لهم ضعف ما في الأرض ﴿لَيَفْتَدُوا بِهِ﴾ ليجعلوه فدية ﴿مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ﴾ إذ هناك لا تفيد الفدية ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم.

[٣٧] ﴿يُرِيدُونَ﴾ الذين كفروا ﴿أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا﴾ هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم ﴿دائم﴾.

[٣٨] ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ أصابع اليد اليمنى ويترك الإبهام ﴿جزاء بما كسبا﴾ من الإثم ﴿نكالا﴾ في حال كون القطع عقاباً ﴿من الله والله عزيز حكيم﴾.

[٣٩] ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ﴾ بالسرقة ﴿وَأَصْلَحَ﴾ حاله بأن لم يفعل المحرم ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ﴾ يقبل توبته ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

[٤٠] ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾ استفهام لتقرير ملكه سبحانه ﴿أَنَّ اللَّهَ لَهُ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَعْذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ كما عذب السارق ﴿وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ كما غفر له بعد التوبة ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[٤١] ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ لَا يَحْزَنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ في إظهار الكفر إذا وجدوا فرصة ﴿مِنَ الَّذِينَ﴾ بيان لـ (الذين) وهم المنافقون ﴿قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ أي بلسانهم ﴿وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ أي من اليهود، قوم ﴿سَمَاعُونَ﴾ أي يسمعون ويقبلون ﴿لِلْكَذِبِ﴾ الذي يقولونه في باب القتل ﴿سَمَاعُونَ﴾ لعله عطف بيان لـ (سماعون) الأول ﴿لِقَوْمٍ آخَرِينَ﴾ أي لا يسمعون الكلام من الرسول ﷺ بل من الآخرين ﴿لَمْ

يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴿٣٧﴾ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَعْذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾ يَتَّبِعُهَا الرُّسُولُ لَا يَحْزَنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا اسْتَعْجَلُوا بِالنَّارِ لِكُذِّبِ سَمْعُورٍ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُواكَ بِتُوبَةٍ الْكَلِمَةُ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِمْ قُلُوبَهُمْ هُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾

يأتوك﴾ يا رسول الله، وهذا صفة لـ (قوم) أي ان هؤلاء اليهود يقبلون الكذب في باب القتل الذي اعتادوا عليه من جماعتهم الذين لم يأتوا إليك ﴿يحرفون﴾ أولئك القوم الآخرون ﴿الكلم من بعد مواضعه﴾ أي بعد أن وضع الله تلك الكلم مواضعها، والمراد تحريف أحكام التوراة ﴿يقولون﴾ أي المنافقون ﴿إن أوتيتهم﴾ أي أعطيتهم ﴿هذا﴾ الحكم المحرف ﴿فخذوه﴾ واقبلوه ﴿وإن لم تؤتوه﴾ لم تعطوا هذا الحكم بل أفتاكم محمد ﷺ ﴿فاحذروا﴾ وامتنعوا من قبوله، وقد وردت الآية في المنافق (عبد الله بن أبي) حيث وقع حادث قتل بين طائفتين من اليهود هم بنو قريظة وبني النضير وكان حكم القتل بين الطائفتين مخالفاً لحكم القتل في التوراة فقالوا لابن أبي: قل لمحمد أن يحكم بما هو المعتاد بيننا لا يحكم بالتوراة إن تحاكمنا إليه، فقال ابن أبي: ابعثوا رجلاً يسمع كلامي وكلام الرسول ﷺ فإن حكم لكم بما تريدون فاقبلوا كلامه، وإلا فلا، وقيل: ان الآية نزلت في قصة الزنا حيث أراد اليهود جلد الزاني المحصن، والرسول ﷺ أفتى برجمه، وابن أبي وافق اليهود في الحكم ﴿ومن يرد الله فتنته﴾ بأن يضل ويفتن عن الدين، وإرادة الله عبارة عن تركه، بعد عناده ليضل، كابن أبي واليهود ﴿فلن تملك له من الله شيئاً﴾ أي لا تقدر أنت يا محمد ﷺ أن تدفع عنه فتنة الله ﴿أولئك﴾ المنافق واليهود ﴿الذين لم يرد الله أن يهتد قلوبهم﴾ عن أدناس الكفر والانحراف، لأنهم اختاروا هذا السبيل بعد تمام الحجة ﴿لهم في الدنيا خزي﴾ فضيحة وينفر المسلمون عنهم ﴿ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾.

[٤٢] ﴿سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ تأكيد لما سبق ﴿أَكَالُونَ﴾ للسلحس والرشوة وسائر المحرمات، و ﴿أَكَالُونَ﴾ صيغة مبالغة أي كثيرو الأكل ﴿فَإِنْ جَاءُوكَ﴾ للتحاكم في جزاء القاتل ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرَضْ عَنْهُمْ﴾ وقل لهم إني لا أحكم بينكم ﴿وَإِنْ تَعْرَضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرَّوكَ شَيْئًا﴾ في دينك أو دنياك ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ﴾ أي أردت الحكم ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ .

[٤٣] ﴿وَكَيْفَ يَحْكُمُونَكَ﴾ يا رسول الله، هؤلاء اليهود، استفهام تعجب وليبان أنهم لا يريدون حكم الله المنزل في التوراة ﴿وَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ التَّوْرَةَ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ﴾ يعرضون عن حكمك ﴿مَنْ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ الحكم ﴿وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ بكتابتهم التوراة .

[٤٤] ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى﴾ إلى الحق ﴿وَنُورٌ﴾ يجلو المشكلات، وهذا لا ينافي تحريفه من بعد ﴿يَحْكُمُ بِهِهَا يُبَيِّنُ لِّلَّذِينَ أَسْلَمُوا لِّلَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ وَنُورٌ يُحْكُمُ بِهِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِّلَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ وَآلِ الرَّبِّ يُنَوِّنُونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَشْرَوْا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ وكتبنا عليهم فيها ﴿فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارٌ لَهُ وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾

قليلًا ﴿بأن لا تحكموا بحكمي لأجل رشوة أو عرض دنيوي﴾ ومن لم يحكم بما أنزل الله ﴿سواء سكت عن الحكم عمداً أو حكم بغير ما أنزل﴾ فأولئك هم الكافرون ﴿كفراً عملياً﴾ .

[٤٥] ﴿وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا﴾ أي في التوراة ﴿أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ أي يقتص ويقتل الإنسان في مقابل قتله الإنسان ﴿وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ أي الجراحات متقاسة بعضها في مقابل بعض ﴿فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ﴾ أي بالقصاص بأن عفي عنه فلم يقتص ﴿فَهُوَ﴾ فالتصدق ﴿كفارة له﴾ أي للمصدق يكفر الله به ذنوبه ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون﴾ ظلموا أنفسهم بتعريضها لعقاب الله .

سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَالُونَ لِلشُّحِّ فَإِنْ جَاءُوكَ
فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرَضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تَعْرَضْ عَنْهُمْ فَلَنْ
يَضُرَّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ
إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيْفَ يَحْكُمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ
التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ تَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ
وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا
هُدًى وَنُورٌ يُحْكُمُ بِهِ النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِّلَّذِينَ
هَدَى اللَّهُ وَآلِ الرَّبِّ يُنَوِّنُونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ
اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ
وَاخْشَوْنِي وَلَا تَشْرَوْا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ
بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ
فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ
بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ
قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارٌ لَهُ وَمَنْ
لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٥﴾

[٤٦] ﴿وَقَفَّيْنَا﴾ أي اتبعنا ﴿على آثارهم﴾ أي في أعقاب الأنبياء ﷺ ﴿يعيسى ابن مريم﴾ أرسلناه عقبهم، في حال كونه ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ قبله ﴿من التوراة﴾ بيان (ما) ﴿وَأَتَيْنَاهُ﴾ أعطيناه ﴿الإنجيل﴾ فيه هدى ونور ﴿ومصدقاً﴾ الإنجيل ﴿لما بين يديه من التوراة وهدى﴾ تأكيد ﴿وموعظة﴾ وعظ وإرشاد ﴿للمتقين﴾ فإنهم هم الذين يستفيدون من الموعظة.

[٤٧] ﴿وليحكم أهل الإنجيل﴾ النصراني ﴿بما أنزل الله فيه﴾ من الأحكام التي من جملتها نبوة محمد ﷺ ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون﴾ الخارجون عن طاعة الله.

[٤٨] ﴿وأنزلنا إليك الكتاب﴾ القرآن ﴿بالحق﴾ إنزالاً بالحق ﴿مصدقاً لما بين يديه من الكتاب﴾ جنس الكتب السماوية ﴿ومهيماً عليه﴾ أي رقيباً على سائر الكتب يحفظها عن التغير بيان مواضع التحريف ﴿فاحكم بينهم﴾ أي بين الناس أو بين أهل الكتاب ﴿بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم﴾ بأن تحكم حسب آرائهم، فتمرض ﴿عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم﴾ من الرسول ﷺ والانبيا السابقين ﷺ ﴿شريعة﴾ شريعة دينية ﴿ومنهاجاً﴾ أي سبيلاً واضحاً ﴿ولو شاء الله لجعلناكم أمة واحدة﴾ بأن ينزل للجميع ديناً واحداً حتى لا يقع خلاف، لكن ذلك

خلاف الصلاح إذ لكل أمة ما يلائمها من الأحكام ﴿ولكن﴾ خالفت بين الأحكام ﴿ليبلوكم﴾ أي يمتحنكم ﴿فيما آتاكم﴾ أعطاكم من الشرائع المختلفة لأنه يظهر بذلك من يقبل الشريعة اللاحقة ومن لا يقبل ﴿فاستبقوا﴾ أي بادروا ﴿الخيرات﴾ فلا يفوتكم التمسك بالشريعة الجديدة ﴿إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم﴾ يخبركم ﴿بما كنتم فيه تختلفون﴾ ليجازيكم على أعمالكم.

[٤٩] ﴿وأن احكم﴾ عطف على (الكتاب) ﴿بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك﴾ أي يضلوك ﴿عن بعض ما أنزل الله إليك﴾ بأن تخالفه وتتبع ما يشتهون ﴿فإن تولوا﴾ أعرضوا عن حكمك ﴿فاعلم﴾ يا رسول الله ﴿أنما يريد الله أن يصيبهم﴾ يعاقبهم ﴿ببعض ذنوبهم﴾ فإن توليهم عن الحق يوجب انحرافاً في أمورهم الدنيوية، وذلك عقاب بنفسه من الله تعالى ﴿وإن كثيراً من الناس لفاسقون﴾ خارجون عن طاعة الله فلا تأسف لانحراف هؤلاء.

[٥٠] ﴿أفحكم﴾ استفهام توبيخ ﴿الجاهلية﴾ أي الملة الجاهلية ﴿ببغون﴾ يطلبون حيث إنهم أرادوا أن يحكم الرسول ﷺ في باب القتل حسب أحكام الجاهلية، كما تقدم ﴿ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون﴾ بالآخرة، فإنهم العارفون بأن حكم الله أحسن الأحكام، والاستفهام للإنكار، أي لا أحسن من حكم الله.

وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ ۖ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ ۖ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ ۖ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ ۖ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُم شُرْعَةً وَمِنهَاجًا ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن أَحْكَمَتْ بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِن كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾

[٥١] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۚ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ فَإِنَّهُمْ يُوسِيونَ بَعْضًا لَّاتِحَادَهُمَا فِي الْبَاطِلِ ضِدَّ الْإِسْلَامِ فِي مَقَابِلِ مُضَادَّةِ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ بَيْنَ أَنْفُسِهِمْ ۚ كَمَا قَالَ تَعَالَى (فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ) ^(١) ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ﴾ يواليهم ﴿مِنْكُمْ﴾ أيها المسلمون ﴿فَإِنَّهُمْ مِنْهُمْ﴾ فإن المرء يحشر مع من أحب ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ الذين يظلمون أنفسهم بموالاتهم للكافرين، فلا يلفظ بهم الطافه الخفية .

[٥٢] ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ شك ونفاق من المسلمين ﴿يَسَارِعُونَ فِيهِمْ﴾ أي يتسرعون في موالة الكافرين ﴿يَقُولُونَ﴾ في سبب موالاتهم ﴿نَخْشَى﴾ نخاف ﴿أَنْ تَصْبِيَنَا دَائِرَةً﴾ من دوائر الدهر فتكون الدولة للكفار، ولذا نصادقهم حتى نأمن شرهم عند ذلك ﴿فَعَسَى اللَّهُ﴾ رجاء من الإنسان وبيان احتمال من الله ﴿أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ﴾ بالنصر لرسوله ﷺ على أعدائه ﴿أَوْ أَمْرٌ مِنْ عِنْدِهِ﴾ بإقصاء اليهود عن أطراف المدينة ﴿فَيَصْبِحُوا﴾ أي المنافقون ﴿عَلَى مَا أَسْرَوْا﴾ أخفوا ﴿فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ من الشك والنفاق ﴿نَادِمِينَ﴾ لأن أصدقاءهم قد فاتهم والمسلمون لا يصادقونهم .

[٥٣] ﴿وَ﴾ حين ذاك ﴿يَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُاءُ﴾ المنافقون، والاستفهام للتعجب ﴿الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ أي بالأيمان المغلظة ﴿إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ﴾ فكيف يحلف المنافقون انهم مع المسلمين والحال انهم يصادقون الكافرين ﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ بطلت، إذ غلب المسلمون وانقطعت صداقاتهم مع الكافرين ﴿فَاصْبِحُوا خَاسِرِينَ﴾ في الدنيا والآخرة .

[٥٤] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾ فلن يضر الله ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ﴾ الله ﴿وَيُحِبُّونَهُ﴾ وهم يحبون الله ﴿أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي يعطفون على المؤمنين، كالدليل ﴿أَعَزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ أشداء مترفعين على الكفار ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةً﴾ ملامة ﴿لَا تُمْ﴾ من يلومهم في الحق، بل يَمْضُونَ إلى هدفهم الإسلامي ولو لولاهم الناس ﴿ذَلِكَ﴾ الاتصاف بهذه الأوصاف ﴿فَضَّلَ اللَّهُ يَوتِيهِ﴾ يعطيه ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ ممن سلك طريق الرشd ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ كثير الفضل ﴿عَلِيمٌ﴾ .

[٥٥] ﴿إِنَّمَا﴾ لما نهى عن موالة الكافرين بين من هو المولى للمؤمنين الذي له الولاية والأولية عليهم ﴿وَلِيَّكُمْ اللَّهُ﴾ ورسوله والذين آمنوا الذين ﴿صَفَةً﴾ (الذين آمنوا) ﴿يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ أي الصدقة ﴿وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ في حال الركوع، وقد نزلت هذه الآية في علي أمير المؤمنين عليه السلام .

[٥٦] ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي يتخذهم أولياء له ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ﴾ أي المبروطين بالله، ولا يقولون ﴿نَخْشَى أَنْ تَصْبِيَنَا دَائِرَةً﴾ هم الغالبون .

[٥٧] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوءًا﴾ يستهزئون به ﴿وَلَعِبًا﴾ ملعبة، فإنه ليس بزعمهم دين ﴿مَنْ﴾ الذين ﴿بَيَانَ﴾ (الذين اتخذوا) ﴿أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ لا تتخذوا ﴿الْكَافِرَ﴾ المشركين ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ فتصادقونهم ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في مناهيه ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٥١﴾ ﴿فَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسْرَوْا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾ ﴿٥٢﴾ ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُاءُ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنْهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَاصْبِحُوا خَاسِرِينَ﴾ ﴿٥٣﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةً لَا يَمُرُّ بِكَ ذَلِكَ الْفَضْلُ اللَّهُ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿٥٤﴾ ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ ﴿٥٥﴾ ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ ﴿٥٦﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوءًا وَلَعِبًا مِنْ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَافِرَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّكُمْ مَوْجِدِينَ﴾ ﴿٥٧﴾

[٥٨] ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ﴾ دعوتهم ﴿إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوا﴾ أي الصلاة ﴿هَزْوَاً﴾ استهزاء فإذا أذن المؤذن للصلاة تضاحكوا فيما بينهم ﴿وَلِعِباً﴾ ذلك ﴿الْهَزْءُ﴾ الهزاء بالصلاة ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ بسبب أن الكفار ﴿قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾.

[٥٩] ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَتَّقُونَ﴾ وتكرهون ﴿مَنَا﴾ إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل من الكتب السماوية ﴿وَوَ﴾ آمنا بـ ﴿أَن أَكْثِرَكُمْ﴾ لا كلكم، فإن بعضهم آمنوا بمحمد ﷺ ﴿فَاسْقُونَ﴾ أي أن إيماننا بالله تعالى وحده، واعتقادنا بخروجكم عن طاعة الله، هما عاملا نعمتكم علينا، فهل من سبب غيرها؟.

[٦٠] ﴿قُلْ هَلْ أَنْتُمْ﴾ أخبركم ﴿بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ﴾ بأسوأ من ذلك الذي تنقمون منا، أي ما هو أزيد في نعمتكم ﴿مَثُوبَةً﴾ أي جزاء ﴿عِنْدَ اللَّهِ مِنْ﴾ بدل من (شر) أي أنيكنكم بمن ﴿لَعَنَهُ اللَّهُ﴾ وأبعده عن رحمته ﴿وَوَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ وجعل منهم القردة والخنازير، وهم اليهود مسخهم الله ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ﴾ أي جعل منهم عباد العجل، وإنما نسب إلى الله تعالى، لأنه تركهم وشأنهم فضلوا ﴿أُولَئِكَ﴾ الملعونون ﴿شَرٌّ مَكَاناً﴾ أي مكانهم أسوأ، وهذا يدل على حالتهم السيئة، أي أن مكانهم أسوأ من مكان سائر العصاة، فأنتم إذا استهزأتم منا، فديناكم نقمة وقردة وخنازير، وآخركم سقر ونار ﴿وَأَضَلَّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ أي وسط الطريق، فهم أبعد من سائر البعيدين.

[٦١] ﴿وَإِذَا جَاءَكُمْ﴾ منافقو اليهود ﴿قَالُوا آمَنَّا﴾ يريدون أن يأمنوا جانبكم ﴿وَقَدْ دَخَلُوا﴾ إلى مجلسكم ﴿بِالْكَفْرِ﴾ أي متلبسين بالكفر ﴿وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ﴾ إذا خرجوا من عندك خرجوا كما دخلوا متلبسين بالكفر أيضاً ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾ يخفون من الكفر.

[٦٢] ﴿وَتَرَى كَثِيراً مِنْهُمْ﴾ أي من اليهود ﴿يَسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ﴾ يتهافنون على المعاصي ﴿وَالْعُدْوَانَ﴾ التعدي والظلم ﴿وَأَكْلَهُمُ السَّحْتِ﴾ الرشوة وسائر المحرمات ﴿لِبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

[٦٣] ﴿لَوْ لَا﴾ أي لماذا لا ﴿يَنْهَاهُمُ الرِّبَايُونُ﴾ المنسوبون إلى الرب ﴿وَالْأَحْبَارُ﴾ العلماء ﴿عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلَهُمُ السَّحْتِ لِبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ في عدم نهيمهم.

[٦٤] ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ مقبوضة عن العطاء فإنهم كانوا يزعمون أن الله لا يتصرف في الكون ﴿وَعَلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ دعا عليهم بأن تغل أيديهم بالأغلال ﴿وَلَعَنُوا﴾ أبعدا من رحمة الله دعاء عليهم ﴿بِمَا قَالُوا﴾ أي بسبب هذا القول ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ يعمل في الكون ﴿يَنْفَقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ تأكيد للبط، وبسط اليد كناية عن تصرفه تعالى في الكون ﴿وَلِيَزِيدَنَّ فِعْلَ، مِنْ الزِّيَادَةِ﴾ كثيراً منهم ﴿مَفْعُولٌ﴾ (يزيدن) ﴿مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ فاعل (يزيدن)، أي أن القرآن يزيدهم ﴿مَنْ رِبِكُ طَغْيَاناً﴾ إذ يشتد حسدهم فيطغون أكثر من قبل ﴿وَكُفْرًا﴾ وزيادة الكفر عبارة عن اشتداده ﴿وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمْ﴾ بين طوائف اليهود ﴿الْعِدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾ يبغض بعضهم بعضاً ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ كلما أوقدوا أشعل هؤلاء اليهود ﴿نَاراً لِلْحَرْبِ﴾ لحرب رسول الله ﷺ ﴿أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ بغلبة المسلمين عليهم ﴿وَيَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً﴾ أي للفساد ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ﴾ أي يكره ﴿الْمُفْسِدِينَ﴾.

وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوا هُزْوَاً وَلِعِباً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَتَّقُونَ مِنَّا إِلَّا أَنَّا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّا كَذَرْنَا قُلُوبُنَا ﴿٥٩﴾ قُلْ هَلْ أَنْتُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَن لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرْدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَاناً وَأَضَلَّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا جَاءَكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾ وَتَرَى كَثِيراً مِنْهُمْ يَسْرِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السَّحْتِ لِبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْ لَا يَنْهَاهُمُ الرِّبَايُونُ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ السَّحْتِ لِبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعَنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلِيَزِيدَنَّ كَيْدَهُ مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طَغْيَاناً وَكُفْرًا وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعِدَاةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَاراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَسَعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾

[٦٥] ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا﴾ بالكتاب آمنوا ﴿بِمُحَمَّدٍ ﷺ﴾ و«اتقوا» باجتناب المعاصي «لكفرنا» أي محونا «عنهم سيئاتهم» السابقة «ولأدخلناهم جنات النعيم» التي ينعم بها الإنسان.

[٦٦] ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا﴾ بالعمل «التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم» القرآن، بأن عملوا بالكتب الثلاثة «لاكلوا» أي لوسع الله عليهم «من فوقهم» مما ينزل من الأمطار، وما تنمره الأشجار «ومن تحت أرجلهم» الزراعات، فإن العمل بالدين يوجب تقدم الحضارة والزراعة والانتفاع بمياه الأمطار بسبب التخزين والصرف، بالإضافة إلى العناية الغيبية «منهم أمة» جماعة «مقتصدة» الاقتصاد الاستواء في العمل، والمراد بهم الذين أسلموا «وكثير منهم ساء» أي قبح «ما يعملون» من الكفر والمعاصي.

[٦٧] ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ بَلِّغُوا﴾ أوصل إلى الناس «ما أنزل إليكم من ربكم» بالنسبة إلى نصب علي عليه السلام خليفة من بعدك، وقد نزلت الآية عند منصرف النبي ﷺ من حجة الوداع «وإن لم تفعل» لم تبلغ «فما بلغت رسالته» كأنك لم تؤد شيئاً من رسالة الله، أو المراد لم تؤد الرسالة التي كُلِّفَتْ وهي الرسالة الكاملة «والله يعصمك» يحفظك «من الناس» فقد كان النبي ﷺ يخاف من أذى

المنافقين له إذا نصب علياً عليه السلام «إن الله لا يهدي» لا يلفظ بهم الألفاظ الخاصة «القوم الكافرين» الذين لا يقبلون رسالتك في هذا الأمر كما هو الشأن من لا يقبل سائر رسالاته.

[٦٨] ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ﴾ أي على دين يعتد به «حتى تقيموا» بالعمل «التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم» أي القرآن «وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليكم» فاعل (يزيدن) أي يزيد القرآن الكفار «من ربك طغياناً وكفراً» لأن حسدهم يوجب طغيانهم وشدة كفرهم «فلا تأس» أي لا تحزن يا رسول الله «على القوم الكافرين».

[٦٩] ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ اليهود «والصابئون» دين خاص يزعم أهلهم أنهم يتبعون يحيى عليه السلام، ورفعهم بالقطع، للإلغاف «والنصارى من آمن» منهم إيماناً صحيحاً «بالحق واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون» ليس خوفهم وحزنهم بالنسبة إلى خوف الكفار وحزنهم، يسمى خوفاً وحزناً.

[٧٠] ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ عهدهم الأكيد «وأرسلنا إليهم رسلاً» كثيرين «كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم» بأحكام تخالف أهواءهم وشهواتهم «فريقاً» جواب (كلما) أي جماعة من الرسل كذبهم اليهود، كالمسيح عليه السلام «كذبوا وفريقاً يقتلون» كيحيى وزكريا عليه السلام.

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَآدْخُلَنَّهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنزَلْنَا إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَآكُلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءٌ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ يَأْتِيَهُمُ الرُّسُولُ يَبْلُغُ مَا أَنزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ مَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَآزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغُونَ وَالنَّصَارَى مِنْ أُمَّةٍ أَلْحَقَ بِهِمُ الْيَوْمَ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾

[٧١] ﴿وَحِسْبُوا﴾ أي زعم هؤلاء اليهود ﴿أَلَا تَكُونُ فِتْنَةً﴾ أي لا يصيبهم بلاء وعذاب بسبب أعمالهم ﴿فَعَمُوا﴾ عن الحق فلم يروه ﴿وَصَمُوا﴾ عن سماع الحق، ولذا ارتكبوا ما ارتكبوا والمعنى: حسبوا، فعموا وصموا، فارتكبوا ما ارتكبوا ﴿ثُمَّ﴾ تابوا عن أعمالهم السابقة فـ ﴿تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ قبل توبتهم، ومن المعلوم أن المراد قبول توبة من لم يكن قتل الأنبياء ﷺ وما أشبهه ﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا﴾ كثير منهم ﴿من اليهود إذ خالفوا أحكام الله ثانياً﴾ والـ ﴿بَصِيرٌ﴾ بما يعملون ﴿فِي جَازِيهِمْ﴾ بها.

[٧٢] ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ﴾ هم النصارى ﴿قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ فإن اعتقادهم بالتثليث معناه اعتقادهم بأن المسيح هو الله، أو هم جماعة اعتقدوا بالوهمية المسيح فقط ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ ولا تعبدوني، هو ﴿رَبِّي﴾ فأننا عبد له ﴿وَرَبِّكُمْ أَنَّهُ مِنْ يَشْرِكُ بِاللَّهِ فَقَدْ حَزَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾ فلا يدخلها ﴿وَمَوَاهُ﴾ محله ﴿النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾ الذين ظلموا أنفسهم بالشرك ﴿مِنْ أَنْصَارٍ﴾ ينصرهم من عذاب الله.

[٧٣] ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ أي ثالث آلهة هم ثلاثة: الله والمسيح ومريم ﴿وَالْحَالُ أَنَّهُ﴾ ما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا ﴿يَرْجِعُوا وَيَتُوبُوا﴾ عما يقولون ﴿مِنْ التَّثْلِيثِ﴾ ليمسّن ﴿أَي يَصِيبُهُمُ﴾ الذين

كفروا منهم ﴿وَأِنَّمَا لَمْ يَقُلْ: لِيَمْسُنْهُمْ، تَنْبِيْهَا عَلَى أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ دَامَ عَلَى الْكُفْرِ﴾ عذاب اليم ﴿مُؤَلَّمٌ﴾.

[٧٤] ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ﴾ بأن ينتهوا عن تلك العقائد الباطلة ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ﴾ يطلبون غفرانه ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

[٧٥] ﴿مَا﴾ أي ليس ﴿الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ﴾ وليس بإله ﴿قَدْ خَلَتْ﴾ مضت ﴿مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ فحاله حالهم ﴿وَأَمَّهُ مَرْيَمُ﴾ صديقة ﴿صَدَقَتْ بِاللَّهِ وَرَسُولَهُ﴾، وليست بإلهة ﴿كَانَ يَأْكُلُ الطَّعَامَ﴾ ومن أكل الطعام ليس إلهاً ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ نَبِّئْتُ لَهُمُ الْآيَاتِ﴾ الأدلة الدالة على عدم ألوهيتهما ﴿ثُمَّ أَنْظُرْ أَتَى يَوْفُكُونَ﴾ أي يُصرفون عن اتباع الحق.

[٧٦] ﴿قُلْ﴾ يا رسول الله لمن يعبد المسيح ﷺ وغيره ﴿أَتَعْبُدُونَ﴾ استفهام إنكار ﴿مَنْ دُونَ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ فإن الضرر والنفع بيد الله ﴿وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ فيجازيكم بجزاء كفركم وشرككم.

وَحِسْبُوا أَلَا تَكُونُ فِتْنَةً فَعَمُوا وَصَمُوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِيْ لِإِسْرَءِيلَ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُمْ مِنْ يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَا وَهُدِيَ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَنْ مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ أَنْظُرْ كَيْفَ نَبِّئْتُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ أَتَى يَوْفُكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَعْبُدُوا مَنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾

[٧٧] ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا﴾ لا تجاوزوا الحق ﴿فِي دِينِكُمْ﴾ غلوا ﴿غَيْرَ الْحَقِّ﴾ هذا تأكيد ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ﴾ من قدماء النصارى ﴿قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ﴾ مبعث محمد ﷺ ﴿وَاضْلُوا كَثِيرًا﴾ من النصارى الذين شايعهم ﴿وَضَلُّوا﴾ عن مبعث النبي ﷺ فهم ضلوا قبلًا و اضلوا و ضلوا بعداً ﴿عَنْ سَوَاءٍ﴾ أي وسط ﴿السَّبِيلِ﴾ .

[٧٨] ﴿لَعَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ﴾ لعنهم داود عليه السلام حين اعتدوا في السبت فمسخوا قردة ﴿وَعَلَى لِسَانِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ حين كفروا بعد نزول المائدة فمسخوا خنازير ﴿ذَلِكَ﴾ اللعن ﴿بِمَا عَصَوْا﴾ أي بسبب عصيان اليهود ﴿وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ أي بسبب اعتدائهم وتعديهم .

[٧٩] ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ لم يكن ينهى بعضهم بعضاً عن المنكرات ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ في عدم تناهيهن عن المنكر .

[٨٠] ﴿تَرَى﴾ يا رسول الله ﴿كَثِيرًا مِنْهُمْ﴾ من أهل الكتاب ﴿يَتَوَلَّوْنَ﴾ يوالون ويصادقون ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الكفار، ضداً للمسلمين ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ﴾ إلى الآخرة من العقاب ﴿لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ بسبب كفرهم وعصيانهم ﴿وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ فهم في عذاب وسخط، وعلم الإنسان بأن الملك يسخطه إيلام نفسي

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ لَعَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوا هُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَتَسْقُوتَ ﴿٨١﴾ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرُكَ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَتَلُوا نَبِيَّكُمْ وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾

له .

[٨١] ﴿وَلَوْ كَانُوا﴾ أهل الكتاب ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ﴾ القرآن ﴿مَا اتَّخَذُوهُمْ﴾ أي لم يتخذ اليهود الكفار ﴿أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسْقُونَ﴾ خارجون عن أوامر الله، أما القليل منهم فقد آمنوا بمحمد ﷺ .

[٨٢] ﴿لَتَجِدَنَّ﴾ يا رسول الله ﷺ ﴿أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ فأشد أعداء المسلمين اليهود والمشركون ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً﴾ وحباً ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرُكَ﴾ لكن لا مطلق النصارى بل المتصفون بالأوصاف الآتية ﴿ذَلِكَ﴾ الحب منهم ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ أي بسبب أن منهم ﴿قَتَلُوا نَبِيَّكُمْ وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ عن اتباع الحق إذا عرفوه .

[٨٣] ﴿وَإِذَا سَمِعُوا﴾ هؤلاء النصارى ﴿مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ﴾ محمد ﷺ ﴿تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ﴾ تملأ ﴿مِنَ الدَّمْعِ﴾ لركة قلوبهم ﴿مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ أي بسبب معرفتهم أن القرآن حق من عند الله ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا بِالْحَقِّ﴾ فاعتنينا مع الشاهدين الذين شهدوا حقية الرسول ﷺ ، قيل: إن الآية نزلت في النجاشي وأصحابه حين آمنوا لما سمعوا القرآن الذي تلاه جعفر ﷺ .

[٨٤] ﴿وَمَا لَنَا﴾ أي أي شيء يكون لنا؟ وهذا استفهام إنكار ﴿لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ﴾ بيان (ما) ﴿وَوَ الْحَالِ إِنَّا﴾ نطمع ﴿وَنَرْجُو﴾ أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين في الجنة .

[٨٥] ﴿فَأَنبَاهِهِمْ﴾ أي جازاهم ﴿اللَّهُ بِمَا قَالُوا﴾ أي بسبب ما اعترفوا من التوحيد ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا﴾ تحت قصورها وأشجارها ﴿الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ وذلك جزاء المحسنين الذين أحسنوا عقيدة وعملاً .

[٨٦] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ الملازمون لها .

[٨٧] ﴿بِأَيِّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحَرَّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ فقد هم قوم من الأصحاب أن يحرموا على أنفسهم الطيبات تزهداً وشوقاً إلى الآخرة ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ عن الطيب إلى الخبيث ، أو لا تجاوزوا حدود الله بجعل الحلال حراماً ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ المتجاوزين للحدود .

[٨٨] ﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالاً طَيِّباً﴾ واتقوا الله الذي أنتم به ﴿أَيُّ بِاللَّهِ﴾ مؤمنون .

[٨٩] ﴿لَا يَأْخُذْكُمْ اللَّهُ بِاللَّغْوِ﴾ الكلام بدون قصد الجِدِّ ﴿فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ جمع يمين كمن يحلف عن عادة لا عن قصد ﴿وَلَكِنْ يَأْخُذْكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمْ﴾ أي حلفتُم عن قصد ﴿الْأَيْمَانِ﴾ جمع يمين ﴿فَكَفَّارَتُهُ﴾ فيما إذا حلف وخالف ﴿إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ أي إطعامهم طعاماً وسطاً لكل مسكين مَدٍّ من الطعام ﴿أَوْ كَسَوْتُمْهُم بِثَوْبَيْنِ كَبْرَيْنِ﴾ أو تحرير رقبة ﴿عَنْ عَبْدٍ﴾ فمن لم يجد هذه الثلاثة ﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ﴾ المذكورات ﴿كَفَّارَةٌ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ وخالفتم ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ فلا تحشوا ﴿كَذَلِكَ﴾ كما بين أمر الكفارة ﴿يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ هدايته لكم إلى شريعة الإسلام .

وَإِذَا سَمِعُوا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ رَكْعَةً أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَنبَاهِهِمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾ يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَا تَحَرَّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالاً طَيِّباً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ لَا يَأْخُذْكُمْ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يَأْخُذْكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمْ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كَسَوْتُمْهُم بِثَوْبَيْنِ كَبْرَيْنِ عَنْ عَبْدٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَٰلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾

[٩٠] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ سِهَامُ الْقَمَارِ﴾ ﴿وَالْأَنْصَابُ﴾ الأصنام ﴿والأزلام﴾ مستقذرة قذارة معنوية ﴿من عمل الشيطان﴾ أي العمل الذي به يأمر الشيطان ﴿فاجتنبوه﴾ أي اجتنبوا كل واحد من المذكورات ﴿لعلمكم فتلحون﴾ أي تفوزون .

[٩١] ﴿إِنَّمَا يَرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْبَغْضَاءَ﴾ ﴿البغض والغضب﴾ ﴿فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ لما يحصل فيهما من الشرور ﴿وَيَصَّدِّكُمُ﴾ يمنعكم ﴿عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ فإن الخمر والمقامر لا يلتفتان بحالهما إلى الله ﴿وَعَنِ الصَّلَاةِ﴾ إذ لا يتمكنان حالهما من الصلاة ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ أي هل تنتهون عنها، وهذا استفهام طلب .

[٩٢] ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا﴾ عن المخالفة ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أعرضتم عن أحكام الله ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ التبليغ الواضح فمخالفتكم تضركم، ولا تضر الرسول ﷺ .

[٩٣] ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ حَرَجٌ﴾ ﴿فِيمَا طَعَمُوا﴾ أي فيما أكلوا من الميسر وشربوا من الخمر سابقاً ﴿إِذَا مَا﴾ في المستقبل ﴿اتَّقُوا﴾ المحرمات ﴿وَأَمْنُوا﴾ ثبتوا على إيمانهم ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾

استمروا في عمل الصالحات ﴿ثُمَّ اتَّقُوا وَآمَنُوا﴾ تأكيد لما سبق ﴿ثُمَّ اتَّقُوا وَأَحْسِنُوا﴾ في أعمالهم ﴿وَاللَّهُ يَحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ قيل : الاتقاء الأول اتقاء الشرب بعد التحريم، والثاني هو الدوام على ذلك، والثالث اتقاء جميع المعاصي، أو الاتقاء ماضياً وحالاً ومستقبلاً .

[٩٤] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيْلُونَكُمْ اللَّهُ﴾ يمتحنكم ﴿بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ﴾ أي ببعض الحيوانات التي تصطاد، فإنها تأتي إليكم في حال الإحرام بحيث ﴿تناله﴾ وتتمكن أن يصطادها ﴿أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحَكُمْ﴾ بأن تأخذوها باليد والرمح، وإنما يبلوكم بها ﴿ليعلم﴾ ليميز ﴿الله من يخافه بالغيب﴾ أي في حال كون الله غائباً عن حواسه، فإن اصطادها تبين أنه لا يخاف الله ﴿فَمَنْ اعْتَدَى﴾ بأن صاد في الإحرام ﴿بعد ذلك﴾ النهي ﴿فله عذاب أليم﴾ مؤلم .

[٩٥] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾ أي في حال الإحرام ﴿وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمَّداً﴾ لا نسياناً أو خطأ ﴿ف﴾ عليه ﴿جزاء﴾ وكفارة ﴿مثل ما قتل﴾ أي أن يكفر بحيوان مماثل لما قتله ﴿من النعم﴾ الإبل والبقر والغنم ﴿يحكم به﴾ أي يكون النعم مثل ما قتل ﴿ذو عدلٍ منكم﴾ رجلاً عادلاً من المسلمين، ويهدي الجزاء ﴿هدياً بالغ الكعبة﴾ بأن يبلغ الحرم فيذبح هناك ﴿أو كفارة﴾ عطف على (مثل) أي يكفر كفارة هي ﴿طعام مساكين﴾ بأن يجعل قيمة الهدى في الطعام ﴿أو عدلٍ﴾ مثل ﴿ذلك﴾ الطعام ﴿صياماً﴾ بأن يصوم بدل إطعام كل مسكين يوماً ﴿ليذوق﴾ متعلق بـ (جزاء) ﴿وبال﴾ جزاء ﴿أمره﴾ بقتل الصيد ﴿عفا الله عما سلف﴾ من قتل الصيد في زمن الجاهلية ﴿ومن عاد﴾ إلى القتل بعد النهي ﴿فيتنقم الله منه﴾ بعقابه في الآخرة، وقد ورد أن على القتل الأول كفارة ولكن القتل الثاني لا كفارة عليه إنما عقابه في الآخرة ﴿والله عزيز﴾ لا يُغلب ﴿ذو انتقام﴾ .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يَرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدِّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٩٢﴾ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعَمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيْلُونَكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالَهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَن اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَرَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ أَوْ عَدْلٌ ذَاكٌ صِيَامًا لِّذَوِّ قُوَّةٍ وَبِالْأَمْرِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٩٥﴾

[٩٦] ﴿أَحَلَّ لَكُمْ صَيْدَ الْبَحْرِ﴾ في حال الإحرام ﴿وَطَعَامَهُ﴾ فحلال لكم أن تصيده وتأكلوه، والمراد ما له فلس ﴿مَتَاعاً لَكُمْ﴾ أي في حال كون الصيد لتمتعكم وأكلكم وللسيارة ﴿أَي مَسَافِرِكُمْ يَتَزَوَّدُونَهُ فِي الطَّرِيقِ﴾ وحرّم عليكم صيد البر ما دتم حراماً في حال الإحرام ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ تجمعون في يوم القيامة.

[٩٧] ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾ عطف بيان لـ (الكعبة) ﴿قِيَاماً لِلنَّاسِ﴾ ما يقوم به أمر دينهم ودنياهم ﴿وَجَعَلَ اللَّهُ الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ لاستراحتكم عن الحروب ﴿وَوَجَعَلَ ذَبَائِحَ مَكَّةَ﴾ جعل ﴿وَالْقُلُودَ﴾ ما يقلد عند الإحرام من الأنعام علامة كونه للإحرام ﴿ذَلِكَ﴾ الجعل لهذه الأمور ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ فإن ما في تلك الأحكام من المصالح والحكم تدل على علم الله الواسع.

[٩٨ - ٩٩] ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ما على الرسول إلا البلاغ ﴿إِنْ يَبْلُغْكُمْ﴾ وقد فعل، فلا عذر لكم ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَبْدُونَ﴾ تظهرون ﴿وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ تخفون من الأعمال والتوايا فيجازيكم عليه [١٠٠] ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ﴾ فإنه لا تتساوى

الأعمال والأطعمة الخبيثة والطيبة ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ أيها السامع ﴿كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾ فإن المعيار الجودة لا الكثرة، وهذا تحريض على تحري الجودة ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ أصحاب العقول، فلا تقتربوا الخبيث ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾ تفوزون.

[١٠١] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ﴾ فقد كانوا يكثرون السؤال مما يوجب حزنهم، مثلاً يسألون عن مكان أجدادهم الكفرة، فإن الجواب: بأنهم في النار، يحزنهم ﴿إِنْ تَبْدَ لَكُمْ﴾ تظهر لكم تلك الأشياء ﴿تَسْأَلُونَ﴾ أي تغممكم ﴿وَأَنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنْزَلُ الْقُرْآنُ﴾ في زمان الوحي، وحين كون جبرئيل عند النبي ﷺ فيجب عن الله على كل سؤال ﴿تَبْدَ لَكُمْ﴾ أي تظهر لكم تلك الأشياء المسيئة ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْهَا﴾ فلا يؤاخذكم عن عدم علمها ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾.

[١٠٢] ﴿قَدْ سَأَلَهَا﴾ أي سأل عن هذه الأشياء ﴿قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ كأهل الكتاب ﴿ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا﴾ بتلك الأشياء ﴿كَافِرِينَ﴾ حيث لم يقبلوها عن الرسل.

[١٠٣] ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ﴾ رد لبدع أهل الجاهلية ﴿مِنْ بَحِيرَةٍ﴾ بحروا أي شقوا أذن الناقة فحرموها ﴿وَلَا سَائِبَةٍ﴾ كانوا يسيبون الناقة أي يتركونها، فيحرمونها ﴿وَلَا وَصِيلَةٍ﴾ إذا ولدت الذكر والأنثى لا يذبحون الذكر ﴿وَلَا حَامٍ﴾ إذا ولدت عشرة أبطن لا يذبحوها على تفصيل في خرافاتهم، فكل هذه الأنواع محللة وليست محرمة فإن الله لم يجعل تحريمها ﴿وَلَكِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا يَقْتُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ فإنهم كانوا يقولون هذه التشريعات من الله ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ الحرام عن الحلال.

أَحَلَّ لَكُمْ صَيْدَ الْبَحْرِ وَطَعَامَهُ مَتَاعاً لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرماً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَاماً لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقُلُودَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩٨﴾ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ ﴿١٠٠﴾ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تَبْدَ لَكُمْ تَسْأَلُونَ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنْزَلُ الْقُرْآنُ أَنْ تَبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ قَدْ سَأَلَهَا أَيُّ سَأَلَ عَنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴿١٠٢﴾ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَقْتُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾

وهذا تحريض على تحري الجودة ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ أصحاب العقول، فلا تقتربوا الخبيث ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾ تفوزون.

[١٠١] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ﴾ فقد كانوا يكثرون السؤال مما يوجب حزنهم، مثلاً يسألون عن مكان أجدادهم الكفرة، فإن الجواب: بأنهم في النار، يحزنهم ﴿إِنْ تَبْدَ لَكُمْ﴾ تظهر لكم تلك الأشياء ﴿تَسْأَلُونَ﴾ أي تغممكم ﴿وَأَنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنْزَلُ الْقُرْآنُ﴾ في زمان الوحي، وحين كون جبرئيل عند النبي ﷺ فيجب عن الله على كل سؤال ﴿تَبْدَ لَكُمْ﴾ أي تظهر لكم تلك الأشياء المسيئة ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْهَا﴾ فلا يؤاخذكم عن عدم علمها ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾.

[١٠٢] ﴿قَدْ سَأَلَهَا﴾ أي سأل عن هذه الأشياء ﴿قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ كأهل الكتاب ﴿ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا﴾ بتلك الأشياء ﴿كَافِرِينَ﴾ حيث لم يقبلوها عن الرسل.

[١٠٣] ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ﴾ رد لبدع أهل الجاهلية ﴿مِنْ بَحِيرَةٍ﴾ بحروا أي شقوا أذن الناقة فحرموها ﴿وَلَا سَائِبَةٍ﴾ كانوا يسيبون الناقة أي يتركونها، فيحرمونها ﴿وَلَا وَصِيلَةٍ﴾ إذا ولدت الذكر والأنثى لا يذبحون الذكر ﴿وَلَا حَامٍ﴾ إذا ولدت عشرة أبطن لا يذبحوها على تفصيل في خرافاتهم، فكل هذه الأنواع محللة وليست محرمة فإن الله لم يجعل تحريمها ﴿وَلَكِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا يَقْتُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ فإنهم كانوا يقولون هذه التشريعات من الله ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ الحرام عن الحلال.

[١٠٤] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْمِعُوا لِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ أي لهؤلاء الجاهليين ﴿تعالوا إلى ما أنزل الله﴾ من الأحكام ﴿والى الرسول﴾ ليحكم بينكم ﴿قالوا حسبنا﴾ كفانا ﴿ما وجدنا عليه آباءنا﴾ نقتلدهم مذهب آباءنا ﴿أولو كان آباؤهم﴾ همزة استفهام دخلت على واو الحال، أي هل يقلدون الآباء ولو كان الآباء ﴿لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون﴾ إلى الطريق المنجح.

[١٠٥] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ أَلْزَمُوا صِلَاحَهَا وحفظوها ﴿لا يضرركم من ضل﴾ أي ضلال من ضل ﴿إذا اهتديتم﴾ إلى الله مرجعكم جميعاً ﴿فلا يتحمل أحد وزر واحد﴾ فيبتنكم ﴿يخبركم ليجازيكم﴾ بما كنتم تعملون.

[١٠٦] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ﴾ أي الشهادة التي شرعت فيما بينكم ﴿إذا حضر أحدكم الموت﴾ بأن قرب موته ﴿حين الوصية﴾ بدل من (حضر أحدكم الموت) (اثنان) خبر (شهادة) أي عليكم أن يشهد اثنان ﴿ذوا عدل منكم﴾ عادلان من المسلمين ﴿أو﴾ شخصان ﴿آخران من غيركم﴾ غير المسلمين، لكن إنما تصح شهادتهما ﴿إن أنتم ضربتم في الأرض﴾ كنتم في السفر ﴿فأصابتكم مصيبة الموت﴾ بأن قاربكم الموت في ذلك الحال ولم تجدوا مسلمين ﴿تحسبونهما﴾ أي تقفونهما أيها الورثة لأداء الشهادة ﴿من بعد الصلاة﴾ وذلك

لاجتماع الناس الموجب لرعب قلوب الكافرين من الكذب في الشهادة على الوصية التي تحملها ﴿فيقسمان﴾ أي الشاهدان اليمين ﴿بالله إن ارتبتم﴾ أي شكتم أيها الورثة في شهادتهما، فإن استحلانها إنما هو مع الشك في صدق شهادتهما، ويقولان في حلفهما ﴿لا نشري به﴾ أي بإزاء اسم الله تعالى ﴿ثمناً﴾ بأن نحلف كذباً بثن الدنيا ﴿ولو كان﴾ المحلف له، الذي تجرأ الحلف ربحاً له ﴿ذا قري﴾ قريباً منا ﴿ولا نكتم﴾ لا نخفي ﴿شهادة الله﴾ أي الشهادة التي نقيمها لله تعالى ﴿إننا إذا﴾ إن كنتمنا الشهادة ﴿لمن الآمين﴾ العاصين.

[١٠٧] ﴿فإن عشر﴾ أي اطلع الورثة ﴿على أنهما استحقا إثماً﴾ بأن علم الورثة كذبهما في شهادتهما ﴿ف﴾ شخصان ﴿آخران﴾ من الورثة ﴿يقومان مقامهما﴾ في الحلف ﴿من الذين استحق عليهم﴾ أي الآخران هما من الورثة الذين استحق شيء بالحلف عليهم، بأن توجه ضرر الحلف عليهم، وهما ﴿الأوليان﴾ أي الأولى بالميت، والمراد الورثة ﴿فيقسمان﴾ بالله، نفران من الورثة ﴿لشهادتنا أحق﴾ أصدق ﴿من شهادتهما وما اعتدينا﴾ ما تجاوزنا الحق في شهادتنا ﴿إننا إذا لمن الظالمين﴾ إذا اعتدينا، فإن مسلماً مع نصرانيين كانا في السفر فمرض وكتب في صحيفته ما معه وسلمها ومتاعه إلى النصرانيين فسرقا إثناء فضة كانت في المتاع ولما جاء إلى المدينة شكّت الورثة في الإناء فحلف النصرانيان بأنهما لم يجدها، ثم وجد الورثة إثناء الفضة فحلفا بالموضوع وأخذها رسول الله ﷺ وردها إلى الورثة.

[١٠٨] ﴿ذلك﴾ الحكم بالحلف بعد الصلاة ﴿أدنى﴾ أقرب في ﴿أن يأتوا﴾ الشهود الكافرون ﴿بالشهادة على وجهها﴾ حقيقتها ﴿أو يخافوا﴾ الشهود الكفار ﴿أن ترء أيمان﴾ أي يرد الشرع الأيمان إلى أولياء الميت ﴿بعد أيمانهم﴾ أي أيمان الشهود الكفار ﴿واتقوا الله﴾ فلا تحلفوا كذباً ﴿واسمعوا﴾ أحكامه أي اعملوا بها ﴿والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ الذين بنا حياتهم على الفسق فلا يلفظ بهم.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَكُنَّا أُولَئِكَ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مِنْ ضَلٍّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فِيمَنْ بَيْنَكُمْ يَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْسِبُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الْفَصْلَةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ أَرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَمِنَ الْآثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ فَإِنْ غَرَبَ عَلَيْهِمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوَّلَيْنِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَدْنَا أَحَقَّ مِنْ شَهِدَتِيهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَلِكَ أَتَى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُونَ أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانُ بَعْدَ آيْمَانِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٠٨﴾

[۱۰۹] ﴿يَوْمَ﴾ اذكر يا محمد ﴿بِجَمْعِ﴾ الله الرسل فيقول ماذا اجبتكم ﴿اجابكم الناس بالقبول أو الرد﴾ قالوا لا علم لنا ﴿علماً كاملاً بإجابة الناس ورفضهم﴾ ^(۱) ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَامُ الْغُيُوبِ﴾ تعمل كل ما غاب عن حواسنا.

[۱۱۰] واذكر يا محمد ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَبَدْتُكَ﴾ قويتك ﴿وَبَرَّوحَ الْقُدُسِ﴾ بروح طاهرة ﴿تَكَلَّمَ النَّاسُ فِي الْمَهْدِ﴾ حيث لا يتكلم في هذا العمر صبي، وذلك إعجاز منه ﴿وَوَكَهَلًا﴾ في حال كونك كبيراً تكلمهم بالإعجاز والنبوة ﴿وَإِذْ عَلِمْتُكَ الْكِتَابَ﴾ جنس الكتب السماوية ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ الشريعة ﴿وَالْتَوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ واذ تخلق ﴿تَصْنَعُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي﴾ أي تفعل ذلك بإذن الله، ولعله إشارة إلى عدم جواز صنع المجسمة بغير إذن الله ^(۲) ﴿فَتَنْفَخُ فِيهَا﴾ الروح ﴿فَتَكُونُ طَيْرًا﴾ حيّاً ﴿بِإِذْنِي وَتَبْرَأُ﴾ تشفي ﴿الْأَكْمَهَ﴾ الأعمى ﴿وَالْأَبْرَصَ﴾ الذي لا علاج له ﴿بِإِذْنِي وَإِذْ تَخْرُجُ الْمَوْتَى﴾ من قبورهم بأن تحيهم ﴿بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ﴾ أي منعت أن يصلوا إليك بسوء ﴿بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالأدلة الواضحة ﴿فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ﴾ وهم اليهود الذين لم يأمَنوا بالمسيح ﴿إِنَّ هَذَا﴾ أي: ما هذا الذي أتيت بالإعجاز ﴿إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ أي واضح.

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَامُ الْغُيُوبِ﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَبَدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهَلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفَخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتَبْرَأُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ بِلْعَنِكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنَّا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَّقْتَنَا وَتَكُونَ عَلَيْنَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٣﴾

[۱۱۱] ﴿و﴾ اذكر ﴿إِذْ أَوْحَيْتُ﴾ على لسان رسلي ﴿إِلَى الْحَوَارِيِّينَ﴾ خواص أصحاب عيسى ﴿قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾. قال لهم زكريا ويحيى ﴿أَنْ آمَنُوا بِي وَبِرَسُولِي﴾ عيسى ﴿قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.

[۱۱۲] واذكر يا رسول الله ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ أي هل تتعلق إرادته ﴿أَنْ يَنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً﴾ مأكلاً ﴿مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ فلا تسألوا سؤالاً لا فائدة فيه ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾.

[۱۱۳] ﴿قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا﴾ من المائدة ﴿وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾ بأن نلمس الإعجاز لمساً فتطمئن القلوب برسالتك ﴿وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَّقْتَنَا﴾ في إدعاء النبوة ﴿وَنَكُونُ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ نشهد عند الناس بإعجازك.

(۱) أو لا علم لنا بالنسبة إلى علمه عز وجل.

(۲) كما لو كانت للعبادة.

[١١٤] ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ يَا اللَّهُ﴾ ﴿رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا﴾ ﴿إِذَ الْعِيدِ﴾ ﴿إِنَّمَا هُوَ يَوْمٌ وَقُوعٌ حَدَثٍ مَفْرُوحٍ﴾ ﴿لَاؤَلُنَا وَأَخْرُنَا﴾ ﴿لِلْمُعَاصِرِينَ وَالْأَجْيَالِ الْآتِيَةِ﴾ ﴿وَأَيَّةٌ﴾ ﴿عُطْفَ عَلَى (عِيدٍ)﴾ ﴿مِنْكَ﴾ ﴿أَيُّ مُعْجَزَةٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ ﴿وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾.

[١١٥] ﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي مَنَزَلُهَا﴾ ﴿أَيُّ مَنَزَلٍ الْمَائِدَةِ﴾ ﴿عَلَيْكُمْ﴾ ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ﴾ ﴿إِنزَالِهَا﴾ ﴿مِنْكُمْ﴾ ﴿فَإِنِّي أَعْذِبُهُ عَذَابًا لَا أَعْذِبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿أَيُّ عَالَمِي زَمَانِهِمْ لِأَنَّهُ جَحَدَ بَعْدَ مَشَاهِدَةِ الْمُعْجَزَةِ الَّتِي طَلَبَهَا﴾ ﴿فَإِنَّ جَمَاعَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ انْضَمَوْا إِلَى الْحَوَارِيِّينَ عِنْدَ سُؤَالِ الْمَائِدَةِ فَأَنْزَلَهَا اللَّهُ تَعَالَى وَأَكَلُوا مِنْهَا ثُمَّ كَفَرَ جَمَاعَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَمَسَحُوا﴾.

[١١٦] ﴿وَإِذْ﴾ ﴿أَذْكُرُ زَمَانَ﴾ ﴿قَالَ اللَّهُ﴾ ﴿بِمَعْنَى يَقُولُ﴾، والمراد يوم القيامة ﴿يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾ ﴿أَنْتَ﴾ ﴿اسْتَطَهَامَ بِقَصْدِ إِعْلَامِ الْمَسِيحِيِّينَ بِطَلَانِ تَأْلِيهِمْ لِلْمَسِيحِ﴾ ﴿قُلْتُ﴾ ﴿لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ﴾ ﴿الْمَسِيحُ﴾ ﴿سُبْحَانَكَ﴾ ﴿أَنْزَهَكَ تَنْزِيهًا عَنْ الشَّرِيكَ﴾ ﴿مَا يَكُونُ لِي﴾ ﴿أَيُّ لَا يَجُوزُ لِي﴾ ﴿أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ ﴿أَنْ أَقُولَ قَوْلًا لَا يَحِقُّ﴾ ﴿إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي﴾ ﴿كَيْفَ يَخْفَى عَلَيْكَ قَوْلِي﴾ ﴿وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ ﴿جَاءَ لَفْظُ (النَّفْسِ) لِلْمَشَاكِلَةِ﴾ ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ ﴿تَعْلَمُ مَا

قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مَنَزَلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مِنْكُمْ فَإِنِّي أَعْذِبُهُ عَذَابًا لَا أَعْذِبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنَ مَرْيَمَ مَا أَنْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِنْ تَعَذَّبْتَهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾

غاب عن الحواس .

[١١٧] ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ﴾ ﴿بَانَ أَقُولُ لَهُمْ وَهُوَ﴾ ﴿أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ ﴿رَقِيبًا أَمْنَعُهُمْ عَنِ الانْحِرَافِ فِي الْعَقِيدَةِ﴾ ﴿مَا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ ﴿أَيُّ رَفَعْتَنِي﴾، وهو أخذ الشيء وافيًا روحه وجسده ﴿كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ ﴿الْمُرَاقِبَ لِأَعْمَالِهِمْ فَأَنْتَ تَعْلَمُ ذَلِكَ﴾ ﴿وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ﴿مُرَاقِبٌ حَاضِرٌ﴾.

[١١٨] ﴿إِنْ تَعَذَّبْتَهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ﴾ ﴿الْأَحْقَاءُ بِالْعَذَابِ لِأَنَّهُمْ عَبْدُوا غَيْرَكَ﴾ ﴿وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ﴾ ﴿الَّذِي لَا تُغْلِبُ﴾ ﴿الْحَكِيمُ﴾ ﴿تَعْمَلُ كُلَّ شَيْءٍ حَسَبَ الْمَصْلَحَةِ﴾، ولعل الله سبحانه يمتحن قسماً من القاصرين من الكفار في يوم القيامة ليغفر لهم إذا نجحوا في الامتحان، كما أشار إلى ذلك بعض الأحاديث .

[١١٩ - ١٢٠] ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ ﴿فَالصَّادِقُ فِي عِبَادَتِهِ وَعَمَلِهِ يَجْزَى بِالثَّوَابِ﴾ ﴿لَهُمْ جَنَّاتُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا﴾ ﴿تَحْتَ قُصُورِهَا وَأَشْجَارُهَا﴾ ﴿الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ﴾ ﴿دَائِمِينَ﴾ ﴿فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ ﴿وَرَضَاهُ يوجب سرورهم النفسي﴾ ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ ﴿لأنه أعطاهم ما يرضيهم﴾ ﴿ذَلِكَ﴾ ﴿الْفَوْزُ بِالْجَنَّةِ﴾ ﴿الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

٦: سورة الأنعام

مكية وآياتها مائة وخمسة وستون

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

سُورَةُ الْأَنْعَامِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ يَقْضِي أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَ رَبِّكُمْ أَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّهِمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمْكِنْ لَهُمْ لَكَرًا وَرُسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٦﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قُرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالُوا الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يَنْظُرُونَ ﴿٨﴾

[١] ﴿الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور﴾ فلم تكن حتى ظلمة قبل الخلق ﴿والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون﴾ أي يعدلون بربهم الأوثان، فيقولون إنها عدل ومساو لله في الألوهية.

[٢] ﴿هو الذي خلقكم من طين﴾ آدم وحواء، أو أن أصل كل إنسان التراب، فيتحول عشباً، ثم أكلاً، ثم منياً، ثم إنساناً ﴿ثم قضى﴾ أي قدر وحكم ﴿أجلاً﴾ وقتاً محدوداً ﴿وأجل مسمى﴾ سمي في الملكوت ﴿عنده﴾ فإنه يعلم انتهاء مدة كل إنسان، أو كل البشر، أو يوم القيامة ﴿ثم أنتم تموتون﴾ أي تشكون في الإله الذي بيده الخلق والمعاد.

[٣] ﴿وهو الله في السماوات وفي الأرض﴾ فلا إله غيره ﴿يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون﴾ من خير وشر.

[٤] ﴿وما تأتوهم من آية من آيات ربهم﴾ الدلائل التي تدل على الله ﴿إلا كانوا عنها معرضين﴾ غير ملتفتين.

[٥] ﴿فقد كذبوا بالحق﴾ الرسول ﴿لما جاءهم فسوف﴾

في الآخرة ﴿يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون﴾ أي أخباره والمراد جزاؤهم من العذاب.

[٦] ﴿ألم يروا﴾ يعلموا ﴿كم أهلكنا من قبلهم من قرن﴾ أهل كل عصر كذبوا الرسل ﴿مكناهم في الأرض﴾ بأن جعلناهم أغنياء وملوكاً وذوي حضارة ﴿ما لم نمكن لكم﴾ فإن أهل مكة لم يكونوا بتلك المنزل ﴿وأنزلنا السماء عليهم﴾ أي ماء المطر ﴿مدراراً﴾ غزيراً ﴿وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم﴾ تحت قصورهم وأشجارهم ﴿فأهلكناهم بذنوبهم﴾ أي بسبب ذنوبهم ﴿وأنشأنا﴾ خلقنا ﴿من بعدهم قرناً﴾ جماعة ﴿آخرين﴾.

[٧] ﴿ولو نزلنا عليك﴾ يا محمد ﷺ ﴿كتاباً﴾ ﴿في قرطاس﴾ صحيفة ﴿فلمسوه بأيديهم﴾ فإن اللمس أنفى للشك من الرؤية ﴿لقال الذين كفروا إن هذا﴾ أي ما هذا ﴿إلا سحر مبين﴾ ظاهر.

[٨] ﴿وقالوا لولا﴾ أي لماذا ﴿أنزل عليه ملك﴾ أي يكون مع النبي ملك يكلمنا حتى نصدق ﴿ولو أنزلنا ملكاً لقضي الأمر﴾ أي لحق هلاكهم إذ لم يؤمنوا ﴿ثم لا ينظرون﴾ أي لا يمهلون، فقد تعلقت مشيئة الله تعالى بانفصال الآخرة عن الدنيا فإذا ظهرت الآخرة مات الإنسان.

[٩] ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ أَيُّ الرُّسُولِ﴾ أي الرسول ﴿مَلَكًا﴾ لأن الملك مع الرسول ﷺ رسول أيضاً ﴿لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا﴾ إذ عين البشر لا تطيق رؤية الملك على صورته الواقعية، فاللازم أن يكون الملك بصورة الرجل ﴿وَلِلْبَسْنَا﴾ أي خلطنا من الالتباس ﴿عَلَيْهِمْ﴾ أي على الكفار ﴿مَا يَلْبَسُونَ﴾ أي ما يخلطون من اشتباه الملك بأنه رجل، فإن الخلط والاشتباه فعلهم، نسب إليه تعالى لأنه السب، مثل (وما رميت إذ رميت) (١).

[١٠] ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَأُ﴾ أي استهزأ الكفار ﴿بِرُّسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ يا رسول الله، وهذا تسليّة للرسول ﷺ ﴿فَنَحَاكُ﴾ أحاط ﴿بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ أي جزاء استهزائهم.

[١١] ﴿قُلْ سِيرُوا﴾ اذهبوا وسافروا ﴿فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا﴾ كيف كان عاقبة المكذبيين ﴿لِلرُّسُلِ﴾، فإنهم إذا سافروا، رأوا آثار عاد وثمود والأمم البالية وسمعوا أخبارهم.

[١٢] ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﷺ ﴿لِلْكَافِرِ﴾ لمن ما في السماوات والأرض قل ﴿فِي الْجَوَابِ﴾ إذا لم يحروا جواباً ﴿لِللَّهِ﴾ فكيف تشركون به غيره ﴿كُتِبَ﴾ أوجب ﴿عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةِ﴾ أن يرحم العباد ﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ فإنه تعالى يجمعهم ليأتي بهم في يوم القيامة، والجمع يمتد من أول الدنيا إلى فنائها ﴿لَا رَبَّ فِيهِ﴾ لا شك في يوم القيامة ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بأن أعطوا أعمارهم ليشترى العذاب ﴿فَنَهُم لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

[١٣] ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ﴾ أي ما حل، والمعنى له كل شيء ﴿فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

[١٤] ﴿قُلْ أَغْيِرَ اللَّهُ أَتَّخِذُ وَلِيًّا﴾ يتولى شأني، والاستفهام للإنكار، في حال كونه ﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ خالقهما ﴿وَهُوَ يُطِيعُ﴾ يرضق الناس ﴿وَلَا يُطِيعُ﴾ أي لا يأكل شيئاً ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ﴾ أمرني ربي ﴿أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾ فإن النبي ﷺ أول الناس استسلاماً لله ﴿وَوَ﴾ أمرني ربي قائلاً ﴿لَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمَشْرِكِينَ﴾ الذين يشركون بالله غيره.

[١٥] ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ يوم القيامة.

[١٦] ﴿مَنْ يَصْرِفْ عَنْهُ﴾ العذاب ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي يوم القيامة ﴿فَقَدْ رَحِمَهُ﴾ أي أنعم عليه ﴿وَذَلِكَ﴾ الصرف ﴿الْفَوْزُ﴾ الظفر ﴿الْمُبِينُ﴾ الظاهر.

[١٧] ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ﴾ أي يوصل إليك ﴿اللَّهُ بَضْرًا﴾ كالفقر والمرض ﴿فَلَا كَاشِفَ﴾ مزيل ﴿لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بَخِيرًا﴾ كالصحة والأمان ﴿فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فلا يقدر أحد على رفعه وإزالته عنك.

[١٨] ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ﴾ يقهر الناس ويجبرهم كما يشاء ﴿فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ بالغلبة والقدرة ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾ يفعل الأشياء حسب المصلحة ﴿الْخَبِيرُ﴾ بكل شيء.

وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ اسْتَهْزَأُ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَكَفَّ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿١١﴾ قُلْ لِمَنْ مَافِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كُتِبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ لِيَجْمَعََنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْفِتْنَةِ لَارَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣﴾ قُلْ أَغْيِرَ اللَّهُ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطِيعُ وَلَا يُطِيعُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمَشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَنْ يَصْرِفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بَضْرًا فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٨﴾

[١٩] ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً ۖ أَيُّ مَوْجُودٍ ۖ أَكْبَرُ شَهَادَةً ۖ أَيُّ أَعْظَمَ مِنْ حَيْثُ الشَّهَادَةُ ۚ فَقَدْ قَالُوا لِلرَّسُولِ ﷺ أَنْكَرُكَ أَهْلَ الْكِتَابِ فَأَتَى بِمَنْ يَشْهَدُ لَكَ ۖ قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۖ يَشْهَدُ لِي ۖ وَشَهِادَتُهُ إِجْرَاءُ الْمَعْجَزَةِ عَلَى يَدَيْهِ ۖ وَأَوْحَى إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ ۖ لِأَخُوفَكُمْ بِسَبَبِ الْقُرْآنِ ۖ وَ﴿أَنْذِرُ سَائِرَ مَنْ بَلَغَ﴾ بَلَغَهُ الْقُرْآنُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿أَنْتُمْ﴾ اسْتَفْهَامُ انْكَارٍ ﴿لِتَشْهَدُوا أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ﴾ يَا رَسُولَ اللَّهِ ﴿لَا أَشْهَدُ﴾ بِمَا تَشْهَدُونَ ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ أَيُّ تَشْرِكُونَهَا مَعَ اللَّهِ ۖ وَالْمُرَادُ بِهَا الْأَصْنَامُ.

[٢٠] ﴿الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ الْكِتَابُ﴾ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى ﴿يَعْرِفُونَهُ﴾ أَيُّ الرَّسُولِ ﷺ ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ أَيُّ مَعْرِفَةٍ كَامِلَةٍ ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَأَهْلِ الْكِتَابِ ﴿فَنَهُم لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لِأَنَّهُمْ بِمَا عَانَدُوا مِنْ مُحَارَبَةِ الْحَقِّ انْحَرَفَتْ طِبَاعُهُمْ.

[٢١] ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بِأَنَّهُ جَعَلَ لَهُ شَرِيكًا أَوْ أَوْلَادًا ﴿أَوْ كَذَبَ بَيِّنَاتِهِ﴾ كَالْقُرْآنِ وَسَائِرِ الْكُتُبِ ﴿إِنَّهُ﴾ الضَّمِيرُ لِلشَّأْنِ ﴿لَا يَفْلَحُ﴾ أَيُّ لَا يَفُوزُ ﴿الظَّالِمُونَ﴾ فَكَيْفَ بِمَنْ كَانَ أَظْلَمَ.

[٢٢] ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾ أَيُّ نَجْمَعُهُمْ ﴿جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاءُكُمْ﴾ أَيُّ الشُّرَكَاءِ الَّذِينَ جَعَلْتُمُوهُمْ لِي شَرِيكًا ﴿الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ أَنَّهُمْ شُرَكَاءُ اللَّهِ.

[٢٣] ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتَهُمْ﴾ أَيُّ عَاقِبَةُ كُفْرِهِمْ ۖ فَإِنَّ الْفِتْنَةَ تَطْلُقُ عَلَى الْكُفْرِ ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾ كَذِبًا ﴿وَاللَّهُ رَبُّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾.

[٢٤] ﴿انْظُرْ﴾ يَا رَسُولَ اللَّهِ ﴿كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ اسْتَفْهَامُ تَعْجَبٍ ۖ بِأَنَّهُمْ كُونَهُمْ مُشْرِكِينَ ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ﴾ ذَهَبَتْ عَنْهُمْ الْأَوْثَانُ الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَهَا ﴿مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ مِنَ الْأَوْثَانِ ۖ يَفْتَرُونَ بِكُونِهَا شُرَكَاءَ اللَّهِ.

[٢٥] ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ إِلَى الْقُرْآنِ حِينَ تَقْرُؤُهُ ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ أَغْطِيَةً ۖ كِرَاهَةً ﴿أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ أَيُّ يَفْهَمُوا الْقُرْآنَ ۖ وَذَلِكَ جَزَاءُ مَا عَمِلُوا مِنَ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي وَهَذَا كِتَابَةٌ عَنْ مَنَعَ اللَّطْفِ بِهِمْ ﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ أَيُّ ثِقَلًا أَوْ حِمْلًا ثَقِيلًا حَتَّى لَا يَسْمَعُوا ۖ كِتَابَةٌ عَنْ عَدَمِ انْتِفَاعِهِمْ بِالسَّمْعِ ﴿وَإِنْ يَرَوْا كَلِمَةً﴾ أَيُّ جَمِيعِ الْمَعْجَزَاتِ ﴿لَا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾ لِفِرْطِ عِنَادِهِمْ ﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ﴾ أَيُّ فِي حَالِ كُونِهِمْ جَاءُوكَ لِلْجِدَالِ ۖ لَا لِلْفَهْمِ ﴿يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ﴾ مَا ﴿هَذَا﴾ الْقُرْآنُ ﴿إِلَّا آسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ الَّذِينَ لَفَقُوا هَذِهِ الْأَبَاطِيلَ لِصَرْفِ النَّاسِ إِلَى أَنْفُسِهِمْ.

[٢٦] ﴿وَهُمْ﴾ الْكُفَّارُ ﴿يَنْهَوْنَ﴾ النَّاسَ ﴿عَنْهُ﴾ أَيُّ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ وَالْقُرْآنِ ۖ بِأَنَّهُ يَمْنَعُهُمْ عَنِ الْهَدَايَةِ ﴿وَيَنْهَوْنَ﴾ أَيُّ يَنْتَعِدُونَ ﴿عَنْهُ﴾ أَيُّ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ وَالْقُرْآنِ ۖ فَيَحْتَمِلُونَ جُرْمِينَ ﴿وَإِنْ﴾ مَا ﴿يَهْلِكُونَ﴾ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ ۖ لِأَنَّهُ ضَرَرُ كُفْرِهِمْ وَصَدَمُهُمْ عَائِدٌ إِلَيْهِمْ ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أَيُّ لَيْسَ لَهُمْ شُعُورٌ بِأَنَّهُ ضَرَرُ ذَلِكَ عَائِدٌ إِلَيْهِمْ.

[٢٧] ﴿وَلَوْ تَرَى﴾ أَيُّهَا الرَّائِي ﴿إِذْ وَقَفُوا عَلَى﴾ حَافَةِ النَّارِ ﴿لِإِقْنَانِهِمْ فِيهَا﴾ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ ۖ أَيُّ نَرْجِعُ إِلَى الدُّنْيَا ﴿وَلَا نَكْذِبُ بَيِّنَاتٍ رَبَّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأَوْحَى إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَتَيْتُكُمْ لِتَشْهَدُوا أَنْتَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ اللَّهُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ الْكِتَابُ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِبَيِّنَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢١﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاءُكُمْ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ تَرْجِعُ فِتْنَتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبُّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلِمَةً لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا آسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْهَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نَكْذِبُ بَيِّنَاتٍ رَبَّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾

[٢٨] ﴿بَلْ لَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، فَإِنْ تَمْنِيهِمْ كَذِبٌ فَإِنَّمَا تَمْنَوْنَ لِأَنَّهُ ظَهَرَ ﴿بَدَأَ﴾ لَهُمْ مَا كَانُوا يَخْفَوْنَ مِنْ قَبْلِ ﴿أَيْ كُفْرِهِمْ وَعَصْيَانِهِمْ، فَإِنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ يَخْفَوْنَهَا وَيَقُولُونَ (والله ربنا ما كنا مشركين) فيختم الله على أفواههم وتكلم أيديهم وأرجلهم ﴿وَلَوْ رَدُّوا﴾ إِلَى الدُّنْيَا ﴿لَعَادُوا﴾ رَجَعُوا ﴿لَمَّا نَهَوْا عَنْهُ﴾ مِنَ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي، فَمَتْنِيهِمْ وَقْتِي وَلَيْسَ بِصَادِقٍ، فَإِذَا رَجَعُوا إِلَى الدُّنْيَا رَجَعُوا إِلَى كُفْرِهِمْ وَعَصْيَانِهِمْ ﴿وَأَنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ فِي أَنَّهُمْ لَوْ رَدُّوا صَارُوا مُؤْمِنِينَ مُطِيعِينَ.

[٢٩] ﴿وَقَالُوا﴾ الْكُفَّارُ ﴿إِنْ﴾ مَا ﴿هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ الْقَرِيبَةِ، فَلَا آخِرَةَ ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ لَا نَحْيِي بَعْدَ الْمَوْتِ.

[٣٠] ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا﴾ الْكُفَّارُ ﴿عَلَى﴾ حِسَابِ رَبِّهِمْ ﴿فِي الْآخِرَةِ﴾ قَالَ ﴿اللَّهُ لَهُمْ﴾ الْيَسَّ هَذَا ﴿الْجَزَاءُ الَّذِي تَشَاهَدُونَهُ﴾ بِالْحَقِّ ﴿وَالِاسْتِفْهَامَ لِلتَّوْبِيخِ﴾ قَالُوا بَلَى وَرَبَّنَا يُحْلِفُونَ بِاللَّهِ أَنَّهُ حَقٌّ، وَهَذَا جَزَاءُ مَا كَانُوا يَقُولُونَ فِي الدُّنْيَا: إِنَّ الدِّينَ لَيْسَ بِحَقٍّ ﴿قَالَ﴾ اللَّهُ ﴿فَذُوقُوا﴾ مَا يَنَالُكُمْ مِنَ الْعَذَابِ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿أَيْ بِسَبَبِ كُفْرِكُمْ. [٣١] ﴿قَدْ خَسِرَ﴾ النَّعِيمِ وَالْثَوَابِ ﴿الَّذِينَ كَذَبُوا﴾ بِلِقَاءِ اللَّهِ ﴿أَيْ بِالْآخِرَةِ الَّتِي فِيهَا يَلْقَوْنَ حُكْمَ اللَّهِ﴾ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ ﴿الْقِيَامَةُ﴾ بَغْتَةً ﴿قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا﴾

أَيْتِهَا الْحَسْرَةُ احْضَرِي هَذَا وَقْتُكَ ﴿عَلَى مَا فَرَطْنَا﴾ قَضَرْنَا ﴿فِيهَا﴾ فِي الدُّنْيَا ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ﴾ مَعَاصِيَهُمْ ﴿عَلَى ظُهُورِهِمْ﴾ أَلَا لِلتَّوْبَةِ ﴿سَاءَ﴾ بَشْشَ ﴿مَا يَزِرُونَ﴾ أَيِ يَحْمِلُونَهُ مِنَ الذُّنُوبِ.

[٣٢] ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ يَلْعَبُ بِهَا الْإِنْسَانُ وَلَيْسَتْ بِأَقْبَى مِنَ الْآخِرَةِ ﴿وَاللَّذَّارِ﴾ اللَّامُ لِلتَّأْكِيدِ ﴿الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ بِأَنَّ الْآخِرَةَ خَيْرٌ.

[٣٣] ﴿قَدْ﴾ لِلتَّحْقِيقِ ﴿نَعْلَمُ إِنَّهُ لِيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ﴾ فَيَكُ مِنْ إِنْكَ كَاذِبٍ وَسَاحِرٍ وَمَجْنُونٍ، وَهَذَا تَسْلِيَةٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ﴾ فِي الْحَقِيقَةِ ﴿وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتِ اللَّهُ يَجْحَدُونَ﴾ يَنْكُرُونَ فَإِنْ تَكْذِيبَ الرَّسُولِ تَكْذِيبَ الْمُرْسَلِ.

[٣٤] ﴿وَلَقَدْ كَذَّبْتَ﴾ كَذَبَهُمْ أَقْوَامَهُمْ ﴿رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبْرُوا عَلَى مَا كَذَبُوا﴾ أَيِ عَلَى تَكْذِيبِ النَّاسِ لَهُمْ ﴿وَأَوْدُوا﴾ أَيِ صَبَرُوا عَلَى إِذْيَاءِ النَّاسِ لَهُمْ ﴿حَتَّى أَتَاهُمْ﴾ جَاءَهُمْ ﴿نَصْرُنَا﴾ عَلَى أَقْوَامِهِمْ ﴿وَلَا مِثْلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ الَّتِي وَعَدَهَا الرَّسُلُ بِنَصْرِهِمْ، أَيِ لَا يَتَغَيَّرُ نَصْرُهُ وَوَعْدُهُ ﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ﴾ يَا رَسُولَ اللَّهِ ﴿مِنْ نَبَأٍ﴾ أَيِ خَبَرٍ ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾ كَيْفَ نَصَرْنَاهُمْ عَلَى أَعْدَائِهِمْ.

[٣٥] ﴿وَإِنْ كَانَ كَبِيرٌ﴾ عَظِيمٌ وَشَقٌّ ﴿عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾ إِعْرَاضُ الْكُفَّارِ عَنِ الْإِيمَانِ ﴿فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ﴾ تَطْلُبُ وَتَصْنَعُ ﴿نَفَقًا﴾ سِرْبًا وَنَقْبًا ﴿فِي الْأَرْضِ أَوْ﴾ تَبْتَغِي ﴿سَلْمًا﴾ وَمُصْعَدًا ﴿فِي السَّمَاءِ فَتَاتِيهِمْ بِآيَةٍ﴾ مُعْجَزَةٌ لِيُؤْمِنُوا بِكَ، فَافْعَلْ، لَكِنَّكَ لَا تَقْدِرُ عَلَى هِدَايَتِهِمْ وَإِنْ فَعَلْتَ ذَلِكَ، وَهَذَا كِنَايَةٌ عَنْ عَدَمِ إِيْمَانِهِمْ، وَلَوْ أَتَيْتُ بِالشَّيْءِ الْمُسْتَحِيلِ، بِأَنَّ جِئْتَهُمْ مِنَ تَحْتِ الْأَرْضِ أَوْ أَعَالِي السَّمَاءِ بِالْمُعْجَزَاتِ ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ بِأَنَّ يَلْجِئَهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ ﴿لَجَمَعْتُهُمْ عَلَى الْهُدَى﴾ بِالْإِلْجَاءِ ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ بِأَنَّ تَجْزِعَ لَأَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ.

بَلْ يَدَّاهُمْ مَا كَانُوا يَخْفَوْنَ مِنْ قَبْلِ وَلَوْ رَدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهَوْا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوا إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبَّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِقَوْلِهِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا إِنَّا نَحْسِرُ لِنَاغَى مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لِيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتِ اللَّهُ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ فَصَبْرُوا عَلَى مَا كَذَبُوا وَأَوْدُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مِثْلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَأِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِنْ كَانَ كَبِيرٌ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سَلْمًا فِي السَّمَاءِ فَتَاتِيهِمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعْتُهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٥﴾

[٣٦] ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ﴾ يجب دعوتك ويؤمن بك ﴿الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ الكلام لأنهم أحياء، والكفار كالموتى لا يسمعون ﴿وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ للجزاء .
 [٣٧] ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ﴾ أي لماذا لا تنزل ﴿عَلَيْهِ آيَةٌ﴾ كعصا موسى عليه السلام وما أشبه ﴿مَنْ رَبُّهُ قُلْ إِنْ اللَّهُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً﴾ مثل تلك الآيات ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن إنزالها بعد طلبهم يوجب إهلاكهم لأن عادة الله جرت في أنه إذا نزل آية مقترحة ثم لم يأمنوا أهلكتهم .
 [٣٨] ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ﴾ حيوان يمشي على وجه الأرض ﴿وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ﴾ في الهواء ﴿بِغِنَاحِهِ إِلَّا أَمْسَ أَمْثَالُكُمْ﴾ في أن الله خلقها وبرزقها ﴿مَا فَرِغْنَا﴾ قصرنا ﴿فِي الْكِتَابِ﴾ القرآن ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ فقد ذكرنا فيه كل عبرة وموعظة يحتاج إليها الإنسان في عرفان مبدئه ومعاده وحياته ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ أي تجمع جميع الدواب والطيور .

[٣٩] ﴿وَالَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا﴾ القرآن وغيره ﴿صَمَّ﴾ جمع أصم، عن سماع الآيات سماعاً مفيداً ﴿وَبِكُمْ﴾ جمع أبكم، من لا لسان له، أي لا يقولون الحق ﴿فِي الظُّلُمَاتِ﴾ ظلمات الكفر والجهل فإنه لا يرى سبيل الحياة السعيدة كما لا يرى من في الظلمة الطريق ﴿مَنْ يَشِإِ اللَّهُ﴾ إضلاله، بأن تركه وشأنه حيث عاند الحق ﴿يُضِلُّهُ وَمَنْ

يشأ يجعله على صراط مستقيم ﴿ وإنما يشأ حسب الموازين المقررة ، فإن من استعد للهداية ، يشأ الله هدايته .
 [٤٠] ﴿ قل ﴾ يا رسول الله ﴿ أرأيتم ﴾ أي أخبروني ﴿ إن أتاكم عذاب الله ﴾ في الدنيا ﴿ أو أتكم الساعة ﴾ يوم القيامة ﴿ أغير الله تدعون ﴾ أي هل تدعون غير الله لكشف العذاب عنكم ، وهل تتوجهون إلى أصنامكم ﴿ إن كنتم صادقين ﴾ في أن الأصنام آلهة .

[٤١] ﴿يَلِإِيَّاهُ﴾ الله ﴿تَدْعُونَ﴾ تَخْصُونَهُ بِالْدَّعَاءِ ﴿فِيكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ﴾ مَا تَدْعُونَهُ إِلَى رَفْعِهِ ﴿إِنْ شَاءَ﴾ كَشَفَهُ ﴿وَتَنْسَوْنَ مَا تَشْرَكُونَ﴾ أَيْ تَتْرَكُونَ دَعْوَةَ أَصْنَامِكُمْ الَّتِي تَشْرَكُونَهَا بِاللَّهِ، كَأَنَّهَُا مَنَسِيَةٌ لَكُمْ .

[٤٢] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رِسَالًا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ﴾ أي الأمم ﴿بِالْبِاسَاءِ﴾ كالْحَزْنِ ﴿وَالضَّرَاءِ﴾ كالْمَرَضِ ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ إِلَى اللَّهِ وَيَقْبِلُونَ إِلَيْهِ، وَالتَضَرُّعُ التَذَلُّلُ.

[٤٣] ﴿قُلُوبًا﴾ أي فهلاً ﴿إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا﴾ عذابنا ﴿تَضَرَّعُوا﴾ إلى الله، فلم يتضرَّعوا مع وجود الداعي للتضرُّع ﴿وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ فالمانع عن تضرعهم قسوة قلوبهم ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ فلم تكن أعمالهم مخالفة في نظرهم حتى يتوبوا عنها، لينكشف عنهم العذاب.

[٤٤] ﴿فلما نسوا ما ذكروا به﴾ أي تركوا الوعد الذي وعظناهم به من البأساء والضراء ﴿فتحننا عليهم أبواب كل شيء﴾ من النعم امتحاناً لهم بالرخاء بعد الشدة، الشدة ليستغفروا، والرخاء ليشكروا ﴿حتى إذا فرحوا بما أوتوا﴾ من أصناف النعم، ولم يشكروا ﴿أخذناهم بغتة﴾ فجأة بإنزال العذاب عليهم ﴿فإذا هم مبلسون﴾ آيسون من الرحمة يتحسرون على ما سلف منهم.

[٤٥] ﴿فَقُطِعْ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١٥)
آخرهم ﴿القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين﴾
على هلاكهم.

[٤٦] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ أَصْغَمَ وَأَعْمَاكُمْ﴾ و﴿خَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾ بأن أزال عقولكم، أو طبعها بطابع القسوة والبلاهة ﴿مَنْ إِلَهَ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ﴾ أي بأحد هذه الثلاثة، وهذا استفهام إنكار، أي لا إله إلا الله ليرد عليكم هذه النعم الجسام ﴿انظُرْ كَيْفَ نَصَرَفَ الْآيَاتِ﴾ نبينها ﴿ثم هم﴾ الكفار ﴿يصدفون﴾ يعرضون عنها.

[٤٧] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ اخبروني ﴿إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً﴾ من غير مقدمة، فجأة ﴿أَوْ جَهْرَةً﴾ تسبقه أمارته، أو ليلاً أو نهاراً ﴿هَلْ يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ﴾ فإن الهلاك - والمراد به الهلاك السيئ - إنما هو للظالمين، أما غيرهم فإذا مات كان إلى النعيم.

[٤٨] ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ﴾ ما يجب إصلاحه من نفسه ومجتمعه ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ خوفاً واقعياً بخسران الدنيا والآخرة ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ بفوت الثواب.

[٤٩] ﴿وَالَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا﴾ أدلنا ﴿بِمَسْهُمْ﴾ يصل إليهم ﴿العذاب بما كانوا يفسقون﴾ أي بسبب فسقهم وخروجهم

فَقُطِعْ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٥)
قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ
مَنْ إِلَهَ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ أَنْظُرْ كَيْفَ نَصَرَفَ الْآيَاتِ
ثُمَّ يَصْدَفُونَ (١٦) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ (١٧) وَمَا
نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ
فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٨) وَالَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا
يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (١٩) قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ
عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبِ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ
إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا بِمَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ
أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ (٢٠) وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا
إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ دُونَهُ وَلِيٌّ وَلَا سَفِيحٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ
(٢١) وَلَا تَطْرُدْ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعُدْوَةِ وَالْعَشَىٰ يُرِيدُونَ
وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ
عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ (٢٢)

عن طاعة الله.

[٥٠] ﴿قُلْ﴾ يا رسول الله، للذين يريدون منك أعمالاً خارقة عن طوق البشر ﴿لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾ مقدراته أو أرزاقه حتى أتني بكل ما تريدون ﴿وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبِ﴾ الذي غاب عن الحواس، إلا بمقدار يريده الله ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾ أتني بأعمال الملك، بل أنا بشر ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أتبع إلا ما يوحى إلي﴾ فما أفعل إلا كما يريد الله ﴿قل هل يستوي الأعمى﴾ الذي لا يعلم وهو غير مهتد ﴿والبصير﴾ فالمؤمن بصير والكافر أعمى ﴿أفلا تتفكرون﴾ لتهدوا إلى الدين.

[٥١] ﴿وأنذر﴾ يا رسول الله ﴿به﴾ أي بالذي يوحى إليك ﴿الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم﴾ أي من يخاف البعث مؤمناً كان أو كافراً، فإن احتمال الحشر كاف في تحريك الإنسان للهداية ﴿ليس لهم من دونه ولي﴾ يلي أمرهم ﴿ولا شفيع﴾ يشفع لهم عند الله ﴿لعلهم يتقون﴾ أي لكي يتقون الكفر والآثام.

[٥٢] ﴿ولا تطرد﴾ أي لا تبعد يا رسول الله ﴿الذين يدعون ربهم بالغداة﴾ الصباح ﴿والعشي﴾ العصر ﴿يريدون وجهه﴾ أي مخلصين في عبادتهم فقد طلب كبار المشركين من الرسول ﷺ بأن يطرد فقراء المؤمنين ليأتي المشركون إلى الرسول ﷺ يفادونه ترفعاً منهم عن الفقراء المسلمين، فنزلت الآية ﴿ما عليك من حسابهم من شيء﴾ حتى تطردهم خوفاً من أن يلصق بك سوء أعمالهم ﴿وما من حسابك عليهم من شيء﴾ فإن كل إنسان محاسب بما عمل، والجملةتان بمعنى: (ولا تزر وازرة وزر أخرى)^(١) ﴿فتطردهم فتكون﴾ بطردهم ﴿من الظالمين﴾ لأنه لا يجوز طرد المسلم.

[٥٣] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ أي هكذا كابتلاء هؤلاء الفقراء والأغنياء ﴿فَتَنَّا﴾ ابتلينا ﴿بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾ كل طائفة بطائفة أخرى ﴿لِيَقُولُوا﴾ الأغنياء، واللام للعاقبة ﴿أَهْوَاءُ﴾ الفقراء، والاستفهام للإنكار ﴿مَنْ﴾ الله عليهم ﴿بِالْخَيْرِ﴾ من بيننا ﴿نَحْنُ الْأَغْنِيَاءُ﴾ فشملمهم الخير دوننا نحن الرؤساء والأشراف ﴿الْيَسَّ﴾ الله بأعلم بالشاكرين ﴿هَذَا جَوَابُ لَهُمْ﴾ بأن الله أعلم بالشاكر فيوفقه، والفقراء حيث شكروا وفقوا، دونكم أنتم.

[٥٤] ﴿وَإِذَا جَاءَكَ﴾ يا رسول الله ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بآيَاتِنَا﴾ القرآن وسائر الآيات ﴿فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ أنتم في سلام ﴿كُتِبَ﴾ أوجب ﴿رَبِّكُمْ﴾ على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوء بجهالة ﴿أَيَّ غَفْلَةٍ﴾ فإن السوء لا يرتكبه العاقل إلا عن جهل ﴿ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ بعد عمل السوء ﴿وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ فأنتم من الله عليكم أولاً بالإيمان، وثانياً بالغفران.

[٥٥] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ أي هكذا ﴿نَفْضِلُ الْآيَاتِ﴾ نبينها تفصيلاً بلا غموض ﴿وَلِتَسْتَبِينَ﴾ أي ولتستوضح وتعرف بوضوح ﴿سَبِيلَ الْمَجْرَمِينَ﴾ فتعرف المجرم من غيره لتعامل كل حسب ما ينبغي.

[٥٦] ﴿قُلْ إِنِّي نَهَيْتُ﴾ نهاني الله ﴿أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي الأصنام ونحوها

﴿قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ﴾ في عبادة غير الله ﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا﴾ إذا تبعت أهواءكم ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ والجملة للتأكيد. [٥٧] ﴿قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ﴾ حجة واضحة ﴿مِنْ رَبِّي﴾ أي إن الحجة أتتني من الله ﴿وَكَذَّبْتُمْ بِهِ﴾ أي بالقرآن الذي هو البينة ﴿مَا﴾ أي ليس ﴿عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ﴾ من العذاب، لأنهم كانوا يقولون: عجل عذابنا يا محمد إن كنا على باطل ﴿إِنْ﴾ بمعنى (ما) ﴿الْحُكْمِ﴾ في عذابكم ﴿إِلَّا لِلَّهِ يَقْضُ الْحَقُّ﴾ أي يبين القصص الحق لهدايتكم ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ الذي يفصل بين الحق والباطل، أو القاضين.

[٥٨] ﴿قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي﴾ في قدرتي وتحت إرادتي ﴿مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ﴾ ما تطلبون عجلته من العذاب ﴿لَقَضَيْتُ الْأَمْرَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ فإني حينئذ أنزلت العذاب واسترحمت منكم ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ﴾ فينزل عليهم العذاب وقت استحقاقهم.

[٥٩] ﴿وَعِنْدَهُ﴾ تعالى ﴿مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾ ما يتوصل به إلى المغيبات، مثل نجاة السجين مغيبة فلا يعلم بماذا ينجي لكن الله يعلم ذلك، ويده مفتاحه ﴿لَا يَعْلَمُهَا﴾ تلك المفاتيح ﴿إِلَّا هُوَ﴾ الله فيعلم أوقاتها والحكمة في تعجيلها وتأخيرها ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ من الشيء الظاهر والخفي ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ﴾ عن شجرة ﴿إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ تلك الورقة بشؤونها كلها ﴿وَلَا حَبَّةٌ﴾ كالحنطة والذرة ﴿فِي ظِلْمَاتِ الْأَرْضِ﴾ مخفية في بطنها ﴿وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ هو علمه سبحانه أو اللوح المحفوظ ﴿مُبِينٍ﴾ ظاهر لديه سبحانه.

وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهْوَاءُ مَنْ لَنَا اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيِّنَاتٍ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كُتِبَ عَلَيْكُمْ أَنْ تُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَتُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَتُؤْمِنُوا بِآيَاتِنَا هَذَا هُدًى لَكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَكُونَ ﴿٥٤﴾ وَكَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ الْقِصَّةَ الْأُولَى وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمَجْرَمِينَ ﴿٥٥﴾ قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقْضُ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقَضَيْتُ الْأَمْرَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ ﴿٥٨﴾ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٥٩﴾

﴿قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي﴾ في قدرتي وتحت إرادتي ﴿مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ﴾ ما تطلبون عجلته من العذاب ﴿لَقَضَيْتُ الْأَمْرَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ فإني حينئذ أنزلت العذاب واسترحمت منكم ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ﴾ فينزل عليهم العذاب وقت استحقاقهم.

[٥٩] ﴿وَعِنْدَهُ﴾ تعالى ﴿مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾ ما يتوصل به إلى المغيبات، مثل نجاة السجين مغيبة فلا يعلم بماذا ينجي لكن الله يعلم ذلك، ويده مفتاحه ﴿لَا يَعْلَمُهَا﴾ تلك المفاتيح ﴿إِلَّا هُوَ﴾ الله فيعلم أوقاتها والحكمة في تعجيلها وتأخيرها ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ من الشيء الظاهر والخفي ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ﴾ عن شجرة ﴿إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ تلك الورقة بشؤونها كلها ﴿وَلَا حَبَّةٌ﴾ كالحنطة والذرة ﴿فِي ظِلْمَاتِ الْأَرْضِ﴾ مخفية في بطنها ﴿وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ هو علمه سبحانه أو اللوح المحفوظ ﴿مُبِينٍ﴾ ظاهر لديه سبحانه.

[٦٠] ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم﴾ أي ينيمكم بأن يأخذ أرواحكم المربوطة باليقظة وافيًا، فإن بعض الروح يخرج عند النوم ﴿بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم﴾ عملتم ﴿بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ﴾ يوقظكم ﴿فِيهِ﴾ أي في النهار ﴿لِيُقْضَىٰ أَجَلُ مُسَمًّى﴾ أي ليستوفي المستيقظ أجله المضروب له في الدنيا، والذي سمي له ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ﴾ إلى حكمه تعالى ﴿مَرْجِعُكُمْ﴾ رجوعكم في الآخرة ﴿ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ﴾ يخبركم، ليجزيكم ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ في الدنيا.

[٦١] ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ﴾ المسلط ﴿فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ بالتصرف والقدرة ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ حافظين من الملائكة لتسجيل أعمالكم ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ﴾ بأن حان وقت موته ﴿تَوَفَّاهُ﴾ أماته ﴿وَرُسُلَنَا﴾ الملائكة ﴿وَهُمْ لَا يَفْزُطُونَ﴾ لا يغفلون ولا يتوانون.

[٦٢] ﴿ثُمَّ رَدَّوهُ﴾ أرجعوا في الآخرة ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ إلى عذابه وثوابه ﴿مَوْلَاهُمْ﴾ الذي يتولى شأنهم ﴿الْحَقُّ﴾ فإن ما عدها تعالى مولى بالباطل، إلا من قرره الله ﴿أَلَا﴾ تنبه أيها السامع ﴿لَهُ﴾ لله ﴿الْحُكْمُ﴾ الحكومة في عباده ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ يحسب الخلائق كلهم في طرفة عين ولا يشغله حساب عن حساب.

[٦٣] ﴿قُلْ مَنْ يَنْجِيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتٍ﴾ شدائد، وإنما قيل للشدائد ظلمة لان كليهما يوجبان الهول، ولا يعرف الإنسان مصيره فيها ﴿الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ﴾ أي الله سبحانه ﴿تَضَرَّعًا﴾ على الاستنكاف ﴿وَخُفْيَةً﴾ في نفوسكم، في حال كونكم قائلين ﴿لَنْ أَنْجَانَا﴾ الله ﴿مِنْ هَذِهِ﴾ الشدة ﴿لَنُكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ نشكره بالطاعة في المستقبل.

[٦٤] ﴿قُلْ اللَّهُ يَنْجِيكُمْ مِنْهَا وَمَنْ كُلِّ كَرْبٍ﴾ غم سواها ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ تعودون إلى الشرك ولا تفون بالوعد.

[٦٥] ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ﴾ كالصواعق ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ كالخسف ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ﴾ يخلطكم ﴿شِيْعًا﴾ فرقًا متعددة وأحزابًا متناحرين ﴿وَيَذِيقُ بَعْضَكُمْ بَأْسَ﴾ عذاب ﴿بَعْضٍ﴾ كما نرى في الأحزاب المتناحرة، وإنما أسند هذا إلى الله لأنه يتركهم وشأنهم حتى يكونوا أحزابًا ﴿انْظُرْ كَيْفَ نَصَرَفَ﴾ نردد ﴿الْآيَاتِ﴾ الدالة على وجود الله وصفاته ﴿لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ يعلمون الحق فيتبعونه.

[٦٦] ﴿وَكَذَّبَ بِهِ﴾ أي بالقرآن المفهوم من الآيات ﴿قَوْمُكَ﴾ قريش ﴿وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ حتى أحفظكم عن التكذيب والعذاب.

[٦٧] ﴿لِكُلِّ نَبَأٍ﴾ خبر، كخبر عذابكم ﴿مُسْتَقَرٍّ﴾ وقت استقرار وحصول ﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ عند وقوعه.

[٦٨] ﴿وَإِذَا رَأَيْتُ﴾ أيها الرائي ﴿الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ يدخلون في الآيات بقصد الاستهزاء والتكذيب ﴿فَأَعْرَضْ عَنْهُمْ﴾ ولا تجالسهم ﴿حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ أي غير القرآن ﴿وَأَمَّا نِيسِيَّتُكَ الشَّيْطَانُ﴾ بأن جلست معهم نسياناً ﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ﴾ أي بعد أن تذكرت النهي ﴿مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ الخائضين في الآيات.

وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّاهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْزِطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رَدَّوهُ إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴿٦٢﴾ قُلْ مَنْ يَنْجِيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّيْنٍ أَتَجْعَلُ مِنْ هِذِهِ لَكَ نُوَاجِدٌ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلْ اللَّهُ يَنْجِيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ مُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا وَيَذِيقَ بَعْضُكُم بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نَصَرَفَ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ لِكُلِّ نَبَأٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ وَإِذَا رَأَيْتُ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرَضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَأَمَّا نِيسِيَّتُكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦٨﴾

[٦٩] ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ﴾ أي حساب الخائفين ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ فليس وزر عملهم على المتقين ﴿وَلَكِنْ﴾ على المتقين ﴿ذِكْرِي﴾ بأن يذكروا الخائفين ببقع عملهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الخوض.

[٧٠] ﴿وَذَرِ﴾ أعرض ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا﴾ تهاونوا به كأنه العوبة وأداة لهو ﴿وَغَرَّتْهُمْ﴾ خدعتهم ﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ فظنوا أنها كل شيء ﴿وَذَكَرْ بِهِ﴾ أي بالقرآن ﴿أَنْ تَبْسَلَ﴾ أي لتلا تهلك ﴿نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ﴾ من الإثم، فإنهم إن تجنبوا الإثم لا يهلكون ﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ﴾ يلي أمرهم ﴿وَلَا شَفِيعٌ﴾ يشفع لهم لمحو ذنوبهم ﴿وَإِنْ تَعْدِلْ﴾ النفس ﴿كُلَّ عَدْلٍ﴾ أي تعطي كل فداء لنجاة نفسه ﴿لَا يُوْخَذُ﴾ لا يقبل العدل ﴿مِنْهَا﴾ أي من النفس ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا﴾ أهلكوا ﴿بِمَا كَسَبُوا﴾ من السيئات ﴿لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ﴾ ماء حار يغلي ﴿وَعَذَابُ أَلِيمٍ﴾ مؤلم ﴿بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ أي بسبب كفرهم.

[٧١] ﴿قُلْ أُنْدِعُوا﴾ أي هل نعبد، والاستفهام للإنكار ﴿مَنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا﴾ أي الصنم حيث لا يقدر على نفع ولا ضرر ﴿وَنُرْذِلُ عَلَى أَعْقَابِنَا﴾ نرجع إلى الشرك، كمن يرجع القهقري على عقب رجله ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ إلى الإسلام ﴿كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ﴾

وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرِي لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكَرَ يَوْمَ تَبْسَلُ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابُ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أُنْدِعُوا مَنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرْذِلُ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانًا لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى أَتَيْنَا قُلُوبًا هُدًى اللَّهُ هُوَ الْهُدَى ﴿٧١﴾ وَإِنَّا لِلَّهِ سُلَيْمٌ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٢﴾ وَأَنَّا أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْنَاهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٣﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمَلَأْتُ يَوْمَ يَنْفُخُ فِي الصُّورِ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٧٤﴾

ذهبت به مردة الجن في الصحارى، فإن مردة الجن يضل الإنسان إلى خلاف الجادة في الصحراء ﴿فِي الْأَرْضِ حَيْرَانًا﴾ في حال كونه متحيراً ﴿لَهُ﴾ أي للإنسان الذي ضل ﴿أَصْحَابٌ﴾ رفقاء ﴿يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى﴾ طريق الحق، قائلين له ﴿اتَّبِنَا﴾ تعال معنا ﴿قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ﴾ الإسلام ﴿هُوَ الْهُدَى﴾ وحده، والمسلمون كأصحاب ذلك الضال الذي أضله الشيطان ورفقاء السوء ﴿وَأَمَرْنَا لِنَسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي نخضع لأوامر الله.

[٧٢] ﴿وَوَ﴾ أَمَرْنَا حيث قال الله لنا ﴿أَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْنَاهُ﴾ أي خافوا منه فلا تعصوا ﴿وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ تجمعون يوم القيامة، إلى حسابه وجزائه.

[٧٣] ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ لا بالباطل لأجل اللعب واللهم ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ﴾ أي متى أراد الخلق ﴿فَيَكُونُ﴾ ما أراد ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾ فلا يقول باطلاً ﴿وَلَهُ الْمَلِكُ يَوْمَ يَنْفُخُ فِي الصُّورِ﴾ أي البوق ينفخ فيه إسرافيل لإحياء الأموات، وإنما خص ذلك اليوم بأن الملك له، لعظمة الملك في ذلك اليوم ﴿عَالَمُ الْغَيْبِ﴾ صفة (الذي خلق) والغيب ما غاب عن الحواس ﴿وَالشَّهَادَةِ﴾ ما شوهد بالحواس ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾ في أفعاله ﴿الْخَبِيرُ﴾ المطلع على الأشياء.

[٧٤] ﴿وَإِذْ﴾ واذكر يا رسول الله زمان ﴿قال إبراهيم لأبيه﴾ هو عمه، لأنه يطلق على العم: الأب ﴿آزر﴾ اسم عمه ﴿أنتخذ أصناماً آلهة﴾ استفهام إنكار، فإن عمه كان عابداً للأوثان ﴿إني أراك وقومك﴾ الذين يعبدون الأصنام ﴿في ضلال مبين﴾ ظاهر.

[٧٥] ﴿وكذلك﴾ كما أرينا إبراهيم عليه السلام قبح عبادة الأصنام ﴿نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض﴾ ملكهما بأن عرف أن لهما إلهاً، خلافاً لرؤية الجاهل فإنهم ينظرون إليهما غافلين، أو رأى عليه السلام الغرائب فيهما ﴿وليكون﴾ ولعله عطف على مقدر، أي تقديراً لإيمانه، وليكون ﴿من الموقنين﴾ يقيناً عينياً.

[٧٦] ﴿فلما جن﴾ أظلم ﴿عليه﴾ على إبراهيم عليه السلام ﴿الليل رأى﴾ إبراهيم عليه السلام ﴿كوكباً قال هذا ربي﴾ استفهام إنكار، أنكر به على عباد الكواكب ﴿فلما أفل﴾ وغاب ﴿قال لا أحب الآفلين﴾ حب عبادة.

[٧٧] ﴿فلما رأى القمر بازغاً﴾ طالعا ﴿قال هذا ربي﴾ استفهام إنكار ﴿فلما أفل﴾ غاب ﴿قال لئن لم يهدهني ربي﴾ إلى الحق ﴿لأكونن من القوم الضالين﴾.

[٧٨] ﴿فلما رأى الشمس بازغة﴾ قال هذا ربي هذا أكبر منهما ﴿فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون﴾ تجعلونه شريكاً مع الله.

[٧٩] ﴿إني وجهت وجهي﴾ نفسي صرفتها بالاعتقاد ﴿للذي فطر﴾ خلق ﴿السماوات والأرض حنيفاً﴾ مائلاً عن الشرك إلى الإيمان ﴿وما أنا من المشركين﴾.

[٨٠] ﴿وحاجه﴾ خاصمه ﴿قومه قال أنا حاجوني في الله﴾ استفهام إنكار، أي احتجاجكم لا يضلني ﴿وقد هداني﴾ أي والحال أن الله هداني إلى الدين ﴿ولا أخاف ما تشركون به﴾ أي لا أخاف من آلهتكم فإن القوم خوفوا إبراهيم عليه السلام عن آلهتهم ﴿إلا أن يشاء ربي شيئاً﴾ بأن يشأ الله أن يضريني، فالضرر بيده ﴿وسع ربي كل شيء علماً﴾ بخلاف أصنامكم الجاهلة ﴿أفلا تتذكرون﴾ فتميزون الحق من الباطل.

[٨١] ﴿وكيف أخاف ما أشركتم﴾ أي أصنامكم التي جعلتموها شركاء لله ﴿و﴾ كيف ﴿لا تخافون أنكم أشركتم بالله﴾ أي أنتم أحق بالخوف من الله ﴿ما لم ينزل﴾ الله ﴿به﴾ أي بكونه شريكاً ﴿عليكم سلطاناً﴾ دليلاً، إذ لا دليل على شركة الأصنام ﴿فأني الفريقين أحق بالأمن﴾ الموحدون أو المشركون ﴿إن كنتم تعلمون﴾ ما يحق أن يخاف منه.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ إِزَارَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ٧٤﴾ وَكَذَلِكَ نَرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى الْكُوكِبَ قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ٧٦﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْنَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يُرِيدُ بِرِيٍّ وَمِمَّا تَشْرِكُونَ ٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ٧٩﴾ وَحَاجُّهُ قَوْمُهُ قَالُوا أَتُحِبُّونَ فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَيْنَا وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ ٨٠﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ٨١﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ٨٢﴾

[٨٢] ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ أي لم يشركوا ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ هُودُوا إِلَى طَرِيقِ الْحَقِّ.

[٨٣] ﴿وَتِلْكَ﴾ التي تقدمت من حجة إبراهيم عليه السلام ﴿عَلَى الْمُشْرِكِينَ﴾ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ الْمُشْرِكِينَ ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ﴾ كما شئنا رفع درجات إبراهيم عليه السلام ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾.

[٨٤] ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمَن ذُرِّيَّتِهِ﴾ ذرية إبراهيم عليه السلام ﴿دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ فَإِنَّ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام لَمَّا أَحْسَنَ جَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ.

[٨٥ - ٨٦] ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ وإسماعيل واليسع ويونس ولوطاً وكلًّا فضلنا عَلَى الْعَالَمِينَ عَالَمِي زَمَانِهِمْ.

[٨٧] ﴿وَمَن آبَاؤُهُمْ﴾ عطف على (كُلًّا) ﴿وَذُرِّيَّاتُهُمْ وَإِخْوَانُهُمْ﴾ أي فضلنا هؤلاء وبعض آباءهم وأولادهم وإخوانهم ﴿وَاجْتَنَبْنَاهُمْ﴾ اخترناهم للنُّبُوَّةِ ﴿وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

[٨٨] ﴿ذَلِكَ﴾ الهدى لهؤلاء ﴿هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِّنْ عِبَادِهِ﴾ الَّذِينَ قَبَلُوا الْهَدَايَةَ ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَّ بِطَلِّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي مُحِي أَعْمَالَهُمُ الْخَيْرَةَ.

[٨٩] ﴿أُولَئِكَ﴾ مَن تَقَدَّمَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ جَنَسِ الْكِتَابِ السَّمَاوِيِّ ﴿وَالْحَكْمَ﴾ بَيْنَ النَّاسِ ﴿وَالنُّبُوَّةَ فَإِنَّ يَكْفُرُ بِهَا﴾ بِهَذِهِ الثَّلَاثَةِ ﴿هَؤُلَاءِ﴾ الْمَعَاصِرُونَ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا﴾ بِمَرَاعَاتِهَا ﴿قَوْمًا﴾ هُمُ الْمُسْلِمُونَ الَّذِينَ تَفَقَّهُوا حَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ مِّنْ بَعْدِ ﴿لَيْسُوا بِكَافِرِينَ﴾.

[٩٠] ﴿أُولَئِكَ﴾ الْأَنْبِيَاءُ هُمُ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبَهْدَاهُمُ اقْتَدَى أَيِ اقْتَدَى رَسُولَ اللَّهِ بِطَرِيقَةِ أُولَئِكَ ﴿قُلْ﴾ يَا رَسُولَ اللَّهِ ﴿لَا أَسْأَلُكُمْ﴾ لَا أَطْلُبُ مِنْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ ﴿عَلَيْهِ﴾ عَلَى الْهَدَى ﴿أَجْرًا إِنْ هُوَ﴾ أَيِ لَيْسَ الْقُرْآنُ ﴿إِلَّا ذِكْرًا﴾ تَذْكِيرًا وَمَوْعِظَةً لِلْعَالَمِينَ.

الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِلْيَاسَ وَيُوسُفَ وَلُوطًا كُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِن آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَنَبْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِّنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِكَاذِبِينَ ﴿٨٩﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبَهْدَاهُمْ أَقْتَدَى قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾

[٩١] ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَن أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾ فإنهم قالوا لم ينزل الله كتاباً على نبي فكيف تقول أنت يا محمد نزل عليك القرآن ﴿قُلْ﴾ يا رسول الله ﴿مَن أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُوراً﴾ يستضاء به في الدين ﴿وَهَدَىٰ لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ﴾ أي ذلك الكتاب، وهذا تأكيد لإنزال الله تعالى ﴿قُرْآنِيسَ﴾ كتاباً وصحفاً ﴿تُبْدُونَهَا﴾ أي تظهرون بعضها ﴿وَتُخْفُونَ كَثِيراً﴾ مما في الكتاب من صفات الرسول ﷺ والأحكام ﴿وَعَلَّمْتُمْ﴾ بواسطة كتاب بموسى ﷺ ﴿مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ﴾ معاشر اليهود قبل نزول الكتاب ﴿وَلَا أَبَاؤُكُمْ﴾ الذين كانوا قبل موسى ﷺ ﴿قُلْ﴾ أنزله ﴿اللَّهُ﴾ فقولكم بأنه لم ينزل كتاباً كذب ﴿ثُمَّ ذَرَهُمْ﴾ دعمهم يا محمد ﷺ ﴿فِي خَوْضِهِمْ﴾ أباطيلهم حال كونهم ﴿يَلْمِزُونَ﴾.

[٩٢] ﴿وَهَذَا﴾ القرآن ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مَبْرُكاً﴾ كثير الخير ﴿مُصَدِّقٌ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي التوراة ﴿وَلِتُنذِرَ﴾ عطف على المعنى أي للبركة والإنذار ﴿أُمُّ الْقُرَى﴾ مكة ﴿وَمِنْ حَوْلِهَا﴾ والذين يؤمنون بالآخرة ﴿أَيُّ يَوْقِنُونَ﴾ بوجود الحساب والجزاء ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ أي بالقرآن ﴿وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ يراعونها.

[٩٣] ﴿وَمَن أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِباً﴾ بأن نسب إلى الله شيئاً كذباً ﴿أَوْ قَالَ أُوْحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوْحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ كمسيلمه وسجاح ﴿وَمَن قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ فإنهم قالوا: لو نشاء لقلنا مثل هذا ﴿وَلَوْ تَرَىٰ﴾ أيها الرائي ﴿إِذْ الزَّمَانُ﴾ الظالمون في غمرات الموت ﴿شَدَّادُهُ﴾ من غمره الماء إذا غشيه ﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾ باسطوا أيديهم ﴿أَيُّ أَمْدُوهُا﴾ لقبض أرواحهم، قائلين ﴿أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمْ﴾ إلينا لنقبضها ﴿الْيَوْمَ﴾ تجزون عذاب الهون ﴿أَيُّ الْعَذَابِ الَّذِي تَلْقَوْنَ فِيهِ الْهُونَ﴾ بما ﴿أَيُّ سَبَبٍ مَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ فلا تعملون بها.

[٩٤] ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا﴾ للحساب والجزاء ﴿فِرَادَى﴾ منفردين عن الأعوان والأنصار ﴿كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ من بطن أمهاتكم ﴿وَتَرْكُتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ﴾ أعطيناكم في الدنيا ﴿وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾ تركتم الأموال وحملتكم الذنوب ﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ﴾ أي الذين زعمتم أنهم يشفعون لكم، فقد قال بعض الكفار سوف يشفع لي اللات والعزى ﴿الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ﴾ أي شركاء لله، في استحقاق عبادتكم لها ﴿لَقَدْ نَقَطَ بَيْنَكُمْ﴾ أي انقطع الوصل بينكم وبين الأصنام ﴿وَضَلَّ﴾ ضاع ﴿عَنكُمْ مَا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ أنهم آلهة.

وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَن أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُوراً وَهَدَىٰ لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قُرْآنِيسَ يُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً وَعَلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلْ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مَبْرُكاً مُّصَدِّقٌ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمُّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوْحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْرَزُونَ عَذَابُ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فِرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرْكُتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ نَقَطَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾

[٩٥] ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْغَيْثِ﴾ أي يشق ﴿الْحَبَّ﴾ كالحنطة، لإخراج النبات ﴿وَالنَّوَى﴾ لإخراج النخل والشجر ﴿يَخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ كالحيوان من البيضة ﴿وَيَخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ كالبيضة من الطير ﴿ذَلِكُمْ﴾ (كم) خطاب للسامعين ﴿اللَّهُ فَاتِي تَوَفِكُوكُمْ﴾ تصرفون عنه مع وضوح الدليل.

[٩٦] ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾ أي شاق عمود الصباح عن ظلمة الليل ﴿وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا﴾ يسكن الخلق فيه للاستراحة ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانًا﴾ أي لأجل حساب الأوقات والفصول ﴿ذَلِكَ﴾ الذي جعله ﴿تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾.

[٩٧] ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْيَوْمِ﴾ فإن الإنسان يهتدي في الظلمة بسبب النجم ﴿قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ﴾ بيّنات الحجج ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ فإن العالم هو المستفيع بالآيات.

[٩٨] ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ آدم عليه السلام، فإنه الأصل ﴿فَبِكُمْ﴾ لكم ﴿مُسْتَقَرٌّ﴾ في الأرض ﴿وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ في الصلب، أو مستقر في الآخرة والمستودع في الدنيا ﴿قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُفْقَهُونَ﴾ أي يفهمون.

[٩٩] ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ المطر ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من أنواع النباتات ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ﴾ من النبات ﴿خَضِرًا﴾ أي شيئاً أخضر ﴿نَخْرُجُ مِنْهُ﴾ أي من الخضر ﴿حَبًّا مُتَرَاكِبًا﴾ تركب بعضه على بعض كسنبلة الحنطة ﴿وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا﴾ بدل من (النخل) ^(١) ﴿قُتُونًا﴾ مبتدأ ^(٢)، وهو جمع قن، بمعنى الغدق الذي فيه التمر ﴿دَانِيَةً﴾ أي قريبة التناول ﴿وَجَنَّاتٍ﴾ عطف على (نبات) جمع جنة بمعنى البستان ﴿مِنَ الْأَعْنَابِ وَالزَّيْتُونِ وَالرَّيْحَانِ مِثْلَهَا﴾ أي بعض هذه الثمار تشبه الأخرى وبعضها لا تشبهه ﴿وغير متشابهه انظروا إلى ثمره﴾ أي ثمر كل واحد من هذه الأشجار ﴿إِذَا أثمر ويثمره﴾ أي نضجه، أي انظروا من أول خروجه إلى آخر إدراكه الكمال ﴿إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ﴾ دلالات على وجود الصانع وصفاته ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

[١٠٠] ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾ أي قالوا إن لله شركاء هم الجن كما في آية أخرى: (وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً) ^(٣) ﴿وَالْحَالُ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَهُمْ﴾ فالمخلوق كيف يكون شريكاً للخالق ﴿وَحَرَقُوا﴾ اختلفوا ﴿لَهُ بَنِينَ﴾ كما قالت اليهود والنصارى في عزيز والمسيح عليه السلام ﴿وَبَنَاتٍ﴾ كما قال المشركون الملائكة بنات الله ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ فإنهم قالوا هذا القول اعتباطاً ﴿سُبْحَانَهُ﴾ أنزهه تنزيهاً ﴿وَتَعَالَى﴾ ترفع ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ من أن يكون له شريك وولد.

[١٠١] ﴿هُوَ﴾ أي مبدع ﴿السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَتَى﴾ كيف ﴿يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ﴾ الحال أنه ﴿لَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ﴾ أي زوجة وهل يكون الولد إلا من زوجة ﴿وَخُلِقَ كُلُّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْغَيْثِ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيَخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمْ اللَّهُ فَاتِي تَوَفِكُوكُمْ﴾ فالق الإصباح وجعل الليل سكناً والشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْيَوْمِ قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُفْقَهُونَ﴾ ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نَخْرُجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قُتُونًا دَانِيَةً وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونِ وَالرَّيْحَانِ مِثْلَهَا وَغَيْرِ مَثَلٍ لِّهِنَّ أَنْظَرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعَىٰ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا اللَّيْلَ وَبَنَتِ بَغْيَ عِلْمِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ ﴿يَدْعِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضُ أَنِّي يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخُلِقَ كُلُّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

(١) طلع النخل: أول ما يبدو من ثمره.

(٢) وخبره: دانية.

(٣) سورة الصافات: ١٥٨.

[١٠٢] ﴿ذَلِكُمْ﴾ الموصوف بما ذكر من الأوصاف الكمالية ﴿الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل﴾ يتولى كل أمر.

[١٠٣] ﴿لا تدركه الأبصار﴾ فإنه تعالى لا يرى ﴿وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف﴾ النافذ في الأشياء ﴿الخبير﴾.

[١٠٤] ﴿قد جاءكم بصائر﴾ حجج ﴿من ربكم فمن أبصر﴾ الحق ﴿فلنفسه﴾ يعود خيره إلى نفسه ﴿ومن عمي﴾ عن الحق ولم يره ﴿فعليها﴾ فضرره على نفسه ﴿وما أنا عليكم بحفيظ﴾ لا أحفظ أعمالكم، وإنما أنا منذر لكم.

[١٠٥] ﴿وكذلك﴾ أي هكذا ﴿نصرف الآيات﴾ نذكرها ونبينها ﴿وليقولوا﴾ اللام للعاقبة، أي عاقبة إراءة الآيات لهم أنهم يقولوا ﴿درست﴾ قرأت الآيات على اليهود وتعلمتها منهم، عوض أن يؤمنوا بها ﴿ولنبينه﴾ أي القرآن ﴿لقوم يعلمون﴾ فإن من بصدد العلم يتنفع بالآيات.

[١٠٦] ﴿اتبع ما أوحى إليك من ربك لا إله إلا هو وأعرض عن المشركين﴾ لا تتبع آراءهم الشركية.

[١٠٧] ﴿ولو شاء الله ما أشركوا﴾ لأنه قادر أن يجبرهم على التوحيد، لكن الجبر خلاف الامتحان ﴿وما جعلناك عليهم حفيظاً﴾ مراقباً لأعمالهم ﴿وما أنت عليهم بوكيل﴾

ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيزٍ ﴿١٠٤﴾ وَكَذَلِكَ نَصْرِفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾ اتَّبِعْ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَعْرَضَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيزًا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾ وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدُوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِنَّ رَبَّهُمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنَقَلِبْ أَقْسَامَهُمْ بِأَعْيُنِهِمْ فَكَمَا لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرَهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾

فتجبرهم، بل أنت منذر لهم.

[١٠٨] ﴿ولا تسبوا﴾ أي الأصنام ﴿يدعون﴾ يدعو المشركون لتلك الأصنام، أي يقولون إنها أرباب ﴿من دون الله فيسبوا﴾ المشركون ﴿الله﴾ للمقابلة بالمثل ﴿عدوا﴾ أي تعدياً عن الحق إلى الباطل ﴿بغير علم﴾ لأن المشرك جاهل، ولذا يسبوا الله إذا سببتم آلهتهم، ومعنى (زيننا) تركناهم وشأنهم بعد إعراضهم عن الحق حتى يروا أعمالهم حسنة ﴿ثم إلى ربهم﴾ إلى جزائه ﴿مرجعهم﴾ مصيرهم ﴿فينبئهم﴾ أي يخبرهم لأجل الجزاء ﴿بما كانوا يعملون﴾.

[١٠٩] ﴿واقسموا بالله جهد أيمانهم﴾ أي بالآيمان المغلظة ﴿لئن جاءتهم آية﴾ أي معجزة مما اقترحوها ﴿ليؤمننَّ بها﴾ أي بتلك الآية ﴿قل إنما الآيات عند الله﴾ فيأتي بها إن شاء، وليست عندي ﴿وما يشعركم﴾ أيها المسلمون ﴿أنها﴾ الآية المقترحة ﴿إذا جاءت﴾ بأن أنزلها الله تعالى ﴿لا يؤمنون﴾ كما طلبوا عن الأنبياء السابقين فلما جاءت لم يؤمنوا.

[١١٠] ﴿ونقلب أقدارهم﴾ أي قلوبهم حتى لا تستقر على عقيدة، فهي مضطربة دائماً ﴿وأبصارهم﴾ فإن القلب غير المستقر تتبعه العين في النظر هنا وهناك التماساً لملجأ واطمئنان ﴿كما لم يؤمنوا به﴾ أي بالقرآن ﴿أول مرة﴾ فإنهم بتركهم الإذعان ذهب عنهم الاستقرار ﴿ونذرهم في طغيانهم يعمهون﴾ يترددون، نتركهم ولا نفعل بهم الألفاظ الخفية.

[۱۱۱] ﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ﴾ حتى يرونها ﴿وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى﴾ فقالوا لهم إن محمداً ﷺ رسول ﴿وحشرنا﴾ أي جمعنا ﴿عليهم كل شيء قبلاً﴾ مقابلة ومواجهة، بأن جاءهم كل شيء يشهد بالرسالة لمحمد ﷺ ﴿ما كانوا ليؤمنوا﴾ لعنادهم ﴿إلا أن يشاء الله﴾ بأن يجبرهم على الإيمان ﴿ولكن أكثرهم يجهلون﴾ فيظنون أنه لو أتتهم الآيات المقترحة آمنوا.

[۱۱۲] ﴿وكذلك﴾ كما أن لك عدواً من هؤلاء الكفار ﴿جعلنا لكل نبي عدواً﴾ وإنما نسب الجعل إليه تعالى لأنه ترك الأعداء من قدرته على إبادتهم ﴿شياطين﴾ يدل من العدو، والمراد المارد الطاغى من ﴿الإنس والجن يوحى﴾ أي يوسوس ﴿بعضهم﴾ أي بعض الأعداء إلى بعض زخرف القول ﴿باطله﴾ غروراً ﴿أي لأجل أن يغر بعضهم بعضاً ويخدع أحدهم الآخر﴾ ولو شاء ربك ما فعلوه ﴿بأن يمنعهم عن ذلك﴾ فذرهم ﴿أي دعهم﴾ وما يفترون ﴿أي افتراءهم﴾، وهذا تهديد لهم.

[۱۱۳] ﴿ولتصغى﴾ عطف على (غروراً)، أي إنهم يوحون لأجل أن تميل ﴿إليه﴾ إلى زخرف القول ﴿أفئدة﴾ قلوب ﴿الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه﴾ أي يرضوا الباطل ﴿وليقترفوا ما هم مقترفون﴾ أي يكتسبوا الإنم الذي هم يكسبونه.

[۱۱۴] ﴿أفغير الله﴾ استفهام إنكار ﴿أبتغي حكماً﴾ أي أطلب من يحكم بينكم وبينى ﴿وهو الذي أنزل إليكم الكتاب﴾ القرآن ﴿مفصلاً﴾ مبيناً فيه الحق والباطل ﴿والذين آتيناكم الكتاب﴾ أي اليهود والنصارى ﴿يعلمون أنه منزل من ربك بالحق﴾ لأنهم يقرأون كتبهم التي فيها أوصاف النبي ﷺ ﴿فلا تكونن من الممترين﴾ أي الشاكين، فإنه شيء معروف حتى عند أهل الكتاب.

[۱۱۵] ﴿وتمت كلمة ربك﴾ أي بلغت الغاية في إحكامه وأحكامه، والمراد كلما قاله تعالى ﴿صدقاً﴾ في الأخبار والمواعيد ﴿وعدلاً﴾ في الأصول والفروع ﴿لامبدل لكلماته﴾ لا يبدل أحد كلمات الله بأن يأتي بأصدق وأعدل منها ﴿وهو السميع العليم﴾.

[۱۱۶] ﴿وإن تطع أكثر من في الأرض﴾ من الكفار ﴿يضلوك عن سبيل الله﴾ ما ﴿يتبعون إلا الظن﴾ فإنهم يعملون بالظنون ﴿وإن هم﴾ ما هم ﴿إلا يخرصون﴾ يكذبون.

[۱۱۷] ﴿إن ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾ أي هو أعلم بالفرقيين، فلا تطع المضلين.

[۱۱۸] ﴿فكلوا﴾ لما صار القرار عدم اتباع المضلين، فلا تطيعوهم في قولهم: تحرم الذبيحة وتحل الميتة، بل كلوا ﴿مما ذكر اسم الله عليه﴾ عند الذبح ﴿إن كنتم بآياته مؤمنين﴾.

﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ﴾ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِنَصْنَعِ الْإِنْسَ آفِئَةً الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرَوْهُ وَليَقْرَبُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حِكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبْدِلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِنْ تَطَّعْ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يَضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنْ رَبُّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾ فَكُلُوا مِمَّا ذَكَرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾

وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرَرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنْ كَثِيرٌ لَّيْضُلُونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾ وَذُرُوا ظَاهِرَ الْأَيْتِمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْأَيْتِمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ الَّتِي ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيَوْحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجْعِدُوا لَكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ أَوْ مِنْ كَانَ مِيثَاقَ حَيْثُ جَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مَجْرُمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا أَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾

[١١٩] ﴿وما لكم﴾ أي غرض لكم ﴿ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه﴾ فإن الكفار كانوا يقولون تحرم ذبيحة الإنسان وتحل ما أماته الله ﴿وقد فصل﴾ في قوله (حرم عليكم الميتة)^(١) ما يحل وما لا يحل ﴿لكم ما حرم عليكم﴾ إلا ما اضطررتم إليه ﴿فإنه حلال﴾ وإن كان حراماً في حال الاختيار ﴿وان كثيراً﴾ من الناس ﴿ليضلون بأهوائهم﴾ وأرائهم الباطلة ﴿بغير علم﴾ إن ربك هو أعلم بالمعتدين الذين يجاوزون الحق في التحريم والتحليل.

[١٢٠] ﴿وذروا﴾ دعوا ﴿ظاهر الأيتام وباطنه﴾ أي العصيان الجهري والخفي ﴿إن الذين يكسبون الأيتام سيجزون بما كانوا يقترفون﴾ أي يكسبون.

[١٢١] ﴿ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه﴾ عند الذبح ﴿وإنه﴾ أي أكله ﴿لفسق﴾ أي خروج عن طاعة الله ﴿وان الشياطين ليوحون﴾ يوسوسون ﴿إلى أوليائهم ليجادلوكم﴾ في تحليل الميتة ﴿وان أطمعتموهم﴾ في استحلال الميتة ﴿إنكم لمشركون﴾ بترك دين الله إلى دينهم.

[١٢٢] ﴿أو من كان ميثاقاً كافراً﴾ فإن الكفر يوجب موت الروح ﴿فأحييناه﴾ بالإيمان ﴿وجعلنا له نوراً﴾ منهاجاً يرى به طريق الحق والسعادة ﴿يمشي به﴾ أي بسبب ذلك النور ﴿في الناس﴾ فهو بينهم على هدى ﴿كمن مثله﴾ مثل من ﴿في الظلمات﴾ استفهام إنكاري، أي لا يتساويان ﴿ليس بخارج منها كذلك﴾ زين للكافرين ما كانوا يعملون.

﴿في الظلمات﴾ استفهام إنكاري، أي لا يتساويان ﴿ليس بخارج منها كذلك﴾ زين للكافرين ما كانوا يعملون.

[١٢٣] ﴿وكذلك﴾ أي كما جعلنا في مكة مجرمين كبار يمكرون، ومعنى جعله تعالى تركه إياهم وشأنهم ﴿جعلنا في كل قرية أكابر﴾ جمع أكبر ﴿مجرميها﴾ أي المجرمين الكبار ﴿ليمكروا﴾ اللام للعاقبة ﴿فيها﴾ أي في تلك القرية ﴿وما يمكرون﴾ إلا بأنفسهم ﴿لأن عاقبة المكر ترجع إلى الماكر﴾ وما يفهمون أنهم يمكرون بأنفسهم.

[١٢٤] ﴿وإذا جاءتهم﴾ أي جاءت هؤلاء الأكابر ﴿آية﴾ معجزة ﴿قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله﴾ بأن يوحى الله إلينا كما أوحى إلى الرسل ﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾ فإنها تحتاج إلى موضع قابل لائق ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾ فعلوا القبيح ﴿صغار﴾ ذل وحقارة ﴿عند الله﴾ في الآخرة ﴿وعذاب شديد بما كانوا يمكرون﴾ بسبب مكروهم.

[١٢٥] ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرْمًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ﴾ كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون ﴿١٢٥﴾ وهذا صراط ربك مستقيماً قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون ﴿١٢٦﴾ ﴿لَهُمْ دَارُ السَّكْرَةِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَيْلُهُمْ يَمَّا كَانَُوا يُعْمَلُونَ﴾ ويوم يحشرهم جميعاً ينمشر الحين قد استكثرتم من الإنس وقال أولياؤهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا قال النار مثوكم خالدين فيها إلا ما شاء الله إن ربك حكيم عليهم ﴿١٢٧﴾ وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً يما كانوا يكسبون ﴿١٢٨﴾ ينمشر الحين والإنس أولياؤكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين ﴿١٢٩﴾ أن لم يكن ربك مهلك القرى يظلم أهلها غفلون ﴿١٣٠﴾

[١٢٦] ﴿وهذا﴾ الإسلام ﴿صراط ربك مستقيماً﴾ حال عن (الصراط) ﴿قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون﴾ أي يذكرون، فانهم هم المستفوعون بالإسلام.

[١٢٧] ﴿لَهُمْ﴾ لمن تذكر ﴿دار السلام﴾ السلامة من المكارة، والمراد بالدار الجنة ﴿عند ربهم وهو وليهم﴾ يتولى أمورهم ﴿بما كانوا يعملون﴾ بسبب أعمالهم الصالحة.

[١٢٨] ﴿ور﴾ اذكر يا رسول الله ﴿يوم يحشرهم جميعاً﴾ يجمعهم للجزاء، يقول ﴿يا معشر﴾ يا جماعة ﴿الجن قد استكثرتم من الإنس﴾ أي جعلتموهم أتباعكم بالوسوسة إليهم وإضلالهم ﴿وقال أولياؤهم﴾ أي أتباع الشياطين ﴿من الإنس﴾ بيان (أولياؤهم) ﴿ربنا استمتع﴾ انتفع فإن

الإنس انتفع بالجن حيث كان الجن مثل الأمير الموجه ﴿بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا﴾ أي وصلنا إلى آخر مدة حياتنا في الدنيا، وهذا شرح لأحوالهم الدنيوية ﴿قال﴾ الله ﴿النار مثوكم﴾ أي مقامكم ﴿خالدين فيها﴾ في حال كونكم فيها إلى الأبد ﴿إلا ما شاء الله﴾ حيث يخرجهم من النار ﴿إن ربك حكيم عليهم﴾.

[١٢٩] ﴿وكذلك﴾ أي هكذا ﴿نولي بعض الظالمين بعضاً﴾ كما جعلنا الولاية بين الجن والإنس ﴿بما كانوا يكسبون﴾ أي بسبب كسبهم السيئات، فإن المجرم ولي المجرم.

[١٣٠] ويقال لهم ﴿يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم﴾ أي من هذا المجموع، وإلا فالرسل من الإنس ﴿يقصون﴾ يبينون ﴿عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا﴾ أي يوم القيامة ﴿قالوا شهدنا على أنفسنا﴾ بالجرم والعصيان ﴿وغرتهم﴾ خدعتهم حتى ارتكبوا الآثام ﴿الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين﴾.

[١٣١] ﴿ذلك﴾ إرسال الرسل إنما هو لأجل ﴿أن لم يكن ربك مهلك القرى﴾ أي أهل القرى ﴿بظلم﴾ بأن يظلمهم في إهلاكهم ﴿وأهلها غافلون﴾ أي بدون رسول يرشدهم.

فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرْمًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذْكُرُونَ ﴿١٢٦﴾ لَهُمْ دَارُ السَّكْرَةِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَيْلُهُمْ يَمَّا كَانَُوا يُعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَنْمَشَرُ الْحَيْنُ قَدْ اسْتَكْرَثْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَجْلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَلِكَ نُولِي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا يَمَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ يَنْمَشَرُ الْحَيْنُ وَالْإِنْسُ أَوْلِيَاؤُكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقْصُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَلِكَ أَن لَّمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ﴿١٣١﴾

بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا﴾ أي وصلنا إلى آخر مدة حياتنا في الدنيا، وهذا شرح لأحوالهم الدنيوية ﴿قال﴾ الله ﴿النار مثوكم﴾ أي مقامكم ﴿خالدين فيها﴾ في حال كونكم فيها إلى الأبد ﴿إلا ما شاء الله﴾ حيث يخرجهم من النار ﴿إن ربك حكيم عليهم﴾.

[١٢٩] ﴿وكذلك﴾ أي هكذا ﴿نولي بعض الظالمين بعضاً﴾ كما جعلنا الولاية بين الجن والإنس ﴿بما كانوا يكسبون﴾ أي بسبب كسبهم السيئات، فإن المجرم ولي المجرم.

[١٣٠] ويقال لهم ﴿يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم﴾ أي من هذا المجموع، وإلا فالرسل من الإنس ﴿يقصون﴾ يبينون ﴿عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا﴾ أي يوم القيامة ﴿قالوا شهدنا على أنفسنا﴾ بالجرم والعصيان ﴿وغرتهم﴾ خدعتهم حتى ارتكبوا الآثام ﴿الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين﴾.

[١٣١] ﴿ذلك﴾ إرسال الرسل إنما هو لأجل ﴿أن لم يكن ربك مهلك القرى﴾ أي أهل القرى ﴿بظلم﴾ بأن يظلمهم في إهلاكهم ﴿وأهلها غافلون﴾ أي بدون رسول يرشدهم.

[١٣٢] ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا رُبُّكَ يَفْضِلُ عَلَيْهَا مِمَّا عَمِلُوا﴾ أي بسبب ما عملوا ﴿وَمَا رُبُّكَ يَفْضِلُ عَلَيْهَا مِمَّا عَمِلُوا﴾ بل عالم بأعمالهم ويجازيهم حسبها.

[١٣٣] ﴿وَرُبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ بِكُمْ مِمَّا يَشَاءُ﴾ أي البشر ويجعل خلفاً ﴿مِمَّا يَشَاءُ﴾ من بعدكم ما يشاء من الخلق ﴿كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾ بأن ذهب بهم وجاء بكم خليفة لهم.

[١٣٤] ﴿إِنْ مَا تَوَعَّدُونَ﴾ من البعث ﴿لَا ت﴾ يأتي لا محالة ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ لا تتمكنون من أن تجعلوه عاجزاً فلا يتمكن من البعث.

[١٣٥] ﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾ أي منزلتكم، وهذا كقولك: اعمل ما شئت، تهديداً ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾ بما أمرني الله ﴿فَسَوْفَ﴾ في الآخرة ﴿تَعْلَمُونَ﴾ من تكون له عاقبة الدار العاقبة الحسنى في الآخرة ﴿إِنَّهُ لَا يَفْلَحُ﴾ لا يفوز ﴿الظَّالِمُونَ﴾.

[١٣٦] ﴿وَجَعَلُوا﴾ أي الكفار ﴿لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ﴾ أي خلق الله ﴿مِنْ الْحَرْثِ﴾ الزرع ﴿وَالْأَنْعَامِ﴾ الدواب ﴿نَصِيباً﴾ أي قسماً ﴿فَقَالُوا﴾ بيان (جعلوا) ﴿هَذَا﴾ القسم ﴿لِلَّهِ﴾ بزعمهم ﴿أَنَّهُ يَكُونُ لِلَّهِ﴾ وهذا القسم ﴿لِلشُّرَكَائِ﴾ أي الأصنام، فكانوا يطعمون الضيوف ما لله، ويعطون ما للأصنام لسدنتها ﴿فَمَا كَانَ لِلشُّرَكَائِهِمْ﴾ لأن العمل للمشرك فيه لا يقبله الله، فكانه أيضاً للأصنام ﴿فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ﴾ وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء ﴿بِشْ﴾ ما يحكمون هذا الحكم والتقسيم.

[١٣٧] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما زين الكفار هذا التقسيم ﴿زَيْنَ لَكثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَائِهِمْ﴾ فاعل (زين)، أي زين الشركاء والأصنام في نفس المشركين أن يقتلوا أولادهم بالوآد وقتلهم قرباناً للأصنام ﴿لِيرُدُّوهُمْ﴾ علة (زين)، أي إنما زين الشركاء القتل بقصد إهلاك المشركين ﴿وَلِيَلْبِسُوا﴾ أي يخلطوا ﴿عَلَيْهِمْ﴾ أي على المشركين ﴿دِينَهُمْ﴾ أي ما كانوا عليه من دين إبراهيم عليه السلام ثم فقد أدخل الشيطان الباطل في عقيدتهم بقصد خلط الباطل بالحق ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ﴾ بإجبارهم على الترك ﴿فَذَرَهُمْ﴾ أي اتركهم يا رسول الله ﴿وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ أي افترائهم على الله.

وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا رُبُّكَ يَفْضِلُ عَلَيْهَا مِمَّا عَمِلُوا ﴿١٣٢﴾ وَرُبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ بِكُمْ مِمَّا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ آخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنْ مَا تَوَعَّدُونَ ﴿١٣٤﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٥﴾ قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مِنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيباً فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرِغْمِهِمْ وَهَذَا لِلشُّرَكَائِ فَكَانَ لِلشُّرَكَائِ بِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٧﴾ وَكَذَلِكَ زَيْنَ لَكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَائُهُمْ لِيرُدُّوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾

[١٣٨] ﴿وَقَالُوا﴾ أي الكفار ﴿هذه أنعام﴾ دواب ﴿وحرث﴾ زرع ﴿حجر﴾ حرام على كل الناس وإنما ﴿لا يطعمها إلا من نشاء﴾ من سدنة الأصنام ﴿بزعهم﴾ أنه حرام لغير السدنة، بدون حجة ﴿وأنعام حرمت ظهورها﴾ فلا تركب وهي السائبة والبحيرة كما تقدم ﴿وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها﴾ عند ذبحها ﴿افتراء عليه﴾ أي على الله فإنهم نسبوا هذه الخرافات إلى الله تعالى ﴿سيجزيهم بما كانوا يفترون﴾ أي بسبب افتراءهم.

[١٣٩] ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ﴾ أي أولاد السائبة والبحيرة ﴿خالصة لذكورنا﴾ لا يجوز تناول الإناث منها ﴿ومحرم على أزواجنا﴾ أي نساتنا، وذلك إذا ولدت حية ﴿وإن يكن ميتة﴾ بأن ولدت في حال كون الولد ميتاً ﴿فهم﴾ الذكور والإناث ﴿فيه﴾ في الولد ﴿شركاء﴾ يجوز لكليهما أن يأكلا منه ﴿سيجزيهم وصفهم﴾ أي ما يصفون من نسبة الكذب إلى الله ﴿إنه حكيم عليم﴾.

[١٤٠] ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ﴾ بالوآء أو الذبج للأصنام ﴿سفهاً﴾ عن سفاهة ﴿بغير علم﴾ أي بالجهل بالأحكام الإلهية ﴿وحرموا ما رزقهم الله﴾ مما تقدم ذكره ﴿افتراء على الله﴾ لأنهم نسبوا التحريم إلى الله ﴿قد ضلوا وما كانوا مهتدين﴾ لم يهتدوا إلى الحق.

[١٤١] ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ﴾ خلق ﴿جثث﴾ بساتين

﴿معروشات﴾ مرفوعات على ما يحملها، كالكروم ﴿وغير معروشات﴾ كالأشجار والنخل والزرع مختلفاً أكله ﴿أي ثمره طعماً ولوناً وشكلاً وخاصة﴾ والزيتون والرمان متشابهاً ﴿في الطعام وغيره﴾ وغير متشابهة كلوا من ثمره ﴿ثمر كل واحد من هذه الأشجار والزرع﴾ إذا أثمر وآتوا حقه ﴿الذي قرره الله من زكاة أو غيره﴾ يوم حصاده ﴿أي يوم قطع الشجرة ولا تسرفوا﴾ الإسراف الزيادة عن ما قرره الله تعالى ﴿إنه لا يحب المفسرين﴾.

[١٤٢] ﴿و﴾ أنشأ ﴿من الأنعام﴾ الدواب ﴿حمولة﴾ ما يحمل الأثقال ﴿وفرشاً﴾ يصنع من جلد الدواب ﴿كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان﴾ كأن الشيطان مشى في طريق فمشى الإنسان في نفس ذلك الطريق ﴿إنه﴾ الشيطان ﴿لكم عدو مبين﴾ أي ظاهر العداوة.

وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرِّثُ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بَرِعَ بِهِمْ وَأَنْعَمُ حَرَمْتُ ظُحُورَهَا وَأَنْعَمُ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَاءَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُن مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُمُ وَالزَّيْتُونَ وَالرَّمَانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ وَمِنْ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَسَاتٌ كُلُوا مِنْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٤٢﴾

[١٤٣] ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ أي ثمانية أقسام بدل من الحمولة والفرش ﴿مِنَ الضَّأْنِ﴾ الغنم ﴿اِثْنَيْنِ﴾ ذكر وأنثى ﴿وَمِنَ الْمُعْزِ﴾ الصخل ﴿اِثْنَيْنِ قُلٍّ﴾ يا رسول الله ﴿ءَالْذَكَرَيْنِ﴾ أي هل الذكرين، ذكر الضأن أو ذكر المعز ﴿حَرَمَ﴾ الله ﴿أُمَّ الْأَنْثَيْنِ﴾ منهما ﴿أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأَنْثَيْنِ﴾ أي: أو حرم ما حملت إناث الجنسين، ذكراً كان المحمول أو أنثى ﴿يَبْنُوْنِي﴾ أخبروني عما حرمه الله من هذه الأجناس ﴿يَعْلَمُ﴾ أي عن مصدر علمي لا بمجرد تقليد وظن ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ بأن الله حرم بعض هذه الأقسام.

[١٤٤] ﴿وَمِنَ الْإِبِلِ اِثْنَيْنِ﴾ الذكر والأنثى ﴿وَمِنَ الْبَقَرِ اِثْنَيْنِ قُلٍّ﴾ والذَكَرَيْنِ حَرَمَ أُمَّ الْأَنْثَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأَنْثَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ حَاضِرِينَ ﴿إِذْ وَضَاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا﴾ التحريم، فهل لكم علم أو مشاهدة ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بنسبة التحريم إليه ﴿لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ بدون أن يعلم أن الله قال ذلك ﴿إِنْ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ الذين عاندوا في الظلم والافتراء.

[١٤٥] ﴿قُلٍّ﴾ يا رسول الله ﴿لَا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ من القرآن ﴿مَحْزَمًا﴾ مما ذكرتم تحريمه ﴿عَلَى طَاعِمٍ يَبْعَمُهُ﴾ على أكل يأكله ﴿إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِثْنَةً أَوْ دُمًا مَسْفُوحًا﴾ أي مصبوحاً كالدم في العروق لا الباقي في

القلب مثلاً ﴿أَوْ لَحْمِ خَنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رَجَسٌ﴾ قدر نجس ﴿أَوْ فَسَقًا﴾ أي لحماً أكله خروج عن طاعة الله لأنه ﴿أَهْلٌ لِّغَيْرِ اللَّهِ﴾ أي ذبح على اسم الصنم، والإهلال رفع الصوت عند الذبح ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ﴾ إلى تناول شيء من المحرمات ﴿غَيْرِ بَاغٍ﴾ أي لم يكن هو طالباً للأكل ﴿وَلَا عَادٍ﴾ لم يتعد في أكله حد الضرورة ﴿فَإِنْ رَبُّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

[١٤٦] ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا﴾ اليهود، قبل نسخ شريعتهم ﴿حَرَمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ﴾ كل ذي إصبع كالإبل والطيور والسباع، أو كل ذي مخلب وظفر ﴿وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ شَحُومَهُمَا﴾ كل شحم ﴿إِلَّا مَا﴾ أي شحمًا ﴿حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا﴾ أي اشتمل الظهر على ذلك الشحم ﴿أَوِ الْحَوَايَا﴾ أي ما اشتمل عليه الأمعاء، جمع حاوية ﴿أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ كشحم الإلية المختلطة بالعصص ﴿ذَلِكَ﴾ التحريم ﴿جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ﴾ أي بسبب ظلمهم ﴿وَأَنَّا لَصَادِقُونَ﴾.

ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اِثْنَيْنِ وَمِنَ الْمُعْزِ اِثْنَيْنِ قُلٍّ ۖ وَالذَّكَرَيْنِ حَرَمٌ أَمَّا الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ نَبْنُوْنِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۖ وَمِنَ الْإِبِلِ اِثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اِثْنَيْنِ قُلٍّ ۖ وَالذَّكَرَيْنِ حَرَمٌ أَمَّا الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَضَعَكُمُ اللَّهُ فِي بَهْدٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۖ قُلٍّ ۖ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَبْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِثْنَةً أَوْ دُمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رَجَسٌ أَوْ فِسْقًا أَوْ أَهْلٌ لِّغَيْرِ اللَّهِ ۚ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۖ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ شَحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ۖ

[١٤٧] ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبِّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾ فلا تغتروا بالإمهال، وإنما رحمته أمهلکم ثم يأخذکم ﴿وَلَا يَرُدُّ بَأْسَهُ﴾ عذابه ﴿عَنِ الْقَوْمِ الْمَجْرِمِينَ﴾ المكذبین.
[١٤٨] ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ احتجاجاً لصحة شركهم ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا﴾ أي لم يشرك آبائنا ﴿وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ﴾ من البحيرة والسائبة ونحوهما ﴿كَذَلِكَ﴾ أي مثل هذا التكذيب ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ حتى ذاقوا بأسنا ﴿عَذَابُنَا﴾ قل هل عندكم من علم ﴿فِي أَنْ﴾ الله شاء شرككم وتحريمكم ﴿فَتَخْرِجُوهُ﴾ تظهروه ﴿لَنَا﴾ إن ﴿مَا﴾ تنبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون ﴿تَكْذِبُونَ﴾.

[١٤٩] ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾ الواضحة التي تصل إلى المكلفين، فيما يريد بلوغه ﴿فَلَوْ شَاءَ﴾ إيجانكم ﴿لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

[١٥٠] ﴿قُلْ هَلْمْ﴾ احضروا ﴿شُهَدَاءَ كَمِ الَّذِينَ يُشْهَدُونَ﴾ أن الله حرم هذا الذي تحرمونه من البحيرة والسائبة وغيرهما ﴿فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ﴾ أي لا تصدقهم ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾ فإن المحرم يكذب بآيات الله ﴿وَوَ﴾ أهواء ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ يَرِيبُهُمْ يَعِدُلُون﴾ يجعلون له عدلاً ومثلاً وهم المشركون.

[١٥١] ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ﴾ أقرأ ﴿مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَلَّا﴾

﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبِّي كُفُّمْ دُورَ رَحْمَةٍ وَسِعَةٍ وَلَا يُرْدُّ بِأَسْأَهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمَجْرِمِينَ﴾ ﴿١٤٧﴾ ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ﴾ ﴿كَذَلِكَ﴾ ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا﴾ ﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ ﴿١٤٨﴾ ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾ ﴿فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿١٤٩﴾ ﴿قُلْ هَلْمْ شُهَدَاءَ كَمِ الَّذِينَ يُشْهَدُونَ أَنْ اللَّهُ حَرَّمَ هَذَا إِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ يَرِيبُهُمْ يَعِدُلُونَ﴾ ﴿١٥٠﴾ ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ أَلْمَنِ تَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطُنَ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ﴿١٥١﴾

تشرکوا به شیئاً و﴿أحسنوا﴾ بالوالدين إحساناً ولا تقتلوا أولادكم من إملاق ﴿من أجل الفقر﴾ نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ﴿الكبائر من الذنوب﴾ ما ظهر منها وما بطن ﴿الظاهرة والمخفية كالزنا علناً أو خفية﴾ ولا تقتلوا النفس التي حرم الله ﴿قتلها﴾ إلا بالحق ﴿كالقصاص﴾ ﴿ذلكم﴾ ﴿ذا﴾ إشارة، و﴿كم﴾ خطاب ﴿وصاكم﴾ الله ﴿به﴾ بحفظه ﴿لعلكم تعقلون﴾ ما يضرکم وما ينفعکم.

[۱۵۵] ﴿وهذا﴾ القرآن ﴿كتاب أنزلناه مبارك﴾ كثير الخير ﴿فاتبعوه﴾ واتقوا لعلكم ترحمون.

وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ
وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْعِيدَارَ بِالنَّقِيطِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا
مُسْعَمَهَا إِذَا قُلْتُمْ قَاعِدُوا أَوْ لَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ
اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكَمْ وَصْنَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٩﴾
وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ
فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ۚ ذَلِكَمْ وَصْنَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ
تَتَّقُونَ ﴿١٦٠﴾ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي
أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهَدَىٰ رَحْمَةً لِّعَالَمِهِم بِإِلْقَاءِ
رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٦١﴾ وَهَذَا الْكِتَابُ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكًا فَآتِيَهُوَ
وَاتَّقُوا الْعِلْمَ تَرْحَمُونُ ﴿١٦٢﴾ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابُ
عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنِ دِرَاسَتِهِمْ لَغَفِيلِينَ
﴿١٦٣﴾ أَوْ تَقُولُوا لَوْلَا أَنزَلْنَا عَلَيْهِنَا الْكِتَابَ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ
فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنَ رَبِّكُمْ وَهَدَىٰ رَحْمَةً فَمَنْ
أَطْلَعُ وَمَنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَّفَ عَنْهَا سَجَرَى الَّذِينَ
يَصْدَفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدَفُونَ ﴿١٦٤﴾

﴿١٥٦﴾ «أَنْ» أي إنما أنزلنا القرآن لكراهة أن «تقولوا» أيها المعاصرون للرسول «إنما أنزل الكتاب على طائفتين» اليهود والنصارى «من قبلنا وإن» مخفية، أي إنا «كنا عن دراستهم» أي دراسة اليهود والنصارى «لغافلين» إذ لم نعرف أن كتبهم موجهة إلينا ولذا لم ننتبههم.

﴿١٥٧﴾ «أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم» أي أكثر اتباعاً من اليهود والنصارى «فقد جاءكم بينة» دليل واضح وهو القرآن «من ربكم وهدى ورحمة فمن أظلم ممن كذب بآيات الله» بعد أن عرفها «وصدف» أعرض «عنها سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب» العذاب السيئ «بما كانوا يصدفون» بسبب إعراضهم.

[١٥٨] ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ ماذا ينتظر كفار مكة، حتى لا يؤمنوا ﴿إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ ملك الموت ﴿أَوْ يَأْتِي رَبُّكَ﴾ بزعمهم ﴿أَوْ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ من أنواع العذاب ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ كعلامات الموت ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا﴾ فاعل (لا ينفع)، إذا كانت ﴿لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً ﴿أَيُّ طَاعَةٍ وَعِبَادَةٍ﴾ فإن الإنسان إذا رأى العذاب سقط التكليف، فلا ينفع الإيمان ولا الطاعة حينئذ ﴿قُلْ أَنْتَظِرُوا﴾ حتى يأتاكم العذاب ﴿إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾.

[١٥٩] ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾ اختلفوا فيه فآمنوا ببعض وكفروا ببعض ﴿وَكَانُوا شِعْمًا﴾ فرقاً ﴿لَسْتُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ أنت لا ترتبط بهم ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ﴾ يتولى جزاءهم ﴿ثُمَّ يَنْبِئُهُمْ﴾ بعد أن يحشروا إليه ﴿بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ ليعاقبهم بذلك.

[١٦٠] ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ فضلاً ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يَجْزِي إِلَّا مِثْلُهَا﴾ عدلاً ﴿وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ﴾.

[١٦١] ﴿قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ديناً ﴿أَيُّ هَدَانِي رَبِّي﴾ مستقيماً ﴿مِثْلُ﴾ أي طريقة، وهذا بيان للدين ﴿إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ مائلاً عن الشرك ﴿وَمَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا﴾ كما يزعم أهل الكتاب أنه كان يهودياً أو نصرانياً.

[١٦٢] ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ عبادتي ﴿وَمُحْيَايَ﴾ حياتي ﴿وَمَمَاتِي﴾ موتي ﴿لِلَّهِ﴾ فاحيي لله وأموت في سبيل الله ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

[١٦٣] ﴿لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴿فَإِنْ إِسْلَامُ كُلِّ نَبِيٍّ مُقَدَّمٌ عَلَى إِسْلَامِ أَتْبَاعِهِ﴾.

[١٦٤] ﴿قُلْ أَغْيِرَ اللَّهُ أَبْعِي﴾ أطلب، والاستفهام للإنكار ﴿رَبًّا وَ﴾ الحال ﴿هُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾ فإن إشراركم لا يضرني ﴿وَلَا تَزِرُ﴾ أي لا تحمل ﴿وَاِزْرَةً﴾ نفس آثمة ﴿وَزِرًا﴾ إثم نفس ﴿أُخْرَى﴾ ثم إلى ربكم مرجعكم ﴿رَجُوعَكُمْ إِلَى ثَوَابِهِ وَعِقَابِهِ﴾ فينبئكم ﴿أَيُّ يَخْبِرُكُمْ لِأَجْلِ الْجَزَاءِ﴾ بما كنتم فيه تختلفون ﴿فِيَمِيزُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ﴾.

[١٦٥] ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ﴾ يخلف بعضكم بعضاً ﴿الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ﴾ في العلم والمال والمكانة وغيرها ﴿دَرَجَاتٍ لِيُبْلِغَكُمْ﴾ يخبركم ﴿فِي مَا آتَاكُمْ﴾ أعطاكم ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ فاحذروه ﴿وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ فارجوهُ.

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِي رَبُّكَ أَوْ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلْ أَنْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعْمًا لَسْتُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يَنْبِئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالْسَّيِّئَةِ فَلَا يَجْزِي إِلَّا مِثْلُهَا وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِثْلُ آبَائِهِمْ خَيْرًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمُحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَهُ الَّذِي آمَرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغْيِرَ اللَّهُ أَبْعِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيُبْلِغَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦٥﴾

٧: سورة الأعراف

مكية آياتها مائتان وست

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

- [١] ﴿المص﴾ رمز بين الله والرسول ﷺ .
- [٢] هذا القرآن ﴿كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج﴾ ضيق ﴿منه﴾ أي من هذا الكتاب، لصعوبة تبليغه ﴿لتنذر﴾ متعلق بـ (أنزل) ﴿وبه و﴾ هو ﴿ذكرى﴾ أي مذكر ﴿للمؤمنين﴾ .
- [٣] ﴿اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء﴾ تطيعونهم في عصيان الله ﴿قليلاً ما تذكرون﴾ تذكر أ قليلاً .
- [٤] ﴿وكم من قرية أهلكناها﴾ أردنا إهلاك أهلها ﴿فجاءها بأسنا﴾ عذابنا ﴿بياتاً﴾ ليلاً ﴿أو هم قاتلون﴾ في حالة القيلولة قبل الظهر .
- [٥] ﴿فما كان دعواهم﴾ استغاثتهم وكلامهم ﴿إذ جاءهم بأسنا﴾ عذابنا ﴿إلا﴾ الاعتراف بظلمهم بـ ﴿أن قالوا إنا كنا ظالمين﴾ .
- [٦] ﴿فلنسالن الذين أرسل إليهم﴾ أي الأمم ﴿ولنسالن المرسلين﴾ عن تأدية الرسالة .
- [٧] ﴿فلنقضن﴾ أحوالهم ﴿عليهم﴾ على الرسل والأمم

﴿بعلم﴾ في حال كوننا عالمين بها ﴿وما كنا غائبين﴾ عنهم حال أعمالهم حتى نجهلها .

[٨] ﴿والوزن﴾ للأعمال ﴿يومئذ﴾ يوم القيامة ﴿الحق﴾ لا زيادة فيه ولا نقصان ﴿فمن ثقلت موازينه﴾ حسناته ﴿فأولئك هم المفلحون﴾ الفائزون .

[٩] ﴿ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم﴾ إذ اشتروا العذاب ﴿بما﴾ بسبب ما ﴿كانوا بأياتنا يظلمون﴾ أنفسهم .

[١٠] ﴿ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معاش﴾ جمع معيشة : أسباب العيش ﴿قليلاً ما تشكرون﴾ نعمي .

[١١] ﴿ولقد خلقناكم﴾ أي التراب الذي أصلكم ﴿ثم صورناكم﴾ أعطينا الصورة ﴿ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين﴾ .

سورة الأعراف

بسم الله الرحمن الرحيم

الْمَصِّ ۝ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ
لِتُنذِرَ بِهِ ۖ وَذَكَرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ
مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝
وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيِّنًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ
۝ فَمَا كَانَ دَعْوَانَهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا
ظَالِمِينَ ۝ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ
الْمُرْسَلِينَ ۝ فَلَنَقْضَنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كَانُوا عَايِدِينَ ۝
وَالْوِزْنَ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ ۖ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ
الْمُفْلِحُونَ ۝ وَمَن خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا
أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ۝ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ
فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُم فِيهَا مَعَاشٍ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝
وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا
لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِنَ السَّاجِدِينَ ۝

[١٢] ﴿قَالَ﴾ الله ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ مَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ لَا تَسْجُدَ ﴿إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ الشَّيْطَانُ ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾ مِنْ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ وَالنَّارُ أَشْرَفُ مِنَ الطِّينِ .

[١٣] ﴿قَالَ فَاهْبُطْ﴾ أَخْرَجَ ﴿مِنْهَا﴾ مِنَ الْجَنَّةِ ﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾ إِذْ لَيْسَتْ الْجَنَّةُ مَحَلَّ الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ الصَّاغِرُ: الذَّلِيلُ .

[١٤] ﴿قَالَ أَنْظِرْنِي﴾ أَهْمَلْنِي ﴿إِلَى يَوْمٍ يَبْعَثُونَ﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

[١٥] ﴿قَالَ﴾ الله ﴿إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ .

[١٦] ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ أَي سَبَبَتْ ضَلَالِي بِخَلْقِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ﴾ لَأَقْعُدَ لِلتَّرِيصِ بِهِمْ كَاللِّصِّ يَتَرِيصُ فِي الطَّرِيقِ ﴿صِرَاطُكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ .

[١٧] ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ فِيهِمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾ جَوَانِبُهُمُ الْأَرْبَعُ، كُنَايَةٌ عَنِ الْإِحَاطَةِ بِهِمْ ﴿وَلَا تَجِدُ﴾ يَا اللَّهُ ﴿أَكْثَرَهُمْ﴾ أَكْثَرُ بَنِي آدَمَ ﴿شَاكِرِينَ﴾ .

[١٨] ﴿قَالَ﴾ الله ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَذْمُومًا﴾ مَذْمُومًا ﴿مُدْحُورًا﴾ مُطْرُودًا ﴿لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾ مِنْ بَنِي آدَمَ ﴿لَا مَلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ﴾ ذُرِّيَّةُ آدَمَ وَالْأَبَالِسَةُ ﴿أَجْمَعِينَ﴾ .

[١٩] ﴿وَوَلَدْنَا﴾ يَا آدَمَ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا

مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا مِنْ ثَمَارِهَا ﴿وَلَا تَقْرَبَا﴾ بِالْأَكْلِ ﴿هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ شَجَرَةُ الْحَنْطَةِ ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ إِذْ اقْتَرَبْتُمَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ وَالظُّلْمُ بَرَكُ الْأَوَّلَى .

[٢٠] ﴿فَوَسْوَسَ﴾ أَوْهَمَ أَنَّهُ نَاصِحٌ ﴿لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيْبِدِي﴾ أَي لِيُظْهِرَ ﴿لَهُمَا﴾ لآدَمَ وَحَوَّاءَ ﴿مَا وَرَى﴾ سِتْرَ ﴿عَنْهُمَا مِنْ سَوَاتِهِمَا﴾ فَرَوْجَهُمَا أَي كَانَتْ عَاقِبَةُ الْوَسْوَسَةِ تَعْرِيتُهُمَا عَنْ مَلَابِسِهِمَا ﴿وَقَالَ﴾ الشَّيْطَانُ بِصَدْدِ إِغْوَاثِهِمَا ﴿مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا﴾ كِرَاهَةً ﴿أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ﴾ فَإِذَا أَكَلْتُمَا مِنْهَا صَرْتُمَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ ﴿أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ فِي الْجَنَّةِ، فَإِنْ مِنْ أَكَلٍ مِنْهَا صَارَ مَلَكَاً أَوْ خَالِداً فِي الْجَنَّةِ، وَاللَّهُ لَمْ يَرِدْ ذَلِكَ لَكُمْ وَلِذَا نَهَى عَنْ أَكْلِهَا .

[٢١] ﴿وَقَاسَمَهُمَا﴾ أَقْسَمَ لَهُمَا بِاللَّهِ ﴿إِنِّي لَكُمْ لِمَنِ النَّاصِحِينَ﴾ .

[٢٢] ﴿فَدَلَاهُمَا﴾ أَي أَنْزَلَهُمَا مِنْ رَتَبَتِهِمَا الْعَالِيَةِ ﴿بَغْرُورٍ﴾ بِأَنْ غَرَّهَمَا وَخَدَعَهُمَا، فَإِنَّهُمَا لَمْ يَكُونَا يَحْتَمِلَانِ أَنْ يَحْلِفَ بِاللَّهِ كَاذِباً ﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ﴾ ابْتَدَأَا بِالْأَكْلِ ﴿بَدَتْ لَهُمَا سَوَاتِهِمَا﴾ ظَهَرَتْ لَهُمَا عَوْرَتُهُمَا لِأَنَّ أَلْبَسَتْهُمَا سَقَطَتْ عَنْ أَجْسَامِهِمَا ﴿وَوُطِّقَا﴾ شَرَعَا ﴿يُخَصِّفَانِ﴾ يَرْقَعَانِ ﴿عَلَيْهِمَا﴾ عَلَى أَنْفُسِهِمَا ﴿مِنْ وَرَقٍ﴾ شَجَرِ ﴿الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْتُ لَكُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ ظَاهِرٌ، وَالِاسْتِهْجَامُ لِلْعِتَابِ وَاللُّومِ .

قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَاهْبُطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يَبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَا تَجِدُ فِيهِمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَخْرَجَ مِنْهَا مَذْمُومًا وَمُدْحُورًا لِمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ وَنَادَى اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْغَالِبِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيْبِدِي لَهُمَا مَا وَرَى عَنْهُمَا مِنْ سَوَاءٍ نِيَاهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَائِنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لِمَنِ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَاهُمَا قُلُوبُهُمَا فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوَاءُهُمَا وَطِغَفَا بِخِصْفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْتُ لَكُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٢﴾

[٢٣] ﴿قَالَ رَبُّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا﴾ لأننا سببنا نزولنا عن الجنة ﴿وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾ فإن الخروج عن الجنة من أعظم الخسارات.

[٢٤] ﴿قَالَ﴾ الله ﴿اهبطوا﴾ يا آدم وحواء وإبليس ﴿بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر﴾ استقرار ﴿ومتاع﴾ تمتع بالملذات ﴿إلى حين﴾ البعث.

[٢٥] ﴿قَالَ﴾ الله ﴿فيها﴾ أي في الأرض ﴿تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون﴾ للجزاء.

[٢٦] ﴿يَا بَنِي آدَمَ﴾ قد أنزلنا عليكم لباساً ﴿فإن تدبير السماء أوجب تكون اللباس﴾ ﴿يواري﴾ يستر ﴿سواكم﴾ عوراتكم ﴿و﴾ أنزلنا ﴿ريشاً﴾ أي لباس التجميل ﴿ولباس التقوى﴾ بأن يتقي الإنسان كأنه ليس ما يستر جرائمه وردائه، فاللباس على ثلاثة أقسام: لباس السر ولباس التجميل ولباس التقوى ﴿ذلك خير﴾ لأن التقوى تنفع الإنسان في دنياه وآخرته ﴿ذلك﴾ إنزال اللباس ﴿من آيات الله﴾ الدالة على فضله ورحمته ﴿لعلهم يذكرون﴾ يتذكرون نعم الله فيجبون الآثام.

[٢٧] ﴿يَا بَنِي آدَمَ﴾ لا يفتنكم ﴿لا يخذعنكم﴾ الشيطان كما أخرج أبيكم من الجنة ينزع ﴿الشيطان﴾ ﴿عنهما﴾ عن الأبرين ﴿لباسهما ليريهما سواتهما﴾ تأكيد للتحرز ﴿يراكم﴾ الشيطان ﴿هو وقبيله﴾ جنوده الأبالسة ﴿من حيث لا ترونهم﴾ لللطافة أجسامهم ﴿إننا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون﴾ أي مكنا الشياطين من خذلان الكفار.

[٢٨] ﴿وإذا فعلوا﴾ أي الذين لا يؤمنون ﴿فاحشة﴾ معصية كبيرة ﴿قالوا وجدنا عليها﴾ أي عمل هذه الفاحشة ﴿آباءنا و﴾ قالوا ﴿الله أمرنا بها﴾ بإتيان هذه الفاحشة ﴿قل إن الله لا يأمر بالفحشاء﴾ بالقبايح ﴿أقولون على الله ما لا تعلمون﴾ فلا علم لكم بأن الله أمر بذلك، وهذا استفهام إنكاري.

[٢٩] ﴿قل أمر ربي بالقسط﴾ بالعدل ﴿و﴾ أمر أن ﴿أقيموا وجوهكم عند كل مسجد﴾ أي توجهوا إلى الله في كل مسجد، فلم يأمر الله بالشرك ولا بالقبايح - كما زعمتم - ﴿وادعوه﴾ اعبدوا الله ﴿مخلصين﴾ في حالة الإخلاص له بدون شرك ورياء ﴿له﴾ أي لله ﴿الدين﴾ الطاعة والعبادة، أي أخلصوا العبادة له ﴿كما بدأكم﴾ خلقكم ﴿تعبدون﴾ إليه في يوم القيامة، أي ادعوه لأنكم مجازون في الآخرة.

[٣٠] في حال كونه ﴿فريقاً هدى﴾ هدى جماعة ﴿وفريقاً حق﴾ ثبت ﴿عليهم الضلالة﴾ لأنهم تركوا اتباع الحق ﴿أنهم اتخذوا الشياطين أولياء﴾ بأن سمعوا كلام الشياطين ﴿من دون الله ومحسبون﴾ أي يظنون ﴿أنهم مهتدون﴾ على هداية.

قَالَ رَبُّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّارْتِفَعْنَا وَتَرَحَّمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ أَهبطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ يَبْنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُورِي سَوَاءَ بَيْنِكُمْ وِرْثًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنَ ءَايَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ يَبْنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكَ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيرْيَهُمَا سَوَاءٌ لَّهُمَا بَنِيهَا إِنَّهُم بِرَبِّكَ هُمْ وَفِيهِمَا مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّا اللَّهُ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ اتَّقُوا اللَّهَ عَلَىٰ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَسْرَرْتُ بِأَلْفِ سِتْرٍ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾

[٣١] ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ﴾ لباس التزين ﴿عند كل مسجد﴾ فإن الإنسان إذا ذهب إلى المسجد فقد ذهب إلى خدمة مالك الملوك ﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾ بالزيادة في الأكل والشرب ﴿إنه لا يحب المفسرفين﴾ فإن عدم حب الله كاف في ترك الإنسان لذلك الشيء.

[٣٢] ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ﴾ الإضافة للتشريف، أي مطلق الزينة ﴿التي أخرج﴾ تلك الزينة ﴿لعباده﴾ من حرم ﴿الطيبات﴾ المستلذات غير المحرمة ﴿من الرزق﴾ والاستفهام في معنى النفي ﴿قُلْ هِيَ﴾ الزينة والطيبات ﴿للذين آمنوا في الحياة الدنيا﴾ فإن الله خلق الزينة للمؤمنين في الدنيا، ويشاركهم الكافرون تعدياً، في حال كونها ﴿خالصة﴾ للمؤمنين، فلا يشاركهم الكافرون فيها ﴿يوم القيامة﴾ إلى الأبد ﴿كذلك﴾ هكذا ﴿نفصل﴾ تفصيلاً واضحاً ﴿الآيات لقوم يعلمون﴾ فإن غير العالم لا يفهم هذه الحقائق.

[٣٣] ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ﴾ المعاصي الكبار ﴿ما ظهر منها وما بطن﴾ الظاهرة والمخفية ﴿و﴾ حرم ﴿الإثم﴾ الخمر، أو يعني سائر الآثام ﴿والبغى﴾ الظلم ﴿بغير الحق﴾ وصف تأكيدى ﴿و﴾ حرم ﴿أن تشركوا بالله ما لم ينزل به﴾ أي بشره ﴿سلطاناً﴾ أي دليلاً فانه تعالى لم ينزل دليلاً بكون الأصنام شركاء له ﴿وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾ بالافتراء عليه.

[٣٤] ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ أمد تنتهي تلك الأمة بمجيء ذلك الأمد ﴿فإذا جاء أجلهم﴾ بأن جاء ليصل إليهم ﴿لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ أي لا يتأخرون مقدار ساعة ولا يتقدمون على ذلك الوقت.

[٣٥] ﴿يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا﴾ أي (إن ما) وما زائدة ﴿يأتينكم رسل منكم﴾ من جنسكم ﴿يقصون﴾ يخبرون ﴿عليكم آياتي فمن اتقى﴾ المعاصي ﴿وأصلح﴾ حاله ﴿فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ خوفاً وحزناً يشملان الكافرين في الدنيا والآخرة.

[٣٦] ﴿وَالَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا﴾ بأن تكبروا فلم يقبلوها ﴿أولئك أصحاب النار﴾ الملازمون لها ﴿هم فيها خالدون﴾ باقون دائماً.

[٣٧] ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً﴾ أي لا أحد أظلم منه ﴿أو كذب بآياته﴾ بأن نسب إليه ما لم يقله، أو نسب إليه أنه لم يقل ما قاله ﴿أولئك ينالهم نصيبهم﴾ حظهم ﴿من الكتاب﴾ مما كتب لهم من الأرزاق والأجال ﴿حتى إذا جاءتهم رسلنا﴾ ملائكة الموت ﴿يتوفونهم﴾ لأجل أن يقبضون أرواحهم ﴿قالوا﴾ أي الملائكة لهم ﴿أين ما كنتم تدعون من دون الله﴾ أي أين الأصنام التي عبدتموها ﴿قالوا﴾ الكفار ﴿ضلوا﴾ غابوا ﴿عنا﴾ فلا ينفعون الآن ﴿وشهدوا﴾ اعترفوا ﴿على أنفسهم أنهم كانوا كافرين﴾ لا مسلمين لله، فإنهم في الحياة كانوا يقولون نحن مطيعون لله.

﴿يَنْبِئُ آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ﴾ ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ ﴿يَنْبِئُ آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنْ أَتَقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿وَالَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾

[٣٨] ﴿قَالَ﴾ الله لهم يوم القيامة ﴿ادخلوا في أمم﴾ في جملة أقوام كفار ﴿قد خلت﴾ مضت ﴿من قبلكم من الجن والإنس في النار﴾ متعلق بـ﴿ادخلوا﴾ ﴿كلما دخلت﴾ في النار ﴿أمة لعنت أختها﴾ أي الأمة الأخرى التي ضلت بسبب الاقتداء بها ﴿حتى إذا اداركوا﴾ تلاحقت الأمم واجتمعت ﴿فيها﴾ في النار ﴿جميعاً قالت أهرامهم﴾ أي الأمة المتأخرة ﴿أولاهم﴾ الأمة المتقدمة ﴿ربنا هؤلاء أضلونا﴾ فإن المتقدم سبب إضلال المتأخر ﴿فأنهم﴾ أي أعطاهم ﴿عذاباً ضعفاً من النار﴾ لأنهم ضلوا وأضلوا ﴿قال﴾ الله ﴿لكل﴾ من الفريقين ﴿ضعف﴾ لأن كل طائفة ضلت وأضلت الطائفة المتأخرة ﴿ولكن لا تعلمون﴾ ما لكل فريق.

[٣٩] ﴿وقالت أولاهم﴾ أي الأمة المتقدمة ﴿لأهرامهم﴾ الأمة المتأخرة ﴿فما كان لكم علينا من فضل﴾ حتى تستحقوا نصف عذابنا أو حتى نتحمل نصف عذابكم ﴿فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون﴾ لأنكم كفرتم كما كفرنا، وأضللتم كما أضللنا.

[٤٠] ﴿إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها﴾ تكبروا عن الإيمان بها ﴿لا تفتح لهم أبواب السماء﴾ لرفع أعمالهم إلى عليين ﴿ولا يدخلون الجنة حتى يلج﴾ يدخل ﴿الجميل﴾ في سم الخياط﴾ ثقب الإبرة، وهذا بيان لاستحالة دخولهم

قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعْنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا آدَرَكَا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَيْنَهُمْ لِأُولِنَهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَفَاتِنَهُمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولِنَهُمْ لِأُخْرَيْنَهُمْ فَمَا كَانَتْ لَكُمْ عَلَيْهِمْ تَابِينَ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تَتِفَحْ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يُلَاجِ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا تَكُنْ لَهُمْ نَفْسٌ إِلَّا أَوْسَعُهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ فَجَرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولَنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكَ الْجَنَّةُ أَوْرَثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾

الجنة ﴿وكذلك﴾ هكذا ﴿نجزى المجرمين﴾.

[٤١] ﴿لهم من جهنم مهاد﴾ فراش من نار ﴿ومن فوقهم غواش﴾ أغطية من نار ﴿وكذلك نجزي الظالمين﴾.

[٤٢] ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا تكلف نفساً إلا وسعها﴾ فلا تكاليف شاقة عليهم في الدنيا، وفي الآخرة ﴿أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾ دائمون.

[٤٣] ﴿ونزعنا﴾ أخرجنا ﴿ما في صدورهم﴾ أي قلوبهم ﴿من غل﴾ حقد، فإن القلوب تطهر وتطيب في الآخرة فلا تحاسد ولا تبغض ﴿تجري من تحتهم﴾ تحت قصورهم ﴿الأنهار وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا﴾ أي أرشدنا الطريق الموصل للجنة ﴿وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله﴾ أي لم نصل إلى الجنة لولا هداية الله لنا إليها ﴿لقد جاءت رسل ربنا بالحق﴾ فاهتدينا بإرشادهم ﴿ونودوا﴾ ناداهم الملائكة، تبشيراً لهم ﴿أن﴾ مخففة من الثقيلة ﴿تلكم الجنة أورثتموها﴾ صارت إراثاً وعائدة إليكم ﴿بما كنتم تعملون﴾ بسبب أعمالكم الصالحة.

[٤٤] «وَنَادَىٰ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا، فَقَدْ وَجَدْنَا الْجَنَّةَ وَهِيَ قَدْ دَخَلْنَاهَا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ؟» من العقاب ﴿حَقًّا قَالُوا﴾ الكفار ﴿نعم﴾ ووجدناه حقًّا ﴿فَأَذِنَ مَوْذَنٌ﴾ فننادى مناد ﴿بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ﴾ بعده وطرده وعذابه ﴿على الظالمين﴾.

[٤٥] ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي يمنعون الناس عن الإيمان ﴿وَيَبْغُونَهَا﴾ يطلبون السبيل ﴿عِوَجًا﴾ بأن يكون منحرفاً، مثلاً السبيل المستقيم هو التوحيد والمشارك يريد الانحراف عنه إلى الشرك ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ﴾ لا يعتقدون بالآخرة.

[٤٦] ﴿وَبَيْنَهُمَا﴾ أي بين الجنة والنار ﴿حِجَابٌ﴾ يمنع وصول أثر إحداها إلى الأخرى ﴿وعلى الأعراف﴾ جمع عرف وهو المرتفع، فبين الجنة والنار مرتفعتان، عليها ﴿رجال﴾ وظاهر الآية أنهم ليسوا من أهل النار ويطمعون في دخول الجنة، أو أنهم من أهل الكرامة والقرب عند الله وذلك لتسليمهم على أصحاب الجنة وعتابهم لأهل النار ولأمرهم أصحاب الجنة بالدخول فيها، وللآية بطن فُسر بآل محمد ﷺ ﴿يعرفون﴾ أولئك الرجال ﴿كَلَامٌ﴾ من أهل الجنة والنار ﴿بِسِيَمَاهُمْ﴾ أي بعلامت وجوههم، كالسواد لأهل النار والبياض لأهل الجنة ﴿ونادوا﴾ أهل الأعراف

﴿أصحاب الجنة﴾ قائلين ﴿أَنْ سَلَامَ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا﴾ لم يدخل أهل الأعراف الجنة بعد ﴿وَهُمْ يَظْمَعُونَ﴾ في دخولها^(١).
[٤٧] ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ﴾ أي توجهت أنظار أهل الأعراف ﴿نَلْقَاءُ﴾ جهة ﴿أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِي النَّارِ﴾ مع القوم الظالمين.

[٤٨] «وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا» من الكفار ﴿يعرفونهم بسيماهم﴾ أي بعلامت وجوههم ﴿قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ﴾ أموالكم وأولادكم وأتباعكم، لم ينفع في رفع العذاب عنكم ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ أي ما أغنى عنكم كبريائكم في رفع العذاب.

[٤٩] ثم يقولون للكفار ﴿أهؤلاء﴾ المؤمنون، ويشيرون إلى الذين كانوا يستضعفونهم الكفار ﴿الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ﴾ أيها الكفار ﴿لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾ فكنتم تقولون إن الله لا يدخلهم الجنة،

ثم التفت أصحاب الأعراف إلى أولئك المؤمنين قائلين لهم ﴿ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون﴾.
[٥٠] «وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ» أي صبوا علينا بعض الماء لنشربه ﴿أو مما رزقكم الله﴾ من سائر الأطعمة ﴿قَالُوا﴾ المؤمنون ﴿إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا﴾ الماء والرزق ﴿على الكافرين﴾.

[٥١] ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا﴾ كانوا يلعبون باسم الدين و يجعلونه ألعوبة في أيديهم ﴿وَعَرَّثَهُمْ﴾ خدعتهم ﴿الحياة الدنيا فاليوم ننسأهم﴾ تتركهم ونفعل بهم فعل الناسي فلا نعطيهما الماء والطعام ﴿كما نسوا﴾ فلم يستعدوا ﴿لقاء يومهم هذا﴾ كـ ﴿ما كانوا بآياتنا ينجحدون﴾ أي ينكرون.

وَنَادَىٰ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ أَفَذِنَ مَوْذَنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٥﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴿٤٦﴾ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا سِيمَاهُمْ وَنَادُوا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْهِمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَظْمَعُونَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ نَلْقَاءُ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٨﴾ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ أَهْلُوا الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا لَكُمْ الْكَافِرِينَ ﴿٥١﴾ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتُهُمْ الْخَيَاطَةُ الَّذِينَ قَالُوا يَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا يَتَنَبَّهُونَ ﴿٥٢﴾

في دخولها^(١).
[٤٧] «وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ» أي صبوا علينا بعض الماء لنشربه ﴿أو مما رزقكم الله﴾ من سائر الأطعمة ﴿قَالُوا﴾ المؤمنون ﴿إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا﴾ الماء والرزق ﴿على الكافرين﴾.

[٤٨] «وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا» من الكفار ﴿يعرفونهم بسيماهم﴾ أي بعلامت وجوههم ﴿قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ﴾ أموالكم وأولادكم وأتباعكم، لم ينفع في رفع العذاب عنكم ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ أي ما أغنى عنكم كبريائكم في رفع العذاب.

[٤٩] ثم يقولون للكفار ﴿أهؤلاء﴾ المؤمنون، ويشيرون إلى الذين كانوا يستضعفونهم الكفار ﴿الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ﴾ أيها الكفار ﴿لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾ فكنتم تقولون إن الله لا يدخلهم الجنة،

ثم التفت أصحاب الأعراف إلى أولئك المؤمنين قائلين لهم ﴿ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون﴾.
[٥٠] «وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ» أي صبوا علينا بعض الماء لنشربه ﴿أو مما رزقكم الله﴾ من سائر الأطعمة ﴿قَالُوا﴾ المؤمنون ﴿إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا﴾ الماء والرزق ﴿على الكافرين﴾.

[٥١] ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا﴾ كانوا يلعبون باسم الدين و يجعلونه ألعوبة في أيديهم ﴿وَعَرَّثَهُمْ﴾ خدعتهم ﴿الحياة الدنيا فاليوم ننسأهم﴾ تتركهم ونفعل بهم فعل الناسي فلا نعطيهما الماء والطعام ﴿كما نسوا﴾ فلم يستعدوا ﴿لقاء يومهم هذا﴾ كـ ﴿ما كانوا بآياتنا ينجحدون﴾ أي ينكرون.

(١) وربما يحتمل في تفسير الآية: ﴿ونادوا﴾ أي أهل الأعراف ﴿أصحاب الجنة﴾ أي المؤمنين الذين عرفوهم بسيماهم أنهم من أصحاب الجنة... ﴿لم يدخلوها﴾ أي لم يدخل الجنة أصحاب الجنة بعد، أما رجال الأعراف وهم آل محمد ﷺ فيدخلونها قبلهم... ﴿وإذا صرفت أبصارهم﴾ أي أبصار أصحاب الجنة، والله العالم.

[٥٢] ﴿وَلَقَدْ جَنَنَاهُمْ بَكْتَابٍ فَصَلَّنَاهُ﴾ شرحنا فيه العقائد والأحكام ﴿على علم﴾ أي لم يصدر الكتاب عن جهل بالواقع ﴿هدى﴾ لأجل هدايتهم ﴿ورحمة لقوم يؤمنون﴾ .
 [٥٣] ﴿هل ينظرون﴾ الكفار ﴿إلا تأويله﴾ أي ما يؤول إليه أمر القرآن، فان ظهور مآل القرآن إنما هو في القيامة ﴿يوم يأتي تأويله﴾ وهو يوم القيامة ﴿يقول الذين نسوه﴾ أي لم يعملوا بالقرآن كأنهم ناسين له ﴿من قبل﴾ في الدنيا ﴿قد جاءت رسل ربنا بالحق﴾ الآن عرفنا ذلك ﴿فهل لنا من شفعاء فيشفعوا﴾ اليوم ﴿لنا﴾ حتى لا ندخل النار ﴿أو﴾ هل ﴿نرد﴾ نرجع إلى الدنيا ﴿فنعمل﴾ صالحاً ﴿غير الذي كنا نعمل﴾ من الكفر والضلال ﴿قد خسروا أنفسهم﴾ بصرف أعمارهم في الكفر والعصيان ﴿وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾ أي الأصنام لم تشفع لهم، فقد غابت الأصنام عنهم.

[٥٤] ﴿إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في﴾ مقدار ﴿سته أيام ثم استوى﴾ توجه ﴿على العرش﴾ فخلقه ﴿يعشي﴾ الله ﴿الليل﴾ أي يغطي بسبب ظلمة الليل ﴿النهار يطلبه﴾ أي يطلب الليل النهار، لأنه في عقبه كالتطلب له ﴿حشيًا﴾ أي بشدة فكلما جاء النهار جاء الليل في عقبه ليعدمه ﴿و﴾ خلق ﴿الشمس والقمر والنجوم مسخرات﴾ أي في حال كونها مذلات ﴿بأمره﴾ تعالى ﴿فهو الأمر﴾ الذي يجب أن يتقّد أمره ﴿تبارك الله﴾ أي دام

وَلَقَدْ جَنَنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَلَّنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسَوْهُ مِنْ قَبْلٍ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفْعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَشِيشٌ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تَقْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيْحَ بُشْرًا بِبَيْتِ بَدَىٰ رَحْمَتِهِ ۚ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَتِ سَحَابًا نُّقَالَا لَا سُقْنَاهُ لِيَكْرِهْتُمْ فَأَنْزَلْنَاهُ أَلْمَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾

﴿ألا﴾ للتنبيه ﴿له﴾ لله ﴿الخلق﴾ فهو يخلق كل شيء ﴿والأمر﴾ فهو الأمر الذي يجب أن يتقّد أمره ﴿تبارك الله﴾ أي دام خيره ﴿رب العالمين﴾ .
 [٥٥] ﴿ادعوا ربكم تضرعاً﴾ باستكانة ﴿وخفية﴾ سرّاً فإنه أقرب إلى الإخلاص ﴿إنه لا يحب المعتدين﴾ الذين يجاوزون الحدود .

[٥٦] ﴿ولا تفسدوا في الأرض﴾ بالكفر والمعاصي ﴿بعد إصلاحها﴾ أي أصلح الأرض الأنبياء ﷺ ﴿وادعوه خوفاً﴾ منه ﴿وطمعا﴾ في رحمته ﴿إن رحمة الله قريب من المحسنين﴾ فأحسنوا حتى تنالوا رحمته .
 [٥٧] ﴿وهو الذي يرسل الرياح﴾ من مكان إلى مكان آخر ﴿بشراً﴾ جمع بشير أي مبشرات ﴿بين يدي﴾ أمام ﴿رحمته﴾ المطر ﴿حتى إذا أقلّت﴾ الرياح أي حملت ﴿سحاباً ثقالاً﴾ بالماء ﴿سقناه﴾ أي السحاب ﴿لبلد﴾ أي إلى مكان ﴿ميت﴾ لا زرع فيه ولا ضرع ﴿فأنزلنا به﴾ أي بسبب السحاب ﴿الماء فأخرجنا به﴾ أي بسبب الماء ﴿من كل الثمرات﴾ جميع أنواعها ﴿كذلك﴾ أي هكذا ﴿نخرج الموتى﴾ ونحييهم بعد موتهم ﴿لعلكم تذكرون﴾ بأن القادر على إحياء الأرض قادر على إحياء الميت .

[٥٨] ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ **﴿يُخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبثَ لَا يَخْرِجُ إِلَّا نَكِدًا﴾** كَالسَّبْخَةِ **﴿وَالَّذِي خَبثَ﴾** كَالسَّبْخَةِ **﴿لَا يَخْرِجُ نَبَاتَهُ إِلَّا نَكِدًا﴾** قَلِيلًا بَلَا نَفْعَ **﴿كَذَلِكَ نَصْرَفُ الْآيَاتِ﴾** نَرُدُّهَا وَنَكْزُرُهَا **﴿لَقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾** إِذْ هُمْ يَعْرِفُونَ قَدْرَ هَذِهِ الْآيَاتِ.

[٥٩] ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ لِي﴾ **﴿لَيْسَ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾** غَيْرَ اللَّهِ **﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾** إِنْ لَمْ تَوْفَّقُوا **﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾** يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

[٦٠] ﴿قَالَ الْمَلَأُ الْأَشْرَافُ﴾ **﴿مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ﴾** يَا نُوحُ **﴿فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾** وَاضِحٌ.

[٦١] ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ﴾ **﴿فَلَسْتُ ضَالًّا﴾** وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

[٦٢] ﴿أَبْلَغُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي﴾ **﴿لَأَنْ كُلَّ حَكْمٍ رَسُولَاتٍ﴾** وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ **﴿بِالْوَحْيِ﴾** مَا لَا تَعْلَمُونَ.

[٦٣] ﴿أَوْ عَجِبْتُمْ﴾ **﴿أَيَّ أَكْذِبْتُمْ فَعَجِبْتُمْ، وَالِاسْتِفْهَامَ لِلْإِنْكَارِ، أَيْ لَا تَعْجَبُ﴾** أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرُ **﴿رِسَالَةٍ﴾** مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى **﴿لِسَانٍ﴾** رَجُلٍ مِنْكُمْ **﴿مَنْ جَسَمَكُمْ وَقَوْمَكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ﴾** وَبِالْكَفْرِ **﴿وَلِتُنْفِقُوا﴾** الْكَفْرَ وَالْمَعَاصِيَ **﴿وَلَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ﴾** يَرْحَمُكُمْ اللَّهُ إِذَا أَطَعْتُمْ.

[٦٤] ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ﴾ **﴿وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ مَعَهُ﴾** مِنَ الْمُؤْمِنِينَ **﴿فِي الْفُلْكِ﴾** السَّفِينَةِ **﴿وَأَغْرَقْنَا﴾** بِالطُّوفَانِ

الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ **﴿أَيَّ الْمَكْذِبِينَ﴾** كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ **﴿عَمِيَ الْقُلُوبُ غَيْرَ مُسْتَبْصِرِينَ﴾**.

[٦٥] ﴿وَوَيْلٌ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِهِ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ **﴿عَذَابُ اللَّهِ﴾** مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِهِ أَفَلَا تَتَّقُونَ **﴿عَذَابُ اللَّهِ﴾** عَذَابُ اللَّهِ.

[٦٦] ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ﴾ **﴿حَمَقٌ﴾** وَإِنَّا لَنَنْظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ **﴿فِي ادْعَاكَ الرِّسَالَةَ﴾**.

[٦٧] ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبثَ لَا يَخْرِجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نَصْرَفُ الْآيَاتِ لَقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَنْقُورِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَنْقُورِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦١﴾ أَبْلَغُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوْ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتُنْقُوا وَلَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَذَا قَالَ يَنْقُورِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَنْظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَنْقُورِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾

[٦٨] ﴿أَبْلَغُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾^(٦٨) أَوْعَيْتُمْ
مَأْمُونٌ فِي تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ.

[٦٩] ﴿أَوْ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ
مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا﴾ نِعْمَةُ اللَّهِ ﴿إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ﴾
وَرَثَمِ الْأَرْضِ خُلَفَاءَ ﴿مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ﴾
أَيُّ الْخَلْقِ ﴿بَسْطَةً فَآذَكُرُوا﴾ آيَةُ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَقْلِحُونَ
نِعْمَهُ ﴿لَعَلَّكُمْ تَقْلِحُونَ﴾ تَفُوزُونَ.

[٧٠] ﴿قَالُوا أَجِئْنَا لِنُعْبِدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ
يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ مِنَ الْأَصْنَامِ ﴿فَأَنَّا بِنَا تَعْدُنَا﴾ مِنَ الْعَذَابِ
﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ فِي أَنَا إِذَا لَمْ نُؤْمِنْ نَعَذَّبُ.

[٧١] ﴿قَالَ﴾ هُودٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿قَدْ وَقَعَ﴾ ثَبِتَ وَحَقٌّ ﴿عَلَيْكُمْ
مِنْ رَبِّكُمْ رَجَسٌ﴾ عَذَابٌ ﴿وَغَضِبَ﴾ مِنَ اللَّهِ
﴿أَتَجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ لِلْأَصْنَامِ﴾ سَمَّيْتُمُوهَا آلِهَةً، بَلَا
حَقِيقَةً ﴿أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهِ﴾ أَيُّ بَتْلِكَ الْأَسْمَاءِ،
فَاللَّهُ لَمْ يَقُلْ هَذِهِ آلِهَةٌ ﴿مَنْ سُلْطَانٌ﴾ حُجَّةٌ وَبِرْهَانٌ
﴿فَانظُرُوا﴾ الْعَذَابِ ﴿إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظَرِينَ﴾.

[٧٢] ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ بَأَن آمَنُوا بِهِ ﴿بِرَحْمَةٍ مِنَّا﴾
عَلَيْهِمْ ﴿وَقَطَعْنَا﴾ اسْتَأْصَلْنَا ﴿دَابِرَ﴾ الْقَوْمِ، أَيُّ الْقَوْمِ إِلَى
آخِرِهِمْ ﴿الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾.

[٧٣] ﴿وَوَاسَلْنَا﴾ إِلَى قَبِيلَةِ ﴿ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾
النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ

جاءتكم بينة ﴿معجزة ﴿من ربكم هذه ناقة الله﴾ الإضافة للتشريف ﴿لكم آية﴾ دليل على صدق دعواي ﴿فذرّوها﴾
اتركوها ﴿تأكل﴾ من العشب ﴿في أرض الله ولا تمسوها بسوء﴾ لا تسيئوا إليها ﴿فياخذكم عذاب أليم﴾ مؤلم.

أَبْلَغُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوْعَيْتُمْ
أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ
وَإِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ
فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَآذَكُرُوا آيَةَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَقْلِحُونَ
﴿٦٩﴾ قَالُوا أَجِئْنَا لِنُعْبِدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ
يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَآتِنَا مَا وَعَدْنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ
﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رَجَسٌ وَعَظِبَ
أَتَجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ
مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهِمَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانظُرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ
الْمُنْتَظَرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا
وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ
﴿٧٢﴾ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَنْفُورُ أَعْبُدُوا اللَّهَ
مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ
رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ
فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ ﴿٧٣﴾

[٧٤] ﴿وَاذْكُرُوا﴾ نعمة الله عليكم ﴿إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ﴾ مكنكم ﴿فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سَهُولِهَا سَهُولاً﴾ سهل الأرض ﴿قُصُوراً﴾ بأن تبنيون في السهل القصور ﴿وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتاً﴾ تصنعون البيوت في الجبال ﴿فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ﴾ نعماته ﴿وَلَا تَعْتُوا﴾ لا تفسدوا ﴿فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ حال للتأكيد.

[٧٥] ﴿قَالَ الْمَلَأُ﴾ جماعة الأشراف ﴿الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ عن الإيمان ﴿مَنْ قَوْمَهُ لِلَّذِينَ اسْتَضعِفُوا﴾ أي عذوهم ضعفاء ﴿لَمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ﴾ بدل من (الذين استضعفوا) ﴿اتَّعَلَمُونَ أَنَّ صَالِحاً مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ استفهام استهزائي ﴿قَالُوا﴾ أي المستضعفون ﴿إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ﴾ صالح ﴿مُؤْمِنُونَ﴾.

[٧٦] ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ تكبروا عن الإيمان ﴿إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ﴾ من التوحيد وأقوال صالح ﴿كَافِرُونَ﴾.

[٧٧] ﴿فَعَمَرُوا﴾ أي جرحوا ﴿النَّاقَةَ وَعَتُوا﴾ استكبروا ﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ عن امتثاله ﴿وَقَالُوا يَا صَالِحُ اثْنَا بَمَا نَعَذِّبُكَ مِنَ الْعَذَابِ﴾ إن كنت من المرسلين.

[٧٨] ﴿فَاخَذَتْهُمْ الرِّجْفَةُ﴾ زلزلة شديدة ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَائِعِينَ﴾ صرعى على وجوههم.

[٧٩] ﴿فَتَوَلَّى﴾ أعرض صالح ﴿عَنْهُمْ وَقَالَ﴾

مخاطباً لجنتهم الهالكة ﴿يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولاً مِنْ رَبِّكُمْ وَلَكِنْ لَا تَحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾.

[٨٠] ﴿وَوُحِّدْنَا﴾ أرسلنا ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾ وهي اللواط ﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا﴾ بالفاحشة، والاستفهام للإنكار ﴿مَنْ أَحَدٌ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾.

[٨١] ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً﴾ أي لأجل الشهوة ﴿مَنْ دُونَ النِّسَاءِ﴾ من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون أي مجاوزون الحد.

وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سَهُولِهَا قُصُوراً وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتاً فَادْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ اتَّعَلَمُونَ أَنَّ صَالِحاً مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَمَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصْلِحُ أَثْنَا بَمَا نَعَذِّبُكَ مِنْ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَاخَذَتْهُمْ الرِّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَائِعِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَنْقُورُ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولاً مِنْ رَبِّكُمْ وَلَكِنْ لَا تَحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ﴿٧٩﴾ وَلَوْ طَافَ الْأَرْضُ لَقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ ﴿٨١﴾

[٨٢] ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾ له ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾
أَخْرَجُوهُمْ﴾ أي لوطاً عليه السلام والمؤمنين به ﴿مَنْ قَرَيْتَكُمْ﴾
إنهم أناس يتظهرون ﴿من الفواحش﴾.

[٨٣] ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ﴾ كانت كافرة ﴿كَانَتْ مِنَ﴾
الغابرين ﴿الَّذِينَ بَقُوا فِي دِيَارِهِمْ فَهَلِكُوا﴾.

[٨٤] ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾ نوعاً عجيباً من المطر وهو
الحجارة ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾.

[٨٥] ﴿وَرَبِّ أَرْسَلْنَا﴾ إلى مدين ﴿وَهُمْ قَبِيلَةٌ﴾ أخاهم شعيباً
قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءكم
بيننا ﴿أَيُّ مَعْجَزَةٍ عَلَى صَدَقِي﴾ ﴿مَنْ رَبُّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ﴾
والميزان ﴿أَدَا حَقُّوقَ النَّاسِ كَامِلَةً﴾ ولا تبخسوا ﴿الْبَخْسُ﴾
النقص ﴿النَّاسِ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَفْسُدُوا فِي﴾
الأرض ﴿بِالْكَفْرِ وَالْعِصْيَانِ﴾ ﴿بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ بالأنبياء عليه السلام
﴿ذَلِكَ﴾ العمل الذي أمرتكم به ﴿خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ﴾
مؤمنين ﴿.

[٨٦] ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ طَرِيقٍ﴾ ﴿تَوْعِدُونَ﴾ أي
تخوفون الناس بالقتل حيث كانوا يقطعون الطريق
﴿وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ تمنعون الناس عن الإيمان
﴿مَنْ آمَنَ بِهِ﴾ أي بالله ﴿وَتَبْغُونَهَا﴾ تطلبون السبيل
﴿عَوِجًا﴾ أن تكون معوجة ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا﴾
فكثركم ﴿بِالنَّسْلِ الْخَصْبِ﴾ وانظروا كيف كان عاقبة

وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرَيْتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَظْهَرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَبْقَوُا عَبِيدُوا اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَفْسُدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرَكُمْ وَاَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلَتْ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٧﴾

المفسدين ﴿من الأمم السابقة حيث نزل عليهم العقاب﴾.

[٨٧] ﴿وَلِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلَتْ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا﴾ أي بين الفريقين
بإنجاء المحق وإهلاك المبطل ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ لأنه يحكم بالعدل.

[٨٨] ﴿قَالَ الْمَلَأُ﴾ الأشرف ﴿الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ تكبروا عن قبول الحق ﴿مَنْ قَوْمَهُ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ طريقتنا بأن تكفروا ﴿قَالَ أَوْ لَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾ أي كيف نعود فيها ونحن كارهون لطريقتكم.

﴿٨٩﴾ قد افترينا على الله كذباً إن عدنا في ملتكم﴾ بأن
نشرك، لأن الشرك كذب فإذا نسبناه إلى الله كان افتراءً
عليه ﴿بعد إذ نجانا الله منها وما يكون﴾ يصح ﴿لنا أن
نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا﴾ وهذا من قبيل التعليق
على المحال، وذلك لأجل يأس الكفار عن عودهم إلى
ملة الكفر ﴿وسع ربنا كل شيء علماً﴾ فهو أعلم بما تبعدنا
به من التوحيد ﴿على الله توكلنا﴾ في أمورنا ﴿ربنا افتح﴾
اقض، والفتاح القاضي ﴿بيننا وبين قومنا﴾ الكفار
﴿بالحق وأنت خير الفاتحين﴾.

[٩٠] ﴿وقال الملأ الذين كفروا من قومه﴾ بعضهم لبعض ﴿لئن اتبعتم شعبياً لئنكم إذأ﴾ حال اتباعكم شعبياً ﴿لنخسرون﴾.

[٩١] «فأخذتهم الرجفة» الزلزة المقترنة بالصيحة «فأصبحوا في دارهم جاثمين» ميتين ملقين على وجوههم.

[٩٢] ﴿الَّذِينَ كَذَبُوا شَعِيبًا كَأَن لَّمْ يَغْنُوا فِيهَا﴾ استأصلهم

حتى كأنهم لم يقيموا في ديارهم ﴿الذين كذبوا شعباً كانوا هم الخاسرين﴾ لا الذين اتبعوه .

[٩٣] ﴿فَقُولِي﴾ أَعْرَضَ شُعَيْبٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿عَنْهُمْ﴾ حَالِ أَخْذِهِمُ الْعَذَابَ ﴿وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي﴾ إِذْ كُلَّ حِكْمٍ رَسُولَاتٍ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى ﴿أَحْزَنَ﴾ عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿أَيُّ لَا أَحْزَنُ عَلَى الْكَفَّارِ﴾.

[٩٤] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ﴾ بالشدائد ﴿وَالضَّرَاءِ﴾ الأمراض ﴿وَمَا أَشْبَهَ﴾ لعلمهم يضرعون ﴿أَيُّ يَتَنَبَّهُوا وَيَرْجِعُوا إِلَى اللَّهِ﴾.

[٩٥] ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ﴾ بَأَن رَفَعْنَا عَنْهُمْ الْبُؤْسَ وَوَضَعْنَا مَكَانَهُ الرِّخَاءَ كَي يَشْكُرُوا ﴿حَتَّىٰ عَفَا﴾ بِأَن كَثُرُوا عُدْداً وَغُدْداً ﴿وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ﴾ فَإِنَّهُمْ لَمْ يَشْكُرُوا، بَلْ قَالُوا هَذِهِ عَادَةُ الدَّهْرِ تَسِيءُ وَتَحْسَنُ فَقَدْ أَسَاءَ إِلَى آبَائِنَا وَأَحْسَنَ إِلَيْنَا ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ﴾ بِالْعَذَابِ ﴿بَغْتَةً﴾ فَجَاءَتْهُمْ لَمْ يَشْعُرُونَ بِأَن السَّيِّئَةَ لِأَجْلِ الضَّرَّاءِ، وَالْحَسَنَةَ لِأَجْلِ الشُّكْرِ، فَإِذَا لَمْ يَتَوَجَّهُوا إِلَى اللَّهِ فِي أَيِّ حَالٍ اسْتَحَقُّوا الْعِقَابَ.

﴿٨٠﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِنُخْرِجَكَ بِشُعْبٍ
 وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكُمْ مِنْ قَوْمِنَا وَلِنُغَوِّدَ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ
 كُنَّا كَاهِنِينَ ﴿٨١﴾ قَدْ أَفْتَرْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنِ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ
 بَعْدَ إِذْ جِئْنَا اللَّهَ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ
 اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ
 بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴿٨٢﴾ وَقَالَ لِلَّذِ
 لَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنْ اتَّبَعْتُمْ شُعْبًا إِكْرَادًا الْخَسِرُونَ
 ﴿٨٣﴾ فَأَخَذَهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيمِينَ ﴿٨٤﴾
 الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعْبًا كَأَنْ لَمْ يَنْفَعُوا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعْبًا
 كَأَنَّهُمْ الْخَسِيرِينَ ﴿٨٥﴾ فَنَوَّلْنَاهُمْ مَا يَشَاءُونَ لَقَدْ
 جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ رَبِّكَ فَكَيْفَ ؕ أَسَى
 عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّبِيٍّ إِلَّا
 أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ ﴿٨٧﴾ ثُمَّ
 بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ
 آلِهَتُنَا الضَّرَءُ وَالسَّرَءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْنَةً وَهُمْ لَا يُشْعُرُونَ ﴿٨٨﴾

[٩٦] ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا﴾ عوض الكفر ﴿وَاتَّقُوا﴾ عوض العصيان ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ﴾ خيرات ﴿مِّنَ السَّمَاءِ﴾ كالمطر ﴿وَالْأَرْضِ﴾ كالنبات ﴿وَلَكِن كَذَبُوا فَآخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا﴾ من الكفر والمعاصي .

[٩٧] ﴿أَفَأَمِنَ﴾ أي هل يأمن ، والاستفهام للتوبيخ ﴿أَهْلَ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا﴾ القرى أن يأتيتهم بأسنا ﴿عَذَابَنَا﴾ عذابنا ﴿بَيَاتًا﴾ ليلاً ﴿وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ في حال النوم .

[٩٨] ﴿أَوْ أَمِنَ أَهْلَ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى﴾ في النهار عند ارتفاع الشمس ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ يلهون غافلين عن الله .

[٩٩] ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾ استدراجه إياهم بالنعم ، وعلاجه للأمر بالوسائل الخفية ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ الذين يخسرون كل شيء .

[١٠٠] ﴿أَوْ لَمْ يَهْدِ﴾ ألم يتبين ﴿لِلَّذِينَ يَرْتُونَ الْأَرْضَ﴾ يخلفون السابقين ﴿مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَوْ نَشَاءُ أَصْبَنَاهُمْ﴾ أي أخذناهم بسبب معاصيهم ﴿وَنَطِيعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ بأن نجعل قلوبهم بحيث يختم عليها فلا تفقه شيئاً ﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ سماع تفهم .

[١٠١] ﴿تِلْكَ الْقُرَىٰ﴾ التي مر ذكرها ﴿نَقْصَ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا﴾ بعض أخبارها ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أي بالأدلة والمعجزات ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ عند مجيء البينات ﴿بِمَا كَذَبُوا مِنْ قَبْلُ﴾ إذ عاندوا الحق فاستمروا على الكفر ﴿كَذَلِكَ﴾ هكذا ﴿يَطِيعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾ فإن طبعه عبارة عن انطباعه بالقسوة ، وحيث إن الله تركه حتى يقسو ، نُسِبَ إليه تعالى .

[١٠٢] ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ﴾ أكثر الأمم ﴿مِنْ عَهْدٍ﴾ وفاء بما عاهدوا الله عليه من نصرة الرسل والبقاء على الإيمان ﴿وَأِنْ﴾ مخففة من الثقيلة ﴿وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾ خارجين عن طاعة الله تعالى .

[١٠٣] ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ بعد أولئك الرسل المتقدم أسماؤهم ﴿مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا﴾ بالمعجزات ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾ أشرف قومه ﴿فَنظَلَمُوا﴾ أنفسهم ﴿بِهَا﴾ بسبب تلك الآيات حيث لم يأمنوا بها ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ الذين أفسدوا في الأرض فإنهم غرقوا في البحر .

[١٠٤] ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ .

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ
مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَبُوا فَآخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا
يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلَ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا
وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوْ أَمِنَ أَهْلَ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا
ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ
مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوْ لَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ
يَرْتُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَوْ نَشَاءُ أَصْبَنَاهُمْ
يَذُوبُهُمْ وَنَطِيعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾
تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقْصَ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ
بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَبُوا مِنْ قَبْلُ
كَذَلِكَ يَطِيعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا
لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴿١٠٢﴾
ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ
فَنظَلَمُوا بِهَا فَاَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾
وَقَالَ مُوسَىٰ يَنْفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾

[١٠٥] ﴿حَقِيقٌ﴾ أي أنا جدير ﴿على أن لا أقول على الله﴾ لا الحق ﴿لان الرسل لا يقولوا إلا الحق﴾ ﴿قد جنتكم بيئته﴾ هي معاجز موسى ﷺ ﴿من ربيكم فأرسل معي بني إسرائيل﴾ فإن فرعون كان استعبدهم من وطن آبائهم وهي فلسطين مكان إبراهيم وإسحاق ويعقوب ﷺ ﴿فطلب موسى ﷺ أن يطلق فرعون سراحهم حتى يرجع بهم إلى الأرض المقدسة﴾.

[١٠٦] ﴿قال﴾ فرعون ﴿إن كنت جنت بآية﴾ معجزة ﴿فأت بها إن كنت من الصادقين﴾ في دعواك وجود الله وأنتك رسوله.

[١٠٧] ﴿فالتقى﴾ موسى ﷺ ﴿عصاه﴾ في الأرض ﴿فإذا هي﴾ تنقلب ﴿ثعبان﴾ حية عظيمة ﴿مبين﴾ ظاهر للعيان.

[١٠٨] ﴿ونزع يده﴾ أخرج يده من جيبه ﴿فإذا هي بيضاء﴾ تشع بياضاً كأنها الشمس ﴿للتناظرين﴾ لمن ينظر إليها.

[١٠٩] ﴿قال الملأ﴾ الأشراف ﴿من قوم فرعون إن هذا﴾ موسى ﷺ ﴿ساحر عليم﴾ حاذق بالسحر.

[١١٠] ﴿يريد أن يخرجكم من أرضكم﴾ فإنه يريد أن يأخذ السلطة فينفيكم، أو أنتم تلتجئون إلى الفرار ﴿فماذا تأمرون﴾ تشيرون في أمره.

[١١١] ﴿قالوا أرحه وأخاه﴾ هارون ﷺ أي آخر أمرهما، فإن الإرجاء التأخير ﴿وأرسل في المدائن﴾ أي البلاد ﴿حاشرين﴾ أي جامعين للسحرة.

[١١٢] ﴿يأتوك﴾ من ترسلهم ﴿بكل ساحر عليم﴾ حاذق في السحر، حتى يظهروا للملأ أن موسى ﷺ ساحر.

[١١٣] ﴿وجاء السحرة فرعون قالوا إن لنا لأجراً﴾ أي أجره لعملائنا ﴿إن كنا نحن الغالبيين﴾ على موسى ﷺ.

[١١٤] ﴿قال﴾ فرعون ﴿نعم﴾ إن لكم أجراً ﴿وإنكم لمن المقربين﴾ أقربكم إلى بلاطي إضافة على الأجرة.

[١١٥] ﴿قالوا﴾ السحرة ﴿يا موسى إما أن تلقى﴾ عصاك ﴿وإما أن نكون نحن الملقين﴾ نلقي جبالنا وعصيتنا.

[١١٦] ﴿قال﴾ موسى ﷺ ﴿ألقوا﴾ أنتم حبالكم وعصيكم ﴿فلما ألقوا سحروا أعين الناس﴾ بأن خيلوا إلى الناس أن عصيهم حيات ﴿واسترهبوهم﴾ أخافوهم إرهاباً شديداً ﴿وجاءوا بسحر عظيم﴾ وقد ورد أنهم هياؤا سبعين ألف حية وثعباناً، كلها أخذت تتحرك بشكل مفرغ.

[١١٧] ﴿وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك﴾ فآلقاها فصارت حية ﴿فإذا هي﴾ أي عصا موسى ﷺ ﴿تلقف﴾ تأكل بسرعة ﴿ما يافكون﴾ ما قلبوه عن وجهه بأن صوّروه حية، من الإنك بمعنى الكذب.

[١١٨] ﴿فوقع﴾ ثبت ﴿الحق وبطل ما كانوا يعملون﴾ من السحر.

[١١٩] ﴿فقلبوا﴾ فرعون وربه ﴿هنالك﴾ في ذلك المقام ﴿وانقلبوا﴾ رجعوا إلى أماكنهم ﴿صاغرين﴾ أذلاء محتقرين.

[١٢٠] ﴿والقي السحرة﴾ فأنهم لم يتمالكوا أن ألقوا أنفسهم ﴿ساجدين﴾ لله تعالى لما عرفوا من صدق موسى ﷺ.

حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ قَدْ جُنْتُكُمْ
بِئْسَ بَيْتٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَءِيلَ قَالَ إِن كُنتَ
جِئتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَى
عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثَعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ
لِّلنَّظِيرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا السَّحَرُ
عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾
قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ
بِكُلِّ سَحَرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ
لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنِّكُمْ
لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا يَمُوسَى إِنَّا أَن تَلْقَىٰ وَإِنَّا أَن
تَكُونُ نَحْنُ الْمَلِكِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا
أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسَحَرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾
وَإِذْ هَبْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَن أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا
يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَّعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا
هُنَاكَ وَانْقَلَبُوا صَغِيرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سِحْرَهم

[١٢١ - ١٢٣] ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ قال فرعون آمنتم به ﴿أَيُّ بِاللَّهِ، وَالْإِنِّكَارِ﴾ ﴿قَبْلَ أَنْ أَدْنَى لَكُمْ﴾ كأنه لا يحق لأحد أن يؤمن إلا بإذن فرعون ﴿إِنْ هَذَا﴾ التواطؤ بينكم وبين موسى ﷺ ﴿لَمَكْرٌ﴾ خدعة ﴿مَكْرُومُهُ﴾ في المدينة لُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلُهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ ثُمَّ لأَصْلَبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ وَمَا نَنْقِمُ مِنْآ إِلَّا أَنْآ آمَنَّا بِتَابِتِ رَبِّنَا لَمَجَاءِ تَنَارِ رَبِّنَا أَفَرَّغَ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا قَوْمِ فَرْعُونَ أَتَدْرُكُومُوسَى وَقَوْمَهُ لَيْفَسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَبَدْرَكَ وَآلِهَتَكَ﴾ قَالَ سَتَقْبِلُ أُنَبَاءَهُمْ وَتَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿قَالُوا أَوْذَيْنَا مِنْ قَبْلُ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فَرْعُونَ بِالْسِينِ وَنَقَصْنَا مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ ﴿١٢٦﴾

[١٢٤] ﴿لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ﴾ اليد اليمنى والرجل اليسرى ﴿ثُمَّ لأَصْلَبَنَّكُمْ﴾ أشنقكم ﴿أَجْمَعِينَ﴾.

[١٢٥] ﴿قَالُوا﴾ لا بأس فـ ﴿إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ ننقلب ونرجع إلى رحمته بالموت فيجازينا.

[١٢٦] ﴿وَمَا نَنْقِمُ مِنْآ إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا﴾ أي لا تنكر منا إلا إيماننا، فإننا لسنا مجرمين ﴿لَمَّا جَاءَنَا﴾ الآيات كما شاهدنا، ثم توجهوا إلى الله قائلين ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ﴾ أصب ﴿عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا﴾ أميتنا ﴿مُسْلِمِينَ﴾ ثابتين على الإسلام.

[١٢٧] ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ الْأَشْرَافُ﴾ من قوم فرعون أُنْذِرْ تترك ﴿مُوسَى وَقَوْمَهُ لَيْفَسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ بدعوتهم إلى

مخالفتك ﴿وَبَدْرَكَ﴾ أي يتركك ولا يعتني بك ﴿وَالِهَتَكَ﴾ فانهم كانوا يعبدون الأصنام بالإضافة إلى عبادة فرعون ﴿قَالَ سَتَقْبِلُ أُنَبَاءَهُمْ﴾ حتى لا يكبروا وينضموا إلى موسى ﷺ ﴿وَتَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ﴾ أي نبقيهن أحياء ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ بجبرهم على ما نريد.

[١٢٨] ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ لما سمعوا تهديد فرعون ﴿اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا﴾ على آذاه ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ فيه تلميح إلى أنكم تروثون الأرض ﴿وَالْعَاقِبَةُ﴾ المحموده ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ الذين يتجنبون الكفر والمعاصي.

[١٢٩] ﴿قَالُوا﴾ أي بنو إسرائيل ﴿أَوْذَيْنَا مِنْ قَبْلُ أَنْ تَأْتِيَنَا﴾ بقتل أبنائنا واستحياء نساتنا ﴿وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾ بإعادة فرعون قتل الأبناء واستحياء النساء ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿عَسَى﴾ أي نرجو ﴿رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ﴾ فرعون ﴿وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ بأن يجعلكم خلفاء له ﴿فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ خيراً أم شراً، وهذا إنذار لهم بأن يعملوا صالحاً عند استخلافهم.

[١٣٠] ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فَرْعُونَ بِالْسِينِ﴾ القحط والجذب ﴿وَنَقَصْنَا مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ بتسليط الدود على الثمار حتى نقصت عن معتادها ﴿لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾ يتعظون.

[١٣١] ﴿فَإِذَا جَاءَهُمْ﴾ أي جاءت آل فرعون ﴿الحسنة﴾ الخصب و الخير ﴿قَالُوا لَنَا﴾ لأجلنا ونحن مستحقون لـ ﴿هذه﴾ الحسنة ﴿وإن تصبهم سيئة﴾ جذب وبلاء ﴿يطيروا﴾ يتشاءموا ﴿بموسى ومن معه﴾ أي قالوا هذه السيئة من شؤم موسى ﷺ وقومه ﴿ألا إنما طائرهم﴾ أي سبب الشر النازل عليهم ﴿عند الله﴾ فإنه سبحانه يقدر الشر لمن عصاه ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ من أن ما يصيبهم هو من شؤم أعمالهم .

[١٣٢] ﴿وقالوا مهما تأتنا به من آية﴾ بيان (ما) ﴿لتسحرنا بها﴾ لتموه علينا بسبب تلك الآية ﴿فما نحن لك بمؤمنين﴾ فلا نصدقك .

[١٣٣] ﴿فأرسلنا عليهم الطوفان﴾ زاد الماء حتى طاف ببيوتهم وزرعهم وأغرقهم ﴿والجراد﴾ الذي أكل حرثهم ﴿والقمل﴾ في أبدانهم ﴿والضفادع﴾ فامتلات بيوتهم بالضفادع ﴿والدم﴾ فانقلب مياهم دماً ﴿آيات﴾ أدلة على صدق موسى ﷺ ﴿مفصلات﴾ مبینات واضحات لا تشكل على أحد ﴿فاستكبروا﴾ عن الإيمان ﴿وكانوا قوماً مجرمين﴾ .

[١٣٤] ﴿ولما وقع عليهم الرجز﴾ الثلج الأحمر مما سبب موتهم وكثرة أذاهم ﴿قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك﴾ من إجابة دعوتك، أو الباء للقسمة أي نقسمك بعهد الله ﴿لئن كشفت﴾ رفعت ﴿عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل﴾ نطلق سراجهم فإنهم كانوا تحت مراقبة شديدة من فرعون لا يأذن لهم بالخروج عن مصر .

[١٣٥] ﴿فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه﴾ إلى مدة إذا بلغوها نزل بهم العذاب ثانياً ﴿إذا هم ينكتون﴾ ينقضون عهدهم فلم يؤمنوا ولم يطلقوا بني إسرائيل .

[١٣٦] ﴿فانتقمنا منهم فأغرقناهم في اليم﴾ في البحر ﴿بانهم﴾ أي بسبب أنهم ﴿كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين﴾ لا يعلمون بها كالأغفال .

[١٣٧] ﴿وأورثنا القوم﴾ بني إسرائيل ﴿الذين كانوا يستضعفون﴾ أي يعدونهم ضعفاء، بالاستعباد والإذلال ﴿مشارك الأرض ومغاربها﴾ أي شرق مصر وغربها بمعنى جميع نواحي البلاد ﴿التي باركنا﴾ بالثمار وكثرة الأنبياء ﷺ ﴿فيها﴾ في تلك الأراضي ﴿وتمت كلمت ربك الحسنى﴾ أي الكلمة الحسنة ﴿على بني إسرائيل﴾ فإن الله وعدهم الخير إن آمنوا وبقوا على إيمانهم ﴿بما صبروا﴾ بسبب صبرهم ﴿وودمنا﴾ أهلكنا ﴿ما كان يصنع فرعون وقومه﴾ من الأبنية والعمارات ﴿وما كانوا يعرشون﴾ من الجنات ذات العرائش .

فَإِذَا جَاءَهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبِهِمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنْآ الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بِلُغْوِهِ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ ﴿١٣٥﴾ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِآيَتِنَا كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمِغْرِبَهَا الَّذِينَ بَرَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَوَدَّعْنَاهُمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ فَرْعُونَ وَقَوْمَهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾

[١٣٨] ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى الْبَحْرِ الْأَحْمَرِ طَرِيقًا إِلَى الْيَابِسَةِ، وَذَلِكَ لَمَّا اتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ ﴿فَاتَّوَا﴾ ﴿مَزَا﴾ ﴿عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ﴾ ﴿يَقِيمُونَ﴾ ﴿عَلَى﴾ عِبَادَةِ ﴿أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا﴾ صَنَمًا نَعْبُدُهُ ﴿كَمَا لَهُمْ﴾ لَهُؤُلَاءِ الْقَوْمُ ﴿إِلَهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ فَإِنَّ الصَّنَمَ لَا يَكُونُ إِلَهًا.

[١٣٩] ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ﴾ الْقَوْمُ ﴿مُتَّبِعُونَ﴾ مَهْلِكٌ ﴿مَا هُمْ فِيهِ﴾ مِنَ الدِّينِ ﴿وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ مِنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ.

[١٤٠] ﴿قَالَ﴾ مُوسَى ﷺ ﴿أَغِيرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ﴾ أَطْلُبْ لَكُمْ ﴿إِلَهًا وَهُوَ فَضْلُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ عَالَمِي زَمَانِكُمْ.

[١٤١] ﴿وَرُ﴾ اذْكُرُوا يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿إِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ﴾ يَذِيقُونَكُمْ ﴿سُوءَ الْعَذَابِ يَقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ يَقْتُلُونَهُنَّ لِلْخُدْمَةِ ﴿وَفِي ذَلِكَ﴾ عَذَابٌ ﴿بَلَاءٌ﴾ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿لَأنَّه سَلَّطَ فِرْعَوْنُ، وَلَمْ يَحِلْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا أَرَادَ﴾.

[١٤٢] ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى﴾ وَعَدْنَا لِإِعْطَائِهِ التَّوْرَةَ، بَعْدَ النِّجَاةِ مِنْ مِصْرَ ﴿ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ﴾ أَيِ أَضْفَانَا عَلَيْهَا عَشْرَ لَيَالٍ أُخْرَى ﴿فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ﴾ وَقْتُ وَعْدِهِ ﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ﴾ قَبْلَ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى الْمِيقَاتِ ﴿اخْلُفْنِي﴾ كُنْ خَلِيفَتِي ﴿فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ﴾ أُمُورَهُمْ ﴿وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ طَرِيقَتَهُمْ فِي الْفَسَادِ.

[١٤٣] ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ بِأَن خَلَقَ الْكَلَامَ فَسَمِعَهُ مُوسَى ﷺ ﴿قَالَ رَبُّ أَرْنِي أَنْظُرَ إِلَيْكَ﴾ لِأَن الْقَوْمَ طَلَبُوا مِنْهُ ذَلِكَ فَأَرَادَ ﷺ جَوَابَهُمْ ﴿قَالَ﴾ اللَّهُ ﴿لَنْ تَرَانِي﴾ أَوَّلًا، لِاسْتِحَالَةِ رُؤْيَا اللَّهِ ﴿وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ﴾ بِالقُرْبِ مِنْكَ ﴿فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾ فَلَمَّا تَجَلَّى رُؤْيَا رَبِّهِ لِلْجَبَلِ ﴿بَانَ أَظْهَرَ نُورِهِ عَلَيْهِ﴾ جَعَلَهُ دَكَاةً أَيِ مَدْكُوكَا وَمَدْقُوقَا ﴿وَوَخَزَ﴾ وَقَعَ ﴿مُوسَى صَعْقًا﴾ مَغْشِيًا عَلَيْهِ مِنَ الْهَيْبَةِ ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ﴾ مُوسَى ﷺ مِنْ غَشْوَتِهِ ﴿قَالَ سُبْحَانَكَ﴾ أَنْزَلَهُكَ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِكَ مِنَ الرُّؤْيَا ﴿ثَبَّتْ إِلَيْكَ﴾ مِنْ طَلَبِ الرُّؤْيَا ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى
أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ
قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ يَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ مَتَّبِعَاهُمْ فِيهِ وَيَطِلُ
مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغِيرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا
وَهُوَ فَضْلُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ
مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يَقْتُلُونَ
أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكَ بَلَاءٌ مِنْ
رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾ وَوَعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً
وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ
مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ
سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ
رَبُّهُ قَالَ رَبُّ أَرْنِي أَنْظُرَ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ
إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى
رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكَاةً وَخَزَّ مُوسَى صَعْقًا فَلَمَّا أَفَاقَ
قَالَ سُبْحَانَكَ ثَبَّتْ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾

[١٤٤] ﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي﴾ بأن كلمتك ﴿فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ﴾ أعطيتك من النبوة و الشريعة ﴿وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ .

[١٤٥] ﴿وَكُتِبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ﴾ هي ألواح التوراة التي نزلت من السماء وفيها كتابة التوراة ﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه في الدين ﴿مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ أي كل شيء من المواعظ ومن تفصيل الأحكام ﴿فَخُذْهَا﴾ أي الألواح ﴿بِقُوَّةٍ﴾ بجذ و عزيمة ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾ بأحسن ما فيها لا الواجب فقط كالنوافل والإحسان ﴿سَاورِكم﴾ حتى تنظروا ﴿دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ وهي جهنم .

[١٤٦] ﴿سَاصْرِفْ عَنْ آيَاتِي﴾ أي لا يتمكنون من أن ينالوها بسوء ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ أي تكبراً بالباطل ﴿وَلَنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ﴾ معجزة ﴿لَا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾ لعنادهم ﴿وَلَنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ﴾ الهدى ﴿لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ وإن يروا سبيل الغي ﴿الضَّلَالَةَ﴾ يتخذوه سبيلاً ذلك ﴿الصَّرْفُ﴾ أو ذلك العناد منهم ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ أي بسبب أنهم ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ أي كالجافل ، فإنهم لا يعلمون بالآيات .

[١٤٧] ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ﴾ أي ملاقة الحساب و الجزاء ﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ الحسنات في الدنيا ،

لأن الكفر يمحي الحسنات ﴿هَلْ يَجْزُونَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ استفهام إنكار ، أي أن جزاءهم هو طبق عملهم .

[١٤٨] ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ﴾ بعد ذهابه إلى الميقات ﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ﴾ كالسوار والخلاخل وما أشبه ﴿عَجَلًا﴾ ولد البقر ﴿جَسَدًا﴾ لا روح فيه ﴿لَهُ خَوَارٌ﴾ صوت ، قيل إن السامري احتال لدخول الهواء في جوفه فكان يصوت ﴿الْمُ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾ فكيف ﴿اتَّخَذُوهُ﴾ إلهاً ﴿وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ لأنفسهم بهذه العبادة .

[١٤٩] ﴿وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾ أي ندموا ، فإن الندام يضع رأسه على كفه ﴿وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا﴾ وذلك بعد مجيء موسى ﷺ وتوبيههم ﴿قَالُوا لَنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ الذين خسروا أنفسهم بالعقاب .

قَالَ يَمُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي
فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكُتِبْنَا
لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ
شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَاورِكم
دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ سَاصْرِفْ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ
فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا
بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا
سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ
الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِمْ
عَجَلًا جَسَدًا لَّهُمْ خَوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ
سَبِيلًا أَلَمْ يَتَّخِذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سَقَطَ
فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَنْ لَمْ يَرْحَمْنَا
رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾

[١٥٠] ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ فِي حالة الغضب﴾ «أسفاً» شديد الغضب و التأسف ﴿قَالَ﴾ «موسى عليه السلام» «بئسما خلقتُموني من بعدي» أي بئس خلافتكم حيث عبدتم العجل ﴿أعجلتم أمر ربكم﴾ أي وعده الذي وعده من أربعين ليلة، أي تركتموه غير تام ﴿وَأَلْقَى الْأَلْوَحَ﴾ من شدة حميته للدين وإظهاراً للتفرد من القوم ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾ كأنه يريد أن يخرج هو وأخوه من بين القوم ﴿قَالَ﴾ «هارون عليه السلام» «ابن أم» جاء باسم الأم استعطافاً ﴿إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّفُونِي﴾ أي عدوني ضعيفاً، فلم يسمعوا كلامي في كفهم عن عبادة العجل ﴿وَوَكَدُوا يُقْتُلُونَنِي﴾ أي قاربوا أن يقتلوني ﴿فَلَا تَشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءُ﴾ أي لا تعاتبني حتى يشمتم الأعداء بي، ويقولون إنك لست محبوباً لدى موسى ولذا يعاتبك ﴿وَلَا تَجْعَلَنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ أي لا تؤاخذني كما تؤاخذ عباد العجل الذين ظلموا أنفسهم بالشرك.

[١٥١] ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ﴾ استر علينا فإن الإنسان يحتاج إلى ستر الله دائماً ﴿لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ﴾ بمزيد الإنعام ﴿وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.
[١٥٢] ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ﴾ عبده ﴿سَيَنَالُهُمْ﴾ يلحقهم ﴿غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يقتل

وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعْجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمٍّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تَشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءُ وَلَا تَجْعَلَنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَحَ وَفِي شَحْنِهَا هَدًى وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ وَأَخَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ وَإِنِّي لَأَتْلُكُنَّ بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنِّي إِنِّي هِيَ الْإِفْكَنُكَ فَضَّلْتَنِي بِهَا مِنْ تَشَاءٍ وَتَهْدِي مِنْ تَشَاءٍ أَنْتَ وَلِيْنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٥٥﴾

بعضهم بعضاً ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ بالإشراك.

[١٥٣] ﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا﴾ بعد السيئات ﴿وآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.
[١٥٤] ﴿وَلَمَّا سَكَتَ﴾ سكن ﴿عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَحَ﴾ من الأرض ﴿وَفِي نَسْخَتِهَا﴾ أي ما نسخ وكتب فيها ﴿هَدًى وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ أي يخشون الله.

[١٥٥] ﴿وَأَخَارَ مُوسَى قَوْمَهُ﴾ من قومه ﴿سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا﴾ أي لوقت تكلم الله مع موسى عليه السلام، وذلك لأنهم طلبوا أن يسمعوا كلام الله تعالى ﴿فَلَمَّا﴾ جاءوا قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله عياناً ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ الزلزلة فماتوا جميعاً ﴿قَالَ﴾ «موسى عليه السلام» ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ لَوَ أَهْلَكْتَهُمْ﴾ «أهلكتهم من قبل» حضورهم الميقات ﴿وَلِإِنِّي﴾ بأن تهلكني معهم أيضاً، وذلك لأنه يهمني بنو إسرائيل بأنني قتلتهم ﴿أَهْلَكْتَنِي بِمَا فَعَلَ﴾ من طلب الرؤية ﴿السُّفَهَاءُ مِنِّي﴾ الباطن ﴿إِنِّي هِيَ الْإِفْكَنُكَ﴾ المتحانك، والاستفهام للاستعطاف ﴿فَضَّلْتَنِي بِهَا﴾ بالفتنة ﴿مِنْ تَشَاءٍ﴾ فان الفتنة تكون سبباً لإظهار ما في الباطن ﴿وَتَهْدِي مِنْ تَشَاءٍ أَنْتَ وَلِيْنَا﴾ الأولى بالتصرف فينا ﴿فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾.

[١٥٦] ﴿وَكَتَبْنَا لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ حسن المعيشة ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ حسن المعيشة ﴿إِنَّا هُدْنَا﴾ رجعنا بتوبتنا ﴿إِلَيْكَ قَالَ﴾ الله ﴿عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ﴾ ممن استحق العذاب ﴿وَوَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ فإن الخلق والرزق وما أشبه كلها رحمته ﴿فَسَاكِنْتَهَا﴾ أي الرحمة، بالنسبة إلى الآخرة ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا﴾ بحججنا ﴿يُؤْمِنُونَ﴾.

[١٥٧] ﴿الَّذِينَ﴾ بدل: ﴿الَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ ﴿يَتَّبِعُونَ الرُّسُولَ﴾ إلى الناس ﴿النَّبِيِّ﴾ من الله ﴿الْأَمْنِي﴾ المنسوب إلى مكة أم القرى ﴿الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا﴾ اسمه ووصفه ﴿عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ بِأَمْرِهِمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ ما يضر دينهم وديناهم ﴿وَيُضِعُّ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾ الحمل الثقيل ﴿وَالْأَغْلَالَ﴾ التي كانت عليهم ﴿(الْأَغْلَالُ) جمع غل، وهي الأمور التي قيدتهم من الشرائع والتقاليد، لأن الإسلام يطلق حريات الناس فلا حمل ثقيل على ظهورهم، ولا غل في أيديهم وأرجلهم﴾ ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ﴾ أي عظموه ﴿وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ﴾ القرآن، وأول بأمير المؤمنين علي عليه السلام ﴿الَّذِي أَنْزَلَ مَعَهُ أَوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون.

[١٥٨] ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ الذي له ملك السماوات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته ﴿أي كلمات الله كالكتب السابقة﴾ ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ إلى الحق وإلى الجنة.

[١٥٩] ﴿وَمَنْ قَوْمُ مُوسَى أُمَّةٌ﴾ جماعة ﴿يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ أي يعدلون بين الناس بسبب الحق، وهم كانوا في عصر موسى عليه السلام، أو بعده ممن آمن بالأنبياء عليهم السلام.

﴿وَكَتَبْنَا لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَاكِنْتَهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمْنِيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ بِأَمْرِهِمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمْنِيَّ الَّذِي يُوَفِّي بَالِ اللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ وَمَنْ قَوْمُ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ الذي له ملك السماوات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته ﴿أي كلمات الله كالكتب السابقة﴾ ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ إلى الحق وإلى الجنة.

[١٥٩] ﴿وَمَنْ قَوْمُ مُوسَى أُمَّةٌ﴾ جماعة ﴿يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ أي يعدلون بين الناس بسبب الحق، وهم كانوا في عصر موسى عليه السلام، أو بعده ممن آمن بالأنبياء عليهم السلام.

[١٦٠] ﴿وَقَطَعْنَاهُمْ﴾ فرقنا بني إسرائيل ﴿اثنتي عشرة أسباطاً﴾ كل قبيلة سبط لانتهاه نسبها إلى أحد أولاد يعقوب عليه السلام ﴿أمماً﴾ صفة (أسباطاً) ﴿وأوحينا إلى موسى إذ استسقاء﴾ طلب منه الماء في التيه ﴿قومه﴾ قومهم ﴿أن اضرب بمصاك الحجر﴾ الذي كان معه فضرب ﴿فانبجست منه﴾ خرجت من الحجر ﴿اثنتا عشرة عينا﴾ قد علم كل أناس ﴿كل قبيلة﴾ مشربهم ﴿المحل الذي يشربون منه﴾ وظللنا عليهم الغمام ﴿السحاب يقيهم الشمس﴾ وأنزلنا عليهم المن ﴿مادة حلوة﴾ والسلوى ﴿قسم من الطير﴾ كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ﴿حيث كفروا﴾ ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴿.

[١٦١] ﴿وإذ﴾ اذكر يا رسول الله ﴿قيل لهم اسكنوا هذه القرية﴾ بيت المقدس، للخلاص من التيه ﴿وكلوا منها﴾ حيث شئتم وقولوا حطة ﴿أي اللهم حط ذنوبنا﴾ وادخلوا الباب سجداً ﴿فإذا أردتم أن تدخلوا من باب القرية اسجدوا لله شكراً﴾ نغفر لكم خطيئاتكم سنزید المحسنين ﴿ثواباً﴾.

[١٦٢] ﴿فبذل الذين ظلموا منهم قولاً غير الذي قيل لهم﴾ بأن قالوا حنطة حمراء خير لنا ﴿فأرسلنا عليهم رجلاً﴾ عذاباً ﴿من السماء بما كانوا يظلمون﴾ أنفسهم بالبعيان.

وَقَطَعْنَاهُمْ اثْنَيْ عَشَرَ اسْبَاطًا أَمْماً وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ آبَ صَرْبٍ بِمِصْبَاحِ الْحَجَرِ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦١﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ سَنُزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦٢﴾ فَبَذَلُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْلاً مِنْ أَسْمَاءَ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٦٣﴾ وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٤﴾

[١٦٣] ﴿واسألهم﴾ أي استخبرهم يا محمد ﷺ توبيخاً لهم ﴿عن القرية التي كانت حاضرة البحر﴾ قرية من البحر وهي إيلة ﴿إذ يعدون﴾ يتجاوزون حدود الله ﴿في السبت﴾ يوم السبت، حيث كان صيد السمك محرماً عليهم يوم السبت فاتخذوا حياً متصلة بالبحر فكانت السمك تدخلها في السبت ولا تتمكن من الرجوع فيصيدونها يوم الأحد ﴿إذ تأتيهم حيتانهم﴾ أي الأسماك ﴿يوم سبتهم شرعاً﴾ ظاهرة على وجه الماء، لأنها عرفت أمانها هذا اليوم فكانت تظهر ﴿ويوم لا يسبتون﴾ لا يعظمون السبت، أي سائر الأيام ﴿لا تأتيهم﴾ الأسماك ﴿كذلك﴾ أي هكذا ﴿نبلوهم﴾ نختبرهم ﴿بما كانوا يفسقون﴾ إذ لولا فسقهم وإرادة الانتقام منهم لم نحرّم عليهم صيد السمك يوم السبت.

[١٦٤] ﴿وَإِذْ قَالَتْ عطف على (إذ يعدون) أمة﴾

جماعة ﴿منهم﴾ من أهل القرية، لجماعة كانوا يعظون الصائدين للسماك ﴿لم تعظون قوماً الله مهلكهم﴾ بإماتتهم ﴿أو معذبهم عذاباً شديداً﴾ دون الإهلاك، قالوا ما الفائدة في نصيحة هؤلاء؟ ﴿قالوا﴾ الناصحون ﴿معذرة﴾ لأجل أن يكون لنا عذر ﴿إلى ربكم﴾ نقول له يا رب قد نصحناهم ﴿ولعلمهم يتقون﴾ صيد سمك المحرم.

[١٦٥] ﴿فلما نسوا﴾ ترك الصائدون ﴿ما ذكروا به﴾ أي النصيح الذي ذكرهم الناصحون به ﴿أنجبنا الذين ينهون عن سوء﴾ وهم الناصحون فقط ﴿وأخذنا الذين ظلموا﴾ الصائدون والطاركون للنصح ﴿بعذاب بئيس﴾ شديد ﴿بما﴾ أي بسبب ما ﴿كانوا يفسقون﴾.

[١٦٦] ﴿فلما عتوا﴾ تكبروا ﴿عن ما نهوا عنه﴾ عن صيد السمك ﴿قلنا لهم كونوا قردة خاسئين﴾ مطرودين فانقلبوا قردة.

[١٦٧] ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ﴾ أي أذن وأعلم ﴿ربك ليعبثن﴾ ليلسطن ﴿عليهم﴾ على اليهود ﴿إلى يوم القيامة﴾ من يسومهم ﴿أي يؤذيههم﴾ سوء العذاب إن ربك لسريع العقاب ﴿لمن كفر﴾ وإنه لغفور ﴿لمن آمن﴾ ﴿رحيم﴾.

[١٦٨] ﴿وقطعناهم﴾ أي فرقناهم ﴿فني الأرض أمماً﴾ فرقاً ﴿منهم الصالحون﴾ الذين آمنوا بالأنبياء المتأخرين

﴿ومنهم دون ذلك﴾ غير مؤمنين ﴿وبلوناهم﴾ اختبرناهم ﴿بالحسنات﴾ بالنعم ﴿والسيئات﴾ النقم ﴿لعلهم يرجعون﴾ عن الكفر والمعاصي، ليشكروا النعم أو يتضرعوا عند النقم.

[١٦٩] ﴿فخلف من بعدهم﴾ بعد أولئك الأقوام ﴿خلف ورثوا الكتاب﴾ التوراة ﴿ياخذون عرض﴾ أي حطام ﴿هذا الأدنى﴾ يعني الدنيا، مقابل الآخرة التي هي أبعد ﴿ويقولون سيغفر لنا﴾ أي لا بأس بما فعله من الحرام فإن الله يغفر لنا ﴿وإن يأتهم عرض مثله﴾ أي مثل هذا العرض الأول ﴿ياخذوه﴾ أيضاً، والمعنى أنهم مصرون على الذنب والعصيان ﴿ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب﴾ أي العهد المذكور في الكتاب ﴿أن لا يقولوا على الله إلا الحق﴾ فكيف يقولون سيغفر لنا وهم مرتكبون للمعاصي ﴿ودرسوا ما فيه﴾ أي قرأوا ما في الكتاب ﴿والدار الآخرة خير للذين يتقون﴾ مما يأخذه اليهود من عرض هذا الأدنى ﴿أفلا تعقلون﴾.

[١٧٠] ﴿والذين﴾ عطف على (للذين) ﴿بمسكون﴾ يتمسكون ﴿بالكتاب﴾ التوراة ﴿وأقاموا الصلاة﴾ إنا لا نضيع أجر المصلحين ﴿الذين يصلحون أنفسهم بالطاعة﴾.

وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ يَعْظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مَهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعَذْرَةَ إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَبْنَا الَّذِينَ الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَزَا عَنْ مَا نَهَوْنَاهُمْ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قردة خاسئين ﴿١٦٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْفِتْنَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِنْهُمْ أَصْلَحَ حُوتٌ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلَهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالِدَارَ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾

عن النعم ﴿والسيئات﴾ النقم ﴿لعلهم يرجعون﴾ عن الكفر والمعاصي، ليشكروا النعم أو يتضرعوا عند النقم.

[١٧١] ﴿وَذَكِّرْ﴾ اذكر ﴿إِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُوا أَنَّهُ وَافِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [١٧١] واذكروا ما آتيناكم من التوراة بقوة بشدة واذكروا بالعمل ما فيه لعلكم تتقون المعاصي.

[١٧٢] ﴿وَإِذْ﴾ اذكر يا رسول الله زمان ﴿أَخَذَ رِبْكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ أخرج ذرية بني آدم من ظهورهم، إذ الظهر محل النطفة ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ إذ الفطرة شاهدة على الإنسان ﴿الست بربكم﴾ استفهام تقرير ﴿قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾ فإن فطرة كل إنسان تشهد بالتوحيد ﴿أَنْ تَقُولُوا﴾ وإنما أودع فيهم هذه الفطرة لئلا تقولوا، أيها البشر ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا﴾ أي التوحيد، وفي الروايات تأويل الآية بعالم الذر غافلين.

[١٧٣] ﴿أَوْ تَقُولُوا﴾ عذراً على شرككم ﴿إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ فاتبعناهم تقليداً ﴿أَنفَلَكُنَا﴾ يا رب ﴿بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ أي الآباء الذين أتوا بالباطل.

[١٧٤] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما بينا هذه الآيات ﴿نَفْصِلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ من الباطل إلى الحق.

[١٧٥] ﴿وَإِذْ﴾ اقرأ ﴿عليهم نبأ﴾ خبر ﴿الذي آتينا آياتنا﴾ حججنا، وهو (بلعلم) كان عالماً وأوتي الاسم الأعظم، فطلبوا منه أن يدعو على موسى عليه السلام فدعا عليه فانقلب الدعاء على نفس الداعي ﴿فَانسَلَخْ مِنْهَا﴾ أي من الآيات ولم يعمل بعلمه، كالحيوان الذي ينسلخ من جلده ﴿فَاتَّبَعَهُ﴾ لحقه ﴿الشيطان﴾ لأن من ترك جادة الحق لحقه الشيطان لإضلاله ﴿فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ الضالين.

[١٧٦] ﴿وَلَوْ شِئْنَا﴾ بالإيجاب ﴿لَرْفَعْنَاهُ﴾ إلى منزلة الأخيار ﴿بِهَا﴾ بسبب الآيات ﴿وَلَكِنَّهُ﴾ أي بلعلم ﴿أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ﴾ ركن إلى الدنيا ﴿وَإِتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ ولم يتبع الشريعة ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ﴾ بالطرد والزرع ﴿يَلْهَثُ﴾ يدلغ لسانه ﴿أَوْ تَتْرَكُهُ يَلْهَثُ﴾ فهو في كلا الحالين لاهث بخلاف سائر الحيوانات فإنها تلهث إذا حملت عليها فقط، فإن بلعماً دعا على موسى عليه السلام، وقد كان موسى عليه السلام تاركاً لبلعلم ومع ذلك دعا بلعلم عليه ﴿ذَلِكَ﴾ المثل ﴿مِثْلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا﴾ بآياتنا فاقصص القصص أي انقل لهم أخبار الماضين ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيعتبرون.

[١٧٧] ﴿سَاءَ﴾ بس المثل ﴿مِثْلُ الْقَوْمِ﴾ مثل القوم ﴿الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلَمُونَ﴾ بتكذيب آيات الله.

[١٧٨] ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ﴾ إلى الإيمان والطاعة ﴿فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾ حقيقة إذ ليست هداية غيره هداية ﴿وَمَنْ يَضِلَّ﴾ بتركه حتى يضل ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ الذين خسروا أنفسهم.

﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُوا أَنَّهُ وَافِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [١٧١] وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَنفَلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُتَعَبِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَلِكَ نَقُصُّ الْأَنْبَاءَ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنْ قَبْلُ لَكَ الْبُرْهَانَ فِي الْحَقِّ وَأَتَيْنَاهُ الْإِنشَاءَ فَانْسَلَخْ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرَكُهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مِثْلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا فَاقْصُصْ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَاءَ مِثْلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلَمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلَّ فَلَا وَلِيَّكَ هُمْ الْخَاسِرُونَ ﴿١٧٨﴾

[۱۷۹] ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا﴾ خلقنا ﴿لَجَهَنَّمَ﴾ أي تكون عاقبتهم دخول جهنم ﴿كثييراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها﴾ لا يفهمون الحق بتلك القلوب ﴿ولهم أعين لا يبصرون بها﴾ آيات الله ﴿ولهم أذان لا يسمعون بها﴾ المواعظ ﴿أولئك كالأنعام﴾ في عدم الفهم والعبارة بالنظر والسمع ﴿بل هم أضل﴾ لأن الأنعام لا تقدر وهؤلاء يغفلون مشاعرهم مع قدرتهم ﴿أولئك هم الغافلون﴾ عن الآيات.

[۱۸۰] ﴿ولله الأسماء الحسنى﴾ الأسماء الحسنة، فلا سوء في أسمائه وصفاته ﴿فادعوه بها﴾ أي بتلك الأسماء، فقولوا يا رحمان يا غفار، وهكذا ﴿وذروا﴾ اتركوا ﴿الذين يلحدون﴾ أي يميلون عن الحق ﴿في أسمائه﴾ فيسمون أسمائه على أصنامهم ﴿سيجزون﴾ في الآخرة ﴿ما كانوا يعملون﴾ من الإلحاد والعصيان.

[۱۸۱] ﴿وممن خلقنا﴾ أي جملة من الخلق ﴿أمة﴾ جماعة ﴿يهدون بالحق وبه يعدلون﴾ يحكمون بالعدل بين الناس.

[۱۸۲] ﴿والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم﴾ نقرّبهم إلى الهلاك درجة درجة ﴿من حيث لا يعلمون﴾ حيث إن تواتر النعم عليهم استدراج لأنها تشغلهم عن الحق.

[۱۸۳] ﴿وأملئ لهم﴾ أمهلهم ﴿إن كيدي﴾ أي بطشي و استدراجي، وسنّي كيداً، لأن ظاهره نعمة وباطنه نقمة ﴿متين﴾ قوي محكم.

[۱۸۴] ﴿أو لم يتفكروا ما بصاحبهم﴾ أي محمد ﷺ ﴿من جنة﴾ جنون ﴿إن هو﴾ ما هو ﴿إلا نذير﴾ منذر عن عذاب الله ﴿مبين﴾ واضح.

[۱۸۵] ﴿أولم ينظروا﴾ نظر اعتبار ﴿في ملكوت﴾ الملك العظيم الدال على وجود الله ﴿السموات والأرض وما خلق الله من شيء﴾ بيان (ما) والمراد به أصناف الخلق ﴿وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم﴾ أي أفلم ينظروا احتمال اقتراب أجلهم فيبادروا إلى الإيمان ﴿فبأي حديث بعده﴾ أي بعد القرآن مع وضوح دلالاته، والاستفهام للتوبيخ ﴿يؤمنون﴾.

[۱۸۶] ﴿من يضل الله﴾ بتركه حتى يضل ﴿فلا هادي له﴾ يجبره على الإيمان ﴿ويذرهم﴾ يتركهم ﴿في طغيانهم يعمهون﴾ العمه عمى القلب.

[۱۸۷] ﴿يسألونك عن الساعة﴾ أي القيامة ﴿إيان﴾ متى ﴿مرساها﴾ إرسائها أي إثباتها ﴿قل إنما علمها عند ربي﴾ لا يعلم وقتها أحد ﴿لا يجليها﴾ لا يظهرها ﴿لوقتها﴾ في وقتها ﴿إلا هو﴾ فعنده علمها وبيده إقامتها ﴿فقل في السموات والأرض﴾ عظمت على أهل السماء والأرض لخوفهم منها ﴿لا تأتكم إلا بفتة﴾ فجأة فيكون هولها أعظم ﴿يسألونك كأنك حفي﴾ مستقص في السؤال ﴿عنها﴾ فتعلم وقتها ﴿قل إنما علمها عند الله﴾ فالله وحده يعلم وقتها ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ أن علمها خاص بالله تعالى.

وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أُذُنٌ لَا يُسْمِعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ لَآ تَعْقِلُ ۚ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾
وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾ وَالَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمَلِّ لَهُمْ كَيْدِي مِتِّينَ ﴿١٨٣﴾ أُولَٰئِكَ يَنْفَكِرُ مَا بِأَصْحَابِهِمْ مِّنْ جُنَّةٍ إِنَّ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أُولَٰئِكَ نَنْتَظِرُ ۖ وَأَفِىٰ مَلَكُوتِ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَسَآءَ حَآدِي لَهُ ۖ وَيُذِرْهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ السَّاعَةِ آيَآتٌ ۚ مَّرْسَاهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي ۚ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ۚ قُلْتُ فِي السَّمَٰوٰتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ الْآيَةُ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَٰكِن أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾

[١٨٨] ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ بان يملكني إياه بالإعطاء والإلهام ﴿ولو كنت أعلم الغيب﴾ ما غاب عن الحواس، أي إذا كنت أعلمه بدون تعليم الله لي ﴿لاستكثر من الخير﴾ أي طلبت لنفسي خيراً كثيراً ﴿وما مسني السوء﴾ لأنني كنت أتجنب مواقع السوء ﴿إن أنا﴾ ما أنا ﴿إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون﴾ لأنهم المستفوعون بالإنذار والبشارة.

[١٨٩] ﴿هو الذي خلقكم من نفس واحدة﴾ آدم عليه السلام لأنه أول الخلق ﴿وجعل منها﴾ من جنس تلك النفس ﴿زوجها﴾ حواء ﴿ليسكن﴾ الرجل ﴿إليها﴾ إلى زوجته سكون الزوج إلى زوجته ﴿فلما تغشاهما﴾ جامعها ﴿حملت﴾ المرأة ﴿حماً خفيفاً﴾ لأن النطفة خفيفة ﴿فمرت به﴾ أي استمرت المرأة بالحمل لأنه خفيف فتجيء وتذهب كالسابق ﴿فلما أثقلت﴾ المرأة بكبر الحمل ﴿دعوا الله ربهما﴾ الزوجان ﴿لئن آتيتنا صالحاً﴾ ولداً صالحاً ﴿لنكونن من الشاكرين﴾ على هذه النعمة.

[١٩٠] ﴿فلما آتاهما صالحاً جعلا له﴾ لله ﴿شركاء﴾ بأن أشركوا بالله ﴿فيما آتاهما﴾ الله، فسموا أولادهم عبد العزى وعبد اللات ﴿فتعالى الله عما يشركون﴾ إنه أعلى من أن يكون له شريك.

[١٩١] ﴿أيشركون﴾ مع الله ﴿ما﴾ صنماً ﴿لا يخلق شيئاً﴾

قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبُ لَا سْتَكْرَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلٌ خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنُكَونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَبَشْرُكُمْ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لِمُهم نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صُنُوتٌ ﴿١٩٣﴾ إِنْ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آعَيْنٌ يَبْصُرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ أَدْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تَنْظُرُوا

وهم﴾ تلك الأصنام ﴿يخلقون﴾ فإن الصنم ينحته الإنسان والاستفهام للإنكار. [١٩٢] ﴿ولا يستطيعون﴾ الأصنام ﴿لهم﴾ لعبدها ﴿نصرأ﴾ فإن الصنم لا ينصر أحداً ﴿ولا أنفسهم ينصرون﴾ إذ لا يتمكن الصنم من دفع الأذى عن نفسه.

[١٩٣] ﴿وإن تدعوهم﴾ أي تدعوا المشركين، أيها المسلمون ﴿إلى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون﴾ ساكتون فإنهم معاندون.

[١٩٤] ﴿إن الذين تدعون من دون الله﴾ بأن تجعلوهم آلهة ﴿عباداً أمثالكم﴾ فإن كل شيء في الكون عبد ومملوك لله ﴿فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين﴾ بأنهم آلهة.

[١٩٥] ﴿ألهم﴾ استفهام إنكار، والضمير للأصنام ﴿أرجل يمشون بها أم لهم أيدٍ يبطشون﴾ يأخذون ويعملون ﴿بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها﴾ أي لا حواس لهم فأنتم أفضل منهم، فكيف جعلتموهم شركاء لله ﴿قل ادعوا شركاءكم﴾ أي الآلهة المزعومة ﴿ثم كيدون﴾ أي امكروا أنتم وآلهتكم للخلاص مني ﴿فلا تنظرون﴾ أي لا تمهلوني، وهذا تحد لهم وبيان أن الله حافظ لي.

[١٩٦] ﴿إِنْ وَلِيَّ﴾ الذي يتولى أموري ﴿الله الذي نزل الكتاب﴾ القرآن ﴿وهو يتولى الصالحين﴾ من عباده .
 [١٩٧] ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ من الأصنام ﴿لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون﴾ فالصنم لا ينصر عباده ولا نفسه .

[١٩٨] ﴿وَأَنْ تَدْعُوهُمْ﴾ أي المشركين ﴿إلى الهدى لا يسمعون﴾ سماع انتفاع ﴿وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون﴾ إذ لا يعتبرون بالنظر فعالهم حال الأعمى .

[١٩٩] ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ اعف عن الناس ، أو خذ عفو أموال الناس ﴿وأمر بالعرف﴾ المعروف المستحسن عقلاً و شرعاً ﴿وأعرض عن الجاهلين﴾ قابل سفهمهم بالحلم .

[٢٠٠] ﴿وَأَمَّا﴾ (إن) شرطية و(ما) زائدة ﴿ينزعجك من الشيطان نزع﴾ أي يوسوس الشيطان بوسوسة ﴿فاستعد بالله﴾ التجأ إليه من شر الشيطان ﴿إنه سميع عليم﴾ .

[٢٠١] ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ اجتنبوا المعاصي ﴿إذا مسهم طائف﴾ أي خاطر يأتي إلى ذهنهم ﴿من﴾ قبل ﴿الشيطان تذكروا﴾ الله سبحانه ﴿فإذا هم مبصرون﴾ للرشد فلا يتبعون الشيطان .

[٢٠٢] ﴿وَمَا﴾ أما ﴿إخوانهم﴾ أي إخوان الشياطين ، وهم الكفار والعصاة ، إذا مسهم طائف ﴿يمدونهم﴾ أي يمدون الشياطين باتباع تلك الوسوسة ﴿في الغي ثم لا يقصرون﴾

أي لا يرجعون عن الغي بل يستمرون في اتباع وسوسة الشيطان .

[٢٠٣] ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ﴾ يا رسول الله ﴿بآية﴾ بمعجزة اقترحها الكفار ﴿قالوا لولا اجتبتيتها﴾ أي لماذا لم تختار هذه المعجزة المقترحة بأن تأتي بها ﴿قل إنما أتبع ما يوحى إلي﴾ فلا أتى بالمعجزة من عندي وإنما أتى بما يوحى الله إلي ﴿من ربي هذا بصائر﴾ دلائل تبصر القلوب ، فتكفي دليلاً ، وأية حاجة إلى المعجزة التي تقترحونها ﴿من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾ .

[٢٠٤] ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾ الاستماع بسكوت ﴿لعلكم ترحمون﴾ .

[٢٠٥] ﴿وَإِذَا دُكِرَ بِكَ﴾ في نفسك ﴿ففي قلبك﴾ بضرعة وخشوع ﴿وخيفة﴾ خائفاً من عذاب الله ﴿ودون الجهر من القول﴾ أي فوق السر وأقل من الجهر الرفيع ﴿بالغدو﴾ صباحاً ﴿والأصال﴾ جمع أصيل بمعنى العصر ﴿ولا تكن من الغافلين﴾ عن ذكر ربك .

[٢٠٦] ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ هم الملائكة أي بالقرب الشرفي منه تعالى ﴿لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه﴾ ينزهونه عما لا يليق به ﴿وله يسجدون﴾ خضوعاً وتذلاً .

إِنَّ وَلِيَّيَ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابُ وَهُوَ تَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴿١٩٦﴾
 وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِنَّمَا يَرْغَبُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ وَادْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرَّعًا وَخَيْفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴿٢٠٦﴾

٨: سورة الأنفال

مدنية آياتها خمس وسبعون

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

[١] ﴿يَسْأَلُونَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَنْ ﴿حُكْمِ﴾ ﴿الْأَنْفَالِ﴾ وَهِيَ مَا أَخَذَ عَنْ دَارِ الْحَرْبِ بِغَيْرِ قِتَالٍ، وَمَا أَشْبَهَهُ ﴿قُلِ﴾ ﴿الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ وَلَمَنْ قَامَ مَقَامَهُ مِنَ الْأَنْثَمَةِ الْمَعْصُومِينَ ﷺ ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ وَلَا تَجْعَلُوا الْأَنْفَالَ فِي سَبِيلِ آخَرٍ ﴿وَأَصْلَحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ أَيِ الْحَالَةِ الَّتِي بَيْنَكُمْ فَلَا تَفْسُدُوهَا ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ فَإِنَّ الْإِيمَانَ يَقْتَضِي الصَّلَاحَ.

[٢] ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ خَافَتْ لِمَجْرَدِ ذِكْرِهِ سُبْحَانَهُ، لِأَنَّ عَظَمَتَهُ مَلَأَتْ نَفْسَهُمْ ﴿وَإِذَا تَلَّيْتُمْ﴾ قَرَأْتَ ﴿عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ فَإِنَّ الْمَلَكَ تَقْوَى بِالْتَّكْرَارِ ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ يَفُوضُونَ أُمُورَهُمْ إِلَيْهِ تَعَالَى.

[٣ - ٤] ﴿الَّذِينَ يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ * أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴿إِيمَانًا حَقًّا﴾ لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴿فِي الْجَنَّةِ﴾ ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ غَفْرَانِ لِمَا بَدَرُ مِنْهُمْ مِنَ السَّيِّئَاتِ ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ مَعَ الْكَرَامَةِ وَالتَّعْظِيمِ.

[٥] ﴿كَمَا﴾ أَيِ جَعَلَ اللَّهُ الْأَنْفَالَ لَكَ، وَإِنْ كَرِهُوا كَمَا

﴿أَخْرَجَكَ﴾ اللَّهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ﴿رَبِّكَ مِنْ بَيْتِكَ﴾ مِنَ الْمَدِينَةِ لِأَجْلِ الْجِهَادِ ﴿بِالْحَقِّ وَإِنْ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾ يَكْرَهُونَ الْحَرْبَ لِمَشَقَّتِهِ.

[٦] ﴿يَجَادِلُونَكَ﴾ أَيِ الْمُسْلِمُونَ الَّذِينَ خَافُوا مِنَ الْقِتَالِ ﴿فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ﴾ أَنَّهُ حَقٌّ لِمَا ظَهَرَ لَهُمْ مِنْ صِحَّةِ قَوْلِكَ وَصَدَقِكَ ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ﴾ فَإِنَّهُمْ كَرِهُوا أَنْ يَحَارِبُوا فِي غَزْوَةٍ بَدَرُ كَرَاهَةٍ مِثْلَ كَرَاهَةِ سِيَاقِهِمْ إِلَى الْمَوْتِ ﴿وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ فِي حَالَةِ أَنَّهُمْ يَرُونَ الْمَوْتَ بَعَيْنِهِمْ.

[٧] ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ﴾ وَعَدًا حَسَنًا ﴿إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ﴾ إِمَّا الْعِيرَ الْآتِيَةَ مِنَ الشَّامِ لِيَغْنِمُوهُ أَوْ النَّفِيرَ إِلَى الْحَرْبِ مَعَ قَرِيشٍ ﴿أَنَّهُمَا﴾ أَيِ إِحْدَاهُمَا ﴿لَكُمْ﴾ إِمَّا تَغْنَمُونَ أَوْ تَنْتَصِرُونَ ﴿وَتَوَدُّونَ﴾ تَحْبُونَ ﴿أَنْ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَ﴾ الْأَبْهَةَ وَالْعَظْمَةَ، وَغَيْرِ ذَاتِ الشُّوْكَ هُوَ الْعِيرُ ﴿تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحَقِّقَ الْحَقَّ﴾ يَشْبِثُهُ ﴿بِكَلِمَاتِهِ﴾ السَّابِقَةِ الَّتِي وَعَدَكُمْ مِنْ نَصْرَةِ الْإِسْلَامِ ﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ﴾ يَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ.

[٨] ﴿لِيُحَقِّقَ﴾ اللَّهُ ﴿الْحَقَّ﴾ بِسَبَبِ الْمُحَارَبَةِ ﴿وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ إِحْقَاقَ الْحَقِّ.

سُورَةُ الْأَنْفَالِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلَحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تَلَّيْتُمْ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنْ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ ﴿٥﴾ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنْ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحَقِّقَ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحَقِّقَ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾

[٩] ﴿إِذْ﴾ متعلق بـ (يحق) أي ذلك حال استجرتكم بالله في غزوة بدر ﴿تَسْتَفِثُونَ رِبْكُمْ فَاسْتَجَابَ﴾ أجاب الله ﴿لَكُمْ﴾ قائلاً ﴿آتَى مِمْدَكُم بِالْف من الملائكة مردفين﴾ بعض ردف بعض أتوا لنصرتكم .

[١٠] ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ﴾ أي إمداد الملائكة ﴿إِلَّا بَشَرَى﴾ بشارة لكم بالنصر ﴿وَلَتَطْمِئِنَّ بِهِ﴾ أي بالنصر ﴿قُلُوبُكُمْ﴾ فإن الإنسان إذا عرف أن له مدداً مطمئن قلبه ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ لا من العدد والعدد والملائكة ﴿إِنْ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ .

[١١] ﴿إِذْ﴾ بدل من (إذ يعدكم) ﴿يَغْشِيكُمْ النُّعَاسُ﴾ يغلبكم النوم ﴿أَمْنَةً مِنْهُ﴾ أمناً من الله، إذ الأمن يقدر على النوم أما الخائف فلا تغمض له عين ﴿وَيُنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ المطر، فقد جنبوا في الليلة ولم يكن لهم ماء للشرب والغسل، وكان محلهم رملياً رخواً يحتاج إلى الماء ليقوى، فأنزل الله المطر ﴿لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ﴾ أي بالماء من لوث الجنابة ﴿وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْسَ الشَّيْطَانِ﴾ إما المراد به الجنابة، أو وسوسته حيث وسوس إليهم أنهم على باطل، وإلا فلماذا الجنابة وعدم الماء ﴿وَلِيُرِيْبُكُمْ﴾ ليشد الله ﴿عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾ بأن تعلموا أنه يلطف بكم ﴿وَيُثَبِّتُ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ في الأرض الرملية، إذ الماء يلبد الأرض .

﴿إِذْ تَسْتَفِثُونَ رِبْكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَيْ مِمْدَكُم بِالْف من الملائكة مَرُوفِينَ﴾ ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بَشَرَى وَلَتَطْمِئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ﴿إِذْ يَغْشِيكُمْ النُّعَاسُ أَمْنَةً مِنْهُ وَيُنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْسَ الشَّيْطَانِ وَلِيُرِيْبُ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَيْ مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْتُ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ﴿ذَلِكَ بِمَا كَفَرُوا وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ﴾ ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ﴾ ﴿وَمَنْ يُولُوهُمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقَالٍ أَوْ مُتَحِيزًا إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَا وَثَّهْهُمْ وَبَسَّ الْمَصِيرُ﴾

[١٢] ﴿إِذْ﴾ متعلق بـ (يثبت) ﴿يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَيْ مَعَكُمْ﴾ بالنصر ﴿فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ قووا قلوبهم وبشروهم بالنصر ﴿سَأَلْتُ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ الخوف من المؤمنين ﴿فَأَضْرِبُوا﴾ الكفار ﴿فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾ أي الرؤوس ﴿وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ أصابع اليد والرجل فإنه يورث الوجع الشديد وشل قوى الخصم .

[١٣] ﴿ذَلِكَ﴾ العذاب إنما نزل بهم ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ بسبب أنهم ﴿شَاقُوا﴾ خالفوا ﴿اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ في الدنيا والآخرة .

[١٤] ﴿ذَلِكَ﴾ العقاب أيها الكفار ﴿فَذُوقُوهُ﴾ في الدنيا ﴿وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ﴾ في الآخرة .

[١٥] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا﴾ متدائنين لقتالكم ﴿فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ﴾ فلا تنهزموا .

[١٦] ﴿وَمَنْ يُولُوهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾ وقت الزحف ﴿دُبُرَهُ﴾ بأن أعطاهم خلفه للفرار ﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا﴾ يريد التوجه إلى ناحية أخرى ﴿لِقِتَالٍ﴾ لا انه يريد الفرار ﴿أَوْ مُتَحِيزًا﴾ منحازاً قاصداً ﴿إِلَى فِتْنَةٍ﴾ جماعة ليتقوى بهم حال الحرب ﴿فَقَدْ بَاءَ﴾ رجع حال فراره ﴿بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾ يصحبه غضب الله عليه ﴿وَمَا وَثَّهْهُمْ﴾ محله ﴿جَهَنَّمَ وَبَسَّ الْمَصِيرُ﴾ لأنه مصير سيئ .

[١٧] ﴿فَلَمْ يَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِئَلَّيْكَ الْمُؤْمِنُونَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسْبًا﴾ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ كَيْدُ الْكَافِرِينَ ﴿١٨﴾ إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْهَوْا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَعُدُّوا نَعْدُو لَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِتْنَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنَّهُ وَتَوَلَّوْا سَمْعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ إِنْ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ إِلَيْكُمْ وَالَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَهِ تَحْشُرُونَ ﴿٢٤﴾ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾

[١٨] الأمر ﴿ذَلِكُمْ﴾ الذي ذكرنا ﴿وَأَنَّ﴾ عطف على ﴿ذَلِكُمْ﴾ ﴿اللَّهُ موهن كيد الكافرين﴾ أي مكرهم .

[١٩] ﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا﴾ تطلبوا الفتح والنصرة ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾ في بدر، وهذا خطاب للمؤمنين، ثم صار التفات الكلام إلى الكفار بقوله ﴿وَإِنْ تَنْتَهُوا﴾ عن الكفر ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَعُدُّوا﴾ إلى حرب المسلمين ﴿نَعْدُ﴾ إلى نصرهم ﴿وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِتْنَتُكُمْ﴾ جماعتكم ﴿شَيْئًا﴾ فإن الله ينصر دينه ﴿وَلَوْ كَثُرَتْ﴾ فتتكم أيها الكفار ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ .

[٢٠] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنَّهُ﴾ أي لا تعرضوا عن أوامر الرسول ﷺ ﴿وَاتَّقُوا تَسْمَعُونَ﴾ كلامه .

[٢١] ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ لا يعملون بما سمعوا .

[٢٢] ﴿إِنْ شَرَّ الدَّوَابِّ﴾ ما يذب على الأرض ﴿عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ إِلَيْكُمْ﴾ أي الذي لا يسمع سماع فهم ولا يتمكن أن يتكلم ﴿الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ الحق، والمراد بشر الدواب الكفار، لأنهم أسوأ حيث أبطلوا فوائد سمعهم ولسانهم فلا يسمعون الحق ولا يقولون الحق .

[٢٣] ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ﴾ بأن أفهمهم الحق لطفاً بهم ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾ حال عنادهم ﴿لَتَوَلَّوْا﴾ أعرضوا عن الحق جسماً ﴿وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ قلباً .

[٢٤] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا﴾ أجبوا ﴿لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ فإن في الإسلام الحياة الطبية في الدنيا والآخرة ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَالْإِنْسَانَ﴾ وقلبه حتى أنه يريد قلبه شيئاً فلا تطيعه جوارحه، وهذا دليل على شدة سلطة الله تعالى على الإنسان فهو مطلع بمكنونات قلوبكم ﴿وَأَنَّهُ إِلَهِ تَحْشُرُونَ﴾ تعالى ﴿تَحْشُرُونَ﴾ تجمعون في الآخرة .

[٢٥] ﴿وَاتَّقُوا﴾ خافوا ﴿فِتْنَةً﴾ عذاباً ﴿لَا تُصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ فإن العذاب إذا جاء يشمل الظالم كفاعل المنكر وغيره كالمساكن عن النهي عن المنكر ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ فلا تعرضوا أنفسكم لعقابه .

[٢٦] ﴿وَاذْكُرُوا﴾ تذكروا ﴿إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ﴾ حال ما قبل الهجرة ﴿مُسْتَضْعَفُونَ﴾ لفريش ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مكة ﴿تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ﴾ يأخذوكم بسرعة لأجل التعذيب كما فعلوا ببلال وغيره ﴿فَأَوَّاكُمْ﴾ جعل لكم مأوى في المدينة ﴿وَأَيَّدَكُمْ﴾ قواكم ﴿بِنَصْرِهِ﴾ على الكفار ﴿وَوَرَزَكُمُ مِنَ الطَّيْبَاتِ﴾ بعد أن كنتم في حالة الفقر في مكة ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ .

[٢٧] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ بعدم الإتيان بشيء من الدين، إذ الدين أمانة الله والرسل ﴿وَالَّذِينَ لَا يَخُونُوا أَمَانَاتَهُمْ﴾ فيما بينكم ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ قبح الخيانة.

[٢٨] ﴿وَعَلِّمُوا أَنَا أَمْوَالَكُمْ وَأَوْلَادَكُمْ فَتَنَّةً﴾ امتحان فهل تطيعون الله فيهما أم لا ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ إذا وفيتهم بالأمانة.

﴿٢٩﴾ يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله، أي تخافوه فتعملون بأوامره ﴿يجعل لكم فرقانا﴾ ما تفرقون به بين الحق والباطل، إذ الملكة إنما تحصل بالتقوى ﴿ويكفر﴾ يمحى ﴿عنكم سيئاتكم ويغفر لكم﴾ يستر عليكم والستر غير المحو ﴿والله ذو الفضل العظيم﴾.

[٣٠] ﴿وَإِذْ أَذْكَرَ يَا رَسُولَ اللَّهِ زَمَانَ ﴿يُمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أَيْ يَحْتَالُونَ فِي مَكَّةَ لِأَجْلِ إِذْنَاكَ ﴿لِيُشْتَوِكَ﴾

بالوثاق والأغلال والحبس ﴿أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يَخْرُجُوكَ﴾ من مكة ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾ يعالج الأمر لأجل إنقاذك ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ أعلمهم بالتدبير وعلاج الأمور.

[٣١] ﴿وَإِذَا تَتْلَىٰ﴾ تقرأ ﴿عليهم﴾ على الكفار ﴿آيَاتِنَا﴾ آيات القرآن ﴿قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا﴾ بآذاننا ﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾ فليس القرآن معجزاً ﴿إِنْ هَذَا﴾ ما هذا القرآن ﴿إِلَّا أَصَاغِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ أى قصصهم الخرافية.

[٣٢] ﴿وَإِذْ أَذَكَرَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ﴿قَالُوا﴾ الْكُفَّارُ ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا﴾ الْقُرْآنَ، وَأَوَّلَ بِقِصَّةِ الْغَدِيرِ حَيْثُ نَصَبَ الرَّسُولَ ﷺ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ خَلِيفَةً وَإِمَامًا مِنْ بَعْدِهِ ﴿هُوَ الْحَقُّ مِنْ بَعْدِهِ﴾ فَأَمْطَرَ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ ﴿كَمَا أَمْطَرْتَ عَلَى قَوْمِ لُوطٍ﴾ أَوْ اثْنَتَا بَعْدَازِ الْيَمِّ ﴿مُؤَلَّمٌ﴾.

[٣٣] ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ فرحمة بك لا يعذب قومك ولو كانوا كفاراً ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ﴾ وهم يستغفرون ﴿فَإِنْ بَعْضُ كُفَّارٍ مَكَّةَ كَانَ لَا يَظُنُّونَ بِاللَّهِ اسْتَغْفَرُونَ﴾، أو المراد وجود بعض المؤمنين المستغفرين فيهم.

[٣٤] ﴿وَمَا لَهُمْ آلَا يَعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَلَٰكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءٌ وَتَصْدِيدَةٌ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيَنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٧﴾ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمُهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِذَا انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ يَمَّا يَعْمَلُونَ بِصِيرٍ ﴿٤٠﴾ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعَمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعَمَ النَّصِيرِ ﴿٤١﴾﴾

[٣٥] ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ﴾ أي ما كان يسميه الكفارة صلاة ﴿عند البيت﴾ الحرام ﴿إلا مكاء﴾ صفيراً ﴿وتصدية﴾ تصفيقاً ﴿فذوقوا العذاب﴾ أي السيف يوم بدر، أو عذاب الآخرة ﴿بما كنتم تكفرون﴾ بسبب كفركم.

[٣٦] ﴿إِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدَّوْا﴾ يمنعوا ﴿عن سبيل الله﴾ عن دين الله ﴿فسينفقونها﴾ في المستقبل لأجل محاربة المسلمين ﴿ثم تكون الأموال عليهم حسرة﴾ أسباب حسرة لأنهم لا يغلبون المسلمين ويعاقبون في الآخرة ﴿ثم يغلبون﴾ في الحرب ﴿والذين كفروا﴾ ولم يسلموا ﴿إلى جهنم يحشرون﴾ يجمعون هنالك في العذاب.

[٣٧] ﴿وإنما يمتحن الله الناس بتلك الامتحانات المتقدمة ليميز الله الخبيث﴾ المشرك والعاصي ﴿من الطيب﴾ المؤمن المطيع ﴿ويجعل الخبيث بعضه على بعض﴾ يجمعهم ﴿فيركمه﴾ يجمعه كالركام ﴿جميعاً فيجعلهم في جهنم أولئك هم الخاسرون﴾ الذين خسروا أنفسهم.

[٣٨] ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ من الكفر والعصيان لأن الإسلام يجب ما قبله ﴿وإن يعودوا﴾ على كفرهم بأن يستمروا عليه، أو إلى حرب الرسول ﷺ ﴿فقد مضت سنة الأولين﴾ أي دأب الله بالتدبير لمن استمر على الكفر والعصيان.

[٣٩] ﴿وقاتلوهم﴾ أيها المسلمون ﴿حتى لا تكون فتنة﴾ أي لا يوجد في البلاد شرك ﴿ويكون الدين﴾ الطريقة ﴿كله﴾ لله، بأن تضمحل الأديان الباطلة ﴿فإن انتهوا﴾ من الكفر ﴿فإن الله بما يعملون بصير﴾ فيجازيهم على أعمالهم.

[٤٠] ﴿وإن تولوا﴾ أعرضوا ﴿فاعلموا أن الله مولاكم﴾ يتولى شؤونكم فلا تخشوهم أيها المسلمون ﴿نعم المولى ونعم النصير﴾ الذي ينصركم على أعدائكم.

[۴۱] ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ من الفوائد سواء أخذتموه من الكفار، أم غير ذلك كأرباح الاكتساب ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾ يصرف في ما أمر الله به ﴿وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ﴾ أقرباء الرسول ﷺ وهم الإمام ﷺ والسادة ﴿وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ المنقطع في طريقه، وهذه الطوائف من السادة ﴿إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ﴾ أي أعطوا الخمس إن تؤمنون بالله ﴿وَوُكِّلَ بِكُمْ﴾ بـ ﴿مَا أَنْزَلْنَا﴾ من الفتح والآيات ﴿عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ محمد ﷺ ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾ الذي ميّز الله فيه الحق من الباطل وهو يوم بدر ﴿يَوْمَ التَّقِيهِ الْجَمْعَانِ﴾ تلاقي الكفار والمسلمون ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه نصركم.

[۴۲] ﴿إِذْ﴾ بدل من (يوم الفرقان) ﴿أَنْتُمْ﴾ أيها المسلمون ﴿بِالْعُدُوِّ﴾ هي بمعنى شفير الوادي ﴿الدُّنْيَا﴾ أي القربة من المدينة ﴿وَهُمْ﴾ الكفار ﴿بِالْعُدُوِّ الْقَصْوَىٰ﴾ جانبه الأبعد من المدينة ﴿وَالرَّكِبِ﴾ وهو العير^(۱) الذي جاء من الشام إلى المدينة وندب النبي ﷺ أصحابه لغزوه ﴿أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ يعني ساحل البحر ﴿وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ﴾ أنتم والكفار للقتال ﴿لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ﴾ لعلكم لا تخرجون لما تشاهدون من ضعفكم وقوتهم ﴿وَلَكِنْ﴾ الله جمعكم بلا ميعاد ﴿لِيَقْضِيَ اللَّهُ﴾ أي ينفذ ﴿أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ أي كائناً لا محالة وهو نصركم ﴿لِيَهْلِكَ﴾ بدل من (ليقضي) ﴿مَنْ هَلَكَ﴾ بالكفر ﴿عَنْ بَيْنَةٍ﴾ بعد إقامة الحجة عليه بما رأى في بدر من الآيات ﴿وَيُحْيِيَ﴾ بالإيمان ﴿مَنْ حَيَّ عَنْ بَيْنَةٍ﴾ وإن الله لسميع عليم.

[۴۳] ﴿إِذْ يَرْيَكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا﴾ رأى النبي ﷺ الكفار في منامه جماعة قليلة فأخبر أصحابه ﴿وَلَوْ أَرَاكُمْ كَثِيرًا﴾ بان رأيهم النبي ﷺ كثيراً فأخبر أصحابه بكثرتهم ﴿لَفَشَلْتُمْ﴾ خوفاً منهم ﴿وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ أمر القتال هل تقدمون أم لا ﴿وَلَكِنْ اللَّهُ سَلَّمَ﴾ سلمكم من الفشل والتنازع ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أي بما في القلوب.

[۴۴] ﴿وَإِذْ يَرْيَكُمُوهُمْ﴾ أي إن الله أراكم الكفار عند الاصطفاف ﴿إِذْ التَّقِيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا﴾ حتى ظن المسلمون أنهم بين سبعين ومائة ﴿وَيَقْلَلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ﴾ ورأى الكفار المسلمين قليلاً أيضاً وذلك حتى تتجرأ كل طائفة في قتال الأخرى ﴿لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ وإلى الله ترجع الأمور ﴿فَإِنْ اخْتَارَ كُلُّ أَمْرٍ بِيَدِ اللَّهِ تَعَالَىٰ﴾.

[۴۵] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً﴾ أي جماعة كافرة ﴿فَانْتَبِهُوا﴾ لقتالهم ﴿وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ تظفرون.

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدُوِّ الدِّينِيَّةِ وَهُمْ بِالْعُدُوِّ الْقَصْوَى وَالرَّكِبِ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَا خِلَافَ لَكُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيْنَةٍ وَبَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيْنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ إِذْ يَرْيَكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكُمْ كَثِيرًا لَفَشَلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ وَإِذْ يَرْيَكُمُوهُمْ إِذْ التَّقِيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيَقْلَلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

[٤٦] ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ دولتكم، شبهت بالريح لأن لكل واحد منهما نفوذاً وحركة واسعة ﴿وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ .
 [٤٧] ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ بلادهم، وهم كفار قريش ﴿بَطْرًا﴾ فخرًا ﴿وَوَرَاءَ النَّاسِ﴾ أي رياءً ليثني الناس عليهم بالشجاعة ﴿وَيَصْدُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ عن دينه ﴿وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ إحاطة علم وقدره فيجازيهم بما عملوا .

[٤٨] ﴿وَإِذْ﴾ اذكر يا رسول الله ﴿زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانِ أَعْمَالِهِمْ﴾ من الكفر ومحاربة الرسول ﷺ ﴿وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ﴾ أي لا أحد يغلبكم أيها الكفار ﴿وَإِنِّي جَارٌّ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ ناصرٌ ﴿لَكُمْ﴾ فلما تراءت ﴿تَلَاقَتِ الْفِئَتَانِ﴾ المسلمون والكفار ﴿تَكْصُ﴾ رجع الشيطان ﴿عَلَى عَقْبَيْهِ﴾ عقيب رجله كما يفعله المتقهقر، فإن الشيطان تصور بصورة سراقة وأخذ اللواء وغش الكفار بكلامه ثم لما رأى الملائكة ألقى العلم وشرذ ﴿وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ﴾ أيها الكفار ﴿إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ﴾ من الملائكة النازلين لنصرة المسلمين ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ﴾ أن يعذبني على أيدي الملائكة ﴿وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ .

[٤٩] ﴿إِذْ﴾ اذكر يا رسول الله ﴿يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ

فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ شك في الإسلام ﴿غَرَضٌ﴾ خدع

﴿هُؤُلَاءِ﴾ المسلمين ﴿دِينَهُمْ﴾ فإن دينهم أوجب أن يخرجوا إلى الكفار مع قلة المسلمين ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ

عَزِيزٌ﴾ لا يغلب ﴿حَكِيمٌ﴾ أي يفعل حسب المصلحة .

[٥٠] ﴿وَلَوْ تَرَى﴾ أيها الرائي ﴿إِذْ يَتَوَفَّى﴾ يقبض أرواح ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ﴾ في بدر ﴿يَضْرِبُونَ﴾ أي في حال كون

الملائكة يضربون ﴿وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ يقولون لهم ﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ أي المحرق .

[٥١] ﴿ذَلِكَ﴾ العذاب ﴿بِ﴾ سبب ﴿مَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ﴾ من الكفر والعصيان ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ﴾ بذي ظلم

﴿لِّلْعَبِيدِ﴾ .

[٥٢] ﴿كَذَّابٌ﴾ أي دأب وعادة هؤلاء الكفار مثل دأب ﴿أَلْ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من سائر الأمم الكافرة ﴿كَفَرُوا

بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾ كما أخذ كفار مكة ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ .

وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ
 وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ
 خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْرًا وَرَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ
 عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ يَمَّا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ
 الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ
 النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌّ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَ اتَّ الْفِئَتَانِ نَكَصَ
 عَلَى عَقْبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ
 إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ إِذْ يَقُولُ
 الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ غَرَضُوا هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ
 وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾
 وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ
 وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَلِكَ
 بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾
 كَذَّابٌ أَلْ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ
 فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥٢﴾

[٥٣] ﴿ذَلِكَ﴾ التعذيب للكفار ﴿بِ﴾ سبب ﴿أَنَّ﴾ الله لم يك مغيراً ﴿مِبدلاً﴾ نعمته أنعمها على قوم ﴿بِ﴾ بالنقمة ﴿حتى﴾ يغيثوا ما بأنفسهم ﴿أي﴾ ما بهم من حال إلى حال أسوأ كما بدل الكفار حالهم السيئ إلى حال أسوأ هو محاربة الإسلام ﴿وَأَنَّ﴾ الله سميع عليم .

[٥٤] ﴿كَذَّابٌ﴾ آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم ﴿بعد عملهم بالمعاصي﴾ فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون وكل ﴿من﴾ الأمم المكذبة ﴿كانوا﴾ ظالمين ﴿لأنفسهم﴾ حيث عصوا وعادوا الأنبياء ﷺ .

[٥٥] ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ﴾ أي الأسوأ من كل دابة ﴿عند الله﴾ الذين كفروا ﴿خبر﴾ (إن) وهم شر من الدواب لأنهم عطلوا عقولهم ﴿فهم لا يؤمنون﴾ .

[٥٦] ﴿الَّذِينَ﴾ بدل من (الذين) ﴿عاهدت منهم﴾ معاهدة عدم الاعتداء وهم بني قريظة عاهدوا النبي ﷺ مكرراً ثم نقضوا ﴿ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون﴾ نقض العهد .

[٥٧] ﴿فَإِمَّا﴾ (إن) الشرطية و (ما) الزائدة ﴿تتفقتهم﴾ تدركنهم ﴿في الحرب﴾ فشرذ بهم ﴿أي﴾ نكل بسبب معاقبتهم ﴿من خلفهم﴾ من الكفرة فإن معاقبة المجرم توجب عبرة سائر الناس حتى لا يجرموا ﴿لعلهم﴾ أي لعل من خلفهم ﴿يذكرون﴾ يتعظون .

[٥٨] ﴿وَأِمَّا﴾ وإن ﴿تخافن﴾ يا رسول الله ﴿من قوم خيانة﴾ بأن ظهرت علاماتها بعد المعاهدة ﴿فانبذ﴾ اطرح عهدهم ﴿إليهم﴾ على سواء ﴿مستوى أنت وهم﴾ فكما نقضوا عهدك أعلمهم أن لا عهد بينك وبينهم حتى لا يتهموك بالخيانة ﴿إن الله لا يحب الخائنين﴾ فلا تفعل ما يوهم الخيانة .

[٥٩] ﴿وَلَا يَحْسِبَنَّ﴾ ولا يظن ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا﴾ أي أنهم فاتوا الله فلا يتمكن من إدراكهم ، كمن يسبق في الركض من يريد أخذه ، ف ﴿إنهم لا يعجزون﴾ الله بل يقدر على أخذهم مهما تصورا أنهم خرجوا عن قبضة الله .

[٦٠] ﴿وَأَعَدُوا لَهُمْ﴾ لحرب الكفار ﴿ما استطعتم من قوة﴾ قوة العلم والسلاح وغيرها ﴿ومن رباط الخيل﴾ أي ما يربط لأجل الجهاد ﴿ترهبون به﴾ تخوفون بالخيل ﴿عدو الله﴾ كفار مكة ﴿و﴾ ترهبون ﴿عدوكم وأخريين﴾ سائر الكفار ﴿من دونهم﴾ أي دون كفار مكة عداوة لكم ﴿لا تعلمونهم﴾ أي لا تعرفون سائر الكفار بأعيانهم ﴿الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف﴾ أي يرد جزاؤه ﴿إليكم وأنتم لا تعلمون﴾ بنقص أجركم .

[٦١] ﴿وَأَن جَنَحُوا﴾ مال الكفار ﴿للسلم﴾ للصالح ﴿فأجبح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم﴾ .

ذَلِكَ بَانَ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكْ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَذَّابٌ أَلْ فِرْعَوْنُ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِمَّا تَثَقَفَنَّاهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مِنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَدْكُرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَائِزِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يَعْزِزُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَعَدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَأَمَّا تَتُنَفِّقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَوْفَ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْبَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦١﴾

[٦٢] ﴿وإن يريدوا أن يخدعوك﴾ أي الكفار ﴿أن يخدعوك﴾ بالسلم، لأجل تجميع قواهم ﴿فإن حسبك الله﴾ هو يكفيك شرهم ﴿هو الذي أيدك﴾ قواك ﴿ينصره وبالمؤمنين﴾.

[٦٣] ﴿والألف بين قلوبهم﴾ مع أنهم كانوا قبل الإسلام من ألد الأعداء ﴿لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم﴾ بقدرته البالغة ﴿إنه عزيز حكيم﴾.

[٦٤] ﴿يا أيها النبي حسبك الله﴾ يكفيك ﴿ومن اتبعك من المؤمنين﴾ بيان (من)، أي لا تهتم بمن لا يساعدك في الحرب.

[٦٥] ﴿يا أيها النبي حرض﴾ رغب ﴿المؤمنين على القتال﴾ إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم ﴿بسبب أن الكفار ﴿قوم لا يفقهون﴾ أي لا يفهمون أنهم يحاربون الله والله ينتصر عليهم، أو لا يفقهون ثواب الآخرة فليست عزيمتهم شديدة.

[٦٦] ﴿الآن﴾ وبعد أن كثر المسلمون ولم يكن بضائرهم كالمسلمين الأولين ﴿خفف الله عنكم﴾ فلم يوجب الجهاد إذ كان المسلمون عشر الكفار ﴿وعلم أن فيكم ضعفاً﴾ ضعف إيمان ﴿فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع

وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله هو الذي أيدك
ينصره وبالمؤمنين ﴿٦٢﴾ والألف بين قلوبهم لو أنفقت
ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولـكن
الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم ﴿٦٣﴾ يا أيها النبي حسبك
الله ومن اتبعك من المؤمنين ﴿٦٤﴾ يا أيها النبي حرض
المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون
يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من
الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون ﴿٦٥﴾ الآن خفف
الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً فإن يكن منكم مائة
صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين
بإذن الله والله مع الصابرين ﴿٦٦﴾ ما كانت لئني أن يكون
له أسرى حتى يخرج في الأرض يريدون عرض الدنيا
والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم ﴿٦٧﴾ لولا كتب من
الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم ﴿٦٨﴾ فكلوا مما
غنمتم حلالاً طيباً واتقوا الله إن الله غفور رحيم ﴿٦٩﴾

الصابرين﴾ في الحرب، وقد وصلت حالة المسلمين في بعض الحروب إذ حارب ستون منهم ستين ألف من الكفار. [٦٧] ﴿ما كان﴾ لا يحل ﴿لنبي أن يكون له أسرى﴾ بأن ينهي الحرب بسرعة ليأخذ الكفار أسرى لأجل الاسترقاق وأخذ البديل منهم ﴿حتى يشن في الأرض﴾ أي يبالغ في قتل المشركين وذلك لتقليلهم حتى لا تستمر المؤامرات والحروب ضد الرسول ﷺ^(١) ﴿تريدون﴾ أيها المسلمون ﴿عرض الدنيا﴾ مال الدنيا الذي هو بمعرض الزوال ﴿والله يريد الآخرة﴾ فإن في ذلك قوة المسلمين وتوسيع نطاق الآخرة بين الناس ﴿والله عزيز حكيم﴾.

[٦٨] ﴿لولا كتاب﴾ حكم ﴿من الله سبق﴾ بأن لا يعذب الناس إلا بعد بيان الحكم ﴿لمسكم﴾ أي أصابكم أيها المسلمون ﴿فيما أخذتم﴾ من الفداء ﴿عذاب عظيم﴾ لأن ذلك سبب عدم شوكة الإسلام.

[٦٩] ﴿فكلوا مما غنمتم﴾ من الفداء وسائر الغنائم ﴿حلالاً﴾ شرعاً ﴿طيباً﴾ تميل إليه النفس ﴿واتقوا الله إن الله غفور رحيم﴾.

[٧٠] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرِ﴾ الذين أسره الرسول ﷺ ﴿إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا﴾ بأن تؤمنوا ﴿يُؤْتِكُمْ﴾ يعطكم ﴿خَيْرًا مِمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ﴾ من الفداء ﴿وَيَغْفِرَ لَكُمْ﴾ ذنوبكم ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

[٧١] ﴿وَإِنْ يَرِيدُوا﴾ الأسرى ﴿خِيَانَتَكَ﴾ بأن يخونوك ثانياً ﴿فَ﴾ لا يهمنك إذ ﴿قَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ﴾ بأن كفروا وجاءوا لحربك في بدر ﴿فَأَمَّا مَنِ﴾ أي تمكن من القضاء عليهم يوم بدر ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

[٧٢] ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا﴾ من مكة إلى المدينة ﴿وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا﴾ أهل المدينة الذين أعطوا السكنى للمهاجرين ﴿وَنَصَرُوا﴾ المسلمين ﴿أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ يتولى بعضهم بعضاً ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَهِاجِرُوا مَالَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ لأنهم لم يهاجروا فلستم أنتم أولياؤهم ﴿حَتَّى يَهِاجِرُوا وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ﴾ أي طلب المؤمنون غير المهاجرين نصرتكم لهم على الكفار ﴿فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ﴾ أي يجب عليكم أن تنصروهم ﴿إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ أي معاهدة عدم القتال فلا تنصروا المسلمين غير المهاجرين إذا وقع بينهم وبين المعاهدين مناوشات ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

يَتَأْتِي النَّبِيَّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرِ إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٠﴾ وَإِنْ يَرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلَيْهِمْ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَهِاجِرُوا مَالَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يَهِاجِرُوا وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ لَا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾

[٧٣] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ لَا تَفْعَلُوهُ﴾ أي إن لا يتولى بعضكم بعضاً أيها المؤمنون ﴿تَكُنْ فِتْنَةٌ﴾ محنة لأن المسلمين إذا لم يشد بعضهم بعضاً تقع الفتن والفساد لغلبة المفسدين على الأرض ﴿فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾.

[٧٤] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ من أهل مكة ﴿وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا﴾ من أهل المدينة ﴿وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ لأنهم حققوا جميع أوامر الله ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ مع الكرامة.

[٧٥] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ﴾ أي بعد فتح مكة ﴿وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ﴾ أيها المسلمون ﴿فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ﴾ من جملتكم في كل الأحكام ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ﴾ أي الأقرباء ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ حكم الله، والأولوية في كل شيء من الإرث وغيره ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

٩: سورة التوبة

مدنية آياتها مائة وتسع وعشرون

[١ - ٢] ﴿براءة﴾ أي انقطاع عصمة وأمن ﴿من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين﴾ فلا عهد بعد الآن بينكم وبينهم ^(١) ﴿فسيحوا﴾ أي سيروا أيها المشركون ﴿في الأرض﴾ في أمن وسلام ﴿أربعة أشهر﴾ فقط، وبعده لا عهد ولا أمان ﴿واعلموا أنكم غير معجزي الله﴾ أي لا تتمكنون من تعجيزه حتى لا يقدر على أخذكم ﴿و﴾ اعلموا ﴿أن الله مخزي الكافرين﴾ مذلهم في الدارين.

[٣] ﴿وإذان﴾ إعلام ﴿من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر﴾ فإن الإعلام صار في هذا اليوم على لسان الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام وهذا مقابل العمرة التي تسمى بالحج الأصغر ﴿أن الله بريء من المشركين﴾ فليسوا بعد هذا تحت الحماية والمعاهدة ﴿ورسوله﴾ بريء منهم ﴿فإن تبتم﴾ أيها المشركون من الشرك ﴿فهو خير لكم وإن توليتهم﴾ أعرضتم عن الإيمان ﴿فاعلموا أنكم غير معجزي الله﴾ لا تتمكنون من تعجيزه ﴿وبشر الذين كفروا بعذاب أليم﴾ مؤلم.

[٤] ﴿إلا﴾ استثناء من (براءة) ﴿الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقضوكم﴾ من شروط العهد ﴿شيئاً ولم يظاهروا﴾ لم يعاونوا الكفار ﴿عليكم أحداً فاتموا إليهم عهدهم إلى مذهبهم﴾ المقررة ﴿إن الله يحب المتقين﴾ الذين لا ينقضون العهد.

[٥] ﴿فإذا انسלخ﴾ خرج كما ينسلخ المذبوح عن جلده ﴿الأشهر الحرم﴾ رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم، أو المراد الأشهر الأربعة مدة الأمان ﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم والأسر﴾ واحصوهم ﴿في أماكنهم بالحبس عن التحرك﴾ واقعدوا لهم كل مرصد ﴿أي بكل طريق لأجل المحاربة معهم﴾ ﴿فإن تابوا﴾ عن الكفر والعصيان ﴿واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم﴾ دعوهم ولا تعرضوا لهم لأنهم أسلموا ﴿إن الله غفور رحيم﴾.

[٦] ﴿وإن أحد من المشركين﴾ الذين أمرت بقتالهم ﴿استجارك﴾ طلب منك الأمان ﴿فأجره﴾ آمنه ﴿حتى يسمع كلام الله﴾ ويتدبره لعله يؤمن ﴿ثم أبلغه﴾ أوصله ﴿مأمناً﴾ موضع آمنه إن لم يسلم ﴿ذلك﴾ الأمن له حتى يسمع كلام الله ﴿بأنهم﴾ بسبب أنهم ﴿قوم لا يعلمون﴾ حقيقة الإيمان فلعلهم يقبلون إذا سمعوا كلام الله.

سُورَةُ التَّوْبَةِ

بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ۖ فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ ۚ ۝۲ وَأَذِّنْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ بُعِثْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝۳ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُوا الْبَيْعَةَ الَّتِي كُنْتُمْ إِلَىٰ مَذْهَبِهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ۝۴ فَإِذَا أَنْسَلَخْنَا الْأَشْهُرَ الْحَرَامَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْصُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝۵ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ اتْلُغْهُ مَأْمَنٌ ۚ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ۝۶

[۷] ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ﴾

مع أنهم ينوون الغدر من حين العهد ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ فإن بني ضمرة دخلوا عهد قريش يوم الحديبية ثم إن قريش نقضوا عهد الرسول ﷺ لكن بني ضمرة لم ينقضوا العهد فأمر الله المسلمين بإبقائهم على عهدهم ﴿فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ﴾ فما دام استقام المعاهدون ﴿فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ﴾ على الوفاء ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ الذين لا ينقضون العهد.

[۸] ﴿كَيْفَ﴾ يكون لهم عهد ﴿وَأَنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾ أي يغلبوا عليكم ﴿لَا يَرْقُبُوا﴾ لا يراعوا ﴿فِيكُمْ إِلَّا﴾ حلفاً ﴿وَلَا ذِمَّةً﴾ عهداً ﴿يَرْضَوْنَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ يظهرون لكم الموالاة بمجرد اللفظ ﴿وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ﴾ ما يقولونه، لأن قلوبهم منطوية على الغدر ﴿وَكَثَرَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ خارجون عن طاعة الله متمردون عن الوفاء.

[۹] ﴿اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ فباعوا القرآن والذين، واشتروا بدله الهوى والشهوة ﴿فَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِهِ﴾ أي منعوا الناس عن دين الله ﴿إِنَّهُمْ سَاءُ﴾ بس ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

[۱۰] ﴿لَا يَرْقُبُونَ﴾ لا يراعون أي المشركون ﴿فِي مَوْمن إِلَّا﴾ حلفاً ﴿وَلَا ذِمَّةً﴾ عهداً ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾ المجاوزون للحد.

كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَفَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ كَيْفَ وَأَنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضَوْنَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَكَثَرَهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨﴾ اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِي مَوْمن إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَفَخَوَّوْكُمْ فِي الدِّينِ وَفَضَّلُوكُمُ الْإِيمَانَ بِكُمْ فَقَبِلُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَبِلُوا أَيْمَانَهُ الْكَافِرِينَ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ﴿١١﴾ أَلَا تَقْتُلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدُّوا كَيْدُكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَ اللَّهَ أَحَقَّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٢﴾

[۱۱] ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ عاملوهم معاملة الأخ ﴿وَنَفَضَلُ الْآيَاتِ﴾ نشرحها ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ لأن العالم هو الذي يستفيد من الآيات.

[۱۲] ﴿وَأِنْ نَكَثُوا﴾ نقضوا ﴿أَيْمَانَهُمْ﴾ جمع يمين أي القسم ﴿مَنْ بَعْدَ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا﴾ قدحوا وعابوا ﴿فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَيْمَةَ الْكَفَرِ﴾ لأنهم نقضوا العهد، وإنما قال (أئمة) لأنهم الناقضون وسائر الكفار تبع لهم ﴿إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ﴾ إذ نقضوا اليمين فلا حرمة ليمينكم وعهدكم معهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾ عن النقض والطعن.

[۱۳] ﴿أَلَا تَقَاتِلُونَ﴾ تحريض على القتال ﴿قَوْمًا نَكَثُوا﴾ نقضوا ﴿أَيْمَانَهُمْ﴾ وهم أهل مكة ﴿وَهَمُّوا﴾ عزموا ﴿بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ﴾ حيث تشاوروا في دار الندوة ﴿وَهُمْ بَدُّوكُمْ﴾ بالمحاربة ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ فأنتم مدافعون ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ﴾ في قتالهم ﴿فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ﴾ في إطاعة أمره بقتالهم ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

[١٤] ﴿قَاتِلُوهُمْ يَعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾ يقتلونهم وتأسرونهم ﴿وَيُخْزِهِمْ﴾ يذلهم ﴿وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ﴾ كأن الصدر قد مرض بما اعتلج فيه من الهم ﴿صُدُورُ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾.

[١٥] ﴿وَيَذْهَبْ غِيظَ قُلُوبِهِمْ﴾ غيظهم وغضبهم على الكفار ﴿وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ من الكفار لأن القتال يسبب إسلام بعض الكفار فيتوب الله عليه ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

[١٦] ﴿أَمْ﴾ بل ﴿حَسِبْتُمْ﴾ ظننتم ﴿أَنْ تَتْرَكُوا﴾ فلا تؤمروا بالقتال، وهذا خطاب للمسلمين حين كره بعضهم القتال ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾ أي بعد لم يظهر علم الله في المجاهد وغير المجاهد ﴿وَالَّذِينَ﴾ الذين ﴿لَمْ يَتَّخِذُوا﴾ عطف على (جاهدوا) ﴿مَنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولَهُ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ﴾ ما كان للمشركين ﴿أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ أُولَئِكَ حِطَّتْ أَغْنَاهُمْ فِي النَّارِ﴾ خلدون ﴿وَلَا يُمْسِكُوا مَسْجِدَ اللَّهِ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَلَا يَخْشَوْا إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ ﴿أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ أَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾.

[١٧] ﴿مَا كَانَ﴾ لا يجوز ﴿لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ﴾ في حال كونهم يشهدون ﴿عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ﴾ لأن الله بريء من الكافر فكيف يجوز تعمير بيته ﴿أُولَئِكَ﴾ المشركون ﴿حَبِطَتْ﴾ بطلت ﴿أَعْمَالُهُمْ﴾ الحسنة، لأن الكفر يبطل الأعمال ﴿وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ دائمون.

[١٨] ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ أَمَنِ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ﴾ أي المؤمن الجامع هذه الخصال يحق له عمارة المسجد ﴿وَلَمْ يَخْشَ﴾ في أمر الدين ﴿إِلَّا اللَّهَ﴾ لا المشرك الذي يخاف الأصنام ﴿فَعَسَىٰ أُولَئِكَ﴾ المتصفون بالصفات الحسنة ﴿أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ إلى طريق الله، وإنما جاء بـ (عسى) لاحتمال ارتدادهم.

[١٩] ﴿أَجْعَلْتُمْ﴾ استفهام إنكار فقد افتخر العباس بأنه يسقي الحاج وافتخر شيبة بأنه يعمر المسجد وافتخر أمير المؤمنين علي عليه السلام بأنه آمن بالله مخلصاً فنزلت الآية مفضلة للإمام عليه السلام ﴿سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ أَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ﴾ الساقى والمعمر والمؤمن المجاهد ﴿عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ الذين يظلمون أنفسهم بالتسوية بين الثلاثة بعد علمهم بالتفاوت.

[٢٠] ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْظَمُ دَرَجَةً﴾ على من ليس كذلك ﴿عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ الظافرون بالثواب.

[۲۱] ﴿يَشْرَهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَخَشَبَ لَهُمْ فِيهَا نَجِيَّةٌ مُقِيمَةٌ ﴿٢١﴾ خَلِيدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ يَتَأْتِيهِ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَاتَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ تَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ ءَالَهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾﴾

[۲۲] ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ في تلك الجنان ﴿أبدًا﴾ إن الله عنده أجرٌ عظيمٌ فلا يقاس ثوابه بغيره .

[۲۳] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ تتولونهم في خلاف الإسلام ﴿إِنْ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ﴾ اختاروه وأحبوه ﴿عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ﴾ بعد أن اختاروا الكفر ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ لأنفسهم حيث عرضوها على العقاب .

[۲۴] ﴿قُلْ﴾ يا رسول الله للمؤمنين ﴿إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا﴾ اكتسبوها ﴿وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا﴾ عدم رواجها بسبب اشتغالكم بطاعة الله ﴿وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا﴾ اخترتموها مسكناً لكم ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ﴾ بأن قدمتم تلك على أوامر الله ﴿فَتَرَبَّصُوا﴾ انتظروا، تهديد لهم ﴿حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ بحكمه فيكم وعذابه عليكم ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ الخارجين عن طاعة الله بعد تمام البينة .

[۲۵] ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ﴾ مواضع ﴿كثيرة﴾ هي ثمانون كما ورد ﴿و﴾ في ﴿يوم حنين﴾ موضع قرب

مكة ﴿إِذَا أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ كثرة المسلمين حتى قال بعضهم لن يُغلب اليوم من قلة ﴿فلم تغن﴾ كثرتكم ﴿عنكم شيئاً﴾ إذ لم تفد الكثرة بل انهزموا ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ أي مع سعتها حيث لم يعلموا أين يفرون ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ﴾ العدو ظهوركم ﴿مدبرين﴾ منهزمين .

[۲۶] ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ﴾ السكون والطمأنينة ﴿عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ الذين بقوا مع الرسول ﷺ كعليٍّ ؓ وأولاد عباس ﴿وَأَنْزَلَ جُنُودًا﴾ من الملائكة ﴿لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ﴾ الله ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالقتل والأسر ﴿وَذَلِكَ﴾ العذاب ﴿جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ .

﴿عَنْكُمْ شَيْئاً﴾ كثرتكم ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ﴾ أي مع سعتها حيث لم يعلموا أين يفرون ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ﴾ العدو ظهوركم ﴿مدبرين﴾ منهزمين .

[۲۶] ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ﴾ السكون والطمأنينة ﴿عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ الذين بقوا مع الرسول ﷺ كعليٍّ ؓ وأولاد عباس ﴿وَأَنْزَلَ جُنُودًا﴾ من الملائكة ﴿لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ﴾ الله ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالقتل والأسر ﴿وَذَلِكَ﴾ العذاب ﴿جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ .

[٢٧] ﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ من الفارين ومن الكفار الذين أسلموا ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

[٢٨] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ ظاهرية وباطنية ﴿فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ مبالغة في عدم دخوله مثل (لا تقربوا مال اليتيم)^(١) ﴿بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ وهو عام تسع من الهجرة حيث أدى علي عليه السلام سورة البراءة ﴿وإن خفتهم﴾ أيها المسلمون ﴿عيلة﴾ أي فقرأ حيث خاف المسلمون انقطاع التجارة بسبب عدم مراودة المشركين ﴿فَسَوْفَ يَغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ إن شاء الله علمهم ﴿بالمصالح﴾ حكيم ﴿في التدبير﴾.

[٢٩] ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [٣٠] ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزِّيُّ بْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَتَلْنَاهُمْ﴾ [٣١] ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [٣٢] ﴿وَرُحْبَكُنَّهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا﴾ [٣٣] ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [٣٤]

[٣٠] ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزِّيُّ بْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ بدون حجة ﴿يُضَاهِئُونَ﴾ يشابه قولهم ﴿قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ﴾ أي المشركين الذين قالوا الملائكة بنات الله ﴿قَاتِلْهُمْ﴾ الله ﴿دعا عليهم بأن يهلكهم الله حتى يستريح الناس من عقائدهم الضالة﴾ [٣١] ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ﴾ علماءهم ﴿وَرُهْبَانَهُمْ﴾ زهادهم ﴿أَرْبَابًا﴾ بأن أطاعوهم في تحليل الحرام و تحريم الحلال ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ اتخذوا ﴿المسيح ابن مريم﴾ رباً ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا﴾ [٣٢] ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [٣٣] ﴿وَرُحْبَكُنَّهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا﴾ [٣٤] ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [٣٥]

ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٧﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يَغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلَيْهِ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزِّيُّ بْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَتَلْنَاهُمْ اللَّهُ أَنْ يُوَفَّكَونَ أَنْتُمْ خَدُوعًا وَأَخْبَارُهُمْ وَرُحْبَكُنَّهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣٠﴾

عقائدهم الضالة ﴿أتى يؤفكون﴾ كيف يصرفون عن الحق.

[٣١] ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ﴾ علماءهم ﴿وَرُهْبَانَهُمْ﴾ زهادهم ﴿أَرْبَابًا﴾ بأن أطاعوهم في تحليل الحرام و تحريم الحلال ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ اتخذوا ﴿المسيح ابن مريم﴾ رباً ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا﴾ [٣٢] ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [٣٣] ﴿وَرُحْبَكُنَّهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا﴾ [٣٤] ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [٣٥]

[٣٢] ﴿يَرِيدُونَ﴾ أي الكفار ﴿أَنْ يَظْفَرُوا﴾ يخذلوا ﴿نُورِ اللَّهِ﴾ حجته ورسالته ﴿بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ بما يقولون بلسانهم من التكذيب ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ﴾ لا يرضى ﴿إِلَّا أَنْ يَتِمَّ نُورُهُ﴾ بإعلاء كلمته ﴿وَلَوْ كَرِهَ﴾ ولم يرد ﴿الْكَافِرُونَ﴾.

[٣٣] ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ﴾ محمد ﷺ ﴿بِالْهُدَى﴾ بالحجج والبراهين ﴿وَدِينِ الْحَقِّ﴾ الإسلام ﴿لِيُظْهِرَهُ﴾ أي يغلبه ﴿عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ كل الأديان ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾.

[٣٤] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن كَثِيرًا مِنَ الْآخِبَارِ وَالرَّهْبَانِ لِيَأْكُلُوا أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾ كالرشوة وما يجعلونه لأنفسهم من الحقوق ﴿وَيَصُدُّونَ﴾ يمنعون ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دينه ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ﴾ يجعلونه كنزاً ولا يعطون خمسه وزكاته ﴿الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾ ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ﴿مَوْجِعٌ﴾.

[٣٥] وذلك في ﴿يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ أو في القبر ﴿يَحْمَى﴾ توقد النار ﴿عَلَيْهَا﴾ أي على تلك الذهب والفضة ﴿فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتَكُونُ﴾ من الكي بمعنى جعل الشيء الحار على الجسد ﴿بِهَا جِبَاهُهُمْ﴾ جمع جبهة ﴿وَجَنُوبُهُمْ﴾ جمع جنب من تحت الإبط ﴿وَيُظْهِرُهُمْ﴾ لأنهم كانوا يقطبون جبهتهم ويلبسون جنبهم ويدبرون ظهرهم إذ طلب منهم الحق في أموالهم، ويقال لهم ﴿هَذَا﴾ المال الذي تكونون به هو ﴿مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ جمعتم ﴿لأنفسكم فذوقوا﴾ وبال ﴿مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾.

[٣٦] ﴿إِنْ عِدَّةَ الشُّهُورِ﴾ عددها ﴿عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ ثابتة لا تتغير، كما كان المشركون يغيرون بعض الشهور محل اعتباراً ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ أي ما كتبه سبحانه، كتبه ﴿يَوْمَ خُلِقَ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ أربعة حرم ﴿ذُو الْقَعْدَةِ﴾ وذو الحجة ومحرم ورجب لا يجوز فيها القتال ﴿ذَلِكَ﴾ تحريم هذه الأربعة ﴿الَّذِينَ الْقِيمِ﴾ القويم المستحکم ﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ﴾ أي في الأربعة ﴿أنفسكم﴾ بالقتال ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾ جميع أصنافهم ﴿كَمَا يِقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾ من دون رعاية وتميز ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ إن اتقيتم المعاصي نصركم الله عليهم.

يُرِيدُونَ أَنْ يُظْفَرُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْآخِبَارِ وَالرَّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا ينفقونها فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتَكُونُ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كُنْتُمْ لَا تَفْقَهُونَ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ إِنْ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خُلِقَ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾

[٣٧] ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ﴾ مصدر نساء بمعنى أخره، فقد كان أهل الجاهلية إذا كانوا في حرب فهل محرم أحلوه وحرموا مكانه صغراً ﴿زيادة في الكفر﴾ فإنهم كانوا كفاراً، وتحليل ما حرم الله زيادة في كفرهم ﴿يضل به﴾ أي بالنسيء ﴿الذين كفروا﴾ فإنه ضلال بالإضافة إلى كفرهم ﴿يحلونه﴾ أي الشهر المنسي ﴿عاماً ويحرمونه﴾ يبقونه على حرمة ﴿عاماً ليواطئوا﴾ ليوافقوا بتحليل شهر وتحريم آخر بدله ﴿عدة﴾ أشهر ﴿ما حرم الله﴾ أي الأربعة الحرم ﴿فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم﴾ زين لهم الشيطان عملهم السيئ ﴿والله لا يهدي القوم الكافرين﴾ المعاندين في الكفر.

[٣٨] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا﴾ اذهبوا إلى الجهاد ﴿ففي سبيل الله اتأقلمتم﴾ تناقلمتم إلى الأرض ﴿كأنكم شيء ثقيل لا يقدر على الحركة﴾ أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ﴿بدل الآخرة﴾ فما متاع ما يلتذ به ﴿الحياة الدنيا في الآخرة﴾ في جنب متاع الآخرة ﴿إلا قليل﴾.

[٣٩] ﴿إِلَّا تَنْفِرُوا﴾ إلى غزوة تبوك ﴿يعذبكم عذاباً أليماً﴾ مؤلماً ﴿ويستبدل قوماً غيركم﴾ مكانكم ﴿ولا تضره شيئاً﴾ والله على كل شيء قدير ﴿فيقدر على استبدالكم﴾.

[٤٠] ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ﴾ تنصروا الرسول ﷺ ﴿فقد نصره

الله﴾ فينصره حالاً أيضاً كما نصره سابقاً في وقت الهجرة ﴿إذ أخرجه﴾ أخرج الرسول ﷺ من مكة ﴿الذين كفروا ثاني اثنين﴾ في حال كونه معه غيره ﴿إذ هما في الغار﴾ ثقب في جبل ثور ﴿إذ يقول﴾ الرسول ﷺ ﴿لصاحبه﴾ أبي بكر حيث استصحبه الرسول ﷺ في أثناء الطريق خوفاً على نفسه ﴿لا تحزن إن الله معنا﴾ عالم بنا ﴿فأنزل الله سكينة﴾ طمأنينته ﴿عليه﴾ على الرسول ﷺ وحده ﴿وأيده﴾ قواه ﴿بجنود﴾ من الملائكة ﴿لم تروها﴾ جعل كلمة الذين كفروا ﴿أي كلمة الكفار﴾ السفلى ﴿حيث علت كلمة الإسلام﴾ وكلمة الله ﴿وهي الإسلام﴾ هي العليا والله عزيز حكيم.

إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحْلِلُونَ مَا كَانَ مَحْرُمًا وَمَنْ يَحْكَمْ مُؤْنَهُ عَامِلًا لِّيُؤْطِغُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحْلُوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنٌ لَهُمْ سُوُّ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٧﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْكُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٣٨﴾ إِنَّا نَنْفِرُوا يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَنْصُرُهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذَا أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا نَرَى اللَّهَ مَعًا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾

[٤١] ﴿انفروا﴾ اخرجوا أيها المسلمون إلى الجهاد ﴿خفافاً﴾ فيما لكم خفة ﴿وثقالاً﴾ فيما كان لكم ثقل ﴿وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله﴾ الجهاد ﴿خير لكم﴾ من عدم النفر ﴿إن كنتم تعلمون﴾ لعلمتم أن النفر خير لكم.

[٤٢] ﴿لو كان﴾ ما دعوا إليه ﴿عرضاً﴾ غنيمة ﴿قريباً﴾ سهل المأخذ ﴿وسفراً قاصداً﴾ وسطاً لا سفراً بعيداً ﴿لاتبعوك﴾ طمعاً في المال ﴿ولكن بعدت عليهم الشقة﴾ المسافة التي يشق قطعها، ولذا خافوا فإن تبوك كان بعيداً ﴿وسيحلفون بالله﴾ معتردين من عدم النفر ﴿لو استطعنا﴾ الخروج ﴿لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم﴾ بعدم الخروج والحلف الكاذب ﴿والله يعلم أنهم لكاذبون﴾ في حلفهم.

[٤٣] ﴿عفا الله عنك﴾ كان الرسول ﷺ أذن لجماعة في التخلف عن تبوك فأراد الله تنبيه أولئك أن هذا كان تخلياً عن الخير، فضبه بهذا اللسان ﴿لم أذنت لهم﴾ في التخلف ﴿حتى يتبين لك الذين صدقوا﴾ في اعتذارهم ﴿وتعلم الكاذبين﴾ منهم في العذر.

[٤٤] ﴿لا يستأذنك﴾ أي ليس من عادة المؤمنين أن يستأذنوا للفرار من الجهاد ﴿الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين﴾ الذين يخافون الله فيطيعون أوامره.

[٤٥] ﴿إنما يستأذنك﴾ في التخلف ﴿الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ إيماناً راسخاً ﴿وارتابت﴾ شكّت ﴿قلوبهم فهم في ريبهم يترددون﴾ يتحIRON.

[٤٦] ﴿ولو أرادوا الخروج﴾ إلى الجهاد ﴿لأعدوا له﴾ للخروج ﴿عدة﴾ أي هياؤا أسباب الحرب ﴿ولكن كره الله انبعاثهم﴾ أي خروجهم، وإنما كره لعلمه بأنهم يوجبون الفساد في الجيش ﴿فتبطهم﴾ أي تركهم بحالهم حتى يكسلوا ﴿وقيل أقدوا مع القاعدين﴾ عن الجهاد كالمرضى والنساء والصبيان.

[٤٧] ﴿لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً﴾ أي فساداً لأن المنافق يجتنب الناس ويفسد في الجيش ﴿ولا أوضعوا﴾ أي أسرعوا في الدخول بينكم بالفساد لقصد التجبين وإلقاء الرعب والفتنة ﴿خلالكم﴾ في أوساطكم ﴿يفيغونكم الفتنة﴾ أي يطلبون لكم الافتتان والانحراف ﴿وفيكم﴾ أيها المجاهدون ﴿سماعون لهم﴾ أي عيون للمنافقين يأخذون أخباركم بقصد إيصالها إليهم ﴿والله عليم بالظالمين﴾.

انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ﴿١١﴾ لو كان عرضاً قريباً وسفراً قاصداً لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم أنهم لكاذبون ﴿١٢﴾ عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين ﴿١٣﴾ لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين ﴿١٤﴾ إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون ﴿١٥﴾ ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فتبطهم وقيل أقدوا مع القاعدين ﴿١٦﴾ لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً ولا أوضعوا خلالكم يفيغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم ﴿١٧﴾ أي عيون للمنافقين يأخذون أخباركم بقصد إيصالها إليهم والله عليم بالظالمين ﴿١٨﴾

[٤٨] ﴿لَقَدْ ابْتَغُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَبُوا الْأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾^(١٨) ﴿مَنْ قَبْلُ﴾ غزوة تبوك أي في أحد ﴿وَقَلَبُوا لَكَ الْأُمُورَ﴾ بأن أردت شيئاً وكادوا لقلبه ﴿حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ﴾ ظهر بغلبة المسلمين على الكافرين ﴿وَوَظَّهَرَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ دينه ﴿وَهُمْ كَارِهُونَ﴾.

[٤٩] ﴿وَمِنْهُمْ﴾ من المنافقين ﴿مَنْ يَقُولُ أَئِذَا لِي فِي عَدَمِ الْجِهَادِ فِي تَبُوكَ﴾ ولا تفتني ﴿تَوْعَنِي فِي الْفِتْنَةِ﴾، قال جد بن قيس: ائذن في التخلف فإني مولع بالنساء فأخاف أن افتن بنات الأصفر ﴿أَلَا﴾ للتنبيه ﴿فِي الْفِتْنَةِ﴾ وهي عصيان الرسول ﷺ ﴿سَقَطُوا﴾ فقد وقعوا فيما زعموا أنهم فروا منه ﴿وَإِنْ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ فهم إن خرجوا للجهاد وقعوا في فتنة بنات الأصفر وإن تخلفوا وقعوا في فتنة العصيان.

[٥٠] ﴿إِنْ تَصَبَّكَ حَسَنَةٌ﴾ نعمة وفتح ﴿تَسُوهُمْ﴾ تحزن المنافقين ﴿وَإِنْ تَصَبَّكَ مُصِيبَةٌ﴾ نكبة وانهمزم ﴿يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا﴾ حذرنا بتخلفنا ﴿مَنْ قَبْلُ﴾ المصيبة ﴿وَيَقُولُوا﴾ عنك ﴿وَهُمْ فَرِحُوا﴾ لعدم الجهاد.

[٥١] ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ فإذا أصابتنا مصيبة لا تضرنا تلك المصيبة لأنه سبحانه قررها لنا لأن يئسنا ﴿هُوَ مَوْلَانَا﴾ يتولى شؤوننا ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

لَقَدْ ابْتَغُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَبُوا الْأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿١٨﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَئِذَا لِي وَلَا تَفْتِنِي إِلَّا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنْ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ إِنْ تَصَبَّكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَسْتَوِلُوا وَهُمْ فَرِحُونَ ﴿٢٠﴾ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٢١﴾ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَتَحْنُنَ تَرَبَّصْ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ يَأْخُذْ بِنَا فَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ ﴿٢٢﴾ قُلْ أَنْفَقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يَقْبَلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٢٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ يَقْبَلُوا مِنْهُمْ نَفَقَتَهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿٢٤﴾

[٥٢] ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ﴾ هل تنتظرون أيها المنافقون ﴿بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ﴾ إما النصر أو الشهادة وكلاهما حسنة ﴿وَنَحْنُ تَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ﴾ من السماء فيهلككم ﴿أَوْ يَأْخُذْ بِنَا﴾ بأن يأمرنا بفضحكهم ﴿فَتَرَبَّصُوا﴾ عاقبتنا ﴿إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ﴾ عاقبتكم.

[٥٣] ﴿قُلْ أَنْفَقُوا﴾ لأجل الجهاد ﴿طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يَقْبَلَ مِنْكُمْ﴾ أي ما أنفقتم عن رغبة أو بدون رغبة لا يقبله الله منكم ﴿إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ والقبول إنما هو من نصيب المتقين.

[٥٤] ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ يَقْبَلُوا مِنْهُمْ نَفَقَاتِهِمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ﴾ متناقلون ﴿وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ فكفرهم الباطني وعدم إتيانهم بالعبادات على وجهها سبباً عدم قبول إنفاقهم.

[٥٥] ﴿فَلَا تَعْبُجْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ﴾ فإن ذلك وبال عليهم ﴿إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا﴾ بالأموال والأولاد ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ لما في حفظ الأموال وتربية الأولاد من المشقة والعناء ﴿وَتَزْهَقَ﴾ أي تهلك ﴿أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ فلا ينالوا ثواب المال والولد في الدنيا، ولا في الآخرة.

[٥٦] ﴿وَيُحْلِفُونَ﴾ المنافقون ﴿بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ﴾ من جملة المسلمين ﴿وَمَا هُمْ مِنْكُمْ﴾ لكفر قلوبهم ﴿وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ﴾ يخافون ولذا يريدون رضاية الكفار والمؤمنين معاً بالنفاق.

[٥٧] ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً﴾ حزرأ يلجئون إليه ﴿أَوْ مَغَارَاتٍ﴾ كهوف في الجبل ﴿أَوْ مَذَخَلًا﴾ سراديب يدخلون فيها ﴿لَوْلَوْ﴾ عنكم ﴿إِلَيْهِ﴾ إلى ذلك الملجأ ﴿وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ يسرعون في الفرار والاختفاء.

[٥٨] ﴿وَمِنْهُمْ﴾ من المنافقين ﴿مَنْ يَلْمِزُكَ﴾ يعيبك ﴿فِي الصَّدَقَاتِ﴾ في قسمتها ﴿فَإِنْ أَعْطَا مِنْهَا رِضْوَانًا لَمْ يَعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ أي يغضبون.

[٥٩] ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمْ﴾ أعطاهم ﴿اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ من الغنيمة ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ﴾ يكفيننا ﴿سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ﴾ صدقة وغنيمة أخرى نستغني بها ﴿إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾ في أن يغنيننا، لكان خيراً لهم.

[٦٠] ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ﴾ زكاة الأموال ﴿لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ﴾ وهم أسوأ حالاً من الفقراء، كما نشاهد في المجتمع إنهما صنفان ﴿وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا﴾ أي الساعين في تحصيلها ﴿وَالْمَوْلُفَةَ قُلُوبِهِمْ﴾ يعطون من الزكاة ليألف قلوبهم إلى المسلمين، وهم الكفار والمسلمون الضعاف الإيمان ﴿وَفِي﴾ فك ﴿الرِّقَابِ﴾ العبيد تحت الشدة، يشترون من الزكاة ويعتقون ﴿وَالْغَارِمِينَ﴾ الغارم: المديون الذي لا يقدر على أداء دينه، يؤدي من الزكاة دينه ﴿وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ كل عمل خيري كالجهاد وسائر مصالح المسلمين ﴿وَإِنْ السَّبِيلَ﴾ المنقطع في سفره ولو كان غنياً في بلده ﴿فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ﴾ أي أوجب الله الزكاة وجوباً ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بالمصالح ﴿حَكِيمٌ﴾ في تدبيره.

[٦١] ﴿وَمِنْهُمْ﴾ من المنافقين ﴿الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ﴾ بالقول وبالمؤامرة ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ أَدْنَى﴾ يسمع كل قول فإن أحد المنافقين اغتاب النبي ﷺ فطلبه النبي ﷺ وقال له: أخبرني جبرائيل بقولك، قال المنافق لم أغتبك فسكت النبي ﷺ فذهب المنافق ليقول إن محمداً أذن يسمع من جبرئيل كلامه ويسمع مني كلامي فنزلت الآية ﴿قُلْ﴾ يا رسول الله، هو ﴿أَدْنَى خَيْرٍ﴾ مستمع خير ﴿لَكُمْ﴾ فانه لو كان مستمع شر لكان عاقبك أيها المنافق ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ بما يقوله الله تعالى ﴿وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ يصدهم فيما لهم نفع فيه ﴿وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ﴾ يرحمهم ويعطف بهم ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم.

فَلَا تَعْبُجَكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ ﴿٥٥﴾ إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيُحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ ﴿٥٧﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مَذَخَلًا لَوْلَوْ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٨﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أَعْطَا مِنْهَا رِضْوَانًا لَمْ يَعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٦٠﴾ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمَوْلُفَةَ قُلُوبِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦١﴾ وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أَدْنَى خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٢﴾

[٦٢] ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنَّكُمْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [٦٣] ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾ [٦٤] ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تَنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَزِرُوا وَإِنَّ اللَّهَ لَخَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [٦٥] ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ [٦٦] ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ

بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نَعْدَبُ طَائِفَةٌ يَأْتِيهِمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [٦٧] ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [٦٨] ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتُ الْكَافِرَاتِ جَاهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾

المعروف ويقبضون أيديهم﴾ عن الإنفاق ﴿نسوا الله﴾ أغفلوا ذكره ﴿فَنَسِيَهُمْ﴾ كفاهم عقاباً ﴿ولعنهم الله﴾ أبعدهم عن رحمته ﴿ولهم عذاب مقيم﴾ لا ينقطع .

[٦٨] ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتُ الْكَافِرَاتِ جَاهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾

[٦٩] ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتُ الْكَافِرَاتِ جَاهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾

[٧٠] ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتُ الْكَافِرَاتِ جَاهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾

[٧١] ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتُ الْكَافِرَاتِ جَاهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾

[٧٢] ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتُ الْكَافِرَاتِ جَاهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾

[٧٣] ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتُ الْكَافِرَاتِ جَاهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾

[٧٤] ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتُ الْكَافِرَاتِ جَاهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾

[٧٥] ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتُ الْكَافِرَاتِ جَاهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾

[٧٦] ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتُ الْكَافِرَاتِ جَاهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾

يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنَّكُمْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تَنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَزِرُوا وَإِنَّ اللَّهَ لَخَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نَعْدَبُ طَائِفَةٌ يَأْتِيهِمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتُ الْكَافِرَاتِ جَاهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴿٦٨﴾

[٦٩] والمنافقون ﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ من منافقي الأمم ﴿كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلَاداً فَاسْتَمْتَعُوا﴾ أي طلبوا اللذة ﴿بِخَلَاقِهِمْ﴾ أي بنصيبهم بخلاف المؤمنين فإنهم يطلبون الله والآخرة بخلافهم ﴿فَاسْتَمْتَعْتُمْ﴾ أيها المنافقون ﴿بِخَلَاقِكُمْ﴾ مثل أولئك ﴿كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ﴾ دخلتم في الباطل ﴿كَالَّذِي خَاضُوا﴾ أي كما خاض المنافقون السابقون في الباطل ﴿أُولَئِكَ﴾ المنافقون ﴿حَبِطَتْ﴾ بطلت ﴿أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ فلم يستحقوا ثواباً ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ خسروا دنياهم وآخرتهم.

[٧٠] ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ﴾ خبر عقاب ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ أهلكوا بالغرق ﴿وَعَادُ﴾ أهلكوا بالريح ﴿وَأُثْمُودُ﴾ أهلكوا بالرجفة ﴿وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ﴾ بسلب النعم ﴿وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ﴾ قوم شعيب عليه السلام أهلكوا بعذاب يوم الظلة ﴿وَالْمُؤْتَفِكَاتِ﴾ أي القرى التي اتفتكت أي انقلبت وهي قرى قوم لوط عليه السلام ﴿أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالمعجزات ﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ بإهلاكهم ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بأن عرضوها للهلاك.

[٧١] ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ﴾ في

الآخرة كما رحمهم في الدنيا ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ غالب على كل شيء ﴿حَكِيمٌ﴾ يضع الأشياء مواضعها.

[٧٢] ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا﴾ تحت قصورها وأشجارها ﴿الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً﴾ يطيب فيها العيش ﴿فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ أي جنات إقامة يقيم فيها الإنسان ﴿وَرِضْوَانٍ﴾ رضا ﴿مِنَ اللَّهِ أَكْبَرَ﴾ لأنه مبدأ كل سعادة ﴿ذَلِكَ﴾ الذي يُجْزَى به المؤمنون ﴿هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلَاداً فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادُ وَثَمُودُ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَنَّهِنَّ رُسُلُهُنَّ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُنَّ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾ أُولَئَاءَ بَعْضُ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٍ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾

[٧٣] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ في دفعهم عن الكفر والنفاق وجهاد كل طائفة بحسبه ﴿وَاعْلَظْ عَلَيْهِمْ﴾ أسمعهم الكلام الغليظ ﴿وَمَا وَاهُمْ﴾ محلهم ﴿جَهَنَّمَ وَيَسُ الْمَصِيرَ﴾ أي بس المرجع .

[٧٤] ﴿يُحْلِفُونَ﴾ المنافقون ﴿بِاللَّهِ مَا قَالُوا﴾ شيئاً سنياً بالنسبة إلى الرسول ﷺ فإنه لما عاب المنافقين قال جلاس لو كان ما يقول محمد حقاً فنحن شر من الحمير؟ فنزلت الآية ﴿وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ﴾ فإنه تكذيب للرسول ﴿وَكُفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ أي بعد إظهارهم الإسلام ﴿وَهُمُوا﴾ أي قصد المنافقون قتل الرسول ﷺ في العقبة بعد انصرافه من تبوك ﴿بِمَا لَمْ يَنْلُوا﴾ لأن مؤامرتهم فشلت ﴿وَمَا نَقَمُوا﴾ أي ما أنكروا من الرسول ﷺ ﴿إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ بالغنائم بعد أن كانوا فقراء، أي لم يصبهم من الرسول ﷺ إلا الخير، لا ما يوجب النقمة ﴿فَإِنْ يَتُوبُوا﴾ عن نفاقهم ﴿يَكُ﴾ رجوعهم وتوبتهم ﴿خَيْراً لَّهُمْ وَإِنْ يَتُوبُوا﴾ يعرضوا عن التوبة ﴿يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَاباً أَلِيماً﴾ مؤلماً ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ بالقتل والإهانة ﴿وَالْآخِرَةِ﴾ وما لهم في الأرض من ولي ﴿يَلِي أُمُورَهُمْ﴾ ولا نصير ﴿يَنْصَرُهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ﴾.

[٧٥] ﴿وَمِنْهُمْ﴾ من المنافقين ﴿مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَنْ لَا يَنْفِرُوا﴾ من عاهد الله لئن آتانا من

يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جِهَادِ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَاعْلَظْ عَلَيْهِمْ وَمَا أَوْثَرَهُمْ جَهَنَّمَ يَسُ الْمَصِيرَ ﴿٧٣﴾ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ أُولِي أَلْمٍ وَأَمَّا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتُوبُوا بَعْدَ ذَلِكَ مِنْهُمْ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَنْ لَا يَنْفِرُوا مِنْ فَضْلِهِ لَنْصَدَقَنَّ وَلَنْ كُفُونَ مِنْ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا أَتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ يَخْلَوُا بِهِمْ وَيَقُولُوا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ وَهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾

فضله ﴿كَانَ ثَلَاثَةً فَقِيرًا فَعَاهَدَ اللَّهُ إِنْ أَعْطَاهُ الْمَالُ أَنْفَقَ لَكِنَّهُ أَثَرَى وَيَخْلُ فَلَئِنْ نَفَقَ حَقَّ اللَّهُ لَنْصَدَقَنَّ﴾ أي نعطي الصدقة ﴿وَلَنْ كُفُونَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

[٧٦] ﴿فَلَمَّا أَتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ يَخْلَوُا بِهِ﴾ أي بحق الله ﴿وَتَوَلَّوْا﴾ أعرضوا عن العمل بأوامر الله ﴿وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾.

[٧٧] ﴿فَأَعْقَبَهُمْ﴾ أوترهم بخلفهم ﴿نِفَاقًا﴾ إذ العصيان ينتهي إلى النفاق والكفر ﴿فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ﴾ يوم البعث ﴿بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ﴾ أي بسبب خلفهم وعدهم مع الله بالإنفاق ﴿وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ بسبب كذبهم.

[٧٨] ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا﴾ المنافقون ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾ ما يضمرون في أنفسهم ﴿وَنَجْوَاهُمْ﴾ ما يقوله بعضهم لبعض سراً ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ كل ما غاب عن الحواس.

[٧٩] ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ﴾ يعيبون ﴿الْمُطَّوِّعِينَ﴾ من المؤمنين في الصدقات ﴿حَيْثُ إِنْ مَسْلَمًا جَاءَ بِمِائَةِ وَسْقٍ﴾ من تمر صدقة فقال بعض المنافقين إنه أعطاه رياءً ﴿وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ أي يلمزون من يعطي جهده من الصدقة فإن مسلماً أتى رسول الله ﷺ بصاع من تمر فقال المنافقون الله غني عن صاعه ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾ هؤلاء المنافقون ﴿مِنْهُمْ﴾ من المتصدقين ﴿سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾ جازاهم على سخريتهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم.

[٨٠] ﴿استغفر﴾ يا رسول الله ﴿لهم﴾ أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم ﴿بأن تطلب أن يغفر الله لهؤلاء المنافقين سبعين مرة﴾ المراد بالسبعين المبالغة في الكثرة ﴿فلن يغفر الله لهم ذلك﴾ عدم فائدة الاستغفار لهم ﴿بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ المصيرين على الخروج عن طاعة الله، نعم إذا تابوا أفادهم الاستغفار.

[٨١] ﴿فرح المخلفون﴾ عن تبوك وهم المنافقون الذين خلفوا، كان الشيطان سبب تخلفهم ﴿بمقعدهم﴾ أي بقعودهم عن الجهاد ﴿خلاف رسول الله﴾ أي بقعودهم خلفه وعدم سيرهم معه ﴿وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا﴾ أي قال بعض المنافقين لبعض ﴿لا تنفروا﴾ لا تخرجوا إلى الجهاد ﴿في الحر﴾ فإن الهواء كانت حارة في غزوة تبوك ﴿قل﴾ يا رسول الله ﴿نار جهنم أشد حرا﴾ فمن لم يجاهد يتلى بجهنم ﴿لو كانوا يفقهون﴾ أي يفهمون لعلموا أنهم أثروا النار على الحر.

[٨٢] ﴿فليضحكوا قليلا﴾ يكون ضحكهم في الدنيا قليلاً لقصر أمد الدنيا ﴿وليبكوا﴾ في النار ﴿كثيراً جزاء بما كانوا يكسبون﴾ من الكفر والنفاق.

[٨٣] ﴿فإن رجعت الله﴾ يا محمد ﷺ ﴿عن تبوك﴾ إلى

طائفة منهم ﴿من المنافقين الذين تخلفوا عنك﴾ فاستأذنوك ﴿طلبوا إذنك﴾ إلى غزوة أخرى ﴿فقل لن تخرجوا معي أبداً﴾ إلى غزوة ﴿ولن تقاتلوا معي عدواً إنكم﴾ وإنما نهاهم عن الخروج، لأنكم ﴿رضيتم بالقعود أول مرة﴾ في تبوك ﴿فاقعدوا مع الخالفين﴾ الذين يتخلفون من النساء والصبيان والعجزة.

[٨٤] ﴿ولا تصل على أحد منهم﴾ من المنافقين ﴿مات﴾ صفة (أحد) ﴿أبداً﴾ أي لا تصل أبداً ﴿ولا تقم على قبره﴾ حتى يدفن فإن القيام على القبر احترام للميت ﴿إنهم﴾ لأنهم ﴿كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون﴾ خارجون عن طاعة الله.

[٨٥] ﴿ولا تعجبك﴾ يا رسول الله ﴿أموالهم وأولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا﴾ لما يسبب المال والأولاد من الانعاب، فليس ذلك خيراً من الله لهم ﴿وتزق أنفسهم﴾ أي يريد الله ليموتوا ﴿وهم كافرون﴾.

[٨٦] ﴿وإذا أنزلت سورة﴾ من القرآن ﴿أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك﴾ طلب الإذن منك في القعود ﴿أولوا الطول﴾ أي أصحاب القدرة ﴿منهم﴾ من المنافقين ﴿وقالوا ذرنا﴾ دعنا يا رسول الله ﴿نكن مع القاعدين﴾ من الصبيان والنساء والعجزة.

أَسْتَغْفِرُهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرُهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٨٠﴾ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِنْ رَجَعْتَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَلَا تَصِلْ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تَعْجَبْ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا أَنْزَلْتُ سُورَةً أَنْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَجَاهَدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذِنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَحْنُ يَا رَسُولَ اللَّهِ نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٨٦﴾

[٨٧] ﴿رَضُوا﴾ هؤلاء المنافقون ﴿بأن يكونوا مع الخوالف﴾ جمع خالفة أي المرأة المتخلفة ﴿وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون﴾ فإن نفاقهم سبب أن لا يفهموا العز والكرامة.

[٨٨] ﴿لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئكَ لهم الخيرات﴾ منافع الدنيا والآخرة ﴿وأولئكَ هم المفلحون﴾ الفائزون.

[٨٩] ﴿أَعِذْ لَهِ﴾ هيا ﴿لهم جنات تجري من تحتها﴾ تحت قصورها وأشجارها ﴿الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم﴾.

[٩٠] ﴿وجاء المعذرون﴾ المعتذرون، من عذر بمعنى قصر ﴿من الأعراب﴾ وهم نفر من بني غفار كان لهم عذر فجاءوا إلى الرسول ﷺ عند إرادته غزوة تبوك ﴿ليؤذَنَ لهم﴾ في التخلف ﴿وقعد﴾ المنافقون ﴿الذين كذبوا الله ورسوله﴾ وكذبهم إنما هو بادعائهم الإيمان ﴿سيصيب الذين كفروا منهم﴾ ممن أبدى العذر وهو المنافق ﴿عذاب اليم﴾ مؤلم.

[٩١] ﴿ليس على الضعفاء﴾ كالشيوخ ﴿ولا على المرضى﴾ جمع مريض ﴿ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون﴾ ليس عندهم نفقة الخروج وآلة السفر ﴿خرج﴾ في التخلف ﴿إذا نصحوا لله ورسوله﴾ في حال قعودهم بأن لم يشوبهم غش ونفاق ﴿ما على المحسنين من سبيل﴾ طريق في لومهم وعقوبتهم ﴿والله غفور رحيم﴾.

[٩٢] ﴿ولا﴾ سبيل ﴿على الذين إذا ما﴾ زائدة ﴿أتوك لتحملهم﴾ على مركب للجهاد ﴿قلت لا أجد ما أحملكم عليه﴾ ليس عندي فرس أو حمار ﴿تولوا﴾ رجعوا آيسين ﴿وأعينهم تفيض﴾ تسيل ﴿من الدمع حزناً﴾ من الحزن ﴿ألا﴾ أي حزنوا لأنهم لا يجدوا ما ينفقون ﴿لأجل السفر﴾.

[٩٣] ﴿إنما السبيل﴾ الطريق إلى اللوم والعقاب ﴿على الذين يستأذنونك﴾ للتخلف ﴿وهم أغنياء﴾ واجدون للأهبة والسلاح ﴿رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم﴾ وإنما طبع لأنهم صاروا في طريق الانحراف ﴿فهم لا يعلمون﴾ ما فاتهم من الخير بسبب التخلف.

رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَكِنَّ الرَّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعِذْ لَهِ لِمَنْ جَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾ لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يَنْفِقُونَ ﴿٩٢﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾

[٩٤] ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ﴾ في التخلف ﴿إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ من غزوة تبوك ﴿إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا﴾ بالمعاذير الكاذبة ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ﴾ لا نصدقكم بما تقولون ﴿قَدْ نَبَأْنَا اللَّهَ﴾ أخبرنا بالوحي على نبيه ﷺ ﴿مَنْ أَخْبَارَكُمْ﴾ أخبار نفاقكم ﴿وَسِيرَى اللَّهِ عَمَلَكُمْ﴾ في المستقبل هل تبقون على النفاق أو ترجعون إلى الإيمان ﴿وَرَسُولُهُ ثُمَّ تَرَدُّونَ﴾ ترجعون بعد الموت ﴿إِلَى عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ ما غاب عن الحواس وما شهدته الحواس ﴿فَيَنْبِتْكُمْ﴾ يخبركم لأجل أن يجازيكم ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

[٩٥] ﴿سَيَحْلِفُونَ﴾ المنافقون ﴿بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ﴾ رجعت من تبوك ﴿إِلَيْهِمْ لَتَعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾ بأن تصفحوا، بزعمهم إن حلفهم على العذر كاف ﴿فَاعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾ إعرض كراهة، لا إعرض صفح كما كانوا يريدون ﴿إِنَّهُمْ رَجَسٌ﴾ قدر بما انطوا عليه من النفاق ﴿وَمَا وَاهِمٌ﴾ محلهم ﴿جَهَنَّمَ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ جزاء أعمالهم. [٩٦] ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لَتَرْضُوا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ أي إن رضاكم لا ينفعهم إذا غضب الله عليهم.

[٩٧] ﴿الْأَعْرَابُ﴾ أهل البدو ﴿أَشَدَّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾ من أهل المدن، لأنهم أغلظ من أهل المدينة ﴿وَأَجْدَرُ﴾ أولى ﴿الْأَعْرَابُ يَلْعَنُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ﴾ حدود الله أحكامه ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بأحوال الناس ﴿حَكِيمٌ﴾ يضع الأشياء مواضعها، وقد نزلت هذه الآية في جماعة من القبائل البدوية التي كانت غلبة الطائفة.

[٩٨] ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ يَمِينًا يَنْفِقُ مَغْرَمًا﴾ غرمًا وخسارة، إذ لا يرجو ثواباً ﴿وَيَتَرَبَّصُ﴾ ينتظر ﴿بِكُمْ﴾ أيها المسلمون ﴿الدُّوَاتِرُ﴾ دوران الفلك، بأن ينقلب الزمان عليكم ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوءِ﴾ هذا دعاء عليهم، بأن يدور الفلك بالسوء عليهم ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لأقوالهم ﴿عَلِيمٌ﴾ بنياتهم وأعمالهم.

[٩٩] ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ﴾ نزلت في جماعة آخرين من البدو ﴿مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يَنْفِقُ قُرْبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ﴾ سبباً للتقرب إلى الله تعالى ﴿وَوَسْبِإً لَّهِ صَلَوَاتُ الرَّسُولِ﴾ أي دعائه لهم لأجل ما تصدقوا ﴿أَلَا إِنَّهَا﴾ نفقتهم ﴿قُرْبَةٌ لَّهُمْ﴾ تقربهم إلى الله ﴿سَيَدْخُلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنْ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَأْنَا اللَّهَ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسِيرَى اللَّهِ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تَرَدُّونَ إِلَى عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيَنْبِتْكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَتَعْرِضُوا عَنْهُمْ فَاعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجَسٌ وَمَا وَاهِمٌ جَهَنَّمَ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ سَيَحْلِفُونَ لَكُمْ لَتَرْضُوا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٦﴾ الْأَعْرَابُ أَشَدَّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يَنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُّ بِكُمُ الدَّوَاتِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يَنْفِقُ قُرْبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتُ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ سَيَدْخُلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنْ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩٩﴾

[١٠٠] «وَالسَّابِقُونَ الْأُولُونَ» كعلي عليه السلام وخديجة وأبي طالب وجعفر «مِنَ الْمُهَاجِرِينَ» الذين هاجروا إلى الحبشة والمدينة «وَمِنَ الْأَنْصَارِ» الذين نصروا النبي ﷺ من أهل المدينة «وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ» اتباعاً حسناً ممن التحقوا بالمسلمين بعد ذلك «رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ» خبر (السابقون) «وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعْذَ» هيا «لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا» دائماً «ذَلِكَ» الثواب «الْفَوْزُ الْعَظِيمُ».

[١٠١] «وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ» أي حول المدينة «مِنَ الْمَدِينَةِ» من القبائل البدوية «مُتَنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ» منافقون أيضاً «مُردُوا» مروا واعتادوا «عَلَى النِّفَاقِ لَا يَعْلَمُهُمْ» بأشخاصهم، إلا بوحى من الله «نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَعِيدٌ مَّرْتِينَ» مرة في الدنيا بالإهانة ومعاملة المسلمين معهم معاملة المنافق، ومرة في القبر «ثُمَّ يَرُدُّونَ» يرجعون «إِلَى عَذَابٍ» في الآخرة «عَظِيمٍ».

[١٠٢] «وَأُخَرُونَ» من الذين تخلفوا عن تبوك «اعترفوا بذنوبهم» ولم يعتذروا بالأعذار الواهية «خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا» هو إسلامهم وسائر صالحاتهم «وَعَمَلًا» آخر سيئاً «هُوَ تَخَلَّفَهُمْ عَنْ تَبُوكَ» عسى الله «لَعَلَّ اللَّهَ يُتُوبَ عَلَيْهِمْ» أي على هؤلاء الذين خلطوا الصالح بالطالح «إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ».

[١٠٣] «خُذْ» يا رسول الله «مِنَ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ» عن الذنوب بواسطة الصدقة «وَتُزَكِّيَهُمْ» تنميههم «بِهَا» بالصدقة، فإن الصدقة تنمي الأموال والأعمار والأولاد «وَصَلِّ عَلَيْهِمْ» ادع لهم عند أخذ الصدقة «إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ» تسكن نفوسهم وتطمئن اضطراب قلوبهم بواسطة الدعاء «وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ».

[١٠٤] «أَلَمْ يَعْلَمُوا» حث على التوبة والصدقة «أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ» وقبلها «وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ».

[١٠٥] «وَقُلْ أَعْمَلُوا» ما شئتم من الأعمال «فَسِيرَى اللَّهِ» السين للتأكيد «عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ» ترجعون في الآخرة «إِلَى عَالَمِ الْغَيْبِ فَيُنْشِكُم» يخبركم لأجل الجزاء «بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ».

[١٠٦] «وَأُخَرُونَ» من المتخلفين عن غزوة تبوك «مُرجون» موقوف أمرهم «لِأَمْرِ اللَّهِ» إرادته «إِمَّا يَعْذِبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ» بأحوالهم «حَكِيمٌ» يفعل حسب الصلاح، فقد تخلف جمع عن تبوك كسلاً لا نفاقاً فأنزلت هذه الآية فيهم.

وَالسَّابِقُونَ الْأُولُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعْذَ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُتَنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُّوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَعِيدٌ مَّرْتَيْنِ ثُمَّ يَرُدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ وَأُخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِيرَى اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنْشِكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ وَأُخَرُونَ مُرْجُونَ لَأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾

[١٠٧] ﴿وَالَّذِينَ﴾ عطف على (آخرون) وخبره محذوف، أي أنهم من جملة من تخلف ﴿اتخذوا مسجداً ضراراً﴾ أي لأجل الإضرار بالمسلمين، فإن جمعاً من المنافقين بنوا مسجداً، لأجل أن يتجمعوا هناك ولا يحضروا صلاة الرسول ﷺ ويتآمروا على الإسلام وطلبوا منه ﷺ أن يصلي بهم مرة في مسجدهم، وكان النبي ﷺ إذ ذاك متهمياً لتبوك فلما رجع نزلت الآيات فأمر النبي ﷺ بإحراق ذلك البناء وإلقاء القاذورات فيه ﴿وكفراً﴾ أي لأجل تقوية الكفر وتفريقاً بين المؤمنين ﴿أي لاجل تفرقة بين المؤمنين﴾ وإرساداً ﴿أي ترقباً﴾ لمن حارب الله ورسوله من قبل، قبل بناء المسجد، والمراد بـ(من حارب) أبو عامر الراهب الذي كان جاسوساً من قبل الروم، فأراد المنافقون أن يجعلوه واسطة بينهم وبين الروم في نقل أخبار المسلمين إليهم ﴿وليحلفن إن أردنا﴾ ما أردنا ببناء المسجد ﴿إلا﴾ الخصلة ﴿الحسنى﴾ من الصلاة والتوسعة على الضعفاء ﴿والله يشهد إنهم لكاذبون﴾ في حلفهم.

[١٠٨] ﴿لا نقم﴾ يا رسول الله ﴿فيه﴾ في مسجدهم للصلاة فيه ﴿أبداً لمسجد أسس على التقوى﴾ وهو مسجد قبا الذي بني أصله لأجل تعميم تقوى الله في الناس ﴿من أول يوم﴾ يوم مجيء النبي ﷺ إلى المدينة ﴿أحق﴾ أولى ﴿أن تقوم فيه﴾ في مسجد قبا ﴿رجال يحبون أن يتطهروا﴾ من الأقدار والآثام، لا مثل مسجد ضرار الذي فيه المنافقون ﴿والله يحب المتطهرين﴾.

[١٠٩] ﴿أفمن أسس بنيانه﴾ بناء الذي بينه ﴿على تقوى من الله ورضوان﴾ بأن طلب بنيانه رضى الله واجتناب معاصيه ﴿خيراً من أسس بنيانه على شفا﴾ حافة ﴿جرف﴾ جانب ﴿هار﴾ متداع لل سقوط ﴿فانهار﴾ أي سقط البناء ﴿به﴾ بيانه ﴿في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ أي يتركهم وشأنهم لما عاندوا الحق.

[١١٠] ﴿لا يزال بنيانهم الذي بنوا﴾ أي مسجد ضرار ﴿ريباً﴾ شكاً ﴿في قلوبهم﴾ فإن العمل النفاقي يوجب رسوخ النفاق في القلب ﴿إلا أن تقطع قلوبهم﴾ بأن يموتوا ﴿والله عليم حكيم﴾.

[١١١] ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾ يعطيهم الجنة في مقابل بذل أنفسهم وأموالهم في سبيل الله، وذلك لأجل كونهم ﴿يقاتلون في سبيل الله فيقتلون﴾ الكفار ﴿ويقتلون وعداً﴾ أي وعدهم الجنة ﴿عليه حقاً﴾ ثابتاً ﴿في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله﴾ أي لا أحد أكثر وفاءً بما عاهد من الله ﴿فاستبشروا﴾ أيها البائعون ﴿ببيعكم الذي بايعتم به﴾ بمقابله ﴿وذلك﴾ الشراء ﴿هو الفوز العظيم﴾، وقد ورد أنها نزلت في أمير المؤمنين علي عليه السلام.

وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضَرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَاداً لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلِيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَداً الْمَسْجِدُ أَشْسَ عَلَى النَّفْقَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أَشَسَّ بَيْنَكُمْ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَشَسَّ بَيْنَكُمْ عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَأْتَاهَا بِيْدٍ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾ إِنْ اللَّهُ أَشَارَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَرِّبُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِمْ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾

﴿أن تقوم فيه﴾ في مسجد قبا ﴿رجال يحبون أن يتطهروا﴾ من الأقدار والآثام، لا مثل مسجد ضرار الذي فيه المنافقون ﴿والله يحب المتطهرين﴾.

[١٠٩] ﴿أفمن أسس بنيانه﴾ بناء الذي بينه ﴿على تقوى من الله ورضوان﴾ بأن طلب بنيانه رضى الله واجتناب معاصيه ﴿خيراً من أسس بنيانه على شفا﴾ حافة ﴿جرف﴾ جانب ﴿هار﴾ متداع لل سقوط ﴿فانهار﴾ أي سقط البناء ﴿به﴾ بيانه ﴿في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ أي يتركهم وشأنهم لما عاندوا الحق.

[١١٠] ﴿لا يزال بنيانهم الذي بنوا﴾ أي مسجد ضرار ﴿ريباً﴾ شكاً ﴿في قلوبهم﴾ فإن العمل النفاقي يوجب رسوخ النفاق في القلب ﴿إلا أن تقطع قلوبهم﴾ بأن يموتوا ﴿والله عليم حكيم﴾.

[١١١] ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾ يعطيهم الجنة في مقابل بذل أنفسهم وأموالهم في سبيل الله، وذلك لأجل كونهم ﴿يقاتلون في سبيل الله فيقتلون﴾ الكفار ﴿ويقتلون وعداً﴾ أي وعدهم الجنة ﴿عليه حقاً﴾ ثابتاً ﴿في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله﴾ أي لا أحد أكثر وفاءً بما عاهد من الله ﴿فاستبشروا﴾ أيها البائعون ﴿ببيعكم الذي بايعتم به﴾ بمقابله ﴿وذلك﴾ الشراء ﴿هو الفوز العظيم﴾، وقد ورد أنها نزلت في أمير المؤمنين علي عليه السلام.

[١١٢] ﴿التَّائِبُونَ﴾ عن الكفر والعصيان وهذه صفة (المؤمنين) ﴿العابدون﴾ الذين عبدوا الله ﴿الحامدون﴾ له تعالى ﴿السائحون﴾ الصائمون لما روي من أن (الصوم سياحة أمتي) ﴿الراكمون الساجدون﴾ الأمرين المعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين ﴿المتصفين﴾ بهذه الصفات.

[١١٣] ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أَوْلَىٰ قُرْبَىٰ﴾ للمشركين وأولئك المشركين ﴿أُولَىٰ قُرْبَىٰ﴾ أقرباءهم ﴿مَنْ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ﴾ ظهر للنبي ﷺ والمؤمنين ﴿أَنَّهُمْ﴾ أن المشركين ﴿أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ فإن هذا الاستغفار طلب المحال إذ الله لا يغفر للمشرك.

[١١٤] ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ﴾ عمه آزر حيث قال له لاستغفرن لك ﴿إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ﴾ أي وعد ﴿وَعِدَها﴾ وعد تلك الموعدة ﴿إِيَّاهُ﴾ لعمه فإن إبراهيم عليه السلام كان وعد عمه أن يستغفر له قبل أن يعلم أنه يبقى على الكفر إلى الأبد ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ﴾ ظهر لإبراهيم عليه السلام ﴿أَنَّهُ﴾ عمه ﴿عَدُوٌّ لِلَّهِ﴾ كافر به ﴿تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ ولم يستغفر له ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ﴾ كثير الدعاء ﴿حَلِيمٌ﴾ ومن حلمه وعد آزر أن يستغفر له قبل أن يتبين له إصراره على الكفر.

[١١٥] ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ﴾ أما بعد أن أرشدهم إلى الطريق لا يتركهم وشأنهم حتى يضلوا ﴿حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ﴾ فإذا بين لهم ولم يعملوا تركهم وشأنهم ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

[١١٦] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَهُ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ يَلْيَسُ شُؤْنَكُمْ﴾ ولا نصير ينصركم.

[١١٧] ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ﴾ أي عطف نحوهم فان التوبة بمعنى العطف ﴿عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ اتبعوا النبي ﷺ ﴿فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾ في تبوك لأنها كانت من أخطر الحروب ﴿مَنْ بَعْدَ مَا كَادَ قُرْبُ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِنْهُمْ﴾ يميل عن الحق لأجل عسرة الموقف ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ بسبب ثباتهم وعدم اتباعهم لزيغ القلب ﴿إِنَّهُمْ بِهِمْ رُؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ
الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِنُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَالنَّكَاهُوتِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ
وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ
يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أَوْلَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ
مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ
اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ
فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ
﴿١١٤﴾ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ
يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ اللَّهَ
لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ
دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى
النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي
سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ
مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١١٧﴾

[١١٨] ﴿و﴾ تاب الله ﴿على الثلاثة﴾ كعب وهلال ومرارة ﴿الذين خلفوا﴾ بقوا في المدينة ولم يتبعوا النبي ﷺ في غزوة تبوك، كأن الشيطان صار سبب تخلفهم، فان النبي ﷺ لما رجع عن تبوك أمر الناس بعدم معاشره الثلاثة والتكلم معهم وبعد أربعين يوم نزلت التوبة عليهم ﴿حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت﴾ أي برحبها وسعتها ﴿وضاقت عليهم أنفسهم﴾ للوحشة التي طرأتها بسبب انقطاع الناس عنهم ﴿وظنوا﴾ أيقنوا ﴿أن﴾ مخففة من الثقيلة ﴿لا ملجأ من الله﴾ لا مفر من عقابه ﴿إلا إليه﴾ بأن يستغفروا حتى يقبل توبتهم ﴿ثم تاب عليهم﴾ بأن عطف الله عليهم ﴿ليتوبوا﴾ ويرجعوا عن عصيانهم فإنه لولا عطف الله وتوفيقه لم تحصل التوبة من العبد ﴿إن الله هو التواب الرحيم﴾.

[١١٩] ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله﴾ خافوا عقابه ﴿وكونوا مع الصادقين﴾ اعملوا كما يعمل الصادقون. [١٢٠] ﴿ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب﴾ أي القبائل المحيطة بالمدينة ﴿أن يتخلفوا عن رسول الله﴾ نهي بصيغة النفي، أي ليس لأهل المدينة وأطرافها أن لا يخرجوا مع الرسول ﷺ إذا خرج للغزو ﴿ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه﴾ بأن يطلبوا لأنفسهم الدعة فيما يكابد الرسول ﷺ المشاق ﴿ذلك﴾ النهي عن التخلف

﴿بأنهم﴾ بسبب أنهم ﴿لا يصيبهم ظمأ﴾ عطش ﴿ولا نصب﴾ تعب ﴿ولا مخصصة﴾ جوع ﴿في سبيل الله ولا يطئون موطئاً﴾ لا يضعون أقدامهم موضعاً ﴿يغيظ﴾ ذلك الموطئ ﴿الكفار ولا ينالون من عدو نيلاً﴾ قتلاً أو جرحاً أو نهباً أو أسراً ﴿إلا كتب لهم به﴾ بسبب ذلك العمل أو الأذى ﴿عمل صالح﴾ أي أثبت في ديوان حسناتهم ﴿إن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾ الذين أحسنوا بالجهاد فإنه يثيبهم على كل عمل.

[١٢١] ﴿ولا ينفقون﴾ في سبيل الله ﴿نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون وادياً﴾ صحراء يسيرهم إلى الحرب ﴿إلا كتب لهم﴾ في ديوان الحسنات ﴿ليجزئهم الله﴾ بسبب تلك الأمور ﴿أحسن ما كانوا يعملون﴾ أي أحسن جزاء أعمالهم. [١٢٢] ﴿وما كان﴾ نهي في صيغة نفي ﴿المؤمنون لينفروا﴾ يخرجوا من بلادهم إلى المدينة ﴿كافة﴾ جميعاً ﴿فلولا﴾ تحريض، أي فلماذا ما ﴿نفر من كل فرقة﴾ جماعة ﴿منهم طائفة﴾ أفراد ﴿ليتفقهوا﴾ أي يتفهموا تلك الطائفة ﴿في الدين ولينذروا﴾ يخوفوا ﴿قومهم﴾ بعذاب الله إذا ارتكبوا المعاصي ﴿إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾ عما اندروا، وفي الآية تفسير آخر.

وَعَلَى الثَلَاثَةِ الَّذِينَ خَلْفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَّتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَى يَوْمِ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نِيلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يَنْفَقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾

﴿بأنهم﴾ بسبب أنهم ﴿لا يصيبهم ظمأ﴾ عطش ﴿ولا نصب﴾ تعب ﴿ولا مخصصة﴾ جوع ﴿في سبيل الله ولا يطئون موطئاً﴾ لا يضعون أقدامهم موضعاً ﴿يغيظ﴾ ذلك الموطئ ﴿الكفار ولا ينالون من عدو نيلاً﴾ قتلاً أو جرحاً أو نهباً أو أسراً ﴿إلا كتب لهم به﴾ بسبب ذلك العمل أو الأذى ﴿عمل صالح﴾ أي أثبت في ديوان حسناتهم ﴿إن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾ الذين أحسنوا بالجهاد فإنه يثيبهم على كل عمل.

[١٢١] ﴿ولا ينفقون﴾ في سبيل الله ﴿نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون وادياً﴾ صحراء يسيرهم إلى الحرب ﴿إلا كتب لهم﴾ في ديوان الحسنات ﴿ليجزئهم الله﴾ بسبب تلك الأمور ﴿أحسن ما كانوا يعملون﴾ أي أحسن جزاء أعمالهم. [١٢٢] ﴿وما كان﴾ نهي في صيغة نفي ﴿المؤمنون لينفروا﴾ يخرجوا من بلادهم إلى المدينة ﴿كافة﴾ جميعاً ﴿فلولا﴾ تحريض، أي فلماذا ما ﴿نفر من كل فرقة﴾ جماعة ﴿منهم طائفة﴾ أفراد ﴿ليتفقهوا﴾ أي يتفهموا تلك الطائفة ﴿في الدين ولينذروا﴾ يخوفوا ﴿قومهم﴾ بعذاب الله إذا ارتكبوا المعاصي ﴿إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾ عما اندروا، وفي الآية تفسير آخر.

[١٢٣] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ﴾ يقربون منكم أي الأقرب فالأقرب ﴿مِنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ شدّة ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ يرعاهم وينصرهم.

[١٢٤] ﴿وَإِذَا مَا أَنزَلْنَا سُورَةً فَمِنْهُمْ﴾ من المنافقين ﴿مَن يَقُولُ﴾ للناس ﴿أَيْكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ السُّورَةُ﴾ إيماناً ﴿يَقُولُهُ عَلَى طَرِيقِ الْاسْتِهْزَاءِ﴾ فإمّا الذين آمنوا فزادتهم إيماناً ﴿إِذَ الْمَسْلُومُ يَزِدُّهُ إِيمَانًا بِتَكَرُّرِ سُورِ الْقُرْآنِ﴾ وهم يستبشرون يفرحون بنزول السورة.

[١٢٥] ﴿وَإِنَّمَا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ نفاق ﴿فَزَادَتْهُمْ السُّورَةُ﴾ رجساً ﴿كَفَرًا وَنِفَاقًا﴾ إلى رجسهم السابق، فإن المنافق كلما رأى تقدم الإسلام صمّم على الإيغال في النفاق ﴿وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾.

[١٢٦] ﴿أَوْ لَا يَرُونَ﴾ المنافقون ﴿أَنَّهُمْ يَفْتَنُونَ﴾ يُمتحنون ﴿فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾ بالغزوات ﴿ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ﴾ من نفاقهم ﴿وَلَا هُمْ يَذْكُرُونَ﴾ يتذكرون نعم الله، والمعنى أنهم غمي القلوب فلا السورة تزيدهم إيماناً ولا ظفر الرسول ﷺ في كل عام مرة أو مرتين في الحروب.

[١٢٧] ﴿وَإِذَا مَا أَنزَلْنَا سُورَةً نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ تغامزوا بالعيون إنكاراً للسورة، ويقول بعضهم لبعض ﴿هَلْ يَرَاكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ من المؤمنين وذلك خوفاً من أن يظهر نفاقهم عن مجلس الرسول ﷺ بحال نفاقهم الأول ﴿صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ عن الإيمان، لما عاندوا الحق ﴿بأنهم قوم لا يفقهون﴾ لا يفهمون.

[١٢٨] ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ﴾ أيها البشر ﴿رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ لا من الملك أو الجن ﴿عَزِيزٌ﴾ أي صعب ﴿عَلَيْهِ مَا عَنْتُمْ﴾ عنتكم أي مشقتكم ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ بأن تؤمنوا وتسعدوا ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رُؤُوفٌ﴾ الرأفة شدّة الرحمة ﴿رَحِيمٌ﴾. [١٢٩] ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ أعرضوا عن الإيمان ﴿فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾ الله يكفيني ﴿إِنِّي إِلَهُهُ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ فإن ملكه كل السماوات والأرض.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا مَا أَنزَلْنَا سُورَةً فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيْكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ السُّورَةُ فَإِمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَإِنَّمَا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿١٢٥﴾ أَوْ لَا يَرُونَ أَنَّهُمْ يَفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذْكُرُونَ ﴿١٢٦﴾ وَإِذَا مَا أَنزَلْنَا سُورَةً نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاهُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾

سُورَةُ التَّوْبَةِ

١٠: سورة یونس

مکیة آیاتها مائة وتسع

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

[١] ﴿الر﴾ رمز بین الله و بین رسوله ﷺ ﴿تلك﴾ ما تضمنته هذه السورة ﴿آیات الكتاب الحکیم﴾ المحکم الذي يضع الأشياء موضعها.

[٢] ﴿اكان للناس عجباً﴾ موجباً للتعجب ﴿ان اوحینا﴾ و حیناً ﴿إلى رجل منهم﴾ هو الرسول ﷺ والاستفهام للإنكار ﴿ان أنذر الناس﴾ أخبرهم بالعذاب إن خالفوا ﴿وبشر الذين آمنوا أن لهم﴾ بأن لهم ﴿قدم صدق﴾ أي قدماً ثابت الإيمان ﴿عند ربهم﴾ فهو يعرفهم بهذه الصفة ﴿قال الكافرون ان هذا﴾ الرسول ﴿لساحر مبين﴾ واضح.

[٣] ﴿ان ربکم﴾ أيها الناس ﴿الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام﴾ مقدار ستة أيام من أيام الأرض ﴿ثم استوی﴾ توجه ﴿على العرش﴾ إدارة الكون، كالملك یبني المدينة ثم یستولي علیها ﴿یدبر الأمر﴾ أمور الكائنات ﴿ما من شفیع﴾ یشفع للمذنب ﴿إلا من بعد إذنه﴾ بأن یشفع ﴿ذلكم﴾ الموصوف بتلك الصفات ﴿الله ربکم فاعبدوه أفلا تذكرون﴾ بأنه إلهکم لا غیره.

[٤] ﴿إلیه مرجعکم﴾ رجوعکم في الآخرة ﴿جميعاً وعد الله حقاً﴾ إنه ﴿الله سبحانه﴾ یبدأ الخلق ﴿یخلقهم﴾ ثم یعیده ﴿بعد الموت للقیامة﴾ لیجزی الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط ﴿جزاء بالعدل﴾ والذين كفروا لهم شرابٌ من حمیم ﴿ماء حار﴾ وعذاب الیم ﴿مؤلم﴾ بما كانوا یكفرون ﴿بسبب كفرهم﴾.

[٥] ﴿هو الذي جعل الشمس ضیاء﴾ ذات ضیاء ﴿والقمر نوراً﴾ ذا نور ﴿وقدره﴾ قدر لكل منهما ﴿منازل﴾ في السماء ﴿لتعلموا﴾ بهذا الجعل والتقدير ﴿عدد السنین والحساب﴾ للأيام والشهور ﴿ما خلق الله ذلك إلا بالحق﴾ لغرض وغاية، لا عبثاً ﴿یفصل﴾ یشرح ﴿الآیات﴾ الكونية ﴿لقوم یعلمون﴾ فإنهم المتفعون بهذه الأمور.

[٦] ﴿ان في اختلاف الليل والنهار﴾ تعاقبهما ﴿وما خلق الله في السماوات والأرض﴾ من الموجودات ﴿لآیات لقوم یتقون﴾ الکفر والمعاصي، وإنما خضهم لأنهم المتفعون بهذه الآيات.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّتِّلْكَ ءَايَاتِ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صَدَقَ عَنْهُمْ ﴿٢﴾ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأُمُورَ مِمَّنْ شَفِيعٌ إِلَّا مَنِ بَعْدَ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ يَمَّا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٥﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ إِنَّ فِي آخِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾

[٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجِعُونَ لِقَاءَنَا﴾ أي القيامة ﴿وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ دون أن يعملوا للآخرة ﴿وَاطْمَأَنُّوا بِهَا﴾ سكنوا إليها ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾ لا يتدبرونها .
[٨] ﴿أُولَئِكَ مَاوَاهُم﴾ محلهم ﴿النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ أي بسبب كسبهم الكفر والمعاصي .

[٩] ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ﴾ إلى الجنة ﴿بِإِيمَانِهِمْ﴾ بسبب إيمانهم ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ﴾ تحت قصورهم وأشجارهم ﴿الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ ذات النعمة .

[١٠] ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا﴾ دعاؤهم وذكرهم في الجنة ﴿سَبْحَانَكَ اللَّهُمَّ﴾ إنا نسبحك تسبيحاً يا الله ، والتسبيح التنزيه ﴿وتحتيتهم﴾ ما يحيي بعضهم بعضاً ﴿فِيهَا سَلَامٌ وَأَنْخَرُ دَعْوَاهُمْ﴾ آخر كلامهم ﴿أَنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ .

[١١] ﴿وَلَوْ يَعْجَلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ﴾ إذا دعوا على أنفسهم وعلى أقرانهم كما هو عادة الجَهَال ﴿اسْتَعْجَلَهُم بِالْخَيْرِ﴾ أي كتعجيله لهم بالخير إذا طلبوه من الله ﴿لَقَضَى إِلَيْهِمْ أَجْلَهُمْ﴾ أي لهلكوا ، ولكن يمهلهم ﴿فَنَذَرَ﴾ ترك ﴿الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ أي البعث ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ يتحيرون .

[١٢] ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ﴾ البلاء والمشقة ﴿دَعَانَا﴾ لجنبه ﴿فِي حَالِ الْاضْطِجَاعِ﴾ أو قاعداً أو قائماً ﴿أَي فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ﴾ فلما كشفنا ﴿أَزَلْنَاهُ عَنْهُ ضُرَّهُ مَرًّا﴾ استمر على طريقته الأولى ﴿كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّهِ كَمَا كَانَ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّهِ مَرًّا﴾ هكذا ﴿زَيْنٌ لِلْمُتَسْرِفِينَ﴾ من تعدى الحد في العقيدة أو العمل ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ فإنهم يرون أعمالهم حسنة ولذا يستمرون فيها .

[١٣] ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ﴾ أهل كل عصر ﴿مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الأدلة الواضحات ﴿وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ لأنهم عاندوا الحق ﴿كَذَلِكَ﴾ كهلاك أولئك ﴿نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ .

[١٤] ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَمُ﴾ أيها المسلمون ﴿خَلَائِفَ﴾ خلفاء ﴿فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ من خير أو شر لنجازيكم عليه .

إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَئِكَ مَاوَاهُم النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَوْ يَعْجَلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتَعْجَلَهُم بِالْخَيْرِ لَقَضَى إِلَيْهِمْ أَجْلَهُمْ فَنَذَرَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّكَانَ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّهِ مَرًّا كَذَلِكَ زَيْنٌ لِلْمُتَسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكَمُ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

[۱۵] ﴿وَإِذَا تَنَلَّى عَلَيْهِمْ﴾ على هؤلاء الخلائف ﴿آيَاتِنَا﴾ بينات ﴿في حال كونها واضحات﴾ ﴿قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ لا يعتقدون بالآخرة ﴿إِنَّمَا يَأْتِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ﴿يَا مُحَمَّدٌ﴾ ﴿يَقْرَأُونَ﴾ ﴿غَيْرَ هَذَا﴾ لا يعيب آلهتنا ﴿أَوْ بِذَلِكَ﴾ بأن تجعل مكانه ما لا يكون فيه عيب الآلهة، فيكون بنفس الأسلوب والمطالب لكن بدون عيب الآلهة ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبْذِلَهُ مِنْ تِلْكَ﴾ من جهة ﴿نَفْسِي﴾ إن ﴿مَا أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ ﴿إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾ بالتبديل ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ في الآخرة.

[۱۶] ﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ﴾ بأن أمرني الله أن لا أتلو القرآن أصلاً أو لا أتلو عليكم أنتم بالذات ﴿وَلَا أَدْرَاكُمْ﴾ أي لا أعلمكم الله ﴿بِهِ﴾ بهذا القرآن ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ﴾ مكثت ﴿فِيكُمْ﴾ عمراً ﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ من قبله ﴿قَبْلَ نَزُولِ الْقُرْآنِ﴾ أفلا تعقلون أنه ليس من تلقاء نفسي وإلا لكنت أقرأه عليكم قبل الأربعين أيضاً.

[۱۷] ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ أي لا أحد أكثر ظملاً من المفترى على الله كقوله: له تعالى ولد أو شريك ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ كالقرآن، بأن أذكر الآيات ﴿إِنَّمَا لَا يَفْلَحُ﴾ لا يفوز ﴿الْمُجْرِمُونَ﴾.

[۱۸] ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ أي الأصنام فإنها لا تضر بنفسها وإنما يعذب الله عبدها ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ الْأَصْنَامُ﴾ شفعاؤنا عند الله ﴿تَشْفَعُ﴾ في أمور دنيانا وآخرانا ﴿قُلْ أَتَنْتَوُونَ﴾ تخبرون، والاستغفار للإنكار ﴿اللَّهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ﴾ من باب السالبة بانتفاء الموضوع إذ لو كانت الأصنام شفعاء وشركاء لعلمه الله ﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فإنه سبحانه يعلم أن لا شريك له في السماء ولا في الأرض ﴿سُبْحَانَهُ﴾ أنزهه عن الشرك ﴿وَتَعَالَىٰ﴾ ارتفع عن ذلك ﴿عَمَّا﴾ عن الأصنام ﴿يُشْرِكُونَ﴾ يشركونها معه عز وجل.

[۱۹] ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ فإن الناس على لون واحد قبل بعثة كل نبي ﴿فَاخْتَلَفُوا﴾ بمجيء الأنبياء ﴿فَبَعْضُهُمْ نَاصِرُ الْحَقِّ وَبَعْضُهُمْ عَارِضُ الْحَقِّ﴾ ولولا كلمة سبقت من ربك ﴿بأن قال الله: أواخر الجزاء إلى يوم الفصل، وذلك لمصلحة الامتحان الكامل﴾ ﴿لَقَضَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ أي لفصل بين المحق والمبطل في الدنيا ﴿فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ بنجاة المحق وهلاك المبطل.

[۲۰] ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَا﴾ هلاً ﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ﴾ على محمد ﴿آيَةٌ﴾ من الآيات التي نقترحها ﴿مَنْ رَبُّهُ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ﴾ فإن الله يعلم لماذا لا ينزل آية مقترحة، إذ يعلم أن الصلاح في عدم إنزالها ﴿فَانْتَظَرُوا﴾ نزولها والعذاب ﴿إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَنَظِّرِينَ﴾.

وَإِذَا تَنَلَّى عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا يَنَتِفَتِ قَالِ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَنْتَ بِفِرْعَوْنَ غَيْرِ هَذَا أَوْ بِذَلِكَ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبْذِلَهُ مِنْ تِلْكَ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ قُلْ أَتَنْتَوُونَ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّمَا لَا يَفْلَحُ الْمُجْرِمُونَ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتَنْتَوُونَ عَلَى اللَّهِ يَمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقَضَىٰ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظَرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَنَظِّرِينَ

[٢١] ﴿وَإِذْ أَوْفَيْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَاءَ مَسْتَهُمْ﴾ كالخصب والرخاء ﴿مِنْ بَعْدِ ضَرَاءَ مَسْتَهُمْ﴾ كالجدب والمرض ﴿إِذْ أَلْهِمَ مَكْرَ فِي آيَاتِنَا﴾ أي عوض أن يشكروا ويمكروا، يريدون بذلك إطفاء الآيات وإبطالها ﴿قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾ مجازاة على المكر ﴿إِنْ رُسُلُنَا﴾ الملائكة ﴿يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾ ما تدبرون لأجل إبطال الحق، فنجازيكم عليه.

[٢٢] ﴿هُوَ الَّذِي يَسِيرُكُمْ﴾ يقدركم على السير ﴿فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ حتى إذا كنتم في الفلك ﴿السَّفِينَةِ فِي الْبَحْرِ﴾ وجرين بهم ﴿أَيِ أَجْرِنَا سَفِينَهُمْ﴾ بريح طيبة ﴿بِسَبَبِ رِيحٍ حَسَنَةٍ لِيَنَ وَفَرَحُوا بِهَا﴾ بتلك الريح ﴿جَاءَتْهَا﴾ أي الفلك ﴿رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ شديدة ﴿وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ من أطراف السفينة ﴿وَوُظِنُوا أَنَّهُمْ أَحِيطَ بِهِمْ﴾ أي سُدَّتْ مسالك الخلاص من أطرافهم ﴿دَعَا اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ من غير إشراك، إذ الفطرة ترجع إلى حالتها الواقعية عند الهول ﴿لَنُنْجِيَنَّ مِنْ هَذِهِ الشَّدَةِ﴾ لنكونن من الشاكرين ﴿فَلَا نَظْلَمُ﴾.

[٢٣] ﴿فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ﴾ الله إجابة لدعائهم ﴿إِذَا هُمْ يَبْغُونَ﴾ يظلمون ﴿فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغَيْكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ فإن وبال الظلم يرجع إلى الظالم نفسه ﴿مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ إنما تتمتعون متاع الحياة الدنيا بسبب البغي ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ﴾ رجوعكم في القيامة

وَإِذْ أَوْفَيْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَاءَ مَسْتَهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ الَّذِي يُسِيرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرَحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَا اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَجِجْنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغَيْكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُوا عَلَىهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُفَكِّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾

﴿فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ لنجازيكم عليه.

[٢٤] ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ صفتها في سرعة زوالها ﴿كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ﴾ أي امتزج بسبب المطر ﴿نَبَاتُ الْأَرْضِ﴾ بعضه ببعض ﴿مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ﴾ من الحبوب والعشب ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾ جمالها بالنبات ﴿وَازَّيَّنَتْ﴾ وتزينت بالخضرة ﴿وَظَنَّ أَهْلُهَا﴾ مالكيها ﴿أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا﴾ بالحصاد والانتفاع بالغلات ﴿أَتَاهَا أَمْرُنَا﴾ أي جاء إلى الأرض الممزوجة عذابنا ﴿لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا﴾ أي أتلَف العذاب الزرع حتى صارت الأرض كأنها محصودة ﴿كَأَن لَمْ تَغْنَبِ﴾ أي تكن الأرض على تلك الصفة المخضرة ﴿بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نَفْصِلُ﴾ نشرح ﴿الآيَاتِ لِقَوْمٍ يُفَكِّرُونَ﴾ ليعتبروا بها.

[٢٥] ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾ هي الجنة لسلامتها من كل آفة ﴿وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ ممن هو قابل للهداية ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

[٢٦] ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ مبتدأ، أي المثوبة الحسنة هي للذين أحسنوا ﴿وَزِيَادَةٌ﴾ زيادة على استحقاقهم ﴿وَلَا يَرْهَقُ﴾ لا يغشى ﴿وَجُوهَهُمْ قَتَرٌ﴾ سواد ﴿وَلَا ذَلَّةٌ﴾ هوان ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ دائمون.

[٢٧] ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ﴾ عملوا بالمعاصي ﴿جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بَمِثْلِهَا﴾ بلا زيادة ﴿وَوَرَّهُمْ ذُلٌّ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ عاصم ﴿يَحْفَظُهُمْ مِنْ بَأْسِ اللَّهِ﴾ كأنما أغشيت ﴿أَلْبَسَتْ وَجُوهَهُمْ قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ مَظْلَمًا﴾ من سواد وجوههم ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ الملازمون لها ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

[٢٨] ﴿وَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يا رسول الله ﴿يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾ نجمهم للجزاء ﴿جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ﴾ ألزموا، ولا تذهبوا ﴿أَنْتُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ﴾ الأصنام ﴿فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ أي فرقنا بينهم وقطعنا الصلة التي كانت بين الأصنام وعبادها ﴿وَقَالَ شُرَكَاءُهُمْ﴾ فإن الله ينطق الأصنام ليتبرءوا من العباد: ﴿مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾ بل كنتم تعبدون الأوهاء.

[٢٩] ﴿فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ أيها المشركون ﴿إِنْ﴾ مخففة من الثقيلة ﴿كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لِغَافِلِينَ﴾ أي لم تكن نشعر بعبادتكم لنا.

[٣٠] ﴿هَٰذَا الَّذِي فُتِنَ بِهِ﴾ في ذلك المقام ﴿تَبْلُو﴾ تختبر ﴿كُلَّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ﴾ من عمل، ليجزى عليه ﴿وَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ﴾ أرجعوا في جزائهم إليه تعالى ﴿مَوْلَاهُمْ﴾ مالكهم ﴿الْحَقُّ﴾ حينما بطلت أصنامهم الباطلة ﴿وَضَلَّ﴾ بطل ﴿عَنْهُمْ﴾ ما كانوا يفترون من الأصنام.

[٣١] ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ بالنبات ﴿أَمَّنْ يَمْلِكُ﴾ يخلق وفي قبضته ﴿السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ كإخراج الدجاجة من البيضة والبيضة من الدجاجة ﴿وَمَنْ يَدْبُرُ الْأُمُورَ﴾ أمر العالم ينظمه ﴿فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ يفعل كل ذلك ﴿فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ عقابه، بأن لا تجعلوا له شريكاً.

[٣٢] ﴿فَذَلِكُمْ﴾ الذي يفعل كل ذلك، و (كم) للخطاب ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال ﴿فَعِبَادَةٌ غَيْرُ ضَلَالٍ﴾ فأنى تصرفون ﴿إِلَىٰ أَيْنَ تَصْرَفُونَ﴾ عن عبادته.

[٣٣] ﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ أي كما حقت الربوبية لله حقت كلمة الله وحكمه ﴿عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا﴾ عاندوا في الفسق والخروج على الطاعة ﴿أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ فقد سبق في علمه أنهم لا يؤمنون باختيار أنفسهم.

﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ وَلَا يَرْهَقُ وَجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِرٍ كَانَمَا أَغَشِيَتْ وَجُوهَهُمْ قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ مَظْلَمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاءُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لِغَافِلِينَ ﴿هَٰذَا الَّذِي فُتِنَ بِهِ﴾ كُلَّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يَدْبُرُ الْأُمُورَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿فَذَلِكُمْ﴾ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾

[٣٤] ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمُ الَّذِينَ جَعَلْتُمُوهُمْ شُرَكَاءَ لِلَّهِ مِنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلُوبُ اللَّهِ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَاَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ .

[٣٥] ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمُ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ بِإِرسالِ الرِّسَالِ وَنُصِبَ الدَّلَائِلُ﴾ ﴿قُلْ اللَّهُ وَحْدَهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي﴾ أي هو بنفسه لا يتمكن من هداية نفسه ﴿إِلَّا أَنْ يَهْدِيَ بِأَنْ يَهْدِيهِ غَيْرُهُ، وهذا وصف أشرف الشركاء كالْمَسِيحِ ﷺ والملائكة، فكيف بالأصنام﴾ ﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ حكماً جائراً .

[٣٦] ﴿وَمَا يُتَّبَعُ أَكْثَرُهُمْ﴾ أكثر الكفار والمشركين ﴿إِلَّا ظَنًّا﴾ إذ قليل منهم يقطعون بصحة الأصنام جهلاً مركباً ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ فإن الظن ليس بعذر ولا مرآة للواقع ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ من اتباع الظن وترك الحجة، وهذا تهديد لهم .

[٣٧] ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى﴾ بأن يكون النبي ﷺ افتراءه ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ غير الله ﴿وَلَكِنْ أَنْزَلَ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الكتب السابقة ﴿وتفصيل الكتاب﴾ أي شرح ما كتب وأثبت من أمور الدين ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ ليس محل شك وريب ﴿مَنْ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ .

[٣٨] ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ بل يقول الكفار: ﴿افْتَرَاهُ﴾ محمد ﷺ ﴿قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ إن كان القرآن كلام البشر فأتوا بسورة مثل سور القرآن ﴿وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ لِمُعَاذَتِكُمْ﴾ من دون الله، غير الله كأننا من كان ﴿إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أنه افتراء .

[٣٩] ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾ بالقرآن قبل أن يتدبروا آياته ويحيطوا بالعلم بشأنه ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ أي بعد لم يفهموا معانيه وحقائقه ﴿كَذَلِكَ﴾ بدون تدبر ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أنبياءهم وكتبهم ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ حيث نزل بهم العذاب، وهذا تهديد لقريش وسائر الكفار .

[٤٠] ﴿وَمَنْهُمْ﴾ من الناس ﴿مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبِّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ المعاندين الذين يفسدون في الأرض .

[٤١] ﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ﴾ كلّ يجزى بما عمل ﴿أَنْتُمْ بَرِئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ وهذا كناية عن تركهم وشأنهم .

[٤٢] ﴿وَمَنْهُمْ مَنْ يَسْتَمْعُونَ إِلَيْكَ﴾ إذا قرأت القرآن، لا بقصد الاستفادة ﴿أَفَأَنْتَ تَسْمَعُ الصَّمَّ﴾ فإنهم كالأصم الذي لا يسمع، والاستفهام لبيان عدم فائدة وعظمه ﴿وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ﴾ بأن انضم إلى صممهم عدم تعقلهم .

قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلُوبُ اللَّهِ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَاَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلُوبُ اللَّهِ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِيَ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا يُتَّبَعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفَتَرَبُّهُ قُلُوبُنَا فَاتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٣٩﴾ وَمَنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾ وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ وَمَنْهُمْ مَنْ يَسْتَمْعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَسْمَعُ الصَّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾

[٤٣] ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ﴾ بدون قصد العبرة بالنظر ﴿أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْغَمِي﴾ تقدر على هدايته ﴿وَلَوْ كَانُوا لَا يَبْصُرُونَ﴾ بأن انضم إلى عدم البصر عدم البصيرة.

[٤٤] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بترك اتباع الحق.

[٤٥] ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ﴾ يجمعهم ﴿كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا﴾ لم يبقوا في الدنيا ﴿إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ﴾ وذلك لأن الزمان المنقضي كأنه لم يكن شيئاً ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ يعرف بعضهم بعضاً كأنهم لم يتعارفوا إلا قليلاً ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾ أي بالبعث الذي فيه لقاء جزاء الله ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ هناك يظهر خسارتهم.

[٤٦] ﴿وَلِإِذَا نُرِيتُكَ﴾ يا محمد ﴿بَعْضَ الَّذِينَ نَعَدُهُمْ﴾ نعد هؤلاء الكفار من العقاب في الدنيا ﴿أَوْ نَتُوفِينُكَ﴾ قبل تعذيبهم ﴿فَلِإِذَا مَرَجَعَهُمْ﴾ في الآخرة وهناك ترى عقابهم ﴿ثُمَّ﴾ للترتيب في الكلام ﴿اللَّهُ شَهِيدٌ﴾ شاهد ﴿عَلَى مَا يَفْعَلُونَ﴾ فيجازيهم عليه.

[٤٧] ﴿وَلِكُلِّ أُمَةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ﴾ وكذبوه ﴿قُضِيَ﴾ حُكْم، والحاكم هو الله ﴿بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل، بأن يهلكهم الله ﴿وَهُمْ لَا يَظْلِمُونَ﴾ بل يعاقبون جزاء عملهم.

[٤٨] ﴿وَيَقُولُونَ﴾ الكفار استهزاء: ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ بالعذاب ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أن من لم يؤمن يُعاقب.

[٤٩] ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ فالضر والنفع يوجههما الله إلى الإنسان، فكيف أملك لكم واستعجل في طلب عذابكم ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ أن يوجهه إلي من ضر أو نفع ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ وقت معلوم فيه فناء تلك الأمة ﴿إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ أي إذا جاء وقتهم وهو في طريق الوصول إليهم لا يتقدم ولا يتأخر عن الوقت المحدود.

[٥٠] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ أخبروني ﴿إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ﴾ الذي تستعجلونه ﴿بَيَّاتًا﴾ ليلاً ﴿أَوْ نَهَارًا مَآذَا﴾ أي شيء ﴿يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ مِنَ الْعَذَابِ﴾ المعجرون أي أي تندموا على استعجاله.

[٥١] ﴿أَنْتُمْ إِذَا مَا وَقَعَ﴾ أي هل بعد وقوع العذاب ﴿آمَنْتُمْ بِهِ﴾ بالله، حين لا ينفعكم الإيمان، فيقال لهم ﴿الْآنَ﴾ آمَنْتُمْ ﴿وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ والاستفهام للإنكار، أي في وقت الاستعجال لم تؤمنوا، والآن تؤمنون حيث لا ينفع الإيمان.

[٥٢] ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ﴾ أي الباقي الدائم ﴿هَلْ تَجْزُونَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ الاستفهام بمعنى النفي أي لا تجزون إلا بمقابل كسبكم.

[٥٣] ﴿وَيَسْتَنْبِثُونَكَ﴾ أي يستخبرونك يا رسول الله ﴿أَحَقُّ هُوَ﴾ ما تقول من الوعد والوعيد ﴿قُلْ أَيُّ وَرَثَةٍ﴾ بحق ربي ﴿إِنَّهُ لَحَقُّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ لا تتمكنون من أن تعجزوا الله حتى لا يعذبكم.

وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْغَمِي وَلَوْ كَانُوا لَا يَبْصُرُونَ بِأَنْ أَنْضَمَّ إِلَى عَدَمِ الْبَصَرِ عَدَمُ الْبَصِيرَةِ.

[٤٤] إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ بِتَرْكِ اتِّبَاعِ الْحَقِّ.

[٤٥] وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ يَجْمَعُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا لَمْ يَبْقُوا فِي الدُّنْيَا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ ذَلِكَ لِأَنَّ الزَّمَانَ الْمُنْقَضِي كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ يَعْرِفُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا كَأَنَّهُمْ لَمْ يَتَعَارَفُوا إِلَّا قَلِيلًا قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ أَي بِالْبَعْثِ الَّذِي فِيهِ لِقَاءُ جَزَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ هَكَذَا يَظْهَرُ خَسَارَتُهُمْ.

[٤٦] وَلِإِذَا نُرِيتُكَ يَا مُحَمَّدٌ بَعْضَ الَّذِينَ نَعَدُهُمْ نَعْدُ هَؤُلَاءِ الْكَافِرِينَ مِنَ الْعِقَابِ فِي الدُّنْيَا أَوْ نَتُوفِينُكَ قَبْلَ تَعَذِيبِهِمْ فَلِإِذَا مَرَجَعَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَهَكَذَا تَرَى عِقَابَهُمْ ثُمَّ لِلتَّرْتِيبِ فِي الْكَلَامِ اللَّهُ شَهِيدٌ شَاهِدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ فَيَجَازِيهِمْ عَلَيْهِ.

[٤٧] وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ وَكَذَّبُوهُ قُضِيَ حُكْمٌ وَالْحَاكِمُ هُوَ اللَّهُ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ بِالْعَدْلِ بِأَنَّهُ يَهْلِكُهُمُ اللَّهُ وَهُمْ لَا يَظْلِمُونَ بَلْ يَعَاقِبُونَ جَزَاءَ عَمَلِهِمْ.

[٤٨] وَيَقُولُونَ الْكَافِرُونَ اسْتِهْزَاءً: مَتَى هَذَا الْوَعْدُ بِالْعَذَابِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي أَنَّ مَنْ لَمْ يُؤْمَرْ يُعَاقَبُ.

[٤٩] قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا فَالضَّرُّ وَالنَّفْعُ يُوْجِهُهُمَا اللَّهُ إِلَى الْإِنْسَانِ، فَكَيْفَ أَمْلِكُ لَكُمْ وَاسْتَعْجَلْ فِي طَلَبِ عَذَابِكُمْ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يُوْجِهَهُ إِلَيَّ مِنْ ضَرٍّ أَوْ نَفْعٍ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ وَقَدْ مَعْلُومٌ فِيهِ فَنَاءُ تِلْكَ الْأُمَّةِ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ أَي إِذَا جَاءَ وَقْتُهِمْ وَهُوَ فِي طَرِيقِ الْوَصُولِ إِلَيْهِمْ لَا يَتَقَدَّمُ وَلَا يَتَأَخَّرُ عَنِ الْوَقْتِ الْمَحْدُودِ.

[٥٠] قُلْ أَرَأَيْتُمْ أَخْبِرُونِي إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَهُ بَيَّاتًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا مَآذَا أَي شَيْءٌ يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ مِنَ الْعَذَابِ الْمَعْجُرُونَ أَي أَي تَنْدَمُوا عَلَى اسْتِعْجَالِهِ.

[٥١] أَنْتُمْ إِذَا مَا وَقَعَ أَي هَلْ بَعْدَ وَقُوعِ الْعَذَابِ آمَنْتُمْ بِهِ بِاللَّهِ، حِينَ لَا يَنْفَعُكُمُ الْإِيمَانُ، فَيُقَالُ لَهُمْ الْآنَ آمَنْتُمْ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ وَالاسْتِفْهَامُ لِلْإِنْكَارِ، أَي فِي وَقْتِ الْاسْتِعْجَالِ لَمْ تُؤْمِنُوا، وَالْآنَ تُؤْمِنُونَ حَيْثُ لَا يَنْفَعُ الْإِيمَانُ.

[٥٢] ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ أَي الْبَاقِي الدَّائِمُ هَلْ تَجْزُونَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ الْاسْتِفْهَامُ بِمَعْنَى النَّفْيِ أَي لَا تَجْزُونَ إِلَّا بِمُقَابِلِ كَسْبِكُمْ.

[٥٣] وَيَسْتَنْبِثُونَكَ أَي يَسْتَخْبِرُونَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحَقُّ هُوَ مَا تَقُولُ مِنَ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ قُلْ أَيُّ وَرَثَةٍ بِحَقِّ رَبِّي إِنَّهُ لَحَقُّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ لَا تَتَمَكِّنُونَ مِنْ أَنْ تَعْجِزُوا اللَّهَ حَتَّى لَا يَعَذِّبَكُمْ.

[٥٤] ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ﴾ وأسروا ﴿الندامة لما رأوا العذاب﴾ وقضوا ﴿ببئسهم بالقسط وهم لا يظلمون﴾ [٥٥] ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [٥٦] ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ﴾ وأسروا ﴿الندامة لما رأوا العذاب﴾ وقضوا ﴿ببئسهم بالقسط وهم لا يظلمون﴾ [٥٧] ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ﴾ وأسروا ﴿الندامة لما رأوا العذاب﴾ وقضوا ﴿ببئسهم بالقسط وهم لا يظلمون﴾ [٥٨] ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ﴾ وأسروا ﴿الندامة لما رأوا العذاب﴾ وقضوا ﴿ببئسهم بالقسط وهم لا يظلمون﴾ [٥٩] ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ﴾ وأسروا ﴿الندامة لما رأوا العذاب﴾ وقضوا ﴿ببئسهم بالقسط وهم لا يظلمون﴾ [٦٠] ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ﴾ وأسروا ﴿الندامة لما رأوا العذاب﴾ وقضوا ﴿ببئسهم بالقسط وهم لا يظلمون﴾ [٦١] ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ﴾ وأسروا ﴿الندامة لما رأوا العذاب﴾ وقضوا ﴿ببئسهم بالقسط وهم لا يظلمون﴾

[٥٥] ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [٥٦] ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ﴾ وأسروا ﴿الندامة لما رأوا العذاب﴾ وقضوا ﴿ببئسهم بالقسط وهم لا يظلمون﴾ [٥٧] ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ﴾ وأسروا ﴿الندامة لما رأوا العذاب﴾ وقضوا ﴿ببئسهم بالقسط وهم لا يظلمون﴾ [٥٨] ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ﴾ وأسروا ﴿الندامة لما رأوا العذاب﴾ وقضوا ﴿ببئسهم بالقسط وهم لا يظلمون﴾ [٥٩] ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ﴾ وأسروا ﴿الندامة لما رأوا العذاب﴾ وقضوا ﴿ببئسهم بالقسط وهم لا يظلمون﴾ [٦٠] ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ﴾ وأسروا ﴿الندامة لما رأوا العذاب﴾ وقضوا ﴿ببئسهم بالقسط وهم لا يظلمون﴾ [٦١] ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ﴾ وأسروا ﴿الندامة لما رأوا العذاب﴾ وقضوا ﴿ببئسهم بالقسط وهم لا يظلمون﴾

[٥٦] ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ﴾ وأسروا ﴿الندامة لما رأوا العذاب﴾ وقضوا ﴿ببئسهم بالقسط وهم لا يظلمون﴾ [٥٧] ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ﴾ وأسروا ﴿الندامة لما رأوا العذاب﴾ وقضوا ﴿ببئسهم بالقسط وهم لا يظلمون﴾ [٥٨] ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ﴾ وأسروا ﴿الندامة لما رأوا العذاب﴾ وقضوا ﴿ببئسهم بالقسط وهم لا يظلمون﴾ [٥٩] ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ﴾ وأسروا ﴿الندامة لما رأوا العذاب﴾ وقضوا ﴿ببئسهم بالقسط وهم لا يظلمون﴾ [٦٠] ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ﴾ وأسروا ﴿الندامة لما رأوا العذاب﴾ وقضوا ﴿ببئسهم بالقسط وهم لا يظلمون﴾ [٦١] ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ﴾ وأسروا ﴿الندامة لما رأوا العذاب﴾ وقضوا ﴿ببئسهم بالقسط وهم لا يظلمون﴾

[٥٨] ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ﴾ وأسروا ﴿الندامة لما رأوا العذاب﴾ وقضوا ﴿ببئسهم بالقسط وهم لا يظلمون﴾ [٥٩] ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ﴾ وأسروا ﴿الندامة لما رأوا العذاب﴾ وقضوا ﴿ببئسهم بالقسط وهم لا يظلمون﴾ [٦٠] ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ﴾ وأسروا ﴿الندامة لما رأوا العذاب﴾ وقضوا ﴿ببئسهم بالقسط وهم لا يظلمون﴾ [٦١] ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ﴾ وأسروا ﴿الندامة لما رأوا العذاب﴾ وقضوا ﴿ببئسهم بالقسط وهم لا يظلمون﴾

[٥٩] ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ﴾ وأسروا ﴿الندامة لما رأوا العذاب﴾ وقضوا ﴿ببئسهم بالقسط وهم لا يظلمون﴾ [٦٠] ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ﴾ وأسروا ﴿الندامة لما رأوا العذاب﴾ وقضوا ﴿ببئسهم بالقسط وهم لا يظلمون﴾ [٦١] ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ﴾ وأسروا ﴿الندامة لما رأوا العذاب﴾ وقضوا ﴿ببئسهم بالقسط وهم لا يظلمون﴾

وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسْرُوا
الْندامة لما رأوا العذاب وقضوا ببئسهم بالقسط وهم
لا يظلمون ﴿٥٤﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يَحْيِي وَيُمِيتُ
وَالِيهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِدَةٌ
مِّن رَّبِّكُمْ وَشَفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ
﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا
يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِّن رِّزْقٍ
فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ اللَّهُ أَزْبَنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ
تَفَرُّوتُمْ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ
يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ
لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ
وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ
فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي
السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كُتُبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾

﴿أذن لكم﴾ في التحريم والتحليل ﴿أم على الله تفترون﴾ في نسبة ذلك إلى الله .

[٦٠] ﴿وما ظن الذين يفترون على الله الكذب﴾ أي شيء ظنهم به في ﴿يوم القيامة﴾ هل يظنون أنه لا يعاقبهم ﴿إن الله لذو فضل على الناس﴾ حيث خلقهم وأمرهم وأرسل إليهم الهدى ﴿ولكن أكثرهم لا يشكرون﴾ هذه النعم بل يكفرون بها .

[٦١] ﴿وما تكون في شأن﴾ من شؤونك وحال من أحوالك ﴿وما تتلو منه﴾ أي من شأنك ﴿من قرآن﴾ بعض القرآن ﴿ولا تعملون﴾ أيها الناس ﴿من عمل إلا كنا عليكم شهوداً﴾ نشهد حالكم وقراءتكم وعملكم ﴿إذ تفيضون فيه﴾ أي تدخلون في ذلك الشأن والقرآن والعمل ﴿وما يعزب﴾ يغيب ﴿عن ربك من مثقال﴾ ثقل ﴿ذرة﴾ هباء ﴿في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك﴾ المثقال ﴿ولا أكبر إلا في كتاب مبين﴾ كتاب واضح، أي قد كُتب عند الله .

[۶۲ - ۶۴] ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ الَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ لا خوف علیهم ولا هم يحزنون ﴿فإن خوفهم وحزنهم بالنسبة إلى غیرهم ليس بشيء يذكر﴾ الذين ﴿بدل من﴾ (أولياء الله) ﴿آمنوا وكانوا يتقون﴾ المعاصي ﴿لهم البشري﴾ البشارة ﴿في الحياة الدنيا﴾ يشهرهم الله بالمستقبل الزاهر في الدنيا ﴿وفي الآخرة﴾ بالجنة ﴿لا تبديل لكلمات الله﴾ فإن البشارة لهم قطعية ﴿ذلك﴾ المذكور من البشري ﴿هو الفوز العظيم﴾.

[۶۵] ﴿ولا يحزنك قولهم﴾ بتكذيبك ﴿إن العزة لله جميعاً﴾ فإن الغلبة والسيادة لله ولك فلا يضرک قولهم حتى تحزن ﴿هو السميع العليم﴾.

[۶۶] ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمِنْ فِي الْأَرْضِ﴾ فكُلُّهم خلقه، وليسوا شركاء له ﴿وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء﴾ أي له أيضاً ما يسمونه شركاء لله ﴿إن يتبعون إلا الظن﴾ أي إن اتباعهم للأصنام ناشئ عن الظن ﴿وإن هم إلا يخرصون﴾ يكذبون في جعلهم الأصنام شركاء لله.

[۶۷] ﴿هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا﴾ تستريحوا ﴿فيه والنهار مبصراً﴾ أي لتبصروا فيه ﴿إن في ذلك﴾ الجعل ﴿آيات﴾ حجج وأدلة على وجود الله ﴿لقوم يسمعون﴾ سماع تدبر.

[۶۸] ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ كالمسيح وعزير والملائكة ﴿سبحانه﴾ أنزهه تنزيهاً ﴿هو الغني﴾ عن اتخاذ الولد ﴿له ما في السماوات وما في الأرض﴾ والمملوك لا يكون ولداً ﴿إن﴾ ما ﴿عندكم من سلطان﴾ حجة ﴿بهذا﴾ الذي تقولون به من اتخاذ الولد ﴿أتقولون على الله ما لا تعلمون﴾ استفهام إنكار.

[۶۹] ﴿قل إن الذين يفترون على الله الكذب﴾ باتخاذ الولد أو ما أشبه ﴿لا يقلحون﴾ لا يفوزون بالثواب.

[۷۰] ﴿متاع﴾ أي افتراؤهم لأجل تمتع ﴿في الدنيا﴾ بالرياسة والمال ﴿ثم إلينا مرجعهم﴾ رجوعهم ﴿ثم نذيقهم العذاب الشديد﴾ في جهنم ﴿بما كانوا يكفرون﴾ بسبب كفرهم.

﴿الآيات﴾ أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴿الذين﴾ الذين ﴿بدل من﴾ (أولياء الله) ﴿آمنوا وكانوا يتقون﴾ المعاصي ﴿لهم البشري﴾ البشارة ﴿في الحياة الدنيا﴾ يشهرهم الله بالمستقبل الزاهر في الدنيا ﴿وفي الآخرة﴾ بالجنة ﴿لا تبديل لكلمات الله﴾ فإن البشارة لهم قطعية ﴿ذلك﴾ المذكور من البشري ﴿هو الفوز العظيم﴾.

﴿ولا يحزنك قولهم﴾ بتكذيبك ﴿إن العزة لله جميعاً﴾ فإن الغلبة والسيادة لله ولك فلا يضرک قولهم حتى تحزن ﴿هو السميع العليم﴾.

﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمِنْ فِي الْأَرْضِ﴾ فكُلُّهم خلقه، وليسوا شركاء له ﴿وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء﴾ أي له أيضاً ما يسمونه شركاء لله ﴿إن يتبعون إلا الظن﴾ أي إن اتباعهم للأصنام ناشئ عن الظن ﴿وإن هم إلا يخرصون﴾ يكذبون في جعلهم الأصنام شركاء لله.

﴿هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا﴾ تستريحوا ﴿فيه والنهار مبصراً﴾ أي لتبصروا فيه ﴿إن في ذلك﴾ الجعل ﴿آيات﴾ حجج وأدلة على وجود الله ﴿لقوم يسمعون﴾ سماع تدبر.

﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ كالمسيح وعزير والملائكة ﴿سبحانه﴾ أنزهه تنزيهاً ﴿هو الغني﴾ عن اتخاذ الولد ﴿له ما في السماوات وما في الأرض﴾ والمملوك لا يكون ولداً ﴿إن﴾ ما ﴿عندكم من سلطان﴾ حجة ﴿بهذا﴾ الذي تقولون به من اتخاذ الولد ﴿أتقولون على الله ما لا تعلمون﴾ استفهام إنكار.

﴿قل إن الذين يفترون على الله الكذب﴾ باتخاذ الولد أو ما أشبه ﴿لا يقلحون﴾ لا يفوزون بالثواب.

﴿متاع﴾ أي افتراؤهم لأجل تمتع ﴿في الدنيا﴾ بالرياسة والمال ﴿ثم إلينا مرجعهم﴾ رجوعهم ﴿ثم نذيقهم العذاب الشديد﴾ في جهنم ﴿بما كانوا يكفرون﴾ بسبب كفرهم.

[٧١] ﴿وَاتْلُ﴾ اقرأ ﴿عليهم نبأ﴾ خبر ﴿نوح﴾ إذ قال لقومه يا قوم إن كان كبير ﴿عظم وشق﴾ عليكم مقامي ﴿إقامتي بينكم﴾ وتذكيري بآيات الله ﴿أي وعظي وما أذكركم﴾ فعلى الله توكلت ﴿وبه وثقت﴾ فأجمعوا أمركم ﴿اعزموا على أمر تكيدونني به﴾ وشركاءكم ﴿أي مع شركائكم﴾ ثم لا يكن أمركم ﴿في الإساءة إلي﴾ عليكم غمة ﴿كربة﴾ ثم اقضوا إلي ﴿أدوا إلي ذلك الأمر الذي تريدون بي﴾ ولا تنظرون ﴿لا تمهلوني﴾ وهذا تحد لهم بأن الله يحفظه ﴿من بأسهم﴾ كاتباً ما كان .

[٧٢] ﴿فإن توليت﴾ أعرضتم عن تذكيري ﴿فما سألتكم من أجر﴾ لم أسألكم أجراً على الرسالة حتى يكون ذلك سبباً لإعراضكم، بل إعراضكم إنما هو للعناد ﴿إن أجري﴾ ما ثوابي ﴿إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين﴾ سواء أسلمتم لله أم لا .

[٧٣] ﴿فكذبوه﴾ فيما قال ﴿فنجيناه ومن معه في الفلك﴾ السفينة ﴿وجعلناهم﴾ أي الذين نجوا ﴿خلائف﴾ خلفاء لمن هلك ﴿وأغرقنا﴾ بالطوفان ﴿الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين﴾ الذين أنذروا فلم يقبلوا الإنذار .

[٧٤] ﴿ثم بعثنا﴾ أرسلنا ﴿من بعده﴾ بعد نوح ﴿رسلاً﴾ إلى قومهم فجاءهم بالبينات ﴿المعجزات هكذا﴾ فإن الطبع عبارة عن القسوة التي هي طبيعة لمن ركب رأسه وعاند الحق ﴿على قلوب المعتدين﴾ الذين يجاوزون الحد .

[٧٥] ﴿ثم بعثنا﴾ أي أرسلنا ﴿من بعدهم﴾ بعد أولئك الأنبياء إبراهيم ويوسف ويعقوب ﴿موسى وهارون﴾ إلى فرعون وملأه ﴿بآياتنا﴾ بأدلتنا ﴿فاستكبروا﴾ عن الانقياد للرسل والآيات ﴿وكانوا قوماً مجرمين﴾ يكسبون الإثم .

[٧٦] ﴿فلما جاءهم الحق﴾ ما أتى به موسى ﴿من المعجزات﴾ من الذي أتته من المعجزات ﴿لسحر مبين﴾ ظاهر .

[٧٧] ﴿قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم﴾ إنه سحر، وهذا استفهام إنكار ﴿أسحر هذا﴾ أي هل هذا سحر، استفهام إنكار أيضاً ﴿ولا يفلح الساحرون﴾ إذ يظهر السحر، فحيث أفلحت دل ذلك على أنني لست بساحر .

[٧٨] ﴿قالوا أجتنا﴾ يا موسى ﴿لنلقتنا﴾ لتصرفنا ﴿عما وجدنا عليه آباءنا﴾ من عبادة الأصنام ﴿و﴾ لـ ﴿نكون لكم﴾ أي موسى وهارون ﴿الكبرياء﴾ الملوكية ﴿في الأرض وما نحن لكم بمؤمنين﴾ مصدقين لا نصدقكم فيما جئتما به .

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَفْقَهُونَ إِنَّ كَانَ كَبْرًا عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذَكَّرِي بِعَايَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ أَنْ أُجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَجَعْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خُلَافَةً وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا السِّحْرُ مِثْلُ بَقَرَاتٍ أَوْ عَلَفٍ مَا هِيَ إِلَّا عَلْفٌ مِثْلُ الَّذِي أَكَلْتُمْ بَقَرَاتٍ أَوْ عَلَفٍ فَانْطَلِقُوا فِي سَبِيلِكُمْ فَاسْتَمِرُّوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّكُمْ عَلَىٰ عَيْنِنَا آلَ فَنٍ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ لَقُوا لَمَّا جَاءَهُمْ كُفْرًا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧٧﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتْنَا عَمَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا وَنَحْنُ لَا نَكُونُ لَكُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾

الظواهرات ﴿فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل﴾ قبل إرسال الرسل لأنهم اعتادوا التكذيب ومعاندة الحق ﴿كذلك﴾ هكذا ﴿نطع﴾ فإن الطبع عبارة عن القسوة التي هي طبيعة لمن ركب رأسه وعاند الحق ﴿على قلوب المعتدين﴾ الذين يجاوزون الحد .

[٧٥] ﴿ثم بعثنا﴾ أي أرسلنا ﴿من بعدهم﴾ بعد أولئك الأنبياء إبراهيم ويوسف ويعقوب ﴿موسى وهارون﴾ إلى فرعون وملأه ﴿بآياتنا﴾ بأدلتنا ﴿فاستكبروا﴾ عن الانقياد للرسل والآيات ﴿وكانوا قوماً مجرمين﴾ يكسبون الإثم .

[٧٦] ﴿فلما جاءهم الحق﴾ ما أتى به موسى ﴿من المعجزات﴾ من الذي أتته من المعجزات ﴿لسحر مبين﴾ ظاهر .

[٧٧] ﴿قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم﴾ إنه سحر، وهذا استفهام إنكار ﴿أسحر هذا﴾ أي هل هذا سحر، استفهام إنكار أيضاً ﴿ولا يفلح الساحرون﴾ إذ يظهر السحر، فحيث أفلحت دل ذلك على أنني لست بساحر .

[٧٨] ﴿قالوا أجتنا﴾ يا موسى ﴿لنلقتنا﴾ لتصرفنا ﴿عما وجدنا عليه آباءنا﴾ من عبادة الأصنام ﴿و﴾ لـ ﴿نكون لكم﴾ أي موسى وهارون ﴿الكبرياء﴾ الملوكية ﴿في الأرض وما نحن لكم بمؤمنين﴾ مصدقين لا نصدقكم فيما جئتما به .

[٧٩] ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتَأْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾ حاذق في السحر.

[٨٠] ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾ من الحبال والعصي التي تقلبونها حية وهمية.

[٨١] ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا﴾ السحرة ﴿قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ﴾ هو ﴿السحر﴾ لا حقيقة له ﴿إِنَّ اللَّهَ سَبِطٌ﴾ يظهر بطلانه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَصْلَحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ لا يظهره بمظهر الصلاح.

[٨٢] ﴿وَبِحَقِّ﴾ يظهر ﴿اللَّهُ الْحَقُّ بِكَلِمَاتِهِ﴾ بسبب مواعيده ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ ذلك.

[٨٣] ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ﴾ أولاد ﴿مِنْ قَوْمِهِ﴾ قوم موسى ﷺ، فإنهم من ذرية إسرائيل ﴿عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ﴾ أشرفهم ﴿أَنْ يَفْتَنَهُمْ﴾ يصرفهم فرعون عن الإيمان ﴿وَأَنْ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ﴾ غالب ﴿فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ الذين أسرفوا في الطغيان.

[٨٤] ﴿وَقَالَ مُوسَى﴾ لما رأى خوف المؤمنين: ﴿يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا﴾ اعتمدوا ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ أسلمتم لله فيما يقول.

[٨٥] ﴿فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا﴾ يا ربنا ﴿لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً﴾ أي موضع فتنة ﴿لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ أي لا تسلطهم علينا ليفتنونا ويصرفونا عن الدين.

[٨٦] ﴿وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ فرعون وملاه.

[٨٧] ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا﴾ اتخذوا ﴿لِقَوْمِكُمَا﴾ المؤمنين ﴿بـ﴾ مدينة ﴿مِصْرَ بَيْتُونَا﴾ ولعلهم كانوا قبل ذلك بلا بيوت مملوكة، كالقبيلة المتفرقة التي تجتمع في مكان واحد بعد ذلك ﴿وَأَجْعَلُوا بَيْتَكُمْ قِبْلَةً﴾ يتقابل بعضكم مع بعض، ولعل المراد اجتماع بيوتهم في محل واحد حتى يكونوا مجتمعين في مكان واحد ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بالنجاة والجنة.

[٨٨] ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَئَهُ﴾ جماعته ﴿زِينَةً﴾ يتزينون بها من الحلبي والثياب ﴿وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا﴾ اللام للعاقبة أي عاقبة إعطائهم الإضلال ﴿عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ﴾ أمسخها ﴿عَلَى أَمْوَالِهِمْ﴾ وقد قالوا: صارت أموالهم حجارة ﴿وَأَشْدِدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ أخذلهم ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا﴾ وهذا دعاء عليهم بعد اليأس عن هدايتهم ﴿حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ المؤلم في الدنيا.

وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتَأْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحَرُ إِنَّ اللَّهَ سَبِطٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يَصْلَحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَبِحَقِّ اللَّهِ الْحَقُّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتَنَهُمْ وَإِنْ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَى يَقَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَتَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا مِصْرَ بَيْتُونَا وَاجْعَلُوا بَيْتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَئَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَشْدِدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾

[٨٩] ﴿قَالَ﴾ الله ﴿قَدْ أَجِيبْتُ دَعْوَتَكُمْ﴾ يا موسى وهارون ﴿فَاسْتَقِيمَا﴾ اثبتا على دعوتكما ﴿وَلَا تَتَّبِعَان سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ طريق الجهلة .

[٩٠] ﴿وَجَاوِزْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ﴾ أي عبرنا بهم البحر ﴿فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا﴾ لأجل إلقاء القبض عليهم ﴿بَغْيًا﴾ ظلماً ﴿وَعَدُوًّا﴾ تعدياً، فغرق في الماء ﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ﴾ بأن أشرف على الهلاك ﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿أَمِنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ .

[٩١] ﴿أَلَا نَ﴾ أي هل تؤمن في هذا الحال، فإن الإيمان لا يقبل إذا جاء الموت ﴿وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلَ﴾ بالكفر ﴿وَكُنْتَ مِنَ الْمَفْسِدِينَ﴾ أفسدت الناس .

[٩٢] ﴿فَالْيَوْمَ نَنْجِيكَ بِيَدِنَا﴾ أي نلقي جسدك بلا روح خارج الماء ﴿لَتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ﴾ وراءك ﴿آيَةً﴾ علامة تدل على بأس الله ﴿وَأَن كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ لا يعتبرون بها .

[٩٣] ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا﴾ مكنا ﴿بَنِي إِسْرَائِيلَ مَبْأُأَ صَدَقَ﴾ أي منزلاً لا ينزعجون فيه كأنه مكان صادق لا كذب فيه ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا﴾ أي بنو إسرائيل بل بقوا على يهوديتهم ﴿حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ بعيسى عليه السلام وبمحمد ﷺ فأمن بعض وبقي بعضهم على دينه المنسوخ

قَالَ قَدْ أَجِيبْتُ دَعْوَتَكُمْ فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَان سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ وَجَاوِزْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمِنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ أَلَا نَ الْيَوْمَ نَنْجِيكَ بِيَدِنَا لَتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً وَأَن كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مَبْأُأَ صَدَقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ فَإِن كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَا تَكُونَ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونُ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٩٥﴾

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ فيجازي من آمن منهم بالثواب ومن كفر بالعقاب .

[٩٤] ﴿فَإِن كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ من القرآن، والجملة لبيان علم أهل الكتاب بحقية القرآن ﴿فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ فإنهم يعرفون حقية دينك ﴿لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ الشاكين .

[٩٥] ﴿وَلَا تَكُونَ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ الذين خسروا أنفسهم دنيا وآخرة .

[٩٦] ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ﴾ ثبتت ﴿عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ بأن علم أنهم لا يؤمنون ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ باختبارهم، فإن العلم ليس سبباً .

[٩٧] ﴿وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ﴾ كل معجزة، وهذا وصل بما قبله ﴿حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ المؤلم، وإيمان ذلك الوقت ليس بنافع .

[٩٨] ﴿فَلَوْلَا﴾ أي فهلاً ﴿كَانَتْ قَرْيَةٌ﴾ كانت قرية ﴿مِنَ الْقُرَى الَّتِي أَهْلَكْنَاهَا﴾ آمنت ﴿قَبْلَ حُلُولِ الْعَذَابِ بِهَا﴾ فَنفَعْمَهَا إيمانها ﴿أَي لِمَاذَا لَمْ يُؤْمِنُوا قَبْلَ الْعَذَابِ حَتَّى لَا يَعَذَّبُوا﴾ لكن ﴿قَوْمِ يُونُسَ لِمَا آمَنُوا﴾ حين رأوا آثار العذاب ﴿كَشَفْنَا﴾ رفَعْنَا ﴿عَنَّهُمْ عَذَابَ الْخَزْيِ﴾ الذي يذلهم ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ أجلهم .

[٩٩] ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا﴾ بأن يجبرهم على الإيمان ﴿أَفَأَنْتَ تَكْهَرُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ أي لا تقدر على إكراههم ولو قدرت لم تكن مصلحة إذ لو كان في الإكراه مصلحة لفعله الله تعالى .

[١٠٠] ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ إذ الإيمان لا يكون إلا بعد إرسال الرسول الذي هو بيد الله وبإذنه ﴿وَيَجْعَلُ﴾ الله ﴿الرَّجْسَ﴾ لوث العصيان ﴿عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ بأن لا يتدبروا آياته تعالى عناداً .

[١٠١] ﴿قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ من الدلائل على وجود الصانع ﴿وَمَا تَغْنِي﴾ ما تفيد ﴿الْآيَاتُ الْكُونِيَّةُ وَالنَّذْرُ﴾ الرسل المنذرون ﴿عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي لا تفيد في دفع العذاب عنهم، لأنهم عاندوا الحق .

[١٠٢] ﴿فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ﴾ هؤلاء الذين لا يؤمنون بك ﴿إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا﴾ مضوا، أي هل ينتظرون أن يعاقبوا

كما عوقب الأمم المكذبة ﴿مَنْ قَبْلَهُمْ قُلْ فانتظروا﴾ عذاب الله ﴿إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ .

[١٠٣] ﴿ثُمَّ﴾ إذا جاء العذاب ﴿نَنْجِي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ﴾ الإنجاء ﴿حَقًّا عَلَيْنَا نَجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي ننجي المؤمنين في حال كون نجاتهم حقاً علينا .

[١٠٤] ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي﴾ من صحة دين الإسلام ﴿فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي فلا تطمعوا أن اتخذ طريقتكم لأنني على يقين ﴿وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ﴾ يميتكم، إذ بيده الحياة والموت ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ .

[١٠٥] ﴿وَأَنْ أَمُرَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾ أي أمرت بإقامة الوجه للدين، بأن لا أصرف وجهي عن الإسلام ﴿حَنِيفًا﴾ مائلاً عن الباطل ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ في العقيدة والعبادة .

[١٠٦] ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ فإن الأصنام لا تأتي منها مضرة ولا منفعة ﴿فَإِنْ فَعَلْتَ﴾ دعوت الأصنام ﴿فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ الذين ظلموا أنفسهم .

فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ؕ آمَنَتْ فَنَعَّمَهَا ؕ اِيْمَانُهَا اِلَّا قَوْمٌ يُوْسُ لَمَّا ؕ اَمَنُوا ؕ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخَزْيِ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنٰهُمْ اِلٰى حِيْنٍ ؕ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْاَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا ؕ اَفَاَنْتَ تَكْهَرُ النَّاسَ حَتّٰى يَكُوْنُوْا مُؤْمِنِيْنَ ؕ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ اَنْ تُؤْمِنَ اِلَّا بِاِذْنِ اللّٰهِ ؕ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِيْنَ لَا يَعْقِلُوْنَ ؕ قُلْ اَنْظُرُوْا مَاذَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْاٰيٰتُ وَالنَّذْرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُوْنَ ؕ فَهَلْ يَنْتَظِرُوْنَ اِلَّا مِثْلَ اَيَّامِ الَّذِيْنَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ ؕ قُلْ فَانظُرُوْا اِلٰى مَعَكُمْ مِنَ السَّنٰطِرِ ؕ ثُمَّ نَنْجِيْ رُسُلَنَا وَالَّذِيْنَ ؕ اَمَنُوا كَذٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّ الْمُؤْمِنِيْنَ ؕ قُلْ يٰۤاَيُّهَا النَّاسُ اِنْ كُنْتُمْ فِيْ شَكٍّ مِنْ دِيْنِيْ فَلَا اَعْبُدُ الَّذِيْنَ تَعْبُدُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ وَلٰكِنْ اَعْبُدُ اللّٰهَ الَّذِيْ يَتَوَفَّاكُمْ ؕ وَاُمِرْتُ اَنْ اَكُوْنَ مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ ؕ وَاَنْ اَمُرَ وَجْهَكَ لِلدِّيْنِ حَنِيفًا ؕ وَلَا تَكُوْنَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ ؕ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ؕ فَاِنَّكَ اِذَا مِنَ الظّٰلِمِيْنَ ؕ

[١٠٧] ﴿وإن يمسسك الله يضره فلا كاشف له﴾ لا يرفعه ﴿إلا هو وإن يردك بخير﴾ بأن أراد بك خيراً ﴿فلا راد لفضله﴾ إذ لا أحد يقدر على رد فضل الله ﴿يصيب به﴾ بفضله ﴿من يشاء من عباده وهو الغفور﴾ لذنوبهم ﴿الرحيم﴾ بهم .

[١٠٨] ﴿قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق﴾ القرآن والرسول ﷺ ﴿من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه﴾ لأن فائدة الإيمان ترجع إلى نفس المؤمن ﴿ومن ضل﴾ بالكفر ﴿فإنما يضل عليها﴾ فإن وبال الضلال على نفس الضال ﴿وما أنا عليكم بوكيل﴾ بحفيظ وإنما أنا بشير ونذير .

[١٠٩] ﴿واتبع ما يوحى إليك﴾ بأن اعمل به وبلغه الناس ﴿واصبر﴾ على إيذاء الناس ﴿حتى يحكم الله﴾ بالنصر لك ﴿وهو خير الحاكمين﴾ فإنه لا جور في حكمه لا عمداً ولا سهواً .

١١: سورة هود

مكية وآياتها مائة وثلاث وعشرون

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

[١] ﴿الر﴾ رمز بين الله والرسول ﷺ ﴿كتاب﴾ هذا كتاب ﴿أحكمت آياته﴾ أتقنت فلا خلل فيها ﴿ثم فصلت﴾

شرحاً وافياً ﴿من لذن﴾ عند ﴿حكيم﴾ يضع الأشياء مواضعها ﴿خبير﴾ عالم بكل شيء .
[٢] ﴿الآ تعبدوا﴾ أي أحكمت لثلاث تعبدوا ﴿إلا الله إنني لكم منه﴾ من طرفه تعالى ﴿نذير﴾ لمن كفر وعصى ﴿وبشير﴾ لمن آمن وأطاع .

[٣] ﴿وأن﴾ عطف على ﴿الآ تعبدوا﴾ ﴿استغفروا ربكم﴾ من الكفر والمعاصي ﴿ثم توبوا﴾ ارجعوا ﴿إليه﴾ بالطاعة ﴿يمتعكم متاعاً حسناً﴾ يسعدكم في الدنيا ﴿إلى أجل مسمى﴾ وقت مسمى عنده، وهو منتهى عمركم ﴿ويؤت﴾ يعطي ﴿كل ذي فضل﴾ بالطاعة ﴿فضله﴾ جزاء عمله ﴿وإن تولوا﴾ أعرضوا ﴿ف﴾ قل لهم ﴿إني أخاف عليكم عذاب يوم كبير﴾ يوم القيامة .

[٤] ﴿إلى الله مرجعكم﴾ رجوعكم ﴿وهو على كل شيء قدير﴾ يقدر على إعادتك بعد الموت .

[٥] ﴿الآ إنهم﴾ الكفار ﴿يشنون صدورهم﴾ أي يطون في صدورهم بغض الرسول ﷺ والإسلام ﴿ليستخفوا﴾ أي ليستروا عداوتهم للرسول ﷺ ﴿منه﴾ من الرسول ﷺ ، فإنهم يريدون النفاق ﴿الآ حين يستغشون ثيابهم﴾ أي يغطون أنفسهم بثيابهم ﴿يعلم﴾ الله ﴿ما يسرون﴾ في قلوبهم وتحت أغطيتهم ﴿وما يعلنون﴾ يظهرون . والآية في مقام بيان أن الله عالم بما في قلوبهم ولو كانوا تحت الغطاء فلا ينفعهم قصدتهم تستر نفاقهم ﴿إنه عليم بذات الصدور﴾ بمكنونات القلوب .

وإن يمسسك الله يضره فلا كاشف له ولا هو ولا يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم ﴿١﴾ قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل ﴿٢﴾ واتبع ما يوحى إليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين ﴿٣﴾

سورة هود

بسم الله الرحمن الرحيم
الركن أحكمت آياته إذ أنه ثم فصلت من لذن حكيم خبير ﴿١﴾
الآ تعبدوا إلا الله إنني لكم منه نذير وبشير ﴿٢﴾ وأن استغفروا
ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعاً حسناً إلى أجل مسمى ويؤت
كل ذي فضل فضله وإن تولوا فإني أخاف عليكم عذاب يوم
كبير ﴿٣﴾ إلى الله مرجعكم وهو على كل شيء قدير ﴿٤﴾ إلا إنهم
يتنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم
يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه عليم بذات الصدور ﴿٥﴾

[٦] ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ معاشها ﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا﴾ موضع قرارها ﴿وَمُسْتَوْدِعُهَا﴾ المحل الذي أودع فيه من الرحم والقبر ﴿كُلٌّ﴾ مما ذكر ﴿فِي كِتَابٍ﴾ مكتوب عند الله ﴿مُبِينٍ﴾ ظاهر.

[٧] ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ من مقادير أيام الدنيا ﴿وَوَكَانَ عَرْشُهُ﴾ المحل الذي خلقه لنفسه تشريفاً ﴿عَلَى الْمَاءِ﴾ فإنه مصدر الحياة للمخلوقات ﴿لِيَبْلُوكُمْ﴾ يختبركم ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ ليجازيكم عليه ﴿وَلَشَنْ قُلْتُمْ﴾ يا محمد ﴿إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ﴾ ليقولن الذين كفروا إن هذا ما هذا القول ﴿إِلَّا سِحْرٌ﴾ تمويه لا حقيقة له ﴿مُبِينٍ﴾ واضح.

[٨] ﴿وَلَنْ أَخْرَأَهُمْ﴾ عن الكفار ﴿الْعَذَابَ﴾ الموعد ﴿إِلَى أُمَّةٍ﴾ أمد حسبنا ذلك الأمد ﴿مَعْدُودَةٍ﴾ ليقولن الكفار استهزاء ﴿مَا يَحْبِسُهُ﴾ ما يمنع العذاب من الحلول ﴿إِلَّا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ﴾ العذاب ﴿لَيْسَ مَصْرُوفًا﴾ مدفوعاً ﴿عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ﴾ حل بهم في ذلك اليوم ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ من العذاب.

[٩] ﴿وَلَنْ أَذْقَنَ الْإِنْسَانَ مَتَا رَحْمَةٍ ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ﴾ سلينا تلك النعمة منه ﴿إِنَّهُ لَيُفْسِدُ﴾ كثير اليأس من رحمة الله ﴿كَفُورٌ﴾ شديد الكفران فلا يرجو إعادة الرحمة إليه.

[١٠] ﴿وَلَنْ أَذْقَنَاهُ نِعْمَاءَ﴾ نعمة ﴿بَعْدَ ضَرَاءٍ﴾ شدة وبلاء ﴿مُسْتَهٍ﴾ أي مست تلك الضراء الإنسان ﴿لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتِ﴾ المحن والمصائب ﴿عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ﴾ يفرح بذلك ﴿فَخُورٌ﴾ كثير الفخر.

[١١] ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ فإنهم لا يياسون عند البلاء ولا يبطرون عند النعماء ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ وعلما الصالحات أولئك لهم مغفرة غفران لذنوبهم ﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ بالجنة والثواب.

[١٢] ﴿فَلَمَلِكٌ﴾ يا رسول الله ﴿تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ فلا تبغهم إياه لأجل استهزائهم بك ﴿وَضَائِقٌ بِهِ﴾ بالوحي ﴿صَدُوكَ أَنْ يَقُولُوا﴾ أي ضائق لأجل أنهم يقولون ﴿لَوْلَا أَنْزَلْ عَلَيْهِ كِتَابٌ﴾ من الثروة لينفقها كالمملوك ﴿أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ﴾ يصدقه ﴿إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ﴾ فليس تملك إلا الإنذار ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ حفيظ فيجازيهم، أما إنزال الملك والكتز فليس من شأن رسالتك.

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدِعُهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتُمْ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ ﴿وَلَئِنْ أَخْرَأْنَاهُمْ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولَنَّ مَا يَحْبِسُهُ إِلَّا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ ﴿وَلَنْ أَذْقَنَ الْإِنْسَانَ مَتَا رَحْمَةٍ ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيُفْسِدُ كُفُورٌ﴾ ﴿وَلَئِنْ أَذْقَنَاهُ نِعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسْتَهٍ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتِ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾ ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ ﴿فَلَمَلِكٌ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ ﴿وَضَائِقٌ بِهِ صَدُوكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أَنْزَلْ عَلَيْهِ كِتَابٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾

[١٣] ﴿أَمْ﴾ بل ﴿يقولون افتراه﴾ أي القرآن فليس من عند الله ﴿قل فأتوا بعشر سور مثله مفريات﴾ فإنه لو كان كلام محمد ﷺ لتمكنتم من الإتيان بمثله ﴿وادعوا من استطعتم من دون الله﴾ لمعاونتكم في إتيان السور ﴿إن كنتم صادقين﴾ بأنه مفترى .

[١٤] ﴿فإن لم يستجيبوا لكم﴾ بأن لم يقدرُوا على إتيان مثل القرآن ﴿فاعلموا أنما أنزل بعلم الله﴾ الله أنزله عالماً به ﴿وإن لا إله إلا هو﴾ لعجز غيره ولو كان هناك إله آخر لتمكن من مثله ﴿فهل أنتم مسلمون﴾ ثابتون على الإسلام .

[١٥] ﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها﴾ بأعماله الخيرة ﴿نوف﴾ نرد ﴿إليهم أعمالهم﴾ جزاء أعمالهم ﴿فيها﴾ في الدنيا ﴿وهم فيها﴾ في الدنيا ﴿لا يبخسون﴾ لا ينقصون، إذ الدنيا دار جزاء لأعمال البر لمن لا نصيب له في الآخرة .

[١٦] ﴿أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار﴾ جزاء كفرهم وعصيانهم ﴿وجبط﴾ بطل ﴿ما صنعوا فيها﴾ من الأعمال الخيرة فلا ثواب لهم في الآخرة ﴿وباطل ما كانوا يعملون﴾ لأنه كان لغير الله .

[١٧] ﴿أفمن كان على بينة﴾ برهان كالعقل ﴿من ربه ويتلوه شاهد﴾ وهو النبي ﷺ ﴿منه﴾ من قبل الله ﴿ومن

قبله﴾ قبل الشاهد ﴿كتاب موسى﴾ التوراة في حال كونه ﴿إماماً﴾ يؤتم به ﴿ورحمة﴾ فقبله نور ومعه شاهد وبرهان كمن ليس كذلك، وفيه تعريض بالكفار ﴿أولئك﴾ الذين هم على بينة ويعتقدون بالشاهد ﴿يؤمنون به﴾ أي بالقرآن، وفي بعض الروايات تأويل (من) بالرسول ﷺ و (الشاهد) بعلي عليه السلام ﴿ومن يكفر به من الأحزاب﴾ كأهل مكة وسائر الكفار المتحزبين ﴿فالنار موعده﴾ مستقره ومصيره ﴿فلا تك في مرية﴾ شك ﴿منه﴾ أي من القرآن ﴿إنه الحق من ربك ولكن أكثر الناس لا يؤمنون﴾ لقلة نظرهم وفكرهم .

[١٨] ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً﴾ بأن نسب إليه ما ليس منه أو نفى عنه ما هو منه ﴿أولئك يعرضون على ربهم﴾ يوم القيامة كما يعرض المجرم على الحاكم ﴿ويقولون الأشهاد﴾ جمع شاهد، وهم الملائكة وغيرهم ﴿هؤلاء الذين كذبوا على ربهم﴾ بأن نسبوا إليه ما ليس منه، أو نفوا عنه ما كان منه ﴿ألا لعنة الله على الظالمين﴾ الذين ظلموا أنفسهم بالكذب على الله .

[١٩] ﴿الذين يصدون﴾ يصرفون الناس ﴿عن سبيل الله﴾ دينه ﴿ويبيغونها عوجاً﴾ يطلبون أن تكون السبل معوجة إذ لا يريدون السبيل المستقيم ﴿وهم بالآخرة هم كافرون﴾ .

أَمْ يَقُولُونَ افترناه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات
وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾
فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ كَانَ يَرْيِدُ الْحَيَاةَ
الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ
﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحِطَّ
مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَطُلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَنْ كَانَ
عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ يَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كُتِبَتْ
مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً أَوْ لَكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ
مِنَ الْأَحْزَابِ فَإِنَّهُ يَمُوتُ فَلَئَاكَ فِي رَبِّهِ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ
مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ وَمَنْ
أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ
عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ أَلَا شَهِدْتُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى
رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ الَّذِينَ يَصْدُونَ
عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿١٩﴾

[٢٠] ﴿أُولَٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا لَهُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ مِن أَوْلِيَاءَ يُضَاعِفُ لَهُمُ الْعَذَابَ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ [٢١] ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [٢٢] ﴿لَا جِزْمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ فِي الْأَخْسَرُونَ﴾ [٢٣] ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [٢٤] ﴿مِثْلَ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرَ وَالسَّمِيعَ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [٢٥] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِلَىٰ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [٢٦] ﴿أَن لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْإِسْرِ﴾ [٢٧] ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرِيكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرِيكَ بِكَأَمِيرٍ وَلَا نَرِيكَ بِكَأَمِينٍ﴾ [٢٨] ﴿قَالَ يَفْقَهُ بَشَرٌ مِّثْلِي بِأَن يُرْسِلَ اللَّهُ فَإِنِ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَعُتِبْتُ عَلَيْكُمُ الْأَنْزِلُكُمْ مَوْهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَرِهُونَ﴾ [٢٩]

[٢١] ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾ حيث عرضوها للعقاب الدائم ﴿وَضَلَّ﴾ ذهب ﴿عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ من الآلهة الباطلة فإنها لا تنفعهم.

[٢٢] ﴿لَا جِزْمَ﴾ لا محالة ﴿أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ﴾ الأكثر خسراناً من غيرهم من العصاة.

[٢٣] ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا﴾ خضعوا ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ دائمون.

[٢٤] ﴿مِثْلَ الْفَرِيقَيْنِ﴾ المؤمنين والكافرين ﴿كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى﴾ هذا مثل الكافر إذ لا يستفيد بسمعه وبصره ﴿وَالْبَصِيرَ وَالسَّمِيعَ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ استفهام إنكار، أي لا يستويان ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ بالتأمل في الأمثال.

[٢٥] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾ فقال لهم ﴿إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ﴾ أخوفكم عذاب الله ﴿مُبِينٌ﴾ ظاهر.

[٢٦] وقال لهم: ﴿أَن لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْإِسْرِ﴾ مؤلم يصيبكم العذاب إن لم تؤمنوا.

[٢٧] ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ﴾ جماعة الأشراف ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا﴾ فلا مزية لك حتى تكون نبياً ﴿وَمَا نَرَاكَ بِكَأَمِيرٍ وَلَا نَرَاكَ بِكَأَمِينٍ﴾ أخسأونا الذين لا مال لهم ولا جاه وكيف تتبعك حتى نُحْشِرَ في جملتهم، وهم ﴿بَادِي الرَّأْيِ﴾ ظاهره بدون تعمق ولذا اتبعوك ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكَ﴾ لك ولمن اتبعك ﴿عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ﴾ فلا أفضلية لكم علينا بل نحن مثلكم فلماذا الاتباع ﴿بَلْ نَقْظُكُمُ كَافِينَ﴾ فأنت تكذب في دعواك وهم يكذبون في دعوتهم العلم بصدقك.

[٢٨] ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ﴾ أخبروني ﴿إِن كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾ حجة ﴿مِّن رَّبِّي﴾ على صدق نبوتي ﴿وَأَتَانِي رَحْمَةٌ﴾ بالنبوة ﴿مِّنْ عِنْدِهِ فَعُتِبْتُ عَلَيْكُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ خفيت تلك البينة عليكم لقلة تأملكم وعنادكم ﴿أَنْزِلُكُمْ مِّمَّهَا﴾ أي هل نلزمكم الاهتداء بتلك البينة ﴿وَالْحَالِ﴾ أنتم لها ﴿لِلْبَيِّنَةِ﴾ كارهون لا تريدون معرفتها والجملة في مقام إفادة أنه لا يلزم الناس الهداية وإنما يبين لهم الحجة.

[٢٩] ﴿وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على التبليغ ﴿مَالاً﴾ وأجرأ ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ وما أنا بطارد الذين آمنوا ﴿من جهة كلامكم إنهم أراذل، فلا وجه لإبعاد المؤمن مهما كان حقيراً بحسب الظاهر﴾ إنهم ملاقوا ربهم ﴿فإذا طردتهم شكوني عنده تعالى﴾ ولكني أراكم قوماً تجهلون ﴿الحق وأهله﴾.

[٣٠] ﴿وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُمْ﴾ فإن طرد المؤمن لا يجوز ﴿أفلا تذكرون﴾ فتعلمون أن الأمر على ما قلته.

[٣١] ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خِزَانٌ مِنَ اللَّهِ﴾ حتى تستعظموا ذلك، والمراد بخزائن الله أرزاقه وخزائن رحمته ﴿وَلَا أَقُولُ إِنِّي﴾ أعلم الغيب ولا أقول إني ملك ﴿من أملاك السماء﴾ ولا أقول للذين تزددني أعينكم ﴿تحتقرهم أعينكم من المؤمنين الذين اتبعوني﴾ لن يؤتيهم الله خيراً ﴿أي لا أقول ذلك مجازة لكم﴾ الله أعلم بما في أنفسهم ﴿فإنه إذا عرف منهم الإخلاص أثابهم في الدنيا والآخرة﴾ إني إذا ﴿إذا قلت شيئاً من ذلك﴾ لمن الظالمين.

[٣٢] ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا﴾ خاصمتنا بالأدلة والحجج ﴿فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا﴾ من العذاب ﴿إن كنت من الصادقين﴾ في دعوتك النبوة.

[٣٣] ﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ﴾ بالعذاب ﴿إِلَّا شَاءَ﴾ الله إذا تعلقت مشيئته ﴿وما أنتم بمعجزين﴾ لا تقدرون على أن تعجزوا الله في دفع العذاب عن أنفسكم.

[٣٤] ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نَصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾ يضلكم بترككم وشأنكم حتى تضلوا ﴿هو ربكم﴾ المتصرف في شؤونكم ﴿وإليه﴾ إلى جزائه في الآخرة ﴿ترجعون﴾.

[٣٥] ﴿أَمْ﴾ بل ﴿يقولون﴾ كفار مكة ﴿افتراه﴾ افترى في قصة نوح عليه السلام ﴿قل إن افتريته فعلي إجرامي﴾ عقوبة كذبي ﴿وأنا بريء مما تجرمون﴾ من أنواع جرمكم بالكفر والعصيان.

[٣٦] ﴿وَأَوْحِي إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ لا تحزن ﴿بما كانوا يفعلون﴾ فقد حان وقت الانتقام.

[٣٧] ﴿وَأَصْنَعُ الْفُلَ﴾ السفينة^(١) ﴿بأعيننا﴾ برعايتنا وحفظنا ﴿ووحينا﴾ وتعليمنا ﴿ولا تخاطبني في الذين ظلموا﴾ بأن تطلب مني إمهالهم ﴿أنهم مغروقون﴾ لا محالة.

وَيَقُولُوا لَا آتَيْنَاكُمْ عَلَيْهِمْ مَا لَإِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلْكُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنْ كَرِهْتَ قَوْمًا يُنْفَكُوتُ ﴿٢٩﴾ وَيَقُولُونَ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خِزَانٌ مِنَ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا يَنْتُحِمْ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا فَأَيْنَا بَعْدَ ذَلِكَ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنَا بِمُعْجِزٍ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نَصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفَرَأَيْنَا قُلُوبَنَا أَفَرَأَيْنَا فَعَلْنَا إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ وَمِمَّا يَنْجُرِمُونَ ﴿٣٥﴾ وَأَوْحَى إِلَيْكَ نُوحٌ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَأَصْنَعُ الْفُلَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا وَلَا تَخْطُبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾

(١) سميت السفينة فلماً لدورانها في الماء، وأصله: الدور، ومنه الفلك وفلكة المغزل.

[٣٨] ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلَ﴾ نوح عليه السلام ﴿وَكَلَّمَا مَرْ عَلَيْهِ مَلَأْنِ قَوْمَهُ سَخِرُوا جَمَاعَةً﴾ من ﴿أشرف قومه سَخِرُوا مِنْهُ﴾ لأنه كان يصنع السفينة في محل بعيد من الماء ﴿قَالَ﴾ نوح عليه السلام ﴿إِنْ تَسَخَرُوا مِنِّي فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ﴾ إذا أخذكم الغرق ﴿كَمَا تَسْخَرُونَ﴾.

[٣٩] ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ من الذي ﴿يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ يذله ﴿وَيُحِلُّ﴾ ينزل ﴿عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ دائم في الآخرة.

[٤٠] ﴿حَتَّى إِذَا جَاء أَمْرُنَا﴾ بتعذيبهم ﴿وَفَارَ﴾ غلى بالماء ﴿التَّنُورَ﴾ فإن فوران الماء من التثور كان علامة من الله لهلاك القوم ﴿قَلْنَا احْمِلْ فِيهَا﴾ في السفينة ﴿مِنْ كُلِّ﴾ أي كل نوع من أنواع الحيوانات ﴿زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ ذكر وأنثى، وذلك لبقاء نسل الحيوانات ﴿وَوَ﴾ احمل في السفينة ﴿أَهْلَكَ﴾ عائلتك ﴿إِلَّا مَنْ سَبَقَ﴾ من الله ﴿عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ بهلاكه فلا تحمله وهو ابنه كنعان الذي كان كافراً ﴿وَوَ﴾ احمل معك ﴿مَنْ آمَنَ﴾ من قومك ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا﴾ جماعة ﴿قَلِيلٌ﴾.

[٤١] ﴿وَقَالَ﴾ نوح عليه السلام ﴿ارْكَبُوا فِيهَا﴾ في السفينة قائلين ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِبَهَا﴾ حال جريها في الماء ﴿وَمَرْسِيهَا﴾ حال إرسائها أي وقوفها ﴿إِنْ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

وَصْنَعُ الْفُلَ وَكَلَّمَا مَرْ عَلَيْهِ مَلَأْنِ قَوْمَهُ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسَخَرُوا مِنِّي فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ قَلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِبُهَا وَمَرْسِيهَا إِنْ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَبْنِي أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَتَأُوذِي إِلَى جِبَلٍ يَعْصِمُكَ مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَمَالَ يَبْتَثِ الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرِقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَنَسَمَاءَ أَقْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدَ لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴿٤٥﴾

[٤٢] ﴿وَهِيَ﴾ السفينة ﴿تَجْرِي بِهِمْ﴾ أي في حال كونهم فيها ﴿فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾ في عظمها وارتفاعها ﴿وَنَادَى نُوحُ ابْنَهُ﴾ كنعان ﴿وَكَانَ﴾ الابن ﴿فِي مَعْزِلٍ﴾ عزل وبعد عن دين نوح عليه السلام ﴿يَا بَنِي أَرْكَبَ مَعَنَا﴾ بأن تؤمن وتركب حتى لا تغرق ﴿وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ في دينك فتغرق.

[٤٣] ﴿قَالَ﴾ كنعان: ﴿سَأُوذِي﴾ أخذ المأوى والمحل ﴿إِلَى جِبَلٍ﴾ مرتفع ﴿يَعْصِمُنِي﴾ يحفظني لارتفاعه ﴿مِنَ الْمَاءِ﴾ قال ﴿نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾ لا عاصم ﴿الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ الذي حتمه من غرق الناس ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾ الله بسبب إيمانه فانه لا يغرق ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا﴾ بين نوح عليه السلام وولده ﴿الْمَوْجُ فَكَانَ﴾ صار الولد ﴿مِنَ الْمَغْرِقِينَ﴾.

[٤٤] ﴿وَوَ﴾ بعد انتهاء غرق المجرمين ﴿قِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي﴾ اشربي ﴿مَاءَكَ وَيَا سَمَاءُ أَقْلَعِي﴾ امسكي عن المطر ﴿وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ انتهى أمر هلاك الكفار ونجاة المؤمنين ﴿وَاسْتَوَتْ﴾ استقرت السفينة ﴿عَلَى الْجِبَلِ الْمَسْمِيِّ بِـ الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا﴾ هلاكاً وابتعاداً عن رحمة الله ﴿لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.

[٤٥] ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾ عائلتي ﴿وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ﴾ فإنك وعدت بنجاة عائلتي، والابن من العائلة فنجّه ﴿وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ أعدلهم.

[٤٦] ﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ لأنه لا ولاية بين المؤمن والكافر ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ﴾ أي ذو عمل ﴿غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي﴾ يا نوح ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ بأن لم تعلم أنه مصلحة، إذ لا مصلحة في نجاة الولد ﴿إِنِّي أَعْظُمُكَ﴾ لثلاً ﴿تَكُونُ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ فإن ترك الأولى عمل الجاهل.

[٤٧] ﴿قَالَ﴾ نوح عليه السلام : ﴿رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ﴾ من أن ﴿أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾ ولا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين ﴿فَإِنْ كُلُّ مَنْ لَمْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُ يَكُونُ خَاسِرًا﴾ ولو كانت الخسارة ناشئة من ترك الأولى.

[٤٨] ﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ﴾ من السفينة ﴿بِسَلَامٍ﴾ سلامة ﴿مَنَا وَبَرَكَاتٍ﴾ خيرات ثابتة ﴿عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ﴾ في السفينة ﴿وَأُمَمٍ﴾ أخرى في الدنيا ﴿سَنُمَتِّعُهُمْ﴾ نعطيهم المتعة في الدنيا ﴿ثُمَّ﴾ يكفرون فـ ﴿يَمَسُّهُمْ﴾ يصيبهم ﴿مِنَّا عَذَابُ أَلِيمٍ﴾ مؤلم، كما متعنا أمتك فكفروا فأغرقناهم.

[٤٩] ﴿تِلْكَ﴾ قصة نوح عليه السلام ﴿مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ﴾ الأخبار الغائبة عن حواسك يا رسول الله ﴿نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾ القرآن ﴿فَاصْبِرْ﴾ كما صبر نوح عليه السلام ﴿إِنَّ الْعَاقِبَةَ﴾ المحموده ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ كما كانت العاقبة لنوح عليه السلام.

[٥٠] ﴿وَأَرْسَلْنَا﴾ إلى عاد ﴿إِلَى عَادٍ﴾ في القبيلة ﴿هُودًا﴾ قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إن ﴿مَّا أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ تكذبون على الله بجعلكم شركاء له.

[٥١] ﴿يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على التبليغ ﴿أَجْرًا﴾ إن ﴿مَّا أَجْرِي إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي﴾ خلقتني ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ قولي فتعلمون أنه الحق.

[٥٢] ﴿يَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ اطلبوا غفرانه عن كفركم وعصيانكم ﴿ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ﴾ ارجعوا إليه بالأعمال الصالحة ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ كثير الدر بالمطر، وقد كانوا أجذبوا ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً﴾ بالمال والأولاد والقوة البدنية ﴿إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مَجْرِمِينَ﴾ لا تعرضوا عن قول في حال كونكم مجرمين.

[٥٣] ﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ لا حجة لك على رسالتك ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا﴾ لا نترك عبادة الأصنام، ناشأ تركنا ﴿عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾.

قَالَ يَنْتُحِ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعْظُمُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَشْكَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَنْتُحِ أَهْبِطْ بِسَلَامٍ مَنَا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَنْقُورُوا عِبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَنْقُورُوا لَا أَشْكَكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَنْقُورُوا اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مَجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾

[٥٤] «إِنْ» ما «نقول» فيك وفي ادعائك الرسالة «إِلَّا» اعتراك «أصابك» بعض آلهتنا بسوء «بأن خيلك آلهتنا ولذا تنكرهم» قال إني أشهد الله واشهدوا «أنتم أيضاً «إني بريء مما تشركون» تجعلونه شريكاً لله.

[٥٥] «مَنْ دُونَهُ» دون الله «فكيدوني» احتالوا «جميعاً» أنتم وآلهتكم في إنزال مكروه بي «ثم لا تنظرون» لا تمهلوني، وهذا تحد لهم بأنهم لا يقدرّون على أذاه لأن الله ناصره.

[٥٦] «إني توكلت» اتكلت «على الله ربي وربكم ما من دابة» تدب وتمشي «إِلَّا هُوَ» الله «أخذ بناصيتها» الناصية مقدم الرأس، وهذا كناية عن كون أمرها بيد الله «إِنْ ربي على صراط مستقيم» أي إن طريقته مستقيمة بخلاف طريقتهم.

[٥٧] «فإِنْ تولوا» أعرضوا عن الإيمان «ف» قل لهم: «قد أبلغتكم ما أرسلتُ به إليكم» فقد أديت تكليفي فلا شيء عليّ، أما أنتم فيهلككم الله «ويستخلف ربي قوماً غيركم» يجعلهم مكانكم «ولا تضرونه» الله «شيئاً» بتوليكم لأنه تعالى غني عن الناس «إِنْ ربي على كل شيء حفيظ» يحفظه ويراقبه فلا تخفى عليه أعمالكم.

[٥٨] «ولما جاء أمرنا» بعذاب قوم عاد «نجينا هوداً والذين آمنوا معه برحمة منا» إذ لولا رحمتنا بهدايتهم لهلكوا أيضاً «ونجيناهم من عذاب غليظ» إما تأكيد أو المراد عذاب الآخرة أيضاً.

[٥٩] «وتلك» قبيلة «عاد جحدوا» أنكروا «بآيات ربهم وعصوا رسله واتبعوا أمر كل جبار» يجبر الناس ويكرههم «عنيد» معاند، أي اتبعوا كبارهم الطاغين.

[٦٠] «وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة» أي جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين «إِلَّا إِنْ عاداً كفروا ربهم» جحدوه «إِلَّا بعداً» أبعدهم الله عن رحمته «لعاد قوم هود».

[٦١] «و» أرسلنا «إلى» قبيلة «ثمود أخاهم» في القبيلة «صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره هو» لا غيره من الأصنام «أنشأكم» خلقكم «من الأرض» باعتبار آدم عليه السلام، ولأن أصل كل إنسان الأرض تنقلب نباتاً ثم دماً ثم مئياً «واستعمركم فيها» جعلكم عمارها وسكانها «فاستغفروه» عن ذنوبكم «ثم توبوا إليه» ارجعوا إليه بالطاعة «إِنْ ربي قريب» من الناس قرب علم وقدرة «مجيب» لداعيه.

[٦٢] «قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجواً» كنا نرجو خيرا «قبل هذا» القول وادعائك الرسالة «أنهنا» استفهام استهزاء، أي هل أنت تنهى عن عبادة الأصنام «أَنْ نعبد آباءنا وإنا لفي شك مما تدعونا إليه» من التوحيد «مريب» موجب للريبة والتهمة.

إِنْ نَقُولُ إِلَّا أَعْرَضَكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنْ أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِنْ دُونِهِ فَكَيْدٌ فِي جَمِيعَةٍ لَّا تُنْظَرُونَ ﴿٥٥﴾ إِنْ تَوَكَّلْتَ عَلَى اللَّهِ رِزْقِي وَرِزْقَنَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِنَا إِنْ رِزْقِي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ إِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رِزْقِي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنْ رِزْقِي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ ﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا بِجَنَّتَيْنَا هُودًا وَآلِئِنَّآ أَمْنُوهُنَّ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَبَحَيْنَهُنَّ مِنْ غَآبٍ غَلِيزٌ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأَتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ إِلَّا إِنْ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا بَعْدَ الْعَادِ قَوْمُ هُودٍ ﴿٦٠﴾ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَإِنْ رِزْقِي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾

[٦٣] ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ﴾ أخبروني ﴿إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيْتَةٍ﴾ حجة ﴿مِنْ رَبِّي﴾ على توحيده وعلى رسالتي ﴿وَأَتَانِي مِنْهُ رَحْمَةٌ﴾ نبوة ﴿فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ﴾ من يمنعي عن عذاب الله إِنْ لم أبلغ رسالته ﴿فَمَا تَزِيدُونَنِي﴾ بما تقولون لي ﴿غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾ أَنْ أَنْسِبَكُمْ إِلَى الْخُسْرَانِ، فكلامكم لا يؤثر في عدم تبليغي بل يؤثر في أن أقول أنكم خاسرون.

[٦٤] ﴿وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ﴾ الإضافة للتشريف، وقد كانت ناقة خرجت من الجبل عظيمة جداً ﴿لَكُمْ آيَةٌ﴾ علامة على صدقي ﴿فَذَرُوهَا﴾ اتركوها ﴿تَأْكُلْ﴾ من العشب ﴿فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ﴾ لا تسيئوا إليها ﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ عاجل.

[٦٥] ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ جرحوها ﴿فَقَالَ﴾ صالح ﴿لَكُمْ آيَةٌ﴾ لهم ﴿تَمْتَعُوا﴾ عيشوا ﴿فِي دَارِكُمْ﴾ بلدكم في الحياة ﴿ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ فقط ﴿ذَلِكَ وَعَدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ فيه فقد وعدني الله بذلك صدقاً.

[٦٦] ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ بعذاب القوم ﴿نَجَّيْنَا صَالِحًا﴾ والذين آمنوا معه برحمة منا ﴿فَلَوْلَا الرَّحْمَةُ لَمْ يَهْدِهِمُ اللَّهُ﴾ حتى ينجيهم ﴿وَمِنْ خِزْيٍ﴾ عذاب ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يوم نزول العذاب ﴿إِنْ رَبُّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾.

[٦٧] ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ من قوم صالح ﴿صَاحِبَ الصَّيْحَةِ﴾

قَالَ يَعْقُورُ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّي وَءَاتَانِي مِنْهُ رَحْمَةٌ فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٤﴾ وَيَقُولُ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٥﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعَدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٦﴾ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيٍ يُومِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٦٧﴾ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جِثِيمِينَ ﴿٦٨﴾ كَانُوا لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا إِلَّا أَنْ تَمُودًا كَفَرُوا وَارْتَبَهُمُ الْآبَعْدَاءُ لَتَمُودَ ﴿٦٩﴾ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٧٠﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكَّرَهُمْ وَأَوَّجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧١﴾ وَأَمْرًا تَقَابَمَةٌ فَفُضِحَتْ فَبَسَرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِهِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٧٢﴾

﴿الصَّيْحَةِ﴾ فقد صاح بهم جبرئيل ﴿صَبِيحَةً فَهَلَكُوا﴾ فأصبحوا في ديارهم جاثمين ﴿مَبْتِنِينَ وَاقِعِينَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾. [٦٨] ﴿كَانُوا لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾ أي كأنهم لم يقيموا في ديارهم ﴿إِلَّا أَنْ تَمُودًا﴾ كفروا ربهم ألا بعداً عن رحمة الله ﴿لَتَمُودَ﴾.

[٦٩] ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا﴾ الملائكة ﴿إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَى﴾ بشارة المولد ﴿قَالُوا﴾ لإبراهيم ﴿سَلَامًا﴾ قال إبراهيم ﴿فِي جَوَابِهِمْ﴾ سلاماً ﴿فَمَا لَبِثَ﴾ لم يتوقف ﴿أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ﴾ ولد البقر ﴿حَنِيذٍ﴾ أي مشوي لأجل ضيافتهم. [٧٠] ﴿فَلَمَّا رَأَىٰ﴾ إبراهيم ﴿أَيْدِيَهُمْ﴾ أي أيدي الرسل ﴿لَا تَصِلُ إِلَيْهِ﴾ لا يمدون أيديهم إلى الأكل، لأنهم كانوا ملائكة ﴿نَكَّرَهُمْ﴾ أي أنكرهم واستغرب عدم أكلهم ﴿وَأَوَّجَسَ﴾ أحس ﴿مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ بأن خاف منهم أن يريدوا به سوء ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ﴾ إنا لا نريد بك سوء ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾ لنهلكهم.

[٧١] ﴿وَأَمْرًا تَقَابَمَةً﴾ زوجة إبراهيم ﴿سَارَةً﴾ قائمة ﴿تَسْمَعُ كَلَامَهُمْ﴾ من كلامهم ﴿فَبَسَرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ﴾ بأنها ستلده ﴿وَمِنْ وَرَاءِهِ إِسْحَاقَ﴾ من بعده ﴿يَعْقُوبَ﴾.

[٧٢] «قالت يا ويلتى» يا عجباً «ألد» يكون لي ولد «وأنا عجوز» خرجت عن وقت الحمل «وهذا بعلى» زوجي «شيخاً» هرمأ لا يكون له ولد «إن هذا» أن يكون ولد لهرمين «لشيء عجيب».

[٧٣] «قالوا أتعجبين من أمر الله» قدرته «رحمة الله وبركاته عليكم» أي أنتم أهل للرحمة والبركة «أهل البيت إنه حميدٌ» فاعل ما يستوجب الحمد «مجيدٌ» ذو مجد ورفعة.

[٧٤] «فلما ذهب عن إبراهيم الروح» الخوف الذي سيطر عليه من جهة عدم أكلهم «وجاءته البشرى» البشارة بالولد «يجادلنا» أي أخذ يباحث ويتكلم مع الرسل «في» شأن «قوم لوط» وذلك لأجل أن يرفع العذاب عنهم.

[٧٥] «إن إبراهيم لحليمٌ أواه» كثير الدعاء «منيب» يرجع إلى الله في أموره.

[٧٦] قالت الملائكة: «يا إبراهيم أعرض عن هذا» الجدال «إنه قد جاء أمر ربك» بعذابهم «وإنهم آتيهم عذاب غير مردود» غير مدفوع عنهم.

[٧٧] «ولما جاءت رسلنا» الملائكة «من عند إبراهيم عليه السلام» إلى لوط عليه السلام «لأجل هلاك قومه سيء بهم وضاق بهم» ساءه مجيئهم «ذرعاً» أي خُلُقاً، بأن ضاقت نفسه عنهم «وقال هذا يوم عصيب» شديد لأن الملائكة كانوا على شكل أولاد جميلين فخاف أن يطمع فيهم قومه.

[٧٨] «وجاءه قومه يهرعون» يسرعون «إليه» إلى جانب لوط عليه السلام «لأخذ ضيوفه» ومن قبل كانوا يعملون السيئات «اللواط» ولأجله جاءوا إلى الضيوف «قال» لوط عليه السلام «يا قوم هؤلاء بناتي» تزوجوهن عوض الضيوف «هن أطهر» أنظف من الذكور «لكم فاتقوا الله ولا تخزون» لا تفضحوني «في ضيفي اليس منكم رجل رشيد» يمنعكم عن المنكر.

[٧٩] «قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق» حاجة «وإنك لتعلم ما نريد» من إتيان الذكور.

[٨٠] «قال لو أن لي بكم قوة» منعة لدفعكم عن ضيفي «أو أوي» أي أنضم «إلى ركن شديد» أي إلى عشيرة تمنعكم عن المنكر، وجواب لو محذوف، أي لمنعتكم.

[٨١] «قالوا» الضيوف: «يا لوط إنا رسل ربك» ملائكته «لن يصلوا» القوم «إليك» بسوء فلا تهتم «فأسر بأهلك» سر مع عائلتك فراراً من القرية «بقطع» بظلمة «من الليل ولا يلتفت منكم أحد» لا ينظر أحد منكم إلى ورائه لئلا يهوله منظر العذاب «إلا امرأتك» فإنها كانت كافرة فلا تأخذها معك «إنه» أي الشأن «مصيبها ما أصابهم» من العذاب «إن موعدهم» وقت عذابهم «الصبح اليس الصباح بقریب» لبيان قرب عذابهم.

قَالَتْ يَوَيْلَئِي أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا أَتَعْجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبَشَرَىٰ ابْتِغَاءَ نَفْسِهِ فَوَ لَوْ لَوْطُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴿٧٤﴾ تَكَرَّرَ مِنْهُ أَنْ يُرْضَىٰ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَهُ أَمْرٌ رُبُّكَ وَإِنَّهُمْ لَنِسَمٌ عَذَابٌ غَيْرَ مُرْدُودٍ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيئًا بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٦﴾ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَفْقَهُ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴿٧٧﴾ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَفَعَطٌ مَارِيءٌ ﴿٧٨﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ إِيَّايَ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٧٩﴾ قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصْلُواكَ فَاسْرُ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَانِكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾

[٨٢] ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ بعذاب أهل القرية ﴿جَعَلْنَا عَلَيْهَا حِجَابًا﴾ بأن قلبناها ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَابًا مِنْ سَجِيلٍ﴾ من الطين اليابسة ﴿مَنْصُودٍ﴾ نضد وتتابع بعضه إثر بعض .
[٨٣] ﴿مَسْؤَمَةٍ﴾ معلمة للعذاب ﴿عِنْدَ رَبِّكَ﴾ أي بعلائمه لدى الله ﴿وَمَا هِيَ﴾ الحجارة ﴿مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ككفار مكة ﴿يَبْعِدُ﴾ وهذا تهديد لكل ظالم .

[٨٤] ﴿وَأَرْسَلْنَا﴾ إلى ﴿قَبِيلَةٍ﴾ مدين أخاهم ﴿فِي الْقَبِيلَةِ﴾ شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان ﴿حَيْثُ كَانُوا يَظْفِقُونَ الْكَيْلَ وَالْوِزْنَ﴾ إني أراكم بخير ﴿بَسْعَةً﴾ فلا تحتاجون إلى البخس ﴿وَأِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ يحيط بكم فلا ينجو منكم أحد .

[٨٥] ﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل، نهاهم عن البخس ثم أمرهم بالوفاء ﴿وَلَا تَبْخَسُوا﴾ لا تنقصوا ﴿النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ التي يشترونها ﴿وَلَا تَعْثُوا﴾ العثو: السعي للفساد ﴿فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ .

[٨٦] ﴿بَقِيَّةَ اللَّهِ﴾ ما أبقاء الله لكم من الحلال بعد إتمام الكيل والوزن ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من البخس ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ وما أنا عليكم بحفيظ ﴿أَحْفَظْكُمْ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ﴾ .

[٨٧] ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصْلَوَاتِكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِلَهُنَا﴾ أي نترك ما يعبد آباؤنا من الأصنام، والاستفهام للاستهزاء ﴿أَوْ أَنْ نَفْعَلَ

فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَيْهَا حِجَابًا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَابًا مِنْ سَجِيلٍ مَنْصُودٍ ﴿٨٢﴾ مَسْؤَمَةٍ عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ يَبْعِدُ ﴿٨٣﴾ وَأَرْسَلْنَا إِلَى قَبِيلَةٍ مَدِينٍ أَخَاهُ شُعَيْبًا قَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادُ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أُرْسِلُكُمْ خَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَتَقَوَّمُوا أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّةَ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصْلَوَاتِكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَأَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَتَقَوَّمُوا أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى يَدَيْكُمْ مِنْ رَبِّي وَرِزْقِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَا مَا أَنْتُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾

في أموالنا ما نشاء ﴿من البخس﴾ إنك لأنت الحليم الرشيد ﴿قالوا له ذلك على وجه الاستهزاء﴾ .

[٨٨] ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْنَةٍ حُجَّةٌ مِنْ رَبِّي﴾ بالتوحيد ﴿وَرِزْقِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ حالاً، تعريض لهم بأن رزقهم حرام لأنه من التطفيف، وجواب (إن) محذوف، أي فهل أعدل بعد ذلك عن عبادته وعن رزقه الحلال ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ﴾ وأقصد ﴿إِلَى مَا أَنَهَاكُمْ عَنْهُ﴾ فارتكبه ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ﴾ إصلاح عقيدتكم وعملكم ﴿مَا اسْتَطَعْتُ﴾ من الإصلاح ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ أرجع في المعاد .

[٨٩] ﴿وَيَا قَوْم لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلَ مَا أَصَابَ قَوْمُ نُوحٍ أَوْ قَوْمُ هُودٍ﴾ من الغرق ﴿وَأَوْ قَوْمُ لُوطٍ مِثْلَ مَا أَصَابَ قَوْمُ هُودٍ﴾ من الريح ﴿وَأَوْ قَوْمُ صَالِحٍ﴾ من الصيحة ﴿وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ﴾ فاعتبروا بهم كيف عذبوا، والمعنى أنكم حيث تريدون مخالفة أقوالي تقعون في العذاب كأولئك الأقوام، فارحموا أنفسكم.

[٩٠] ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ ليغفر ذنبكم ﴿ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ﴾ ارجعوا إليه بالأعمال الصالحة ﴿إِنْ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ محب للمتقين.

[٩١] ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ﴾ ما نفهم ﴿كثييراً مما تقول﴾ كالوحيد وحرمة البخش ﴿وَأَنَا لَنُرَاكَ فِينَا ضَعِيفاً﴾ لا شأن لك ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ﴾ عشيرتك وحرمتهم ﴿لَرَجَمْنَاكَ﴾ بالحجارة ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِمُزِينٍ﴾ حتى تمنع عزتك عن الرجم.

[٩٢] ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ حتى تتركون رجمي لأجلهم لا لله ﴿وَاتَّخَذْتُمُوهُ﴾ أي الله ﴿وَرَاءَكُمْ ظَهْرِي﴾ أي وراء ظهركم ﴿إِنْ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ علماً وقدرة فيجازيكم عليه.

[٩٣] ﴿وَيَا قَوْمِ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾ حالتكم التي أنتم عليها ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾ على مكانتي، أي كل يعمل عمله حتى نرى النتائج ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ أين المخطئ ﴿مَنْ﴾

منا ومنكم ﴿يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ يفضحه ﴿وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ﴾ أنا في توحيدي، أم أنتم في شرككم ﴿وَارْتَقِبُوا﴾ انتظروا ﴿إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ منتظر لنرى لمن العاقبة.

[٩٤] ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ بالعذاب ﴿نَجَّيْنَا شُعَيْباً وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذْتُ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ﴾ صاح بهم جبرئيل ﷺ ﴿فَأَهْلَكْتَهُمْ﴾ فأصبحوا في ديارهم جائمين ﴿مِيتِينَ عَلَى وُجُوهِهِمْ﴾.

[٩٥] ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾ أي كأنهم لم يقيموا في تلك الديار، حيث انقطعت آثارهم ﴿أَلَا بُعْدًا﴾ عن الرحمة والنجاة ﴿لِلْمَدِينِ كَمَا بَعْدَتْ ثُمُودُ﴾ لتشابه عذابهما.

[٩٦] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا﴾ دلالتنا ﴿وَسُلْطَانًا﴾ حجة معجزة ﴿مُبِينًا﴾ واضح.

[٩٧] ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ﴾ أشراف قومه ﴿فَاتَّبَعُوا﴾ الملاء ﴿أَمْرَ فِرْعَوْنَ﴾ بالكفر ﴿وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ بل هو غي وضلال.

وَيَقُولُوا لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلَ مَا أَصَابَ قَوْمُ نُوحٍ أَوْ قَوْمُ هُودٍ أَوْ قَوْمُ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا نَقُولُ وَإِنَّا لَنُرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِمُزِينٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَا قَوْمِ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ ﴿٩٣﴾ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٤﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذْتُ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جِثِيمِينَ ﴿٩٥﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدٌ لِّلْمَدِينِ كَمَا بَعْدَتْ ثُمُودُ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿٩٧﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ بِأَشْرَافِ قَوْمِهِ فَاتَّبَعُوهُ أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٨﴾

[٩٨] ﴿يَقْدَمُ﴾ يتقدم فرعون ﴿قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأُورِدَهُمُ النَّارَ وَيُقَسَّ الْأُورْدُ﴾ النار وبشش الورد ﴿هو الماء الذي يورد، فشبّه به النار﴾ المورود ﴿أي يشس المورد الذي وردوه﴾.

[٩٩] ﴿وَاتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أي لعنوا في الدنيا والآخرة ﴿بشس﴾ اللعن ﴿الرّفد﴾ العطاء ﴿المرفود﴾ الذي يعطونه.

[١٠٠] ﴿ذَلِكَ﴾ النّبأ ﴿مِنَ أَنْبَاءِ الْقُرَى﴾ أخبار البلاد ﴿نَقَصَهُ عَلَيْكَ مِنْهَا﴾ من تلك القرى ﴿قَاتَمَ﴾ معتمَر ﴿و﴾ منها ﴿حَصِيدَ﴾ خراب لم يعمر.

[١٠١] ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ﴾ بإهلاكهم ﴿وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ حيث كفروا ﴿فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمْ﴾ لم تنفعهم لإيقادهم من العذاب ﴿التي يدعون من دون الله من شيء﴾ أي ولو قليلاً ﴿لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ عذابه ﴿وَمَا زَادَهُمْ﴾ الآلهة ﴿غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾ أي الخسران لأن عبادة الأصنام زادتهم عذاباً.

[١٠٢] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ مثل أخذ هؤلاء ﴿أَخَذَ رَبُّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى﴾ عذب أهلها ﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخَذَهُ الْبِيمَ﴾ مؤلم ﴿شَدِيدَ﴾ الألم.

[١٠٣] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ الذي قصصنا عليك ﴿لَايَةً﴾ لعبرة ﴿لِمَن خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ﴾ أما من لم يعتقد بالآخرة فهو يلهو ولا يعتبر بالآيات ﴿ذَلِكَ﴾ يوم القيامة ﴿يَوْمَ مَجْمُوعٌ﴾

يَقْدَمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأُورِدَهُمُ النَّارَ وَيُقَسَّ الْأُورْدُ
الْمُورُودُ ﴿٩٨﴾ وَاتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُقَسَّ
الرَّفْدُ الْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقَصَهُ عَلَيْكَ
مِنْهَا قَاتَمَ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا
أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمْ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ
اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادَهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾
وَكَذَلِكَ أَخَذَ رَبُّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخَذَهُ
أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ
ذَلِكَ يَوْمَ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمَ مَشْهُودٍ ﴿١٠٣﴾ وَمَا
تُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُّعَدٍّ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتُ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ
إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمَنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَمِنَ
النَّارِ لَمْ يَخْرُجْ مِنْهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ
السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ
﴿١٠٧﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فَمِنَ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ
السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرُ مَجْذُورٍ ﴿١٠٨﴾

له الناس ﴿لِلْحِسَابِ﴾ و﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ يشهده الناس والملائكة والجن.

[١٠٤] ﴿وَمَا تُؤَخِّرُهُ﴾ أي لا تؤخر يوم القيامة ﴿إِلَّا لِأَجَلٍ﴾ وقت ﴿مَعْدُودٍ﴾ قد عد وحوسب.

[١٠٥] ﴿يَوْمَ يَأْتُ﴾ الحساب والجزاء ﴿لَا تَكَلَّمُ﴾ لا تتكلم ﴿نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ بإذن الله ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ﴾ بسوء عمله ﴿و﴾ منهم ﴿سَعِيدٌ﴾ بحسن عمله.

[١٠٦] ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَمِنَ النَّارِ لَمْ يَخْرُجْ مِنْهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ إدخال النَّفْس بصوت، وفيها دلالة على شدة كرب الإنسان.

[١٠٧] ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ في النار ﴿مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ أي جهنم العلو والسفل ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ ممن يخرجهم عن العذاب ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ لا مانع منه.

[١٠٨] ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فَمِنَ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ من أول الوقت، وهم الفساق الذين يدخلون النار أولاً ثم الجنة، أو المراد إن الله قادر على إخراجهم من الجنة، وهذا للتنبيه على قدرته تعالى وإن كان لا يخرجهم من الجنة ﴿عَطَاءٌ﴾ يعطيهم الجنة عطاء ﴿غَيْرُ مَجْذُورٍ﴾ مقطوع.

[١٠٩] ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ﴾ شك ﴿مِمَّا يَعِدُّ هَؤُلَاءُ﴾ من الأوثان، لا تشك في أنها باطلة ﴿مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ﴾ فقد عبد آباؤهم الأصنام وهم يقلدونهم ﴿وَإِنَّا لَمَوْفُونَ﴾ معطوهم ﴿نَصِيبُهُمْ﴾ حَقُّهم ﴿غَيْرِ مَقْصُوفٍ﴾ أي تاماً بلا نقص.

[١١٠] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا﴾ أعطينا ﴿مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿فَاخْتَلَفَ فِيهِ﴾ فبعض آمن وبعض كفر ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ﴾ بتأخير الجزاء إلى يوم القيامة ﴿سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ قالها الله سابقاً، لمصلحة في ذلك ﴿لِقَضَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ في الحال بإهلاك المبطل ﴿وَإِنَّهُمْ﴾ الكافرين ﴿لَفِي شَكٍّ مِنْهُ﴾ من الكتاب ﴿مَرِيبٌ﴾ موجب للريب، فإن الشك يوجب ترددهم وتحيرهم.

[١١١] ﴿وَإِنْ كَلَّا﴾ من المصدق والمكذب ﴿لَمَا لِيُوفِيَتَهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ﴾ يعطيهم جزاء أعمالهم ﴿إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ فيجازيهم عليه.

[١١٢] ﴿فَاسْتَقِمْ﴾ في الإرشاد ﴿كَمَا أَمَرْتُ وَ﴾ ليستقم ﴿مَنْ تَابَ﴾ عن الكفر والعصيان ﴿مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا﴾ لا تتعدوا الحدود ﴿إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ يرى أعمالكم فيجازيكم عليها.

[١١٣] ﴿وَلَا تَرْكَنُوا﴾ لا تميلوا أدنى ميل ﴿إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ أي تأخذكم نار جهنم ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ

دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ يَمْنَعُونَ الْعَذَابَ عَنْكُمْ ﴿ثُمَّ لَا تَنْصُرُونَ﴾ لا ينصركم أحد.

[١١٤] ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ أَدِّهَا ﴿طَرَفِي النَّهَارِ﴾ الصبح والعصر ﴿وَزُلْفَىٰ مِنَ اللَّيْلِ﴾ أول ساعات الليل القريبة من النهار ﴿إِنْ الْحَسَنَاتِ﴾ كالصلوات الخمس ﴿يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ الذي ذكرناه باستقامتك ومن معك ﴿ذَكَرَىٰ﴾ موعظة ﴿لِلذَّاكِرِينَ﴾ الذين يتذكرون الله.

[١١٥] ﴿وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ فيجازيهم بالحسنى.

[١١٦] ﴿فَلَوْلَا﴾ أي فهلاً ﴿كَانَ مِنَ الْقُرُونِ﴾ الأمم الماضية ﴿مَنْ قَبْلَكُمْ أُولُوا بَقِيَةٍ﴾ أصحاب بقية من العقل والإدراك ﴿يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ لكن قليلاً ممن أنجيناهم من الكفر والعصيان كانوا ينهون ﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا﴾ ما أنعموا ﴿فِيهِ﴾ أي فيما أترفوا، والمعنى أنهم اتبعوا الشهوات ﴿وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ عصاة.

[١١٧] ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ﴾ منه لها ﴿وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ أي والحال أن أهل القرى يصلحون أحوالهم.

فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَعِدُّ هَؤُلَاءُ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ
آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمَوْفُونَ نَصِيبُهُمْ غَيْرِ مَقْصُوفٍ
وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ
سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لِقَضَىٰ بَيْنَهُمْ وَلَئِنْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَرِيبٌ
وَإِنْ كَلَّا لَمَا لِيُوفِيَتَهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ
خَبِيرٌ فَاسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتُ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا
إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا
فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ
لَا تُنصُرُونَ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَىٰ مِنَ
الْأَيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلذَّاكِرِينَ
وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ فَلَوْلَا
كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ قَبْلَكُمْ أُولُوا بَقِيَةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ
فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ
ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ وَمَا كَانَ
رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ

وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَرُوءُنَّ مَخْلِفِينَ
 ﴿١١٨﴾ إِلَّا مِنْ رَحْمِ رَبِّكَ وَلَئِذَا خَلَقَهُمْ وَنَمَتَ كَلِمَةُ رَبِّكَ
 لَا مَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ وَكَلَّا نَقْصُ
 عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نَحْنُ بِمُفَوِّدِكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ
 الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
 أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَانظُرُوا إِنَّا مُنظِرُونَ
 ﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأُمُورُ كُلُّهُ
 فَأَعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾

سورة يوسف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 الرَّبُّ لَكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا
 لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ
 بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ
 لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ
 أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾

فيجازيهم عليه .

١٢: سورة يوسف

مكية آياتها مائة وإحدى عشر

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

- [١] ﴿الر﴾ رمز بين الله والرسول ﷺ ﴿تلك﴾ آيات هذه السور ﴿آيات الكتاب المبين﴾ الواضح، لا غموض فيه .
- [٢] ﴿إنا أنزلناه﴾ أنزلنا الكتاب ﴿قرآنًا عربيًّا﴾ بلغة العرب ﴿لعلكم تعقلون﴾ تفهمونه فتؤمنوا به .
- [٣] ﴿نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا﴾ بإيحائنا ﴿إليك هذا القرآن﴾ أي هذه السورة ﴿وإن كنت من قبله لمن الغافلين﴾ الذين لا يعلمون قصة يوسف ﷺ .
- [٤] ﴿إذ﴾ بدل (أحسن) ﴿قال يوسف لأبيه يا أبتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ فقد رأهم يوسف ﷺ قد سجدوا له .

[١١٨] ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة﴾ بأن يجبرهم على الإيمان ﴿ولا يزالون مختلفين﴾ في الأديان .

[١١٩] ﴿إلا من رحم ربك﴾ بأن لطف به لطفًا خاصاً فاهتدى ﴿ولذلك﴾ للرحمة ﴿خلقهم وتمت كلمة ربك﴾ ثبت ما قاله عن علمه السابق ﴿لأملأن جهنم من الجنة﴾ الجن ﴿والناس أجمعين﴾ من الكفار والعصاة، فتملأ النار من هاتين الطائفتين .

[١٢٠] ﴿وكلا﴾ من كل نبأ ﴿نقص عليك﴾ نخبرك ﴿من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك﴾ قلبك، فإن قصص صبر الأنبياء السابقين ﷺ أمام أذى الكفار يوجب تقوية قلب المصلح أمام ما يلاقيه من الصعوبات ﴿وجاءك في هذه السورة، أو القصص﴾ الحق ﴿فإنها ليست قصصاً باطلة﴾ وموعظة ﴿تعظ الجاهلين بها﴾ وذكرى ﴿تذكير للمؤمنين﴾ .

[١٢١] ﴿وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم﴾ حالكم ﴿إنا عاملون﴾ على حالنا .

[١٢٢] ﴿وانظروا﴾ عقوبة كفركم ﴿إنا منتظرون﴾ ثوابنا .

[١٢٣] ﴿ولله غيب السماوات والأرض﴾ فما غاب عن الحواس فيهما، يعلمه الله تعالى ﴿واليه يرجع الأمر كله﴾ فأمر الكفار يرجع إليه لجزائهم ﴿فاعبده وتوكل عليه﴾ فإنه كافيك ﴿وما ربك بغافل عما تعملون﴾ إنه عالم بهم

[٥] ﴿قَالَ﴾ يعقوب عليه السلام: ﴿يَا بَنِيَّ﴾ تصغير ابن ﴿لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ﴾ لا تخبرهم بمنامك ﴿فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ فيحتالوا للخلاص منك، فإن يعقوب علم أن الرؤيا تدل على عظمة يوسف عليه السلام مما يشير فقد إخوانه عليه ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ ظاهر، ومن عادته الإفساد بين الإخوة.

[٦] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ هكذا ﴿يَجْتَنِيكَ﴾ يختارك يا يوسف ﴿رَبِّكَ﴾ للنبوة والملوكية ﴿وَيُعَلِّمُكَ﴾ ويعلمك من تأويل الأحاديث، تعبير الرؤيا ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾ بإعطائك جميع النعم ﴿وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ﴾ سائر أولاده لأن من بينهم ينبغ مثل يوسف عليه السلام ويكون أولادهم ملوكاً وأنبياء ﴿كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ﴾ حيث جعلهما نبیین ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ﴾ بمن يصلح للرسالة ﴿حَكِيمٌ﴾ يضع الأشياء مواضعها.

[٧] ﴿لَقَدْ كَانَ فِي﴾ قصة ﴿يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ﴾ دلائل قدرة الله ﴿لِلْمُسَائِلِينَ﴾ لمن سأل عن قصتهم.

[٨] ﴿إِذْ قَالُوا﴾ الإخوة: ﴿لِيُوسُفَ وَأَخُوهُ﴾ من أمه وهو بنيامين ﴿أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنَّا وَ﴾ الحال ﴿نَحْنُ عَصَبَةٌ﴾ جماعة أقوياء فلماذا يحبه أبونا أكثر منا ﴿إِنْ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ واضح في تفضيله يوسف علينا.

[٩] قال بعضهم لبعض: ﴿اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً﴾ بعيدة عن عين أبينا ﴿يَخْلُ﴾ أي ليقى ﴿لكم وجه أبيكم﴾ خالياً لكم بلا مشاركة يوسف ﴿وتكونوا من بعده﴾ أي بعد قتله أو طرحه ﴿قوماً صالحين﴾ تتوبون من هذه الجريمة.

[١٠] ﴿قَالَ قَاتِلْ مِنْهُمْ﴾ أحد الإخوة: ﴿لَا تَقْتُلُوا يَوْسُفَ وَالْقَوْهَ فِي غِيَابِ الْجُبِّ﴾ قعر البئر حتى يغيب عن الأنظار ﴿يَلْتَقِطُهُ﴾ يأخذه ﴿بَعْضُ السَّيَّارَةِ﴾ الذين يسировون أي المسافرين ﴿إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ إن أردتم فعل شيء بالنسبة إلى يوسف.

[١١] ولما تمت المؤامرة جاءوا إلى أبيهم ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ﴾ لم تخاف منا عليه ﴿وإنَّا له﴾ ليوسف ﴿لَنَاصِحُونَ﴾ قائمون بمصالحه.

[١٢] ﴿أَرْسَلْهُ مَعَنَا غَدًا﴾ إلى الصحراء ﴿يَرْتَعْ﴾ يتنعم ويأكل من الرتبة بمعنى الخصب ﴿وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ من أن يناله مكروه.

[١٣] ﴿قَالَ﴾ يعقوب عليه السلام: ﴿إِنِّي لَيَحْزَنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ﴾ فإني لا أتمكن من مفارقتة ﴿وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ﴾ فإن الأرض كانت مذبذبة ﴿وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ بأن تغفلوا عنه فيأكله الذئب.

[١٤] ﴿قَالُوا لَنْ أَكُلَهُ الذِّئْبُ وَ﴾ الحال ﴿نَحْنُ عَصَبَةٌ﴾ جماعة أقوياء ﴿إِنَّا إِذَا لَخَاسِرُونَ﴾ عجزة ضعفاء.

قَالَ يٰٓبَنِيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَنِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ءَايَاتٍ لِّلْمُسْلِمِينَ ۝ إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا أَيْنَمَا نَزَلْنَا ۖ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ۚ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ۝ قَالَ قَاتِلْهُم مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ ۚ وَالْقَوْهَ فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ۝ قَالُوا يٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ ۝ أَرْسَلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝ قَالَ إِنِّي لَيَحْزَنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَيَأْخُذُكَ بِالْأَلْسِنَةِ أَلَّا تَأْتِيَهُ عَنَّا غَفْلَةٌ ۝ قَالُوا لَنْ أَكُلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ۚ إِنَّا إِذَا لَخَاسِرُونَ ۝

[١٥] ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْمَعُوا﴾ عزموا ﴿أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا﴾ غيايت الحب ﴿قَمَرِ الْبُثْرِ، وَجَوَابِ﴾ (لما) محذوف أي فعلوا ما أرادوه ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ﴾ إلى يوسف ﴿لَتَنْبِتْنَهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا﴾ لتخبرنهم بهذه المؤامرة بعد أن تصير ملكاً ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ لا يعلمون ما أوحينا إليه، أو لا يعرفونه حينذاك.

[١٦] ﴿وَجَاءُوا﴾ أي الإخوة ﴿أَبَاهُمْ عِشَاءً﴾ أول ظلمة الليل ﴿يَكُونُ﴾ يظهرون البكاء.

[١٧] ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾ نتسابق في العدو والركض ﴿وَتَرَكْنَا يَوْسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا﴾ رحلنا ليحفظه ﴿فَاكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُذِقٍ لِّلنَّاسِ﴾ لسوء ظنك بنا ﴿وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾.

[١٨] ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ لطحخوا قميص يوسف ﴿بِدَمٍ﴾ و جاءوا به إلى أبيهم و (دم كذب) أي ليس دم يوسف ﴿قَالَ بَلْ أَنْفُسُكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَفَإِنَّكُمْ لَسَمْتُمْ أَيْسَارًا فَارْجِعُوا﴾ قال بل سؤلت زينت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل ﴿وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ لا جزع فيه ﴿وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ من ابتلاء يوسف ﴿فَارْجِعُوا﴾.

[١٩] ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَقْصَتْ سِيارَتُهَا فَارْتَمَلَتْ فِيهَا مَوْجِدَ الْحَبِّ وَأَقْبَضَتْهُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾ فأسلوا واردهم ﴿مِنْ يَدِ الْمَاءِ لَاسْتِقَاءً﴾ فادلى ﴿أَرْسَلْنَا فِي الْبُثْرِ دُلوهُ﴾ فتعلق بها يوسف ﴿قَالَ﴾ المستقي لما رأى يوسف ﴿يَا قَوْمُ بَشِّرُوا بِنَاصِرٍ﴾ قوم ﴿بَشِّرُوا﴾ البشارة ﴿هَذَا غُلَامٌ﴾

ولد ﴿وَأَسْرُوهُ﴾ أي أخفى الإخوة يوسف قائلين هذه ﴿بِضَاعَةٌ﴾ أي عبد أبق لنا، فإن الإخوة جاءوا ليروا مصير يوسف ﴿فَرَأَوْهُ أَنَّ الْقَوْمَ اسْتَرَجَوْهُ مِنَ الْبُثْرِ﴾ والله عليهم بما يعملون ﴿فَلَمْ يَخَفْ مَا فَعَلَهُ الْإِخْوَةُ﴾.

[٢٠] ﴿وَشَرَوْهُ﴾ باعه الإخوة من القافلة ﴿بِثَمَنِ بَخْسٍ﴾ قليل ﴿دِرْهَمٍ مَعْدُودَةٍ﴾ عبارة أخرى عن القلة ﴿وَكَانُوا فِيهِ﴾ يوسف ﴿مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ زهد خلاف رغب لأن الإخوة كانوا يريدون التخلص منه.

[٢١] ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ﴾ المعروفة ﴿لَا مِرَّةً أَكْرَمِي مِثْوَاهُ﴾ أي هيئي له محلاً كريماً ﴿عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا﴾ بأن نبيعه فنريح عليه ﴿أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ مكان الولد ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما أخرجناه من البئر ﴿مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مصر حيث عطفنا عليه قلب الملك الذي اشتراه ﴿وَلَنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ عطف على محذوف أي مكنا له ليعدل وليفسر للناس الرؤيا فيظهر مقامه ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾ أي على ما يريده ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ إن الله غالب على أمره.

[٢٢] ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ منتهى اشتداد جسمه ﴿آتَيْنَاهُ﴾ أعطيناه الحكم بين الناس ﴿حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ من قبيل علوم الأنبياء ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ كما جزينا يوسف ﴿وَاللَّهُ﴾.

فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّتَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُذِقٍ لِّلنَّاسِ وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ أَنْفُسُكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَفَإِنَّكُمْ لَسَمْتُمْ أَيْسَارًا فَارْجِعُوا وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلُوا دُلَّوهُ قَالَ يُبَشِّرِي هَذَا عِلْمٌ وَأَسْرُوهُ بِضَاعَتُهُ وَاللَّهُ عَلَيْهِمْ يَكِينٌ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لَا مِرَّةً أَكْرَمِي مِثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلَنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾

[٢٣] ﴿وَرَاودَتْهُ﴾ أي طلبت المرأة المواقعة من يوسف عليه السلام ﴿التي هو﴾ يوسف عليه السلام ﴿في بيتها عن نفسه﴾ نفس يوسف عليه السلام كأنها أرادت اغتصاب نفس يوسف عليه السلام ﴿وغلقت﴾ المرأة ﴿الأبواب﴾ لئلا يفر ﴿وقالت هيت لك﴾ أي هلم إلي، و (لك) خطاب ﴿قال﴾ يوسف عليه السلام ﴿معاذ الله﴾ أعوذ بالله أن أفعل ﴿إنه﴾ إن الله ﴿ربي أحسن مثواي﴾ محلي فكيف أعصي من أكرمني ﴿إنه لا يفلح﴾ لا يفوز ﴿الظالمون﴾ الذين يظلمون أنفسهم بالعصيان.

[٢٤] ﴿ولقد همت﴾ المرأة قصدت ﴿به﴾ بيوسف عليه السلام للمواقعة ﴿وهم بها لولا أن رأى برهان ربه﴾ فلولا أنه عليه السلام كان معصوماً لَهَمَ بها لكن رؤية يوسف عليه السلام برهان الله وحجته منته عن أن يقصد السوء بها ﴿كذلك﴾ أي هكذا أريناه البرهان وعصمناه ﴿لنصرف عنه﴾ عن يوسف عليه السلام ﴿السوء﴾ بالخيانة مع زوجة الملك ﴿والفحشاء﴾ بالزنا ﴿إنه من عبادنا المخلصين﴾ الذين أخلصهم الله لطاعته.

[٢٥] ﴿واستبقا الباب﴾ تسابقا إلى الباب، يوسف عليه السلام للهرب وزليخا لتمسكه ﴿وقدت﴾ شقت زليخا ﴿قميصه﴾ ثوب يوسف عليه السلام ﴿من دبر﴾ من ورائه ﴿والفيا﴾ وجدا يوسف وزليخا ﴿سيداها﴾ زوجها ﴿لدى الباب قالت﴾

زليخا مُبادرةً لأجل رفع التهمة عن نفسها: ﴿ما جزاء من أراد بأهلك سوء﴾ استفهام، أي أي شيء جزاؤه ﴿إلا أن يسجن﴾ جزاء قصده الخيانة ﴿أو عذاب أليم﴾ بأن يضرب ضرباً مؤلماً.

[٢٦] ﴿قال﴾ يوسف عليه السلام: ﴿هي﴾ زليخا ﴿راودتني عن نفسي﴾ بأن قصدت السوء ﴿وشهد شاهد من أهلها﴾ أهل المرأة ﴿إن كان قميصه قدُّ من قبل﴾ من الأمام ﴿فصدقت﴾ المرأة ﴿وهو﴾ يوسف عليه السلام ﴿من الكاذبين﴾ لأنه علامة أنه قصد المرأة فدفعته بأن أخذت ثوبه لتدفعه فانشق من الأمام.

[٢٧] ﴿وإن كان قميصه قدُّ من دبر﴾ من خلف ﴿فكذبت﴾ المرأة ﴿وهو من الصادقين﴾ لأنه علامة أنه فر يوسف عليه السلام فجرت ثوبه لكي تمسكه فانشق من الخلف.

[٢٨] ﴿فلما رأى﴾ الزوج ﴿قميصه قدُّ من دبر﴾ وأن الحق مع يوسف عليه السلام ﴿قال إنه﴾ إن هذا الصنع ﴿من كيدكن﴾ حيلكن ﴿إن كيدكن عظيم﴾ لمهارتهن في الكيد.

[٢٩] ثم قال الزوج: يا ﴿يوسف أعرض عن هذا﴾ الأمر واكتمه ﴿و﴾ يا زليخا ﴿استغفري للذنبك﴾ لأنك الخاطئة ﴿إنك كنت من الخاطئين﴾ المذنبين.

[٣٠] ﴿وقال نسوة في المدينة﴾ في مصر، لما سمعن بالقصة ﴿امرأة العزيز﴾ الملك ﴿تراود فتاه عن نفسه﴾ تدعو عبدا ليفجر بها ﴿قد شغفها حباً﴾ دخل حبه شغاف قلبها أي وسطه ﴿إننا لنراها في ضلال﴾ من الطريق الصحيح ﴿مبين﴾ واضح.

وَرَاودَتْهُ أَلَيْ هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ، وَعَلَقَتْ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمِيصُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٣٠﴾

[٣١] ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكَاوِهَاتٍ ۖ فَتَجَنَّبَهُنَّ ۖ فَتَمَنَّى أَنْ تَبْتَاعَ بِثَمَنٍ كَثِيرٍ ۖ وَفُطِنَ أَبُوهُنَّ وَكُلْنَ حَاشِئَاتٍ ۖ فَبَشَّرَ اللَّهُ مَا هَذَا بَشَرًا ۖ إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ۖ﴾ [٣٢] ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَاودْنَاهُ عَنْ نَفْسِهِ ۖ فَاسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُ لَيَسْجَنَ لِيَ لَوْ كُنَّا مِنَ الصَّانِعِينَ ۖ﴾ [٣٣] ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ۖ وَإِنْ أَتَاكُمْ عَنِ كَيْدِهِنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ ۖ﴾ [٣٤] ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ فَصَرَفَ عَنْهُمْ كَيْدَهُنَّ ۖ إِنَّهُمْ هُمُ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۖ﴾ [٣٥] ﴿ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسَ جُذُوعُهُمْ خَيْرَ حِينٍ ۖ﴾ [٣٦] ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٌ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أُتْرَبُ ۖ فَأَخْبَرْتُ أَحْمَلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبَأًا ۖ وَيَأْتِيكَ بِهِ ۖ وَإِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ۖ﴾ [٣٧] ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأُكُمَا ۖ بَتًّا وَيَلِيهِ ۖ قِيلَ أُنَبِّئُكُمَا ذَلِكُمَا ۖ مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ۖ﴾

فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكَاوِهَاتٍ ۖ فَتَجَنَّبَهُنَّ ۖ فَتَمَنَّى أَنْ تَبْتَاعَ بِثَمَنٍ كَثِيرٍ ۖ وَفُطِنَ أَبُوهُنَّ وَكُلْنَ حَاشِئَاتٍ ۖ فَبَشَّرَ اللَّهُ مَا هَذَا بَشَرًا ۖ إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ۖ

[٣٢] قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَاودْنَاهُ عَنْ نَفْسِهِ ۖ فَاسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُ لَيَسْجَنَ لِيَ لَوْ كُنَّا مِنَ الصَّانِعِينَ ۖ

[٣٣] قَالَ رَبِّ السِّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ۖ وَإِنْ أَتَاكُمْ عَنِ كَيْدِهِنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ ۖ

[٣٤] فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ فَصَرَفَ عَنْهُمْ كَيْدَهُنَّ ۖ إِنَّهُمْ هُمُ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۖ

[٣٥] ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسَ جُذُوعُهُمْ خَيْرَ حِينٍ ۖ

[٣٦] وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٌ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أُتْرَبُ ۖ فَأَخْبَرْتُ أَحْمَلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبَأًا ۖ وَيَأْتِيكَ بِهِ ۖ وَإِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ۖ

[٣٧] قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأُكُمَا ۖ بَتًّا وَيَلِيهِ ۖ قِيلَ أُنَبِّئُكُمَا ذَلِكُمَا ۖ مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ۖ

كرامة على الله حتى خلقه بهذا الجمال .

[٣٢] ﴿قَالَتْ زَلِيخَا: ﴿فَذَلِكُنَّ﴾ أي هذا الفتى، و ﴿كُنَّ﴾ خطاب لهن، هو ﴿الذي لمتنني﴾ من الملامة ﴿فيه﴾ في حبه ﴿ولقد راودته عن نفسه﴾ طلبت منه الموافقة ﴿فاستعصم﴾ فامتنع ﴿ولئن لم يفعل ما أمره﴾ به ﴿ليسجنن وليكونن من الصاغرين﴾ الأذلاء .

[٣٣] ﴿قَالَ يوسف ﴿يَا رَبِّ السجن أحب إلي مما يدعونني إليه﴾ فإن سائر النساء طمعن فيه أيضاً ﴿وإلا تصرف عني كيدهن﴾ بأن لم تخلصني منهن بالعصمة والحفظ ﴿أصب﴾ أميل ﴿إليه﴾ ميل الشهوة ﴿وأكن من

الجاهلين﴾ العصاة فإن العاصي جاهل .

[٣٤] ﴿فاستجاب له ربه﴾ دعاءه ﴿فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع﴾ لدعائه ﴿العليم﴾ بحاله .

[٣٥] ﴿ثم بدا لهم﴾ ظهر للملك وصحبه ﴿من بعد ما رأوا الآيات﴾ الدلائل الدالة على براءة يوسف ﴿ليسجننه حتى حين﴾ إلى مدة، قطعاً لألسنة الناس .

[٣٦] ﴿ودخل معه السجن﴾ مع يوسف ﴿فتيان﴾ شخصان آخران ﴿قال أحدهما إنني أراي﴾ أرى نفسي في المنام ﴿أعصر خمراً﴾ أي أصنع خمرًا ﴿وقال الآخر إنني أراي أحمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه﴾ يأتي الطير ويأكل من الخبز الذي فوق رأسي ﴿نبئنا﴾ أخبرنا يوسف ﴿بتأويله﴾ بتعبير الرؤيا ﴿إننا نراك من المحسنين﴾ لتعبير الرؤيا، أو لأهل السجن .

[٣٧] ﴿قال﴾ يوسف ﴿﴿لا يأتیکما طعام ترزقانه إلا نبأکما بتأويله﴾ أي أخبرکم بتأویل رؤیاکم ﴿قبل أن یأتیکما﴾ قبل أن یؤتی لکم بالطعام ﴿ذلکما﴾ أي التأویل، و ﴿كما﴾ خطاب ﴿مما علمني ربي﴾ بالوحي ﴿إني تركت ملة﴾ طريقة ﴿قوم﴾ لا یؤمنون باللہ وهم بالآخرۃ هم کافرون﴾ وقد قال یوسف ﴿﴿هذا الكلام تمهيداً لدعوة أهل السجن إلى الإيمان﴾ .

[٣٨] ﴿وَاتَّبَعَتْ مَلَّةَ آبَائِئِي إِسْرَٰهِيْمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانُوا﴾ لا يصح ﴿لَنَا أَنْ نَشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي نشرك به صنماً أو غيره ﴿ذَلِكَ الْإِيمَانُ﴾ من فضل الله علينا وعلى الناس ﴿بِأَنْ أَرْسَلْنَا لِأَرْشَادِهِمْ﴾ ولكن أكثر الناس لا يشكرون ﴿لهذا الفضل فلا يؤمنون﴾.

[٣٩] ﴿يَا صَاحِبِي السِّجْنِ﴾ أيها الملازمان لي في السجن ﴿الرَّبَّابِ﴾ آلهة ﴿مُتَفَرِّقُونَ﴾ من خشب وحجر وحيوان ﴿خَيْرٌ أَمَ اللَّهُ الْوَاحِدَ الْقَهَّارَ﴾ الذي يقهر ويغلب، أما أصنامكم فإنها تُغلب.

[٤٠] ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ دون الله ﴿إِلَّا أَصْنَامٌ﴾ لا حقيقة لها، إذ الأصنام ليست آلهة، وإنما سميتوها آلهة ﴿سَمِيتُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا﴾ بعبادتها ﴿مِنْ سُلْطَانٍ﴾ من دليل وحجة ﴿إِنْ الْحُكْمُ﴾ ما الحكم بين الناس حكماً تكوينياً وتشريعياً ﴿إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ الْأَتَّعِبُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ﴾ التوحيد ﴿الَّذِينَ الْقِيَمَ﴾ المستقيم ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

[٤١] ﴿يَا صَاحِبِي السِّجْنِ﴾ أما أحدكما وهو من رأى أنه يعصر خمراً ﴿فَ﴾ يخرج من السجن و ﴿يَسْقِي رَبَّهُ﴾ الملك ﴿خَمْرًا﴾ كما كان سابقاً ﴿وَأَمَّا الْآخِرُ﴾ الذي قال رأيت إنني أحمل فوق رأسي خبزاً ﴿فَيَصْلُبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ﴾ من مخه، فقال الثاني: كذبت في رؤيائي!

فقال يوسف ﷺ: ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ أي سألتما عن تأويله.

[٤٢] ﴿وَقَالَ﴾ يوسف ﷺ: ﴿لِلَّذِي ظَنَّ﴾ علم من طريق الإلهام ﴿أَنَّهُ نَاجٍ﴾ ينجو من السجن ﴿مِنْهُمَا﴾ من صاحبيه، وهو الساقى ﴿أَذْكُرْنِي﴾ اذكر حالي وأناي مسجون ظلماً ﴿عِنْدَ رَبِّكَ﴾ الملك ﴿فَأَنسَاهُ﴾ أي أنسى الساقى ﴿الشَّيْطَانُ ذَكَرَ يَوْسُفَ ﷺ﴾ عند الملك ﴿فَلَبِثَ﴾ مكث يوسف ﷺ ﴿فِي السِّجْنِ بَضْعَ سِنِينَ﴾ قيل كانت سبع سنوات.

[٤٣] ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى﴾ في المنام ﴿سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ﴾ جمع سمين مقابل الهزيل ﴿يَأْكُلْنَ سَبْعَ﴾ بقرات ﴿عِجَافٍ﴾ جمع عجيف أي الهزيل، فالهزيل كان أكل السمين ﴿وَرَأَيْتُ﴾ سمع سنبلات ﴿جَمْعَ سَنَابِلَ﴾ جمع سنبل: العود الذي فيه حبات الحنطة ﴿خَضِرَ﴾ خضراء ﴿وَرَأَيْتُ﴾ سمع سنبلات ﴿آخَرَ يَابِسَاتٍ﴾ قد التوت على الخضرة وغلبت عليها ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ الْأَشْرَافُ﴾ أفنوني، أخبروني عن تأويل ﴿فِي رُؤْيَايَ﴾ إن كنتم للرؤيا تعبرون.

وَاتَّبَعَتْ مَلَّةَ آبَائِي إِسْرَٰهِيْمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانُوا لَنَا أَنْ نَشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ الْإِيمَانُ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَصْصَحِي السِّجْنِ رَبَّابِ أَزْيَابِ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمَ اللَّهُ الْوَاحِدَ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَصْنَامٌ سَمِيتُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ الْأَتَّعِبُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الَّذِينَ الْقِيَمَ وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَصْصَحِي السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذَكَرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بَضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلْنَ سَبْعَ عِجَافٍ وَسَبْعَ سَنَابِلَ خَضِرٍ وَأُخْرَى يَابِسَاتٍ يَأْتِيهَا الْمَلَأُ أَفْنُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾

[٤٤] ﴿قَالُوا﴾ أي الملا: ﴿أضغاث أحلام﴾ جمع حلم بمعنى الرؤيا، وأضغاث بمعنى أخلاط، والمراد أحلام باطلة ﴿وما نحن بتأويل الأحلام﴾ التي هذه صفتها ﴿بالمين﴾.

[٤٥] ﴿وقال﴾ الساقى ﴿الذي نجى منهما﴾ من صاحبي السجن ﴿وذكر﴾ تذكر أمر يوسف عليه السلام ﴿بعد أمة﴾ مدة طويلة من الزمان: ﴿أنا أنبئكم بتأويله﴾ فإجازه الملك أن يذهب فجاء إلى السجن وقال:

[٤٦] ﴿يوسف أيها الصديق﴾ كثير الصدق ﴿أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلي أرجع﴾ أعود ﴿إلى الناس﴾ الملك وحاشيته فأخبرهم ﴿لعلهم يعلمون﴾ تأويل الرؤيا.

[٤٧] ﴿قال﴾ يوسف عليه السلام: ﴿تزرعون سبع سنين دأباً﴾ أي دائبين مستمرين، وهذا تأويل السمان والخضر ﴿فما حصدم﴾ من الحاصل ﴿فذرؤه﴾ دعوه ﴿في سنبله﴾ بدون الدياس ﴿إلا قليلاً مما تأكلون﴾ في تلك السنة.

[٤٨] ﴿ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد﴾ مجذبات ﴿يأكلن﴾ أي تلك السنوات المجذبات، والمراد أهلها ﴿ما قدمتم لهن﴾ لأجلهن ﴿إلا قليلاً مما تحصنون﴾ تحفظونه لبذور الزراعة في العام المقبل وهذا تفسير

قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾
وَقَالَ الَّذِي نَجَّا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ يَبْقَرْنَ سَمَانًا يَأْكُلْنَ سَبْعَ عَجَافٍ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خَضَرٍ وَأُخْرٍ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرَوْهُ فِي سُنْبُلِهِ لَا فَيَاقِلَ مَعَنَا لَوْ كُنَّا ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يَغَاثُ النَّاسُ فِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِنِي بِدَهْنٍ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَرْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَّ إِنَّ رَبِّي يَبْعِثُ فِي عِلْمٍ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُمْ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْقَنْصَصُ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴿٥٢﴾

عجاف ويابسات.

[٤٩] ﴿ثم يأتي من بعد ذلك﴾ السبع الشداد ﴿عام فيه يفاث الناس﴾ يمتطرون من السماء ﴿وفيه يعصرون﴾ الثمار التي تعصر في الخصب كالزيتون والعنب وغيرهما وذلك لكثرة الفاكة.

[٥٠] ﴿وقال الملك﴾ بعدما جاءه الرسول بالتعبير من عند يوسف عليه السلام ﴿أتؤتيني به﴾ يوسف عليه السلام ﴿فلما جاءه﴾ أي جاء إلى يوسف عليه السلام ﴿الرسول﴾ رسول الملك ليخرجه من السجن ﴿قال﴾ يوسف عليه السلام: ﴿ارجع إلى ربك﴾ سيدك الملك ﴿فاسأله ما بال النسوة﴾ أي ما كان من شأنهن معي ﴿اللاتي قطعن أيديهن إن ربي﴾ الملك ﴿يكيدهن عليم﴾ لأنه علم أن الذنب لم يكن ذنب يوسف عليه السلام وإنما ذنب زليخا، وأراد يوسف عليه السلام بهذا السؤال أن يظهر أمام الملا براءة نفسه حتى يخرج من السجن استحقاقاً لا تفضلاً.

[٥١] ﴿قال﴾ الملك: ﴿ما خطبكن﴾ شأنكن ﴿إذ راودتن يوسف عن نفسه﴾ هل بدا منه خيانة أم لا ﴿قلن حاش لله﴾ الله منزه وهذا كناية عن قدرته على خلق عفيف مثله عليه السلام ﴿ما علمنا عليه﴾ على يوسف عليه السلام ﴿من سوء﴾ خيانة ﴿قالت امرأة العزيز الآن حصحص﴾ ظهر ﴿الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين﴾ في قوله إنه لم يقصد سوء.

[٥٢] فقال يوسف عليه السلام: ﴿لما أخبره الرسول بمقالة النساء﴾ ذلك الذي أردت استظهاره من براءتي ﴿ليعلم﴾ الملك ﴿أنني لم أخنه بالغيب﴾ أي ما خنته في زوجته في حال كان الملك غائباً ﴿وأن الله لا يهدي كيد الخائنين﴾ فإنه تعالى لا يوصل كيد الخائن ومكره لأجل الخيانة إلى عاقبة محمودة.

﴿٥٣﴾ وما أبرئ نفسي ﴿إني لا أريد إظهار نفسي بمظهر البريء، بل أريد بيان الحقيقة﴾ إن النفس لأمارَةٌ ﴿بالسوء﴾ كثيرة الأمر ﴿بالسوء﴾ بالأعمال السيئة ﴿إلا ما رحم ربي﴾ فقصمها عن سوء ﴿إن ربي غفور رحيم﴾ .

﴿٥٤﴾ وقال الملك ائتوني به ﴿أي بيوسف عليه السلام﴾ استخلصه لنفسي ﴿أجعله خالصاً نفسي﴾ فلما كلمه ﴿كلم الملك يوسف عليه السلام وعرف فضله وعقله﴾ قال إنك اليوم لدينا مكين ﴿ذو قدرة وجاه﴾ أمين ﴿مأمون على أمرنا﴾ .

﴿٥٥﴾ قال ﴿يوسف عليه السلام﴾ للملك : ﴿اجعلني على خزانة المال في الأرض﴾ أرض مصر ﴿إني حفيظ﴾ أحفظها ﴿عليم﴾ عالم بأمورها وكيفية الإدارة .

﴿٥٦﴾ وكذلك مكنا ليوسف في الأرض ﴿أرض مصر﴾ ﴿يتبوأ﴾ ينزل ﴿منها﴾ من مصر ﴿حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء﴾ ممن توفرت فيهم الأهلية ﴿ولا نضيع أجر المحسنين﴾ بل نوفهم أجورهم .

﴿٥٧﴾ ولأجر الآخرة خير ﴿من أجر الدنيا﴾ للذين آمنوا وكانوا يتقون ﴿الشرك والمعاصي﴾ .

﴿٥٨﴾ و ﴿لما صار القحط أخذ يوسف عليه السلام يوزع الطعام على أهل البلاد﴾ وجاء أخوة يوسف ﴿من بلدهم لأجل شراء الطعام﴾ فدخلوا عليه فعرّفهم ﴿يوسف عليه السلام﴾ وهم له منكرون ﴿أي لم يعرفوه﴾ .

﴿٥٩﴾ ولما جهّزهم بجهازهم ﴿بأن أوفر لكل واحد منهم كيل بعير﴾ قال ﴿يوسف عليه السلام﴾ : ﴿ائتوني﴾ في المرة الثانية ﴿بأخ لكم من أبيكم﴾ لا من أمكم وهو بنيامين ﴿ألا ترون أني أوفي الكيل﴾ أتم الكيل لكم ﴿وأنا خير المنزلين﴾ للضيف، أحسن ضيافتكم .

﴿٦٠﴾ فإن لم تأتوني به ﴿بأخيكم﴾ فلا كيل لكم عندي ﴿لا أعطيكم الطعام ولا تقربون﴾ أي لا تقربوا مني ولا تدخلوا عليّ .

﴿٦١﴾ قالوا ستراد عنه أباه ﴿سنطلبه من الأب بكل جهدنا بتركّار طلبنا منه﴾ وإنا لفاعلون ﴿ذلك﴾ .

﴿٦٢﴾ وقال ﴿يوسف عليه السلام﴾ : ﴿لفتياته﴾ غلمانه الذين يكيلون ﴿اجعلوا بضاعتهم﴾ التي اشتروا بها الطعام ﴿في رحالهم﴾ أوعيتهم تفضلاً وخوفاً من أن لا يكون عند يعقوب عليه السلام ثمن آخر لطعام يريدون شراءه جديداً ﴿لعلهم يعرفونها﴾ يعرفون الفضيلة ليوسف عليه السلام في ردها عليهم ﴿إذا انقلبوا إلى أهلهم﴾ رجعوا إليهم وفتحوا المتاع ﴿لعلهم يرجعون﴾ لعل معرفتهم ذلك تدعوهم إلى الرجوع .

﴿٦٣﴾ فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا يا أبانا منع منا الكيل ﴿يمنع منا العطاء﴾ إن لم نذهب ببنيامين ﴿فأرسل معنا أخانا نكتل﴾ نأخذ الكيل ﴿وإنا له لحافظون﴾ من أن يناله مكروه .

﴿٥٣﴾ وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٣﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْهَا ﴿٥٥﴾ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نَصِيبٌ بِرَحْمَتِنَا مِنْ شَاءَ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ وَكَأَنَّا إِخْوَةٌ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَّفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلا تَرَوْنَ أَنِّي أُوْفِي الْكِيلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونَنِي ﴿٦٠﴾ قَالُوا سَتَرَدُّ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفَتَاتِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكِيلَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٦٣﴾

[٦٤] ﴿قَالَ هَلْ آمَنْتُمْ عَلَيَّ إِلَّا كَمَا آمَنْتُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ﴾ يوسف عليه السلام ﴿مَنْ قِيلَ﴾ وقد قلتم إنا له لحافظون فلم تفوا، فلا آمنكم عليه ﴿فَاللَّهُ خَبِيرٌ حَافِظٌ﴾ من حفظكم ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.

[٦٥] ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ﴾ أوعية طعامهم ﴿وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ﴾ ثمن الطعام ﴿رَدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي﴾ أي شيء نطلب من إحسان الملك زيادة على هذا حيث رد الثمن إلينا ﴿هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رَدَّتْ إِلَيْنَا وَ﴾ إذا أرسلت بنيامين معنا ﴿نَمِيرُ أَهْلَنَا﴾ أي نجلب إليهم الميرة وهي الطعام ﴿وَنَحْفِظُ أَخَانَا وَنَزِدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾ لأنه كان يعطي لكل إنسان مقدار حمل بعير ﴿ذَلِكَ﴾ الذي جئنا به ﴿كَيْلَ يَسِيرٍ﴾ قليل لا يكفينا فإذا جاء الأخ زادنا كيلاً.

[٦٦] ﴿قَالَ﴾ يعقوب عليه السلام : ﴿لَنْ أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ﴾ تعطوني ﴿مَوْثِقًا﴾ عهداً ﴿مِنَ اللَّهِ ثَلَاثَتِي بَه﴾ بأن ترجعوا بنيامين إليّ ﴿إِلَّا أَنْ يَحَاطَ بِكُمْ﴾ تغلبوا حتى لا تقدرُوا على إرجاعه بدون اختياركم ﴿فَلَمَّا أَتَوْهُ﴾ أعطى الأخوة أباهم ﴿مَوْثِقَهُمْ﴾ عهدهم ﴿قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ شاهد مطلع.

[٦٧] ﴿وَقَالَ﴾ يعقوب عليه السلام : ﴿يَا بَنِيَّ﴾ يا أولادي ﴿لَا تَدْخُلُوا﴾ مصر ﴿مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ﴾ حتى لا يصيبكم الناس بالعين ﴿وَمَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ مَتَاعُكُمْ﴾

من الله من شيء ﴿فَإِنِّي لَا أَتَمَكِّنُ مِنْ رَدِّ قِضَاءِ اللَّهِ إِذَا شَاءَ شَيْئًا﴾ وإنما على المرء التدبير في أمره ﴿إِنْ﴾ ما ﴿الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ فهو قادر على أن يحفظكم ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ يفوضوا أمرهم إليه.

[٦٨] ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ﴾ من أبواب مختلفة ﴿مَا كَانَ يُفِيدُ رَأْيَ يَعْقُوبَ عليه السلام عَنْهُمْ﴾ عن الأولاد ﴿مَنْ﴾ قضاء ﴿اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ فإن حكم الله كان جارياً فيهم، كما قال يعقوب، ولذا بقي بنيامين في مصر حيث أراد الله ذلك ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿حَاجَةٌ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قِضَاهَا﴾ شفقة في نفس يعقوب عليه السلام عليهم أظهرها لهم ﴿وَإِنَّهُ﴾ يعقوب عليه السلام ﴿لَذُو عِلْمٍ لَمَّا عَلِمْنَاهُ﴾ لتعليمنا إياه، ولذا قال (وما أغني ..) ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن القدر يجري ولا يتفعل عنه الحذر.

[٦٩] ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا﴾ الأخوة ﴿عَلَىٰ يَوْسُفَ آوَى﴾ ضم يوسف عليه السلام ﴿إِلَيْهِ﴾ إلى نفسه ﴿أَخَاهُ﴾ بنيامين ﴿قَالَ﴾ يوسف عليه السلام له : ﴿إِنِّي أَنَا أَخُوكَ﴾ من الأبوين ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ﴾ لا تحزن ﴿بِمَا كَانُوا﴾ الأخوة ﴿يَعْمَلُونَ﴾ في حقنا حيث اتهموا بنيامين بالسرقة وألقوا يوسف عليه السلام في الجب.

قَالَ هَلْ آمَنْتُمْ عَلَيَّ إِلَّا كَمَا آمَنْتُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَأَلَّهَ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رَدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رَدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفِظُ أَخَانَا وَنَزِدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلُ يَسِيرٍ ﴿٦٥﴾ أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا أَتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَبْنَئِي لَأَتَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قِضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لَمَّا عَلِمْنَاهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يَوْسُفَ أَوْتَوْا إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾

[٧٠] ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَتَتْهَا أَعْيُنُكَ لَسْرِقُونَ﴾ ﴿٧١﴾ ﴿قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقَدُونَ﴾ ﴿٧٢﴾ ﴿قَالُوا نَفَقْدُ صُوعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾ ﴿٧٣﴾ ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَآجِنَنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَرِيقِينَ﴾ ﴿٧٤﴾ ﴿قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ﴾ ﴿٧٥﴾ ﴿قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن يُجِدْ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٧٦﴾ ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وَعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وَعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ تَرْفَعُ دَرَجَتٍ مِّنْ نَّشَأُهُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿٧٧﴾ ﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُمْ قَبْلَ فَأَسْرَهَا يَوْسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبَيِّدْهَا لَهُمْ قَالِ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ ﴿٧٨﴾ ﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدُنَا مَكَانَهُ وَإِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿٧٩﴾

[٧١] ﴿قَالُوا﴾ أصحاب العير: ﴿وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ﴾ على أصحاب يوسف ﷺ وقلوا لهم: ﴿مَاذَا تَفْقَدُونَ﴾ ماذا فقدتموه حتى تتهمونا بالسرقة.

[٧٢] ﴿قَالُوا نَفَقْدُ صُوعَ الْمَلِكِ﴾ صاعه ﴿وَلِمَن جَاءَ بِهِ﴾ بالصواع جائزة ﴿حِمْلُ بَعِيرٍ﴾ من الطعام ﴿وَأَنَا بِهِ﴾ بإعطاء الحمل ﴿زَعِيمٌ﴾ كفيل.

[٧٣] ﴿قَالُوا تَاللَّهِ أَيُّ وَاللَّهِ﴾ لقد علمتم ﴿لما رأيتم من حسن معاشرتنا وأمانتنا في مدة ضيافتكم لنا﴾ ﴿مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ﴾ بالسرقة ﴿وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾ مدة عمرنا.

[٧٤] ﴿قَالُوا﴾ أصحاب الملك للأخوة: ﴿فَمَا جَزَاؤُهُ﴾ جزاء السرقة ﴿إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ﴾ بأن ظهر الصواع لديكم.

[٧٥] ﴿قَالُوا﴾ الأخوة: ﴿جَزَاؤُهُ﴾ جزاء السرقة، استرقاق ﴿مَن وَجَدَ فِي رَحْلِهِ﴾ فإن شريعة يعقوب ﷺ كانت على استرقاق المسروق منه للسارق، فـ(جَزَاؤُهُ) مبتدأ و(مَن) خبره ﴿فَهُوَ السَّارِقُ﴾ جَزَاؤُهُ﴾ جزاء السرقة، أي السرقة ﴿كَذَلِكَ﴾ هكذا ﴿نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ في السرقة.

[٧٦] ﴿فَبَدَأَ﴾ المؤذن ﴿بِ﴾ فنش ﴿أَوْعِيَّتِهِمْ﴾ ورحالهم ﴿قَبْلَ﴾ فنش ﴿وَعَاءِ أَخِيهِ﴾ بنيامين ﴿ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا﴾ أخرج الصواع ﴿مِنْ وَعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ﴾ هكذا ﴿كِدْنَا﴾ هيأنا ﴿لِيُوسُفَ﴾ أخذ أخيه بنيامين، والكيد عبارة عن جعل الصواع في رحل الأخ أولاً، ثم أنه طلب من الأخوة تقرير جزاء السارق لأنه ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ﴾ يوسف ﷺ ﴿أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾ إذ كان قانون مصر في أمر السارق أن يضرب ويغرم ضعف السرقة ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ أي لكن بمشيئة الله أخذ الأخ بما ظهر حسب شريعة يعقوب ﷺ ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ﴾ كما رفعا درجة يوسف ﷺ ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ حتى ينتهي إلى الله فهو أعلم من الجميع، ولعل هذا الكيد كان لأجل امتحان يعقوب ﷺ، وليس فيه كذب من يوسف ﷺ.

[٧٧] ﴿قَالُوا﴾ الأخوة: ﴿إِنْ يَسْرِقْ﴾ بنيامين ﴿فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ﴾ أي يوسف ﷺ ﴿مِنْ قَبْلَ﴾ فإن عمه يوسف ﷺ كانت تحب يوسف ﷺ وأراد أبوه انتزاعه منها فشدد منطقة أبيها على وسطه تحت ثيابه وبعثت به إلى أبيه وقالت سرقت المنطقة فوجدت عليه وكان الحكم أن يدفع السارق إلى المسروق منه فدفع يوسف ﷺ إليها ﴿فَأَسْرَهَا﴾ أخفى هذه النسبة بالسرقة ﴿يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبَيِّدْهَا﴾ لم يظهرها ولم يَحْكُ ﴿لَهُمْ﴾ حقيقة قصة العمه ﴿قَالَ﴾ يوسف ﷺ في نفسه: ﴿أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانٍ﴾ منزلة فيما فعلتم من أمر يوسف ﷺ ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ من سرقة يوسف ﷺ، فإنه يعلم أنه لم يسرق.

[٧٨] ﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ﴾ وكانوا يعبرون عن الملك بالعزير ﴿إِنْ لَهُ﴾ لبنيامين ﴿أَبًا شَيْخًا﴾ في السن ﴿كَبِيرًا﴾ في القدر ﴿فَخُذْ أَحَدُنَا مَكَانَهُ﴾ عوض بنيامين ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ إلينا.

فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَتَتْهَا أَعْيُنُكَ لَسْرِقُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقَدُونَ ﴿٧٢﴾ قَالُوا نَفَقْدُ صُوعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٧٣﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَآجِنَنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَرِيقِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٧٥﴾ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن يُجِدْ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وَعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وَعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ تَرْفَعُ دَرَجَتٍ مِّنْ نَّشَأُهُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُمْ قَبْلَ فَأَسْرَهَا يَوْسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبَيِّدْهَا لَهُمْ قَالِ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٨﴾ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدُنَا مَكَانَهُ وَإِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٩﴾

هكذا ﴿نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ في السرقة.

﴿فَبَدَأَ﴾ المؤذن ﴿بِ﴾ فنش ﴿أَوْعِيَّتِهِمْ﴾ ورحالهم ﴿قَبْلَ﴾ فنش ﴿وَعَاءِ أَخِيهِ﴾ بنيامين ﴿ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا﴾ أخرج الصواع ﴿مِنْ وَعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ﴾ هكذا ﴿كِدْنَا﴾ هيأنا ﴿لِيُوسُفَ﴾ أخذ أخيه بنيامين، والكيد عبارة عن جعل الصواع في رحل الأخ أولاً، ثم أنه طلب من الأخوة تقرير جزاء السارق لأنه ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ﴾ يوسف ﷺ ﴿أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾ إذ كان قانون مصر في أمر السارق أن يضرب ويغرم ضعف السرقة ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ أي لكن بمشيئة الله أخذ الأخ بما ظهر حسب شريعة يعقوب ﷺ ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ﴾ كما رفعا درجة يوسف ﷺ ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ حتى ينتهي إلى الله فهو أعلم من الجميع، ولعل هذا الكيد كان لأجل امتحان يعقوب ﷺ، وليس فيه كذب من يوسف ﷺ.

[٧٨] ﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ﴾ وكانوا يعبرون عن الملك بالعزير ﴿إِنْ لَهُ﴾ لبنيامين ﴿أَبًا شَيْخًا﴾ في السن ﴿كَبِيرًا﴾ في القدر ﴿فَخُذْ أَحَدُنَا مَكَانَهُ﴾ عوض بنيامين ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ إلينا.

[٧٩] **﴿قَالَ﴾** يوسف **﴿عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾** : **﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾** نعوذ بالله معاذاً^(١) من **﴿أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مِنْ وَجْدِنَا مُتَاعِنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذَا لَطَلُمُونَ﴾** في مذهبكم لأن دينهم أخذ السارق لا أخذ غيره مكانه .

[٨٠] **﴿فَلَمَّا اسْتِأْسَأُوا مِنْهُ﴾** يشسوا من إجابة يوسف **﴿عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾** إلى طلبهم **﴿خُلُصُوا﴾** اعتزلوا ناحية **﴿نَجِيًّا﴾** ينجي بعضهم بعضاً فيما يفعلون **﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ﴾** كبير الأخوة **﴿أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذُنَ لِيَ أَبِي أَوْ بَحُكَمَ اللَّهِ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾** **﴿أَرْجِعُوا إِلَى آبَيْكُمْ فَقُولُوا يَبَا أَبَانَا إِنَّكَ سَرَقْتَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾** **﴿وَسُئِلَ الْقُرَيْةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَدُوقُونَ﴾** **﴿٨١﴾** قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ **﴿٨٢﴾** وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَبَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ خُذْتُ مِنْكُمْ مِيثَاقًا وَابْتِغَيْتُ عَنْهُ مِنَ الْخَزِينِ فَهُوَ كَظِيمٌ **﴿٨٣﴾** قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتُنَا تَذَكَّرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ **﴿٨٤﴾** قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ **﴿٨٥﴾**

[٨١] فتدخل الأخ الكبير وقال لسائر الأخوة **﴿ارْجِعُوا إِلَى آبَيْكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ﴾** حسب الظاهر **﴿وَمَا شَهِدْنَا﴾** عليه **﴿إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا﴾** من إخراج الصاع من رحله **﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾** لم نعلم الغيب حين أعطيناك الموثوق بأن نرجعه إليك .

[٨٢] **﴿وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾** أي مصر بأن تبعت إلى أهلها فتسألهم عن القصة **﴿وَالْعِيرَ﴾** أصحاب القافلة **﴿الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾** جئنا من مصر معها **﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾**

في كلامنا .

[٨٣] **﴿قَالَ﴾** يعقوب **﴿عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾** : **﴿بَلْ سَوَّلَتْ﴾** زينت **﴿لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا﴾** فصنعتموه وذلك بأن جعلتم الحكم حسب حكم شريعتي لا حكم دين الملك **﴿فَدَ﴾** أمري **﴿صَبْرٌ جَمِيلٌ﴾** لا جزع فيه **﴿عَسَى اللَّهُ﴾** لعل الله **﴿أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ﴾** بيوسف **﴿عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾** وبنيامين وأكبر الأخوة الذي بقي في مصر **﴿جَمِيعًا﴾** إنه هو العليم **﴿بِحَالِنَا﴾** **﴿الْحَكِيمُ﴾** يصنع حسب الحكمة .

[٨٤] **﴿وَتَوَلَّى﴾** أعرض يعقوب **﴿عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾** **﴿عَنْهُمْ﴾** وقال يا أسفى **﴿أَيُّهَا الْأَسْفُ بِمَعْنَى طُولِ الْحُزْنِ أَحْضَرُ فَهَذَا وَقْتُكَ﴾** على يوسف وابتضت عيناه من الحزن **﴿فَإِنْ طُولُ الْبُكَاءِ يُوْجِبُ غَشَاوَةَ بَيَاضٍ عَلَى الْعَيْنِ﴾** **﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾** ممتلئ حزناً .

[٨٥] **﴿قَالُوا﴾** أي الأولاد : **﴿تَاللَّهِ﴾** قسماً بالله **﴿تَفْتُنَا﴾** لا تزال **﴿تَذَكَّرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا﴾** مشرفاً على الموت **﴿أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾** بأن تموت .

[٨٦] **﴿قَالَ﴾** يعقوب **﴿عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾** : **﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي﴾** أي الهم الذي لا يصبر عليه حتى يبت **﴿وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾** لا إليكم ، حتى تلوموني **﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ﴾** من رحمته **﴿مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾** أنتم .

[٨٧] ﴿يَا بَنِي إِدْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا﴾ تفحصوا في مصر ﴿مَنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ بنيامين ﴿وَلَا تَبْاسُوا﴾ لا تقنطوا ﴿مَنْ رُوحَ اللَّهِ﴾ رحمته وفرجه ﴿إِنَّهُ لَا يَبْاسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ﴾ فإن الكافر لا يعتقد بالله فيقنط .

[٨٨] ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا﴾ بعد أن ذهبوا مرة ثالثة إلى مصر لأجل الطعام ﴿عَلَيْهِ﴾ على يوسف عليه السلام ﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسْنَا﴾ شملنا ﴿وَأَهْلُنَا﴾ وشمل أهلنا ﴿الضَّرُّ الْجُوعُ﴾ وجئنا ببضاعة مزجاة رديئة قليلة ﴿فَأَوْفَ﴾ أتم ﴿لَنَا الْكِيلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا﴾ تفضل علينا بالزيادة ﴿إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ .

[٨٩] ﴿قَالَ﴾ يوسف عليه السلام : ﴿هَلْ عَلِمْتُمْ﴾ تذكرون ﴿مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ حيث كانوا يحتقرون بنيامين ويذلونه ﴿إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾ فإن عمل القبيح لا يصدر إلا عن جاهل .

[٩٠] ﴿قَالُوا إِنْكَ لَا تُتُّ يُوسُفَ﴾ استفهام تقرير لأنهم عرفوه حين ذاك ﴿قَالَ أَنَا يُوسُفَ وَهَذَا أَخِي﴾ قاله عليه السلام على سبيل التأكيد لكونه يوسف ، إذ أنهم كانوا يعرفون الأخ ﴿قَدْ مِنَ اللَّهِ عَلَيْنَا﴾ بالسلامة والكرامة ﴿إِنَّهُ مِنْ يَتَّقِ اللَّهَ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ .

[٩١] ﴿قَالُوا تَاللَّهِ وَاللَّهِ﴾ لقد أترك الله اختارك ﴿عَلَيْنَا وَإِنْ﴾ مخففة من الثقيلة ﴿كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾ فيما فعلنا بك .

[٩٢] ﴿قَالَ﴾ يوسف عليه السلام : ﴿لَا تُثْرِبْ﴾ توبيخ ﴿عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ﴾ فإني لا أوبخكم مع قدرتي ﴿يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ طلب يوسف عليه السلام من الله المغفرة لهم ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ .

[٩٣] ﴿إِذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا﴾ وقد كان جيء به من الجنة ولذا كانت له رائحة طيبة تعرف من مسافات بعيدة ﴿فَأَلْقَوْهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ﴾ يرجع أبي ببركة هذا القميص ﴿بَصِيرًا﴾ بعد أن ابيضت عيناه ﴿وَأَتُونِي﴾ إلى مصر ﴿بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ .

[٩٤] ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ﴾ انفصلت القافلة بأن خرجت من مصر ﴿قَالَ أَبُوهُمْ﴾ لمن حضره : ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تَفْنَدُونَ﴾ تنسوني إلى الفند أي نقصان العقل ، أي لولا التفنيد لصدقتموني .

[٩٥] ﴿قَالُوا﴾ الحاضرون : ﴿تَاللَّهِ وَاللَّهِ﴾ إنك لفي ضلالك ذهابك عن الصواب ﴿الْقَدِيمِ﴾ من إكثار ذكر يوسف عليه السلام عبثاً .

يَبْنِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَابَسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَابَسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسْنَا وَأَهْلُنَا الضَّرُّ وَجِئْنَا بِبُضْعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفَ لَنَا الْكِيلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوا إِنْكَ لَا تُتُّ يُوسُفَ قَالَ أَنَا يُوسُفَ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مِنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ أَتَرَكْنَا اللَّهَ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تُثْرِبْ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾ أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقَوْهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأَتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تَفْنَدُونَ ﴿٩٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾

يَبْنِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَابَسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَابَسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسْنَا وَأَهْلُنَا الضَّرُّ وَجِئْنَا بِبُضْعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفَ لَنَا الْكِيلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوا إِنْكَ لَا تُتُّ يُوسُفَ قَالَ أَنَا يُوسُفَ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مِنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ أَتَرَكْنَا اللَّهَ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تُثْرِبْ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾ أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقَوْهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأَتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تَفْنَدُونَ ﴿٩٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾

[٩٦] ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ الْمُبَشِّرُ بِوُجُودِ يَوْسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾
 ﴿الْقَاهِ﴾ الْقَمِيصُ ﴿عَلَى وَجْهِهِ﴾ وَجْهَ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
 ﴿فَارْتَدَّ﴾ رَجَعَ ﴿بَصِيرًا﴾ بَعْدَ ابْيَاضِ الْعَيْنِ ﴿قَالَ﴾
 يَعْقُوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾
 تَعْلَمُونَ ﴿مِنْ رَحْمَتِهِ وَمِنْ حَيَاةِ يَوْسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾ .

[٩٧] ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ اطلب من الله
 غفرانها، وفيه دلالة التزامية على طلب غفرانه لهم أيضاً
 ﴿إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ فيما فعلناه بيوسف عليه السلام .

[٩٨] ﴿قَالَ سَوْفَ اسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾ يقال إنه عليه السلام أراد
 تأخير الاستغفار إلى سحر الجمعة لأنه وقت استجابة
 الدعاء ﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ .

[٩٩] ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا الْعَائِلَةَ بِأَجْمَعِهِمْ﴾ على يوسف
 أوى ﴿إِلَيْهِ﴾ إلى نفسه، وقد استقبلهم خارج مصر
 ﴿أَبُوهُ وَقَالَ لَهُمْ﴾ : ﴿ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمَنِينَ﴾ من
 كل مكروه .

[١٠٠] ﴿وَرَفَعَ أَبُوهُ﴾ معه ﴿عَلَى الْعَرْشِ﴾ سرير الملك
 ﴿وَوَحَرُوا﴾ أي سقط أهله ﴿لَهُ﴾ ليوسف عليه السلام ﴿سَجْدًا﴾
 ساجدين، إما لله تعالى احتراماً ليوسف عليه السلام، أو
 ليوسف عليه السلام لأنه كان جائزاً في ذلك الدين كما قيل،
 وهكذا قيل في سجدة الملائكة لآدم عليه السلام، وإنما لا تجوز
 سجدة العبادة إلا لله تعالى ﴿وَقَالَ﴾ يوسف عليه السلام : ﴿يَا

أَبْتَ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ﴾ في أيام الصبا ﴿قَدْ جَعَلَهَا﴾ جعل الرؤيا ﴿رَبِّي حَقًّا﴾ صدقاً مطابقاً للواقع حيث نلت
 الملك ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ﴾ ربي ﴿بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾ لعله لم يذكر خروجه من الحب لئلا يستفز الأخوة ﴿وَجَاءَ بِكُمْ﴾
 من البدو ﴿الْبَادِيَةِ﴾، فإنهم سكنوا البادية لأجل مواشيهم وزرعهم ﴿مَنْ بَعْدَ أَنْ نَزَعَ﴾ أفسد ﴿الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنْ﴾
 ربي لطيف ﴿فِي تَدْبِيرِهِ﴾ لما يشاء إنه هو العليم ﴿بُوجُوهِ الصَّلَاحِ﴾ العليم يفعل كل شيء حسب الصلاح .

[١٠١] ثم توجه يوسف عليه السلام إلى الله شاكراً قائلاً : يا ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ﴾ بعض السلطة، وهي السلطة على
 مصر ونواحيها ﴿وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ تعبير الرؤيا ﴿فَاطْفَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ خالقهما ﴿أَنْتَ وَلِيِّي﴾ ناصرني
 ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي﴾ اقْبِضْ رُوحِي حِينَ الْمَوْتِ فِي حَالِ كُونِي ﴿مُسْلِمًا وَالْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ من الأنبياء
 والأولياء عليه السلام .

[١٠٢] ﴿ذَلِكَ﴾ الذي ذكر من قصة يوسف عليه السلام ﴿مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ﴾ الأخبار التي هي غائبة عنك ﴿نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ يا
 رسول الله ﷺ ﴿وَمَا كُنْتُ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا﴾ الأخوة ﴿أَمْرَهُمْ﴾ في إلقاء يوسف عليه السلام في الحب ﴿وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾
 يحتالون للخلاص منه .

[١٠٣] ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ﴾ على إيمانهم ﴿بِمُؤْمِنِينَ﴾ لك وإن أتيت إليهم بأخبار غيبية .

فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ الْفَنَّهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ
 أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا
 يَتَابَنَّا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ
 اسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا
 دَخَلُوا عَلَى يَوْسُفَ أَوْحَى إِلَيْهِ أَبُوهُ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ
 إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمَنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبُوهُ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا
 لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَأْتِبْتَ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا
 رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ
 مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنْ
 رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ رَبِّ
 قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطْفَرَ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي
 مُسْلِمًا وَالْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿١٠١﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ
 نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتُ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ
 ﴿١٠٢﴾ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾

[١٠٤] ﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ﴾ على التبليغ ﴿مَنْ أَجْرُ إِنْ﴾ ما هو ﴿الْقُرْآنَ﴾ إلا ذكر للعالمين ﴿فَمَنْ شَاءَ تَذَكَّرْ وَمَنْ شَاءَ عَانِدٌ﴾.

[١٠٥] ﴿وَكَايْنٍ﴾ وكَم ﴿مَنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ دالة على الله سبحانه ﴿يَمُرُّونَ﴾ الكفار ﴿عَلَيْهَا﴾ على تلك الآيات ﴿وَهُمْ عَنْهَا مَعْرِضُونَ﴾ لا يفكرون فيها ليؤمنوا بالله.

[١٠٦] ﴿وَمَا يَوْمَنْ أَكْثَرَهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ إذ يشركون بالله الأصنام.

[١٠٧] ﴿أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ﴾ عقوبة تغشاهم ﴿مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ﴾ القيامة ﴿بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ باتيانها إذ لا علامة لها قبل ذلك مباشرة، والاستفهام للتحذير، أي لا يأمن الكفار من ذلك.

[١٠٨] ﴿قُلْ هَذِهِ﴾ الدعوة إلى الإيمان ﴿سَبِيلِي﴾ طريقي ﴿أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى﴾ في حال كوني على ﴿بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ من المسلمين فليس إيماننا إيمان الجاهل والمقلدين ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ﴾ أنزهه عن الشركاء ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

[١٠٩] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ﴾ كما أوحى إليك ﴿مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ البلاد، ولم يكونوا ملائكة ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ

الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من مكذبي الرسل حتى يخافوا أن يصيبهم كما أصاب المكذبين ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ﴾ الحياة الآخرة ﴿خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الشك والمعاصي ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أفلا تستعملون عقولكم لتدركوا هذه الحقائق.

[١١٠] ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ﴾ يتسوا من إيمان الناس ﴿وَوُظِنُوا أَنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا﴾ إن قومهم كذبوهم تكذيباً لا إيمان منهم بعد ذلك ﴿جَاءَهُمْ نَصْرُنَا﴾ بالتفاف الناس حولهم ونصرتهم على أعدائهم ﴿فَنَجَّى مِنْ نَشْأَةٍ﴾ من المؤمنين ﴿وَلَا يُرَدُّ بِأَسْنَا﴾ عذابنا ﴿عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ إذا عاندوا في الكفر.

[١١١] ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ﴾ قصة الأنبياء ﷺ والأمم ﴿عِبْرَةٌ﴾ اعتبار وتذكرة ﴿لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ أصحاب العقول ﴿مَا كَانَ﴾ ما ذكرناه من القرآن ﴿حَدِيثًا يُفْتَرَى﴾ مكذباً ﴿وَلَكِنْ﴾ القرآن ﴿تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ فإن القرآن مصدق للكتب السابقة ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إلى الشرح والتفصيل من أمور الدين والدنيا ﴿وَهُدًى﴾ دلالة إلى الرشاد ﴿وَرَحْمَةً﴾ نعمة ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ بالله واليوم الآخر، وخصهم لأنهم المتفعون بالقرآن.

وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾
وَكَايْنٍ مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يَوْمَنْ أَكْثَرَهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّى إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَوُظِنُوا أَنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنَجَّى مِنْ نَشْأَةٍ وَلَا يُرَدُّ بِأَسْنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾

١٣: سورة الرعد

مدنية آیاتها ثلاث وأربعون

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

[١] ﴿المر﴾ رمز بين الله ورسوله ﷺ ﴿تلك﴾ هذه هي ﴿آيات الكتاب﴾ القرآن ﴿والذي أنزل إليك﴾ أي القرآن ﴿من ربك الحق﴾ خبر (الذي) ﴿ولكن أكثر الناس لا يؤمنون﴾ لتركهم التدبر في القرآن.

[٢] ﴿الله الذي رفع السماوات بغير عمد﴾ جمع عمود ﴿وترونها﴾ ترون السماوات مرفوعة بلا عمد، وهذه الآية لبيان الأدلة على وجود الصانع الموجب للتصديق به ﴿ثم استوى﴾ استولى أو توجه بالتدبير ﴿على العرش﴾ عرش الملك ﴿وسخر الشمس والقمر﴾ ذللهما لمنافع العباد ﴿كل يجري لأجل مسمى﴾ لمدة معينة قد سميت ﴿يدبر الأمر﴾ أمر الكون حسب الصلاح ﴿يفضل الآيات﴾ ينزلها مشروحة واضحة ﴿لعلكم توفقون﴾ لأن الكون والآيات دالة على قدرة الله فيقدر على البعث الذي فيه لقاء الحساب والجزاء منه تعالى .

[٣] ﴿وهو الذي مد الأرض﴾ بسطها لمنافع الناس ﴿وجعل فيها رواسي﴾ جبالاً ثابتات ﴿وأنهاراً﴾ ومن كل الشمرات جعل فيها ﴿في الأرض﴾ زوجين ﴿ضعفين﴾

﴿اثنين﴾ للتأكيد، ذكرنا وأنشئ، أو كالحلو والحامض والكبير والصغير والمفيد والضار ﴿يفشي الليل النهار﴾ أي يلبس الليل بظلمته النهار، وترك العكس للعلم به ﴿إن في ذلك﴾ الذي سبق ﴿آيات لقوم يتفكرون﴾ في الكون.

[٤] ﴿وفي الأرض قطع متجاورات﴾ بقاع متلاصقات ولكل قطعة كيفية خاصة كالسبخة والمالحة والطيبة وما أشبه ﴿وجنات﴾ بساتين ﴿من أعناب وزرع﴾ كالحنطة والخضروات ﴿ونخيل صنوان﴾ جمع صنو وهي نخلات أصلها واحد ﴿وغير صنوان﴾ متفرقة الأصول ﴿يسقي بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل﴾ في الثمر طعماً ولوناً وشكلاً ﴿إن في ذلك﴾ الذي ذكر ﴿آيات لقوم يعقلون﴾ يستعملون عقولهم.

[٥] ﴿وان تعجب﴾ يا رسول الله من تكذيبهم رسالتك ﴿فمعجب قولهم﴾ فحقيق بأن تعجب أيضاً من إنكارهم البعث ﴿إذا كنا تراباً﴾ أنا لفي خلق جديد ﴿بأن نحى للمعاد﴾ أولئك المتكرون للبعث هم ﴿الذين كفروا بربهم﴾ لأنهم كفروا بقدرة الله على المعاد ﴿وأولئك الأغلال﴾ في أعناقهم ﴿يوم القيامة﴾ أولئك أصحاب النار الملازمون لها ﴿هم فيها خالدون﴾.

سُورَةُ الرَّعْدِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْمَرْ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَاراً وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى الْأَشْجَارُ أَثْثَارٌ لِّئَلَّا يُبْذَرَ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجِنتٌ مِنْ عَذْوَابٍ وَزَّرَعَ وَنَخِيلٌ مُّصْنُونَ وَغَيْرُ مُّصْنُونَ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضْلُ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَذًا كُنَّا تَرَاباً نَالَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أَوَلَيْكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٥﴾

[٦] ﴿وَيَسْتَعِجْلُونَكَ بِالْسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [٦] وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ [٧] اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ [٨] عَلَى الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ [٩] سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ [١٠] لَمْ تُعْقِبَتْ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرَ أَمَّا أَنْفُسُهُمْ إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ آلٍ [١١] هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ [١٢] وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ [١٣]

[٧] ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةٌ﴾ مثل ناقة صالح عليه السلام وعصا موسى عليه السلام ﴿مَنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ﴾ لهم فيكفي أن تأتيهم بما تثبت به نبوتك من المعجزات لا بما يقترح هؤلاء ﴿ولكل قوم هاد﴾ قسم خاص من الهادي يزود بقسم خاص من المعجزات التي تلائم عصره.

[٨] ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى﴾ من الولد والبنت، الجميل والقيبح، السعيد والشقي، إلى غيرها من الأوصاف ﴿وما تغيض الأرحام﴾ تنقص ﴿وما تزداد﴾ من صغر جثة الجنين وكبرها، كأن الرحم غاضت ولذا صغر الولد، أو ازدادت ولذا كبر ﴿وكل شيء عنده بمقدار﴾ لا يتجاوزه صغراً ولا كبراً.

[٩] ﴿عالم الغيب﴾ ما غاب عن الحواس ﴿والشهادة﴾ ما كان محسوساً ﴿الكبير المتعال﴾ العالي.

[١٠] ﴿سواء﴾ عند الله وفي علمه ﴿منكم﴾ متعلق بما بعده ﴿من أسر القول﴾ في نفسه ﴿ومن جهر به﴾ أظهره ﴿ومن هو مستخف بالليل﴾ مستتر بظلمته ﴿وسارب﴾ سالك طريقه، من سرب إذا برز ﴿بالنهار﴾.

[١١] ﴿له﴾ لكل واحد من أولئك الأربعة ﴿معقبات﴾ ملائكة يتعاقبون في حفظه ﴿من بين يديه﴾ أمامه ﴿ومن خلفه﴾ ورائه ﴿يحفظونه﴾ من المهلكات حفظاً ناشئاً ﴿من أمر الله﴾ فإن الله يأمر بذلك ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ فإذا غيروا أحوالهم الحسنة إلى السيئة غير الله ما بهم من الرخاء إلى الشدة، وكذا العكس ﴿وإذا أراد الله بقوم سوءاً﴾ لأنهم عملوا الآثام ﴿فلا مرد له﴾ أي لا يرد ما أراد بهم من سوء كالبلاء ﴿وما لهم﴾ لذلك القوم ﴿من دونه من آل﴾ يلي أمورهم.

[١٢] ﴿هو الذي يريكم البرق خوفاً﴾ من الصواعق والأمطار المخربة ﴿وطمعا﴾ في الأمطار النافعة ﴿وينشئ﴾ يخلق السحاب الثقيل بالمطر.

[١٣] ﴿ويسبح الرعد﴾ فإن للرعد تسبيح لله وتنزيه له، لأن كل شيء دال على الله سبحانه منزله ﴿بحمده﴾ متلبساً بحمده، إذ كل شيء يدل على صفاته الثبوتية والسلبية ﴿ويسبح﴾ الملائكة ﴿له﴾ ﴿من خيفته﴾ من خوف الله ﴿ويرسل﴾ الله ﴿الصواعق﴾ جمع صاعقة وهي النار التي تسقط من السحاب ﴿فيصيب بها من يشاء﴾ فيهلكه ﴿وهم﴾ هؤلاء الجهال مع مشاهدتهم لهذه الآيات ﴿يجادلون في الله﴾ يخاصمون في وجوده ﴿وهو شديد المحال﴾ الكيد، فإنه تعالى يكيده لأخذ أعدائه ويعالج الأمر بدقة وخفاء.

[١٤] ﴿لَهُ﴾ لله ﴿دعوة الحق﴾ كلمة الإخلاص، وهي شهادة أن لا إله إلا الله ﴿والذين﴾ الأصنام ﴿يدعون﴾ التي يدعوها المشركون ﴿من دونه﴾ دون الله ﴿لا يستجيبون﴾ تلك الأصنام ﴿لهم﴾ لدعاتها ﴿بشيء﴾ من مطالبهم ﴿إلا﴾ استجابة ﴿ك﴾ استجابة ﴿باسط كفيه إلى الماء﴾ يسط كفه نحو الماء ﴿ليبلغ فاه﴾ يطلب بذلك أن يبلغ الماء إلى فيه بانتقاله من مكانه إليه ﴿وما هو ببالغ﴾ فإن البسط للكف نحو الماء لا يفيد في أخذ الماء، وهذا تشبيه لبسطهم كفهم نحو الأصنام ﴿وما دعاء الكافرين﴾ أصنامهم لحوائجهم ﴿إلا في ضلال﴾ عن الإجابة.

[١٥] ﴿ولله يسجد ما في السماوات والأرض طوعاً وكرهاً﴾ فإن الأشياء خاضعة لله سواء أرادت كالإنسان المؤمن، أم لم ترد كالإنسان الكافر فإنه في قبضة الله وخاضع لإرادته ﴿و﴾ يسجد ﴿ظلالهم﴾ فإن ظل الإنسان خاضع لله تعالى ﴿بالقدو﴾ صباحاً ﴿والأصال﴾ أي عصراً جمع أصيل^(١)، وكأنه أريد التشبيه، فكما أن ظل الإنسان خاضع لمقابل اتجاه الشمس وليس تحت إرادته كذلك ذاته خاضعة لله تعالى في الشؤون الكونية.

[١٦] ﴿قل من رب السماوات والأرض قل الله﴾ فإنه الجواب الطبيعي لهذا السؤال ﴿قل﴾ توبيخاً لهم: ﴿أفأنتخذتم من دونه﴾ دون الله ﴿أولياء﴾ أصنام، اتخذتموها ولياً لأنفسكم ﴿لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرراً﴾ فإن الصنم لا ينفع الإنسان ولا يضره ﴿قل هل يستوي الأعمى والبصير﴾ فالمشرك كالأعمى والمؤمن كالبصير ﴿أم هل تستوي الظلمات والنور﴾ فالأول شبيه بالشرك والثاني شبيه بالإيمان ﴿أم﴾ بل ﴿جعلوا لله شركاء﴾ من الأصنام فهل ﴿خلقوا﴾ الأصنام ﴿كخلق الله﴾ كخلق الله ﴿فنتشابه الخلق﴾ خلق الله وخلق الشركاء ﴿عليهم﴾ ولذا اتخذوها شركاء حيث أنها فعلت كفعل الله ﴿قل الله خالق كل شيء﴾ فلا شيء مخلوق للأصنام ﴿وهو الواحد القهار﴾ الذي يقهر كل شيء وكل شيء خاضع له.

[١٧] ﴿أنزل من السماء ماء﴾ مطراً ﴿فسالت﴾ أي جرت ﴿أودية﴾ جمع وادي وهو مسيل الماء ﴿بقدرها﴾ كل واد أخذ من الماء بقدر سعته ﴿فاحتل السيل﴾ الجاري حمل ﴿زبداً﴾ هو الأبيض المتفخ على وجه الماء ﴿رابياً﴾ طافياً عالياً فوق الماء ﴿ومما يوقدون عليه في النار﴾ أي ما يوضع في النار من الفلزات كالذهب والفضة، ويوقد عليه بإلقاء الحطب فوقه لتزويد اشتعال النار، يذاب ﴿ابتغاء حلية﴾ أي طلب الزينة، كالحلي ﴿أو متاع﴾ أي طلب المتاع كصنع الأواني وشبهه ﴿زيد مثله﴾ أي مثل زيد الماء ﴿كذلك﴾ هكذا ﴿يضرب الله﴾ مثل ﴿الحق والباطل﴾ فالحق كالماء والفلز، والباطل كالزبد فوق الماء وفوق الفلز حال السيلان وحال الإذابة، ولعل التمثيل بهذين لبيان أن الحق حياة كالماء وزينة كالفلز ﴿فأما الزبد فيذهب جفاً﴾ باطلاً يرمى به ﴿وأما ما ينفع الناس﴾ من الماء والفلز ﴿فيمكث﴾ يبقى دهوراً ﴿في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال﴾ ليتفكر الناس.

[١٨] ﴿للذين استجابوا﴾ أجابوا ﴿لربهم الحسنى﴾ الصفة الحسنة ﴿والذين لم يستجيبوا له لو أن لهم ما في الأرض﴾ من الثروة ﴿جميعاً ومثله معه﴾ وهذا من باب المثال، وإلا المراد كلما يتصور من الثروة ﴿لافتدوا به﴾ جعلوه فديةً لخلاص أنفسهم ولكن بلا فائدة ﴿أولئك لهم سوء الحساب﴾ الحساب السيئ ﴿وماوهم﴾ محلهم ﴿جهنم وبئس﴾ جهنم ﴿المهاد﴾ الفراش.

لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ شَيْءٌ إِلَّا كَنَسِيطٍ كَثِيرٍ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغٍ وَمَا دَعَا الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿١٤﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْقُدُورِ وَأَلْصَالٍ ﴿١٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلْ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٦﴾ أُنْزِلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءٌ فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُ بَثَلٍ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحَسَنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَا فِتْنَةٌ لَهُمْ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لِيَرْجِعُوا إِلَى اللَّهِ وَأُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ لِلْهَادِثِينَ

[١٩] ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَنْهُ أَعْمَىٰ﴾ ﴿إِنَّمَا يَنْذَرُكَ رَبُّكَ أَنْتَ بَشَرٌ مِثْلُ النَّاسِ﴾ ﴿فَلَا يَسْتَبْصِرُ﴾ ﴿فَلَا يَسْتَجِيبُ﴾ ﴿كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ﴾ ﴿الْقَلْبُ لَا يَسْتَبْصِرُ﴾ ﴿فَلَا يَسْتَجِيبُ﴾ ﴿إِنَّمَا يَنْذَرُكَ أَوَّلُ الْأَلْبَابِ﴾ ﴿أَصْحَابُ الْعُقُولِ﴾.

[٢٠] ﴿الَّذِينَ﴾ ﴿صِفَةٌ (من يعلم)﴾ ﴿يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ ﴿الَّذِي أَخَذَهُ عَلَيْهِمْ بِالْإِيمَانِ﴾ ﴿وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾ ﴿كَمَا يَنْقُضُ الْكَفَّارُ﴾، وهذه عبارة أخرى عن الوفاء بالمعهد.

[٢١] ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ بِوَصْلِ الرِّسَالِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْأَقْرَبَاءِ﴾ ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ ﴿فَلَا يَخَالِفُوهُ﴾ ﴿وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ ﴿أَيَّ الْحِسَابِ السَّيِّئِ﴾، والمراد به في الحساب.

[٢٢] ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ﴾ ﴿طَلَبِ رِضَىٰ﴾ ﴿وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ ﴿أَيَّ ذَاتِهِ﴾ ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ ﴿أَيَّ فِي الْخِفَاءِ وَفِي الْعَلَانِيَةِ﴾، أي في كل حال ﴿وَيُؤْتُونَ﴾ ﴿يُؤْتُونَ﴾ ﴿بِهِ﴾ ﴿وَاسْطَةَ﴾ ﴿الْحَسَنَةِ﴾ ﴿الَّتِي يَأْتُونَ بِهَا﴾ ﴿السَّيِّئَةِ﴾ ﴿فَإِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذَهَبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَقَبَى الدَّارِ﴾ ﴿الْعَاقِبَةُ الْحَمِيدَةُ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ﴾.

[٢٣] ﴿جَنَّاتٍ﴾ ﴿بَسَاتِينِ﴾ ﴿عَدْنٍ﴾ ﴿إِقَامَةٍ﴾ ﴿يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ ﴿أُولَئِكَ فِيهَا الصَّالِحُونَ﴾ ﴿الْجَمِيعُ يَجْتَمِعُونَ فِي الْجَنَّةِ فَيَنْعَمُونَ بِاجْتِمَاعِهِمْ﴾ ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ ﴿أَبْوَابُ الْجَنَّةِ﴾، أو أبواب دورهم.

[٢٤] ﴿قَائِلِينَ لَهُمْ﴾: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ ﴿بِسَبَبِ صَبْرِكُمْ﴾ ﴿فَنَعَمَ عَقَبَى الدَّارِ﴾.

[٢٥] ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ ﴿مَا وَثَّقُوهُ﴾ ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ ﴿أَيَّ مَا أَمَرَ بِوَصْلِهِ﴾ ﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ ﴿بِالْكُفْرِ وَالْعِصْيَانِ﴾ ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ﴾ ﴿الْبَعْدُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ ﴿وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ ﴿الدَّارِ السَّيِّئَةِ وَهِيَ جَهَنَّمُ﴾.

[٢٦] ﴿اللَّهُ يَسْطُرُ﴾ ﴿أَيَّ يَوْسَعُ﴾ ﴿الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ ﴿أَيَّ يَضِيقُ﴾ ﴿وَفَرَحُوا﴾ ﴿بِالْكَفَرِ﴾ ﴿بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ﴾ ﴿بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْآخِرَةِ﴾ ﴿إِلَّا مَتَاعٌ﴾ ﴿قَلِيلٌ فَالْإِذَا لَزِمَ أَنْ يَعْمَلَ الْإِنْسَانُ لِلْآخِرَةِ﴾.

[٢٧ - ٢٨] ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ﴾ ﴿أَيَّ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ﴾ ﴿آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ ﴿آيَةٌ نَفَرْنَا بِهَا﴾ ﴿قُلْ إِنْ اللَّهُ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾ ﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنِ الْحَقِّ﴾، إذ المعجزة الكافية قد جاء بها الرسول ﷺ فافتراح الآيات ليس إلا عناداً والمعاند يتركه الله حتى يضل ﴿وَيَهْدِي إِلَيْهِ﴾ ﴿إِلَى نَفْسِهِ﴾ ﴿مَنْ أَثَابَ﴾ ﴿رَجَعَ بِالطَّاعَةِ﴾ ﴿الَّذِينَ﴾ ﴿بَدَلُ (من أناب)﴾ ﴿آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ ﴿فَإِنَّ تَذَكُّرَ اللَّهِ يُوْجِبُ طَمَئِنَّةَ الْقَلْبِ لِلْعَمَادَةِ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ ﴿إِلَّا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾.

﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَنْهُ أَعْمَىٰ﴾ ﴿إِنَّمَا يَنْذَرُكَ رَبُّكَ أَنْتَ بَشَرٌ مِثْلُ النَّاسِ﴾ ﴿فَلَا يَسْتَبْصِرُ﴾ ﴿فَلَا يَسْتَجِيبُ﴾ ﴿كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ﴾ ﴿الْقَلْبُ لَا يَسْتَبْصِرُ﴾ ﴿فَلَا يَسْتَجِيبُ﴾ ﴿إِنَّمَا يَنْذَرُكَ أَوَّلُ الْأَلْبَابِ﴾ ﴿أَصْحَابُ الْعُقُولِ﴾.

﴿الَّذِينَ﴾ ﴿صِفَةٌ (من يعلم)﴾ ﴿يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ ﴿الَّذِي أَخَذَهُ عَلَيْهِمْ بِالْإِيمَانِ﴾ ﴿وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾ ﴿كَمَا يَنْقُضُ الْكَفَّارُ﴾، وهذه عبارة أخرى عن الوفاء بالمعهد.

﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ بِوَصْلِ الرِّسَالِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْأَقْرَبَاءِ﴾ ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ ﴿فَلَا يَخَالِفُوهُ﴾ ﴿وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ ﴿أَيَّ الْحِسَابِ السَّيِّئِ﴾، والمراد به في الحساب.

﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ﴾ ﴿طَلَبِ رِضَىٰ﴾ ﴿وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ ﴿أَيَّ ذَاتِهِ﴾ ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ ﴿أَيَّ فِي الْخِفَاءِ وَفِي الْعَلَانِيَةِ﴾، أي في كل حال ﴿وَيُؤْتُونَ﴾ ﴿يُؤْتُونَ﴾ ﴿بِهِ﴾ ﴿وَاسْطَةَ﴾ ﴿الْحَسَنَةِ﴾ ﴿الَّتِي يَأْتُونَ بِهَا﴾ ﴿السَّيِّئَةِ﴾ ﴿فَإِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذَهَبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَقَبَى الدَّارِ﴾ ﴿الْعَاقِبَةُ الْحَمِيدَةُ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ﴾.

﴿جَنَّاتٍ﴾ ﴿بَسَاتِينِ﴾ ﴿عَدْنٍ﴾ ﴿إِقَامَةٍ﴾ ﴿يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ ﴿أُولَئِكَ فِيهَا الصَّالِحُونَ﴾ ﴿الْجَمِيعُ يَجْتَمِعُونَ فِي الْجَنَّةِ فَيَنْعَمُونَ بِاجْتِمَاعِهِمْ﴾ ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ ﴿أَبْوَابُ الْجَنَّةِ﴾، أو أبواب دورهم.

[٢٤] ﴿قَائِلِينَ لَهُمْ﴾: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ ﴿بِسَبَبِ صَبْرِكُمْ﴾ ﴿فَنَعَمَ عَقَبَى الدَّارِ﴾.

[٢٥] ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ ﴿مَا وَثَّقُوهُ﴾ ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ ﴿أَيَّ مَا أَمَرَ بِوَصْلِهِ﴾ ﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ ﴿بِالْكُفْرِ وَالْعِصْيَانِ﴾ ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ﴾ ﴿الْبَعْدُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ ﴿وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ ﴿الدَّارِ السَّيِّئَةِ وَهِيَ جَهَنَّمُ﴾.

﴿اللَّهُ يَسْطُرُ﴾ ﴿أَيَّ يَوْسَعُ﴾ ﴿الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ ﴿أَيَّ يَضِيقُ﴾ ﴿وَفَرَحُوا﴾ ﴿بِالْكَفَرِ﴾ ﴿بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ﴾ ﴿بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْآخِرَةِ﴾ ﴿إِلَّا مَتَاعٌ﴾ ﴿قَلِيلٌ فَالْإِذَا لَزِمَ أَنْ يَعْمَلَ الْإِنْسَانُ لِلْآخِرَةِ﴾.

[٢٧ - ٢٨] ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ﴾ ﴿أَيَّ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ﴾ ﴿آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ ﴿آيَةٌ نَفَرْنَا بِهَا﴾ ﴿قُلْ إِنْ اللَّهُ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾ ﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنِ الْحَقِّ﴾، إذ المعجزة الكافية قد جاء بها الرسول ﷺ فافتراح الآيات ليس إلا عناداً والمعاند يتركه الله حتى يضل ﴿وَيَهْدِي إِلَيْهِ﴾ ﴿إِلَى نَفْسِهِ﴾ ﴿مَنْ أَثَابَ﴾ ﴿رَجَعَ بِالطَّاعَةِ﴾ ﴿الَّذِينَ﴾ ﴿بَدَلُ (من أناب)﴾ ﴿آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ ﴿فَإِنَّ تَذَكُّرَ اللَّهِ يُوْجِبُ طَمَئِنَّةَ الْقَلْبِ لِلْعَمَادَةِ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ ﴿إِلَّا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾.

[٢٩] ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَالصَّفَٰةِ

الطَّيِّبَةِ ﴿لَهُمْ وَحَسَنَ مَّآبٍ﴾ المرجع الحسن .

[٣٠] ﴿كَذَٰلِكَ﴾ هكذا بهذه الآيات والأدلة ﴿أَرْسَلْنَاكَ فِي

أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ﴾ أرسلت الرسل

إليهم فليس إرسالك مستغرباً ﴿لَتَتْلُوهُ﴾ تقرأ ﴿عَلَيْهِمُ الَّذِي

أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ من القرآن ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ بكثير

الرحمة التي أحاطت رحمته بهم ﴿قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا

هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ اتكلت واعتمدت ﴿وَالِيَهُ مَتَابُ﴾

مرجعي ومرجعكم .

[٣١] ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا﴾ أي إن كان هناك في الوجود قرآنًا

بهذه الصفات لكان هذا القرآن ﴿سِيرَتٌ بِهِ الْجِبَالُ﴾ أزيلت

عن أماكنها لعظمة ذلك القرآن ﴿أَوْ قَطِيعَةٌ﴾ تشققت ﴿بِهِ

الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَ بِهِ الْمَوْتَى﴾ بأن أحيوا بسبب القرآن، أو

تمكن الأحياء من تكليمهم ﴿بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ فلو شاء

أتى بما اقترحوه من الآيات لكنه أنزل هذا القرآن الذي هو

أعظم من ذلك كله ﴿أَفَلَمْ يَيْئَسِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ عن الكفار

المعاندین، استفهام إنكار، أي لا بد وأن يياسوا عن أولئك

بعد عنادهم ﴿إِنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾ بأن

يجبرهم على الهداية، والمعنى ايتسوا أيها المؤمنون عن

هداية المعاندین لأننا أنزلنا لهم قرآنًا أعظم من كل شيء

فلم يؤمنوا بل أخذوا يقترحون نزول آيات آخر . ﴿وَلَا

يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا﴾ من الكفر والمعاصي

أشبه ﴿أَوْ تَحِلُّ﴾ القارة ﴿قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ﴾ فيخافون منها فإن الخوف أيضاً عذاب ﴿حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بالغلبة عليهم

أو عذابهم ﴿إِنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾ الذي وعد رسوله ﷺ بنصر المؤمنين وهلاك الكافرين .

[٣٢] ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَأَ بِرَسُولٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ كما استهزا هؤلاء بك ﴿فَأَمَلَيْتُ﴾ أمهلت ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وذلك لتكثير عصيانهم

﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾ أهلكتهم ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ وهكذا أخذ المستهزئين بك .

[٣٣] ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ﴾ بالعلم والتدبير ﴿عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ من خير وشر أي كمن ليس كذلك من أصنامكم

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾ استفهام إنكار أي كيف يجعلون شريكاً لله ﴿قُلْ سَمَوْهُمْ﴾ أي سموا تلك الشركاء حتى يتبين أنهم

ليسوا شركاء ﴿أَمْ﴾ بل ﴿تَنْتَوْنَهُ﴾ تخبرون الله ﴿بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ﴾ أي بشركاء لا يعلم الله أنهم شركاء له في

الأرض ﴿أَمْ﴾ بل تسمونها شركاء ﴿بِظَاهَرٍ مِنَ الْقَوْلِ﴾ بقول ظاهري فقط لا حقيقة له ﴿بَلْ زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ﴾

شركهم . وسني مكرراً لأنهم احتالوا بجعل الآلهة لأجل معاشهم وسيادتهم ﴿وَصَدَّوْا﴾ منعوا، والمانع لهم الشيطان ﴿عَنِ

السَّبِيلِ﴾ سبيل الله ﴿وَمَنْ يَضِللِ اللَّهُ﴾ يتركه لعناده حتى يضل ﴿فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ يهديه لأن الهداية خاصة بالله .

[٣٤] ﴿لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بالقتل والأسر والمصائب ﴿وَلِعَذَابٍ الْآخِرَةِ أَشَقُّ﴾ أشد ﴿وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ من

الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحَسَنَ

مَتَابٍ ﴿٢٩﴾ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ

لَتَتْلُوهُ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ

قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٍ ﴿٣٠﴾

وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا نَزَّلْنَا سَبَّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قَطِيعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَ

بِهِ الْمَوْتَىٰ بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَأْيَسِ الَّذِينَ آمَنُوا

أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا

تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةً أَوْ تُحِلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ

وَعْدَ اللَّهِ إِنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَآتَى كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا

لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمَوْهُمْ أَمْ يَنْتَوْنَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ

يُظَاهِرُونَ الْقَوْلَ بَلْ زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ وَصَدَّوْا عَنِ

السَّبِيلِ وَمَنْ يَضِللِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ ثُمَّ أَخَذْنَا مِنَ النَّاسِ

الدُّنْيَا وَلِعَذَابِ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴿٣٤﴾

يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا﴾ من الكفر والمعاصي

أشبه ﴿أَوْ تَحِلُّ﴾ القارة ﴿قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ﴾ فيخافون منها فإن الخوف أيضاً عذاب ﴿حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بالغلبة عليهم

أو عذابهم ﴿إِنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾ الذي وعد رسوله ﷺ بنصر المؤمنين وهلاك الكافرين .

[٣٢] ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَأَ بِرَسُولٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ كما استهزا هؤلاء بك ﴿فَأَمَلَيْتُ﴾ أمهلت ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وذلك لتكثير عصيانهم

﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾ أهلكتهم ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ وهكذا أخذ المستهزئين بك .

[٣٣] ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ﴾ بالعلم والتدبير ﴿عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ من خير وشر أي كمن ليس كذلك من أصنامكم

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾ استفهام إنكار أي كيف يجعلون شريكاً لله ﴿قُلْ سَمَوْهُمْ﴾ أي سموا تلك الشركاء حتى يتبين أنهم

ليسوا شركاء ﴿أَمْ﴾ بل ﴿تَنْتَوْنَهُ﴾ تخبرون الله ﴿بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ﴾ أي بشركاء لا يعلم الله أنهم شركاء له في

الأرض ﴿أَمْ﴾ بل تسمونها شركاء ﴿بِظَاهَرٍ مِنَ الْقَوْلِ﴾ بقول ظاهري فقط لا حقيقة له ﴿بَلْ زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ﴾

شركهم . وسني مكرراً لأنهم احتالوا بجعل الآلهة لأجل معاشهم وسيادتهم ﴿وَصَدَّوْا﴾ منعوا، والمانع لهم الشيطان ﴿عَنِ

السَّبِيلِ﴾ سبيل الله ﴿وَمَنْ يَضِللِ اللَّهُ﴾ يتركه لعناده حتى يضل ﴿فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ يهديه لأن الهداية خاصة بالله .

[٣٤] ﴿لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بالقتل والأسر والمصائب ﴿وَلِعَذَابِ الْآخِرَةِ أَشَقُّ﴾ أشد ﴿وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ من

عذابه ﴿مَنْ وَاقٍ﴾ حافظ يحفظهم .

[٣٥] ﴿مثل الجنة التي وعد المتقون﴾ الذين اتقوا الكفر والمعاصي، و (مثل) مبتدأ خبره محذوف، وهو (جنة) ﴿تجري من تحتها﴾ تحت قصورها وأشجارها ﴿الأنهار أكلها﴾ أي ثمرها ﴿دائم﴾ لا ينقطع، وليس مثل ثمار الدنيا لها فصل خاص ﴿وظلها﴾ دائم فلا يرون فيها شمساً ﴿تلك﴾ الجنة الموصوفة ﴿عقبى﴾ عاقبة ﴿الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار﴾.

﴿٣٦﴾ **وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ** ﴿مِمَّنْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ﴾ **يَفْرَحُونَ** بما أنزل إليك ﴿من القرآن﴾ **وَمِنَ الْأَحْزَابِ** ﴿من أهل الكتاب الذين تحزبوا على رسول الله ﷺ﴾ **بِالْعَدَاوَةِ** ﴿مَنْ يَنْكَرُ بَعْضَهُ﴾ ما يخالف شرائعهم وما يخالف تحريفاتهم ﴿قُلْ إِنَّمَا أَمْرٌ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أَشْرِكَ بِهِ﴾ فلا أكون كأهل الكتاب حيث أشركوا بالله ﴿إِلَيْهِ﴾ إلى توحيده ﴿ادْعُو﴾ الناس ﴿وإليه مآب﴾ مرجع الناس فهو المبدئ المعيد.

[٣٧] ﴿وَكذلك﴾ هكذا ﴿أُنزلناه﴾ أنزلنا القرآن ﴿حكما﴾ للحكم بين الناس ﴿عربياً﴾ بلسان العرب ﴿ولئن اتبعت أهواءهم﴾ ميول أهل الكتاب في عقيدتهم وشريعتهم ﴿بعد ما جاءك من العلم﴾ بالإسلام ﴿ما لك من الله من ولي﴾ نصير ﴿ولا واثق﴾ يحفظك من العذاب.

[٣٨] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رِسَالًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَاهُمْ أَزْوَاجًا﴾

نساء ﴿وذرية﴾ أولاداً وهذا رد لما زعمه بعضهم أن محمداً ﷺ ليس برسول وإلا لم تكن له زوج وأولاد ﴿وما كان﴾ ما صح ﴿لرسول أن يأتي بآية﴾ معجزة ﴿إلا بإذن الله﴾ فليست الآيات بيده حتى يأتي بما يقترحون عليه وهذا رد لهم في اقتراحهم الآيات ﴿لكل أجل﴾ وقت ﴿كتاب﴾ شيء مكتوب حسب ما يقتضيه صلاح البشر فصلاحهم في كل زمان حسب الغالب على أهله فعصا موسى ﷺ للسحرة وإحياء عيسى ﷺ الموتى للأطباء وقرآن محمد ﷺ للفصحاء.

[٣٩] ﴿بمحو الله﴾ ينسخ ﴿ما يشاء﴾ ما يستصوب نسخه ﴿ويثبت﴾ ما يشاء مكانه ﴿وعنده أم الكتاب﴾ أي أصل الكتاب وهو اللوح المحفوظ فيه كل شيء، وهذا رد لقولهم إن كان أحكام التوراة والإنجيل صحيحة فلم نسخت.

[٤٠] ﴿وَإِنْ مَا أَصْلَهُ﴾ (إن) الشرطية و (ما) الزائدة ﴿تَرِيكَ بَعْضَ الَّذِي نَعْدُهُمْ﴾ من العذاب بأن نعذبهم في حياتك ﴿أَوْ تَتَوَفَّيَنَا﴾ نميتك قبل أن ترى عذابهم ﴿فَ﴾ ليس مما يهكم ذلك إذ ﴿إِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾ أن تبلغهم الدين ﴿وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ الجزاء بما فعلوا من التبدل والرد.

[٤١] ﴿أولم يروا أنا نأتي الأرض﴾ نقصد أرض الشرك ﴿ننقصها من أطرافها﴾ بتوسيع رقعة الإسلام ﴿والله يحكم﴾ بما يريد ﴿لا معقب لحكمه﴾ فلا أحد يتمكن من رد حكمه ﴿وهو سريع الحساب﴾ يسرع في محاسبة الناس، أو أن حسابه آت قريباً.

[٤٢] ﴿وقد مكر الذين من قبلهم﴾ دبّروا في تكذيب الرسل ﴿فلله المكر جميعاً﴾ فإن التدبير كله بيد الله، حتى أن تدبيرهم إنما هو بترك الله لهم حتى يدبّروا كيدهم ﴿يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار﴾ العاقبة الحسنة لدار الدنيا والآخرة، لهم أم للمؤمنين.

[٤٣] ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ فإن ظهور الآيات على يدي يشهد لي بأن الله أرسلني ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ أهل الكتاب الذين لا يعاندون يشهدون بصدقي، وفي التأويل إن من عنده علم الكتاب هم الأئمة المعصومون عليهم السلام.

١٤: سورة إبراهيم

مكية وآياتها إثنان وخمسون

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

[١] ﴿الر﴾ رمز بين الله والرسول ﷺ ﴿كتاب﴾ أي هذا كتاب ﴿أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ ظلمة الكفر والعصيان والافتراق ﴿إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ بأمره ﴿إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ﴾ الغالب في أمره ﴿الْحَمِيدِ﴾ المحمود في أفعاله.

[٢] ﴿اللَّهُ﴾ بدل من (العزیز) ﴿الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ يوم القيامة.

[٣] ﴿الَّذِينَ﴾ بدل من (الكافرين) ﴿يَسْتَحِبُّونَ﴾ يختارون ﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ﴾ يمنعون ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ يريدون أن يكون السبيل أعوج

وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿٤٣﴾

سُورَةُ اِبْرَاهِيمَ ﴿١٤﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الرَّكَعَتَيْنِ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾
اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِنَا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾

﴿أولئك في ضلال بعيد﴾ عن الحق.

[٤] ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان﴾ بلغة ﴿قومه ليبين لهم﴾ بدون احتياج إلى الترجمة ﴿فيضل الله من يشاء﴾ يترك من يعاند ليضل ﴿ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم﴾ الذي يضع الأشياء مواضعها.

[٥] ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا﴾ اليد البيضاء والعصا ﴿أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور وذكرهم بأيام الله﴾ أيام الوقائع التي وقعت على الأمم من خير كنزول المائدة أو شر كعذاب الأمم ﴿إن في ذلك﴾ التذكير ﴿لآيات لكل صبار﴾ يصبر على بلاء الله ﴿شكور﴾ يشكر نعماته.

[٦] ﴿و﴾ اذكر يا رسول الله ﴿﴾ إذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم ﴿﴾ من آل فرعون يسومونكم ﴿﴾ يذيقونكم ﴿﴾ سوء العذاب ﴿﴾ العذاب السيئ حيث كان يكلفهم بالأعمال الشاقة ﴿﴾ ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم ﴿﴾ يقونهن أحياء للاستخدام ﴿﴾ وفي ذلك العذاب و﴿كم﴾ للخطاب ﴿﴾ بلاء ﴿﴾ امتحان ﴿﴾ من ربكم عظيم ﴿﴾.

[٧] ﴿وإذ تأذن﴾ أعلم ﴿﴾ ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ﴿﴾ أزيد النعمة عليكم ﴿﴾ ولئن كفرتم ﴿﴾ كفر عقيدة أو كفر عمل كعدم الشكر ﴿﴾ إن عذابي لشديد ﴿﴾.

[٨] ﴿وقال موسى إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً فإن الله لغني﴾ عن شكركم ﴿﴾ حميد ﴿﴾ محمود في أفعاله ﴿﴾.

[٩] ﴿الم يأتكم نبي﴾ خير ﴿﴾ الذين من قبلكم ﴿﴾ من الأمم المكذبة ﴿﴾ قوم ﴿﴾ بدل ﴿﴾ الذين ﴿﴾ نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم ﴿﴾ من سائر الأمم ﴿﴾ لا يعلمهم إلا الله ﴿﴾ فإن الناس لم يحصوا أحوال الأمم لكثرتهم ﴿﴾ جاءهم رسلهم بالبينات ﴿﴾ بالأدلة الواضحة ﴿﴾ فردوا ﴿﴾ الأمم جعلوا ﴿﴾ أيديهم في أفواههم ﴿﴾ بأن أخذوا أمام أفواه الرسل حتى لا يتكلموا ﴿﴾ وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به ﴿﴾ على زعمكم، لأنهم لم يكونوا آمنوا بالرسل ﴿﴾ وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه ﴿﴾ من الإيمان ﴿﴾ مريب ﴿﴾ موجب للتردد ﴿﴾.

[١٠] ﴿قالت رسلهم أفي الله شك فاطر﴾ خالق ﴿﴾ السماوات والأرض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ﴿﴾ بعض ذنوبكم، فليست دعوته لأن يضركم، ولعل المراد ببعض الذنوب التي هي حقه سبحانه، في مقابل مظالم العباد ﴿﴾ ويؤخركم إلى أجل مسمى ﴿﴾ وقت سماه لكم ولا يعالجكم بالعقاب ﴿﴾ قالوا إن ﴿﴾ ما ﴿﴾ أنتم إلا بشر مثلنا ﴿﴾ لا فضل لكم علينا ﴿﴾ تريدون أن تصدونا ﴿﴾ تمنعونا ﴿﴾ عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان ﴿﴾ حجة على قولكم ﴿﴾ مبين ﴿﴾ واضح ﴿﴾.

وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم ﴿﴾ من آل فرعون يسومونكم ﴿﴾ سوء العذاب ﴿﴾ ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم ﴿﴾ وفي ذلك بلاء ﴿﴾ من ربكم عظيم ﴿﴾ ١ وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ﴿﴾ ولئن كفرتم لإن عذابي لشديد ﴿﴾ ٢ وقال موسى إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً فإن الله لغني ﴿﴾ حميد ﴿﴾ ٣ ألم يأتكم نبي ﴿﴾ خير ﴿﴾ الذين من قبلكم ﴿﴾ من الأمم المكذبة ﴿﴾ قوم ﴿﴾ بدل ﴿﴾ الذين ﴿﴾ نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم ﴿﴾ لا يعلمهم إلا الله جاءهم رسلهم بالبينات ﴿﴾ فردوا ﴿﴾ أيديهم في أفواههم وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به ﴿﴾ وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب ﴿﴾ ٤ قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السماوات والأرض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ﴿﴾ ويؤخركم إلى أجل مسمى ﴿﴾ قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا ﴿﴾ عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين ﴿﴾ ٥

[١١] ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ في أصل البشرية ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ بإرساله رسولاً وهذا هو الفارق بيننا وبينكم ﴿وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ﴾ إلا بإذن الله وعلى الله فليستوكل المؤمنين ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا﴾ ولنصيرك على ماء آذيتموناً وعلى الله فليستوكل المتوكلون ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّسُلُ هُمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَنَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾ ولنسكننكم الأرض من بعدهم ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد ﴿مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ﴾ يتجرعه ولا يكاد يسيغه ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ مثل الذين كفروا بربهم ﴿أَعْمَلْتُمْ كُرْماً إِذْ شَدَدَتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾

يكلون إليه تعالى أمورهم. [١٢] ﴿وَمَا لَنَا﴾ أي عذر لنا في ﴿أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا﴾ سبل الخير فعرّفناه ومن عرف الله لا بد وأن يتوكل عليه ﴿ولنصبرن على ما آذيتموناً﴾ آذيتكم فإن من عرف الله وتوكل عليه علم أن للصبر في سبيله عاقبة محمودة ﴿وعلى الله فليستوكل﴾ يعتمد ﴿المتوكلون﴾ من يريد التوكل.

[١٣] ﴿وقال الذين كفروا لرسولهم لنخرجنكم من أرضنا﴾ بلادنا ﴿أو لنعودن في ملتنا﴾ طريقتنا، لأن الكفار كانوا يظنون أن الرسل قبل ادعاء الرسالة كانوا على طريقتهم ﴿فأوحى إليهم﴾ إلى الرسل ﴿ربهم لنهلكن الظالمين﴾.

[١٤] ﴿ولنسكننكم الأرض﴾ أرضهم، فإنهم أرادوا إخراجكم لكن الله يخرجهم لأجلكم ﴿من بعدهم ذلك﴾ الخير الذي يسيغه الله للرسول والمؤمنين ﴿لمن خاف مقامي﴾ قيامي عليه رقيباً ﴿وخاف وعيدي وعيدي

قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصِيرَكَ عَلَىٰ مَاءٍ آذِيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّسُلُ هُمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَنَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنَسْكُنَنَّكَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ مِثْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَلْتُمْ كُرْماً إِذْ شَدَدَتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٨﴾

بالعقاب.

[١٥] ﴿واستفتحوا﴾ طلب الرسل النصر والفتح على الكفار، فاستجيب للرسول ﴿وخاب﴾ خسر ﴿كل جبار﴾ عنيد معاند للحق.

[١٦] ﴿من وراءه جهنم ويسقى من ماء صديد﴾ ماء من القيح يسيل من فروج الزناة. [١٧] ﴿يتجرعه﴾ يشربه جرعة جرعة ﴿ولا يكاد﴾ لا يتمكن الشارب ﴿يسيغه﴾ يبلعه بسهولة لوساخته وثنته وحرارته ﴿ويأتيه الموت﴾ أسباب الموت ﴿من كل مكان﴾ من أطرافه من شدة العذاب ﴿وما هو بميت﴾ لا يموت حتى يستريح ﴿ومن وراءه عذاب غليظ﴾ وهو الخلود في النار الذي هو أشد من كل عذاب.

[١٨] ﴿مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد﴾ رماد الحطب ﴿اشتدت به﴾ بذلك الرماد ﴿الريح في يوم عاصف﴾ كثير الريح فكما يذر الريح العاصف الرماد كذلك تذهب أعمالهم الحسنة هباءً ﴿لا يقدرون﴾ الكفار ﴿مما كسبوا﴾ من أعمالهم الحسنة ﴿على شيء﴾ ولو يسير منها لأن الكفر يحبط الحسنات ﴿ذلك﴾ الكفر الموجب لذلك ﴿هو الضلال البعيد﴾ عن الحق.

[١٩] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ ألم تعلم ﴿أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ إن يشأ يذهبكم ﴿وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾. ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾

[٢٠] ﴿وَمَا ذَلِكَ﴾ إعدامكم وإيجاد غيركم ﴿عَلَى اللَّهِ﴾ بعزیز. ﴿بِمَتَعْسَرٍ﴾

[٢١] ﴿وَيَبْرُؤًا﴾ أي ظهوراً في يوم القيامة ﴿لِللَّهِ جَمِيعًا﴾ الكفار ورؤسائهم ﴿فَقَالَ الضُّعَفَاءُ﴾ الأتباع ﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ تكبروا عن الإيمان: ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ تابعين في الكفر ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ﴾ دافعون ﴿عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ ولو مقداراً قليلاً ﴿قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ إلى طريق الخلاص من العذاب ﴿لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءً عَلَيْنَا أَجْزَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ﴾ مفر ومنجى من العقاب وفيه إشارة إلى عدم فائدة الجزع.

[٢٢] ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لِمَا قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ بأن دخل السعداء الجنة والأشقياء النار: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ﴾ بالبعث والجزاء ﴿وَوَعَدْتُكُمْ﴾ خلاف ذلك بأنه لا بعث فافعلوا ما شئتم ﴿فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾ أي وعداً مخالفاً للواقع ﴿وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾ تسلط وقهر فأجبركم على الكفر والعصيان ﴿إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ﴾ بالوسوسة ﴿فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلَوْ مَوَا أَنْفُسَكُمْ﴾ فإن الملامة عليكم حيث أطمعتموني بمجرد الوسوسة ﴿مَا أَنَا بِمُصْرَخِكُمْ﴾ مغيثكم من العذاب ﴿وَمَا أَنَا بِمُصْرَخِكُمْ﴾ بمنقذ لي من العذاب ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ﴾ إني كافر بإشراككم لي مع الله، حيث أطمعتموني ﴿مَنْ قَبْلُ﴾ في الدنيا ﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم.

[٢٣] ﴿وَادْخُلْ﴾ المدخل هم الملائكة ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا﴾ تحت أشجارها وقصورها ﴿الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ﴾ بأمر ﴿رَبِّهِمْ تَحِثُّهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ يحيي بعضهم بعضاً بالسلام، لأن هناك محل السلامة.

[٢٤] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ ألم تعلم ﴿كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ بين مثلاً للكلام الحسن ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ حسنة ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ ثابت في الأرض ﴿وَفُرْعَاهَا﴾ رأسها ﴿فِي السَّمَاءِ﴾ في جهة العلو.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ يَشَاءُ يَذْهَبَكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾ وَيَبْرُؤُا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءً عَلَيْنَا أَجْزَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ ﴿٢١﴾ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لِمَا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلَوْ مَوَا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرَخِكُمْ وَمَا أَنَا بِمُصْرَخِكُمْ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَادْخُلِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِثُّهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴿٢٣﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفُرْعَاهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾

عليكم حيث أطمعتموني بمجرد الوسوسة ﴿مَا أَنَا بِمُصْرَخِكُمْ﴾ مغيثكم من العذاب ﴿وَمَا أَنَا بِمُصْرَخِكُمْ﴾ بمنقذ لي من العذاب ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ﴾ إني كافر بإشراككم لي مع الله، حيث أطمعتموني ﴿مَنْ قَبْلُ﴾ في الدنيا ﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم.

[٢٣] ﴿وَادْخُلْ﴾ المدخل هم الملائكة ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا﴾ تحت أشجارها وقصورها ﴿الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ﴾ بأمر ﴿رَبِّهِمْ تَحِثُّهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ يحيي بعضهم بعضاً بالسلام، لأن هناك محل السلامة.

[٢٤] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ ألم تعلم ﴿كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ بين مثلاً للكلام الحسن ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ حسنة ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ ثابت في الأرض ﴿وَفُرْعَاهَا﴾ رأسها ﴿فِي السَّمَاءِ﴾ في جهة العلو.

[٢٥] ﴿تَوْتِي﴾ تعطي ﴿أَكْلَهَا﴾ ثمرها ﴿كل حين﴾ في وقت الإثمار ﴿بِإِذْنِ﴾ بأمر ﴿رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ يبينها ﴿لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ يتعظون، فإن الكلام الطيب ثابت في الأرض وينفع الناس كما ينفع ثمر الشجرة.

[٢٦] ﴿وَمِثْلَ كَلِمَةِ خَبِيثَةٍ﴾ كالكفر والباطل ﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كَفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾ ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِن مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾ ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ﴾ ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾ ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾

[٢٧] ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ لا تقلب لهم من قول إلى قول ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ لهم قول واحد حق ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ فلا يدهشهم هول الموقف حتى يبدلوا كلامهم كما أن لا كفار هناك يبدلون كلامهم حيث يقولون (والله ربنا ما كنا مشركين) ^(١) ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾ الذين عاندوا الحق يتركهم وشأنهم حتى يضلوا ﴿وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ مما فيه الصلاح من تثبيت المؤمن وترك الظالم.

[٢٨ - ٢٩] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كَفْرًا﴾ بأن كفروا عوض الشكر ﴿وَأَحَلُّوا﴾ أدخلوا ﴿قَوْمَهُمُ﴾ التابعين لهم ﴿دَارَ الْبَوَارِ﴾ دار الهلاك. ﴿جَهَنَّمَ﴾ عطف بيان لـ ﴿دَارَ الْبَوَارِ﴾ ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ يدخلونها ﴿وَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾ المقر

هُوَ. ﴿وَجَعَلُوا﴾ الكفار ﴿لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ أمثالاً بأن أشركوا به ﴿لِيُضِلُّوا﴾ كانت عاقبة الأنداد الإضلال ﴿عَنْ سَبِيلِهِ﴾ سبيل الله ﴿قُلْ تَمَتَّعُوا﴾ خذوا المتعة والتلذذ بشرككم ﴿فَإِن مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾ وهذا تهديد لهم. [٣١] ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ﴾ أي صداقة نافعة. [٣٢] ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾ ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾

[٣٠] ﴿وَجَعَلُوا﴾ الكفار ﴿لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ أمثالاً بأن أشركوا به ﴿لِيُضِلُّوا﴾ كانت عاقبة الأنداد الإضلال ﴿عَنْ سَبِيلِهِ﴾ سبيل الله ﴿قُلْ تَمَتَّعُوا﴾ خذوا المتعة والتلذذ بشرككم ﴿فَإِن مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾ وهذا تهديد لهم. [٣١] ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ﴾ أي صداقة نافعة. [٣٢] ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ [٣٣] ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ﴾ دائمين في العمل ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ﴾ لتسكنوا فيه ﴿وَالنَّهَارَ﴾

[٣٤] ﴿وَاتَاكُمْ﴾ أعطاكم ﴿مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ من أنواع النعم ﴿وَأِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ لا تحصروها لكثرتها ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ﴾ كثير الظلم لنفسه وغيره ﴿كَفَّارٌ﴾ كثير الكفران، لا يشكر النعم.

[٣٥] ﴿وَإِذْ﴾ واذكر يا رسول الله ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ﴾ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد ﴿مَكَّةَ﴾ مكة ﴿أَمِنًا﴾ محل آمن لمن دخلها ﴿وَاجْنُبْنِي﴾ بقذني ﴿وَبَنِيَّ﴾ وبعد أولادي ﴿أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ أن نعبد الأصنام.

[٣٦] ﴿رَبِّ إِنَّهُمْ﴾ رب إنهم ﴿أَيُّ الْأَصْنَامِ﴾ أي الأصنام ﴿ضَلُّ سَبِيلِهِمْ﴾ ضل سبيلهم ﴿كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعْنِي﴾ على ديني ﴿فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ من زمري ﴿وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ﴾ تقدر على هدايته لتغفر له ﴿رَحِيمٌ﴾ حتى بالعصاة.

[٣٧] ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَصْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ بعض أولادي ﴿بَوَادِي مَكَّةَ﴾ وادي مكة ﴿غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾ لا زراعة فيه ﴿عِنْدَ بَيْتِكَ الْمَحْرُومِ﴾ يحرم التعرض له بسوء وله حرمة ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ عند بيتك ﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً﴾ جمع فؤاد بمعنى القلب ﴿مِنَ النَّاسِ تَهْوِي﴾ تميل ﴿إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ فإن النعمة توجب الشكر.

[٣٨] ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي﴾ في أنفسنا ﴿وَمَا نَعْلُنُ﴾ نظهر ﴿وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾.

[٣٩] ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ﴾ وأنا كبير آيس عن الأولاد ﴿إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ إن ربي لسميع الدعاء ﴿فَقَدْ دَعَوْتُهُ لِلْوَلَدِ فَاسْتَجَابَ﴾.

[٤٠] ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي﴾ بلطفك ﴿مَقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ من يقيم الصلاة ﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِي﴾ استجب دعائي.

[٤١] ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ يثبت كأنه قائم.

[٤٢] ﴿وَلَا تَحْسِبَنَّ﴾ لا تظنن أيها السامع ﴿اللَّهُ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ﴾ يؤخر حسابهم وعقابهم ﴿لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ فلا تستقر بل تنظر هنا وهناك ذهولا.

وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ رَبِّ إِنَّهُمْ أَصْلَحُونَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَبَّنَا إِنِّي أَصْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمَحْرُومِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نَعْلُنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٣٨﴾ رَبَّنَا اجْعَلْنِي مَقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِي ﴿٣٩﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ وَلَا تَحْسِبَنَّ اللَّهُ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤١﴾

[٤٣] ﴿مُهْطِعِينَ﴾ أي في حال كون الظالمين مسرعين في المشي بلا قصد ﴿مُقْنَعِي رُؤُوسِهِمْ﴾ رافعيها إلى السماء لخوفهم من نزول العذاب منها ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ أي لا يرجعون أعينهم إلى أنفسهم كما هو شأن الخائف ينظر هنا وهناك ﴿وَأَفْئَدَتُهُمْ﴾ قلوبهم ﴿هَوَاءَ﴾ خالية من الفكر والقصد.

[٤٤] ﴿وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ﴾ عذاب الهلاك في الدنيا ﴿فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرِنَا﴾ أمهلنا ﴿إِلَى أَجَلٍ﴾ مدة ﴿قَرِيبٍ﴾ قليلة، فإن أخرتنا ﴿نَجِبْ دَعْوَتَكَ﴾ إلى الإيمان ﴿وَنَتَّبِعِ الرَّسُولَ﴾ فيما يقولون، فيقال لهم: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ﴾ في الدنيا، فقلت: ﴿مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ﴾ عن الدنيا إلى الآخرة، بل نموت ونفنى.

[٤٥] ﴿وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بالكفر والمعاصي ﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾ من العذاب حين كذبوا، وهذا كان يقتضي أن تعتبروا بأحوالهم ﴿وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ﴾ من أحوال الأمم المكذبة فلم ينفعكم كل ذلك.

[٤٦] ﴿وَقَدْ مَكَرُوا﴾ أولئك الأمم ﴿مَكْرَهُمْ﴾ في إبطال أمر الأنبياء ﷺ ﴿وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرَهُمْ﴾ أي جزاء مكرهم، أو المراد أنه تعالى أبطل مكرهم ﴿وَلِنْ كَانَ مَكْرَهُمْ لَتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ لأنه كان مكرًا عظيمًا لكن الله أبطله وأنهم

مُهْطِعِينَ مُقْنَعِي رُؤُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئَدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرِنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نَجِبْ دَعْوَتَكَ وَتَتَّبِعِ الرَّسُولَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلُهُ وَإِنْ اللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضُ عِلْقًا وَالسَّمَاءُ بَرَزًا وَنَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٤٨﴾ سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطَرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴿٤٩﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٥٠﴾ هَذَا الْبَلَاغُ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَلِيَذْكُرُوا الْأَلْبَابَ ﴿٥١﴾

نوره.

[٤٧] ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ﴾ يخلف ﴿وَعْدِهِ رُسُلَهُ﴾ حيث وعدهم بإظهار دينهم وإبادة خصومهم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَالِبٌ عَلَى مَا يَرِيدُ﴾ ذو انتقام.

[٤٨] ﴿يَوْمَ﴾ ظرف للانتقام ﴿تَبْدُلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾ المعهودة لأنها تسوى بلا جبال ولا اعوجاج ﴿وَالسَّمَاوَاتُ﴾ أي تبدل السماوات غير السماوات لأن نظام السماوات ينهدم بتكوير الشمس وتناثر النجوم ﴿وَيَبْرُزُوا﴾ ظهر الناس خارجين من قبورهم ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾.

[٤٩] ﴿وَنَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ﴾ يقرن ويضم أحدهم إلى الآخر ﴿فِي الْأَصْفَادِ﴾ في الأغلال. [٥٠] ﴿سَرَابِيلُهُمْ﴾ قميصهم ﴿مِنْ قَطَرَانٍ﴾ دهن أسود منتن لزوج تشتعل فيه النار بسرعة ﴿وَتَغْشَى﴾ تحيط ﴿وُجُوهَهُمْ﴾ النار.

[٥١] ﴿إِنَّمَا بَرَزُوا﴾ ليجزي الله كل نفس ما كسبت ﴿مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ﴾ إن الله سريع الحساب لا يشغله حساب عن حساب، أو إن قيام القيامة إنما هو في وقت قريب.

[٥٢] ﴿هَذَا﴾ القرآن ﴿بَلَاغٌ﴾ تبليغ وكفاية ﴿لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ﴾ يخافوا بسبب هذا البلاغ ﴿وَلِيَعْلَمُوا﴾ بالنظر والتأمل في البلاغ ﴿أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَلِيَذْكُرُوا الْأَلْبَابَ﴾ يتذكر ﴿أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ أصحاب العقول.

١٥: سورة الحجر

مكية آياتها تسع وتسعون

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

سورة الحجر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّتِّلْكَ ءَايَاتِ الْكِتَابِ وَقُرْءَانِ مُبِينٍ ﴿١﴾ رُبَّمَا يُوَدُّ
الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرَّهُمْ يَأْكُلُوا
وَيَسْتَعْمُوا وَيَلْهَمُوا أَلَا مَلْ فُسُوفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ وَمَا أَهْلَكْنَا
مِنْ قُرْبَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أَمْرِهِ
أَجَلُهُمْ وَأَيَسْتَفْخِرُونَ ﴿٥﴾ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ
الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَوْ مَا تَأْتِيَنَا بِالْمَلَكَةِ إِنْ كُنْتَ
مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧﴾ مَا نَزَّلَ الْمَلَكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا
إِذَا مُنْظَرِينَ ﴿٨﴾ إِنَّا نَحْنُ نُزِّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَمُنْظَرُونَ ﴿٩﴾
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ
رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾ كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي
قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ
﴿١٣﴾ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ
﴿١٤﴾ لَقَالُوا إِنَّمَا سَكْرَاتُ بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ ﴿١٥﴾

[١] ﴿الر﴾ رمز بين الله والرسول ﷺ ﴿تلك﴾ هذه
الآيات ﴿آيات الكتاب﴾ الشيء المكتوب ﴿وقرآن﴾
تخصيص بعد تميم ﴿مبين﴾ واضح.
[٢] ﴿ربما يود﴾ يحب ﴿الذين كفروا لو كانوا مسلمين﴾
وذلك حين يشاهدون العذاب.
[٣] ﴿ذرهم﴾ دعهم ﴿ياكلوا ويمتعوا﴾ يتلذذوا بدينامهم
﴿ويلهم﴾ يشغلهم ﴿الأم﴾ في البقاء في الدنيا ﴿فسوف
يعلمون﴾ وبال ذلك.
[٤] ﴿وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب﴾ أجل مكتوب
﴿معلوم﴾ كتب لوقت هلاكها.
[٥] ﴿ما تسبق من أمة أجلها﴾ لا تسبق أمة أجلها بأن
يتأخر أجلها عن الموعد المحدد ﴿وما يستأخرون﴾ بأن
يتقدم أجلها عن الوقت المحدد.
[٦] ﴿وقالوا﴾ الكفار: ﴿يا أيها الذي نزل عليه الذكر﴾
القرآن ﴿إنك لمجنون﴾ قالوا ذلك استهزاء.
[٧] ﴿لو ما﴾ لماذا لا ﴿تأتينا بالملائكة﴾ ليصدقوك ﴿إن
كنت من الصادقين﴾.

[٨] ﴿ما نزل الملائكة إلا بالحق﴾ بمقتضى الحكمة لا باقتراح المعاندين ﴿وما كانوا إذا﴾ إذا نزلنا الملائكة ﴿منظرين﴾
ممهلين لأن مشيئة الله اقتضت أن تكون نزول الملائكة عند الموت أو العذاب.
[٩] ﴿إنا نحن نزلنا الذكر﴾ القرآن ﴿وإنا له لحافظون﴾ عن التغيير والنقصان والزيادة.
[١٠] ﴿ولقد أرسلنا من قبلك﴾ يا محمد ﷺ رسلاً ﴿في شيع﴾ فرق ﴿الأولين﴾ كما أرسلناك في هذه الفرقة.
[١١] ﴿وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزءون﴾ كما استهزأ هؤلاء بك.
[١٢] ﴿كذلك﴾ هكذا كما أرسلنا الرسل وأرسلناك ﴿نسلكه﴾ ندخل الذكر ﴿في قلوب المجرمين﴾ إذ الله يرسل الرسل
لوعظ الناس، حتى لا تكون لهم حجة.
[١٣] ﴿لا يؤمنون به﴾ بالذكر لعنادهم ﴿وقد خلت﴾ مضت ﴿سنة الأولين﴾ أي سنة الله في الأولين أنهم إذا لم يؤمنوا
نزل عليهم العذاب، وهذا تهديد لهم.
[١٤] ﴿ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه﴾ أخذوا في الباب ﴿يعرجون﴾ يصعدون، بأن لمسوا المعجزة.
[١٥] ﴿لقالوا إنما سكرت﴾ أي أغشيت فلا تنظر صحيحاً ﴿أبصارنا بل نحن قوم مسحورون﴾ سحرنا محمد ﷺ فما نراه
إنما هو كذب، وذلك لبيان أنهم معاندون.

[١٦] ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَرَازِقَةً يُنْزِلُ مِنْهَا السَّيَّارَاتِ﴾
﴿وَزِينَاهَا﴾ بالكواكب ﴿لِلنَّازِطِينَ﴾ لمن نظر إلى السماء .

[١٧] ﴿وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ مرجوم، ضرب بالشهاب أو باللعنة، وحفظها عبارة عن عدم وصول الشياطين إليها .

[١٨] ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ﴾ بأن قرب إلى محل محاورة الملائكة فسمع بعض الكلمات منهم ﴿فَاتَّبَعَهُ﴾ شهاب، شعلة من النار ﴿مُبِينٌ﴾ ظاهر .

[١٩] ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾ بسطناها ﴿وَالْقَيْنَا فِيهَا رِوَاسِي﴾ جبالاً ثابتات ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾ مقدر بمقدار معين .

[٢٠] ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا﴾ في الأرض ﴿مَعَايِشَ﴾ من مطعم ومشرب وسائر أسباب العيش ﴿وَمِنْ﴾ عطف على (لكم) ﴿لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾ من الأنعام، وفيه بيان أن رزقها من الله لا من أصحابها، كما يزعمون .

[٢١] ﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ إلا عندنا خزائنه ﴿فَلَهُ سُبْحَانَهُ الْقُدْرَةُ عَلَى إِيجَادِ كُلِّ شَيْءٍ﴾ وما ننزله ﴿نُوحِدَهُ﴾ نوجده ﴿إِلَّا بِقَدْرِ مَعْلُومٍ﴾ تقتضيه الحكمة .

[٢٢] ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ﴾ تلقح السحاب ليمطر، والأشجار لتحمل ﴿فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ المطر بعد تلقيح الرياح للسحاب ﴿فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ﴾ تشربون من مائه

وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَرَازِقَةً يُنْزِلُ مِنْهَا السَّيَّارَاتِ
وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ
فَاتَّبَعَهُ شَيْطَانٌ مُبِينٌ ﴿١٨﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَالْقَيْنَا فِيهَا
رِوَاسِي وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا
مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَمْ تَرَ رَازِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا
خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدْرِ مَعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ
لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ
بِخَازِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴿٢٣﴾
وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ﴿٢٤﴾
وَإِن رَيْكَ هُوَ يُحْشِرُهُمْ إِنَّهُمْ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ
مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ
السُّمُورِ ﴿٢٧﴾ وَإِذَا قَالَ رَيْكُ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ
صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ
رُوحِي فَقَعُوا لَهُمُ سُجُودِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ
أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ ابْنُكَ أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣١﴾

﴿وما أنتم له بخازنين﴾ لستم بحافظيه في المخازن الأرضية كالعيون، بل كل ذلك بفعل الله تعالى .

[٢٣] ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ يموت الكل ونبقى نحن .

[٢٤] ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ﴾ الذين استقدموا ولادة وموتاً ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾ تأخروا ولادة أو موتاً، أي لا يخفى علينا شيء .

[٢٥] ﴿وَإِن رَيْكَ هُوَ يُحْشِرُهُمْ﴾ يجمعهم للجزاء ﴿إِنَّهُمْ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ .

[٢٦] ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ آدم وحواء ﴿مِنْ صَلْصَلٍ﴾ طين يابس يصلصل أي يصوت إذا نقر ﴿مِنْ حَمَلٍ﴾ طين متغير أسود ﴿مَسْنُونٍ﴾ مصبوب كما يصب الذهب في القالب .

[٢٧] ﴿وَالْجَانَّ﴾ أبا الجن ﴿خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ﴾ قبل خلق آدم ﴿مِنْ نَارِ السُّمُومِ﴾ شديد الحرارة .

[٢٨ - ٢٩] ﴿وَإِذَا﴾ واذكر يا رسول الله ﴿قَالَ رَيْكُ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ﴾ فإذا سويته عدلت خلقتة ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ أعطيته الروح، والإضافة للتشريف، أو روح خلقتة ﴿فَقَعُوا﴾ من وقع يقع أي اسقطوا ﴿لَهُ سَاجِدِينَ﴾ .

[٣٠ - ٣١] ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ إلا إبليس أبى ﴿أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ .

[٣٢] ﴿قَالَ﴾ الله: ﴿يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ﴾ لماذا وأي شيء لك في عدم السجود ﴿الْأَنْتَ تَكُونُ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾.

[٣٣] ﴿قَالَ لَمْ أَكُنْ﴾ ما كنت ﴿لَأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾.

[٣٤] ﴿قَالَ﴾ الله: ﴿فَاخْرُجْ مِنْهَا﴾ من الجنة ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ مطرود ملعون.

[٣٥] ﴿وَإِنْ عَلَيْكَ اللَّعْنَةُ﴾ البعد عن الرحمة ﴿إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ يوم الجزاء، وبعده تحاسب لتدخل جهنم.

[٣٦] ﴿قَالَ رَبِّي فَأَنْظِرْنِي﴾ أمهلني ﴿إِلَى يَوْمٍ يَبْعَثُونَ﴾ يوم القيامة.

[٣٧] ﴿قَالَ﴾ الله: ﴿فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ أمهلتك.

[٣٨] ﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ لدى الله سبحانه وهو النفخة أو ظهور الإمام المهدي (عج).

[٣٩] ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ بسبب إغوائك لي بأن هيئت سبب ضلالي ﴿لَأَزِينَنَّ﴾ المعاصي ﴿لَهُمْ﴾ بني آدم ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا غُورِيهِمْ أَجْمَعِينَ﴾ بدعوتهم إلى الغواية.

[٤٠] ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ الذين أخلصتهم لطاعتك.

[٤١] ﴿قَالَ﴾ الله: ﴿هَذَا﴾ الإخلاص ﴿صِرَاطٌ عَلَيَّ﴾ رعايته ﴿مُسْتَقِيمٌ﴾ صفة (صراط).

[٤٢] ﴿إِنْ عِبَادِي﴾ المخلصين ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ

سلطان﴾ تسلط بالوسوسة ﴿إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ الضالين فإن سلطانك عليهم لأنهم يتبعونك.

[٤٣] ﴿وَإِنْ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ﴾ محل وعد إبليس وأتباعه ﴿أَجْمَعِينَ﴾.

[٤٤] ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ﴾ من الكفار والعصاة ﴿جُزْءٌ﴾ منهم ﴿مَقْسُومٌ﴾ قسم لهم حسب تفاوتهم في الإجرام.

[٤٥] ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ﴾ الذين اجتنبوا الشرك والمعاصي ﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ من ماء وخمر وعسل ولبن.

[٤٦] يقال لهم: ﴿ادْخُلُوهَا﴾ أي الجنة ﴿بِسَلَامٍ﴾ بسلامة من الآفات ﴿آمِنِينَ﴾ من كل خوف.

[٤٧] ﴿وَنَزَعْنَا﴾ ألقنا ﴿مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غُلٍّ﴾ حقد وعداوة في حال كونهم ﴿إِخْوَانًا﴾ كالإخوان في تبادل الحب ﴿عَلَى سُرُرٍ﴾ جمع سرير: الكرسي ﴿مُتَقَابِلِينَ﴾ أحدهم في مقابل الآخر.

[٤٨] ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ﴾ لا يصيبهم في الجنة تعب ﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ بل هم فيها خالدون.

[٤٩] ﴿نَبِيٌّ﴾ أخير يا محمد ﷺ ﴿عِبَادِي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.

[٥٠] ﴿وَأَنْ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ المؤلم.

[٥١] ﴿وَنَبِّئِهِمْ﴾ أخبرهم ﴿عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾.

قَالَ يٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ اَلَّا تَكُوْنَ مَعَ السَّٰجِدِيْنَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ اَكُنْ لَاسْجُدْ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُوْنٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَاِنَّكَ رَجِيْمٌ ﴿٣٤﴾ وَاِنْ عَلَيْكَ اللَّعْنَةُ اِلَى يَوْمٍ اَلَّذِيْنَ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَاَنْظِرْنِي اِلَى يَوْمٍ يَبْعَثُوْنَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَاِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِيْنَ ﴿٣٧﴾ اِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُوْمِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا اَغْوَيْتَنِي لَازِيْنَنَّ لَهُمْ فِي الْاَرْضِ وَلَا غُورِيْهُمْ اَجْمَعِيْنَ ﴿٣٩﴾ اِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِيْنَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هٰذَا صِرَاطٌ عَلٰى مُسْتَقِيْمٍ ﴿٤١﴾ اِنْ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطٰنٌ اِلَّا مَنْ اَتٰبَعَكَ مِنَ الْغَاوِيْنَ ﴿٤٢﴾ وَاِنْ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ اَجْمَعِيْنَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ اَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُوْمٌ ﴿٤٤﴾ اَلْمُتَّقِيْنَ فِيْ جَنٰتٍ وَعُيُوْنٍ ﴿٤٥﴾ اَدْخُلُوْهَا سَلٰمًا اٰمِنِيْنَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِيْ صُدُوْرِهِمْ مِنْ غُلٍّ اٰخِرًا عَلٰى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِيْنَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيْهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِيْنَ ﴿٤٨﴾ نَبِيٌّ عِبَادِيْ اِنِّيْ اَنَا الْغَفُوْرُ الرَّحِيْمُ ﴿٤٩﴾ وَاَنْ عَذَابِيْ هُوَ الْعَذَابُ الْاَلِيْمُ ﴿٥٠﴾ وَنَبِّئُهُمْ عَنْ ضَيْفِ اِبْرٰهِيْمَ ﴿٥١﴾

[٥٢] ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِبْرَاهِيمُ ﴿٥٢﴾ إِنَّا مِنْكُمْ﴾ أيها الضيوف الثلاثة ﴿وَجُلُونَ﴾ خائفون لأنهم لم يأكلوا من طعام فظن أنهم يريدون به سوء.

[٥٣] ﴿قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا مَلَائِكَةٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّا نَبْشُرُكَ بِغُلَامٍ وَلَدٍ﴾ عليهم ﴿وهو إسحاق من سارة.

[٥٤] ﴿قَالَ أَبْشِرْ تَمُونِي عَلَى أَنْ مَسْنِي الْكَبِيرِ﴾ في وقت أصابتنى الشيخوخة ﴿فَهِم تَبْشُرُونَ﴾ فيماذا تبشرونى والعادة جرت أن لا يولد لمثلي.

[٥٥] ﴿قَالُوا بَشْرُنَا بِالْحَقِّ﴾ لا كذب فيه ﴿فَلَا تَكُن مِنَ الْقَافِظِينَ﴾ الآيسين من الولد أو من رحمة الله.

[٥٦] ﴿قَالَ وَمَنْ﴾ استفهام إنكار، أي لا أقتطع ﴿يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ الذين لا يعتقدون بالله.

[٥٧] ﴿قَالَ﴾ إبراهيم عليه السلام: ﴿فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ أمركم الذي نزلتم من السماء لأجله ﴿أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ لأن الله أرسلهم.

[٥٨] ﴿قَالُوا إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمٍ مَجْرِمِينَ﴾ هم قوم لوط عليه السلام.

[٥٩] ﴿إِلَّا﴾ فلم نرسل العذاب على ﴿آلِ لُوطٍ﴾ لوط عليه السلام وآله ﴿إِنَّا لَمَنْجُوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

[٦٠] ﴿إِلَّا أَمْرَانَهُ﴾ زوجة لوط عليه السلام ﴿قَدَرْنَا﴾ قضينا ﴿إِنِّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ﴾ الباقيين فيمن يهلك.

إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجُلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نَبْشُرُكَ بِغُلَامٍ عَلَيْكَ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبْشِرْ تَمُونِي عَلَى أَنْ مَسْنِي الْكَبِيرِ فَيَعْبُدُ تَبْشُرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا بَشْرُنَا بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِنَ الْقَافِظِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوا إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمٍ فَجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمَنْجُوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا أَمْرَانَهُ قَدَرْنَا إِنَّا لَمِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَسْتَمِرُّونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرَ بِأَهْلِكَ يَقْطَعُ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبَعَ أَذْهَبَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَوْلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٧٠﴾

[٦١] ﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطَ الْمُرْسَلُونَ﴾ الملائكة.

[٦٢] ﴿قَالَ﴾ لوط عليه السلام: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ تنكركم نفسي لخوفي من لحوق أذى القوم بكم.

[٦٣] ﴿قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا﴾ بالعذاب الذي ﴿كَانُوا﴾ كان قومك ﴿فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ يشكون، فإن لوط عليه السلام كان يخوفهم بالعذاب وهم ينكرون ذلك.

[٦٤] ﴿وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ بعذابهم الذي هو واقع قطعاً ﴿وَأَنَا لَصَادِقُونَ﴾ فيما أخبرناك.

[٦٥] ﴿فَأَسْرَ﴾ أخرج ليلاً ﴿بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ﴾ بطائفة ﴿مِنَ اللَّيْلِ﴾ بأن مضى قسم من الليل ﴿وَاتَّبَعَ﴾ يا لوط عليه السلام ﴿أَذْهَبَهُمْ﴾ عقب أهلك حتى تطلع على أنهم يسيرون ولم يبق منهم أحد ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ﴾ إلى ورائه ﴿مِنْكُمْ أَحَدٌ﴾ لئلا يرى عذاب أهل المدينة ﴿وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ إلى المكان الذي تؤمرون بالمضي إليه.

[٦٦] ﴿وَقَضَيْنَا﴾ أوجينا ﴿إِلَيْهِ﴾ إلى لوط عليه السلام ﴿ذَلِكَ الْأَمْرَ﴾ أمر عذاب القوم ﴿أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ﴾ أي هؤلاء إلى آخرهم، فإن دابر من الدبر بمعنى الوراء والآخر ﴿مَقْطُوعٌ﴾ مستأصل ﴿مُصْبِحِينَ﴾ حال دخولهم في الصباح.

[٦٧] ﴿وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ﴾ مدينة لوط عليه السلام ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ يبشرون بعضهم بعضاً بأضياف لوط يريدون بهم اللواط.

[٦٨] ﴿قَالَ﴾ لوط عليه السلام، قبل أن يعرف أنهم ملائكة: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ﴾ أي لا تفضحوني بالتعرض لهم.

[٦٩] ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَخْزُونِ﴾ تخجلوني بسببهم.

[٧٠] ﴿قَالُوا﴾ القوم: ﴿أَوْلَمْ نَنْهَكَ﴾ ننهك ﴿عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ عن أن تجير أحداً من الناس.

[۷۱] ﴿قَالَ﴾ لوط ﴿عليه السلام﴾: ﴿هؤلاء بناتي﴾ أزوجهن إياهن ﴿إن كنتم فاعلين﴾ تريدون النكاح.

[۷۲] ﴿لعمرك﴾ قسماً بحياتك يا لوط ﴿عليه السلام﴾ ﴿إنهم﴾ القوم ﴿لفي سكرتهم﴾ ضلالهم المسكر لهم المغطي على عقولهم ﴿بعمهون﴾ يتحIRON.

[۷۳] ﴿فأخذتهم الصبيحة﴾ الصوت الهائل ﴿مشرقين﴾ في حال كونهم داخلين في وقت شروق الشمس.

[۷۴] ﴿فجعلنا عاليها﴾ عالي المدينة ﴿سافلها﴾ بأن قلبناها ﴿وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل﴾ طين متحجر.

[۷۵] ﴿إن في ذلك﴾ العذاب ﴿آيات﴾ أدلة ﴿للمؤمنين﴾ الذين ينظرون إلى العلائم والأشياء فيعرفون حقائقها.

[۷۶] ﴿وإنها﴾ قراهم الهالكة ﴿لبسبيل﴾ في الطريق، واللام للتأكيد ﴿مقيم﴾ ذلك السبيل أي ثابت قائم يمرون عليها الناس بين مكة والشام.

[۷۷] ﴿إن في ذلك﴾ العذاب ﴿آية﴾ لعبرة ودلالة ﴿للمؤمنين﴾.

[۷۸] ﴿وان﴾ إنه ﴿كان أصحاب الأيكة﴾ هي الشجر الملتف كانت غيضة بقرب مدين، فيها قوم شعيب ﴿لظالمين﴾ في تكذيب الرسول ﴿عليه السلام﴾.

[۷۹] ﴿فانقمنا منهم﴾ بالإهلاك ﴿وإنهما﴾ مدينتي لوط وشعيب ﴿إليام﴾ طريق يؤمه الناس أي يقصده ﴿مبين﴾ واضح.

[۸۰] ﴿ولقد كذب أصحاب الحجر﴾ سكان الحجر وهو واد بين المدينة والشام، وأصحاب الحجر هم ثمود قوم صالح ﴿المرسلين﴾.

[۸۱] ﴿وآتيناهم آياتنا﴾ الناقة وسائر معجزات صالح ﴿عليه السلام﴾ ﴿فكانوا عنها معرضين﴾ لا يعتبرون بها.

[۸۲] ﴿وكانوا ينتحون من الجبال﴾ بيوتاً آمنين ﴿من خرابها ومن الأعداء واللصوص﴾.

[۸۳] ﴿فأخذتهم الصبيحة﴾ صيحة جبرئيل بالعذاب ﴿مصبحين﴾ حال كونهم دخلوا الصباح.

[۸۴] ﴿فما أغنى عنهم﴾ ما أفادهم ﴿ما كانوا يكسبون﴾ من نحت البيوت وجمع المال.

[۸۵] ﴿وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق﴾ فلا يلائمان الشر والفساد ﴿وإن الساعة﴾ القيامة ﴿آية﴾ لعذابهم ﴿فاصفح﴾ أعرض يا رسول الله ﷺ عن الكفار ﴿الصفح الجميل﴾ عفواً جميلاً فإن الأخلاق الطيبة تقرب الناس إلى المبلغ.

[۸۶] ﴿إن ربك هو الخلاق العليم﴾ بتدبير خلقه، ولذا يأمرك بالصفح.

[۸۷] ﴿ولقد آتيناك﴾ أعطيناك يا محمد ﷺ ﴿سبعاً﴾ سبع آيات ﴿من المثاني﴾ بيان السبع وهو من الشاء لأن سورة الحمد ثناء لله، أو المراد ما تثنى تلاوتها في كل صلاة ﴿والقرآن﴾ عطف الكل على البعض ﴿العظيم﴾.

[۸۸] ﴿لا تمدن﴾ لا تنظر نظر راغب، وحيث أن شعاع العين يمتد، نسب المد إلى العين ﴿عينيك إلى ما متعنا به﴾ عائد إلى (ما) والمراد به كل نعمة ﴿أزواجاً﴾ أصنافاً ﴿منهم﴾ من الناس الكفار، أي لا تنظر إلى نعم الناس بنظر الرغبة، لأن نعم الدنيا لا شيء بالنسبة إلى نعم الآخرة ﴿ولا تحزن عليهم﴾ إن لم يؤمنوا ﴿واخفض جناحك﴾ ألن جانبك، تشبيه بالطير حين يخفض جناحه تواضعاً ﴿للمؤمنين﴾.

[۸۹] ﴿وقل إني أنا النذير المبين﴾ الواضح أنذرهم من بأس الله.

[۹۰] ﴿كما﴾ متعلق بـ (آتيناك) أي أنزلنا عليك الكتاب كما ﴿أنزلنا﴾ الكتاب ﴿على المقسمين﴾ أي أهل الكتاب الذين اقتسموا القرآن إلى حق وهو ما يوافق توراتهم وباطل وهو ما لا يوافق توراتهم.

قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ بِعَمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّبِيحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّا لِلْسَّبِيلِ مُقِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَانْقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنِّهَآ إِلَآ مَا رَمَيْنَا ﴿٧٩﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسِلِينَ ﴿٨٠﴾ وَآيَنَّا لَهُمْ آيَاتِنَا فَكَأَنَّهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٨١﴾ وَكَأَنَّهُمْ يَنْحَوْنَ مِنَ الْجِبَالِ يَوْمَآءً أَمِينٌ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّبِيحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآيَةٌ لِّأَهْلِ الْآيَةِ ﴿٨٥﴾ فَاصْفَحْ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴿٨٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٧﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِ وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴿٨٨﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنِيَكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفَضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٩﴾ وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴿٩٠﴾ كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩١﴾

[٩١] ﴿الَّذِينَ﴾ بيان للمقتسمين ﴿جعلوا القرآن عضيضاً﴾ جمع عَضَّة، أصلها عضوة، أي أجزاء^(١).

[٩٢ - ٩٣] ﴿فَوَرَبُّكَ لِنَسَالِهِمْ أَجْمَعِينَ﴾ * عما كانوا يعملون، والسؤال إنما هو لأجل الجزاء.

[٩٤] ﴿فَاصْذَعْ﴾ أي اجهر يا رسول الله ﷺ ﴿بِمَا تَوْمَرُ﴾ من الأوامر ﴿وأعرض عن المشركين﴾ لا تبال بهم.

[٩٥] ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ الذين يستهزئون بك فنكفيك شرهم.

[٩٦] ﴿الَّذِينَ يجعلون مع الله إلهاً آخر فسوف يعلمون﴾ سوء عاقبتهم.

[٩٧] ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ من أنك شاعر وساحر وكاهن ومجنون.

[٩٨] ﴿فَسُحِّ﴾ نزه متلبساً ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ فإن الحمد ذكر صفات الكمال، والتسبيح ذكر صفات الجلال ﴿وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾.

[٩٩] ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ الموت لأنه متيقن، أي أعبد ما دمت حياً.

١٦: سورة النحل

مكية آياتها مائة وثمان وعشرون

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبُّكَ لَنَسْتَلْتَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَاصْذَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾

سُورَةُ النَّحْلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَنَّا أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ يُزِيلُ الْمَلَأُكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿٤﴾ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾

[١] ﴿أَنِّي﴾ أخذ في الإتيان ﴿أمر الله﴾ بعذاب الكفار ﴿فلا تستعجلوه﴾ فإن الكفار كانوا يقولون إن كنت صادقاً فأتنا بالعذاب ﴿سبحانه﴾ منزّه عن الشريك ﴿وتعالى﴾ هو أرفع من أن يكون له شريك ﴿عما يشركون﴾ يشرك الكفار به من الأصنام.

[٢] ﴿ينزل﴾ الله ﴿الملائكة بالروح﴾ ما يوجب روح الناس، لأن الناس بدون الإيمان أموات، كما قال: (إذا دعاكم لما يحييكم)^(٢) ﴿من أمره﴾ بإرادته، فليس مجبوراً فيما يفعل ﴿على من يشاء من عبادته﴾ ممن يريد أن يتخذه رسولاً ﴿أن أنذروا﴾ الناس ﴿أنه لا إله إلا أنا فاتقون﴾ خافوا من مخالفتي.

[٣] ﴿خلق السماوات والأرض بالحق﴾ لا عبثاً ﴿تعالى عما يشركون﴾.

[٤] ﴿خلق الإنسان من نطفة﴾ قطرة مني ﴿فإذا هو خصيم﴾ يخاصم الله ﴿مبين﴾ واضح.

[٥] ﴿والأنعام﴾ جمع نعم: الإبل والبقر والغنم ﴿خلقها لكم فيها دفء﴾ ما يستدفئ به من اللباس ﴿ومنافع﴾ من ثروة وركوب ﴿ومنها تأكلون﴾ اللحم وما يتأتى من اللبن.

[٦] ﴿ولكم فيها جمال﴾ حسن منظر وزينة ﴿حين تريحون﴾ تردونها إلى مرايحها ومباركها بالليل ﴿وحين تسرحون﴾ ترسلونها إلى مرعائها بالغداة.

(١) عضوت الشيء: فرقته وبغضته.

(٢) سورة الأنفال: ٢٤.

[٧] ﴿وَتَحْمِلْ أَثْقَالَكُمْ﴾ أحمالكم ﴿إِلَىٰ كُلِّ مَبْلَدٍ لِّمَ تَكُونُوا بِالْغَنِيِّ﴾ لا تقدرون على بلوغه لبعده ﴿إِلَّا بِشِقِّ﴾ بكلفة ﴿الْأَنْفُسِ﴾ وإيقاعها في المشقة ﴿إِنْ رِبْكُمْ لِرُؤُوفٍ﴾ الرأفة فوق الرحمة ﴿رَحِيمٍ﴾.

[٨] ﴿وَالْخَيْلِ﴾ الفرس عطف على الأنعام ﴿وَالْبِغَالِ وَالْحَمِيرِ لَتَرْكِبُوها وَزِينَةً لِّتَتَّزِنُوا بِها﴾ ويخلق ما لا تعلمون ﴿خَلَقَ مِنْ أَنْوَاعِ الْحَيَوَانَاتِ الَّتِي لَا تَعْلَمُونَهَا، أَوْ يَخْلُقُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ﴾.

[٩] ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ أي بيان الطريق المستقيم ﴿وَمِنْهَا﴾ من السبل ما هو ﴿جَائِرٌ﴾ مائل عن القصد ﴿وَلَوْ شَاءَ لَهْدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ بأن ألجأكم إلى الإيمان.

[١٠] ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ جَهَّةَ الْعُلُوِّ﴾ ماء لكم منه شراب ﴿مَا تَشْرَبُونَهُ﴾ ومنه شجر ﴿يَنْبِتُ بِوَسْطَةِ الْمَاءِ فِيهِ﴾ في ذلك الشجر ﴿تَسِيمُونَ﴾ ترعون ماشيتكم.

[١١] ﴿يَنْبِتُ لَكُمْ بِهِ﴾ بماء السماء ﴿الزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ جميع أنواع أشجار الأثمار ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿لَايَةً﴾ على الله سبحانه ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في الآيات.

[١٢] ﴿وَسَخَّرَ﴾ ذلل لمنافعكم ﴿لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنَّجْمُومَ مَسْخَرَاتٍ﴾ كلها مذللات ﴿بِأَمْرِهِ﴾ تعالى وإرادته، لا أنه تعالى مجبور فيما يفعل ولا

أنها تفعل ما تشاء ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَايَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يستعملون عقولهم.

[١٣] ﴿وَسَخَّرَ﴾ ما ذرأ ﴿خَلَقَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ من حيوان ونبات ومعادن ﴿مُخْتَلَفًا لِّوَانِهِ﴾ بألوان مختلفة ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَايَةً لِقَوْمٍ يَذْكُرُونَ﴾ يتذكرون.

[١٤] ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لَتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ لحم السمك، فإن لحومهم كانت غالباً يابسة لأنهم كانوا يصنعونها قديداً ﴿وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حُلِيَةً﴾ كاللؤلؤ والمرجان ﴿تَلْبَسُونَهَا﴾ للزينة ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ﴾ السفينة ﴿مُؤَاخِرَةً﴾ جمع ماخرة أي تشق الماء ﴿فِيهِ﴾ في البحر ﴿وَلِتَبْتَغُوا﴾ تطلبوا ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ تعالى بأن تركبوه للتجارة ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ الله لنعمه.

وَتَحْمِلْ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّم تَكُونُوا بِالْغَنِيِّ إِلَّا بِشِقِّ
الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَالْخَيْلِ وَالْبِغَالِ
وَالْحَمِيرِ لَتَرْكِبُوها وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾
وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهْدَاكُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ
شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنْبِتُ لَكُمْ
بِهِ الزَّيْتَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ
الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١١﴾
وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنَّجْمُومَ
مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ
﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلَفًا لِّوَانِهِ إِنَّ
فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الَّذِي
سَخَّرَ الْبَحْرَ لَتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا
مِنْهُ حُلِيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوْاخِرَةً
فِيهِ ﴿١٤﴾ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٥﴾

[١٥] ﴿وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي﴾ جبالاً ثوابت ﴿أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ لثلا تميل الأرض بكم، فلولاً الجبال لمالت الأرض واضطربت ﴿وَجَعَلَ فِي الْأَرْضِ أَنْهَاراً وَسُبُلًا﴾ طرقاً ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ إلى مقاصدكم، أو إلى توحيده تعالى فإن الأثر يدل على المؤثر.

[١٦] ﴿وَجَعَلَ﴾ علامات ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ عَلامَةً﴾ وبالنجم جنس النجم ﴿هَمْ يَهْتَدُونَ﴾ إلى الطرق وإلى بعض الكائنات.

[١٧] ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ﴾ هذه الأشياء وهو الله ﴿كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾ وهي الأصنام ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ فكيف تشركون الأصنام بالله تعالى.

[١٨] ﴿وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ لا تتمكنوا من إحصائها وعدّها ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ فلا يقطع نعمه لعدم شكركم له.

[١٩] ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ﴾ من نية وعمل تأتون به سرّاً ﴿وَمَا تَعْلَنُونَ﴾ تظهرون.

[٢٠] ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي الأصنام ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يَخْلُقُونَ﴾ فإن الأصنام مخلوقة لله.

[٢١] هم ﴿أَمْوَاتٌ﴾ لا حياة لها ﴿غَيْرِ أَحْيَاءٍ﴾ تأكيد ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ لا تفهم الأصنام ﴿أَيَّانَ﴾ وقت ﴿يَبْعَثُونَ﴾ بعثهم، بخلاف الله فإنه يخلق وهو حي ويشعر وقت بعث

وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَاراً وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَتْنًا لَكَ ۖ فَاغْلُظْ صَدُّوقًا ﴿١٦﴾ وَأَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ ۚ أَفَلَا تُذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تَعْلَنُونَ ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ تَأْتُونَ غَيْرَ الْأَحْيَاءِ وَمَا يُشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ ۚ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَاحِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا تَعْلَنُونَ ۚ إِنَّهُمْ لَا يَحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أُنْزِلَ رَبُّكُمْ قَالَوْا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوْا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّوْنَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ ﴿٢٥﴾ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۚ فَآفَ اللَّهُ بَيْنَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَنَّهُمْ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾

الناس.

[٢٢] ﴿إِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ وذلك لازم عدم إيمانهم بالإله الواحد ﴿قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ﴾ للحق ﴿وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ يتكبرون عن قبول الحق.

[٢٣] ﴿لَا جَرَمَ﴾ حقاً ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا تَعْلَنُونَ﴾ فيجازيهم ﴿إِنَّهُ لَا يَحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾.

[٢٤] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أُنْزِلَ رَبُّكُمْ﴾ أي الأكاذيب التي كان الأولون يقولونها.

[٢٥] ﴿لِيَحْمِلُوا﴾ أي كانت عاقبة تكذيبهم حمل معاصيهم ومعاصي من ضل بسببهم ﴿أَوْزَارَهُمْ﴾ ذنوبهم ﴿كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ﴾ بعض ﴿أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّوْنَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ فإن الضلال والإضلال جهل ﴿أَلَا سَاءَ﴾ بشس ﴿مَا يَزُرُونَ﴾ يحملون من الذنوب، أي بشس الحمل حملهم.

[٢٦] ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أمم سائر الرسل قبل أمتك يا محمد ﷺ ، والمراد مكروا لإطفاء نور الرسل ﴿فَأَتَى اللَّهُ﴾ جاء أمر الله إلى ﴿بَيْنَانِهِمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ﴾ أساسه ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ كناية عن إهلاكهم كمن يسقط عليه سقف بيته ﴿وَأَتَنَّهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ لا يتوقعون.

[٢٧] ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَخْزِيهِمْ﴾ يفضحهم ﴿وَيَقُولُ﴾ الله لهم: ﴿أَيْنَ شُرَكَائِي﴾ أي الأصنام التي جعلتموها شركاء لي ﴿الَّذِينَ كُنْتُمْ تَشَاقِقُونَ﴾ تعاندون المسلمين ﴿فِيهِمْ﴾ في شأنهم ﴿قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ أعطوا العلم وهم الأنبياء والأولياء والملائكة ﴿إِنَّ الْخِزْيَ﴾ الذلة في هذا ﴿الْيَوْمِ﴾ يوم القيامة ﴿وَالسُّوءَ﴾ العذاب ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

[٢٨] ﴿الَّذِينَ﴾ بدل (الكافرين) ﴿تَتَوَفَّاهُمْ﴾ تميتهم ﴿الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ في حال كونهم ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصي ﴿فَالْقُوا السَّلَمَ﴾ استسلموا وانقادوا للملائكة، قائلين كذباً ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ﴾ كفر وعصيان ﴿بَلَى﴾ كنتم تعملون ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

[٢٩] ﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ﴾ كل صنف من الباب المعد له ﴿خَالِدِينَ فِيهَا فَلْيُبْسِمْ ثَمْوِي﴾ محل ﴿الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ الذين تكبروا عن الحق.

[٣٠] ﴿وَقِيلَ﴾ قالت الملائكة ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الكفر والمعاصي: ﴿مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا﴾: ﴿أَنْزَلَ﴾ خيراً ولعل هذا السؤال والجواب لأجل زيادة سرورهم ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ بالإيمان والعمل الصالح ﴿فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ كرامة وسعادة ﴿وَلِلَّذِينَ اتَّقَوْا خَيْرٌ﴾ لهم ﴿وَلَنَعْمَ﴾ الآخرة هي ﴿دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾.

[٣١] ﴿جَنَّاتٍ﴾ بدل (دار) ﴿عَدْنٍ﴾ إقامة أي دار إقامة ﴿يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا﴾ تحت أشجارها وقصورها ﴿الْأَنْهَارُ لَهَا فِيهَا مَا يَشَاءُونَ﴾ ما يريدون ﴿كَذَلِكَ﴾ هكذا ﴿يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ﴾ الذين يجتنبون الكفر والآثام.

[٣٢] ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمْ﴾ تميتهم ﴿الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ﴾ طاهرين عن الكفر والعصيان ﴿يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ سلامة لكم من كل آفة وعاهة ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ بأعمالكم الصالحة.

[٣٣] ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ استفهام إنكار، أي ماذا ينتظر الكفار، في عدم إيمانهم ﴿إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ لقبض أرواحهم ﴿أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ﴾ بالهلاك والعذاب ﴿كَذَلِكَ﴾ هكذا ﴿فَعَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ كذبوا رسلهم فأهلكوا ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ﴾ بإهلاكهم ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بالكفر والمعاصي فاستحقوا العقاب.

[٣٤] ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتٌ﴾ عقاب أعمالهم السيئة ﴿مَا عَمِلُوا وَحَاقَ﴾ أحاط ﴿بِهِمْ﴾ ما كانوا به يستهزئون ﴿فَإِنْهُمْ كَانُوا يُسْتَهْزَءُونَ بِالْعَذَابِ﴾.

ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَشَاقِقُونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ فَأَلْقَوْا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلْيُبْسِمْ ثَمْوِي الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرٌ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلِلَّذِينَ اتَّقَوْا خَيْرٌ وَلَنَعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّاتٍ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتٌ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزَءُونَ ﴿٣٤﴾

[٣٥] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ جعلوا لله شريكاً: ﴿لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء﴾ من الأصنام ﴿نحن ولا أبائنا ولا حرماننا من دونه﴾ دون أمر الله ﴿من شيء﴾ كالبحيرة والسائبة ﴿كذلك فعل الذين من قبلهم﴾ فعلوا الكفر والقبائح ﴿فهل على الرسل إلا البلاغ﴾ التبليغ ﴿المبين﴾ الواضح، والاستفهام للإنكار ولبيان أن الرسل فعلوا ما هو تكليفهم، وإنما عصى الناس بعد إتمام الحجة.

[٣٦] ﴿ولقد بعثنا﴾ أرسلنا ﴿في كل أمة﴾ جماعة ﴿رسولاً﴾ فيقول لهم: ﴿أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾ عبادة الأصنام ﴿فمنهم من هدى الله﴾ بأن لطف بهم اللطف الخفي لما سلكوا الطريق ﴿ومنهم من حقن﴾ ثبتت ﴿عليه الضلالة﴾ لأنه لم يقبل الهداية ﴿فسيروا﴾ سافروا أيها الكفار ﴿في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾ من الأمم فإنكم ترون ديارهم الخربة وتسمعون أخبارهم ممن يسكنون حوالي بلادهم.

[٣٧] ﴿إن تحرص﴾ يا رسول الله ﴿على هدايتهم﴾ هداية هؤلاء المعاندين ﴿فإن الله لا يهدي من يضل﴾ أي إياهم منهم لأنهم عاندوا فتركهم الله حتى ضلوا ﴿وما لهم من ناصرين﴾ يدفع العذاب عنهم.

[٣٨] ﴿وأقسموا بالله جهد إيمانهم﴾ جمع يمين بمعنى القسم أي أقسامهم المؤكدة ﴿لا بيعث الله من يموت﴾ فليس هناك حياة بعد الموت ﴿بلى﴾ يعثهم، وعد ذلك ﴿وعداً عليه﴾ إنجازه ﴿حقاً﴾ فإنه لا يخلف الميعاد ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ أنهم يبعثون.

[٣٩] وإنما يبعثهم ﴿ليبين لهم الذي﴾ الحق الذي ﴿يختلفون فيه﴾ فإن الآخرة محكمة كبرى يتبين فيها المحق من المبطل ﴿وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين﴾ في نفهم للبعث فيجازيهم، وليس البعث صعباً على الله.

[٤٠] ﴿إنما قولنا لشيء إذا أردناه﴾ أردنا وجود ذلك الشيء ﴿أن نقول له كن فيكون﴾ فإذا أردنا البعث نقول له: كن، فيكون.

[٤١] ﴿والذين هاجروا في الله﴾ في سبيل الله ﴿من بعد ما ظلموا﴾ بأذى كفار مكة لهم ﴿لنبؤنهم﴾ ننزلهم ﴿في الدنيا حسنة﴾ منزلاً حسناً ﴿ولأجر الآخرة أكبر﴾ مما تعطيه في الدنيا ﴿لو كانوا يعلمون﴾ لعلوا ذلك.

[٤٢] ﴿الذين﴾ بدل من (الذين هاجروا) ﴿صبروا وعلى ربهم يتوكلون﴾.

وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿٣٦﴾ إِنَّ تَحْرِيصَ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٣٧﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلْ وَعَدَ عَلَيْهِمْ حَقًّا وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لَيَبْينَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَنْبِؤَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَآجِرَ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾

﴿٤٣﴾ ﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم﴾ فهم من جنس البشر خلافاً لما كان يزعمه قريش أن الرسول لا يكون إلا من الملائكة ﴿فاسألوا أهل الذكر﴾ أي أهل الكتب السابقة ﴿إن كنتم لا تعلمون﴾ ذلك حتى تعلموكم، وقد ورد تأويل الآية بالأئمة الطاهرين عليهم السلام.

﴿٤٤﴾ بالبينات﴾ متعلق بـ (أرسلنا) أي بالأدلة الواضحة ﴿والزبر﴾ الكتب المنزلة ﴿وأنزلنا إليك الذكر﴾ القرآن ﴿لتبين للناس ما نزل إليهم﴾ من الشرائع والعلوم ﴿ولعلمهم يتفكرون﴾ فيه فيرجعوا إلى الحق .

﴿٤٥﴾ «أَفَأَمَّنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ» احتالوا لهلاك الأنبياء ﷺ «أَن يَخْشِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ» بَأَن تَبْلُعَهُمُ الْأَرْضُ كَمَا خَشَفَ بَقَارُونَ «أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ» لَا يَظُنُّونَ مُجِيءَ الْعَذَابِ مِنْهُ كَمَا فَعَلَ اللَّهُ بِقَوْمِ لُوطٍ وَصَالِحٍ وَشُعَيْبٍ وَغَيْرِهِمْ .

[٤٦] ﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ فِي ثَغْلِهِمْ﴾ في أسفارهم ﴿فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ لا يتمكنون من تعجيز الله تعالى سواء كانوا في حضر أو سفر.

[٤٧] ﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَىٰ تَخْوَفٍ﴾ أي في حال خوفهم بأن كانوا يتوقعون البلاء، في قبال قوله تعالى: (لا يشعرون) ﴿فَإِنْ رَكِبُوا لُزُوفًا﴾ حيث لا يعاجلكم بالعقوبة.

[٤٨] ﴿أولم يروا﴾ هؤلاء الكفار آثار قدرة الله فيؤمنوا

﴿إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ له ظل كالشجر والإنسان والجبل ﴿يَتَفَقَّوْا﴾ يتمايل ﴿ظِلَالُهُ﴾ حين تقع الشمس عليه ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ﴾ جمع شمال، حال كون الشمس في طرفي المشرق والمغرب ﴿سَجْدًا﴾ خاضعة تلك الأظلة ﴿لِللَّهِ﴾ وهذا لبيان تشبيه واقع الأشياء في كونها بيد الله بالظلال المرئية للإنسان صباحاً ومساءً ﴿وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ أذلاء.

[٤٩] ﴿وَلِلّٰهِ يَسْجُدُ﴾ يخضع ﴿مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ﴾ تدب وتتحرك ﴿وَمَا يَسْجُدُ الْمَلَائِكَةُ﴾ أيضاً ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ لا يتكبرون عن السجدة.

[٥٠] ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ أي والله فوقهم بالمنزلة والرتبة ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ ما يأمرهم الله سبحانه.

[٥١] ﴿وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين﴾ كما اتخذت الثنوية ﴿إنما هو إله واحد فيأي﴾ فمني لا من غيري ﴿فارهبون﴾ خافوا.

[٥٢] ﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ﴾ الطاعة ﴿وَاصِباً﴾ دائماً فليس بعض الطاعة له وبعض الطاعة لغيره ﴿أَنْفَعِرَ اللَّهُ تَقْوَنَ﴾ تخافون من غيره، والحال أن غيره لا يضر.

[٥٣] ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ أَصَابَتْكُمْ شِدَّةٌ ۖ فَيَالَيْهِ﴾ إلى الله ﴿تَجَارُونَ﴾ تتضرعون لكشف ذلك الضر.

[٥٤] ﴿ثُمَّ إِذَا كُشِفَ﴾ اللّٰهُ ﴿الضَّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقَ مِنْكُمْ﴾ وَهُمْ الْكَفَّارُ ﴿بِرَبِّهِمْ يَشْرِكُونَ﴾ يَجْعَلُونَ لَهُ شُرَكَاءَ.

[٥٥] ﴿لِيَكْفُرُوا﴾ إنما أشركوا كفراناً للنعمة، واللام للعاقبة ﴿بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾ أعطيناهاهم من النعم ﴿فَنَمْتَعُوا﴾ أمر للتهديد، أي تلذذوا بالنعم أيها الكفار ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ سوء عاقبتكم.

[٥٦] ﴿وَيَجْعَلُونَ﴾ المشركون ﴿لِمَا لَا يَعْلَمُونَ﴾ لا علم لها، وهي الأصنام ﴿نُصُيْبًا﴾ قسماً ﴿مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ زرعهم وأنعامهم ﴿تَاللَّهِ﴾ والله ﴿لَنَسْأَلَنَّهُ﴾ أيها المشركون ﴿عَمَّا كُتِبَ تَفْتَرُونَ﴾ من أن الأصنام آلهة.

[٥٧] ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتَ﴾ كانوا يقولون الملائكة بنات الله ﴿سُبْحَانَهُ﴾ أنزهه تنزيهاً ﴿وَمَا يَجْعَلُونَ لَهُمْ﴾ لأنفسهم ﴿مَا يَشْتَهُونَ﴾ من البنين.

[٥٨] ﴿وَإِذَا بَشَّرَ أَحَدَهُم بِالْأُنْثَى﴾ أخبر بولادة بنت له ﴿ظَلَّ﴾ صار ﴿وَجْهَهُ مَسْوُودًا﴾ يعلوه سواد من شدة الحزن ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ ممتلئ غيظاً.

[٥٩] ﴿يَتَوَارَى﴾ يستخفي ﴿مِنَ الْقَوْمِ﴾ الناس خجلاً ﴿مَنْ سِوَهُ مَا بَشَّرَ بِهِ﴾ كأن البنت شيء سيئ، ويتفكر ﴿أَيُّمَسْكَهُ﴾ هل يحفظ المولود، أي البنت ﴿عَلَى هُونٍ﴾ على هوان وذلة ﴿أُم يَدْسُهُ﴾ يخفيه ويقره حياً ﴿فِي التُّرَابِ الْأَفْكَارِ﴾ فليتبته السامع ﴿سَاءَ﴾ بش ﴿مَا يَحْكُمُونَ﴾ حكمهم هذا.

[٦٠] ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مِثْلُ السُّوءِ﴾ الصفة

السيئة لأنهم يوصفون بالظلم والكفر والشرك ﴿وَلِلَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً مِثْلَ آلِهَتِهِمْ﴾ الصفات الحسنة كالسلطة والقدرة والعلم ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

[٦١] ﴿وَلَوْ يَأْخُذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ﴾ بسبب ظلمهم أنفسهم وغيرهم ﴿مَا تَرَكَ عَلَيْهَا﴾ على الأرض ﴿مِنْ دَابَّةٍ﴾ فإن ظلم الظالمين يوجب عذاباً إذا جاء عم الكل ﴿وَلَكِنْ يُوْخِرُهُمْ﴾ يؤخر الله عقابهم ﴿إِلَى أَجَلٍ﴾ وقت ﴿مُسَمًّى﴾ سماه الله سبحانه لهم ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ﴾ هلكوا في الوقت المحدد بدون تقدم أو تأخر ﴿لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾.

[٦٢] ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ من البنات ﴿وَمَا يَكْرَهُونَ﴾ مع ذلك ﴿تَصِفُ السُّتْهُمُ الْكُذْبَ﴾ وهو ﴿أَنْ لَهُمُ الْحَسَنَى﴾ الصفة الحسنة أي الجنة والقرب عنده سبحانه ﴿لَا جَرَمَ﴾ حقاً ﴿أَنْ لَهُمُ النَّارُ﴾ نار جهنم ﴿وَأَنَّهُمْ مَفْرُطُونَ﴾ مقدمون إلى النار.

[٦٣] ﴿تَاللَّهِ﴾ والله إن حال هؤلاء الكفار حال الكفار السابقين ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ وَآلَهُمُ الْأُولَى﴾ كما زين لهؤلاء أعمالهم ﴿فَهُوَ﴾ فالشيطان ﴿وَلِيَهُمْ﴾ متولي أمرهم ﴿الْيَوْمَ﴾ في الدنيا، كالفرق الباطلة ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم في القيامة.

[٦٤] ﴿وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لَتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ من التوحيد وأحوال المعاد وسائر ما اختلف فيه أهل الكتاب وغيرهم ﴿وَهُدَى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ فإنهم هم المستفدون بالهداية وتنزل عليهم الرحمة.

لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمْتَعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتَسْأَلَنَّهُ عَمَّا كُتِبَ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتَ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بَشَّرَ أَحَدَهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهَهُ مَسْوُودًا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَبِهِ أَيُّسْكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْرِدُسُهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مِثْلُ السُّوءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَوْ يَأْخُذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ السُّتْهُمُ الْكُذْبَ أَنْ لَهُمُ الْحَسَنَى لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مَفْرُطُونَ ﴿٦٢﴾ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ وَآلَهُمُ الْأُولَى وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لَتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾

[٦٥] ﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ دالة على التوحيد والبعث ﴿لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ سماع اعتبار.
 [٦٦] ﴿وَإِنْ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ﴾ اعتباراً فإن نعم الله موجبة للاعتبار ﴿نَسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بَطُونِهِ﴾ بطن كل واحد منها ﴿مَنْ بَيْنَ فَرْثٍ﴾ المأكولات المنهضمة بعض الانهضام ﴿وَدَمٍ لَبِناً خَالِصاً سَائِغاً﴾ سهل المرور في حلقهم ﴿لِلشَّارِبِينَ﴾.

[٦٧] ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ﴾ من كل واحد واحد ﴿سَكراً﴾ مادة حلوة، أو المسكر وفيه إشعار بالتحريم لوصف قسيمها بالحسن ﴿وَرَزْقاً حَسَناً﴾ سائر أقسام العصير ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يستعملون عقولهم.

[٦٨] ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّخِيلِ أَنْ يَنْخُذَ مِنْهَا ثَمَرًا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْفَ الْحَبْلِ أَلَمَسْ﴾ ومن الشجر ومما يعرثون يرفعون من كرم العنب.

[٦٩] ﴿ثُمَّ كَلِمَ مِنْ كُلِّ لُجْجٍ خِشْيَا﴾ التي تشتهينها ﴿فَأَسْلَكِي سُبُلَ الْمُرْجَاتِ﴾ طرقه جائية وذاهية لأجل إنتاج العسل ﴿ذَلَّالًا﴾ حال من السبل جمع ذلول، في حال كون تلك السبل مذلة ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ﴾ العسل ﴿مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ﴾ أحمر وأصفر وأسود وأبيض ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون في صنع الله تعالى.

[٧٠] ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ﴾ يميتكم ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يَرْذُ﴾ يعاد ﴿إِلَى أَرْضٍ الْغَيْرِ﴾ أرداه وهو الهرم ﴿لَكِنِّي لَا يَعْلَمُ بَعْدَ عِلْمٍ﴾ بعد أن كان عالماً ﴿شَيْئاً﴾ فصير كالطفل ينسى معلوماته، أي ليلغ إلى هذه الحالة ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾.

[٧١] ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾ فرزق بعضهم أفضل من رزق بعض ﴿فَمَا الَّذِينَ فَضَّلْنَا بِرَأْيِهِ﴾ بمعطي ﴿رِزْقَهُمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ على ممالكهم ﴿فَهُمْ﴾ السادة والموالي ﴿فِيهِ سَوَاءٌ﴾ في الرزق، والمعنى ما هم بجاعلي ما رزقناهم شركة بينهم وبين ممالكهم حتى يتساووا فكيف يجعلون عبيد الله شركاء مع الله في الألوهية ﴿أَفَبِعِزَّةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ ينكرون، لأن معنى جعل الشركاء أن بعض النعم ليست من الله وإنما من الشركاء.

[٧٢] ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً﴾ جنسكم ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ أولاد الأولاد ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ الأرزاق الطيبة ﴿أَفَبِالْبَاطِلِ﴾ من الأصنام ﴿يُؤْمِنُونَ وَبِعِزَّةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ حيث ينسبون بعض نعمه إلى الأصنام.

وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنْ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ لَعِبْرَةٌ لَكُمْ فِيهَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً وَرَزْقاً حَسَناً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّخِيلِ أَنْ يَنْخُذَ مِنْهَا ثَمَرًا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْفَ الْحَبْلِ أَلَمَسْ ﴿٦٨﴾ وَمِمَّا يَعْرِثُونَ يَرْفَعُونَ مِنْ كُلِّ لُجْجٍ خِشْيَا لَكُمْ مِنْ كُلِّ نَخِيلٍ ﴿٦٩﴾ فَاسْلُكِي سُبُلَ الْمُرْجَاتِ وَخُذِي مِنْ بَطْنِهَا ذَلَّالًا ﴿٧٠﴾ يَخْرُجُ مِنْ بَطْنِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَنْفَكُونَ ﴿٧١﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يَرْذُ إِلَى أَرْضٍ الْغَيْرِ ﴿٧٢﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِعِزَّةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٣﴾

[٧٣] ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا﴾ المطر ﴿والأرض﴾ النبات ﴿شيئاً﴾ فإن شيئاً من الرزق لا يرتبط بالأصنام ﴿ولا يستطيعون﴾ شيئاً.

[٧٤] ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ لا تجعلوا له أشباهاً في الألوهية ﴿إن الله يعلم﴾ فساد قولكم ﴿وأنتم لا تعلمون﴾ ذلك.

[٧٥] ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ لبطلان ما تجعلونه شريكاً لله ﴿عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء﴾ عاجز عن التصرف لأنه مربوط بإذن المولى ﴿ومن رزقناه منا رزقاً حسناً فهو﴾ يتصرف فيه ﴿ينفق منه سرّاً وجهراً هل يستون﴾ المالك والمملوك، وهكذا لا يتساوى الله والأصنام التي هي مخلوقاته ﴿الحمد لله﴾ لا يستحق غيره من الأصنام الحمد ﴿بل أكثرهم لا يعلمون﴾ فيضيفون نعمه تعالى إلى غيره.

[٧٦] ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمٌ وَلَدَ أَخْرَسَ لَا يَفْهَمُ وَلَا يُفْهَمُ﴾ لا يقدر على شيء ﴿من نطق وتدبير، والأخرس أصم أيضاً﴾ وهو كل ﴿نقل﴾ على مولاه ﴿ولي أمره لأن له أتعباً ولا فائدة له عادة﴾ أينما يوجهه ﴿يرسله المولى﴾ لا يأت ﴿الأبكم﴾ بخير ﴿بكفاية مهم﴾ هل يستوي هو ﴿الأبكم﴾ ومن يأمر بالعدل ﴿لأنه ناطق فاهم﴾ وهو على صراط مستقيم ﴿لا يتوجه إلى مطلب إلا ويبلغه بأقرب طريق، والله سبحانه إله حق

وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمِنْ رِزْقِنَا لَهُ مَنَازِلًا حَسَنًا فَهُوَ يَنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوِي الَّتِي الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمٌ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَرْوِا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْاءِ السَّمَاءِ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾

والأصنام كالأبكم.

[٧٧] ﴿ولله غيب السماوات والأرض﴾ يختص به علم ما غاب عن الخلق فيهما ﴿وما أمر الساعة﴾ أمره تعالى في إقامة القيامة ﴿إلا كلمح البصر﴾ كرد الطرف في السرعة ﴿أو هو أقرب إن الله على كل شيء قدير﴾ فيقدر أن يحيي الخلق في سرعة خاطفة.

[٧٨] ﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً﴾ في حال كونكم جهالاً ﴿وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة﴾ جمع فؤاد بمعنى القلب ﴿لعلكم تشكروا﴾ نعمه تعالى.

[٧٩] ﴿ألم يروا إلى الطير مسخرات﴾ مذللات للطيران بأجنحتها ﴿في جو السماء﴾ وسطها ﴿ما يمسكهن﴾ يحفظهن عن السقوط ﴿إلا الله إن في ذلك آيات﴾ دالة على قدرة الله ﴿لقوم يؤمنون﴾ فإنهم المتفوعون بهذه الآيات.

[٨٨] ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُوا﴾ منعوا الناس ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زُجْنَاهُمْ عَذَاباً فَوْقَ الْعَذَابِ﴾ عذاباً لكفرهم وعذاباً لصدهم عن سبيل الله ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُدُونَ﴾ لفسادهم.

[٩٠] ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ هو زيادة على العدل كأن تحسن إلى إنسان لا يطلب منك شيئاً ﴿وَيُتَاءَمَّرُ﴾ إعطاء ﴿ذِي الْقُرْبَى﴾ الأقارب ﴿وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ﴾ القبيح المتزايد قبحه ﴿وَالْمُنْكَرِ﴾ ما أنكره العقل والشرع ﴿وَالْبَنِيِّ﴾ الظلم ﴿يُعْظَمُ﴾ الله بالأمر والنهي ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ تتعظون.

فغزلته ﴿من بعد قوة﴾ فتل محكم له ﴿أنكاثا﴾ مفعول ثان
ت غمرو القرشية خرقاء تغزل وتنكت ﴿تتخذون أيما نكم﴾
لفساد أي تحلفون للفساد ﴿بينكم أن﴾ ثلثا ﴿تكون أمة﴾
في أعادي حلفائهم شوكة نقضوا عهد الحلفاء وحالفوا
ذلك ﴿إنما ييلوكم﴾ يخبركم ﴿الله به﴾ بالوفاء هل تفون
على ذلك: المحق بالثواب والمطل بالعقاب.

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ
الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ
أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَيَّ
هَؤُلَاءِ وَزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى
وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ إِنَّ اللَّهَ بِأَمْرٍ بِالْعَدْلِ
وَالْإِحْسَانِ وَإِتَائِي ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ
وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يُعْظِمُكُمْ أَعْلَى كُمْ تَذَكُّرُونَ ﴿٩٠﴾
وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ
بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ
اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَفَضَتْ
غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا
بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمْ
اللَّهُ بِهِمْ وَلِيَبَيِّنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾
وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يَفْضِلُ مَنْ
يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

[٩٢] ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ﴾ كالمرأة التي ﴿نَقَضَتْ غَزْلَهَا﴾ ما غزلته ﴿مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ﴾ فتل محكم له ﴿أَنْكَاثًا﴾ مفعول ثانٍ (لنقضت) جمع نكت وهو ما ينكت فتله، فقد كانت ربطة بنت عمرو القرشية خرقاء تغزل وتنكت ﴿تَتَخَذُونَ أَيْمَانَكُمْ﴾ جمع يمين ﴿دَخَلًا﴾ غدرًا ومكرًا، وهو ما يدخل في الشيء للفساد أي تحلفون للفساد ﴿بَيْنَكُمْ أَنْ﴾ لئلا ﴿تَكُونَ أُمَّةٌ﴾ جماعة ﴿هِيَ أَرْبَى﴾ أكثر ﴿مِنْ أُمَّةٍ﴾ أخرى فقد كانوا إذا رأوا في أعادي حلفائهم شوكة نقضوا عهد الحلفاء وحالفوا أعاديهم حتى لا يكون الأعادي أكثر عددًا من حلفائهم فنهوا عن ذلك ﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ﴾ يختبركم ﴿اللَّهُ بِهِ﴾ بالوفاء هل تفون أم لا ﴿وَلَيَبْلِيَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ فيجازيكم على ذلك: المحق بالثواب والمبطل بالعقاب .

[٩٣] ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ بأن جعل الكل مهتدين ﴿وَلَكِنْ يَضِلُّ﴾ يتركه حتى يضل لأنه عاند الحق ﴿مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي﴾ بالألطف الخفية ﴿مَنْ يَشَاءُ وَلَتَسْلُتُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم عليه .

[٩٣] ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ بأن جعل الكل مهتدين ﴿وَلَكِنْ يَضِلُّ﴾ يتركه حتى يضل لأنه عاند الحق ﴿مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي﴾ بالألطف الخفية ﴿مَنْ يَشَاءُ وَلَتَسْأَلُنَ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم عليه.

[٩٤] ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا لَّأَجْلِ الْفُسَادِ، كَمَا تَقْدُمُ﴾ «بينكم فنزل قدم» من نقض اليمين «بعد ثبوتها» ثبوت القدم واستقرارها فإن الناقض يزل عن الحق ﴿وَتَذُقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ «ولا تشترؤا بعهد الله ثمناً قليلاً إنما عند الله هو خير لكم إن كنتم تعلمون» «ولكم عذاب عظيم» في الآخرة.

[٩٥] ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ «بأن تنقضوا العهد لأجل متاع الدنيا الزائلة إنما عند الله» من الثواب على الوفاء «هو خير لكم إن كنتم تعلمون» لعلمتم أن ما عند الله خير.

[٩٦] ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ﴾ «وما عند الله» من الثواب «باق ولنجزين الذين صبروا» على مشاق التكليف «أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون» أحسن الأجر.

[٩٧] ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ «إذ لا اعتداد بأعمال الكافر» «فلنحيينه حياة طيبة» فإن المؤمن الصالح مرتاح الضمير راض بعيشه «ولنجزينهم» في الآخرة «أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون».

[٩٨] ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ﴾ «أردت قراءة القرآن فاستعد» اطلب الإجابة «بالله من الشيطان الرجيم».

[٩٩] ﴿إِنَّهُ﴾ «الشيطان ليس له سلطان» تسلط «على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون» يعتمدون.

[١٠٠] ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ﴾ «يطيعون الشيطان» «والذين هم به» بسبب الشيطان «مشركون» يجعلون شريكاً لله.

[١٠١] ﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً﴾ «بالتسخ» «مكان آية والله أعلم بما ينزل» ما هو مصلحة البشر «قالوا» الكفار: «إنما أنت مفتر» تنسب إلى الله التسخ وليس من عنده «بل أكثرهم لا يعلمون» فوائد التسخ.

[١٠٢] ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ﴾ «جبرئيل، فإنه روح طاهرة» «من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا» على إيمانهم لأنهم إذا تدبروا ما في الناسخ من الصلاح رسخ الإيمان في قلوبهم «وهدي وبشرى للمسلمين».

وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلْ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا
وَتَذُقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ
عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ
هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بِآقٍ
وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ
مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَن عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ
أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ
أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ
فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطٰنٌ
عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا
سُلْطٰنُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ
﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَّكَاتٍ ءَايَةً وَاللَّهُ أَعْلَمُ
بِمَا يُزِيلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ
﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ
الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾

﴿١٠٣﴾ **﴿ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه﴾** يعلم القرآن محمداً ﷺ **﴿بشر﴾** سلمان الفارسي، أو غيره فكان الكفار يقولون إن القرآن من تعليم ذلك الرجل لمحمد ﷺ **﴿لسان﴾** لغة **﴿الذي يلحدون﴾** يميلون **﴿إليه﴾** أي يقولون إنه يعلم محمداً ﷺ **﴿أعجمي﴾** غير بين **﴿وهذا﴾** القرآن **﴿لسان عربي مبين﴾** واضح فكيف سلمان الفارسي يعلم لغة العرب.

﴿١٠٤﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ عناداً ﴿لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ﴾ بألطافه الخاصة ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم .
﴿١٠٥﴾ ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكُذْبُ﴾ يخترع الكذب ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ أشد الكاذبين كذباً .

﴿١٠٦﴾ ﴿من﴾ مبتدأ خبره: ﴿فعليهم﴾ ﴿كفر بالله من بعد﴾
﴿إيمانه إلا من أكره﴾ على قول كلمة الكفر ﴿وقلبه مطمئن﴾
ثابت ﴿بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدراً﴾ فتح صدره
للكفر وطابت نفسه به ﴿فعليهم غضب من الله ولهم
عذاب عظيم﴾ في الدنيا والآخرة.

﴿١٠٧﴾ ذلك العذاب بأنهم بسبب أنهم استحيوا رجحوا حب الحياة الدنيا على الآخرة وأن وبسبب أن الله لا يهدي القوم الكافرين يخذلهم إذا عاندوا فلهم العذاب بهذا السبب .

قلوبهم لا تفهم الحق ﴿على قلوبهم وسمعهم﴾ لا يسمع اعتبار ﴿وأولئك هم الغافلون﴾ الكاملون في الغفلة .
 وأأنفسهم وكل شيء .
 أو تلفظوا بالكفر ، أو كانوا كفاراً بغير عناد كأن الشيطان والصبر ﴿لغفور رحيم﴾ .

[١١١] ﴿يَوْمَ﴾ اذكر يا محمد ﷺ ﴿ثَانِي﴾ كل نفس تجادل عن نفسها ﴿ذَاتَهَا﴾ لأجل الخلاص ﴿وَتُوفَى﴾ تعطى كاملاً ﴿كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ﴾ جزاء أعمالها ﴿وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ﴾ فلا ينقص من أجر المحسن ولا يزداد في عقاب المسيء .
[١١٢] ﴿وَوَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ لكل أمة أنعم الله عليها بالنعم فأبطرتهم النعمة فكفروا ﴿قَرِيَةً﴾ كانت آمنة مطمئنة ﴿لَا خَوْفٌ وَلَا اضْطِرَابٌ لَهَا﴾ يأتيها رزقها رغداً واسعاً ﴿مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ من النواحي المختلفة ﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ﴾ لم تؤد شكرها ﴿فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾ فشمّل جسداهم الجوع والخوف ﴿بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ بسبب كفرانهم .

[١١٣] ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ﴾ من أنفسهم لا من الملائكة ، ولا من أمة أخرى ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ حال ظلمهم لأنفسهم .
[١١٤] ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ حَلَالًا﴾ شرعاً ﴿طَيِّبًا﴾ لا خبث فيه ﴿وَاشْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ لِيَاءَ تَعْبُدُونَ﴾ .
[١١٥] ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أَهْلُ لُغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ الضمير عائد إلى (ما) والمراد ما سمي اسم الأصنام عليه عند الذبح ، والإهلال رفع الصوت عند الذبح ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ﴾ إلى أكل هذه الأشياء ﴿غَيْرِ بَاغٍ﴾ لم يبيغ أي لم يطلب ذلك ﴿وَلَا عَادٍ﴾ لم يتعد في أكله مقدار

﴿يَوْمَ ثَأَنِي﴾ كل نفس تُجَدِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوفَى كُلُّ نَفْسٍ مَبْعُوثَةً لِمَا كَانَتْ تَعْمَلُ ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرِيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ لِيَاءَ تَعْبُدُونَ﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أَهْلُ لُغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَارْتَحِلْ عَلَى الْكُذْبِ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِيَقْفَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَقْفَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يَفْلَحُونَ ﴿مَتَّعَ قَلِيلٌ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلٍ وَمَا ظَنَنْتُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ

الضرورة ، وإنما حصر المحرم بـ (إنما) بالنسبة إلى ما حرموه من السائبة والبيحة ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ .

[١١٦] ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكُذْبَ﴾ أي ما تقوله ألسنتكم كذباً ﴿هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ﴾ فلا تقولوا لما أحللتموه بأنفسكم كالميتة هذا حلال ولما حرمتموه بأنفسكم كالسائبة هذا حرام ﴿لَتَقْفَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ بأن تضيفوا على أصل التحريم والتحليل ، الافتراء على الله ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَقْفَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يَفْلَحُونَ﴾ لا يفوزون بالثواب .
[١١٧] ﴿لَهُمْ﴾ متاع ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ قليل ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ﴾ في الآخرة ﴿أَلِيمٌ﴾ مؤلم .

[١١٨] ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا﴾ اليهود ﴿حَرَمًا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلٍ﴾ في سورة الأنعام في آية (وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر)^(١) ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ﴾ في تحريم تلك المحرمات عليهم ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بالكفر والعصيان فالتحريم كان جزاء أعمالهم .

[١١٩] ﴿ثُمَّ إِنْ رَيْكَ﴾ يا محمد ﷺ ﴿لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾ يا محمد ﷺ ﴿لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ﴾ المعصية ﴿بِجَهَالَةٍ﴾ جاهلين بالله وعقابه، فإن كل عاص جاهل ﴿ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا﴾ عملهم ﴿إِنْ رَيْكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾ بعد التوبة والإصلاح ﴿لِغُفُورٍ رَحِيمٍ﴾.

[١٢٠] ﴿إِنْ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ لأنه كان مؤمناً فهو أمة كاملة في مقابل سائر البشر الذين كانوا أمة كافرة ﴿فَإِنَّا﴾ مطيعاً ﴿لِلَّهِ حَنِيفًا﴾ مائلاً عن الشرك إلى الإيمان ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ كما زعم أهل الكتاب وقرش أنه ﷺ كان مشركاً.

[١٢١] ﴿شَاكِرًا لِّأَنْعَمِهِ﴾ لنعم الله تعالى ﴿اجْتِبَاهَ﴾ اختاره الله للنبيه ﴿وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ وهو صراط الدين.

[١٢٢] ﴿وَاتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ الرسالة والسعادة ﴿وَلِإِنَّ فِي الْآخِرَةِ لَمُنَ الصَّالِحِينَ﴾ الذين يدخلون الجنة.

[١٢٣] ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﷺ ﴿أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ طريقته في التوحيد والالتزام بالدين ﴿حَنِيفًا﴾ مائلاً عن الباطل ﴿وَمَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

[١٢٤] ﴿إِنَّمَا جَعَلُ السَّبْتَ﴾ وجب تعظيمه ﴿عَلَى الْيَهُودِ﴾ الذين اختلفوا فيه ﴿فَاصْطَادَ بَعْضُ فِيهِ وَلَمْ يَصْطِدْ﴾

الآخر، ولم يكن إبراهيم عليه السلام منهم ﴿وَلِنْ رَيْكَ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ يا محمد ﷺ ﴿فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ بإثابة المحق وعقاب المبطل.

[١٢٥] ﴿إِذْ﴾ يا محمد ﷺ ﴿إِلَى سَبِيلِ رَيْكَ﴾ الإسلام ﴿بِالْحِكْمَةِ﴾ بأن تضع الدعوة في موضعها ﴿وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ المواعظ المقبولة ترهيباً وترغيباً ﴿وَجَادَلَهُمْ﴾ ناظرهم ﴿بِالَّتِي﴾ بالطريقة التي ﴿هِيَ أَحْسَنُ﴾ باللين والرفق ﴿إِنْ رَيْكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ فلا يهمك عدم اهتدائهم وإنما عليك البلاغ والدعوة.

[١٢٦] ﴿وَلِنْ عَاقِبْتُمْ﴾ أردتم عقاب المسيء ﴿فَعَاقَبُوا بِمِثْلِ مَا عَاقِبْتُمْ بِهِ﴾ بأن تعاقبوه بقدر ما عاقبكم وآذاكم لا أكثر ﴿وَلِنْ صَبَرْتُمْ﴾ فلم تعاقبوا، في موقع حسن الصبر ﴿لَهُوَ﴾ الصبر ﴿خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ لما فيه من الأجر والثواب.

[١٢٧] ﴿وَاصْبِرْ﴾ يا محمد ﷺ ﴿فِي تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ﴾ ﴿وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ بتوفيق الله ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ في إغراضهم ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ﴾ لا يضيق صدرك ﴿مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ مكرهم ضدك.

[١٢٨] ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الكفر والمعاصي، فإنه تعالى معهم بالنصرة والثواب ﴿وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ أحسنوا زيادة على التقوى.

ثُمَّ إِنْ رَيْكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنْ رَيْكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغُفُورٍ رَحِيمٍ
إِنْ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَاتِلًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَوْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ
شَاكِرًا لِّأَنْعَمِي أَجْبَنَهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ
وَأَتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَنَتَّبِعُ فِي الْآخِرَةِ لِمَنِ الصَّالِحِينَ
ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ
إِنَّمَا جَعَلُ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنْ رَيْكَ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ
إِذْ إِلَى سَبِيلِ رَيْكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدَلَهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنْ رَيْكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ
وَلِنْ عَاقِبْتُمْ فَعَاقَبُوا بِمِثْلِ مَا عَاقِبْتُمْ بِهِ وَلِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ
وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ
إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ

١٧: سورة الإسراء

مكية آياتها مائة وإحدى عشر

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

سُورَةُ الْإِسْرَاءِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَيْنَا لِنُذِكرَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ
هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ
هُدًى لِبَنِي إِسْرَءِيلَ لَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا ﴿٢﴾
ذُرِّيَّةً مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُمْ كَانُوا عَبْدًا أَشْكُورًا ﴿٣﴾
وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لُتُفْسِدُنَا فِي الْأَرْضِ
مَرَّتَيْنِ وَلِتَعْلَنَ أُولُوا كِبَرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا
عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَاسٍ شَدِيدِ فَجَاسُوا خُلُلَ الدِّيَارِ
وَكَانُوا وَعْدًا مَفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ
وَأَمَدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ زَيْدَةٍ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾
إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ
وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيُسْطَوْا مِنْكُمْ وَجُوهُكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ
كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾

[١] ﴿سبحان﴾ أنزهه تنزيها ﴿الذي أسرى﴾ أذهب
﴿بعبده﴾ محمد ﷺ ﴿ليلاً من المسجد الحرام﴾ مكة
﴿إلى المسجد الأقصى﴾ بيت المقدس في الأردن ﴿الذي
باركنا حوله﴾ فحوله مبارك بكثرة الأنبياء وبكثرة الأشجار
والثمار ﴿لنريه﴾ علة للإسراء والضمير لمحمد ﷺ ﴿من
آياتنا﴾ الأدلة التي يشاهدها في السماء وفي الأرض في
مسيره السريع ﴿إنه﴾ تعالى ﴿هو السميع﴾ لأقوال
الرسول ﷺ ﴿البصير﴾ لأفعاله.

[٢] ﴿وآتينا﴾ أعطينا ﴿موسى الكتاب﴾ التوراة ﴿وجعلناه
هدى﴾ هداية ﴿لبني إسرائيل﴾ بيان كونه هدى
﴿تتخذوا من دوني وكيلًا﴾ رباً تكلون إليه أموركم.

[٣] يا ﴿ذرية﴾ أولاد ﴿من حملنا﴾ في السفينة ﴿مع
نوح﴾ فإنكم ذرية أولئك الذين فضلنا عليهم بنجاتهم من
الغرق ﴿إنه كان عبداً شكوراً﴾ كثير الشكر.

[٤] ﴿وقضينا﴾ أوحينا وأخبرنا ﴿إلى بني إسرائيل في
الكتاب﴾ التوراة ﴿لتفسدن في الأرض مرتين﴾ أولهما
بقتل شعيا النبي ﷺ وثانيهما بقتل زكريا ويحيى ﷺ

﴿ولتعلن﴾ تستكبرون ﴿علواً كبيراً﴾ بالجرأة على الله في انتهاك محرماته.

[٥] ﴿فإذا جاء وعد﴾ عقاب ﴿أولاهما﴾ أولى المرتين ﴿بعثنا﴾ أرسلنا ﴿عليكم عباداً لنا﴾ بُعث نصر وجالوت ﴿أولي﴾
أصحاب ﴿باس﴾ بطش ﴿شديد فجاسوا﴾ طاف أولئك العباد ﴿خلال الديار﴾ أواسط بلاد اليهود للقتل والنهب ﴿وكان﴾
وعد عقابهم ﴿وعداً مفعولاً﴾ لابد وأن يفعل.

[٦] ﴿ثم ردنا لكم﴾ يا بني إسرائيل ﴿الكررة﴾ الدولة ﴿عليهم﴾ أي على أولئك الذين بطشوا بكم ﴿وأمددناكم بأموال
وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً﴾ عدداً من السابق.

[٧] ﴿إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم﴾ لأن جزاء الإحسان يعود إلى نفس الإنسان ﴿وإن أسأتم فلها﴾ فوبال الإساءة يعود
إلى أنفسكم ﴿فإذا جاء وعد الآخرة﴾ وعد عقوبة المرة الثانية ﴿ليسوءوا وجوهكم﴾ أي بعثنا عباداً لنا لأجل أن يسيئوا
إليكم فيجعلوا وجوهكم بادية آثار المساء فيها ﴿وليدخلوا﴾ أولئك المبعوثين ﴿المسجد﴾ بيت المقدس ﴿كما دخلوه
أول مرة﴾ للفساد، في عقوبة المرة الأولى ﴿وليتبروا﴾ ليهلكوا ﴿ما علوا﴾ ما غلبوا عليه ﴿تتبيراً﴾ هلاكاً.

[٨] ﴿عسى﴾ لعل ﴿ربكم﴾ يا بني إسرائيل ﴿أن﴾ يرحمكم ﴿بعد المرة الثانية إن تبتم﴾ وإن عدمتم ﴿إلى الفساد﴾ عدنا ﴿إلى عقوبتكم﴾ وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً ﴿سجناً ومحبساً﴾.

[٩] ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي﴾ للطريقة التي ﴿هِيَ أَقْوَمُ﴾ أشد الطرق استقامة ﴿وَيُشِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ عظيماً.

﴿وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلماً.

[١١] ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ﴾ يدعو عند غضبه بالشَّرِّ على نفسه وأهله ﴿دُعَاءَهُ﴾ مثل دعائه ﴿بِالْخَيْرِ﴾ وكان الإنسان عجولاً يسارع إلى ما يخطر بباله ولا ينظر إلى عاقبة دعائه .

[١٢] ﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين﴾ تدلان على الله ﴿فمحونا آية الليل﴾ أي الآية التي هي الليل فمحونا نورها بالظلام ﴿وجعلنا آية النهار مبصرة﴾ مضيئة ﴿لتبتهوا﴾ لتتطلبوا في النهار ﴿فضلاً﴾ رزقاً ومعاشاً بالتجارة ﴿من ربكم وتعلموا﴾ باختلافهما ﴿عدد السنين والحساب﴾ تتعلموا الحساب للأوقات ﴿وكل شيء﴾ يحتاج إليه لإنسان في أمور دينه ودنياه ﴿فصلناه تفصيلاً﴾ شرحناه شرحاً وافياً.

عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عِدًّا جَاءَ جَهَنَّمُ لِلْكَافِرِينَ
حَصِيرًا ﴿١٨﴾ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ
الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾
وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَغْتَابَهُمُ عَذَابُ آلِ يَمِينٍ ﴿٢٠﴾
وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴿٢١﴾
وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ فَمَحْوَاةَ آيَةِ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ
النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ
السَّيِّئَاتِ وَالْحِسَابِ وَكُلُّ شَيْءٍ عَفْضَلَةٌ نَّفْصِيلًا ﴿٢٢﴾ وَكُلُّ
إِنْسَانٍ أَلْفُ مِائَةٍ أَوْ مِائَةٍ أَوْ عَشْرٍ غَنِيٌّ عَنْهُ وَنُخْرِجُ الْيَوْمَ الْقِيَامَةَ كِتَابًا
يَلْقَاهُ مَنْشُورًا ﴿٢٣﴾ أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا
﴿٢٤﴾ مَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ
عَلَيْهَا وَلَا نُزِرْ وَإِزْرَةً وَزُرْ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ
رَسُولًا ﴿٢٥﴾ وَإِذَا أَرَادْنَا نُنْهَكَ فَرِيَةً أَمَرْنَا مُتَفَرِّقِينَ فَفَسَقُوا فِيهَا
فَفُتِحَ عَلَيْهِمُ الْقُلُوبُ فَذَرْتَهَا تَذَمُّرًا ﴿٢٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ
الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ ذُنُوبَ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٢٧﴾

[١٣] ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمَانَهُ طَائِرُهُ﴾ عمله، فإنه كالطائر يصعد إلى فوق ﴿فِي عُنُقِهِ﴾ كالطوق الملازم للإنسان ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا﴾ صحيفة عمله ﴿يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾ مفتوحاً أمامه.

[١٤] ويقال له: ﴿اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيياً﴾ فأنت تحاسب نفسك من كتابك الذي تقرأه.
 [١٥] ﴿من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه﴾ ففائدة هدايته لنفسه ﴿ومن ضل فإنما يضل عليها﴾ ضرره يعود إلى نفسه ﴿ولا تزر﴾ لا تحمل نفس ﴿وازره﴾ حاملة للعصيان ﴿وزر أخرى﴾ نفس أخرى، فذنب كل إنسان على نفسه ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾ فنلزمهم الحجة.

[١٦] **﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً﴾** لأنهم خالفوا الأوامر العقلية بالفساد والظلم، لم نهلكهم قبل إتمام الحجة ببعث الرسول، بل **﴿أَمَرْنَا مَنْتَرَفِيهَا﴾** أصحاب النعمة فيها، أمرناهم بأوامرنا **﴿فَفَسَقُوا فِيهَا﴾** خالفوا أوامرنا في تلك القرية، كما يقال أمرته فعصاني وإنما خص المترفين بالذكر، لترتيب العصيان عليهم فإنهم رؤوس العصاة **﴿فَحَقَّقْتُ﴾** ثبت **﴿عَلَيْهَا﴾** على تلك القرية **﴿الْقَوْلُ﴾** لعقابها بعد مخالفتها أوامر الله **﴿فَنَدَمْنَاهَا﴾** أهلكناها **﴿تَدْمِيرًا﴾** إهلاكاً.

[١٧] ﴿وَكَمْ﴾ للتكثير ﴿أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ﴾ الأمم ﴿مَنْ بَعْدَ نُوحٍ﴾ وكفى بربك بذنوب عباده خبيراً بصيراً ﴿كَفَىٰ رِبْكَ عَالِماً مِّبْصِراً﴾ للذنوب الناس فيجازيهم عليها.

[١٨] ﴿مَنْ كَانَ يَرْيِدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهَا فِيهَا مَا تَشَاءُ لِمَنْ يَرْيِدُ ثُمَّ عَجَلْنَا لَهَا جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا مَذْمُومًا مَذْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿١٩﴾ كَلَّا نَبْذُلُهُمْ قُلُوبًا وَهُمْ لَآتٍ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ لَنَجْجِلَكَ مِنَ الْآلِهَاءِ آخِرَ تَقَعُدَ مَذْمُومًا مَذْحُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِنَّمَا يَبْغَىٰ عَنْكَ الْكِبَرُ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُنِیْ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ زَكُّوا أَنْفُسَكُمْ فِي تَقْوَىٰ رَبِّكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَادِقِينَ فَإِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَفَرَادٍ مُّقْتَدِرِينَ ﴿٢٥﴾ وَأَمَّا ذَا الْقُرْبَىٰ فَحَقُّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ بَذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنْ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٧﴾﴾

[١٩] ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا﴾ السعي اللائق بالآخرة بإتيان الأعمال الصالحة ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ إذ العمل الصالح لا ينفع بدون الإيمان ﴿فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ يشكره الله بإعطائهم الثواب.

[٢٠] ﴿كَلَّا﴾ كل واحد ممن يريد الآخرة ويريد الدنيا ﴿نَمْذُ﴾ نعطيهم ﴿هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ ممنوعاً، بل يشمل المؤمن والكافر.

[٢١] ﴿أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ في الذكاء والبرق والجمال وغيرها ﴿وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ أعظم ﴿دَرَجَاتٍ﴾ فدرجة بعضهم فوق بعض ﴿وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ وهذا تشويق لتكثير العمل لأجل الآخرة.

[٢٢] ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقَعُدَ﴾ فتصير ﴿مَذْمُومًا مَذْحُورًا﴾ لا ناصر لك.

[٢٣] ﴿وَقَضَىٰ﴾ أمر ﴿رَبِّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ﴾ تحسنوا ﴿إِحْسَانًا إِنَّمَا﴾ أصله (إن) الشرطية و(ما) الزائدة ﴿يَبْغَىٰ عَنْكَ الْكِبَرُ﴾ الشيخوخة ﴿أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُنِیْ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ فلا تتصجر منهما ولا تقل

لهما هذه الكلمة الجافية ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ لا تطردهما ولا تزجرهما بإغلاظ وصياح ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ جميلاً رقيقاً. [٢٤] ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ﴾ أي تواضع لهما كما يخفض ولد الطائر جناحه ذلةً وتواضعاً لأبويه ﴿مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ والعطف عليهما، فلا يكون الخفض لأجل الطمع وما أشبه ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ أي كما أنهما رحمانني صغيراً حيث رباني في حال كوني صغيراً.

[٢٥] ﴿رَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ من برّ وعقوق ﴿إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ﴾ بإطاعة أوامر الله ﴿فَإِنَّهُ﴾ تعالى ﴿كَانَ لِلْأَوَّابِينَ﴾ التوابين ﴿غَفُورًا﴾ يغفر ذنوبهم.

[٢٦] ﴿وَأَمَّا﴾ أعط ﴿ذَا الْقُرْبَىٰ﴾ الأقرباء ﴿حَقَّهُ﴾ المقرر في الشريعة من صلة الرحم والإحسان ﴿وَالْمَسْكِينِ﴾ الفقير ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ المنقطع في سفره ﴿وَلَا تَبْذُرْ بَذِيرًا﴾ بالإنفاق في غير ما أحله الله.

[٢٧] ﴿إِنْ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ كالأخ لهم في كون كل واحد منهما يعصي الله تعالى ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ شديد الكفر فلا ينبغي لأحد أن يتخذة أخاً.

[٢٨] ﴿وَمَا تَعْرَضُونَ عَنْهُمْ﴾ أي تعرض عن ذي القربى والمسكين وابن السبيل فيما إذا لم تجد ما تعطيههم ﴿ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا﴾ بأن تنتظر رحمة الله إليك تعطيههم منها ﴿فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مِيسُورًا﴾ ليناً حتى تجلب قلوبهم.

[٢٩] ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ بأن لا تعطي شيئاً كمن جعل يده في قيد مربوطة بعنقه ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا﴾ بأن تعطي كل ما عندك كاليد المبسوطة التي لا يبقى فيها شيء ﴿كُلَّ الْبَسِطِ فَتَقْعُدَ﴾ فتصير ﴿مَلُومًا﴾ يلومك الله والناس، بالإسراف ﴿مَحْسُورًا﴾ عاجزاً، محبوساً لا تقدر على قضاء حوائجك.

[٣٠] ﴿إِنْ رَبِّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ أي يضيق لمن يشاء ﴿إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ فلا تخف الفقر حتى لا تعطي شيئاً، ولا تسرف اعتماداً على أن الله يرزقك.

[٣١] ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَاقٍ﴾ فإنهم كانوا يقتلون أولادهم من خشية الفقر، ويقولون: من يرزقهم؟ ﴿نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنْ قَتَلْتُمْ﴾ كان خطئاً كبيراً ﴿إِنَّمَا عَظِيمًا﴾.

[٣٢] ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانَا﴾ نهي عن قربه مبالغة في النهي عنه ﴿إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً﴾ كثير الفحش والتعدي عن الحق،

وَأَمَّا تَعْرِضُونَ عَنْهُمْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مِيسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسِطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنْ رَبِّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنْ قَتَلْتُمْ حَتَّىٰ خَطَأٌ كَبِيرٌ ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانَةَ إِنْ كَانَ فَجِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالْيُسْرِ وَلَا يَأْتِيهِمْ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُمْ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كُنْتُمْ وَزَنُوا بِالْقِسْطِ أَسْتَقِيمَ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾

والفحش كل ما يشتد قبحه من الذنوب والمعاصي ﴿وساء سبيلاً﴾ أي بسط الطريق طريق الزنا.

[٣٣] ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ﴾ أي حرّمها الله وجعلها محترمة ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ كالقتل قصاصاً أو ما أشبهه ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا﴾ بغير حق ﴿فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا﴾ تسلطاً على القاتل بأن يقتله أو يأخذ الدية منه ﴿فَلَا يَسْرِفُ﴾ الولي ﴿فِي الْقَتْلِ﴾ بأن يجاوز الحد بالمثلة أو قتل غير القاتل، مَن يُسَمَّى مؤمراً، أو نحو ذلك ﴿إِنَّهُ﴾ أي الولي ﴿كَانَ مَنْصُورًا﴾ من الله بإعطائه حق القصاص.

[٣٤] ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالْيُسْرِ﴾ بالصفة التي ﴿هي أحسن﴾ لحفظه وتثمينه ﴿حتى يبلغ﴾ اليتيم ﴿أشدّه﴾ بأن يصير بالغاً ورشيداً ﴿وأوفوا بالعهد﴾ بالمعاهدات التي بينكم وبين غيركم ﴿إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ يسأل عنه يوم القيامة هل وفي به أم لا.

[٣٥] ﴿وأوفوا الكيل﴾ أتموه ﴿إذا كنتم﴾ أعطيتم بالكيل ﴿وزنوا﴾ أمر من وزن ﴿بالقسطاس﴾ الميزان ﴿المستقيم﴾ المستوي ﴿ذلك﴾ الوزن بالميزان المستقيم ﴿خير وأحسن تأويلاً﴾ مآلاً.

[٣٦] ﴿ولا تقف﴾ لا تتبع ﴿ما ليس لك به علم﴾ في العقائد والأعمال ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ﴾ القلب ﴿كل أولئك﴾ الأعضاء ﴿كان عنه مسؤولاً﴾ يسأل عنها في القيامة، فإذا عمل حسب العلم أعفي، وإلا عوقب.

[٣٧] ﴿ولا تمش في الأرض مرحاً﴾ ذا مرح واختيال ﴿إِنَّكَ﴾ بوضع رجلك على الأرض وضع المتكبرين ﴿لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ﴾ لا تتمكن من أن تشق الأرض ﴿ولن تبلغ الجبال طولاً﴾ حين تتناول عند المشي خيلاً، فما فائدة مشيك بكبرياء.

[٣٨] ﴿كل ذلك﴾ الذي تقدم النهي عنه ﴿كان سيئه﴾ السوء المنهي عنه من أفرادهم ﴿عند ربك مكروهاً﴾ الله يكرهه.

[٣٩] ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور من الأوامر والنواهي ﴿مما أوحى إليك ربك﴾ يا محمد ﷺ ﴿من الحكمة﴾ معرفة وضع الأشياء مواضعها ﴿ولا تجعل مع الله إلهاً آخر﴾ بأن تشرك ﴿فتلقى﴾ فتطرح إذا أشركت ﴿في جهنم ملوماً﴾ يلومك الله والناس ﴿مدحوراً﴾ مطروداً.

[٤٠] ﴿أفأصفاكم﴾ خضكم، يا من تقولون بأن الملائكة بنات الله، بأن أعطاكم البنين ﴿ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثاً﴾ والاستفهام للإنكار ﴿إنكم لتقولون قولاً عظيماً﴾ بنسبة الأولاد إليه تعالى.

[٤١] ﴿ولقد صرفنا﴾ كررنا الدلائل والعبر ﴿في هذا القرآن ليدذكروا﴾ ليعتبروا ﴿وما يزيدهم﴾ القرآن ﴿إلا نفوراً﴾ عن الحق.

[٤٢] ﴿قل لو كان معه آلهة﴾ كما يقولون ﴿يقول الكفار إذا﴾ حينذاك ﴿لاتنغوا﴾ طلبوا تلك الآلهة ﴿إلى ذي العرش﴾ وهو الله ﴿سبيلاً﴾ طلبوا طريقاً لمغالبتة كما يفعل الملوك بعضهم ببعض.

[٤٣] ﴿سبحانه﴾ أنزهه تنزيهاً ﴿وتعالى﴾ ارتفع ﴿عما يقولون علواً كبيراً﴾ فهو في غاية العلو والارتفاع عن كلامهم.

[٤٤] ﴿تسبح له﴾ تنزهه عن الشرك ﴿السموات السبع والأرض ومن فيهن﴾ لأن كل شيء يدل على توحيده ﴿وإن﴾ ما ﴿من شيء إلا يسبح بحمده﴾ ينزهه عن النقص حامداً له لكماله ﴿ولكن لا تفقهون﴾ لا تفهمون ﴿تسبيحهم إنه كان حليماً﴾ فلا يعاجلكم بالعقوبة ﴿غفوراً﴾ لمن تاب منكم.

[٤٥] ﴿وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً﴾ ساتراً لكم عنهم فلا يتمكنون من إيذائك.

[٤٦] ﴿وجعلنا على قلوبهم﴾ قلوب الكفار ﴿أكنة﴾ أغطية ﴿أن يفقهوه﴾ أي كراهة أن يفهموا القرآن، لأنهم لما تركوا الحق تركهم الله تعالى حتى صار قلوبهم كأنه في غطاء فلا يفهم الحق ﴿وفي آذانهم﴾ حملاً ثقيلاً فلا يسمعون الحق سماعاً نافعاً ﴿وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده﴾ بدون ذكر آلهتهم ﴿ولوا﴾ أعرضوا ﴿على أدبارهم﴾ أي مدبرين ﴿نفوراً﴾ جمع نافر أي في حال كونهم نافرين.

[٤٧] ﴿نحن أعلم بما﴾ بالنحو الذي ﴿يستمعون به﴾ بذلك النحو القرآن، فإنه سماع مستهزئ ﴿إذ يستمعون إليك﴾ حين تقرأ القرآن وترشد ﴿وإذا﴾ أي وفي زمان ﴿هم نجوى﴾ كونهم متناجين بعضهم مع بعض ﴿إذ يقول الظالمون﴾ في تناجيهم ﴿إن﴾ ما ﴿تنبئون إلا رجلاً مسحوراً﴾ قد سحر فذهب السحر بعقله، فهو مجنون.

[٤٨] ﴿انظر كيف ضربوا لك الأمثال﴾ شبهوك بالمسحور والساحر والشاعر والكاهن والمجنون ﴿فضلوا﴾ عن الحق ﴿فلا يستطيعون سبيلاً﴾ لتكذيبك إلا الكذب والبهتان.

[٤٩] ﴿وقالوا﴾ إنكاراً للبعث: ﴿إذا كنا عظاماً ورفاتاً﴾ تراباً ﴿إنا لمبعوثون﴾ في يوم القيامة ﴿خلقاً جديداً﴾ أحياء جدد.

ذَلِكَ وَمَا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ فَلَقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾ أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَقَوْلُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَآتَيْنَا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تَسْبِيحُ لَهُ السَّعَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبِيحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذُكِّرْتُ بِهِمْ فِي الْقُرْآنِ وَحَدِّثُوا عَلَيَّ أَذْنَ بَرَهًا نُّفُورًا ﴿٤٦﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنَّا تَعْبُونَ ﴿٤٧﴾ الْآرَجُلَ مَسْحُورًا ﴿٤٨﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٩﴾ وَقَالُوا إِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرَفَاتًا ءَآءًا لَّامْبَعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٥٠﴾

ذَلِكَ وَمَا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ فَلَقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾ أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَقَوْلُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَآتَيْنَا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تَسْبِيحُ لَهُ السَّعَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبِيحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذُكِّرْتُ بِهِمْ فِي الْقُرْآنِ وَحَدِّثُوا عَلَيَّ أَذْنَ بَرَهًا نُّفُورًا ﴿٤٦﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنَّا تَعْبُونَ ﴿٤٧﴾ الْآرَجُلَ مَسْحُورًا ﴿٤٨﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٩﴾ وَقَالُوا إِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرَفَاتًا ءَآءًا لَّامْبَعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٥٠﴾

ذَلِكَ وَمَا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ فَلَقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾ أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَقَوْلُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَآتَيْنَا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تَسْبِيحُ لَهُ السَّعَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبِيحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذُكِّرْتُ بِهِمْ فِي الْقُرْآنِ وَحَدِّثُوا عَلَيَّ أَذْنَ بَرَهًا نُّفُورًا ﴿٤٦﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنَّا تَعْبُونَ ﴿٤٧﴾ الْآرَجُلَ مَسْحُورًا ﴿٤٨﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٩﴾ وَقَالُوا إِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرَفَاتًا ءَآءًا لَّامْبَعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٥٠﴾

ذَلِكَ وَمَا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ فَلَقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾ أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَقَوْلُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَآتَيْنَا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تَسْبِيحُ لَهُ السَّعَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبِيحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذُكِّرْتُ بِهِمْ فِي الْقُرْآنِ وَحَدِّثُوا عَلَيَّ أَذْنَ بَرَهًا نُّفُورًا ﴿٤٦﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنَّا تَعْبُونَ ﴿٤٧﴾ الْآرَجُلَ مَسْحُورًا ﴿٤٨﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٩﴾ وَقَالُوا إِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرَفَاتًا ءَآءًا لَّامْبَعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٥٠﴾

ذَلِكَ وَمَا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ فَلَقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾ أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَقَوْلُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَآتَيْنَا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تَسْبِيحُ لَهُ السَّعَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبِيحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذُكِّرْتُ بِهِمْ فِي الْقُرْآنِ وَحَدِّثُوا عَلَيَّ أَذْنَ بَرَهًا نُّفُورًا ﴿٤٦﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنَّا تَعْبُونَ ﴿٤٧﴾ الْآرَجُلَ مَسْحُورًا ﴿٤٨﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٩﴾ وَقَالُوا إِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرَفَاتًا ءَآءًا لَّامْبَعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٥٠﴾

ذَلِكَ وَمَا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ فَلَقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾ أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَقَوْلُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَآتَيْنَا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تَسْبِيحُ لَهُ السَّعَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبِيحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذُكِّرْتُ بِهِمْ فِي الْقُرْآنِ وَحَدِّثُوا عَلَيَّ أَذْنَ بَرَهًا نُّفُورًا ﴿٤٦﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنَّا تَعْبُونَ ﴿٤٧﴾ الْآرَجُلَ مَسْحُورًا ﴿٤٨﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٩﴾ وَقَالُوا إِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرَفَاتًا ءَآءًا لَّامْبَعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٥٠﴾

[٥٠] ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﷺ جواباً لهم: ﴿كُونُوا﴾ بعد الموت شيئاً لا يمكن أن يرجع بشراً في نظرهم ﴿حجارة﴾ في القوة ﴿أو حديداً﴾ في الشدة.

[٥١] ﴿أو خلقاً مما يكبر في صدوركم﴾ خلقاً أشد من الحجارة والحديد ﴿فسيقولون من يعيدنا﴾ إذا صرنا كذلك ﴿قل الذي فطركم﴾ أي خلقكم فإن من يقدر على البدء يقدر على المعاد ﴿أول مرة فسيقولون﴾ يحركون ارتفاعاً وانخفاضاً ﴿إليك﴾ نحرك، تعجباً واستهزاء ﴿رؤوسهم﴾ ويقولون متى هو ﴿في أي وقت البعث﴾ قل عسى أن يكون قريباً ﴿فإن كل آت قريب﴾.

[٥٢] ﴿يوم يدعوكم﴾ الله للإحياء ﴿فتستجيبون بحمده﴾ تجيبونه حامدين له ﴿وتظنون إن لبثتم﴾ ما مكثتم في الدنيا ﴿إلا قليلاً﴾ لأن الماضي قليل في نظر الإنسان.

[٥٣] ﴿وقل﴾ يا رسول الله ﷺ ﴿لعبادي﴾ المؤمنين ﴿يقولوا﴾ للكفار الكلمة ﴿التي هي أحسن﴾ من سائر الكلمات في مقام البحث والإثبات ﴿إن الشيطان ينزغ﴾ يفسد ﴿بينهم﴾ بين المؤمنين والكافرين لدى الشدة والغلظة ﴿إن الشيطان كان للإنسان عدواً مبيناً﴾ ظاهر العداوة.

[٥٤] مثلاً يقولون لهم^(١): ﴿ربكم أعلم بكم﴾ بحالكم ﴿إن يشأ يرحمكم أو إن يشأ يعذبكم﴾ وما أرسلناك عليهم

﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ۖ أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ فَسَيَضْحَكُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ يَقُولُونَ مَتَى هُوَ قَوْلُ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ۖ ٥١ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ ۖ وَتَقُولُونَ إِن لَّبِثْنَا إِلَّا لَاقِلِيلًا ۖ ٥٢ قُلِ لِّعِبَادِيَ يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ۖ ٥٣ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۚ إِنَّ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ۖ ٥٤ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ۖ ٥٥ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِن دُونِي ۖ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ۖ ٥٦ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابِي ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ۖ ٥٧ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ أَلْقِيسَمَةِ ۚ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ۖ ٥٨﴾

على الناس ﴿وَكِيلًا﴾ وإنما أنت مبلغ سواء قبلوا أو لم يقبلوا.

[٥٥] ﴿وربك أعلم بمن في السماوات والأرض﴾ بأحوالهم ﴿ولقد فضلنا﴾ بالفضائل النفسية والخارجية ﴿بعض النبيين﴾ على بعض وآتيناهم ﴿داود زبوراً﴾ وكما فضلنا الأنبياء ﷺ بعضهم على بعض كذلك جعلنا مراتب الناس متفاوتة.

[٥٦] ﴿قل ادعوا الذين زعمتهم﴾ أنهم آلهة ﴿من دونه﴾ دون الله ﴿فلا يملكون﴾ لا يستطيعون ﴿كشف الضر﴾ رفع الأضرار كالمرض والفقر ﴿عنكم﴾ بإزالتها ﴿ولا تحويلاً﴾ منكم إلى غيركم.

[٥٧] ﴿أولئك الذين يدعون﴾ يدعونهم آلهة ﴿يبتغون﴾ يطلبون ﴿إلى ربهم﴾ الله ﴿الوسيلة﴾ أي يريدون القرب من الله، حيث يعترفون بأنهم ليسوا بآلهة ﴿أيهم﴾ هو ﴿أقرب﴾ إليه تعالى، فالأقرب يطلب القرب فكيف بالقرب والبعيد والأبعد ﴿ويرجون رحمته ويخافون عذابه﴾ إن عذاب ربك كان محذوراً ﴿يحذره كل واحد حتى الأنبياء والملائكة والأولياء﴾.

[٥٨] ﴿وإن﴾ ما ﴿من قرية إلا نحن مهلكوها﴾ بالموت ﴿قبل يوم القيامة أو معذبوها عذاباً شديداً﴾ بالقحط والمرض وما أشبه ﴿كان ذلك﴾ الحكم بالإهلاك والتعذيب ﴿في الكتاب﴾ اللوح المحفوظ ﴿مسطوراً﴾ مكتوباً، ولعل المراد إهلاك الكافرين وتعذيبهم.

[۵۹] ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ﴾ التي اقترحها قريش ﴿إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأُولُونَ﴾ لما اقترحوها وآتينها بها فأهلكناهم، ولذا لا نأتي بها الآن حتى لا نهلك المقترحون المعاندون ﴿وَأَتَيْنَا ثَمُودَ﴾ قوم صالح ﴿النَّاقَةَ مَبْصُورَةً﴾ دلالة واضحة ﴿فَظَلَمُوا بِهَا﴾ لما عقروها ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ﴾ المعجزات ﴿إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ للعباد من عذابنا ليؤمنوا.

[۶۰] ﴿وَإِذْ﴾ واذكر ﴿قُلْنَا لَكَ﴾ أوحينا إليك ﴿إِنْ رِبِّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾ إحاطة علم وقدره فبلغهم ولا تخشعهم ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ﴾ فقد رأى رسول الله ﷺ بني أمية ينزون على منبره نزو القردة فساء ذلك ﴿إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ امتحاناً لهم فلا تغتم له ﴿وَمَا جَعَلْنَا الشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ﴾ بني أمية الذين لعنهم ﴿فِي الْقُرْآنِ﴾ إلا فِتْنَةً وامتحاناً ﴿وَنَخْوَفُهُمْ﴾ فما يزيدهم ﴿ذَلِكَ﴾ إلا طغياناً كبيراً ﴿عَتَوْا عَظِيمًا﴾ أي أنهم يخرجون من الامتحان، بنو أمية وأتباعهم أكثر طغياناً مما إذا كانوا رعية لا يستولون على الحكم.

[۶۱] ﴿وَإِذْ﴾ واذكر ﴿قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا﴾ إلا إبليس قال أسجد لمن خلقت طيناً في حال كونه من الطين.

[۶۲] ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ﴾ أخبرني ﴿هَذَا﴾ الطين هو ﴿الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾ جعلته أكرم مني ﴿لِئِنْ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ فلم تمنني يا رب ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ﴾ لأستأصلن بالإغواء ﴿ذُرِّيَّتَهُ﴾ إلا قليلاً منهم.

[۶۳] ﴿قَالَ﴾ الله: ﴿أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَزَاءَ مَا جَزَاءُ مَنْ مَوْفُورًا﴾ مكملًا.

[۶۴] ﴿وَاسْتَغْفِرْ﴾ استخف للحركة ولاتباعك يا إبليس ﴿مَنْ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ﴾ من البشر ﴿بَصُوتِكَ﴾ بدعوتهم إلى الشر ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ﴾ من الجلبة بمعنى الصياح أي أجمع عليهم لأجل إضلالهم ﴿بِخَيْلِكَ﴾ فرسانك ﴿وَرَجْلِكَ﴾ الراجلين من أتباعك، وهذا كناية عن أن يكيد لهم بجميع أتباعه وأعوانه ﴿وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ﴾ بأن يكسبوا من الحرام ﴿وَالْأَوْلَادِ﴾ بأن يزنوا، والمراد افعل ما شئت بهم ﴿وَعَدَهُمْ﴾ بالمواعيد الباطلة، مثل أنه يشفع لهم الآلهة الصنمية وما أشبه ذلك ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ باطلاً يزينه في أنفسهم.

[۶۵] ﴿إِنْ عِبَادِي﴾ الذين يتبعون الهدى ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ سلطة في إغوائهم ﴿وَكُفَىٰ بَرِيكَ وَكَيْلًا﴾ يتكلمون إليه في إنقاذهم من شر الشيطان.

[۶۶] ﴿رَبِّكُمْ الَّذِي يُزْجِي﴾ يجري ﴿لَكُمْ الْفُلْكَ﴾ السفينة ﴿فِي الْبَحْرِ لَتَبْتَغُوا﴾ تطلبوا ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ بالتجارة ﴿إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾.

وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأُولُونَ
وَأَتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مَبْصُورَةً فَنَظَرُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ
إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا
جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ
فِي الْقُرْآنِ وَنَخْوَفُهُمْ فَلَمَّا زِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾
وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ
قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتُ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ هَذَا الَّذِي
كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ
ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ
جَزَاءَ مَا جَزَاءُ مَنْ مَوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَاسْتَغْفِرْ مَنْ اسْتَطَعْتَ
مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجْلِكَ وَشَارِكُهُمْ
فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا
غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكُفَىٰ
بَرِيكَ وَكَيْلًا ﴿٦٥﴾ رَبُّكُمْ الَّذِي يُزْجِي لَكُمْ الْفُلْكَ
فِي الْبَحْرِ لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾

[٦٧] ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ أَصَابَكُمْ خَوْفٌ مِّنَ الْغُرُقِ﴾ في البحر ضلّ غاب ﴿مَن تَدْعُونَ﴾ من الأصنام ﴿إِلَّا إِلَٰهَ﴾ الله تعالى، إذ هو الكاشف للضرّ ﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ﴾ من الغرق ﴿إِلَى الْبَرِّ﴾ حيث الاطمئنان ﴿أَعْرَضْتُمْ﴾ عن توحّده ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ كثير الكفر والكفران.

[٦٨] ﴿أَفَأَمِنْتُمْ﴾ حتى أعرضتم عنه تعالى ﴿أَن يَخْسِفَ﴾ الله ﴿بِكُمْ﴾ معكم ﴿جَانِبَ الْبَرِّ﴾ بأن يقلبه وأنتم عليه ﴿أَوْ﴾ يرسل عليكم حاصباً ريحاً فيه الحصى من السماء ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا﴾ يحفظكم من بأسه.

[٦٩] ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ أَن يَعِيدَكُم فِيهِ﴾ في البحر ﴿تَارَةً أُخْرَى﴾ مرة ثانية، بإيجاد الرغبة في أنفسكم حتى تركبوا السفينة ﴿فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا﴾ ما يقصف، أي يكسر ﴿مِنَ الرِّيحِ﴾ فيفرقكم ﴿بِكسر السفينة﴾ بما كفرتم ﴿بسبب كفركم السابق﴾ ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعاً تابعاً يطلب بثأركم ويقول لنا: لم فعلت هذا بهم؟

[٧٠] ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ بالعقل والنطق وسائر المزايا ﴿وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ﴾ على الدواب وما أشبهه ﴿وَالْبَحْرَ﴾ على السفن وما أشبهه ﴿وَوَرَزْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ على غير الخواص من الملائكة، وإن كان في البشر من هو أفضل من الخواص أيضاً.

[٧١] أذكر ﴿يَوْمَ﴾ وهو يوم القيامة ﴿نَدْعُو كُلَّ أَنَسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ إمام زمانهم من نبي أو إمام ﴿فَمِنَ﴾ من الناس ﴿أَوْتِي﴾ أعطي ﴿كِتَابَهُ بِإِمِينَةٍ﴾ وهو علامة الفلاح ﴿فَأُولَٰئِكَ يقرءون كتابهم﴾ فرحاً بما فيه ﴿وَلَا يَظْلَمُونَ قِتِيلًا﴾ لا يظلمهم الله بقدر ما في شق النواة.

[٧٢] ﴿وَمَن كَانَ فِي هَذِهِ﴾ الدنيا ﴿أَعْمَى﴾ القلب عن الحق ﴿فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى﴾ عن طريق الجنة ﴿وَأَضَلَّ سَبِيلًا﴾ أبعد عن طريق الحق والسعادة.

[٧٣] ﴿وَإِن﴾ مخففة من الثقيلة ﴿كَادُوا﴾ قارب الكفار ﴿لَيَفْتِنُونَكُمْ﴾ يضلّونك ﴿عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ من الشرائع والعقائد، وهذا كناية عن شدة كيدهم ﴿لَتَفْتُرِي عَلَيْنَا غَيْرَهُ﴾ غير الذي أوحينا إليك ﴿وَإِذَا﴾ لو اتبعت مرادهم ﴿لَاتَّخَذُواكُمْ خُلِيَاءَ﴾ ولياً لهم.

[٧٤] ﴿وَلَوْلَا أَن تَبْتَئِنَّاكَ﴾ على الحق بالعصمة ﴿لَقَدْ كَدْتُمْ قُرْبَ﴾ تميل ﴿إِلَيْهِمْ﴾ إلى الكفار ﴿شَيْئًا﴾ ركناً ﴿قَلِيلًا﴾ لكن العصمة منعت عن ذلك.

[٧٥] ﴿وَإِذَا﴾ إذا ملت إليهم ﴿لَأَذْنَبْنَاكَ ضَعْفًا﴾ عذاب ﴿الْحَيَاةِ﴾ في الدنيا ﴿وَضَعْفًا﴾ عذاب ﴿الْمَمَاتِ﴾ لأن الرسول إذا خالف استحق ضعف عذاب الناس ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ دافعاً عنك.

وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهًا فَلَمَّا نَجَّكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنْتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ أَن يَعِيدَكُم فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيَغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أَنَسٍ بِإِمِينَةٍ فَمَنْ أَوْفَىٰ كِتَابِهِ بِإِمِينَتِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يَظْلَمُونَ قِتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلَّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَاكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتُرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَجِدُوا لَكُمْ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَا أَن تَبْتَئِنَّاكَ لَقَدْ كَدْتُمْ تَرْكُنَ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذَا لَا أَذْنَبْنَاكَ ضَعْفًا الْحَيَاةَ وَضَعْفًا الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾

[۷۶ - ۷۷] ﴿وَإِنْ﴾ مخففة من الثقيلة ﴿كَادُوا﴾ الكفار ﴿لِيَسْتَفْزَنُوا﴾ يزعجونك ﴿مِنْ الْأَرْضِ﴾ أرض مكة، فإن الإنسان لا يقدر على البقاء في أرض الأعداء ﴿لِيُخْرِجُوا مِنْهَا﴾ وإذا ﴿لَوْ أَخْرَجُوا﴾ لا يلبثون ﴿لَا يَقُونَ﴾ خلافك ﴿بَعْدَكَ﴾ إلا قليلاً ﴿لَأَنَّا نَهْلِكُهُمْ﴾ حسب ﴿سُنَّةٍ﴾ طريقة ﴿مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾ فإن أرواحهم لما أخرجوهم عذبناهم، أي الأقوام ﴿وَلَا تَجِدُ لَسُنَّتِنَا حَوِيلًا﴾ تبديلاً.

[۷۸] ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ للذكاء الشمس ﴿زَوَالَهَا﴾ من نصف النهار ﴿إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾ وسط الليل وظلمته، وهذا بالنسبة إلى الصلوات الأربع ﴿وَأَقِمِ﴾ أقم ﴿قِرْآنَ الْفَجْرِ﴾ قراءة الصبح وهي صلاة الصبح ﴿إِنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَجَعَلَ مَشْهُودًا﴾ يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار.

[۷۹] ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ﴾ بعضه ﴿فَتَهَجَّدُ﴾ السهر للصلاة ﴿بِهِ﴾ بالليل ﴿نَافِلَةً﴾ زيادة على الفرائض ﴿لَكَ﴾ لنفك ﴿عَسَى﴾ لعل ﴿أَنْ يَسْمَعَكَ رَبُّكَ﴾ لأجل ما أتيت من الفرائض والنوافل ﴿مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ أي مكاناً في الجنة يحمده الناس.

[۸۰] ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي﴾ في كل أمر أدخل فيه ﴿مَدْخِلَ صَدَقٍ﴾ إدخالاً مرضياً، والكذب ما خالف ظاهره باطنه ﴿وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صَدَقٍ﴾ إخراجاً مرضياً ﴿وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا﴾ قوة وسلطة ﴿نُصِيرًا﴾ تنصرنى بها على أعدائك.

[۸۱] ﴿وَقُلْ﴾ يا محمد ﷺ: ﴿جَاءَ الْحَقُّ﴾ الإسلام ﴿وَزَهَقَ﴾ ذهب وزال ﴿الْبَاطِلُ﴾ الباطل إن الباطل كان زهوقاً ﴿مُضْمَحَلًا﴾ زائلاً، فإن من شأن الباطل الزوال.

[۸۲] ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ﴾ من الأمراض النفسية والجسدية، الفردية والاجتماعية ﴿وَرَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ولا يزيد ﴿الْقُرْآنَ﴾ الظالمين إلا خساراً ﴿خَسَارًا﴾، فإن القرآن يوجب زيادة عنادهم، وذلك يوجب زيادة خسارهم.

[۸۳] ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ﴾ بمختلف النعم كالصحة والسعة ﴿أَعْرَضَ﴾ عن ذكر الله تعالى ﴿وَنَسَا﴾ بعد ﴿بِجَانِبِهِ﴾ بنفسه عن الله تعالى ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ﴾ أصابه الشر كالمرض والفقر ﴿كَانَ يُوَسْوِسُ﴾ قنوطاً من روح الله.

[۸۴] ﴿قُلْ﴾ يا رسول الله ﷺ: ﴿كُلُّ﴾ كل إنسان ﴿يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾ أي طريقته التي اعتادها، فإن اعتاد الشكر شكر، وإن اعتاد الكفران كفر، وهكذا ﴿فَرِيكُم أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا﴾ أكثر هداية واستقامة، ثم يجازيهم عليه.

[۸۵] ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ الذي يحيى به الإنسان، يسألونك ما هو ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ حصل من أمر الله الذي قال له كن فكان، فليس شيئاً أزلياً كما زعمه بعض الفلاسفة ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ فليس تعلمون أكثر الحقائق والأشياء، وإنما تعرفونها بالآثار، فليكن الروح منه.

[۸۶] ﴿وَلَوْ كُنَّا نَعْلَمُ لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ بأن نمحي القرآن عن الأذهان والألواح ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ﴾ يا محمد ﷺ ﴿بِهِ﴾ القرآن ﴿عَلِينَا وَكِيلًا﴾ من يتوكل علينا لاسترداده، فالواجب أن يشكر الناس القرآن ويؤمنوا به، لأنه لو أذهب الله تعالى فاتهم هذا الخير، ولا أحد يقدر على إرجاعه.

وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفْزَنُواكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوا مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خَلْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةٍ مِنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لَسُنَّتِنَا حَوِيلًا ﴿٧٧﴾ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مَدْخِلَ صَدَقٍ وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صَدَقٍ وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَسَا بِنِعْمَتِنَا إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يُوَسْوِسُ ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرِيكُم أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَوْ كُنَّا نَعْلَمُ لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾

[٨٧] ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ فإن إبقاء القرآن مع كفران الناس له ليس إلا من رحمة الله تعالى ﴿إِنْ فَضَّلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾ يارسالك وإنزال القرآن إليك وإبقائه .

[٨٨] ﴿قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُوا بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ صَرَفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُفْيَاكَ حَتَّى تَنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٤﴾ قُلْ لَوْ كُنَّا فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةً يَمُوتُونَ لَزَلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾

[٨٩] ﴿وَلَقَدْ صَرَفْنَا﴾ بيّنا وكزنا ﴿لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ ليعتبروا به ﴿فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ جحوداً وإنكاراً وعدم اهتداء القرآن .

[٩٠] ﴿وَقَالُوا﴾ عناداً وإقتراحاً، بعد إتمام الحجة عليهم: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ﴾ يا محمد ﷺ ﴿حَتَّى تَفْجُرَ﴾ تظهر ﴿لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾ عيناً من الماء .

[٩١] ﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ﴾ بستان ﴿مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ﴾ فتفجر ﴿تظهر﴾ الأنهار خلالها ﴿فِي أَوَاسِطِ الْبُسْتَانِ﴾ تفجيراً بالإعجاز .

[٩٢] ﴿أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ﴾ إشارة إلى قوله تعالى: ﴿أَوْ تُسْقِطَ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ﴾^(١) ﴿عَلَيْنَا كِسْفًا﴾ قطعاً، قطعة إثر قطعة ﴿أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا﴾ مقابلاً لعائيتهم .

[٩٣] ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرٍ﴾ من ذهب ﴿وَلَنْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ﴾ بأن نراك وأنت تصعد نحو العلو ﴿وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُفْيَاكَ﴾ لصعودك وحده ﴿حَتَّى تَنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا﴾ بيدك ﴿نَقْرُؤُهُ﴾ فيه تصديق أنك رسول ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي﴾ أنزهه تنزيهاً، وفيه معنى التعجب ﴿هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا﴾ كسائر الناس ﴿رَسُولًا﴾ كسائر الرُّسُل، وهل البشر يقدر على ذلك، أو هل الرسل أتوا بمقترحات أقوامهم، إنما على الرسول البلاغ المؤيد بالمعجز .

[٩٤] ﴿وَمَا مَنَعَ﴾ لم يمنع ﴿النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا﴾ من الإيمان ﴿إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى﴾ حين جاءتهم الهداية والحجة من الله ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾ إلا إنكارهم أن يكون الرسول بشراً، لزعمهم أن الرسول لابد وأن يكون ملكاً .

[٩٥] ﴿قُلْ﴾ في جواب شبهتهم: ﴿لَوْ كُنَّا فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةً يَمُوتُونَ﴾ كما يمشي ابن آدم ﴿مُطْمَئِنِّينَ﴾ ساكنين فيها ﴿لَنَنْزِلَنَّا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾ إذ لابد من تجانس الرسول والمرسل إليه ليمكنهم إدراكه، وليكون قدوة في حركاته وسكناته .

[٩٦] ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ أنه يشهد لي بالرسالة بما أجراه على يدي من المعاجز ﴿إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا﴾ بأحوالهم ﴿بَصِيرًا﴾ يرى حركاتهم وسكناتهم .

[٩٧] ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَبِهِدْهُهُهُ الْمَهْتَدُ﴾ لأن الهداية لا تكون من غير الله ﴿وَمَنْ يَضِلُّ﴾ يتركه حتى يضل، لأنه رأى الحق فعانده ﴿فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ﴾ لأولئك الضالين ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ أنصار يهدونهم ﴿مَنْ دُونَهُ﴾ غير الله ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيَائًا﴾ جمع أعمى ﴿وَبِكُمَا﴾ جمع أبكم، الذي لا يتكلم ﴿وَصَمَّاءَ﴾ جمع أصم، الذي لا يسمع، أي يحشرون هكذا، كما كانوا في الدنيا لا يرون الحق للاعتبار، ولا يتكلمون بالحق، ولا يسمعون الحق سماع عمل ﴿مَأْوَاهُمْ﴾ محلهم ﴿جَهَنَّمَ﴾ كلما خبت سكنت نارها ﴿زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ تلهباً.

[٩٨] ﴿ذَلِكَ جَزَائُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا﴾ إنكاراً للبعث: ﴿إِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرَفَاتًا﴾ تراباً ﴿إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾.

[٩٩] ﴿أَو لَمْ يَرَوْا﴾ أو لم يعلموا ﴿أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ بإعادتهم إلى الحياة ﴿وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا﴾ وقتاً لإعادتهم ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ لا ينبغي الشك فيه ﴿فَأَبَى الظَّالِمُونَ﴾ المنكرون للبعث ﴿إِلَّا كُفُورًا﴾ جحوداً.

[١٠٠] ﴿قُلْ لَوْ أَنَّكُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي﴾ كخزائن الأعمار والأرزاق ﴿إِذَا أَنْفَقْتُمْ﴾ وكان الإنسان قنوراً ﴿بَخِيلًا﴾ لأن في طبيعته الحاجة.

[١٠١] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ معاجز واضحات وهي: العصا واليد واللسان والبحر والجراد والطوفان والقمل والضفادع والدم، وقيل غيرها بتبديل بعضها بآخر ﴿فَسَأَلَ﴾ يا محمد ﷺ ﴿بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ﴾ موسى ﷺ بهذه الآيات ﴿فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾ سحرت فخلوط عقلك.

[١٠٢] ﴿قَالَ﴾ موسى ﷺ: ﴿لَقَدْ عَلِمْتُ﴾ يا فرعون ﴿مَا أَنزَلَ هَؤُلَاءِ﴾ الآيات ﴿إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَافِرٍ﴾ بينات لأجل أن تبصركم ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ هالكاً لكفرتك.

[١٠٣] ﴿فَارَادَ﴾ فرعون ﴿أَنْ يَسْتَفْزَهُمْ﴾ يستخفهم لأجل أن ينفيههم ﴿مِنَ الْأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿فَأَغْرَقْنَاهُ وَمِنْ مَعَهُ جَمِيعًا﴾.

[١٠٤] ﴿وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ﴾ بعد فرعون ﴿لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ﴾ أرض مصر والشام ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾ وقت قيام الساعة ﴿جَنَّتْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ أنتم وهم للمحاكمة والجزاء.

وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَبِهِدْهُهُ الْمَهْتَدُ وَمَنْ يَضِلُّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيَائًا وَصَمَّاءَ وَأَنْتُمْ كُفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا إِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرَفَاتًا إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٧﴾ أَلَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٨﴾ قُلْ لَوْ أَنَّكُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذَا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَنُورًا ﴿٩٩﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَمَثَلٌ بَيْنَ يَدَيْهِ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠٠﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتُ مَا أُنْزِلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَافِرٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠١﴾ فَارَادَ أَنْ يَسْتَفْزَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمِنْ مَعَهُ جَمِيعًا ﴿١٠٢﴾ وَكُلُّوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جَنَّتْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٣﴾

[١٠٥] ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ﴾ أنزلنا القرآن، فلم ننزله لأجل الباطل ﴿وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾ فلم يبدل إلى الباطل، مثلاً قد يصدر الحاكم أمراً بقتل زيد باطلاً وقد يصدره حقاً، ثم إذا جيء للتطبيق قد يؤخذ زيد المجرم وقد يؤخذ رجل بريء اسمه زيد ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا﴾ بالسعادة والجنة لمن أطاع ﴿وَنَذِيرًا﴾ لمن خالف.

[١٠٦] ﴿وَوُحِّدْنَا﴾ أنزلناه ﴿قُرْآنًا فَرَقْنَاهُ﴾ مفزقاً، فإن نزول القرآن كان في بضع وعشرين سنة ﴿لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مَكْثٍ﴾ مهل ﴿وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ حسب المصالح.

[١٠٧] ﴿قُلْ آمَنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا﴾ فإن ذلك لا يهم الله والرسول ﷺ وإنما فائدة الإيمان ترجع إلى أنفسكم ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ﴾ قبل القرآن وهم أهل الكتاب ﴿إِذَا يَتْلَى﴾ يقرأ القرآن ﴿عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ﴾ يسقطون ﴿لِلْأَذْقَانِ﴾ جمع ذقن، وهو منتهى الوجه ﴿سُجَّدًا﴾ جمع ساجد.

[١٠٨] ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا﴾ نزه الله تنزيهاً عن خلف الوعد ﴿إِنْ كَانَ﴾ إنه كان ﴿وَعَدَ رَبَّنَا﴾ بإرسال محمد ﷺ وإنزال القرآن ﴿لِمَفْعُولًا﴾ منجزاً وهذا اعتراف منهم بالرسالة والقرآن.

[١٠٩] ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَسْكُونُونَ﴾ من خوف الله ﴿وَيَزِيدُهُمْ﴾ الله، أو القرآن ﴿خُشُوعًا﴾ خضوعاً لله.

[١١٠] ﴿قُلْ﴾ يا رسول الله ﷺ: ﴿ادْعُوا﴾ يا أيها المشركون ﴿إِلَهُهُ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَانَ﴾ فإن اللفظين يشيران إلى ذات واحدة ﴿أَيُّهَا﴾ من هذين الاسمين ﴿مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ الحسنة الدالة على صفات الجلال والجمال ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ﴾ لا ترفع بها صوتك ﴿وَلَا تَخَافُ بِهَا﴾ بحيث لا تسمع أذنك ﴿وَابْتَغِ﴾ اطلب ﴿بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ وسطاً لا جهراً ولا إخفاتاً.

[١١١] ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾ في الألوهية ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِّ﴾ من أجل ذل به، يريد بالولي دفع ذله عن نفسه ﴿وَكَبَّرَهُ تَكْبِيرًا﴾ تعظيماً.

١٨: سورة الكهف

مكية آياتها مائة وعشرة آيات

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

[١] ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ مُحَمَّدًا ﷺ﴾ الكتاب ﴿الْقُرْآنَ﴾ ولم يجعل له ﴿لِلْقُرْآنِ﴾ عوجاً شيئاً من الاعوجاج عن طريق الهداية.

[٢] ﴿قَتِيمًا﴾ في حال كون القرآن مستقيماً، لا إفراط ولا تفريط فيه ﴿لِنُنْذِرَ﴾ الله بسبب القرآن الذين كفروا ﴿بِأَسَاءٍ﴾ عذاباً شديداً من لدنه ﴿صَادِرًا مِنْ عِنْدِهِ﴾ ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً.

[٣] ﴿مُكَاتِبِينَ﴾ باقين ﴿فِيهِ﴾ في ذلك الأجر وهو الجنة ﴿أَبَدًا﴾ بلا انقطاع.

[٤] ﴿وَيُنْذِرُ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ وهم اليهود والنصارى ينذرهم بالحروب في الدنيا والعذاب في الآخرة.

وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾
وَقَدْ آمَنَّا بِقُرْآنِهِ لِقُرْآنٍ عَلَى النَّاسِ عَلَى مَكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴿١٠٦﴾
قُلْ آمَنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لِمَفْعُولٍ ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَسْكُونُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تَخَافُ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِّ وَكَبَّرَهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾

سُورَةُ الْكَاهِنَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَعُوجًا ﴿١﴾
فِيمَا يَنْذِرُ بِأَسَاسٍ شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَكْتَبِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنْذِرُ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾

[٥] ﴿مَا لَهُمْ بِهِ﴾ بالولد ﴿مَنْ عَلِمَ وَلَا لَا بَاءَ لَهُمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ كانوا يقولون هذا القول ﴿كَبُرَتْ﴾ عظمت مقالتهم هذه في حال كونها ﴿كَلِمَةً﴾ متصفة بأنها ﴿تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ فهي مجرد قول يقال لا أصل له ﴿إِنْ﴾ ما يقولون إلا كذباً.

[٦] ﴿فَلَمَلِكٌ﴾ يا محمد ﷺ ﴿بَاخِعٌ﴾ هالك ﴿نَفْسِكَ﴾ على آثارهم ﴿فِي أَثَرِ إِعْرَاضِهِمْ﴾ إن لم يؤمنوا بهذا الحديث ﴿الْقُرْآنَ﴾ أسفاً على عدم إيمانهم، والأسف المبالغة في الحزن.

[٧] ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ﴾ من الحيوان والنبات والشجر والمعادن وغيرها ﴿زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ﴾ نخبرهم ﴿إِنَّهُمْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ فمن زهد عن زينة الدنيا ورغب في الآخرة فهو الأحسن عملاً.

[٨] ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ﴾ نجعل ﴿مَا عَلَيْهَا﴾ على الأرض ﴿صَعِيدًا﴾ أرضاً مستوية ﴿جُرْزًا﴾ لا نبات فيها.

[٩] ﴿أَمْ﴾ بل ﴿حَسِبْتَ﴾ ظننت ﴿أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ﴾ غار في جبل، فقد كانوا جماعة هربوا من ملكهم الكافر، تحفظاً على إيمانهم، والتجأوا إلى الكهف فابقاهم الله أحياء ثلاثمائة سنة أو أكثر ﴿وَالرَّقِيمِ﴾ هو لوح رقم وكتب فيه تفصيل قصتهم ووضع في الجبل ﴿كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ أي ما كانوا عجباً بالنسبة إلى قدرة الله تعالى.

[١٠] ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ﴾ التجأ ﴿إِلَى الْكَهْفِ﴾ غار الجبل ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً﴾ ارحمنا ﴿وَهِيَ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ لتكون راشدين^(١).

[١١] ﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ﴾ كناية عن إنامتهم، فإن النائم تُسد أذنه عن السماع ﴿فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ ذوات عدد.

[١٢] ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ﴾ أيقظناهم ﴿لِنَعْلَمَ﴾ ليقع ما علمناه قديماً، في الخارج ﴿أَيُّ الْحَزْبِينَ﴾ المؤمنين والكافرين ﴿أَحْصَى﴾ ضبط، من باب الإفعال ﴿لَمَّا لَبِثُوا﴾ في الكهف ﴿أَمَدًا﴾ أي ضبط مدة لبثهم، فقد اختلفوا فقال الكافرين المنكرون للبعث: ناموا قليلاً وقال المؤمنون: ناموا طويلاً، فالإيقاظ كان لأجل إثبات البعث بعد تبين صحة قول المؤمنين.

[١٣] ﴿نَحْنُ نَقُصُّ﴾ نذكر قصتهم ﴿عَلَيْكَ نَبَاهُمْ﴾ خبرهم ﴿بِالْحَقِّ﴾ المطابق للواقع ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ﴾ جمع فتى وهو الشاب ﴿آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزَدْنَاهُمْ هُدًى﴾ بأن ثبتناهم على طريقتهم.

[١٤] ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ قويتها بما أربناهم من الآيات ﴿إِذْ قَامُوا﴾ نهضوا لأجل التحفظ على دينهم ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا﴾ فليس دقيانوس الملك إلهاً كما يزعم ﴿لَقَدْ قُلْنَا إِذًا﴾ إذ عبدنا غير الله ﴿شَطَطًا﴾ قولا ذا شطط، أي ذا بعد مفرط عن الحق.

[١٥] ﴿هُؤُلَاءِ قَوْمُنَا﴾ عطف بيان ﴿اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ﴾ دون الله ﴿إِلَهَةً لَوْلَا﴾ هلا ﴿يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ﴾ على عبادتهم ﴿بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾ حجة ظاهرة ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بنسبة الشريك له.

[١٦] ﴿و﴾ خاطب بعضهم بعضاً قائلاً: ﴿إِذْ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ﴾ ابتعدتم عن القوم ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ واعتزلتم آلهتهم ﴿فَأَوُوا إِلَى الْكَهْفِ﴾ اجعلوه مأواكم ﴿يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ يرحمكم ببسط الرحمة عليكم ﴿وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا﴾ ما ترتفقون به أي تستفعون.

[١٧] ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ﴾ وقت طلوعها ﴿تَازُورُ﴾ تميل ﴿عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ﴾ طرف اليمين، لثلا يقع شعاعها عليهم فتؤذيهم فإن باب الكهف كان مستقبلاً للقطب الشمالي ﴿وَإِذَا غَرَبَتْ﴾ وقت غروبها ﴿تَقْرُضُهُمْ﴾ تقطع أشعتها عنهم ﴿ذَاتَ الشَّمَالِ﴾ طرف الشمال فلا يقع شعاعها عليهم أيضاً ﴿وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ﴾ فسحة ﴿مِنْهُ﴾ من الكهف ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ دلائل قدرته ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾ فلا هداية سوى هدايته ﴿وَمَنْ يَضِلْ﴾ بتركه حتى يضل، حيث عاند فلم يقبل الهدى ﴿فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ إذ لا أحد يرشد سواه.

[١٨] ﴿وَتَحْسِبُهُمْ﴾ أي تظنهم ﴿أَيْقَاطًا﴾ غير نائمين، فقد قالوا كانت أعينهم مفتوحة، والله يقبلهم من جنب إلى جنب ﴿وَهُمْ رُقُودٌ﴾ نائمون ﴿وَنُقَلِّبُهم ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشَّمَالِ﴾ على جنوبهم لثلا تأكلهم الأرض ﴿وَكُلِّبُهُمْ﴾ الحارس لهم ﴿بِاسْطٍ﴾ ماد ﴿ذِرَاعِيهِ﴾ يديه، كما ينام الكلب ﴿بِالْوَصِيدِ﴾ بفناء الكهف ﴿لَوْ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ﴾ لو رأيتمهم أيها الرائي ﴿لَوَلِيتَ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾ هربت منهم ﴿وَلَمَلَمْتُ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ خوفاً للهيبة التي أضفاها الله عليهم.

[١٩] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ فكما أنماهم ﴿بِعِثْنَاهُمْ﴾ أي أيقظناهم ﴿لَيْتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ﴾ عن مدة لبثهم فيعرفوا صنع الله بهم ﴿قَالَ قَاتِلْ مِنْهُمْ كَمِ لَبِثُمْ﴾ مكثتم ﴿قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ لأنهم ظنوا أن نومهم كان في ساعات فقط لأنهم ناموا صباحاً وقاموا عصرًا، فظنوه عصر نفس اليوم، أو اليوم التالي له ﴿قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ إذ لا علم لنا بالمقدار المضبوط ﴿فَابْعَثُوا﴾ أرسلوا ﴿أَحَدَكُمْ بِرُوقِكُمْ﴾ هذه إلى المدينة ﴿فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ ﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبْكَدَا﴾

[٢٠] ﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا﴾ يطلعوا ﴿عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ﴾ يقتلوكم برمي الحجارة عليكم ﴿أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ﴾ في دينهم ﴿وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا﴾ إذا دخلتم في ملتهم ﴿أَبْكَدَا﴾ إلى الأبد.

وَإِذْ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوُوا إِلَى الْكَهْفِ
يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا
﴿١٦﴾ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزُورُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ
الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرُضُهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ
مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ
يَضِلْ فَلَنْ يُجِدَ لَهُمْ لَبًّا مُرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسِبُهُمْ أَيْقَاطًا
وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشَّمَالِ وَكُلِّبُهُمْ
بَسِطَ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ
فِرَارًا وَلَمَلَمْتَ مِنْهُمْ رُعبًا ﴿١٨﴾ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ
لَيْتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا
يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا
أَحَدَكُمْ بِرُوقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى
طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ
بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ
أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبْكَدَا ﴿٢٠﴾

[٢١] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما أنماهم وأيقظناهم ﴿اعثرنا﴾ أطلعنا ﴿عليهم﴾ أهل المدينة ﴿ليعلموا﴾ ليعلم الذين أطلعوا على أمرهم ﴿أن وعد الله﴾ بالمعاد ﴿حق﴾ لأن نومهم وانتباههم بمنزلة الموت والبعث ﴿و﴾ ليعلموا ﴿أن الساعة﴾ القيامة ﴿لا ريب فيها﴾ ليس محل الريب والشك ﴿إذ﴾ ظرف لـ ﴿اعثرنا﴾ يتنازعون بينهم ﴿الناس الذين اطلعوا على قصتهم﴾ أمرهم ﴿هل ماتوا واحتبوا أم ناموا واستيقظوا﴾ فقالوا ﴿الكفار﴾: ﴿ابنوا عليهم بنيانا﴾ حائطاً يستترهم، أرادوا بذلك محو آرائهم ﴿ربهم أعلم بهم﴾ جملة معترضة، أي أن الله أعلم بحالهم فيما اختلفوا فيه ﴿قال الذين غلبوا على أمرهم﴾ أمر الفتية وهم المؤمنون: ﴿لنتخذن عليهم مسجداً﴾ موضعاً للصلاة، وذلك لتذكير الناس بأمرهم، وتقريبهم إلى طاعة الله.

[٢٢] ﴿سيقولون﴾ المختلفون في شأنهم: هم ﴿ثلاثة﴾ رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجماً بالغيب، أي قذفاً بالموضع المجهول، وقولاً بغير علم ﴿ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم﴾ قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل، كالنبي وأوصيائه ﷺ ﴿فلا تمار فيهم﴾ فلا تجادل في عددهم ﴿إلا مراة ظاهراً﴾ أي بما ظهر لك من أمرهم ﴿ولا تستفت﴾ أي لا تستخبر ﴿فيهم﴾ في شأن أهل الكهف ﴿منهم﴾ من أهل الكتب ﴿أحدا﴾ فأنهم لا علم لهم بشأنهم.

[٢٣] ﴿ولا تقولن لشيء﴾ لأجل شيء تعزم عليه ﴿إني فاعل ذلك﴾ أفعِلْ ذلك الشيء ﴿غدأ﴾ في المستقبل.

[٢٤] ﴿إلا﴾ متلبساً بقولك: ﴿أن يشاء الله﴾ ذلك ﴿واذكر ربك﴾ بأن شاء الله بعد ذلك ﴿إذا نسيت﴾ ذكر المشيئة وقت الوعد، ولعل ذكر هذه الآية في وسط آيات الكهف للتنبيه على أن أهل الكهف ناموا ليقوموا بعد ساعات، لكن الأمر حيث كان بيد الله أنماهم هذا النوم الطويل، فاللازم التوجه إلى الله حال وعد المستقبل ﴿وقل عسى أن يهدين ربّي لأقرب من هذا رشداً﴾.

[٢٥ - ٢٦] ﴿ولبثوا﴾ بقوا، قبل يقظتهم ﴿في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعاً﴾ تسع سنوات، قالوا والأول بسني القمر والثاني بسني الشمس ﴿قل الله أعلم بما لبثوا﴾ فدعوا قول أهل الكتاب واتبعوا الوحي ﴿له غيب السماوات والأرض﴾ ما غاب عن الحواس في السماء وفي الأرض ﴿أبصر به﴾ أي بالله ﴿وأسمع﴾ أي ما أبصره وأسمعه، كناية عن أنه تعالى يرى ويسمع كل شيء ﴿ما لهم من دونه﴾ دون الله ﴿من ولي﴾ يتولى أمورهم ﴿ولا يشرك في حكمه أحدا﴾ فلا شريك له في الحكم كما لا شريك له في الملك.

[٢٧] ﴿واتل ما أوحى إليك من كتاب ربك﴾ القرآن ﴿لا مبذل﴾ لا أحد يقدر على تبديلها ﴿لكلماته﴾ أي أحكامه وما يريدہ ﴿ولن تجد من دونه ملتحداً﴾ ملجأً.

وَكَذَلِكَ اعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرُهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُيُوتًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ فَلَنَنبُرَّ بِأَعْيُنِهِمْ كَلْبَهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَذَكَرَ رَبُّكَ إِذْ أَنْسَيْتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبٍ مِنْ هَٰذَا رَشْدًا ﴿٢٤﴾ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا الْمُرْغِيبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْصُرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ وَأَتْلُ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبْدِلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾

[٢٨] ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ احبسها ﴿مَعَ الَّذِينَ﴾ مع الذين ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾
 ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ أي في عامة أوقاتهم،
 صباحاً ومساءً ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ رضاه وذاته، بلا شرك
 ورياء ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ لا تجاوز نظرك عنهم إلى
 غيرهم من أصحاب الثروة والجاه ﴿تُرِيدُ﴾ بذلك ﴿زِينَةَ﴾
 الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه ﴿تَرْكُنَا﴾ تركنا قلبه حتى غفل
 ﴿عَنْ ذِكْرِنَا﴾ واتبع هواه وكان أمره فرطاً ﴿لَا نَظَامَ لَهُ﴾ فإن
 المؤمن إيمانه نظام لجميع أموره، أما الكافر فيميل إلى هنا
 وهناك كالغلب الفرط الذي انسلخ عن عقوده.

[٢٩] ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ﴾
 فليكفر ﴿تَهْدِيْدًا لَهُمْ﴾ إنا اعتدنا ﴿هَيْتَنَا﴾ للظالمين ناراً
 أحاط بهم سرادقها ﴿فَسَطَاطُهَا﴾ لأن النار كالسرادق ذات
 قاعدة واسعة ورأس تنتهي إلى نقطة ﴿وَلِإِنْ يَسْتَفِثُوا﴾ من
 العطش ﴿يَغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمِهلِ﴾ كالنحاس المذاب ثقلاً
 وحرارة ولزوجة ﴿يَشْوِي﴾ يطبخ ذلك الماء ﴿الْوَجُوهَ﴾
 بمجرد اقترابه منها، لشدة حرارته ﴿يُبْسُ الشَّرَابَ﴾
 وساءت ﴿النَّارُ﴾ مرتفقاً ﴿مَقَابِلَ﴾ (حسن مرتفقاً)^(١)
 لأصحاب الجنة، كما سيأتي.

[٣٠ - ٣١] ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا﴾
 نَضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾
 بساتين إقامة للخلود ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ﴾ تحت أشجارهم

وقصورهم ﴿الْأَنْهَارُ يَحْلُونَ﴾ يلبسون الحلي والزينة ﴿فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ﴾
 ويلبسون ثياباً خضراً ﴿فَإِنَّهُ أَجْمَلُ الْأَلْوَانِ﴾ من سندس ﴿الدِّيَّاجِ الرِّقِيقِ﴾
 كما أن الرقيق له ملمس حسن ﴿مَتَكِّينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ جمع أريكة وهي السرير ﴿نَعْمُ الثَّوَابِ﴾ الجنة ﴿وَحَسَنَتُ﴾
 الأرائك ﴿مَرْتَفَقًا﴾ متكأً.

[٣٢] ﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مِثْلًا﴾ لعاقبة حال الكافر ﴿رَجُلَيْنِ﴾ مؤمن وكافر ورثا مالا تصدق أحدهما بماله فبقي له ثوابه،
 واشترى به الآخر مالا فذهب ضياعاً ﴿جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ﴾ بستانين ﴿مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا﴾ أي أحاط النخل
 بالأعنان في أطراف البستان ﴿بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا﴾ بين البستانين ﴿زُرْعًا﴾ فغلب ونخل وزرع منظر جميل وثروة طائلة.
 [٣٣] ﴿كُلْنَا الْجَنَّتَيْنِ أَتَتْ أَكْلُهَا﴾ أعطت ثمارها ﴿وَلَمْ تَظْلُمْ﴾ الجنة ﴿مِنْهُ﴾ من الثمر ﴿شَيْئًا﴾ بأن أعطتا ثمراً كاملاً بلا
 نقص ﴿وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا﴾ وسط الجنتين^(٢) ﴿نَهْرًا﴾ يسقيهما بسهولة.

[٣٤] ﴿وَكَانَ لَهُ﴾ للرجل ﴿ثَمَرٌ﴾ أي ثمر كثير، كقولهم (إن له لإبلاً) ﴿فَقَالَ﴾ الكافر ﴿لصاحبه﴾ المؤمن ﴿وَهُوَ﴾
 يحاوره ﴿يَرَاجِعُهُ فِي الْكَلَامِ﴾: أنا أكثر منك مالا وأعز نفراً ﴿جَمَاعَةً﴾ فجماعتي أكثر عزة من جماعتك.

وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ
 يُرِيدُونَ وَجْهَهُمْ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ
 الدُّنْيَا وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قُلُوبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ
 أَمْرُهُ فُرْطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ
 شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا
 وَإِنْ يَسْتَفِثُوا يَفْثُوا بِمَاءٍ كَالْمِهلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ يُبْسُ
 الشَّرَابَ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
 الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُولَئِكَ
 لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ
 مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَكَكِينَ
 فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نَعْمُ الثَّوَابِ وَحَسَنَتُ مَرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ وَأَضْرَبَ
 لَهُمْ مِثْلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا
 بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا ﴿٣٢﴾ كُلْنَا الْجَنَّتَيْنِ أَتَتْ أَكْلُهَا وَلَمْ
 تَظْلُمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ
 لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾

(١) المرتفق: المتكأ، يقال: قد ارتفق إذا تكأ على من يرفقه. لسان العرب.

(٢) التفجير: التشقيق.

[٣٥] «ودخل جنته وهو ظالم لنفسه» بكفره وعصيانه
«قال ما أظن أن تبده» نفى «هذه» الجنة «أبداً» بل هي
باقية لي ما دمت .

[٣٦] «وما أظن الساعة» القيامة «قائمة» فلا أصدق لما
يقوله الموحدون ، وأنت منهم «ولئن رددت إلى ربي»
بأن صدقت في وجود يوم القيامة «لأجدن خيراً منها» من
هذه الجنة «منقلباً» مرجعاً ، لأنه زعم أن الله أعطاه
البيتان باستحقاق ، فإذا أرجعه بعد الموت أعطاه أيضاً
أحسن من هذا البيتان .

[٣٧] «قال له صاحبه» المؤمن «وهو يحاوره» يباحث
معه في الكلام : «أكفرت بالذي خلقك من تراب» لأن
التراب ينقلب نباتاً ثم طعاماً ثم دماً ثم مئياً «ثم من نقطة»
ثم سواك رجلاً «عدلك وملكك ، والاستفهام إنكارى .

[٣٨] «لكننا» لكن أنا «هو الله ربي ولا أشرك بربي
أحداً» لا أجعل له شريكاً .

[٣٩] «ولولا» هلا «إذ دخلت جنتك» وأعجبت بها
«قلت ما شاء الله» كائن وقلت : «لا قوة» لي «إلا
بالله» لا بالنفر ، كما قلت لي : «إن ترن» ترني يا
صاحب البيتان «أنا أقل منك مالا وولداً» .

[٤٠] «فعسى» لعل «ربي أن يؤتين خيراً من جنتك» في
الدنيا والآخرة «ويرسل» الله «عليها» على جنتك

«حسباناً» صواعق ، جمع حسبانة وهي الصاعقة «من السماء فتصيح صعيداً» أرضاً ملساء «زلقاً» يزلق عليها القدم .
[٤١] «أو يصبح ماؤها غوراً» غائراً في الأرض فتجف الزروع والأشجار «فلن تستطيع له» للماء «طلباً» حيلة ترد
الماء إلى النهر .

[٤٢] «وأحيط بشمره» أحاط الهلاك بشمره فهلك «فأصبح بقلب كفيه» كما يفعله النادم ، تحسراً «على ما أنفق فيها»
في عمارة البيتان «وهي خاوية» ساقطة «على عروشها» دعائم أعنانها فإنها سقطت وسقط عليها الكروم والنخيل
«ويقول يا» قوم «ليتني لم أشرك بربي أحداً» فإن جزاء الكفران الحرمان .

[٤٣] «ولم تكن له فئة» جماعة «ينصرونه من دون الله» مقابل ما قال (أعز نفراً) «وما كان منتصراً» ليست له قوة
ينتصر بنفسه فلا يصبه السوء .

[٤٤] «هنالك» في ذلك المقام «الولاية» تولي الأمور «لله» فإذا شاء الله شيئاً لم يقدر أحد على دفعه «الحق» لا
الأصنام والأفكار الباطلة «هو خير ثواباً» جزاء من غيره «وخير عقباً» عاقبة للمتقين .

[٤٥] «واضرب لهم» للناس «مثل الحياة الدنيا» فهي في سرعة زوالها «كما أنزلناه من السماء فاختلط به» بالماء
«نبات الأرض» فإن في النبات قدراً من الماء كأنه مخلوط به «فأصبح» النبات «هشيماً» يهشم ويكسر بعد يبسه
«تذروه الرياح» تطيره الرياح هناك وهنالك «وكان الله على كل شيء مقتدراً» فيشئ ويفني .

وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَٰذِهِ
أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُودْتُ إِلَىٰ رَبِّي
لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ
أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نَطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاهُ رَجُلًا
﴿٣٧﴾ لَيْسَ أَهْلًا هَٰؤُلَاءِ رَبِّي وَلَا أَشْرَكَ رَبِّي أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَا إِذْ
دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا
أَقَلُّ مِنْكَ مَالًا وَلَوْلَا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ
جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحُ صَعِيدًا
زَلِقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحُ مَاؤهاً غُورًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴿٤١﴾
وَأَحِيطَ بِشَمْرِهِ فَاصْبَحْ يَقُولُ كَيْفَ عَلِمْتُ مَا أَتَقَىٰ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ
عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ لَيْتَنِي لَمْ أَشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ
فِتْنَةٌ يَصْرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هَٰذَا لَكَ الْوَلَايَةُ
يَا أَيُّهَا الْخَلْقُ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا
لِلْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ
فَأَصْبَحَ شُجَيْمًا وَتَذَرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾

[٤٦] ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا﴾ يتزين الإنسان بهما في الدنيا ﴿و﴾ الخيرات ﴿الباقيات﴾ للآخرة ﴿الصالحات خير عند ربك ثواباً﴾ من المال والبنين ﴿وخير أملاً﴾ فإن أمل الإنسان فيها خير من أمله بما في دنياه.

[٤٧] ﴿و﴾ اذكر ﴿يوم﴾ وهو عند قيام القيامة ﴿نسير الجبال﴾ في الجو كالسحاب ﴿وترى الأرض بارزة﴾ لا يسترها شيء، جبل ولا غيره ﴿وحشرناهم﴾ جمعنا الناس للحساب ﴿فلم تغادر﴾ لم نترك ﴿منهم أحداً﴾ من الناس. [٤٨] ﴿وعرضوا على ربك صفاً﴾ مصطفين لا يحجب بعضهم بعضاً، فيقال لهم: ﴿لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة﴾ يدون مال وعشيرة وقوة ﴿بل زعمتم أن نجعل لكم موعداً﴾ وقتاً لحسابكم، وهذا تهديد لهم.

[٤٩] ﴿ووضع الكتاب﴾ أي صحائف الأعمال للنظر فيها ﴿فترى المجرمين مشفقين﴾ خائفين ﴿مما فيه﴾ من السينات ﴿ويقولون يا قوم﴾ ﴿ويلتنا﴾ سوء حالنا ﴿ما لهذا الكتاب﴾ تعجباً من شأنه ﴿لا يغادر﴾ لا يترك معصية ﴿صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها﴾ عذبا ﴿ووجدوا ما عملوا حاضراً﴾ لم يحذف شيء منه ﴿ولا يظلم ربك أحداً﴾ فلا يزيد سيئات أحد ولا ينقص من حسنات أحد.

[٥٠] ﴿وإذ﴾ اذكر زمان ﴿قلنا للملائكة اسجدوا لآدم

فسجدوا إلا إبليس كان من الجن﴾ من جنس الملائكة، وإنما أمر بالسجود في ضمن الملائكة ﴿ففسق﴾ خرج ﴿عن أمر ربه﴾ أفتخذونه وذريته ﴿بنه وأتباعه﴾ أولياء ﴿تولونهم﴾ من دوني وهم لكم عدو ﴿وأنا لكم ولي﴾ إبليس ﴿لظالمين﴾ التابعين له ﴿بدلاً﴾ من الله.

[٥١] ﴿ما أشهدتهم﴾ ما أحضرت إبليس وذريته ﴿خلق السماوات والأرض﴾ حال خلقت الكون ﴿ولا خلق أنفسهم﴾ لم استعن بهم حال الخلق، فمن هذا حاله كيف تتخذونه ولياً ﴿وما كنت متخذ المضلّين﴾ الشيطان وذريته ﴿عضداً﴾ أعواناً في خلق أو أمر.

[٥٢] ﴿ويوم يقول﴾ الله للكفار: ﴿نادوا﴾ ادعوا ﴿شركائي الذين زعمتم﴾ أنهم شركائي ﴿فدعوه﴾ نادوهم ﴿فلم يستجيبوا﴾ الأصنام ﴿لهم وجعلنا بينهم﴾ بين المشركين وآلهتهم ﴿موبقاً﴾ مهلكاً يعم جميعهم، من (وبق) بمعنى هلك.

[٥٣] ﴿ورأى المجرمون النار فظنوا﴾ أيقنوا ﴿أنهم مواقعوها﴾ واقعون فيها ﴿ولم يجدوا عنها مصرفاً﴾ مكاناً ينصرفون إليه تخلصاً من النار.

الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ وَيَوْمَ نُسِيرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَنَّ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوَضَعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُوَلِّتُنَا مَا لَ هَذَا الْكِتَابُ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَيْنَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾

[٥٤] ﴿وَلَقَدْ صَرَفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ بقصد اعتبارهم بالأمثال ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ﴾ الكافر ﴿أَكْثَرُ شَيْءٍ جَدلاً﴾ بالباطل.

[٥٥] ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ﴾ ماذا ينتظرون ﴿أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى﴾ الرسول ﷺ والقرآن ﴿وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ﴾ إلا أن تأتيهم سنة الأولين ﴿بأن نَعَذِّبَهُمْ عَذَابَ الْاسْتِنصَالِ﴾ أو يأتيهم العذاب بالسيف ﴿قبلاً﴾ عياناً، أو المراد بالعذاب: عذاب الآخرة بأن يموتوا فيروا عذابها.

[٥٦] ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ ويجادل الذين كفروا بالباطل ﴿يجادلون لأجل إنكار الرسل﴾ ليُدْحَضُوا أي يبطلوا ﴿به﴾ بالباطل ﴿الحق واتخذوا آيَاتِي﴾ كالقرآن ﴿وَمَا أَنْذَرُوا﴾ من العذاب ﴿هَزْوا﴾ استهزاء.

[٥٧] ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ﴾ الكافر الذي ﴿ذَكَرَ آيَاتِ رَبِّهِ﴾ ذكره النبي ﷺ بالقرآن ﴿فَاعْرَضَ عَنْهَا﴾ ولم يتدبرها ﴿وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ من الكفر والمعاصي بأن لم يتفكر في عاقبة نفسه ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ أعطية، كراهة ﴿أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ أي القرآن، والمعنى تركناهم حيث عاندوا حتى صار على قلوبهم كالغطاء في عدم فهم الحق ﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ حملاً ثقيلاً فلا يسمعون سماعاً نافعاً ﴿وَأِنْ تَدْعُهُمْ﴾ يا محمد ﷺ ﴿إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا﴾ إذا دعوتهم ﴿أَبَدًا﴾ لأنهم يعاندون الحق.

[٥٨] ﴿وَرَبِّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا﴾ من الكفر والمعاصي ﴿لَعَجَلَ لَهُمُ الْعَذَابَ﴾ في الدنيا ﴿بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ﴾ يوم القيامة ﴿لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ﴾ دون الله ﴿مَوْثِقًا﴾ منجى وملجأ.

[٥٩] ﴿وَتِلْكَ الْقُرَى﴾ كعاد وثمود وغيرهما ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾ بتكذيب الأنبياء ﷺ ﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ﴾ لهلاكهم ﴿مَوْعِدًا﴾ وقتاً معلوماً.

[٦٠] ﴿وَإِذْ﴾ واذكر ﴿قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ﴾ يوشع بن نون ﴿لَا أَزَالُ أُسِيرُ﴾ حتى أبلغ مجمع البحرين ﴿محل اجتماع بحري فارس والروم، لأنه وعد هناك بملاقاة الخضر عليه السلام﴾ ﴿أَوْ أَمُضِي﴾ أسير ﴿حَقْبًا﴾ زماناً طويلاً.

[٦١] ﴿فَلَمَّا بَلَغَا﴾ موسى عليه السلام وفاته ﴿مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا﴾ بين البحرين ﴿نَسِيَا حَوْثَهُمَا﴾ كانا أعدا سماً لطعامهما، فنسي يوشع السمك، وإنما نسب إليهما قتلهم (نسي القوم زادهم) إذا نساء معتمد أمرهم ﴿فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ﴾ اتخذ الحوت طريقه حيث أحياه الله تعالى ﴿فِي الْبَحْرِ سُرَبًا﴾ مسلماً، قالوا صار مسلك الحوت كالكوّة في الماء لا يلتصق.

وَلَقَدْ صَرَفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرُ شَيْءٍ جَدلاً ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأُولِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي كَالْقُرْآنِ هُزْوَاً ﴿٥٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَكَرَ آيَاتِ رَبِّهِ فَاَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ﴿٥٧﴾ وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٥٨﴾ وَرَبِّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْثِقًا ﴿٥٩﴾ وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَزَالُ أُسِيرُ حَقْبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمَضِي حَقْبًا ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حَوْثَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سُرَبًا ﴿٦٣﴾

فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتْنِهِ إِنَّا عَدَاءٌ لِّمَا لَقِدْنَا مِن سَفَرِنَا
هَذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ
الْحُوتَ وَمَا أَتَيْنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَن أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ
فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِغُ فَارْتَدَّ عَلَيْنَا آثَارُهَا
فَقَصَصْنَا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ
عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِمَّا لَدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَيْتُكَ
عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُسُلَنَا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ
مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلٰٓى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ صَبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ
سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ
فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا
﴿٧٠﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخْرَقْتُهَا
لِيُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ
لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا
تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ
قَالَ أَفَتُلْقِيَانِ نَفْسًا رَّكِيَةً بَغِيرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾

عليك الصبر لما تراه .

[٦٨] ﴿وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً﴾ فإن ظاهره منكر ولا تعلم باطنه .

[٦٩] ﴿قال﴾ موسى ﷺ : ﴿ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً﴾ تأمرني به .

[٧٠] ﴿قال﴾ العالم ﴿فإن اتبعني فلا تسألني عن شيء﴾ مما أفعله ﴿حتى أحدث لك منه ذكراً﴾ أفسره لك .

[٧١] ﴿فانطلقا﴾ مشياً موسى والخضر ﷺ ﴿حتى إذا ركبنا في السفينة﴾ سفينة تعبر بهما الماء ﴿خرقها﴾ شق
الخضر ﷺ السفينة ﴿قال﴾ موسى ﷺ : ﴿أخرقتها لتغرق أهلها﴾ على نحو استفهام إنكاري ﴿لقد جئت شيئاً إمراً﴾
منكراً عظيماً ، ولم يكن اعتراض موسى ﷺ خلاف وعده لأنه علق الوعد بمشيئة الله تعالى .

[٧٢] ﴿قال ألم أقل﴾ حين أردت اتباعي ﴿إنك لن تستطيع معي صبراً﴾ .

[٧٣] ﴿قال﴾ موسى ﷺ : ﴿لا تؤاخذني بما نسيت﴾ جعلته كالمنسي في الاعتراض عليك ﴿ولا ترهقني﴾ لا تكلفني
﴿من أمري عسراً﴾ مشقة بل عاملني بالمسامحة .

[٧٤] ﴿فانطلقا﴾ بعد ما خرجا من السفينة ﴿حتى إذا لقينا غلاماً﴾ ولدأ ﴿فقتله﴾ الخضر ﷺ ﴿قال﴾ موسى ﷺ :
﴿أفقتل نفساً زكية﴾ بريئة من الذنب ﴿بغير نفس﴾ بغير أن كان قتل نفساً فليس قتلك له قوداً ﴿لقد جئت شيئاً نكراً﴾
فظليماً منكراً .

[٦٢] ﴿فلما جاوزا﴾ ذلك المكان ﴿قال﴾ موسى ﷺ
﴿لفناه آتنا﴾ جئ إلينا ﴿غداءنا﴾ طعامنا ﴿لقد لقينا من
سفرنا هذا نصباً﴾ تعباً .

[٦٣] ﴿قال﴾ الفتى : ﴿أرأيت﴾ هل علمت ما حدث ﴿إذ
أوينا﴾ ذهبنا للاستراحة ﴿إلى الصخرة﴾ الكائنة عند مجمع
البحرين ﴿فإنني نسيت الحوت﴾ هناك ﴿وما أنسانيه إلا
الشيطان أن أذكره﴾ بدل عن (نسيت) أي نسيت ذكر
الحوت ﴿واتخذ سبيله في البحر عجباً﴾ سبيلاً عجباً بأن
بقي الماء كالكرة في مكان ذهابه !

[٦٤] ﴿قال﴾ موسى ﷺ : ﴿ذلك﴾ فقد الحوت وإحياء
الله تعالى له ﴿ما كنا نبغ﴾ نطلب ، لأن الله وعده بلقيا
الخضر ﷺ في ذلك المكان ﴿فارتدا﴾ رجع
موسى ﷺ وفاته ﴿على آثارهما﴾ في الطريق الذي أتيا
منه ﴿قصصاً﴾ أي اتباعاً لآثارهما .

[٦٥] ﴿فوجدنا عبداً﴾ هو الخضر ﷺ ﴿من عبادنا آتيناه
رحمة﴾ بالنبوة ﴿من عندنا وعلمناه من لدنا علماً﴾ ولم
يكن ألهم الله موسى ﷺ ذلك العلم ، ولا غرابة فقد كان
جبرئيل ﷺ يعلم النبي مع أنه أفضل منه .

[٦٦] ﴿قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمني ما
علمت﴾ علمك الله ﴿رشداً﴾ أي تعلمني علماً ذا رشد .

[٦٧] ﴿قال﴾ العالم : ﴿إنك لن تستطيع معي صبراً﴾ يتقل

[٧٥] ﴿قَالَ الْخَضِرُ ﷺ: «أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا»﴾ قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا مِنْ هَذِهِ الْمَرَّةِ «فَلَا تَصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا» مِنْ قَبْلِي «عُذْرًا» فِي مَفَارِقَتِكَ إِيَّايَ.

[٧٦] ﴿قَالَ مُوسَى ﷺ: «إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا مِنْ هَذِهِ الْمَرَّةِ «فَلَا تَصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا» مِنْ قَبْلِي «عُذْرًا» فِي مَفَارِقَتِكَ إِيَّايَ.﴾ [٧٧] ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَنْبَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا» طَلَبَا الطَّعَامَ، لَمَّا أَصَابَهُمْ مِنَ الْجُوعِ الْكَثِيرِ «أَهْلُهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا» امْتَنَعَ أَهْلُ الْقَرْيَةِ عَنْ ضِيَافَتِهِمَا «فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ» يَسْقُطُ «فَأَقَامَهُ» فَبَنَاهُ الْخَضِرُ ﷺ ﴿قَالَ مُوسَى ﷺ: «لَوْ شِئْتُ» بَنَاهُ «لَا تَخَذْتُ عَلَيْهِ أَجْرًا» أَجْرَةً لَنَسَدْتُ بِهَا جُوعَنَا.

[٧٨] ﴿قَالَ الْخَضِرُ ﷺ: «هَذَا» الْإِنْكَارُ لِبَنَائِي الْحَائِطِ «فِرَاقٍ» سَبَبُ الْفِرَاقِ «بَيْنِي وَبَيْنَكَ» سَأَنْبُتُكَ بِتَأْوِيلٍ «مَا» الْأُمُورُ الَّتِي فَعَلْتَهَا مِمَّا «لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا».

[٧٩] ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ» فَقَرَاءُ «يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ» يَكْتَسِبُونَ فِي الْبَحْرِ بِسَبَبِ السَّفِينَةِ «فَارْدَتْ أَنْ أَعْيِيَهَا» وَكَانَ وَرَاءَهُمْ «وَرَاءَ أَوْلَئِكَ الْمَسَاكِينُ» مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ «صَحِيحَةً» غَضَبًا «فَإِذَا كَانَتْ مَعِيوبَةً لَمْ يَغْنَبْهَا» وَخَرَقَ بَعْضُ أُلُوحِ السَّفِينَةِ عَيْبَ فِيهَا.

[٨٠] ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ» الَّذِي قَتَلْتَهُ «فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ» وَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّهُ إِذْ كَبُرَ كُفْرُ وَسَبِّ أَبِيهِ «فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا» بَاتَّبَاعَهُمَا لَهُ قَتْلُهُ كَانَ خَيْرًا لَلثَلَاثَةِ.

[٨١] ﴿فَارْدَنَا أَنْ يَبْدِلَهُمَا» يَرْزُقُهُمَا بِدَلِّهِ «وَرَبَّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ» مِنَ الْغُلَامِ «زَكَاةً» طَهَارَةً وَصَلَاحًا «وَأَقْرَبَ رَحِمًا» رَحْمَةً وَعِطْفًا بِأَبُوهِ، وَكَانَتْ جَارِيَةً مِنْ نَسْلِهَا خَرَجَ سَبْعُونَ نَبِيًّا وَكَانَ الْقِصَاصُ قَبْلَ الْجَنَائِةِ جَائِزًا فِي تِلْكَ الشَّرِيعَةِ.

[٨٢] ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي» تِلْكَ «الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا» خَلْفَ لِهَمَا وَقَدْ عَلِمَ بِذَلِكَ الْجِدَارُ فَإِذَا سَقَطَ الْجِدَارُ ذَهَبَ أَثَرُهُ «وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا» فَحَفِظَ اللَّهُ لَوْلَهُمَا بِسَبَبِ صَلَاحِ الْأَبِ ذَلِكَ الْكَنْزُ «فَارَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا» كِمَالِ الرُّشْدِ «وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُمْ عَنْ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى «ذَلِكَ» الَّذِي ذَكَرْتُ فِي سَبَبِ مَا فَعَلْتُ «تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا» قَالُوا: وَقَدْ كَانَتْ أَعْمَالُ الْخَضِرِ ﷺ إِشَارَةً إِلَى أَعْمَالِ مُوسَى ﷺ فَالسَّفِينَةُ إِشَارَةٌ إِلَى وَضْعِهِ فِي التَّابُوتِ حَالِ صُغُرِهِ، وَقَتْلُ الْغُلَامِ إِشَارَةٌ إِلَى قَتْلِ مُوسَى ﷺ لِلْقَبْطِيِّ، وَإِقَامَةُ الْجِدَارِ إِشَارَةٌ إِلَى سَقْيِ أَغْنَامِ شُعَيْبٍ ﷺ وَهُوَ جَائِعٌ مُحْتَاجٌ إِلَى الْخَبِيزِ.

[٨٣] ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ» مَنْ هُوَ وَمَاذَا صَنَعَ «قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا» أَذْكَرَ لَكُمْ قِصَصَهُ.

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَنْبَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلُهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتُ لَخَذْتُ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ سَأَنْبُتُكَ بِتَأْوِيلٍ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَارْدَتْ أَنْ أَعْيِيَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَضَبًا﴾ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿فَارْدَنَا أَنْ يَبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رَحِمًا﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُمْ عَنْ أَمْرِ اللَّهِ ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿وَسَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾

[٨٤] ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ﴾ بأن يتصرف فيها ويسير كيفما شاء ﴿وَأَتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه ﴿سَبِيًّا﴾ طريقاً يوصله إلى مراده .

[٨٥ - ٨٦] ﴿فَاتَّبَعَ سَبِيًّا﴾ حتى إذا بلغ مغرب الشمس آخر العمارة مما يلي المغرب ﴿وجدها﴾ هكذا يترأى للنظر ﴿تغرب في عين﴾ بحر ﴿حمئة﴾ أسود ﴿ووجد عندها﴾ عند العين ﴿قوما قلنا﴾ بالإلهام إلى قلبه : ﴿يا ذا القرنين إما أن تعذب﴾ القوم بسبب كفرهم ﴿وإما أن نتخذ فيهم حسناً﴾ أي تحسن إليهم بهدائيتهم .

[٨٧] ﴿قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ بالإصرار على الكفر ﴿فسوف نعذبه﴾ في الدنيا ﴿ثم يرد إلى ربه﴾ في الآخرة ﴿فيعذبه عذاباً نكراً﴾ منكرأ غير معهود لشدة .

[٨٨] ﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُ جَزَاءٌ﴾ لفعلته ﴿الحسن﴾ أو هي مثوبة حسنى ﴿وسنقول له من أمرنا﴾ أو امرنا الشرعية ﴿يسراً﴾ فإن تكاليف الله يسيره .

[٨٩] ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ﴾ ذو القرنين ﴿سَبِيًّا﴾ طريقاً يوصله إلى المشرق .

[٩٠] ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ﴾ أول المعمورة من طرف المشرق ﴿وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها﴾ غير الشمس ﴿ستراً﴾ إذ لم يكن لهم ساتر من جبل أو بيوت أو ملابس .

[٩١] ﴿كَذَلِكَ﴾ أي أمرناه في أهل المشرق بالقتل أو الهداية كما أمرناه في أهل المغرب ﴿وقد أحطنا بما لديه﴾ من الجيش والعدة ﴿خبراً﴾ إحاطة علم .

[٩٢] ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبِيًّا﴾ طريقاً ثالثاً أخذاً من الجنوب إلى الشمال .

[٩٣] ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ﴾ قيل : هما جبلان بمنقطع أرض الترك سدَّ الاسكندر ما بينهما ، وقيل : هو سد الصَّين ﴿وجد من دونهما﴾ دون السدين ﴿قوماً لا يكادون يفقهون﴾ يفهمون ﴿قولا﴾ لغرابة لغتهم .

[٩٤] ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ﴾ قبيلتان ﴿مفسدون في الأرض﴾ بالقتل والنهب ﴿فهل نجعل لك خراجاً﴾ شيئاً نصرفه من مالنا ﴿على أن تجعل بيننا وبينهم سداً﴾ حاجزاً لا يتمكنون من الخروج علينا .

[٩٥] ﴿قَالَ﴾ ذو القرنين : ﴿ما مكنتي فيه ربي﴾ الذي مكنتي الله فيه من المال ﴿خير﴾ مما تجعلونه لي من الخراج ﴿فأعينوني بقوة﴾ بالعمل مما أنقوى به ﴿أجعل بينكم وبينهم ردماً﴾ حاجزاً حصيناً .

[٩٦] ﴿آتُونِي زَبَرَ الْحَدِيدِ﴾ قطع الحديد ﴿حتى إذا ساوى بين الصَّدفين﴾ الجبلين بنضد الزبر وجعل الفحم بينهما ﴿قال﴾ ذو القرنين : ﴿انفخوا﴾ بالمنافخ النيرانية على الحديد ﴿حتى إذا جعله﴾ جعل الحديد ﴿ناراً﴾ كالنار ﴿قال آتُونِي أفرغ﴾ أصب ﴿عليه قطراً﴾ أي نحاساً .

[٩٧] ﴿ثُمَّ اسْتَطَاعُوا﴾ أي يأجوج ومأجوج ﴿أن يظهروه﴾ يعلوه لارتفاعه ﴿وما استطاعوا له﴾ للسد ﴿نقباً﴾ أن يثقبوه لصلابته .

إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبِيًّا ﴿٨٤﴾ فَاتَّبَعَ سَبِيًّا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَذَّاقُونَ الْعَذَابَ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نَكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ الْحَسَنُ وَسَنُقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبِيًّا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبِيًّا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا يَذَّاقُونَ الْعَذَابَ إِنْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ مُّسْغُوفُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ آتُونِي زَبَرَ الْحَدِيدِ ﴿٩٦﴾ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قَطْرًا ﴿٩٧﴾ فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿٩٨﴾

[٩٨] ﴿قَالَ﴾ ذو القرنين: ﴿هَذَا السِّدِّ رَحْمَةٌ﴾ نعمه ﴿مَنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي﴾ بخروج يأجوج ومأجوج ﴿جَعَلَهُ دَكَّاءَ﴾ مذكوكاً مسوياً بالارض ﴿وَكُنَّ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ كائناً لا محالة.

[٩٩] ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ﴾ بعض يأجوج ومأجوج ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يوم خروجهم، وهو من علامات القيامة ﴿يَمُوجٌ﴾ كموج البحر، أي يختلط ﴿فِي بَعْضٍ وَنَفَخَ فِي الصُّورِ﴾ البوق الذي ينفخ فيه إسرافيل لإحياء الأموات ﴿فَجَمَعْنَاهُمْ﴾ أي الخلائق ﴿جَمْعًا﴾.

[١٠٠] ﴿وَعَرْضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾ أظهرناها لهم لإخافتهم.

[١٠١] ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي﴾ عن آياتي، فلا يعتبرون بها كأن عيونهم في غطاء لا ترى ﴿وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ أي يثقل عليهم استماع الحق.

[١٠٢] ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي﴾ كالنبي صلى الله عليه وسلم ﴿مَنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ﴾ معبودين، بدون أن أعذبهم ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا﴾ هبناً ﴿جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزْلًا﴾ منزلاً. [١٠٣] ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ﴾ نخبركم ﴿بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ من حيث العمل.

[١٠٤] ﴿الَّذِينَ ضَلَّ﴾ ضاع ﴿سَبِيلَهُمْ﴾ عملهم لأن الكفر يبطل العمل ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ صنيعاً وعملاً.

[١٠٥] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ بدلائله وحججه ﴿وَلِقَاءَهُ﴾ أي لقاء جزائه، فينكرون المعاد ﴿فَجَبِطَتْ أَعْمَالَهُمْ﴾ أي بطلت بسبب كفرهم ﴿فَلَا نَقِيمَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا﴾ أي قدراً بل ناعبهم.

[١٠٦] الأمر ﴿ذَلِكَ﴾ الذي ذكرنا من حبط أعمالهم ﴿جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا﴾ بسبب كفرهم ﴿وَاتَّخَذُوا آيَاتِي﴾ الأدلة الدالة على الله ﴿وَرُسُلِي هُزُؤًا﴾ مهزواً بهما.

[١٠٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ﴾ البستان الجميل الجامع بين الثمر والزهر وسائر المناظر الحسنة ﴿نُزُلًا﴾ منزلاً.

[١٠٨] ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ﴾ لا يطلبون ﴿عَنْهَا﴾ عن الجنات ﴿حَوْلًا﴾ تحولاً.

[١٠٩] ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا﴾ المداد هو ما يكتب به ﴿لِكَلِمَاتِ رَبِّي﴾ أي مخلوقاته، لأن كل مخلوق كلمة ﴿لَنفِدَ﴾ انتهى ماء البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي، لأنها غير متناهية من حيث أن الله سبحانه يستمر في خلقها ﴿وَلَوْ جُنَّتَا بِمِثْلِهِ﴾ بمثل البحر ﴿مِدَادًا﴾ للبحر.

[١١٠] ﴿قُلْ﴾ يا رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ ولذا أفعل ما يفعله البشر من الأكل والنوم والمشي، والفرق أنه ﴿يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ لا شريك له ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ﴾ لقاء جزاء الله بالجنة والثواب ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يَشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ أي لا يجعل أحداً شريكاً لله تعالى في عبادته.

قَالَ هَذَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنَفَخَ فِي الصُّورِ فَمَجَّعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرْضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزْلًا ﴿١٠٢﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَبِيلَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِمْ فَبُطِئَتْ أَعْيُنُهُمْ فَلَاحِقَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا ﴿١٠٥﴾ ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُؤًا ﴿١٠٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا غَنَاءًا ﴿١٠٨﴾ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يَشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾

١٩: سورة مريم

مكية آياتها ثمان وتسعون

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

- [١] ﴿كهيعص﴾ رمز بين الله والرسول ﷺ .
 [٢] هذه السورة ﴿ذكر رحمة ربك عبده﴾ أي فيها ذكر لرحمة الله عبده ﴿ذكرنا﴾ .
 [٢] ﴿إذ نادى﴾ دعا زكريا ﷺ ﴿ربّه نداء خفياً﴾ لا يجر به وذلك أقرب إلى الخلوص .
 [٤] ﴿قال رب إني وهن﴾ ضعف ﴿العظم مني﴾ فإن وهن العظم وهو شيء صلب يدل على وهن لجميع الجسد ﴿واشتعل الرأس شيباً﴾ بياضاً، أي أن الشيب قد عم الرأس، فشبّه بالنار التي تشتعل فتشمل كل الأطراف ﴿ولم أكن بدعائك﴾ بدعائي إياك يا ﴿رب شقيّاً﴾ محروماً، أي لم أكن كذلك فيما مضى فأرجو أن لا أحرم في المستقبل .
 [٥] ﴿واني خفت﴾ أخاف ﴿الموالي﴾ الذين يتولون أمر الأمة ﴿من ورائي﴾ بعدي بأن يبدلوا دين الناس ﴿وكانت امرأتي عاقراً﴾ لا تلد ﴿فهب لي من لدنك﴾ من عندك ﴿ولياً﴾ ولداً .

[٦] ﴿يرثني﴾ مالي ومقامي ﴿ويرث من آل يعقوب﴾ لأن زكريا ﷺ هو من آل يعقوب، فإذا جاء ولد ورث الوالد

ذلك المقام والمنزلة ﴿واجعله رب رضيعاً﴾ مرضياً عندك، فاستجاب الله دعاءه فخاطبه بقوله :

- [٧] ﴿يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سمياً﴾ فلا أحد بهذا الاسم قبل يحيى ﷺ .
 [٨] ﴿قال رب أنى﴾ كيف ﴿يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقراً﴾ لا تلد ﴿وقد بلغت من الكبر عتياً﴾ يساً وجفافاً^(١) .
 [٩] ﴿قال﴾ الله : ﴿كذلك﴾ هكذا ﴿قال ربك هو﴾ إعطاء الولد لكما ﴿عليّ هين﴾ سهل ﴿وقد خلقتك من قبل﴾ قبل يحيى ﷺ ﴿ولم تك شيئاً﴾ فمن أوجدك من العدم قادراً على أن يعطيك الولد .
 [١٠] ﴿قال رب اجعل لي آية﴾ علامة دالة لوقت الحمل ﴿قال آيتك ألا تكلم الناس﴾ لا تقدر على تكليمهم ﴿ثلاث ليال سوتاً﴾ أي في حال كونك صحيحاً بلا آفة ومرض وخرس .
 [١١] ﴿فخرج﴾ زكريا ﷺ ﴿على قومه من المحراب فأوحى إليهم أن سبحوا﴾ الله ﴿بكرة وعشيّاً﴾ طرفي النهار .

سورة مريم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كهيعص ﴿١﴾ وَذَكَرْ رَحْمَتَ رَبِّكَ عَبْدُكَ زَكَرِيَّا ﴿٢﴾ إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ إِنَّا نَبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي يَكُونُ لِي عُذْلٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَقَدْ خَلَقْنَاكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾

[١٢] فوهبنا له يحيى عليه السلام وقلنا له: ﴿يا يحيى خذ الكتاب بقوة﴾ بجد وعزم ﴿وآتيناه﴾ أي أعطينا يحيى عليه السلام ﴿الحكم﴾ النبوة ﴿صبيًا﴾ في حال الصبى .
 [١٣] ﴿و﴾ آتيناه ﴿حنانًا﴾ رحمة ﴿من لدنا﴾ من عندنا على الناس ﴿وزكاة﴾ طهارة ونزاهة ﴿وكان تقيًا﴾ عن الشرك والمعاصي .
 [١٤] ﴿وبزاً بوالديه ولم يكن جبارًا﴾ متكبراً ظالماً ﴿عصيًا﴾ عاصياً لربه .
 [١٥] ﴿وسلام﴾ سلامة ﴿عليه يوم ولد﴾ فهو سالم الأعضاء ﴿ويوم يموت﴾ من العذاب في القبر ﴿ويوم يبعث حيًا﴾ من النار .
 [١٦] ﴿واذكر﴾ يا رسول الله ﷺ ﴿في الكتاب﴾ القرآن قصة ﴿مريم إذ انتبذت﴾ أي اعتزلت ﴿من أهلها مكاناً شرقياً﴾ في طرف مشرق بيت المقدس .
 [١٧] ﴿فانتخذت من دونهم﴾ دون الناس ﴿حجاباً﴾ ستراً لتغتسل ﴿فأرسلنا إليها روحنا﴾ جبرئيل عليه السلام ﴿فتمثل لها بشراً سوياً﴾ في صورة شاب تام الخلق .
 [١٨] ﴿قالت﴾ مريم عليها السلام : ﴿إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيًا﴾ خائفاً من الله، والجواب محذوف أي فابتعد عني .

[١٩] ﴿قال إنما إنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً﴾ طاهرأ من الأدناس .

[٢٠] ﴿قالت أنى﴾ كيف ﴿يكون لي غلام ولم يمسسني بشر﴾ بالحلال ﴿ولمأك بغياً﴾ زانية .

[٢١] ﴿قال كذلك﴾ هكذا ﴿قال ربك هو﴾ إحداث الولد بلا أب ﴿عليه هين﴾ سهل ﴿ولنجعله آية﴾ برهاناً لكمال قدرتنا للناس ورحمةً منا وكان خلقه ﴿أمراً مقضياً﴾ كائناً لا محالة .

[٢٢] ﴿فحملته﴾ حملت مريم بعبسى عليها السلام ﴿فانتبذت به﴾ أي تنخت بالحمل ﴿مكاناً قصياً﴾ بعيداً من أهلها .

[٢٣] ﴿فأجاءها المخاض﴾ أتى بها صعوبة الطلق وألجأها ﴿إلى جذع النخلة﴾ ساقها ﴿قالت يا ليتني مت قبل هذا﴾ الأمر وذلك لخلجها من الناس ﴿وكنت نسياً﴾ من شأنه أن ينسى ﴿منسياً﴾ منسى الذكر .

[٢٤] ﴿فناداها﴾ نادى المسيح أمه ﷺ ﴿من تحتها﴾ بعد الولادة: ﴿ألا تحزني﴾ يا أماه ﴿قد جعل ربك تحتك﴾ تحت قدمك ﴿سرياً﴾ نهراً من الماء للشرب .

[٢٥] ﴿وهزي﴾ أجبني ﴿إليك﴾ نحوك ﴿بجذع النخلة تساقط﴾ النخلة ﴿عليك رطباً جنباً﴾ طرياً قد جني الآن .

يَبْحَثُ خُذَ الْكِتَابِ بِقُوَّةٍ وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَزًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَّمْ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾ وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرِيقًا ﴿١٦﴾ فَأَتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكْ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَئِن لَّنْجَعْلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جُذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتُنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّنْسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهَزِي إِلَيْكَ الْجُذْعُ النَّخْلَةِ تَسْقُطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾

[٢٦] ﴿فَكُلِي﴾ ﴿فكُلِي﴾ الرطب ﴿وَاشْرَبِي﴾ من الماء الجاري ﴿وَقُرِّي عَيْنًا﴾ لثطب نفسك ﴿فَإِمَّا﴾ إن الشرطية وما الزائدة ﴿تَرَيْنَ﴾ إن رأيت ﴿مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا﴾ يسالك عن الولد ﴿فَقُولِي﴾ أشيري: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾ أي صمتاً ﴿فَلَن أَكْلِمَ الْيَوْمَ أَنسِيًّا﴾ إنساناً.

[٢٧] ﴿فَأَنتِ﴾ مريم ؑ ﴿بِهِ﴾ بالولد ﴿تَوْمَهَا﴾ إلى قومها ﴿تَحْمِلُهُ﴾ حاملة له ﴿قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾ منكراً عظيماً.

[٢٨] ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ﴾ كان رجلاً صالحاً، فقيل لها أنت في الصلاح كأنك أخت هارون ﴿مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ﴾ زانياً ﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا﴾ زانية.

[٢٩] ﴿فَأُشَارَتْ﴾ مريم ؑ ﴿إِلَيْهِ﴾ إلى عيسى ؑ بأن كلموه ليحييكم ﴿قَالُوا كَيْفَ نَكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾.

[٣٠] ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ رداً على من زعم ربوبيته ﴿آتَانِي﴾ أعطاني ﴿الْكِتَابَ﴾ الإنجيل ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾.

[٣١] ﴿وَجَعَلَنِي مَبَارَكًا﴾ كثير البركة والخير ﴿أَبْنِ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي﴾ أمرني ﴿بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾.

[٣٢] ﴿وَبَرًّا﴾ أن أكون باراً ﴿بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا﴾ متكبراً طاغياً ﴿شَقِيًّا﴾ عاصياً لله تعالى.

[٣٣] ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ﴾ فأنى سالم في الدنيا من جراء سلامتي عن العيوب حال الولادة ﴿وَيَوْمَ أُمُوتُ﴾ فأنى سالم في القبر عن العذاب ﴿وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ فأنى سالم إلى الأبد.

[٣٤] ﴿ذَلِكَ﴾ الذي قال إني عبد الله بتلك الصفات المذكورة ﴿عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ﴾ قلنا فيه قول ﴿الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ يشكون، فاليهود يقولون ليس بنبي والنصارى يقولون هو إله.

[٣٥] ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ﴾ أنزهه تنزيهاً ﴿إِذَا قُضِيَ أَمْرًا﴾ أراد شيئاً ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ فلا يهيم أن يخلق إنساناً بدون أب.

[٣٦] ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ وليس المسيح ؑ رباً أو ابن رب ﴿فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ لا انحراف فيه.

[٣٧] ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ﴾ جماعات اليهود والنصارى ﴿مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ أي اختلافاً ناشئاً من بينهم لا من قبل الله ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ من حضورهم يوم القيامة.

[٣٨] ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ أي هم شديداً السمع والبصر في ﴿يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾ في القيامة ﴿لَكِنَ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ﴾ في الدنيا ﴿فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ واضح، فلا يسمعون الحق ولا يرون الآيات.

فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَن أَكْلِمَ الْيَوْمَ أَنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنتِ بِهٖ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَتَأَخَذُ هٰذُوْنَ مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأُشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نَكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مَبَارَكًا إِنِّي مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أُمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُوْنَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلّٰهِ اَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحٰنَهُ اِذَا قَضٰى اَمْرًا اِنَّمَا يَقُوْلُ لَمْ يَكُنْ فَيَكُوْنُ ﴿٣٥﴾ وَاِنَّ اللّٰهَ رَبِّيْ وَرَبَّكُمْ فَاَعْبُدُوْهُ هٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيْمٌ ﴿٣٦﴾ فَاخْتَلَفَ الْاَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِيْنَ كَفَرُوْا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيْمٍ ﴿٣٧﴾ اَسْمِعْ بِهِمْ وَاَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُوْنَآ لٰكِنَ الظّٰلِمُوْنَ الْيَوْمَ فِيْ ضَلٰلٍ مُّبِيْنٍ ﴿٣٨﴾

[٣٩] ﴿وَأَنذَرَهُمْ﴾ خَوَّفَهُمْ يَا مُحَمَّد ﷺ ﴿يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾ يتحسر فيه الناس ﴿إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ انتهى كل شيء، فلا يتمكن الإنسان من تبديل جزائه ﴿وَهُمْ﴾ الحال ﴿فِي غَفْلَةٍ﴾ وهم لا يؤمنون.

[٤٠] ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾ فلماذا يبقون على الكفر من أجل الرئاسة والمال، فالكُل زائل ﴿وَالْإِنْيَا﴾ إلى حسابنا ﴿يَرْجِعُونَ﴾.

[٤١] ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ﴾ إنه كان صديقاً ﴿مُلازماً﴾ للصدق ﴿نَبِيّاً﴾.

[٤٢] ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ﴾ عمه أزر: ﴿يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً﴾ فان الصنم لا يدفع عن الإنسان شيئاً.

[٤٣] ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ﴾ بالله ﴿مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾ فأنت جاهل بالله ﴿فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيّاً﴾ مستقيماً.

[٤٤] ﴿يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ﴾ لا تطعه، فإن الكفر عبادة وطاعة للشيطان ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيّاً﴾ عاصياً.

[٤٥] ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمْسَكَ﴾ يصيبك ﴿عَذَابُ﴾ من الرحمن فتكون للشيطان ولياً ﴿قَرِيناً﴾ في العذاب.

[٤٦] ﴿قَالَ﴾ أزر: ﴿أَرَاغِبٌ﴾ نافر، والاستفهام للإنكار ﴿أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي﴾ الأصنام ﴿يَا إِبْرَاهِيمَ﴾ لأن لم تنته عن مقالك ﴿لَا رَجْمَتَكَ﴾ بالحجارة ﴿وَاهْجُرْنِي﴾ أي ابتعد عني ﴿مَلِيّاً﴾ زمناً طويلاً، وإلا رجمتك.

[٤٧] ﴿قَالَ﴾ إبراهيم ﷺ: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكَ﴾ سَلَّمَ عليه سلام الوداع ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي﴾ أي أطلب منه أن يوفقك للتوبة حتى تكون أهلاً للغفران ﴿إِنَّهُ﴾ أي الله ﴿كَانَ بِي حَفِيّاً﴾ أي لطيفاً باراً.

[٤٨] ﴿وَاَعْتَزِلْكُمْ﴾ أبتعد عنكم ﴿وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي واعتزل أصنامكم ﴿وَادْعُوهُ﴾ أعبد ﴿رَبِّي عَسَىٰ أَلَا أَكُونَ﴾ بدعاء ربي شقيّاً خائباً، كما شقيتم في دعاء الأصنام.

[٤٩] ﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ بأن هجرهم ﴿وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكَلا﴾ من أولاده ﴿جَعَلْنَا نَبِيّاً﴾. [٥٠] ﴿وَوَهَبْنَا لَهُمُ﴾ للثلاثة ﴿مِنْ رَّحْمَتِنَا﴾ سعادة الدارين ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيّاً﴾ ثناءً حسناً رفيعاً، وعبر باللسان عن الثناء بعلاقة السبب والمسبب، وحيث أن المدح صادق قال: لسان صدق.

[٥١] ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ﴾ القرآن ﴿مُوسَىٰ﴾ إنه كان مخلصاً أخلصه الله لنفسه ﴿وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيّاً﴾ مخبراً عن الله تعالى.

وَأَنذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِنَّا يُرْجِعُونَ ﴿٤٠﴾ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِذْ كَانَ صَدِيقاً نَبِيّاً ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَأْتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً ﴿٤٢﴾ يَأْتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيّاً ﴿٤٣﴾ يَأْتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيّاً ﴿٤٤﴾ يَأْتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمْسَكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيّاً ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَأْتِ إِبْرَاهِيمَ لَنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجِمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيّاً ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّكَ كَانَ بِي حَفِيّاً ﴿٤٧﴾ وَاعْتَزِلْكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَا أَكُونَ إِلَّا كَرِهُنَّ رَدْعَاءَ رَبِّي شَقِيّاً ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكَلا جَعَلْنَا نَبِيّاً ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيّاً ﴿٥٠﴾ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصاً وَكَانَ رَسُولاً نَبِيّاً ﴿٥١﴾

[٥٢] ﴿وَنَادَيْنَاهُ﴾ تكلما معه ﴿مِنْ جَانِبِ الطُّورِ﴾ جبل في الشام ﴿الْأَيْمَنِ﴾ الأكثر يمناً وبركة ﴿وَقَرَّبْنَاهُ﴾ تقرب كرامة ﴿نَجِيًّا﴾ مناجياً له .

[٥٣] ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾ أي جعلنا أخاه نبياً ووزيراً له .

[٥٤] ﴿وَإِذْ ذَكَرْنَا فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ﴾ إنه كان صادق الوعد إذا وعد بشيء وفي به ﴿وَوَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ .

[٥٥] ﴿وَوَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ رضي أعماله .

[٥٦ - ٥٧] ﴿وَإِذْ ذَكَرْنَا فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ﴾ إنه كان صديقاً نبياً * ورفعناه مكاناً علياً ﴿عَالِيًّا﴾ .

[٥٨] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ﴾ بيان (الذين) ﴿النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا﴾ في السفينة أي من ذرية من حملنا ﴿مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ﴾ من ذرية ﴿إِسْرَائِيلَ﴾ يعقوب ﴿وَمِنْ﴾ أولئك ﴿مِمَّنْ هَدَيْنَا﴾ هم ﴿وَاجْتَبَيْنَا﴾ اخترناهم ﴿إِذَا تَتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرَوْا﴾ وقعوا على الأرض تواضعاً لله ﴿سُجَّدًا﴾ ساجدين ﴿وَبُكِيًّا﴾ باكين من خوف الله .

[٥٩] ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ أي من أقوامهم وأولادهم الذين هم من بعدهم ﴿أَضَاعُوا الصَّلَاةَ﴾ بأن تركوها ﴿وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ﴾ المحرمة ﴿فَسُوفَ يَلْقَوْنَ﴾

وَنَدَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ۖ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ۖ ٥٢ وَذَكَرْنَا فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ۖ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ۖ ٥٣ وَذَكَرْنَا فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صَدِيقًا نَّبِيًّا ۖ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۖ ٥٤ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَنُوحًا مِّن ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذِ اتَّخَذُوا عَلَيْهِمْ عَاهِدًا ۖ ٥٥ خَرَوْا وَسُجَّدُوا وَكَبَّوْا ۖ ٥٦ خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ۖ ٥٧ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ۖ ٥٨ جَنَّتٌ عَدْنٌ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُمْ كَانُوا غَدَّامِينَ ۖ ٥٩ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۖ ٦٠ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ۖ ٦١ وَمَا نُنَزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رِبِّكَ لَمْ يَكُنِ آيَاتِنَا وَمَا خَلَقْنَا وَمَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رِبِّكَ نَسِيًّا ۖ ٦٢

أولئك الخلف ﴿غِيًّا﴾ جزاء عنهم وضلالهم .

[٦٠] ﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾ ندم عن معاصيه ﴿وآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾ لا ينقصون شيئاً من جزاء أعمالهم .

[٦١] ﴿جَنَّاتٍ﴾ بدل (الجنة) ﴿عَدْنٍ﴾ إقامة ﴿الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ﴾ وهي غائبة عنهم ﴿إِنَّهُ﴾ تعالى ﴿كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا﴾ آتياً .

[٦٢] ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾ من الكلام الذي لا فائدة فيه ﴿إِلَّا سَلَامًا﴾ لكن يسمعون من الملائكة سلاماً (١) ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا﴾ في الجنة ﴿بُكْرَةً﴾ صباحاً ﴿وَعَشِيًّا﴾ عصر (٢) .

[٦٣] ﴿تِلْكَ﴾ الجنة المذكورة هي ﴿الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ﴾ نعطي ﴿مِنَ الْجَنَّةِ الَّتِي تَقِيًّا﴾ اتقى الكفر والمعاصي، وحيث ذكر الجنة وقول الملائكة هناك للناس: سلاماً عطف على أحوال الملائكة، فقد قالوا:

[٦٤] ﴿وَمَا تَنْزِلُ﴾ أي لا تنزل من السماء إلى الأرض ﴿إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ ما بين أيدينا المستقبل ﴿وَمَا خَلَقْنَا﴾ الماضي ﴿وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾ الحال ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ ينسى شيئاً من أمور الأزمان الثلاثة، وحيث ذكر الأزمنة الثلاثة جاء إلى ذكر الأماكن فقال:

(١) والاستثناء منقطع كما لا يخفى. والسلام اسم جامع لكل خير.

(٢) والمراد: دوام الرزق.

[٦٥] ﴿وَرَبَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾ مثلًا وشبيهًا يسمى بهذا الاسم حقيقة، والاستفهام بمعنى النفي.

[٦٦] ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ﴾ الكافر: ﴿إِذَا مَا﴾ زائدة ﴿مَت﴾ لسوف أخرج حيًّا ﴿بعد الموت، والاستفهام على طريق الإنكار والاستهزاء.

[٦٧ - ٦٨] ﴿أَوْ لَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكْ شَيْئًا﴾ فمن قدر على الإيجاد يقدر على الإعادة ﴿فَوَرَبُّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾ ونجمتهم ﴿وَالشَّيَاطِينَ﴾ أي مقرّنين بالشياطين ﴿ثُمَّ لَنَحْضُرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ أي واقعين على ركبهم لهول الموقف، فإن كثرة الخوف توجب سقوط الإنسان لاضطراب أعصاب الرجل.

[٦٩ - ٧٠] ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ﴾ لنستخرجن ﴿مِنْ كُلِّ شَيْعَةٍ﴾ من كل جماعة ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا﴾ أي الأعتى فالأعتى^(١)، فنلقيهم في جهنم أولاً فأول ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا﴾ أحق بجهنم ﴿صَلَاتِي﴾ دخولاً، والمعنى لا ندخل جهنم إلا المستحق لها.

[٧١] ﴿وَإِن نَّافِيَةٌ﴾ أيها البشر ﴿إِلَّا وَارِدُهَا﴾ لأن الصراط على النار، فكلهم يردون على النار عبوراً على الصراط ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ حكم بذلك حكم واجباً على نفسه.

[٧٢] ﴿ثُمَّ نَنْجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الكفر والمعاصي، بأن يعبروا الصراط بسلام ﴿وَنُذِرُ﴾ نترك ﴿الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ ساقطين، لأن أرجلهم لا تحملهم من الخوف والعذاب.

[٧٣] ﴿وَإِذَا تَلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾ واضحات ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ﴾ المؤمنين والكافرين ﴿خَيْرٌ مَّقَامًا﴾ مقامكم على الإيمان، أو مقامنا على الكفر ﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ مجلساً، ومعناه أن الكفار يقولون: نحن أحسن منكم.

[٧٤] ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ أهل كل عصر خالفوا أوامر الله ﴿هَمَّ أَحْسَنُ﴾ من هؤلاء ﴿إِثْنَانِ﴾ متاعاً وزينة ﴿وَرِثِيًّا﴾ من الرؤية بمعنى المنظر.

[٧٥] ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ﴾ عن الحق ﴿فَلْيَمْدُدْ لَهُ﴾ يمدّه ويمهله بطول العمر وإعطاء متاع الدنيا، وذلك استدراجاً له ﴿الرَّحْمَنُ مَذًا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ﴾ عند انتهاء أمدهم ﴿إِنَّمَا الْعَذَابُ﴾ بالقتل والأسر ﴿وَأَمَّا السَّاعَةُ﴾ أي الموت، فمن مات قامت قيامته ﴿فَسَيُعْلَمُونَ مِنْ هُوَ﴾ من الفريقين ﴿شُرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جَنْدًا﴾ هل جندهم أو جند المؤمنين.

[٧٦] ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ بأن يلطّف بهم الألفاظ الخفية ﴿وَوُ﴾ الطاعات ﴿الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ﴾ عند ربك ثواباً ﴿مِمَّا مَتَّعَ بِهِ الْكَافِرَ﴾ وخير مردّاً ﴿عَاقِبَةً﴾.

(١) عتا يعتو عتواً وعتياً: استكبر وجاوز الحد، لسان العرب.

[٧٧] ﴿أَفَرَأَيْتَ﴾ استفهام للتعجب ﴿الذي كفر بآياتنا﴾

ورد أن المراد به العاص بن وائل، وإن كان اللفظ عاماً ﴿وقال لأوتين﴾ أعطى من الله على تقدير الحساب والقيامة ﴿مالاً﴾ كثيراً ﴿وولداً﴾ أولاداً، فإن الكفار يزعمون كرامتهم على الله حتى إذا كانت هناك قيامة أكرمهم هناك أيضاً كما أعطاهم في الدنيا.

[٧٨] ﴿أطلع الغيب﴾ هل أشرف على أحوال الآخرة التي هي غائبة عن الحواس حتى يقول هذا الكلام والاستفهام للإتكار ﴿أم اتخذ عند الرحمن عهداً﴾ فعهد الله إليه بأن يعطيه المال والولد.

[٧٩] ﴿كلاً﴾ لا هذا ولا ذاك ﴿سنكتب﴾ السنين للتأكيد ﴿ما يقول﴾ نحفظ عليه لنجزيه على كذبه ﴿ونمذ له من العذاب مذكراً﴾ نزيده عذاباً، كما زناه عمراً ومالاً فكفر.

[٨٠] ﴿ورثه﴾ نرث منه عند هلاكه ﴿ما يقول﴾ من المال والولد، إذ يبقى ماله وولده لله تعالى بعد أن مات فلا يقدر أن يذهب بهما إلى الآخرة ﴿ويأتينا﴾ في الآخرة ﴿فرداً﴾ بلا مال وولد.

[٨١] ﴿واتخذوا﴾ الكفار ﴿من دون الله آلهة﴾ أصناماً ﴿ليكونوا لهم عزاً﴾ ليتعزوا بهم.

[٨٢] ﴿كلاً﴾ ليس الأمر كما ظنوا، بل الآلهة أسباب ذلهم ﴿سيكفرون﴾ تكفر الآلهة ﴿بعبادتهم﴾ بأن تنكر

منهم عبادتهم لها ﴿ويكونون﴾ الآلهة ﴿عليهم﴾ على الكفار ﴿ضداً﴾ أعداء لهم، عوض ما أرادوا من أن تكون عزة لهم. [٨٣] ﴿ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين﴾ خلينا بينهم وبين الشياطين ﴿تؤزهم أزراً﴾ تزعجهم إزعاجاً، فكما إن الشياطين - الذين هم أولياء الكفار - سبب لإيذائهم، كذلك الآلهة المعبودة للكفار سبب زيادة عذابهم في الآخرة. [٨٤] ﴿فلا تعجل عليهم﴾ على الكفار بطلب عذابهم ﴿إنما نعد لهم﴾ الأيام ﴿عداً﴾ حتى ينهوا أجلمهم المقدر لهم ثم نأخذهم. [٨٥] وذلك ﴿يوم﴾ وهو يوم القيامة ﴿نحشر﴾ نجتمع ﴿المتقين﴾ الذين اتقوا الكفر والمعاصي ﴿إلى الرحمن وفداً﴾ يذهبون جماعة إلى ثواب الله^(١).

[٨٦] ﴿ونسوق﴾ نسيرهم سيراً بدون احترام ﴿المجرمين إلى جهنم ورداً﴾ واردين لها عطاشاً. [٨٧] ﴿لا يملكون﴾ لا يملك أحد ﴿الشفاعة﴾ لأحد ﴿إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً﴾ بأن آمن وعمل صالحاً وهو عهده عند الله بأن يدخله الجنة، و (إلا) بمعنى لكن من كان كذلك دخل الجنة.

[٨٨ - ٨٩] ﴿وقالوا﴾ الكفار: ﴿اتخذ الرحمن ولداً﴾. ﴿لقد جئتم﴾ أيها القائلون بهذا القول ﴿شيئاً إذاً﴾ منكرأ عظيماً. [٩٠] ﴿تكاد السماوات يتفطرن﴾ يتشققن ﴿منه﴾ من هذا الكلام ﴿وتنشق الأرض وتخر الجبال﴾ تسقط بانكسار ﴿هذا﴾ كسراً، فإن الكلام السيئ يزلزل الكون.

[٩١ - ٩٢] وذلك لـ ﴿أن دعوا﴾ المشركون ﴿للرحمن ولداً﴾. ﴿وما ينبغي﴾ لا يليق ﴿للرحمن أن يتخذ ولداً﴾.

[٩٣] ﴿إن﴾ ما ﴿كل من في السماوات والأرض إلا آتي﴾ أتى ﴿الرحمن عبداً﴾ والعبد ليس بولد.

[٩٤] ﴿لقد أحصاهم﴾ حصرهم ﴿وعدهم﴾ عدأشخاصهم ﴿عداً﴾.

[٩٥] ﴿وكلهم آتبه يوم القيامة فرداً﴾ مفردين بلا مال ولا شخص نصير.

أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّكَ مَا لَا وِلْدًا
﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا
سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرَاهُ
مَأْثُورًا ﴿٨٠﴾ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨١﴾ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً
لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴿٨٢﴾ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ
عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٣﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ
تُوزِّهِمْ أَزْوَاجًا ﴿٨٤﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعِدُّ لَهُمْ عَذَابًا
يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ
إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَرِثَةً ﴿٨٦﴾ لَّا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ
الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَقَدْ
جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ
وَتَشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا
﴿٩١﴾ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَقَدْ أَحْصَيْنَاهُمُ
وَعَدَهُمْ عَذَابًا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾

[٩٦] ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ محبة في قلوب الناس، والسين للتأكيد.

[٩٧] ﴿فَإِنَّمَا يَسِرَّنَا﴾ القرآن ﴿بِلِسَانِكَ﴾ بأن أنزلناه على لسانك ﴿لَتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ﴾ من الشرك والمعاصي ﴿وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لِّذًا﴾ جمع الذ: شديد الخصومة والعدا.

[٩٨] ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ أمة من الأمم ﴿هَلْ تَحْسَ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ﴾ هل تشعر بأحد منهم وتراه، وهذا بيان لأنه لم يبق منهم أحد ﴿أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ أي صوتاً خفياً فلم يبق منهم خبر ولا أثر، وكما أهلكناهم نهلك هؤلاء.

٢٠: سورة طه

مكية آياتها مائة وخمسة وثلاثون

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

[١] ﴿طه﴾ اسم الرسول ﷺ، أو رمز.

[٢] ﴿مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ لتتعب بكثرة العبادة.

[٣] ﴿إِلَّا تَذْكِرَةً﴾ تذكيراً ﴿لِمَنْ يَخْشَى﴾ الله، فإنه المتمتع بالتذكير.

[٤] ﴿تَنْزِيلًا﴾ أي أنزل تنزيلاً ﴿مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى﴾ الرفيعة.

[٥] ﴿هُوَ﴾ الرحمن على العرش ﴿أَيُّ السُّلْطَةِ﴾ استوى استولى.

[٦] ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ من المخلوقات ﴿وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ أي التراب.

[٧] ﴿وَإِنْ تَجْهَرْ﴾ تريد الجهر ﴿بِالْقَوْلِ﴾ بالعبادة والدعاء، فهو غني عن ذلك ﴿فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ﴾ ما أسرته إلى غيرك ﴿وَأَخْفَى﴾ من السر كالخطرات القلبية.

[٨] ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ كالرازق والخالق وما أشبه.

[٩] ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ﴾ قصة ﴿مُوسَى﴾.

[١٠] ﴿إِذْ رَأَى نَارًا﴾ في الصحراء على الشجرة ﴿فَقَالَ لِأَهْلِهِ﴾ زوجته: ﴿امْكُثُوا﴾ ابقوا في مكانكم ﴿إِنِّي أَنَسْتُ نَارًا﴾ أبصرتها ﴿لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ﴾ بشعلة ﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ﴾ عند النار ﴿هُدًى﴾ هادياً يدلني على الطريق، إذ كانوا في الصحراء والهواء بارد وقد ضلوا الطريق.

[١١ - ١٢] ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا﴾ اقترب من النار ﴿نُودِيَ﴾ يا موسى ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾ خلق الله الصوت هناك فسمعه موسى ﷺ ﴿فَاخْلَعْ﴾ انزع ﴿نَعْلَيْكَ﴾ من رجلك ﴿إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ﴾ المبارك ﴿طَوًى﴾ هو اسم الوادي.

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسِرَّنَا بِلِسَانِكَ لَتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لِّذًا ﴿٩٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ يُحْسِ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
طه ﴿١﴾ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَنْ يَخْشَى ﴿٣﴾ تَنْزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ﴿٤﴾ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴿٥﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴿٦﴾ وَإِنْ تَجْهَر بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴿٨﴾ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿٩﴾ إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي أَنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ بِمُوسَى ﴿١١﴾

[١٣] ﴿وَأَنَا اخْرَجْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ﴾ ﴿١٣﴾ ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾
إليك من كلامي .

[١٤] ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾ ﴿١٤﴾ ﴿خَالصاً بَدُونَ جَعَلَ شَرِيكَ﴾ ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ لأن تكون مذكرة لي .

[١٥] ﴿إِنَّ السَّاعَةَ﴾ ﴿الْقِيَامَةَ﴾ ﴿آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا﴾ أريد أن أخفيها عن عبادي لتأتيهم بغتة ، أو أكاد أظهرها ، من أخفاه بمعنى أزال خفاءه ﴿لَتَجْزِيَّ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾ بالذي سعي وعمل .

[١٦] ﴿فَلَا يَصُدُّكَ﴾ ﴿لَا يَمْنَعُكَ﴾ ﴿عَنْهَا﴾ أي عن الإيمان بالساعة ﴿مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ هوى نفسه في الإنكار ﴿فَتَرْدَى﴾ فتهلك .

[١٧] ﴿وَمَا تِلْكَ يَمِينُكَ﴾ في يدك اليمنى ﴿يَا مُوسَى﴾ .

[١٨] ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ﴾ اتكئ ﴿عَلَيْهَا وَاهْتَشِ﴾ أسقط ورق الشجر ﴿بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي﴾ علوفة لها ﴿وَلِي فِيهَا مَأْرَبٌ﴾ حوائج ﴿أُخْرَى﴾ كحمل الزاد في السفر وإلقاء الكساء عليها للاستغلال وطرده الموزيات .

[١٩ - ٢٠] ﴿قَالَ أَلْقَهَا يَا مُوسَىٰ﴾ ﴿فَأَلْقَاهَا فِإِذَا هِيَ﴾ ﴿تَقْلَبُ﴾ ﴿حَيْثُ تَسْعَى﴾ تمشي بسرعة .

[٢١] ﴿قَالَ﴾ ﴿اللَّهُ﴾ ﴿خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا﴾ نرجع الحية إلى ﴿سِيرَتَهَا﴾ حالتها ﴿الْأُولَى﴾ أي نجعلها عصا .

[٢٢] ﴿وَأَضْمَمُ﴾ أخف ﴿يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾ إبطك ﴿تَخْرُجُ﴾ اليد ﴿بِضَاءٍ﴾ لها شعاع كشعاع الشمس ﴿مَنْ غَيْرِ سَوْءٍ﴾

وَأَنَا اخْرَجْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴿١٣﴾ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا يُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى ﴿١٦﴾ وَمَا تِلْكَ يَمِينُكَ يَمُوسَى ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ وَاهْتَشِ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِي فِيهَا مَأْرَبٌ أُخْرَى ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقَهَا يَمُوسَى ﴿١٩﴾ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴿٢١﴾ وَأَضْمَمُ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجُ بِيضَاءً مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ آيَةٌ أُخْرَى ﴿٢٢﴾ لِنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِذْ هُوَ ظَنَّىٰ أَنَّهُ مُقْدِرٌ رَبِّ أَشْرَحَ لِي صَدْرِي ﴿٢٤﴾ وَبَسَّرَ لِي أَمْرِي ﴿٢٥﴾ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ﴿٢٦﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٧﴾ وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي ﴿٢٨﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿٢٩﴾ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴿٣٠﴾ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴿٣١﴾ كَيْ تَسْبَحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٢﴾ وَتَذَكَّرَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٤﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَى ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى ﴿٣٦﴾

[٢٢] ﴿وَأَضْمَمُ﴾ أخف ﴿يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾ إبطك ﴿تَخْرُجُ﴾ اليد ﴿بِضَاءٍ﴾ لها شعاع كشعاع الشمس ﴿مَنْ غَيْرِ سَوْءٍ﴾ فليس بياضها كبياض البرص ﴿آيَةٌ أُخْرَى﴾ معجزة ثانية لك .

[٢٣] نفعل ذلك ﴿لِنُرِيكَ﴾ يا موسى ﷺ ﴿مَنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى﴾ التي هي من أكبر المعجزات .

[٢٤] ﴿أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ تجاوز الحد .

[٢٥] ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ وسع صدري حتى لا أضجر .

[٢٦] ﴿وَبَسَّرَ لِي أَمْرِي﴾ سهل أمر القيام بالرسالة .

[٢٧] ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي﴾ حتى لا أرتج في الكلام بل أكون بليغاً .

[٢٨] ﴿كِي يَفْقَهُوا﴾ يفهموا ﴿قَوْلِي﴾ .

[٢٩ - ٣٠] ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي﴾ هارون أخي ﴿يعاضدني في التبليغ﴾ .

[٣١] ﴿أَشْدُدْ بِهِ﴾ بهارون ﴿أَزْرِي﴾ ظهري في الدعوة إليك .

[٣٢] ﴿وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ أمر النبوة ليكون نبياً .

[٣٣] ﴿كِي نَسْبَحَكَ كَثِيرًا﴾ فإن التعاون يوجب زيادة النشاط .

[٣٤ - ٣٥] ﴿وَتَذَكَّرَ كَثِيرًا﴾ * إنك كنت بنا بصيراً ﴿وعالمأ بأن هارون نعم الظهر﴾ .

[٣٦] ﴿قَالَ﴾ ﴿اللَّهُ﴾ : ﴿قَدْ أُوتِيتَ﴾ أعطيت ﴿سُؤْلَكَ﴾ سؤالك ﴿يَا مُوسَى﴾ .

[٣٧] ﴿وَلَقَدْ مَنَّا﴾ أنعمنا ﴿عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى﴾ في السابق .

[٣٨] ﴿إِذَا أَوْحَيْنَا﴾ أَلْهَمْنَا ﴿إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يَوْحَىٰ﴾ مَا يَلْزَمُ أَنْ تَلْهَمَ .

﴿٣٩﴾ **﴿أَن أَقْذِفَهُ﴾** والوحي هو أن اجعليه **﴿فِي التَّابُوتِ﴾** الصندوق **﴿فَأَقْذِفْهُ فِي الْيَمِّ﴾** اطرحي التابوت الذي فيه موسى **﴿عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾** في البحر **﴿فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ﴾** أمر بمعنى الخبر أي فيلقي البحر الصندوق **﴿بِالسَّاحِلِ﴾** الشاطئ **﴿يَأْخُذْهُ﴾** أي موسى **﴿عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾** **﴿عَدُوِّي وَعَدُوُّ لَه﴾** لموسى **﴿عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾** ، فإن فرعون كان عدواً لله ولرسوله **﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ﴾** يا موسى **﴿عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾** **﴿مُحِبَّةً مِّثِّي﴾** من عندي فكان إذا رآه أحد أحبه فوراً **﴿وَلَتَصْنَعُ﴾** تُرَبِّي **﴿عَلَيَّ عَيْنِي﴾** برعايتي ، لا برعاية عدوي فرعون .

[٤٠] وأرجعناك إلى أمك ويفهم ذلك من قوله ﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ﴾ فإن الأم أرسلت أخت موسى ﷺ لتقتفي أثره فجاءت ورأت موسى ﷺ عند فرعون وهو يطلب له الحاضنة ﴿فَتَقُولُ﴾ الأخت: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ﴾ أرشدكم يا آل فرعون ﴿عَلَىٰ مِنْ يَكْفُلُهُ﴾ يكفل موسى ﷺ، فقالوا: نعم، فجاءت بأمه فقبل ثديها ﴿فَرَجَعْنَاكَ﴾ يا موسى ﷺ ﴿إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ برؤيتك، أي تفرح ﴿وَوَكَيْ لَا تَحْزَنَ﴾ بفراقك ﴿وَمِنَ أُخْرَىٰ مَنَّا عَلَيْكَ حِينَ قُتِلْتَ نَفْسًا﴾ قبطياً حال نازعت مع الإسرائيليين فخفت أن يقتلوك ﴿فَتَجْنَحُكَ مِنَ الْغَمِّ﴾ بأن ألهمنا إليك بالفرار ففرت

واسترحت عن قصاصهم ﴿وَفَتْنَاكَ فِتْنُونًا﴾ اختبرناك اختباراً مدينين ﴿قَبِيلَةَ شُعَيْبِ النَّبِيِّ ﷺ﴾ ثم جئت على قدر ﴿قُدْرَةَ﴾ [٤١] ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ صنعتك لأن تكون نبياً لى.

[٤٢] ﴿اذهب أنت وأخوك بآياتي﴾ دلالاتي ﴿ولا تنيا﴾ تفتروا
[٤٣] ﴿اذهبا إلى فرعون إنه طغى﴾ جاوز الحد.

[٤٤] ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْتِنَا﴾ رقيقاً بدون خشونة. ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ﴾

[٤٥] ﴿قَالَا رَبَّنَا إِنَّنا نَخافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا﴾ بأن يعاقبنا فوراً

[٤٦] ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا﴾ بالحفظ والنصرة ﴿أَسْمِعْ

[٤٧] ﴿فَأْتِيَاهُ﴾ اذهبَا إليه ﴿فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ﴾
 ﴿مَنْ رَّبَّنَا﴾ بالتكاليف الشاقة ﴿قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ﴾ أدلة ﴿مَنْ رَّبَّنَا﴾
 الهدى الهداية .

[٤٨] ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَنْ كَذَّبَ﴾ ﴿بِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ بَيِّنَاتٍ﴾

[٤٩ - ٥٠] ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى * قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَاهُ الْإِسْمَ مَا يَجْلِبُ لَهُ النِّفْعُ وَيُدْفَعُ عَنْهُ الضَّرَرُ﴾

[٥١] ﴿قَالَ﴾ فرعون: ﴿فَمَا بَالُ﴾ ما حال ﴿القرون الأولى﴾ الموت عالماً آخر.

إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمِكَ مَائِيحَةً **(٢٨)** أَنْ أَقْدِفِيهِ فِي التَّائِبِينَ فَأَقْدِفِيهِ
 فِي الْيَاسِرِ فَلْيَقْبِضْهُ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ بِأَخْذِهِ عَدُوِّي وَعَدُوْلُهُمْ وَأَلْقَيْتُ
 عَلَيْكَ حِمَّةً مَبْنِيًّا وَلِنُصْغِعَ عَلَىٰ عَيْنِي **(٢٩)** إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ
 فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُمْ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمَمِكَ كَتُفٍّ
 عَيْنَهَا وَلَا تَحْزَنُ وَقُلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا
 فَلَمَّتْ سَيِّدِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنٍ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَمْوَسَىٰ **(٣٠)**
 وَأَصْطَلَعْنَاكَ لِنَفْسِي **(٣١)** أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِتَائِبٍ وَلَا نَبِيًّا
 فِي ذِكْرِي **(٣٢)** أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ **(٣٣)** فَقُولَا لَهُ قَوْلَا لَيْسَا
 لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ **(٣٤)** قَالَ رَسَّيْنَا أَنْتَا مَتَحِفَانِ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا
 أَوْ أَنْ يَطْغَىٰ **(٣٥)** قَالَ لَأَنتَا فَاثَانِي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ
(٣٦) فَأَيُّهَا فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ
 وَلَا تَعْذِِبْهُمْ فَدَجَّنَاكَ يَتَائِبِينَ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ
 الْمُدْحَىٰ **(٣٧)** إِنَّا قَدْ أَرْجَىٰ إِلَيْنَا أَنْ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ
 وَتَوَلَّىٰ **(٣٨)** قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمْوَسَىٰ **(٣٩)** قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ
 كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ **(٤٠)** قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ **(٤١)**

واسترحت عن قصاصهم ﴿ووفتاك فتونا﴾ اختبارك اختباراً بالشدائد والآلام ﴿فلنبت﴾ مكثت وبقيت ﴿سنين في أهل مدين﴾ قبيلة شعب النبي ﷺ ﴿ثم جئت على قدر﴾ قدرة على الرسالة ﴿يا موسى﴾.

[٤١] ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ صنعتك لأن تكون نساء لي.

[٤٢] ﴿اذْهَبْ أَنْتِ وَأَخُوكَ بِآيَاتِنَا﴾ دلالاتي ﴿وَلَا تَنْيَا﴾ تفترا، من الفتور ﴿فِي ذِكْرِي﴾ بالتسييح وتبليغ الرسالة.

[٤٣] ﴿اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ جاوز الحد.

[٤٤] ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئِنَّا ﴿رَقِيقًا بِدُونِ خَشُونَةٍ. ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ ﴿يَتَعَطَّ ﴿أَوْ يَخْشَى﴾ الْعِقَابِ.

[٤٥] ﴿قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَمُنُّ بِكَ وَأَنَّا نَمُوتُ﴾ بَأَن يَعاقِبُنَا فوراً ﴿أَوْ أُنْ بَطَغَى﴾ يَزِدَاد طَغْيَانًا.

[٤٦] **﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا﴾** بالحفظ والنصرة **﴿اسْمَعُ﴾** قولكم **﴿وَأَرَى﴾** أفعالكم، فأدفع شره عنكما.

[٤٧] ﴿فَاتِيَاهُ﴾ اذهبوا إليه ﴿فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ﴾ أطلق ﴿مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ حتى نخرج بهم عن مصر ﴿وَلَا

﴿تُعَذِّبُهُمْ﴾ بالتكاليف الشاقة ﴿قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ﴾ أدلة ﴿مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ﴾ السلامة من عقاب الدنيا والآخرة ﴿عَلَى مَنْ اتَّبَعَ﴾

الهدى الهداية.

[٤٨] ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَنْ كَذَّبَ﴾ بما جئنا به ﴿وَتَوَلَّى﴾ أعرض.

[٤٩ - ٥٠] ﴿قَالَ فَمَنْ رِبِكَمَا يَا مُوسَى * قَالَ رَبَّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ ﴿خَلَقَهُ﴾ صَوْرَتَهُ ﴿ثُمَّ هَدَى﴾

هده إلى ما يجلب له النفع ويدفع عنه الضرر.

[٥١] **قال** فرعون: **﴿فما بال﴾** ما حال **﴿القرون الأولى﴾** الأمم السابقة فما حالهم في الآخرة، على زعمك بأن بعد

الموت عالما آخر.

[٥٢] ﴿قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي﴾ أعمالهم معلومة لله محفوظة لديه ﴿فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي﴾ لا يضيع ربِّي شيئاً من أعمالهم^(١) ﴿وَلَا يَنْسَى﴾ وقد أراد موسى ﷺ عدم التفصيل في هذا الموضوع الذي لا يرتبط بكلامه ولذا رجع إلى بيان صنائع الله تعالى:

[٥٣] ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾ فراعشاً ﴿وَسَلَكَ﴾ جعل ﴿لَكُمْ فِيهَا﴾ في الأرض ﴿سُبُلًا﴾ طرقاً تسلكونها ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ﴾ جهة العلو ﴿مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا﴾ أصنافاً ﴿مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى﴾ مختلفة الألوان والطعوم والأشكال.

[٥٤] ﴿كُلُوا﴾ منها ﴿وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ﴾ حيواناتكم فيها ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿آيَاتٍ﴾ لِعِبْرٍ أَوْ أدلة ﴿لِلْأُولَى﴾ النهي ﴿لذَوِي الْعُقُولِ﴾ (نهي) جميع نهية، بمعنى العقل.

[٥٥] ﴿مِنْهَا﴾ من الأرض ﴿خَلَقْنَاكُمْ﴾ فان التراب يتحول نباتاً ثم مأكلاً ثم دماً ثم منياً ﴿وَفِيهَا نَعِيدُكُمْ﴾ بعد الموت، فإن الإنسان يصبح تراباً ﴿وَمِنْهَا نَخْرِجُكُمْ﴾ بتأليف الأجزاء الأرضية وإحيائها ﴿تَارَةً﴾ مرة ﴿أُخْرَى﴾ كما أخرجناكم من الأرض في المرة الأولى.

[٥٦] ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ﴾ أي فرعون ﴿آيَاتِنَا كُلَّهَا﴾ المعاجز التسع ﴿فَكَذَّبَ﴾ الآيات ﴿وَأَبَى﴾ امتنع عن القبول.

[٥٧] ﴿قَالَ أَجِئْتُنَا﴾ يا موسى ﴿لَتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا﴾ مصر

﴿قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾^(٥٢) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولَى الْأَلْبَابِ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى قَالَ أَجِئْتُنَا لِنُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَمْؤُومَنَ^(٥٧) فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُغْلِقُكُمْ عَنْهُ وَلَا أَنْتَ مَكِينٌ سَوَى^(٥٨) قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضَحَى^(٥٩) فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى^(٦٠) قَالَ لَهُمُ مُوسَىٰ وَرَبُّكُمْ لَا تَفْتُرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيَسْحَاحَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَىٰ^(٦١) فَتَنَّا عَمِلَ أَمْرَهُمْ بِئِنَّهُمْ وَأَسْرَوْا النَّجْوَىٰ^(٦٢) قَالُوا إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرَانِ بُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَ بِطَرَفِكُمْ لَتُسْأَلُنَّ^(٦٣) فَاجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ أَتَوْا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ^(٦٤)

﴿يسحرك يا موسى﴾ فإن موسى ﷺ لو استولى اضطر القبط بقبول دينه أو الخروج منها.

[٥٨] ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ﴾ يقابله حتى يبطل ادعاؤك الإعجاز ﴿فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا﴾ وعداً ﴿لَا نُغْلِقُ عَنْهُ﴾ ولا نَحْضُرُ عند الموعد ﴿مَكَانًا سَوَى﴾ في الوسط يستوي بيننا وبينك.

[٥٩] ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ﴾ كان يوم عيد لهم يتزينون فيه ويخرجون للتفرج، عَيْنُهُ ﷺ ليشهد الجميع المقابلة ﴿وَأَنْ يُحْشَرَ﴾ يجمع ﴿النَّاسُ ضَحَى﴾ قبل الظهر ليروا رؤية كاملة.

[٦٠] ﴿فَتَوَلَّىٰ﴾ انصرف ﴿فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ﴾ أسباب كيده من السحر وآلاته وأبهته ﴿ثُمَّ أَتَى﴾ في الموعد.

[٦١] ﴿قَالَ لَهُمُ مُوسَىٰ وَرَبُّكُمْ﴾ السوء عليكم ﴿لَا تَفْتُرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بأن تنسبوا إعجازي إلى السحر ﴿فَيَسْحَاحَكُمْ﴾ يهلككم ﴿بِعَذَابٍ﴾ من عنده ﴿وَقَدْ خَابَ﴾ خسر ﴿مَنْ افْتَرَى﴾.

[٦٢] ﴿فَتَنَّا عَمِلَ أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾ أي وقع النزاع بين أصحاب فرعون في أن موسى هل صادق في دعواه أم لا ﴿وَأَسْرَوْا النَّجْوَى﴾ أي أخذوا يخفون الكلام حول موسى ﷺ حتى لا يسمع موسى وقومه أنهم شاكون ويحتملون صدق موسى ﷺ.

[٦٣] ﴿قَالُوا إِنَّ﴾ مخففة من الثقيلة ﴿هَٰذَا لَسِحْرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ﴾ بالاستيلاء عليها ﴿بِسِحْرِهِمَا﴾ بسبب سحرهما ﴿وَيَذْهَبَ﴾ يبتلا ﴿بِطَرَفِكُمْ الْمَثَلِي﴾ بدينكم الأحسن الذي هو عبادة فرعون والأصنام.

[٦٤] ﴿فَاجْمَعُوا كَيْدَكُمْ﴾ أحكموه واجعلوه مجمعاً عليه ﴿ثُمَّ أَتَوْا صَفًّا﴾ مصطفين ليكون أكثر رهبة وأنظم للأمر ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ﴾ فاز ﴿الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى﴾ صار الأعلى لدى المحاجة والمقابلة.

[۶۵] ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَىٰ مَا مَعَكَ﴾ ﴿وَأِمَّا أَنْ
تَكُونَ﴾ نحن السحرة ﴿أَوَّلَ مَنْ لَقِيَ﴾ ما معنا .

[۶۶] ﴿قَالَ﴾ موسى ﷺ : ﴿بَلِ الْقَوْمَا فِإِذَا جَاءَهُمْ﴾ التي
صوروها كالحیات ﴿وَعَصِيَّتُهُمْ﴾ جمع عصا ﴿يَخْتَلِ إِلَيْهِ﴾
أي إلى فرعون، أو إلى موسى ﷺ ﴿مَنْ﴾ جهة
﴿سَحَرَهُمْ﴾ بتلك الحبال والعصي ﴿أَنَّهُ تَسْمَعُ﴾ تتحرك
مسرعة .

[۶۷] ﴿فَأَوْجَسَ﴾ فأحس ووجد ﴿فِي نَفْسِهِ خِيفَةً﴾ خوفاً
﴿مُوسَى﴾ قيل : كان الخوف من جهة التباس الأمر على
الناس .

[۶۸] ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ﴾ عليهم بالغبلة .

[۶۹] ﴿وَالْقَىٰ مَا فِي يَمِينِكَ﴾ عصاك ﴿تَلْقَفُ﴾ تأكل
بسرعة ﴿مَا صَنَعُوا﴾ من الحبال والعصي ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا﴾
أي الذي افعلوه هو ﴿كَيْدٌ سَاحِرٌ﴾ لا حقيقة له ﴿وَلَا
يَفْلَحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ أينما كان الساحر، فألقى
موسى ﷺ عصاه، فأكلت سحرهم مما أذعن الجميع أن
عمله ليس سحراً .

[۷۰] ﴿فَالْقَىٰ السَّحْرَةَ﴾ فإن أنفسهم لما أذعن بأنّه حق
أجبرتهم على الاعتراف ﴿سَجْدًا﴾ ساجدين ﴿قَالُوا آمَنَّا
بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ .

[۷۱] ﴿قَالَ﴾ فرعون : ﴿أَمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ﴾ في

الإيمان، استفهام توبيخي ﴿إِنَّهُ﴾ موسى ﷺ ﴿لَكَبِيرُكُمْ﴾ أستاذكم ورئيسكم ﴿الَّذِي عَلَّمَكُمُ السَّحْرَ﴾ وقد تواطأتم مع
موسى ﷺ على ما فعلتم ﴿فَلَا تَقْطَعْنَ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ﴾ اليد اليمنى والرجل اليسرى ﴿وَلَا صُلْبَكُمْ فِي جُذُوعِ
النَّخْلِ﴾ على أجسام النخل ﴿وَلَتَعْلَمَنَّ﴾ أيها السحرة ﴿أَيْنَمَا أَنَا﴾ أنا أو موسى ﷺ ﴿أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ﴾ عذابه أكثر بقاء .

[۷۲] ﴿قَالُوا﴾ السحرة : ﴿لَنْ نُوْثِرَكَ﴾ نختارك ﴿عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ﴾ المعجزات ﴿وَالَّذِي فَطَرَنَا﴾ قسماً بالذي
خلقنا ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾ فاحكم ما تريد أن تحكم فينا ﴿إِنَّمَا تَقْضِي﴾ تحكم في ﴿هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ أما الآخرة
فليست بيدك .

[۷۳] ﴿إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا﴾ الكفر والمعاصي ﴿و﴾ يغفر لنا ﴿مَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السَّحْرِ﴾ فإن فرعون أكرههم
على أن يسحروا في قبال موسى ﷺ وقد علموا قبل ذلك أن موسى ﷺ ليس بساحر ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ﴾ ثواباً ﴿وَأَبْقَىٰ﴾ أما
ثوابك فهو زائل .

[۷۴] ﴿إِنَّهُ مِنْ يَاتِ رَبِّهِ مُجْرِمًا﴾ بأن يموت على الكفر ﴿فَإِنْ لَهُ جَهَنَّمُ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ حتى يستريح ﴿وَلَا يَحْيَىٰ﴾ حياة
مريحة .

[۷۵] ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مَوْتًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ﴾ المنازل الرفيعة .

[۷۶] ﴿جَنَّاتٍ﴾ بدل من (الدَّرَجَاتِ) ﴿عَدْنٍ﴾ بساتين إقامة ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا﴾ تحت أشجارها وقصورها ﴿الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا﴾ وذلك جزاء من تزكى ﴿تَطَهَّرَ مِنْ آدَنَاسِ الْكَفْرِ﴾ .

قَالُوا يٰ مُوسٰى اِمَّا اَنْ تُلْقٰى مَا مَعَكَ ﴿۶۵﴾ وَاِمَّا اَنْ
تَكُوْنَ ﴿۶۶﴾ نَحْنُ السَّحِرَةُ ﴿اَوَّلَ مَنْ لَقِيَ﴾ مَا مَعَنَا .
﴿۶۶﴾ قَالَ ﴿۶۷﴾ مُوسٰى عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿بَلِ الْقَوْمَا فِإِذَا
جَاءَهُمْ ﴾ الَّتِي صَوَّرُوْهَا كَالْحَيٰاتِ ﴿وَعَصِيَّتُهُمْ ﴾ جَمْعُ عَصَا
﴿يَخْتَلِ اِلَيْهِ ﴾ اَيْ اِلَى فِرْعَوْنَ ، اَوْ اِلَى مُوسٰى عَلَيْهِ
السَّلَامُ ﴿مَنْ ﴾ جِهَةٌ ﴿سَحَرَهُمْ ﴾ بِتِلْكَ الْحَبَالِ وَالْعَصٰى
﴿اَنَّهُ تَسْمَعُ ﴾ تَتَحَرَّكُ مَسْرَعَةً .
﴿۶۷﴾ ﴿فَاَوْجَسَ ﴾ فَاَحْسَ وَوَجَدَ ﴿فِي نَفْسِهِ خِيفَةً ﴾ خَوْفًا
﴿مُوسٰى ﴾ قِيلَ : كَانَ الْخَوْفُ مِنْ جِهَةِ التَّبَاسِ الْاَمْرُ عَلَى
النَّاسِ .
﴿۶۸﴾ ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ اِنَّكَ اَنْتَ الْاَعْلٰى ﴾ عَلَيْهِم بِالْغِبْلَةِ .
﴿۶۹﴾ ﴿وَالْقَىٰ مَا فِي يَمِيْنِكَ ﴾ عَصَاكَ ﴿تَلْقَفُ ﴾ تَأْكُلُ
بَسْرَعَةٍ ﴿مَا صَنَعُوْا ﴾ مِنَ الْحَبَالِ وَالْعَصٰى ﴿اِنَّمَا صَنَعُوْا ﴾
اَيْ الَّذِى افْعَلُوْهُ هُوَ ﴿كَيْدٌ سَاحِرٌ ﴾ لَا حَقِيْقَةً لَهُ ﴿وَلَا
يَفْلَحُ السَّاحِرُ حَيْثُ اَتٰى ﴾ اَيْنَمَا كَانَ السَّاحِرُ ، فَاَلْقٰى
مُوسٰى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَصَاهُ ، فَاَكَلَتْ سَحْرَهُمْ مِمَّا اَذْعَنَ الْجَمِيْعُ اَنْ
عَمَلُهُ لَيْسَ سِحْرًا .
﴿۷۰﴾ ﴿فَالْقَى السَّحْرَةَ ﴾ فَاِنْ اَنْفُسُهُمْ لَمَّا اَذْعَنَتْ بِاَنَّهُ حَقٌّ
اُجْبِرْتُمْ عَلَى الْاِعْتِرَافِ ﴿سَجْدًا ﴾ سَاجِدِيْنَ ﴿قَالُوْا اٰمَنَّا
بِرَبِّ هَارُوْنَ وَمُوسٰى ﴾ .

﴿۷۱﴾ ﴿قَالَ﴾ فِرْعَوْنُ : ﴿اَمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ اَنْ اٰذَنَ لَكُمْ ﴾ فِى

الْاِيْمَانِ ، اسْتِفْهَامُ تَوْبِيْخِي ﴿اِنَّهُ﴾ مُوسٰى عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿لَكَبِيْرُكُمْ ﴾ اُسْتَاذُكُمْ وَرَئِيْسُكُمْ ﴿الَّذِى عَلَّمَكُمْ السَّحْرَ ﴾ وَقَدْ تَوَاطَاْتُمْ مَعَ
مُوسٰى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى مَا فَعَلْتُمْ ﴿فَلَا تَقْطَعْنَ اَيْدِيَكُمْ وَاَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ ﴾ الْيَدُ الْيَمٰنِيَّةُ وَالرَّجْلُ الْيَسْرٰى ﴿وَلَا صُلْبَكُمْ فِى جُذُوْعِ
النَّخْلِ ﴾ عَلَى اَجْسَامِ النَّخْلِ ﴿وَلَتَعْلَمَنَّ ﴾ اَيُّهَا السَّحِرَةُ ﴿اَيْنَمَا اَنَا ﴾ اَنَا اَوْ مُوسٰى عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿اَشَدُّ عَذَابًا وَّابْقٰى ﴾ عَذَابُهُ اَكْثَرُ بَقَاءً .

﴿۷۲﴾ ﴿قَالُوْا﴾ السَّحِرَةُ : ﴿لَنْ نُوْثِرَكَ ﴾ نَخْتَارُكَ ﴿عَلٰى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنٰتِ ﴾ الْمَعْجَزَاتِ ﴿وَالَّذِى فَطَرَنَا ﴾ قَسَمًا بِالَّذِى
خَلَقَنَا ﴿فَاقْضِ مَا اَنْتَ قَاضٍ ﴾ فَاحْكُمْ مَا تَرِيْدُ اَنْ تَحْكُمَ فَيُنَا ﴿اِنَّمَا تَقْضِى ﴾ تَحْكُمُ فِى ﴿هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ اَمَّا الْاٰخِرَةُ
فَلَيْسَتْ بِيَدِكَ .

﴿۷۳﴾ ﴿اِنَّا اٰمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا﴾ الْكُفْرَ وَالْمَعَاصِي ﴿و﴾ يَغْفِرُ لَنَا ﴿مَا اَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السَّحْرِ ﴾ فَاِنْ فِرْعَوْنُ اَكْرَهَهُمْ
عَلٰى اَنْ يَسْحُرُوْا فِى قِبَالِ مُوسٰى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَدْ عَلِمُوْا قَبْلَ ذَلِكَ اَنْ مُوسٰى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَيْسَ بِسَاحِرٍ ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ﴾ ثَوَابًا ﴿وَأَبْقٰى﴾ اَمَّا
ثَوَابُكَ فَهُوَ زَائِلٌ .

﴿۷۴﴾ ﴿اِنَّهُ مِنْ يَاتِ رَبِّهِ مُجْرِمًا﴾ بِاَنْ يَمُوْتَ عَلَى الْكُفْرِ ﴿فَاِنْ لَهُ جَهَنَّمُ لَا يَمُوْتُ فِيْهَا﴾ حَتّٰى يَسْتَرِيْحَ ﴿وَلَا يَحْيٰى﴾ حَيَاةَ
مَرِيْحَةٍ .

﴿۷۵﴾ ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مَوْتًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحٰتِ فَأُولٰٓئِكَ لَهُمُ الدَّرَجٰتُ الْعُلٰى﴾ الْمَنَازِلُ الرَّفِيْعَةُ .

﴿۷۶﴾ ﴿جَنَّٰتٍ﴾ بَدَلُ مِنَ (الدَّرَجٰتِ) ﴿عَدْنٍ﴾ بَسَاتِيْنُ اِقَامَةٍ ﴿تَجْرٰى مِنْ تَحْتِهَا﴾ تَحْتَ اَشْجَارِهَا وَقُصُوْرِهَا ﴿الْاَنْهٰارُ
خَالِدِيْنَ فِيْهَا﴾ وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكّٰى ﴿تَطَهَّرَ مِنْ آدَنَاسِ الْكُفْرِ﴾ .

[٧٧] ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعَبَادِي فَآخُزِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفْ دَرَكًا وَلَا تَحْشَى ۚ ﴿٧٨﴾ فَأَتَيْنَهُمْ فَرَعُونُ بِجُنُودِهِمْ فَنَفْسِهِمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ۚ ﴿٧٩﴾ وَأَضَلَّ فَرَعُونُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ ﴿٨٠﴾ بَنِي إِسْرَءِيلَ قَدْ أَمَحْنٰكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَعَدْنٰكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلَوى ۚ ﴿٨١﴾ كَلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي ۖ وَمَنْ يَحِلَّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨٢﴾ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴿٨٣﴾ وَمَا أَعْجَلَك عَنْ قَوْمِكَ يَمْ مُوسَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٥﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُ السَّامِرِيُّ ﴿٨٦﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَنَ أَسْفًا قَالَ يَقُولُونَ لَمْ يَحْدِكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدَّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمْ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي ﴿٨٧﴾ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلَكِنَا وَلَكِنَّا حَمَلْنَا أَوْزَارًا مِّنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴿٨٨﴾

[٧٨] ﴿فَأَتَيْنَهُمْ فَرَعُونُ بِجُنُودِهِمْ﴾ فخرج بهم موسى ﷺ ﴿فَأَتَيْنَهُمْ فَرَعُونُ بِجُنُودِهِ﴾ مع جنوده ليردهم إلى مصر ﴿فَغَشِيَهُمْ﴾ علامهم ﴿مِنَ الْيَمِّ﴾ ماء البحر ﴿مَا غَشِيَهُمْ﴾ تهويل لكيفية غرقهم.

[٧٩] ﴿وَأَضَلَّ فَرَعُونُ قَوْمَهُ﴾ سبب ضلالهم في باب الدين ﴿وَمَا هَدَىٰ﴾ لم يهدهم إلى الخير.

[٨٠] ﴿ثُمَّ قُلْنَا لَهُمْ﴾ يا بني إسرائيل قد أنجبناكم من عدوكم ﴿فَرَعُونُ﴾ وواعدناكم ﴿إِعْطَاءُ التَّوْرَةِ﴾ في ﴿جَانِبِ الطُّورِ﴾ اسم جبل ﴿الْأَيْمَنِ﴾ الأكثر يمناً ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ﴾ قسم من السكريات ﴿وَالسَّلَوى﴾ قسم من الطير، وذلك حين كنتم في التيه.

[٨١] ﴿كَلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ أي اللذائذ المحللة ﴿وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ﴾ أي فيما رزقناكم بأن تبطروا بالنعم ولا تشكروها ﴿فَيَحِلَّ﴾ من الحلول أي الدخول ﴿عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحِلَّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ﴾ هلك وسقط في النار.

[٨٢] ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَنْ تَابَ﴾ من الكفر ﴿وَأَمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ استمر على ما ذكر من الإيمان والعمل الصالح.

[٨٣] ﴿وَمَا أَعْجَلَك﴾ ما سبب أن تعجل أنت ﴿عَنْ﴾ المجيء مع ﴿قَوْمِكَ يَا مُوسَى﴾ حيث قال سبحانه: (وواعدناكم جانب الطور)، إذ كان الميعاد أن يخرج موسى ﷺ مع قومه فتعجل ﷺ ووصل إلى الطور قبل قومه.

[٨٤] ﴿قَالَ﴾ موسى ﷺ: ﴿هَمَّ﴾ القوم هـ ﴿أَوْلَاءُ﴾ الذين ﴿عَلَىٰ أَثَرِي﴾ في عقبي ﴿وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ زيادة لرضاك.

[٨٥] ﴿قَالَ﴾ الله: ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا﴾ امتحنا ﴿قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ﴾ بعد خروجك من بينهم ﴿وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ الذي كان أحد بني إسرائيل حيث صنع لهم عجلاً من الذهب ودعاهم إلى عبادته فعبده.

[٨٦] ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانٌ أَسْفًا﴾ حزينا ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدَّا حَسَنًا﴾ بأن يعطيكم التوراة ﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ﴾ زمان مفارقتي لكم ﴿أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ﴾ يثبت ﴿عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّنْ رَبِّكُمْ﴾ حيث عبدتم العجل ﴿فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي﴾ وعدكم إياي بالحق بي والبقاء على ديني والاستفهام إنكاري.

[٨٧] ﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلَكِنَا﴾ أي ونحن مالكون لإرادتنا، بل فقدنا الإرادة حين غلبنا السامري بتزويره ﴿وَلَكِنَّا حَمَلْنَا﴾ كان معنا ﴿أَوْزَارًا﴾ أثقالاً ﴿مِّنْ زِينَةِ الْقَوْمِ﴾ القبط فإنهم أخذوا منهم جملة من الحلي وقت كانوا في مصر فكانت معهم لما عبروا البحر ﴿فَقَذَفْنَاهَا﴾ ألقينا تلك الزينة في النار بأمر السامري ﴿فَكَذَلِكَ﴾ كما ألقينا ﴿أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾ ما معه في النار حيث قال يجب أن تحترق هذه الزينة.

[٨٨] ﴿فَأَخْرَجَ السَّامِرِيُّ﴾ السامري ﴿لَهُمْ عَجَلًا﴾ صاغه من الذهب ﴿جَسَدًا﴾ جسمًا بلا روح ﴿لَهُ خَوَارٌ﴾ صوت إما بالريح أو من أثر جبرئيل ﴿فَقَالُوا﴾ السامري وأتباعه: ﴿هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ﴾ موسى ﷺ أن هذا إلهه.

[٨٩] ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ﴾ أفلا يرى بنو إسرائيل ﴿أَن لَا يَرْجِعَ﴾ يرد العجل ﴿إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ جواباً، ومن لا يقدر على جواب السؤال ليس إلهاً ﴿وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾.

[٩٠] ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ﴾ قبل عود موسى ﷺ: ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ﴾ فتنكم السامري بهذا العجل أي أضلكم ﴿وَإِنْ رَيْتُمْ الرَّحْمَنَ﴾ لا العجل ﴿فَاتَّبِعُونِي﴾ فيما أدعوكم إليه ﴿وَاطِيعُوا أَمْرِي﴾.

[٩١] ﴿قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ﴾ لن نزال ﴿عَلَيْهِ﴾ على العجل ﴿عَاكِفِينَ﴾ مقيمين ﴿حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾.

[٩٢] ﴿قَالَ﴾ موسى ﷺ: ﴿يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا﴾ بعبادة العجل.

[٩٣] ﴿أَلَا تَتَّبِعُنِي﴾ بأن تخرج إلي وتتركهم فما سبب عدم خروجك ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾ حيث أقمت فيما بينهم.

[٩٤] ﴿قَالَ يَا ابْنَ أُمِّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي﴾ حيث أخذهما موسى ﷺ يجير هارون ﷺ إلى الخارج من الجماعة، إظهاراً لبراءتهما منهم، وحيث كان ذلك منظر

الساحط على هارون أمام بني إسرائيل، نهاه هارون عن ذلك ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ لو فارقتهم فانه يقع الخلاف الشديد بينهم كما هو شأن خروج كل زعيم من بين الناس ﴿وَوَقُولَ لِي﴾ لم ترع ﴿قَوْلِي﴾ حيث قلت لي: (أصلح)، بأن تقول لي خروجك لم يكن إصلاحاً.

[٩٥] ثم توجه موسى ﷺ إلى السامري ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ﴾ شأنك الذي حملك على ما فعلت ﴿يَا سَامِرِيُّ﴾.

[٩٦] ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾ رأيت ما لم يره بنو إسرائيل عند دخولنا البحر رأيت جبرئيل وتحت قدمه التراب يتحرك، حيث تضي قدمه عليه روحاً ﴿فَقَبِضْتُ بِقُبْضَةٍ مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ﴾ جبرئيل ﴿فَنَبَذْتُهَا﴾ ألقيتها في جوف العجل، ولذا صار له خوار ﴿وَكَذَلِكَ﴾ هكذا ﴿سَوَّلْتُ﴾ زينت ﴿لِي نَفْسِي﴾ بأن أفعل هكذا.

[٩٧] ﴿قَالَ﴾ موسى ﷺ للسامري: ﴿فَاذْهَبْ﴾ طريداً ﴿فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ﴾ ما دمت حياً ﴿أَن تَقُولَ﴾ لمن لقيته ﴿لَا مَسَاسَ﴾ أي لا تمسني وكان إذا مسه أحد أخذته الحتمى قصار يهيم في البرية ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا﴾ بعذابك ﴿لَن تَخْلَفَنَّهُ﴾ لن تخلف عن ذلك الموعد وهو عند الموت أو في القيامة ﴿وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾ تقيم على عبادته ﴿لَنُحَرِّقَنَّهُ﴾ بالنار ﴿ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ﴾ نذريه ﴿فِي الْيَمِّ﴾ في البحر ﴿نَسْفًا﴾.

[٩٨] ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ﴾ المستحق للعبادة ﴿اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلُّ شَيْءٍ عِلْمَهُ﴾ علمه شمل كل شيء.

فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَجَلًا جَسَدًا لَمْ خُورَ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ
وَاللَّهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَن لَا يَرْجِعَ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا
يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ
يَقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنْ رَيْتُمْ الرَّحْمَنَ فَاتَّبِعُونِي وَاطِيعُوا
أَمْرِي ﴿٩٠﴾ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ
﴿٩١﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ وَإِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ
قَوْلِي ﴿٩٢﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يُسْمرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ بَصُرْتُ
بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ وَفَقَبِضْتُ بِقُبْضَةٍ مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ
فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلْتُ لِي نَفْسِي ﴿٩٤﴾ قَالَ
فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ
مَوْعِدًا لَّنْ تَخْلَفَنَّهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ
عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٥﴾ إِنَّمَا
إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلُّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٦﴾

[٩٩] ﴿كَذَلِكَ﴾ كما قصصنا عليك أخبار موسى وهارون ﷺ ﴿نقص عليك من أنباء﴾ أخبار ﴿ما قد سبق﴾ من الأمم ﴿وقد أتيناك﴾ أعطيناك ﴿من لدنا﴾ عندنا ﴿ذكر﴾ قرأنا.

[١٠٠] ﴿من أعرض عنه﴾ عن الذكر ﴿فإنه يحمل يوم القيامة وزراً﴾ حملاً ثقيلاً من الذنب.

[١٠١] ﴿خالدين فيه﴾ في ذلك الوزر ﴿وساء لهم يوم القيامة حملاً﴾ بش الحمل حملهم.

[١٠٢] ﴿يوم ينفخ في الصور﴾ بوق ينفخ فيه لأجل إحياء الأموات ﴿ونحشر﴾ نأتي بهم إلى المحشر ﴿المجرمين يومئذ زرقاً﴾ جمع أزرق، أي أجسامهم زرق من شدة العذاب.

[١٠٣] ﴿يتخافتون بينهم﴾ يتكلمون سراً من جهة الهول المحيط بهم ﴿إن لبئس إلا عشراً﴾ يقولون بقيتم في الدنيا عشرة أيام.

[١٠٤] ﴿نحن أعلم بما يقولون﴾ أي بمدة لبئسهم في الدنيا ﴿إذ يقول أمثلهم طريقة﴾ أعدلهم في الرأي ﴿إن لبئس إلا يوماً﴾ فيظنون أن مدة مكثهم في الدنيا يوم واحد فقط.

[١٠٥] ﴿وبسألونك عن الجبال﴾ ما حالها في القيامة ﴿فقل ينسفها ربي نسفاً﴾ يجعلها كالرمل.

[١٠٦] ﴿فيذرهما﴾ يدمر موضع الجبال ﴿قاعاً﴾ أرضاً

كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكراً ﴿٩٩﴾ من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزراً ﴿١٠٠﴾ خالدين فيه وساء لهم يوم القيامة حملاً ﴿١٠١﴾ يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقاً ﴿١٠٢﴾ يتخافتون بينهم إن لبئس إلا عشراً ﴿١٠٣﴾ نحن أعلم بما يقولون إذ يقول أمثلهم طريقة إن لبئس إلا يوماً ﴿١٠٤﴾ وبسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً ﴿١٠٥﴾ فيذرهما قاعاً صافصفاً ﴿١٠٦﴾ لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً ﴿١٠٧﴾ يومئذ يتبعون الداعي لا عوج لهم وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همساً ﴿١٠٨﴾ يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولا ﴿١٠٩﴾ يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علماً ﴿١١٠﴾ وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظملاً ﴿١١١﴾ ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظملاً ولا هضمًا ﴿١١٢﴾ وكذلك أنزلناه قرآناً عربياً نَصَرَ فَانْهَ عَنْ عَرَبِيَّاهُ وَصَرَفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾

ملساء ﴿صافصفاً﴾ مستوياً.

[١٠٧] ﴿لا ترى فيها عوجاً﴾ انخفاصاً ﴿ولا أمتاً﴾ ارتفاعاً.

[١٠٨] ﴿يومئذ﴾ يوم القيامة ﴿يتبعون الداعي﴾ الذي يدعوهم إلى المحشر، إذ لا يتمكنون من العصيان كما كانوا يعصون الدعاة في الدنيا ﴿لا عوج له﴾ لا يميل عنه أحد، لأنه لا يميل دعاؤه عن أحد حتى لا يبلغه ﴿وخشعت الأصوات للرحمن﴾ سكنت لعظمة الرحمن وهول الموقف ﴿فلا تسمع إلا همساً﴾ صوتاً خفياً.

[١٠٩] ﴿يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا﴾ شفاعة ﴿من أذن له الرحمن﴾ في الشفاعة ﴿ورضي له قولاً﴾ بأن كان مرضي القول سابقاً، فإنه هو الذي يؤذن له.

[١١٠] ﴿يعلم ما بين أيديهم﴾ ما قدموه إلى الآخرة ﴿وما خلفهم﴾ ما تركوه من خير وشر بعدهم كسنة حسنة أو سيئة ﴿ولا يحيطون به علماً﴾ هم لا يعلمون ذاته سبحانه.

[١١١] ﴿وعنت﴾ خضعت ﴿الوجوه للحي القيوم﴾ القائم على كل شيء ﴿وقد خاب﴾ خسر ﴿من حمل﴾ ارتكب ﴿ظملاً﴾.

[١١٢] ﴿ومن يعمل من الصالحات﴾ بعض الطاعات الصالحات ﴿وهو مؤمن فلا يخاف ظملاً﴾ بأن يظلم هناك ﴿ولا هضمًا﴾ بأن ينقص من حقه، والمعنى لا يعذب في مقابل غيره ممن يعذب.

[١١٣] ﴿وكذلك﴾ هكذا ﴿أنزلناه قرآناً عربياً وصرفناه﴾ كزنا وبيتنا ﴿فيه من الوعيد﴾ بعض الوعد بالعذاب ﴿لعلهم يتقون﴾ الكفر والمعاصي ﴿أو يحدث﴾ القرآن ﴿لهم ذكراً﴾ موعظة بسبب ما علموه من عقوبات الأمم السابقة.

[١١٤] ﴿فَتَعَالَى﴾ ارتفع عن مشابهة المخلوقين ﴿الله الملك الحق﴾ لا كملوك الدنيا حيث ملكتهم إسمي فقط وزائل ﴿ولا تعجل بالقرآن﴾ بأن تقرأه أثناء قراءة جبرئيل لك، فإن النبي ﷺ كان يقرأه عاجلاً لئلا ينساه ﴿من قبل أن يقضى﴾ يتم ﴿إليك وحيه﴾ بل أقره في إثر قراءة جبرئيل لأن الله قد أقوى ذاكرتك حتى لا تنسى ﴿وقل رب زدني علماً﴾ فان فوق كل علم علم، حتى ينتهي إلى علم الله تعالى.

[١١٥] ﴿ولقد عهدنا إلى آدم﴾ بالكف عن الشجرة ﴿من قبل﴾ زمانك يا محمد ﴿فنسي﴾ أي ترك العهد، وكان ترك الأولى ﴿ولم نجد له عزماً﴾ ثباتاً، فهو ﷺ ليس من أولي العزم.

[١١٦] ﴿واذ﴾ واذكر يا رسول الله ﷺ ﴿قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى﴾ امتنع.

[١١٧] ﴿فقلنا يا آدم إن هذا﴾ الشيطان ﴿عدو لك ولزورك فلا يخرجنكما من الجنة﴾ بوساوسه ﴿فتشقى﴾ تتعب في كسب المعاش وتوابع الدنيا.

[١١٨] ﴿إن لك ألا تجوع فيها﴾ في الجنة ﴿ولا تعرى﴾ من الثياب.

[١١٩] ﴿وانك لا تظما﴾ لا تعطش ﴿فيها ولا تضحي﴾ لا يصيبك حر الشمس.

[١٢٠] ﴿فوسوس إليه﴾ إلى آدم ﷺ ﴿الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد﴾ إذا أكلت منها بقيت دائماً في الجنة ﴿وملك لا يبلى﴾ لا يزول ولا يضعف.

[١٢١] ﴿فأكلا منها﴾ من الشجرة ﴿فبدت﴾ ظهرت ﴿لهما سوءاتهما﴾ عورتهما، حيث سقطت عنهما ألبسة الجنة ﴿وطفقا﴾ أخذاً ﴿يخصفان﴾ يلصقان ﴿عليهما من ورق الجنة﴾ من ورق أشجار الجنة لأجل الستر ﴿وعصى﴾ خالف أمره الإرشادي كقول الطبيب أمرته فعضاني ﴿آدم ربه فغوى﴾ انحرف عن طريق عيشه الهنيء.

[١٢٢] ﴿ثم اجتباها﴾ اصطفاها ﴿ربه فتاب عليه﴾ قبل توبته وصرف النظر عن تركه للأولى ﴿وهدى﴾ بأن ألهمه العصمة وحفظ ما يبقها.

[١٢٣] ﴿قال اهبطا﴾ انزلا يا آدم وحواء ﴿منها جميعاً بعضكم لبعض عدو﴾ فإنه عداوة بين الرجال والنساء^(١) ﴿فلما﴾ أصله (إن) و (ما) ﴿يأتينكم مني هدى﴾ كتاب وشرية ﴿فمن اتبع هداي فلا يضل﴾ في الدنيا ﴿ولا يشقى﴾ في الآخرة.

[١٢٤] ﴿ومن أعرض عن ذكري﴾ بأن لم يعمل طبق هدايتي ﴿فإن له معيشة﴾ عيشاً ﴿ضنكاً﴾ ضيقاً كما نرى أن دول العالم الكبار في أشد الضيق من المناهج المعقدة والحروب والقلق النفسي ﴿ونحشره﴾ نأتي به في المحشر ﴿يوم القيامة أعمى﴾ العين.

[١٢٥] ﴿قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً﴾ في الدنيا.

فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً ﴿١١٤﴾ وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَتَنَى وَلَمْ يُجِدْ لَهُ عَزْماً ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَنْتَهِمْ هَذَا عَدُوُّكَ وَلِزُورِكَ فَلَا يَخْرُجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ﴿١١٨﴾ وَأَنْتَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى ﴿١١٩﴾ فَوَسَّوَسَ الْإِيسُ إِلَى آدَمَ بِالْكَفِّ عَنِ الشَّجَرَةِ ﴿١٢٠﴾ قَبْلَ زَمَانِكَ يَا مُحَمَّدَ ﴿فَنَسِيَ﴾ أَي تَرَكَ الْعَهْدَ، وَكَانَ تَرَكَ الْأَوَّلَى ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾ ثَبَاتاً، فَهُوَ ﷺ لَيْسَ مِنْ أَوَّلِي الْعَزْمِ.

﴿وَإِذْ﴾ وَاذْكُرْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ﴿قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى﴾ اِمْتَنَعَ.

﴿١١٧﴾ ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا﴾ الشَّيْطَانُ ﴿عَدُوُّكَ وَلِزُورِكَ فَلَا يَخْرُجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ﴾ بِوَسَاوِسِهِ ﴿فَتَشْقَى﴾ تَتْعَبُ فِي كَسْبِ الْمَعَاشِ وَتَوَابِعِ الدُّنْيَا.

﴿١١٨﴾ ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا﴾ فِي الْجَنَّةِ ﴿وَلَا تَعْرَى﴾ مِنَ الثِّيَابِ.

﴿١١٩﴾ ﴿وَأَنْتَ لَا تَظْمَأُ﴾ لَا تَعْطَشُ ﴿فِيهَا وَلَا تَضْحَى﴾ لَا يَصِيبُكَ حَرُّ الشَّمْسِ.

[١٢٠] ﴿فوسوس إليه﴾ إلى آدم ﷺ ﴿الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد﴾ إذا أكلت منها بقيت دائماً في الجنة ﴿وملك لا يبلى﴾ لا يزول ولا يضعف.

[١٢١] ﴿فأكلا منها﴾ من الشجرة ﴿فبدت﴾ ظهرت ﴿لهما سوءاتهما﴾ عورتهما، حيث سقطت عنهما ألبسة الجنة ﴿وطفقا﴾ أخذاً ﴿يخصفان﴾ يلصقان ﴿عليهما من ورق الجنة﴾ من ورق أشجار الجنة لأجل الستر ﴿وعصى﴾ خالف أمره الإرشادي كقول الطبيب أمرته فعضاني ﴿آدم ربه فغوى﴾ انحرف عن طريق عيشه الهنيء.

[١٢٢] ﴿ثم اجتباها﴾ اصطفاها ﴿ربه فتاب عليه﴾ قبل توبته وصرف النظر عن تركه للأولى ﴿وهدى﴾ بأن ألهمه العصمة وحفظ ما يبقها.

[١٢٣] ﴿قال اهبطا﴾ انزلا يا آدم وحواء ﴿منها جميعاً بعضكم لبعض عدو﴾ فإنه عداوة بين الرجال والنساء^(١) ﴿فلما﴾ أصله (إن) و (ما) ﴿يأتينكم مني هدى﴾ كتاب وشرية ﴿فمن اتبع هداي فلا يضل﴾ في الدنيا ﴿ولا يشقى﴾ في الآخرة.

[١٢٤] ﴿ومن أعرض عن ذكري﴾ بأن لم يعمل طبق هدايتي ﴿فإن له معيشة﴾ عيشاً ﴿ضنكاً﴾ ضيقاً كما نرى أن دول العالم الكبار في أشد الضيق من المناهج المعقدة والحروب والقلق النفسي ﴿ونحشره﴾ نأتي به في المحشر ﴿يوم القيامة أعمى﴾ العين.

[١٢٥] ﴿قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً﴾ في الدنيا.

(١) أو عداوة بين الشيطان والإنسان، وذلك حيث قال سبحانه: ﴿بعضكم﴾ ولم يقل: بعضكم.

[١٢٦] **﴿قَالَ﴾** مثل ذلك فعلت: أنتك آيات مبصرة في الدنيا فعميت عنها **﴿كَذَلِكَ أَنْتَكَ آيَاتُنَا﴾** أدلتنا **﴿فَنَسِيَهَا﴾** تركتها **﴿وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نَسِي﴾** نهمل وتترك ولا تقدر.
 [١٢٧] **﴿وَكَذَلِكَ﴾** هكذا **﴿نَجْزِي مَنْ أَسْرَف﴾** جاوز الحد **﴿وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ﴾** بحججه تعالى **﴿وَلْعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ﴾** من عذاب الدنيا **﴿وَأَبْقَى﴾** لأنه دائم باق.
 [١٢٨] **﴿أَفَلَمْ يَهْدِ﴾** يبين الله **﴿لَهُمْ﴾** لهؤلاء الكفار **﴿كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ﴾** يمشون مطمئنين **﴿فِي مَسَاكِنِهِمْ﴾** فأخذهم العذاب بغتة، أو المراد إن هؤلاء الكفار يمشون في مساكن أولئك الأمم وذلك مما يوجب أن يعتبروا **﴿إِنْ فِي ذَلِكَ﴾** الهلاك **﴿لَايَاتٍ﴾** عبراً وعظات **﴿لِأُولِي النُّهَى﴾** لذوي العقول.
 [١٢٩] **﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾** بأن قال ربك أمهل هؤلاء الكفار ولا أعاجلهم بالعقوبة **﴿لَكَانَ﴾** الأخذ العاجل **﴿لِرِزْمًا﴾** لازماً لهم لأن كفرهم يقضي بتعجيل عقابهم **﴿وَلَوْلَا﴾** مدة **﴿أَجَلٍ﴾** مسمى **﴿مَسْمًى﴾** قد سمي.
 [١٣٠] **﴿فَاصْبِرْ﴾** يا رسول الله **﴿عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾** من الطعن فيك وفي القرآن **﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾** نزهة تنزيهاً مقترناً بالحمد، فإنك قد تقول إن الله ليس له شريك فهذا تنزيهه، وقد تقول إن الله واحد فهذا تنزيهه بحمد، إذ الحمد ذكر صفات الكمال **﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾** صلاة

الصبح **﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾** صلاة الظهرين **﴿وَمِنْ آتَاءِ اللَّيْلِ﴾** ساعاته، صلاة العشائين **﴿فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ﴾** بما شئت من التسبيح، أو صلاة النافلة **﴿لِعَلَّكَ تَرْضَى﴾** بما يعطيك الله في الدارين فإنك إذا فعلت ما أمرت به أعطاك الله ما يرضيك.
 [١٣١] **﴿وَلَا تَمُدَّنْ عَيْنَكَ﴾** لا تنظر بنظر الرغبة والتمني فإن في التمني مد شعاع البصر **﴿إِلَى مَا مَتَعْنَاهُ﴾** أزواجاً أصنافاً **﴿مِنْهُمْ﴾** من الناس **﴿زَهْرَةً﴾** زينة **﴿الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾** بدل من (ما متعنا) فإنها زينة الدنيا ولا دوام لها **﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾** أي متعناهم لأجل امتحانهم **﴿وَرِزْقَ رَبِّكَ﴾** الذي وعدك في الآخرة **﴿خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾** أكثر بقاء.
 [١٣٢] **﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ﴾** أهل بيتك **﴿بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ﴾** داوم أنت **﴿عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا﴾** حتى يشق عليك تحصيله بل نأمرك بالصلاة **﴿نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ﴾** المحمودة **﴿لِلتَّقْوَى﴾** لذوي التقوى والخوف من الله.
 [١٣٣] **﴿وَقَالُوا﴾** الكفار: **﴿لَوْلَا﴾** هلا **﴿يَأْتِينَا﴾** محمد **﴿بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ﴾** مما نقترح عليه **﴿أَوْ لَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾** بيان ما في سائر الكتب المنزلة يعني القرآن، لتضمنه أصول ما في تلك الكتب، وهو بيينة أي معجزة.
 [١٣٤] **﴿وَلَوْ أَنَا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ﴾** قبل القرآن أو قبل محمد **﴿لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا﴾** هلا **﴿أُرْسِلَتْ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾** لهدايتنا **﴿فَنَتَّبِعَ آيَاتَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذَلَّ﴾** في الدنيا **﴿وَنَخْزَى﴾** في الآخرة بالعذاب.
 [١٣٥] **﴿قُلْ كُلٌّ﴾** منا ومنكم **﴿مَتَرَبِّصٌ﴾** منتظر لما يحل بالآخر **﴿فَتَبَرَّصُوا﴾** أنتم وانتظروا لتروا عاقبة الأمر **﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾** منا ومنكم **﴿أَصْحَابُ الصُّرَاطِ السَّوِيِّ﴾** المستقيم **﴿وَمَنْ اهْتَدَى﴾** من الضلالة.

قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نَسِيكَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْكِنِهِمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَايَاتٍ لَأُولِي النُّهَى وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزِمَامٍ وَأَجَلٍ مَسْمًى فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى وَلَا تَمُدَّنْ عَيْنَكَ إِلَى مَا مَتَعْنَاهُ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقَ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ ؕ وَلَمْ يَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى وَلَوْ أَنَا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أُرْسِلَتْ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذَلَّ وَنَخْزَى قُلْ كُلٌّ مَتَرَبِّصٌ فَتَبَرَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصُّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنْ اهْتَدَى

٢١: سورة الأنبياء

مكية آياتها مائة واثنيتي عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾
 مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ
 يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَا هِيَ قُلُوبُهُمْ وَأَسْرُوا النُّجُوى الَّذِينَ ظَلَمُوا
 هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّيْحَرَ وَأَنْتُمْ
 بُصِيرُونَ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ يَعْلَمُ الْقَوْلُ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
 وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَامٌ بَلْ
 أَفْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ
 ﴿٥﴾ مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ
 ﴿٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَسَتَلَوْا أَهْلَ
 الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً
 لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ
 الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾
 لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾

- [١] ﴿اقترَب﴾ قرب ﴿للناس حسابهم﴾ للناس حسابهم وقت حسابهم وذلك حين يموت الإنسان، أو يوم القيامة ﴿وهم في غفلة﴾ عنه ﴿معرضون﴾ عن الاستعداد.
- [٢] ﴿ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث﴾ تنزيله ﴿إلا استمعوه وهم يلعبون﴾ يستهزئون به غير مباين بالذكر.
- [٣] ﴿لا هية﴾ غافلة منصرفة ﴿قلوبهم وأسروا النجوى﴾ بالغوا في إخفائها ﴿الذين ظلموا﴾ بالكفر والعصيان ﴿هل هذا من النجوى﴾ بمعنى (ما) ﴿هذا﴾ أي الرسول ﷺ ﴿إلا بشر مثلكم﴾ وليس برسول ﴿افتاتون السحر﴾ هل تحضرون سحر محمد ﷺ والاستفهام للإنكار ﴿وانتم تبصرون﴾ ترون أنه بشر وكلامه سحر.
- [٤] ﴿قال﴾ الرسول ﷺ: ﴿ربي يعلم القول﴾ كائناً ﴿في السماء والأرض﴾ أي كل قول يصدر من قائل سواء كان القائل في السماء أو الأرض فيعلم ما ليس يعلم هؤلاء الكفار ﴿وهو السميع العليم﴾.
- [٥] ﴿بل قالوا﴾ إن القرآن ﴿أضغاث﴾ تخاليط ﴿أحلام﴾ منامات ﴿بل افتراه﴾ نسبوه إلى الله افتراء ﴿بل هو شاعر﴾ فما أتى به شعر ﴿فليأتنا بآية﴾ نقتربها ﴿كما أرسل الأولون﴾ الأنبياء السابقون كاليد والعصا.
- [٦] ﴿ما آمنت قبلهم من قرية﴾ لم يأمنا بالآيات المقترحة ف﴿أهلكناها﴾ كما جرت عادة الله بإهلاك غير المؤمن بالآيات المقترحة ﴿أنهم يؤمنون﴾ لو جئت بها.
- [٧] ﴿وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً﴾ فقولهم (هل هذا إلا بشر...) كلام سخيف ﴿نوحى إليهم﴾ فأسألوا أهل الذكر ﴿أهل الكتاب﴾ إن كنتم لا تعلمون ﴿ذلك فإنهم يعلمون أن الأنبياء كانوا بشراً﴾.
- [٨] ﴿وما جعلناهم﴾ أي الأنبياء ﷺ ﴿جسداً لا يأكلون الطعام﴾ رد لقول الكفار بأن النبي لماذا يأكل الطعام ﴿وما كانوا خالدين﴾ لا يموتون، فكانهم بشراً يلزمهم كل ذلك.
- [٩] ﴿ثم صدقناهم الوعد﴾ بالنصرة لهم ﴿فأنجيناهم ومن نشاء﴾ ممن آمن بهم ﴿وأهلكنا المسرفين﴾ المكذبين لهم.
- [١٠] ﴿لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم﴾ ما يوجب حسن الذكر لكم إن تمسكتكم به ﴿أفلا تعقلون﴾.

[١١] ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾^(١) ﴿فَلَمَّا أَحْسَسُوا بِأَسَاسِنَا إِذْ هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ﴾^(٢) ﴿لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسْكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(٣) ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾^(٤) ﴿فَأَزَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ﴾^(٥) ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنٍ﴾^(٦) ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَهُمْ لَا تَتَّخِذْتُهُمْ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ﴾^(٧) ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾^(٨) ﴿وَلَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾^(٩) ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾^(١٠) ﴿أَمْ اتَّخَذُوا إِلَهًا مِنْ دُونِ اللَّهِ هُمْ يَنْشُرُونَ﴾^(١١) ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَ اللَّهِ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ عَنِ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾^(١٢) ﴿لَا يَسْتَلْ عَمَّا يُفَعَّلُ وَهُمْ يَسْتَلُونَ﴾^(١٣) ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾^(١٤)

[١٢] ﴿فَلَمَّا أَحْسَسُوا﴾ أدركوا بحواسهم ﴿بأسنا﴾ عذابنا ﴿إذا هم منها﴾ من القرية ﴿يركضون﴾ إلى خارجها لينجوا من العذاب.

[١٣] ﴿لا تركضوا وارجعوا﴾ إلى ما أترفتهم فيه ﴿أي إلى المحل الذي نعمتم فيه﴾ ﴿و﴾ إلى ﴿مساكنكم﴾ بيوتكم ﴿لعلكم تسألون﴾ عن أعمالكم وتحاكمون، فإن من يريد أخذ شيء من شخص يسأله الحاكم عن دليله وبرهانه، وهذا على سبيل الاستهزاء بهم.

[١٤] ﴿قالوا يا ويلنا﴾ يا سوء حالنا ﴿إنا كنا ظالمين﴾ لأنفسنا بتكذيب الرسل.

[١٥] ﴿فما زالت تلك دعواهم﴾ أي كلامهم يرددون: يا ويلنا إنا كنا ظالمين ﴿حتى جعلناهم حصيداً﴾ كالزراع المحصود ﴿خامدين﴾ موتى لا يتحركون كالنار التي تتمد.

[١٦] ﴿وما خلقتنا السماء والأرض وما بينهما لآعين﴾ بل لأجل غاية وغرض.

[١٧] ﴿لو أردنا أن نتخذ لهمو﴾ ما يلهم به من الألعاب ﴿لاتخذناه من لدنا﴾ بأن نخلق الله في الملكوت، فلماذا

نتخذ الله من جنس البشر والسماء والأرض، إذ لهو كل شخص من الشيء الملائم له ﴿إن كنا فاعلين﴾ اتخاذ اللهو. [١٨] ﴿بل﴾ إضراب عن اتخاذ اللهو ﴿نقذف﴾ نضرب ﴿بالحق على الباطل﴾ الذي من جملته اللهو ﴿فيدمغه﴾ يظهر بطلانه ﴿فإذا هو﴾ الباطل ﴿زاهق﴾ باطل مضمحل ﴿ولكم الويل مما تصفون﴾ تصفون الله به من أنه اتخذ الخلق لهواً. [١٩] ﴿وله من في السماوات والأرض ومن عنده﴾ أي الملائكة الذين لهم القرب الشرفي منه ﴿لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون﴾ لا يعجزون منها.

[٢٠] ﴿يسبحون﴾ يزهون الله في ﴿الليل والنهار لا يفترون﴾ لا يكسلون. [٢١] ﴿أم اتخذوا آلهة من الأرض﴾ كائنة منها كالحجر والخشب ﴿هم ينشرون﴾ أي هل يقدر على إحياء الموتى ونشرهم، الذي هو من لوازم الألوهية.

[٢٢] ﴿لو كان فيهما﴾ في السماوات والأرض ﴿آلهة إلا الله﴾ غير الله ﴿لفسدتا﴾ خربت السماوات والأرض، فإن إرادة كل إن وافقت الأخرى لزم تأثير علتين في معلول واحد وتقع المطاردة، إذ قدرة أحدهما تطرد قدرة الآخر، وإن خالفت لزم التضادم، وإن تعلقت إرادة دون إرادة لزم الاجتماع المصلحة والمفسدة، وهذا لا يعقل ﴿فسبحان الله﴾ أنزهه عن الشريك ﴿رب العرش﴾ السلطة المطلقة ﴿عما يصفون﴾ الله من أن له شريكاً.

[٢٣] ﴿لا يسأل عما يفعل﴾ لأن كل أعماله حسب الصواب والحكمة ﴿وهم يسألون﴾ لأنهم عبيد.

[٢٤] ﴿أم﴾ بل ﴿اتخذوا من دونه آلهة﴾ كرر لاختلاف ما رتب عليه ﴿قل هاتوا﴾ اثبتوا ﴿برهانكم﴾ دليلكم على تعدد الآلهة ﴿هذا﴾ القرآن ﴿ذكر من معي﴾ تذكير لأمتي ﴿وذكر من قبلي﴾ من سائر الكتب، ليس فيها دليل على تعدد الآلهة ﴿بل أكثرهم لا يعلمون الحق﴾ الذي هو توحيد الله ﴿فهم معرضون﴾ عن النظر.

[۲۵] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ فوحدوني.

[۲۶] ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ قال المشركون إن الملائكة بنات الله ﴿سبحانه﴾ أنزهه تنزيهاً ﴿بل﴾ الملائكة عباد مكرمون ﴿أكرمهم الله تعالى﴾.

[۲۷] ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ﴾ لا يقولون شيئاً حتى يقوله الله ﴿وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ لا يعملون إلا ما يأمرهم الله به.

[۲۸] ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ أي ما عملوا وما هم عاملون ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ﴾ أي الملائكة ﴿إِلَّا لِمَنْ أَرْضَى﴾ اختاره الله أن يشفع الملائكة له ﴿وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ﴾ خوفه تعالى ﴿مشفقون﴾ خائفون.

[۲۹] ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ﴾ من الملائكة ﴿إِنِّي إِلَهٌ﴾ أو ولد له ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ دون الله ﴿فَذَلِكَ﴾ القاتل ﴿نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ﴾ كذلك ﴿الجزاء﴾ نجزى الظالمين ﴿الذين يظلمون أنفسهم باذعاء الألوهية﴾.

[۳۰] ﴿أُولَئِكَ يَرَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا﴾ ملتصقة فالسما لا تنزل المطر والأرض لا تخرج النبات ﴿فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ أنزلنا من السماء المطر ومن الأرض أخرجنا النبات ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ فإن حياة الحيوان والنبات بالماء ﴿أَفَلَا يَوْمِنُونَ﴾ مع ظهور الآيات.

[۳۱] ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيًّ﴾ الجبال ﴿أَنْ تَمِيدَ﴾ لتلا تزل الأرض ﴿بِهِمْ﴾ وجعلنا فيها فجاجاً ﴿طُرُقًا﴾ سبلاً ﴿بَدَلِ﴾ (فجاجاً) ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ إلى مصالحهم.

[۳۲] ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا﴾ عن الفساد ﴿وَهُمْ عَنْ آيَاتِنَا﴾ الأدلة الدالة الموجودة فيها ﴿مَعْرِضُونَ﴾ لا يفكرون.

[۳۳] ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ﴾ واحد ﴿فِي فَلَكٍ﴾ دائرة خاصة به ﴿يَسْبَحُونَ﴾ يسرعون في الحركة كسباحة الإنسان في الماء.

[۳۴] ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾ البقاء في الدنيا ﴿أَفَلَا مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾ والمعنى أن الكل يموتون، وهذا مما يوجب معرفة الإنسان أن له رباً بيده زمام أمره.

[۳۵] ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ﴾ نخبركم ﴿بِالشَّرِّ﴾ بالبلاء ﴿وَالْخَيْرِ﴾ النعم ﴿فَتَنَّةً﴾ ابتلاء ﴿وَالْيَنَابِ﴾ ترجعون ﴿بعد الموت لجزاء عملكم﴾.

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرْضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيًّ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا جَعَلْنَا لِشَرٍّ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَلِيَئَا نَرْجِعَكُمُ إِلَىٰ رَبِّكُمْ ﴿٣٥﴾

[٣٦] ﴿وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ﴾ ما ﴿يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ مهزواً به ويقولون ﴿أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ﴾ بسوء ﴿وَهُمْ يَذْكُرُ الرَّحْمَنَ﴾ الذي هو الإله حقيقة ﴿هُمْ كَافِرُونَ﴾ فمن يكفر بالإله الحقيقي كيف يتخذ الآلهة الباطلة.

[٣٧] ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ فإنه لفرط استعجاله في الأمور، كأنه خلق من جنس العجل، كما نقول خلق زيد من الشجاعة ﴿سَآوِرِكُمْ آيَاتِي﴾ الأدلة الدالة على التوحيد والرسالة والمعاد ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُونَ﴾ لرؤيتها، وفيه إشارة إلى لزوم التأمل والتفكر في الأمور.

[٣٨] ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ وعد وقت العذاب الذي يهددنا به محمد ﷺ ﴿إِنْ كُنْتُمْ﴾ أيها المسلمون ﴿صَادِقِينَ﴾ في أن الله يعاقبنا إن بقينا على الكفر.

[٣٩] ﴿لَوْ﴾ جوابه محذوف، أي لو علموا شدة العذاب لما استعجلوه ﴿يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ﴾ وقت ﴿لَا يَكْفُونَ﴾ لا يدفعون ﴿عَنْ وَجْهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ﴾ يعني وقت إحاطة النار بكل جوانبهم ﴿وَلَا هُمْ يَنْصُرُونَ﴾ لا ينصرون أحد لدفع العذاب عنهم.

[٤٠] ﴿بَلْ تَأْتِيهِمُ الْقِيَامَةُ﴾ فجأة ﴿فَتَبْهَتُهُمْ﴾ تحيرهم ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا﴾ دفع القيامة ﴿وَلَا هُمْ يَنْظُرُونَ﴾ يؤخرون إلى وقت آخر.

[٤١] ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَأُوا بِالرَّسُولِ﴾ وهذا تسلية للرسول ﷺ ﴿بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ استهزأوا بهم، جزاء ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ من الرسل أي استهزأوا بهم، وهذا تسلية للرسول ﷺ.

[٤٢] ﴿قُلْ مَنْ يَكْلُؤُكُمْ﴾ يحفظكم ﴿بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾ من بأسه ولعل ذكر الرحمن لأنه كانوا ينفرون من هذا الاسم ﴿بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ لا يلتفتون إليه.

[٤٣] ﴿أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ﴾ من حلول العذاب بهم ﴿مِنْ دُونِنَا﴾ غيرنا ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ تلك الآلهة ﴿نُصْرَ أَنْفُسِهِمْ﴾ بأن يدفعوا عن أنفسهم من يريد كسرها وتحطيمها ﴿وَلَا هُمْ مَنَّا يَصْحَبُونَ﴾ يحفظون، يقال: صحبك الله أي حفظك.

[٤٤] ﴿بَلْ مَتَعْنَا هَؤُلَاءِ الْكَافِرَ بِأَنْوَاعِ نَعِيمِ الدُّنْيَا﴾ متعنا ﴿أَبَاءَهُمْ﴾ من قبل ﴿حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾ فغزهم عدم أخذ الله لهم ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ بتسليط المسلمين على بلاد الكفار دلالة على قدرتنا الكاملة ﴿أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ أي فهل لهم الغلبة علينا بعد ما يرون من غلبتنا على الكفار بأخذ أراضيتهم؟

وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ يَذْكُرُونَكَ إِلَّا هُزُوًا
أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ يَذْكُرُونَ الرَّحْمَنَ
هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَآوِرِكُمْ
آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ
لَا يَكْفُونَ عَنْ وَجْهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا
هُمْ يُنصُرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا
يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظُرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ اسْتَهْزَأُوا
بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ
يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ مَنْ يَكْلُؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ
الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ
لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ
أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مَنَّا يَصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلْ مَتَعْنَاهُمْ هَؤُلَاءِ
وَأَبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي
الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾

[٤٥] ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ﴾ بما أوحى إلي ﴿وَلَا يَسْمَعُ الصَّمَّ﴾ شبه الكفار بالأصم لأنهم مثله في عدم الانتفاع بالسماع ﴿الدَّعَاءِ﴾ إذا دعي ونودي الأصم ﴿إِذَا مَا يَنْذِرُونَ﴾ يخوفون و (ما) زائدة .

[٤٦] ﴿وَلَوْ أَنَّ مَسْتَهْمُ نَفْحَةٍ أَقْلُ شَيْءٍ﴾ من عذاب ربك ليقولن يا ويلنا يا سوء حالنا ﴿إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ أنفسنا بتكذيب النبي ﷺ .

[٤٧] ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ﴾ التي تزن الأعمال بـ ﴿الْقِسْطِ﴾ العدل ﴿لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ لأهل يوم القيامة ﴿فَلَا تَظْلِمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ بتقليل ثواب أو زيادة عقاب ﴿وَأِنْ كَانَ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ﴾ حبة من خردل ﴿حِجَابٍ أَفْيُونٍ﴾ وهي صغيرة جداً ﴿أَتَيْنَا بِهَا﴾ أحضرناها لنعطي جزاء عاملها ﴿وَكُفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ إذ لا حساب أحسن من حسابنا .

[٤٨] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا﴾ أعطينا ﴿مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ﴾ الفارق بين الحق والباطل ﴿وَضِيَاءَ﴾ يستضاء به الناس ﴿وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ﴾ فإنهم المتفعون بالذكر .

[٤٩] ﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾ وهو غائب عن حواسهم ﴿وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ﴾ القيامة ﴿مُشْفِقُونَ﴾ خائفون .

[٥٠] ﴿وَهَذَا الْقُرْآنُ﴾ ذكر مبارك ﴿كثير البركة والخير﴾ أنزلناه أفانتم له منكرون ﴿استفهام توبيخي﴾ .

[٥١] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ﴾ الهداية والنبوة ﴿وَمِنْ قَبْلِ﴾ موسى ﷺ ومحمد ﷺ ﴿وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ بأنه أهل لذلك .

[٥٢] ﴿إِذْ﴾ اذكر حيث ﴿قَالَ﴾ إبراهيم ﷺ ﴿لَأُبَيِّهَ﴾ عمه آزر ﴿وَقَوْمَهُ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ﴾ الأصنام ﴿الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاقِفُونَ﴾ مقيمون .

[٥٣] ﴿قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ﴾ فقلدناهم .

[٥٤] ﴿قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ واضح .

[٥٥] ﴿قَالُوا أَجِئْنَا بِالْحَقِّ﴾ بالجد في ما نقوله ﴿أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ﴾ تريد اللعب والاستهزاء .

[٥٦] ﴿قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ﴾ خلقهن ﴿وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ﴾ المذكور من التوحيد و (كم) للخطاب ﴿مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ فإن الشاهد من حقيق الشيء وأثبتته .

[٥٧] ﴿وَتَاللَّهِ﴾ والله ﴿لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾ لأدبرن في كسرها ﴿بَعْدَ أَنْ تُولُوا﴾ تذهبوا إلى عيدكم ﴿مَدْبِرِينَ﴾ عنها، قاله سراً فسمعه رجل فأشأه .

قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصَّمَّ الدُّعَاءُ إِذَا مَا يَنْذِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَيْنَ مَسْتَهْمُ نَفْحَةٍ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءَ وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنْ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَذَا ذِكْرُ مَبَارَكٍ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلٍ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاقِبُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ أَجِئْنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَاللَّهِ ﴿٥٧﴾ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مَدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾

[٥٨] ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ جُذَاً ۖ إِلَّا كِبِيرَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾
 ﴿٥٩﴾ ﴿قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُمْ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾
 ﴿٦٠﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٦١﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٦٢﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٦٣﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٦٤﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٦٥﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٦٦﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٦٧﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٦٨﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٦٩﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٧٠﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٧١﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٧٢﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾

فَجَعَلْنَاهُمْ جُذَاً ۖ إِلَّا كِبِيرَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ
 ﴿٥٨﴾ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُمْ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾
 قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَاتُّوهُ بِهِ
 عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ
 هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلْتُمْ كِبِيرَهُمْ
 هَذَا فَاسْتَلَوْهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَىٰ
 أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نَكَسُوا عَلَىٰ
 رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ
 أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَلَا
 يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أَفَلَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا
 تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
 فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾
 وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَاهُ
 وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا
 لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾

﴿٥٨﴾ ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ جُذَاً ۖ إِلَّا كِبِيرَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾
 ﴿٥٩﴾ ﴿قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُمْ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾
 ﴿٦٠﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٦١﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٦٢﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٦٣﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٦٤﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٦٥﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٦٦﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٦٧﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٦٨﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٦٩﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٧٠﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٧١﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٧٢﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾

﴿٦٠﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٦١﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٦٢﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٦٣﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٦٤﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٦٥﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٦٦﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٦٧﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٦٨﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٦٩﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٧٠﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٧١﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٧٢﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾

﴿٦١﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٦٢﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٦٣﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٦٤﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٦٥﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٦٦﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٦٧﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٦٨﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٦٩﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٧٠﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٧١﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٧٢﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾

﴿٦٢﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٦٣﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٦٤﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٦٥﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٦٦﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٦٧﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٦٨﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٦٩﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٧٠﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٧١﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٧٢﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾

﴿٦٣﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٦٤﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٦٥﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٦٦﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٦٧﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٦٨﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٦٩﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٧٠﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٧١﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٧٢﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾

﴿٦٤﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٦٥﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٦٦﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٦٧﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٦٨﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٦٩﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٧٠﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٧١﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٧٢﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾

﴿٦٥﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٦٦﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٦٧﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٦٨﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٦٩﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٧٠﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٧١﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٧٢﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾

﴿٦٦﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٦٧﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٦٨﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٦٩﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٧٠﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٧١﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٧٢﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾

﴿٦٧﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٦٨﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٦٩﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٧٠﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٧١﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٧٢﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾

﴿٦٨﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٦٩﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٧٠﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٧١﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٧٢﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾

﴿٦٩﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٧٠﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٧١﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٧٢﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾

﴿٧٠﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٧١﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٧٢﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾

﴿٧١﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾
 ﴿٧٢﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾

﴿٧٢﴾ ﴿قَالُوا فَنُوحُوا بِهِ لِرَبِّهِمْ﴾

كالمكس على رأسه بعد استقامتهم بالتفكير، أو معناه إنهم نكسوا رؤوسهم خجلاً قائلين: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾ فإن الأصنام لا تنطق فكيف نسألهم.

[٦٦] ﴿قَالَ﴾ إبراهيم عليه السلام: ﴿أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ غير الله ﴿مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾.

[٦٧] ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ تضرع من استمرارهم على الباطل ﴿وَلَمَّا﴾ لأصنامكم التي ﴿تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أليس لكم عقل يدرك قبح فعلكم.

[٦٨] ﴿قَالُوا﴾ قال بعضهم لبعض: ﴿حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ﴾ وذلك حيث أعوزتهم الحجة ﴿وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ﴾ بالانتقام ممن كسرها ﴿إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ ناصرين لها.

[٦٩] ﴿قَالُوا﴾ قالوا: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا﴾ يسلم فيك ﴿عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾.

[٧٠] ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا﴾ إبليس ﴿فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ لأن النار انقلبت دليلاً آخر لإبراهيم عليه السلام على صحة كلامه.

[٧١] ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا﴾ وهو من أقرباء إبراهيم عليه السلام كانا بالعراق ﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ وهي أرض بيت المقدس التي بورك بإرسال الأنبياء عليهم السلام وكثرة الثمار ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ فهي أرض بركة لكل الناس.

[٧٢] ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ عطية ﴿وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾ وفقناهم للصلاح.

[٧٣] ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ مخلصين في عبادتهم بلا شرك .

[٧٤] ﴿وَلَوْ طَآءَ أَتَيْنَاهُ حُكْمًا﴾ سلطة لأن يحكم بين الناس ، فإنه لا يجوز الحكم إلا بإذن الله ﴿وَعِلْمًا﴾ نبوة ﴿وَنَجِينَاهُ مِنَ الْقُرْيَةِ﴾ سدوم في أراضي الشام ﴿التي كانت تعمل الخبائث﴾ فإن أهل القرية كان يلوطون مع الذكور ﴿إنهم كانوا قوم سوء﴾ سيئين ﴿فاسقين﴾ خارجين عن طاعة الله .

[٧٥] ﴿وَادْخُلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا﴾ بأن أفضنا عليه الرحمة واللفف ﴿إنه من الصالحين﴾ .

[٧٦] ﴿وَوَإِذْ نَادَىٰ ذُنُودُهُ﴾ قائلاً : (رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً) ^(١) ﴿مَنْ قَبْلُ﴾ قبل إبراهيم عليه السلام ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَجَئْنَاهُ وَآهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ الغم الذي أصابه بسبب أذى قومه وكفرهم .

[٧٧] ﴿وَنَصْرْنَاهُ مِنْ﴾ خلصناه من أيدي ﴿القوم الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين﴾ .

[٧٨] ﴿وَوَإِذْ نَادَىٰ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانُ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ﴾ الزرع ﴿إِذْ نَفَثَتْ فِيهِ﴾ تفرقت ليلاً وأكلت منه ﴿غُثْمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحَكْمِهِمْ﴾ حكم داود وسليمان عليه السلام والمتحاكمين

إليهما ﴿شاهدين﴾ حاضرين حكم داود عليه السلام بأن الغنم تكون لصاحب الزرع ، وحكم سليمان عليه السلام بأن ينتفع أهل الزرع بدها ونسلها وصوفها ويقوم أهل الغنم على الحرث حتى يعود كما كان ثم يترادان ، وكان كلا الحكمين صحيحاً وإن كان الثاني أحسن ، كما إنك لو استعملت قلم زيد فصارت قيمته نصف دينار بعد أن كانت ديناراً فللحاكم أن يقول أعط قلمك الذي يساوي نصف دينار لزيد وأن يقول خذ أنت قلم زيد وزيد قلمك وأصلح قلمه ثم ترادا القلمين لأنه في كلا الحالين ردت القلم ذاته أو نقصه إلى زيد .

[٧٩] ﴿فَفَقَّهْنَاهَا سُلَيْمَانُ﴾ أي الحكومة التي هي أحسن ﴿وَكُلًّا﴾ من سليمان وداود عليه السلام ﴿آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالِ يُسَبِّحْنَ﴾ الجبال مع تسبيح داود عليه السلام بحيث يسمع صوتها ﴿وَوَإِذْ نَادَىٰ دَاوُدَ﴾ فكان الطير يسبح بتسبيح داود عليه السلام ﴿وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ لهذه الأمور وإن استغربها الناس .

[٨٠] ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِنُحْصِنَكُمْ﴾ تحفظكم الدرع وهي الدرع ﴿لِنُحْصِنَكُمْ﴾ تحفظكم الدرع حال الحرب ﴿مَنْ بِأَسْكُم﴾ شدتكم في الحرب ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ نعمي .

[٨١] ﴿وَوَإِذْ نَادَىٰ سُلَيْمَانُ الرِّيحَ﴾ فكانت تحمل بساطه في حال كونها ﴿عاصفة﴾ شديدة الهبوب ﴿تجري﴾ الريح ﴿بِأَمْرِهِ﴾ بأمر سليمان عليه السلام ﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ وهي أرض الشام ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾ فنعمل كل شيء حسب الحكمة والصلاح .

وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلَوْ طَآءَ أَتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجِينَاهُ مِنَ الْقُرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سُوءٍ فَسَاقِينَ ﴿٧٤﴾ وَادْخُلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فُجِّبْنَاهُ وَآهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصْرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا آيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سُوءٍ فَآغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَثَتْ فِيهِ غُثْمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحَكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَقَّهْنَاهَا سُلَيْمَانُ وَكُلًّا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالِ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِنُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَإِسْلِيمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ﴿٨١﴾

[٨٢] ﴿و﴾ سخرنا لسليمان عليه السلام ﴿من الشياطين﴾ أي من الجن ﴿من يغوصون له﴾ في البحار لاستخراج اللآلئ ﴿ويعملون عملاً دون ذلك﴾ سوى الغوص من البناء وغيره ﴿وكنا لهم﴾ للشياطين ﴿حافظين﴾ نحفظهم من أن يفسدوا.

[٨٣] ﴿و﴾ اذكر يا محمد صلى الله عليه وسلم ﴿أيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر﴾ الضر حيث إنه مدة مديدة مرض مرضاً شديداً ﴿وأنت أرحم الراحمين﴾.

[٨٤] ﴿فاستجبنا له﴾ دعاءه ﴿فكشفنا ما به من ضر﴾ بإذهاب مرضه ﴿وآتيناہ﴾ أعطيناه ﴿أهله﴾ فقد مات بعض أهله فأحياهم الله له ﴿ومثلهم معهم﴾ بأن ولد له أولاد آخر ﴿رحمة﴾ كائنة ﴿من عندنا﴾ على أيوب عليه السلام ﴿وذكري للعابدين﴾ فيصبروا كما صبر أيوب عليه السلام فيثابروا كما أتيب.

[٨٥] ﴿و﴾ اذكر ﴿إسماعيل﴾ بن إبراهيم عليه السلام أو غيره ﴿وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين﴾ الذين صبروا لأوامرنا.

[٨٦] ﴿وآدخلناهم في رحمتنا﴾ سعادة الدارين ﴿إنهم من الصالحين﴾ عملاً.

[٨٧] ﴿وذا النون﴾ صاحب الحوت وهو يونس عليه السلام ﴿إذ ذهب مغاضباً﴾ غضبان على قومه، فهجرهم قبل أن يأذن

له الله في هجرهم ﴿فظن أن لن نقدر عليه﴾ أن لن نضيق عليه بحسه في بطن الحوت ﴿ف﴾ لما حبسناه في بطن الحوت ﴿نادى﴾ دعا ﴿في الظلمات﴾ ظلمة البحر وظلمة الليل وظلمة بطن الحوت ﴿أن لا إله إلا أنت سبحانك﴾ أنزهك عما لا يليق بك ﴿إني كنت﴾ في هجرتي للقوم بدون إذن ﴿من الظالمين﴾ بترك الأولى.

[٨٨] ﴿فاستجبنا له ونجيناہ من الغم﴾ هكذا ﴿تنجي المؤمنين﴾ من غمومهم.

[٨٩] ﴿و﴾ اذكر ﴿زكريا إذ نادى ربه رب لا تدركني فرداً﴾ بدون ولد ﴿وأنت خير الوارثين﴾ الذي ترث الخلق بعد فناءهم.

[٩٠] ﴿فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه﴾ زوجته فكانت هرة عقيمة فرددناها شابة ولودة ﴿إنهم كانوا يسارعون﴾ يبادرون ﴿في الخيرات ويدعوننا رغباً﴾ راغبين في ثوابنا ﴿ورهباً﴾ خائفين من عقابنا ﴿وكانوا لنا خاشعين﴾ خاضعين.

وَمِنَ الشَّيْطَانِ مَنْ يَفْضُوتُ لَمْ يَعْمَلُوا عَمَلًا
دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ﴿٨٢﴾ وَأَيُّوبَ إِذْ
نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾
فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ
وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ ﴿٨٤﴾
وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿٨٥﴾
وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾
وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ
فَكَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي
كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ
مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ أَعْيُنًا
إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٨﴾
فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا
لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ
وَيَدْعُونَكَ رَغْبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾

[٩١] ﴿وَذَكَرَ مَرْيَمَ إِذْ نَبَّاهَا بِمَا كَانَتْ تَرْتَجِبُ﴾ ﴿الَّتِي أَحْصَيْنَا فَرْجَهَا﴾ حفظته عن الزنا وعن الزواج ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا﴾ الروح المشرفة بانتسابها إلينا ﴿وَجَعَلْنَاهَا وَابِنَهَا﴾ عيسى عليه السلام ﴿آيَةً﴾ دليلاً على قدرة الله ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾.

[٩٢] ﴿إِنْ هَذِهِ هِيَ هَؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاءُ﴾ ﴿أَمْتَكُمْ﴾ جماعتكم المنقادون لله في حال كونها ﴿أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ﴾ لوحدة دين الجميع ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ اعبدوني ولا تشركون.

[٩٣] ﴿وَتَقَطَّعُوا﴾ نفرقوا أمم هذه الأنبياء عليهم السلام ﴿أَمْرَهُمْ﴾ أمر دينهم ﴿بَيْنَهُمْ﴾ بأن اختلفوا في الدين ﴿كُلٌّ﴾ من الفرق ﴿إِلَيْنَا رَاجِعُونَ﴾ فنجازيهم.

[٩٤] ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ﴾ أي لا نجحد أعماله الصالحة بل نثيبه عليها ﴿وَأَنَا لَهُ لَسَعِي﴾ كاتبون ﴿نَكْتُبُ أَعْمَالَهُ فِي صَحِيفَةٍ حَسَنَاتِهِ لِنَجْزِيهِ عَلَيْهَا﴾.

[٩٥] ﴿وَحَرَامٌ﴾ ممتنع ﴿عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾ بالعذاب ﴿أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ بل يرجعون إلينا لنعاقبهم في الآخرة، والحاصل أن المؤمنين والكافرين رجوعهم إلى الله تعالى.

[٩٦] ﴿حَتَّى﴾ متعلق بـ ﴿كاتبون﴾ أي نكتب الأعمال إلى زمان القيامة ﴿إِذَا فَتَحْتَ يَاجُوجَ وَمَاجُوجَ﴾ أي فتحت الأرض أمام قبائلهما ليأتوا إلى البلاد للفساد ﴿وَهُمْ مِنْ كُلِّ حُدُبٍ﴾ ارتفاع في الأرض ﴿يَنْسَلُونَ﴾ يسرعون فلا يمنعمهم ارتفاع عن التسلق.

[٩٧] ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾ القيامة ﴿فَإِذَا هِيَ﴾ ضمير القصة ﴿شَاحْصَةٌ﴾ أي أن قصة القيامة هي شخوص أبصار الكفار فهي متحركة خائفة غير مستقرة ﴿أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا﴾ قائلين: يا سوء حالنا ﴿قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا﴾ اليوم فلم نعلم أنه حق ﴿بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ لأنفسنا حيث لم ننظر إلى الآيات بنظر الاعتبار.

[٩٨] ﴿إِنَّكُمْ وَمَا الْأَصْنَامُ الَّتِي تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبٌ﴾ وقود ﴿جَهَنَّمَ أَنْتُمْ﴾ أيها الكفار ﴿لَهَا﴾ للنار ﴿وَارْدُونَ﴾ داخلون فيها.

[٩٩] ﴿لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ الْأَصْنَامُ آلِهَةً﴾ حقيقة ﴿مَا وَرَدُوهَا﴾ إذ دخولها ينافي الألوهية، فالإله لا يرد لا أن كل من لم يرد فهو إله، فلا ينقض بالمسيح عليه السلام ﴿وَكُلٌّ﴾ من العابد والمعبود ﴿فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

[١٠٠] ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ﴾ صوت شديد دال على شدة التلفف ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ كلاماً حسناً أو شيئاً لشدة العذاب.

[١٠١] ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ الْحَسَنِ﴾ أي العدة الحسنة بأن قلنا إنهم محسنون، وكان قولنا تبعاً لما علمنا من أعمالهم ﴿أُولَئِكَ عَنْهَا﴾ عن النار ﴿مُعْبِدُونَ﴾ يعبدون.

وَالَّتِي أَحْصَيْنَا فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابِنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَذِهِ هِيَ هَؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاءُ ﴿٩٢﴾ أَمْتَكُمْ ﴿٩٣﴾ جَمَاعَتُكُمُ الْمُنْقَادُونَ لِلَّهِ فِي حَالِ كَوْنِهَا أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ لَوْحَدَةِ دِينِ الْجَمِيعِ ﴿٩٤﴾ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٥﴾ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ﴿٩٦﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ ﴿٩٧﴾ وَكَرَّمْ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٨﴾ حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَاجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴿٩٩﴾ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنْهُ الْحَسَنَةُ أُولَئِكَ عَنْهَا مُعْبِدُونَ ﴿١٠١﴾

[١٠٢] ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾ لا يسمعون حسيسها وهم في ما اشتتهت أنفسهم خالدون.

[١٠٣] ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرَقُ الْأَكْبَرُ﴾ لا يحزنهم الفرق الأكبر هو خوف القيامة ﴿وَتَتْلَقَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ وتستقبلهم بالملائكة قائلين: ﴿هَذَا يَوْمُكُمْ﴾ وقت ثوابكم ويوم عزمكم الذي كنتم توعدون في الدنيا.

[١٠٤] وذلك في ﴿يَوْمٍ نَطْوِي السَّمَاءَ﴾ نجعله بمحو نظامه ﴿كُطَي السَّجَلِ﴾ الذي يسجل فيه ويكتب للكتب بيان السجل، أي طي الصحيفة المجمولة للكتابة ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نَعِيدُهُ﴾ كما خلقنا أولاً الناس نعيدهم، وعدناه ﴿وَعَدًا عَلَيْنَا﴾ إنجازه ﴿إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾.

[١٠٥] ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ﴾ لداود عليه السلام ﴿مَنْ بَعْدَ الذِّكْرِ﴾ من بعد أن كتبنا في الذكر الذي هو التوراة ﴿أَنَّ الْأَرْضَ﴾ الدنيا ﴿يَرْثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ فإن الله يظهر الإسلام على كل الأديان ويملك المسلمين الدنيا، وأولت الآية بظهور الإمام الحجة (عج).

[١٠٦] ﴿إِن فِي هَذَا﴾ الذي ذكرناه من الأخبار والمواعظ والموايد ﴿لِبَلَاغٍ﴾ لكفاية من جهة الإرشاد والتنبية ﴿لِقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾ لله تعالى.

[١٠٧] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ فإن النبي ﷺ بمناهجه رحمة لكل البشر، أما المسلمون منهم فواضح،

لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرَقُ الْأَكْبَرُ وَتَتْلَقَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كُطَي السَّجَلِ لَكُتُبٍ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مَنْ بَعْدَ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرْثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِن فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ مَا ذُنُوبُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ وَإِنِ أَدْرَى أَقْرَبُ أَرْبَعِينَ مَآ تُوَعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُمْ يَعْلَمُونَ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنِ أَدْرَى لَعَلَّهُمْ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَنَعَ إِلَيْنَا جِئَانُكُمْ ﴿١١١﴾ قُلْ رَّبِّ أَحْكُمِ بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾

سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ

وأما الكفار فتعلموا من المسلمين فكان النبي ﷺ رحمة لهم بالواسطة.

[١٠٨] ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ استفهام إرشادي.

[١٠٩] ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عن التوحيد ﴿فَقُلْ أَذْنُكُمْ﴾ أعلمتكم دين الإسلام ﴿عَلَى سَوَاءٍ﴾ مستويين في الإعلام ﴿وَإِنِ أَدْرَى لَا أَعْلَمُ﴾ أقرب أم بعيد ما توعدون من غلبة المسلمين عليكم ومن عذابكم في الدنيا والآخرة.

[١١٠] ﴿إِنَّهُمْ يَعْلَمُونَ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ﴾ ما تقولونه جهراً في الطعن بالإسلام ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾ من عداوة الدين والمسلمين، يعلم كل ذلك فيجازيكم عليه.

[١١١] ﴿وَإِنِ أَدْرَى لَعَلَّهُ﴾ لعل تأخير عذابكم وما توعدون ﴿فِتْنَةٌ﴾ امتحان ﴿لَكُمْ﴾ ليظهر كل قبائحكم ﴿وَمَنَعَ﴾ لأجل التمتع ﴿إِلَيْنَا حِينُ﴾ يأتي أجلكم المقرر.

[١١٢] ﴿قَالَ﴾ الرسول ﷺ: ﴿رَبِّ أَحْكُمِ بِالْحَقِّ﴾ بيني وبين المكذبين ﴿وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ﴾ الذي نستعين به ﴿عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ من تكذيب القرآن والرسول ﷺ والبعث، فإننا نستعين به لأجل أن نغلب عليكم.

٢٢: سورة الحج

مدنية آیاتها ثمان وسبعون

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

[١] ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم﴾ عذابه فأطيعوه ﴿إن زلزلة الساعة﴾ الزلزلة التي تقارن يوم القيامة ﴿شيء عظيم﴾ هائل.

[٢] ﴿يوم ترونها﴾ ترون الزلزلة ﴿تذهل كل مرضعة عما أرضعت﴾ تدهش المرأة المرضعة عن ولدها وتذهب لشدة هولها ﴿وتضع كل ذات حمل حملها﴾ جنينها، أي تسقط من شدة الخوف ما في بطنها ﴿وترى الناس سكارى﴾ كأنهم في حالة سكر من الهول ﴿وما هم بسكارى﴾ على الحقيقة ﴿ولكن عذاب الله شديد﴾ بحيث أذهلهم.

[٣] ﴿ومن الناس من يجادل في الله﴾ في توحيده أو صفاته ﴿بغير علم﴾ برهان ﴿ويشيع كل شيطان مريد﴾ المارد المفسد.

[٤] ﴿كتب عليه﴾ على الشيطان ﴿أنه من تولاه﴾ اتبع الشيطان ﴿فانه يضلّه﴾ عن الطريق ﴿ويهديه﴾ يسلك به ﴿إلى عذاب السعير﴾ المشتعل.

[٥] ﴿يا أيها الناس إن كنتم في ريب﴾ شك ﴿من البعث﴾

القيامة ﴿ف﴾ اعتبروا بأول الخلقه فإن من يقدر على البدء يقدر على الإعادة ﴿إنا خلقناكم من تراب﴾ تحول نباتاً ثم طعاماً ثم دماً ثم منياً ﴿ثم من نطفة﴾ المنى ﴿ثم من علقه﴾ دم مجمّد ﴿ثم من مضغة﴾ لحمه قدر ما يمضغ ﴿مخلقة﴾ تام الخلقه ﴿وغير مخلقة﴾ غير تام الخلقه ﴿لنبين لكم﴾ بهذا التدرّج قدرتنا ﴿ونقر في الأرحام ما نشاء﴾ من ولد وبنت ﴿إلى أجل مسمى﴾ وقت الوضع الذي سمي بأن يوضع فيه ﴿ثم نخرجكم طفلاً﴾ ثم لتبلغوا أشدكم ﴿كمالكم وقوتكم﴾ ومنكم من يتوفى ﴿قبل الهرم﴾ ومنكم من يُرَدُّ ﴿إلى أَرذل العمر﴾ أرداه وهو الهرم والخرف ﴿لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً﴾ بأن يرجع إلى حالة طفولته في عدم علمه بشيء، واللام للعاقبة ﴿وترى الأرض هامدة﴾ يابسة ميتة ﴿فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت﴾ تحركت ﴿وربت﴾ انتفخت ﴿وانبتت من كل زوج﴾ صنف ﴿بهيج﴾ ذو رونق، فالقادر على إحياء الإنسان والأرض قادر على المعاد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّ كَمَا إِتَّكَ زَلْزَلَةُ السَّاعَةِ قَدْ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ كَتَبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَآثَرُهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤﴾ يَتَّبِعُهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ رِيبٌ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَا نَرَابٌ ثُمَّ مِّنْ نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنَبِّئَنَّ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لَمَّا بَلَغُوا أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُّتَوَفَّىٰ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُّرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾

[٦] ﴿ذَلِكَ﴾ الخلق والإحياء ﴿بِأَن﴾ بسبب أن ﴿الله هو الحق﴾ والإله الحق قادر على كل شيء ﴿وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير﴾ .

[٧] ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ﴾ القيامة ﴿آتِيَةٌ﴾ تأتي لا محالة حيث وعد ذلك ﴿لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ وأن الله يبعث من في القبور .

[٨] ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ في نفسه ﴿وَلَا هُدًى﴾ حسب دلالة عقلية ﴿وَلَا كِتَابٍ﴾ مبادئ ﴿مُنِيرٍ﴾ ذي نور ينير الطريق .

[٩] ﴿ثَانِي عَظْفِهِ﴾ العطف جانب الإنسان ، والثاني بمعنى المائل للإعراض وهذا كناية عن التكبر إذ المتكبر يلوي جانبه معرضاً ﴿لِيُضِلَّ﴾ علة (يجادل) ﴿عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ في الدنيا خزي ﴿ذَلَّ بِغَلْبَةِ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِ﴾ ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ﴿عَذَابَ الشَّيِّءِ الْحَرِيقِ﴾ وهو النار .

[١٠] ويقال له : ﴿ذَلِكَ﴾ العذاب ﴿بِمَا قَدَّمْت يَدَاكَ﴾ بما عملته في الدنيا من الكفر والعصيان ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ﴾ بذي ظلم ﴿لِلْعَبِيدِ﴾ .

[١١] ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ طرف من الدين لا على كل الأوجه والتقلبات ﴿فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ﴾ نعمة ورخاء ﴿أَطْمَأَنَّ بِهِ﴾ بسببه على عبادة الله ﴿وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ﴾ محنة وبلاء ﴿أَنقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ﴾ عاد إلى كفره كمن سقط على وجهه ﴿خَسِرَ الدُّنْيَا﴾ بفقد فوائده

ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّمُ الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِي عَظْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَعَنَ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنَذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمْت يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ أُنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَمَا لَا يَنْفَعُهُمْ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُوا لَمَن ضَرَّهُمْ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَيْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَيْسَ الْعَشِيرُ ﴿١٣﴾ إِنَّ اللَّهَ يَدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَ كَيْدُهُ مَا يَعْتَظُ ﴿١٥﴾

الإسلام ﴿وَالْآخِرَةِ﴾ بالعذاب ﴿ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ الواضح .

[١٢] ﴿يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ﴾ من الأصنام ﴿ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ عن القصد .

[١٣] ﴿يَدْعُوا لِمَن﴾ الصنم الذي ﴿ضَرَّهُ﴾ لأنه يوجب عذاب الله ﴿أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ﴾ الذي يرجوه من أن يشفع له ﴿لَيْسَ﴾ الصنم ﴿الْمَوْلَى﴾ النصير ﴿وَلَيْسَ الْعَشِيرُ﴾ الصاحب .

[١٤] ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا﴾ تحت أشجارها وقصورها ﴿الْأَنْهَارُ﴾ إن الله يفعل ما يريد ﴿مَنْ إِثَابَةُ الْمُؤْمِنِ وَعَذَابُ الْكَافِرِ﴾ .

[١٥] ﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَن لَّنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ بأن يثس عن نصرة الله ورحمته ﴿فَ﴾ ليعلم أنه لا طريق آخر ولو أنه أوصل نفسه إلى السماء ﴿لِيَمْدُدَ﴾ يمد ﴿بِسَبَبٍ﴾ بحبل من الأرض ﴿إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ﴾ الطريق بأن يصعد بسببه إلى السماء ﴿فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَ كَيْدَهُ﴾ بالذهاب إلى السماء ﴿مَا يَغِيظُ﴾ أي غيظه بأن يتمكن من إحراز النصرة حتى يذهب غمه وهمه .

[١٦] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ هكذا ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ أي القرآن ﴿آيَاتٍ﴾ بينات ﴿واضحات﴾ وأن الله يهدي من يريد ﴿بأن يقيم له﴾ الحجة .

[١٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ اليهود ﴿وَالصَّابِئِينَ﴾ قسم من المتدينين بيحي عليه السلام ﴿وَالنَّصَارَى﴾ والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم ﴿بالحكومة﴾ بينهم وإظهار المحق من المبطل ﴿يوم القيامة﴾ إن الله على كل شيء شهيد ﴿شاهد عليه﴾ .

[١٨] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ﴾ ينقاد ﴿له﴾ من في السماوات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس ﴿وَكثيرة﴾ من الناس ﴿حق﴾ ثبت ﴿عليه العذاب﴾ بسبب كفره ﴿ومن يهن﴾ الله ﴿يهنه﴾ بأن أراد إذلاله ﴿فما له من مكرم﴾ إذ الإكرام والإذلال بيد الله ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ مما فيه الصلاح .

[١٩] ﴿هَٰذَانِ﴾ المؤمنون والكافرون ﴿اخصمان﴾ اختصموا في ربهم ﴿فالمؤمنون يوحّدونه﴾ والكافرون ينكرونه ﴿فالذين كفروا قطعت﴾ كما يقص الخياط الثياب ﴿لهم﴾ ثياب من نار يصب من فوق رؤوسهم الحميم ﴿الماء المغلي﴾ .

[٢٠] ﴿يَصْهَرُ﴾ يذاب ﴿به﴾ بالحميم ﴿ما في بطونهم﴾ من الأحشاء ﴿والجلود﴾ أي يصهر جلودهم أيضاً .

[٢١] ﴿ولهم مقامع﴾ سياط ﴿من حديد﴾ للضرب على رؤوسهم .

[٢٢] ﴿كلما أرادوا أن يخرجوا منها﴾ من النار ﴿من غم﴾ من غموم النار وكرهها ﴿أعيدوا فيها﴾ في النار وقيل لهم : ﴿وذوقوا عذاب الحريق﴾ أي النار المحرقة .

[٢٣] ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا﴾ تحت أشجارها وقصورها ﴿الأنهار﴾ يحلون ﴿يلبسون الحلي والزينة﴾ فيها من أساور ﴿ما يلبس في اليد من الزينة﴾ من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير .

وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ ﴿١٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يَمُنْ بِاللَّهِ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٨﴾ هَٰذَانِ اخصمان اختصموا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلَوْلُؤًا وَلِبَاسَهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾

[٢٤] ﴿وَهْدُوا﴾ هداهم الله ﴿إلى الطيب من القول﴾ التحيات الحسنة في الجنة ﴿وهدوا إلى صراط الحميد﴾ الله المحمود.

[٢٥] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ﴾ يمنعون ﴿عن سبيل الله﴾ دينه ﴿و﴾ عن ﴿المسجد الحرام﴾ بأن يخرجوا أهله منه ويمنعوا الناس عن زيارته ﴿الذي جعلناه للناس سواء﴾ متساوين في حق الاستفادة منه ﴿العاكف﴾ المقيم ﴿فيه﴾ حول المسجد ﴿والباد﴾ الآتي من الخارج لأجل الزيارة ﴿ومن يرد﴾ أي يريد ﴿فيه﴾ في بلد المسجد ﴿بالحاد﴾ أي إلحاداً وانحرافاً عن القصد ﴿بظلم﴾ بيان (بالحاد) ﴿نذقه﴾ جواب (من) ﴿من عذاب أليم﴾ مؤلم، والمراد إما التعدي من مكة فإنه يقتص منه وإما الشرك فيها فإنه يضاعف له العذاب في الآخرة وذلك لشرف المكان.

[٢٦] ﴿وَإِذْ﴾ اذكر يا رسول الله حيث ﴿بِؤَانَا﴾ عينا ﴿لإبراهيم مكان البيت﴾ أي محل الكعبة وذلك لأجل أن يبني البيت وقلنا له: ﴿أَنْ لَا تَشْرِكَ بِي شَيْئاً﴾ لا تجعل شريكاً لي ﴿وطهر﴾ من عبادة الأوثان والأقدار، والمعنى أن حل بينه وبين أن يكون محلاً للأوثان والأقدار ﴿ببني للظانفين﴾ حوله ﴿والقائمين﴾ للصلاة ﴿والركع السجود﴾ الراكعين الساجدين.

[٢٧] ﴿وَإِذْ﴾ ناد ﴿فني الناس بالحج﴾ بأن يأتوا لأجل المناسك ﴿يأتوك﴾ الناس ﴿رجالاً﴾ راجلين مشاة ﴿وعلى كل ضامر﴾ كل بعير مهزول أهزله السفر ﴿يأتين﴾ تلك الضامرات ﴿من كل فج﴾ طريق ﴿عميق﴾ بعيد، وهذا كناية عن أن الناس يتوجهون إلى البيت من أبعد الأماكن.

[٢٨] ﴿لِيَشْهَدُوا﴾ علة لـ (أذن) أي يحضروا ﴿منافع لهم﴾ التجارة والشوكة في الدنيا والشواب في الآخرة ﴿و﴾ لـ ﴿يذكروا اسم الله في أيام معلومات﴾ هي أيام الحج ﴿على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ الإبل والبقر والغنم، والبهيمة بمعنى التي لا تنصح فهي من إضافة الصفة إلى الموصوف، وإنما قال أن يذكروا الاسم على ما رزقهم لأن ذلك من أكبر المظاهر في مقابل الشرك فإنهم كانوا يذكرون اسم أصنامهم على الذبائح ﴿فكلوا منها﴾ من بهيمة الأنعام ﴿وأطعموا البائس﴾ الذي أصابه بؤس أي شدة ﴿الفقر﴾.

[٢٩] ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا﴾ ليزيلوا ﴿نفسهم﴾ وسخهم بقص الشعر ونحوه للتحليل من الإحرام ﴿وليوفوا نذورهم﴾ ما نذروا من البر في حجهم ﴿وليطوفوا﴾ طواف الزيارة والنساء، بعد رجوعهم من منى ﴿بالبیت العتيق﴾ الكعبة المعظمة وكان عتيقاً لأنه أول بيت وضع للناس.

[٣٠] ﴿ذَلِكَ﴾ أي أمر الحج هكذا ﴿ومن يُعْظَمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ﴾ ما أحترمه الله من أحكام الحج وغيره، ما لا يحل انتهاكه ﴿فهو﴾ فالتعظيم ﴿خير له عند ربه﴾ إذ يثيبه عليه ثواباً كبيراً ﴿وأحلَّتْ لكم الأنعام﴾ الإبل والبقر والغنم ﴿إِلَّا مَا يَتْلُو﴾ يقرأ ﴿عليكم﴾ تحريمه من الميتة والدم إلخ ﴿فاجتنبوا الرجس﴾ القذر ﴿من الأوثان﴾ أي الأصنام بأن لا تعبدوها ﴿واجتنبوا قول الزور﴾ الكذب ونحوه.

وَهْدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهْدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ
 ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ
 الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ
 وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ يُظْلَمُ نَذْقُهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾
 وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي
 شَيْئاً وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ
 السُّجُودِ ﴿وَإِذْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى
 كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ لِيَشْهَدُوا
 مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ
 عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكَلَّوْا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا
 الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا
 نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ ذَلِكَ وَمَنْ
 يُعْظَمْ حُرُمَاتُ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ
 لَكُمْ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يَتْلُو عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا
 الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿

[٣١] ﴿خُتَفَاءٌ﴾ موحدين، مائلين عن الشرك ﴿لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر﴾ سقط ﴿من السماء﴾ فقد أهلك نفسه هلاك من يسقط من السماء ﴿فتخطفه﴾ أي تأخذه بسرعة ﴿الطير﴾ في وسط السماء فتأكله ﴿أو تهوي﴾ تميل ﴿به الريح في مكان سحيق﴾ بعيد فهو يجمع بين الهلاك والهول.

[٣٢] ﴿ذلك﴾ الأمر كما ذكر ﴿ومن يعظم شعائر الله﴾ الأمور المرتبطة بالله، جمع شعيرة وهي الأمر اللاصق بالشخص كأنه لاصق بشعره ﴿فإنها﴾ أي فإن الشعائر، أي تعظيمها ﴿من تقوى القلوب﴾ فإن القلب المتقي هو الباعث على التعظيم.

[٣٣] ﴿لكم فيها﴾ في الأنعام التي تهدي إلى البيت ﴿منافع﴾ كاللبن والركوب ﴿إلى أجل﴾ وقت ﴿مسمى﴾ قد سمي وهو حين النحر والذبح ﴿ثم محلها﴾ محل ذبحها ونحرها ﴿إلى البيت العتيق﴾ حواله كمنى ومكة.

[٣٤] ﴿ولكل أمة﴾ من الأمم المتدنية ﴿جعلنا منسكاً﴾ محل عبادة، من النسك بمعنى العبادة ﴿ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ أي عند ذبحها ﴿فإلهكم إله واحد﴾ فلا تذكروا اسم الأصنام على الذبائح ﴿فله أسلموا﴾ انقادوا ﴿وبشر المخبتين﴾ الخاضعين لله.

[٣٥] ﴿الذين إذا ذكر الله وجلت﴾ خافت هيبة منه

﴿قلوبهم والصابرين على ما أصابهم﴾ من المصائب ﴿والمقيمي الصلاة وما رزقناهم ينفقون﴾ فيما أمر الله.

[٣٦] ﴿والبدن﴾ جمع بدنة وهي الإبل، والمراد بها التي تنحر في الحج ﴿جعلناها لكم من شعائر الله﴾ المرتبطة بدين الله ﴿لكم فيها خير﴾ نفع ديني ودنيوي ﴿فاذكروا اسم الله عليها صواف﴾ قائمات قد صفقت أيديها وأرجلها وذلك حين تريدون نحرها ﴿فإذا وجبت﴾ سقطت ﴿جنوبها﴾ جمع جنب أي وقعت على الأرض لأنها ماتت ﴿فكلوا منها وأطعموا القانع﴾ الذي يقنع بما أعطي ﴿والمعتز﴾ الذي يعترض أي يعترض لك بسؤال أو بدون سؤال ﴿كذلك﴾ هكذا ﴿سخرناها﴾ ذللناها ﴿لكم﴾ مع عظمتها وقوتها ﴿لعلكم تشكرون﴾.

[٣٧] ﴿لن ينال الله﴾ لن يصعد إليه ﴿لحومها ولا دماؤها ولكن يناله﴾ يصعد إليه ﴿التقوى منكم﴾ فالأمر بنحرها ليس لأجل استفادة الله من لحمها ودمها، وإنما لأجل تقواكم التي تصعد إليه سبحانه ﴿كذلك﴾ هكذا ﴿سخرها لكم لتكبروا الله﴾ لتعرفوا عظمته ﴿على ما هداكم﴾ أرشدكم إلى طريق تسخيرها وكيفية التقرب بها ﴿وبشر المحسنين﴾.

[٣٨] ﴿إن الله يدافع﴾ يبالغ في الدفاع ﴿عن الذين آمنوا﴾ كيد المشركين والمنافقين ﴿إن الله لا يحب كل خوان﴾ كثير الخيانة بالشرك وغيره ﴿كفور﴾ جحود لله ولنعمة.

خُفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ يَحْمِلُهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِنَّهَا شُعَيْرٌ فَالْهَكَوَالَهُ وَجَدَ فَلَهُ اسْلِمُوا بُشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَالْبَدَنَتِ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا الْقَانِعَ وَالْمَعْتَزَ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبُشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾

[٣٩] ﴿أُذِّنْ﴾ الله أذن لهم ﴿لِلَّذِينَ يَقَاتِلُونَ﴾ يقاتلهم الكفار ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ بسبب أنهم ﴿ظَلَمُوا﴾ حيث ظلمهم الكفار فتح لهم القصاص ﴿وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَادِرٌ﴾ قادر على أن ينصرهم .

[٤٠] ﴿الَّذِينَ﴾ بدل من (الذين) ﴿أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ يعني مكة أخرجهم المشركون ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ بلا موجب استحقوا به الإخراج ﴿إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ سوى التوحيد ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾ بأن ينصر كل ذي دين على من يخالف دينه ﴿لَهَـدَمَتْ﴾ خربت ﴿صَوَامِعُ﴾ جمع صومعة للرهبان ﴿وَبِيعٌ﴾ كنائس للنصارى جمع بيعة ﴿وَصَلَوَاتُ﴾ أي مكان صلوات اليهود ﴿وَمَسَاجِدُ﴾ للمسلمين ﴿يُذَكَّرُ فِيهَا﴾ في المساجد، أو في الأربعة ﴿اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلِيَنْصُرَنَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ ينصر دينه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ﴾ على النصر ﴿عَزِيزٌ﴾ يغالب .

[٤١] ﴿الَّذِينَ﴾ وصف لـ (الذين أخرجوا) ﴿إِنْ مَكَانَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ بأن جعلنا لهم السلطة ﴿أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَآمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ الامور، ولذا ينهي الامور إلى أصحاب الدين .

[٤٢] ﴿وَإِنْ يَكْذِبُوكَ﴾ يا رسول الله، وهذا تسليية للرسول ﷺ ﴿فَقَدْ كَذَبَ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادُ وَثَمُودُ﴾ .

[٤٣ - ٤٤] ﴿وَقَوْمَ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمَ لُوطٍ﴾ وأصحاب مدين، شعيب عليه السلام ﴿وَكَذَبَ مُوسَىٰ فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ﴾ أمهلتهم ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾ بالعذاب ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ أي إنكاري عليهم بالانتقام منهم، والاستفهام للتقرير .

[٤٥] ﴿فَكَأَيُّنَ﴾ فكم ﴿مَنْ قَرِئَةً أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فِيهَا خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَبْرِ مَعْطَلَةٍ وَفَصَّرَ مَشِيدٍ﴾ ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَىٰ الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ خالياً .

[٤٦] ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا﴾ يذهب الكفار ويسافروا ليروا آثار الأمم الهالكة ﴿فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ يعرفوا العبر ﴿أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ أخبار الأمم السابقة ﴿فَإِنَّهَا﴾ فإن القصة ﴿لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ﴾ عمى يوجب هلاك الإنسان ﴿وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ إذ عمى القلب يوجب الهلاك .

أُذِّنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَـدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيعٌ وَصَلَوَاتُ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلِيَنْصُرَنَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِنْ مَكَانَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَآمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾ وَإِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادُ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمَ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمَ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَىٰ فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيُّنَ قَرِئَةً أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فِيهَا خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَبْرِ مَعْطَلَةٍ وَفَصَّرَ مَشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾

[۴۷] «وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ» يطلبون منك أن تنزل عليهم العذاب كما أوعدهتهم «وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ» أنه لا بد وأن يعذبهم حال يحين موعدهم «وَلِنْ يَوْمًا» من أيام عذابهم «عند ربك» في الآخرة «كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ» في الدنيا.

[۴۸] «وَكَايُنَ» وكم «مِنْ قَرْيَةٍ أَمَلَيْتَ لَهَا» أمهلتها «وَهِيَ ظَالِمَةٌ لِّمَا أَخَذَتْهَا» بالعذاب، وهكذا أفعل بهؤلاء الكفار «وَاللِّي الْمَصِيرُ» مرجع الجميع إلى حسابي وجزائي.

[۴۹] «قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ» واضح. [۵۰] «فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ» غفران «وَرِزْقٌ كَرِيمٌ» يرزقونه مع كرامة.

[۵۱] «وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا» سعوا لأجل إبطال الآيات «مُعَاجِزِينَ» يظنون أنهم يعجزونا فلا نقدر على تنفيذ مقاصدنا «أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ».

[۵۲] «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى» قرأ أحكام الله «أَلْقَى الشَّيْطَانُ» الزوائد والأكاذيب «فِي أَمْنِيَّتِهِ» قراءته كما نرى أن المعاندين يزيدون في كلام الكبار ما يقصدون به التشويش وتنفيذ مآربهم «فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ» يبطله ببيان النبي أن هذا باطل ليس من الحكم المنزل «ثُمَّ يُحْكَمُ اللَّهُ

آيَاتِهِ» يقيها محكمة بلا زيادة وتشويش «وَاللَّهُ عَلِيمٌ» بما يفعل الشيطان «حَكِيمٌ» في تدبيره.

[۵۳] «لِيَجْعَلَ» اللام للعاقبة أي إن عاقبة زيادة الشيطان فتنة المنافقين، وحيث إن الله سبحانه يترك الشيطان ليلقي ما يشاء نسب الجعل إلى نفسه تعالى «مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ» من الزيادة «فِتْنَةً» امتحاناً «لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ» شك ونفاق لأن هؤلاء هم الذين يلتفون حول كل باطل ومشكوك «وَلِ» القاسية قلوبهم «أَي الْكَافِرِ الَّذِينَ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ فَلَمْ يَدْخُلْهَا نُورُ الْإِيمَانِ، فَإِنَّهُ فِتْنَةٌ لَهُمْ أَيْضاً» وإن الظالمين لفي شقاق «خِلَافٌ» «بَعِيدٌ» من الحق.

[۵۴] «وَلِيَعْلَمَ» عطف على (ليجعل) «الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ» المؤمنون الصادقون «أَنَّهُ» أي القرآن، وما قرأه النبي ﷺ «الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ» فيزيد إيمانهم، أي إن عاقبة لقاء الشيطان زيادة نفاق وكفر أولئك وإيمان هؤلاء «فَتُخْبِتُ» تخضع «لَهُ» للقرآن «قُلُوبُهُمْ» بالإيمان والانقياد «وَأَنَّ اللَّهَ لَهَادُ الَّذِينَ آمَنُوا» يهديهم ما أشكل عليهم «إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ».

[۵۵] «وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مَرِيَةٍ» شك «مِنْهُ» من القرآن «حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ» القيامة أو الموت «بِفِتْنَةٍ» فجأة «أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَقِيمٍ» لا خير فيه، والمراد عذابهم على أيدي المؤمنين، أو نزول العذاب الغيبي عليهم.

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنْ يَوْمًا
عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيُنَ مِنْ
قَرْيَةٍ أَمَلَيْتَ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ لِمَا أَخَذَتْهَا وَاللِّي الْمَصِيرُ
﴿٤٨﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَالَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾
وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ
﴿٥١﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى
أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أَمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ
ثُمَّ يُحْكَمُ اللَّهُ إِلَيْنَا وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِيَجْعَلَ
مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فَتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ
قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ
الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ
فَتُخْبِتُ لَهُمْ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادُ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ
مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مَرِيَةٍ مِنْهُ حَتَّى
تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾

[٥٦] ﴿الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ يَخْلُقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ لله ﴿بدون أن يكون هناك من يزعم أنه مالك﴾ يحكم بينهم ﴿فيما اختلفوا فيه﴾ فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم ﴿يتنعمون فيها﴾.

[٥٧] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ يهينهم وبذلهم.

[٥٨] ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾.

[٥٩] ﴿لِيَدْخُلَنَّهُمْ﴾ الله ﴿مدخلا﴾ محلاً يدخلون فيه، والمراد به الجنة ﴿يرضونه وإن الله لعليم﴾ بأحوالهم ﴿حليم﴾ لا يعاجل الكفار بالعقوبة.

[٦٠] ﴿ذَٰلِكَ﴾ الأمر هو الذي قصصنا عليك ﴿ومن عاقب بمثل ما عوقب به﴾ جازى من ظلمه بقدر ظلمه بلا زيادة ﴿ثم﴾ بعد ذلك ﴿بُغِيَ عَلَيْهِ﴾ ظلمه الظالم ثانياً ﴿لينصرته﴾ الله، بالانتقام من ظالمه فإن المسلمين إذا قاتلوا الكفار - حيث ظلمهم الكفار - ثم قتل الكافر أحداً منهم ينصره الله بالانتقام من قاتله في الدنيا والآخرة، والآية مربوطة بقوله (والذين هاجروا) فإن المهاجرين ظلموا ثم إذا أرادوا الانتقام ظلمهم الكفار ثانياً بأن قُتلوا كان الله ناصرهم ﴿إن الله لعفو غفور﴾.

[٦١] ﴿ذَٰلِكَ﴾ النصر للمسلمين ﴿بـ﴾ سبب ﴿أن الله﴾ قادر على كل شيء بدليل أنه ﴿يُولِجُ﴾ يدخل ﴿الليل في النهار﴾ بامتداد الليل ﴿ويُولِجُ النهار في الليل وإن الله سميع﴾ للأقوال ﴿بصير﴾ بالأفعال.

[٦٢] ﴿ذَٰلِكَ﴾ الوصف بالقدرة ﴿بـ﴾ سبب ﴿أن الله هو الحق﴾ والإله الحق قادر على كل شيء ﴿وأن ما يدعون من دونه هو الباطل﴾ فلا يقدر على نصرته من عبده ﴿وأن الله هو العلي﴾ شأناً ﴿الكبير﴾ الذي لا أكبر منه.

[٦٣] ﴿ألم تر﴾ دليلاً على قدرة الله ﴿أن الله أنزل من السماء ماءً فتصبح الأرض مخضرة﴾ بالنبات ﴿إن الله لطيف﴾ في أفعاله ﴿خبير﴾ بتدبير خلقه.

[٦٤] ﴿له ما في السماوات وما في الأرض وإن الله لهو الغني﴾ فلا يحتاج إلى إيمان أحد وعمله ﴿الحميد﴾ المحمود في أفعاله.

الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ يَخْلُقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَالَّذِينَ كَفَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٥٨﴾ لِيَدْخُلَنَّهُمْ مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لِيَنْصُرَهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُو غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ذَٰلِكَ يَأْتِ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ يَأْتِ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنْتَ اللَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَمْ يَأْتِ السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِلَّا اللَّهُ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾

[٦٥] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ ﴿وَأَلْفَاك تَجْرِي فِي الْبَحْرِ ﴿مَعِدَةً لِّمَنَافَعِكُمْ ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاءِ ﴿وَالْفَلَكَ السَّفِينَةَ ﴿تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ ﴿مَّا فِيهَا مِنْ أَجْرَامٍ ﴿أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بَيَاضَةً ﴿فَإِنَّهُ إِذَا أَرَادَ وَقُوعَ السَّمَاءِ عَلَى الْأَرْضِ وَقَعَتْ ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ ﴿هِيَ فَوْقَ الرَّحْمَةِ ﴿رَحِيمٌ ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ هَيَأَ لَهُمْ أَسْبَابَ الرَّاحَةِ .

[٦٦] ﴿وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ﴿أَعْطَاكُمْ الْحَيَاةَ بَعْدَ أَنْ كُنْتُمْ جَمَادًا ﴿ثُمَّ يَمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴿فِي الْعَالَمِ الْآخِرِ ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ﴿جُودَ لِنِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِ .

[٦٧] ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ ﴿أَهْلَ دِينٍ ﴿جَعَلْنَا مَنَسَكًا ﴿شَرِيعَةً ﴿هُمْ نَاسِكُوهُ ﴿عَامِلُونَ بِتِلْكَ الشَّرِيعَةِ ﴿فَلَا يَنَازِعُكَ فِي الْأَمْرِ ﴿بِأَن يَقُولَ أَهْلُ الْكِتَابِ وَالْكَفَّارُ لِمَاذَا تَعْمَلُ هَكَذَا، فَإِنَّ الْجَوَابَ إِنَّ كُلَّ أُمَّةٍ لَهُمْ شَرِيعَةٌ، وَهَذِهِ شَرِيعَتِي ﴿وَادْعَ إِلَى رَبِّكَ ﴿عِبَادَتِهِ ﴿إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ ﴿أَيَّ أَنَّكَ مُسْتَقِيمٌ .

[٦٨] ﴿وَإِنْ جَادَلُوكَ ﴿فِي أُمُورِ الدِّينِ ﴿فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿فِي جَازِيَتِكُمْ عَلَيْهِ .

[٦٩] ﴿اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ﴿أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ وَالْكَفَّارُ ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿مَنْ أَمَرَ الدِّينَ .

[٧٠] ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴿وَمَنْهُ أَمْرٌ هَوَاءَ الْكَفَّارِ ﴿إِنَّ ذَلِكَ ﴿الْعِلْمُ مُثَبَّتٌ ﴿فِي كِتَابٍ ﴿هُوَ الْوَحْيُ الْمَحْفُوظُ ﴿إِنَّ ذَلِكَ ﴿الَّذِي ثَبَتَ فِي الْكِتَابِ ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿سَهْلٌ .

[٧١] ﴿وَيُعِيدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴿مِنَ الْأَصْنَامِ ﴿مَا لَمْ يَنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا ﴿حُجَّةٌ تَدُلُّ عَلَى جَوَازِ عِبَادَتِهِ ﴿وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ ﴿فَلَا عِلْمَ وَلَا دَلِيلَ عَلَى صِحَّةِ عِبَادَتِهِ ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ ﴿أَنْفُسُهُمْ بِالْشُرْكِ ﴿مَنْ نَصِيرٌ ﴿يُدْفَعُ عَنْهُمْ الْعَذَابَ .

[٧٢] ﴿وَإِذَا تَتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٌ ﴿وَاضْحَاتٌ ﴿تَعْرِفُ ﴿تَرَى ﴿فِي وَجْهِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ ﴿الْإِنْكَارَ لِمَا تَكْرَهُ نَفْسُهُمْ مِنَ الْآيَاتِ ﴿يَكَادُونَ يَسْطُونَ ﴿يَبْطِشُونَ ﴿بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا ﴿يَقْرَأُونَ لَهُمْ آيَاتِ الْقُرْآنِ ﴿قُلْ أَفَأَنْبِئُكُمْ ﴿أَخْبِرْكُمْ ﴿بِشَرِّ مِمَّنْ ذَلِكُمْ ﴿مَنْ غِيظَكُمْ عَلَى الَّذِينَ يَتْلُونَ، وَ(كَمْ) لِلْخُطَابِ، هُوَ «النَّارُ» فِي الْآخِرَةِ ﴿وَعِندَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبَشَّرَ الْمَصِيرَ ﴿أَيَّ بَشَرِ النَّارِ مَرْجِعًا وَمَحَلًّا لَهُمْ .

الَّذِينَ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ وَأَلْفَاك تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بَيَاضَةً إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ وَرَجِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يَمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنَسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنْزِعُ عَنْكَ فِي الْأَمْرِ وَاذْعًا إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٌ ﴿٦٧﴾ وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَيُعِيدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تَتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٌ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قُلْ أَفَأَنْبِئُكُمْ بِشَرِّ مِمَّنْ ذَلِكُمُ النَّارُ وَعِندَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبَشَّرَ الْمَصِيرَ ﴿٧٢﴾

[٧٣] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبٌ مِثْلُ﴾ لَا أَصْنَامَكُمْ ﴿فَاسْتَمِعُوا﴾ له إن الذين تدعون من دون الله ﴿من الأصنام﴾ ولن يخلقوا ذباباً ﴿أي ولو شيئاً صغيراً كالذباب﴾ ﴿ولو اجتمعوا له﴾ اجتمع كل الأصنام لخلقه ﴿وإن يسلبهم الذباب شيئاً﴾ بأن يأخذ منهم شيئاً فيطير ﴿لا يستنقذوه﴾ لا يقدرّون على إرجاعه ﴿منه﴾ من الذباب، فقد كانوا يطلون أصنامهم بالعطر فيأتي الذباب فيلمسه فلا يقدرّون على حفظ ذلك العطر وإرجاعه منه ﴿ضعف الطالب﴾ العابد والمطلوب ﴿المعبود﴾.

[٧٤] ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ ما عظموه حق عظمتهم حيث أشركوا به ﴿إن الله لقوي﴾ والأصنام لا قوة لها ﴿عزيز﴾ بخلاف الصنم الذليل.

[٧٥] ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي﴾ يختار ﴿من الملائكة رسلاً﴾ إلى أنبيائه ﴿ومن الناس﴾ رسلاً إلى البشر ﴿إن الله سميع﴾ بأقوالهم ﴿بصير﴾ بأفعالهم.

[٧٦] ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ ما مضى وما يأتي من أحوال الملائكة والأنبياء ﴿وإلى الله ترجع الأمور﴾ في يوم القيامة فيجازي الكل حسب عمله.

[٧٧] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ تفوزون.

[٧٨] ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ بما يلزم من

الجهاد^(١) ﴿هو اجتباكم﴾ اختاركم لدينه ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ من ضيق بل أحكامه سهلة ﴿ملة﴾ اختار لكم طريقه ﴿أيكم إبراهيم﴾ فإن دين إبراهيم عليه السلام كان التوحيد، لا اليهودية والنصرانية والشرك ﴿هو﴾ الله ﴿سماكم المسلمين من قبل﴾ حيث قال إبراهيم عليه السلام: ﴿ومن ذريتنا أمة مسلمة﴾^(٢) ﴿وفي هذا﴾ أي القرآن ﴿ليكون﴾ لام العاقبة أي اختاركم ليشهد ﴿الرسول شهيداً عليكم﴾ بالطاعة ﴿و﴾ لـ ﴿تكونوا شهداء على الناس﴾ بأن بلغت أوامر الرسول عليه السلام، ﴿فأتيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله﴾ تمسكوا بدين الله ﴿هو مولاكم﴾ وليكم والمتولي لأموركم ﴿فنعمة المولى﴾ ونعم النصير ﴿الناصر﴾.

يَتَّيْهَا النَّاسُ ضَرْبٌ مِثْلُ فَاسْتَمِعُوا إِلَيْكَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٧٦﴾ يَتَّيْهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَعَكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾

سُورَةُ الْحَجِّ

(١) الجهاد: ممارسة الأمر الشاق وأصله من الجهد.

(٢) سورة البقرة: ١٢٨.

۲۳: سورة (المؤمنون)

مكية آیاتها مائة وثمانی عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

- [۱] ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ فاز بخیر الدنيا والآخرة ﴿المؤمنون﴾ .
 [۲] ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ متذللون لله .
 [۳] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ﴾ الذي لا فائدة فيه من قول أو فعل ﴿مَعْرُضُونَ﴾ لا يلتفتون إليه ولا يقاربونه .
 [۴] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ مؤدون .
 [۵ - ۶] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ * إلا على أزواجهم ﴿زَوَاجَتِهِمْ﴾ أو ما ملكت أيماهم ﴿إِمَانَهُمْ﴾ فإنهم غير ملومين ﴿لَا يَلَامُونَ﴾ شرعاً إذا استعملوا فروجهم بالنسبة إلى زوجاتهم وإيمانهم .
 [۷] ﴿فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ﴾ طلب غير ذلك المباح من الفرج ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ تعدوا حدود الله .
 [۸] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ﴾ ما أتمنه الناس عندهم ﴿وَعَهْدِهِمْ﴾ مع الله ومع الناس ﴿رَاعُونَ﴾ يراعون فلا يخونون ولا ينقضون .
 [۹] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ فيؤدونها في أوقاتها .

[۱۰ - ۱۱] ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ * الذين يرثون

الفردوس ﴿الجنة﴾ هم فيها ﴿فِي الْفَرْدُوسِ﴾ خالدون ﴿دَائِمُونَ﴾ .

[۱۲] ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سَلَالَةٍ﴾ خلاصة وصفرة ﴿مِنْ طِينٍ﴾ .

[۱۳] ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نَفْثَةً﴾ منياً ، لأن الطين يتبدل نباتاً ثم مأكلاً ثم دماً ثم منياً ﴿فِي قَرَارٍ﴾ الرحم ﴿مَكِينٍ﴾ مستحکم محفوظ .

[۱۴] ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلَقَةً﴾ دماً جامداً ﴿فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مَضْغَةً﴾ قطعة لحم ﴿فَخَلَقْنَا الْمَغْضَةَ عِظَامًا﴾ بأن صلبناها حتى صارت عظاماً ﴿فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا﴾ أثبتنا اللحم على العظام ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ﴾ خلقناه ﴿خَلْقًا آخَرَ﴾ بإعطاء الروح له ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ﴾ دام ذا خير ﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ فإن كل صانع لشيء يسمى خالقاً .

[۱۵] ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ المذكور من خلق الإنسان ﴿لَمَيِّتُونَ﴾ .

[۱۶] ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَبْعُونَ﴾ تحيون للحساب .

[۱۷] ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ﴾ سموات لأنها طرق الملائكة والكواكب ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾ بل ندبرها ونعرف أمورها .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾
 وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ
 فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَى
 أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾
 فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ
 لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ
 يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَكُونُونَ
 الْفَرْدُوسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ
 سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نَفْثَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١٣﴾
 ثُمَّ خَلَقْنَا النَّفْثَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مَضْغَةً فَخَلَقْنَا
 الْمَضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا
 آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ
 لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ
 خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴿١٧﴾

[١٨] ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ﴾ بمقدار ما علمنا من الصلاح ﴿فَأَسْكَنَاهُ فِي الْأَرْضِ﴾ جعلناه مستقراً فيها ﴿وَأَنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ﴾ بذلك الماء بالتصعيد إلى السماء أو الإعدام ﴿لِقَادِرُونٍ﴾.

[١٩] ﴿فَأَنشَأْنَا﴾ خلقنا ﴿لَكُمْ بِهِ﴾ بالماء ﴿جَنَّاتٍ﴾ بساتين ﴿مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَكُمْ فِيهَا﴾ في تلك الجنات ﴿فَوَاكِهَ كَثِيرَةٍ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ تتعيشون.

[٢٠] ﴿وَشَجَرَةٍ﴾ عطف على (جنات) ﴿تَخْرُجُ مِنْ طُورٍ جَبَلٍ﴾ جبل ﴿سِينَاءٍ﴾ محل في أطراف مصر ﴿تَنْبُتُ﴾ تخرج ﴿بِالدَّهْنِ﴾ متلبساً بالدهن وهو الزيتون ﴿وَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكُونُونَ إِدَاماً﴾ أي إدام ﴿لِلْكَالِينَ﴾ فإن الزيتون يكون إداماً.

[٢١] ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ﴾ الإبل والبقر والغنم ﴿لَعِبْرَةً﴾ اعتباراً دالاً على وجود الله ﴿نَسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بَطُونِهَا﴾ من اللبن ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ﴾ كالركوب والحمل والجلد وما أشبه ﴿وَمِنْهَا﴾ من لحومها ﴿تَأْكُلُونَ﴾.

[٢٢] ﴿وَعَلَيْهَا﴾ على الإبل في البر ﴿وَعَلَى الْفُلْكِ﴾ السفينة في البحر ﴿تَحْمَلُونَ﴾.

[٢٣] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ عذابه.

[٢٤] ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الْأَشْرَافُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ خاطبوا أتباعهم ﴿يُرِيدُ أَنْ يَمْلِكَا بَيْنَ يَدَيْهِمَا تُجَافِيانِ﴾

عليكم ﴿يسودكم﴾ ولو شاء الله ﴿إرسال الرسول﴾ لأنزل ملائكة ﴿يؤدوا أحكامه إلى الناس﴾ ما سمعنا بهذا الذي يدعوننا نوح عليه السلام إليه ﴿في آياتنا الأولى﴾ في الأمم الماضية.

[٢٥] ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جَنَّةٌ﴾ جنون وكلامه صادر عن جنون ﴿فَتَرَبَّصُوا بِهِ﴾ انتظروا بنوح عليه السلام ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ يفيق عن جنونه أو حين يموت.

[٢٦] ﴿قَالَ﴾ نوح عليه السلام: ﴿رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَبُونَ﴾ بسبب تكذيبهم لي فلم يبق إلا نصرتك.

[٢٧] ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ برعايتنا وإعانتنا لك ﴿وَوَحَيْنَا﴾ وتعليمنا لك ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ بعذاب القوم ﴿وَفَارَ التَّنُورَ﴾ ارتفع الماء منه ﴿فَاسْلُكْ﴾ أدخل ﴿فِيهَا﴾ في السفينة ﴿مَنْ كُلٌّ﴾ من أنواع الحيوان ﴿زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ ذكر وأنثى ﴿وَوَافِرَ الْأَنْعَامِ﴾ عائلتك ﴿إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ بإهلاكه ﴿مِنْهُمْ﴾ من أهلكت زوجته الطالحة وولده الفاسق ﴿وَلَا تَخَاطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ لا تكلمني يا نوح في إمهال الكفار ﴿إِنَّهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ يغرقون قطعاً فلا مجال لإمهالهم.

وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَهُ فِي الْأَرْضِ وَأَنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لِقَادِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهَ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةٍ تَخْرُجُ مِنْ طُورٍ سِينَاءٍ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَيْغُ اللَّاحِلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنْ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ لِّتُفَكِّرُوا وَمِمَّا فِي بَطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ بِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَمْلِكَا بَيْنَ يَدَيْهِمَا تُجَافِيانِ الْمَلَائِكَةَ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آيَاتِنَا الْأُولَىٰ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جَنَّةٌ فَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَبُونَ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورَ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تَخَاطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٢٧﴾

[٢٨] ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ﴾ ركبت ﴿أنت ومن معك﴾ من المؤمنين ﴿على الفلك﴾ فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين ﴿الذين ظلموا أنفسهم بالشرك﴾.

[٢٩] ﴿وقل رب أنزلني﴾ في السفينة ﴿منزلاً مباركاً﴾ كثير الخير ﴿وأنزل خير المنزلين﴾.

[٣٠] ﴿إن في ذلك﴾ أمر نوح ﷺ وقومه ﴿آيات﴾ عبراً لمن أراد الاعتبار ﴿وإن﴾ مخففة من الثقلة ﴿كنّا لمبتلين﴾ مختبرين الناس لنجازيهم بما عملوا.

[٣١] ﴿ثم أنشأنا من بعدهم﴾ أي بعد قوم نوح ﷺ ﴿قروناً﴾ أمة، ولعله عاد قوم هود ﷺ ﴿آخرين﴾.

[٣٢] ﴿فأرسلنا فيهم رسولاً﴾ منهم ﴿من نفس قبيلتهم﴾ فقال لهم: ﴿أن اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾ أفلا تتقون ﴿عذاب الله﴾.

[٣٣] ﴿وقال الملأ﴾ الأشراف ﴿من قومه الذين كفروا وكذبوا بقاء الآخرة﴾ بأن أنكروا يوم القيامة ﴿وأنرفناهم﴾ نعمناهم ﴿في الحياة الدنيا ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تاكلون منه ويشرب مما تشربون﴾ والبشر لا يكون رسولاً.

[٣٤] ﴿ولئن أطعتم بشراً مثلكم﴾ فيما يأمركم به بزعم أنه من جانب الله ﴿إنكم إذا لخاسرون﴾ باتباعه.

[٣٥] ﴿أيعدكم أنكم إذا متّم وكنتم تراباً﴾ صارت لحومكم تراباً ﴿وعظماً أنكم مخرجون﴾ من قبوركم أحياء لأجل الحساب.

[٣٦] ﴿هيهات هيهات﴾ بعيد بعيد ﴿لما توعدون﴾ من الحياة بعد الموت.

[٣٧] ﴿إن هي﴾ ما هي الحياة ﴿إلا حياتنا الدنيا﴾ القريبة فقط ﴿نموت ونحيا﴾ يموت قوم ويحيا قوم ﴿وما نحن بمبعوثين﴾ بمحيون بعد الموت.

[٣٨] ﴿إن هو﴾ ما هو ﴿إلا رجل افترى على الله كذباً﴾ فيما ادعى من الرسالة ﴿وما نحن له بمؤمنين﴾.

[٣٩] ﴿قال رب انصرنني﴾ عليهم ﴿بما كذبون﴾ بسبب تكذيبهم لي.

[٤٠] ﴿قال﴾ الله: ﴿عما قليل﴾ بعد زمان قليل ﴿ليصبحن نادمين﴾ لتكذيبهم.

[٤١] ﴿فأخذتهم الصيحة﴾ صاح بهم جبرئيل ﷺ فأهلكهم ﴿بالحق﴾ حيث استحقوا العذاب ﴿فجعلناهم غثاء﴾ هو الذي يحتمله السيل من النفايات، شبهوا به في عدم الروح وعدم ترتب الفائدة عليه ﴿فبعداً﴾ أي أبعدوا عن الرحمة بعداً ﴿للقوم الظالمين﴾.

[٤٢] ﴿ثم أنشأنا من بعدهم قروناً آخرين﴾ جماعات أخر.

فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفَلَكَ فَقُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنزَلاً مَبَارَكاً وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا أُخَرَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ﴿٣٢﴾ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنَ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا الْآخِرَةَ وَأَتَوْنَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَيَّ كُلِّ مَمَاتٍ كُلُّونَ مِنْهُ وَيَشْرَبْ وَمِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَسِرُونَ ﴿٣٥﴾ أَيْعِدُكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا أَنْكُمْ تُخْرَجُونَ ﴿٣٦﴾ هِيَاهُنَّ هِيَاهُنَّ لَمَّا تَوْعَدُونَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَبُونَ ﴿٤٠﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ﴿٤١﴾ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ فَعَجَّلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبَعَدَ الْفُورِ الْظَّالِمِينَ ﴿٤٢﴾ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا أُخَرَ ﴿٤٣﴾

[٤٣] ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا﴾ بأن تموت قبل وصول أجلها ﴿وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ بأن يصل وقت أجلها ولا تموت.

[٤٤] ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَاءً﴾ متواترين يتبع بعضهم بعضاً ﴿كَلِمًا جَاءَ أُمَّةً رُسُولُهَا كَذِبُهُ فَاتَّبَعْنَاهُمْ بِعُضَا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبِعَدَا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون يتأخرون وأسلطان مبين ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾ فاستكبروا وكانوا قوماً عاقلين ﴿فَقَالُوا أَنْتُمْ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَبِيدُونَ﴾ فكذبوهما فكانوا من المهلكين ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ وجعلنا

[٤٥] ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا﴾ بأدلتنا ﴿وَسُلْطَانًا﴾ حجة ﴿مبين﴾ ظاهر.

[٤٦] ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾ أشرف قومه ﴿فَاسْتَكْبَرُوا﴾ عن الإيمان ^(١) ﴿وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ﴾ متكبرين.

[٤٧] ﴿فَقَالُوا أَنْتُمْ لِبَشَرَيْنِ﴾ موسى وهارون ﴿مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا﴾ بنو إسرائيل ﴿لَنَا عَابِدُونَ﴾ خاضعون فكيف نؤمن بمن لا قوم له.

[٤٨ - ٤٩] ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ﴾ ولقد آتينا موسى الكتاب ﴿التوراة﴾ لعل بني إسرائيل ﴿يَهْتَدُونَ﴾.

[٥٠] ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ﴾ المسيح ﴿وَأُمَّهُ آيَةً﴾ دالة على قدرة الله بالإيلاد من غير أب ﴿وَأَوَيْنَاهُمَا﴾ أسكناهما ﴿إِلَى رَبْوَةٍ﴾ مرتفع من الأرض ﴿ذَاتِ قُرَارٍ﴾ استواء يستقر عليها الإنسان ﴿وَمَعِينٍ﴾ ماء جار.

[٥١] وقد خاطبنا الأنبياء ﷺ بقولنا: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً﴾ عملاً صالحاً ﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ﴾

[٥٢] ﴿وَأَنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ لأن المؤمنين في كل زمان بمنزلة أمة واحدة ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ﴾ الواحد ﴿فَاتَّقُون﴾ اخشوا عقابي.

[٥٣] ﴿فَنَقُطِعْهُمْ﴾ الأمر ﴿أمرهم﴾ ﴿بَيْنَهُمْ زُبُرًا﴾ كتباً يدينون بها ﴿كُلِّ حُزْبٍ﴾ فريق وجماعة ﴿بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ من الدين ﴿فَرِحُونَ﴾ لظنهم أنه الحق وما عداه باطل.

[٥٤] ﴿فَذَرَهُمْ﴾ دعهم ﴿فِي غَمَرَتِهِمْ﴾ في جهالتهم ﴿حَتَّى حِينٍ﴾ يموتون حيث يعاقبون هناك.

[٥٥] ﴿أَيَحْسَبُونَ﴾ يظنون ﴿أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ﴾ نعطيهم ﴿بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَيْنٍ﴾.

[٥٦] ﴿نَسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ نسارع لهم فيما فيه خيرهم، هل يظنون ذلك؟ ﴿بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ إنه لأجل الاستدراج لا لأجل الخير.

[٥٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ﴾ خوف ﴿رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ خائفون.

[٥٨] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يَوْمَنُونَ﴾ يصدقون.

[٥٩] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ لا يجعلون له شريكاً.

مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَاءً كُلِّ مَاجَاءٍ أُمَّةً رُسُولُهَا كَذِبُهُ فَاتَّبَعْنَاهُمْ بِعُضَا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبِعَدَا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ يَتَأَخَّرُونَ وَأَسْلَطْنَا مُبِينَ ﴿٤٥﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوا أَنْتُمْ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَبِيدُونَ ﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٨﴾ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قُرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٤٩﴾ يَتَأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوَا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿٥١﴾ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلِّ حُزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٢﴾ فَذَرَهُمْ فِي غَمَرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ ﴿٥٣﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَيْنٍ ﴿٥٤﴾ نَسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يَوْمَنُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾

[٦٠] ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ عَظْمًا مِّمَّا آتَوْا وَيُعْطُونَ ﴿٦٠﴾ مَا آتَوْا﴾ أعطوا من الأموال ﴿وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ﴾ خائفة أن لا يقبل منهم ﴿أَنَّهُمْ﴾ لأنهم يوقنون ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ يرجعهم إلى ربهم العالم بخفيات نفوسهم فلا يقبل إنفاقهم لاحتمال رياء أو سمعة فيه.

[٦١] ﴿أُولَٰئِكَ﴾ الذين جمعوا هذه الصفات هم الذين يسارعون في الخيرات وهم لها ﴿لَأَجَلَ﴾ تلك الخيرات ﴿سَابِقُونَ﴾ إلى الجنة، كما قال تعالى: (وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ) (١).

[٦٢] ﴿وَلَا تَكُلْفُ نَفْسًا إِلَّا وَسْعَهَا﴾ ما تتمكن أن تأتي به في يسر ﴿وَلَدِينَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ﴾ بما عملوا ﴿وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ﴾ لا ينقص من ثوابهم كما لا يزيد في عقاب المسيئين.

[٦٣] ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ﴾ غفلة ﴿مِنْ هَٰذَا﴾ الكتاب وهذا كناية عن عدم اعتنائهم بما يكتب عنهم لأنهم منكرون له ﴿وَلَهُمْ أَعْمَالٌ﴾ سيئة ﴿مِنْ دُونِ ذَٰلِكَ﴾ سوى ذلك الكفر ﴿هُمْ لَهَا﴾ لتلك الأعمال السيئة ﴿عَامِلُونَ﴾.

[٦٤] ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ﴾ متنعيمهم (٢)، والنسبة إليهم مع أن العذاب شامل للجميع لأجل أنهم الرؤوس في الضلال والإضلال ﴿بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجَارُونَ﴾ يضجون من شدة العذاب.

[٦٥] فيقال لهم: ﴿لَا تَجَارُوا الْيَوْمَ﴾ فلا يفيدكم الجأر ف﴿إِنكُمْ مَنَا لَا تَنْصُرُونَ﴾.

[٦٦] ﴿قَدْ كَانَتْ آيَاتِي﴾ القرآن ﴿تَتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ أي الكافرون ﴿ذَكَتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنْكُصُونَ﴾ ترجعون القهقري أي تكفرون.

[٦٧ - ٦٨] ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ﴾ مكذبين بالقرآن ﴿سَامِرًا﴾ أي تسمرون وتحدثون بذكر القرآن والطعن فيه ﴿تَهْجُرُونَ﴾ تقولون كلاماً هجراً وهذياناً. ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾ يتدبروا القرآن، والاستفهام للإنكار ﴿أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ فكيف يكفرون بالقرآن والرسول ﷺ والحال أنه قد جاء آباءهم رسل وكتب.

[٦٩] ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ﴾ بالصدق والأمانة وكمال العقل ﴿فَ﴾ لذا ﴿هُمْ لَهُ﴾ للرسول ﷺ ﴿مَنْكُرُونَ﴾ نعم كل ذلك كان، فقد تدبروا القرآن وعلموا إعجازه، وقد جاء آباءهم رسل وكتب وعرفوا رسولهم ولكنهم معاندون.

[٧٠] ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جَنَّةٌ﴾ جنون ﴿بَلْ﴾ ليس شيء من ذلك وإنما ﴿جَاءَهُمُ﴾ الرسول ﷺ ﴿بِالْحَقِّ وَكَثُرَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ كارهون، لأنه مخالف لشهواتهم.

[٧١] ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ﴾ وميولهم ﴿لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ لأنهم يريدون أشياء وتغييرات في الكون توجب الفساد ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُمْ﴾ أعطيناهم ﴿بِذِكْرِهِمْ﴾ بما فيه تذكير لهم ﴿فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾.

[٧٢] ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا﴾ أجرًا على تبليغ الرسالة ولذا يفرون من الإيمان بك ﴿فَخَرَجَ﴾ أجر ﴿رَبِّكَ خَيْرٌ﴾ من أجرهم، فإن أجرك على الله ﴿وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ فرزقك منه تعالى لا منهم.

[٧٣] ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ فلا اعوجاج لطريقك حتى يكون فرارهم لأجل اعوجاج الطريق.

[٧٤] ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَالِكُونَ﴾ لمنحرفون عنه.

وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ رَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾
أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا تَكُلْفُ
نَفْسًا إِلَّا وَسْعَهَا وَلَدِينَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾
بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرٍ مِّنْ هَٰذَا وَهُمْ أَعْمَلُونَ مِنْ دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا
عَامِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْتَرُونَ
﴿٦٤﴾ لَا تَجْتَرُوا الْيَوْمَ إِنَّا كُنَّا لَا تَنْصُرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي
تَتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُثِّرُوا عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنْكُصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ
بِهِ سَمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ
آبَاءَهُمْ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَمْ يَمْنُكُرُوا
﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جَنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ وَكَثُرَ لَهُمُ الْحَقُّ
كَرِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ
وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ
ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَجَ رِبِّكَ خَيْرٌ
وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾
وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَالِكُونَ ﴿٧٤﴾

﴿٧٥﴾ «ولو رحمناهم وكشفنا» رفعنا «ما بهم من ضر»
شدة هم فيها «لللجوا» أصروا «في طغيانهم» كفرهم
وظلمهم «يعمّهون» يترددون ولا يشكرون الله تعالى .
﴿٧٦﴾ «ولقد أخذناهم بالعذاب» بالشدائد «فما
استكانوا» ما خضعوا «لربهم وما يتضرعون» لا يرغبون
إليه في الدعاء والضراعة .

﴿٧٧﴾ «حتى إذا فتحنا عليهم باباً» ذا عذاب شديد «بأن
نعذبهم بجوع أو خوف أو ما أشبه» «إذا هم فيه مبلسون»
متحIRON آيسون من كل خير .

﴿٧٨﴾ «وهو الذي أنشأ» خلق «لكم السمع والأبصار
والأفئدة» جمع فؤاد بمعنى القلب «قليلًا ما» تأكيد للقلة
«تشكرون» .

﴿٧٩﴾ «وهو الذي ذرأكم» أوجدكم «في الأرض وإليه»
إلى حسابه «تخشرون» تجمعون .

﴿٨٠﴾ «وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل
والنهار» أي كون أحدهما يعقب الآخر «أفلا تعقلون»
أفلا تستعملون عقولكم حتى تدركوا إن كل شيء منه
تعالى .

﴿٨١﴾ «بل قالوا» هؤلاء الكفار «مثل ما قال الأولون»
الكفار من آبائهم .

﴿٨٢﴾ «قالوا إذا متنا وكنا تراباً» بأن تبدل لحمنا إلى

﴿٧٥﴾ وَلَوْ رَحَّمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلْجَوَاءُ طُغْيَانِهِمْ
يَعْمَهُونَ ﴿٧٦﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ
وَمَا يَضُرُّوهُنَّ حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ
إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْسُونَ ﴿٧٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ
وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ
وَإِلَيْهِ تُخْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ
الَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ
الْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوا إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَأَنَّا
لَمَعْمُورُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِن هَذَا
إِلَّا أَصْطِيرٌ ﴿٨٣﴾ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِن
كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾
قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾
سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا نُنْفِذُ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ
مُلْكُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن
كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنِّي تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾

تراب «وعظاماً أنا لمبعوثون» في القيامة، قالوا ذلك على وجه الإنكار .

﴿٨٣﴾ «لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا» المعاد «من قبل» أي وعد آباؤنا بذلك قبل هذا «إن هذا» أي ما هذا الوعد «إلا
أصاطير» خرافات «الأولين» ممن ادعوا النبوة .

﴿٨٤﴾ «قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون» ذلك فأجيبوني .

﴿٨٥﴾ «سيقولون لله» لأنهم كانوا يعترفون بالله وإنما يجعلون الأصنام وسطاء وشركاء «قل أفلا تذكرون» بأن من قدر
على الابتداء يقدر على الإعادة، أو بأن من له كل شيء هو الله، لا غيره من أصنامكم .

﴿٨٦ - ٨٧﴾ «قل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم * سيقولون لله قل أفلا تتقون» عقابه باتباع أوامره .

﴿٨٨﴾ «قل من بيده ملكوت كل شيء» أي إن التصرف في كل شيء تحت إرادته «وهو يجير» يغيث من يشاء
«ولا يجار عليه» ولا أحد يغيثه لأنه لا يحتاج إلى إغاثة «إن كنتم تعلمون» .

﴿٨٩﴾ «سيقولون لله قل فأتى» فمن أين وكيف «تسحرون» تكونون كالمسحور يخيل إليه الباطل حقاً والحق باطلاً .

[٩٠] ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ﴾ يتنا لهم ما هو حق من التوحيد والمعاد ﴿وإنهم لكاذبون﴾ في ادعاء الولد والشريك ونفي المعاد.

[٩١] ﴿ما اتخذ الله من ولد﴾ المسيح وعزير عليهما السلام والملائكة ﴿وما كان معه من إله﴾ شريك له ﴿إذا﴾ أي إذا كان له شريك ﴿لذهب كل إله بما خلق﴾ بأن انحاز مع مخلوقاته في جانب ﴿ولعلا بعضهم على بعض﴾ بالتغالب كما يفعل الملوك، وقد تقدم استحالة ذلك ﴿سبحان الله﴾ إنه منزّه ﴿عما يصفون﴾ من الولد والشريك.

[٩٢] ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ ما غاب عن الحواس وما حضر لديها ﴿فتعالى﴾ ارتفع ﴿عما يشركون﴾ عن شركهم.

[٩٣] ﴿قل رب إنا﴾ أصله (إن) الشرطية و(ما) الزائدة ﴿تربني ما يوعدون﴾ من عذابهم والنعمة عليهم.

[٩٤] ﴿رب فلا تجعلني في القوم الظالمين﴾ أي معهم كي لا يصيبني ما أصابهم، وهذا دعاء لاستمرار لطفه.

[٩٥] ﴿وإنا على أن نريك ما نعدهم﴾ من العذاب ﴿لقادرون﴾ ولكن نؤخرهم للوصول إلى أجلهم المسمى.

[٩٦] ﴿ادفع به﴾ الكيفية ﴿التي هي أحسن﴾ الكيفيات ﴿السيئة﴾ مفعول (ادفع) ﴿نحن أعلم بما يصفون﴾ الله به من الشرك والولد فتجازيهم عليه.

[٩٧ - ٩٨] ﴿وقل رب أعوذ بك من همزات﴾ وساوس ^(١) ﴿الشياطين﴾ * وأعوذ بك رب أن يحضرون﴾ أي يحضر الشياطين عندي لإغوائي.

[٩٩] ﴿حتى إذا جاء أحدهم﴾ أي الكفار ﴿الموت﴾ بأن قارب موته ﴿قال رب ارجعون﴾ أي ارجعوا بي وردوني إلى الدنيا.

[١٠٠] ﴿لعلني أعمل صالحاً فيما تركت﴾ من الأموال بأن أنفق منها حق الله ﴿كلاً﴾ لا رجوع ﴿إنها﴾ أي الكلمة التي يقولها ﴿كلمة هو قائلها﴾ فهي مجرد لفظ لا أثر له ﴿ومن ورائهم برزخ﴾ وهو ما بين الدنيا والآخرة ﴿إلى يوم يبعثون﴾ في الآخرة.

[١٠١] ﴿فإذا نفخ في الصور﴾ بوق ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام لإحياء الناس ﴿فلا أنساب﴾ نسب يفيد ﴿بينهم يومئذ ولا يتساءلون﴾ لا يسأل بعضهم بعضاً خوفاً من أن يتلى به، ولأن كل إنسان مشغول بنفسه.

[١٠٢] ﴿فمن ثقلت موازينه﴾ بالطاعات ﴿فأولئك هم المفلحون﴾ الفاتزون.

[١٠٣] ﴿ومن خفت موازينه﴾ بأن كانت معاصيه أكثر ﴿فأولئك الذين خسروا أنفسهم﴾ ضيعوها وهم ﴿في جهنم خالدون﴾ باقون دائماً.

[١٠٤] ﴿تلفح وجوههم النار﴾ تضربها فتحرقها ^(٢) ﴿وهم فيها كالخون﴾ عابسون تتقلص شفاههم من شدة الاحتراق.

(١) والهمزة في اللغة: شدة الدفع.

(٢) لفحت وجهه النار: أصابته.

[١٠٥] يقال لهم: ﴿الَمْ تَكُنْ آيَاتِي﴾ كالقرآن ﴿تتلى عليكم فكنتم بها﴾ بالآيات ﴿تكذبون﴾.

[١٠٦] ﴿قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا﴾^(١) بعد أن تمت الحجة علينا ﴿وكنا قوماً ضالين﴾ اعتراف منهم بأنهم ضلوا عن الحق.

[١٠٧] ﴿ربنا أخرجنا منها﴾ من النار ﴿فإن عدنا﴾ إلى التكذيب ﴿فإننا ظالمون﴾ ظلماً يقينياً.

[١٠٨] ﴿قال﴾ الله: ﴿اخشوا﴾ اسكتوا سكوت هوان ﴿فيها﴾ في النار ﴿ولا تكلمون﴾ لا تكلموني في رفع العذاب، وذلك لأن الله عالم بأنهم إذا رجعوا عملوا مثل أعمالهم السابقة.

[١٠٩] ﴿إنه﴾ إن الشأن ﴿كان فريق من عبادي﴾ المؤمنين ﴿يقولون ربنا آمنا فأغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين﴾.

[١١٠] ﴿فاتخذتموهم﴾ يا معاشر الكفار ﴿سخرى﴾ هزواً ﴿حتى أنسوكم ذكري﴾ بأن تركوكم وشأنكم إلى أن نسيت ذكر الله^(٢) ﴿وكنتم منهم تضحكون﴾ استهزاء بهم.

[١١١] ﴿إني جزيتهم اليوم بما صبروا﴾ بسبب صبرهم في الدنيا على أوامري ﴿أنهم هم الفائزون﴾ جزاؤهم فوزهم بالجنة والثواب.

[١١٢] ﴿قال﴾ الله للكفار: ﴿كم لبثتم﴾ بقيتم ﴿في

الْم تَكُنْ آيَاتِي تَتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالُوا خَسِرْنَا فِيهَا وَلَا تَكَلِّمُونَا ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا فَرِيقَ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سَخِرَاءَ حَتَّىٰ أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا إِنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿١١١﴾ قُلْ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَتَنَّاكَ الْوَدَّاعِينَ ﴿١١٣﴾ قُلْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنْتُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنْمَّا خَلَقْنَاكُمْ عَشْيَاءَ وَأَنْتُمْ كُنْتُمْ إِلَّا نَارًا تَرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١١٨﴾

سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ

الأرض عدد سنين﴾.

[١١٣] ﴿قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم﴾ لأنهم استقلوا بقاءهم في الدنيا ﴿فاسأل العاذين﴾ الذين عدوا بقاءنا بالساعات.

[١١٤] ﴿قال إن﴾ ما ﴿لبثتم إلا قليلاً﴾ بالنسبة إلى مكثكم في النار الذي يطول ﴿لو أنكم كنتم تعلمون﴾ لم تفعلوا ما فعلتم.

[١١٥] ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً﴾ أي لأجل العبث واللغو ﴿وأنكم إلينا﴾ إلى حكمتنا ﴿لا ترجعون﴾.

[١١٦ - ١١٧] ﴿فتعالى الله﴾ عما لا يليق به ﴿الملك الحق﴾ فإنه يحق له الملك دون سواء تعالى ﴿لا إله إلا هو رب العرش الكريم﴾ ذي الكرم والرفعة ﴿ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به﴾ لا دليل له على الإله الآخر ﴿فإنما حسابه عند ربّه﴾ فيجازيه حسب استحقاقه ﴿إنه لا يفلح الكافرون﴾ لا يفوزون بالثواب.

[١١٨] ﴿وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين﴾.

(١) شقوتنا: شقاوتنا.

(٢) أو لاشتغالكم بالاستهزاء بهم.

۲۴: سورة النور

مدنية آیاتها أربع وستون

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

[۱] هذه ﴿سورة أنزلناها وفرضناها﴾ فرضنا ما فيها من الأحكام ﴿وأنزلنا فيها آيات بينات﴾ ظاهرات الدلالة ﴿لعلكم تذكرون﴾ تتعظون بها.

[۲] ﴿الزانية والزاني﴾ فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة ﴿رحمة﴾ ﴿في دين الله﴾ في حكمه فتعطلوا حذّه ﴿إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ وليشهد ليحضر ﴿عذابهما﴾ أي جلدتهما ﴿طائفة﴾ جماعة ﴿من المؤمنين﴾.

[۳] ﴿الزاني لا ينكح﴾ لا يزني ﴿إلا زانية﴾ بزانية غير مشرقة ﴿أو مشرقة والزانية لا ينكحها﴾ لا يزني بها ﴿إلا﴾ زان أو مشرقة وخرم ذلك ﴿الزنا﴾ على المؤمنين.

[۴] ﴿والذين يرمون﴾ يتهمون بالزنا ﴿المحصنات﴾ العفيفات من النساء ﴿ثم لم يأتوا بأربعة شهداء﴾ يشهدون بما ادعوا ﴿فاجلدوهم﴾ أي اجدلوا كل واحد من المدعين ﴿ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً﴾ ما لم يتوبوا ﴿وأولئك هم الفاسقون﴾ الخارجون عن طاعة الله.

[۵] ﴿إلا الذين تابوا من بعد ذلك﴾ القذف ﴿وأصلحو﴾ أعمالهم ﴿فإن الله غفور رحيم﴾.

[۶] ﴿والذين يرمون أزواجهم﴾ زوجاتهم ﴿ولم يكن لهم شهداء﴾ إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين ﴿بأن يحلف أربع مرات إنه صادق في دعواه زنا زوجته﴾.

[۷] ﴿والخامسة﴾ أي يشهد ويحلف شهادة خامسة بهذا اللفظ: ﴿أن لعنة الله عليه﴾ أي على المدعي ﴿إن كان من الكاذبين﴾ في ادعائه زنا زوجته، فإذا حلف الرجل كذلك حُدت المرأة حد الزنا.

[۸] ﴿ويدرو﴾ أي يمنع ويدفع ﴿عنها﴾ عن المرأة ﴿العذاب﴾ الحد ﴿أن تشهد﴾ فاعل (يدرو) ﴿أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين﴾ بأن تحلف أن زوجها كاذب في نسبة الزنا إليها.

[۹] ﴿و﴾ تشهد ﴿الخامسة﴾ بهذا اللفظ: ﴿أن غضب الله عليها إن كان﴾ الزوج ﴿من الصادقين﴾.

[۱۰] ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم﴾ يضع الأشياء مواضعها، لعاجلكم بالعقوبة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ النُّورِ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيْشَهِدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَا يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرُأُ عَنْهَا الْعَذَابَ إِنْ تَشْهَدُ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٨﴾ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾

[١١] ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ﴾ الكذب العظيم فإن بعض زوجات النبي ﷺ رمت مارية القبطية بالزنا، وقيل غير ذلك ﴿عصية﴾ جماعة ﴿منكم لا تحسبوه﴾ أي الإفك ﴿شرّاً لكم﴾ لأنه يوجب الامتحان مما يعود خيره إليكم، كقولك لا تحسب الجهاد شرّاً، مع أنه موجب لإراقة الدماء ﴿بل هو خير لكم لكل امرئ منهم﴾ من العصية ﴿ما اكتسب من الإثم﴾ أي بمقدار كسبه من الإفك وما خاض فيه كثيراً أو قليلاً ﴿والذي تولى كبره﴾ معظمه ﴿منهم له عذاب عظيم﴾ في الدنيا والآخرة.

[١٢] ﴿لولا﴾ هلاً ﴿إذ سمعتموه﴾ سمعتم الإفك أيها المسلمون ﴿ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم﴾ ظن بعضهم ببعض ﴿خيراً﴾ بأن يقول إنه كذب ﴿وقالوا هذا القول﴾ الإفك مبین ﴿ظاهر﴾.

[١٣] ﴿لولا جاءوا عليه﴾ أي على الإفك ﴿بأربعة شهاداء﴾ ليشهدوا بالزنا ﴿فإذ﴾ فحين ﴿لم يأتوا بالشهداء﴾ فأولئك عند الله هم الكاذبون ﴿في نسبتهم الزنا إلى زوجة الرسول ﷺ﴾.

[١٤] ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا﴾ بأن أمهلکم لتتوبوا ﴿والآخرة لمسكم﴾ أصابكم ﴿فيما أفضتم﴾ دخلتم ﴿فيه﴾ من الإفك ﴿عذاب عظيم﴾.

[١٥] ﴿إذ﴾ ظرف لـ ﴿مسكم﴾ ﴿تلقوناه﴾ يرويه بعضكم

لبعض ﴿بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم﴾ إذ كنتم تقولونه عن ظن ﴿وتحسبونه هيناً﴾ سهلاً ﴿وهو عند الله عظيم﴾ لأنه افتراء.

[١٦] ﴿ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون﴾ أي لا يحل ﴿لنا أن نتكلم بهذا﴾ الكلام ﴿سبحانك﴾ بأن تقولوا حين تسمعون نزهك يا الله تنزيهاً ﴿هذا بهتان﴾ كذب ﴿عظيم﴾.

[١٧] ﴿يعظكم الله أن تَعُودُوا﴾ ثلثا ترجعوا ﴿لمثله أبداً﴾ إن كنتم مؤمنين.

[١٨ - ١٩] ﴿وبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم﴾ إن الذين يحبون أن تشيع ﴿الفاحشة﴾ الزنا ﴿في الذين آمنوا﴾ بنسبتها إليهم ﴿لهم عذاب أليم في الدنيا﴾ بإقامة الحد ﴿والآخرة﴾ بعذاب النار ﴿والله يعلم﴾ ما فيه من العقاب والسخط ﴿وانتم لا تعلمون﴾.

[٢٠] ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته﴾ لعاجلكم بالعقاب ﴿وأن الله رؤوف رحيم﴾.

إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشَّهَدَاءِ فَلَوْلِكَ عَذَابُ اللَّهِ هُمْ الَّذِينَ كَذَبُوا ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَسُكَرْتُمْ مَّا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَبَيْنَ اللَّهِ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾

[٢١] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ﴾
طرقه المؤدية إليه، والمراد بها المعاصي ﴿ومن يتبع
خطوات الشيطان فـ﴾ ليعلم ﴿أنه﴾ أي الشيطان ﴿يأمر
بالفحشاء﴾ الإثم الفاحش كالزنا والربا ﴿والمعكر ولولا
فضل الله عليكم ورحمته ما زكي﴾ ما طهر ﴿منكم من
أحد﴾ من دنس المعاصي ﴿أبدأ ولكن الله يزكي من يشاء
والله سميع عليم﴾ ولذا يأمركم بما هو خير لكم.

[٢٢] ﴿وَلَا يَأْتَلِ﴾ لا يحلف ﴿أولوا الفضل﴾ الغنى
﴿منكم والسعة﴾ في المال ﴿أن﴾ لا ﴿يؤتوا﴾ يعطوا من
أموالهم ﴿أولي القربى﴾ أقرباءهم ﴿والمساكين﴾ الفقراء
﴿والمهاجرين﴾ في سبيل الله ﴿الذين هاجروا لأجله سبحانه
وليغفوا﴾ إذا رأوا إساءة ﴿وليصفحوا﴾ أصله إدارة صفح
الوجه إعراضاً، والمراد عدم المبالاة بما بدر من الطرف
من الإساءة ﴿ألا تحبون أن يغفر الله لكم﴾ فإذا أحببتم
غفران الله فاغفروا لمن أساء إليكم، والآية نهي لغالب
الأغنياء الذين يجعلون بعض الأعذار الواهية مبرراً لحلفهم
على ترك الإعطاء ﴿والله غفور رحيم﴾.

[٢٣] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ﴾ يقذفون بالزنا ﴿المحصنات﴾
العفاف ﴿الغافلات﴾ أي التاركات للفواحش ﴿المؤمنات﴾
لعنوا ﴿أبعدوا عن رحمة الله﴾ في الدنيا والآخرة ولهم
عذاب عظيم ﴿في الدنيا بالجلد وفي الآخرة بالنار﴾.

[٢٤] وذلك ﴿يوم تشهد عليهم السنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون﴾ فإن في يوم القيامة تشهد الجوارح
بالجرائم.

[٢٥] ﴿يومئذ﴾ أي في ذلك اليوم ﴿يوقفهم الله دينهم﴾ يعطيهم جزاءهم ﴿الحق﴾ الذي يستحقونه ﴿ويعلمون أن الله هو
الحق المبين﴾ الظاهر، فإنهم لو علموا في الدنيا ذلك لم يرتكبوا الآثام.

[٢٦] ﴿الخبثات﴾ الزانيات من النساء ﴿للخبثين﴾ للزناة من الرجال ﴿والخبثون للخبثات والطيبات﴾ العفيفات
﴿للطيبين﴾ الأعفاء، وهذا كقوله: (الزاني لا ينكح إلا زانية)^(١) ﴿والطيبون للطيبات أولئك﴾ الأطباء من الصنفين
﴿مبرءون مما يقولون﴾ يقول أهل الفسق فيهم من كلمات القذف، لفرض أنهم أطياب ﴿لهم مغفرة﴾ غفران لأجل ما
قذفوا به ﴿ورزق كريم﴾ مقترن بالتكريم لهم.

[٢٧] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا﴾ وتسلموا على أهلها ﴿سلام الاستئذان،
وذلك بأن يقول: السلام عليكم، ثلاث مرّات، فإن أذن له وإلا أنصرف ﴿ذلكم﴾ الاستئذان ﴿خير لكم﴾ من الدخول
فجأة، وأنزلنا هذا الحكم ﴿لعلكم تذكرون﴾ تعظون.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ وَمِنْ يَتَّبِعِ
خُطُواتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ
اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي
مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ
وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ
وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ
الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾
يَوْمَ تُشْهِدُهُنَّ أَلْسِنُهُمْ وَأَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلُهُنَّ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ
﴿يَوْمَذِيقُوهُمْ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ
الْمُبِينُ﴾ الْخَبِيثَاتِ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ
وَالطَّيِّبَاتِ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ
مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ
آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا
وَتَسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾

[٣٢] ﴿وَأَنكِحُوا﴾ زوجوا ﴿الْأَيَامَى﴾ جمع (أَيَم) بمعنى من لا زوج أو لا زوجة له ﴿مِّنكُمْ وَالصَّالِحِينَ﴾ الذين يصلحون للزواج ﴿مِّنْ عِبَادِكُمْ﴾ العبيد ﴿وَأِمَائِكُمْ﴾ جمع أمة ﴿إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يَغْنِمُهمَ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ فلا يمنعكم فقرهم من تزويجهم أو تزويجهم ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ فضله ﴿عَلِيمٌ﴾ بمآل الأمور.

[٣٣] ﴿وَلْيَسْتَغْفِرُوا﴾ ليجهدوا في العفة ﴿الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾ أسباب النكاح ﴿حَتَّى يَغْنِمَهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ فيتمكنوا من النكاح ﴿وَالْعَبِيدَ﴾ الذين يبتغون، يطلبون ﴿الْكِتَابَ﴾ المكتابة وهي أن يقرر المولى والعبد إن جاء العبد بكمية من المال أعتقه ﴿مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ أي العبيد والإماء ﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ تمكناً من أداء المال، أو كانت الكتابة خيراً لهم ﴿وَأَتَوْهُمْ﴾ أعطوهم ﴿مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ بأن حظوا بعض مال الكتابة تخفيفاً لهم ﴿وَلَا تَكْرَهُوا فِتْيَانَكُمْ﴾ جمع فتاة تطلق على البنت الحرة والأمة ﴿عَلَى الْبَغَاءِ﴾ الزنا ﴿إِن أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ عفة، فقد كان بعض أهل الجاهلية يكره فتاته على الزنا ليدر عليه بالمال ﴿لَتَبْتَغُوا﴾ تطلبوا بالإكراه ﴿عَرَضٌ﴾ مال^(١) ﴿الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يَكْرَهُمْ﴾ على الزنا ﴿فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِمْ غَفُورٌ﴾ يغفر لهم إذا تبين ﴿رَحِيمٌ﴾ بهن.

[٣٤ - ٣٦] ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مِّبْيَاتٍ﴾ قد بينت

وَأَنكِحُوا الْأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ لِمَا بَيْنَكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِمُهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَلْيَسْتَغْفِرُوا الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يَغْنِمَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تَكْرَهُوا فِتْيَانَكُمْ عَلَى الْبَغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يَكْرَهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِمْ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبِينَاتٍ وَمَثَلًا لِّلَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورُهُ عَلَى نُورِهِ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ شَاءَ وَبَضْرُبِ اللَّهِ الْأَمْثَلُ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ فِي بُيُوتٍ أُذُنُ اللَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيَذْكُرَ فِيهَا أَسْمُهُمْ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾

وأوضحت ﴿و﴾ أنزلنا أخباراً ﴿مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا﴾ مضوا ﴿مِّنَ الْأُمَمِ﴾ من الأمم ﴿و﴾ أنزلنا ﴿مَوْعِظَةً﴾ وعظاً وإرشاداً ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾ فإنهم المنتفعون بالوعظ. ﴿اللَّهُ نُورٌ﴾ هو الظاهر في نفسه المظهر لغيره، والله سبحانه هكذا، ولذا شبه بالنور ﴿السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مثل نوره ﴿أَحْسَنَ الْأَنْوَارِ وَأَبْهَاءَ﴾ فليس كنور ضعيف، ونوره، أي النور الذي هو ﴿كَمِشْكَاةٍ﴾ كوة في الحائط ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ هو الذي فيه الزيت وعليه الفتيلة ﴿الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾ في قنديل ﴿الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ متلألئ، فإن المصباح في الزجاجية في الكوة يوجب كثرة النور لانعكاسه بسبب الزجاجية وبسبب حصره في الكوة، وذلك المصباح ﴿يُوقَدُ﴾ نوره ﴿مِنْ﴾ زيت ﴿شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾ كثيرة البركة ﴿زَيْتُونَةٍ﴾ بدل شجرة ﴿لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ لا نابتة في طرف الشرق حتى تمنعها المرتفعات الشرقية عن إشراق الشمس عليها حال الشروق، ولا نابتة في طرف الغرب حتى تمنعها المرتفعات الغربية عن إشراق الشمس عليها حال الغروب، بل تشع الشمس عليها في كل النهار مما يسبب جودة زيتها وكثرة ضوء الزيت ﴿يَكَادُ﴾ يقرب ﴿زَيْتُهَا يُضِيءُ﴾ يعطي الضياء لصفائه وتلألؤه ﴿وَلَوْ﴾ وصلية ﴿لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ يضيء قبل أن تصيبه النار وتشتعل فيه ﴿نُورُهُ﴾ مضاعف نوره لقوة زيتة وللزجاجية والكوة ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ﴾ أي نور ذاته المقدسة، بأن يعرف الله سبحانه نفسه ﴿مَنْ شَاءَ﴾ من خلقه بإرسال الرسل وإنزال الكتب ﴿وَيُضِرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ﴾ تقريباً إلى الإفهام ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾. ﴿فِي بُيُوتٍ﴾ يوقد ذلك المصباح في بيوت الله (المساجد) فنور زائد في محل طاهر، كمال الضياء وكمال النزاهة، وهكذا مثل الله سبحانه ضياءً ونزاهة ﴿أُذُنُ اللَّهِ أَنْ تَرْفَعَ﴾ رفعة بنائية ورفعة معنوية، وذلك لأنه ورد في الحديث كراهة علو المنازل كما كره ترفيع ذكر من لا يليق ﴿وَيَذْكُرُ فِيهَا﴾ في تلك البيوت وهي المساجد ﴿أَسْمُهُ﴾ تعالى، فإنه كره الصلاة في أماكن خاصة كما ذكر في الفقه ﴿يُسَبِّحُ﴾ ينزه ﴿لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ بالصباح ﴿وَالْآصَالُ﴾ جمع أصيل، العصر.

[٣٧] ﴿رَجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ﴾

ذكر الخاص بعد العام ﴿عن ذكر الله﴾ عن ﴿إقام﴾ إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً ﴿يوم القيامة﴾ تنقلب تضطرب ﴿فيه﴾ في ذلك اليوم ﴿القلوب والأبصار﴾ فإن الخائف يفكر بقلبه ويجول ببصره ليجد مأمناً.

[٣٨] ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ﴾ أي عدم تلهيهم لأجل طلب الجزاء من الله ﴿أحسن﴾ جزاء ﴿ما عملوا ويزيدهم﴾ يعطيهم أكثر من جزائهم ﴿من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب﴾ أي بلا عذ، وإنما كثيراً زائداً.

[٣٩] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالَهُمْ كَسْرَابٍ﴾ وهو ما يرى في الصحراء كأنه ماء، وذلك بسبب انعكاس أشعة الشمس في الهواء ﴿بقية﴾ أي في قبة، بمعنى القاع وهي الأرض ﴿بحسه﴾ أي يحسب السراب ﴿الظمان﴾ العطشان ﴿ماء حتى إذا جاءه﴾ جاء محل السراب ﴿لم يجده شيئاً﴾ لأنه خيال محض ﴿ووجد الله﴾ قدرته وهيمنته ﴿عنده﴾ أي عند محل السراب، وهكذا الكافر يظن أن له أعمالاً صالحة في الآخرة فإذا جاء إلى الآخرة لم يجد عمله ووجد أمر الله ﴿فوقاه حسابه﴾ أعطاه حسابه كاملاً ﴿والله سريع الحساب﴾ فإن القيامة تأتي بسرعة فإن كل آت قريب.

[٤٠] ﴿أَوْ﴾ أعمالهم في خلوها عن نور الحق ﴿كظلمات

في بحر لحي﴾ عميق وهي الظلمة في قعر البحر ﴿يفشاه﴾ يغطي البحر ﴿موج﴾ يزيد في ظلمة قعره ﴿من فوقه﴾ فوق ذلك الموج ﴿موج﴾ آخر ﴿من فوقه﴾ فوق الموج الثاني ﴿سحاب﴾ يحجب نور الشمس ﴿ظلمات﴾ هذه ظلمات ﴿بعضها فوق بعض﴾ فظلمة السحاب فوق الجميع وظلمة البحر تحت الجميع ﴿إذا أخرج﴾ من في تلك الظلمات ﴿يده﴾ لينظر إليها ﴿لم يكدر براها﴾ لم يقرب من رؤيتها لشدة الظلمة ﴿ومن لم يجعل الله له نوراً﴾ بأن تركه وشأنه حتى أخذته ظلمات الكفر والعصيان، فإن الكفر واتباع الشهوات والعادات والتقاليد الباطلة أوجبت ظلمة أعمال الكفار ﴿فما له من نور﴾.

[٤١] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ ألم تعلم ﴿أن الله يسبح له من في السماوات والأرض﴾ يسبح له ﴿الطير﴾ حال كونها ﴿صافات﴾ باسطات أجنحتهن في الهواء ﴿كل﴾ ممن في السماوات والأرض والطير ﴿قد علم﴾ الله ﴿صلاته﴾ دعاءه ﴿وتسبيحه﴾ تنزيهه لله تعالى ﴿والله عليم بما يفعلون﴾.

[٤٢] ﴿وَلِلَّهِ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ المرجع في الآخرة.

[٤٣] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ﴾ يسوق إلى حيث يريد ﴿سحاباً ثم يؤلف بينه﴾ يضم بعضه إلى بعض ﴿ثم يجعله ركاماً﴾ متراكماً بعضه فوق بعض ﴿فترى الدود﴾ المطر ﴿يخرج من خلاله﴾ فرج السحاب ﴿وينزل من السماء من جبال السحاب﴾ فيها ﴿في السماء﴾ فإن السحاب كالجبال كما يشاهده راكب الطائرة فوق السحاب ﴿من برداً﴾ أي برداً، وهو الثلج ﴿فيصيب به﴾ بذلك البرد ﴿من يشاء ويصرفه﴾ بأن يمنع البرد عن إصابة بعض الناس ﴿عن من يشاء يكاد﴾ يقرب ﴿سنا﴾ ضوء ﴿يرقه﴾ برق ذلك السحاب ﴿يذهب بالأبصار﴾ بأبصار الناظرين من فرط الإضاءة.

رَجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَلَا تَبْصُرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا حَمَاءٌ مُدْرَجَةٌ يَجْعَدُ مِنْهَا شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فُوفَاتِهِ حِسَابُهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَكْدُمُ لَمْ يَكْدِيرْنَهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُمْ نُورٌ ﴿٤٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْطَّيْرِ صَفَّيْتُ كُلِّ قَدِّ عِلْمٍ صَلَاتُهُمْ وَسُبُّهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَجْعَلُهُمْ رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدَّكَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴿٤٣﴾

[٥٤] ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ أداء الرسالة أداءً واضحاً.

[٥٥] ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنَّهُمْ لَيَسْتَخْلِفُنَّ فِي الْأَرْضِ لَئِيْلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَاصِبٌ مَّا يَشْرُونَ فِي شَيْءٍ مِّنْهُ مَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ وأقيموا الصلوة وءاتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون ﴿٥٦﴾ لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الأرض وما وطنهم النار ولئس المصير ﴿٥٧﴾ يتأنى الذين آمنوا من الأعداء ﴿أمناء﴾ فهم آمنون ﴿يعبدونني﴾ أولئك المؤمنون ﴿لا يشركون بي شيئاً﴾ لا يجعلون شيئاً شريكاً لي ﴿ومن كفر﴾ بهذه الأمور ﴿بعد ذلك﴾ الوعد الصادق ﴿فأولئك هم الفاسقون﴾ كاملو الفسق، وقد أولت الآية بالإمام المهدي.

[٥٦] ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ يرحمكم الله.

[٥٧] ﴿لَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مَعْجَازِينَ يَعْجُزُونَ﴾ فلا تتمكن عليهم ﴿في الأرض وماواهم﴾ محلهم ﴿النار ولبس المصير﴾ أي المحل والمرجع.

[٥٨] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيْسَ أَتَانَكُمْ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي مروا عبيدكم أن يطلبوا الأذن ﴿والذين لم يبلغوا الحلم﴾ أي أولادكم غير البالغين ﴿منكم ثلاث مرات﴾ في ثلاث أوقات إذا أرادوا أن يدخلوا غرفكم الخاصة في هذه الأوقات ﴿من قبل صلاة الفجر﴾ لأنه وقت القيام من المضاجع وتبديل لباس الليل بلباس النهار ﴿وحين تضعون ثيابكم﴾ أي تنزعونها للقيولة ﴿من الظهر﴾ فإن ذلك وقت تبديل الثياب والنوم والخلوة بالأهل ﴿ومن بعد صلاة العشاء﴾ فإنه وقت تبديل لباس النهار بلباس الليل ﴿ثلاث عورات لكم﴾ هذه الأوقات ثلاث أوقات خلل، فإن العورة بمعنى الخلل ليس عليكم ولا عليهم جناح ﴿خرج﴾ بعد هذه الأوقات ﴿طوافون﴾ يطوفون بالمجيء بلا استئذان ﴿عليكم بعضكم على بعض﴾ بيان (طوافون عليكم) ﴿كذلك﴾ هكذا ﴿يبين الله لكم الآيات﴾ الأحكام ﴿والله عليم﴾ بما يصلحكم ﴿حكيم﴾ في تشريعه الأحكام.

قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مَعْجَازِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا وَطَنَهُمُ النَّارُ وَلَيْسَ الْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾ يَتَأَنَّى الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْأَعْدَاءِ ﴿أَمْنًا﴾ فَهُمْ آمِنُونَ ﴿يَعْبُدُونَنِي﴾ أُولَٰئِكَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ لَا يَجْعَلُونَ شَيْئًا شَرِيكًا لِّي ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ بِهَذِهِ الْأُمُورِ ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾ الْوَعْدُ الصَّادِقُ ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ كَامِلُو الْفَسْقِ، وَقَدْ أُولَتْ الْآيَةُ بِالْإِمَامِ الْمَهْدِيِّ.

[٥٦] ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ يرحمكم الله.

[٥٧] ﴿لَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مَعْجَازِينَ يَعْجُزُونَ﴾ فلا تتمكن عليهم ﴿في الأرض وماواهم﴾ محلهم ﴿النار ولبس المصير﴾ أي المحل والمرجع.

[٥٨] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيْسَ أَتَانَكُمْ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي مروا عبيدكم أن يطلبوا الأذن ﴿والذين لم يبلغوا الحلم﴾ أي أولادكم غير البالغين ﴿منكم ثلاث مرات﴾ في ثلاث أوقات إذا أرادوا أن يدخلوا غرفكم الخاصة في هذه الأوقات ﴿من قبل صلاة الفجر﴾ لأنه وقت القيام من المضاجع وتبديل لباس الليل بلباس النهار ﴿وحين تضعون ثيابكم﴾ أي تنزعونها للقيولة ﴿من الظهر﴾ فإن ذلك وقت تبديل الثياب والنوم والخلوة بالأهل ﴿ومن بعد صلاة العشاء﴾ فإنه وقت تبديل لباس النهار بلباس الليل ﴿ثلاث عورات لكم﴾ هذه الأوقات ثلاث أوقات خلل، فإن العورة بمعنى الخلل ليس عليكم ولا عليهم جناح ﴿خرج﴾ بعد هذه الأوقات ﴿طوافون﴾ يطوفون بالمجيء بلا استئذان ﴿عليكم بعضكم على بعض﴾ بيان (طوافون عليكم) ﴿كذلك﴾ هكذا ﴿يبين الله لكم الآيات﴾ الأحكام ﴿والله عليم﴾ بما يصلحكم ﴿حكيم﴾ في تشريعه الأحكام.

[٥٩] ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْأَحْرَارَ﴾ أيها الأحرار ﴿الْحِلْمَ﴾ البلوغ الشرعي ﴿فَلْيَسْتَأْذِنُوا﴾ في جميع الأوقات، فإن الاستئذان في ثلاث أوقات كان خاصاً بالعبيد والأطفال ﴿كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من الأحرار الكبار ﴿كَذَلِكَ﴾ هكذا ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾. [٦٠] ﴿وَالْقَوَاعِدُ﴾ جمع قاعدة وهي المسنة التي تعدت عن التزويج حيث لا يرغب فيها أحد ﴿مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحاً﴾ لا يطمعن فيه ﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾ الظاهرة كالمحففة والرداء في حال كونهن ﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ﴾ مظهرات ﴿بِزِينَةٍ﴾ خفية فإن إظهار الزينة لا يجوز ﴿وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ﴾ عن وضع الثياب بأن يكن كسائر النساء ﴿خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ بأحوالهن.

[٦١] ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ فقد كان أهل الجاهلية يستفقدون الأعمى والأعرج والمريض فلا يأكلون معهم فنزلت الآية بأنه لا قذارة فيهم ﴿وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ أي ليس عليكم حرج من أنفسكم في ﴿أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ﴾ بيوت الزوجات والأزواج ﴿أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مُفَاتِحَهُ﴾ أي وكلتم بحفظه بأن كان بيدكم مفاتحه متفرقين وهذا لأن بعضهم كان يتخرج من الأكل منفرداً فنزلت الآية مصرحة بعدم البأس في ذلك ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ ليسلم بعضهم على بعض ﴿تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ شرعها لكم ﴿مُبَارَكَةً﴾ لأنها دعاء بالسلامة من آفات الدارين، والبركة: الدوام والثبات ﴿طَيِّبَةً﴾ تطيب النفس بها ﴿كَذَلِكَ﴾ هكذا ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ﴾ مما تحتاجون إليه في دنياكم وآخرتكم ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ معالم دينكم.

وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحاً فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مُفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعاً أَوْ أَشْتَاتاً فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾

﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً أو أشتاتاً متفرقين وهذا لأن بعضهم كان يتخرج من الأكل منفرداً فنزلت الآية مصرحة بعدم البأس في ذلك ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ ليسلم بعضهم على بعض ﴿تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ شرعها لكم ﴿مُبَارَكَةً﴾ لأنها دعاء بالسلامة من آفات الدارين، والبركة: الدوام والثبات ﴿طَيِّبَةً﴾ تطيب النفس بها ﴿كَذَلِكَ﴾ هكذا ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ﴾ مما تحتاجون إليه في دنياكم وآخرتكم ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ معالم دينكم.

[٦٢] ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ وإذا كانوا معه ﴿مع الرسول ﷺ﴾ على صميم قلبهم ﴿وإذا كانوا معه﴾ يجمع المسلمين كالجماعة والحرب ﴿لم يذهبوا حتى يستأذنوه﴾ يطلبوا منه الأذن ﴿إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله﴾ أما الذين يذهبون بدون استئذان فليسوا بمؤمنين كاملي الإيمان ﴿فإذا استأذنوك لبعض شأنهم﴾ لبعض مهامهم ﴿فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله﴾ اطلب غفران الله لهم من جهة خروجهم عن جماعة المؤمنين فإنه خلاف يحتاج إلى الستر والعفو ﴿إن الله غفور رحيم﴾.

[٦٣] ﴿لَا تَجْعَلُوا دَعَاءَ الرُّسُولِ بَيْنَكُمْ﴾ أي حال تناذونه ﴿لا تسموه باسمه﴾ كدعاء بعضكم بعضاً ﴿كما ينادي أحداكم الآخر باسمه﴾ قد للتحقيق ﴿يعلم الله الذين يتسللون منكم﴾ يخرجون عن الجماعة خفية بدون استئذان الرسول ﷺ ﴿لواذا﴾ ملاوذين يستتر بعضهم ببعض ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره﴾ أمر الرسول ﷺ أو أمر الله ﴿أن تصيبهم فتنة﴾ عقوبة في الدنيا ﴿أو يصيبهم عذاب أليم﴾ مؤلم في الآخرة.

[٦٤] ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فالله عز وجل مالك كل شيء وعلى المملوك إطاعة ماله ﴿قد﴾ للتحقيق ﴿يعلم ما أنتم عليه﴾ من الأعمال الصالحة أو الطالحة ﴿ويوم يرجعون﴾ الناس ﴿إليه﴾ إلى ثوابه وعقابه ﴿فينبتهم﴾ يخبرهم لأجل أن يجازيهم ﴿بما عملوا والله بكل شيء عليم﴾ فلا يفوته شيء.

٢٥: سورة الفرقان

مكية آياتها سبع وسبعون

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا أَسْتَأْذِنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذِنَ لِمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَا تَجْعَلُوا دَعَاءَ الرُّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدَعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلْلُونَ مِنْكُمْ لَوْ آذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٤﴾

سُورَةُ الْفُرْقَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَرَهُ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾

[١] ﴿تبارك﴾ دام وثبت، أو كثر خيره ﴿الذي نزل الفرقان﴾ القرآن الفارق بين الحق والباطل ﴿على عبده﴾ محمد ﷺ ﴿ليكون﴾ عبده ﴿للعالمين نذيراً﴾ مخوفاً من العذاب.

[٢] ﴿الذي له ملك السماوات والأرض﴾ أي جميع الكون ﴿ولم يتخذ ولداً﴾ كما زعم أهل الكتاب ﴿ولم يكن له شريك في الملك﴾ كما زعم المشركون ﴿وخلق كل شيء﴾ من المخلوقات ﴿فقدره تقديراً﴾ حسب ما تقتضيه الحكمة والصلاح.

[٣] ﴿وَاتَّخَذُوا الْكَفَّارَ﴾ من دونه ﴿غير الله﴾ آلهة لا يخلقون ﴿تلك الآلهة﴾ شيئاً وهم يُخلقون ﴿مخلوقون لله فكيف تكون آلهة﴾ ولا يملكون لأنفسهم ضراً ﴿فيدفعونه﴾ ولا نفعاً ﴿فيجرونه﴾ ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً ﴿بعثاً بعد الموت﴾.

[٤] ﴿وقال الذين كفروا إن هذا﴾ ما هذا القرآن ﴿إلا إفك﴾ كذب نسب إلى الله ﴿افتراه﴾ محمد ﷺ ﴿وأعانه عليه قوم آخرون﴾ كسلمان وصهيب وبعض أهل الكتاب ﴿نفذ جاءوا﴾ بهذه المقالة ﴿ظلماً وزوراً﴾ كذباً.

[٥] ﴿وقالوا أساطير الأولين﴾ أكاذيبهم ﴿اكتتبها﴾ جمعها ﴿نهى تملئ﴾ تقرأ ﴿عليه﴾ على محمد ﷺ لأجل أن يحفظها فينشرها في المجتمع ﴿بكرة﴾ صباحاً ﴿وأصيلاً﴾ عصرًا.

[٦] ﴿قل﴾ يا محمد ﷺ: ﴿أنزله﴾ أي القرآن ﴿الذي يعلم السر﴾ الغيب ﴿في السماوات والأرض﴾ ولذا أنزل القرآن بما يفيد حال البشر، ولو كان أساطير لكان حسب الظواهر الخارجية ﴿إنه كان غفوراً رحيمًا﴾ ولذا لا يعاجلهم بالعقوبة ويغفر لمن تاب منهم.

[٧] ﴿وقالوا ما لهذا الرسول﴾ أي الزاعم أنه رسول ﴿يأكل الطعام ويمشي في الأسواق﴾ فكان زعمهم أن الرسول يجب أن لا يعمل أعمال البشر ﴿لولا أنزل إليه﴾

ملك ﴿من السماء﴾ فيكون معه نذيراً ﴿يعينه في الإنذار والتخويف﴾.

[٨] ﴿أو يلقى إليه﴾ من السماء ﴿كنز﴾ ليستغني به عن المعاش ﴿أو تكون له جنة﴾ بستان ﴿يأكل منها﴾ أي يجعله لإدراة معاشه ﴿وقال الظالمون﴾ أنفسهم بالكفر ﴿إن﴾ ما ﴿تتبعون﴾ أيها المؤمنون ﴿إلا رجالاً مسحوراً﴾ سحر فذهب عقله.

[٩] ﴿انظر كيف ضربوا لك الأمثال﴾ بأنك مسحور وساحر ومجنون وكاهن وشاعر ﴿فضلوا﴾ عن قصد السبيل ﴿فلا يستطيعون سبيلاً﴾ أي سلوك سبيل الحق، أو سبيلاً لتكذيبك.

[١٠] ﴿تبارك﴾ دام وثبت ﴿الذي إن شاء جعل لك خيراً من ذلك﴾ الذي قالوه من الجنة والكنز ﴿جنات﴾ بدل من (خيراً) ﴿تجري من تحتها﴾ تحت قصورها وأشجارها ﴿الأنهار ويجعل لك قصوراً﴾.

[١١] ﴿بل كذبوا بالساعة﴾ بالقيامة، ولذا اقتصرت أنظارهم على حطام الدنيا ﴿وأعتدنا﴾ هياتنا ﴿لمن كذب بالساعة سعيراً﴾ ناراً تلتهب.

وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا شُورًا ﴿٣﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكُ أُقْرَبْتُمْ وَأَعَانَتْ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءَ ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوا اسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٥﴾ أَكُتِّبَتْهَا فِي سَمَوَاتٍ مَلَكٌ أَوْ أَصِيلٌ ﴿٦﴾ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّكُمْ كَانَتْ غُفُورًا رَحِيمًا ﴿٧﴾ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَسُولٌ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمَشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ أَوْ يُنْفِثُ إِلَيْنَا كَنْزًا أَوْ تَنْزِيلٌ لَكُنْ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿٩﴾ انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿١٠﴾ تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا ﴿١١﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١٢﴾

[١٢] ﴿إِذَا رَأَوْهُمْ﴾ النار، أي كانت بمرأى منهم ﴿مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ عنهم ﴿سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا﴾ غلياناً ﴿وَوَفِيرًا﴾ صوتاً شديداً، فكيف بها إذا اقتربوا منها وألقوا فيها.

﴿١٣﴾ **﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا﴾** أي من النار، والمراد فيها **﴿مَكَانًا ضَيِّقًا﴾** فإن أهل النار يمثلون بضيق المكان على سعتها، وذلك لتكثير عذابهم **﴿مُقَرَّنِينَ﴾** قرن بعضهم ببعض، فإن ذلك مما يسبب كثرة الأذى، أو مغلطين **﴿دَعَا هُنَالِكَ﴾** في ذلك المكان **﴿ثُبُورًا﴾** أي هلاكاً فإنهم يتمنون الهلاك ولا يأتيهم.

[١٤] ويقال لهم بقصد التبكيت: ﴿لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبوراً كثيراً﴾ فإن عذابهم أنواع كثيرة يستدعي كل نوع منه ثبوراً.

[١٥] ﴿قُلْ أَذَلِكُ﴾ العذاب ﴿خَيْرٌ﴾ لهؤلاء الكفار ﴿أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ﴾ التي فيها الخلود ﴿الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ﴾ الجنة ﴿لَهُمْ جَزَاءُ﴾ لأعمالهم ﴿وَمُصِيرًا﴾ يصيرون إليها.

[١٦] ﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ﴾ من أنواع النعيم ﴿خَالِدِينَ﴾ كان ﴿إِذْ خَالَهُمْ فِيهَا﴾ على ربك وعداً مستوثلاً ﴿يَسْأَلُهُ النَّاسُ قَائِلِينَ: (رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رَسُولِكَ)﴾^(١).

[١٧] ﴿يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾ أي يجمع الله الكفار ﴿وَمَا يُمِيعِدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أصنامهم ﴿فَيَقُولُ﴾ الله لتلك الأصنام: ﴿أَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا﴾

السبيل﴾ وهذا السؤال لأجل توبيخ العباد لها بما تقوله الأصنام من الجواب.

[١٨] ﴿قَالُوا﴾ أي المعبودون: ﴿سبحانك﴾ تنزيهاً لك عن الشريك نحن لم نفضلهم بل هم ضلّوا ﴿مَا كَانَ يَنْفَعِي﴾ يصح ﴿لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ بأن نوالي أعداءك الكافرين وناخذهم عبداً لنا ﴿وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ﴾ تمتعت ﴿أَبَاءَهُمْ﴾ بأنواع النعم ﴿حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ﴾ تركوه كأنه منسي بأن لم يعملوا بما ذكروا به ﴿وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾ هالكين.

[١٩] ﴿فَقَدْ كَذَّبُواكُمْ﴾ كذبتكم أيها المشركون أَلِهَتُكُمْ ﴿بِمَا تَقُولُونَ﴾ من أنهم آلهة لأنهم تبارأوا منكم ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ﴾ أي أَلِهَتُكُمْ ﴿صَرَافًا﴾ دفعاً للعذاب عنكم ﴿وَلَا نَصْرًا﴾ بأن ينصروكم في دفع العذاب عن أنفسكم ﴿وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ﴾ نفسه بالشرك ﴿نَذِقْهُ﴾ في الآخرة ﴿عَذَابًا كَبِيرًا﴾ وهو جهنم.

[٢٠] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ﴾ يا محمد ﷺ ﴿مِّنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا أَنَّهُمْ لِيَأْكُلُوا الطَّعَامَ وَيَمْشُوا فِي الْأَسْوَاقِ﴾ رَدِّ لِقَوْلِهِمْ: (مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ) ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ امتحاناً، فالشريف مبتلى بالوضع والفقير بالغني وهكذا، كما ابتلى الأنبياء ﷺ بالأُمم ﴿أَنْصَبِرُونَ﴾ بأداء أمر الله في حال الابتلاء ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بِصِيرَةٍ﴾ بمن يصبر ومن لا يصبر.

إِذَا رَأَوْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهُمْ تَغِيْطًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَا
الْقَوْمَانِهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مَقْرِبَيْنِ دَعَا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾
لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ قُلْ
أَذِلَّةٌ خَيْرٌ أَمْجَنَةٌ الْخُلْدِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَنَفِّرُونَ كَانَتْ
لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ هَلُمُّ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَلْدَيْنِ
كَانَ عَلَى رَيْكَ وَعَدًا مَسْئُولًا ﴿١٦﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا
يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَمْ أَنَا خَيْرٌ لِمَ تَلْعَلُمْ عِبَادِي
هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ
يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ
وَأَبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ
كَذَّبْتُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا
نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِمِ نَفْسًا مِنْكُمْ نَفْضُهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾
وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَبَاءُ كَلُورٍ
الطَّعَامِ وَيَسْئُرُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ
لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾

[٢١ - ٢٣] «وقال» الكفار «الذين لا يرجون لقاءنا» حيث ينكرون البعث: «لولا» أي هلاً «أنزل علينا الملائكة» بأن نزلت على محمد ﷺ دوننا «أو نرى ربنا» ليقول لنا شريعته شفاهاً بدون واسطة «لقد استكبروا» أظهروا الكبر الكامن «في أنفسهم» فهل كل إنسان قابل لنزول الملائكة عليه أو هل الله يمكن رؤيته «وعتوا» طغوا في مقالهم «عتواً كبيراً». «يوم يرون الملائكة» لقبض أرواحهم «لا بشرى يومئذ للمجرمين» أي يمنعون من البشارة «ويقولون» الكفار حينذاك: «حجراً محجوراً» أي حراماً محرماً^(١)، وهذه كلمة كانت العرب تقولها إذا رأت العدو، أي إن دمي عليك حرام، فإذا رأى الكفار الملائكة كانت الملائكة عدواً لهم لا مبشراً ومنزلاً للوحي. «وقدمنّا» تقدمنا «إلى ما عملوا من عمل» صالح كصلة رحم وإعانة فقير «فجعلناه هباءً» هو الغبار الذي يرى في الشمس الداخلة من الكوة، حيث لا فائدة له إطلاقاً «منثوراً» متفرقاً، وذلك لأن الإيمان شرط قبول العمل، نعم الأعمال الصالحة توجب تخفيف العقاب.

[٢٤ - ٢٧] «أصحاب الجنة يومئذ» يوم القيامة «خير مستقراً» مكاناً يستقرون فيه «وأحسن مقيلاً» موضعاً ينامون فيه نوم القيولة. «ويوم تشقق» تنفطر «السماء بالغمام» بظهور الغمام منها كأنه بساط عليه الملائكة

«ونزل الملائكة تنزيلاً» وذلك لأجل حساب الناس. «الملك يومئذ» بيان لـ (يوم)، يعني: الملك في يوم التشقق للرحمن «الحق» الثابت وقد زال كل ملك زائف «للرحمن وكان يوماً على الكافرين عسيراً» شديداً. «ويوم يعرض الظالم» لنفسه بكفر أو عصيان «على يديه» ندماً وتحسراً «يقول يا قوم ليتني لم أتخذ فلاناً» الذي أضلني وسبب العذاب لي «خليلاً» صديقاً. [٢٨ - ٢٩] «يا ويلتي» يا هلكتي احضري فهذا وقتك «ليتني لم أتخذ فلاناً» الذي أضلني وسبب العذاب لي «خليلاً» صديقاً. [٣٠ - ٣١] «لقد أضلني» فلان^(٢) «عن الذكر» عن القرآن «بعد إذ جاءني» الذكر، وكان مقتضى القاعدة أن أؤمن «وكان الشيطان» الذي أضله، إنساً كان أو جنأ «للإنسان خذولاً» فلا ينفعه في ذلك الوقت العصيب، بل أضله في الدنيا وتركه في الآخرة. «وقال الرسول» محمد ﷺ: «يا رب إن قومي» الكفار الذين بعثني إليهم «اتخذوا هذا القرآن مهجوراً» متروكاً فلم يقبلوه ولم يعملوا به.

[٣١] «وكذلك» كما تركنا أعداءك ليعادوك، حتى تتم الحجة «جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين» بأن تركناهم حتى يعادوا الأنبياء ﷺ وذلك لأن الدنيا دار اختيار واختبار، وقوله: (جعلنا) كقولك: (جعل الملك الناس مفسدين) إذا تركهم وشأنهم، وفي هذا تسلية للنبي ﷺ «وكفى بربك هادياً» يهديك فلا يضلونك «ونصيراً» ينصرك عليهم. [٣٢] «وقال الذين كفروا لولا» هلاً «نزل عليه» على محمد ﷺ «القرآن جملة واحدة» لا تدريجاً «كذلك» إنما نزلناه متفرقاً «لنثبت به» لنقوي بالقرآن «فؤادك» قلبك حيث أن التدرج يوجب الاستمرارية وتقوية الملكة بخلاف الدفعة «ورتلناه ترتيلاً» أي أنزلناه شيئاً بعد شيء للإرشاد في مختلف المناسبات، مثلاً آيات بدر إنما نزلت في تلك الغزوة، وآيات حنين إنما نزلت في تلك الحرب، وآيات الصيام في وقت تشريعه وهكذا.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أُوْزُرُواْ بِمَا كُنْتُمْ تُكَذِّبُونَ﴾^(١) ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ يَقُولُونَ هَاجِرًا تَاجِرًا﴾^(٢) ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِن عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾^(٣) ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾^(٤) ﴿وَيَوْمَ تَشْقَى السَّمَاءُ بِالسَّيْفِ وَتُرَى الْمَلَائِكَةُ نَزِيلًا﴾^(٥) ﴿الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْهَاقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾^(٦) ﴿وَيَوْمَ يَعْصِي الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾^(٧) ﴿يَوْلَتْنِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فَلَانًا خَلِيلًا﴾^(٨) ﴿أَفَدَأْضَلَنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي﴾^(٩) ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾^(١٠) ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَرَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾^(١١) ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾^(١٢) ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾^(١٣)

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أُوْزُرُواْ بِمَا كُنْتُمْ تُكَذِّبُونَ﴾^(١) يعني: الملك في يوم التشقق للرحمن «الحق» الثابت وقد زال كل ملك زائف «للرحمن وكان يوماً على الكافرين عسيراً» شديداً. «ويوم يعرض الظالم» لنفسه بكفر أو عصيان «على يديه» ندماً وتحسراً «يقول يا قوم ليتني لم أتخذ فلاناً» الذي أضلني وسبب العذاب لي «خليلاً» صديقاً.

[٢٨ - ٢٩] «يا ويلتي» يا هلكتي احضري فهذا وقتك «ليتني لم أتخذ فلاناً» الذي أضلني وسبب العذاب لي «خليلاً» صديقاً. [٣٠ - ٣١] «لقد أضلني» فلان^(٢) «عن الذكر» عن القرآن «بعد إذ جاءني» الذكر، وكان مقتضى القاعدة أن أؤمن «وكان الشيطان» الذي أضله، إنساً كان أو جنأ «للإنسان خذولاً» فلا ينفعه في ذلك الوقت العصيب، بل أضله في الدنيا وتركه في الآخرة. «وقال الرسول» محمد ﷺ: «يا رب إن قومي» الكفار الذين بعثني إليهم «اتخذوا هذا القرآن مهجوراً» متروكاً فلم يقبلوه ولم يعملوا به.

[٣١] «وكذلك» كما تركنا أعداءك ليعادوك، حتى تتم الحجة «جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين» بأن تركناهم حتى يعادوا الأنبياء ﷺ وذلك لأن الدنيا دار اختيار واختبار، وقوله: (جعلنا) كقولك: (جعل الملك الناس مفسدين) إذا تركهم وشأنهم، وفي هذا تسلية للنبي ﷺ «وكفى بربك هادياً» يهديك فلا يضلونك «ونصيراً» ينصرك عليهم.

[٣٢] «وقال الذين كفروا لولا» هلاً «نزل عليه» على محمد ﷺ «القرآن جملة واحدة» لا تدريجاً «كذلك» إنما نزلناه متفرقاً «لنثبت به» لنقوي بالقرآن «فؤادك» قلبك حيث أن التدرج يوجب الاستمرارية وتقوية الملكة بخلاف الدفعة «ورتلناه ترتيلاً» أي أنزلناه شيئاً بعد شيء للإرشاد في مختلف المناسبات، مثلاً آيات بدر إنما نزلت في تلك الغزوة، وآيات حنين إنما نزلت في تلك الحرب، وآيات الصيام في وقت تشريعه وهكذا.

(١) أصل الحجر: الضيق وسمي الحرام حجراً لضيقه بالنهي عنه.

(٢) أضله: وجهه للضلال عن الطريق.

وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾
 الَّذِينَ يَحْشُرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ سَرُّ
 مَكَانًا وَأَصْلُ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ
 وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا أَذْهَبَا إِلَى
 الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَذَرْنَهُمْ يَتَذَمَّرُوا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمُ
 نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ
 آيَةً وَأَعَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادَ وَثمودَا
 وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا
 لَهُ الْأَمْثَلَ وَكُلًّا تَبَرْنَا تَبِيرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَنَاظَرُ الْقَرْيَةَ
 الَّتِي أَطْرَقَتْ مَطَرُ السَّوَاءِ أَفْكَمَ يَكُونُوا يَكُونُهَا بَل
 كَانُوا لَا يَرْجُونَ شُورًا ﴿٤٠﴾ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ
 إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِنْ كَادَ
 لَيُضِلَّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ
 يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَصْلُ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَأَيْتَ
 مَنِ اتَّخَذَ لِلنَّهْلِ هَوْنَهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾

[٣٣] ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾ لبطلان أمرك كقولهم: لماذا لم ينزل عليه القرآن جملة واحدة، تمثيلاً بسائر الأنبياء ﷺ الذين نزلت كتبهم مرة واحدة ﴿وَلَا جِئْنَاكَ﴾ في جوابهم ﴿بِالْحَقِّ﴾ الراد لإشكالهم ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ أي بما هو حسن بياناً من المثل الذي ضربوه لبطلان أمرك.

[٣٤] ﴿الَّذِينَ يَحْشُرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ يجمعون ويسحبون على وجوههم إلى النار ﴿أُولَٰئِكَ سَرُّ مَكَانًا﴾ من المؤمنين ﴿وَأَصْلُ سَبِيلًا﴾ من سبيل المؤمنين، والكلام جار على حسب المنطق العرفي، وإلا فليس في مكان المؤمنين شر ولا ضلال.

[٣٥] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا﴾ أعطينا ﴿موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون وزيرًا﴾.

[٣٦] ﴿فَقُلْنَا أَذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ فرعون وجماعته ﴿فَذَرْنَاهُمْ﴾ أي القوم أهلكتناهم لما لم يقبلوا الإرشاد ﴿يَتَذَمَّرُوا﴾.

[٣٧] ﴿وَقَوْمُ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً﴾ عبرة ﴿وَأَعَدْنَا﴾ هيأتنا ﴿لِلظَّالِمِينَ﴾ سوى ما حل بهم في الدنيا ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلماً، في الآخرة.

[٣٨] ﴿وَعَادَ وَثمودَا﴾ قوم هود ﷺ ﴿وَصَالِحَ﴾ قوم صالح ﷺ ﴿وَأَصْحَابُ الرَّسِّ﴾ هي البثر، والمراد قوم شعيب ﷺ - كما في بعض التفاسير - لأنه كانت لهم بثر مشهورة يستقون الماء منها، وعن الإمام الرضا ﷺ إنهم كانوا قوماً على شاطئ نهر يسمى الرس ألقوا نبيهم في البثر فأنزل الله عليهم العذاب ﴿وَقُرُونًا﴾ أهل عصور ﴿بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾ المذكور ﴿كثيراً﴾ كلا أهلكتناهم.

[٣٩] ﴿وَكُلًّا﴾ من أولئك الأقوام الهالكة ﴿ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ﴾ القصص والعبر، فلم يتنبهوا ﴿وَكُلًّا تَبَرْنَا﴾ أهلكتنا ﴿تَبِيرًا﴾.

[٤٠] ﴿وَلَقَدْ أَنَاظَرُ﴾ مر قومك يا محمد ﷺ ﴿عَلَى الْقَرْيَةِ﴾ قرية لوط ﷺ لأنها بين الشام والمدينة ﴿الَّتِي أَطْرَقَتْ مَطَرُ السَّوَاءِ﴾ مطروا بحجارة السجيل ﴿أَفْكَمَ يَكُونُوا﴾ قومك ﴿يَرُونَهَا﴾ في أسفارهم فلماذا لم يعتبروا بها ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نَشُورًا﴾ وبعثنا، ولذلك لا ينظرون إلى العبر ولا يتعظون بالزواجر.

[٤١] ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ محل استهزاء يقولون: ﴿أَهَذَا﴾ استحقاراً يقصدون أنه لا يليق بالرسالة الذي بعث الله رسولا.

[٤٢] ﴿إِنْ﴾ إنه ﴿كَادَ﴾ قرب ﴿لَيُضِلَّنَا﴾ يصرفنا ﴿عَنْ آلِهَتِنَا﴾ بأن نتركها ونتخذ إلهاً واحداً ﴿لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ أي ثبنا على عبادتها ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ﴾ عند الموت ﴿مَنْ أَصْلُ سَبِيلًا﴾ طريقة خطأ، هم أو أنت.

[٤٣] ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ لِلَّهِ هَوَاهُ﴾ بأن أطاع شهوات نفسه وترك أوامر الله، والاستفهام في معرض الإنكار عليه، أي أرايته كيف ضل بهذا السبب ﴿أَفَأَنْتَ﴾ يا محمد ﷺ ﴿تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ حفيظاً تحفظه عن الكفر، والمعنى أنك لا تقدر على هدايته إذا هو عاند.

[٤٤] ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يُبْصِرُونَ﴾ أكثر هؤلاء الكفار ﴿يَسْمَعُونَ﴾ الحق سماع تفهم ﴿أَوْ يَعْقِلُونَ﴾ يستعملون عقولهم ويتدبرون ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هُمْ﴾ إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً ﴿إِذْ الْأَنْعَامُ إِذَا عُرِفَتْ مُصَالِحُهَا اتَّبَعَتْهُ، وَهَؤُلَاءِ يَعْرِفُونَ الْحَقَّ وَيَعْنَادُونَهُ﴾.

[٤٥] ﴿أَلَمْ تَر إِلَى رَبِّكَ﴾ أي إلى قدرته تعالى ﴿كَيْفَ مَدَّ﴾ بسط ﴿الظِّلَّ﴾ فإن للأشياء ظلاً عند ظهور الشمس في السماء وهو نعمة كبيرة ﴿وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾ لا يتحرك، لكنه يضرب بمصالح الناس ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسُ عَلَيْهِ﴾ على الظل ﴿دَلِيلًا﴾ إذ لولا الشمس ما كان يعرف معنى للظل.

[٤٦] ﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا﴾ أزلنا الظل بإيقاع شعاع الشمس مكانه ﴿قَبْضًا سِيرًا﴾ قليلاً قليلاً.

[٤٧] ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾ ساتراً بظلامه كما يستر اللباس ﴿وَالنَّوْمَ سُبَاتًا﴾ قاطعاً للعمل لأجل الراحة ﴿وَجَعَلَ النَّهَارَ نَشُورًا﴾ بعثاً للناس من النوم.

[٤٨] ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ بُشْرًا﴾ مبشرات ﴿بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ أي المطر، فإن الريح تبشر بالمطر ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ طاهراً مطهراً.

[٤٩] ﴿وَلَنَحْيِيَّ﴾ بالنبات ﴿بِهِ﴾ بالمطر ﴿بِلَدَةٍ﴾ أرضاً ﴿مَيْتًا﴾ والتذكير باعتبار البلد إذ التاء في بلدة لأفراد

الجنس لا التأنيث ﴿وَنُسْقِيهِ﴾ أي ولنسقي من ذلك الماء أنعاماً وأناساً ﴿مِمَّا خَلَقْنَا﴾ بعض خلقنا ﴿أَنْعَامًا﴾ بدل (مما) ﴿وَأَنَاسِيَّ﴾ جمع إنسان ﴿كَثِيرًا﴾.

[٥٠] ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ﴾ أي المطر، نقلناه من هنا إلى هناك ﴿بَيْنَهُمْ﴾ بين بلادهم ﴿لِيَذْكُرُوا﴾ ليتفكروا فيعرفوا كمال قدرة الله ﴿فَأَبَى﴾ امتنع ﴿أَكْثَرَ النَّاسِ إِلَّا كَفُورًا﴾ جحوداً لنعم الله.

[٥١] ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا﴾ نبياً ينذر أهلها، وخففنا عليك الدعوة، لكن المصلحة أن تكون - يا محمد ﷺ - نبياً لكل البشر.

[٥٢] ﴿فَلَا تُطْعِ الْكَافِرِينَ﴾ بعد أن علمت الحق ﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ﴾ بالقرآن ﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾ بكل قواك وإمكاناتك.

[٥٣] ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ جعلهما متلاصقين، فإن المياه العذبة تحت الأرض والمياه المالحة في البحار متلاصقان ومع ذلك لا يختلط أحدهما بالآخر بسبب الحواجز الأرضية ﴿هَذَا﴾ أحد البحرين ﴿عَذْبٌ﴾ حلو ﴿فَرَاتٌ﴾ بالغ العذوبة ﴿وَهَذَا مِلْحٌ﴾ مالح ﴿أَجَاجٌ﴾ شديد الملوحة ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا﴾ حاجزاً من قدرته تعالى ﴿وَحِجْرًا﴾ محجوراً أي حراماً محرماً أن يفسد المالح العذب.

[٥٤] ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ الْنُّطْقَ﴾ بشراً فجعله نسباً ﴿الْأَوْلَادَ الذَّكَورَ لِلنَّسَبِ﴾ البنات للصهر ﴿وَوَصَّاهُ﴾ البنات للصهر ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ حيث خلق من الماء الواحد رجالاً ونساءً.

[٥٥] ﴿وَيُعْبَدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ غير الله ﴿مَا﴾ أي الأصنام ﴿لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾ وكان الكافر على ربه ظهيراً ﴿يُظَاهِرُ الشَّيْطَانَ وَيَعَاوَنُهُ عَلَى مَخَالَفَةِ أَوْامِرِ اللَّهِ﴾.

أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ أَلَمْ تَر إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسُ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا سِيرًا ﴿٤٦﴾ لَكُمْ اللَّيْلُ لِبَاسًا وَالنَّوْمُ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نَشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لَنَحْيِيَّ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذْكُرُوا فَأَبَى أَكْثَرَ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطْعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فَرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أَجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ وَجَعَلْنَا لَكَ دُونَ اللَّهِ آلِهَةً دُونَ اللَّهِ لِيُضِلُّكَ إِنَّكَ كَانَتْ مِنْ الْغَافِلِينَ ﴿٥٥﴾

[٥٦] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ بالثواب ﴿ونذيراً﴾ مخوفاً من العقاب.

[٥٧] ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على تبليغ الرسالة ﴿من أجر إلا﴾ فعل ﴿من شاء أن يتخذ إلى﴾ ثواب ﴿ربه﴾ جزائه ﴿سبيلاً﴾ فإن فعل ذلك الإنسان هو الأجر الذي أبغيه وأطلبه.

[٥٨] ﴿وتوكل﴾ ففرض أمرك ﴿على الحي الذي لا يموت﴾ وهو الله، أما سائر الأحياء فيموتون ﴿وسبح بحمده﴾ نزهه تعالى حامداً له ﴿وكفى به﴾ بالله ﴿بذنوب عباده خبيراً﴾ فيجازيهم على ذنوبهم وهذا إلفات لهم حتى لا يذنبوا.

[٥٩] ﴿الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام﴾ أي بقدر ستة أيام من أيام الدنيا ﴿ثم استوى﴾ توجه ﴿على العرش﴾ عرش الملك، أو الموضع المخلوق الخاص، وهذا من باب التشبيه كما أن الملك يصرف نظره بعد بناء المدينة إلى عرشه ثم يتوجه لإدارة شؤون البلاد ﴿الرحمن﴾ مبتدأ ﴿فأسأل به﴾ بالرحمن ﴿خبيراً﴾ كأنك إذا سألته فقد سألت بسببه شخصاً عالماً، نحو: اشرب به عسلاً يعني: إذا شربته فقد شربت بسببه عسلاً، وهذا لإفادة علمه تعالى بكل شيء فهو الخالق وهو المدبر وهو العالم.

[٦٠] ﴿وإذا قيل لهم﴾ للكفار: ﴿اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن﴾ أي أي شيء الرحمن، فإنهم كانوا يكرهون هذا اللفظ، جهلاً وسفهاً ﴿أنسجد لما تأمرنا﴾ بالسجود له، والاستفهام للإنكار ﴿وزادهم﴾ كلامك ﴿نفوراً﴾ تنفراً وابتعاداً عن الحق.

[٦١] ﴿تبارك﴾ دام وثبت ﴿الذي جعل في السماء بروجاً﴾ للكواكب ﴿وجعل فيها﴾ في السماء ﴿سراجاً﴾ مصباحاً وهو الشمس ﴿وقمراً منيراً﴾ ذا نور.

[٦٢] ﴿وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة﴾ يخلف أحدهما الآخر ويقوم مقامه ﴿لمن أراد أن يذكرك﴾ يتذكر، فإن الكون مذكر بالله تعالى ﴿أو أراد شكوراً﴾ شكر الله على هذه النعم.

[٦٣] ﴿وعباد الرحمن﴾ هم ﴿الذين يمشون على الأرض هوناً﴾ مشياً هيناً بدون تكبر، بل بسكينة وتواضع ﴿وإذا خاطبهم الجاهلون﴾ تكلموا معهم ﴿قالوا﴾ للجاهلين ﴿سلاماً﴾ أي كلاماً سليماً فلا يقابلونهم بالكلام السيئ.

[٦٤] ﴿والذين﴾ عطف على ﴿الذين﴾ ﴿يبيتون﴾ يقضون الليل، والتخصيص بالليل لأنه محل الفراغ للعبادة وهو أبعد من الرياء ﴿لربهم سجداً﴾ ساجدين ﴿وقياماً﴾ قائمين في الصلاة.

[٦٥] ﴿والذين يقولون ربنا اصرف﴾ ادفع ﴿عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً﴾ غرامة، أو لازماً للإنسان لا ينفك منه.

[٦٦] ﴿إنها﴾ جهنم ﴿ساعت مستقراً﴾ محل استقرار ﴿ومقاماً﴾ محل بقاء وإقامة.

[٦٧] ﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا﴾ لم يتجاوزوا الحد في الإنفاق ﴿ولم يقتصروا﴾ لم يضيّقوا بأن لم يعطوا المقدار الكافي ﴿وكان﴾ إنفاقهم ﴿بين ذلك﴾ الإسراف والإقتار ﴿قواماً﴾ وسطاً.

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ ذُنُوبٍ عِبَادَهُ خَيْرًا ﴿٥٨﴾ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَبِّحْ بِهِ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴿٦٠﴾ نَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾

[٦٨] ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ
النفس التي حرم الله﴾ قتلها ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ كالقصاص وما
أشبهه ﴿وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ الشرك أو القتل أو الزنا
﴿يَلْقَ﴾ يلقى ﴿إِنَّمَا﴾ عصياناً كبيراً.

[٦٩] ﴿يُضَاعَفُ﴾ يشتد ﴿له العذاب﴾ لأنه أكثر جرماً من
سائر الجرائم الصغيرة ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ويخلد فيه ﴿في
العذاب حال كونه﴾ مهاناً ﴿ذليلاً﴾.

[٧٠] ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ﴾ عن تلك المعاصي ﴿وَأَمِنَ وَعَمِلَ
عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَبْدِلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ بأن
يمحو السيئات ويكتب مكانها الحسنات التي أتوا بها من
الإيمان والعمل الصالح ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

[٧١] ﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ﴾ يرجع ﴿إِلَى
اللَّهِ مُتَابًا﴾ مرجعاً حسناً.

[٧٢] ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ لا يقيمون شهادة باطلة
﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللُّغُو﴾ أي بالساقط من القول والفعل ﴿مَرُّوا
كِرَامًا﴾ متحذين موقف الإنسان الشريف من ذلك اللغو،
فإن كان المقام مقام النهي نهوا وإن كان مقام الإعراض
أعرضوا وهكذا.

[٧٣] ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ كالقرآن والعبر
﴿لَمْ يَخْزَوْا﴾ لم يقيموا ﴿عليها ضُغًا﴾ كالأصم الذي لا
يسمع ﴿وَعَمِيَانًا﴾ كالأعمى الذي لا يبصر، بل استفادوا
من سماع المواعظ ومن رؤية العبر.

[٧٤] ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا﴾ أولادنا ﴿فُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ أي صلحاء تستقر بهم الأعين فرحاً
وحيوراً، فإن الخائف والمحزون تنقلب عينه هنا وهناك ليجد ملجأ يزيل به همه بخلاف المطمئن الفرح ﴿وَجَعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ
إِمَامًا﴾ يقتدون بنا في أمر الدين.

[٧٥] ﴿أُولَئِكَ يَجْزُونَ الْغُرْفَةَ﴾ غرف الجنة المشرفة عليها ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ أي بسبب صبرهم ﴿وَيَلْقَوْنَ فِيهَا﴾ تتلقاهم
الملائكة في الغرفة ﴿نَحِيَةً﴾ من (حياتك الله) أي أحيائك حياة طيبة^(١) ﴿وَسَلَامًا﴾ سلامة من الآفات.

[٧٦] ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ دائمين في تلك الغرفة والنعمة ﴿حَسَنَتٌ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ مقابل (ساعات مستقرًا ومقامًا).

[٧٧] ﴿قُلْ مَا يَعْجُزُ﴾ لا يكتثر ﴿بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دَعَاؤُكُمْ﴾ بأن تدعوه ﴿فَقَدْ كَذَبْتُمْ﴾ رسوله ودينه، ولذا فليستم بموضع
مبالاته واكثرائه ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ﴾ جزاء تكذيبكم ﴿لِرِزَامًا﴾ ملازماً لكم.

سُورَةُ الْفُرْقَانِ

٢٦: سورة الشعراء

مكية آياتها مائتان وسبع وعشرون

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طس ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَدِيعُ قَلَسِكَ
 أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِنَّا نُنَزِّلُ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ
 أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴿٤﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدِّثٍ
 إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَتَا مَا كَانُوا
 بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَرَأَيْنَاهَا مِنْ كُلِّ مُدْرَجٍ
 كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ
 رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٩﴾ وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ أَتِ الْقَوْمَ
 الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ
 أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَبْدُلُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ
 إِلَيَّ هَارُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ
 كَلَّا فَادْهَابًا بِأَيْتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَآتَايَا فِرْعَوْنَ
 فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ
 ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فَيَسْأَلِكَ أَوْلَايَا لِمَ كُنْتَ مِنْهُمْ غَمْرًا سِينِ ﴿١٨﴾
 وَفَعَلْتَ فَعَلْتَكُ الْتَى فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾

فوائد هي محل تكريم الإنسان له.

[٨] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ الذي رآه من إنبات النبات ﴿لَآيَةً﴾ على الله تعالى ﴿وما كان أكثرهم مؤمنين﴾.

[٩] ﴿وإن ربك لهو العزيز﴾ الغالب ﴿الرحيم﴾ وبرحمته يمهلهم.

[١٠] ﴿و﴾ اذكر ﴿إذ﴾ زمان ﴿نادى ربك موسى أن ات﴾ اذهب إلى ﴿القوم الظالمين﴾.

[١١] ﴿قوم فرعون﴾ بدل ﴿ألا يتقون﴾ الكفر والعصيان، والاستفهام للإنكار.

[١٢] ﴿قال﴾ موسى ﷺ: ﴿رب إني أخاف أن يكذبون﴾ يكذبوني.

[١٣] ﴿ويضيق صدري﴾ بتكذيبهم لي ﴿ولا ينطق لساني﴾ لست أفصح الكلام كما ينبغي ﴿فأرسل﴾ ملائكتك ﴿إلى﴾ أخي ﴿هارون﴾ ليكون معياني.

[١٤] ﴿ولهم﴾ لآل فرعون ﴿علي ذنب﴾ في اعتقادهم حيث قتل أحدهم ﴿فأخاف أن يقتلون﴾ يقتلوني قصاصاً.

[١٥] ﴿قال﴾ الله، بعد أن حل عقدة لسانه وجعل أخاه نبياً بعضده: ﴿كلا﴾ لا يقتلونك ﴿فأذهب﴾ يا موسى وهارون ﴿بآياتنا﴾ حججنا وبراهيننا ﴿إننا معكم مستمعون﴾ أسمع كلامكما وكلامهم.

[١٦] ﴿فأتيا﴾ اذهبوا إلى ﴿فرعون فقولا إننا رسول رب العالمين﴾.

[١٧] ﴿أن أرسل معنا بني إسرائيل﴾ دعهم يذهبون معنا إلى الشام، فجاء إليه وقال له.

[١٨] ﴿قال﴾ فرعون: ﴿ألم نربك﴾ يا موسى تربية ﴿فيتا﴾ في منازلنا ﴿وليداً﴾ طفلاً ﴿ولبثت﴾ بقيت ﴿فيتا من عمرك﴾ سنين، سنوات من عمرك حتى صرت شاباً.

[١٩] ﴿وفعلت فعلتك التي فعلت﴾ من قتل القبطي ﴿وأنت من الكافرين﴾ بنعمتي التي أسبغتها عليك حيث قتل أحد أتباعي.

[٢٠] ﴿قَالَ﴾ موسى ﷺ: ﴿فعلتها﴾ فعلت الفعل، أي القتل ﴿إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ عن طريقك، أي لم أكن اعترف بطريقتكم، ولست كافراً بنعمتك كما زعمت.

[٢١] ﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خَفْتُكُمْ﴾ أن تقتلونني قصاصاً للقبطي ﴿فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْماً﴾ سلطة وحكومة ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ نبياً.

[٢٢] ﴿وَتِلْكَ﴾ الثرية ﴿نِعْمَةٌ تَمْنَاهَا عَلَيَّ﴾ أي هذه ليست نعمة وإنما هي خلاف النعمة ﴿أَنْ عَبْدْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ اتخذتهم عبداً تقتل أولادهم مما ألجأت أُمِّي إلى أن تقدفني في النيل.

[٢٣] ﴿قَالَ﴾ فرعون وما رب العالمين ﴿مَا هُوَ حَقِيقَتُهُ﴾.

[٢٤] ﴿قَالَ﴾ موسى ﷺ: ﴿هُوَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ بشيء، فهذا أولى الأشياء باليقين.

[٢٥] ﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿لَمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمْعُونَ﴾ جواب موسى ﷺ، أنا أسأله عن حقيقة إلهه، وهو يجيبني عن آثاره.

[٢٦] ﴿قَالَ﴾ ربكم ورب آبائكم الأولين ﴿فَهُوَ خَالِقُكُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

[٢٧] ﴿قَالَ﴾ فرعون غيظاً وبهتاً من جواب موسى ﷺ: ﴿إِنْ رَسُولُكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ لأنه يقول أشياء لا حقيقة لها حسب زعمه.

[٢٨] ﴿قَالَ﴾ رب المشرق والمغرب وما بينهما إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أي إِنْ اسْتَعْمَلْتُمْ عَقْلَكُمْ لَعَلَّمْتُمْ ذَلِكَ.

[٢٩] ﴿قَالَ﴾ فرعون، بعد أن عجز عن الجواب: ﴿لَنْ اتَّخَذْتُ﴾ يا موسى ﴿إِلْهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ أحبسك في السجن.

[٣٠] ﴿قَالَ﴾ موسى ﷺ: ﴿أَ﴾ تفعل ذلك ﴿وَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ﴾ بمعجزة ﴿مُبِينٍ﴾ واضح.

[٣١] ﴿قَالَ﴾ فرعون: ﴿فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في دعواك.

[٣٢] ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ﴾ حية ﴿مُبِينٌ﴾ ظاهر.

[٣٣] ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ﴾ أخرج يده من جيبه ﴿فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ﴾ بياضاً منيراً ﴿لِلنَّازِرِينَ﴾ لمن ينظر.

[٣٤] ﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿لِلْمَلَأِ الْأَشْرَافِ﴾ حولَه إِنْ هَذَا ﴿مُوسَى﴾ لساحر عليم ﴿خَبِيرٌ بِفُنُونِ السَّحَرِ﴾.

[٣٥] ﴿يُرِيدُ أَنْ يَخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ﴾ فإنه إذا تسلط اضطرت الهيئة الحاكمة إلى الفرار ﴿بِسَحَرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ في دفعه.

[٣٦] ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ أي أخز أمرهما ﴿وَابْعَثْ﴾ أرسل ﴿فِي الْمَدَائِنِ﴾ في البلاد ﴿حَاشِرِينَ﴾ أشخاصاً جامعين للسحرة.

[٣٧] ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٍ﴾ حاذق في السحر.

[٣٨] ﴿فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتٍ﴾ وقت ﴿يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾ معين.

[٣٩] ﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ﴾ حث للناس على الاجتماع ليشاهدوا مقابلة موسى ﷺ للسحرة.

قَالَ فَعَلْنَاهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خَفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْماً وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمْنَاهَا عَلَيَّ أَنْ عَبْدْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمْعُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ إِنْ رَسُولُكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٦﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٧﴾ لَيْنَ اتَّخَذْتُ إِلَهًِا غَيْرِي لِأَجْعَلَكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴿٢٨﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ ﴿٢٩﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٠﴾ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴿٣١﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنْ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٣﴾ يُرِيدُ أَنْ يَخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسَحَرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٤﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٣٥﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٍ ﴿٣٦﴾ فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتٍ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴿٣٧﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ﴿٣٨﴾

[٤٠] ﴿لَعَلْنَا نَنْبِذَ السَّحْرَةَ﴾ أي نبقي على ديننا القديم ﴿إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ﴾ على موسى وهارون عليهما السلام.

[٤١] ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحْرَةَ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَفْنٌ لَنَا لِأَجْرِ﴾ أي هل تعطينا جزاء ﴿إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ إن تغلبنا على موسى عليه السلام.

[٤٢] ﴿قَالَ﴾ فرعون: ﴿نَعَمْ﴾ أعطيتكم الأجر ﴿وَأَنْتُمْ إِذَا غَلِبْتُمْ﴾ لمن المقربين: ﴿أَقْرَبَكُمْ إِلَى بِلَاطِي﴾.

[٤٣] ﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى﴾ ألقوا ما أنتمم ﴿أَيُّهَا السَّحْرَةُ﴾ ﴿مُلقُونَ﴾ من أنواع السحر.

[٤٤] ﴿فَالْقُوا حَبَالَهُمْ﴾ جمع حبل ﴿وَعَصِيهِمْ﴾ جمع عصا، وهي التي أظهروها في أعين الناس كأنها حيات ﴿وَقَالُوا﴾ أي السحرة: قسماً ﴿بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾.

[٤٥] ﴿فَالْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ﴾ تبلغ بسرعة ﴿مَا يَأْكُونُ﴾ ما أظهره في أعين الناس حيات، من الإفك بمعنى الكذب.

[٤٦] ﴿فَالْقَى السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ﴾ ألقاهم ما بهرهم من الحق حتى لم يتمالكوا أنفسهم أن أذعنوا وسجدوا لله.

[٤٧ - ٤٩] ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ رب موسى وهارون. ﴿قَالَ﴾ فرعون: هل ﴿آمَنْتُمْ لَهُ﴾ لرب موسى عليه السلام ﴿قَبْلَ أَنْ أَدْنَى لَكُمْ﴾ لأنه كان يزعم أنه لا

يجوز لأحد الإيمان إلا بإذنه ﴿إِنَّهُ﴾ موسى عليه السلام ﴿لَكَبِيرُكُم﴾ رئيسكم ﴿الَّذِي عَلَّمَكُمُ السَّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ وبال عملكم، وتأمركم مع موسى عليه السلام، فإن فرعون أظهر أن موسى عليه السلام والسحرة تأمروا على ذلك ﴿لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ﴾ اليد اليمنى والرجل اليسرى ﴿وَلَأَصْلَبَنَكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ شتقاً على المشائق.

[٥٠] ﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ﴾ لا ضرر علينا في ذلك ﴿إِنَّا إِلَى رَبِّنَا إِلَىٰ ثَوَابِهِ﴾ ﴿مُتَّقِلُونَ﴾ راجعون.

[٥١ - ٥٢] ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَاتِنَا﴾ كفرنا وذوننا ﴿أَنْ﴾ لأن، أي في قبال ﴿كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ المصدقين بإله موسى عليه السلام. ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ﴾ أخرج ليلاً ﴿بِعِبَادِي﴾ بني إسرائيل ﴿إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ﴾ أي يتبعكم فرعون، ولذا أخرج بهم ليلاً.

[٥٣] ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنَ﴾ حين أخبر بأنهم خرجوا عن مصر ﴿فِي الْمَدَائِنِ﴾ التي كانت تابعة له ﴿حَاشِرِينَ﴾ جامعين للناس ليقولوا لهم عن لسان فرعون:

[٥٤] ﴿إِنْ هَؤُلَاءِ﴾ موسى عليه السلام وبني إسرائيل ﴿لَشُرْذِمَةٌ﴾ جماعة ﴿قَلِيلُونَ﴾.

[٥٥] ﴿وَأَنْتُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ﴾ فاعلون ما أغضبنا.

[٥٦] ﴿وَأَنْتُمْ لَجَمِيعُ حَافِرُونَ﴾ في حذر من هؤلاء حتى لا يفسدوا، وكان هذا الكلام من فرعون لأجل توقي البلاد من موسى عليه السلام وقد أعلنه قبل أن يخرج لتعقيب موسى عليه السلام.

[٥٧] ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ﴾ فرعون وملاه ﴿مِنْ جَنَاتٍ﴾ بساتين مصر ﴿وَعُيُونٍ﴾ عيون مياهها جارية.

[٥٨] ﴿وَكُنُوزٍ﴾ أموالهم المكنوزة ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ منازل حسنة كانت لهم.

[٥٩] ﴿كَذَلِكَ﴾ هكذا ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا﴾ تلك النعم ﴿بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ حيث إن موسى عليه السلام بعد أن غرق فرعون أرسل جماعة من بني إسرائيل لحكومة مصر.

[٦٠] ﴿فَاتَّبَعُوهُمْ﴾ أتبع فرعون وجنوده موسى عليه السلام ومن معه ﴿مُشْرِقِينَ﴾ وقت دخولهم في شروق الشمس.

﴿٦١﴾ ﴿فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانَ﴾ رأى جمع موسى ﷺ وجمع فرعون أحدهما الآخر ﴿قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمَدْرُكُونَ﴾ يدركننا فرعون الآن، قالوا ذلك خائفين.

﴿٦٢﴾ ﴿قَالَ﴾ موسى ﷺ: ﴿كَلَّا﴾ لا يدركوننا ﴿إِنْ مَعِيَ رَبِّي﴾ بالتصرة والخلص ﴿سَيَهْدِينِي﴾ يهديني إلى طريق الخلاص.

﴿٦٣﴾ ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ﴾ البحر الأحمر الذي كان أمامهم، فضربه ﴿فَانْفَلَقَ﴾ أي انشق اثني عشر مسلماً ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ﴾ كل قطعة من ماء البحر ﴿كَالطُّودِ﴾ الجبل ﴿الْعَظِيمِ﴾ فدخلوا في البحر يسلكون الطرق.

﴿٦٤﴾ ﴿وَأَزَلَفْنَا﴾ قربنا إلى البحر ﴿ثُمَّ﴾ هناك ﴿الْآخِرِينَ﴾ فرعون وجنوده حتى دخلوا البحر.

﴿٦٥﴾ ﴿وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ﴾ بأن خرجوا من البحر، وفرعون وجنوده وصلوا إلى وسطه.

﴿٦٦﴾ ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ﴾ بإطباق ماء البحر عليهم.

﴿٦٧﴾ ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ﴾ نجاة موسى ﷺ وهلاك فرعون ﴿لَايَةً﴾ لمعجزة كبيرة ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ﴾ أكثر بني إسرائيل ﴿مُؤْمِنِينَ﴾ مع رؤية هذه الآية.

﴿٦٨﴾ ﴿وَإِنْ رَبُّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ في سلطانه ﴿الرَّحِيمُ﴾ بعباده، ولذا لا يعاجلهم بالعقوبة.

﴿٦٩﴾ ﴿وَاتْلُ﴾ اقرأ ﴿عَلَيْهِمْ﴾ على الناس ﴿نَبَأَ﴾ خبر ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ ﷺ.

﴿٧٠﴾ ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ﴾ عمه آزر ﴿وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ﴾ استهتام إنكار.

﴿٧١﴾ ﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظُلُّ﴾ ندوم ﴿لَهَا عَافِيَةً﴾ مقيمين على عبادتها.

﴿٧٢﴾ ﴿قَالَ﴾ إبراهيم ﷺ: ﴿هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ﴾ أي يسمعون كلامكم ﴿إِذْ تَدْعُونَ﴾ حين تدعون الأصنام.

﴿٧٣ - ٧٤﴾ ﴿أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾ قالوا: أي الكفار: ﴿بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ يعبدون الأصنام، ونحن تبع لهم.

﴿٧٥﴾ ﴿قَالَ﴾ إبراهيم ﷺ: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾.

﴿٧٦﴾ ﴿أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ﴾ فإن الباطل لا ينقلب حقاً بتقادم عهده.

﴿٧٧﴾ ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي﴾ أي عدو للإنسان حيث يسبب هلاكه وعقابه ﴿إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ فإنه المعبود الحق الذي لا يضر الإنسان إذا عبده، بل ينفعه.

﴿٧٨﴾ ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِي﴾ يرشدني إلى مصالحه.

﴿٧٩﴾ ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي﴾ يسقيني، فإنه خلق الماء والغذاء.

﴿٨٠﴾ ﴿وَإِذَا مَرَضْتُ﴾ فهو يشفيني، يشفيني بيده وإنما الطبيب وسيلة.

﴿٨١﴾ ﴿وَالَّذِي يَمْتَنِي﴾ ثم يحييني في الآخرة للحساب.

﴿٨٢﴾ ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي﴾ ترك الأولى، فإن أعمال الأنبياء ﷺ الضرورية كالأكل والشرب وما أشبه يعدونها خطأ لمعرفتهم بالله معرفة تامة فيرون قصور أنفسهم أمام جلاله، كما إذا اضطر الإنسان لمد رجله أمام الملك فإنه يعده خطأ وإن كانت الضرورة ساقته إلى ذلك ﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾ يوم الجزاء.

﴿٨٣﴾ ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا﴾ لبيان أن الحكم بين الناس إنما هو لله ولمن أذن له ﴿وَالْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ من عبادك.

﴿٦١﴾ ﴿فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانَ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمَدْرُكُونَ﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ ﴿قَالَ﴾ مُوسَى ﷺ: ﴿كَلَّا﴾ لَا يَدْرِكُونَنَا ﴿إِنْ مَعِيَ رَبِّي﴾ بِالتَّصْرَةِ وَالْخِلَاصِ ﴿سَيَهْدِينِي﴾ يَهْدِينِي إِلَى طَرِيقِ الْخِلَاصِ. ﴿٦٣﴾ ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ﴾ الْبَحْرُ الْأَحْمَرُ الَّذِي كَانَ أَمَامَهُمْ، فَضْرَبَهُ ﴿فَانْفَلَقَ﴾ أَي انْشَقَّ اثْنَيْ عَشَرَ مَسْلَكًا ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ﴾ كُلُّ قِطْعَةٍ مِنْ مَاءِ الْبَحْرِ ﴿كَالطُّودِ﴾ الْجَبَلِ الْعَظِيمِ ﴿فَدَخَلُوا فِي الْبَحْرِ﴾ يَسْلُكُونَ الطَّرِيقَ. ﴿٦٤﴾ ﴿وَأَزَلَفْنَا﴾ قَرَّبْنَا إِلَى الْبَحْرِ ﴿ثُمَّ﴾ هُنَاكَ ﴿الْآخِرِينَ﴾ فِرْعَوْنَ وَجُنُودَهُ حَتَّى دَخَلُوا الْبَحْرَ. ﴿٦٥﴾ ﴿وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ﴾ بِأَنْ خَرَجُوا مِنَ الْبَحْرِ، وَفِرْعَوْنَ وَجُنُودَهُ وَصَلُوا إِلَى وَسْطِهِ. ﴿٦٦﴾ ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ﴾ بِإِطْبَاقِ مَاءِ الْبَحْرِ عَلَيْهِمْ. ﴿٦٧﴾ ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ﴾ نَجَاتُ مُوسَى ﷺ وَهَلَاكُ فِرْعَوْنَ ﴿لَايَةً﴾ لِمُعْجَزَةٍ كَبِيرَةٍ ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ﴾ أَكْثَرُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿مُؤْمِنِينَ﴾ مَعَ رُؤْيَا هَذِهِ الْآيَةِ. ﴿٦٨﴾ ﴿وَإِنْ رَبُّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ فِي سُلْطَانِهِ ﴿الرَّحِيمُ﴾ بِعِبَادِهِ، وَلِذَا لَا يَعَاجِلُهُم بِالْعُقُوبَةِ.

﴿٦٩﴾ ﴿وَاتْلُ﴾ اقْرَأْ ﴿عَلَيْهِمْ﴾ عَلَى النَّاسِ ﴿نَبَأَ﴾ خَبَرَ ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ ﷺ.

﴿٧٠﴾ ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ﴾ عَمَّهُ آزَرَ ﴿وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ﴾ اسْتِهْطَامَ انْكَارٍ.

﴿٧١﴾ ﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظُلُّ﴾ نَدُومٌ ﴿لَهَا عَافِيَةً﴾ مُقِيمِينَ عَلَى عِبَادَتِهَا.

﴿٧٢﴾ ﴿قَالَ﴾ إِبْرَاهِيمُ ﷺ: ﴿هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ﴾ أَي يَسْمَعُونَ كَلَامَكُمْ ﴿إِذْ تَدْعُونَ﴾ حِينَ تَدْعُونَ الْأَصْنَامَ.

﴿٧٣ - ٧٤﴾ ﴿أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾ قَالُوا: أَيِ الْكَافِرِ: ﴿بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ، وَنَحْنُ تَبِيعُ لَهُمْ.

﴿٧٥﴾ ﴿قَالَ﴾ إِبْرَاهِيمُ ﷺ: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾.

﴿٧٦﴾ ﴿أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ﴾ فَإِنَّ الْبَاطِلَ لَا يَنْقَلِبُ حَقًّا بِتَقَادُمِ عَهْدِهِ.

﴿٧٧﴾ ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي﴾ أَيِ عَدُوٍّ لِلْإِنْسَانِ حَيْثُ يَسَبِّبُ هَلَاكَهُ وَعِقَابَهُ ﴿إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ فَإِنَّهُ الْمَعْبُودُ الْحَقُّ الَّذِي لَا يَضُرُّ الْإِنْسَانَ إِذَا عَبَدَهُ، بَلْ يَنْفَعُهُ.

﴿٧٨﴾ ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِي﴾ يَرْشِدُنِي إِلَى مَصَالِحِي.

﴿٧٩﴾ ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي﴾ يَسْقِينِي، فَإِنَّهُ خَلَقَ الْمَاءَ وَالْغَذَاءَ.

﴿٨٠﴾ ﴿وَإِذَا مَرَضْتُ﴾ فَهُوَ يَشْفِينِي، يَشْفِينِي بِيَدِهِ وَإِنَّمَا الطَّبِيبُ وَسِيلَةٌ.

﴿٨١﴾ ﴿وَالَّذِي يَمْتَنِي﴾ ثُمَّ يَحْيِينِي فِي الْآخِرَةِ لِلْحِسَابِ.

﴿٨٢﴾ ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي﴾ تَرَكْتُ الْأَوَّلَى، فَإِنَّ أَعْمَالَ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ الضَّرُورِيَّةَ كَالْأَكْلِ وَالشَّرْبِ وَمَا أَشْبَهَ يَعْدُونَهَا خَطَايَا لِمَعْرِفَتِهِمْ بِاللَّهِ مَعْرِفَةً تَامَةً فَيَرَوْنَ قُصُورَ أَنْفُسِهِمْ أَمَامَ جَلَالِهِ، كَمَا إِذَا اضْطُرَّ الْإِنْسَانُ لِمَدِّ رِجْلِهِ أَمَامَ الْمَلِكِ فَإِنَّهُ يَعْدُهُ خَطَاً وَإِنْ كَانَتْ الضَّرُورَةُ سَاقَتْهُ إِلَى ذَلِكَ ﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾ يَوْمَ الْجَزَاءِ.

﴿٨٣﴾ ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا﴾ لِيُبَيِّنَ أَنَّ الْحُكْمَ بَيْنَ النَّاسِ إِنَّمَا هُوَ لِلَّهِ وَلِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴿وَالْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ مِنْ عِبَادِكَ.

[٨٤] ﴿وَجَعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ ذكرأ جميلاً صادقاً فيمن يأتي بعدي ، وذلك ليكون محفزاً للناس على الخير وأكون أسوة لهم .

[٨٥] ﴿وَجَعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾ بأن أُرث الجنة ذات النعمة فأملكها بعد أن كانت لغيري فإنها محل الحور والولدان حتى يأتي الإنسان فيملكها منهم .

[٨٦] ﴿وَافْغِرْ لَأَبِي﴾ بأن توفق عمي للتوبة حتى يستحق غفرانك ﴿إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ﴾ .

[٨٧] ﴿وَلَا تُخْزِنِي﴾ لا تفضحني بذنبي ﴿يَوْمَ يَبْعَثُونَ﴾ يبعث الناس .

[٨٨] ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ لسنجاة الناس ولإسعادهم .

[٨٩] ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ سالم عن الكفر والمعصية .

[٩٠] ﴿وَأُزْلِفَتْ﴾ قُرِبت ﴿الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ بحيث يرونها .

[٩١] ﴿وَبُزْزَتْ﴾ أظهرت ﴿الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ الضالين .

[٩٢] ﴿وَقِيلَ لَهُمْ﴾ للغاوين : ﴿أَيْنَ مَا﴾ أي الأصنام التي ﴿كُتِمَ تَعْبُدُونَ﴾ تعبدونها ، لماذا لا تنصركم .

[٩٣] ﴿مَنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ﴾ بدفع العذاب عنكم ﴿أَوْ يَنْتَصِرُونَ﴾ بدفع العذاب عن أنفسهم فإن الأصنام تكون حصب جهنم ، والاستفهام للتقريع والتوبيخ .

وَجَعَلَ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَجَعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَأَغْفِرْ لَأَبِي إِنَّكَ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَنْ مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٠﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ ﴿٩١﴾ فَكَبَّكَوْا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴿٩٢﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٣﴾ قَالُوا لَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٤﴾ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٩٥﴾ إِذْ نُسَبِّحُكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَاءَ مَا يَنْشِئُونَ ﴿٩٨﴾ وَلَا صَدِيقٌ حَمِيمٌ ﴿٩٩﴾ فَلَوْلَا نَكْرَةٌ فَفُتْنَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٠١﴾ وَإِنْ رَبُّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٢﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا عَلَيْهِمُ أَنْ يَكُونَ لَكُمْ آجُرٌ إِلَّا عَلَى رِبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٦﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا ﴿١٠٧﴾ قَالُوا أَنْتُمْ لَكُمْ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ﴿١٠٨﴾

[٩٤] ﴿فَكَبَّكَوْا﴾ ألقوا ﴿فيها﴾ في النار ﴿هم﴾ الآلهة ﴿والغاوين﴾ أتباعهم .

[٩٥] ﴿وجنود إبليس﴾ من الجن والإنس عبدوا الأصنام أم لم يعبدوها ﴿أجمعون﴾ .

[٩٦ - ٩٨] ﴿قَالُوا﴾ أي العبداء ﴿وهم فيها يختصمون﴾ مع الأصنام : ﴿تالله﴾ ﴿إن﴾ ﴿إنا﴾ ﴿كنّا في ضلال﴾ انحراف ﴿مبين﴾ ظاهر . ﴿إذ نسؤكم﴾ نجعلكم أيها الأصنام عدلاً ﴿رب العالمين﴾ .

[٩٩] ﴿وما أضلنا﴾ عن التوحيد ﴿إلا المجرمون﴾ رؤساؤنا .

[١٠٠] ﴿فما لنا من شافعين﴾ يشفعون لنا لإفناذنا من العذاب كما يشفع الأنبياء والأولياء للعصاة من أتباعهم .

[١٠١] ﴿ولا صديق حميم﴾ يودنا ودأ بحيث يهيم أمرنا .

[١٠٢] ﴿فلو﴾ للتمني ﴿إن لنا كزّة﴾ رجعة إلى الدنيا ﴿فنكون من المؤمنين﴾ .

[١٠٣] ﴿إن في ذلك﴾ الذي قصصناه عليك ﴿آية﴾ دلالة لمن نظر فيها ﴿وما كان أكثرهم﴾ أكثر قوم إبراهيم عليه السلام ﴿مؤمنين﴾ .

[١٠٤ - ١٠٥] ﴿وإن ربك لهو العزيز الرحيم﴾ كذبت قوم نوح المرسلين الذين أرسلهم الله إليهم ، لأنهم بتكذيبهم نوح كذبوا سائر الأنبياء عليه السلام ، أو المراد الجنس فإن الجمع قد يأتي في مكان الجنس كالعكس .

[١٠٦] ﴿إذ قال لهم أخوهم﴾ من قبيلتهم ﴿نوح﴾ ﴿ألا تتقون﴾ الله بترك الشرك والعصيان .

[١٠٧] ﴿إني لكم رسول أمين﴾ في أداء الرسالة .

[١٠٨] ﴿فاتقوا الله وأطيعون﴾ أطيعوني فيما أمركم به .

[١٠٩] ﴿وما أسألكم عليه من أجر إن أجرينى إلا على رب العالمين﴾ .

[١١٠] ﴿فاتقوا الله وأطيعون﴾ أطيعوني .

[١١١] ﴿قَالُوا أَنْتُمْ لَكُمْ وَالْحَالُ أَنَّهُ﴾ اتبعك ﴿في الإيمان﴾ ﴿الأردلون﴾ السفلة فنكون نحن وهم سواء .

[١١٢] ﴿قَالَ وَمَا عَلَّمِي مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي إني لا أعلم أعمالهم السابقة وإنما المهم إيمانهم الآن فإنه يجب ما قبله.

[١١٣] ﴿إِنْ﴾ ما ﴿حَسَابِهِمْ﴾ حساب أعمالهم ﴿إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي﴾ العالم بكل شيء ﴿لَوْ تَشْعُرُونَ﴾ لعلمتم ذلك، ولكنكم تريدون الجدل.

[١١٤] ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ لا أطردهم لكلامكم.

[١١٥] ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ﴾ أنذر بالعقاب من كفر وعصى ﴿مُبِينٌ﴾ واضح.

[١١٦] ﴿قَالُوا لَشَيْءٌ لَّمْ يَكُنْ لَكَ مِنْ نوحٍ﴾ عما تقول ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ نرجمك بالحجارة.

[١١٧] ﴿قَالَ﴾ نوح ﴿عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾: يَا ﴿رَبِّ إِن قَوْمِي كَذَّبُون﴾ كذبوني.

[١١٨] ﴿فَانْفَتَح﴾ احكم ﴿بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتَحًا وَنَجْنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ من أذاهم وسوء أعمالهم.

[١١٩] ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِكِ﴾ السفينة ﴿الْمَشْحُونِ﴾ المملوء بالإنسان والحيوان.

[١٢٠] ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ رُكُوبَهُمْ فِي الْفُلِكِ﴾ الباقين من قومه الكفار.

[١٢١ - ١٢٢] ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ * وإن ربك لهو العزيز الرحيم.

[١٢٣] ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ﴾ قبيلة عاد ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾.

[١٢٤] ﴿إِذْ قَالَ لَهُم أَخُوهُمْ﴾ في القبيلة ﴿هُودٌ﴾ النبي ﴿عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾.

[١٢٥] ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾.

[١٢٦] ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَطِيعُونِي﴾.

[١٢٧ - ١٢٨] ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ * أتنبون بكل ربيع مكان مرتفع ﴿آيَةً﴾ علامة من البناء ﴿تَعْبَثُونَ﴾ يبنونها، فإنهم كانوا يبنون محلات اللهو في مرتفعات الطرق.

[١٢٩] ﴿وَتَتَخَذُونَ مِصْنَاعَ﴾ حصوناً مشيدة ﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ ترجون الخلود والبقاء الأبدى بسبب تلك الحصون.

[١٣٠] ﴿وَإِذَا بَطِشْتُمْ﴾ عاقبتم أحداً ﴿بَطِشْتُمْ جَبَارِينَ﴾ أي بطش الجبارة بزيادة عن الاستحقاق.

[١٣١] ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ بترك هذه الأمور ﴿وَأَطِيعُوا﴾ أطيعوني.

[١٣٢] ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ﴾ أعطاكم ﴿بِمَا تَعْلَمُونَ﴾ من ضروب النعم.

[١٣٣] ﴿أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ﴾ الإبل والبقر والغنم ﴿وَبَيْنِينَ﴾.

[١٣٤] ﴿وَجَنَاتٍ﴾ بساتين ﴿وَعُيُونٍ﴾.

[١٣٥] ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ إن عصيتم ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ في الدنيا والآخرة.

[١٣٦] ﴿قَالُوا سِوَاةَ عَلَيْنَا أَوْعَظْتَ﴾ وعظمتنا يا هود ﴿أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ﴾ لأننا لا نترك عادتنا.

قَالَ وَمَا عَلَّمِي مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حَسَابِهِمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿١١٥﴾ قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَنْتَهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِن قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَأَنْفَتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتَحًا وَنَجْنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِكِ الْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَتْ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنْ رَبِّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾ كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُم أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٢٦﴾ وَأَمَّا سَأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَنْبُونَ بِكُلِّ رِيعٍ مَاءٍ تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَخَذُونَ مِصْنَاعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٣١﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَيْنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ قَالُوا سِوَاةَ عَلَيْنَا أَوْعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾

[١٣٧] ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هذا﴾ الذي تقوله ﴿إِلَّا خَلَقَ الْأَوَّلِينَ﴾
اختلاقهم وكذبهم .

[١٣٨] ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾ كما تزعم .

[١٣٩ - ١٤٠] ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ﴾ بسبب تكذيبهم
بريح صرصر عاتية ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ
مُؤْمِنِينَ﴾ وإن ربك لهو العزيز الرحيم .

[١٤١] ﴿كَذَبْتَ ثَمُودَ﴾ قبيلة ﴿المرسلين﴾ .

[١٤٢] ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ﴾ النبي ﷺ : ﴿أَلَا
تَتَّقُونَ﴾ .

[١٤٣ - ١٤٤] ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ فاتقوا الله
وأطيعون ﴿أطيعون﴾ .

[١٤٥ - ١٤٦] ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا
عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أتركون في ما هاهنا ﴿أَي هَل تظنون
أنكم تتركون في ما أعطاكم الله من الخير في الدنيا
﴿أمنين﴾ في حال أمن وسلام .

[١٤٧ - ١٤٨] ﴿فِي جَنَّاتٍ وَعَيْونَ﴾ وزروع ونخل
طلعها ﴿أَي ما يطلعها من الرطب ﴿هضيم﴾ هنيء يهضم .

[١٤٩] ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ﴾ من الفراهة
بمعنى السعة والنشاط .

[١٥٠] ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ أطيعوني .

[١٥١] ﴿وَلَا تَطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ﴾ الذين يجاوزون الحد

إِنْ هَذَا إِلَّا خَلَقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ
فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنْ
رَبُّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾ كَذَبْتَ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ
لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾
فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٤٤﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ
إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُرْكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ ﴿١٤٦﴾
فِي جَنَّاتٍ وَعَيُْونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾
وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٥٠﴾
وَلَا تَطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ الَّذِينَ يَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ
وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا أَنْتَ
إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بَآيَةً إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ
هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمْسُوهَا
يَسُوءَ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا
تَلَدَمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَتْ
أَكْثَرَهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنْ رَبُّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾

في أمورهم، وهم رؤساؤهم .

[١٥٢] ﴿الَّذِينَ يَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ فيها .

[١٥٣] ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ الذين سحرهم الساحرون حتى ذهب عقلهم، فكلامك كلام مجنون .

[١٥٤] ﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ ولست برسول ﴿فَاتِ بَآيَةً﴾ بمعجزة ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في دعواك الرسالة .

[١٥٥] ﴿قَالَ﴾ صالح ﷺ بعد أن دعا الله فأخرج لهم ناقة كبيرة وفصيلها من الجبل : ﴿هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ﴾ نصيب من
الماء ﴿وَلَكُمْ شِرْبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ﴾ فيوم لكم الماء لا تشرب هي، ويوم لها الماء لا تشربون أنتم .

[١٥٦] ﴿وَلَا تَمْسُوهَا﴾ لا تصيبوا الناقة ﴿بِسُوءٍ﴾ بأذى ﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَظِيمٍ﴾ في الدنيا والآخرة .

[١٥٧] ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ جرحوها وقتلوها ﴿فَاصْبَحُوا نَادِمِينَ﴾ من عقرها حيث رأوا نزول العذاب .

[١٥٨ - ١٥٩] ﴿فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ﴾ الذي وعدهم صالح ﷺ به ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ وإن ربك
لهو العزيز الرحيم .

[١٦٠ - ١٦٣] ﴿كَذَبَتْ قَوْمٌ لوط المرسلين﴾ * إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون ﴿إني لكم رسول أمين﴾ * فاتقوا الله وأطيعون ﴿أطيعوني﴾ .

[١٦٤] ﴿وما أسألكم عليه من أجر إن أجرين أجرى إلا على رب العالمين﴾ * وقد كانت دعوة الأنبياء ﷺ كلهم بهذه الأمور من الاعتقاد بالالوهية والرسالة والإطاعة والتقوى .

[١٦٥] ﴿أتأتون الذكران﴾ * تلوطون بهم ﴿من العالمين﴾ الناس .

[١٦٦] ﴿وتذرون﴾ * تتركون ﴿ما خلق لكم ربكم من أزواجكم﴾ * نسائكم ﴿بل أنتم قوم عادون﴾ * تتجاوزون الحلال إلى الحرام .

[١٦٧] ﴿قالوا لئن لم تنته﴾ * عن كلامك ﴿بإل لوط لتكونن من المخرجين﴾ * نخرجك عن بلدنا .

[١٦٨] ﴿قال﴾ * لوط : ﴿إني لمملككم﴾ * القبيح ﴿من القالين﴾ * المبغضين .

[١٦٩] ﴿رب نجني وأهلي مما يعملون﴾ * بتدني عنهم حتى لا أرى أعمالهم .

[١٧٠ - ١٧١] ﴿فنجيناها وأهلها أجمعين﴾ * إلا عجوزاً ﴿هي زوجته الكافرة﴾ * في الغابرين ﴿بقيت في الباقيين وعذبت معهم﴾ .

[١٧٢] ﴿ثم دمرنا﴾ * أهلكتنا ﴿الآخرين﴾ * الكافرين .

[١٧٣] ﴿وأمطرنا﴾ * بالحجارة ﴿عليهم مطراً فساء﴾ * فبس المطر ﴿مطر المنذرين﴾ * الذين أنذروا فلم يقبلوا .

[١٧٤ - ١٧٥] ﴿إن في ذلك لآية﴾ * وما كان أكثرهم مؤمنين ﴿وإن ربك لهُو العزيز الرحيم﴾ * .

[١٧٦] ﴿كذب أصحاب الأيكة﴾ * هي الشجرة الملتفة كانت غيضة في قريها قوم شعيب عليه السلام ﴿المرسلين﴾ * .

[١٧٧ - ١٧٩] ﴿إذ قال لهم شعيب ألا تتقون﴾ * إني لكم رسول أمين ﴿فاتقوا الله وأطيعون﴾ * أطيعوني .

[١٨٠ - ١٨١] ﴿وما أسألكم عليه من أجر إن أجرين أجرى إلا على رب العالمين﴾ * أوفوا الكيل ﴿أتموه﴾ * ولا تكونوا من المخسرين ﴿حقوق الناس﴾ .

[١٨٢] ﴿وزنوا﴾ * من (وزن يزن) ﴿بالقسطاس﴾ * الميزان ﴿المستقيم﴾ * التام حتى لا تنقصوا حق الناس .

[١٨٣] ﴿ولا تبخسوا﴾ * لا تنقصوا ﴿الناس أشياءهم ولا تعثوا﴾ * لا تسعوا سعي فساد ﴿في الأرض مفسدين﴾ * في حال كونكم مفسدين .

كَذَبَتْ قَوْمٌ لوط المرسلين ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لوطُ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا عَمْرًا ﴿١٦٣﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ الذِّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَلوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَجَنَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَدِيرِ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ ﴿١٧٣﴾ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ﴿١٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهِوَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿١٧٦﴾ لَيْكَلَةُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٧﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٨﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا عَمْرًا ﴿١٨٠﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨١﴾ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨٢﴾ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٣﴾ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٤﴾

[١٨٤] ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ ﴿وَالْجِبِلَّةَ﴾ ﴿الْخَلِيقَةَ﴾ ﴿الْأُولِينَ﴾ ﴿أَبَاءَكُمْ﴾.

[١٨٥] ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ ﴿الَّذِينَ سُحِرُوا﴾ كثيراً فذهب عقلهم.

[١٨٦] ﴿وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ ﴿فَلَسْتَ بِنَبِيٍّ﴾ ﴿وَأَنْتَ﴾ مخففة من الثقيلة ﴿فَنظُنُّكَ لِمَنِ الْكَادِبِينَ﴾ في دعواك.

[١٨٧] ﴿فَاسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا﴾ ﴿قِطْعًا﴾ ﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾ ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في أنك نبي.

[١٨٨] ﴿قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿فِيحَازِيكُمْ عِقَابًا﴾ يناسب عملكم، من إسقاط كسف أو غيره.

[١٨٩ - ١٩١] ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾ أصابهم حر شديد ثم أظلمتهم سحابة ظنوا أن فيها الماء والهواء فأمطرت عليهم ناراً فأحرقتهم ﴿إِنَّهُ كَانَ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾

﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿وَأَنَّ رَبَّكَ لَهوَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾.

[١٩٢] ﴿وَإِنَّهُ﴾ ﴿الْقُرْآنَ﴾ ﴿لَتَنْزِيلُ﴾ ﴿أَنْزَلَهُ﴾ ﴿رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.

[١٩٣] ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ﴾ ﴿جِبْرِيلُ﴾ ﴿الْأَمِينُ﴾ ﴿فِي مَا أَتَى بِهِ﴾.

[١٩٤] ﴿عَلَى قَلْبِكَ﴾ ﴿إِلْهَامًا﴾ ﴿لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ ﴿الْمُخَوِّفِينَ لِلْكَفَّارِ وَالْعَصَاةِ﴾.

[١٩٥] ﴿بِلِسَانٍ﴾ ﴿بَلُغَةٍ﴾ ﴿عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ واضح.

[١٩٦] ﴿وَإِنَّهُ﴾ أي إن ذكر القرآن ﴿لَفِي زُبرٍ﴾ كتب ﴿الْأُولِينَ﴾ الأنبياء السابقين ﷺ.

[١٩٧] ﴿أَوَّلُ مَا يَكُنْ لَهُمْ﴾ لأهل الكتاب ﴿آيَةٌ﴾ دالة على صدق القرآن ﴿أَنْ﴾ كي ﴿يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ حتى يصدقوا به، وهذا استفهام تقرير، أي كانت لهم آية لكنهم أخفوها.

[١٩٨] ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ﴾ أي القرآن ﴿عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ﴾ الحيوانات العجم.

[١٩٩] ﴿فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ﴾ أي على الكفار، مما لم يكن محل شبهة أنه إعجاز ﴿مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ لأنهم معاندون، وهذا تسلية للرسول ﷺ.

[٢٠٠] ﴿كَذَلِكَ﴾ كما أنزلنا القرآن عربياً ﴿سَلَكْنَاهُ﴾ أدخلناه ﴿فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ ليم عليهم الحجة.

[٢٠١] ونحن نعلم أنهم ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ بالقرآن عناداً ﴿حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ المؤلم عند الموت أو في الآخرة.

[٢٠٢] ﴿فِي آتِيهِمْ﴾ العذاب ﴿بَغْغَةً﴾ فجأة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بوقت مجيئه.

[٢٠٣] ﴿فَيَقُولُوا﴾ حين يأتيهم العذاب: ﴿هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ﴾ يمهلوننا لنؤمن، وقولهم ذلك من الندم والتحسر حين لا ينفع.

[٢٠٤] ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ فإن الكفار كانوا يطلبون العذاب من الله استهزاء بالرسول ﷺ.

[٢٠٥] ﴿أَفَرَأَيْتَ﴾ أخبرني ﴿إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ﴾ بأن أمددنا في عمرهم.

[٢٠٦] ﴿ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا﴾ أي العذاب الذي ﴿كَانُوا يوعَدُونَ﴾ وعدناهم به إن لم يؤمنوا.

وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأُولِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لِمَنِ الْكَادِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَاسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٨٩﴾ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهوَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿١٩١﴾ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُ لَفِي زُبرِ الْأُولِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَّلُ مَا يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيهِمْ بَغْغَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾

[٢٠٧] ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْتَعُونَ﴾ لم يغن عنهم تمتيعهم في رفع العذاب، والمعنى أن تأخير العذاب أو تعجيله لا يفيدهم شيئاً فإنهم معذبون لا محالة.

[٢٠٨] ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذَرُونَ﴾ أنبياء أو من يقوم مقامهم في إتمام الحجة.

[٢٠٩] ﴿ذَكَرَىٰ﴾ أي إنما نرسل لهم لأجل تذكيرهم ﴿وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ فما ظلمناهم بعدايبهم.

[٢١٠] ﴿وَمَا تَنْزَلَتْ بِهِ﴾ بالقرآن ﴿الشَّيَاطِينُ﴾ كما زعم الكفار بأن القرآن من كلام الشيطان وإنه ككهانة الكهان.

[٢١١] ﴿وَمَا يَنْبَغِي﴾ لا يصح ﴿لَهُمْ﴾ للشياطين التنزل به ﴿وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ ذلك.

[٢١٢] ﴿إِنَّهُمْ﴾ الشياطين ﴿عَنِ السَّمْعِ﴾ سماع كلام الملائكة ﴿لَمُعْزِلُونَ﴾ ممنوعون بالشهب، فكيف يقدرون على أخذ القرآن وإنزاله.

[٢١٣] ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُنْكُونَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ﴾ فإن المشرك يعذبه الله تعالى.

[٢١٤] ﴿وَأَنْذِرْ﴾ خَوْفَ ﴿عَشِيرَتِكَ﴾ أقرباءك ﴿الْأَقْرَبِينَ﴾ منهم، أي ابدأ بالأقرب فالأقرب منهم.

[٢١٥] ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾ أي تواضع، كما يخفض الطائر جناحه لصغاره تواضعاً ومحبة^(١) ﴿لِمَنْ أَتْبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْتَعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذَرُونَ ﴿٢٠٨﴾ وَذَكَرْنَا وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ وَمَا تَنْزَلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ عَنْ السَّمْعِ لَمُعْزِلُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُنْكُونَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَاكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ يَرْفَعُ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلِّبُكَ فِي السَّجْدِ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَنْ مَن تَنْزَلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنْزَلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَالشُّعْرَاءُ يُبْعَثُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾

سُورَةُ الشُّعْرَاءِ

[٢١٦ - ٢١٨] ﴿فَإِنْ عَصَاكَ﴾ الناس ولم يؤمنوا بك ﴿فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ من الكفر والعصيان. ﴿وَتَوَكَّلْ﴾ فَوَضَّ أَمْرَكَ ﴿عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾. ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ﴾ بالأمر.

[٢١٩ - ٢٢٠] ﴿وَيَرْفَعُ حِينَ تَقُومُ﴾ حركة ﴿فِي السَّجْدِ﴾ في جملة المؤمنين، والحاصل أنه يرى قيامك وحركتك في طائفة من المؤمنين، وهو مطلع على كل أحوالك. ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوالك ﴿الْعَلِيمُ﴾ بأحوالك.

[٢٢١] ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ﴾ أخبركم أيها الكفار، الذين تقولون بأن القرآن تنزيل الشيطان ﴿عَلَى مَنْ تَنْزَلُ﴾ تنزل ﴿الشَّيَاطِينُ﴾.

[٢٢٢ - ٢٢٣] ﴿تَنْزَلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ كذاب ﴿أثِيمٍ﴾ عاص. ﴿يُلْقُونَ السَّمْعَ﴾ يلقي الأفاك أذنه إلى الشيطان ويصغي إليه ﴿وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾ فيما يقولون، نعم أحياناً يطابق كلامهم الواقع.

[٢٢٤] ﴿وَالشُّعْرَاءُ﴾ ليس محمد ﷺ منهم كما زعمتم، وليس بكاهن كما قلتم ﴿يُبْعَثُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ الضالون، باستحسان أشعارهم الباطلة، وهل أتباع محمد ﷺ ضالون؟ كلا، فليس بشاعر.

[٢٢٥ - ٢٢٦] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ﴾ الشعراء ﴿فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ يترددون متحيرين، تارة يذمون وتارة يمدحون، وتارة بالعفيفات والغلمان يتشبهون وهكذا. ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ من وعد كاذب وحلف باطل ووعد فارغ، فليس محمد ﷺ كالشعراء، ولا أتباعه كأتباعهم.

[٢٢٧] ﴿إِلَّا﴾ الشعراء ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ بأن لم يكن شعرهم باطلاً وأنهم يكثر من ذكر الله حتى لا يرددهم الشعر ﴿وَانْتَصَرُوا﴾ طلبوا الانتصار والغلبة بشعرهم على الكفار الذين يهجون الرسول ﷺ والإسلام ﴿مَنْ بَعْدَ مَا ظَلَمُوا﴾ حيث يرون العذاب ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ﴾ مرجع ﴿يَنْقَلِبُونَ﴾ إليه، والمراد التهويل من مصيرهم الذي هو النار...

(١) أو كما يخفض الطائر جناحه عند سكونه.

٢٧: سورة النمل

مكية آياتها ثلاث وتسعون

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

[١] ﴿طس﴾ رمز بين الله والرسول ﷺ ﴿تلك﴾ هذه ﴿آيات القرآن﴾ المقروء ﴿وكتاب﴾ مكتوب ﴿مبين﴾ واضح.

[٢] في حال كونه ﴿هدى﴾ هداية ﴿وبشرى﴾ بشارة ﴿للمؤمنين﴾.

[٣] ﴿الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون﴾ لا يشكون فيه.

[٤] ﴿إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا﴾ جعلنا ﴿لهم أعمالهم﴾ حتى رأوها حسنة، وذلك حيث تركوا الهدى تركناهم وشأنهم حتى زانت أعمالهم في أعينهم فلازموها ﴿فهم يعمهون﴾ يتحIRON في الضلال.

[٥] ﴿أولئك الذين لهم سوء العذاب﴾ العذاب السيئ ﴿وهم في الآخرة هم الأخسرون﴾ الأكثر خسراناً من كل عاص.

[٦] ﴿وانك لتلقى﴾ لتأخذ ﴿القرآن من لدن حكيم﴾ الذي يضع الأشياء مواضعها ﴿عليم﴾ عالم بالآشياء.

[٧] ﴿إذ﴾ اذكر زمان ﴿قال موسى لأهله﴾ زوجته، وهما في الطريق وقد ضل فيه ﴿أو آتيكم بشهاب﴾ شعلة من النار لأجل الدفء فإن الهواء كان بارداً.

[٨] ﴿فلما جاءها﴾ جاء نحو النار ﴿نودي﴾ ناداه الله بأن خلق الصوت ﴿أن بورك﴾ بارك الله ﴿من في النار﴾ وهو موسى ﷺ حيث كان مشارفاً لها ﴿ومن حولها﴾ حول النار من الملائكة ﴿وسبحان الله﴾ تنزيهاً له فليس هو المخلوقين وليس كلامه خارجاً عن فم ولسان ﴿رب العالمين﴾.

[٩] ﴿يا موسى إنه﴾ أي المتكلم وخالق النور ﴿أنا الله العزيز﴾ الغالب في سلطانه ﴿الحكيم﴾ الذي يضع الأشياء مواضعها.

[١٠] ﴿والق عصاك﴾ على الأرض ﴿فلما رآها تهتز﴾ تتحرك ﴿كأنها جان﴾ حية ﴿ولى﴾ أعرض موسى ﷺ ﴿مدبراً﴾ فازاً ﴿ولم يعقب﴾ لم يرجع ﴿يا موسى لا تخف إني لا يخاف لدي المرسلون﴾ لأنهم يعلمون أن الله حافظهم.

[١١] ﴿إلا﴾ لكن ﴿من ظلم﴾ نفسه بفعل القبيح ﴿ثم بذل حسناً بعد سوء﴾ بأن عمل خيراً ﴿فإني غفور رحيم﴾.

[١٢] ﴿وأدخل يدك في جيبك﴾ طرف شق الثوب في جانب العنق ﴿تخرج﴾ اليد ﴿بيضاء﴾ ذات شعاع ﴿من غير سوء﴾ لا كيباض البرص ﴿في﴾ مع ﴿تسع آيات﴾ الفلق والطوفان والعجاء والقمل والضفادع والدم والطمس والجذب ونقص الثمرات ﴿إلى فرعون وقومه إنهم كانوا قوماً فاسقين﴾ خارجين عن طاعة الله، ولذا أرسلناك إليهم.

[١٣] ﴿فلما جاءتهم آياتنا مبصرة﴾ واضحة كأنها تبصر ﴿قالوا هذا﴾ الذي جاء به موسى ﷺ ﴿سحر مبين﴾ واضح.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طسَ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابِ مُبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَى
لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ
بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ
أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ
وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخَسُونَ ﴿٥﴾ وَإِنَّا لَنَلْقَى الْقُرْآنَ مِنَ
لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ
مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ بَشِيرٍ قَبْسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا
جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مِنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلُهَا وَسَبِّحَ اللَّهُ رَبِّ
الْعَالَمِينَ ﴿٨﴾ يَمْسُوحٌ إِلَيْهِ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقَى عَصَاهُ
فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمْسُوحٌ لَا يَخَفُ
إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمَرْسُولِ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلْ حَسَنًا بَعْدَ
سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخَلَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ
مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِذْ هُمْ كَاوُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ
﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١٣﴾

[١٤] ﴿وَجحدوا﴾ كذبوا ﴿بها واستيقنتها أنفسهم﴾ أي تيقنوا بها ﴿ظلمات﴾ لأنفسهم ﴿وعلوأ﴾ تكبراً ﴿فانظر كيف كان عاقبة المفسدين﴾ حيث أغرقوا.

[١٥] ﴿ولقد آتينا داود وسليمان علماً﴾ عظيماً ﴿وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين﴾ ممن لم يؤت مثل علمنا.

[١٦] ﴿وورث سليمان داود﴾ إرثاً من المال والعلم والجاه ﴿وقال يا أيها الناس علمنا﴾ علمنا الله ﴿منطق﴾ معنى نطق ﴿الطير﴾ الطيور، قاله تحدثاً بنعمة الله ﴿وأوتينا﴾ أعطانا الله ﴿من كل شيء﴾ مما نحتاج إليه ﴿إن هذا هو الفضل﴾ من الله ﴿المبين﴾ الواضح.

[١٧] ﴿وحشر﴾ جمع ﴿لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون﴾ يحسون لأجل الاجتماع وفيه هبة وعزة.

[١٨] ﴿حتى إذا أتوا﴾ أتى سليمان ﷺ مع جنوده ركباً البساط ﴿على واد النمل﴾ واد كثير النمل ﴿قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم﴾ لأجل أن ﴿لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون﴾ بتحطيمكم.

[١٩] ﴿فتبسم﴾ سليمان ﷺ، وهو أول الضحك ﴿ضاحكاً من قولها﴾ قول النملة، تعجباً من حذرها وتحذيرها ﴿وقال رب أوزعني﴾ وفقني ﴿أن أشكر نعمتك

وَجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً فانظر كيف كان عاقبة المفسدين ﴿١٤﴾ وَلقد آتينا داود وسليمان علماً وَقَالا الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمٰنُ دَاوُدَ وَقَالَ يٰٓأَيُّهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأَوْتِينَا مِّنْ كُلِّ شَيْءٍ إِن هٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾ لَسُلَيْمٰنَ جُنُودٌ مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلٰى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يٰٓأَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمٰنَ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَبَسَّ ضَاحِكًا مِّنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْدَ هٰذَا مِمَّنْ كَانَ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢٠﴾ لَاعَذِبْنَاهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَا أَذِبحَهُ أَوْ لِيَأْتِنِي بِسُلْطٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحْطُ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾

التي أنعمت عليّ﴾ من كل النعم التي منها معرفة منطق الطير ﴿وعلى والدي﴾ بأن جعلته نبياً وجعلتها زوجة نبي ﴿وأن أعمل صالحاً ترضاه وأدخلني برحمتك في﴾ جملة ﴿عبادك الصالحين﴾ مقابل الفاسدين.

[٢٠] ﴿وتفقد الطير﴾ افتقده ﴿فقال ما لي لا أرى الهدد أم﴾ بل ﴿كان من الغافلين﴾.

[٢١] ﴿لأعذبه عذاباً شديداً﴾ كنتف ريشه ﴿أو لأذبحه أو ليأتيني بسلطان مبين﴾ حجة ﴿مبين﴾ واضح تكون عذراً له في غيبته.

[٢٢] ﴿فمكث﴾ لبث سليمان ﷺ ﴿غير بعيد﴾ زماناً قصيراً حتى جاء الهدد ﴿فقال أحطت﴾ أطلعت ﴿بما لم تحط﴾ تعلم ﴿به وجئتك من سبأ﴾ مدينة باليمن ﴿بنبأ﴾ بخبر ﴿يقين﴾ صادق.

[٢٣] ﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿وَأُوتِيَتْ﴾ أعطيت ﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه الملوك ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ سرير ﴿عَظِيمٌ﴾ كبير.

[٢٤] ﴿وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ فلا يسجدون لله ﴿وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ القبيحة فراوها حسنة ﴿فَصَدَّهُمْ﴾ منعهم ﴿عَنِ السَّبِيلِ﴾ سبيل الله ﴿فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ إليه.

[٢٥] وذلك بـ ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ﴾ المخبوء المخفي ﴿فِي السَّمَاوَاتِ﴾ كالمطر ﴿وَالْأَرْضِ﴾ كالنبات، أي كلما يخرج من العدم إلى الوجود ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَخْفُونَ وَمَا تَعْلَنُونَ﴾ الخفايا والظواهر.

[٢٦ - ٢٧] ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ قال سليمان عليه السلام: ﴿سَنَنْظُرُ﴾ في أمرك يا هدهد ﴿أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾.

[٢٨] ﴿أَذْهَبْ بَكِتَابِي هَذَا﴾ فإن سليمان عليه السلام كتب كتاباً إلى بلقيس ﴿فَالْقَهْ﴾ اطرح الكتاب ﴿إِلَيْهِمْ﴾ إلى أهل سبا ﴿ثُمَّ تَوَلَّ﴾ تنح ﴿عَنَّهُمْ﴾ إلى جانب ﴿فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ يرجع بعضهم إلى بعض من القول، فجاء الهدد فألقى الكتاب إلى بلقيس.

[٢٩] ﴿قَالَتْ﴾ لمن حولها: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ﴾ الأشراف ﴿إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيْكَ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ محترم.

إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تَعْلَنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ ﴿٢٧﴾ قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٨﴾ أَذْهَبْ بَكِتَابِي هَذَا فَالْقَهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٩﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيْكَ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴿٣٠﴾ إِنَّهُمْ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣١﴾ أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَى وَاتُونِي سُلَيْمِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴿٣٣﴾ قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٤﴾ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَازَ أَهْلِهَا أَذَلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِنِّي مَرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٦﴾

[٣٠] ﴿إِنَّهُ﴾ أي الكتاب ﴿مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ﴾ أي المكتوب ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

[٣١] ﴿أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَيَّ﴾ بأن لا تتكبروا على سليمان عليه السلام ﴿وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ حال كونكم منقادين لله، والكتاب دعوة إلى الألوهية وإلى الرسالة.

[٣٢] ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي﴾ أجيئوني فيما ينبغي أن أتخذ في هذا الموقف ﴿مَا كُنتُ قَاطِعَةً﴾ قاضية ﴿أَمْرًا﴾ في أمر ﴿حَتَّى تَشْهَدُونَ﴾ تحضرون وتشيرون علي بالصواب.

[٣٣] ﴿قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً﴾ بالمال والجند ﴿وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ مراس في الحرب وشجاعة. ﴿وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ من الحرب والصلح.

[٣٤] ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً﴾ بالقهر والغلبة ﴿أَفْسَدُوهَا﴾ خربوها ﴿وَجَعَلُوا أَعْرَازَ أَهْلِهَا أَذَلَّةً﴾ أهانوهم بالقتل والأسر، ثم أكدت كلامها بقولها: ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما قلت ﴿يَفْعَلُونَ﴾ يفعلون الملوك.

[٣٥] ﴿وَإِنِّي مَرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ﴾ إلى سليمان عليه السلام ﴿بِهَدِيَّةٍ﴾ أصانهم بها ﴿فَنَاظِرَةٌ﴾ ثم أنظر ﴿بِمَ﴾ بماذا ﴿يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ الذين أرسلهم بالهدية هل يرجعون بالزهد أو القبول.

[٣٦] ﴿فَلَمَّا جَاءَ الرَّسُولَ﴾ سليمان قال ﴿سليمان قال﴾ ﴿وَأَتَمِدُونَنِي بِمَالٍ﴾ أتزيدوني مالاً، على نحو استفهام إنكاري ﴿فَمَا أَنَا فِي اللَّهِ﴾ ما أعطاني من الأموال والجاه ﴿خَيْرٌ مِّمَّا أَنَا كُمْ بَلْ أَنْتُمْ يَهْدِيكُمْ﴾ بما يهدي بعضكم إلى بعض ﴿تَفْرَحُونَ﴾ حيث تزدادون بها أموالاً.

[٣٧] ﴿ارْجِعْ﴾ أيها الرسول ﴿إِلَيْهِمْ﴾ مع ما جئت من الهدية ﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بَجُنُودٍ لَا قَبْلَ﴾ طاقة ﴿لَهُمْ بِهَا﴾ بتلك الجنود ﴿وَلَنَخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا﴾ من سبأ ﴿أَذَلَّةٌ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ مهانون.

[٣٨] ﴿قَالَ﴾ سليمان ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي﴾ يأتي أشرف سبأ وبلقيس في حال كونهم ﴿مسلمين﴾.

[٣٩] ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ﴾ مارد قوي ﴿مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ﴾ أي بعرشها ﴿قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ﴾ مجلسك الذي تجلس فيه للحكم، وكان مدته إلى الظهر تقريباً ﴿وَإِنِّي عَلَيْهِ﴾ على حمل العرش ﴿لَقَوِي أَمِينٌ﴾ لا أخون ما فيه من الجواهر.

[٤٠] ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ﴾ من كتب الله المنزلة، وهو آصف، وكان يعرف اسم الله الأعظم ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ﴾ يرجع ﴿إِلَيْكَ طَرَفُكَ﴾ وهو كلمح البصر ﴿فَلَمَّا رَأَاهُ﴾ رأى سليمان ﴿الْعَرْشَ﴾ مستقراً

ساكناً حاضراً ﴿عِنْدَهُ قَالَ هَذَا﴾ الإحضار للعرش ﴿مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي﴾ يختبرني ﴿أَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَازِيدُنِي﴾ لأن منفعة الشكر عائدة إلى نفس الشاكر ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ﴾ عن شكره فلا يضره كفرانه ﴿كَرِيمٌ﴾ فإنه يتفضل على الشاكر والكافر.

[٤١] ﴿قَالَ﴾ سليمان ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي﴾ يختبرني ﴿أَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَازِيدُنِي﴾ لأن منفعة الشكر عائدة إلى نفس الشاكر ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ﴾ عن شكره فلا يضره كفرانه ﴿كَرِيمٌ﴾ فإنه يتفضل على الشاكر والكافر.

[٤٢] ﴿قَالَ﴾ سليمان ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي﴾ يختبرني ﴿أَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَازِيدُنِي﴾ لأن منفعة الشكر عائدة إلى نفس الشاكر ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ﴾ عن شكره فلا يضره كفرانه ﴿كَرِيمٌ﴾ فإنه يتفضل على الشاكر والكافر.

[٤٣] ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي عبادة الشمس ﴿إِنَّمَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ نشأت بينهم ولذا كفرت.

[٤٤] ﴿قِيلَ لَهَا﴾ لبلقيس: ﴿ادْخُلِي الصَّرْحَ﴾ أي القصر وقد بني من زجاج أبيض وتحت ماء فيه سمك ﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ﴾ رأت الصرح ﴿حَسِبَتْهُ﴾ ظنت أنه ﴿لُجَّةٌ﴾ ماء غامراً ﴿وَوَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا﴾ رفعت الثوب عن رجلها لتخوض الماء ﴿قَالَ﴾ سليمان ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي﴾ يختبرني ﴿أَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَازِيدُنِي﴾ لأن منفعة الشكر عائدة إلى نفس الشاكر ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ﴾ عن شكره فلا يضره كفرانه ﴿كَرِيمٌ﴾ فإنه يتفضل على الشاكر والكافر.

فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانُ قَالَ أَتَمِدُّونَنِي بِمَالٍ فَمَا أَنَا فِي اللَّهِ خَيْرٌ مِّمَّا أَنَا كُمْ بَلْ أَنْتُمْ يَهْدِيكُمْ بِمَا يَهْدِي بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ تَفْرَحُونَ حَيْثُ تَزْدَادُونَ بِهَا أَمْوَالًا

[٣٧] ارْجِعْ أَيُّهَا الرَّسُولُ إِلَى إِلَيْهِمْ مَعَ مَا جِئْتَ مِنَ الْهَدِيَّةِ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قَبْلَ لَهُمْ بِهَا بِتِلْكَ الْجُنُودِ وَلَنَخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا مِنْ سَبَأٍ أَذَلَّةٌ وَهُمْ صَاغِرُونَ مَهَانُونَ

[٣٨] قَالَ سُلَيْمَانُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي يَأْتِي أَشْرَفُ سَبَأٍ وَبَلْقِيسُ فِي حَالِ كَوْنِهِمْ مُسْلِمِينَ

[٣٩] قَالَ عِفْرِيتٌ مَرْدٌ قَوِيٌّ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ الَّذِي تَجْلِسُ فِيهِ لِلْحُكْمِ وَكَانَ مَدَّتُهُ إِلَى الظُّهْرِ تَقْرِيبًا وَإِنِّي عَلَيْهِ عَلَى حَمْلِ الْعَرْشِ لَقَوِي أَمِينٌ لَا أَخُونُ مَا فِيهِ مِنَ الْجَوَاهِرِ

[٤٠] قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ مِنَ كُتُبِ اللَّهِ الْمَنْزِلَةِ وَهُوَ آصَفُ وَكَانَ يَعْرِفُ اسْمَ اللَّهِ الْأَعْظَمِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ يَرْجِعُ إِلَيْكَ طَرَفُكَ وَهُوَ كَلِمَةُ الْبَصَرِ فَلَمَّا رَأَاهُ رَأَى سُلَيْمَانَ الْعَرْشَ مُسْتَقَرًّا

سَاكِنًا حَاضِرًا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا الْإِحْضَارُ لِلْعَرْشِ مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي يَخْتَبِرُنِي أَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَازِيدُنِي لِأَنَّ مَنَفْعَةَ الشُّكْرِ عَائِدَةٌ إِلَى نَفْسِ الشَّاكِرِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ عَنْ شُكْرِهِ فَلَا يَضُرُّهُ كُفْرَانُهُ كَرِيمٌ فَإِنَّهُ يَتَفَضَّلُ عَلَى الشَّاكِرِ وَالْكَافِرِ

[٤١] قَالَ سُلَيْمَانُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي يَخْتَبِرُنِي أَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَازِيدُنِي لِأَنَّ مَنَفْعَةَ الشُّكْرِ عَائِدَةٌ إِلَى نَفْسِ الشَّاكِرِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ عَنْ شُكْرِهِ فَلَا يَضُرُّهُ كُفْرَانُهُ كَرِيمٌ فَإِنَّهُ يَتَفَضَّلُ عَلَى الشَّاكِرِ وَالْكَافِرِ

[٤٢] وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَيَّ عِبَادَةِ الشَّمْسِ إِنَّمَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ نَشَأَتْ بَيْنَهُمْ لِذَا كَفَرَتْ

[٤٤] قِيلَ لَهَا لِبَلْقِيسَ ادْخُلِي الصَّرْحَ أَيَّ الْقَصْرِ وَقَدْ بَنِيَ مِنْ زَجَاجٍ أَبْيَضٍ وَتَحْتَهُ مَاءٌ فِيهِ سَمَكٌ فَلَمَّا رَأَتْهُ رَأَتْ الصَّرْحَ حَسِبَتْهُ ظَنَّتْ أَنَّهُ لُجَّةٌ مَاءٌ غَامِرٌ وَوَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا رَفَعَتْ الثَّوْبَ عَنْ رِجْلِهَا لِتَخْضُوعِ الْمَاءِ قَالَ سُلَيْمَانُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي يَخْتَبِرُنِي أَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَازِيدُنِي لِأَنَّ مَنَفْعَةَ الشُّكْرِ عَائِدَةٌ إِلَى نَفْسِ الشَّاكِرِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ عَنْ شُكْرِهِ فَلَا يَضُرُّهُ كُفْرَانُهُ كَرِيمٌ فَإِنَّهُ يَتَفَضَّلُ عَلَى الشَّاكِرِ وَالْكَافِرِ

[٤٥] «ولقد أرسلنا إلى قبيلة ثمود أخاهم» في القبيلة «صالحاً أن» فقال لهم بأن «اعبدوا الله فإذا هم فريقان فريق كافر وفريق مؤمن يختصمون» .

﴿٤٦﴾ **﴿قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ﴾** بالعقوبة **﴿قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾** بِأَنْ تَقُولُوا أَتُنْتَنَّا بِمَا تَعْدُنَا **﴿لَوْلَا﴾** هَلَّا **﴿تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾** فلا تعذبون في الدنيا والآخرة.

[٤٧] ﴿قَالُوا أَطِئْنَا بَكَ﴾ أي تشاء منا بوجوهك، فإن ما يصيبنا من البلاء فهو منك ﴿وَيَمْنُ مَعَكُمْ﴾ من المؤمنين ﴿قَالَ طَائِفٌ مِّنْ آلِ إِسْرَءِيلَ﴾ فإن ما حل بكم من الشؤم إنما هو من الله حيث جازاكم بكفركم ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ تختبرون بالرخاء والشدّة.

﴿٤٨﴾ «وكان في المدينة» مدينة صالح عليه السلام «تسعة» تسعة رهط «تسعة رجال يفسدون في الأرض» ويقومون بمخالفة نبيهم «ولا يصلحون».

[٤٩] ﴿قَالُوا﴾ أي بعضهم لبعض: ﴿تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ﴾
 احلفوا به ﴿لِنَبِيتِهِ﴾ أي على قتل صالح عليه السلام ليلاً^(١)
 ﴿وَأَهْلِهِ﴾ وقتل أهله ﴿ثُمَّ لِنَقُولَنَّ لَوْلِيَهُ﴾ لولي دم
 صالح عليه السلام إذا سألنا عنه وعن قتله ﴿مَا شَهِدْنَا﴾ ما كنا
 حاضرين ﴿مَهْلِكِ أَهْلِهِ﴾ وقت هلاك أهلك أئها الولي،
 فضلاً عن أن نكون نحن قتلناه ﴿وَأَنَا لَصَادِقُونَ﴾ فيما

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ نُوحٍ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُم فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ لِقَوْمِهِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالْحِسَّةِ قُلُوا لَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوا أَطِيعُوا نَارَكُمْ وَيَمْنُ مَعَكُمْ قَالُوا طَاعَتُكُمْ عِندَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٥٨﴾ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ شِجْعَةٌ رَهْطٌ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا نَقَاسِمُوا بِاللَّهِ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ أَهْلَهُمْ لَنَقُولَنَّ لَوْ يَدْعَا بِمَا شَاءَ دَاعًى أَهْلَهُ وَآلَهُ لَنَصَدِّقُنَّ ﴿٦٠﴾ وَكَرَرُوا مَكْرَهُمْ فَكَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٦١﴾ فَبَلَكَ يَبُوتُهُمْ خَاوِيَةً يُبَاطِلُوهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ وَلَوْ طَآ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَنَاحَ شِئَةً وَأَنْتُمْ بَصِيرُونَ ﴿٦٤﴾ أَلَيْسَ لَكُمْ لَتَاؤُنَ الرِّجَالِ شِهْوَةٌ مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُخَالِفُونَ ﴿٦٥﴾

نقول .

[٥٠] ﴿وَمَكْرُوا مَكْرًا﴾ بهذا التدبير ﴿وَمَكْرُنَا مَكْرًا﴾ بأن جازيناهم بإرسال العذاب عليهم ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بما مكرناهم به، والمكر عبارة عن تحزى الأسباب الخفية للوصول إلى المقصد.

﴿٥١﴾ فَنَظَرَ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مُكْرِمِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ أَهْلَكْنَا أَوْلَئِكَ التَّسْعَةَ ﴿وَقَوْمَهُمُ﴾ الْكَفَّارَ ﴿أَجْمَعِينَ﴾ .
 ﴿٥٢﴾ ﴿فَئِنَّكَ﴾ بَيُّوتُهُمْ خَاوِيَةٌ مِّنْهُدَى خَرِبَةٌ ﴿بِمَا ظَلَمُوا﴾ بِسَبَبِ ظَلَمِهِمْ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ هَلَاكٌ هَؤُلَاءِ ﴿لَّآيَةً﴾ عِبْرَةٌ ﴿لِّقَوْمٍ﴾ يَعْلَمُونَ ﴿لِّأَهْلِ الْعِلْمِ فَإِنَّهُمْ﴾ الْمُتَعَطِّونَ بِالْعَبْرِ .

﴿٥٣﴾ وَأُنَجِّبْنَا الَّذِينَ آمَنُوا صَالِحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَنْ آمَنَ بِهِ ﴿وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ الْكُفْرَ وَالْعَصْيَانَ.

﴿٥٤﴾ ﴿و﴾ اذْكُرْ لَوْطًا إِذْ فِي زَمَانٍ ﴿قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾ تَرْتَكِبُونَ الْلُوطَ ﴿وَأَنْتُمْ تَبْصُرُونَ﴾ تَعْلَمُونَ فَحْشَهَا وَسُوءَهَا.

[٥٥] ﴿أَنْتُمْ لَأَنْتَوْنَ الرِّجَالُ شَهْوَةٌ﴾ إتيان شهوة ﴿مِنْ دُونِ النِّسَاءِ﴾ اللاتي خلقهنَّ الله لكم، وكانت نساؤهم تسابق إطفاء لشهوتها ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُجْهَلُونَ﴾.

[٥٦] ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَبْطِهُرُونَ﴾ يتنزهون عن فعلنا .

[٥٧] ﴿فَأَنجَيْنَاهُ﴾ لوطاً عليه السلام ﴿وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَأَتَهُ﴾ إذ كانت كافرة مثل القوم ﴿فَدَرَنَاهَا﴾ جعلناها ﴿مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ الباقين الذين شملهم العذاب .

[٥٨] ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾ من الحجارة ﴿فَسَاءَ﴾ فبئس المطر ﴿مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾ الذين أُنذروا فلم يقبلوا الإنذار .

[٥٩] ﴿قُلْ﴾ يا رسول الله ﷺ : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾ الذين اختارهم الله لنبوته ودينه ﴿إِلَهُ﴾ أصله أ الله ﴿خَيْرٌ﴾ للعبادة ﴿أَمَّا يَشْرُكُونَ﴾ يجعلونه شريكاً لله من الأصنام .

[٦٠] ﴿أَمَّنْ﴾ بل من ، أي بل الخير هو من له هذه الصفات : ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ﴾ بالماء ﴿حَدَائِقَ﴾ بساتين ﴿ذَاتِ بَهْجَةٍ﴾ حسن ونضارة ﴿مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا﴾ أي لا تقدرون على إنبات شجر الحدائق بل الله ينبتها ﴿إِلَهُ﴾ مع الله ﴿حَتَّى يُجْعَلَ شَرِيكاً لَهُ﴾ بل هم قوم يعدلون ﴿مِنَ الْحَقِّ إِلَى الْبَاطِلِ﴾ يجعل الشريك لله سبحانه .

[٦١] ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾ ليستقر عليها ﴿وَجَعَلَ خِلَالَهَا﴾ بينها ﴿أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا﴾ للأرض ﴿رَوَاسِي﴾ جبالاً ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ﴾ بحر الماء العذب الموجود في العيون والأنهار وبحر الماء المالح ﴿حَاجِزًا﴾ من الأرض يمنع عن اختلاطهما ﴿إِلَهُ﴾ مع الله بل أكثرهم لا يعلمون ﴿وَحُدَانِيَةَ اللَّهِ﴾ فيشركون به .

[٦٢] ﴿أَمَّنْ يَجِيبُ الْمُضْطَرَّ﴾ الذي ألجأته الحاجة ولا مخرج له ﴿إِذَا دَعَا﴾ دعا الله تعالى فإنه يقضي حاجته ﴿وَيَكْشِفُ﴾ يزيل ﴿السُّوءَ﴾ الحالة السيئة التي وقع الإنسان فيها ﴿وَو﴾ أمَّن ﴿يَجْعَلُكُمْ﴾ أيها البشر ﴿خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾ بأن يأتيكم خلف السابقين ﴿إِلَهُ﴾ مع الله قليلاً ما ﴿تَأْكِيدَ لِلْقَلَّةِ﴾ تذكرون ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ تتذكرون وتتعظون .

[٦٣] ﴿أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ بسبب النجوم والرياح وسائر العلامات البرية والبحرية ، يهديكم إلى مقاصدكم ﴿وَمَنْ يَرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا﴾ لأجل البشارة بالمطر ﴿بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ قبل نزول المطر ، فإن الرياح تدلُّ على المطر في الهواء المناسب له ﴿إِلَهُ﴾ مع الله تعالى الله ﴿ارْتَفَعَ﴾ عما يشركون ﴿عَنِ الْأَصْنَامِ﴾ التي يشركونها بالله .

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَبْطِهُرُونَ﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَأَتَهُ فَدَرَنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ وَآمَطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ﴿٥٨﴾ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا يَشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَلَمْ يَكُنْ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِي وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَمْ يَكُنْ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَمْ يَكُنْ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا لَذِكْرُكُمْ ﴿٦٢﴾ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يَرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَلَمْ يَكُنْ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾

[٦٤] ﴿أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ﴾ بإيجاده ﴿ثُمَّ يَعِيدُهُ﴾ في يوم القيامة ﴿وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ﴾ بالمطر ﴿وَالْأَرْضَ﴾ بالنبات ﴿إِلَهَ مَعِ اللَّهُ﴾ يفعل ذلك ﴿قُلْ هَاتُوا﴾ انتوا ﴿بِرَهَانِكُمْ﴾ حجتكم على شريك لله في ذلك ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في كون شريك لله .

[٦٥] ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ فإنه وحده يعلم ما غاب عن الحواس فله الخلق والقدرة والعلم ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ لا يعرف هؤلاء الكفار، أو من في السماوات والأرض ﴿إِثْنَانِ﴾ وقت ﴿يَبْعَثُونَ﴾ ينشرون للقيامة .

[٦٦] ﴿بَلْ إِذْأَرَكُ﴾ تدارك وتكامل ﴿عَلِمَهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ بأن اقتصر علمهم بأمر الدنيا، فلا يعلمون الآخرة ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا﴾ من الآخرة، وهذا فوق الجهل ﴿بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾ كالأعمى الذي لا يبصر، فالأول جهل بسيط، والثاني جهل مع الالتفاف، والثالث جهل مع عناد .

[٦٧] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِذَا كُنَّا تُرَابًا﴾ بأن متنا فصرنا في القبر تراباً ﴿وَأَبَاؤُنَا﴾ صاروا تراباً ﴿أَنَّا لَمُخْرَجُونَ﴾ من القبر للحساب .

[٦٨] ﴿لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا﴾ البعث ﴿نَحْنُ وَأَبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ﴾ قبل محمد ﷺ ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ خرافاتهم

وَأَكَاذِبِهِمْ .
أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يَعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
أَوَّلَهُ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾
قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ
أَيَّانَ يَبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلْ إِذْأَرَكْ عَلِمَهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ
فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا
أَءَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وَعَدْنَا
هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾
قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ
﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾
وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَى
أَنْ يَكُونَ رَدْفٌ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنْ رَبُّكَ
لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ
رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمِمَّنْ غَابَتْ
فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٧٥﴾ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ
يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾

وأكاذيبهم .

[٦٩] ﴿قُلْ سِيرُوا﴾ سافروا ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين ﴿أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ بِالْعَذَابِ﴾ فإذا سافرتم رأيتم آثارهم وسمعتهم أخبارهم، فإنهم أيضاً كذبوا بالمعاد .

[٧٠] ﴿وَلَا تَحْزَنْ﴾ يا رسول الله ﴿عليهم﴾ على هؤلاء الكفار ﴿وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ﴾ لا يضيق صدرك ﴿مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ من مكروهم فإننا نعصمك منهم .

[٧١] ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى﴾ في أي وقت ﴿هَذَا الْوَعْدُ﴾ أي وعدكم بالعذاب إذا بقينا على الكفر ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ بأنه يعذب من لا يؤمن .

[٧٢] ﴿قُلْ﴾ يا رسول الله : ﴿عَسَى﴾ لعل ﴿أَنْ يَكُونَ رَدْفٌ لَكُمْ﴾ أي تبعكم ﴿بَعْضُ﴾ العذاب ﴿الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾ أي تطلبون تعجيله .

[٧٣] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ ولذا يؤخر عذاب الكفار ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ نعمه .

[٧٤] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ﴾ تخفي ﴿صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ يظهرهونه فيجازيهم على كل ذلك .

[٧٥] ﴿وَمِمَّنْ غَابَتْ﴾ خافية على الحواس ﴿فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ واضح، وهو اللوح المحفوظ فيعلم الله كل ذلك .

[٧٦] ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ﴾ يخبر بالحق ﴿عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ من أمر المسيح ومريم وعزير ﷺ وغيرهم .

[۷۷] ﴿وَإِنَّهُ﴾ أي القرآن ﴿لهدي﴾ دلالة على الحق ورحمة أسباب رحمة للمؤمنين، فإنهم المنتفعون به.

[۷۸] ﴿إِنَّ رَبَّنَا يَقْضِي بَيْنَهُمْ﴾ بين المختلفين في الدين بحكمه، بما يحكم هو وهو العزيز، النافذ قضاؤه العليم، بما صدر من كل إنسان.

[۷۹] ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ ولا تهتم بالمكذبين ﴿إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ الواضح.

[۸۰] ﴿إِنَّكَ﴾ يا رسول الله ﴿لَا تَسْمَعُ﴾ إسماعاً نافعاً الموتى، وهؤلاء الكفار كالموتى في عدم انتفاعهم بالكلام ﴿وَلَا تَسْمَعُ الصَّمَّ﴾ جمع الأصم ﴿الدَّعَاءُ﴾ أي لا تسمع دعاءك لهم وكلامك معهم ﴿إِذَا وَلَوْ﴾ أعرض أولئك الصم ﴿مدبرين﴾ بأن أدبروا فإنه لا طمع في إفهام الأصم المدبر.

[۸۱] ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعَمَى﴾ الذين فقدوا بصرهم عن ضلالتهم، فإنهم كالعمى في الضلالة، فلا تقدر على هداية من عمى قلبه ﴿إِنْ﴾ ما ﴿تَسْمَعُ﴾ إسماعاً نافعاً ﴿إِلَّا﴾ من يؤمن بآياتنا، بأن يكون في صدد الإيمان ولا يكون معانداً ﴿فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ منقادون.

[۸۲] ﴿وَإِذَا وَقَعَ﴾ قرب وقوع ﴿الْقَوْلِ﴾ وهو الذي قلناه من البعث ﴿عليهم﴾ على الناس ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً﴾ من الأرض تكلمهم، وذلك من آثار القيامة ﴿أَنْ﴾ بأن ﴿النَّاسُ﴾ كانوا بآياتنا لا يوقنون، أي لا يتيقنون، وهذا هو كلام الدابة.

[۸۳] ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً﴾ جماعة، ولعلمهم الرؤساء خصوصاً بالذكر مع أن الحشر للجميع، وفي التأويل إنه وقت ظهور الإمام المهدي (عج) ﴿مَنْ يَكْذِبُ بآيَاتِنَا﴾ من الكفار ﴿فَهُمْ يوزعون﴾ أي يحبسون حتى تجتمع جميع الأنفاج.

[۸۴] ﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوا﴾ في موقف الحساب ﴿قَالَ﴾ الله: ﴿أَكْذَبْتُمْ بآيَاتِي﴾ استفهام إنكار وتوبيخ ﴿وَلَمْ تَحِيطُوا بِهَا﴾ أي والحال أنكم لم تنظروا فيها حتى تعلموا صحتها ﴿أَمْ مَاذَا﴾ أي بل - بعد التكذيب - ﴿كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، وهذا استنكار لعمليهم، بعد الاستنكار لعقيدتهم.

[۸۵] ﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ﴾ أي ما وعدناهم من عذابهم، بأن غشيهم العذاب ﴿عليهم بما ظلموا﴾ بسبب ظلمهم ﴿فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ﴾ حينذاك.

[۸۶] ﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ الأدلة الدالة على وجود الله وكمال قدرته ﴿أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنَا فِيهِ﴾ بالنوم والدعة ﴿وَالنَّهَارَ مَبْصُراً﴾ ليبصروا فيه حوائجهم ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ﴾ دلالات على وجود الله وقدرته ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ فهم المنتفعون بالآيات.

[۸۷] ﴿وَمَا ذَكَرَهُمْ﴾ يوم ينفخ في الصور ﴿البوق ينفخ فيه﴾ إسرافيل لأحياء الناس للحساب ﴿فَفَزِعَ﴾ خاف ﴿مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ أن لا يخاف من الأنبياء والأولياء والملائكة ﴿وَكُلُّ أُنُوهُ﴾ جاءوا إلى حساب الله ﴿داخرين﴾ صاغرين أذلاء.

[۸۸] ﴿وَوَرَى الْجِبَالِ تَحْسِبُهَا جَامِداً﴾ ثابتة في أماكنها ﴿وَمَا الْحَالُ إِنَّهَا لَيْسَتْ كَذَلِكَ﴾ بل ﴿هِيَ تَمْرٌ﴾ تسير ﴿مَرَّ السَّحَابِ﴾ كما يسير السحاب، وهي تكون كالقطن المندوف، وهو ﴿صَنَعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَضَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ ومن إقنانه يوم القيامة صيرورة الجبال هكذا ﴿إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ فيجازيكم عليه.

وَإِنَّهُ لَهْدَى وَرَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّنَا يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الدَّعَاءَ إِذَا وَلَوْ أَمْدَبِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعَمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا مَنْ يُوْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً مَن يَكْذِبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ قَالَ أَكُنْتُمْ تُخَالِفُونَ بآيَاتِي وَلَمْ تُخِطُوا بِهَا عِلْماً أَمَّا أَنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنَا فِيهِ وَالنَّهَارَ مَبْصُراً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾ وَيَوْمَ يَنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أُنُوهٍ دَاخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَوَرَى الْجِبَالِ تَحْسِبُهَا جَامِداً وَهِيَ تَمْرٌ مَرَّ السَّحَابِ صَنَعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَضَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾

[٨٩] ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا﴾ لأنه يُجزى بأكثر ﴿وَهُمْ مِنْ فِرْعَ﴾ خوف وهول ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة ﴿آمَنُونَ﴾.

[٩٠] ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ بالشرك أو نحوه ﴿فَكَبِتَ﴾ وجوهمهم في النار ﴿أَلْقَوْا فِيهَا مَكَوسِينَ﴾ أي هذا جزء أعمالكم. تُجزون إلا ما كنتم تعملون ﴿أَيُّ هَذَا جَزَاءُ أَعْمَالِكُمْ﴾.

[٩١] ﴿إِنَّمَا أَمَرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ﴾ أي مكة ﴿الْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ﴾ فَمَنْ أَهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿وَقُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٢﴾

[٩٢] ﴿وَأَنْ أَتْلُوَ﴾ أقرأ ﴿الْقُرْآنَ﴾ فَمَنْ أَهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِ ﴿فَإِنْ ثَوَابَ الْهَدَايَةِ عَائِدٌ إِلَى نَفْسِ الْمَهْتَدِي﴾ ﴿وَمَنْ ضَلَّ﴾ بترك الإجابة ﴿فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ ﴿فَمَا عَلَيَّ إِلَّا الْإِنذَارُ﴾ أما ضلال الناس فلا يعود وباله إلا عليهم.

[٩٣] ﴿وَقُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ جنس الحمد له فلا يجوز حمد الأصنام وغيرها ﴿سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ الأدلة الدالة عليه في المستقبل كما أراكم في الماضي ﴿فَتَعْرِفُونَهَا﴾ حتى لا يبقى مجال للعذر ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ بل هو عالم بأعمالكم فيجازيكم عليها.

٢٨: سورة القصص

مكية آياتها ثمان وثمانون

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فِرْعَ يَوْمَئِذٍ آمَنُونَ ﴿٨٩﴾
وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكَبِتَ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ
إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا أَمَرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ
الْبَلَدَةِ الَّتِي حَرَمَهَا وَلَمْ كُلْ شَيْءٌ وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ
الْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنْ أَهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِى
لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلْ الْحَمْدُ
لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

سُورَةُ الْقَصَصِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
طَسَمَ ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ تَتْلُوهُ عَلَيْكَ
مِنْ نَبَأٍ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ
فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضَعِفُ
طَائِفَةً مِنْهُمْ يَذِخُّ أبنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا
مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا
فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٥﴾

[١] ﴿طسم﴾ رمز بين الله والرسول ﷺ.

[٢] ﴿تلك﴾ هذه ﴿آيات الكتاب﴾ القرآن ﴿المبين﴾ الواضح.

[٣] ﴿نتلو﴾ نقرأ ﴿عليك من نبأ﴾ بعض خبر ﴿موسى وفرعون بالحق﴾ بالصدق لا قصتهم محرفة مكذوبة ﴿لقوم يؤمنون﴾ فإنهم المستضعفون بها.

[٤] ﴿إن فرعون علا﴾ تكبر ﴿في الأرض﴾ أرض مصر ﴿وجعل أهلها﴾ أهل الأرض ﴿شيعاً﴾ فرقا متضاربة ﴿يستضعف طائفة منهم﴾ يعدهم ضعفاء، وهم بنو إسرائيل ﴿يذبح أبناءهم﴾ أولادهم الذكور لئلا يكون أحدهم موسى، حيث أخبرته الكهنة أن أحد أولاد بني إسرائيل سيقضي على فرعون ﴿ويستحيي نساءهم﴾ لئلا يبقوا أحياء ﴿لأجل الاستخدام والزواج﴾ لأنه كان من المفسدين ﴿بالقتل والظلم والكفر﴾.

[٥] ﴿ونريد﴾ أي كنا أردنا في ذلك الوقت ﴿أن نمن﴾ نتفضل ﴿على الذين استضعفوا في الأرض﴾ وهم بنو إسرائيل ﴿ونجعلهم أئمة﴾ للخلق ﴿ونجعلهم الوارثين﴾ لفرعون وقومه. وفي التأويل إن هذه الآية في الإمام المهدي المنتظر (عج).

[٦] ﴿وَنُمَكِّنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ بأن يتمكنوا من التصرف فيها كيفما شاءوا ﴿وَنُرِيْ فرعون وهامان﴾ وزير فرعون ﴿وجنودهما منهم﴾ أي نريهم من جهة بني إسرائيل ﴿ما كانوا يحذرون﴾ يخافون من ذهاب ملكهم على أيدي بني إسرائيل.

[٧] ﴿وَأَوْحَيْنَا﴾ ألقينا في قلبها ﴿إلى أم موسى أن أرضعيه﴾ ما دمت لا تخافين ظهور أمره لجلالوة فرعون ﴿فإذا خفت عليه﴾ بأن يقتله فرعون ﴿فألقيه﴾ اجعليه في صندوق وألقي الصندوق ﴿في اليم﴾ البحر ﴿ولا تخافي﴾ أن يغرق ﴿ولا تحزني﴾ لفراقه ﴿إننا رادوه﴾ نرده ﴿إليك﴾ عن قريب، فأرضعته ثلاثة أشهر ثم جعلته في صندوق مطلي بالقيز وألقته في الماء ﴿وجاعلوه من المرسلين﴾.

[٨] ﴿فالتقطه﴾ أخذه ﴿آل فرعون ليكون﴾ موسى ﷺ، واللام للعاقبة ﴿لهم عدوا﴾ يعاديهم ﴿وحزناً﴾ أسباب حزنهم ﴿إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين﴾ عاصين لربهم.

[٩] ﴿وقالت امرأت فرعون﴾ وذلك لما التقطوه من الماء وأراد فرعون قتله: إن موسى ﷺ ﴿قرة عين﴾ نفرح به ﴿ولي﴾ ولك لا تقتلوه عسى ﴿لعل﴾ أن ينفعنا ﴿باستخدامه﴾ في أمورنا ﴿أو نتخذ له ولداً﴾ لأنهم ما كان لهم ولد ﴿وهم لا يشعرون﴾ بأن هلاكهم على يده.

[١٠] ﴿وأصبح فؤاد﴾ قلب ﴿أم موسى فارغاً﴾ فإن الإنسان إذا أهمله أمر فأنجزه يفرغ قلبه عن تلك المهمة ﴿إن﴾ إنها، بعد أن ألقته في الماء ﴿كادت﴾ قربت ﴿لتبدي به﴾ لتظهر بأمر موسى ﷺ جزءاً ﴿لولا أن ربطنا على قلبها﴾ سكتها حفظاً لها وله ﴿لتكون من المؤمنين﴾ فإن ربطنا كان لأجل إيمانها، فإن الله إذا ربط على قلب إنسان انقاد له تعالى وصبر على قضائه.

[١١] ﴿وقالت﴾ أم موسى ﷺ ﴿لأخته﴾ لأخت موسى ﷺ: ﴿قضية﴾ اتبعني أثر موسى ﷺ حتى تعلمي أين صار ﴿فبصرت﴾ الأخت ﴿به﴾ بموسى ﷺ وهو في بيت فرعون ﴿عن جنب﴾ عن بعد ﴿وهم لا يشعرون﴾ بأنها أخته وتريد التعرف عليه.

[١٢] ﴿وحزنا عليه﴾ على موسى ﷺ ﴿المراضع﴾ أماكن الرضاع أي ثدي النساء ﴿من قبل﴾ قبل أن تقص أخته أثره فلم يكن يأخذ موسى ﷺ ثدي امرأة ﴿فقال﴾ الأخ: ﴿هل أدلكم﴾ أرشدكم ﴿على أهل بيت يكفلونه لكم﴾ بالإرضاع والتربية ﴿وهم له﴾ لموسى ﷺ ﴿ناصحون﴾ يقومون بأمره كاملاً.

[١٣] ﴿فرددناه إلى أمه كي﴾ لأجل أن ﴿نقر عينها﴾ بولدها ﴿ولا تحزن﴾ لفراقه ﴿ولتعلم أن وعد الله﴾ حيث وعدها برده إليها ﴿حق﴾ صدق ﴿ولكن أكثرهم﴾ أكثر الناس ﴿لا يعلمون﴾ أن وعده حق.

وَنُمَكِّنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيْ فرعونَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيْهِ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَكَلِمَةٍ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَّ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَرِيدًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْصَحِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتِ لَأُخْبِتَنَّ أَفْسُوسًا فَفُصِّرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ وَحَزَنًا عَلَيْهِ الْمُرَاضِعُ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصِيحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَمَا تَجَرَّعُنَّهَا فَلَا تَحْزَنُ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾

[١٤] ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ موسى ﷺ ﴿أَشَدَّهُ﴾ كمال قوته ﴿وَاسْتَوَى﴾ تم في استحكام ﴿آتَيْنَاهُ﴾ أعطيناه ﴿حُكْمًا﴾ أن يحكم على الناس، فإن الحكومة شأن من خوله الله ﴿وَعِلْمًا﴾ نبوة ﴿وَكَذَلِكَ﴾ هكذا ﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ من أحسن في العقيدة والعمل.

[١٥] ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ﴾ بعد أن كان خارجاً عنها لغرض ﴿عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا﴾ بأن لم يكونوا منتشرين في الطرق ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَةِ هَذَا مِنْ عَدُوِّهِ﴾ فوجد فيهما رجلين يقتتلان هذا من شيعته ﴿أَشْيَاعَ﴾ موسى ﷺ، من بني إسرائيل ﴿وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ﴾ من القبط ﴿فَاسْتَفَاهُ﴾ طلب غوثه وإعانتة ﴿الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ﴾ على الذي من عدوه فوكزه موسى ﴿فَضْرَبَ مُوسَى الْقَبْطِيَّ بِجَمِيعِ كَفِّهِ﴾ ففرض عليه ﴿بِأَن قَتَلَهُ﴾ قال ﴿مُوسَى﴾ بعد أن قتله: ﴿هَذَا﴾ التخاصم الذي كان بينهما ﴿مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ لأنه يأمر به ﴿إِنَّهُ عَدُوٌّ لِلْإِنْسَانِ﴾ مفضل له ﴿مُبِينٌ﴾ ظاهر الضلال.

[١٦] ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ الظلم وضع الشيء في غير موضعه، أي مجيئي إلى المدينة كان في غير موقعه ﴿فَاغْفِرْ لِي﴾ الغفران الستر، أي استرني من فرعون ﴿فَغَفَرَ لَهُ﴾ بأن ستره عن أعين أعدائه ﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾. [١٧] ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ بسبب إنعامك علي ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾ بل أكون عوناً لأوليائك

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى أَلَيْسَ لَهُ حُكْمٌ وَعِلْمٌ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٥﴾ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَةِ هَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَفَاهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٧﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ فَاصْبِرْ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرْتُم بِهِ لَا مَسَّ سِتَصْرَحُوكَ قَالَ لِمُوسَى إِنَّكَ لَنَوِيٌّ مُبِينٌ ﴿١٩﴾ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَمْوَسَّى أَرِيدُ أَنْ تُقَاتِلَنِي كَمَا قَاتَلْتَ نَفْسًا يَا لَأَمْسٍ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمَصْلُوحِينَ ﴿٢٠﴾ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَمْوَسَّى إِنَّكَ أَلَمَلًا يَا أَمْرُونَ بِكَ لَيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٢﴾

كما كنت عون الإسرائيلي على القبطي.

[١٨] ﴿فَاصْبِرْ﴾ موسى ﷺ في اليوم الثاني ﴿فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا﴾ من بأس فرعون ﴿يَتَرَقَّبُ﴾ ينتظر الأخبار في أمر قتل القبطي ﴿فَإِذَا الَّذِي﴾ الإسرائيلي الذي ﴿اسْتَنْصَرَهُ﴾ طلب نصرة موسى ﷺ ﴿بِالْأَمْسِ﴾ حال نزاعه مع القبطي المقتول ﴿يَسْتَصْرِخُهُ﴾ يطلب من موسى ﷺ أيضاً أن يعينه حيث أخذ يتخاصم مع قبطي آخر ﴿قَالَ لَهُ﴾ للإسرائيلي ﴿مُوسَى﴾ إنك لغوي، أي منحرف عن طريق المعاشرة حيث يتخاصم كل يوم شخصاً ﴿مُبِينٌ﴾ بين الغواية.

[١٩] ﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ﴾ موسى ﷺ ﴿أَنْ يَبْطِشَ﴾ يضرب ويأخذ بشدة ﴿بِالَّذِي﴾ بالقبطي ﴿هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا﴾ لموسى ﷺ والإسرائيلي ﴿قَالَ﴾ الإسرائيلي، وقد ظن أن موسى ﷺ يريد البطش به: ﴿يَا مُوسَى أَرِيدُ أَنْ تُقَاتِلَنِي كَمَا قَاتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ﴾ ما تريد إلا أن تكون جباراً متطاولاً بالقهر ﴿فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمَصْلُوحِينَ﴾ بين الناس فانتشر الخبر وبلغ فرعون فأخذ في طلب موسى ﷺ ليقتله.

[٢٠] ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ﴾ آخر مصر ﴿يَسْعَى﴾ يسرع في المشي ﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ﴾ أشراف قوم فرعون ﴿يَأْمُرُونَ بِكَ﴾ يتشاورون فيك ﴿لَيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ﴾ من مصر ﴿إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾.

[٢١] ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا﴾ من أرض مصر ﴿خَائِفًا﴾ من فرعون ﴿يَتَرَقَّبُ﴾ الأخبار ﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.

[٢٢] ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ﴾ موسى ﷺ ﴿نَلْقَاءَ﴾ جهة ﴿مَدِينٍ﴾ وهي قرية شعيب النبي ﷺ ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ﴾ وسط ﴿السَّبِيلِ﴾ الطريق المؤدي إلى السلامة.

[٢٣] ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدِينٍ﴾ بئر كانت في خارج المدينة ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ﴾ على الماء ﴿أُمَّةٌ﴾ جماعة ﴿مِنَ النَّاسِ﴾ يسقون ﴿مَوَاشِيَهُمْ مِنَ الْبَشَرِ﴾ ووجد من دونهم ﴿ورائهم﴾ امرأتين تذودان ﴿تَمْنَعَانِ شِيَاهَهُمْ عَنِ الْمَاءِ﴾ قال ﴿موسى ﷺ﴾: ﴿مَا خَطْبُكُمَا﴾ ما شأنكما تذودان ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِي شِيَاهَنَا﴾ حتى يصدر ﴿يَنْصَرِفُ﴾ الرعاء ﴿جَمْعُ الرَّاعِي﴾ أي يتم الرعاة إشراب شياههم وينصرفون فنسقي شياهنا ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَثِيرُ السِّنِّ﴾ كثير السن ﴿كَبِيرٌ﴾ في العمر فلا يقدر على السقي ولذا يضطر لإخراجنا.

[٢٤] ﴿فَنَسَقِي﴾ موسى ﷺ ﴿لَهُمَا﴾ بأن فتح الماء لأجلهما ﴿ثُمَّ تَوَلَّى﴾ انصرف ﴿إِلَى الظِّلِّ﴾ بأن جلس تحت ظل شجرة ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لَمَّا﴾ متعلق به (فقير) ﴿أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ﴾ بيان (ما) والمراد به الطعام ﴿فَقِيرٌ﴾ محتاج لأنه كان جائعاً، فذهبت البنتان وأخبرتا أباهما شعيباً ﷺ بالخبر فأرسل إحداهما لتأتي بموسى ﷺ.

[٢٥] ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا﴾ جاءت إحدى البنيتين إلى موسى ﷺ ﴿تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾ على حالة الحياء

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدِينٍ﴾ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدِينٍ﴾ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿فَنَسَقِي لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لَمَّا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَمُوتُ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَأْتِيَنَّ اسْتَخْرَةَ ابْنٍ خَيْرٌ مِّنْ اسْتَخْرَتِ الْقَوِيَ الْأَمِينُ ﴿قَالَ إِنِّي أَرِيدُ أَنْ أَنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حَجْجِ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ الصَّالِحِينَ ﴿قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجْلَيْنِ فَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾

﴿قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ﴾ ليجزيك أجر ما سقيت لنا ﴿فَأَجَابَهَا﴾ موسى ﷺ ﴿وَذَهَبَ إِلَى بَيْتِ شُعَيْبٍ﴾ ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ﴾ جاء موسى شعيباً ﴿وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ﴾ قصته في مصر ﴿قَالَ﴾ شعيب ﷺ: ﴿لَا تَخَفْ﴾ يا موسى ﷺ ﴿نَجُوتُ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ إذ لا سلطان لفرعون على بلادنا.

[٢٦] ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا﴾ إحدى البنيتين: ﴿يَا أَبْتَ اسْتَأْجِرْهُ﴾ اتخذه أجيراً لك ﴿إِنْ خَيْرٌ مِّنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيَ الْأَمِينُ﴾ خير (إن) أي إن خير الأجراء من كان قوياً على العمل وأميناً، وموسى ﷺ جامع لهذين الوصفين.

[٢٧] ﴿قَالَ﴾ شعيب ﷺ: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَنْكِحَكَ﴾ أزوجك ﴿إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَنْ تَأْجُرَنِي﴾ تكون أجيراً لي في مقابل النكاح، بأن يكون ذلك مهراً ﴿ثَمَنِي حَجْجٍ﴾ سنين ﴿فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا﴾ بأن خدمتني عشر سنوات ﴿فَمِنْ عِنْدِكَ﴾ تفضل منك تلك الستتان ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَ عَلَيْكَ﴾ بتكثير العمل عليك ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ في حسن الصفة.

[٢٨] ﴿قَالَ﴾ موسى ﷺ: ﴿ذَلِكَ﴾ الذي قلت ﴿بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾ تزوجني البنت وأخدمك المدة ﴿أَيُّمَا الْأَجْلَيْنِ﴾ الثمان أو العشر ﴿فَضَيْتُ﴾ أتممت ﴿فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ﴾ لا تعدي عليّ بأن تطلب مني الأكثر ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ شهيد.

[٢٩] ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ كَذُوبٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْشِيَ إِلَىٰ آتِ أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٣١﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا هَآئِلًا تَرْتَكَهَا جَاءَهُ وَلَّىٰ مُدَبِّرًا لَّا يَعْقِبُ يَمْشِي فِي الْأَرْضِ أَوَّلًا ﴿٣٢﴾ أَسْأَلُكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُو الْعَرْشِ عَلَى الْعَرْشِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَوْمَ لَا تَبْقَىٰ لِلشَّيْءِ إِلَّا أَسْفَلُ نَجْوَاهُ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ كَانُوا بُدُوعًا ﴿٣٣﴾ أَفَلَا يَصْلَحُونَ ﴿٣٤﴾ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿٣٥﴾ قَالَ سَنُنْذِرُكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكَمُلَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِأَيِّتِنَا أُنْتَمَا وَمِن آتِئَاتِكُمَا الْعَالُونَ ﴿٣٦﴾﴾

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ كَذُوبٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ تستدفنون بها.

[٣٠] ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا﴾ جاء موسى ﷺ إلى النار ﴿نُودِيَ﴾ موسى ﷺ والمنادي كان الله ﴿مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ﴾ الجانب اليميني من الوادي ﴿فِي الْبُقْعَةِ﴾ المكان ﴿الْمُبَارَكَةِ﴾ لأن الله باركها بإنزال الوحي فيها ﴿مِنْ الشَّجَرَةِ﴾ متعلق بـ (نودي) ﴿أَنْ يَمْشِيَ إِلَىٰ آتِ أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ أنا الله رب العالمين.

[٣١] ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا هَآئِلًا تَرْتَكَهَا جَاءَهُ وَلَّىٰ مُدَبِّرًا لَّا يَعْقِبُ يَمْشِي فِي الْأَرْضِ أَوَّلًا﴾ متحرك ﴿كَانَهَا جَانًا﴾ حية ﴿وَلَّىٰ﴾ أدبر موسى ﷺ ﴿مُدَبِّرًا﴾ منهزماً خوفاً من الحية ﴿وَلَمْ يَعْقِبْ﴾ لم يرجع ﴿يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾ من كل خوف.

[٣٢] ﴿أَسْأَلُكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ شق القميص مما يلي العنق ﴿تَخْرُجُ يَدُكَ بَيْضَاءَ﴾ ذات بياض كشعاع الشمس ﴿مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُو الْعَرْشِ عَلَى الْعَرْشِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَوْمَ لَا تَبْقَىٰ لِلشَّيْءِ إِلَّا أَسْفَلُ نَجْوَاهُ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ كَانُوا بُدُوعًا﴾ لا يشبه بياض البرص ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ كَانُوا بُدُوعًا﴾ أي اجمع يدك على نفسك ﴿مِنْ الرِّهْبِ﴾ من أجل التقوى من الخوف المسيطر عليك لدى رؤية الحية، فان ذلك يقوي الأعصاب فلا يظهر الارتعاش على البدن ﴿فَذَانِكَ﴾ اليد والعصا ﴿بِرَهَاتَانِ﴾ حجتان ﴿مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾ أشراف قومه ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ خارجين من طاعة الله.

[٣٣] ﴿أَفَلَا يَصْلَحُونَ﴾ يكتلون، فإذا كنا اثنين كنا أقدر على المواجهة.

[٣٤] ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِي﴾ يكتلون، فإذا كنا اثنين كنا أقدر على المواجهة.

[٣٥] ﴿قَالَ سَنُنْذِرُكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكَمُلَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِأَيِّتِنَا أُنْتَمَا وَمِن آتِئَاتِكُمَا الْعَالُونَ﴾ يكتلون، فإذا كنا اثنين كنا أقدر على المواجهة.

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ كَذُوبٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْشِيَ إِلَىٰ آتِ أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٣١﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا هَآئِلًا تَرْتَكَهَا جَاءَهُ وَلَّىٰ مُدَبِّرًا لَّا يَعْقِبُ يَمْشِي فِي الْأَرْضِ أَوَّلًا ﴿٣٢﴾ أَسْأَلُكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُو الْعَرْشِ عَلَى الْعَرْشِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَوْمَ لَا تَبْقَىٰ لِلشَّيْءِ إِلَّا أَسْفَلُ نَجْوَاهُ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ كَانُوا بُدُوعًا ﴿٣٣﴾ أَفَلَا يَصْلَحُونَ ﴿٣٤﴾ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿٣٥﴾ قَالَ سَنُنْذِرُكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكَمُلَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِأَيِّتِنَا أُنْتَمَا وَمِن آتِئَاتِكُمَا الْعَالُونَ ﴿٣٦﴾﴾

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ كَذُوبٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾

[٣٣] ﴿قَالَ سَنُنْذِرُكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكَمُلَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِأَيِّتِنَا أُنْتَمَا وَمِن آتِئَاتِكُمَا الْعَالُونَ﴾

[٣٤] ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِي﴾

[٣٥] ﴿قَالَ سَنُنْذِرُكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكَمُلَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِأَيِّتِنَا أُنْتَمَا وَمِن آتِئَاتِكُمَا الْعَالُونَ﴾

[٣٦] ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرٍ وَيَنْسِبُهُ إِلَى اللَّهِ ﴿وَمَا سَمِعْنَا بهذا﴾ بادعاء النبوة أو بالسحر المفترى كائنًا ﴿في﴾ زمن ﴿آبائنا الأولين﴾ .

[٣٧] ﴿وقال موسى ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده﴾ فيعلم أنني على حق وأنتم على باطل ﴿ومن تكون له عاقبة﴾ محمودة في ﴿الدار﴾ الدنيا ﴿إنه لا يفلح﴾ لا يفوز ﴿الظالمون﴾ أنفسهم بالكفر والمعاصي .

[٣٨] ﴿وقال فرعون يا أيها الملأ﴾ يا جماعة الإشراف ﴿ما علمت لكم من إله غيري﴾ فأنا إلهكم الوحيد ﴿فأوقد﴾ أشعل النار ﴿لي﴾ يا هاملان على الطين ﴿لاتخاذ﴾ الأجر المطبوخ ﴿فاجعل لي صرحاً﴾ قصراً عالياً ﴿لعلي﴾ أطلع إلى إله موسى ﴿لأنني أريد أن أصعد القصر فأرى هل هناك إله في السماء يدعي موسى ﷺ وجوده﴾ وإني لأظنه من الكاذبين ﴿في ادعاء إله آخر﴾ .

[٣٩] ﴿واستكبر﴾ تكبر ﴿هو﴾ فرعون ﴿وجنوده في الأرض بغير الحق﴾ بدون استحقاق ﴿وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون﴾ في يوم القيامة حتى نجازيهم جزاء أعمالهم .

[٤٠] ﴿فأخذناه وجنوده فنبذناهم﴾ طرحناهم ﴿في البيم﴾ في البحر ﴿فانظر كيف كان عاقبة الظالمين﴾ فليحذر الظالمون في كل زمان .

فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرٍ وَيَنْسِبُهُ إِلَى اللَّهِ ﴿وَمَا سَمِعْنَا بهذا﴾ بَادِعَاءِ النَّبِوَةِ أَوْ بِالسَّحَرِ الْمَفْتَرِيِّ كَائِنًا ﴿فِي﴾ زَمَنِ ﴿آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾ .
﴿وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنِ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُمْ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُمْ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتَأْتِيهِمَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْمَنُنْ عَلَى الطِّينِ فَأَجْعَلَ لِي صَرْحًا لَمَّا كُنِيَ أَطْلَحُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّكُمْ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ ﴿٣٨﴾ وَاسْتَخَذَ هُوَ وَجُودُهُ فِي الْأَرْضِ بغيرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَأَنْظِرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَكُونُونَ إِلَى الْكَافِرِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَنْصُرُونَ﴾ ﴿٤١﴾ وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ ﴿٤٢﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٤٣﴾

[٤١] ﴿وجعلناهم﴾ فرعون وجنوده بتركهم حتى ضلوا، إذ عاندوا الحق ﴿أئمة﴾ رؤساء ﴿يدعون إلى النار﴾ دعوا أتباعهم إلى ما عاقبته النار ﴿ويوم القيامة لا ينصرون﴾ بدفع العذاب عنهم .

[٤٢] ﴿وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة﴾ طرداً عن الخير ولعنة الناس ﴿ويوم القيامة هم من المقبوحين﴾ ممن قبحوا وشوه خلقتهم .

[٤٣] ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون﴾ الأمم ﴿الأولى﴾ كأقوام نوح وهود وصالح ولوط ﷺ ﴿بصائر للناس﴾ أي في حال كون آيات التوراة أنواراً يستبصرون بها ﴿وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون﴾ ما يلزم عليهم من العقيدة والشريعة .

[٤٤] ﴿وَمَا كُنْتَ﴾ يا محمد ﷺ ﴿بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ﴾ من الجبل الذي كلم الله فيه موسى ﷺ ﴿إِذْ﴾ زمان ﴿قَضَيْنَا﴾ أوحينا ﴿إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ﴾ أمر الرسالة والشرعة ﴿وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ الحاضرين للوحي إليه .

[٤٥] ﴿وَلَكِنَّا﴾ أوحينا إليك خبر موسى ﷺ لتذكير الناس إذ ﴿أَنْشَأْنَا﴾ أوجدنا ﴿قُرُونًا﴾ أمماً بعد موسى ﷺ ﴿فَنُطَاوِلُ عَلَيْهِمُ الْعُمُرَ﴾ مما سبب نسيانهم العبر ، فإن الإنسان إذا طال عمره اغتر أكثر فأكثر فلم يبال بالدين والأحكام فأرسلناك لتذكركهم ما نسوه ﴿وَمَا كُنْتَ﴾ يا محمد ﷺ ﴿ثَاوِيًا﴾ مقيماً ﴿فِي أَهْلِ مَدِينٍ﴾ مدينة شعيب ﴿تَتَلَوُ عَلَيْهِمُ آيَاتِنَا﴾ التي وقعت في مدين ﴿وَلَكِنَّا كُنَّا مَرْسَلِينَ﴾ لك فنتلو عليك قصة موسى ﷺ وقصة شعيب ﷺ وغيرهما . وهذا إعجاز يجب أن يرضخوا له .

[٤٦] ﴿وَمَا كُنْتَ﴾ يا محمد ﷺ ﴿بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ موسى ﷺ بالتورية ، والأول يراد به عند نبوته عندما ذهب إلى مصر ، والثاني عندما خرج من مصر ﴿وَلَكِن﴾ علمناك ﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا﴾ قريش وسائر القبائل ﴿مَا أَنَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ لأنهم لم يكونوا على شريعة بل طالت الفترة بين المسيح ﷺ

وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلُ عَلَيْهِمُ الْأَعْمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسَلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَّا أَنتَهُمُ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَا أَن نُّصِيبَهُمْ مُّصِيبَةً يُمِيطُ أَيْدِيَهُمْ فَيَقُولُوا رِسَالُؤُنَا لَوْلَا أَرْسَلْنَا إِلَيْنَا رَسُولًا فَنُتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا آيَاتٌ مِّثْلُ مَا أُنْزِلَ فِي مُوسَىٰ أَوَّلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُنْزِلَ فِي مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَذِبٍ لَّهْدًى قُلْ فَاتَّقُوا إِلَٰهَ الَّذِي هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنَّ كُنتُمْ مِنْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٤٩﴾

ومحمد ﷺ ما يقارب خمسة قرون ﴿لعلهم يتذكرون﴾ .

[٤٧] ﴿وَلَوْلَا﴾ أن لهم العذر في عدم الإيمان لم نرسلك إليهم ، فأرسلناك لأجل قطع عذرهم فلا يقولوا إذا عذبناهم : لماذا تعذبنا يا رب بدون إرسال الرسول ﴿أَن تَصِيبَهُمْ مُّصِيبَةٌ﴾ عقوبة ﴿بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ﴾ من الكفر والمعاصي ﴿فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا﴾ هلا ﴿أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنُتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ لولا هذا القول منهم حال عقابهم لم نرسلك لأننا نعلم عنادهم .

[٤٨] ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾ محمد ﷺ والقرآن ﴿مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا﴾ هلا ﴿أُنْزِلَ إِلَيْنَا آيَاتٌ مِّثْلُ مَا أُنْزِلَ فِي مُوسَىٰ أَوَّلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُنْزِلَ فِي مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ﴾ فإن في جنس البشر الإشكال والمعاندة ﴿قَالُوا سِحْرَانِ﴾ ساحران ﴿تَظَاهَرَا﴾ تعاونا ، أي موسى وأخوه ﷺ ﴿وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ﴾ من آياتك يا موسى ﴿كَافِرُونَ﴾ فإنه لولا العناد والكفر لكان القرآن دليلاً ، ومع العناد لا تنفع آيات كالعصا واليد .

[٤٩] ﴿قُلْ فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ هو أهدى ﴿أَكْثَرُ هِدَايَةٍ وَإِرْشَادًا﴾ من التوراة والقرآن حتى ﴿أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أن القرآن افتراء ، كما قال معاصروا موسى ﷺ بأن التوراة كلام موسى لا كلام الله .

[٥٠] ﴿فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ﴾ لم يجيبوك بإتيان كتاب هو أهدى من الكتابين ﴿فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ إذ لو كانوا يتبعون حجة لأتواك بها ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ استفهام إنكاري ، أي لا أحد أضل منه في حال كونه ﴿بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾ فلا هداية له من قبل الله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ الذين ظلموا أنفسهم بالكفر عناداً .

[٥١] ﴿وَلَقَدْ وَضَّلْنَا﴾ أتبعنا البعض ببعض ﴿لَهُم الْقَوْل﴾ أي القرآن أنزلناه تبعاً ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ فإن التدرّج قد يوجب ذهاب العناد.

[٥٢] ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُم الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ﴾ قبل القرآن ﴿هُمْ بِهِ﴾ بالقرآن ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ أي الذين ليسوا بمعاندين، فإنهم أدركوا من الجهال بالحقائق.

[٥٣] ﴿وَإِذَا يَتْلَى﴾ القرآن ﴿عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ﴾ أي القرآن ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾ لما رأينا ذكره في الكتب السابقة.

[٥٤] ﴿أُولَئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾ مرة لإيمانهم بكتابهم ومرة لإيمانهم بالقرآن ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ بسبب صبرهم على الحق ﴿وَيُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾ يدفعون ﴿بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ﴾ فإن الحسنات تذهب السيئات ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾.

[٥٥] ﴿وَإِذَا سَمِعُوا لِلْغَوَى﴾ القول القبيح أو الذي لا فائدة فيه ﴿أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا﴾ فإننا نعمل بهذا ونجازي عليه ﴿وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ اللغوية ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ كونوا في سلامة، وهذا سلام الدواعي ﴿لَا نَبْتَغِي﴾ لا نطلب مخالطة ﴿الْجَاهِلِينَ﴾ الذين هم أنتم.

[٥٦] ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي﴾ لا تصل إلى المطلوب ﴿مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ فإن مهمة الرسول ﷺ

الإرشاد أما الإيصال إلى المطلوب فإنما يكون بلطف الله ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ فيجازيهم على هدايتهم.

[٥٧] ﴿وَقَالُوا﴾ أي الكفار: ﴿إِنْ نَتَّبِعِ الْهَدَى مَعَكَ﴾ يا محمد ﷺ ﴿نَخْطِفُ﴾ نؤخذ بسرعة ﴿مِنْ أَرْضِنَا﴾ لأن العرب تحاربنا وتخرجنا من بلادنا انتقاماً، قاله بعض الجاهلين ﴿أَوْ لَمْ نَمُكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا﴾ هو حرم مكة المكرمة، فإن العرب لا تحارب من فيه، والاستفهام لبيان كذب القائل ﴿يَجِبِي﴾ يجلب ﴿إِلَيْهِ﴾ إلى الحرم ﴿نَمُرَّتْ كُلُّ شَيْءٍ﴾ من مختلف حاجات الإنسان ﴿وَرِزْقًا مِنْ لَدُنَّا﴾ عندنا لهم، هذا وهم كفره فكيف تعاملهم إذا أسلموا وزادوا على أمن الحرم أمن الإسلام ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ما أنعمنا عليهم.

[٥٨] ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ استعملتها في البطر والطغيان^(١)، فقد كانوا مثلكم في الدعة والرزق فلما بطروا أهلكتناهم ﴿فَتَلَّكَ مَسَاجِدُهُمْ﴾ خربة ﴿لَمْ تَسْكُنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ للمارة عند العبور أو بعض البيوت ﴿وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ إذ لم نخلف لهم ورثة يرثون تلك البيوت.

[٥٩] ﴿وَمَا كَانَ رِبْكَ مَهْلِكِ الْقُرَى حَتَّى يَبِيعَ فِي أُمِّهَا﴾ في القرية الكبيرة التي تلك القرى تكون حولها ﴿رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾ فإذا كفروا بالآيات أهلكتناهم ﴿وَمَا كُنَّا مَهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ لأنفسهم بالكفر والعصيان.

وَمَا أُرْسِلُ مِنْ شَيْءٍ فَفَتَحُ الْحَيَوةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنْتُهَا وَمَا عِنْدَ
 اللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا
 فَهُوَ لَيْقِيهِ كَمَنْ مَنَعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ
 مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ
 كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ
 الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا
 يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمُ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا
 لَهُمْ وَرَأَوْا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَسْمَعُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ
 فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ
 يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ
 صَالِحًا فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾ وَرَبِّكَ
 يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ
 اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبِّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ
 صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ
 الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾

[٦٠] ﴿وما أوتيتم من شيء﴾ من أسباب الدنيا ﴿فمتاع الحياة الدنيا﴾ تتمتعون بها ﴿وزيبتها﴾ تزينون بها في الدنيا ﴿وما عند الله﴾ من الثواب على الأعمال الصالحة ﴿خير﴾ لأنه أحسن وأكثر ﴿وأبقى﴾ أدام لخلود الجنة ﴿أفلا تعقلون﴾ فلماذا تقدمون الدنيا على الآخرة.

[٦١] ﴿أفمن وعدناه وعداً حسناً﴾ بالجنة ﴿فهو لايقيه﴾ يلقى ذلك الوعد ﴿كمن منعه ممتع الحياة الدنيا﴾ الذي هو فإن ومشوب بالآلام ﴿ثم هو يوم القيامة من المحضرين﴾ يحضر للحساب والعقاب، والاستفهام لبيان عدم استواء الشخصين.

[٦٢] ﴿و﴾ اذكر ﴿يوم يناديهم﴾ يناديهم الله في يوم القيامة ﴿فيقول أين شركائي﴾ الأصنام التي جعلتموها شركاء لي ﴿الذين كنتم تزعمون﴾ تحسبون أنها شركائي.

[٦٣] ﴿قال الذين حق﴾ ثبت ﴿عليهم القول﴾ بالعذاب، لأنه سبحانه قال: ﴿لأملأن جهنم﴾ والمراد بهم رؤساء الكفار: ﴿ربنا هؤلاء الذين أغوينا﴾ أي هؤلاء أتباعنا الذين أغويناهم ﴿أغويناهم كما غوينا﴾ نحن بأنفسنا ﴿تبرأنا إليك﴾ أي نحن براء من هؤلاء الاتباع ونعلن براءتنا منهم إليك ﴿ما كانوا إيانا يعبدون﴾ أي لم تكن عبادة هؤلاء الاتباع لنا ولأجلنا بل عبدوا باختيارهم فإثمهم يقع على أنفسهم.

[٦٤] ﴿وقيل﴾ من قبل الله تعالى للمشركين: ﴿ادعوا شركاءكم﴾ الأصنام لينجوكم من عذاب الله ﴿فدعوههم﴾ فدعى المشركون الأصنام ﴿فلم يستجيبوا﴾ تلك الأصنام ﴿لهم﴾ للمشركين ﴿ورأوا العذاب﴾ المهيا لهم ﴿لو أنهم كانوا يهتدون﴾ في الدنيا لما رأوا العذاب.

[٦٥] ﴿و﴾ اذكر ﴿يوم﴾ القيامة حيث ﴿يناديهم﴾ ينادي الله الكفار ﴿فيقول﴾ لهم: ﴿ماذا أجبتم المرسلين﴾ ما كان جوابكم لمن أرسل إليكم من النبيين ﷺ.

[٦٦] ﴿فعميت عليهم الأنباء﴾ الأخبار، صارت كأنها عمياء لا تهتدي إليهم، حتى يتمكنوا من الجواب ﴿يومئذ﴾ في يوم القيامة ﴿فهم لا يتساءلون﴾ لا يسأل بعضهم بعضاً لشدة دهشتهم، فلا يتمكنون من الجواب هم بأنفسهم ولا يتمكنون من السؤال عن غيرهم حتى يحصلوا على الجواب.

[٦٧] ﴿فأما من تاب﴾ من الشرك ﴿وآمن وعمل صالحاً فعسى﴾ لعله ﴿أن يكون من المفلحين﴾ الفائزين، ولفظة (عسى) في هذه المقامات ترجع من التائب.

[٦٨] ﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار﴾ ما يشاء ﴿ما كان لهم الخيرة﴾ أن يختاروا فكيف اختاروا الأصنام آلهة ﴿سبحان الله﴾ أنزهه تنزيهاً ﴿وتعالى﴾ ترفع ﴿عما يشركون﴾ عن الأصنام التي يشركونها بالله.

[٦٩] ﴿وربك يعلم ما تكن﴾ تخفي ﴿صدورهم وما يعلنون﴾ فيجازيهم على كل ذلك.

[٧٠] ﴿وهو الله لا إله إلا هو له الحمد في الأولى﴾ الدنيا ﴿والآخرة﴾ لأن كل النعم منه ﴿وله الحكم﴾ بين الناس إذ ليس لأحد أن يحكم سواه ﴿وإليه ترجعون﴾ إلى جزائه رجوع الكل.

[٧١] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ أخبروني ﴿إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا﴾ دائماً ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بَضِيَاءٌ أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ سماع تدبر .

[٧٢] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ بإسكان الشمس فوق الأرض ﴿مِنْ إِلَهٍ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بَلِيلٌ تَسْكُنُونَ فِيهِ﴾ للاستراحة ﴿أَفَلَا تَبْصُرُونَ﴾ هذه الآيات .

[٧٣] ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ في الليل ﴿وَلِتَبْتَغُوا﴾ تطلبوا ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ في النهار ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نعمه تعالى .

[٧٤] ﴿وَاذْكُرْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذْ يَنَادِيهِمْ﴾ الله ﴿فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ﴾ الأصنام ﴿الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ .

[٧٥] ﴿وَنَزَعْنَا﴾ أخرجنا ﴿مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ نبيهم أو إمامهم أو من قام مقامهما، الشهيد عليهم بما عملوا من الكفر والمعاصي ﴿فَقُلْنَا﴾ للأمم: ﴿هَاتُوا﴾ اثبتوا ﴿بِرَهَانِكُمْ﴾ دليلكم على صحة شرككم في الدنيا ﴿فَعَلِمُوا﴾ حينذاك علماً وجدانياً ﴿أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ﴾ في الألوهية ﴿وَضَلَّ﴾ غاب ﴿عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ أي الأصنام التي جعلوها إلهة كذباً وافتراء .

[٧٦] ﴿إِنْ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى﴾ أي من بني إسرائيل ﴿فَبَغَى﴾ استطال وتكبر ﴿عَلَيْهِمْ﴾ على القوم ﴿وَأَتَيْنَاهُ﴾ أعطيناه ﴿مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنْ مَفَاتِحُهَا﴾ جمع مفتاح بمعنى المفتاح ﴿لِنَتَّوَى﴾ تنفل ﴿بِالْعَصْبَةِ﴾ بالجماعة ﴿أُولَى الْقُوَّةِ﴾ أصحاب القوة لكثرة المفاتيح فما ظنك بمقدار الكنوز ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ﴾ بهذه الأموال بطراً ورتاء ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ بالبطر .

[٧٧] ﴿وَابْتَغِ﴾ اطلب ﴿فِيمَا آتَاكَ﴾ أعطاك ﴿اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾ بأن تنفق في سبيل الله ﴿وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ فإن هذا الذي جاءك من الدنيا إن لم تصرفه في أمر الآخرة فقد نسيت نصيبك، ومعناه اطلب كلاً من الآخرة والدنيا بهذه الأموال ﴿وَأَحْسِنْ﴾ إلى عباد الله ﴿كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ بأن أعطاك هذه الأموال ﴿وَلَا تَبْغِ﴾ لا تطلب ﴿الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ﴾ إن الله لا يحب المفسدين ﴿يَكْرَهُمْ بِسُوءِ أَعْمَالِهِمْ﴾ .

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بَضِيَاءٌ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بَلِيلٌ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تَبْصُرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾ إِنْ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنْ مَفَاتِحُهَا بِالْعَصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٧٧﴾

[٧٨] ﴿قَالَ﴾ قَارُونَ تَكْبَرًا وَانْصِرَافًا عَنْ الْحَقِّ: ﴿إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ فليس لله فضل عليّ وإنما علمي بكيفية جمع الأموال هو الذي ساق هذا المال إليّ ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾ ﴿مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ﴾ من قَارُونَ ﴿قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾ للمال والاستفهام للإنكار والتخويف، أي كيف ينكر صنع الله وقد علم حالة الأمم الطاغية ﴿وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ لأن الله يعلم أعمالهم فيجازيهم عليها، وفي هذا زيادة تهديد وإنما السؤال الذي يقع بالنسبة إلى المجرمين إنما هو لتذكيرهم وفضحهم أمام الناس.

[٧٩] ﴿فَخَرَجَ﴾ قَارُونَ بَطْرًا وَكِبْرِيَاءَ ﴿عَلَىٰ قَوْمِهِ﴾ بني إسرائيل ﴿فِي زِينَتِهِ﴾ تزين بأنواع الجواهر والحلي وخرج يريهم ماله وثروته ﴿قَالَ الَّذِينَ يَرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ﴾ من المال والثروة ﴿إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ نَصِيبٍ مِنَ الدُّنْيَا﴾ عظيم كبير.

[٨٠] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ أعطوا العلم بأحوال الآخرة وثوابها: ﴿وَيْلَكُمْ﴾ هلاكاً لكم، وهي كلمة زجر ﴿ثَوَابَ اللَّهِ﴾ في الآخرة ﴿خَيْرٌ﴾ من أموال قَارُونَ ﴿لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا﴾ أي لا يعطي الله مثوبة الآخرة ﴿إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾ الذين صبروا على أوامر الله تعالى.

[٨١] ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ﴾ بقَارُونَ ﴿وَبَارُونَ الْأَرْضَ﴾ بأن ابتلعت الأرض التي فيها خزائنه ﴿فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ أُعْوَانَ وَجْمَاعَةٍ﴾ ينصرونه من دون الله ﴿بِأَسِهِ﴾ وما كان من المنتصرين ﴿بِأَن يَقْدِرَ هُوَ عَلَىٰ دَفْعِ الْعَذَابِ عَنْ نَفْسِهِ﴾ [٨٢] ﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ﴾ الذين تمنّوا مكانه ﴿مَنْزِلَةً قَارُونُ فِي الْمَالِ وَالْجَاهِ﴾ بالأمس يقولون وي ﴿كَلِمَةً تَعْجَبُ﴾ كأن الله أي كأن بسط الرزق وتقديره ليسا لكرامة الإنسان على الله أو إهانتة بل لمصالح خاصة حسب مشيئته تعالى ﴿يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ عبده ﴿وَيَقْدِرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ لولا أن من الله علينا ﴿لَخَسَفَ﴾ الله الأرض ﴿بِنَا﴾ لأن المال يولد فينا ما أولده في قَارُونَ ﴿وَيَكُنْهُ لَا يَفْلَحُ﴾ لا يفوز بخير الدارين ﴿الْكَافِرُونَ﴾ بنعم الله، والإتيان بلفظ كان تواضع منهم، إذ الجزم في الأمر دليل على أن المتكلم يرى نفسه عالماً.

[٨٣] ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا﴾ خير (تلك) ﴿لِلَّذِينَ لَا يَرِيدُونَ عُلُوًّا﴾ غلبة استعلاء ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا﴾ وظلماً ﴿وَالْعَاقِبَةُ﴾ المحموده ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ الذين يتقون الكفر والمعاصي.

[٨٤] ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ﴾ العقيدة والعمل الحسن ﴿فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا﴾ من جهة الذات والقدر والوصف ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون بدون زيادة.

قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبَارُونَ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُوهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَانُ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنَّ مِّنَ اللَّهِ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَانُ لَا يَفْلَحُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يَرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾

[٨٥] ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَبِّيَ أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [٨٥] وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونْ ظَهِيراً لِلْكَافِرِينَ [٨٦] وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أَنْزَلْتَ إِلَيْهِ الْوَحْيَ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ [٨٧] وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ [٨٨]

سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَّذِينَ أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ [١] وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ [٢] أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْفُتُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ [٣] مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَكَ لَاحَةً وَهُوَ السَّكِينُ الْعَلِيمُ [٤] وَمَنْ جَاهَدْ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ [٥]

[٨٦] ﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ فرحمته تعالى هي التي سببت إنزال الكتاب ولولاها لم يكن رجاء ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ حيث تفضل الله عليك بالكتاب ﴿ظَهيراً﴾ معيناً ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾.

[٨٧] ﴿وَلَا يَصُدُّكَ﴾ لا يمنعك هؤلاء الكفار ﴿عَنْ﴾ اتباع وتبليغ ﴿آيَاتِ اللَّهِ﴾ القرآن ﴿بَعْدَ إِذْ أَنْزَلْتَ إِلَيْهِ الْوَحْيَ﴾ إلى ربك ﴿وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ﴾ بالطوحيد له والطاعة لأمره ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

[٨٨] ﴿وَلَا تَدْعُ﴾ لا تعبد ﴿مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ يَهْلِكُ وَيَمُوتُ﴾ إلا وجهه ذاته، وما هو هالك لا يكون إلهاً ﴿لَهُ الْحُكْمُ﴾ فإن الحكم على الناس وبين الناس لله وحده ﴿وإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ إلى حكمه وجزائه في الآخرة.

٢٩: سورة العنكبوت

مكية آياتها تسع وستون

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

[١] ﴿الْم﴾ رمز بين الله ورسوله ﷺ.

[٢] ﴿أَحْسَبَ﴾ هل ظن ﴿الناس أن يتركوا﴾ هم وشأنهم بدون امتحان لهم ليظهر مدى إيمانهم، بمجرد ﴿أن يقولوا آمنا﴾ و﴿ظنوا أن﴾ هم لا يفتنون لا يمتحنون، كلا ليس الأمر كذلك.

[٣] ﴿وَالْحَالِ﴾ لقد فتنا امتحنا ﴿الذين من قبلهم﴾ من الأمم ﴿فليعلمن الله﴾ أي يتعلق علمه السابق بهم في حال الامتحان ﴿الذين صدقوا﴾ في إيمانهم ﴿وليعلمن الكاذبين﴾ بأن رسبوا في الامتحان.

[٤] ﴿أَمْ﴾ بل ﴿حَسِبَ﴾ الذين يعملون السيئات ﴿الكفر والمعاصي﴾ أن يسبقونا فنعجز عن عذابهم، كما يسبق الشارد من يريد أخذه فلا يقدر عليه ﴿سَاءَ﴾ بشس الحكم ﴿مَا يَحْكُمُونَ﴾ حكمهم.

[٥] ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُو﴾ يأمل ﴿لِقَاءَ اللَّهِ﴾ الوصول إلى ثوابه ﴿فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ﴾ الوقت الذي وقته الله لإعطاء الثواب ﴿لَكَ لَاحَةً﴾ لا محالة ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ للأقوال ﴿الْعَلِيمُ﴾ بالأحوال.

[٦] ﴿وَمَنْ جَاهَدَ﴾ تعب في اتباع أوامر الله ﴿فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾ لأن ثواب الجهاد يرجع إلى نفس المجاهد ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ﴾ عن جهاد المجاهد و﴿عَنِ الْعَالَمِينَ﴾.

[٧] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حَسَنًا وَإِنْ جَهِدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [٨] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾ [٩] ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةً لِلنَّاسِ كَذَّابٌ لِلَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾ [١٠] ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾ [١١] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلَنَحْمِلَ خَطِيئَتَكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ﴾ [١٢] ﴿شَيْءٌ إِنَّهُمْ لَكَذِبُونَ﴾ [١٣] ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَنفَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيَسْتَنُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [١٤] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [١٥]

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [٧] ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حَسَنًا﴾ [٨] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾ [٩] ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةً لِلنَّاسِ كَذَّابٌ لِلَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾ [١٠] ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾ [١١] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلَنَحْمِلَ خَطِيئَتَكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ﴾ [١٢] ﴿شَيْءٌ إِنَّهُمْ لَكَذِبُونَ﴾ [١٣] ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَنفَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيَسْتَنُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [١٤] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [١٥]

[٩] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي﴾ جملة ﴿الصالحين﴾ الذين لهم الجنة.

[١٠] ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾ وهم المنافقون ﴿مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ﴾ بأن أصابه أذى في سبيل الله ﴿جَعَلَ فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ أي أذاهم ﴿كَذَّابٌ لِلَّهِ﴾ فكما إن خوف العذاب صرفه إلى الإيمان فإن أذى الناس يصرفه إلى الكفر حتى يستريح من أذاهم، فيرى أنه لا داعي

لاستعجال الأذى في سبيل دفع عذاب في المستقبل ﴿وَلئن جَاءَ نَصْرٌ﴾ فتح وغنيمة ﴿مِّن رَّبِّكَ﴾ للمسلمين ﴿لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾ في الدين فأشركونا في الغنيمة ﴿أَو لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾ من الإخلاص والنفاق، فيجازي كلًا حسب ما في صدره.

[١١] ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بقلوبهم ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ﴾ الله ﴿المنافقين﴾ فيجزي كل فريق بما يستحق.

[١٢] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا﴾ في الكفر ﴿وَلَنَحْمِلَ﴾ أي نحن نحمل يوم القيامة ﴿خَطَايَاكُمْ﴾ فلا تعاقبون عليها ﴿وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ﴾ من خطاياهم من شيء، لأن خطيئة كل إنسان على نفسه ﴿إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ في قولهم (نحمل خطاياكم).

[١٣] ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ﴾ الكفار ﴿أَثْقَالَهُمْ﴾ ذنوبهم ﴿وَأَنفَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ وهي الذنوب التي اقترفوها بسبب إضلال الناس ﴿وَلَيَسْأَلُنَّ﴾ هؤلاء الكفار ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ من الأكاذيب التي ضلوا بها سائر الناس، يسألون عنها لأجل الجزاء.

[١٤] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ﴾ مكث ﴿فِيهِمْ﴾ يدعوهم إلى الإيمان ﴿أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ فلم يجيبوه ﴿فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ﴾ أغرقهم الماء الكثير ﴿وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ لأنفسهم بالكفر والعصيان.

[١٥] ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ﴾ أي نوحاً عليه السلام ﴿وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ﴾ الذين ركبوا معه من المؤمنين ﴿وَجَعَلْنَاهَا﴾ أي قصة نوح عليه السلام ﴿آيَةً﴾ علامة مبصرة ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ ليعلموا مصير الكفار.

[١٦] ﴿و﴾ اذكر ﴿إِبْرَاهِيمَ إِذْ﴾ زمان ﴿قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ﴾ اجتنبوا الكفر والمعاصي ﴿ذَلِكَ﴾ أي الانتقاء و(كم) للخطاب ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ مما أنتم فيه ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ لعلمتم أن ذلك خير لكم.

[١٧] ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا﴾ أصناماً ﴿وَتَخْلُقُونَ﴾ بنحت الأصنام ﴿إِفْكَأ﴾ كذباً، إذ ليست هذه آلهة ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾ فان الأصنام لا ترزق الناس ﴿فَابْتَغُوا﴾ اطلبوا ﴿عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ﴾ إذ هو الرزاق ﴿وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ إليه ترجعون ﴿إِلَى جَزَائِهِ رُجُوعَكُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾.

[١٨] ﴿وَإِنْ تَكْذِبُوا﴾ تكذبوني ﴿فَقَدْ كَذَبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ الرسل فلم يضر الرسل تكذيبهم ﴿وَمَا﴾ يجب ﴿عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ التبليغ ﴿الْمُبِينُ﴾ الظاهر، أما إيمان الناس وعدم إيمانهم فليس الرسول مكلفاً به.

[١٩] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ هؤلاء الذين ينكرون البعث ﴿كَيْفَ يَبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ﴾ ينشئه ويخلقه ﴿ثُمَّ يَعِيدُهُ﴾ أحياء بعد الموت كما بدأه ﴿إِنْ ذَلِكَ﴾ أي الإعادة ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ سهل.

[٢٠] ﴿قُلْ سِيرُوا﴾ سافروا أيها الكفار ﴿فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ اللَّهُ الْخَلْقَ﴾ فإن المسافر يرى من عجائب خلق الله ما يأخذ بقلبه إلى الإيمان ﴿ثُمَّ اللَّهُ﴾ هكذا، كما بدأ ﴿يُنشِئُ﴾ يخلق ﴿النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾ أي الحياة بعد الموت ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ الإنشاء والإعادة ﴿قَدِيرٌ﴾.

[٢١] ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ ممن استحق العقاب ﴿وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ﴾ ممن هو أهل الرحم ﴿وَالِلَّهِ تَقْلِبُونَ﴾ أي ترجعون لأجل الحساب.

[٢٢] ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ الله ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ بأن تهربوا، فلا يتمكن من أخذكم وعقابكم ﴿وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ بأن تصعدون في أطباق السماء للفرار منه ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ يلي أموركم ﴿وَلَا نَصِيرٌ﴾ ينصركم.

[٢٣] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ﴾ أي جحدوا البعث الذي فيه لقاء ثواب الله وعقابه ﴿أُولَئِكَ يَشْأَوْنَ مِنْ رَحْمَتِي﴾ أي لا بد لهم أن يياسوا من رحمة الله لأنهم كفروا به ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم.

فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾ وَإِذْ هَمَزَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكَأ إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ تَكْذِبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْأَمِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يَبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يَعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلِبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَشْأَوْنَ مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾

فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَاقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ لِّبَعْضٍ وَلَيَعْلَمَنَّ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَأَمْ أَنُحَدِّثُكُمُ النَّارَ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَتَأْمَنُ لَّهُم لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَءَاتَيْنَاهُ إِجْرًا فِي الدُّنْيَا وَآخِرًا فِي الْآخِرَةِ لَمَنِ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأَتُونَ الْفَحْشَاءَ مَاسِيقًا كَمَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَيْنُكُمْ لَأَتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾

[٢٤] ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾ قوم إبراهيم عليه السلام ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا أَاقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ﴾ حين قذفوه فيها بجعل النار برداً وسلاماً ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ﴾ الإنجاء ﴿آيَاتٍ﴾ أدلة على وجود الله ونصرة أوليائه وخذلان أعدائه ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ فإنهم المستفنون بالآيات .

[٢٥] ﴿وَقَالَ﴾ إبراهيم عليه السلام ﴿إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ عِبَادَتِي مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ غير الله ﴿أَوْثَانًا﴾ أصناماً ﴿مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾ أي لتوادوا وتحابوا بينكم لأن الأصنام هي رابطة اجتماعكم ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ فان هذه المودة خاصة بهذه الحياة ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ﴾ ويلمع بعضكم ببعض ﴿لِّبَعْضٍ﴾ فيكون بينكم التعادي والتلاعن ﴿وَأَمْ أَنُحَدِّثُكُمُ النَّارَ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ ينصرونكم من عذاب الله .

[٢٦] ﴿فَتَأْمَنُ لَهُ﴾ لإبراهيم عليه السلام ﴿لُوطٌ﴾ وكان من أقربائه ﴿وَقَالَ﴾ إبراهيم عليه السلام ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي﴾ إلى حيث أمرني ربي ، فذهب من العراق إلى الشام ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ الذي لا يغالب ﴿الحكيم﴾ في ما يفعل .

[٢٧] ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ﴾ أعطينا إبراهيم عليه السلام ﴿إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ﴾ ذرية إبراهيم عليه السلام ﴿النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ بأن أنزلنا الكتب السماوية على أولاده كموسى عليه السلام وعيسى عليه السلام ومحمد ﷺ ﴿وَأَتَيْنَاهُ﴾

أعطيناه ﴿إِجْرًا فِي الدُّنْيَا﴾ بالذكر الحسن ﴿وَأَنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ فیدخل الجنة .

[٢٨] ﴿وَقَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾ ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأَتُونَ الْفَحْشَاءَ﴾ تفعلون اللواط ﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا﴾ بهذه الفاحشة ﴿مِّن أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ فإنكم أول من ابتدئتم بها .

[٢٩] ﴿إِنَّكُمْ لَأَتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ﴾ فإن المارة كانوا لا يمرون بقرعهم حيث علموا بفعلهم السيئ مع المارة ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ﴾ محل اجتماعكم ﴿المنكر﴾ فكانوا يلطون ويتضارطون ويفعلون سائر المنكرات في مجالسهم بلا حياء ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ﴾ الذي تعدنا به على أعمالنا ﴿إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في أن الله يعذبنا على هذه الأعمال .

[٣٠] ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾ ﴿رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾ بإنزال العذاب لإفنائهم .

[٣١] ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾﴾
 لبشرونه بإسحاق ﷺ ﴿قَالُوا﴾ أي الملائكة
 لإبراهيم ﷺ : ﴿إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ قرية
 لوط ﷺ ﴿إِن أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ لأنفسهم بالكفر
 والعصيان.

[٣٢] ﴿قَالَ﴾ إبراهيم ﷺ : ﴿إِن فِيهَا لُوطًا﴾ فكيف
 تهلكونها ﴿قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا﴾ بالذين في القرية
 ﴿لَنَنْجِيَنَّ﴾ أي لوطاً ﷺ ﴿وَوَ﴾ ننجي ﴿أَهْلَهُ﴾ المؤمنين
 ﴿إِلَّا أُمَّرَاتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ الباقيين في القرية حتى
 تهلك لأنها كانت كافرة.

[٣٣] ﴿وَلَمَّا أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا الْمَلَائِكَةُ﴾ من عند
 إبراهيم ﷺ ﴿لُوطًا﴾ إلى لوط ﷺ ﴿سَيِّءٌ﴾
 لوط ﷺ ﴿بِهِمْ﴾ بالملائكة، أي ساء مجيئهم لما رأى
 فيهم من الجمال فخاف عليهم من قومه ﴿وَضَاقَ بِهِمْ﴾
 ذرعاً ﴿ضَاقَ صَدْرُهُ عَنْ مَجِيئِ هَؤُلَاءِ الضُّيُوفِ﴾ والذرع
 كناية عن الطاقه ﴿وَقَالُوا﴾ أي الملائكة للوط ﷺ : ﴿لَا
 تَخَفْ﴾ من قومك علينا ﴿وَلَا تَحْزَنْ﴾ إنا ملائكة من الله
 لأجل إهلاك القوم ﴿إِنَّا مُنْجُونَكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أُمَّرَاتَكَ كَانَتْ
 مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ في العذاب.

[٣٤] ﴿إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا﴾ عذاباً
 ﴿مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ أي بسبب فسقهم.

[٣٥] ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا أَبْقَيْنَا مِنْهَا﴾ من القرية بعد تدميرها ﴿آيَةً﴾ علامة المنازل الخربة المقلوبة ﴿بَيِّنَةً﴾ واضحة ﴿لِلْقَوْمِ﴾
 يعقلون ﴿يَسْتَعْمِلُونَ عَقُولَهُمْ﴾.

[٣٦] ﴿وَالِى مَدِينٍ﴾ أرسلنا إلى قوم مدين ﴿أَخَاهُمْ﴾ في القبيلة ﴿شُعَيْبًا﴾ ولا يخفى أن تكرار هذه القصص للتركيز في
 الأذهان، ولأن العرب كانوا يعرفون بعضها إجمالاً، لأن هؤلاء الأمم سكنوا في الجزيرة وحواليها، ولأن أهل الكتاب
 كانوا يصدقون بها، وقد جاءت القصة في كل مرة بمزايا لم تذكر في مرة أخرى، ولأن التكرار أدعى إلى التحدي إذ يظهر
 عجز العرب عن الإتيان بمثلها أكثر فأكثر، إلى غير ذلك ﴿فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ أي افعلوا ما
 ترجون بسببه ثواب الآخرة ﴿وَلَا تَعْبُوا﴾ لا تسعوا ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ في حال كونكم ﴿مُفْسِدِينَ﴾ فيها.

[٣٧] ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذْتُمُ الرِّجْفَ﴾ الزلزلة الشديدة ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ متينين ساقطين على وجوههم.

[٣٨] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿عَادًا﴾ قوم هود ﷺ ﴿وَتَمُودَ﴾ قوم صالح ﷺ ﴿وَقَدْ تَبَيَّنَ﴾ ظهر ﴿لَكُمْ﴾ أيها الكفار، ﴿مِّنْ﴾
 مساكنتهم ﴿الَّتِي تَمُرُّونَ عَلَيْهَا فِي أَسْفَارِكُمْ أَنَّهُمْ أَهْلَكُوا وَعَذَّبُوا لِمَا تَشَاهَدُونَ مِنْ آثَارِ دِيَارِهِمُ الْخَرِبَةِ﴾ ووزين لهم الشيطان
 أعمالهم ﴿بِأَن رَّأَوْهَا حَسَنَةً﴾ فصدهم ﴿مَنْعَهُمُ الشَّيْطَانُ﴾ عن السبيل ﴿طَرِيقَ الْحَقِّ﴾ وكانوا مستبصرين ﴿مُتَمَكِّنِينَ﴾ من
 النظر لكنهم لم ينظروا فأهلكوا.

وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا
 أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾
 قَالَ إِن فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنَنْجِيَنَّ
 وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَاتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّا
 أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا
 وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُونَكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أُمَّرَاتَكَ
 كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ
 هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ
 ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ
 ﴿٣٥﴾ وَإِلَى مَدِينٍ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَتَقَوُّوا عِبَادُوا
 اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْبُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ
 ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذْتُمُ الرِّجْفَ فَأَصْبَحُوا ضَالِّينَ
 لَكَرْمٍ مِّنْ مَّسْكِنِهِمْ وَرَبَّكَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ
 أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾

[٣٩] ﴿وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالأدلة الواضحة ﴿فَاسْتَكْبَرُوا﴾ تكبروا عن قبول الحق والعمل الصالح ﴿فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ﴾ لم يفوتونا بل أخذناهم.

[٤٠] ﴿فَكَلَّا﴾ من المذكورين ﴿أَخَذْنَا﴾ عاقبناه ﴿بَذْنِهِ﴾ فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً أي ريحاً فيها حصباء وهي الحجارة، وهم قوم لوط عليه السلام ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّبِيحَةُ﴾ صبيحة جبرئيل عليه السلام فأهلكهم وهم ثمود ومدين ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ﴾ كقارون ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ أَغْرَقْنَا﴾ كقوم نوح عليه السلام وفرعون ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ﴾ ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴿بِالْكَفْرِ وَالْعِصْيَانِ حَتَّى اسْتَحَقُّوا الْعِقَابَ﴾.

[٤١] ﴿مِثْلَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ غَيْرَ اللَّهِ﴾ أولياءه ﴿أَلِهَةً﴾ كمثل العنكبوت ﴿فَالْمُشْرِكُونَ كَالْعَنْكَبُوتِ حَالُ كَوْنِهَا﴾ اتخذت بيتاً صنعت بيتاً ضعيفاً موهوناً ﴿وَإِنْ أُوْهِنَ الْبُيُوتُ﴾ أضعفها ﴿لَبِيتَ الْعَنْكَبُوتُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ لعلموا أن بناءهم كبناء العنكبوت، فكما إن بيت العنكبوت إنما هو لأجل الرزق فقط ولا ينفعها في حر ولا برد ولا بقاء له، كذلك دين المشركين لا مستقبل له ولا ينفعهم.

[٤٢] ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا﴾ الأصنام التي ﴿يَدْعُونَ﴾ أي

المشركون إياها ﴿مَنْ دُونَهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ بيان (ما) ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ الذي لا يغالب ﴿الْحَكِيمُ﴾ ومن حكمته لا يعاجلهم بالعقوبة.

[٤٣] ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ﴾ هذه الأمثال ونظائرها ﴿نَضْرِبُهَا﴾ نذكرها ﴿لِلنَّاسِ﴾ تقريباً إلى أفهامهم ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا﴾ لا يفهم فائدتها ﴿إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ الذين يريدون التعلم.

[٤٤] ﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ لم يقصد بهما عبثاً وباطلاً ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ الخلق ﴿لَآيَةً﴾ دليلاً على وجود الله وقدرته ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ فإنهم المستفعدون بالآيات.

[٤٥] ﴿أَنْتَلِ﴾ اقرأ يا محمد ﷺ ﴿مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ القرآن ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ أدها ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ﴾ لأنها سبب للانتهاء ﴿عَنِ الْفَحْشَاءِ﴾ الفعّال القبيحة المتعدية في الفحش والإثم ﴿وَالْمُنْكَرِ﴾ سائر الآثام ﴿وَلِلذِّكْرِ﴾ بأن تكونوا في ذكره ﴿أَكْبَرِ﴾ من الصلاة، لأن الذكر يقود إلى كل خير ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ ما تعملون فيجازيكم عليه.

وَقَرُّوْنَ وَفِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَىٰ
بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ
﴿٣٩﴾ فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا
وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّبِيحَةُ وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ
الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ
وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ مِثْلَ الَّذِينَ
أَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمِثْلِ الْعَنْكَبُوتِ
أَتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنْ أُوْهِنَ الْبُيُوتُ لَبِيتَ الْعَنْكَبُوتُ
لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُدْعُونَ مِنْ
دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ
الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ
﴿٤٣﴾ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ أَنْتَلِ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ
وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ
وَالْمُنْكَرِ وَلِذِكْرِ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾

[٤٦] ﴿وَلَا تَجَادَلُوا﴾ لا تحاجوا أيها المسلمون ﴿أهل الكتاب﴾ اليهود والنصارى ﴿إلا بالتي﴾ بالصفة التي ﴿هي أحسن﴾ كمقابلة الشدة باللين والغضب بالحلم ﴿إلا الذين ظلموا منهم﴾ بأن أكثروا في العناد فلا بأس بمقابلتهم بالمثل كبحاً لجماحهم ﴿وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم﴾ كالشورى والإنجيل ﴿واللهنا وإلهكم واحد ونحن له﴾ لله تعالى ﴿مسلمون﴾ مقادون.

[٤٧] ﴿وكذلك﴾ أي هكذا ﴿أنزلنا إليك الكتاب﴾ القرآن مصداقاً للكتب السابقة ﴿فالذين آتيناهم﴾ أعطيناهم ﴿الكتاب﴾ جنس الكتاب السماوي، ممن ليس بمعاند ﴿يؤمنون به﴾ بما أنزل إليك ﴿ومن هؤلاء﴾ المشركين ﴿من يؤمن به﴾ بكتابك أيضاً ﴿وما يجحد بآياتنا﴾ ينكرها مع وضوحها ﴿إلا الكافرون﴾ المعاندون في كفرهم.

[٤٨] ﴿وما كنت﴾ يا محمد ﴿تتلو﴾ تقرأ ﴿من قبله﴾ قبل القرآن ﴿من كتاب ولا تحطه﴾ أي لا تكتب شيئاً ﴿بيمينك﴾ بيمينك ﴿إذا﴾ أي لو كنت تقرأ وتكتب ﴿لارتاب﴾ لشك في رسالتك ﴿الميطلون﴾ الذين شأنهم الإبطال لكل ما لا يريدونه، أما الذين يتبعون الحق فلا فرق عندهم إذا رأوا المعجزة أن يكون الآتي بها قارئاً وكتاباً أم لا، فليس القرآن إذا مجموعاً من الكتب السابقة أخذ النبي ﷺ منها.

[٤٩] ﴿بل هو﴾ القرآن ﴿آيات بينات﴾ أدلة واضحات ﴿في صدور الذين أوتوا العلم﴾ حفظها النبي ﷺ من الوحي ﴿وما يجحد بآياتنا﴾ ينكرها ﴿إلا الظالمون﴾ أنفسهم بترك النظر.

[٥٠] ﴿وقالوا لولا أنزل عليه﴾ على الرسول ﷺ ﴿آيات من ربه﴾ كعصا موسى عليه السلام وما أشبه من الخوارق ﴿قل إنما الآيات عند الله﴾ فإذا رأى المصلحة في إنزالها أنزلها ﴿وإنما أنا نذير﴾ منذر لكم عن عذاب الله ﴿مبين﴾ ظاهر، وقد أتيت بما يثبت أنني نبي وكفى.

[٥١] ﴿أولم يكفهم﴾ آية دالة على صدقه ﴿أنا أنزلنا عليك الكتاب﴾ إنزلنا الكتاب ﴿يتلى عليهم﴾ دائماً فهو آية لا تزول بخلاف سائر الآيات التي نزلت على الأنبياء السابقين ﴿إن في ذلك﴾ الكتاب المعجز المستمر ﴿لرحمة وذكرى﴾ تذكيراً ﴿لقوم يؤمنون﴾ فأنهم المنتفعون بالقرآن.

[٥٢] ﴿قل كفى بالله بيني وبينكم شهيداً﴾ شاهداً لصديقي، إذ لولا أنني صادق لم يجر الله المعجزة على يدي ﴿يعلم ما في السماوات والأرض﴾ فلا يخفى عليه حالي، فإذا كنت كاذباً لعلم بذلك ﴿والذين آمنوا بالباطل﴾ الأصنام ﴿وكفروا بالله﴾ لم يوحده ﴿أولئك هم الخاسرون﴾ الذين خسروا أنفسهم وأهلهم.

﴿وَلَا تَجَادَلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَاللَّهْنَا وَإِلَهُكُمْ وَنَجِدُ وَنَحْنُ لَكُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(٤٦) وَكَذَلِكَ أُنْزِلَ إِلَيْكَ الْكِتَابُ فَلَّذِينَ ءَانَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَوْمَنُوكَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يَوْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ^(٤٧) وَمَا كُنْتَ تَسْمَعُ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُ بِبَيْمِينِكَ إِذَا لَأَرْتَابَ الْمُبْطِلُونَ^(٤٨) بَلْ هُوَ ءَانِتٌ بَيْنَتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ^(٤٩) وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ ءَانِتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ^(٥٠) أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ^(٥١) قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيداً يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ^(٥٢)

[٥٣] ﴿وَيَسْتَعْمِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ أي الكفار ﴿بِالْعَذَابِ﴾ يقولون إن كنت نبياً فأنزل علينا العذاب ﴿وَلَوْلَا أَجَلٌ﴾ وقت ﴿مُسَمًّى﴾ قد سمي لهلاكهم ﴿لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ﴾ عاجلاً ﴿وَلِيَأْتِيَنَّهُمُ الْعَذَابُ﴾ بغتة ﴿فَجَاءَهُمْ﴾ وهم لا يشعرون ﴿بِآيَاتِهِ﴾.

[٥٤] ﴿وَيَسْتَعْمِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ وإن جهنم لمحيطه بالكافرين ﴿سَيَحِيطُ بِهِمْ﴾ فلماذا تعجيلهم.

[٥٥] ﴿يَوْمٌ﴾ ظرف لقوله (المحيطه) ﴿يَغْشَاهُمْ﴾ يحيط بهم ﴿الْعَذَابُ﴾ من فوقهم ومن تحت أرجلهم ﴿مِنْ جَمِيعِ الْجَوَانِبِ﴾ ويقول ﴿اللَّهُ لَهُمْ﴾ ذوقوا ما ﴿جَزَاءُ مَا﴾ كنتم تعملون ﴿أَعْمَالَكُمْ﴾.

[٥٦] ﴿يَا عِبَادِي الَّذِينَ آمَنُوا﴾ إن أرضي واسعة ﴿فَإِذَا لَمْ تَقْدِرُوا عَلَى إِقَامَةِ الدِّينِ فِي وَطَنِكُمْ﴾ فسافروا ﴿فَلِيَايَ فَاعْبُدُونِ﴾ ولا تشركوا، وإذا لم تتمكنوا في بلدكم فهاجروا إلى بلد آخر.

[٥٧] ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ تنال الموت لا محالة ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا﴾ إلى جزائنا ﴿تَرْجِعُونَ﴾ في الآخرة.

[٥٨] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ﴾ ننزلهم ﴿مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا﴾ عالياً تشرف على الجنة ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا﴾ تحت تلك الغرف ﴿الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ باقين أبداً ﴿نَعَمْ﴾ تلك الغرف ﴿أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ لأجل الله

وَيَسْتَعْمِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْمِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنْ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾ يٰٓعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِنِّي فَاعِيْدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرَ الْعَامِلِينَ ﴿٥٨﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيُّ نِعْمَةٍ لَّا نَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾

تعالى.

[٥٩] ﴿الَّذِينَ﴾ صفة (العاملين) ﴿صَبَرُوا﴾ على ما أمرهم الله به ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ في أمورهم. [٦٠] ﴿وَكَايُنَ﴾ كم ﴿مِنْ دَابَّةٍ﴾ حيوان ﴿لَا تَحْمِلُ﴾ لا تتمكن من إعداد ﴿رِزْقَهَا﴾ لضعفها ﴿اللَّهُ يَرْزُقُهَا﴾ بدون إعداد ﴿وَلِيَاكُم﴾ فالقوي والضعيف سواء في إرزاق الله تعالى له ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوالكم ﴿الْعَلِيمُ﴾ بأحوالكم.

[٦١] ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ﴾ أي المشركين ﴿مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ﴾ ذلل ﴿الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ ليقولن الله ﴿فَانَّهُمْ﴾ كانوا يعترفون بالله ﴿فَأَنَّى﴾ إلى أين ﴿يُؤْفَكُونَ﴾ يصرفون عن توحيد بعد أن اعترفوا بأن كل شيء منه تعالى.

[٦٢] ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ﴾ يوسع ﴿الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ﴾ يضيق ﴿لَهُ﴾ لمن يشاء ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ فيرزقهم حسب المصلحة.

[٦٣] ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ المطر ﴿فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ﴾ بالنبات ﴿مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا﴾ باليابس ﴿لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ فكيف يجعلون الأصنام شركاء له سبحانه ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على أن اعترفوا بالحق ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ لا يستعملون عقولهم ولذا يشركون.

[٦٤] ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾ كما يلهو ويلعب الصبيان بالدمى، وينتهي بعد قليل ﴿وَأَنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَاةُ الْحَقِيقَةُ﴾ لو كانوا يعلمون ﴿لَعَلَّمُوا ذَلِكَ﴾.

[٦٥] ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ﴾ السفينة ﴿دَعَاوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ﴾ وحده بلا شريك ﴿لَهُ الدِّينَ﴾ فهم كمن أخلص دينه وطريقته لله، في دعائه ﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ يرجعون إلى شركهم.

[٦٦] ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾ أي يشركون ليكونوا كافرين بسبب شركهم نعمة النجاة ﴿وَلِيَتَمَتَّعُوا﴾ بسبب عبادة الأصنام بدنياهم ورثاستهم ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عاقبة شركهم.

[٦٧] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ هؤلاء الكفار ﴿أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا﴾ وهو مكة المكرمة يؤمن أهلها من تعدد الناس عليهم، فهل أصنامهم فعلت ذلك ﴿وَيَتَخَطَفُ﴾ يؤخذ بسرعة ﴿النَّاسَ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ بالتغادر قتلاً ونهباً ﴿أَفَنُفِ﴾ بعد هذه النعم ﴿بِالْبَاطِلِ﴾ التي هي الأصنام ﴿يُؤْمِنُونَ وَنِعْمَةَ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ حيث إن شركهم كفران للنعمة، فإن الله أنعم عليهم فيشركون الأصنام معه.

[٦٨] ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بأن زعم أن له شريكاً ﴿أَوْ كَذَبَ بِالْحَقِّ﴾ الرسول ﷺ والقرآن ﴿لَمَّا

جاءه﴾ الحق ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى﴾ محل إقامة ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ وهذا تهديد لهم بأن محلهم النار.

[٦٩] ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا﴾ لأجلنا جاهدوا الكفار والنفس ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ طرق الخير، فانه كلما تقدم الإنسان إلى ناحية افتتح الطريق أمامه أكثر فأكثر ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ بالنصر والعون.

٣٠: سورة الروم

مكية آياتها ستون

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

[١] ﴿الْم﴾ رمز بين الله والرسول ﷺ.

[٢] ﴿غَلِبَتِ الرُّومُ﴾ النصراري، غلبهم المجوس الفرس في زمن النبي ﷺ فاغتم المسلمون، لأن دين المسيح عليه السلام كان أقرب إلى دين الإسلام، فسلامهم الله تعالى، بأن الروم سيغلبون على الفرس بعد سنوات.

[٣] ﴿فِي أَدْنَى الْأَرْضِ﴾ أدنى أرض العرب قرب الشام ﴿وَهُمْ﴾ أي الروم ﴿مَنْ بَعْدَ غَلِبِهِمْ﴾ مغلوبيتهم ﴿سَيَغْلِبُونَ﴾ الفرس.

[٤] ﴿فِي بَضْعِ سَنِينَ﴾ هو ما بين الثلاث والعشر، وقد كان كما أخبر الله تعالى ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ﴾ فإن التقدير منه ﴿مَنْ قَبْلُ﴾ قبل أن يغلب الفرس ﴿وَمَنْ بَعْدُ﴾ أن غلبوا فكل شيء بإذن الله ﴿وَيَوْمَئِذٍ﴾ يوم أن يغلب الروم على الفرس ﴿يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

[٥] ﴿يَنْصُرُ اللَّهُ﴾ لأنه نصر المسيحيين الذين هم أقرب إلى المسلمين ﴿يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ﴾ حسب مشيئته ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ الذي لا يغلب ﴿الرَّحِيمُ﴾ بعباده، فينصرهم حسب المصلحة.

سُورَةُ الْبُرُوجِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَّذِينَ غَلِبَتِ الرُّومُ ﴿١﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٢﴾ فِي بَضْعِ سَنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ يَنْصُرُ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٤﴾

[٦] ﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾ نصره الروم ﴿لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ لا امتناع القبيح عليه ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن الله لا يخلف وعده .

[٧] ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا﴾ أي ما يشاهدونه ﴿مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ وهم عن الآخرة هم غافلون ﴿وَلِذَا لَا يَعْمَلُونَ لَهَا﴾ .

[٨] ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ﴾ أفلم يحدثوا الفكر في أنفسهم ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ إذ لو لم تكن آخرة كان خلق الحياة عبثاً ﴿وَأَجَلٌ أَمَدٌ مَّسْمُومٌ﴾ قد سمي فلا تبقى بعده حياة ﴿وَأِنْ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بَلِقَاءَ رَبِّهِمْ﴾ بملاقاة جزائه ﴿لَكَافِرُونَ﴾ .

[٩] ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا﴾ يسافروا ﴿فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا﴾ كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ﴿كَعَادٍ وَثَمُودَ﴾ حتى يروا آثارهم الخربة الدالة على عذابهم ﴿كَانُوا﴾ أولئك ﴿أَشَدَّ مِنْهُمْ﴾ من هؤلاء الكفار ﴿قُوَّةٌ﴾ جسمية ومالية ﴿وَأَنَارُوا الْأَرْضَ﴾ قلبوها للزراعة واستخراج المعادن ﴿وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾ هؤلاء ﴿وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ المعجزات ، لكنهم كذبوا ﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ حيث عذبهم ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بالكفر والمعاصي ولذا أخذهم الله بالعذاب .

[١٠] ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ أُسَاءُوا السَّوْءَ﴾ كبشرى ، أي

وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بَلِقَاءَ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَنَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ أُسَاءُوا السَّوْءَ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ مِّنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءٌ وَكَانُوا إِشْرَاكِيَهُمْ كَاذِبِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفَخُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾

عملوا العمل السيئ ﴿أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا﴾ بآيات الله ﴿يَسْتَهْزِءُونَ﴾ فإن العصيان يجر إلى الكفر .

[١١] ﴿اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ﴾ ينشئهم ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ يعيدهم ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ إلى جزائه .

[١٢] ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾ القيامة ﴿يُبْلِسُ﴾ أي يتحIRON ، فلا يجدون جواباً ﴿الْمُجْرِمُونَ﴾ الذي أجزموا بالكفر والعصيان .

[١٣] ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ مِّنْ شُرَكَائِهِمْ﴾ الأصنام التي أشركوها بالله ﴿شُفَعَاءَ﴾ ليدفعوا عنهم العذاب ﴿وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ﴾ الأصنام التي جعلوها شركاء لله ﴿كَافِرِينَ﴾ يكفرون بها حين يشاهدون بطلانها .

[١٤] ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾ يومئذ يتفرقون ﴿الْمُؤْمِنُونَ وَالْكَافِرُونَ﴾ .

[١٥] ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ﴾ جنة ﴿يُحْبَرُونَ﴾ يسرون سروراً يظهر على وجوههم .

[١٦] ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ أَنكروا البعث﴾ فأولئك في العذاب محضرون ﴿يحضرون هناك﴾.

[١٧] ﴿فسبحان الله﴾ أنزهه تنزيهاً عن الشريك ﴿حين تمسون﴾ تدخلون المساء ﴿وحين تصبحون﴾ تدخلون الصباح.

[١٨] ﴿وله الحمد في السماوات والأرض﴾ لأنه المستحق الوحيد في المكانين ﴿وعشياً﴾ ليلاً ﴿وحين تظهرون﴾ تدخلون في وقت الظهر، أي في الأوقات كلها.

[١٩] ﴿يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي﴾ كالبيضة من الدجاجة والفرخ من البيضة ﴿ويحيي الأرض﴾ بالنبات ﴿بعد موتها﴾ ببس النبات ﴿وكذلك﴾ كما أحيى الأرض ﴿تخرجون﴾ أحياء من قبوركم.

[٢٠] ﴿ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تتمشرون﴾ متمشرون في الأرض.

[٢١] ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم﴾ من جنسكم ﴿أزواجاً﴾ زوجاتكم ﴿لتسكنوا إليها﴾ لتألفوها ﴿وجعل بينكم مودة﴾ يحب بعضكم بعضاً ﴿ورحمة﴾ يرحم بعضكم بعضاً ﴿إن في ذلك لآيات﴾ دالات على وجود الله ولطفه ﴿لقوم يفكرون﴾ فانهم المتفكرون بالآيات.

[٢٢] ﴿ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم﴾ بأن كان لكل جماعة لغة، أو لهجة خاصة ﴿والوانكم﴾ لآيات للعالمين ﴿فإن العالم هو المتنفع بالآيات﴾.

[٢٣] ﴿ومن آياته منامكم﴾ نومكم ﴿بالليل والنهار وابتغاكم﴾ طلبكم ﴿من فضله﴾ رزقه، ففي كل من الليل والنهار، ينام الإنسان ويكتسب ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون﴾ سماع تدبر وتعقل.

[٢٤] ﴿ومن آياته يريكم البرق خوفاً﴾ من الصاعقة والسيل وما أشبه ﴿وطمعا﴾ في المطر وتحسين الهواء ﴿وينزل من السماء ماءً فيحيي به الأرض﴾ بالنبات ﴿بعد موتها﴾ باليابس ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾ يستعملون عقولهم.

وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ
فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ
وَحِينَ تُمْسُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ
الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾
وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ
تَنْتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ
أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَخْلَفَ الْمَيزَانَ وَمَا يُكْرِهُ أَنْ يُكَفِّرَ
فِي ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَالْحَقَّ يَحْكُمُ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ
لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ يَرْيَاكُمْ الْبَرْقَ
خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ
بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٣﴾

[٢٥] ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾ أي قيامهما بأمر الله وإرادته ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً لِحَيَاتِكُمْ وَإِخْرَاجِكُمْ﴾ من ﴿بطن﴾ الأرض أي قبوركم ﴿إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ فإحياءكم بعد الموت آية من آياته .

[٢٦] ﴿وَلَهُ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلِّ لَه قَانِتُونَ﴾ خاضعون متقادون .

[٢٧] ﴿وَهُوَ الَّذِي بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ يُنشئه ﴿ثُمَّ يَعِيدُهُ﴾ بعد الموت إحياء ﴿وَهُوَ﴾ أي البدء والإعادة ﴿أَهْوَنَ عَلَيْهِ﴾ تعالى مما تصورون ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ﴾ الوصف ﴿الْأَعْلَى﴾ من كل وصف، لأنه لا مساوي له حتى يشاركه في علو المثل ﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فلا في السماء ولا في الأرض من يشبهه في المثل ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ الذي لا يغلب ﴿الْحَكِيمُ﴾ في أفعاله .

[٢٨] ﴿ضَرَبَ﴾ الله ﴿لَكُمْ﴾ أيها المشركون ﴿مَثَلًا﴾ متزعاً ﴿مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ لبطلان عبادتكم للأصنام ﴿هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ من عبيدكم الذين اشتريتموهم بما كسبت أيديكم من المال ﴿مِنْ شُرَكَاءَ﴾ بأن يكون العبد شريكاً لكم، والحال أنه ملك لكم ﴿فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ من الأموال والسيادة ﴿فَ﴾ تكونوا هم و ﴿أَنْتُمْ فِيهِ﴾ في الرزق ﴿سَوَاءٌ﴾ متساوين ﴿تَخَافُونَهُمْ﴾ أي تخافون تلك العبيد ﴿كَخِيفْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ كما يخاف الأحرار بعضهم بعضاً . فاللازم عليهم أن لا يجعلوا عبيد الله شركاء له، إذ العبد لا يساوي السيد ﴿كَذَلِكَ﴾ هكذا ﴿نَفْصَلُ الْآيَاتِ﴾ نشرحها ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يستعملون عقولهم .

[٢٩] ﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِالْشُرْكَ﴾ ﴿أَهْوَاءَهُمْ﴾ بدون حجة ودليل في حال كونهم ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ جاهلين ﴿فَمَنْ يَهْدِي مِنْ أَضَلِّ لِه﴾ أي لا هادي لهم بعد إضلال الله لهم، وذلك حيث تركهم حتى ضلوا بعد أن عاندوا الحق ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ يدفعون العذاب عنهم .

[٣٠] ﴿فَأَقِمْ﴾ قَوْمَ ﴿وَجْهَكَ﴾ ذَاتَكَ ﴿لِلدِّينِ﴾ باتباعه، حال كونه ﴿حَنِيفًا﴾ مائلاً عن الباطل إلى الحق، فاتبع ﴿فَطَرَتِ لِه﴾ خلقته ﴿الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ على تلك الكيفية، فإن الإنسان يجد من أعماق نفسه الاعتقاد بوجود إله للكون عالم قدير ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ لِه﴾ فإن كل إنسان يجد من نفسه ذلك بدون تبديل، حتى أن المشرك أيضاً لا يقدر أن يبدل خلقته وفطرته ﴿ذَلِكَ﴾ الذي قلنا بإقامة وجهك أمامه ﴿الدِّينِ الْقِيمِ﴾ الطريقة المستقيمة ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ استقامته لعدم تدبرهم في حال كونكم أيها المسلمون :

[٣١] ﴿مُتَّبِعِينَ﴾ راجعين ﴿إِلَيْهِ﴾ بالتوبة، كأن العاصي ذهب عن طريق الحق، فإذا تاب رجع إليه ﴿وَاتَّقَوْهُ﴾ خافوا منه فلا تفعلوا ما لا يرضيه ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمَشْرِكِينَ﴾ الذين يجعلون لله شريكاً .

[٣٢] ﴿مِنْ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾ بأن اتبع كل فرقة وطريقة ﴿وَكَانُوا شُعْبًا﴾ فرقاً ﴿كُلِّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ من الطريق والدين ﴿فَرَحُونَ﴾ بظن أن ما عندهم الحق .

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلِّ لَه قَانِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ الَّذِي بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْتَكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مِنْ أَضَلِّ لِه وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتِ لِه الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ لِه ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمَةُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ مُتَّبِعِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقَوْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمَشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شُعْبًا كُلِّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾

[٣٣] ﴿وَإِذَا مَسَّ﴾ أصاب ﴿الناس ضر﴾ شدة ﴿دعوا﴾ ربهم منيبين إليه ﴿راجعين إليه وحده فلا يرجعون إلى الأصنام﴾ ثم إذا أذاقهم منه رحمة ﴿بأنخلصهم الله من الشدة﴾ إذا فريق منهم ﴿جماعة منهم وهم من اعتادوا عبادة الأصنام﴾ يربهم يشركون ﴿يجعلون له شريكاً﴾.

[٣٤] ﴿ليكفروا بما آتيناهم﴾ فإن الشرك كفران لنعمة النجاة ﴿فتمتعوا﴾ لتذوقوا بالحياة، وهذا أمر تهديدي ﴿فسوف﴾ عند الموت ﴿تعلمون﴾ العاقبة السيئة لمتعكم.

[٣٥] ﴿أم﴾ أن شرهم ليس عن علم، بل لأننا ﴿أنزلنا عليهم سلطاناً﴾ حجة على الشرك ﴿فهو﴾ فذلك السلطان يتكلم بما كانوا به يشركون ﴿بأن يقول بصحة شرهم﴾.

[٣٦] ﴿وإذا أذقنا الناس رحمة﴾ كنعمة وخلص من شدة ﴿ففرحوا بها﴾ بسببها ﴿وإن نصبهم سيئة﴾ شدة ﴿بما قدمت أيديهم﴾ بسبب أعمالهم السيئة ﴿إذا هم يقنطون﴾ من الرحمة.

[٣٧] ﴿أولم يروا أن الله يبسط﴾ يوسع ﴿الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ يضيق على من يشاء ﴿إن في ذلك لآيات﴾ دلالات، إذ لو لم يكن الإله يجب أن يكون الأكثر سعيًا أحسن رزقًا، والحال أنه ليس كذلك دائماً ﴿لقوم يؤمنون﴾ فإنهم المتفعون بالآيات.

[٣٨] ﴿فآت﴾ أعط ﴿ذا القربى﴾ أقرباءك ﴿حقه﴾ إذ تجب صلة الرحم ﴿والمسكين﴾ الفقير ﴿وابن السبيل﴾ وهو المنقطع في سفره ﴿ذلك﴾ إعطاء حقوق هؤلاء ﴿خير للذين يريدون وجه الله﴾ ذاته ﴿وأولئك هم المفلحون﴾ الفائزون.

[٣٩] ﴿وما آتيتم﴾ أعطيتم ﴿من رباً﴾ وهذا نهى عن إعطاء الربا ﴿ليربو﴾ اللام للعاقبة ﴿في أموال الناس فلا يربو عند الله﴾ إذ يحقه ولا يزيد المال بالربا ﴿وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله﴾ ذاته، بأن أعطيتم طلب رضا ﴿فأولئك﴾ المؤدبون للزكاة ﴿هم المضعفون﴾ الذين يزدون أموالهم.

[٤٠] ﴿الله﴾ هو ﴿الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم﴾ للحساب ﴿هل من شركائكم﴾ التي عبدتموها شركاء لله ﴿من يفعل من ذلكم﴾ الذي ذكرنا من الخلق والرزق والإماتة والإحياء ﴿من شيء سبحانه﴾ أنزهه تنزيهاً عن الشريك ﴿وتعالى﴾ ترفع ﴿عما يشركون﴾ يجعلونه شريكاً لله.

[٤١] ﴿ظهر الفساد﴾ كالغرق والحرق والقحط والحروب والزلازل ﴿في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس﴾ أي بسبب الأعمال السيئة التي جاء بها الناس، وإنما أظهرها الله ﴿ليذيقهم﴾ جزاء ﴿بعض الذي عملوا﴾ من السيئات ﴿لعلهم يرجعون﴾ عن أعمالهم السيئة.

وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْهُمْ مُبِينِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ فَآتَى ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْيَتَامَى وَالسَّبِيلَ وَأَنْزَلَ السَّلِيلَ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا آتَيْنَعُمِنْ رَبِّا لِيَرْبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْنَعُمِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْغِفُونَ ﴿٣٩﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ لَكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾

[٤٢] ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﷺ: ﴿سَيُرَوُّوا﴾ سافروا ﴿ففي الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل﴾ كقوم عاد وثمود ولوط، فإن آثارهم الخربة دالة على أخذ العذاب لهم ﴿كان أكثرهم مشركين﴾ ولذا أهلكهم الله، وهذا تهديد للمشركين بأنه سيصيبهم مثل ذلك العذاب، أما غير الأكثر فقد نجاهم الله تعالى.

[٤٣] ﴿فَأَنظُرْ﴾ لا تعدل عنه ﴿وجهلك للدين القيم﴾ المستقيم ﴿من قبل أن يأتي يوم لا مرد له﴾ لا يقدر أن يرده أحد، وهو يوم القيامة ﴿من الله﴾ متعلق بـ ﴿يأتي﴾ ﴿يومئذ يصدعون﴾ ينفرون بعض إلى الجنة وبعض إلى النار.

[٤٤] ﴿من كفر فعليه﴾ أي على نفسه، لا على غيره ﴿كفره﴾ وبال كفره ﴿ومن عمل صالحاً فلأنفسهم﴾ لا لغيرها ﴿يمهدون﴾ يهيئون المحل الحسن.

[٤٥] وإنما يهيئ الله لهم المنزل الحسن: ﴿ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله﴾ أي جزاء زائداً على استحقاقهم ﴿إنه لا يحب الكافرين﴾ أي يكرههم فيجازيهم بالعقاب.

[٤٦] ﴿ومن آياته﴾ الدالة على وجوده وعلمه وقدرته ﴿أن يرسل الرياح مبشرات﴾ بالمطر ﴿وليديقم﴾ أي يبشركم ويديقمكم ﴿من رحمته﴾ التي هي المطر ﴿ولتجري الفلك﴾ أي السفينة ﴿بأمره﴾ تعالى فإن الريح تسيرها ﴿ولتبتغوا﴾

تطلبوا ﴿من فضله﴾ بالتجارة في البحر ﴿ولعلكم تشكرون﴾ نعمة تعالى حيث حملكم على السفينة.

[٤٧] ﴿ولقد أرسلنا من قبلك رسلاً إلى قومهم فجاءوهم بالبينات﴾ بالمعجزات ﴿فانتقمنا من الذين أجمعوا﴾ بالكفر والعصيان، بأن أهلكناهم ﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾ اسم كان، نصرهم بالحجة والغلبة.

[٤٨] ﴿الله﴾ هو ﴿الذي يرسل الرياح فتثير﴾ تهيج ﴿سحاباً فيسطه في السماء كيف يشاء﴾ الله ﴿ويجعله كسفاً﴾ قطعاً متفرقة ﴿فترى الودق﴾ المطر ﴿يخرج من خلاله﴾ من وسط السحاب ﴿فإذا أصاب به﴾ بالمطر ﴿من يشاء من عباده﴾ بأن أروى بلادهم ومزارعهم ﴿إذا هم يستبشرون﴾ يفرحون.

[٤٩] ﴿وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم﴾ المطر ﴿من قبله﴾ إرسال السحاب ﴿لملبسين﴾ يائسين.

[٥٠] ﴿فانظر إلى آثار رحمة الله﴾ آثار المطر في الأرض ﴿كيف يحيي﴾ الله ﴿الأرض﴾ بالنبات ﴿بعد موتها﴾ باليبس ﴿إن ذلك﴾ الله الذي أحيا الأرض ﴿لمحي الموتى﴾ للقيامة ﴿وهو على كل شيء قدير﴾.

تطلبوا ﴿من فضله﴾ بالتجارة في البحر ﴿ولعلكم تشكرون﴾ نعمة تعالى حيث حملكم على السفينة.

[٤٧] ﴿ولقد أرسلنا من قبلك رسلاً إلى قومهم فجاءوهم بالبينات﴾ بالمعجزات ﴿فانتقمنا من الذين أجمعوا﴾ بالكفر والعصيان، بأن أهلكناهم ﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾ اسم كان، نصرهم بالحجة والغلبة.

[٤٨] ﴿الله﴾ هو ﴿الذي يرسل الرياح فتثير﴾ تهيج ﴿سحاباً فيسطه في السماء كيف يشاء﴾ الله ﴿ويجعله كسفاً﴾ قطعاً متفرقة ﴿فترى الودق﴾ المطر ﴿يخرج من خلاله﴾ من وسط السحاب ﴿فإذا أصاب به﴾ بالمطر ﴿من يشاء من عباده﴾ بأن أروى بلادهم ومزارعهم ﴿إذا هم يستبشرون﴾ يفرحون.

[٤٩] ﴿وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم﴾ المطر ﴿من قبله﴾ إرسال السحاب ﴿لملبسين﴾ يائسين.

[٥٠] ﴿فانظر إلى آثار رحمة الله﴾ آثار المطر في الأرض ﴿كيف يحيي﴾ الله ﴿الأرض﴾ بالنبات ﴿بعد موتها﴾ باليبس ﴿إن ذلك﴾ الله الذي أحيا الأرض ﴿لمحي الموتى﴾ للقيامة ﴿وهو على كل شيء قدير﴾.

[٥١] ﴿وَلَنُأَرْسِلَنَّ رِيحًا﴾ ضارة ﴿فَرَأَوْهُ﴾ أي النبات في أثر الرياح ﴿مُصْفَرًّا﴾ مقدمة ليبسه ﴿لَظَلُّوا﴾ صاروا ﴿من بعده﴾ إرسال الريح ﴿يَكْفُرُونَ﴾ فهم لا يشكرون عند الرخاء ولا يتضرعون عند البلاء .

[٥٢] ﴿فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمُوتَى﴾ سماعاً نافعاً وهؤلاء الناس كالأموات ﴿وَلَا تَسْمَعُ الصَّمَّ﴾ من صم أذنه ﴿الدُّعَاءَ﴾ كلامك ونداءك ﴿إِذَا وَلَوْ﴾ أعرضوا ﴿مدبرين﴾ بأن كان قفاهم في طرفك، وهذا بيان لعدم قبولهم الحق، كأنهم لا يسمعون .

[٥٣] ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعَمَى﴾ لا تهدي من عمي، إلى الطريق، لأنه أعمى فلا يرى الطريق ﴿عَنْ ضَلَالَتِهِمْ﴾ أي الأعمى قلباً عن ضلالة ﴿إِنْ﴾ ما ﴿تَسْمَعُ إِلَّا مِنْ يَوْمِنَ﴾ بآياتنا، لأنه هو الذي يسمع إليك سماعاً ينفعه ﴿فهم مسلمون﴾ متقادون لك .

[٥٤] ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ﴾ حال كونكم ضعافاً في حالة الجنينية والطفولية، كأنهم خلقوا من قطعة من الضعف والعجز ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾ في حالة الشباب ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا﴾ في حالة الهرم ﴿وشيبة﴾ شيخوخة ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ من ضعيف وقوي ﴿وهو العليم﴾ بمصالح عباده ﴿الْقَدِيرُ﴾ لما يشاء .

[٥٥] ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾ القيامة ﴿يُقَسِّمُ﴾ يحلف

﴿المجرمون﴾ بالشرك والعصيان ﴿مَا لَبِثُوا﴾ ما بقوا في الدنيا ﴿غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ فقط حيث يستقلون بقاءهم في الدنيا ﴿كَذَلِكَ﴾ مثل هذا الصرف عن الصدق إلى الكذب ﴿كَانُوا﴾ في الدنيا ﴿يُؤْفَكُونَ﴾ يصرفون عن الحق إلى الباطل .

[٥٦] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ﴾ أي المؤمنون، قالوا لهم في الآخرة ﴿لَقَدْ لَبِثْتُمْ﴾ بقيتم أيها الكفار ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ أي حسب ما هو موجود في ما كتبه الله من أعماركم ﴿إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ﴾ لا ساعة فقط ﴿فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ﴾ الذي كنتم تكذبون به ﴿وَلَكِنَّا كُنَّا لَا نَعْلَمُونَ﴾ تنكرون وجوده في الدنيا فتعاقبون اليوم على إنكاركم .

[٥٧] ﴿فَيَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة ﴿لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أنفسهم بالكفر والعصيان ﴿مَعْذِرَتُهُمْ﴾ عذرهم ﴿وَلَا هُمْ يَسْتَعْتِبُونَ﴾ أي لا يطلب رضاهم، بل يتركون في غضبهم وغضبهم، لأنهم لا أهمية لهم .

[٥٨] ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ لتقريب الأذهان إلى الحق ﴿وَلَنُحِثَّهُمْ بَآيَةً﴾ مما اقترحوه ﴿لِيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ﴾ أيها المؤمنون ﴿إِلَّا مَبْطُلُونَ﴾ لأنهم معاندون فلا تنفعهم حتى الآيات المقترحة .

[٥٩] ﴿كَذَلِكَ﴾ هكذا ﴿يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فإن الطبع معناه تركهم وشأنهم حتى ينطبعوا بلون العباد، وذلك حيث لم يقبلوا الحق من أول يوم .

[٦٠] ﴿فَاصْبِرْ﴾ يا رسول الله ﷺ على كفرهم ﴿إِنْ وَعَدَ اللَّهُ﴾ بنصرك عليهم ﴿حَقٌّ﴾ لا بد وأن يأتي ﴿وَلَا يَسْتَخْفِنُكَ﴾ لا يحملنك على الخفة والضجر ﴿الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ بالبعث، بل كن صابراً حامداً .

وَلَنُأَرْسِلَنَّ رِيحًا قَرَأُوهُ مُضْغَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمُوتَى وَلَا تَسْمَعُ الضَّمَّةَ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَوْ مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعَمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّا كُنَّا لَا نَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَنْ جَثِّبَهُمْ رَبَانَا لِيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مَبْطُلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَاصْبِرْ إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَلَا يَسْتَخْفِنُكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾

٣١: سورة لقمان

مكية آياتها أربع وثلاثون

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

- [١] ﴿الم﴾ رمز بين الله والرسول ﷺ .
- [٢] ﴿تلك﴾ هذه ﴿آيات الكتاب﴾ القرآن ﴿الحكيم﴾ الذي وضع الأشياء مواضعها في حال كونه :
- [٣] ﴿هدى﴾ هداية ﴿ورحمة للمحسنين﴾ لأنهم المتفعلون بهذا الكتاب .
- [٤] ﴿الذين يقيمون الصلاة ويؤتون﴾ يعطون ﴿الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون﴾ .
- [٥] ﴿أولئك على هدى﴾ على هداية ﴿من ربهم﴾ من جانبه تعالى ﴿وأولئك هم المفلحون﴾ الفائزون .
- [٦] ﴿ومن الناس من يشتري لهو الحديث﴾ أي ما يلهي به من القصص ، يشتريه ببيع الحق ، وهو كناية عن اتباع الباطل عوض الحق ﴿ليضل﴾ الناس ﴿عن سبيل الله﴾ إذ يقصد بنشر الباطل أن يأخذ مكان الحق ﴿بغير علم﴾ فإن مشتري الباطل جاهل ، وإلا لم يشتري ما يضره ﴿ويتخذها﴾ أي يتخذ سبيل الله ﴿هزوا﴾ مهزواً بها^(١) ﴿أولئك لهم عذاب مهين﴾ يذلهم ويهينهم .

[٧] ﴿وإذا تتلى﴾ تقرأ ﴿عليه آياتنا وتلى﴾ أعرض

﴿مستكبراً﴾ متكبراً عن قبول الآيات ﴿كان لم يسمعها﴾ الآيات في عدم الاستفادة منها ﴿كان في أذنيه قرأ﴾ حملاً ثقيلاً ﴿فبشره﴾ استهزاء به ، وإلا فالبشارة في الخير ﴿بعذاب اليم﴾ مؤلم .

[٨] ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم﴾ البساتين ذات النعمة .

[٩] ﴿خالدين فيها وعد الله﴾ وعد الله ذلك وعداً ﴿حقاً﴾ مطابقاً للواقع ﴿وهو العزيز﴾ الذي لا يغالب ﴿الحكيم﴾ الذي يفعل كل الأشياء حسب الصلاح والحكمة .

[١٠] ﴿خلق السماوات بغير عمد﴾ بدون أعمدة ﴿ترونها﴾ ترون السماوات أنها لا عمد لها ﴿والقى في الأرض رواسي﴾ جبالاً ﴿أن﴾ ثلثا ﴿تميد﴾ تضطرب ﴿بكم﴾ معكم ﴿ويث﴾ نشر ﴿فيها﴾ في الأرض ﴿من كل دابة﴾ من كل أقسام الحيوان ﴿وانزلنا من السماء ماءً فأنبتنا فيها من كل زوج﴾ صنف من أصناف النبات ﴿كريم﴾ ذو كرامة واحترام لمنفعته .

[١١] ﴿هذا﴾ الذي ذكر ﴿خلق﴾ مخلوق ﴿الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه﴾ من الأصنام ، إنها لا خلق لها فكيف تعبدونها ﴿بل الظالمون﴾ المشركون ﴿في ضلال﴾ عن الحق ﴿مبين﴾ ظاهر .

سُورَةُ لُقْمَانَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْعَ ۝ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ۝ هُدًى وَرَحْمَةً ۝
لِّلْمُحْسِنِينَ ۝ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ
بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ
هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ
لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ
عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝ وَإِذْ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ آيَاتِنَا وَلَٰكِن مُّسْكِرًا
كَانَ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَن فِي أذْنِيهِ وَقَرَّ فَنُصِرْهُ بِعَذَابِ الْيَمِّ ۝
إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ۝
خَالِدِينَ فِيهَا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ خَلَقَ
السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَقَلَّى فِي الْأَرْضِ رِوَاسِيًا أَن تَمِيدَ
بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا فِيهَا
مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۝ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا
خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ ۚ لَيْلَ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝

(١) والهزء : آلة الاستهزاء ، أي ما يستهزئ به ، فإنه جعل ذلك محوراً للاستهزاء .

[١٢] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا﴾ أعطينا ﴿لِقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾ لقمان الحكمة ﴿مَعْرِفَةً﴾ مواضع الأشياء وقلنا له ﴿أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ لأن فائدة الشكر عائدة إلى ذاته ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ عن شكر الشاكرين ﴿حَمِيدٌ﴾ محمود في أفعاله سواء شكره أحد أم لا .

[١٣] ﴿وَإِذْ﴾ زماناً ﴿قَالَ لِقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يُعْطِيهِ﴾ قال لقمان لابنه وهو يعظه ﴿يَا بُنَيَّ لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ لأنه إعطاء العبادة لغير المستحق ﴿عَظِيمٌ﴾ .

[١٤] ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾ إحساناً ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ﴾ فإن الحامل تضعف على ضعف إذ كلما كبر الحمل زاد الضعف ﴿وَفَصَّالَةٌ﴾ أي فطام الولد عن اللبن ﴿فِي عَامَيْنِ﴾ سنتين وهذا أيضاً صعوبة أخرى على الأم توجب شكر الولد لها، فقلنا للإنسان: ﴿أَنْ اشْكُرْ لِي﴾ بالطاعة والعبادة ﴿وَلِوَالِدَيْكَ﴾ بالبر والصلة ﴿إِلَيَّ الْمَصِيرِ﴾ فأجازيكم بما عملتم .

[١٥] ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ بِأَنْ أَسْرَأَ عَلَيْكَ﴾ على أن تشرك بي ﴿مَعْبُودًا آخَرَ مِنْ مَّا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ لأنه لا شريك لله حتى يعلم به الإنسان ﴿فَلَا تَطْعُمَاهُمَا﴾ في هذا الأمر ﴿وَصَاحِبَهُمَا﴾ كن مع الوالدين ﴿فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ صحاباً معروفاً حسناً ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ﴾ طريق ﴿مَنْ أَنَابَ﴾ رجع ﴿إِلَيَّ﴾ بأن وخذني وأخلص في الطاعة ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ رجوعكم إلى جزائي ﴿فَأُنَبِّئُكُمْ﴾ أخبركم لأجل الجزاء ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ .

[١٦] ﴿يَا بُنَيَّ﴾ مصغر ابن ﴿إِنَّهَا﴾ الحسنة أو السيئة ﴿إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ فِي خُبْرٍ﴾ التي هي في غاية الصغر ﴿مَنْ خَرَدَلَهَا﴾ هو ما يعطي الترياق وله حبات صغار جداً ﴿فَتَكُنْ﴾ تلك الحبة ﴿فِي﴾ جوف ﴿الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا﴾ يحضرها ﴿اللَّهُ﴾ لأجل الجزاء ﴿إِنْ اللَّهُ لَطِيفٌ﴾ يصل علمه إلى كل خفي ﴿خَبِيرٌ﴾ عالم بكل شيء .

[١٧] ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾ من الشدائد ﴿إِنْ ذَلِكَ﴾ الذي ذكرناه ﴿مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ أي الأمور التي تحتاج إلى العزم والقصد الأكيد .

[١٨] ﴿وَلَا تَصْغُرْ﴾ لا تمل تكبراً ﴿خَذْكَ﴾ طرف وجهك ﴿لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ مشياً فيه بطر^(١) وكبر ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ﴾ متكبر ﴿فَخُورٍ﴾ يفتخر على الناس .

[١٩] ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ توسط فيه بين الإسراع والبطء ﴿وَإِغْضُضْ﴾ اقصر ﴿مِنْ صَوْتِكَ﴾ فلا ترفعه ﴿إِنْ أَنْكَرَ﴾ أقبح الأصوات لصوت الحمير ﴿وَذَلِكَ﴾ لأنه يرفع صوته فتأدب منه ولا ترفع صوتك .

وَلَقَدْ آتَيْنَا لِقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿١٢﴾ وَلَإِنَّمَا تَشْكُرُ لِلَّهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَإِنَّمَا تَشْكُرُ لِلَّهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿١٤﴾ وَلَإِنَّمَا تَشْكُرُ لِلَّهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾ وَلَإِنَّمَا تَشْكُرُ لِلَّهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ وَلَإِنَّمَا تَشْكُرُ لِلَّهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿١٧﴾ وَلَإِنَّمَا تَشْكُرُ لِلَّهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿١٨﴾ وَلَإِنَّمَا تَشْكُرُ لِلَّهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿١٩﴾

[٢٠] ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَافِي السَّمَوَاتِ وَمَافِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢١﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٢٢﴾ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٢٣﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٥﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ لِلَّهِ مَافِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٧﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُم مِّن بَعْدِهِ سَبْعَةُ آبْحُرٍ مَا نَفَدَتْ كَلِمَتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَعْزُبُكُمْ إِلَّا كَفَافٌ وَاحِدٌ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٩﴾ غَلِيظٌ شَدِيدٌ.﴾

[٢١] ﴿وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله﴾ من العقائد والأحكام ﴿قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا﴾ يتبعون طريقة الآباء ﴿أولو كان﴾ موجباً للفساد بأن كان ﴿الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير﴾ المستعر المشعل.

[٢٢] ﴿ومن يسلم وجهه﴾ ذاته ﴿إلى الله﴾ بأن انقاد لأوامره ﴿وهو محسن﴾ في أفعاله ﴿فقد استمسك﴾ تمسك ﴿بالعروة﴾ يد الكيزان^(١)، شبه بها الإسلام الموجب للسعادة ﴿الوثقى﴾ مؤثث الأوثق، فلا تنفصم ﴿وإلى الله﴾ إلى ثوابه وجزائه ﴿عاقبة الأمور﴾.

[٢٣] ﴿ومن كفر فلا يحزنك كفره﴾ لأنه لا يضره ﴿إلينا مرجعهم﴾ رجوع الكفار ﴿فننبئهم﴾ نخبرهم لأجل أن نعاقبهم ﴿بما عملوا﴾ إن الله عليهم بذات الصدور، بما في الصدور، و (ذات الصدور) أي بتلك الصدور.

[٢٤] ﴿نمتعهم﴾ نعطيههم أسباب التلذذ في الدنيا تمتعاً ﴿قليلاً ثم نضطرهم﴾ نلجئهم في الآخرة ﴿إلى عذاب

[٢٥] ﴿ولئن سألتهم﴾ أي المشركين ﴿من خلق السماوات والأرض ليقولنَّ الله﴾ وحده ﴿قل الحمد لله﴾ حيث اعترفوا بالحق، فلماذا يعبدون الأصنام ﴿بل أكثرهم لا يعلمون﴾ أن الخلق إذا كان لله يجب أن تكون العبادة أيضاً له.

[٢٦] ﴿لله ما في السماوات والأرض﴾ إن الله هو الغني ﴿عن كل شيء﴾ الحميد ﴿المحمود في أفعاله﴾.

[٢٧] ﴿ولو أن ما في الأرض من شجرة﴾ بيان (ما) ﴿أقلام﴾ خير (أن) أي لو أن الأشجار الكائنة على الأرض كلها تتحول أقلاماً ﴿وبالبحر يمدُّه﴾ أي يعينه ﴿من بعده﴾ بالإضافة إليه ﴿سبعة أبحر﴾ من أمثال بحار الدنيا لتكون الكل مداداً وكتبت بتلك الأقلام والمياه كلمات الله حتى تنكسر الأقلام وتنفذ المياه ﴿ما نفدت﴾ ما تمت ﴿كلمات الله﴾ مخلوقاته، فإن كل مخلوق كلمة ﴿إن الله عزيز﴾ غالب في سلطانه ﴿حكيم﴾ يضع الأشياء مواضعها.

[٢٨] ﴿ما خلقكم﴾ أيها الناس ﴿ولا بعثكم﴾ بعد الموت ﴿إلا كنفس واحدة﴾ كخلقها وبعثها، إذ تتساوى نسبة الأشياء كلها إلى قدرة الله تعالى، فلا فرق عند قدرته بين خلق بعوضة وبين خلق ملايين المجرات ﴿إن الله سميع﴾ يسمع كل شيء ﴿بصير﴾ يرى كل شيء فلا يشغله شيء عن شيء حتى يتفاوت عنده خلق واحد عن خلق كثير.

[٢٩] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ﴾ يدخل ﴿الليل في النهار﴾ وذلك حين امتداد الليل ﴿ويولج النهار في الليل﴾ وذلك حين امتداد النهار ﴿وسخر﴾ ذلل ﴿الشمس والقمر كل يجري إلى أجل﴾ وقت ﴿مسمى﴾ قد سمي فله وقت مضبوط ﴿وأن الله بما تعملون خبير﴾ فيجازيكم عليه .

[٣٠] ﴿ذلك﴾ العلم الواسع والقدرة الكاملة إنما يكون لله ﴿ب﴾ سبب ﴿أن الله هو الحق﴾ والإله الحق يقدر على كل شيء ويعلم كل شيء ﴿وأن ما يدعون من دونه﴾ من الأصنام ﴿الباطل﴾ فليست آلهة ولذا لا تعلم ولا تقدر ﴿وأن الله هو العلي﴾ المطلق ﴿الكبير﴾ الأكبر من كل شيء .

[٣١] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ﴾ السفينة ﴿تجري في البحر بنعمة﴾ الله ﴿بإحسانه إلى البشر﴾ ليرىكم من آياته ﴿فإن جريان﴾ الفلك آية من آيات قدرته ﴿إن في ذلك﴾ الجريان ﴿آيات﴾ لكل صبار ﴿كثير الصبر يتعب نفسه في التفكير في الآيات﴾ فالماء آية وبقاء السفينة خارج الماء آية، والجريان آية، والرياح المسيرة آية وهكذا ﴿شكور﴾ كثير الشكر لنعم الله .

[٣٢] ﴿وإذا غشيهم﴾ على أصحاب السفينة ﴿موج﴾ كالظلل ﴿جمع ظلة وهي ما أظلك من جبال أو سحب أو نحوها﴾ ﴿دعوا الله﴾ أهل السفينة ﴿مخلصين له الدين﴾

يخلصون دينهم لله، بدون شرك ﴿فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد﴾ سالك قصد السبيل وهو التوحيد ﴿وما يجحد﴾ ينكر ﴿بآياتنا إلا كل ختار﴾ خداع ناقض للعهد الذي أخذه الله على عباده بما أودع فيهم من الفطرة ﴿كفور﴾ كثير الكفر . [٣٣] ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم﴾ خافوا عقابه ﴿واخشوا يوماً﴾ يوم القيامة ﴿لا يجزي والد عن ولده﴾ لا يغني عنه شيئاً في دفع العذاب عنه ﴿ولا مولود﴾ ولد ﴿هو جاز عن والده شيئاً﴾ إن وعد الله ﴿بالثواب والعقاب﴾ ﴿حق﴾ لا بد وأن يأتي ﴿فلا تغرنكم﴾ تخدعكم ﴿الحياة الدنيا﴾ بشهواتها ﴿ولا يغرنكم بالله الغرور﴾ فاعل (يغرنكم) أي لا يخدعكم الشيطان بأن ترتكبوا الآثام وتخالفوا الله .

[٣٤] ﴿إن الله عنده علم الساعة﴾ يوم القيامة ﴿وينزل الغيث﴾ المطر ﴿ويعلم ما في الأرحام﴾ من ذكر أو أنثى، سعيد أو شقي، قبيح أو جميل إلى آخره ﴿وما تدري نفس ماذا تكسب غداً﴾ ماذا تعمل في المستقبل ﴿وما تدري نفس بأي أرض تموت﴾ يكون موتها ﴿إن الله عليم﴾ بكل ذلك ﴿خبير﴾ نافذ علمه بخفايا الأشياء .

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْ مَا يُدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبُطُلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ يَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَاطِلٌ دَعَا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُّقْنَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ اتِّقُوا رَبَّكُمْ وَأَخْشُوا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ الْوَالِدِ شَيْئًا إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا فَلَا تَغْرَنَكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغْرَنَكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾

سُورَةُ لُقْمَانَ

٣٢: سورة السجدة

مكية آياتها ثلاثون

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ
 ﴿١﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفَرَّغَهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا
 مَّا أَتَنَّهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٢﴾ اللَّهُ
 الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ
 ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا
 تَتَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ
 إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤﴾ ذَلِكَ
 عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾ الَّذِي أَحْسَنَ
 كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٦﴾ ثُمَّ جَعَلَ
 سُلَالَةً مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ
 مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا
 مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٨﴾ وَقَالُوا آيَةُ ذَا صُلْبِنَا فِي الْأَرْضِ آءِ نَأْتِي
 خَلْقَ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ﴿٩﴾ قُلْ يَتُوبُ لَكُمْ
 مَلِكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٠﴾

﴿١﴾ ﴿الم﴾ رمز بين الله والرسول ﷺ .
 ﴿٢﴾ هذا ﴿تنزيل الكتاب﴾ إنزاله من قبل الله تعالى ﴿لا ريب فيه﴾ ليس محل ريب وإن شك فيه المعاند أو الجاهل ﴿من رب العالمين﴾ .
 ﴿٣﴾ ﴿الم﴾ بل ﴿يقولون﴾ أي الكفار ﴿افتراه﴾ نسبته محمد ﷺ إلى الله كذباً، وليس كذلك ﴿بل هو الحق﴾ المطابق للواقع، حال كونه نازلاً ﴿من ربك لتنذر قوماً﴾ الكفار المعاصرين للرسول ﷺ ﴿ما أتاهم من نذير من قبلك﴾ لأن الأنبياء ﷺ بعثوا على أجيال سابقة ﴿لعلهم يهتدون﴾ بإنذارك .
 ﴿٤﴾ ﴿الله الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام﴾ مقدار ستة أيام ﴿ثم استوى﴾ استولى ﴿على العرش﴾ على السلطة، بأن خلق ثم أخذ في تدبير المخلوق ﴿ما لكم من دونه من ولي﴾ يلي أموركم ويدبرها ﴿ولا شفيع﴾ يتقدمكم من عذابه، فإن الشفعاء إنما يشفعون بإذن الله ﴿أفلا تذكرون﴾ فتعلمون صحة ما ذكرناه .

﴿٥﴾ ﴿يدبر﴾ الله ﴿الأمور﴾ أمر الكائنات فينزله ﴿من السماء﴾ إلى الأرض ثم يعرج ﴿الملك﴾، أو الأمر أي نتائج ما فعله البشر وما صار في العالم ﴿إليه﴾ تعالى ﴿في يوم﴾ المسافة بين محل نزول الأمر إلى الأرض أو عروجه إلى السماء ﴿كان مقداره ألف سنة مما تعدون﴾ من سنوات الدنيا، فإن الشخص إذا أراد أن يسير من محل الأمر في السماء إلى الأرض الذي يأتي في يوم واحد كانت المسافة له ألف سنة^(١) .
 ﴿٦﴾ ﴿ذلك﴾ الذي يفعل ويأمر هو ﴿عالم الغيب﴾ ما غاب عن الحواس ﴿والشهادة﴾ ما حضر لدى الحواس بأن كان محسوساً ﴿العزیز﴾ الغالب ﴿الرحيم﴾ بعباده .
 ﴿٧﴾ ﴿الذي أحسن كل شيء خلقه﴾ أي خلقه خلقاً حسناً ﴿وبدأ خلق الإنسان﴾ آدم ﷺ ﴿من طين﴾ .
 ﴿٨﴾ ﴿ثم جعل نسله﴾ ذرية آدم ﴿من سلاله﴾ صفة منسلة ﴿من ماء﴾ مني، وسمي سلاله لأنسلا له من صلبه ﴿مهين﴾ ضعيف حقير .

﴿٩﴾ ﴿ثم سواه﴾ جعله بشراً سوياً كاملاً ﴿ونفخ فيه من روحه﴾ أي روح خلقه، والإضافة للتشريف ﴿وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة﴾ جمع فؤاد أي القلب ﴿قليلاً ما﴾ (ما) زائدة للتأكيد ﴿تشكرون﴾ أي قليل شكركم على هذه النعم .
 ﴿١٠﴾ ﴿وقالوا﴾ أي منكرو القيامة ﴿إذا ضللنا في الأرض﴾ بأن صار ترابنا مخلوطاً بتراب الأرض فلم يعرف ﴿إننا لفي خلق جديد﴾ أي نخلق مرة ثانية ﴿بل هم بلقاء ربهم﴾ أي لقاء ثوابه وجزائه ﴿كافرون﴾ منكرون فإنهم لا يريدون الاعتراف بلقاء الله ولذا ينكرون البعث .
 ﴿١١﴾ ﴿قل يتوفاكم﴾ يميتكم ﴿ملك الموت الذي وُكِّلَ بكم﴾ لأجل إمامتكم، فلا يميتهم الدهر كما زعمتم ﴿ثم إلى ربكم﴾ إلى جزائه ﴿ترجعون﴾ في الآخرة .

(١) ثم إن الألف قد لا يكون من باب التحديد، بل للدلالة على الكثرة، كما في قوله تعالى: ﴿إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر

[١٢] ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمَجْرُمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ مطأطئو رؤوسهم ﴿ذَلًّا وَخَجَلًا﴾ عند حساب ربهم ﴿قَاتِلِينَ﴾ قاتلين ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا إِلَى الدُّنْيَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ اليوم بما رأينا، لكن طلبهم هذا يقابل بالرد لأنهم (لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون)^(١).

[١٣] ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَاكَ كُلَّ نَفْسٍ هَادِيًا﴾ نلجئها على الهداية ﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ ثبت القول مني لأملاّن جهنم من الجنة والناس أجمعين ﴿الكَافِرِينَ مِنْهُمْ﴾ وذلك حيث إن التكليف يقارن الاختيار، وإلا بطلت الحجة أيضاً.

[١٤] ﴿فَذُوقُوا﴾ يقال ﴿ذُوقُوا﴾ فعلتم من الكفر والآثام التي هي وليدة ما ﴿نَسِيتُمْ﴾ عن عمد بأن تركتم حتى أخذكم النسيان ﴿لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ﴾ اليوم بأن تركناكم حتى يأخذكم العذاب ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ﴾ الذي لا فناء له ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ بسبب أعمالكم.

[١٥] ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا﴾ بتلك الآيات ﴿خَرُّوا﴾ سقطوا على الأرض ﴿سُجَّدًا﴾ ساجدين ﴿وَسُبِّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ أي نزهوا الله حامدين له ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ عن عبادته.

[١٦] ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ﴾ ترتفع ﴿أَطْرَافَ أَبْدَانِهِمْ﴾ عن المضاجع ﴿الْفُرَشَ وَمَوَاضِعَ النُّومِ﴾ لأجل العبادة ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا﴾ من عذابه ﴿وَطُمَعًا﴾ في رحمته ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ في سبيل الله.

[١٧] ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ﴾ شخص ﴿مَا أَخْفَىٰ لَهُمْ﴾ أي اذخر لهم في الآخرة ﴿مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ ما تستقر به أعينهم فإن السرور يوجب قرار العين أما الخائف فينظر هنا وهناك ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من الطاعات.

[١٨] ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا﴾ خارجاً عن طاعة الله، والاستفهام للإنكار ﴿لَا يَسْتَوُونَ﴾ عند الله.

[١٩] ﴿أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ الأعمال الصالحة ﴿فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ﴾ التي يأوون إليها ﴿نَزْلًا﴾ عطاء^(٢) ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ في الدنيا من الحسنات.

[٢٠] ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا﴾ خرجوا عن طاعة الله ﴿فَمَا وَهُمْ نَارُ النَّارِ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾ فإنهم يريدون الفرار لكن زبانية جهنم يرجعونهم إليها بالعنف ﴿وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي﴾ صفة (عذاب) ﴿كُنتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ﴾ وتقولون إنه لا عذاب.

وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ الْمَجْرُمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا يَمَّا تَشْتَرُونَ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطُمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نَزْلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَا لَهُمْ نَارُ النَّارِ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾

(١) سورة الأنعام: ٢٨.

(٢) النزول: ما يهبط للضيف إذا نزل على الإنسان، وعمم للعطية مطلقاً.

[٢١] ﴿وَلَنَذِقْنَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَأَعْلَمَهُم بِرَجْعَتِهِ﴾ ١ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَكَرَ بَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا﴾ ٢ ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ ٣ ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ ٤ ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَمَةً يَهْدُونَ﴾ ٥ ﴿يَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَكُنُوزِنَا يَنْتَفِقُونَ﴾ ٦ ﴿إِنْ رَبُّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ ٧ ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ ٨ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ ٩ ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ١٠ ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ ١١ ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرِ إِنَّهُمْ مُنْتَضَرُونَ﴾ ١٢

وَلَنَذِقْنَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَأَعْلَمَهُم بِرَجْعَتِهِ ١ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَكَرَ بَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا ٢ إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ٣ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ ٤ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَمَةً يَهْدُونَ ٥ يَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَكُنُوزِنَا يَنْتَفِقُونَ ٦ إِنْ رَبُّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ٧ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ٨ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ٩ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ١٠ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ١١ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرِ إِنَّهُمْ مُنْتَضَرُونَ ١٢

سُورَةُ السَّجْدَةِ

[٢١] ﴿وَلَنَذِقْنَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ﴾ في الدنيا على أيدي المسلمين ﴿دُونَ﴾ قبل ﴿العذاب الأكبر﴾ في الآخرة ﴿لعلهم يرجعون﴾ بأن يتوبوا ويسلموا. [٢٢] ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَكَرَ بَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا﴾ بأن لم يقبلها ﴿إنا من المجرمين﴾ الذين أجمعوا بالكفر والعصيان ﴿منتقمون﴾ في الدنيا والآخرة. [٢٣] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ كما أعطيناك ﴿فلا تكن في مرية﴾ شك ﴿من لقائه﴾ لقائك للكتاب، فإن أهل الكتاب كانوا يشككون المسلمين في أن القرآن ليس كتاباً من عند الله ﴿وجعلناه﴾ أي كتاب موسى ﷺ ﴿هدى لبني إسرائيل﴾.

[٢٤] ﴿وجعلنا منهم﴾ من بني إسرائيل ﴿أمة يهدون﴾ الناس ﴿بأمرنا﴾ حيث أمرناهم بالهداية ﴿لما صبروا﴾ جعلناهم أمة ﴿وكانوا بآياتنا يوقنون﴾ لإمعانهم النظر فيها.

[٢٥] ﴿إن ربك هو يفصل بينهم﴾ بين أهل الكتاب المختلفين فيميز المحق من المبطل ﴿يوم القيامة﴾ فيما كانوا فيه يختلفون ﴿من أمر الدين﴾.

[٢٦] ﴿أو لم يهد لهم﴾ ألم يسبب هدايتهم ما رأوا وعلموا من إهلاك القوم الكافرين ﴿كم﴾ للكثرة ﴿أهلكنا من قبلهم من القرون﴾ الأمم ﴿يمشون﴾ هؤلاء الكفار ﴿فلا﴾

﴿في مساكنهم﴾ حيث يمشون على أراضي عاد وثمود وقوم لوط ﴿إن في ذلك﴾ الإهلاك ﴿آيات﴾ عبراً ﴿أفلا يسمعون﴾ سماع تدبر.

[٢٧] ﴿أو لم يروا﴾ آيات قدرتنا حيث ﴿أنا نسوق الماء﴾ ماء المطر أو ماء العيون والأنهار ﴿إلى الأرض الجرز﴾ التي لا نبات فيها ﴿فنخرج به﴾ بواسطة الماء ﴿زرعاً تأكل منه﴾ من ذلك الزرع ﴿أنعامهم وأنفسهم﴾ أفلا يبصرون ﴿هذه الآية فيستدلوا بها على عظيم قدرة الله﴾.

[٢٨] ﴿ويقولون﴾ أي الكفار ﴿متى هذا الفتح﴾ أي نصر المؤمنين الذي تقولونه، وهذا قالوه على سبيل الاستهزاء ﴿إن كنتم صادقين﴾ في كلامكم إن الله ينصركم علينا.

[٢٩] ﴿قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم﴾ لأن الحرب توجب القتل والأسر فإذا آمنوا بعد الفتح لم ينفعهم في الأسر ﴿ولا هم ينظرون﴾ إذ لا مهلة بعد الحرب.

[٣٠] ﴿فأعرض عنهم﴾ ولا تصر على دعوتهم بعد أن أظهروا العناد ﴿وانتظر﴾ لمجيء يوم الفتح ﴿إنهم منتظرون﴾ لأنهم ينتظرون القضاء على المسلمين وانتظر أنت حتى تظهر النتيجة.

۳۳: سورة الأحزاب

مدنية آیاتها ثلاث وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ وَأَتَّبِعْ مَا يوحىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ يَمَعًا تَعْمَلُونَ خَيْرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جُوفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴿٤﴾ ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥﴾ اللَّيْثُ أَوَّلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولَٰؤُا الْأَرْحَامُ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾

[۱] «يا أيها النبي اتق الله» اثبت على تقواك، وهذا مثل (اهدنا الصراط المستقيم) (۱) «ولا تطع الكافرين والمنافقين» فيما يريدون، ولا يخفى أن الإمكان العقلي (۲) كاف في الأمر والنهي وفائدته الإعلام للعموم «إن الله كان عليماً» بالمصالح والمفاسد «حكيماً» فيما يأمر وينهى.

[۳] «واتبع ما يوحى إليك من ربك» أي القرآن «إن الله كان بما تعملون خبيراً» فيجازيكم على أعمالكم. «وتوكل على الله» في أعمالك «وكفى بالله وكيلاً» حافظاً لك.

[۴] وحيث أن المشركين كانوا يظنون أن بعض الناس لهم قلبين، وأنه إذا قال الرجل لزوجته: أنت كأمي، صارت كأمه، وأنه إذا جعل شخص ولداً لنفسه، صار ولداً حقيقة في الأحكام، جاءت الآية لإنكار الأمور الثلاثة فقال عز وجل: «ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه» أي داخله «وما جعل أزواجكم اللائي» جمع التي «تظاهرون منهن» بأن تقولوا لهن: (أنت عليّ كأمي، أو كظهر أمي)

وكان طلاقاً جاهلياً «أمهاتكم» على الحقيقة «وما جعل أديعاءكم» الدعي هو الذي يدعيه الإنسان ابناً له «أبناءكم» حتى يجري عليهم حكم الأبناء «ذلكم» أي ما تقدم من قولكم في الأمور الثلاثة و (كم) للخطاب «قولكم بأفواهكم» أي مجرد لفظ «والله يقول الحق» من أنه ليس كما تقولون «وهو يهدي السبيل» طريق الحق.

[۵] «ادعوه» أي الأديعاء «لأبائهم» أي انسابهم إلى آبائهم الحقيقيين «هو أقسط» عدل «عند الله فإن لم تعلموا آبائهم» فلا تتمكنوا أن تقولوا: يا ابن فلان «فاخوانكم في الدين» قولوا لهم: يا أخي «ومواليكم» أي أبناء عمكم، فقولوا لهم: يا ابن عمي «وليس عليكم جناح» حرج «فيما أخطأتم» أي في نسبة المتبني إلى غير أبيه الحقيقي «به» عائد إلى (ما) «ولكن» الإثم «ما تعمدت قلوبكم» بأن تعمدتم نسبتهم إلى غير آبائهم «وكان الله غفوراً رحيماً» يغفر ذنبكم ويرحمكم إذا تبت عما سلف منكم.

[۶] «النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم» فإذا أراد النبي ﷺ شيئاً منهم وجب عليهم تنفيذه ولا يحق لهم أن يقدموا مطلب أنفسهم على مطلب النبي ﷺ «وأزواجه أمهاتهم» كأمهاتهم في وجوب الاحترام وحرمة الزواج بهن بعد الرسول ﷺ «وأولوا الأرحام» ذوو القربات «بعضهم أولى ببعض» في الإرث وسائر الشؤون «في كتاب الله» في حكمه الذي كتبه «من المؤمنين والمهاجرين» فالقريب أولى بقرابه من مؤمنين ليست بينهما قرابة، أو مهاجرين كذلك «إلا» لكن «أن تفعلوا إلى أوليائكم» المؤمنين والمهاجرين «معروفاً» تبرعاً بوصية أو غيرها، كان جائزاً «كان ذلك» جواز فعل المعروف «في الكتاب» الذي كتبه الله وقدره «مسطوراً» مكتوباً.

[٧] ﴿وَإِذْ أَذَكَرَ يَا مُحَمَّدٌ ﷺ زَمَانَ﴾ «أخذنا من النبيين ميثاقهم» عهدهم الأكيد بتبليغ الرسالة ﴿و﴾ «أخذنا منك» يا محمد ﷺ «ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً» شديداً.

[٨] وإنما أخذنا الميثاق ﴿لِيسْأَلَ﴾ «الله الأنبياء ﷺ» «الصادقين» في عهدهم مع الله ﴿عَنْ صَدَقِهِمْ﴾ عما قالوه لقومهم من الكلام الصادق، أي أخذنا منهم الميثاق لنسألهم عن أنهم هل أدوا الرسالة أو لا ﴿وَأَعْذَ لِلْكَافِرِينَ﴾ الذين لم يقبلوا كلام الأنبياء ﷺ ﴿عَذَاباً أَلِيماً﴾ مؤلماً.

[٩] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذَكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾ من الكفار، في غزوة الأحزاب ﴿فَارْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً﴾ تغلق خيامهم وتشر التراب والرمل عليهم ﴿و﴾ «أرسلنا جنوداً» من الملائكة ﴿لَمْ تَرَوْهَا﴾ بأعينكم ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ لأجل الدفاع ﴿بَصِيرًا﴾ فيجازيكم بما عملتم.

[١٠] ﴿إِذْ جَاءَكُمْ﴾ أي الكفار ﴿مِنَ فَوْقِكُمْ﴾ أعلى الوادي ﴿وَمِنَ اسْفَلِ مِنْكُمْ﴾ أسفل الوادي ﴿وَإِذْ زَاغَتِ مَالَتِ الْأَبْصَارُ﴾ عن مواضعها خوفاً ﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ خوفاً، إذ عند شدة الفزع تنتفخ الرئة لتأخذ هواء أكثر لأجل إطفاء الحرارة المتولدة من الخوف، فتضغط الرئة على القلب فيرتفع القلب إلى الحنجرة ﴿وَتَنْظُنُّ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ يظن المخلصون نصره الله لهم، والمنافقون نصرة الكفار عليهم بتخلي الله عنهم.

[١١] ﴿هَٰنَالِكَ﴾ في ذلك المكان ﴿ابْتَلَى﴾ اختبر ﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾ فظهر المخلص من المنافق ﴿وَزَلْزَلُوا﴾ أزعجوا ﴿وَزَلْزَلُوا﴾ أزعجوا شديداً من الخوف وظهور ضعف العقيدة.

[١٢] ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ ضعف يقين ﴿مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ بالنصرة ﴿إِلَّا غُرُورًا﴾ وعداً باطلاً.

[١٣] ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ﴾ من المنافقين كابن أبي وجماعة ﴿يَا أَهْلَ يَثْرِبَ﴾ أي المدينة ﴿لَا مَقَامَ﴾ موضع ﴿لَكُمْ﴾ هاهنا في ساحة الحرب لأن الكفار يغلبونكم ﴿فَارْجِعُوا﴾ إلى منازلكم في المدينة ﴿وَيَسْتَأْذِنُ﴾ يطلب الإذن ﴿فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيُّ﴾ في أن يرجعوا ﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ غير حصينة فنخاف من السارق إن لم تكن فيها ﴿وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ﴾ بل حصينة ﴿إِنْ يَرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ من القتال بهذا العذر السخيف.

[١٤] ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ﴾ أي دخل الكفار على هؤلاء المنافقين ﴿مِنَ أَقْطَارِهَا﴾ جوانب المدينة ﴿ثُمَّ سَلُّوا﴾ أي الكفار من المنافقين ﴿الْفِتْنَةَ﴾ بأن جاء الكفار إلى المنافق يطلب منه أن يقوم بفتنة ﴿لَا تُوْهَى﴾ لأعطوها بدون إبداء الأعذار كما يبدو أنها لك يا رسول الله ﴿وَمَا تَلْبِسُوا بِهَا﴾ أي لم يمكنوا للإتيان بالفتنة ﴿إِلَّا﴾ زماناً ﴿يَسِيرًا﴾ وهذا كناية عن أنهم مسرعون إلى الفتنة، أما إلى الجهاد فإنهم يريدون الفرار.

[١٥] ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ﴾ قبل الخندق، عندما فروا في أحد ﴿لَا يُولُونِ الْأَدْبَارَ﴾ وكان عهد الله مسؤولاً عن الوفاء به، ومن لم يف به فيجازى على تركه.

وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ يَا نُوْحُ وَإِبْرَاهِيْمُ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صَدَقِهِمْ وَأَعْذَرَ الْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَارْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَاءَكُمْ وَمِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴿١٠﴾ هَٰنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزَلْزَلُوا زَلْزَلًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مَقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُلِّوا الْفِتْنَةَ لَا تُوْهَى وَمَا تَلْبِسُوا بِهَا إِلَّا يُسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُولُونِ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مُسَوَّلًا ﴿١٥﴾

[١٦] ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﷺ لهم: إن كان حضر أجلكم ﴿لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا﴾ إن نفعكم الفرار فرضاً ﴿لَا تَمْتَعُونَ﴾ في الدنيا ﴿إِلَّا﴾ زماناً ﴿قَلِيلًا﴾ فَلَمْ يَزَلْ يَنْفَعُ الْخَوْفَ مِنَ الْمَوْتِ.

[١٧] ﴿قُلْ﴾ من ذا الذي يعصمكم ﴿يَمْنَعُكُمْ﴾ من ﴿بَاسِ﴾ الله إن أراد بكم سوءاً أو ﴿مَنْ يَتِمَكَّنُ مِنْ أَنْ يَمْنَعَهُ﴾ إن أراد الله ﴿بِكُمْ رَحْمَةً﴾ فإلكل بيد الله ﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ غير الله ﴿وَلِيًّا﴾ يلي أمورهم ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ ينصروهم.

[١٨] ﴿قَدْ﴾ للتحقيق ﴿يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ المبطلين عن الرسول ﷺ والجهاد ﴿مَنْكُم﴾ وهم المنافقون ﴿وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ﴾ المؤمنين ﴿هَلُمْ﴾ تعالوا ﴿إِلَيْنَا﴾ ولا تذهبوا إلى الحرب ﴿وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ﴾ القتال ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ إتياناً قليلاً، لأنهم منافقون.

[١٩] ﴿أَشْحَةً﴾ بخلاء ﴿عَلَيْكُمْ﴾ بالمال والمعونة ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ﴾ من حرب أو شبهها ﴿رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ﴾ في أحداقهم ﴿كَ﴾ دوران عين ﴿الَّذِي يَغْشَى عَلَيْهِ﴾ تأخذه الغشوة ﴿مَنْ﴾ جهة ﴿الْمَوْتِ﴾ فإن الموت غشوة ﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ﴾ وجاء الأمن والغبينة ﴿سَلَقُوكُمْ﴾ خاصموكم ﴿بِالسِّنَةِ حِدَادٍ﴾ طوال ذرية طلباً للغبينة ﴿أَشْحَةً عَلَى الْخَيْرِ﴾ يشاحون المؤمنين على الغنينة عند القسمة ﴿أُولَئِكَ لَمْ يَزَالُوا يُؤْمِنُونَ﴾ عن إخلاص ﴿فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ﴾ الخيرية أي لم يقبلها ﴿وَكَانَ ذَلِكَ﴾ الإحباط ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ سهلاً.

[٢٠] ﴿يَحْسِبُونَ﴾ هؤلاء المنافقون ﴿الْأَحْزَابَ﴾ التي أتت لحرب الرسول ﷺ ﴿لَمْ يَذْهَبُوا﴾ عن المدينة وقد فرت الأحزاب ﴿وَأِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابَ﴾ مرة ثانية ﴿يُودُوا﴾ تمنى هؤلاء المنافقون ﴿لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ﴾ خارجون في البادية عند الأعراب، حتى لا يكونوا في المدينة ﴿يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ﴾ أي يسألون الناس القادمين من المدينة عن أخباركم ماذا فعلتم مع الأحزاب ﴿لَوْ كَانُوا فِيكُمْ﴾ في المرة الثانية ﴿مَا قَاتَلُوا إِلَّا﴾ قتالاً ﴿قَلِيلًا﴾ لأنهم لا يقاتلون عن إيمان.

[٢١] ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ﴾ قدوة ﴿حَسَنَةٌ﴾ في الثبات في الحرب وغيره ﴿لِمَنْ كَانَ يَرْجُو﴾ ثواب ﴿اللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾.

[٢٢] ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا الَّذِي كُذِّبُوا﴾ ما رأوا ﴿إِلَّا إِمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ لأمره تعالى. بأن الكفار يتكالبون علينا ثم نحن نتصر عليهم ﴿وَمَا زَادَهُمْ﴾ ما رأوا ﴿إِلَّا إِمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ لأمره تعالى.

قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَنْ تَمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمْ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشْحَةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالسِّنَةِ حِدَادٍ أَشْحَةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يَزَالُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسِبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابَ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا الَّذِي كُذِّبُوا وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾

[٢٣] ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ ۖ وَمَاتَ، أَوْ عَمِلَ بِمَا التَّزَمَ عَلَىٰ نَفْسِهِ، كَحِمْزَةٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) حَيْثُ قُتِلَ ۖ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ ۖ الشَّهَادَةَ كَعَمَلِي ۖ وَمَا يَذَلُّوهُ ۖ الْعَهْدُ ۖ تَبْدِيلًا ۖ﴾ كما بدل المنافقون .

[٢٤] ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ ۖ اللَّامُ لِلْعَاقِبَةِ، أَيْ عَاقِبَةُ هَذِهِ الْامْتِحَانَاتِ جَزَاءُ الصَّادِقِينَ ۖ﴾ سبب ﴿صَدَقَهُمْ وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۖ﴾ إِنْ تَابُوا، فَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ بِنَقْضِ الْعَهْدِ وَإِنْ شَاءَ تَابَ عَلَيْهِمْ ۖ إِنْ اللَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۖ﴾ .

[٢٥] ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ۖ﴾ أي الأحزاب، أَرْجَعَهُمْ إِلَى أَمَاكِنِهِمْ خَائِبِينَ ﴿بَغِضْهُمْ ۖ﴾ أي مع الغيظ الذي احْتَمَلُوهُ بِسَبَبِ الْهَزِيمَةِ ﴿لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا ۖ﴾ غَنِيمَةً مِنَ الْمُسْلِمِينَ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَنْتَصِرُوا عَلَيْهِمْ ﴿وَكُفَىٰ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ۖ﴾ لِأَنَّهُ أَنْزَلَ جُنُودًا مِنَ الرِّيحِ وَالْمَلَائِكَةِ ﴿وَوَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا قَادِرًا لِّمَا يَرِيدُ ۖ﴾ عَزِيزًا ۖ لَا يَغَالِبُ .

[٢٦] ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ ۖ﴾ عَاوَنُوا الْأَحْزَابَ ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ بَيَانُ لـ (الَّذِينَ) وَالْمُرَادُ بِهِمْ قَرِيبَةُ ﴿مِنْ صِيَاصِيهِمْ ۖ﴾ حَصُونِهِمْ ﴿وَقَذَفَ ۖ﴾ أَلْقَى اللَّهُ ﴿فِي قُلُوبِهِمْ ۖ﴾ أَي قُلُوبَ قَرِيبَةِ ﴿الرَّعْبِ ۖ﴾ الْخَوْفِ ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ ۖ﴾ أَيَهَا الْمُسْلِمُونَ تَقْتُلُونَ فَرِيقًا مِنْهُمْ ﴿وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ۖ﴾ الذَّرَارِي

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغِظِطِهِمْ لِمَا نَالُوا خَيْرًا وَكَفَىٰ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صِيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدَيْرَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطْطُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ يَتَأَيَّمُوا النَّبِيَّ قُلُوبًا لَّا زَوْجَ لَكَ إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرِيتَهَا فَنَعَالَيْكَ أَمْتَعَكَ وَأَسْرَحَكَ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ فِي الْآخِرَةِ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنِينَ مَنَاسِكَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ يَنْسَاءُ النَّبِيُّ مِنْ يَأْتِ مِنْكَ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَعِّفُ لَهَا الْعَذَابَ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾

والنساء .

[٢٧] ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ ۖ﴾ مَزَارِعَهُمْ ﴿وَدِيَارَهُمْ ۖ﴾ حَصُونَهُمْ ﴿وَأَمْوَالَهُمْ ۖ﴾ نَقُودَهُمْ وَأَنْثَاهُمْ ﴿وَوُ ۖ﴾ أَوْرَثَكُمْ أَرْضًا لَمْ تَطْطُوهَا ۖ بِأَقْدَامِكُمْ، وَهِيَ خَيْبَرٌ ﴿وَوَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ۖ﴾ فَقَدْ نَقَضَتْ قَرِيبَةُ عَهْدِهِمْ مَعَ الرَّسُولِ ﷺ حِينَ جَاءَ الْأَحْزَابَ، ثُمَّ عَاقَبَهُمُ الرَّسُولُ ﷺ حَتَّى قَتَلَهُمْ وَأَسْرَهُمْ وَأَخَذَ أَرْضِيهِمْ .

[٢٨] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ ۖ﴾ وَكَانَ أَرْدُنُ زِيَادَةَ النِّفْقَةِ ﴿إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ﴾ التَّنْعَمُ بِهَا ﴿وَوَزَيْتَهَا ۖ﴾ زَخَارِفَهَا ﴿فَتَعَالَيْنِ أَمْتَعَنَّ ۖ﴾ أَعْطَيْكَ مَتْعَةَ الطَّلَاقِ ﴿وَأَسْرَحَنَّ ۖ﴾ أَطْلَقَنَّ ﴿سَرَاحًا جَمِيلًا ۖ﴾ طَلَاقًا بِلَا خُصُومَةٍ .

[٢٩] ﴿وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ فِي الْآخِرَةِ ۖ﴾ طَاعَةَ اللَّهِ ﴿وَوَسُوءَهُ وَالِدَارِ الْآخِرَةِ ۖ﴾ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مَنَاسِكَ أَجْرًا عَظِيمًا ۖ فِي نَعِيمِ الْجَنَّةِ .

[٣٠] ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنِ يَأْتِ مِنْكِ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ ۖ﴾ ظَاهِرَةٌ قَبِيحَةٌ ﴿يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۖ﴾ أَي مِثْلِي عَذَابٍ غَيْرِهَا ﴿وَوَكَانَ ذَلِكَ ۖ﴾ تَضْعِيفُ الْعَذَابِ ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ۖ﴾ سَهْلًا .

[٣١] ﴿وَمَنْ يَقْنُتْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحاً نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾ مثلي أجر غيرها ﴿وَأَعْتَدْنَا﴾ هبناً ﴿لَهَا رِزْقاً كَرِيماً﴾ مع التكريم .

[٣٢] ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ﴾ أي لستن كسائر النساء حتى تعملن مثل أعمالهن ﴿إِنْ اتَّقَيْتُنَّ﴾ خفتن الله ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾ بأن تتكلمن مع الرجال تكليماً فيه دلالة ﴿فَيُطَمَعُ﴾ فيكن ﴿الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ رغبة وشهوة ﴿وَقُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفاً﴾ أي تكلمن كلاماً بدون لين، فإنه ليس بمنكر .

[٣٣] ﴿وَقُرْنِ﴾ أبقيين ﴿فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ﴾ التبرج : الخروج من البيت مظهراً للزينة ﴿تَبَرَّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ أي الحالة الجاهلية السابقة على الإسلام ﴿وَأَقْمِنَ الصَّلَاةَ﴾ وأتين ﴿أَعْطَيْنَ﴾ الزكاة وأطعن الله ورسوله ، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ﴿وَالْمُرَادَ الْخَمْسَةَ الطَّيِّبَةَ : مُحَمَّدٌ وَعَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ﴾ كما في متواتر الروايات ، ويؤيده الإتيان بضمير الجمع المذكور ، وحيث إن المراد بالرجس الذنب كانت الآية دالة على عصمتهم ﴿وَيُطَهِّرْكُمْ﴾ عن المعاصي ﴿تَطْهِيراً﴾ .

[٣٤] ﴿وَاذْكُرْنَ﴾ بالقراءة والعمل ﴿مَا يُتْلَى﴾ يُقرأ ﴿فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ القرآن ﴿وَالْحِكْمَةِ﴾ الشريعة يتلوها النبي ﷺ وينزل بها جبرئيل من غير أن يكون قرآناً ﴿إِنْ

اللَّهُ كَانَ لَطِيفاً﴾ في تدبير خلقه ﴿خَبيراً﴾ عالماً ولذا يأمر بما فيه الصلاح .

[٣٥] ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ﴾ من أظهر الإسلام ﴿وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ﴾ من تعلق بالإيمان عن كل قلبه ﴿وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ﴾ المطيعين لله ﴿وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ﴾ في القول والعمل ﴿وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ﴾ لما أمر الله ﴿وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ﴾ الخاضعين لله ﴿وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ﴾ بما وجب في مالهم ﴿وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ﴾ عن الحرام ﴿وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ﴾ هبناً ﴿اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ غفراناً ﴿وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ في الآخرة ، والمراد من جميع هذه الصفات : من الرجال والنساء .

﴿وَمَنْ يَقْنُتْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحاً نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقاً كَرِيماً﴾ ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفاً﴾ ﴿وَقُرْنِ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقْمِنَ الصَّلَاةَ وَءَاتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفاً خَبيراً﴾ ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾

[٣٦] ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [٣٦] وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتُخْفِي النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْتَهُمَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا

[٣٧] ﴿وَإِذْ﴾ واذكر يا رسول الله ﷺ قصة زيد، فقد تبناه الرسول ﷺ قبل نزول الشريعة، ثم لما جاء الإسلام زوجه الرسول ﷺ بزوجة، فطلقها، فأخذها الرسول ﷺ، لأجل أن يُبطل حكم الجاهليين بأن زوجة الابن المتبنى مثل زوجة الابن الحقيقي تحرم على الرجل ﴿تَقُولُ لِلَّذِي﴾ أي زيد ﴿أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ بالإيمان ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ بأن أعتقته بعد أن كان عبداً ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ احفظها ولا تطلقها، وذلك حين صارت مخاصمة بينهما وأراد طلاقها ﴿وَاتَّقِ اللَّهَ﴾ خف الله في أمرها ﴿وَتُخْفِي﴾ يا محمد ﷺ ﴿فِي نَفْسِكَ مَا﴾ أي الذي أمرك الله به من تزويجها بعد طلاقها لها لأجل إبطال أمر جاهلي ﴿اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ يظهره الله سبحانه ﴿وَتُخْفِي النَّاسَ﴾ تخافهم أن يعيروك به ﴿وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ وهذا كناية عن عدم الاهتمام بأمر الناس لوضوح أن النبي ﷺ لم يكن عمل شيئاً ينبغي له أن يكون خائفاً من الله لأجل ذلك العمل ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا﴾ من زوجته

﴿وَطَرًا﴾ حاجة، بأن لم يبق له حاجة فيها فطلقها وتم عدتها ﴿زَوَّجْتَهُمَا﴾ أمرناك بتزويجها ﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ﴾ فتكون توسعة على المؤمنين ﴿فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ﴾ من جهة جواز تزويج زوجات أولادهم الذين تبنيهم بعد الطلاق وما أشبه ﴿إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾ أي لا يكون ضيق وحرَج فيما أحل الله ﴿مَفْعُولًا﴾.

[٣٨] ﴿وَمَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سِنَّةَ اللَّهِ﴾ فقد سن الله نفي الحرج سنة ﴿فِي﴾ الأنبياء والمؤمنين ﴿الَّذِينَ خَلَوْا﴾ مضوا ﴿مِنْ قَبْلِ﴾ قبلك ﴿وَمَا كَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ قضاء مقضياً.

[٣٩] ﴿الَّذِينَ﴾ صفة لـ (في الذين) ﴿يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ﴾ أحكامه ﴿وَيُخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾ أي بالنسبة إلى تنفيذ أحكام الله ﴿وَكُفِيَ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ محاسباً.

[٤٠] ﴿وَمَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ فإنه لما تزوج الرسول ﷺ بزَيْنَبَ قال جماعة من الناس إن محمداً تزوج امرأة ابنه، فجاءت الآية نافية أن يكون الرسول ﷺ أباً لزيد ﴿وَلَكِنْ﴾ كان ﴿رَسُولَ اللَّهِ﴾ كان ﴿خَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ وكان الله بكل شيء عليماً ﴿وَلِذَا نَفَى أَبَوَةَ مُحَمَّدٍ﴾ لرجالكم.

[٤١ - ٤٢] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأُولَ الصَّبَاحِ﴾ أول الصباح ﴿وَأَصِيلًا﴾ آخر النهار. [٤٣] ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّيْكُمْ﴾ يعطف ﴿عَلَيْكُمْ﴾ بإزالة الرحمة ﴿وَمَلَأَكُمْ﴾ يعطفون عليكم بالدعاء والاستغفار لكم ﴿لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ ظلمات الكفر والجهل والرديلة ﴿إِلَى النُّورِ﴾ وكان بالمؤمنين رحيماً.

[٤٤] ﴿نَحْيَتُهُمْ﴾ أي تحية المؤمنين ﴿يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ﴾ يلاقون جزاءه في القبر أو القيامة ﴿سَلَامٌ﴾ يسلم بعضهم على بعض ﴿وَأَعِذْ﴾ هيا الله ﴿لَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ مع تكريم لهم عند إعطاء الأجر.

[٤٥] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً﴾ على الأمة ﴿وَمُبَشِراً وَنَذِيراً﴾.

[٤٦] ﴿وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ﴾ بأمره ﴿وَسِرَاجاً﴾ مصباحاً ﴿مُنِيراً﴾ يفيض النور.

[٤٧] ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَن لَّهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلاً﴾ زيادة على ما يستحقون ﴿كَبِيراً﴾.

[٤٨] ﴿وَلَا تَطْعُ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ﴾ لا تهتم بما يؤذونك ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ فإنه يكفيك أذاهم ﴿وَكُفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾ موكولاً إليه الأمر في الأحوال كلها.

[٤٩] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ﴾ تجامعوا معهن ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَةٍ﴾ أيام تتربص المرأة فيها ﴿تَعْتَدُونَهَا﴾ تستوفون عددها ﴿فَمَتَّعُوهُنَّ﴾ أعطوهن متعة وهي ما تطيب خاطرهما ﴿وَسَرَّحُوهُنَّ﴾ خلوا سبيلهن إذا لا عدة عليهن ﴿سَرَّاحاً جَمِيعاً﴾ من غير إضرار.

[٥٠] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أَجُورَهُنَّ﴾ مهورهن ﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ من الإماء ﴿مِمَّا

نَحْيَتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيداً وَمُبَشِراً وَنَذِيراً ﴿٤٥﴾ وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَلَا تَطْعُ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكُفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمَتَّعُوهُنَّ وَسَرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيعًا ﴿٤٨﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عِمِكَ وَبَنَاتِ عَمَتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَالَتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٠﴾

أَفَاءَ اللَّهِ عَلَيْكَ ﴿مِمَّا أَعْطَاكَ اللَّهُ غَنِيمَةً﴾ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَاتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ ﴿إِنْ أَرَادَ﴾ رَغِبَ ﴿النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا﴾ يَنْكِحَهَا ﴿خَالِصَةً لَكَ﴾ أي إن حلية المرأة بلفظ الهبة، خاصة برسول الله ﷺ، فلا يحل لغيره النكاح بهذا اللفظ ﴿مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ ﴿مِنْ الْأَحْكَامِ الْمُرْتَبِطَةِ بِالْعَقْدِ وَغَيْرِهِ، فَلَيْسَتْ تِلْكَ الْأَحْكَامُ اعْتِبَاطِيَّةٌ صَادِرَةٌ عَنْ جَهْلٍ﴾ وَ﴿فِي﴾ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ﴿مِنْ الْأَحْكَامِ الْمُرْتَبِطَةِ بِالْإِمَاءِ لِكَيْلَا﴾ متعلق بـ ﴿خَالِصَةً﴾ ﴿يَكُونُ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾ ضيق في باب النكاح، وما بين العلة والمعلول جملة معترضة لبيان أن المصلحة اقتضت مخالفة حكمه لحكمهم في ذلك، والسر في بعض التوسعات والتضييقات على النبي ﷺ أن من على عاتقه المهام الكبرى يجب أن يُسَهَّلَ له في بعض الأمور حتى لا يمنعه الضيق عن مهامه، كما يضيّق عليه في بعض الأمور المرتبطة بتلك المهام حتى يتناسب مع تلك المهام ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ بالتوسعة على عباده.

[٥١] ﴿تَرْجِي﴾ تُوخِر ﴿مِنْ نِّسَاءٍ مِنْهُمْ﴾ من نساءك فلا تضاجعها ﴿وَتُؤْوِي﴾ تضم إلى نفسك بالمضاجعة ﴿إِلَيْكَ مِنْ نِّسَاءٍ وَمِنْ﴾ عطف على (من) ﴿ابْتِغَيْتَ﴾ طلبت ﴿مِمَّنْ عَزَلْتَ﴾ أي تركتها بأن تؤويها بعد أن أرجأتها ﴿فَلَا جُنَاحَ﴾ حرج ﴿عَلَيْكَ﴾ في ذلك كله ﴿ذَلِكَ﴾ التفويض في أمرهن إلى مشيئتك ﴿أَدْنَى﴾ أقرب إلى ﴿أَنْ تَقْرَ﴾ أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن ﴿لَا سِتْرَ لَهُنَّ﴾ في هذا الحكم فلا تفاضل حتى يوجب سخط بعضهم ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ فلا تسروا ما يسخطه ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾ لا يعاجل بالعقوبة.

[٥٢] ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءَ مِنْ بَعْدِ﴾ أي بعد النساء اللاتي أحللناهن لك في الآية السابقة ﴿وَلَا أَنْ تَبْدَلَ بِهِنَ مِنْ أَزْوَاجٍ﴾ كما كان أهل الجاهلية يفعلون ذلك، يتبادل الرجال زوجاتهم، والآية عامة وإن كان الخطاب موجهاً إلى رسول الله ﷺ ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ حَسَنَهُنَّ﴾ حسن المحرمات عليك ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ فإنه تحل وإن كانت فوق العدد ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴾ مراقباً مطلعاً.

[٥٣] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ في دخول بيته ﴿إِلَى طَعَامٍ﴾ بأن يدعوكم لأجل الطعام. وهذا الحكم مقدمة لما يأتي فادخلوا إذا

أذن لكم في حال كونكم ﴿غَيْرِ نَازِلِينَ﴾ منتظرين ﴿إِنَاءَهُ﴾ إدراك ذلك الطعام، أي لا تدخلوا قبل نضج الطعام فيطول لبثكم ﴿وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا إِذَا طَعِمْتُمْ﴾ أكلتم الطعام ﴿فَانْتَشَرُوا﴾ تفرقوا ولا تمكثوا ﴿وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ﴾ لحديث عطف على (ناظرين) أي لا تجلسوا بعد الأكل في حال كونكم مأنوسين بالتحديث في بيت الرسول ﷺ ﴿إِنْ ذَلِكُمْ﴾ اللبث ﴿كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ﴾ تضيق أهله بكم ﴿فَيَسْتَحْيِ مِنْكُمْ﴾ بأن يقول لكم اخرجوا ﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾ وهو إعلامكم بهذا الحكم أي إيجاب خروجكم بعد الطعام ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ﴾ أي نساء النبي ﷺ ﴿مَتَاعًا﴾ حاجة ﴿فَاسْأَلُوهُنَّ﴾ المتاع ﴿مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ يحجب نظركم إلى وجوههن وأيديهن، وقد كانت نساء الجاهلية تحجب غير وجهها ويدها فلما نزلت آية الحجاب حجبت المسلمات وجوههن كما يدل على ذلك قصة الإفك وغيرها ﴿ذَلِكُمْ﴾ أي السؤال من وراء الحجاب ﴿أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ من خواطر الرية ووسوسة الشيطان ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾ بالرسول ﷺ ﴿إِنْ ذَلِكُمْ﴾ إيداء الرسول ﷺ ﴿كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ فلا تتعرضوا له.

[٥٤] ﴿إِنْ تَبَدُّوا﴾ تظهروا ﴿شَيْئًا﴾ مما نهيتهم عنه ﴿أَوْ تَخْفَوْهُ﴾ في أنفسكم ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ فيحاسب عليه.

﴿تَرْجِي مِنْ نِّسَاءٍ مِنْهُمْ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مِنْ نِّسَاءٍ وَمِنْ ابْتِغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقْرَ أَعْيُنَهُنَّ وَلَا تَحْزَنَ وَبِرِّضَتِكَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾ ﴿٥١﴾ لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءَ مِنْ بَعْدِ وَلَا أَنْ تَبْدَلَ بِهِنَ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حَسَنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا ﴿٥٢﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَظِيرٍ لِإِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا إِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشَرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنْكِحُوا زَوْجَهُ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ إِنْ تَبَدُّوا شَيْئًا أَوْ تَخْفَوْهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾

[٥٥] ﴿لَا جُنَاحَ﴾ لا ضيق في عدم الحجاب ﴿عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نَسَائِهِنَّ﴾ أي المؤمنات، أو المراد كل النساء ﴿وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ من الإماء، أو مطلقاً على قول ﴿وَاتَّقِينَ اللَّهَ﴾ فيما كلفنك فلا تخالفن أوامره ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيداً﴾ حاضراً فيجازيكم عليه .

[٥٦] ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ﴾ يعطفون بالثناء والرحمة
﴿عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ﴾ قولوا: اللهم
صل على محمد وآل محمد ﷺ ﴿وَسَلِّمُوا﴾ لأوامره
﴿تَسْلِيمًا﴾.

[٥٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ بِمُخَالَفَةِ أَمْرِهِ﴾ ﴿وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ أبعدهم عن رحمته ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ وأعد لهم عذاباً مهيناً ﴿يَذَلُّهُمْ وَيُهَنِّمُهُمْ﴾.

[٥٨] ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيًا
اِكْتِسَابًا﴾ بدون جرم استحقاقوا بذلك الأذية ﴿فَقَدْ
اِحْتَمَلُوا﴾ حملوا ﴿بِهَتَانًا﴾ لأنه كالكذب، هذا إيذاء بدون
سبب وذلك كلام بدون مطابقة للواقع ﴿وَإِثْمًا﴾ عصياناً
﴿مِنْهَا﴾ ظاهراً.

[٥٩] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجَكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ﴾ يرخين على وجوههن وأجسامهن ﴿مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ﴾ ^(١) بعض ملاحفهن الفاضل من التلف ^(٢)

﴿ذلك﴾ الإذناء ﴿أدنى﴾ أقرب إلى ﴿أن يعرفن﴾ إنهن حرائر ﴿فلا يؤذين﴾ لا يؤذين أهل الرية الذين يتعرضون للإماء، فقد كانت الإماء تخرج بادية الوجه فيتعرض لهن الأجلاف فأمرن المؤمنات بالسّر حفظاً لهن عن تعرضهم ﴿وكان الله غفوراً﴾ لما سلف ﴿رحيماً﴾ بعبده فيأمرهم بما فيه مصالحهم.

[٦٠] ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ۖ ضَعُفَ إِيمَانُ رِبِّيَّةٍ ۖ وَالْمُرْجَفُونَ﴾ الذين يوجبون اضطراب قلوب المؤمنين، لئن لم ينتهوا عن الإرجاف ونشر الأخبار الكاذبة ﴿فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾ أي أمرناك بقتلهم وإجلائهم عن البلد ﴿لَمْ لَا يَجَاورُونَكَ﴾ لا يساكنونك ﴿فِيهَا﴾ في المدينة ﴿إِلَّا زَمَانًا ۖ قَلِيلًا﴾ .

[٦١] ﴿ملعونين﴾ مطرودين ﴿أين ما ثقفوا﴾ وجدوا ﴿أخذوا وقتلوا تفتيلاً﴾ أبلغ القتل.

[٦٢] ﴿سنة الله﴾ سن الله لعنهم وقتلهم سنة ﴿في الذين خلوا﴾ مضوا ﴿من قبل﴾ قبلك من الذين كانوا يؤذون الأنبياء والمؤمنين ﴿ولن تجد لسنة الله تبديلاً﴾ تغيير أبلى أمره في الآتي كأمره في الماضي.

(١) الجلباب: ثوب واسع أوسع من الخمار ودون الرداء، تلويه المرأة على رأسها ويبقى منه ما ترسله على صدرها.

(٢) التلفع : التغطية.

يَسْتَأْذِنُ النَّاسَ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عَمَلُهُا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يَدْرِيكَ
لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ
لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا
﴿٦٥﴾ يَوْمَ تَقْلُبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ
وَأَطَعْنَا الرُّسُلًا ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا
فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ كِتَابًا مُبِينًا
وَالْعَنَهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ يَأْتِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ
ءَاذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجْهًا ﴿٦٩﴾
يَأْتِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ
لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
فَقَدْ فُتِحَ لَهُ فَوْزٌ عَظِيمٌ ﴿٧١﴾ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا
الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ
وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ
عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٣﴾

[٦٣] ﴿يَسْأَلُكَ﴾ يا محمد ﷺ ﴿الناس عن الساعة﴾
وقت قيام القيامة ﴿قُلْ إِنَّمَا عَمَلُهُا عِنْدَ اللَّهِ﴾ فهو وحده
يعلم وقتها ﴿وَمَا يَدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ في
وقت قريب.

[٦٤] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ نَارًا
ملتهبة.

[٦٥] ﴿خَالِدِينَ﴾ باقين ﴿فِيهَا﴾ في تلك النار ﴿أَبَدًا لَا
يَجِدُونَ وَلِيًّا﴾ يحفظهم ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ ينصرهم من بأس
الله.

[٦٦] ﴿يَوْمَ تَقْلُبُ وُجُوهُهُمْ﴾ تصرف من حال إلى حال^(١)
﴿فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا
الرُّسُلًا﴾ حتى لا نعذب.

[٦٧] ﴿وَقَالُوا﴾ أي الأتباع منهم: يا ﴿رَبَّنَا﴾ في مقام
الاعتذار ﴿إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا﴾ الزعماء والقادة
﴿فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا﴾ طريق الحق.

[٦٨] ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ كِتَابًا مُبِينًا﴾ أي السادة والكبراء
﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ﴾ حصاة لهم وحصاة لأجل إضلالهم لنا ﴿مَنْ
الْعَذَابُ وَالْعَنَاهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ عظيمًا.

[٦٩] ﴿يَأْتِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى﴾
بأن قالوا أنه أبرص، وغير ذلك ﴿فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا﴾
أظهر براءته من أكاذيبهم ﴿وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجْهًا﴾ ذا جاه

وقدر، فلا تؤذوا الرسول ﷺ.

[٧٠] ﴿يَأْتِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ خافوا عقابه ﴿وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ قاصداً إلى الحق.

[٧١] ﴿فَإِنْ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ﴾ يصلح ﴿اللَّهُ﴾ لكم أعمالكم ﴿بِقَبُولِهِ لَهَا وَسَدَّ الْخُلَلِ فِيهَا﴾ ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله
ورسوله فقد فاز ﴿أَفْلَحَ﴾ فوزاً عظيماً.

[٧٢] ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ﴾ أي الطاعة، وسماها أمانة لأنها واجبة الأداء، أو المراد الأمانة المشهورة ﴿عَلَى السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ﴾ امتنع ﴿أَنْ يَحْمِلْنَهَا﴾ والمعنى أن الأمانة لعظمتها بحيث لو عرضت على هذه العظام وكان لها
شعور لأبت من حملها، وذلك لثقلها، أو كناية عن ثقل الأمانة حتى أن أعظم العظام لا تتمكن من تحملها، وهذا من
تشبيه المعقول بالمحسوس ﴿وَأَشْفَقْنَ﴾ خفن ﴿مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾ قبل أن يحملها، والقبول إما يراد به ما ركب في
طبيعته من تمكن القبول والأداء، وأما القبول النفسي للامانات الخارجية ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا﴾ لنفسه فلا يؤدي الأمانة
﴿جَهُولًا﴾ بحال نفسه فيظن أنه يتمكن من الأداء والحال أنه لا يفي بها.

[٧٣] ﴿وَأَمَّا أَعْطَى اللَّهُ الْأَمَانَةَ لِلْإِنْسَانِ لِلَامْتِحَانِ الَّذِي عَاقِبَتُهُ هُوَ﴾ فاللام للعاقبة أو للعللة ﴿الْمُنَافِقِينَ
وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبُ اللَّهُ﴾ ما خالفوا ثم تابوا ﴿عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ لمن
عصى وتاب ﴿رَحِيمًا﴾ حيث لم يحمل ما لا طاقة للإنسان به.

سورة سبا

مكية آياتها أربع وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة سبا

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَفِ السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمُ الْغَيْبِ لَا يُعْزِبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٣﴾ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا عَلَيْنَا فَيَدَّبُوهُنَّ عَنْ وَفَائِنَا فَيُنْزِلْنَ عَلَيْهِنَّ الْعَذَابَ مِنَ رِجْزٍ أَلِيمٍ ﴿٥﴾ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزَقَّتْكُمْ مَزَقٌّ لِّمَنْ تَتَّبِعُونَ ﴿٧﴾

[١] ﴿الحمد لله الذي له﴾ لا لغيره ﴿ما في السماوات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة﴾ كما له الحمد في الدنيا، إذ كل ما في الآخرة أيضاً له تعالى ﴿وهو الحكيم﴾ في تدبيره ﴿الخبير﴾ بخلقه.

[٢] ﴿يعلم ما يلج﴾ يدخل ﴿في الأرض﴾ كالمطر والكنز وما أشبه ﴿وما يخرج منها﴾ من نبات ومعدن ونحوهما ﴿وما ينزل من السماء﴾ من ملك وماء وغيرهما ﴿وما يعرج فيها﴾ في السماء كالعمل والملك ﴿وهو الرحيم﴾ بعباده ﴿الغفور﴾ الساتر عليهم.

[٣] ﴿وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة﴾ القيامة ﴿قل بلى﴾ تأتاكم ﴿وربي﴾ قسماً بالله ﴿لتأتينكم﴾ الساعة ﴿عالم الغيب﴾ صفة (لربي) والغيب ما غاب عن الحواس كالروح والعقل ﴿لا يعزب﴾ لا يغيب ﴿عنه مثقال﴾ ثقل ﴿ذرة﴾ هباء ترى في النور الداخل من الكوة في الغرفة المظلمة ﴿في السماوات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك﴾ من مثقال ذرة ﴿ولا أكبر إلا في كتاب﴾ كتبه الله سبحانه وهو اللوح المحفوظ أو غيره ﴿مبين﴾ ظاهر.

[٤] ﴿ليجزى﴾ علة لقوله ﴿لتأتينكم﴾ ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة﴾ غفران لذنوبهم ﴿ورزق كريم﴾ يعطونه مع التكريم.

[٥] ﴿والذين سعوا﴾ أخذوا يسعون ﴿في آياتنا﴾ أي لأجل إبطال آياتنا ﴿معاجزين﴾ يريدون تعجيزنا عن إتمام الأدلة ﴿أولئك لهم عذاب من رجز﴾ العذاب السيئ ﴿اليم﴾ مؤلم.

[٦] ﴿ويرى الذين أوتوا العلم﴾ يرى العلماء ﴿الذي﴾ مفعول أول لـ (يرى) ﴿أنزل إليك من ربك هو الحق﴾ مفعول ثان لـ (يرى)، أي يرون القرآن حقاً ﴿وهو﴾ يرون أنه ﴿يهدي إلى صراط﴾ سبيل ﴿العزیز﴾ الذي لا يغالب ﴿الحميد﴾ المحمود في كل أفعاله.

[٧] ﴿وقال الذين كفروا﴾ بعضهم لبعض ﴿هل ندلكم على رجل﴾ أي الرسول ﷺ ﴿ينبئكم﴾ يخبركم ﴿إذا مزقتم كل ممزق﴾ فرقت أوصالكم في القبر كل تفرق ﴿إنكم لفي خلق جديد﴾ أي تبعثون، قالوا هل نريكم من يقول إنكم تبعثون بعد أن تفرقت أوصالكم - قالوا ذلك استنكاراً وتعجباً -.

[٨] «أفترى» أي هل افترى محمد ﷺ «على الله كذباً» أم به جنة جنون يخيل له ذلك البعث «بل» الأمر صدق وإنما «الذين لا يؤمنون بالآخرة» البعث والجزاء «في العذاب» في الآخرة «والضلال» في الدنيا «البعيد» عن الحقيقة.

[٩] «أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض» أي ما أحاط بهم من كل جوانبهم، فيستدلوا بها على قدرته تعالى على كل شيء «إن نشأ نخسف بهم الأرض» فتبلعهم «أو نسقط عليهم كسفاً» قطعاً^(١) «من السماء» فتهلكهم «إن في ذلك» الذي يرونه «آية» دلالة «لكل عبد منيب» راجع إلى ربه فإنه يعرف الآيات.

[١٠] «ولقد آتينا داود منا فضلاً» على سائر الناس إذ قلنا «يا جبال أوبي» ارجعي «معه» بالتسبيح «والطير» فكان إذا سبح ﷺ سبحت معه الجبال والطير «والنار» الحديد جعلناه لينا في يده كالشمع.

[١١] وأمرناه «أن تعمل سابغات» دروعاً تامات «وقدر في السرد» في نسج الدرع حتى تتناسب حلقها، من التقدير «واعملوا» يا داود ﷺ وأهلك «صالحاً إني بما تعملون بصير» فأجازكم عليه.

[١٢] «و» سخرنا «لسليمان الريح غدوها» جريها في الصباح «شهر» مقدار مسيرة سير الراكب شهراً «ورواحها» أي جريها عصرًا «شهر وأسلنا» أجرينا «له عين القطر» النحاس المذاب ليعمل منه ما يشاء «ومن الجن من يعمل بين يديه» كما يعمل الإنس «بإذن ربه» بأمره تعالى «ومن يزغ» يعدل «منهم» من الجن «عن أمرنا» أي طاعة سليمان ﷺ الذي أمرنا الجن بطاعته «نذقه من عذاب السعير» أي المشتعل.

[١٣] «يعملون» الجن «له» لسليمان ﷺ «ما يشاء من محاريب» أي المساجد أو القصور «وتماثيل» المجسمات «وجفان» جمع جفنة وهي القصعة التي يؤكل فيها «كالجواب» جمع جابية وهي الحوض الكبير فكان يأكل في كل واحدة منها عدد كبير من الناس «وقدور» جمع قدر «راسيات» ثابتات على أثافيها لأجل الطبخ، ثم قلنا لهم «اعملوا» يا «آل داود شكراً» وعمل الشكر عبارة عن الطاعة مقابل قول الشكر الذي هو التلفظ فقط «وقليل من عبادي الشكور» المجتهد في أداء الشكر.

[١٤] «فلما قضينا» حكمنا «عليه» على سليمان ﷺ «الموت» بأن يموت «ما دلهم» أعلم الجن «على موته» إلا دابة الأرض «الأرض» «تأكل منسأته» عصاه لأنه مات متكئاً على عصاه وزعم الجن أنه واقف فاستمروا في أعمالهم حتى أكلت الأرض عصاه فسقط «فلما خر» سقط سليمان ﷺ «تبينت» علمت «الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب» فإن الجن كان يزعم أنه يعلم الغيب فلما ظهر له أن سليمان ﷺ مات منذ زمان ولم يعلم بموته، انقشع غروره وعلم أنه لو كان يعلم الغيب «ما لبثوا» ما بقوا «في العذاب المهين» العمل الشاق الذي يهينهم ويذلهم.

أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ نَشْأَ نَخْسِفُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نَسْقِطُ عَلَيَّهِمْ كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يٰجِبَالُ أَوْبِيْ مَعَهُ وَالطَّيْرُ وَآلَ الْحَدِيدِ ﴿١٠﴾ إِنْ أَعْمَلَ سَيِّئَاتٍ وَقَدَرْنَا فِي السَّمَاءِ أَنْ تَصِلَ إِلَيْهَا إِنْ يَّمَاتُ تَحْمِلُونَهَا بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَلَسَيَمْنُ الرِّيحُ غُدُوهاً شَهْرًا وَرَوْحًا شَهْرًا وَأَسْلَمْنَا لَهُمُ الْفُطُورَ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نَذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُمُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَّحْرُوبٍ وَتَمْثِيلِ وَجْهَانِ كَلِّجَوَابٍ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٤﴾

[۱۵] ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ لِّقَوْمٍ سَبَّأً فِي مَسْكَنِهِمْ﴾ باليمن ﴿آيَةً﴾ دالة على قدرة الله تعالى وهي ﴿جنتان﴾ بستانان ممتدان من اليمن إلى الشام ﴿عن يمين وشمال﴾ يمين السائر وشماله، وقد قلنا لهم ﴿كلوا من رزق ربكم واشكروا له﴾ نعمه، هذه ﴿بلدة طيبة﴾ جميلة نزهة ﴿ورب غفور﴾ فديناكم جنة وأخرتكم غفران

[۱۶] ﴿فَاعْرَضُوا﴾ عن الشكر ﴿فَارْسَلْنَا عَلَيْهِم سَيْلَ الْعَرِمِ﴾ المطر والماء الكثير حتى آباد بلادهم وزروعهم ﴿وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ﴾ العامرتين ﴿جَنَّتَيْنِ﴾ خربتين ﴿ذَوَاتِي﴾ صاحبتني ﴿أَكْلٍ﴾ ثمر ﴿خَمَطٍ﴾ مزبشع ﴿وَأَثَلٍ﴾ الطرفاء ولا ثمر لها ﴿وَشَيْءٍ مِنْ سَدْرٍ﴾ نبق ﴿قَلِيلٍ﴾ الثمر.

[۱۷] ﴿ذَلِكَ﴾ ما فعلنا بهم ﴿جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا﴾ بسبب كفرهم ﴿وَهَلْ نَجَازِي﴾ بالجزاء السيئ ﴿إِلَّا الْكَافِرِينَ﴾ الذي يكفر بالنعمة.

[۱۸] ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى﴾ الشام ﴿الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ بكثرة الأنبياء والثمار ﴿قُرَى طَاهِرَةً﴾ ترى كل قرية من القرى الأخرى لاتصال العمران ﴿وَقَدَرْنَا فِيهَا﴾ في تلك القرى ﴿السَّيْرِ﴾ أي كان السير بتقدير لقرب بعضها من بعض لا مبعثرة هنا وهناك بلا حساب ومقدار، وقلنا لهم ﴿سَيَرُوا فِيهَا﴾ أي في تلك القرى وبينها ﴿لِيَالِي وَأَيَّامًا

آمِنِينَ﴾ أي في حال كونكم في أمن عن اللص والتعب والجوع والعطش.

[۱۹] ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ حتى تكون صحارى ونطارد الخيل، وهذا كناية عن عدم شكرهم ﴿ووظلموا أنفسهم﴾ بالكفران ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ لمن بعدهم فحين تزول النعمة يتحدث الناس عن أهل النعم وكيف زالت دولتهم ﴿وَمَزَقْنَاهُمْ﴾ فرقناهم ﴿كُلَّ مَمْزُوقٍ﴾ تمزقاً كاملاً، فتفرق أولاد سبأ في مختلف البلاد ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ أدلة ﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ عن المعاصي ﴿شَكُورٍ﴾ للنعمة، فإن الصابر الشاكر هو الذي يمكن أن يستفيد من الآيات.

[۲۰] ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ﴾ على بني آدم ﴿إِبْلِيسُ﴾ في ﴿ظَنِّهِ﴾ حيث ظن أنهم يتبعونه ﴿فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

[۲۱] ﴿وَمَا كَانَ لَهُ﴾ لإبليس ﴿عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾ تسلط فلم يجبرهم على العصيان ﴿إِلَّا﴾ اختيارهم بأنفسهم لاتباعه، ونحن أعطيناهم الاختيار ﴿لَنَعْلَمَ﴾ ليقع معلومنا في الخارج ﴿مَنْ يَوْمُنَ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ﴾ حتى نجازي كل طائفة حسب عملها ﴿وَوَرِّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِظٌ﴾ يحفظه فيجازي عليه.

[۲۲] ﴿قُلْ﴾ يا رسول الله ﷺ ﴿لِلْمُشْرِكِينَ﴾ ادعوا الذين زعمتم ﴿أَنَّهُمْ آلِهَةٌ﴾ من دون الله ﴿غَيْرَ اللَّهِ﴾ فهل يستجيبون لكم، ثم أجب سبحانه بقوله: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ نقلها من خير أو شر ﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ لا قدرة لهم في السماء ولا في الأرض ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكَ﴾ لم يشتركوا مع الله في خلق شيء ﴿وَمَا لَهُ﴾ لله تعالى ﴿مَنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾ معين، بل خلق الكون وحده.

لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةً جَنَّاتٍ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ بَلَدَةً طَيِّبَةً وَرَبُّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَاَعْرَضُوا فَاَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ اَكْلٍ خَمَطٍ وَاَثَلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نَجْزِي اِلَّا الْكَافِرِينَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرًا يَالِيًا وَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ اِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ اِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ اِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُمْ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ اِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَوْمُنَا بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِظٌ ﴿٢١﴾ قُلْ اَدْعُوا اِلِلَّيْتَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللّٰهِ لَا يَمْلِكُ كُوتٌ مِّثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى السَّمٰوٰتِ وَلَا فِى الْاَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيْهِمَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُمْ مِنْ ظَهْرِ ﴿٢٢﴾

[٢٣] ﴿وَلَا تَتَفَعَّلُوا الشَّفَاعَةَ عِنْدَهُ﴾ عند الله، ردّ لقول المشركين (هؤلاء شفعاؤنا) ﴿إِلَّا لِمَنْ أَذْنُ لَهُ﴾ أن يشفع وهم الأنبياء والأولياء عليهم السلام ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ﴾ انكشف الفزع والخوف ﴿عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾ أي الكفار في الآخرة، أي رجعوا إلى وعيهم ﴿قَالُوا﴾ قال بعضهم لبعض ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾ في باب الشفاعة هل أذن للأصنام وزعماء الكفار بالشفاعة ﴿قَالُوا﴾ أي المسؤول منهم: قال الله ﴿الْحَقُّ﴾ وهو إذن الصالحين بالشفاعة، فلا نصيب لكم منها ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ﴾ بقره ﴿الكبير﴾ بعظمته، فلا راد لقوله.

[٢٤] ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فإذا لم يجيبوا ﴿قُلْ اللَّهُ﴾ يرزقكم من السماء بإنزال المطر ومن الأرض بإخراج النبات ﴿وَأَنَا أُوِيَاكُمْ لَعَلِّي هُدَىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ظاهر، والترديد لإنصاف الطرف وتدريبه إلى الحق.

[٢٥] ﴿قُلْ﴾ يا رسول الله ﷺ للكفار ﴿لَا تَسْأَلُونَ عَمَّا أُجْرِمْنَا﴾ عصبنا بزعيمكم ﴿وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ فليعمل كل حسب عمله حتى يرى جزاءه.

[٢٦] ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبَّنَا﴾ يوم القيامة ﴿ثُمَّ يَفْتَحُ﴾ يحكم ﴿بَيْنَنَا بِالْحَقِّ﴾ وأن أينا كان على الحق ﴿وَهُوَ الْفَاتِحُ﴾ الكثير الحكم ﴿الْعَلِيمُ﴾ بالواقع وبالحكم.

[٢٧] ﴿قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ﴾ أي الأصنام ﴿الْحَقِّقَ بِهِ﴾ بالله ﴿شُرَكَاءَ﴾ بأن جعلتموهم شركاء لله ﴿كَلَّا﴾ ليسوا له شركاء ﴿بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ﴾ الذي لا يغالب ﴿الْحَكِيمُ﴾ في

تدبيره، ولا شريك له.

[٢٨] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ﴾ كافة: أي جميعاً والتاء للمبالغة ﴿بَشِيرًا﴾ للمؤمن ﴿وَنَذِيرًا﴾ للكافر والعاصي ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فيحملهم جهلهم على مخالفتك.

[٢٩] ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ﴾ أي وعدكم بجمع الله بيننا ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أن هناك يوماً كذلك.

[٣٠] ﴿قُلْ لَكُمْ﴾ أيها المنكرون ﴿مِيعَادٌ يَوْمٌ﴾ أي وعد يوم، وهو يوم القيامة ﴿لَا تَسْتَأْخِرُونَ﴾ لا تتأخرون ﴿عَنْهُ﴾ عن ذلك اليوم ﴿سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾ تتقدمون.

[٣١] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي الكتب السابقة عليه من التوراة والإنجيل ﴿وَلَوْ تَرَىٰ﴾ أيها الرائي ذلك الموقف لرأيت أمراً نضيقاً ﴿إِذْ﴾ زمان ﴿الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ للحساب ﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلِ﴾ يجادلون في دفع العذاب عنهم لأجل أن يُحمَل كل الآخر إثم أعماله ﴿يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا﴾ أي الأتباع الذين عدّهم الأسياد ضعفاء ﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ للذين استكبروا ﴿أَيُّ الْمَتَّبِعِينَ﴾ لولا أنتم ﴿تَصُدُّونَنَا عَنِ الْحَقِّ﴾ لكنّا مؤمنين ﴿بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ﴾.

وَلَا تَتَفَعَّلُوا الشَّفَاعَةَ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذْنُ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْلِيَاكُمْ لَعَلِّي هُدَىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُلْ لَا تَسْأَلُونَ عَمَّا أُجْرِمْنَا وَلَا تَسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبَّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَاتِحُ الْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ الَّذِينَ الْحَقِّقَ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُلْ لَكُمْ مِيعَادٌ يَوْمٌ لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلِ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾

﴿٣٢﴾ قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أن نحن صددناكم عن الهدى على طريق الإنكار بعد إذ جاءكم الهدى بل كنتم مجرمين بأنفسكم حيث تركتم الهداية باختياركم.

﴿٣٣﴾ وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار لم يصدنا إجراننا بل مكرهم لنا دائماً ليلاً ونهاراً إذ تأمرونا أن نكفر بالله ونجعل له أنداداً شركاء وأسزوا أضمر الفريقان الندامة على الضلال ولم يظهرها خوفاً من الشماتة لهما رأوا العذاب وجعلنا الأغلال جمع غل في أعناق الذين كفروا هل أي ما يجزون إلا ما جزاء ما كانوا يعملون.

﴿٣٤﴾ وما أرسلنا في قرية من نذير نبي أو من قام مقامه إلا قال مترفوها متنعموها إنا بما أرسلتم به كافرون.

﴿٣٥﴾ وقالوا أي المترفون نحن أكثر أموالاً وأولاداً منكم فنحن أكرم عند الله وما نحن بمعذبين لأن لنا جأهاً عند الله.

﴿٣٦﴾ قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يوسعه ويضيقه حسب المصالح لا لكرامة وهوان ولكن أكثر الناس لا يعلمون فيظنون أن كثرة المال والأولاد إنما هي للكرامة عند الله.

قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بِلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يَجْزُونَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا أَنَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِن رَّبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُفَرِّقُكُمْ عَنَّا زُلْفَىٰ إِلَّا مَن آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعِيفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرَفَاتِ آمِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَتْنًا أَيْنَمَا تُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ إِن رَّبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٣٩﴾

﴿٣٧﴾ وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقرّبكم عندنا زلفى أي تقريباً إلا لكن يقرب إلينا من آمن وعمل صالحاً فأولئك لهم جزاء الضعفاء جزاء للإيمان وجزاء للعمل الصالح بما عملوا بسبب عملهم وهم في الغرفات الطبقات العليا من الجنة آمنون من المكاهة.

﴿٣٨﴾ والذين يسعون في آياتنا أي يسعون لأجل إبطال آياتنا معاجزين يريدون تعجيز الأنبياء عن الهداية أولئك في العذاب محضرون يحضرون لأجل أن يعذبوا.

﴿٣٩﴾ قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده في وقت ويقدر له ويضيق له في وقت آخر وما أنفقتم من شيء في الخير فهو يخلفه يعطي عوضه عاجلاً أو آجلاً وهو خير الرازقين لأن رزقه كثير وبدون منة.

[٤٠] ﴿و﴾ اذكر ﴿يوم يحشرهم﴾ يجمعهم الله والمراد المشركين ﴿جميعاً ثم يقول﴾ الله ﴿للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون﴾ .

[٤١] ﴿قالوا﴾ أي الملائكة: ﴿سبحانك﴾ أنت منزّه عن الشريك ﴿أنت ولينا من دونهم﴾ إنا نواليك ولا نوالي هؤلاء العبداء، وهذا تبرؤ منهم ﴿بل كانوا يعبدون الجن﴾ الشياطين لأن الكفار أطاعوهم في عبادتهم لنا ﴿أكثرهم﴾ أي الكفار ﴿بهم﴾ بالشياطين ﴿مؤمنون﴾ وهذا الكلام من الله للملائكة لأجل تبييت الكفار.

[٤٢] ﴿فاليوم لا يملك بعضهم﴾ أيها الكفار ومعبوداتهم ﴿لبعض نفعاً ولا ضرراً﴾ بأن يجلب المعبود لعباده نفعاً أو يدفع عنه ضرراً ﴿ونقول للذين ظلموا﴾ أنفسهم بالكفر ﴿ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون﴾ حيث أنكرتم البعث.

[٤٣] ﴿وإذا تلى﴾ تقرأ ﴿عليهم آياتنا بينات﴾ واضحات ﴿قالوا ما هذا﴾ أي محمد ﷺ ﴿إلا رجل يريد أن يصدكم﴾ يمنعكم ﴿عما كان يعبد آباؤكم﴾ من الأصنام ﴿وقالوا ما هذا﴾ القرآن ﴿إلا إفك﴾ كذب ﴿مفتري﴾ بإضافته إلى الله تعالى ﴿وقال الذين كفروا للحق﴾ للقرآن ﴿لما جاءهم﴾ إن هذا إلا سحر مبين ﴿ظاهر كونه سحراً﴾.

[٤٤] ﴿وما آتيناكم من كتب يدرسونها﴾ حتى يجدوا فيها

ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون ﴿١﴾ قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون ﴿٢﴾ فاليوم لا يملك بعضهم لبعض نفعاً ولا ضرراً ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون ﴿٣﴾ وإذا نزل عليهم آياتنا يتنصب قالوا ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا إلا إفك مفترى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم إن هذا إلا سحر مبين ﴿٤﴾ وما آتيناكم من كتب يدرسونها وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير ﴿٥﴾ وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم فكذبوا رسلي فكيف كان نكير ﴿٦﴾ قل إنما أعطكم بوحداني أن تقوموا لله شئني وفردائي ثم تنفكروا ما بصاحبكم من جنة إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد ﴿٧﴾ قل ما سألتكم من أجر فهو لكم إن أجرى إلا على الله وهو على كل شيء شهيد ﴿٨﴾ قل إن ربي يقذف بالحق علم الغيوب ﴿٩﴾

الشرك ﴿وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير﴾ يأمرهم بالشرك فلا مستند لهم سوى التقليد والعناد. [٤٥] ﴿وكذب الذين من قبلهم﴾ بأن أشركوا واتبعهم هؤلاء تقليداً ﴿وما بلغوا﴾ هؤلاء الكفار ﴿معشار﴾ عشر ﴿ما آتيناكم﴾ أعطينا أولئك من المال والقوة، ومع ذلك أخذناهم لما كذبوا الرسل، وهذا تهديد لهؤلاء ﴿فكذبوا رسلي فكيف كان نكير﴾ نكيري وإنكاري لهم حين كذبوا الرسل بأن دمرناهم.

[٤٦] ﴿قل﴾ يا رسول الله ﷺ للکفار: ﴿إنما أعظكم﴾ أرشدكم ﴿ب﴾ كلمة ﴿واحدة﴾ فإن تكثير الأمر يوجب تشويش الذهن، والواحدة هي التفكير في أمر النبي ﷺ، ومن المعلوم أن تفكيرهم يقودهم إلى قبول الحق إن جانبوا العناد، والواحدة هي ﴿أن تقوموا لله﴾ بأن تهتموا بأمر الله، مجانبين الهوى ﴿مشئ﴾ للتشاور إن لم يتمكن من التفكير مفرداً ﴿وفرادى﴾ إن تمكن من التفكير مفرداً ﴿ثم تفكروا ما بصاحبكم﴾ الرسول ﷺ ﴿من جنة﴾ جنون ﴿إن هو﴾ ما النبي ﷺ ﴿إلا نذير﴾ مخوف ﴿لكم بين يدي﴾ قبل ﴿عذاب شديد﴾ هو عذاب الآخرة.

[٤٧] ﴿قل﴾ لهم يا محمد ﷺ: ﴿ما سألتكم من أجر﴾ على أداء الرسالة ﴿فهو لكم﴾ فإني لا أريد الأجر، وبهذا نفى النبي ﷺ ما قاله الكفار من أن ادعاء النبوة إما لأجل أنه مجنون، أو لأجل أنه يريد أجراً ﴿إن﴾ ما ﴿أجرى﴾ إلا على الله وهو على كل شيء شهيد، مطلع فهو يعلم صدقي.

[٤٨] ﴿قل إن ربي يقذف﴾ يلقي ﴿بالحق﴾ إلي ﴿علام﴾ خبر ثان لـ (إن ربي) ﴿الغيب﴾.

[٤٩] ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ الْإِسْلَامُ﴾ «وما يبدئ الباطل» الشرك، أي زهق الباطل فلا يتكلم بباده ولا عائده، وهذا كالمثل «وما يعيد».

[٥٠] ﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ﴾ كما تزعمون «فإنما أضل على نفسي» فإن وبال الضلال يعود إلي «وإن اهتديت فيما يوحى إلي ربي إنه سميع» لأقوالنا «قريب» منا بالعلم فيعرف المهتدي من الضال.

[٥١] ﴿وَلَوْ تَرَىٰ﴾ لرأيت أمراً عظيماً «إذ فزعوا» خاف الكفار عند البعث «فلا فوت» فلا يفوتني أحد منهم «وأخذوا» للحساب «من مكان قريب» فإنهم قريب في قدرة الله وإن كانوا في أقاصي الأرض.

[٥٢] ﴿وَقَالُوا﴾ حينذاك «أمتنا به» بمحمد ﷺ والقرآن «وأتى» من أين «لهم التناوش» تناول الإيمان بسهولة «من مكان بعيد» فإنه في دار التكليف وهم في الآخرة بعيدون عن التكليف.

[٥٣] ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ﴾ أي بمحمد ﷺ والقرآن «من قبل» في الدنيا «ويقذفون» يرمون الكلام «بالغيب» بما غاب عن علمهم حيث ينفون البعث وهم جاهلون به «من مكان بعيد» فإنهم بعداء عن حقيقة الأمر ولذا كلامهم ككلام الإنسان البعيد عن شيء حيث لا يعلمه.

[٥٤] ﴿وَحِيلَ﴾ حال أمر الآخرة «بينهم وبين ما يشتهون» مشتياتهم فإنه ليس لهم في الآخرة إلا النار «كما فعل بأشيعهم» بموافقهم في الكفر «من قبل» سابقاً حيث كفروا، فلما ماتوا أبعدوا عن مشتياتهم «إنهم كانوا في شك» من الإيمان «مريب» موجب للتردد في العمل، إذ الشك قد لا يظهر أثره، وقد يظهر.

قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبَدِّئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ ﴿٥٠﴾ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ رَفِئْتُ عَنْهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥١﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فُزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥٢﴾ وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَاقُشُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٤﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴿٥٥﴾

سُورَةُ فَاطِرٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولَٰئِكَ أَجْنَحُهُ مِثْنَىٰ وَثَلَاثٌ وَرَبُّكَ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآفَ تَوْفُكُونَ ﴿٣﴾

سورة فاطر ٣٥

مكية آياتها خمس وأربعون

«بسم الله الرحمن الرحيم»

[١] «الحمد لله فاطر» مبدع وخالق «السموات والأرض جاعل الملائكة رسلاً» إلى الأنبياء ﷺ «أولي» أصحاب «أجنحة مثنى» جناحان جناحان «وثلاث» أجنحة «ورباع» أجنحة، ينزلون ويعرجون بها «يزيد في الخلق» ما يخلق من الملائكة وغيرهم «ما يشاء» كما وكيفاً «إن الله على كل شيء قدير».

[٢] «ما يفتح» يعطي «الله للناس من رحمة» كمال وأولاد «فلا ممسك لها» يمنحها عن الوصول إلى الخلق «وما يمسك فلا مرسل له» لما أمسك «من بعده» بعد إسمائه تعالى «وهو العزيز» الذي لا يغالب «الحكيم» في تدبيره.

[٣] «يا أيها الناس اذكروا نعمت الله عليكم» التي من جعلتها أنه خلقكم «هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء» بأنزال المطر «والأرض» بالنبات «لا إله إلا هو فأنى» أين «توفكون» تصرفون إلى الأصنام.

[٤] ﴿وإن يكذبوك﴾ يا محمد ﷺ ﴿فقد كذبت رسل من قبلك﴾ فاصبر كما صبروا ﴿والى الله﴾ إلى جزائه ﴿ترجع الأمور﴾ فيجازي المكذب بالعقاب والصابر بالثواب.
[٥] ﴿يا أيها الناس﴾ إن وعد الله ﴿بالجزاء﴾ ﴿حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا﴾ بأباطيلها حتى تصرفكم عن الآخرة ﴿ولا يغرنكم بالله الغرور﴾ الشيطان الذي هو كثير الخداع، بأن يجزئكم على معصية الله وعداً لكم بأنه لا جزاء.

[٦] ﴿إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا﴾ عاملوا معه معاملة الأعداء في عدم سماع كلامه ﴿إنما يدعو حزبه﴾ أتباعه ﴿ليكونوا من أصحاب السعير﴾ النار الملتهية.
[٧] ﴿الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة﴾ غفران لذنوبهم ﴿وأجر كبير﴾ عظيم في الآخرة.

[٨] ﴿أفمن زين له سوء عمله﴾ زينت نفوسهم إليهم أعمالهم السيئة ﴿فرآه﴾ ظنه ﴿حسناً﴾ كمن ليس كذلك، والاستفهام لإنكار التسوية ﴿فإن الله يفضل من يشاء﴾ يتركه حتى يضل إذا أعرض عن الحق ﴿ويهدي من يشاء﴾ فلا تذهب نفسك ﴿فلا تهلك يا محمد ﷺ نفسك عليهم﴾ على الكفار ﴿حسرات﴾ للحسرات على غيهم ﴿إن الله عليم بما يصنعون﴾ فيجازيهم على سيئاتهم.

[٩] ﴿والله الذي أرسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه﴾ أرسلنا ذلك السحاب ﴿إلى بلد ميت﴾ لا زرع فيه ﴿فأحيينا به﴾ بالمطر ﴿الأرض﴾ بالزرع ﴿بعد موتها﴾ باليس ﴿كذلك﴾ لإحياء الأرض بعد موتها ﴿النشور﴾ والبعث.
[١٠] ﴿من كان يريد العزة فلله العزة جميعاً﴾ فليطلبها من عنده تعالى بالإيمان والطاعة ﴿إليه يصعد الكلم﴾ جمع كلمة ﴿الطيب﴾ الحسن ﴿والعمل الصالح يرفعه﴾ الله إلى ذاته المقدسة - بمعنى قبوله له - وهذان هما موجبا العزة ﴿والذين يمكرون﴾ المنكرات ﴿السيئات﴾ لأجل إطفاء الدين وإذلال المسلمين ﴿لهم عذاب شديد﴾ في الآخرة ﴿ومكر أولئك هو يبور﴾ يطل ولا ينفذ.

[١١] ﴿والله خلقكم من تراب﴾ فإن التراب يتحول نباتاً ثم طعاماً ثم دماً ﴿ثم من نطفة﴾ التي هي المني ﴿ثم جعلكم أزواجاً﴾ ذكرأ وأنثى ﴿وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه﴾ فإنه عالم بكل شيء ﴿وما يعمر من معمر﴾ ما يمد في عمر من يصير إلى كبر ﴿ولا ينقص من عمره﴾ لمن لا يمتد عمره إلى المقدار المعتاد ﴿إلا في كتاب﴾ اللوح المحفوظ ﴿إن ذلك﴾ الزيادة والنقصان ﴿على الله يسير﴾ سهل.

وإن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك وإلى الله ترجع الأمور ﴿٤﴾
﴿يا أيها الناس﴾ إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ﴿٥﴾ إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير ﴿٦﴾ الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير ﴿٧﴾ أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً فإن الله يفضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرت إن الله عليم بما يصنعون ﴿٨﴾ والله الذي أرسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور ﴿٩﴾ من كان يريد العزة فلله العزة جميعاً إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور ﴿١٠﴾ والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجاً وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب إن ذلك على الله يسير ﴿١١﴾

[١٢] ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفَلَكَ فِيهِ مَوَازِيرَ يَتَّبِعُونَ مِنْ فَضْلِهِ الْسَفِينَةَ فِيهِ فِي الْبَحْرِ مَوَازِيرُ جَمْعُ مَاخِرَةٍ أَيْ تَشَقُّ الْمَاءِ شَقًّا لَتَبْتَغُوا تَطَلَّبُوا مِنْ فَضْلِهِ بِالتَّجَارَةِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ الله على ذلك .

[١٣] ﴿يُولِجُ يَدْخُلُ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ بِتَمْدِيدِ اللَّيْلِ وَيُولِجُ النَّهَارُ فِي اللَّيْلِ بِتَمْدِيدِ النَّهَارِ وَتَسْخَرُ ذَلَّلُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرُ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُدَّةٌ مُسَمًّى قَدْ سَمِيَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى ذَكَلَكُمْ الْفَاعِلُ لِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ اللَّهُ رِيكُمُ لَهُ الْمَلِكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ أَيْ الْأَصْنَامُ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قُطْمِيرٍ الْقَشْرَةُ الَّتِي فِي شِقِّ النَّوَاةِ .

[١٤] ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ أَيْ الْأَصْنَامُ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ لِأَنَّهُمْ جَمَادٌ وَلَوْ سَمِعُوا فَرَضًا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ لَعَدَمُ قُدْرَتِهِمْ عَلَى الْإِنْفَاعِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشُرْكِكُمْ يَقْرُونَ هُنَاكَ بِبَطْلَانِ إِشْرَاكِكُمْ إِيَّاهُمْ مَعَ اللَّهِ وَلَا يُنَبِّئُكَ يَخْبِرُكَ مِثْلُ اللَّهِ الَّذِي هُوَ خَبِيرٌ وَقَدْ أَخْبَرَكَ بِحَالَةِ الْأَصْنَامِ .

[١٥] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ الْمُحْتَاجُونَ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ عَنْ خَلْقِهِ الْحَمِيدُ الْمُسْتَحَقُّ لِلْعِبَادَةِ .

[١٦] ﴿إِنْ يَشَاءُ يَذْهَبِكُمْ يَفْنِيكُمْ وَيَأْتِ بِمَخْلُقٍ جَدِيدٍ غَيْرِكُمْ .

[١٧] ﴿وَمَا ذَلِكَ إِذْهَابِكُمْ وَالْإِتْيَانُ بِغَيْرِكُمْ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ بِمَتَعَدٍّ .

[١٨] ﴿وَلَا تَزِرُ لَا تَحْمِلُ وَاِزْرَةً نَفْسٌ حَامِلَةٌ لِلذَّنْبِ وَزَرَ إِثْمُ نَفْسٍ أُخْرَى بَلْ كُلُّ عَاصٍ يُجْزَى عِقَابَ عَصِيَانِ نَفْسِهِ وَإِنْ تَدْعُ تَطْلُبُ نَفْسٌ مُثْقَلَةٌ ثَقِيلَةٌ بِالذَّنْبِ إِلَى حِمْلِهَا أَيْ حَمَلَ بَعْضُ وَزَرِهَا لَا يَحْمِلُ مِنْهُ مِنْ وَزَرِهِ شَيْءٍ نَائِبُ فَاعِلٍ لَا يَحْمِلُ وَلَوْ كَانَ الْمَدْعُو ذَا قُرْبَى قَرِيبًا لِلدَّاعِي إِنَّمَا تَنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ أَيْ فِي حَالِ كَوْنِهِمْ غَائِبِينَ عَنْ عَذَابِهِ فَإِنْ فَائِدَةُ الْإِنْذَارِ تَعُودُ إِلَيْهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّى تَطَهَّرَ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ لِأَنَّ فَائِدَةَ التَّطَهُّيرِ تَرْجِعُ إِلَى نَفْسِ الْمُتَزَكِّي وَإِلَى اللَّهِ الْمُصِيرُ مَرْجِعُ الْكُلِّ إِلَى جَزَائِهِ .

وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفَلَكَ فِيهِ مَوَازِيرَ يَتَّبِعُونَ مِنْ فَضْلِهِ الْسَفِينَةَ فِيهِ فِي الْبَحْرِ مَوَازِيرُ جَمْعُ مَاخِرَةٍ أَيْ تَشَقُّ الْمَاءِ شَقًّا لَتَبْتَغُوا تَطَلَّبُوا مِنْ فَضْلِهِ بِالتَّجَارَةِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ الْيَلَّ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارُ فِي الْيَلِّ وَتَسْخَرُ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكُمْ اللَّهُ رِيكُمُ لَهُ الْمَلِكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قُطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشُرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِنْ يَشَاءُ يَذْهَبِكُمْ وَيَأْتِ بِمَخْلُقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى جِهْلٍهَا لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمُصِيرُ ﴿١٨﴾

[١٩] ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾ الكافر ﴿وَالْبَصِيرُ﴾ المؤمن .

[٢٠] ﴿وَلَا الظُّلُمَاتُ﴾ الكفر ﴿وَلَا النُّورُ﴾ الإيمان .

[٢١] ﴿وَلَا الظِّلُّ﴾ الثواب ﴿وَلَا الْحَرُورُ﴾ النار الحارة والمراد بها العقاب .

[٢٢] ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ﴾ المؤمنون ﴿وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾ الكفار ﴿إِنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ مَنْ يَشَاءُ﴾ سماعاً نافعاً، وهو من لا يعاند الحق ﴿وَمَا أَنْتَ بِمَسْمُوعٍ مِنْ فِي الْقُبُورِ﴾ أي الأموات، فإن مثل المعاند مثل الميت الذي لا يسمع سماعاً ذا أثر .

[٢٣] ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ فما عليك إلا الإنذار .

[٢٤] ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ ما ﴿مِنْ أُمَّةٍ﴾ جماعة ﴿إِلَّا خَلَا﴾ مضى ﴿فِيهَا نَذِيرٌ﴾ من نبي أو من قام مقامه .

[٢٥] ﴿وَإِنْ يَكْذِبُوكَ﴾ أي هؤلاء الكفار ﴿فَقَدْ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أنبياءهم، فاصبر كما صبر الأنبياء ﷺ ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أي المعجزات ﴿وَالزُّبُرِ﴾ الصحف من دون جمع في كتاب كامل ﴿وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ ذي النور، وهو الكتاب الكامل كالطهارة والإنجيل .

[٢٦] ﴿ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فكيف كان نكير إنكاري لهم بالعذاب، وهذا تهديد لهؤلاء الكفار .

[٢٧] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ﴾ بالماء ﴿ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا﴾ أصنافها لونا وشكلاً وطعماً وخاصة ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا﴾ بالشدّة والضعف ﴿وَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَرْتَابُونَ﴾ جمع غريب وهو شديد السواد ﴿سُودٌ﴾ مفسرة لـ (غرايب) أي أن الثمار والجبال، مختلف ألوانها .

[٢٨] ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ﴾ الأنعام مختلف ألوانه ﴿كَأَخْتِلَافِ الثَّمَارِ وَالْجِبَالِ﴾ كذلك ﴿هَكَذَا﴾ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴿فَاعِلٌ﴾ فاعل (بخشى) فإن الأكثر علماً بمخلوقات الله أكثر خوفاً منه ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يغالب ﴿غَفُورٌ﴾ لمن تاب من عباده .

[٢٩] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ﴾ يقرأون ﴿كِتَابَ اللَّهِ﴾ القرآن ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ في حالتي السر والعلن ﴿يَرْجُونَ﴾ خير (إن) ﴿تِجَارَةً﴾ تحصيل ثواب بالطاعة ﴿لَنْ تَبُورَ﴾ لن تهلك .

[٣٠] ﴿لِيُوفِيَهُمُ﴾ اللام للعاقبة، أي يعطيهم كاملاً ﴿أُجُورَهُمْ﴾ ثواب أعمالهم ﴿وَيَزِيدَهُمُ﴾ على استحقاقهم ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ إنه غفور لما بدر منهم من السيئات ﴿شُكُورٌ﴾ لطاعتهم .

وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ﴿٢٢﴾ إِنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمَسْمُوعٍ مِنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٢٣﴾ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٥﴾ وَإِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٧﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٍ ﴿٢٨﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ أَلَا تَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تَجَارَةً لَّنْ تَبُورَ ﴿٣٠﴾ لِيُوفِيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمُ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُمْ غَفُورٌ شُكُورٌ ﴿٣١﴾

[٣١] ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ والمراد به القرآن ﴿هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الكتب السماوية، أي ما تقدمه ﴿إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ يرى بواطنهم ﴿بَصِيرٌ﴾ يرى ظواهرهم.

[٣٢] ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ﴾ أي كل كتاب ﴿الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ الأمة التي اخترناها لحمل الرسالة ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾ يعملون بالسيئات ﴿وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ﴾ متوسط في العمل ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ ترجح حسناته ﴿يَاذْنُ اللَّهِ﴾ بأمره ﴿ذَلِكَ﴾ السابق بالخيرات بالتوفيق له ﴿هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ الذي تفضل الله عليهم به.

[٣٣] ﴿جَنَّاتٍ﴾ بدل من (الفضل) ﴿عَدْنٍ﴾ إقامة، فإن الجنان هي دار الإقامة ﴿يَدْخُلُونَهَا يَحْلُونَ﴾ يزينون ﴿فِيهَا﴾ في تلك الجنات ﴿مِنْ أَسَاوِرٍ﴾ ما يوضع في اليد ﴿مِنْ ذَهَبٍ﴾ بيان (أساور) ﴿وَلَوْلُؤُاْ﴾ عطف على محل (أساور) ﴿وَلِبَاسَهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾.

[٣٤] ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾ هموم الدنيا وأحزان الآخرة ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ﴾ لذنوب عباده ﴿شُكُورٌ﴾ للطاعات.

[٣٥] ﴿الَّذِي أَحْلَنَّا دَارَ الْمَقَامَةِ﴾ أي التي نقيم فيها أبداً ﴿مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ﴾ تعب ﴿وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ إعياء إذ لا مشقة في الجنة.

[٣٦] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يَقْضَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ لا يحكم عليهم بالموت ﴿فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾ حتى يخفف عنهم.

[٣٧] ﴿وَهُمْ يَصْطَرِّخُونَ﴾ يصيحون بأعلى صياحهم ﴿فِيهَا﴾ في النار قائلين ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ سابقاً من السيئات، فقال لهم توبخاً ﴿أَوْ لِمَ نَعْمَرُكُمْ مَا﴾ عمراً ﴿يَتَذَكَّرُ فِيهِ مِنْ تَذَكُّرٍ﴾ أي عمراً طويلاً حتى أنكم لو كنتم قابليين للتذكر لاتعظمت ﴿وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ﴾ الرسول المنذر ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ فما للظالمين من نصير ﴿يَنْصَرُّهُمْ وَيُدْفَعُ الْعَذَابَ عَنْهُمْ﴾.

[٣٨] ﴿إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فلا يخفى عليه شيء ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بتلك الصدور ومحتوياتها.

وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يَأْذِنُ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّاتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرٍ مِنْ ذَهَبٍ وَلَوْلُؤُاْ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شُكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِي أَحْلَنَّا دَارَ الْمَقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يَقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِّخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مِنْ تَذَكُّرٍ جَاءَكُمْ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣٨﴾

[٣٩] ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ خَلْقًا فِي الْأَرْضِ﴾ بأن جعلكم خليفة وخلفاً لمن تقدمكم ﴿فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾ جزاء كفره ﴿وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا﴾ غضباً، فإن تمادي الكافر في الكفر يزيده غضباً من الله ﴿وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ إِلَّا خُسَارًا﴾ خسارة للأخرة.

[٤٠] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي أصنامكم التي تدعونها شركاء لله، أخبروني و﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾ وما فيها ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ﴾ شرك ﴿فِي﴾ خلق ﴿السَّمَاوَاتِ﴾ فإذا لم يكن لهم شرك في الأرض ولا في السماء فكيف كانوا آلهة ﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ﴾ أعطيناهم ﴿كِتَابًا﴾ فيه إنهم شركاء لله ﴿فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ﴾ حجة ﴿مِنْهُ﴾ أي من ذلك الكتاب ﴿بَلْ هَذَا وَلَا ذَاكَ وَإِنَّمَا هِيَ إِتْرَاءٌ﴾ ما ﴿يُعَذِّبُهُمْ﴾ من الوعد ﴿الظَّالِمُونَ﴾ عباد الأصنام ﴿بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ إِتْرَاءٌ﴾ وخداعاً فهم يعدون أن في عبادة الأصنام اتخاذ شفعاء عند الله.

[٤١] ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ﴾ يحفظ ﴿السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾ عن محلها ﴿وَلَئِنْ زَالَتَا﴾ بأن تركهما الله حتى زالتا ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَمْسَكَهُمَا﴾ حفظهما ﴿مَنْ أَحَدٌ مِنْ بَعْدِهِ﴾ بعد الزوال ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا﴾ فلا يعاجل الكفار بالعقوبة ﴿غَفُورًا﴾ يغفر ذنب من تاب.

[٤٢] ﴿وَأَقْسَمُوا﴾ أي الكفار ﴿بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ أي

أيمانهم المغلظة ﴿لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ رسول منذر ﴿لَيَكُونَنَّ أَهْدَى﴾ أكثر هداية ﴿مَنْ إِحْدَى الْأُمَمِ﴾ الماضية كاليهود والنصارى ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ محمد ﷺ ﴿مَا زَادَهُمْ﴾ مجيء النذير ﴿إِلَّا نِفُورًا﴾ تباعداً عن الحق.

[٤٣] ﴿اسْتِكْبَارًا﴾ أي لأجل ما فيهم من الكبر عن الحق ﴿فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ﴾ أي ما زادهم إلا المكر السيئ ضد الإيمان وأهله ﴿وَلَا يَحِيقُ﴾ لا يحيط ﴿الْمَكْرَ السَّيِّئِ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ أي الماكر ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ﴾ ينتظرون ﴿إِلَّا سَنَةً﴾ الله وطريقته في ﴿الْأَوَّلِينَ﴾ المكذبين للرسل حيث عذبهم الله، أي هل ينتظر هؤلاء الكفار عذاب الله ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسَنَةَ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ لا يبدل بالعذاب غيره ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسَنَةَ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ لا يحول إلى غير مستحقه.

[٤٤] ﴿أَوْ لَمْ يَسِيرُوا﴾ يسافروا ﴿فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا﴾ كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ﴿حَيْثُ يَمْرُونَ عَلَى بِلَادٍ عَادَ وَثُمُودَ﴾ قوم لوط ويرون آثارها الخربة ﴿وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ فاعمل لـ (يعجزه) و(من) للتبعض، بأن يكون هناك شيء يسبب عجز الله عن الانتقام منهم ﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا﴾ بكل شيء ﴿قَدِيرًا﴾ على ما يشاء.

هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ خَلْقًا فِي الْأَرْضِ مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ إِلَّا خُسَارًا ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ بَلْ إِنَّ بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ إِتْرَاءٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونَنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرَ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسَنَةَ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسَنَةَ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ أَوْ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُمْ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾

[٤٥] ﴿وَلَوْ يَؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا﴾ من الذنوب ﴿مَا تَرَكَ عَلَى ظَهَرِهَا﴾ ظهر الأرض ﴿ظَهْرَ الدَّابَّةِ﴾ تدب وتتحرك، ولعل المراد بها الإنسان بتقدير (نسمة) ﴿وَلَكِنْ يُوَخِّرُهُمْ﴾ أي العصاة ﴿إِلَى أَجَلٍ﴾ وقت ﴿مُسَمًّى﴾ قد سمي وخُذد ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ﴾ وقت حسابهم وهو يوم القيامة ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ فيجازيهم حسب أعمالهم.

سورة يس

مكية آياتها ثلاث وثمانون

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

[١] ﴿يَس﴾ اسم الرسول ﷺ، أو رمز بين الله ورسوله ﷺ.

[٢] ﴿وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ﴾ أي قسماً بالقرآن المحكم أحكامه وآياته.

[٣] ﴿إِنَّكَ﴾ يا محمد ﷺ ﴿لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

[٤] ﴿عَلَى صِرَاطٍ طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ يؤدي بسالكه إلى المطلوب.

[٥] نَزَلَ ﴿تَنْزِيلَ﴾ الله ﴿الْعَزِيزِ﴾ الذي لا يغالب ﴿الرَّحِيمِ﴾ بعباده.

[٦] ﴿لَتَنْذِرُنَّ﴾ متعلق بـ(تنزيل) ﴿قَوْمًا مَا أَنْذَرِ آبَاؤُهُمْ﴾ إذ آبَاؤُهُمْ لم يكن لهم رسول ﴿فَهُمْ غَافِلُونَ﴾ عن الدين ولذا أرسلناك إليهم.

[٧] ﴿لَقَدْ حَقَّ ثَبِتُ الْقَوْلِ﴾ بالعذاب ﴿عَلَى أَكْثَرِهِمْ﴾ أكثر الناس ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ حيث علم الله ذلك أثبت لهم العذاب.

[٨] ﴿إِنَّا جَعَلْنَا﴾ حيث تركوا طريق الحق بعد أن عرفوه ﴿فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا﴾ جمع غل، كالذي في عنقه غل ومن أمامه وخلفه سد وعلى عينه غطاء، حيث لا يبصر شيئاً ولا يقدر على شيء، تشبيه لهم بمن هو هكذا في عدم قبولهم الإيمان ﴿فَنَهَى﴾ أي الأغلال ﴿إِلَى الْأَذْقَانِ﴾ جمع ذقن منتهى الوجه، والغل الطويل يوجب رفع الرأس إلى فوق كناية عن عدم رؤية أمامه لأن رأسه مرفوع ﴿فَهُمْ مَقْمَحُونَ﴾ مرفوع الرأس، يقال قمح البعير إذا رفع رأسه.

[٩] ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ أمامهم ﴿سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ﴾ غطيناهم بغطاء ﴿فَهُمْ لَا يَبْصُرُونَ﴾.

[١٠] ﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنْذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لعنادهم في الباطل.

[١١] ﴿إِنَّمَا تَنْذِرُ﴾ تنفع بإنذارك ﴿مَنْ اتَّبَعَ الذِّكْرَ﴾ تدبره وأراد العمل به، والمراد بالذكر: القرآن أو مطلق الموعظة ﴿وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ﴾ في حال كونه سبحانه غائباً عن حواسه ﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ﴾ غفران ﴿وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ يعطى له مع التكريم.

[١٢] ﴿إِنَّا نَحْنُ نَحْيِي الْمَوْتَى﴾ في الآخرة ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا﴾ قدم الناس في حياتهم ﴿وَوُكْتُبُ﴾ نكتب ﴿آثَارَهُمْ﴾ الباقية بعد مماتهم كالصدقة الجارية ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ﴾ أحطنا به وأدرجناه ﴿فِي إِمَامٍ﴾ اللوح المحفوظ ﴿مُبِينٍ﴾ واضح.

وَلَوْ يَؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهَرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴿٤٥﴾

سُورَةُ يَسْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَس ١ وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ ٢ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ٣ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ٤ تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ٥ لَتَنْذِرُنَّ قَوْمًا مَا أَنْذَرِ آبَاؤُهُمْ ٦ فَهُمْ غَافِلُونَ ٧ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ ٨ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ٩ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ ١٠ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ١١ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنْذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ١٢ إِنَّمَا تَنْذِرُ مَنْ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ١٣ إِنَّا نَحْنُ نَحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ١٤

[١٣] ﴿واضرب لهم﴾ لهؤلاء الكفار ﴿مثلاً﴾ من قصص الأمم السابقة الموجبة للعبارة ﴿أصحاب القرية﴾ إنطاكية في سوريا ﴿إذ جاءها المرسلون﴾ رسل عيسى عليه السلام لهداية الناس.

[١٤] ﴿إذ أرسلنا إليهم﴾ أولاً ﴿اثنتين فكذبوهما﴾ أي كذب أصحاب القرية الرسولين ﴿فعرزنا﴾ قوبلناهما ﴿ب﴾ رسول ﴿ثالث﴾ جاءهم ﴿فقالوا﴾ أي الرسل ﴿إنا إليكم مرسلون﴾.

[١٥] ﴿قالوا﴾ أي أهل القرية ﴿ما أنتم إلا بشر مثلنا﴾ فلا تصلحون للرسالة ﴿وما أنزل الرحمن من شيء﴾ وحي ورسالة ﴿إن﴾ ما ﴿أنتم إلا تكذبون﴾.

[١٦] ﴿قالوا﴾ أي الرسل ﴿ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون﴾.

[١٧] ﴿وما علينا إلا البلاغ﴾ التبليغ ﴿المبين﴾ الظاهر، أما عدم قبولكم فيعود وباله عليكم.

[١٨] ﴿قالوا﴾ أي أهل القرية ﴿إنا تطيرنا بكم﴾ أي تشأنا من وجودكم ﴿لئن لم تنتهوا﴾ عن ادعائكم الرسالة ﴿لنرجمنكم﴾ لنرمينكم بالحجارة ﴿وليمنسكنم﴾ يصيينكم ﴿منا عذاب اليم﴾ مؤلم.

[١٩] ﴿قالوا﴾ أي الرسل ﴿طائركم﴾ شؤمكم ﴿معكم﴾ أي أنتم سبب شؤمكم لكفركم ﴿أئن ذكرتم﴾ الاستفهام مجاوزون الحد.

للإنكار، أي هل وعظنا لكم سبب لرجمكم إيانا وتطيركم بنا، فالجواب محذوف ﴿بل أنتم قوم مسرفون﴾ مجاوزون الحد.

[٢٠] ﴿وجاء من أقصى﴾ آخر ﴿المدينة رجل يسعى﴾ يعدو، وهو حبيب النجار ﴿قال يا قوم اتبعوا المرسلين﴾.

[٢١] ﴿اتبعوا من لا يسألكم أجراً﴾ على الرسالة ﴿وهم مهتدون﴾ إلى طريق الحق.

[٢٢] ﴿ومالي لا أعبد الذي فطرني﴾ خلقتني، أي ما يمتعني عن الهداية ﴿والإله ترجعون﴾ عند البعث، إذ تردون إلى جزائه.

[٢٣] ﴿ءأتخذ﴾ استفهام إنكار أي كيف أخذ ﴿من دونه﴾ دون الله ﴿إلهة إن يردن﴾ أراد بي ﴿الرحمن بضر﴾ بلاء ﴿لا تغن عني شفاعتهم﴾ أي شفاعة الأصنام لا تفيدني في إنقاذي من ذلك الضر ﴿شيئاً ولا ينقذون﴾ أي لا تخلصني تلك الأصنام.

[٢٤] ﴿إني إذا﴾ إذا عبدت الذي لا يفيدني شيئاً ﴿لفي ضلال﴾ انحراف عن الحق ﴿مبين﴾ ظاهر.

[٢٥] ﴿إني أمنت بربكم﴾ الذي خلقكم ﴿فاسمعون﴾ فاسمعوا إيماني، ثم إن القوم قتلوا حبيب النجار فأدخله الله الجنة.

[٢٦] ﴿قيل﴾ والقاتل الملائكة: ﴿ادخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون﴾.

[٢٧] ﴿بما غفر لي ربي﴾ بغفران ربي ﴿وبما﴾ جعلني من المكرمين ﴿عنده﴾ حتى يسبب ذلك إيمان القوم.

وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِلُثْ فِيقَالُوا إِنَّا إِلَهُكُم مَّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبَّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوا إِنَّا نَطْغِيرُ نَابَكُمْ لَئِنْ لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجِمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا طَائِفُكُمْ مَّعَكُمْ أَجَنُّ زُكْرٌ مُّ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَدْعُو أَتَّبِعُوا أَتَّبِعُوا مِنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ لَمُهْتَدُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَالِيَ لَا أُعْبُدُ إِلَّا لِلَّهِ فُطِرَ لِي إِلَهِ تَرْتَعُونَ ﴿٢١﴾ أَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً وَلَا يُنْقِذُونِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَدْرَأْتُكَ لَئِنِ إِذَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِنْ أَمْنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ ﴿٢٤﴾ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٦﴾

[٢٨] ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا النِّجَارُ مِنْ جُنْدٍ﴾ جيش ﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾ لأجل محاربتهم ﴿وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ﴾ أي ليس من شأننا الإنزال .

[٢٩] ﴿إِنْ﴾ ما ﴿كَانَتْ﴾ العقوبة التي أنزلنا بهم لكفرهم ﴿إِلَّا صَبِيحَةً وَاحِدَةً﴾ بأن صاح بهم جبرئيل فأهلكهم ﴿فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾ ميتون .

[٣٠] ﴿يَا حَسْرَةً﴾ تحسراً وتحزناً ﴿عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ والمعنى إن الكفار حقيقون بأن يتحسروا عليهم .

[٣١] ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ﴾ للكثرة ﴿أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ﴾ الأمم المكذبة ﴿أَنَّهُمْ﴾ إي الهالكين ﴿إِلَيْهِمْ﴾ إلى هؤلاء القوم ﴿لَا يَرْجِعُونَ﴾ فقد انقطعوا عن الدنيا تماماً ولا مرجع حتى يتدارك الإنسان ما فرط منه .

[٣٢] ﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿كُلَّ لَمَّا﴾ إلا ﴿جَمِيعٍ لَدَيْنَا﴾ لدى جزائنا في الآخرة ﴿مُحْضَرُونَ﴾ يحضرون لأجل الحساب .

[٣٣] ﴿وَأَيَّةٌ﴾ دالة على وجود الله وقدرته ﴿لَهُمْ﴾ لأبصارهم ﴿الْأَرْضِ الْمَيْتَةِ﴾ عن النبات ﴿أَحْيَيْنَاهَا﴾ بالنبات والشجر ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا﴾ جنس الحب كالحنطة ﴿فَمِنْهُ﴾ أي من ذلك الحب ﴿يَأْكُلُونَ﴾ .

[٣٤] ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا﴾ في الأرض ﴿جَنَّاتٍ﴾ بساتين ﴿مِنْ﴾ نخيل وأعناب وفجراً ﴿أَخْرَجْنَا﴾ فيها من العيون ﴿عِوْنَ الْمَاءِ﴾ .

[٣٥] ﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ﴾ فأكهة ما ذكر من الجنات ﴿وَمَا عَمَلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ فإنه من عمل الله ، لا من عمل أيديهم ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ .

[٣٦] ﴿سُبْحَانَ﴾ أنزه تنزيهاً ﴿الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ﴾ الأصناف من النبات والحيوان والإنسان وغيرها ﴿كُلَّهَا مِمَّا نَبَتْ الْأَرْضَ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ ذكراً وأنثى ﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ من الموجودات الكائنة في الكون ، مثلاً الكهرباء التي لم يعلموها ذلك الوقت ، ذكر وأنثى .

[٣٧] ﴿وَأَيَّةٌ لَهُمُ اللَّيْلِ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ﴾ كأن النهار جلد على الليل ، كالجلد على الحيوان ، فإذا سلخ النهار ظهر الليل ﴿فَإِذَا هُمْ مَظْلُومُونَ﴾ داخلون في الظلام .

[٣٨] ﴿وَأَيَّةٌ لَهُمُ الشَّمْسُ﴾ في حال كونها ﴿تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ منتهى وجودها ، إذ في يوم القيامة تبطل الشمس ﴿ذَلِكَ﴾ الجري ﴿تَقْدِيرَ الْعَزِيزِ﴾ الذي لا يغالب ﴿الْعَلِيمِ﴾ بما هو الصلاح .

[٣٩] ﴿وَالْقَمَرَ قَدْرَنَاهُ﴾ قدرنا لسيره ﴿مَنَازِلَ﴾ في السماء ﴿حَتَّىٰ عَادَ﴾ رجع في آخر منازلها الثمانية والعشرين ﴿كَالْمَرْجُونِ﴾ عذق التمر ﴿الْقَدِيمِ﴾ العتيق في الدقة والقوس والاصفرار .

[٤٠] ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي﴾ يصح ويجوز ﴿لَهَا أَنْ تَدْرِكَ الْقَمَرَ﴾ في سرعة سيرها ، فإن ذلك يفسد نظام الكون ﴿وَلَا اللَّيْلِ سَابِقُ النَّهَارِ﴾ بأن يسبقه فيدخل في وقته ، فمثلاً يرى في وسط النهار مفاجئة الليل ﴿وَكُلٌّ﴾ من الشمس والقمر ﴿فِي فَلَكَ﴾ دائرة ﴿يَسْبَحُونَ﴾ يجرون ، كما يسبح الإنسان في الماء .

﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ﴾ (٢٨) ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَبِيحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾ (٢٩) ﴿يَحْسِرَةَ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ (٣٠) ﴿الْقُرُونِ أَتَمَّ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ (٣١) ﴿وَأَيَّةٌ لَهُمْ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ (٣٢) ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجْرًا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ﴾ (٣٣) ﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ (٣٤) ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا نَبَتْ الْأَرْضَ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣٥) ﴿وَأَيَّةٌ لَهُمُ اللَّيْلِ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مَظْلُومُونَ﴾ (٣٦) ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ (٣٧) ﴿وَالْقَمَرَ قَدْرَنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ (٣٨) ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلِ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (٤٠)

[٤١] ﴿وَأَيُّ لَهْمٍ أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ أولادهم، أما هم وإن كان إركابهم آية أيضاً، لكنهم حيث يتمكنون من السباحة كانت القدرة بالنسبة إلى الذرية أظهر ﴿فِي الْفُلْكِ﴾ السفينة ﴿الْمَشْحُونِ﴾ المملوء، كيف لا يغوص في الماء ويفرق. [٤٢] ﴿وَحَمَلْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ﴾ مثل الفلك في الماء ﴿مَا يَرْكَبُونَ﴾ في البر وهي الخيل والبغال والحمير.

[٤٣] ﴿وَلَا يَنْقُذُونَ﴾ لا ينقذهم أحد من الموت. [٤٤] ﴿لَا رَحْمَةً مِنَّا لَهُمْ﴾ لهم ﴿وَمَتَاعاً﴾ أي لأجل أن يتمتعوا حسب ما قدر لهم من الحياة ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ وقت آجالهم.

[٤٥] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾ للمشركون ﴿اتَّقُوا﴾ خافوا ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾ ما تقدم عليكم من العذاب الذي نزل على الأمم السابقة ﴿وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ أي النار في الآخرة ﴿لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ﴾ لتكونوا راجين رحمة الله، والجواب مقدر، أي أعرضوا. [٤٦] ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ﴾ أي أدلة ﴿رَبِّهِمْ﴾ إلا كانوا عنها معرضين ﴿فَلَا يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيها حتى يهتدوا. [٤٧] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ أنفقوا مما رزقكم الله ﴿أَعْطَاكُمْ مِنْ مَالِهِ﴾ قال الذين كفروا للذين آمنوا ﴿الَّذِينَ يَأْمُرُونَهُمْ﴾

وَأَيُّ لَهْمٍ أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَحَمَلْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِنْ شَاءَ نَغْرِقْهُمْ فَلَاصِخٌ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقُذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعاً إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّقُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ فَقُولُوا إِنَّ اسْتِزْلَافَ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ اسْتِزْلَافَ صَلَافٍ مُبِينٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا الصَّيْحَةَ وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ وَيُفْخِخُ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا أَنُؤْتِيكُم مِّنْ بَعْشًا مِّنْ مَّرْقَدٍ هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَالْيَوْمَ لَا تَنْظِلُمْ نَفْسٌ شَيْئاً وَلَا تَجْزُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾

بالإنفاق ﴿أَنْطَعِمُ﴾ أي نعطى المال لطعام ﴿مَنْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ أَطْعَمَهُ﴾ فعدم إطعام الله له دليل على أنه تعالى لا يشاء إطعامه فكيف نطعمه نحن ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَنْتُمْ﴾ أيها المؤمنون ﴿إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ واضح - حسب زعمهم - حيث تأمرونا بإطعامهم.

[٤٨] ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ﴾ بالعذاب الذي تعدونا بأنه ينزل بالكفار، قالوا ذلك استهزاء ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في دعواكم بنزول العذاب على غير المؤمن.

[٤٩] ﴿مَا يَنْظُرُونَ﴾ ما ينتظرون ﴿إِلَّا صَيْحَةً﴾ من جبرئيل لإهلاكهم كما صاح على الأمم السابقة ﴿وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ يختصمون في معاملاتهم وأموالهم.

[٥٠] ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾ لأن الصيحة تأخذهم فجأة فلا يقدرון على الوصية ﴿وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ لأنهم يموتون حيث تأخذهم الصيحة فلا يقدرون على الرجوع إلى أهلهم.

[٥١] ﴿وَيُفْخِخُ فِي الصُّورِ﴾ بوق ينفخ فيه إسرافيل فيحى كل الناس للبعث ﴿فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ القبور ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ إلى جزائه ﴿يَنْسِلُونَ﴾ يسرعون.

[٥٢] ﴿قَالُوا﴾ لما شاهدوا أهوال ذلك اليوم ﴿يَا وَيْلَنَا﴾ هلاكاً لنا ﴿مَنْ بَعْشًا﴾ أحياناً ﴿مَنْ مَّرْقَدًا﴾ محل نومنا أو موتنا، ثم قالوا ﴿هَذَا﴾ البعث ﴿مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ﴾ حال كوننا في الدنيا ﴿وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ في كلامهم بالحشر.

[٥٣] ﴿إِنْ﴾ ما ﴿كَانَتْ﴾ النفخة ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ وفي ذلك دلالة على أن الأمر سهل لله سبحانه ﴿فَإِذَا هُمْ﴾ بمجرد الصيحة ﴿جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ حاضرون لأجل الحساب.

[٥٤] ﴿فَالْيَوْمَ لَا تَنْظِلُمْ نَفْسٌ شَيْئاً﴾ بزيادة العقاب أو نقص الثواب ﴿وَلَا تَجْزُونَ إِلَّا مَا﴾ أي جزاء ﴿مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

[٥٥] ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَاكِهِونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ﴾
متنعمون .

[٥٦] ﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ﴾ زوجاتهم الدنيوية والحدیة ﴿فِي ظِلَالٍ﴾ جمع ظل، والمراد عدم إصابتهم الشمس ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ جمع أريكة وهي السرير ﴿مَتَكُونُونَ﴾ في حالة الراحة .

[٥٧] ﴿لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ﴾ أنواع الثمار ﴿وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ﴾ ما يطلبون من أنواع النعم .

[٥٨] ﴿سَلَامٌ﴾ لهم ﴿قُولًا﴾ يقال لهم ﴿مَنْ رَبِّهِمْ﴾ بهم، أي يقال لهم: سلامة لكم من الله عز وجل .

[٥٩] ﴿وَوُكِّلَ لَهُمُ الْكُفَّارُ﴾ امتازوا ﴿بِمَنْزِلِهِمْ﴾ تميزوا عن المؤمنين في هذا اليوم ﴿وَيَقَالُ لَهُمْ﴾ أيها المجرمون .

[٦٠] ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ﴾ ألم أمركم على لسان رسلي ﴿يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾ لا تطيعوه ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ ظاهر العداوة .

[٦١] ﴿وَأَنْ اعْبُدُونِي﴾ وحدي ﴿هَذَا﴾ عبادتي وحدي دون شريك ﴿صِرَاطٌ﴾ طريق ﴿مُسْتَقِيمٌ﴾ لا اعوجاج فيه .

[٦٢] ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ﴾ الشيطان ﴿مِنْكُمْ جِبِلًّا﴾ خلقاً كثيراً ﴿أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾ حتى تحفظوا أنفسكم عن إضلاله .

[٦٣] ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ بها في دار الدنيا .

[٦٤] ﴿أَصْلَوْهَا﴾ ذوقوا حرها ﴿الْيَوْمَ بِسَبَبِ مَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ .

[٦٥] ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ﴾ حتى لا يقدروا على الكلام، وهذا موقف من مواقف القيامة وذلك حين يكذبون في أقوالهم ولا يقبلون بالشهود ولا بكتابتهم ﴿وَنُكَلِّمُنَا أَيْدِيَهُمْ﴾ بما عملوا ﴿وَنَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ فإن الله ينطق بجوارحهم لتشهد عليهم بسببائهم .

[٦٦] ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ﴾ أعميناها طمساً أي محواً لمكانها ﴿فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ﴾ أي انصرفوا عن الطريق الذي كانوا يسلكونه ﴿فَأَنَّى﴾ فكيف ﴿يُبْصِرُونَ﴾ بعد إعمائهم .

[٦٧] ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ﴾ قردة وخنازير ﴿عَلَى مَكَانَتِهِمْ﴾ مع عظم شرفهم الظاهري ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا﴾ إلى المقصد ﴿وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ إلى أهلهم إذ المسوخ لا يكون له مقصد وأهل .

[٦٨] ﴿وَمَنْ نَعْمَرُهُ﴾ نطيل عمره ﴿نُكَلِّسْهُ﴾ نغلبه ﴿فِي الْخَلْقِ﴾ بنقص بنيته وضعف قوته ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ أي من يقدر على ذلك يقدر على إحياء الموتى والطمس والمسح .

[٦٩] ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ﴾ أي الرسول ﷺ ﴿الشَّعْرَ﴾ حيث كانوا يقولون إنه شاعر ﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾ أن يقول الشعر ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هُوَ﴾ القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ تذكرة وموعظة ﴿وَقُرْآنٌ﴾ يُقْرَأُ ﴿مُبِينٌ﴾ واضح .

[٧٠] ﴿لِيُنْذِرَ﴾ يخوف النبي ﷺ ﴿مَنْ كَانَ حَيًّا﴾ عاقلاً فإن الغافل كالميت ﴿وَيُحَقِّقُ﴾ أي يحق ويثبت ﴿الْقَوْلَ﴾ بالعذاب ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ فإن الاستحقاق إنما يكون عقب الإنذار وإتمام الحجة .

إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَاكِهِونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ
فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكُونُونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ
مَا يَدْعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ ﴿٥٨﴾ وَامْتَنَزُوا الْيَوْمَ
أَيُّهَا الْمَجْرُمُونَ ﴿٥٩﴾ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَى آدَمَ أَنْ لَا
تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَإِنْ اعْبُدُونِي
هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا
أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ
﴿٦٣﴾ أَصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ الْيَوْمَ نَخْتِمُ
عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَنُكَلِّمُنَا أَيْدِيَهُمْ وَنَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا
يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا
الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ
عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ
﴿٦٧﴾ وَمَنْ نَعْمَرُهُ نُكَلِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾
وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشَّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ
﴿٦٩﴾ لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيُحَقِّقَ الْقَوْلَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٠﴾

[٧١] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ أي الكفار، ليعتبروا ﴿أَنَا خَلَقْنَا لَهُمْ﴾
﴿لِمَنَافِعِهِمْ﴾ مما عملت أيدينا ﴿مِمَّا أَحَدَّثْنَاهُ وَخَلَقْنَاهُ،
وَأَسْنَدَ الْعَمَلِ إِلَى الْيَدِ اسْتِعَارَةً﴾ (أنعاماً) الإبل والبقر
والغنم ﴿فَنَهَمَ لَهَا مَالِكُونَ﴾ بتملكتنا إياهم.

[٧٢] ﴿وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ﴾ صيرناها منقادة لهم ﴿فَمِنْهَا
رُكُوبُهُمْ﴾ يركبون عليها ﴿وَمِنْهَا يَكْلُونَ﴾ لحمها.

[٧٣] ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ كالانتفاع بالجلد ﴿وَمَشَارِبُ﴾
من لبنها ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ الله بإعطائهم هذه النعم.

[٧٤] ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّعَلَّهُمْ يَنْصَرُونَ﴾
تنصروهم الآلهة في حروبهم.

[٧٥] ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ أي الآلهة ﴿نَنْصَرُهُمْ﴾ نصر
المشركين ﴿وَهُمْ﴾ المشركون ﴿لَهُمْ﴾ للآلهة ﴿جُنْدٌ﴾
خدم ﴿مُحْضَرُونَ﴾ حاضرون لأنهم يخدمون الآلهة.

[٧٦] ﴿فَلَا يَحْزَنُكَ﴾ يا رسول الله ﴿قَوْلُهُمْ﴾ الباطل ﴿إِنَّا
نَعْلَمُ مَا يَسْرُونَ﴾ يخفون من الكلام ﴿وَمَا يَعْلَنُونَ﴾
يظهرون فنجازيهم عليه.

[٧٧] ﴿أَوَلَمْ يَرَ﴾ يعلم ﴿الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ نَظْفَةٍ﴾ من
المني ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ﴾ مخاصم لنا ﴿مُبِينٌ﴾ ظاهر،
فبدل شكره يكون خصماً لله تعالى.

[٧٨] ﴿وَضَرَبْنَا لَهُمُ الْغُصَّةَ﴾ في إنكار البعث بالعظم البالي
﴿وَنَسِىَ خَلْقَهُ﴾ من النطفة، وأن القادر على تبديل النطفة

إلى الإنسان قادر على تبديل العظم البالي إلى الإنسان ﴿قَالَ﴾ في مثله ﴿مَنْ يَحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ بالية.
[٧٩] ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿يَحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا﴾ خلقها ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ فهو قادر على الخلق ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾
عالم فلا يضيع أجزاء الإنسان البالية.

[٨٠] ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الشَّجَرِ الْأَخْضَرَ نَارًا﴾ المرخ والعفار، إذا صُكَّ أحدهما بالآخر خرج منه النار، أو أن الشجر
ينقلب إلى اليابس الذي يشتعل ﴿فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تَوَّاقُونَ﴾ تخرجون النار منه، فمن قدر على إخراج النار من الشجر الأخضر
قادر على البعث.

[٨١] ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ بأن يعيدهم بعد الموت، فإن الخلق ثانياً مثل
الخلق أولاً ﴿بَلَى﴾ قادر على ذلك ﴿وَهُوَ الْخَلَّاقُ﴾ فيقدر على الخلق ﴿الْعَلِيمُ﴾ فيعلم أجزاء المتفرقة.

[٨٢] ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ﴾ فـ (كن) أمره ﴿فَيَكُونُ﴾ ما أَرَادَهُ.

[٨٣] ﴿فَسُبْحَانَ﴾ أنزهه تنزيهاً ﴿الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ﴾ السلطة والملك على ﴿كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ﴾ إلى جزائه ﴿تَرْجِعُونَ﴾ في
يوم القيامة.

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِن مَّاعِينَاتٍ أَيْدِيًا أَنْعَمْنَا لَهُمْ لَهَا
مَلَكُوتٌ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رُكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَكْلُونَ ﴿٧٢﴾
وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَاتَّخِذُوا
مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُمْ يَنْصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ
نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَمْ يَجِدْ لَهُمْ جُنُودًا مُّخْتَصِرِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ
إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلَنُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَمْ نَرِ الْإِنْسَانَ أَنَّا
خَلَقْنَاهُ مِنْ نَظْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبْنَا
لَهُمْ مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾
قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾
الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الشَّجَرِ الْأَخْضَرَ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ
مِنْهُ تُوقَدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾
إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾
فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

سُورَةُ الْيَسَاءِ قَائِمَةٌ

٣٧: سورة الصفات

مكية آياتها مائة واثنان وثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالصَّفَاتِ صَفًا ١ فَأَلْزَجْتَ زَجْرًا ٢ فَالْتَلَيْتَ ذِكْرًا ٣
 إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ٤ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ
 الْمَشْرِقِ ٥ إِنَّا زَيْنَا أَسْمَاءَ الَّذِينَ يَنْتَهِ الْكَوَاكِبُ ٦ وَحِفْظًا
 مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ ٧ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيَقْدِفُونَ
 مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ٨ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ٩ لَأَمِنْ خِطَفٍ
 لُخْطَفَةٍ فَاتَّبِعُوا سَهَابًا ثَاقِبًا ١٠ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا
 أَمْ مَنِ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ ١١ بَلْ عَجِبْتَ
 وَيَسْخَرُونَ ١٢ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ١٣ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ
 ١٤ وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ١٥ أَمْ دَأَيْنَا وَكُنَّا رَأْيًا وَعِظْمًا
 لَوَّا لَمُبْعُوثُونَ ١٦ أَوْ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ١٧ قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ
 ١٨ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ١٩ وَقَالُوا إِنَّا هَذَا
 يَوْمَ الدِّينِ ٢٠ هَذَا يَوْمَ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ٢١
 * أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ٢٢ مِنْ دُونِ
 اللَّهِ فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ٢٣ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ٢٤

- [١] «والصفات» قسمًا بالملائكة المصطفين لإطاعة أوامر الله «صفًا» تأكيد له .
 [٢] «فالزجرات» التي تزجر السحاب وتسوقه «زجرا» .
 [٣] «فالتاليات» لكتب الله «ذكرًا» .
 [٤] «إن» جواب القسم «إلهكم لواحد» .
 [٥] «رب السماوات والأرض وما بينهما ورب المشارق» فإن للشمس في كل يوم مشرقاً .
 [٦] «إنا زينا السماء الدنيا» القربة منكم «بزينة الكواكب» فإن الكواكب مزينة لنا .
 [٧] «و» جعلنا الكواكب «حفظًا» حافظاً «من كل شيطان مارد» خبيث، فإن من سمع منهم كلاماً من السماء رُمي بالشهاب .
 [٨] «لا يسمعون» لا يستمعون «إلى الملا الأعلى» الملائكة، خوفاً منهم «ويقدفون» يرمون «من كل جانب» من جوانب السماء .
 [٩] «دحوراً» أي لأجل الدحر والطرده «ولهم عذاب واصل» دائم في الآخرة .

- [١٠] «إلا» استثناء من واو في «لا يسمعون» «من خطف الخطفة» أي استرق من كلام الملائكة خطفة بسرعة «فأتبعه شهاب» هو النيزك «ثاقب» يثقب الجو فيلحقه ويهلكه .
 [١١] «فاستفتهم» أي سلهم، احتجاجاً «أهم أشد خلقاً» من السماء وما فيها، فإن الخالق للأشد قادر على بعث الأضعف لأنه قسم من الخلق «أم من خلقنا إنا خلقناهم من طين لازب» ملتصق، فهم في اللين والضعف .
 [١٢] «بل عجبتم» من إنكارهم المعاد «ويسخرون» منك .
 [١٣] «وإذا ذكروا» بما يدل على الحشر «لا يذكرون» لا يتعظون .
 [١٤] «وإذا رأوا آية» معجزة «يستسخرون» يبالغون في السخرية .
 [١٥] «وقالوا إن» ما «هذا» الكلام أي القرآن «إلا سحر مبين» ظاهر السخرية .
 [١٦] «إذا متنا وكنا تراباً» بأن تبدل لحمنا تراباً «وعظماً إنا لمبعوثون» في يوم القيامة .
 [١٧] «أو» يبعث «آباؤنا الأولون» .
 [١٨] «قل نعم وأنتم داخرون» صاغرون .
 [١٩] «فإنما هي» البعثة «زجرة» صيحة ونفخة «واحدة فإذا هم» أحياء «ينظرون» ينتظرون ماذا يفعل بهم .
 [٢٠] «وقالوا يا ويلتنا» هلاكنا «هذا يوم الدين» يوم الجزاء .
 [٢١] «هذا يوم الفصل» القضاء «الذي كنتم به تكذبون» في الدنيا فتقولون إنه كذب .
 [٢٢ - ٢٣] ويقول الله للملائكة «احشروا» اجمعوا «الذين ظلموا» أنفسهم بالكفر والشرك «وأزواجهم» أي أشباههم، فعابدهم مع مثله، وعابده الكوكب مع مثله، أي الذين اتبعوا طريقتهم، أو كبارهم مع أتباعهم «وما كانوا يعبدون» من دون الله فاهدوهم «عزفهم» إلى صراط «طريق» «الجحيم» النار .
 [٢٤] «وقفوهم» في الموقف «إنهم مسؤولون» عن عقائدهم وأعمالهم .

[٢٥] ثم يقال لهم ﴿مالك لا تناصرون﴾ لا ينصر بعضكم بعضاً.

[٢٦] ﴿بل هم اليوم مستسلمون﴾ منقادون حيث يرون القوة الهائلة.

[٢٧] ﴿واقبل بعضهم﴾ الأتباع ﴿على بعض﴾ المتبوعين ﴿يتساءلون﴾ يتلاومون.

[٢٨] ﴿قالوا﴾ أي الأتباع ﴿إنكم﴾ أيها السادة ﴿كنتم﴾ تأتوننا عن اليمين ﴿عن طريق الحلف لنا بأنكم على حق وتخدعوننا بذلك﴾.

[٢٩] ﴿قالوا﴾ أي السادة ﴿بل لم تكونوا مؤمنين﴾ إنكم بأنفسكم كنتم ضالين فإننا لم نسب ضلالكم.

[٣٠] ﴿وما كان لنا عليكم من سلطان﴾ سلطة نقهركم على الكفر ﴿بل كنتم قوماً طاغين﴾ بأنفسكم ولذا لم تتبعوا الحق.

[٣١] ﴿فثبت﴾ علينا ﴿جميعاً﴾ قول ربنا ﴿وهو﴾ لنا لذائقون ﴿العذاب﴾ حيث أئذ الله تعالى أن من كفر يذوق العذاب.

[٣٢] ﴿فاغويناكم﴾ أي دعوناكم إلى الضلال ﴿إننا كنا﴾ غاوين ﴿حيث أحببنا أن تكونوا مثلاً﴾.

[٣٣ - ٣٤] ﴿فإنهم﴾ أي السادة والأتباع ﴿يومئذ﴾ يوم القيامة ﴿في العذاب مشتركون﴾ كما كانوا مشتركين في

الضلال في الدنيا. ﴿إننا كذلك﴾ هكذا ﴿نفعل بالمجرمين﴾ الذين أجروا بالشرك.
[٣٥] ﴿إنهم﴾ كانوا إذا قيل لهم: ﴿قولا﴾ لا إله إلا الله يستكبرون ﴿يتكبرون عن التوحيد﴾.
[٣٦] ﴿ويقولون﴾ إننا لتاركوا الهتنا ﴿ترك الأصنام﴾ لشاعر مجنون ﴿يقصدون الرسول ﷺ﴾.
[٣٧ - ٣٨] ﴿بل جاء﴾ الرسول ﷺ ﴿بالحق﴾ لا بالشعر ولا بكلام المجانين ﴿وصدق المرسلين﴾ فكلامه ﷺ يطابق كلامهم ﷺ. ﴿إنكم﴾ أيها المشركون ﴿لذائقوا﴾ تذوقون ﴿العذاب الأليم﴾ المؤلم.
[٣٩] ﴿وما تجزون إلا ما﴾ أي جزء ما ﴿كنتم تعملون﴾.
[٤٠] وهذا حال الناس ﴿إلا عباد الله المخلصين﴾ الذين أخلصهم الله لعبادته.
[٤١] ﴿أولئك لهم رزق معلوم﴾ عند الله، ومن له رزق معلوم في كمال الراحة.
[٤٢] ﴿فواكه﴾ يتفكهون بها ﴿وهم مكرمون﴾ يكرمهم الله.
[٤٣] ﴿في جنات النعيم﴾ ذات النعمة.
[٤٤] ﴿على سرر﴾ جمع سرير في حال كونهم ﴿مقابلين﴾ بعضهم لبعض، يتمتع بعضهم بكلام الآخر ولقائه.
[٤٥] ﴿يطاف عليهم بكأس﴾ أي تقدم الملائكة لهم الكأس التي فيها ﴿من﴾ خمر ﴿معين﴾ جار.
[٤٦] ﴿بيضاء﴾ من صفاتها ﴿لذة﴾ لذیذة ﴿للسايرين﴾.
[٤٧] ﴿لا فيها غول﴾ فساد كما في خمر الدنيا ﴿ولا هم عنها ينزفون﴾ يسكرون.
[٤٨] ﴿وعندهم﴾ زوجات ﴿قاصرات الطرف﴾ قصرت أعينهن على أزواجهن ﴿عين﴾ جمع عيناء أي واسعات العيون.
[٤٩] ﴿كأنهن بيض مكنون﴾ مصون محفوظ عن الفساد فيبقى على صفائه وبياضه.
[٥٠] ﴿فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون﴾ يتحادثون.
[٥١] ﴿قال قائل منهم﴾ إني كان لي قرين ﴿جليس في الدنيا﴾.

الضلال في الدنيا. ﴿إننا كذلك﴾ هكذا ﴿نفعل بالمجرمين﴾ الذين أجروا بالشرك.

[٣٥] ﴿إنهم﴾ كانوا إذا قيل لهم: ﴿قولا﴾ لا إله إلا الله يستكبرون ﴿يتكبرون عن التوحيد﴾.

[٣٦] ﴿ويقولون﴾ إننا لتاركوا الهتنا ﴿ترك الأصنام﴾ لشاعر مجنون ﴿يقصدون الرسول ﷺ﴾.

[٣٧ - ٣٨] ﴿بل جاء﴾ الرسول ﷺ ﴿بالحق﴾ لا بالشعر ولا بكلام المجانين ﴿وصدق المرسلين﴾ فكلامه ﷺ يطابق كلامهم ﷺ.

[٣٩] ﴿إنكم﴾ أيها المشركون ﴿لذائقوا﴾ تذوقون ﴿العذاب الأليم﴾ المؤلم.

[٣٩] ﴿وما تجزون إلا ما﴾ أي جزء ما ﴿كنتم تعملون﴾.

[٤٠] وهذا حال الناس ﴿إلا عباد الله المخلصين﴾ الذين أخلصهم الله لعبادته.

[٤١] ﴿أولئك لهم رزق معلوم﴾ عند الله، ومن له رزق معلوم في كمال الراحة.

[٤٢] ﴿فواكه﴾ يتفكهون بها ﴿وهم مكرمون﴾ يكرمهم الله.

[٤٣] ﴿في جنات النعيم﴾ ذات النعمة.

[٤٤] ﴿على سرر﴾ جمع سرير في حال كونهم ﴿مقابلين﴾ بعضهم لبعض، يتمتع بعضهم بكلام الآخر ولقائه.

[٤٥] ﴿يطاف عليهم بكأس﴾ أي تقدم الملائكة لهم الكأس التي فيها ﴿من﴾ خمر ﴿معين﴾ جار.

[٤٦] ﴿بيضاء﴾ من صفاتها ﴿لذة﴾ لذیذة ﴿للسايرين﴾.

[٤٧] ﴿لا فيها غول﴾ فساد كما في خمر الدنيا ﴿ولا هم عنها ينزفون﴾ يسكرون.

[٤٨] ﴿وعندهم﴾ زوجات ﴿قاصرات الطرف﴾ قصرت أعينهن على أزواجهن ﴿عين﴾ جمع عيناء أي واسعات العيون.

[٤٩] ﴿كأنهن بيض مكنون﴾ مصون محفوظ عن الفساد فيبقى على صفائه وبياضه.

[٥٠] ﴿فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون﴾ يتحادثون.

[٥١] ﴿قال قائل منهم﴾ إني كان لي قرين ﴿جليس في الدنيا﴾.

[٥٢] «يقول» لي توبخاً: «إنيك لمن المصدقين» بالبعث.

[٥٣] «إذا متنا وكنا تراباً وعظاماً إنا لمدنيون» مجزيون.

[٥٤] ثم «قال» ذلك القائل لجلسائه: «هل أنتم مطمعون» هل تحبون الاطلاع على النار فأريكم ذلك المجلس.

[٥٥] «فاطلع» عليه «فرآه» رأى قريته الدنيوي «في سواء الجحيم» في وسطها.

[٥٦] «قال» مخاطباً لقريته «تالله» والله «إن» مخففة من الثقيلة «كدت» قربت «لتردين» لتهلكني ياغواثك.

[٥٧] «ولولا نعمة ربي» بأن لطف بي فحفظني «لكنت من المحضرين» في النار.

[٥٨] ثم يوجه الكلام إلى الكفار «أفما نحن بميتين» أتخذل في الدنيا إلى الأبد حتى أنتم تنكرون الآخرة.

[٥٩] «إلا موتنا الأولى» التي كنا ميتين قبل إحيائنا «وما نحن بمعدين» على الكفر.

[٦٠] «إن هذا» الفوز بالجنان «لهو الفوز العظيم».

[٦١] «لمثل هذا» الفوز «فليعمل العاملون».

[٦٢] «أذلك» المذكور من الثواب «خير نزلًا» ما يعد للضيف من المأكول ونحوه «أم شجرة الزقوم» التي هي نزل أهل النار.

[٦٣] «إنا جعلناها فتنة» عذاباً في الآخرة «للفالسين» في الدنيا.

[٦٤] «إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم» في قعرها.

[٦٥] «طلعها» حملها وثمرها في البشاعة «كانه رؤوس الشياطين».

[٦٦] «فإنهم» أهل النار «لاكلون منها» من تلك الشجرة «فماثلون منها البطون» لشدة جوعهم.

[٦٧] «ثم إن لهم عليها» أي بعد الأكل إذا عطشوا، لمرارة تلك الثمرة «لشوبا» أي شرباً من الصديد^(١) المشوب بماء «من حميم» الحار.

[٦٨] «ثم إن مرجعهم» رجوعهم بعد ذلك الأكل والشرب «لإلى الجحيم» النار، أي لا مخلص لهم منها.

[٦٩] «إنهم ألفوا» وجدوا «آباءهم ضالين».

[٧٠] «فهم على آثارهم يهرعون» يسرعون في الضلال.

[٧١] «ولقد ضل قبلهم» قبل قومك يا رسول الله «أكثر الأولين».

[٧٢] «ولقد أرسلنا فيهم منذرين» رسلاً مخوفين لهم.

[٧٣] «فانظر كيف كان عاقبة المنذرين» الأمم الذين خوفوا فلم ينفعهم الإنذار كانت عاقبتهم العذاب.

[٧٤] «إلا» الذين قبلوا الإنذار «عباد الله المخلصين» الذين أخلصهم الله لطاعته.

[٧٥] «ولقد نادانا نوح» بأن نصره «فلنعم المجبيون» له نحن.

[٧٦] «ونجيناه وأهله من الكرب العظيم» أذى القوم له.

(١) الصديد: القيح والدم، أو ما يسيل من جلود أهل النار.

يَقُولُ أَهْلُكَ لِمَنِ الْمَصْدِقِينَ ﴿٥٢﴾ لَهُ دَامِنَا وَكَانَ تَرَاباً وَعِظْماً أَيْنَا
لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطْمَئِنُونَ ﴿٥٤﴾ فَاطْلَعُ فَرَأَاهُ فِي سَوَاءِ
الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدْتَ لَتُرْدِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي
لَكُنْتُ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتُنَا
الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَذِهِ هِيَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾
لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾ أَذَلِكَ خَيْرٌ نَزْلاً أَمْ شَجَرَةُ
الزَّقُومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ
تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٦٥﴾
فَإِنَّهُمْ لَا يَكُونُونَ مِنْهَا قَائِلُونَ ﴿٦٦﴾ مِمَّا الْبَطُونَ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ
عَلَيْهَا شَوْباً مِنْ حَمِيمٍ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ﴿٦٩﴾
إِنَّهُمْ أَلفُوا أَبَاءَهُمْ فِرْعَافِينَ ﴿٧٠﴾ فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ يَهْرَعُونَ ﴿٧١﴾
وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأُولَىٰ ﴿٧٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ
مُنذِرِينَ ﴿٧٣﴾ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذِرِينَ ﴿٧٤﴾
إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعَمْ
بِمُجِيبُونَ ﴿٧٦﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٧﴾

[١٠٣] ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا﴾ أي الأب والابن لأمر الله ﴿وَتَلَّهُ﴾ ألفاء إبراهيم عليه السلام ﴿لِلْجَبِينِ﴾ على وجهه على الأرض، وجواب لما محذوف، أي كان ما كان.

[١٠٤ - ١٠٥] ﴿وَنَادِيَنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَقْتَ الرَّوْيَا﴾ بأن عملت ما هو مربوط بك، أما عدم ذبح الولد فلم يك مقدوراً لإبراهيم عليه السلام لأن القطع إنما هو بإذن الله ﴿إِنَّا كَذَلِكَ﴾ هكذا بإعطائه درجة المطيع من دون وصول أذى إليه ﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾.

[١٠٦] ﴿إِن هَذَا﴾ الأمر بالذبح ﴿لَهُوَ الْبَلَاءُ﴾ الامتحان ﴿الْمَبِينُ﴾ الظاهر.

[١٠٧] ﴿وَفَدَيْنَاهُ﴾ أي إسماعيل عليه السلام ﴿بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾ فقد جاء كبش من الجنة فذبحه إبراهيم عليه السلام عوض إسماعيل عليه السلام وما أعظمها من كرامة، وفي التأويل إنه غُوض بالحسين عليه السلام.

[١٠٨] ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ﴾ على إبراهيم عليه السلام ذكراً حسناً ﴿فِي الْآخِرِينَ﴾ الأمم المتأخرة.

[١٠٩ - ١١٣] ﴿سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ * كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين * وباركنا عليه * على إبراهيم عليه السلام ﴿وَعَلَى إِسْحَاقَ﴾ بأن أخرجنا من ذريتهما الأنبياء عليهم السلام ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ﴾ على نفسه وهم المؤمنون الطائعون ﴿وِظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾ بالكفر والمعاصي ﴿مُبِينٌ﴾ بين الضلال والظلم.

[١١٤] ﴿وَلَقَدْ مَتَنَّا﴾ أنعمنا ﴿عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ﴾.

[١١٥] ﴿وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ من أذى فرعون.

[١١٦] ﴿وَنَصَرْنَاهُمْ﴾ موسى وهارون عليهما السلام ﴿وَقَوْمَهُمَا﴾ فكانوا هم الغالبيين ﴿عَلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ﴾.

[١١٧] ﴿وَأَتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿الْمُسْتَبِينَ﴾ البين.

[١١٨ - ١٢٢] ﴿وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ وتركنا عليهما في الآخرين * سلام على موسى وهارون * إنا كذلك نجزي المحسنين * إنهما من عبادنا المؤمنين.

[١٢٣ - ١٢٤] ﴿وَإِنِّيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ إذ قال لقومه ألا تتقون الكفر والمعاصي، على نحو استفهام الإرشاد.

[١٢٥] ﴿أَتَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿بِعُلَاقٍ﴾ صنماً كانوا يعبدونه يسمى البعل، أو البعل في لغته بمعنى الرب ﴿وَتَذَرُونَ﴾ تتركون عبادة ﴿أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾.

[١٢٦] ﴿اللَّهُ﴾ بدل من (أحسن) ﴿رَبِّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ﴾.

فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَتَدْنِيَهُ أَنْ يَأْتِيَنَّاهُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَقْتَ الرَّوْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّا هَذَا كَذَلِكَ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشِّرْنَاهُ بِنَبَأٍ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾ وَلَقَدْ مَتَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴿١٢٠﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٢﴾ إِنَّمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٣﴾ وَإِنِّيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٤﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٥﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٢٦﴾ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ ﴿١٢٧﴾

[١٢٧] ﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ يوم القيامة للحساب.

[١٢٨ - ١٢٩] ﴿إِلَّا﴾ استثناء من (كذبوه) ﴿عباد الله المخلصين﴾ وتركنا عليه في الآخرين.

[١٣٠ - ١٣٢] ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ آلِ يَاسِينَ﴾ لغة في إيلياس ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ إنه من عبادنا المؤمنين ﴿وَفِي التَّوِيلِ إِنَّ يَاسِينَ اسْمَ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ وَأَلَّهُ أَهْلَ بَيْتِهِ ﷺ﴾.

[١٣٣ - ١٣٥] ﴿وَإِنْ لَوْطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ إذ نجيناه وأهله أجمعين ﴿إِلَّا عَجُوزًا﴾ زوجته الكافرة ﴿فِي الْغَابِرِينَ﴾ الباقين الذين أهلكوا بالعذاب.

[١٣٦] ﴿ثُمَّ دَمَرْنَا أَهْلَكُنَا بَعْدَ نَجَاتِ لُوطٍ ﷺ﴾ الآخرين.

[١٣٧ - ١٣٨] ﴿وَإِنكُم﴾ يا أهل مكة ﴿لَتَمْرُؤُونَ عَلَيْهِمْ﴾ على منازلهم القريبة من الشام ﴿مُصْبِحِينَ﴾ وبالليل صباحاً ومساءً عند سفرهم إلى الشام ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ تعتبرون بهم.

[١٣٩ - ١٤٠] ﴿وَإِنْ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ إذ أبق ﴿هَرَبَ مِنْ قَوْمِهِ﴾ إلى الفلك ﴿السَّفِينَةَ﴾ المشحون المملوء من الناس.

[١٤١] ﴿فَسَاهَمَ﴾ فقارع، لأن السفينة أشرفت على الغرق فرأوا أنهم إن طرحوا واحداً في البحر لم يغرق الباقيون فاقرعوا وخرجت القرعة باسم يونس ﷺ ﴿فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾ المغلوبين بالقرعة فألقى في البحر.

[١٤٢] ﴿فَالْتَقَمَهُ الْحَوْتُ﴾ ابتلعه ﴿وَهُوَ مَلِيمٌ﴾ مستحق اللوم لأنه خرج من قومه من غير أمر ربه وكان ذلك ترك الأولى.

[١٤٣] ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ في بطن الحوت.

[١٤٤] ﴿وَلَلْبُحْتُ فِي بَطْنِهِ﴾ بطن الحوت ﴿إِلَى يَوْمٍ يَمُوتُونَ﴾ بأن صار بطنه قبراً له إلى يوم القيامة، أي لم يخرج منه حياً.

[١٤٥] ﴿فَنَبَذْنَاهُ﴾ طرحناه ﴿بِالْبَرَاءِ﴾ بالصحراء ﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ مريض من جراء حبسه في بطن الحوت.

[١٤٦] ﴿وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ﴾ القرع فغطته بأوراقها.

[١٤٧] ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ﴾ إنسان ﴿أَوْ﴾ بمعنى الواو ﴿يُزَيِّدُونَ﴾ على هذا العدد.

[١٤٨] ﴿فَأَمْنُوا فَمَتَعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾ آجالهم فلم يأخذهم العذاب.

[١٤٩] ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ﴾ سل قومك، توبيخاً لهم ﴿أَلَرَبُّكَ الْبَنَاتُ﴾ إذ قال المشركون إن الملائكة بنات الله ﴿وَلَهُمُ الْبَنُونَ﴾ بأن يولد لهم الابن.

[١٥٠] ﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾ حاضرون وقت خلقهم.

[١٥١] ﴿إِلَّا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ﴾ كذبهم ﴿لَيَقُولُونَ﴾:

[١٥٢] ﴿وَلَدَ اللَّهُ﴾ صارت له أولاد ﴿وَأَنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ في قولهم.

[١٥٣] ﴿أَصْطَفَى﴾ أي هل اختار الله ﴿الْبَنَاتَ عَلَى الْبَنِينَ﴾ والاستفهام للإنكار.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ [١٢٧] ﴿لَا عِبَادَ لِلَّهِ إِلَّا الْمُخْلِصُونَ﴾ [١٢٨] ﴿وَرَكَّعَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ [١٢٩] ﴿سَلَّمَ عَلَىٰ آلِ يَاسِينَ﴾ [١٣٠] ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [١٣١] ﴿إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ [١٣٢] ﴿وَإِنْ لَوْطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [١٣٣] ﴿إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾ [١٣٤] ﴿إِلَّا عَجُوزًا﴾ [١٣٥] ﴿فِي الْغَابِرِينَ﴾ [١٣٦] ﴿ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخِرِينَ﴾ [١٣٧] ﴿وَإِنكُم لَتَمْرُؤُونَ عَلَيْهِمْ مُّصْبِحِينَ﴾ [١٣٨] ﴿وَاللَّيْلُ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [١٣٩] ﴿وَإِنْ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [١٤٠] ﴿إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ [١٤١] ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾ [١٤٢] ﴿فَالْتَقَمَهُ الْحَوْتُ وَهُوَ مَلِيمٌ﴾ [١٤٣] ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ [١٤٤] ﴿لَلْبُحْتُ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ﴾ [١٤٥] ﴿فَنَبَذْنَاهُ بِالْبَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ [١٤٦] ﴿وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ﴾ [١٤٧] ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [١٤٨] ﴿فَأَمْنُوا فَمَتَعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾ [١٤٩] ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَلَرَبُّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ﴾ [١٥٠] ﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾ [١٥١] ﴿إِلَّا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ﴾ [١٥٢] ﴿وَلَدَ اللَّهُ وَلَهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [١٥٣] ﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتَ عَلَى الْبَنِينَ﴾ [١٥٤]

[١٥٤] ﴿مَالِكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ بما لا يقبله عقل ولا دليل لكم عليه .

[١٥٥] ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ إنه سبحانه منزّه عن ذلك .

[١٥٦] ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ﴾ حجة ﴿مبين﴾ ظاهرة بأن الله ولد البنات .

[١٥٧] ﴿فَاتُوا بِكُتَابِكُمْ﴾ الدال على قولكم ﴿إن كنتم صادقين﴾ في قولكم .

[١٥٨] ﴿وَجْعَلُوا بَيْنَهُ بَيْنَ اللَّهِ﴾ وبين الجنة ﴿الجن﴾ ﴿نسباً﴾ قالوا إن الله صاهر الجن فوجدت الملائكة ﴿ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون﴾ للحساب ، ولو كان بينهم وبين الله نسباً لم يحاسبهم للجزاء .

[١٥٩] ﴿سَبِّحَانَ اللَّهِ﴾ أنزهه تنزيهاً ﴿عما يصفون﴾ يصفونه من الولد والزوجة .

[١٦٠] ﴿إِلَّا﴾ استثناء عن (يصفون) فإن المخلصين لم يصفوا الله بالوصف الباطل ﴿عباد الله المخلصين﴾ الذين أخلصهم الله لطاعته .

[١٦١] ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ من الأصنام .

[١٦٢] ﴿مَا أَنْتُمْ﴾ أيها الكفار ﴿عليه﴾ على الله ﴿يفاتنين﴾ بمفسدين الناس .

[١٦٣ - ١٦٤] ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ﴾ يصلي النار أي أن الذين يتمكن الكفار وأصنامهم إفساده وإضلاله هم

الذين سبق في علم الله إنهم أصحاب الجحيم . ﴿وما منا﴾ معاشر الملائكة ، وهذا كلامهم ردّاً على قول الكفار إن الملائكة بنات الله ﴿إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾ من الطاعة لا يتمكن أن يتجاوزوه .

[١٦٥ - ١٦٦] ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ﴾ حول العرش أو نصطف للعبادة . ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ المتزهدون لله تعالى .

[١٦٧ - ١٦٩] ﴿وَإِنْ﴾ مخففة من الثقيلة ﴿كانوا ليقولون﴾ أي كفار مكة ﴿لو أن عندنا ذكراً﴾ كتاباً ﴿من الأولين﴾ من كتبهم بأن نزل علينا كتاب مثل كتبهم . ﴿لكننا عباد الله المخلصين﴾ الذين أخلصهم الله لطاعته .

[١٧٠] ﴿فَ﴾ لما أنزل عليهم الكتاب ﴿كفروا به﴾ وتبين كذبهم ﴿فسوف يعلمون﴾ عاقبة كفرهم .

[١٧١] ﴿ولقد سبقت كلمتنا﴾ وعدنا بالنصر ﴿لعبادنا المرسلين﴾ .

[١٧٢] ﴿إنهم﴾ مفسر لـ ﴿كلمتنا﴾ ﴿لهم المنصورون﴾ نصرهم على أعدائهم .

[١٧٣] ﴿وإن جندنا﴾ وهم المؤمنون ﴿لهم الغالبون﴾ على أعدائهم .

[١٧٤] ﴿فتول﴾ أعرض يا محمد ﷺ ﴿عنهم حتى حين﴾ حين تؤمر بقتالهم .

[١٧٥] ﴿وأيصروهم﴾ بالأصول والشرائع ﴿فسوف ييصبون﴾ يرون حقية ما قلت لهم .

[١٧٦] ﴿أفيعذابنا يستعجلون﴾ فإنهم كانوا يقولون لو أنك صادق اتنا بالعذاب ، والاستفهام للتهديد .

[١٧٧ - ١٧٨] ﴿فإذا نزل﴾ العذاب ﴿بساحتهم﴾ ببناء دارهم ﴿فساء﴾ بش ﴿صباح المنذرين﴾ صباحهم ، فإن الغارة غالباً كانت قبل الصباح . ﴿وتول﴾ أعرض ﴿عنهم حتى حين﴾ حين تؤمر بقتالهم .

[١٧٩] ﴿وأيصروهم﴾ فسوف ييصبون .

[١٨٠ - ١٨١] ﴿سبحان ربك﴾ تنزيهاً لربك يا محمد ﷺ ﴿رب العزة﴾ الذي له كل عزة ﴿عما يصفون﴾ يصف الكفار الله به من الأولاد والشريك والزوجة . ﴿وسلام﴾ تحية ﴿على المرسلين﴾ .

[١٨٢] ﴿والحمد لله﴾ على ما أنعم ﴿رب العالمين﴾ كل عالم من عوالم الكون .

مَالِكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَاتُوا بِكُتَابِكُمْ ﴿١٥٧﴾ وَجْعَلُوا بَيْنَهُ بَيْنَ اللَّهِ ﴿١٥٨﴾ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ ﴿١٥٩﴾ سَبِّحَانَ اللَّهِ ﴿١٥٩﴾ سَبِّحَانَ اللَّهِ ﴿١٦٠﴾ سَبِّحَانَ اللَّهِ ﴿١٦١﴾ سَبِّحَانَ اللَّهِ ﴿١٦٢﴾ سَبِّحَانَ اللَّهِ ﴿١٦٣﴾ سَبِّحَانَ اللَّهِ ﴿١٦٤﴾ سَبِّحَانَ اللَّهِ ﴿١٦٥﴾ سَبِّحَانَ اللَّهِ ﴿١٦٦﴾ سَبِّحَانَ اللَّهِ ﴿١٦٧﴾ سَبِّحَانَ اللَّهِ ﴿١٦٨﴾ سَبِّحَانَ اللَّهِ ﴿١٦٩﴾ سَبِّحَانَ اللَّهِ ﴿١٧٠﴾ سَبِّحَانَ اللَّهِ ﴿١٧١﴾ سَبِّحَانَ اللَّهِ ﴿١٧٢﴾ سَبِّحَانَ اللَّهِ ﴿١٧٣﴾ سَبِّحَانَ اللَّهِ ﴿١٧٤﴾ سَبِّحَانَ اللَّهِ ﴿١٧٥﴾ سَبِّحَانَ اللَّهِ ﴿١٧٦﴾ سَبِّحَانَ اللَّهِ ﴿١٧٧﴾ سَبِّحَانَ اللَّهِ ﴿١٧٨﴾ سَبِّحَانَ اللَّهِ ﴿١٧٩﴾ سَبِّحَانَ اللَّهِ ﴿١٨٠﴾ سَبِّحَانَ اللَّهِ ﴿١٨١﴾ سَبِّحَانَ اللَّهِ ﴿١٨٢﴾

سُورَةُ الصَّافَاتِ

٣٨: سورة ص

مكية آياتها ثمان وثمانون

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزِّهِمْ شَقَاقٍ ﴿٢﴾ كَرِهَ الْكَافِرَانِ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَلَا تَجِئْ مِنْ مَنَاصٍ ﴿٣﴾ وَجِئُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرُيْنَهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمَسُوا وَاصِبُوا عَلَيْهِ الْهَيْكَلُ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَافٌ ﴿٧﴾ أَمْ نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرَ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابٍ ﴿٨﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ﴿١٠﴾ جُنْدٌ مَا هُمْ تِلْكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ ﴿١١﴾ كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِنْ كُلِّ إِلَّا كَذَبَ الرَّسُلُ فَحَقَّ عِقَابُ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَأْلَهَا مِنْ فُورٍ ﴿١٥﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْعَانًا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١٦﴾

[١] ﴿ص﴾ رمز بين الله والرسول ﷺ ﴿وَالْقُرْآنِ﴾ قسماً بالقرآن ﴿ذِي الذِّكْرِ﴾ الذي يذكر الناس بالله والآخرة. [٢] لم يكفر من كفر بالقرآن لخلل فيه ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ﴾ استكبار عن الحق ﴿وشقاق﴾ خلاف يريدون به مخالفة الله.

[٣] ﴿كَمِ﴾ أهلكنا من قبلهم من قرن ﴿جماعة وأمة، وهذا تهديد للكفار﴾ ﴿فنادوا﴾ بالاستغاثة عند إهلاكهم ﴿ولات حين مناص﴾ وليس الحين - أي حين نزول العذاب - حين مناص وخلص، لأن العذاب إذا نزل لا يرجع.

[٤] ﴿وعجبوا﴾ أي الكفار ﴿أن جاءهم منذر﴾ نبي ﴿منهم﴾ من أنفسهم لا أجني عنهم ﴿وقال الكافرون هذا﴾ محمد ﷺ ﴿ساحر كذاب﴾ كثير الكذب.

[٥] ﴿أجعل الآلهة إلهاً واحداً﴾ بأن قال بطلان كل الآلهة إلا الله ﴿إن هذا لشيء عجاب﴾ بليغ في التعجب.

[٦ - ٧] ﴿وانطلق﴾ تكلم ﴿الملا﴾ الأشراف ﴿منهم﴾ قال بعضهم لبعض ﴿أن امشوا﴾ في طريقكم الشركي ﴿واصبوا على آلهتكم﴾ عبادتها ﴿إن هذا﴾ الأمر وهو

الشرك ﴿لشيء يراد﴾ منا فلا يجوز لنا أن نعدل إلى غيره. ﴿ما سمعنا بهذا﴾ أي بالتوحيد ﴿في الملَّة﴾ الدين ﴿الآخرة﴾ أي ما أدرنا عليه آباءنا من الدين ﴿إن هذا﴾ ما هذا التوحيد ﴿إلا اختلاق﴾ كذب.

[٨] ﴿أنزل﴾ كيف أنزل ﴿عليه﴾ على محمد ﷺ ﴿الذكر﴾ القرآن ﴿من بيننا﴾ ولم ينزل علينا ﴿بل هم في شك من ذكري﴾ فلا يحملهم على هذا الكلام إلا الشك، أي ليسوا بمتيقنين ببطلانه ﴿بل لما يذوقوا عذاب﴾ لم يذوقوا عذابي بعد، فإذا ذاقوا زال شكهم.

[٩] ﴿أم﴾ هل ﴿عندهم خزائن رحمة ربك﴾ التي من جملتها النبوة حتى لا يعطوها النبي محمد ﷺ وإنما يعطوا النبوة لإنسان آخر ﴿العزیز﴾ الغالب ﴿الوهاب﴾ ما يشاء لمن يشاء.

[١٠] ﴿أم لهم ملك السموات والأرض وما بينهما فليترقا﴾ أي إن زعموا ذلك فليصعدوا ﴿في الأسباب﴾ في المعارج الموصلة إلى السماء ليأتوا بالوحي إلى من يختاروا، فإن لم يكن لهم ملك السموات والأرض فلماذا يتحكمون في الاعتراض على أنه لماذا نزل الوحي على محمد ﷺ.

[١١] ﴿جند ما﴾ أي إن الكفار جند وجماعته قليلون ﴿هنالك﴾ أيضاً للتحقير، كما أن (ما) للتحقير ﴿مهزوم﴾ عما قريب ﴿من الأحزاب﴾ فمن أين لهم التدابير الإلهية والتحكم في شؤون الوحي.

[١٢] ﴿كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد﴾ فإنه كان يعذب الناس بشدهم بالأوتاد.

[١٣] ﴿وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة﴾ أي الذين كانوا في قرب الشجرة الملتفة وهم قوم شعيب ﴿أولئك الأحزاب﴾ الذين تحزبوا على الرسل وكان منهم هذا الجند المنهزم.

[١٤] ﴿إن﴾ ما ﴿كل إلا كذب الرسل فحق﴾ فثبت ﴿عقاب﴾ عقابي عليهم.

[١٥] ﴿وما ينظر﴾ لا ينتظر ﴿هؤلاء﴾ الكفار ﴿إلا صيحة واحدة﴾ نفخة لقبض أرواحهم ﴿مالها من فوق﴾ توقف.

[١٦] ﴿وقالوا﴾ أي الكفار ﴿ربنا عجل لنا قِطْعَانًا﴾ قسطنا من العذاب ﴿قبل يوم الحساب﴾ وهذا قالوه على سبيل الاستهزاء.

[١٧] ﴿اصْبِرْ﴾ يا محمد ﷺ ﴿على ما يقولون﴾ هؤلاء الكفار ﴿واذكر عبدنا داود ذا الأيد﴾ أي القوة ﴿إنه أواب﴾ كثير الرجوع إلى الله .

[١٨] ﴿إنا سخرنا الجبال معه﴾ مع داود ﷺ فإذا سبح ﴿يسبحن﴾ معه ﴿بالعشي﴾ عصرًا ﴿والإشراق﴾ صباحًا .
[١٩] ﴿و﴾ سخرنا ﴿الطير﴾ معه ﴿محشورة﴾ مجموعة ﴿كل﴾ من الجبال والطير ﴿له﴾ لداود ﷺ ﴿أواب﴾ رجاع في التسبيح .

[٢٠] ﴿وشددنا﴾ قوينا ﴿ملكه﴾ بالجنود ﴿وآتيناه﴾ أعطيناه ﴿الحكمة﴾ معرفة وضع الأشياء موضعها ﴿وفصل الخطاب﴾ أي الخطاب الفاصل بين الحق والباطل .

[٢١] ﴿وهل أناك﴾ استفهام للتعجب والتشويق ﴿نبأ﴾ الخصم إذ تسوروا المحراب ﴿صعدوا سور محراب داود ﷺ﴾ .

[٢٢] ﴿إذ دخلوا على داود ففزع﴾ خاف ﴿منهم﴾ لأنهم دخلوا من غير استئذان ومن غير الباب ﴿قالوا﴾ له ﴿لا تخف﴾ فلا نريد بك شرًا وإنما نحن ﴿خصمان﴾ فريقان متخاصمان ﴿بغى﴾ تعدى وظلم ﴿بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط﴾ أي لا تتجاوز الحق ﴿واهدنا إلى سواء﴾ وسط ﴿الصراط﴾ أي العدل، وقد أراد الله بهذه القصة اختبار داود ﷺ وكان مغزى

الاختبار إنه حكم بمجرد سماع المدعي ثم انتبه فاستغفر من هذا التعجيل ولعل دخول الخصم من السور لأجل إيقاع الدهشة في نفسه والإنسان المندهش يستعجل في الكلام .

[٢٣] فقال أحد الخصمين وكانا ملائكة لأجل الامتحان ﴿إن هذا أخي﴾ في الدين أو في الجنس ﴿له تسع وتسعون نعجة﴾ الشاة ﴿ولي نعجة واحدة﴾ فقط ﴿فقال﴾ الأخ ﴿أكفلنيها﴾ أي اجعلني كفيلاً^(١) لنعجتك الواحدة حتى تتم لي مائة نعجة ﴿وعزني﴾ غلبي الأخ ﴿في الخطاب﴾ أي التكلّم والحجاج .

[٢٤] ﴿قال﴾ داود ﷺ بمجرد أن سمع كلام المدعي : ﴿لقد ظلمك﴾ أخوك ﴿ب﴾ سبب ﴿سؤال نعجتك﴾ الواحدة ﴿إلى نعاجه﴾ وإن كثيراً من الخلطاء ﴿الشركاء﴾ ليبغي بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم﴾ أي قليل من لا يظلم شريكه ﴿وظن﴾ علم ﴿داود أنما فتناه﴾ اختبرناه بهذه القصة ﴿فاستغفر ربه﴾ من تعجيله في الحكم وكان ترك الأولى ﴿وخز﴾ سقط ﴿راكعاً﴾ لله في استغفاره ﴿وأناب﴾ رجع إلى الله بالتوبة .

[٢٥] ﴿فغفرنا له ذلك﴾ الترك للأولى ﴿وإن له﴾ لداود ﷺ ﴿عندنا لزلفى﴾ أي قربى في المنزللة ﴿وحسن مآب﴾ أي المرجع الحسن في الآخرة .

[٢٦] ﴿يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى﴾ هوى النفس ﴿فيضلك﴾ اتباع الهوى ﴿عن سبيل الله﴾ إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا﴾ أي بسبب نسيانهم ﴿يوم الحساب﴾ أي لم يهتموا به ولم يعملوا لأجل إنقاذ أنفسهم فيه .

اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾
إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَالطَّيْرَ
مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ
وَفَصَّلَ الْخُطَابَ ﴿٢٠﴾ وَهَلْ أَتَاكَ نَبْوُ الْخَصْمِ إِذْ تَسُورُوا
الْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ
خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ
وَاهِدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً
وَلِي نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ قَالُوا كُفْلُنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ
لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْيِكَ إِلَى نَعْيِهِ وَإِن كَثِيرٌ مِّنَ الْخَاطِلِ لَيَنفِي
بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ
مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾
فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِن لَّمْ يَدْعُكَ لَزُلْفَى وَحَسَنَ مَّآبٍ ﴿٢٥﴾
يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ
بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ
عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾

[٢٧] ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ۚ طَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۖ قَوْلُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ النَّارِ ۖ﴾ ﴿٧﴾ أَمْ جَعَلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ جَعَلَ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٨﴾ كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ ۖ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾ وَوَهَبْنَا لِذَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدَانِ هُوَ وَأُوْبُ ﴿١٠﴾ إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشيِّ الصَّفِيحَتِ الْخِيَادِ ﴿١١﴾ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿١٢﴾ رُدُّوهَُا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿١٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ ﴿١٤﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿١٥﴾ فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿١٦﴾ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بِنَاءٍ وَعَوَاصٍ ﴿١٧﴾ وَآخِرِينَ مَقْرَبِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿١٨﴾ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٩﴾ وَإِن لَّمْ يَكُنْ لَّنَا لُزُومٌ وَحَسَنَ مَّآبٍ ﴿٢٠﴾ وَادْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ وَآتَى مَسْجِدَ الشَّيْطَانِ يَتَضَوِّعُ وَعَدَابٍ ﴿٢١﴾ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٢٢﴾

[٢٨] ﴿أَمْ﴾ أي هل، على نحو استفهام الإنكار ﴿نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ﴾ الذين اتقوا الكفر والمعاصي ﴿كَالْفُجَّارِ﴾ الذين يكثرون الفجور والخروج عن طاعة الله.

[٢٩] هذا القرآن ﴿كَتَابَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ﴾ كثير نفعه وخيره ﴿لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾ ليتفكروا في آيات هذا الكتاب ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ﴾ ليتعظ به ﴿أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ أصحاب العقول.

[٣٠] ﴿وَوَهَبْنَا لِذَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ﴾ سليمان عليه السلام ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ كثير الرجوع إلى الله تعالى.

[٣١] ﴿إِذْ﴾ اذكر زمان ﴿عَرَضَ عَلَيْهِ﴾ على سليمان عليه السلام ﴿بِالْعَشيِّ﴾ وقت العصر ﴿الصَّفَاةَاتِ﴾ الأفراس ﴿الجِيَادِ﴾ الجيادات^(١)، وذلك لتهيئتها للحرب في سبيل الله، ولما طال العرض تأخرت صلاته عن وقت الفضيلة وتلافياً لذلك قدم تلك الأفراس كلها في سبيل الله.

[٣٢] ﴿فَقَالَ﴾ سليمان عليه السلام: ﴿إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ﴾ أي هذا النوع من الحب بأن أحببت الجياد التي أعدت

لسبيل الله، فانصرفت ﴿عَن ذِكْرِ رَبِّي﴾ في وقت الفضيلة ﴿حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ في محللتها، أي انصرفي عن ذكر الله كان من أول العرض إلى حين التواري.

[٣٣] ﴿رُدُّوهَُا﴾ أي الصافات، ﴿عَلَيَّ﴾ ارجعوها إلي لأنفقها في سبيل الله ﴿فَدَ﴾ لما ردت ﴿طَفِقَ﴾ شرع سليمان عليه السلام يمسح الصافات ﴿مَسْحًا بِالسُّوقِ﴾ جمع ساق ﴿وَالْأَعْنَاقِ﴾ جمع عنق، فإن الإعطاء كان بأن يأخذ ساقها فيعطيهما أو عنقها فيعطيهما.

[٣٤] ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا﴾ اختبرنا ﴿سُلَيْمَانَ وَالْقَيْنَا﴾ طرحنا ﴿عَلَى كُرْسِيِّهِ﴾ سريه ﴿جَسَداً﴾ بلا روح حيث ولد له مولود ميت، لأنه لم يقل إن شاء الله حال الواقعة حيث رجا أن يرزق أولاداً يجعلهم في الجهاد، ويحتمل أن يراد بالفتنة اختباره كيف يفعل بهذا الأمر هل يصبر أو يجزع ﴿ثُمَّ أَنَابَ﴾ إلى الله بالتوبة عن تركه الأولى، ولا يخفى أنه كرر في القرآن الحكيم ذكر ترك الأولى للأنبياء عليهم السلام لثلاث يتخذهم الناس أرباباً.

[٣٥] ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي﴾ ترك الأولى ﴿وَهَبْ لِي مُلْكاً لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي﴾ حتى يكون معجزة لي، أو المراد لا يتسهل لسائر الناس ليكون دليلاً لفضلك علي ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ كثير الهبة لمن تشاء.

[٣٦] ﴿فَسَخَرْنَا لَهُ﴾ ذللنا لطاعته ﴿الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً﴾ ليناً ﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾ أراد سليمان عليه السلام فكانت تحمل بساطه وتسير في السماء كما يشاء.

[٣٧] ﴿وَالشَّيَاطِينَ﴾ الجن^(٢) ﴿كُلَّ بِنَاءٍ﴾ يبني في البر ﴿وَعَوَاصٍ﴾ يغوص في البحر، و(كل) بدل من (الشياطين) أي سخرنا البناء والغواص من الشياطين له.

(١) وقالوا: الجياد جمع جواد وهو السريع في الجري.

(٢) فسرت بالأجنة، لأنها مستورة عن الأنظار كالجن.

- [٣٨] ﴿وآخرين﴾ من الشياطين الذين كانوا عصاة ﴿مقرنين﴾ بالسلاسل ﴿في الأصفاد﴾ جمع صفد وهو الوثاق .
- [٣٩] ﴿وقلنا لسليمان عليه السلام﴾ ﴿هذا﴾ الملك ﴿عطاؤنا﴾ لك ﴿فامنن﴾ أعط ما شئت لمن شئت ﴿أو أمسك﴾ ولا تعط ﴿بغير حساب﴾ ولا حرج لك في ذلك .
- [٤٠] ﴿وإن له﴾ لسليمان عليه السلام ﴿عندنا لزلزلي﴾ قرب المتزلة ﴿وحسن مآب﴾ المرجع الحسن بالجنة .
- [٤١] ﴿واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني مسني الشيطان﴾ أصابني ﴿بنصب﴾ تعب ﴿وعذاب﴾ وشدة مكروهه ، وذلك إن الشيطان سبب إحراق زرعه وضرعه وموت أولاده ومرض جسمه ، أو المراد إنه كان يوسوس إليه الشيطان بأنك نبي ولا يرحمك ربك .
- [٤٢] ﴿فقلنا له﴾ ﴿اركض برجلك﴾ أي اضرب برجلك الأرض ، كما يفعل الراكض ﴿هذا﴾ الذي يظهر من الماء بسبب ركضك ﴿مغتسل﴾ محل اغتسال ﴿بارد وشراب﴾ وتشرب منه ، ففعل ذلك فشوفي بإذن الل .

[٤٣] ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ﴾ بأن أحييناهم ﴿ومثلهم معهم﴾ بأن زناه أولاداً جدد ﴿رحمة منا﴾ عليه ﴿وذكري﴾ تذكيراً لمن ينتظر الفرج ﴿أولوي الألباب﴾ أصحاب العقول .
 [٤٤] ﴿وخذ﴾ عطف على (اركض) ﴿بيدك ضعفاً﴾ قبضة من الحشيش ﴿فاضرب به﴾ زوجتك لأنه قالت قولاً فأنكره فحلف أن يضربها مائة عود، وكان ذلك شاملاً لعيدان الضغث وللعصا، وتفصيل مسائل التأديب في الفقه ﴿ولا تحنث﴾ لا تخالف اليمين ولا تؤذ الزوجة أذية كثيرة، وهذا كالتعزير الذي هو بنظر الحاكم الشرعي إن شاء زاد وإن شاء نقص ﴿إننا وجدناه﴾ أي أيوب عليه السلام ﴿صابراً نعم العبد﴾ هو ﴿إنه أواب﴾ كثير الرجوع إلى الله تعالى .

[٤٥] ﴿واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي﴾ أصحاب القوة في طاعة الله ﴿والأبصار﴾ أولي البصيرة في الدين .

[٤٦] ﴿إننا أخلصناهم﴾ جعلناهم خالصين لنا، ومختصين بنا ﴿بـ﴾ سبب صفة خالصة فيهم هي ﴿خالصة ذكرى الدار﴾ أي أنهم كانوا دأمي التذكر للدار الآخرة عاملين لها .

[٤٧] ﴿وانهم عندنا لمن المصطفين﴾ المختارين ﴿الأخيار﴾ جمع خير .

[٤٨ - ٤٩] ﴿واذكر إسماعيل واليسع وهذا الكفل وكل من

وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لَأُولَى الْأَلْبَابِ
 (٤٣) وَخَذَ بِيَدِكَ ضِعْفًا فَضْرَبَ بِهِ وَلَا تَحْنُثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا
 نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ (٤٤) وَاذْكُرْ عِبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
 أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ (٤٥) إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى
 الدَّارِ (٤٦) وَلَهُمْ عِنْدَنَا لِمَنْ الْمُصْطَفِينَ الْآخِيَارِ (٤٧) وَاذْكُرْ
 إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْآخِيَارِ (٤٨) هَذَا ذِكْرٌ
 وَإِنِ لِلْمُتَّقِينَ لِحُسْنِ مَآبٍ (٤٩) جَنَّاتٌ عِدْنُ مِنْتَحَةٍ هُمْ فِيهَا
 (٥٠) مُتَكِنِينَ فِيهَا يُدْعَوْنَ فِيهَا بِفَاكِهِةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ (٥١)
 * وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ (٥٢) هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمٍ
 الْحِسَابِ (٥٣) إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَكُمْ مِنْ نَفَادٍ (٥٤) هَذَا وَابِتَ
 لِلطَّافِعِينَ لَشَرِّ مَا بُدِيَ لَهُمْ أَنْ يَرْتَمِثُوا فِي السُّبُلِ (٥٥) هَذَا
 فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ (٥٦) وَأَخْرَجْنَا مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجَ (٥٧)
 هَذَا فَوْجٌ مُتَنَجِّمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ (٥٨)
 قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَمَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدْ مَتَمَّمْتُمْ لَنَا قِيسَ الْقَرَارِ (٥٩)
 قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَرَدَّهِ عَدَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ (٦٠)

الأخيار * هذا القرآن ﴿ذكر﴾ لمن أراد أن يتذكر ﴿وإن للمتقين لحسن مآب﴾ المرجع الحسن .
 [٥٠] ﴿جنت عدن﴾ إقامة، فإن الناس يقيمون في الجنت ﴿مفتحة لهم الأبواب﴾ أبوابها مفتوحة لهم .
 [٥١] ﴿متكئين فيها﴾ بحالة راحة ﴿يدعون﴾ يطلبون ﴿فيها بفاكهة كثيرة وشراب﴾ ما يشربون .
 [٥٢ - ٥٣] ﴿وعندهم قاصرات﴾ زوجات عيونهن مقصورة على أزواجهن ﴿الطرف﴾ العين ﴿أتراب﴾ جمع ترب، فهن قريبات لهم في السن . ﴿هذا﴾ المذكور من النعم ﴿ما توعدون﴾ أيها المؤمنون ﴿ليوم﴾ في يوم ﴿الحساب﴾ .
 [٥٤] ﴿إن هذا﴾ الذي ذكرناه ﴿لرِزقنا ما له من نفاذ﴾ انقطاع .
 [٥٥] ﴿هذا﴾ للمؤمنين ﴿وإن للطافين﴾ الذين يتجاوزون الحد ﴿لشر مآب﴾ أي المرجع السيئ .
 [٥٦] ﴿جهنم يصلونها﴾ يدخلونها ﴿فبئس المهاد﴾ الفراش الممهد لهم .
 [٥٧] ﴿هذا﴾ أي العذاب ﴿فليذوقوه حميم﴾ ماء شديد الحرارة ﴿وغساق﴾ ما يغسق أي يسيل من صديد^(١) أهل النار .
 [٥٨] ﴿و﴾ عذاب ﴿آخر﴾ لهم ﴿من شكله﴾ مثل العذاب السابق ﴿أزواج﴾ أي أصناف من العذاب لهم .
 [٥٩ - ٦٠] ﴿هذا﴾ الجمع، إذ يؤتى بالأتباع بعد أن دخل النار أسيادهم، فيراد إدخالهم في النار مع السادة، فيقال لأهل النار: ﴿فوج﴾ جمع ﴿مقتحم معكم﴾ أي داخل بشدة فيكم، وذلك لضيق مكانهم في النار، وهو من أقسام عذابها ﴿لا مرحباً بهم﴾ لا يرحب بأولئك الأتباع ﴿إنهم﴾ لأنهم ﴿صالوا النار﴾ داخلوها، وهذا قول القادة بالنسبة إلى الأتباع فيرد عليهم الأتباع قائلين: ﴿قالوا بل أنتم﴾ أيها القادة ﴿لا مرحباً بكم أنتم قدمتموه﴾ أي العذاب ﴿لنا﴾ بسبب إضلالكم إيانا ﴿فبئس﴾ جهنم ﴿القرار﴾ المستقر لنا ولكم .
 [٦١] ﴿قالوا﴾ أي الأتباع: ﴿ربنا من قدم لنا هذا﴾ العذاب ﴿فزدنا عذاباً ضعفاً﴾ لضلاله وإضلاله ﴿في النار﴾ .

[٦٢] ﴿وَقَالُوا﴾ أي الطاغوت: ﴿مالنا لا نرى رجالاً﴾ في النار أي المؤمنين ﴿كنا نعدهم﴾ نحسبهم ﴿من الأشرار﴾ في دار الدنيا.

[٦٣] ﴿اتخذناهم سخرى﴾ أي هل كنا نستعزئ بهم والحال أنهم كانوا أختياراً ﴿أم زاغتم﴾ مالت ﴿عنهم الأبصار﴾ أبصارنا، بأن كانوا أشراراً واقعاً، والآن هم في جهنم ولكن لا نراهم لأن بصرنا لا يقع عليهم.

[٦٤] ﴿إن ذلك﴾ الذي نقلناه من كلام أهل النار ﴿لحق﴾ مطابق للواقع ﴿تخاصم﴾ تنازع، بدل من (حق) ﴿أهل النار﴾.

[٦٥] ﴿قل﴾ يا محمد ﷺ: ﴿إنما أنا منذر﴾ أنذرکم عذاب الله سواء آمنتم أم لا ﴿وما من إله إلا الله الواحد القهار﴾ لكل شيء فلا إله سواه.

[٦٦] ﴿رب السماوات والأرض وما بينهما العزيز﴾ الذي لا يغالب ﴿الفقار﴾ للذنوب.

[٦٧ - ٦٨] ﴿قل هو﴾ ما أنذرکم به ﴿نبأ﴾ خبر ﴿عظيم﴾ * أنتم عنه معرضون.

[٦٩] ﴿ما كان لي من علم بالأعلى﴾ أي بالملائكة ﴿إذ يختصمون﴾ يتكلمون ويتقاولون، فلولاً أي نبي كيف كنت أعلم كلام الملائكة عندما اختصموا في أمر آدم ﷺ وتكلموا مع الله.

[٧٠] ﴿إن يوحى إلي﴾ إلا أنما أنا نذير مبين ﴿ظاهر واضح﴾.

[٧١] ﴿إذ﴾ متعلق بـ (يختصمون) ﴿قال ربك للملائكة إني خالق بشر﴾ آدم ﷺ ﴿من طين﴾.

[٧٢] ﴿فإذا سويته﴾ تمت أعضائه ﴿ونفخت فيه من روحي﴾ أحيينه، وأضاف الروح إلى نفسه تشريفاً ^(١) ﴿فقموا﴾ خزوا ﴿له ساجدين﴾ إكراماً له.

[٧٣ - ٧٤] ﴿فسجد الملائكة كلهم أجمعون﴾ * إلا إبليس استكبر ﴿تكبر﴾ وكان ﴿صار﴾ من الكافرين.

[٧٥] ﴿قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي﴾ لما توليت خلقته بنفسه ﴿استكبرت﴾ هل تكبرت عن السجود له ﴿أم كنت من العالين﴾ بأن كنت في الحقيقة أعلى شأناً منه.

[٧٦] ﴿قال﴾ إبليس: بل الشق الثاني ﴿أنا خير منه﴾ من آدم ﷺ لأنك ﴿خلقتني من نار وخلقته من طين﴾ والنار أشرف من الطين.

[٧٧] ﴿قال﴾ الله: ﴿فاخرج منها﴾ من الجنة ﴿فإنك رجيم﴾ مرجوم مبعد عن رحمة الله.

[٧٨] ﴿وإن عليك لعنتي﴾ طردي وعذابي ﴿إلى يوم الدين﴾ يوم القيامة، حيث هناك تدخل النار.

[٧٩] ﴿قال﴾ الشيطان: ﴿رب فأظنني﴾ أمهلني بالحياة ﴿إلى يوم يبعثون﴾ يوم القيامة.

[٨٠] ﴿قال﴾ الله: ﴿فإنك من المنظرين﴾.

[٨١] ﴿إلى يوم الوقت المعلوم﴾ لعله ظهور الإمام المهدي (عج).

[٨٢] ﴿قال﴾ الشيطان ﴿فبعزتكم﴾ يا رب ﴿لأعوينهم﴾ أضل البشر ﴿أجمعين﴾.

[٨٣] ﴿إلا عبادك منهم المخلصين﴾ الذين أخلصتهم لنفسك.

وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رَجُلًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ اتَّخَذْنَاهُمْ سَخَرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ ﴿٦٣﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ الْوَحْدَ الْقَهَّارُ ﴿٦٤﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْفَقِيرُ ﴿٦٥﴾ قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ﴿٦٦﴾ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٧﴾ مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٨﴾ إِنْ يُوحَى إِلَيَّ إِلَّا أَنْ أَنَذِيرُ مُبِينٌ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ﴿٧٠﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧١﴾ فَسَجَدَ الْمَلَأِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٢﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٣﴾ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿٧٥﴾ قَالَ فَخُذْ مِنْهَا فَاكً رَجِيمٌ ﴿٧٦﴾ وَإِنْ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الْآلِئِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ رَبِّ فَأْظَنِّي إِلَى يَوْمِ يَبْعَثُونَ ﴿٧٨﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٧٩﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٨٠﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَا أُعْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨١﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ﴿٨٢﴾

[٨٤ - ٨٥] ﴿قَالَ﴾ الله: ﴿فالحق﴾ أي ما أريد أن أذكره من الكلام حق، وهو أن جهنم مكانكم ﴿والحق أقول﴾ تفسير لقوله ﴿لأملأن جهنم منك ومن تبعك منهم﴾ من جنس البشر ﴿أجمعين﴾.

[٨٦] ﴿قُلْ﴾ يا رسول الله: ﴿ما أسألكم عليه﴾ على التبليغ ﴿من أجر﴾ فتنفروا من الهداية لأجل الأجر ﴿وما أنا من المتكلفين﴾ الذي تكلف ادعاء الرسالة كذباً فتنفروا من الهداية لأجل أني كاذب.

[٨٧] ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هو﴾ القرآن ﴿إلا ذكر للعالمين﴾. [٨٨] ﴿ولتعلمن نبأه﴾ خبر صدق القرآن ﴿بعد حين﴾ أي بعد الموت.

٣٩: سورة الزمر

مكية آياتها خمس وسبعون

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

[١] ﴿تنزيل الكتاب﴾ القرآن، وهذا مبتدأ خبره ﴿من الله﴾ لا من غيره كما يزعمون ﴿العزیز﴾ الذي لا يغالب ﴿الحكيم﴾ الذي يفعل كل شيء حسب تدبير وإحكام. [٢] ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق﴾ لا بالباطل ﴿فاعبد الله مخلصاً له الدين﴾ أي اخلص الدين والطريقة له تعالى.

[٣] ﴿إلا لله الدين الخالص﴾ فالواجب إخلاص الدين له ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء﴾ أصناماً يعبدونها، يقولون في حاجتهم لاتخاذ الأصنام: ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ أي قربي ﴿إن الله يحكم بينهم في ما هم فيه يختلفون﴾ من الدين، وذلك بإدخال المحق الجنة والمبطل النار ﴿إن الله لا يهدي﴾ إلى الطريق باللفظ الخاص، فإن الإنسان إذا ترك الحق يتركه الله وشأنه حتى يضل ﴿من هو كاذب﴾ على الله في اتخاذ الشركاء والولد ﴿كفار﴾ كثير الكفر للنعم. [٤] ﴿لو أراد الله أن يتخذ ولداً﴾ كما زعموا ﴿لأصطفى﴾ لاختار للولدية ﴿مما يخلق﴾ من خلقه ﴿ما يشاء﴾ هو، لا ما يختاره الناس ويسمون له ولداً لله ﴿سبحانه﴾ أنزهه تنزيهاً عن الولد ﴿هو الله الواحد القهار﴾ الذي يقهر كل شيء. [٥] ﴿خلق السماوات والأرض﴾ لا بالباطل وعبثاً ﴿يكور الليل على النهار﴾ أي يطرح بعض الليل على النهار وذلك حين امتداد الليل ﴿ويكور النهار على الليل﴾ وذلك وقت امتداد النهار ﴿وسخر﴾ ذلل ﴿الشمس والقمر كل يجري لأجل﴾ وقت ﴿مسمى﴾ قد سمي ذلك الوقت وهو يوم القيامة، إذ تبطل حينذاك المنظومة الشمسية ﴿إلا هو العزيز﴾ الذي لا يغالب ﴿الغفار﴾ لمن تاب وآمن.

قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبَعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾

سُورَةُ الزَّمَرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ
الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا
لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَلِلَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ
مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ
فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ
كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَىٰ مِمَّا
يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾
خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يَكُوِّرُ اللَّيْلُ عَلَى النَّهَارِ
وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٥﴾

[٦] ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ فإن ابتداء الخلق آدم ﷺ ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ فإن حواء خلقت من فضل طينة آدم ﴿وَأَنْزَلَ﴾ خلق بسبب ما أنزل من المطر ﴿لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ﴾ الإبل والبقر والضأن والمعز ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ من كل ذكر وأنثى ﴿يَخْلُقُكُمْ﴾ أنتم والحيوانات ﴿فِي بَطُونٍ أَمْهَاتِكُمْ خَلَقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ نطفة فعلة فمضغة فعظاماً فلحماً فإنساناً أو حيواناً ﴿فِي ظِلْمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ ظلمة الرحم والبطن والمشيمة ﴿ذَلِكُمْ﴾ الفاعل لهذه الأشياء ﴿اللَّهُ رَيْكُم لَه الْمَلِكُ﴾ حقيقة ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَى﴾ إلى أين ﴿تَصْرَفُونَ﴾ يعدل بكم عن التوحيد إلى الإشراك.

[٧] ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَ﴾ لا يضره كفركم لأجل ﴿إِنَّ اللَّهَ غَنِي عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ﴾ أي الشكر ﴿لَكُمْ﴾ ولا تنزروا وزر أخرى ﴿لَا تَحْمِلُ نَفْسٌ حَامِلَةً إِنْ نَفْسٍ أُخْرَى بَلْ لِكُلِّ إِنْسَانٍ جِزَاءُ عَمَلِهِ﴾ ثم إلى ربكم ﴿إِلَى جِزَائِهِ﴾ مرجعكم ﴿مَصِيرُكُمْ﴾ فينبئكم ﴿يُخْبِرُكُمْ لِأَجْلِ الْجِزَاءِ﴾ بما كنتم تعملون ﴿مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ﴾ إنه عليهم بذات الصدور ﴿بِمَا أَضْمَرْتُمْ فِي الصُّدُورِ﴾ فكيف بسائر الأعمال الظاهرة.

[٨] ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضَرْبٌ﴾ أصابه ضرر وبلاء ﴿دَعَا رَبَّهُ﴾ ليفرجه ﴿مُنِيبًا﴾ راجعاً ﴿إِلَيْهِ﴾ وحده بلا شريك ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ﴾ أعطاه ﴿نِعْمَةً مِنْهُ﴾ من عند نفسه بلا شراكة الأصنام له في الإعطاء ﴿نَسِيَ مَا﴾ الضر الذي ﴿كَانَ يَدْعُو﴾ الله ﴿إِلَيْهِ﴾ إلى كشفه ﴿مَنْ قَبْلُ﴾ أي حال الضر ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ شركاء ﴿لِيُضِلَّ﴾ فإن نتيجة جعل الأنداد الضلال والإضلال، ولذا صح جعله غاية لجعل الأنداد ﴿عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا﴾ مدة حياتك الزائلة، وهذا تهديد ﴿إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ الملازمين لها في الآخرة.

[٩] ﴿أَمَّنْ﴾ (أم) بمعنى بل ﴿هُوَ قَائِتٌ﴾ خاضع لله ﴿آتَاءٌ﴾ جمع أنى بمعنى الساعة ﴿اللَّيْلِ﴾ أي في ساعاته ﴿سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾ في الصلاة ﴿يُحَذِّرُ﴾ عذاب ﴿الْآخِرَةِ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ بالفوز بالجنة، فهل يستوي هذا الإنسان والإنسان الكافر بربه، والاستفهام للإنكار ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فأولوا العلم هم المؤمنون والجهال هم الكافرون ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ أصحاب العقول، والكافر ليس بصاحب عقل.

[١٠] ﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ خافوه فلا تعصوه ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ أي أطاعوا ﴿فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ في الآخرة بالجنة ﴿وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ﴾ فمن لا يتمكن من الإطاعة في أرض فليهاجر إلى أرض أخرى ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى﴾ يعطى ﴿الصَّابِرُونَ﴾ على الطاعة والمحنة ﴿أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ لأنه لا حصر له.

خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنْ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بَطُونٍ أَمْهَاتِكُمْ خَلَقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظِلْمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ قَاتِي تَصْرَفُونَ ٦ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِي عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُمْ عَلَيْهِمْ رِذَاتُ الصُّدُورِ ٧ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضَرْبٌ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلٍ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ٨ أَمَّنْ هُوَ قَائِتٌ آتَاءٌ الْآخِرَةِ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ٩ قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ١٠

[١١] ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ﴾ أي

أخلص الدين له، بدون شرك.

[١٢] ﴿وَأُمِرْتُ﴾ بذلك ﴿لأنَّ﴾ لأجل أن ﴿أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾

المسلمين ﴿سابقهم إلى الإسلام فإن السابق له فضل.

[١٣] ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾

لعظم أهواله وهو يوم القيامة.

[١٤] ﴿قُلْ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصاً لَهُ دِينِي﴾ أخلص عبادتي له

بلا شرك.

[١٥] ﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ دون الله، وهذا تهديد

لهم ﴿قُلْ إِنْ الْخَاسِرِينَ﴾ في الحقيقة هم ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا

أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ بأن استحق كلهم النار ﴿أَلَا

ذَلِكَ﴾ الخسران ﴿هُوَ الْخَسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ الواضح.

[١٦] ﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظِلَلٌ﴾ أطباق كالظلة ﴿مِنَ النَّارِ

وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظِلَلٌ﴾ أطباق هي ظلل للآخرين ﴿ذَلِكَ﴾ العذاب

هو العذاب الذي ﴿يَخُوفُ اللَّهُ بِهِ﴾ بذلك العذاب

﴿عِبَادَهُ يَا عِبَادُ﴾ عبادي ﴿فَاتَّقُوا﴾ هذا العذاب.

[١٧] ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ﴾ كل ما يعبد من دون

الله ﴿أَنْ يَعْبُدُوهَا﴾ بدل من (الطاغوت) ﴿وَأَنَابُوا﴾ رجعوا

﴿إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبَشْرَى﴾ البشارة بالسعادة في الدارين

﴿فَبَشِّرْ عِبَادَ﴾ أي عبادي، وهم:

[١٨] ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ مثلاً

الأحسن الإتيان بالفريضة والنافلة معاً وهكذا ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ﴾ إلى سبيل الحق ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ أُولُوا الْأَبَابِ﴾^(١) أصحاب العقول.

[١٩] ﴿أَفَمَنْ حَقَّ﴾ ثبت ﴿عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ﴾ بأن ثبت في حقه قوله تعالى (لأملأن جهنم) ﴿وَالْجَوَابَ مُحذَوْفٍ﴾ أي لا تتمكن أن تنقذه ﴿أَفَأَنْتَ تَنْقِذُ﴾ بالهداية ﴿مَنْ فِي النَّارِ﴾ بأن اختار أن يكون من أهل النار.

[٢٠] ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَهْمَ لَهُمْ غَرْفٌ﴾ مشرفة على الجنة ﴿مَنْ فَوْقَهَا غَرْفٌ مَبْنِيَّةٌ﴾ أرفع من الأولى ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَ اللَّهُ﴾ وعدهم الله ذلك وعداً ﴿لَا يَخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾ ما وعده.

[٢١] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ فِى الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ﴾ شكلاً وطعماً ولوناً ﴿ثُمَّ يَهْبِجُ﴾ يبسس ﴿فَتَرَاهُ﴾ بعد الخضرة ﴿مُصْفَراً﴾ صار أصفر ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ حِطَّاماً﴾ مكسراً فتاتاً ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٌ﴾ تذكرة ﴿لِأُولِي الْأَبَابِ﴾ أصحاب العقول.

قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ

أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ

﴿١٣﴾ قُلْ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصاً لِمُ دِينِي ﴿١٤﴾ فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِي

قُلْ إِنْ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا

ذَلِكَ هُوَ الْخَسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظِلَلٌ مِنَ النَّارِ

وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظِلَلٌ ذَلِكَ يَخُوفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَتَّقُونَ ﴿١٦﴾

وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبَشْرَى

فَبَشِّرْ عِبَادَ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ

أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾

أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تَنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ ﴿١٩﴾

لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَهْمَ لَهُمْ غَرْفٌ مِنْ فَوْقَهَا غَرْفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي

مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ أَلَمْ تَرَ

أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعٌ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ

يُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهْبِجُ فَتَرَاهُ مَصْفَراً ثُمَّ

يَجْعَلُهُ حِطَّاماً إِنْ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٢١﴾

[٢٢] ﴿أَمَنَ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِإِسْلَامِهِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ وقبول الحق، وذلك لأنه لما رأى الحق لم يعاند ﴿فَهُوَ عَلَى نُورٍ﴾ هداية وبقين ﴿مِنَ﴾ قبل ﴿رَبِّهِ﴾ كمن ليس كذلك ﴿فَوَيْلٌ لِلنَّاسِ قُلُوبِهِمُ﴾ بأن قست فلم يدخلها نور الإيمان ﴿مِنَ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ أي القسوة تظهر من جهة ذكر الله، إذ لا يدخل الذكر قلوبهم ﴿أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ واضح.

[٢٣] ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ أي القرآن فهو أحسن من كل حديث ﴿كِتَابًا مُّتَشَابِهًا﴾ يشبه بعضه بعضاً في البلاغة وحسن النظم وقوة الأحكام ﴿مُتَّانٍ﴾ يشني على الله ﴿تَقْشَعْرُ﴾ ترتعد ﴿مِنَهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ خوفاً ﴿ثُمَّ ثَلَاثِينَ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبَهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ لتذكرهم رحمته ولطفه ﴿ذَلِكَ﴾ القرآن ﴿هُدًى لِلَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ﴾ ممن قبل الحق ولا يعانده ﴿وَمَن يَضِلَّ اللَّهُ﴾ بأن تركه حتى يضل، لأنه ترك قبول الحق ﴿فَمَا لَهُ مِّنْ هَادٍ﴾ يهديه.

[٢٤] ﴿أَمَنَ يَتَّقِي﴾ يتجنب ﴿بُوجْهِهِ﴾ لأن النار تصل إلى وجهه فكان وجهه وقاية فإن يده تُغل فلا يد له مطلقة تقى وجهه ﴿سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ خير أم من كان منعماً في الجنة ﴿وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ أي وبال أعمالكم التي اكتسبتموها.

[٢٥] ﴿كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي قبل قومك يا محمد ﷺ ﴿فَأَنذَاهُمْ﴾ جاءهم ﴿الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بأن العذاب يأتيهم من هذه الجهة.

[٢٦] ﴿فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ﴾ الذل ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بالمسخ وما أشبه ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ﴾ المعد لهم ﴿أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ لعلموا أن عذاب الآخرة أسوأ.

[٢٧] ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ يحتاج إليه الإنسان في الهداية ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ يتعظون.

[٢٨] ﴿قُرْآنًا﴾ في حال كونه ﴿عَرَبِيًّا﴾ بلغة العرب ﴿غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ لا اعوجاج فيه ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الكفر والعصيان.

[٢٩] ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ للموحد والمشرک ﴿رَجُلًا﴾ مملوكاً ﴿فِيهِ شُرَكَاءُ﴾ سادة له ﴿مُتَشَاكِسُونَ﴾ متنازعون في استخدامه ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا﴾ خالصاً ﴿لِرَجُلٍ﴾ سيد واحد ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ أي لا يستويان مثلاً، فالؤمن له سيد واحد هو الله، والكافر جعل لنفسه سادات متعددة وهم كالمتشاكسين إذ الله لا يرضى عن إطاعة المشرک للصنم ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على إزاهم الحجة ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن الحمد كله لله.

[٣٠] ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ فالكل سيجزون حسب أعمالهم.

[٣١] ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ تتناولون حول أنك بلغت وهم لم يقبلوا، مع علمهم بذلك.

أَمَنَ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِإِسْلَامِهِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ قَوْلٌ
لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبِهِمْ مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أَوَّلُكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾
اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّتَانٍ يَنْفَعُهُمْ
جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ ثَلَاثِينَ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبَهُمْ
إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدًى لِلَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن
يَضِلَّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ﴿٢٣﴾ أَمَنَ يَتَّقِي بُوجْهِهِ سُوءَ
الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ
﴿٢٤﴾ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَاثْنَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ
لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ
الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي
هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْآنًا عَرَبِيًّا
غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ
شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا
أَلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ
﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَبَ بِالْصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ۖ وَالَّذِي جَاءَ بِالْصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ۖ لَّهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ۖ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ۖ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۚ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ۖ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ ۚ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْفِقَارٍ ۖ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِيَ بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَتُ رَحْمَتِهِ ۚ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ۖ قُلْ يَتَقَوَّمُ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلْتُ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۖ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ۖ﴾

[٣٢] ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ﴾ بنسبة الشريك والولد إليه سبحانه ﴿وَكَذَبَ بِالْصِّدْقِ﴾ ما جاء به محمد ﷺ ﴿إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى﴾ محلاً ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ وذلك يكفيهم مجازاة لأعمالهم .

[٣٣] ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالْصِّدْقِ﴾ بأن نفى الولد والشريك عنه تعالى ﴿وَصَدَّقَ بِهِ﴾ أي صدق بالصدق وهو ما جاء به محمد ﷺ ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ الذين يتقون الكفر والآثام .

[٣٤] ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ﴾ من الثواب ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ في الآخرة ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي ذكر من أن لهم ما يشاءون ﴿جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ .

[٣٥] ﴿لِيُكَفِّرَ﴾ اللام للعاقبة أو للغرض ، أي إنما جاءوا بالصدق وصدقوا ، ليمحو ﴿اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا﴾ أعمالهم السيئة فإنها أسوأ من الأعمال الصالحة ، والتفضل في هذه المقامات عرفية ﴿وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي بأحسن جزاء أعمالهم ، إذ للجزاء مراتب .

[٣٦] ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ فلا يضره ما سواه إذا أراد الله كفايته ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ﴾ أيها المؤمن ﴿بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ من الأصنام وما أشبه ، يقولون إن اتقيت أصابك الصنم أو الطاغوي الفلاني بسوء ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ﴾ بأن يتركه حتى يضل إذا عاند الحق ﴿فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ يهديه عن ضلالته ، وهذا وصف لمن يخوف الناس من دون الله .

[٣٧] ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ﴾ بأن يلفظ به ، وهو في طريق الحق ﴿فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ﴾ إذ لا يقدر أحد على إضلاله ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ﴾ لا يغالب فلا يقدر أحد أن يفعل خلاف إرادة الله ﴿ذِي انتِقَامٍ﴾ ينتقم ممن يضل الناس .

[٣٨] ﴿وَلَوْ أَنَّ سَأَلْتَهُمْ﴾ أي المشركين ﴿مَنْ خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ لوضوح أن أصنامهم لم يخلقوها ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ﴾ أخبروني ﴿مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ من الأصنام ما حالها؟ ﴿إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾ بأن يصيبني مكروه ﴿هَلْ هُنَّ﴾ الأصنام ﴿كَاشِفَاتُ﴾ أي دافعات ﴿ضُرِّهِ﴾ أو أرادني برحمة ﴿بَنَفْعٍ﴾ هل هن ممسكات مانعات ﴿رَحْمَتِهِ﴾ ومن المعلوم أنهم يجيبون بالنفي ، إذ لا راد لأمر الله تعالى ، فإذا ما هي فائدة الأصنام والحال أنكم اعترفتم أن الضر والرحمة بيد الله ﴿قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾ يكفيني فلا أحتاج إلى الأصنام ﴿عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ من يريد التوكل .

[٣٩] ﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ على حالكم ، وهذا تهديد بمعنى أن سترون جزاء عملكم ﴿إِنِّي عاملٌ﴾ على مكاني ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ .

[٤٠] ﴿مَنْ﴾ مفعول (تعلمون) ﴿يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ يذله ﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ دائم .

[٤١] ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ ضَلَّٰ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهِ ۖ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ۝﴾ ﴿٤١﴾ ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلَ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝﴾ ﴿٤٢﴾ ﴿أَمْ أَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ ۚ قُلْ أُولَٰئِكَ لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ۝﴾ ﴿٤٣﴾ ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا ۖ لِمُلْكِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝﴾ ﴿٤٤﴾ ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۝﴾ ﴿٤٥﴾ ﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝﴾ ﴿٤٦﴾ ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَا فُتْنًا لَهُمْ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ ۖ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَأَ اللَّهُ مَا لَهُمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ۝﴾ ﴿٤٧﴾

[٤٢] ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى ۖ يُمِيت ۖ الْأَنْفُسَ ۖ بقبض روحها ۖ حين موتها ۖ في الوقت المقرر لموت الأنفس ۖ و ۖ يتوفى وفاة في الجملة بقبض بعض روحه النفس ۖ التي لم تمت ۖ موتاً كاملاً ۖ في منامها ۖ عند المنام فالوفاة الكاملة بيد الله ۖ كذلك وفاة النوم ۖ فيمسخ ۖ الله النفس ۖ التي قضى ۖ وحكم الله ۖ عليها الموت ۖ فيمسكها في حالة نومه ۖ ويرسل ۖ إلى البدن ۖ النفس ۖ الأخرى ۖ التي لم يحكم عليها بالموت ۖ إلى أجل ۖ وقت ۖ مسمى ۖ قد سمي وهو وقت موتها ۖ إن في ذلك ۖ الموت في اليقظة وفي المنام ۖ واليقظة بعد النوم ۖ آيات ۖ أدلة على وجود الله ۖ لقوم يتفكرون ۖ في هذا التدبير العجيب ۖ

[٤٣] ﴿أَمْ ۖ بَل ۖ اتَّخَذُوا ۖ أي المشركون ۖ من دون الله ۖ غير الله ۖ شفعاء ۖ من الأصنام ۖ ظنوا أنها تشفعهم عند الله ۖ قل أ ۖ تتخذونها ۖ ولو كانوا ۖ هذه الأصنام ۖ لا يملكون شيئاً ۖ فلا يملكون الشفاعة ۖ ولا يعقلون ۖ وكيف يكون من لا يعقل شيئاً ۖ

[٤٤] ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا ۖ فَإِنَّهُ إِذَا أَرَادَ شَفَاعَةُ أَحَدٍ أَذِنَ لِنَبِيِّ أَوْ وَلِيٍّ بِشَفَاعَتِهِ ۖ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ ۖ إِلَىٰ جَزَائِهِ ۖ تَرْجَعُونَ ۖ في الآخرة فالملك والمرجع والشفاعة له ۖ فما تفعلون بالأصنام ۖ

[٤٥] ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ ۖ دون آلهتهم ۖ اشْمَأَزَّتْ ۖ انقبضت ونفرت ۖ قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة ۖ أي المشركين ۖ وإذا ذكر الذين من دونه ۖ دون الله من الأصنام ۖ إذا هم يستبشرون ۖ يفرحون ۖ

[٤٦] ﴿قُلْ ۖ ملتجئاً إلى الله داعياً ۖ إذا عجزت عن إقناعهم ۖ اللهم ۖ يا الله يا ۖ فاطر ۖ خالق ۖ السماوات والأرض عالم الغيب ۖ ما غاب عن الحواس ۖ والشهادة ۖ ما حضر لدى الحواس ۖ أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ۖ فتعطي جزاء المحق بالثواب والمبطل بالعقاب ۖ

[٤٧] ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ۖ أنفسهم بالكفر والعصيان ۖ ما في الأرض جميعاً ومثله معه ۖ زيادة عليه ۖ وهذا لفظ المبالغة ۖ والمراد كل ما يتصور ولو ألف مثل ما في الأرض ۖ لا فتلوا به ۖ أعطوه فدية وبدلاً عن أنفسهم لتخليصها ۖ من سوء العذاب ۖ العذاب السيئ ۖ يوم القيامة وبدلاً لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ۖ

[٤٨] ﴿وَيَدُلُّهُمْ سَبِيلَاتٍ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا يَهِيمُونَ﴾ [٤٩] ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا نَجْوَاهُ إِذَا خَوَّلْتُهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنِّي أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [٥٠] ﴿قَدْ قَالُوا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [٥١] ﴿فَأَصَابَهُمْ سَبِيلَاتٌ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِن هَٰؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَبِيلَاتٌ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ [٥٢] ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَايَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [٥٣] ﴿قُلْ يٰعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [٥٤] ﴿وَإِنبِئُوا آلَ رَيْحِكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ﴾ [٥٥] ﴿وَإِنبِئُوا آلَ رَيْحِكُمْ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بِغَتَّةٍ وَأَنْتُمْ لَا تُشْعُرُونَ﴾ [٥٦] ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتِي عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ﴾ [٥٧]

﴿٤٨﴾ «وَيَدُلُّهُمْ سَبِيلَاتٍ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا يَهِيمُونَ» جزء «كانوا به يستهزون» استهزأهم بالدين في دار الدنيا.

﴿٤٩﴾ «فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ» وهذا طبيعة الإنسان «وهذا طبيعة الإنسان» «ضرر» أي أصابه ضرر من مرض أو فقر أو ما أشبه «دعانا» لكشفه «ثم إذا خولناه» أعطيناه «نعمة منا قال إنما أوتيته» أي أعطيت ما خولته من النعمة «على علم» فإن علمي بوجوه الطلب سبب مجيء هذه النعمة نحوي «بل هي» النعمة «فتنة» امتحان له أيشكر أم يكفر «ولكن أكثرهم لا يعلمون» أن النعم امتحان.

[٥٠] «قَدْ قَالُوا» قال هذه الكلمة وهي (أوتيته على علم) «الذين من قبلهم» كفارون «فما أغنى» ما أفاد «عنهم» لدفع العذاب «ما كانوا يكسبون» أموالهم التي اكتسبوها.

[٥١] «فَأَصَابَهُمْ سَبِيلَاتٍ» جزء أعمالهم السيئة «ما كَسَبُوا» والذين ظلموا من هؤلاء «كفار قومك يا محمد ﷺ» «سَيُصِيبُهُمْ سَبِيلَاتٌ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ» لا يقدرُونَ على تعجيز الله والفرار منه.

[٥٢] «أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ» يوسع «الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ» يضيق لمن يشاء، فليس البسط من جهة علم الشخص بوجوه الكسب كما يزعمون «إن في ذلك» البسط والقبض «آيات» دالة على أن الله هو المعطي

وَيَدُلُّهُمْ سَبِيلَاتٍ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا يَهِيمُونَ ﴿٤٨﴾ فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا نَجْوَاهُ إِذَا خَوَّلْتُهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنِّي أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالُوا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَبِيلَاتٌ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِن هَٰؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَبِيلَاتٌ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَايَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ يٰعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَإِنبِئُوا آلَ رَيْحِكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنبِئُوا آلَ رَيْحِكُمْ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بِغَتَّةٍ وَأَنْتُمْ لَا تُشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتِي عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ ﴿٥٦﴾

والمانع ^(١) «لقوم يؤمنون» فإنهم المنتفعون بالآيات.

[٥٣] «قُلْ» يا رسول الله: إن الله يقول: «يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم» بارتكاب الآثام «لا تقنطوا» لا تيأسوا «من رحمة الله» فإنكم إذا تبتم تاب الله عليكم «إن الله يغفر الذنوب جميعاً» إذا تاب الإنسان «إنه هو الغفور» الذي يغفر الذنب «الرحيم» بعباده.

[٥٤] «وَإِنبِئُوا» ارجعوا من الشرك والعصيان «إلى ربكم وأسلموا له» بالطاعة «من قبل أن يأتيكم العذاب» بالموت أو عذاب الاستئصال «ثم لا تنصرون» لا ينصركم أحد بدفع العذاب عنكم.

[٥٥] «وَإِنبِئُوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم» بأن اعملوا بالأحسن، فإذا كان الأحسن صوم شهر رمضان مع الكف عن الكلام الفارغ اتبعوه دون الصوم المجرد الذي هو حسن «من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة» فجأة «وأنتم لا تشعرون» وقت نزوله.

[٥٦] «وإنما ننصحكم بهذا لـ» «أن» لا «تقول نفس يا حسرتي» أي أيتها الحسرة والندامة احضري فهذا وقتك «على ما فرطت» قصرت «ففي جنب الله» في قربه، وذلك بقرب أحكامه مني وتمكني من استفادتها وإنقاذ نفسي، ومع ذلك قصرت «وإن» مخففة من الثقيلة «كنت لمن الساخرين» المستهزئين بدين الله.

[٥٧] ﴿أَوْ﴾ ثلثا ﴿تَقُولُ﴾ نفس ﴿لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي﴾ بأن أرشدني إلى الطريق ﴿لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ .

[٥٨] ﴿أَوْ تَقُولُ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةٌ رَجَعَةً إِلَى الدُّنْيَا﴾ فأكون من المحسنين ﴿فِي الْعَقِيدَةِ وَالْعَمَلِ﴾ .

[٥٩] ﴿بَلَى﴾ لا كَرَّةَ لَكَ ﴿قَدْ جَاءَكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ﴾ تكبرت عن الانخراط في سلك المؤمنين ﴿وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ .

[٦٠] ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ﴾ فقالوا بأن له شريكاً أو ولداً أو ما أشبه ﴿وَجُوهُهُمْ مَسْوَدَةٌ﴾ أي تراهم في حالة اسوداد الوجوه لما يصيبهم من الشدة والذل، ويريد الله بهم اسوداد الوجه حتى يعرفوا بما كسبوا في الدنيا ﴿الْأَيْسُ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى﴾ مقاماً ﴿لِلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ أي أن ذلك يكفيهم جزاءً .

[٦١] ﴿وَيُنْجِي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الكفر والعصيان ﴿بِمَفَازَتِهِمْ﴾ بفوزهم أي بسبب أنهم فائزون والفائز ينجو ﴿لَا يَمْسُهُمْ﴾ لا يصيبهم ﴿السُّوءُ﴾ العذاب ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ .

[٦٢] ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ حافظ ومدبر له .

[٦٣] ﴿لَهُ مَقَالِيدُ﴾ مفاتيح ﴿السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ بمعنى مفاتيح خزائنها فالمطر والأولاد والمناصب وغيرها كلها

بيد الله ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ الذين خسروا دنياهم وأخراهم .

[٦٤] ﴿قُلْ أَغْفِرِ اللَّهُ﴾ كالأصنام ﴿تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ .

[٦٥] ﴿وَلَقَدْ أَوْحَى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَنْ أَشْرَكَ لِيحْبِطَنَّ﴾ أي يمحى ﴿عَمَلُكَ﴾ الحسن ﴿وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ .

[٦٦] ﴿بَلِ اللَّهُ فَاعِبٌ﴾ بلا شريك له ﴿وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ لنعمه .

[٦٧] ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ ما عظموه حق عظمتهم حيث عبدوا غيره ﴿وَالْحَالُ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ لَهُ وَبَارَادَتُهُ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً﴾ جميع الأرضين ﴿قَبْضَتُهُ﴾ أي في يده، والمراد قدرته عليها ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ فإذا كان يوم الدين الذي هو أعظم الأيام هكذا فسائر الأيام بطريق أولى ﴿وَالسَّمَاوَاتِ مَطْوِيَّاتٍ﴾ أي مجموعات ﴿بِيَمِينِهِ﴾ بيد قدرته وهذا تصوير للعظمة والقوة، كأن الأرض في كفه اليسرى والسماوات في يده اليمنى ﴿سُبْحَانَهُ﴾ أنزهه عن الشريك ﴿وَتَعَالَى﴾ ارتفع عن أن يكون له شريك ﴿عَمَّا يَشْرُكُونَ﴾ يضيفون إليه من الشركاء .

أَوْ تَقُولُ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾
أَوْ تَقُولُ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَى قَدْ جَاءَكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وَجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنْجِي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَغْفِرِ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أَوْحَى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَنْ أَشْرَكَ لِيحْبِطَنَّ عَمَلُكَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهُ فَاعِبٌ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾

[٦٨] ﴿ونفخ في الصور﴾ النفخة الأولى قبل القيامة لأجل إماتة الناس جميعاً ﴿فصعق﴾ مات ﴿من في السماوات ومن في الأرض﴾ إلا من شاء الله ﴿كجبريل وبعض الملائكة﴾ حيث يميتهم الله بأمر آخر ﴿ثم نفخ فيه﴾ في الصور نفخة ﴿أخرى﴾ ثانية للإحياء ﴿فإذا هم﴾ أي الناس ﴿قيام﴾ قائمون من قبورهم ﴿ينظرون﴾ ينتظرون أوامر الله فيهم.

[٦٩] ﴿وأشركت﴾ أضاعت ﴿الأرض بنور ربها﴾ لأن الشمس تكور وإنما ينير الله الأرض للحساب ﴿ووضع الكتاب﴾ أي جنس الكتاب الذي فيه أعمال الخلائق ﴿وجيء بالنبیین﴾ جاءوا بهم ﴿والشهداء﴾ الذين يشهدون على أعمال الناس من الأئمة والملائكة ﴿وقضي بينهم﴾ بين الناس ﴿بالحق وهم لا يظلمون﴾ فلا ينقص من ثواب محسن ولا يزداد في عقاب مسيء.

[٧٠] ﴿ووفيت﴾ أعطيت جزاء ﴿كل نفس ما عملت﴾ من خير وشر ﴿وهو أعلم بما يفعلون﴾ في الدنيا فلا يفوته شيء هناك.

[٧١] ﴿وسيق الذين كفروا﴾ ساقهم الملائكة ﴿إلى جهنم زمراً﴾ جماعات جماعات ﴿حتى إذا جاءوها﴾ وصلوا إلى جهنم ﴿فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها﴾ الموكلون بجهنم ﴿الم يأتكم رسل منكم﴾ من جنسكم أيها البشر ﴿يتلون﴾ يقرأون ﴿عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء﴾ ملاقات وحضور ﴿يومكم هذا﴾ أي يوم القيامة ﴿قالوا بلى﴾ جاءتنا الرسل ﴿ولكن حق﴾ ثبتت ﴿كلمة العذاب﴾ أي الكلمة التي قالها الله (لأملأن جهنم)^(١) ﴿على الكافرين﴾ وحين كنا معاندين لا ننظر في الحق ولا نعمل به حق الكلمة علينا.

[٧٢] ﴿قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها﴾ دائمين في جهنم ﴿فنبش﴾ جهنم ﴿مثنى﴾ مقام ﴿المتكبرين﴾ الذين تكبروا عن قبول الحق.

[٧٣] ﴿وسيق الذي اتقوا ربهم﴾ إلى الجنة زمراً حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها ﴿رأوا مالا يوصف من النعم والمسرات﴾ وقال لهم خزنتها سلام عليكم ﴿تكونون في سلامة دائمة﴾ طبتهم ﴿نفساً﴾ ولذا ﴿فادخلوها خالدين﴾ دائمين فيها إلى الأبد.

[٧٤] ﴿وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده﴾ بالبعث والثواب ﴿وأورثنا الأرض﴾ بأن جعل أرض الجنة إراثاً لنا^(٢)، أو المراد أورثنا الأرض في الدنيا كما وعد بقوله: (ليستخلفنهم في الأرض)^(٣) ننزل ﴿من﴾ قصور ﴿الجنة﴾ وأماكنها ﴿حيث نشاء فنعم أجر العاملين﴾ الجنة.

وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ بِنُظُرٍ ۝٦٨ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجَاءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءُ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝٦٩ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ۝٧٠ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ فِإِذَا جَاءُوهَا فَتُحْتَضَرُ آبُوبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِن حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ۝٧١ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِمَا قَسَّيْتُمْ نُفُوسَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۖ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ۝٧٢ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَّبِعُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ ۖ حَيْثُ نَشَاءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ۝٧٣

(١) سورة هود: ١١٩، قال تعالى: ﴿وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾.

(٢) لأن الله خلق لكل إنسان مكاناً في الجنة، فلما كفروا تركوا الجنة للمؤمنين.

(٣) سورة النور: ٥٥.

[٧٥] ﴿وترى الملائكة حافين﴾ محدقين ﴿من حول العرش﴾ حيث إن العرش مكان كبير جعله الله محل كرامته وتدبيره ﴿يسبحون بحمد ربهم﴾ ينزهون الله حامدين له ﴿وقضي﴾ حكم ﴿بينهم﴾ بين المؤمنين والكافرين ﴿بالحق﴾ حيث أدخل المؤمن الجنة، والكافر النار ﴿وقيل﴾ القائل المؤمنون والملائكة ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ على هذه النعم الكثار.

٤٠: سورة غافر

مكية وآياتها خمس وثمانون

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

[١] ﴿حم﴾ رمز بين الله والرسول ﷺ.

[٢] ﴿تنزيل الكتاب﴾ إنزال القرآن إنما هو ﴿من الله العزيز﴾ الذي لا يغالب ﴿العليم﴾ العالم بكل شيء.

[٣] ﴿غافر الذنب﴾ يغفر ذنوب عباده ﴿وقابل التوب﴾ يقبل التوبة ﴿شديد العقاب﴾ ذي الطول ﴿ذي الفضل والإنعام﴾ لا إله إلا هو إليه المصير ﴿المرجع﴾ و ﴿إليه﴾ بمعنى إلى حسابه وجزائه.

[٤] ﴿ما يجادل﴾ لا يخاصم ﴿في آيات الله﴾ لدفعها وإبطالها ﴿إلا الذين كفروا﴾ بالله ﴿فلا يغفرك﴾ لا يخذلك حتى تظن أن الكفار يدهم كل شيء وأنهم السادة

والقادة لما ترى من ﴿تقلبهم﴾ مجيئهم وذهابهم وحركتهم في مختلف الشؤون ﴿في البلاد﴾ بلاد العالم، فإنه مهلة قصيرة وهي استدراج وليس بتكريم.

[٥] ﴿كذبت قبلهم قوم نوح والأحزاب﴾ الذين تحزبوا على الرسل ﴿من بعدهم﴾ بعد قوم نوح ﷺ كأمة صالح وهود وموسى وعيسى ولوط وغيرهم ﴿وهمت كل أمة﴾ من هؤلاء ﴿برسولهم ليأخذوه﴾ بتعذيبه وإهلاكه ﴿وجادلوا بالباطل﴾ بما لا حقيقة له ﴿ليدحضوا﴾ ليزيلوا ﴿به﴾ بباطلهم ﴿الحق فأخذتهم﴾ جزاء لأعمالهم ﴿فكيف كان عقاب﴾ أي عقابي، ألم يكن شديداً أليماً.

[٦] ﴿وكذلك﴾ هكذا ﴿حققت﴾ ثبتت ﴿كلمة ربك﴾ وعيده بالعقاب ﴿على الذين كفروا أنهم﴾ بدل (كلمة) ﴿أصحاب النار﴾.

[٧] ﴿الذين يحملون العرش﴾ وهم ملائكة عظام وضعوا العرش على أكتافهم ﴿ومن حوله﴾ من حول العرش من سائر الملائكة ﴿يسبحون بحمد ربهم﴾ ينزهونه حامدين له ﴿ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا﴾ يطلبون من الله غفران زلات المؤمنين بهذه العبارة: ﴿ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً﴾ أي وسعت رحمتك وعلملك كل شيء ﴿فاغفر للذين تابوا﴾ عن الكفر والعصيان ﴿واتبعوا سبيلك﴾ الذي دعوت إليه وهو الإسلام ﴿وقهم﴾ احفظهم من ﴿عذاب الجحيم﴾ جهنم.

وَرَى الْمَلَائِكَةُ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾

سُورَةُ الْغَافِرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ﴿١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرِ ﴿٣﴾ مَا يُجَدَّلُ فِيهِ آيَاتُ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرُكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْأَلْبَانِ ﴿٤﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَدُوا بِالنَّبِيِّ لِيُخْذُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابُ ﴿٥﴾ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ رِيبُكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٦﴾ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾

[٨] ﴿ربنا وأدخلهم﴾ أي المؤمنين ﴿جنات عدن﴾ جنات إقامة ﴿التي وعدتهم﴾ بأن لا تؤاخذهم ببعض السيئات فلا تدخلهم الجنة، وإلا فلا يخلف الله الوعد حتى يحتاج إلى الدعاء، ﴿و﴾ أدخل الجنة ﴿من صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم﴾ ليكمل بذلك سرورهم ﴿إنك أنت العزيز﴾ القادر على ما تريد ﴿الحكيم﴾ الذي يفعل الأشياء حسب الصلاح.

[٩] ﴿وقهم السيئات﴾ احفظهم من المعاصي ﴿ومن تق﴾ تحفظه من ﴿السيئات يومئذ فقد رحمته﴾ في الدنيا والآخرة ﴿وذلك﴾ الحفظ عن السيئات ﴿هو الفوز العظيم﴾ لأن فيه سعادة الدنيا والآخرة.

[١٠] ﴿إن الذين كفروا ينادون﴾ يناديهم الملائكة وقد غضبوا على أنفسهم أشد الغضب حين رأوا وبال أعمالهم ﴿لمقت الله﴾ غضبه عليكم ﴿أكبر من مقتكم أنفسكم﴾ من غضبكم أنتم على أنفسكم ﴿إذ﴾ أتذكرون زمان كنتم ﴿تدعون إلى الإيمان﴾ في الدنيا ﴿ف﴾ لا تقبلون بل ﴿تكفرون﴾.

[١١] ﴿قالوا﴾ أي الكفار: ﴿ربنا أمتنا اثنتين﴾ مرتين مرة وقت كنا تراباً، والإماتة بمعنى الخلق ميتاً وقد كان ذلك لأجل تغلب الموت الثاني عليه، مثل أبوين ومرة بعد حياتنا في الدنيا ﴿وأحييتنا اثنتين﴾ حياة في الدنيا وحياة

يوم القيامة ﴿فاعترفنا بذنوبنا﴾ الآن، بعد أن نضجت أفكارنا بالموتين والحياتين ورأينا جزاء أعمالنا ﴿فهل إلى خروج﴾ من النار ﴿من سبيل﴾ نسلكه حتى نخرج منها، والجواب لا سبيل إلى ذلك، إذ (لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه) ^(١).

[١٢] ﴿ذلكم﴾ الذي أنتم فيه من العذاب ﴿ب﴾ سبب ﴿أنه﴾ كنتم في دار الدنيا ﴿إذا دعي الله وحده كفرتم﴾ بتوحيده ﴿وإن يشرك به تؤمنوا﴾ بالإشراك ﴿فالحكم﴾ في تعذيبكم ﴿لله العلي﴾ المرتفع عن الشريك ﴿الكبير﴾ الذي لا شيء يوازيه.

[١٣] ﴿هو الذي يريكم آياته﴾ الدالة على وجوده وصفاته ﴿وينزل لكم من السماء رزقاً﴾ المطر الذي هو أسباب الرزق ﴿وما يتذكر﴾ بالآيات ﴿إلا من ينيب﴾ يرجع إلى الله تعالى.

[١٤] ﴿فادعوا الله مخلصين له الدين﴾ أي اخلصوا الدين له، بدون إشراك ﴿ولو كره﴾ لم يرد ذلك ﴿الكافرون﴾ لأنهم يريدون الشرك.

[١٥] ﴿رفيع الدرجات﴾ ارتفعت درجات جلاله من أن يكون له شريك ﴿ذو العرش﴾ صاحب السلطة المطلقة ﴿يلقي الروح﴾ الوحي وسمي روحاً لأن به قوام الاجتماع الصالح ﴿من أمره﴾ عالم الأمر ﴿على من يشاء من عباده﴾ من الأنبياء ﷺ ﴿لينذر﴾ يخوف الرسول الملقى إليه الوحي ﴿يوم التلاق﴾ أي يوم القيامة الذي يتلاقى فيه الأجساد والأرواح، والناس بعضهم ببعض.

[١٦] ﴿يوم هم بارزون﴾ ظاهرون في سطح القيامة ﴿لا يخفى على الله منهم شيء﴾ من أعمالهم ﴿لمن الملك اليوم﴾ فقد بطلت الملكيات المجازية، والجواب: ﴿لله الواحد القهار﴾ الذي يقهر كل شيء.

رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ الْغَزِيرُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَفَهُمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَمْتَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ينادونَ لِمَقْتِ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَلِكَ بِمَا أَنْفَكُوا قَالُوا وَلَوْلَا رَبُّنَا الَّذِي أَلْهَمَ الْفُلُوكَ لِيَسْبَحَ لِلَّهِ وَلِحَدِّمْ كُفْرَهُمْ وَإِنْ يُشْرِكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُم مَّا بَيْنَ يَدَيْهِ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الَّذِينَ لَوْ كَفَرُوا كُفِّرُوا بَرْحَةٍ رَّفِيعٍ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴿١٤﴾ يَوْمَ هُمْ بَرْزُورُونَ لَا يُخْفَى عَلَى اللَّهِ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٥﴾

[١٧] ﴿اليوم تجزى كل نفس بما كسبت﴾ بجزاء عملها في الدنيا ﴿لا ظلم اليوم﴾ لا يظلم أحد ﴿إن الله سريع الحساب﴾ إذ لا يشغله حساب عن حساب.

[١٨] ﴿وانذرهم﴾ خوفهم ﴿يوم الأزفة﴾ القيامة، وسميت بالأزفة لقربها، يقال: أزف، بمعنى قرب ﴿إذ القلوب لدى الحناجر﴾ جمع حنجرة، فإن الإنسان إذا خاف كثيراً، انتفخت رثته فتضغط على قلبه فيأتي القلب قرب الحنجرة ﴿كاظمين﴾ في حال كون الناس ممتلئين غماً ﴿ما للظالمين﴾ الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والعصيان ﴿من حميم﴾ صديق يساعدهم ﴿ولا شفيع يطاع﴾ تقبل شفاعته.

[١٩] ﴿يعلم﴾ الله ﴿خائنة الأعين﴾ الخيانة الصادرة من العين بالنظر اختلاصاً إلى ما حرم الله ﴿وما تخفي الصدور﴾ من النيات والأفكار.

[٢٠] ﴿والله يقضي﴾ يحكم ﴿بالحق﴾ بما هو حق ﴿والذين يدعون﴾ يعبد المشركون ﴿من دونه﴾ دون الله من الأصنام ﴿لا يقضون بشيء﴾ لا حق ولا باطل، لأنها جماد ﴿إن الله هو السميع البصير﴾ أما الأصنام فلا ترى ولا تسمع.

[٢١] ﴿أو لم يسيروا﴾ يسافر هؤلاء الكفار ﴿في الأرض﴾ فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم ﴿كقوم هود

وصالح ولوط عليهم السلام﴾، حيث إنهم إذا سافروا رأوا بلادهم الخربة وسمعوا أخبار عذابهم ممن حوالي تلك الخرابات ﴿كانوا هم﴾ الذين هلكوا ﴿أشد منهم﴾ من هؤلاء ﴿قوة﴾ بدنية ومالية وعددية ﴿و﴾ أكثر ﴿آثاراً في الأرض﴾ كالقلاع والأنهار والقصور ﴿فأخذهم الله بذنوبهم﴾ أهلكهم بسبب ما أتوا به من الآثام ﴿وما كان لهم من الله من واق﴾ يقيهم ويحفظهم من بأس الله.

[٢٢] ﴿ذلك﴾ الأخذ لهم ﴿بـ﴾ سبب كفرهم بعد إتمام الحجة ﴿أنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات﴾ بالمعجزات ﴿فكفروا فأخذهم الله إنه قوي﴾ قادر على ما يريد ﴿شديد العقاب﴾ فإذا عاقب عاقب بشدة.

[٢٣] ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا﴾ المعجزات ﴿وسلطان﴾ حجة ﴿مبين﴾ ظاهرة.

[٢٤] ﴿إلى فرعون وهامان وقارون فقالوا﴾ إن موسى ﴿ساحر كذاب﴾.

[٢٥] ﴿فلما جاءهم﴾ موسى عليه السلام ﴿بالحق﴾ من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه ﴿من بني إسرائيل لثلاث يكثروا واستحيوا نساءهم﴾ ابقوهم أحياء للاستخدام والإذلال ﴿وما كيد الكافرين﴾ مكرهم في قبال الله تعالى ﴿إلا في ضلال﴾ ضياع لأن الله ينفذ أمره.

﴿الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ ﴿١٧﴾ وَأَنذَرَهُمْ يَوْمَ الْأَزْفَةِ إِذْ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظِيمٍ ۚ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَانَاراً فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٢٥﴾

[٢٦] ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفُسَادَ ۖ﴾^(٢٦)
 ﴿وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بَيَوْمِ الْحِسَابِ ۖ﴾^(٢٧) وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكْذِبُنَا فَعَلَيْنَا كَذِبُهُ وَإِنْ يَكْذِبُكَ صَادِقٌ فَأُصِيبْكُمْ بِبَعْضِ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ۖ﴾^(٢٨) يَقُومُ لَكُمْ الْمَلِكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ۖ﴾^(٢٩) وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَقُومُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ۖ﴾^(٣٠) مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ۖ﴾^(٣١) وَيَقُومُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ۖ﴾^(٣٢) يَوْمَ تَوَلَّوْنَ مُدْبِرِينَ مَالَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِرٍ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَهُوَ مُضِلٌّ ۖ﴾^(٣٣) هَادٍ ۖ﴾^(٣٤)

[٢٧] ﴿وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بَيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ يعني فرعون وملاه.

[٢٨] ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ﴾ يخفي أنه مؤمن، وكان في حاشية فرعون ﴿اتَّقَتْلُونَ رجلاً﴾ أي كيف تريدون قتل موسى ﷺ لأجل ﴿أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾ فإن هذا الكلام لا يوجب القتل ﴿وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالمعجزات ﴿مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكْذِبُنَا فَعَلَيْنَا كَذِبُهُ﴾ وبإل كذبه ﴿وَإِنْ يَكْذِبُكَ صَادِقٌ﴾ في دعواه الرسالة ﴿يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾ أي لا أقل من أن يصيبكم بعض وعيده وفي ذلك كفاية في هلاككم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ وهذا احتجاج ثالث من ذلك المؤمن، بأنه كيف يكون موسى ﷺ كذاباً والحال أنه إنسان مهدي هداه الله حيث أجرى المعجزات على يده.

[٢٩] ﴿يَا قَوْمِ لَكُمْ الْمَلِكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ﴾ غالبين ﴿فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ﴾ عذابه ﴿إِنْ جَاءَنَا﴾ كما يقول موسى ﷺ ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى﴾ واستصوب من قتله ﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ طريق الصواب.

[٣٠] ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ﴾ من حاشية فرعون: ﴿يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ﴾ الذين تحزبوا ضد الرسل، والمراد بيومهم: يوم عذابهم.

[٣١] ﴿مِثْلَ دَابِ﴾ مثل جزاء ما دأبوا واعتادوا عليه من الكفر ﴿قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ كفوم لوط ﷺ ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾ فلا يعاقبهم بغير ذنب.

[٣٢] ﴿وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾ ينادي بعضكم بعضاً، وهو يوم عذابكم، أو في الآخرة، حيث يستغيث أحدكم بالآخر ولا نجاة.

[٣٣] ﴿يَوْمَ تَوَلَّوْنَ﴾ عن الموقف ﴿مُدْبِرِينَ﴾ منصرفين إلى النار ﴿مَالَكُمْ مِنْ﴾ بأس ﴿اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾ حافظ يحفظكم من عذابه ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ﴾ بأن يتركه حتى يضل لأنه عاند الحق ﴿فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ إذ لا هادي إلا الله.

[٣٤] ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ﴾ قبل موسى ﷺ ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالأدلة الواضحات ﴿فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ﴾ جاء آباءكم القبط ﴿بِهِ﴾ من الدين ﴿حَتَّى إِذَا هَلَكَ﴾ مات ﴿قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا﴾ فضمامتم إلى تكذيب رسالة يوسف ﷺ ﴿تَكْذِيبَ رِسَالَةٍ مِنْ يَأْتِي بَعْدَهُ﴾ كذلك ﴿هَكَذَا﴾ يفضل الله من هو مسرف ﴿أَسْرَفَ عَلَى نَفْسِهِ أَنْ تَعْدَى بِهَا عَنِ الطَّرِيقِ الْوَسْطِ﴾ مرتاب ﴿شَاكٍ فِي دِينِهِ﴾.

[٣٥] ﴿الَّذِينَ يَجَادِلُونَ فِي﴾ دفع وإبطال ﴿آيَاتِ اللَّهِ﴾ أدلته وأحكامه ﴿بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ﴾ بغير حجة جاءتهم في دفع الآيات، بل عناداً ﴿كِبَرٍ﴾ عملهم ﴿مَقْتًا﴾ وغضباً ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ فإن الله يمجتهم مقتاً كبيراً ﴿وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ كذلك ﴿هَكَذَا﴾ يطبع الله ﴿ومعنى الطبع كونه مطبوعاً ومختوماً بسوء تصرفه وعناده، على الكفر﴾ على كل قلب متكبر ﴿عَنْ قَبُولِ الْحَقِّ﴾ جبار ﴿يَجْبِرُ النَّاسَ وَيُظْلِمُهُمْ﴾.

[٣٦] ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانَ ابْنِ﴾ من البناء بمعنى اصنع ﴿لِي صَرْحًا﴾ قصراً عالياً ﴿لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ أي الطرق بأن أصعد فوقه فأصل إلى:

[٣٧] ﴿أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ﴾ طرقها ﴿فَاطْلِعْ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾ حيث ظن أن الله ساكن في السماء ﴿وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ﴾ أظن موسى ﷺ ﴿كَاذِبًا﴾ في أن له إلهاً ﴿وَكَذَلِكَ﴾ هكذا ﴿زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ﴾ فعله السيئ زين له الكفر، لأن الأعمال مقدمة العقائد ﴿وَصَدَّ﴾ منع فرعون، منعه هواه ﴿عَنِ السَّبِيلِ﴾ طريق الهدى ﴿وَمَا كِيدَ فِرْعَوْنَ﴾ لأجل إبادة موسى ﷺ وقومه ﴿إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ خسار.

[٣٨] ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ﴾ مؤمن آل فرعون ﴿يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ﴾ اتبعوني في قولي لكم آمنوا بموسى ﷺ ﴿أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ الذي فيه الرشاد.

[٣٩] ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ﴾ تمتع يسير ﴿وَالْآخِرَةُ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ الذي يستقر فيه الإنسان ويخلد.

[٤٠] ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا﴾ بقدر جزائها لا أكثر ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى﴾ وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب ﴿لَا عَذَابٌ وَلَا حَصْرٌ لْجَزَائِهِمْ تَفَضُّلاً مِنْ اللَّهِ﴾.

وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ ﴿٣٥﴾ الَّذِينَ يَجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ أَتَنَّهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَنْهَكُنْ أَبْنِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٧﴾ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَاطْلِعْ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ كَذِبًا وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كِيدَ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٨﴾ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَأْتِي قَوْمٌ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣٩﴾ يَأْتِي قَوْمٌ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٤٠﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤١﴾

[٤١] ﴿وَيَا قَوْمِ مَا لِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى النِّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾ ما لكم تقابلون الإرشاد بالضلال والإضلال.

[٤٢] ﴿تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأَشْرِكَ بِهِ﴾ أَجْعَلْ لَهُ شَرِيكاً ﴿مَا﴾ شَرِيكٌ ﴿لِي بِهِ﴾ بكونه شريكاً ﴿عِلْمٌ﴾ إِذِ الْمُؤْمِنُ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا شَرِيكَ لِلَّهِ، إِذَا: فَلَا يَعْلَمُ لَهُ شَرِيكاً، مِنْ بَابِ السَّالِبَةِ بِانْتِفَاءِ الْمَوْضُوعِ ﴿وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ﴾ فِي سُلْطَانِهِ ﴿الْغَفَّارِ﴾ كَثِيرِ الْغَفْرَانِ وَالْعَفْوِ.

[٤٣] ﴿لَا جَرَمَ﴾ حَقّاً ﴿أَنَّمَا﴾ أَيِ الْأَصْنَامِ ﴿تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ لِأَنَّ أَعْبَادَهُ ﴿لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ﴾ حَقٌّ ﴿فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ﴾ لِأَنَّهَا جَمَادَاتُ وَالْجَمَادُ لَا يَصْلُحُ دُنْيَا الْإِنْسَانَ وَلَا آخِرَتَهُ ﴿وَأَنْ مَرَدَّنَا﴾ رَجُوعُنَا فِي الْآخِرَةِ ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ إِلَى حِسَابِهِ وَجَزَائِهِ ﴿وَأَنْ الْمُسْرِفِينَ﴾ الْكَفَّارَ الَّذِينَ يَتَعَدُّونَ الْحَدَّ ﴿هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ الْمَلَازِمُونَ لَهَا.

[٤٤] ﴿فَسَتَذْكُرُونَ﴾ عِنْدَ مَعَابِدَةِ الْعَذَابِ ﴿مَا أَقُولُ لَكُمْ﴾ مِنَ النَّصِيحِ ﴿وَأَفُوزُ﴾ أَكْبَلُ ﴿أَمْرِي إِلَى اللَّهِ﴾ لِيَحْفَظَنِي مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ ﴿إِنَّ اللَّهَ بِصِيرٍ بِالْعِبَادِ﴾ يَرَاهُمْ وَيَعْلَمُ حَالَهُمْ.

[٤٥] ﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ﴾ حَفَظَهُ تَعَالَى عَنْ ﴿سَيِّئَاتِ مَا مَكُرُوا﴾ مَكْرَهُمُ السَّيِّئِ لِأَجْلِ أَذْيَةِ مُؤْمِنٍ آلِ فِرْعَوْنَ ﴿وَحَاقَ﴾ أَحَاطَ ﴿بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ أَشَدَّ الْعَذَابِ.

[٤٦] ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ أَيِ يُعْرَضُ فِرْعَوْنُ وَمَلَأَهُ

عَلَى النَّارِ فِي الدُّنْيَا^(١) ﴿غُدُوًّا﴾ صَبَاحاً ﴿وَعَشِيًّا﴾ عَصراً، إِمَّا كُنَايَةً عَنْ دَوَامِ النَّارِ عَلَيْهِمْ، أَوْ أَنَّ هَذَيْنِ الْوَقْتَيْنِ يُعَذِّبُونَ بِعَرْضِ النَّارِ وَفِي مَا بَيْنَهُمَا مَبْتَلُونَ بِتَوَابِعِ الْحَرِّ ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾ الْقِيَامَةُ، يُقَالُ لِلْمَلَانِكَةِ ﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾.

[٤٧] ﴿وَإِذْ﴾ أَذْكَرَ يَا مُحَمَّدٌ ﷺ زَمَانَ ﴿يَتَحَاجُّونَ﴾ يَخَاصِمُ الْأَتْبَاعُ الْقَادَةَ ﴿فِي النَّارِ﴾ نَارَ جَهَنَّمَ ﴿فَيَقُولُ الضَّعَفَاءُ﴾ الْأَتْبَاعُ ﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ تَكْبَرُوا عَنْ قَبُولِ الْحَقِّ وَهُمْ الْقَادَةُ ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ تَابِعِينَ فِي الدُّنْيَا ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مَغْنُونُونَ﴾ نَصِييَا تَدْفَعُونَ عَنَّا قِسْماً ﴿مِنَ النَّارِ﴾.

[٤٨] ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا﴾ فِي النَّارِ فَكَيْفَ تَتِمَّكُنْ مِنْ دَفْعِ الْعَذَابِ عَنْكُمْ ﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾ بِدُخُولِ الْكَفَّارِ فِي النَّارِ وَالْمُؤْمِنِينَ فِي الْجَنَّةِ.

[٤٩] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ﴾ الْمَلَانِكَةُ الْمُوَكَّلُونَ بِهَا: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ﴾ اطْلُبُوا مِنْهُ ﴿يَخَفُّ عَنْكُمْ يَوْمًا﴾ قَدَرُ يَوْمٍ ﴿مِنَ الْعَذَابِ﴾.

﴿وَيَقُولُ مَا لِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأَشْرِكَ بِهِ، مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنْ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٣٦﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفُوزُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٣٧﴾ فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكُرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٣٨﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٣٩﴾ وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضَّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مَغْنُونُونَ عَنَّا فَصَيَّبَ مِنَ النَّارِ ﴿٤٠﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ ﴿٤٢﴾

[٥٠] ﴿قَالُوا﴾ أي الخزنة: لا تخفيف فقد ذهب وقت قبول الطلب ﴿أَو لَمْ تَك تَأْتِيكُمْ رَسُولُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالمعجزات فلم تستجيبوا وعاندتم ﴿قَالُوا﴾ أي أهل النار: ﴿بلى﴾ جاءت الرسل فكذبنا ﴿قَالُوا﴾ أي الخزنة: ﴿فادعوا﴾ أنتم، حتى يخفف الله فإننا نعلم أن لا فائدة في الدعاء، ولذا لا ندعو ﴿وَمَا دَعَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ بتخفيف العذاب ﴿إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ ضياع فلا يجاب.

[٥١] ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ فإن الله ناصرهم، كما نصر موسى وعيسى وإبراهيم ونوح ومحمد ولوط وصالح ويونس وشعيب وآدم ويوسف وغيرهم ﷺ كما نصر المؤمنين، أما قضية اضطهاد الأئمة الطاهرين ﷺ فإنهم شاءوا ذلك لرفعة درجاتهم. ولذا ورد أن النصر رُفِرَ على الحسين ﷺ فلم يرد، والأئمة ﷺ كان بإمكانهم رفع الاضطهاد عن أنفسهم فلم يريدوها ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ أي الشهود على الناس بما عملوا وذلك يوم القيامة.

[٥٢] ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذَرَتُهُمْ﴾ عذرهم لأنه عذر باطل ﴿وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ﴾ الطرد عن رحمة الله ﴿وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ الدار السيئة وهي جهنم.

[٥٣ - ٥٤] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا﴾ أعطينا ﴿مُوسَى الْهُدَى﴾ ما يهتدي به الناس ﴿وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ﴾ أي أعطيناهم التوراة إراثاً بعد موسى ﷺ ﴿هُدًى﴾ في حال كون الكتاب هداية ﴿وَذَكَرَى﴾ مذكراً ﴿لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ أصحاب العقول.

[٥٥] ﴿فَاصْبِرْ﴾ يا محمد ﷺ على أذى المشركين ﴿إِنْ وَعَدَ اللَّهُ﴾ بالنصر لك ﴿حَقٌّ﴾ مطابق للواقع ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَذَنْبِكَ﴾ فإن الأنبياء يعدون أمورهم البدنية الضرورية كالنوم والأكل وما أشبه ذنباً كما يرى من مَذَّ رجله في محضر الملك، اضطراباً لوجع في رجله، إنه ذنباً ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ نزهه حامداً له ﴿بِالْعَشِيِّ﴾ عصراً ﴿وَالْإِبْكَارِ﴾ الصباح.

[٥٦] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ﴾ أي لأجل دفع آياته وإبطالها ﴿بِغَيْرِ سُلْطَانٍ﴾ حجة ﴿أَنَّهُمْ﴾ أي أعطاهم الله، و إنما جدالهم عن عناد وهوى، لا عن حجة وهدى ﴿إِنْ﴾ ما ﴿فِي صُدُورِهِمْ﴾ الباعثة للجدال ﴿إِلَّا كِبَرُ﴾ تكبر عن الحق وهو باعث الجدال ﴿مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ﴾ لا يبلغون مرادهم في إبطال الآيات ﴿فَاسْتَعِذْ﴾ استجِر يا رسول الله ﴿بِاللَّهِ﴾ من شرهم ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لأفوالكم ﴿البصير﴾ بأفعالكم.

[٥٧] ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ﴾ في أذهان الناس ﴿مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ ثانياً بعد الموت، فالقادر على الأكبر قادر على الأصغر ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ لأنهم لا يتأملون.

[٥٨] ﴿وَمَا يَسْتَوِي﴾ لا يتساوى ﴿الْأَعْمَى﴾ الكافر الذي لا يرى الطريق ﴿وَالْبَصِيرُ﴾ المؤمن ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمَسِيءَ﴾ أي لا يتساوى المؤمن والمسيء وهو الذي أساء في عقيدة أو عمل ﴿قَلِيلًا مَا﴾ تأكيد للقلّة ﴿تَتَذَكَّرُونَ﴾ تتعظون بالآيات.

قَالُوا أَوَلَمْ تَك تَأْتِيكُمْ رَسُولُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دَعْوُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٥٠﴾ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذَرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذَكَرَى لَأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٥٤﴾ فَاصْبِرْ إِنَّا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴿٥٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ مِنْ فِيْهِمْ إِلَّا كِبَرُ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمَسِيءَ قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾

[٥٩] ﴿إِنَّ السَّاعَةَ﴾ يوم القيامة ﴿لَآتِيَةٌ﴾ تأتي يقيناً ﴿لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ ليس محل الشك ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لا يصدقون بإتيان الساعة .

[٦٠] ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي﴾ في حوائجكم ﴿أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ بإعطاء الحاجة، يعني أن طبيعة الدعاء هكذا، فلا ينافي عدم استجابة بعض الدعوات، كما أن طبيعة الدواء الشفاء فلا ينافي عدم شفاء بعض الأدوية ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ يتكبرون عن أن يدعوني، فإن الدعاء قسم من العبادة ﴿سَيَدْخُلُونَ﴾ في الآخرة ﴿جَهَنَّمَ﴾ داخرين، أذلاء .

[٦١] ﴿اللَّهُ﴾ هو ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ بالنوم والكف عن العمل ﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ يبصركم حوائجكم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَدُو فَضْلٍ﴾ بما لا يستحقون إزاء عملهم ﴿عَلَى النَّاسِ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ نعمه .

[٦٢] ﴿ذَلِكَ﴾ الذي أظهر هذه الآيات ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَى﴾ فإلى أين ﴿تُؤْفَكُونَ﴾ تصرفون وكيف تعبدون الأصنام .

[٦٣] ﴿كَذَلِكَ﴾ هكذا ﴿يُؤْفَكُ﴾ يُصرف عن الله ﴿الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ ينكرون ولا يقبلون آياته عز وجل .

[٦٤] ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾ مستقراً ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَاءً﴾ مبنياً سقفاً ﴿وَوَصَّوْكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ﴾ حيث خلقكم شكلاً جميلاً ﴿وَوَرَّزَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ مما فيها فائدة وتلذذ النفس منها ﴿ذَلِكَ﴾ الذي وُصف هو ﴿اللَّهُ﴾ دام وكثر خيره ﴿رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ .

[٦٥] ﴿هُوَ الْحَيُّ﴾ الذي حياته أبدية ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ اخلصوا الدين له بلا شريك، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ وحده لأنه مصدر كل خير ﴿رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ .

[٦٦] ﴿قُلْ إِنِّي نَهَيْتُ أَنْ أُعْبَدَ الَّذِينَ﴾ أي أعبد الأصنام التي ﴿تَدْعُونَ﴾ يعبدونها ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ غير الله ﴿لَمَّا ظَفَرَ﴾ (نُهَيْت) ﴿جَاءَنِي الْبَنَاتُ﴾ الحجج ﴿مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ﴾ أنقاد ﴿لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ .

إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَأَرْبَ فِيهَا وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ آيَاتٍ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَدُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَى تَأْوَفُكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بَنَاءً وَوَصَّوْكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَّوْكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾ قُلْ إِنِّي نَهَيْتُ أَنْ أُعْبَدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي الْبَنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾

[٦٧] ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تَرَابٍ﴾ فإن التراب ينقلب إلى النبات، والنبات إلى الدم ﴿ثُمَّ مِنْ نَظْفَةٍ﴾ المني ﴿ثُمَّ مِنْ عِلْقَةٍ﴾ حيث تنقلب النطفة إلى قطعة دم ﴿ثُمَّ يَخْرِجُكُمْ مِنْ بَطُونِ أُمّهَاتِكُمْ﴾ طفلاً ﴿ثُمَّ يَبْقِيَكُمْ﴾ لتبلغوا أشدكم ﴿ثُمَّ قَوَّكُمْ فِي حَالَةِ الشَّبَابِ﴾ ﴿ثُمَّ يَبْقِيَكُمْ﴾ لتكونوا شيوخاً ومنكم من يتوفى يموت ﴿مِنْ قَبْلِ الْأَشَدِّ وَقَبْلَ الشَّيْخُوخَةِ﴾ ﴿و﴾ يَبْقِيَكُمْ بعد الشيخوخة ﴿لِتَبْلُغُوا أَجْلاً﴾ وقتاً ﴿مُسمى﴾ قد سمي لموتكم، في علم الله تعالى ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ تستعملون عقولكم فتعلمون ماذا أريد منكم.

[٦٨] ﴿هُوَ﴾ الله ﴿الَّذِي يَحْيِي﴾ التراب إنساناً، ويحيي في الآخرة الأموات ﴿وَيُمِيتُ﴾ فإذا قضى ﴿أَرَادَ﴾ أمراً فإنما يقول له كن، وهذا كناية عن إرادته تعالى ﴿فَيَكُونُ﴾ أي يوجد ذلك الشيء.

[٦٩] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ استفهام لأجل التعجب ﴿إِلَى الَّذِينَ يَجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ﴾ لأجل إبطال الآيات ﴿أَنَّهُ يَصْرِفُونَ﴾ إلى أين يصرفهم الفساد عن طريق الحق.

[٧٠] ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ﴾ القرآن ﴿وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا﴾ من الشرائع والكتب ﴿فَسُوفَ﴾ في الآخرة ﴿يَعْلَمُونَ﴾ جزاء تكذيبهم.

[٧١] ﴿إِذْ الْأَغْلَالُ﴾ جمع غل، وهو طوق من حديد

يجعل على العنق للإذلال والأذية ﴿فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ﴾ في أعناقهم أيضاً ﴿يَسْجُونَ﴾ يجرّون.

[٧٢] ﴿فِي الْحَمِيمِ﴾ في الماء المنتهى في الحرارة ﴿ثُمَّ فِي النَّارِ يَسْجِرُونَ﴾ يحرقون.

[٧٣] ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا﴾ أي أين الأصنام التي ﴿كُنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ تجعلونها شريكاً لله.

[٧٤] ﴿مَنْ دُونِ اللَّهِ﴾ غير الله ﴿قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا﴾ تلك الأصنام وغبوا، ثم يكذبون على الله قائلين ﴿بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْئاً﴾ أي لم تكن نعبد صنماً ﴿كَذَلِكَ﴾ هكذا ﴿يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ﴾ في الآخرة، يضلهم عما ينفعهم، فإن ضلّالهم في الدنيا سبب إضلالهم عن طريق الجنة في الآخرة ويقال لهم:

[٧٥] ﴿ذَلِكُمْ﴾ العذاب الذي نزل بكم ﴿بِـ﴾ سبب ﴿مَا كُنتُمْ﴾ كفرحون في الأرض بغير الحق ﴿لَأَنَّهُمْ كَانُوا يَفْرَحُونَ بِالشَّرْكِ وَالضَّلَالِ﴾ وبما كنتم تمرحون ﴿تَبْطَرُونَ﴾.

[٧٦] ﴿ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ﴾ كل صنف منكم من باب في حال كونكم ﴿خَالِدِينَ فِيهَا فَبئسَ﴾ جهنم ﴿مَثْوًى﴾ محل ﴿الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ الذين تكبروا عن قبول الحق.

[٧٧] ﴿فَاصْبِرْ﴾ يا رسول الله ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بهلاك الكفار ونصرتك ﴿حَقٌّ فِيمَا﴾ أصله (إن) الشرطية و(ما) الزائدة للتأكيد ﴿تُرِيَنَّكَ بَعْضُ الَّذِي نَعْدُهُمْ﴾ نعد هؤلاء الكفار من الإذلال والعذاب في الدنيا ﴿أَوْ تُنْفِقَنَّ﴾ نميتك قبل أن ترى عذابهم ﴿فَالْيَنَّا يَرْجِعُونَ﴾ يوم القيامة فنجازيهم بأعمالهم.

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تَرَابٍ ثُمَّ مِنْ نَظْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عِلْقَةٍ ثُمَّ يَخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِيَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لَتَكُونُوا شُيُوخاً وَمِنْكُمْ مَنْ يَتُوفَى مِنْ قَبْلِ وَلِتَبْلُغُوا أَجْلاً مُسمى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ الَّذِي يَحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا فَضَّيْكُمْ أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّهُمْ يَصْرِفُونَ ﴿٦٩﴾ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَمِمَّا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسُوفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئاً كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَلِكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَمِمَّا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبئسَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِنَّمَا تِرْيَئُكَ بَعْضُ الَّذِي نَعْدُهُمْ أَوْ تُنْفِقُ فَيَنَّا يَرْجِعُونَ ﴿٧٧﴾

[٧٨] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ عَلَيْكَ أَخْبَارَهُمْ كَمَا مَوْسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَعِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَغَيْرُهُمَا وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ أَخْبَارَهُمْ كَسَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ الْكَثِيرِينَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ بِمَعْجَزَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ بِأَمْرِهِ، فَاقْتَرَحَ هَؤُلَاءِ عَلَيْكَ أَنْ تَأْتِيَ بِآيَةٍ اقْتِرَاحَ بَاطِلٍ ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ بِعَذَابِهِمْ فِي الدُّنْيَا أَوِ الْآخِرَةِ ﴿قُضِيَ﴾ حُكْمٌ بَيْنَ الْمُحَقِّ وَالْمُبْطِلِ ﴿بِالْحَقِّ﴾ بِإِنْجَاءِ الْمُؤْمِنِ وَإِهْلَاكِ الْكَافِرِ ﴿وُخْسرَ هُنَالِكَ﴾ وَقْتُ مَجِيءِ أَمْرِ اللَّهِ ﴿الْمُبْطِلُونَ﴾ أَهْلُ الْبَاطِلِ لِأَنَّ الْعَذَابَ يَأْخُذُهُمْ حِينَئِذٍ.

[٧٩] ﴿اللَّهُ﴾ هُوَ ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْإِنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا﴾ كَالْأَبِلِ ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ كَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ.

[٨٠] ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ كَاللِّبْنِ وَالْجِلْدِ وَالشَّعْرِ ﴿وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا﴾ بِرُكُوبِهَا وَحَمْلِهَا إِلَى ﴿حَاجَةٍ فِي صُدُورِكُمْ﴾ بِالسَّفَرِ وَحَمْلِهَا الْأَثْقَالَ لِإِيصَالِهَا إِلَى أَمَاكِنِهَا ﴿وَعَلَيْهَا﴾ فِي الْبَرِّ ﴿وَعَلَى الْفُلْكِ﴾ السَّفِينَةِ فِي الْبَحْرِ ﴿تَحْمِلُونَ﴾ يَحْمِلُكُمُ اللَّهُ حَتَّى تَبْلُغُوا مَقَاصِدَكُمْ.

[٨١] ﴿وَبِرَبِّكُمْ﴾ اللَّهُ ﴿آيَاتِهِ﴾ دَلَائِلُ تَوْحِيدِهِ وَسَائِرُ صِفَاتِهِ ﴿فَأَيُّ﴾ آيَةٍ مِنْ ﴿آيَاتِ اللَّهِ تَنْكُرُونَ﴾ وَكُلُّهَا جَلِيَّةٌ وَاضِحَةٌ.

[٨٢] ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا﴾ يَسَافِرُ هَؤُلَاءِ الْكَفَّارُ ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ

السَّابِقَةَ فَإِنْ سَفَرَهُمْ يَوْجِبُ أَنْ يَرَوْا آثَارَ الْمَنَازِلِ الْخَرِبَةِ الَّتِي عَذَّبَ أَهْلَهَا، وَيَسْمَعُوا أَخْبَارَهُمْ مِنَ الَّذِينَ فِي أَطْرَافِ تِلْكَ الْخَرَائِبِ ﴿كَانُوا أَكْثَرُ مِنْهُمْ﴾ مِنْ هَؤُلَاءِ الْكَفَّارِ أَفْرَادًا ﴿وَأَشَدُّ قُوَّةً﴾ فِي الْبَدَنِ وَالْمَالِ وَالْعِلْمِ وَمَا أَشَبَهُ ﴿وَأَثَارًا﴾ كَالْقَلَاعِ وَالْمَدَنِ وَالصَّنَائِعِ ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا أَفَادَهُمْ فِي دَفْعِ الْعَذَابِ عَنْهُمْ ﴿مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ كَسْبِهِمْ.

[٨٣] ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بِالْأَدْلَةِ الظَّاهِرَةِ ﴿فَرَحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ وَقَالُوا يَكْفِينَا عِلْمُنَا عَنْ هِدَايَتِكُمْ، وَالْمَرَادُ بِالْعِلْمِ مَا حَسَبُوهُ عِلْمًا مِنْ عَقَائِدِهِمُ الْبَاطِلَةِ ﴿وَحَاقَ﴾ أَحَاطَ ﴿بِهِمْ مَا﴾ الْعَذَابُ الَّذِي ﴿كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ فَإِنَّهُ إِذَا قِيلَ لَهُمْ: يَأْخُذُكُمُ الْعَذَابُ، اسْتَهْزَءُوا.

[٨٤] ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ عَذَابَنَا الشَّدِيدَ ﴿قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكُفِّرْنَا بِمَا﴾ الْأَصْنَامُ الَّتِي ﴿كُنَّا بِهِ﴾ بِسَبَبِ تِلْكَ الْأَصْنَامِ ﴿مُشْرِكِينَ﴾ بِاللَّهِ.

[٨٥] ﴿فَلَمْ يَكْ يَنْفَعَهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ إِذْ لَا يَقْبَلُ إِيْمَانُ الْمُضْطَرِّ فَإِنْ الْإِيْمَانُ إِنَّمَا هُوَ لِلْمُتَحَنِّ وَلَا امْتِحَانٍ لِلْمُجْبُورِ فِي فِعْلِهِ ﴿سُنَّتِ اللَّهُ﴾ أَيُّ سُنَنِ اللَّهِ سُنَّتُهُ بِإِهْلَاكِ الْمَكْذِبِينَ وَعَدَمِ قَبُولِ إِيْمَانِهِمْ فِي حَالِ نَزُولِ الْعَذَابِ ﴿الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ﴾ وَقْتُ رُؤْيَتِهِمْ بَأْسَنَا ﴿الْكَافِرُونَ﴾ لِأَنَّهُ قَدْ فَاتَهُمُ الثَّوَابُ وَلَا مَنَاصُ.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فَخُصِّ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْإِنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى أَلْفُكُمُ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ أَلَمْ تَكُنْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرُ مِنْهُمْ وَأَشَدُّ قُوَّةً وَأَنَارَ فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨١﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكُفِّرْنَا بِمَا كُنَّا يَكْسِبُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمْ يَكْ يَنْفَعَهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتِ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٤﴾

٤١: سورة فصلت

مكية آياتها أربع وخمسون

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

سُورَةُ فَصَّلَاتٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ﴿١﴾ نَزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كَتَبْتُ فَصَّلَاتٍ
 مَا يَنْتَهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ شِيرَاءٌ وَنَذِيرٌ فَأَعْرَضَ
 أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ
 وَمَا نَذَعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ
 فَاغْمَلْ إِنَّا نَحْمِلُونَ ﴿٥﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ
 أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ
 لِلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ
 هُمْ كَافِرُونَ ﴿٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ
 أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾ قُلْ أَتُنْكُمُ لَتَكْفُرُونَ وَالَّذِي خَلَقَ
 الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾
 وَجَعَلَ فِيهَا رَواسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَنَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَامًا فِي
 أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلْسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ
 فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾

[١] ﴿حَمْدٌ﴾ رمز بين الله والرسول ﷺ .

[٢] ﴿نَزِيلٌ﴾ أي هذا القرآن تنزيل ﴿من الرحمن الرحيم﴾ .

[٣] ﴿كتاب فصلت﴾ شرحت شرحاً كافياً ﴿آياته﴾ من حكم وقصص وشرائع ، في حال كونه ﴿قرآنًا﴾ مقروء ﴿عربياً﴾ بلغة العرب ﴿لقوم يعلمون﴾ لأهل العلم فإنهم المستفيدون بالآيات وبالقرآن .

[٤] ﴿شيراً﴾ لمن آمن وعمل صالحاً ﴿ونذيراً﴾ مخوفاً لمن كفر أو عصى ﴿فأعرض أكثرهم﴾ عن تدبره ﴿فهم لا يسمعون﴾ سماع تأمل وتقبل .

[٥] ﴿وقالوا قلوبنا في أكنة﴾ أغطية ، جمع كنان بمعنى الغطاء ﴿مما تدعوننا إليه﴾ فلا يدخل قولك في قلوبنا ﴿وفي آذاننا وقراً﴾ حمل ثقيل فلا نسمع قولك ﴿ومن بيننا وبينك حجاب﴾ يمنع وصول أحدنا بالآخر ﴿فاغمل﴾ على دينك ﴿إننا عاملون﴾ على ديننا .

[٦] ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم﴾ لست ملكاً ولا جنياً حتى لا تتمكنوا من فهم كلامي ﴿يوحى إلي أنما إليهم إله واحد﴾ لا شريك له ﴿فاستقيموا﴾ في عقيدتكم وأعمالكم متوجهين ﴿إليه﴾ تعالى ﴿واستغفروه وويل﴾ هلاك وسوء ﴿للمشركين﴾ .

[٧] ﴿الذين لا يؤتون﴾ لا يعطون ﴿الزكاة﴾ لعدم إشفاقهم على الخلق ﴿وهم بالآخرة هم كافرون﴾ لعدم اعتقادهم بالخالق .

[٨] ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون﴾ غير مقطوع .

[٩] ﴿قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين﴾ مقدار يومين ﴿وتجعلون له أنداداً﴾ أمثالاً من الأصنام ﴿ذلك﴾ الذي خلق الأرض في يومين ﴿رب العالمين﴾ .

[١٠] ﴿وجعل فيها رواسي﴾ جبلاً ﴿من فوقها﴾ مرتفعة عليها ﴿وبارك فيها﴾ كثر خيرها بالماء والنبات والمعدن والحيوان ﴿وقدر فيها أقواتها﴾ القوت للإنسان والحيوان ﴿في أربعة أيام سواء﴾ أي استوت تلك الأيام سواء ﴿للسائلين﴾ عنها ، والتقدير إنما ذكرنا عدد الأيام لإفادة السائلين .

[١١] ﴿ثم استوى﴾ توجه الله بقدرته ﴿إلى﴾ خلق ﴿السما﴾ بعد الأرض ﴿وهي﴾ أي السماء قبل بنائها ﴿دخان﴾ كال دخان أجزاء متناثرة ﴿فقال لها﴾ للسما ﴿وللأرض اتئيا﴾ أي كونا ﴿طوعاً﴾ طائعين ﴿أو كرهاً﴾ كارهين ، وهذا كناية عن أن ما أراده الله يكون ﴿قالنا أتينا﴾ جئناك وصرنا ﴿طائعين﴾ فإن كل شيء في الكون خاضع لله تعالى .

[١٢] ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيْنَا السَّمَاءَ الذِّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ١٢﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ١٣ إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَنِي أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَأَنبَأَنَا أَرْسَلْنَاكُمْ بِهِ كُفْرًا ١٤ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ١٥ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنَنْذِقَهُمْ عَذَابَ الْآخِرَةِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِلْعَذَابِ الْآخِرَةِ آخَرَىٰ وَهُمْ لَا يَنْصُرُونَ ١٦ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ١٧ وَبَيْنَمَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ١٨ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ١٩ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَقُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ٢٠

فالمجموع ستة، يومان للأرض ويومان للسماء، ويومان لتقدير الأقوات ﴿وأوحى في كل سماء أمرها﴾ أي الأمر مربوط بأهل تلك السماء ﴿وزينا السماء الدنيا﴾ القريبة ﴿بمصباح﴾ فإن الكواكب زينة ﴿وحفظاً﴾ لأن الكواكب محل إرصاد الشياطين فإذا اقتربوا من السماء لتلقي كلام الملائكة رجما من قبل الكواكب بالشهب ﴿ذلك﴾ الخلق ﴿تقدير العزيز﴾ الذي لا يغالب في سلطانه ﴿العليم﴾ العالم بكل شيء.

[١٣] ﴿فإن أعرضوا﴾ عن الإيمان بعد إتمام الحجة ﴿فقل أنذرتكم﴾ أخوفكم ﴿صاعقة﴾ بنزول صاعقة وعذاب عليكم ليضعفكم أي يهلككم ﴿مثل صاعقة عاد وثمود﴾.

[١٤] ﴿إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم﴾ من كل جهاتهم فكانت قبلهم رسل ومعهم رسل ويعددهم رسل فائلين لهم ﴿ألا تعبدوا إلا الله قالوا﴾ أي الكفار في جواب الرسل ﴿لو شاء ربنا﴾ هدايتنا ﴿لأنزل ملائكة﴾ مرسلين، لا أنتم البشر ﴿فإننا بما أرسلتم به كافرون﴾ لأنكم بشر فليست رسلًا.

[١٥] ﴿فأما عاد فاستكبروا في الأرض﴾ على الحق، تكبروا من قبوله ﴿بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة﴾ اغتروا بقوتهم وإن أحداً لا يقدر عليهم بزعمهم ﴿أو لم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة﴾ فإذا شاء إهلاكهم تمكن من ذلك ﴿وكانوا بآياتنا يجحدون﴾ ينكرون الآيات.

[١٦] ﴿فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً﴾ باردة مهلكة ﴿في أيام نحسات﴾ مشؤومات عليهم ﴿لنذيقهم﴾ بتلك الريح ﴿عذاب الخزي﴾ الذل ﴿في الحياة الدنيا وللعذاب الآخرة آخزى﴾ أكثر إذ لا لهم ﴿وهم لا ينصرون﴾ لا ينصرون أحد عن بأس الله.

[١٧] ﴿وأما ثمود فهديناهم﴾ أريناهم الطريق ﴿فاستحبوا﴾ أحبوا ﴿العمى﴾ عن الحق ﴿على الهدى﴾ فلم يسلكوا سبيل الهداية ﴿فأخذتهم صاعقة العذاب﴾ أي العذاب الصاعق المهلك ﴿الهُون﴾ المهين لهم ﴿بما كانوا يكسبون﴾ جزاء كسبهم الكفر والضلال.

[١٨] ﴿وبينما الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ الشرك والمعاصي.

[١٩] ﴿ويوم يحشر﴾ يجمع ﴿أعداء الله﴾ هم الكفار والعصاة ﴿إلى النار فهم يُوزعون﴾ يحبس أولهم على آخرهم ليجتمعوا، فإن ذلك أخزى لهم.

[٢٠] ﴿حتى إذا ما﴾ زائدة للتأكيد ﴿جاءوها﴾ حضروا على شفير النار ﴿شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم﴾ كاليد والرجل والفرج ﴿بما كانوا يعملون﴾ فإن الله ينطقها فتقول بأعمالهم السيئة.

[٢١] ﴿وَقَالُوا لَجُلُودُهُمْ﴾ لأعضائهم: ﴿لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا﴾ بما يضرنا ﴿قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ بدون قدرة على النطق ثم أنطقكم وهكذا أنطقنا ﴿وَالِيهِ تَرْجِعُونَ﴾ في الآخرة إلى حسابه وجزائه.

[٢٢] ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ﴾ قبايحكم عن أعضائكم لأن بهذه الأعضاء عصيتهم الله، ولم تظنوا ﴿أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كِبَارَكُمْ﴾ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ وَذَلِكَ ظَنُّكُمْ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ أَنْ تُصْبِحُوا مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٤﴾ فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا لَهُمْ مِنَ الْمَعْتَبِينَ ﴿٢٥﴾ وَقِيضْنَا لَهُمْ قُرْآنَهُ فَزَيَّنَّا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمُورِهِمْ فَكَانُوا فِي قُلُوبِهِم مِّنَ الْغَيِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَنَذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا الذِّينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونُوا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴿٣٠﴾

[٢٣] ﴿وَذَلِكَ﴾ أي ذلك الظن الخاطيء، و(كم) للخطاب ﴿ظَنُّكُمْ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَادَكُمْ﴾ أهلككم، فإن ظنكم بجهل الله سبب جرأتكم التي أوجبت هلاككم ﴿فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ حيث دخلتم النار.

[٢٤] ﴿فَإِنْ يَصْبِرُوا﴾ لا ينفعهم الصبر ﴿فَالنَّارُ مَثْوًى﴾ محلاً ﴿لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا﴾ يطلبوا العتبي أي الرضا ﴿فَمَا لَهُمْ مِنَ الْمَعْتَبِينَ﴾ أي المرضيين، والمعنى سواء سكتوا أو تكلموا فالنار مَثْوًى لهم.

[٢٥] ﴿وَقِيضْنَا﴾ هَيَّاْنَا ﴿لَهُمْ﴾ لهؤلاء الكفار ﴿قُرْآنَهُ﴾ إخواناً من الشياطين، حيث إنهم لم يطيعونا في الاقتران بالمؤمنين قرناهم بالشياطين ﴿فَزَيَّنَّا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾

من أمر الدنيا وشهواتها حتى ارتكبوها ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ من أمر الآخرة حتى نفوها ﴿وَحَقَّ﴾ ثبت ﴿عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ أي قوله تعالى: ﴿لَا مَلَأَن جَهَنَّمَ﴾^(١) ﴿فِي﴾ جملة ﴿أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ﴾ هلكت ﴿مِن قُلُوبِهِم مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾ وهؤلاء مثل أولئك في الكفر والعصيان ﴿إِنَّهُمْ﴾ إن هؤلاء ﴿كَانُوا خَاسِرِينَ﴾ خسروا سعادة الدارين.

[٢٦] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بعضهم لبعض ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ﴾ إذا قرأه محمد ﷺ ﴿وَالْغَوْا فِيهِ﴾ ارفعوا أصواتكم باللغو والكلام الباطل عند قراءة محمد ﷺ له ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ محمداً ﷺ على قراءته فيترك القراءة.

[٢٧] ﴿فَلَنَذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا﴾ في الآخرة ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أقبح الجزاء، فإن الجزاء فيه سيئ وأشوأ.

[٢٨] ﴿ذَلِكَ﴾ الجزاء السيئ ﴿جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارِ﴾ عطف بيان لـ (ذلك) ﴿لَهُمْ فِيهَا﴾ في النار ﴿دَارُ الْخُلْدِ﴾ محل إقامة أبدية ﴿جَزَاءُ﴾ بما كانوا بآياتنا يجحدون ﴿يَنْكُرُونَ آيَاتَنَا﴾

[٢٩] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا الذِّينَ أَضَلَّانَا﴾ سببا لإضلالنا ﴿مِن الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾ أي الشيطان والإنس اللذين هما أضلالنا ﴿نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا﴾ نطأهما انتقاماً ﴿لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾ في المكان والحال.

[٣٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ اعترفوا بوحدانيته ﴿ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ على التوحيد والعمل ﴿تَنْزِلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ عند الموت قائلين لهم ﴿أَلَّا تَخَافُوا﴾ عقاباً ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ لفوت ثواب ﴿وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ وعدكم الأنبياء ﷺ في الدنيا.

[٣١] ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ﴾ نتولى شؤونكم ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بالحفظ والدفاع عنكم ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ بالشواب والشفاعة بأمر الله ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُي أَنْفُسُكُمْ﴾ من اللذات ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ﴾ تمنون وتريدون.

[٣٢] ﴿نَزَلْنَا﴾ ما يُهَيِّئُ لِلضَّيْفِ ﴿مِنْ غُفُورٍ﴾ يغفر ذنوبكم ﴿رَحِيمٍ﴾ يرحمكم.

[٣٣] ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾ إلى توحيده، أي لا أحد أحسن منه ﴿وَعَمِلَ﴾ عملاً ﴿صَالِحًا﴾ وقال إني من المسلمين ﴿بَأَن كَانَ هُوَ مُسْلِمًا وَدَعَا إِلَى الْإِسْلَامِ﴾.

[٣٤] ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾ في العمل ولا في الجزاء ﴿ادْفَعْ﴾ السيئة ﴿بِالَّتِي﴾ بالخصلة ﴿هِيَ أَحْسَنُ﴾ الخصال، كالجهل بالحلم والقطيعة بالصلة ﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ﴾ إذا دفعت عداوته بالأحسن ﴿كَانَ وَلِيًّا﴾ صديق ﴿حَمِيمٍ﴾ حار في الصداقة.

[٣٥] ﴿وَمَا يُلْقَاهَا﴾ أي هذه الخصلة، لا يعطاها ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على تجزيع المكافاة ﴿وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حِظِّ

إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ نَزَلْنَا مِنْ غُفُورٍ رَحِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنْ أَسْكَبَتْ مِنْهُ فِالْزَيْنِ عِنْدَ رَبِّكَ يَسْبَحُونَ لَهُ بِالْلَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴿٣٨﴾

عظيم ﴿نصيب كبير من العقل﴾.

[٣٦] ﴿وَأِمَّا يَنْزَغَنَّكَ﴾ أي يدعونك إلى خلاف الصواب ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ﴾ بما وسوس لك الشيطان على أن لا تدفع السيئة بالتي هي أحسن ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ اطلب من الله الاعتصام من وسوسته ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لاستعاذك ﴿الْعَلِيمُ﴾ بقصدك.

[٣٧] ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ لأنها كلها تدل على وجوده وقدرته ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾ أي خلق كل تلك الآيات ﴿إِنْ كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ تخصونه بالعبادة.

[٣٨] ﴿فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا﴾ تكبروا عن عبادته وحده ﴿فَ﴾ لا يضره ذلك، ولا يخلو عن عابد له مطيع إذ الملائكة ﴿الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ في الملأ الأعلى ﴿يَسْبَحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾ لا يملون.

[٣٩] ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْتَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً﴾ ذليلة لعدم النبات والحركة فيها ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ﴾ المطر ﴿اِهْتَزَّتْ﴾ تحركت ﴿وَرَبَّتْ﴾ انتفخت بالنبات ﴿إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا﴾ أي الأرض ﴿لَمُحْيِي﴾ لهو الذي يحيي ﴿الْمَوْتَى﴾ للبعث ﴿إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ من إحياء الأرض والميت وغير ذلك.

[٤٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ﴾ يميلون عن الاستقامة ﴿فِي آيَاتِنَا﴾ بالظعن والتكذيب ﴿لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا﴾ فسنجزئهم بعملهم ﴿أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ﴾ وهم الملحدون ﴿خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمَنًا﴾ من العذاب ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ وهم المؤمنون ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ أيها الملحدون، والأمر للتهديد ﴿إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ يراه وسيجازيكم عليه.

[٤١] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ﴾ بالقرآن، وهذا بدل عن قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ﴾ ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّ لَكُنَّابٍ عَزِيزٍ﴾ كثير النفع عديم النظير، والعزة تنشأ من هذين الوصفين.

[٤٢] ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ من جهة من الجهات لا في زمان نزوله ولا بعده إلى الأبد، فلا بطلان ونقص فيه ﴿تَنْزِيلٍ مِنْ حَكِيمٍ﴾ في أفعاله ﴿حَمِيدٍ﴾ محمود في كل عمله.

[٤٣] ﴿مَا يَقَالُ لَكَ﴾ يقوله كفار قومك من التكذيب والاستهزاء ﴿إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرَّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ﴾ فاصبر كما صبروا، فإن قول هؤلاء مثل أقوال أولئك ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾ غفران لمن آمن بك ﴿وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ مؤلم لمن كذبك ولم يؤمن.

[٤٤] ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا﴾ بأن أنزلناه بغير لغة العرب ﴿لَقَالُوا لَوْلَا﴾ هلا ﴿فَصَلَّتْ آيَاتُهُ﴾ تبين آياته بلغة نفهمها ﴿أَلَمْ يَأْتِ الْغُرَابُ بِحَبٍّ﴾ وكان لهم شبه عذر في عدم قبوله، ولكن أنزلناه عربياً ومع ذلك لم يؤمنوا ﴿قُلْ هُوَ الْقُرْآنُ﴾ للذين آمنوا هدى ﴿وَلِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى﴾ هداية فائدتها لهم ﴿وَشِفَاءٌ﴾ لما في صدورهم من الشك والباطل ﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقُرْ﴾ حمل ثقيل حيث إنهم والأصم سواء في عدم الانتفاع ﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ لتعمي قلوبهم عن تدبره ﴿أُولَئِكَ﴾ أي الكفار ﴿يُنَادُونَ﴾ بالقرآن ﴿مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ حيث إنهم كالشخص البعيد الذي لا يسمع النداء.

[٤٥] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا﴾ أعطينا ﴿مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿فَاخْتَلَفَ فِيهِ﴾ كما اختلف في القرآن وهذا تسلية للرسول ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ في تأخير عذاب المنكر ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ بإهلاك الكافر ونجاة المؤمن ﴿وَأَنْتُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ﴾ من القرآن ﴿مَرِيبٌ﴾ موجب للريب والتردد العملي.

[٤٦] ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾ جزأه عائد إلى ذاته ﴿وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ فضره عائد إلى نفسه ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ﴾ بذي ظلم ﴿لِلْعَبِيدِ﴾ وإنما عقابهم جزاء عمل أنفسهم.

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْتَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمَنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَأَنْتُمْ لَكُمْ كِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَا يَقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرَّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَفَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ الْقُرْآنُ وَلِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقُرْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادُونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَرِيبٌ ﴿٤٥﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾

[٤٧] ﴿إِلَيْهِ﴾ تعالى ﴿يُردُّ عِلْمَ السَّاعَةِ﴾ أي إذا سئل عن الساعة أرجعوا السائلين عنها إلى الله إذ لا يعلمها إلا هو وحده ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمامِهَا أَوْعِيتُهَا جَمْعُ كَمْ: وعاء الشجرة^(١)﴾ ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى﴾ طفلاً ﴿وَلَا تَضَعُ﴾ المولود ﴿إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ فإن علمه تعالى شامل لكل ذلك ﴿وَيَوْمَ يَنَادِيهِمْ﴾ ينادي الله المشركين ﴿إِنِ شَرَكَايِ﴾ الذين جعلتموهم لي شريكاً ﴿قَالُوا أَذْنَاكَ﴾ أعلمناك ﴿مَا مَنَا مِنْ شَهِيدٍ﴾ يشهد اليوم بأن لك شريكاً.

[٤٨] ﴿وَضَلَّ﴾ غاب ﴿عَنَّهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ﴾ يعبدونه شريكاً ﴿مَنْ قَبْلُ﴾ في دار الدنيا ﴿وَوَلَّوْا﴾ أيقنوا بأنه ﴿مَا لَهُمْ مِنْ مَّحِصٍ﴾ مهرب عن العقاب.

[٤٩] ﴿لَا يَسْأَلُ﴾ لا يمل ﴿الْإِنْسَانَ﴾ الكافر ﴿مَنْ دَعَا الْخَيْرَ﴾ من طلب السعة والنعمة ﴿وَأَنْ مَسَّهُ﴾ أصابه ﴿الشَّرُّ﴾ الضيق أو البؤس ﴿فَيُثْوِسُ﴾ شديد اليأس ﴿تَنُوطٌ﴾ من رحمة الله، كما قال تعالى: (إنه لا يياس من روح الله إلا القوم الكافرون)^(٢).

[٥٠] ﴿وَلَوْ أَنَّ أَذْنَاكَ رَحْمَةً مَنَا مِنْ بَعْدِ ضِرَاءِ مَسَّتْهُ﴾ أصابته تلك الضراء ﴿لَيَقُولَنَّ هَذَا﴾ الخير ﴿لِي﴾ أستحقه بعملتي ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ﴾ القيامة ﴿قَائِمَةً﴾ تقوم، ولذا أعمل في هذا الخير ما أشاء بلا تقيد بشرع أو عقل ﴿وَلَوْ أَنَّ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي﴾ في الآخرة فرضاً ﴿إِنْ لِي عِنْدَهُ لِلْحَسَنِ﴾ أي

﴿إِلَيْهِ يُرْدُّ عِلْمَ السَّاعَةِ﴾ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَتَيْنَ شُرَكَاءِي قَالُوا أَأُذْنَاكَ مَا مَنَا مِنْ شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُوا مَا لَهُمْ مِنْ مَّحِصٍ ﴿٤٨﴾ لَا يَسْتَمِعُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاؤِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيُثْوِسُ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَكِنْ أَذْنَاكَ رَحْمَةً مَنَا مِنْ بَعْدِ ضِرَاءِ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَكِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لِلْحَسَنِ فَلَنُتَيْسَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانًا وَعَمِلُوا وَلَنْ يَقْنَنَهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ وَإِذَا أُنْعِمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَغْرَضَ وَنَاجِجَانِيهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثَمَرٌ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مَعَنَ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَتَرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ نَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ ءَلَا إِنَّهُمْ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ ﴿٥٤﴾

الخلعة الجميلة، كما أكرمني في الدنيا ﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ﴾ نخبرن ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا﴾ لنجازيهم عليه ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ شديد هو عذاب النار.

[٥١] ﴿وَإِذَا أُنْعِمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَغْرَضَ﴾ عن الشكر ﴿وَنَأَى﴾ بعد ﴿بِجَانِبِهِ﴾ جنبه عن الناس تبيخراً ﴿وَإِذَا مَسَّهُ﴾ أصابه ﴿الشَّرُّ﴾ فذو دعاء عريض كثير.

[٥٢] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ﴾ القرآن ﴿مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ ثم كفرتم به من أضل منكم، وضع مكانه الظاهر لشرح حالهم ﴿مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ﴾ خلاف الحق ﴿بَعِيدٍ﴾ عنه الحق، أي لا أحد أضل منكم.

[٥٣] ﴿سَتَرِيهِمْ﴾ فإن الإراءة تدريجية ﴿آيَاتِنَا﴾ حججنا وأدلتنا ﴿فِي الْأَفَاقِ﴾ أقطار السماوات والأرض ﴿وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ من ضروب الأعضاء والأجهزة ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ﴾ ليظهر ﴿لَهُمْ أَنَّهُ﴾ أي الذي تدعونهم إليه من التوحيد ﴿الْحَقُّ﴾ المطابق للواقع ﴿أَوْ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ شاهد حاضر فيشهد على ما عملوا ويجازيهم عليه.

[٥٤] ﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ﴾ شك ﴿مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾ لقاء الله في الآخرة ﴿أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾ علماً وقدره فلا يفوته شيء.

(١) وفي لسان العرب: أكمام جمع كم بكسر الكاف، وهو غلاف الثمر والحب قبل أن يظهر.

(٢) سورة يوسف: ٨٧.

٤٢: سورة الشورى

مكية آياتها ثلاث وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

سُورَةُ الشُّرَىٰ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ۝١ عَسَىٰ ۝٢ كَذَٰلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ
 اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٣ لَمْ يَأْفِكْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ
 الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ۝٤ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ
 وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي
 الْأَرْضِ ۖ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝٥ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا
 مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ۖ اللَّهُ حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ
 ۝٦ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَتُنذِرَ ۖ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ
 حَوْلَهَا ۖ وَنُذِرُ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَبَّ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي
 السَّعِيرِ ۝٧ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ
 مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ ۖ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝٨
 أَرَأَيْتُمْ أَزْوَاجًا اتَّخَذُوا أَوْلِيَاءَ فَأَلَّفَهُمُ الْوَلَاءُ ۖ وَهُوَ يَحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ
 عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٩ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ
 إِلَى اللَّهِ ۖ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ۝١٠

[١ - ٢] ﴿حم * عسق﴾ رمز بين الله والرسول ﷺ .

[٣] ﴿كذلك﴾ هكذا ﴿يوحى إليك وإلى الذين من قبلك الله﴾ فاعل (يوحى) ﴿العزیز﴾ في سلطانه ﴿الحكيم﴾ في تدبيره .

[٤] ﴿له ما في السماوات وما في الأرض وهو العلي﴾ بقول مطلق ﴿العظيم﴾ فهو أعلى وأعظم من كل شيء .

[٥] ﴿تكاد﴾ تقرب ﴿السماوات يتفطرن﴾ يتشققن من هول أن دعوا لله ولداً وشريكاً ﴿من فوقهن﴾ فإن انفطار الأعلى أشد في الهول ﴿والملائكة يسبحون بحمد ربهم﴾ ينزهون الله حامدين ﴿ويستغفرون لمن في الأرض﴾ من المؤمنين ﴿ألا إن الله هو الغفور﴾ لمن استغفر ﴿الرحيم﴾ بعباده .

[٦] ﴿والذين اتخذوا من دونه﴾ غير الله ﴿أولياء﴾ أي الأصنام ﴿الله حفيظ﴾ حافظ ﴿عليهم﴾ أعمالهم ﴿وما أنت عليهم بوكيل﴾ بحافظ وإنما أنت منذر .

[٧] ﴿وكذلك﴾ هكذا ﴿أوحينا إليك قرآنًا عربيًّا﴾ بلغة العرب ﴿لتنذر﴾ تخوف ﴿أُمَّ القرى﴾ مكة ﴿ومن حولها﴾

من البلاد ﴿وتنذر يوم الجمع﴾ يوم القيامة الذي يجتمع فيه الخلق ﴿لا رب فيه﴾ ليس محل شك ﴿فريق في الجنة وفريق في السعير﴾ النار الملتهبة .

[٨] ﴿ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة﴾ بأن أجبرهم على الهداية ﴿ولكن يدخل من يشاء﴾ ممن قبل الهداية ﴿في رحمة والظالمون﴾ الكافرون ﴿ما لهم من ولي﴾ يلي أمورهم بالصلاح لهم ﴿ولا نصير﴾ ينصرهم يدفع العذاب عنهم .

[٩] ﴿أم﴾ بل ﴿اتخذوا﴾ أي الكفار ﴿من دونه﴾ دون الله ﴿أولياء﴾ كالأصنام ﴿فالله هو الولي﴾ الحقيقي ﴿وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير﴾ والصنم لا يقدر على شيء .

[١٠] ﴿وما اختلفتم﴾ أيها المؤمنون والكفار ﴿فيه﴾ عائد إلى (ما) ﴿من شيء﴾ بيان (ما) ﴿فحكمه إلى الله﴾ الذي يفصل بين المختلفين ﴿ذلکم الله ربی علیہ توکلت﴾ في أموري ﴿والیه أُنِيب﴾ أرجع .

[١٦] ﴿وَالَّذِينَ يَحْمِلُونَ فِي اللَّهِ﴾ في دينه وتوحيده ﴿مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجِيبَ لَهُمْ﴾ بعد ما استجيب له ﴿مَا اسْتَجَابَ لَهُ النَّاسُ وَدَخَلُوا فِيهِ﴾ ما استجاب له الناس ودخلوا فيه ﴿حُجَّتَهُمْ دَاحِضَةٌ﴾ باطلة ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ وإن كانت وجيهة عند بعض الناس، فماذا يريدون بعد ذلك، فهل الإسلام باطل وقد ظهر لديهم كونه حقاً، أو هل الإسلام لا ناصر له والإنسان يتجنب الالتفاف حول الذي لا ناصر له لأنه يكون موجباً للتشهير بين الناس، وقد استجيب للدين ودخل فيه الناس ﴿وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ﴾ من الله ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ في الآخرة.

[١٧] ﴿اللَّهُ﴾ هو ﴿الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿بِالْحَقِّ﴾ فلم يكن الإنزال بالباطل ﴿وَالْمِيزَانَ﴾ بأن قرر آلة الوزن، فالكتاب للنظام والسعادة، والميزان للتطبيق والعدالة ﴿وَمَا يَدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ﴾ القيامة ﴿قَرِيبٌ﴾ مجيئها فيخسر المبطلون.

[١٨] ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا﴾ يطلب أن تعجل الساعة ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾ استهزاء ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ﴾ خائفون ﴿مِنْهَا﴾ لما يعلمون من أهوالها ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ﴾ فتجيء قطعاً ﴿إِلَّا﴾ للتنبيه ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَمَارُونَ﴾ يشككون ويجادلون ﴿فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ﴾ انحراف عن الحق ﴿بَعِيدٍ﴾ عن الواقع.

[١٩] ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ﴾ بار ﴿بِعِبَادِهِ﴾ كلهم ﴿يَرْزُقُ مِنْ يَشَاءُ﴾ بما يشاء حيث تقتضي المصالح ﴿وَهُوَ الْقَوِيُّ﴾ فيما يريد ﴿الْعَزِيزُ﴾ الذي لا يغالب.

[٢٠] ﴿مَنْ كَانَ يَرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ﴾ ثوابها^(١) الذي هو نتيجة زرعه الأعمال الصالحة في الدنيا ﴿نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾ لأننا نعطيه بدل الواحد عشرة ﴿وَمَنْ كَانَ يَرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ بعض الدنيا ﴿وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ إذ لم يحرث للآخرة.

[٢١] ﴿أَمْ﴾ بل ﴿لَهُمْ﴾ للمشركين ﴿الشُّرَكَاءُ﴾ الأصنام التي جعلوها شريكة لله ﴿شُرَعُوا﴾ وضعوا وفتنوا ﴿لَهُمْ مِنَ الدِّينِ﴾ الطريقة في العمل والعقيدة ﴿مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ إذ لم يأذن الله إلا بطريقة الإسلام ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ﴾ الوعد بتأخير الفصل والقضاء إلى يوم القيامة ﴿لَقَضَىٰ﴾ حُكْم ﴿بَيْنَهُمْ﴾ بين المشركين والمؤمنين بإهلاك المشركين ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ أنفسهم بالشرك والعصيان ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم في الآخرة.

[٢٢] ﴿تَرَى الظَّالِمِينَ﴾ في الآخرة ﴿مُشْفِقِينَ﴾ خائفين ﴿مِمَّا كَسَبُوا﴾ من الكفر والمعاصي في الدنيا ﴿وَهُوَ﴾ وبال ما عملوا ﴿وَأَوَّاعٌ بِهِمْ﴾ لا محالة أشفقوا أم لا ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ في روضات الجنات ﴿مَنْزِلَاتُهَا﴾ منزلاتهم ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ﴾ يريدون ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ في الآخرة ﴿ذَلِكَ﴾ الثواب ﴿هُوَ الْفَضْلُ﴾ الزيادة من الله لهم ﴿الْكَبِيرُ﴾.

وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجِيبَ لَهُمْ حُجَّتَهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ الْآلِ الَّذِينَ يَمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رِوَضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾

[٢٣] ﴿ذَلِكَ﴾ الثواب هو ﴿الذي يبشر الله عباده﴾ به ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات قل لا أسألكم عليه﴾ على أداء الرسالة ﴿أجراً إلا المودة﴾ الحب وإظهاره ﴿في القريب﴾ في أقربائي، فإن ذلك أيضاً عائد إليهم، لأنهم ﷺ الشارحون للكتاب الهادون إلى الصواب ﴿ومن يقترف﴾ يكتب ﴿حسنة﴾ عملاً حسناً ﴿نزد له فيها﴾ لمضاعفة ثوابها إلى عشرة أضعاف ﴿حسناً إن الله غفور﴾ للسيئات ﴿شكور﴾ للحسنات.

[٢٤] ﴿أَمْ﴾ بل ﴿يقولون افترى﴾ محمد ﷺ ﴿على الله كذباً﴾ في ادعائه الرسالة ﴿فإن يشأ الله﴾ إذا كنت كاذباً ﴿يختم على قلبك﴾ بأن تنسى القرآن فكيف تكون مفترياً والحال أن الله أنزل القرآن على قلبك مما يدل على أنك من قبله تعالى ﴿ويمح الله الباطل﴾ الذي يقولونه ﴿ويحق الحق﴾ يظهر كونه حقاً ﴿بكلماته﴾ بوحيه إليك ﴿إنه عليم بذات الصدور﴾ أي بمضمراتها، والمراد بالصدور القلوب التي في الصدور.

[٢٥] ﴿وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون﴾ فكيف تتركون هذا الإله وتتخذون الأصنام.

[٢٦] ﴿ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ أي يجيبهم إلى ما يسألونه ﴿ويزيدهم من فضله﴾ بأن يعطيهم

ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهَ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْرِضْ حَسَنَةً نَّزَدْ لَهُ فِيهَا حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِن يَشَاءِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحْيِي الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ ۚ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ سَـَّطَ اللَّهُ الرَّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِن يَنْزِلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ الَّذِي يَنْزِلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ وَمِن آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِن دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذْ يَأْتِيَنَّ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ وَمَا أَصَابَكُمْ مِّن مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾

ما لا يسألون ﴿والكافرون لهم عذاب شديد﴾ في الآخرة.

[٢٧] ﴿ولو بسط﴾ وسع ﴿الله الرزق لعباده لبغوا﴾ ظلموا وتعدوا الحدود ﴿في الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء﴾ بقدر ما تقتضيه المصلحة ﴿إنه بعباده خبير﴾ يعلم كل شيء منهم ﴿بصير﴾ يراهم.

[٢٨] ﴿وهو الذي ينزل الغيث﴾ المطر ﴿من بعد ما قنطوا﴾ أي يشوا عن نزوله ﴿وينشر رحمته﴾ يبسطها على الناس ﴿وهو الولي﴾ الذي يتولى أمور الناس ﴿الحميد﴾ المحمود في أفعاله.

[٢٩] ﴿ومن آياته﴾ الدالة على وجوده وصفاته ﴿خلق السماوات والأرض وما بث﴾ نشر ﴿فيهما من دابة﴾ حيوانات تدب وتتحرك ﴿وهو على جميعهم﴾ بإماتتهم أو حشرهم ﴿إذا يشاء قدير﴾ في أي وقت شاء.

[٣٠] ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم﴾ أي بسبب ذنوبكم - وهذا غالبي - ﴿ويعفو عن كثير﴾ من الذنوب فلا يعاقبكم عليه.

[٣١] ﴿وما أنتم بمعجزين﴾ قادرين على أن تعجزوا الله حتى لا يتمكن من أخذكم ﴿في الأرض وما لكم من دون الله من ولي﴾ يتولى شؤونكم ﴿ولا نصير﴾ ينصركم من بأس الله.

[٣٢] ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ الْسِفْنِ الْجَارِيَةِ﴾ في البحر كالأعلام.

[٣٣] ﴿إِنْ يَشَأْ﴾ الله ﴿يَسْكُنُ الرِّيحَ﴾ بأن لا تهب ﴿فَيُظِلُّنَّ﴾ فيبين تلك السفن ﴿وَرَوَاكِدَ﴾ واقفات ﴿على ظهره﴾ ظهر البحر ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ﴾ التسيير للسفن ﴿آيَاتٍ﴾ على الله وصفاته ﴿لِكُلِّ صَبَّارٍ﴾ كثير الصبر والتأمل في الآيات ﴿شُكُورٍ﴾ فإن الشاكر أعرف بالآية لأنه يتحرّاهم ليشرها.

[٣٤] ﴿أَوْ يُوَفِّقَهُنَّ﴾ أي إن شاء أهلك أهل السفن بإرسال ربح شديدة لتغرقها ﴿بِمَا كَسَبُوا﴾ بسبب أعمالهم السيئة ﴿وَيُعِيفَ عَنْ كَثِيرٍ﴾ من الناس أو من الذنوب.

[٣٥] ﴿وَيُعَلِّمُ﴾ عطف على علة مقدرة أي إن شاء أهلكهم ليتنقم وليعلم ﴿الَّذِينَ يَجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ لأجل إبطالها ﴿مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ﴾ مهرب من العذاب.

[٣٦] ﴿فَمَا أُوتِيتُمْ﴾ أعطيتكم ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ من الأموال وما أشبه ﴿فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ تمتعون بها مدة حياتكم ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ من ثواب الآخرة ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ أكثر بقاء ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ في أمورهم.

[٣٧] ﴿وَالَّذِينَ﴾ عطف على (الذين) ﴿يَجْتَنِبُونَ كِبَائرَ الإِثْمِ﴾ الآثام الكبيرة، أما الصغائر فكثيراً ما يتلى الإنسان بها ﴿وَالْفَوَاحِشَ﴾ المعاصي المتعدية للحد ﴿وَإِذَا مَا﴾

زائدة للتأكيد ﴿غَضِبُوا﴾ بما يفعل بهم من الظلم ﴿هَمَّ يَغْفِرُونَ﴾ ويتجاوزون عن الظالم.

[٣٨] ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾ أجابوه فيما دعاهم إليه ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى﴾ ذو تشاور ﴿بَيْنَهُمْ﴾ لا يقدمون عليه إلا بعد المشورة ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ في طاعة الله.

[٣٩] ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ﴾ الظلم من غيرهم ﴿هَمَّ يَتَصَدَّقُونَ﴾ ينصر بعضهم بعضاً لدفع ذلك البغي، ولا تنافي بين هذه الآية والآية السابقة إذ للغو محل وللتنقام محل.

[٤٠] ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةً مِثْلُهَا﴾ بدون زيادة ﴿فَمَنْ عَفَا﴾ عن المؤاخذه ﴿وَأَصْلَحَ﴾ بينه وبين خصمه ﴿فَاجْرِهِ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ الذين يظلمون الناس.

[٤١] ﴿وَلَمَنْ﴾ أي الذي ﴿انْتَصَرَ﴾ على خصمه ﴿بَعْدَ ظَلْمِهِ﴾ بعد أن ظلمه شخص ﴿فَأُولَئِكَ﴾ المنتصرون ﴿مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾ بالمعاقبة والمعاقبة.

[٤٢] ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ﴾ بالعقاب ﴿عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ﴾ بغير حق ﴿وَيَبْغُونَ﴾ يتعدون ﴿فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ أولئك لهم عذاب أليم ﴿مَوْلًى لَأَجْلِ ظَلْمِهِمْ﴾.

[٤٣] ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ﴾ على الأذى ﴿وَغَفَرَ﴾ لمن تعدى عليه إذا كان موقع الغفران ﴿إِنْ ذَلِكَ﴾ الصبر والغفران ﴿لَمَنْ عَزَمَ الْأُمُورَ﴾ معزوماتها المحتاجة إلى عزم في النفس، لأن ذلك صعب جداً، وخبر (لمن) مقدر، أي فهو ذو عزم قوي، وهذا حث على الصبر.

[٤٤] ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ﴾ يتركه حتى يضل لأنه ترك قبول الحق ﴿فَمَا لَهُ مِنْ لِيٍّ﴾ ناصر يتولى شأنه بالصلاح ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ بعد الله أي سواء ﴿وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ﴾ رجوع إلى الدنيا ﴿مِنْ سَبِيلٍ﴾ طريق حتى نسلكه فترجع إلى الدنيا ونعمل صالحاً.

وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ الْسِفْنِ الْجَارِيَةِ ﴿٣٢﴾ إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلِلُنَّ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ ﴿٣٣﴾ إِنْ فِي ذَلِكَ التَّسْيِيرَ لِّلْسِفْنِ ظَهْرُهُ ﴿٣٤﴾ عَلَى اللَّهِ وَصَفَاتِهِ ﴿لِكُلِّ صَبَّارٍ كَثِيرٍ صَبْرٍ وَالتَّأَمُّلَ فِي الْآيَاتِ ﴿شُكُورٍ﴾ فَإِنَّ الشَّاكِرَ أَعْرِفَ بِالْآيَةِ لِأَنَّهُ يَتَحَرَّاهَا لِيَشْرَهَا. ﴿٣٥﴾ أَوْ يُوَفِّقُهُنَّ أَيَّ إِنْ شَاءَ أَهْلَكَ أَهْلَ السَّفْنِ بِإِرْسَالِ رِبْحٍ شَدِيدَةٍ لِتَغْرُقَهَا ﴿بِمَا كَسَبُوا﴾ بِسَبَبِ أَعْمَالِهِمُ السَّيِّئَةِ ﴿وَيُعِيفَ عَنْ كَثِيرٍ﴾ مِنَ النَّاسِ أَوْ مِنَ الذَّنُوبِ. ﴿٣٦﴾ وَيُعَلِّمُ عَطْفٌ عَلَى عِلَّةٍ مُقَدَّرَةٍ أَيَّ إِنْ شَاءَ أَهْلَكَهُمْ لِيَتَنَقَّمَ وَيَلْعَلِمَ ﴿الَّذِينَ يَجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ لِأَجْلِ إِبْطَالِهَا ﴿مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ﴾ مَهْرَبٍ مِنَ الْعَذَابِ. ﴿٣٧﴾ فَمَا أُوتِيتُمْ أَعْطَيْتُمْ ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ مِنَ الْأَمْوَالِ وَمَا أَشْبَهَ ﴿فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ تَمْتَعُونَ بِهَا مَدَّةَ حَيَاتِكُمْ ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ مِنْ ثَوَابِ الْآخِرَةِ ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ أَكْثَرُ بَقَاءً ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ فِي أُمُورِهِمْ. ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كِبَائرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هَمَّ يَغْفِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٤٠﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤١﴾ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٤٢﴾ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ لِيٍّ وَمَنْ يَهْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾

وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَشِيعَتٍ مِّنَ الدَّلِّ يَنْظُرُونَ
مِنْ طَرَفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ الْخَسِرِينَ الَّذِينَ
خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ
فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِّنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ
مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَهُوَ بِسَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ أَسْتَجِيبُوا
لِرَبِّكُمْ مِّنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِّنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ
مِّنْ مَّلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِّنْ نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا
فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا
أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَحَرَبًا وَلَئِنْ نَصَبْنَاهُمْ سَبِيلَةً
يَمُوتُوا مِن أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ لِلَّهِ مُلْكُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِشَاءً
وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنِشَاءً
وَيَجْعَلُ مِنْ يَشَاءٍ عَاقِمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قُدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَمَا كَانَ
لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ
رَسُولًا فَيُوحِيَ بآيَاتِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ ﴿٥١﴾

[٤٥] «وتراهم يعرضون عليها خشيعات من الدل يَنْظُرُونَ على شفيرها في حال كونهم «خاشعين» أذلاء «من الدل ينظرون من طرف خفي» نظر قليل يسرقون النظر إلى النار، كما هو شأن كل ذليل في محل فإنه لا يجزؤ من النظر بملا عينه «وقال الذين آمنوا إن الخاسرين» الكمالي الخسران هم «الذين خسروا أنفسهم» بتعرضها للعذاب «وأهلهم» بأن أدخلوهم النار أيضاً، أو دخل الأهل في الجنة فلم يكونوا مع آبائهم وأولياتهم «يوم القيامة» إلا إن الظالمين في عذاب مقيم» دائم.

[٤٦] «وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله» غير الله «ومن يضلل الله» بأن يتركه حتى يضل «فما له من سبيل» للوصول إلى الهداية والجنة.

[٤٧] «استجيبوا» أجيبوا «لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له» لا رجوع لذلك اليوم، فلا يتأخر حتى يكون الإنسان في الحالة السابقة «من الله» صلة (مرد)، أي لا يرد الله بعد إتيانه «ما لكم من ملجأ» تلجئون إليه ليرد العذاب عنكم «يومئذ وما لكم من نكير» قوة إنكار ترد العذاب عنكم.

[٤٨] «فإن أعرضوا» أعرض الكفار عن قبول قولك «فما أرسلناك عليهم حفيظاً» تحفظهم عن الكفر، فلا تغتم لذلك «إن» ما «عليك إلا البلاغ» أن تبلغهم وقد

فعلت «وإننا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة فرح بها وإن نصبهم سيئة» كال فقر والمرض «بما قذمت أيديهم» بسبب أعمالهم «فإن الإنسان كفور» كثير الكفران ينسى النعم الكثيرة التي هو فيها ويتذكر النعمة المفقودة فقط.

[٤٩] «لله ملك السماوات والأرض يخلق ما يشاء» فله أن يقسم النعمة والنعمة كيف يشاء «يهب لمن يشاء إناثاً» من الأولاد «ويهب لمن يشاء الذكور».

[٥٠] «أو يزوجهم» يعطيهم القسمين «ذكراً وإناثاً ويجعل من يشاء عقيماً» فلا يعطيه الأولاد «إنه عليم» بما فيه الصلاح «قدير» لما يريد.

[٥١] «وما كان» ما صح «لبشر أن يكلمه الله» وجهاً لوجه لأنه مستحيل، فإنه تعالى ليس بجسم «إلا وحياً» إلهاماً كما كلم أم موسى «أو من وراء حجاب» بأن لا يرى الله كما كلم موسى ﷺ «أو يرسل رسولا» كجبرئيل أتى محمداً ﷺ بما أراد الله «فيوحي» الرسول أي الملك إلى النبي أو غيره «بإذنه» تعالى «ما يشاء» من الأقوال والأحكام «إنه علي» عن رؤية الأبصار «حكيم» يفعل ما يقتضيه الصلاح.

[٥٢] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ هكذا ﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا﴾ القرآن وإنما سمي روحاً لأن العالم بلا نظام صحيح كالبيت والقرآن نظام للعالم ﴿مَنْ أَمَرْنَا﴾ من جنس أوامرنا ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ﴾ القرآن ﴿وَلَا الْإِيمَانُ﴾ فإن الرسول ﷺ بدون تعليم الله لا يدري شيئاً ﴿وَلَكِنْ أَوْحَيْنَا فَعَلِمْتَ﴾ جعلناه ﴿أَيَّ الْقُرْآنِ﴾ نوراً نهدي به من نشاء ﴿مِمَّنْ قَبْلَ الْهَدَايَةِ﴾ من عبادنا وإنك لتهدي ﴿تُرْشِدُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

[٥٣] ﴿صِرَاطَ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ إلى الله تصير ﴿تَرْجِعُ الْأُمُورَ﴾ كل شيء من الخلق وأعمالهم، فيجازي كل حسب عمله.

٤٣: سورة الزخرف

مكية آياتها تسع وثمانون

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

[١] ﴿حَمْدٌ﴾ رمز بين الله والرسول ﷺ.

[٢] ﴿وَالْكِتَابُ﴾ قسماً بالقرآن ﴿الْمُبِينُ﴾ الموضح طريق الحق، وخبر القسم مقدر دل عليه ﴿أَفَنْضِرُ﴾ أي لا نصرف الذكر عنكم.

[٣] ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ﴾ أي الكتاب ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ بلغة العرب ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ تفهمونه.

[٤] ﴿وَإِنهٗ﴾ أي القرآن ﴿فِي أُمِّ الْكِتَابِ﴾ اللوح المحفوظ لأن الكتب السماوية مأخوذة منه، الذي هو ﴿لَدِينَا﴾ في الملا الأعلى ﴿لَعَلِّي﴾ رفيع ﴿حَكِيمٌ﴾ قد أحكمت آياته.

[٥] ﴿أَفَنْضِرُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ﴾ القرآن ﴿صَفْحًا﴾ كما يضرب على صفح الدابة وطرفها، لأجل أن تنصرف إلى طريق آخر ﴿أَنْ﴾ لأن ﴿كُنْتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾ مجاوزين الحد بأن يكون عدم قبولكم للقرآن موجباً لرفع أحكامه عنكم، والاستفهام للإنكار أي لا يكون هذا.

[٦] ﴿وَكَمْ﴾ للكثرة ﴿أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأُمَمِ﴾ الأولين السابقين.

[٧] ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ وهذا تسلية للرسول ﷺ.

[٨] ﴿فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ﴾ من قومك ﴿بَطْشًا﴾ أخذاً، أي الذين هم كانوا أقوى من قومك، وهذا تهديد للكفار ﴿وَمُضَى﴾ سلف في القرآن ﴿مِثْلَ الْأَوَّلِينَ﴾ قصص أخذهم لما كفروا.

[٩] ﴿وَلَوْ أَنَّ سَأَلْتَهُمْ﴾ أي المشركين ﴿مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ﴾ الذي لا يغالب ﴿الْعَلِيمُ﴾ بخلقه، فلماذا يتخذون الأصنام آلهة.

[١٠] ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾ مستقراً ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ طرقاً تسلكون فيها ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ إلى وجوده سبحانه لما ترون من آثار قدرته.

وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِمَّا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ
وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا
وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطَ اللَّهِ الَّذِي لَهُ
مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥٣﴾

سُورَةُ الزَّخْرَفِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ﴿١﴾ وَالْكِتَابُ الْمُبِينُ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا
لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّمَا فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدِينَا
لَعَلِّي حَكِيمٌ ﴿٤﴾ أَفَنْضِرُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا
أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي
الْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ
﴿٧﴾ فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَى مِثْلُ الْأَوَّلِينَ
﴿٨﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ
خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ
مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾

[١١] ﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَقْدَرُ فَأَنْشَرْنَاهُ بِهِ بَلَدَهُ مَبِيتًا ﴿١١﴾ بِمِقْدَارِ يَرَاهُ صَاحِبًا ﴿١٢﴾ فَأَنْشَرْنَاهُ بِهِ بَلَدَهُ مَبِيتًا ﴿١٣﴾ أَحْيَيْنَاهَا بِالزَّرْعِ ﴿١٤﴾ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ يَابِسَةً ﴿١٥﴾ كَذَلِكَ ﴿١٦﴾ كَحَيَاةِ الْأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴿١٧﴾ فَخَرَجُونَ ﴿١٨﴾ مِنَ الْقُبُورِ لِلْبَعْثِ ﴿١٩﴾﴾

[١٢] ﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ ﴿١٢﴾ أَصْنَافَ الْخَلْقِ ﴿١٣﴾ كُلِّهَا ﴿١٤﴾ وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفَلَكَ ﴿١٥﴾ السَّفِينَةَ ﴿١٦﴾ وَالْأَنْعَامَ ﴿١٧﴾ الْإِبِلَ ﴿١٨﴾ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٩﴾ فِي الْبَحْرِ وَالْبَرِ ﴿٢٠﴾﴾

[١٣] ﴿لَتَسْتَخْوُوا ﴿١٣﴾ تَسْتَقِرُّوا ﴿١٤﴾ عَلَى ظُهُورِهِ ﴿١٥﴾ أَيُّ ظَهَرٍ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ ﴿١٧﴾ بَانَ تَشْكُرُوهُ عَلَى تِلْكَ النِّعْمَةِ ﴿١٨﴾ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ ﴿١٩﴾ أَنْزَلَهُ تَنْزِيلًا ﴿٢٠﴾ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا ﴿٢١﴾ ذَلَّلَهُ لَنَا لِنَرْكَبَهُ ﴿٢٢﴾ وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿٢٣﴾ مُطِيقِينَ مُقَارِنِينَ فِي الْقُوَّةِ ﴿٢٤﴾﴾

[١٤] ﴿وَأَنَا إِلَى رَبِّنَا ﴿١٤﴾ إِلَى جَزَائِهِ ﴿١٥﴾ لِمَنْقَلِبُونَ ﴿١٦﴾ رَاجِعُونَ ﴿١٧﴾ فَإِنَّ السَّفَرَ يَذْكُرُ بِسَفَرِ الْآخِرَةِ ﴿١٨﴾﴾

[١٥] ﴿وَجَعَلُوا ﴿١٥﴾ أَيُّ الْمَشْرُوكِ ﴿١٦﴾ لَهُ ﴿١٧﴾ مِنْ عِبَادِهِ ﴿١٨﴾ جُزْءًا ﴿١٩﴾ حَيْثُ قَالُوا الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ﴿٢٠﴾ فَإِنَّ الْمَسِيحَ ﷺ مِنْ عِبِيدِ اللَّهِ ﴿٢١﴾ فَجَعَلُوهُ وَلَدًا لَهُ ﴿٢٢﴾ وَالْوَلَدُ جُزْءٌ مِنَ الْوَالِدِ ﴿٢٣﴾ إِنْ الْإِنْسَانُ لَكَفُورٌ ﴿٢٤﴾ كَثِيرُ الْكُفْرِ وَالْكَفْرَانِ ﴿٢٥﴾ مُبِينٌ ﴿٢٦﴾ ظَاهِرُ الْكُفْرِ ﴿٢٧﴾﴾

[١٦] ﴿أَمْ ﴿١٦﴾ اسْتِفْهَامُ إِنْكَارِي أَيْ هَلْ ﴿١٧﴾ اتَّخَذَ ﴿١٨﴾ اللَّهُ ﴿١٩﴾ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتَ ﴿٢٠﴾ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَقُولُونَ الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللَّهِ ﴿٢١﴾

﴿وَأَصْفَاكُم﴾ اختاركم ﴿بِالْبَيْنِ﴾ بأن أعطاكم البنين، فلم يكتفوا بجعل الولد له بل جعلوا الأولاد من أحسن الأولاد في نظرهم.

[١٧] ﴿وَإِذَا بَشَّرَ أَحَدَهُمْ بِمَا ﴿١٧﴾ أَيُّ الْبَنَاتِ الَّتِي ﴿١٨﴾ ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ﴿١٩﴾ جَعَلَهَا لَهُ شَبِيهًا ﴿٢٠﴾ إِذَا الْوَلَدُ شَبِهَ الْوَالِدَ ﴿٢١﴾ ظَلَّ ﴿٢٢﴾ صَارَ وَجْهَهُ مَسْوَدًا ﴿٢٣﴾ اسْوَدَّ مِنَ الْخَجَلِ وَالْغَضَبِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٢٥﴾ مَمْتَلَى غِيظًا ﴿٢٦﴾﴾

[١٨] ﴿أَوْ ﴿١٨﴾ جَعَلُوا لَهُ ﴿١٩﴾ مَنْ يَنْشَأُ فِي الْحَلِيَّةِ ﴿٢٠﴾ أَيُّ الْبَنَاتِ الَّتِي تَتَرَبَّى فِي الزِينَةِ ﴿٢١﴾ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ ﴿٢٢﴾ عِنْدَ الْمُخَاصِمَةِ ﴿٢٣﴾ غَيْرِ مُبِينٍ ﴿٢٤﴾ مُوضِحٍ لِلْحُجَّةِ ﴿٢٥﴾ فَإِنَّ النِّسَاءَ هَكَذَا لَكُنَّ عَاطِفِيَّاتٍ وَذَلِكَ يُوجِبُ عَدَمَ قُدْرَتِهِنَّ عَلَى الْإِتْيَانِ بِالْحُجَّةِ الْعَقْلِيَّةِ الْكَامِلَةِ عَادَةً ﴿٢٦﴾﴾

[١٩] ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثًا ﴿١٩﴾ فَقَالُوا هُم بَنَاتُ اللَّهِ ﴿٢٠﴾ أَشْهَدُوا ﴿٢١﴾ هَلْ حَضَرُوا ﴿٢٢﴾ خَلَقَهُمْ ﴿٢٣﴾ وَتَ وَجَدْتُهُمْ فَرَأَوْهُمْ إِنثًا وَهَذَا اسْتِفْهَامُ إِنْكَارٍ ﴿٢٤﴾ سَتَكْتَبُ ﴿٢٥﴾ السِّينَ لِلتَّحْقِيقِ ﴿٢٦﴾ شَهَادَتَهُمْ ﴿٢٧﴾ بِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ إِنَاثٌ ﴿٢٨﴾ وَيُسَالُونَ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ أَفْرَائِهِمْ ﴿٣٠﴾﴾

[٢٠] ﴿وَقَالُوا ﴿٢٠﴾ عِبَادُ الْمَلَائِكَةِ ﴿٢١﴾ لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ ﴿٢٢﴾ أَنْ لَا نَعْبُدَ الْمَلَائِكَةَ ﴿٢٣﴾ مِمَّا عِبَدْنَاهُمْ ﴿٢٤﴾ فَإِنَّمَا عِبَدْنَا الْمَلَائِكَةَ لِأَنَّ اللَّهَ شَاءَ لَنَا أَنْ نَعْبُدَهُمْ ﴿٢٥﴾ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ ﴿٢٦﴾ أَيُّ بِمَا قَالُوا مِنْ أَنَّ اللَّهَ شَاءَ لَنَا عِبَادَةَ الْمَلَائِكَةِ ﴿٢٧﴾ مِنْ عِلْمٍ ﴿٢٨﴾ مُسْتَدَدٍ وَدَلِيلٍ ﴿٢٩﴾ إِنْ ﴿٣٠﴾ مَا هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٣١﴾ يَكْذِبُونَ فِي هَذَا الْقَوْلِ ﴿٣٢﴾﴾

[٢١] ﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ ﴿٢١﴾ قَبْلَ الْقُرْآنِ مَكْتُوبًا فِيهِ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ إِنَاثٌ ﴿٢٢﴾ فَهَمْ بِهِ ﴿٢٣﴾ بِذَلِكَ الْكِتَابِ ﴿٢٤﴾ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢٥﴾ مَتَمَسِّكُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَا حُجَّةَ لَهُمْ عَقْلِيَّةً وَلَا نَقْلِيَّةً ﴿٢٧﴾﴾

[٢٢] ﴿بَلْ ﴿٢٢﴾ صَرَفَ التَّقْلِيدَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ ﴿٢٤﴾ عَلَى طَرِيقَةٍ ﴿٢٥﴾ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ ﴿٢٦﴾ سَالِكُونَ ﴿٢٧﴾﴾

[٢٣] ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ﴾ يا محمد ﷺ ﴿فِي قَرْيَةٍ﴾ بلد ﴿مِنْ نَذِيرٍ﴾ نبي أو قائم مقامه ﴿إِلَّا قَالَ مَتَرُوهَا﴾ الأغنياء، وخصهم بالذكر لأنهم عادة يعارضون الأنبياء ابتداء ﴿إِنَّا وَجَدْنَا أَبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾ فأقول هؤلاء مثل أقوال أولئك.

[٢٤] ﴿قَالَ﴾ الرسول ﷺ ﴿أَأَتَّبِعُونَ آبَاءَكُمْ﴾ ولو جنتكم ﴿بِـ دِينٍ﴾ أهدى ﴿أَكْثَرَ اسْتِقَامَةً﴾ مما وجدتم عليه آباءكم ﴿مِنَ الدِّينِ﴾ قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون ﴿وَإِنْ كَانَ أَهْدَىٰ﴾.

[٢٥] ﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ بإزالة العذاب ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ الذين كذبوا الرسل.

[٢٦] ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ من الأصنام.

[٢٧] ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ خلقتني ﴿فَإِنَّهُ سَيَّهَدَنِي﴾ يهديني إلى الطريق المستقيم، والسين للتأكيد.

[٢٨] ﴿وَجَعَلَهَا﴾ جعل إبراهيم كلمة التوحيد ﴿كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ﴾ ذريته فلا يزال فيهم من يدعو إلى التوحيد ويوحّد الله ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ من الشرك إلى التوحيد بدعائه ودعاء عقبه.

[٢٩] ﴿بَلْ﴾ أي سبب كفرهم ليس أنهم يرون ما جاء به الرسول باطلاً، وإنما لأنهم أترفوا وعادة المترفين الكفر

﴿مَتَّعْتُ هَؤُلَاءَ وَآبَاءَهُمْ﴾ بأنواع النعم فانهمكروا في الشهوات ﴿حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ ظاهر.

[٣٠] ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا الْقُرْآنُ سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ﴾ فزادوا إلى شركهم معاندة الحق.

[٣١] ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنْ أَهْلِ الْقُرَيْتَيْنِ﴾ مكة والطائف ﴿عَظِيمٍ﴾ صفة رجل، أرادوا الوليد بن مغيرة بمكة وعروة بن مسعود بالطائف فإنهم زعموا أن الرسالة لا تليق إلا بمن له مال وجاه.

[٣٢] ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ فيضعون النبوة حيث شاءوا ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ولم نكل تدبيرها إليهم فكيف نفوض أمر الرسالة الذي هو من أعظم الأمور إلى تقديراتهم ﴿وَوَرَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ في الرزق والعلم والذكاء ﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرِيًّا﴾ مسخراً يستخدمه في حوائجه لتتنظم أمور العالم فليس المال والجاه دليل عظم الشخص حتى يكون قابلاً للنبوة كما زعموا ﴿وَرَحِمْتَ رَبِّكَ﴾ كالنبوة ﴿خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ من الأموال، وإنما يعطاها من كانت له قابلية نفسية.

[٣٣] ﴿وَلَوْلَا أَنَّ يَكُونُ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ مجتمعين على الكفر، حيث يرون الكفار أعلى درجة منهم، لجعلنا الكفار أكثر مالاً، وذلك لبيان أن المال لا قيمة له، خلاف ما زعموا من أن الأموال الكثيرة دليل العظمة ﴿لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ﴾ بدل (لن) ﴿سُقُفًا﴾ جمع سقف ﴿مِنْ فَضَةٍ وَمَعَارِجَ﴾ جمع (معرج) وهو السلم، أي سلال من فضة ﴿عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ يعلون السطوح.

[٣٤] ﴿وَلْيُؤْتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرَرًا﴾ من فضة، جمع سرير ﴿عليها﴾ على تلك السرر ﴿يتكثون﴾.

[٣٥] ﴿و﴾ جعلنا لهم ﴿زخرفاً﴾ زينة وذهباً ﴿وإن﴾ مخففة من الثقيلة ﴿كل ذلك لئما﴾ قطعاً ﴿متاع الحياة الدنيا﴾ أما ﴿الآخرة﴾ الجنة التي هي ﴿عند ربك﴾ عند محل لطفه فهي ﴿للمتقين﴾ الذين يجتنبون الكفر والمعاصي.

[٣٦] ﴿ومن يمش﴾ يتعمى أو يعرض ﴿عن ذكر الرحمن﴾ نقيض ﴿نهى﴾ له شيطاناً ﴿تركه﴾ حتى يذهب لإغوائه، جزاء إعراضه عن الحق ﴿فهو﴾ الشيطان ﴿له﴾ لذلك الشخص ﴿قرين﴾ ملازم بقصد إضلاله.

[٣٧] ﴿وإنهم﴾ الشياطين ﴿ليصدونهم﴾ يمنعون الذين يعشون ﴿عن السبيل﴾ للهدى ﴿ويحسبون﴾ يظنون ﴿أنهم﴾ مهتدون، إلى الحق والرشاد.

[٣٨] ﴿حتى إذا جاءنا﴾ العاصي في الآخرة ﴿قال يا ليت بيني وبينك﴾ أيها الشيطان ﴿بعد المشركين﴾ مثل بعد المشرق عن المغرب^(١) ﴿ف﴾ أنت ﴿بئس القرين﴾ لي.

[٣٩] ﴿ولن ينفعكم اليوم﴾ في هذا اليوم ﴿إذ ظلمتم﴾ أنفسكم في الدنيا ﴿أنكم﴾ فاعل (ينفعكم)^(٢) ﴿في العذاب مشتركون﴾ أي اشتراككم في العذاب غير مجد لكم، إذ لا يخفف أحدكم عن عذاب الآخر.

[٤٠] ﴿أنفأت﴾ يا محمد ﷺ ﴿تسمع الصم﴾ جمع أصم، شبه به الكافر المعاند لعدم انتفاعه بالسماع ﴿أو تهدي العمي﴾ جمع أعمى، فالمعاند مثله في عدم انتفاعه بنور الإيمان ﴿ومن كان في ضلال مبين﴾ ظاهر يعاند الحق، والاستفهام بقصد تسلية النبي ﷺ.

[٤١] ﴿فإما﴾ أصله (إن) الشرطية و (ما) الزائدة للتأكيد ﴿نذهبن بك﴾ فإننا منهم منتقمون ﴿أي نحن ننتقم من هؤلاء سواء في حياتك أو بعد موتك﴾.

[٤٢] ﴿أو نرينك الذي وعدناهم﴾ من العذاب ﴿فإننا عليهم﴾ على كل حال ﴿مقتدرون﴾ سواء في حياتك أو بعد موتك.

[٤٣] ﴿فاستمسك﴾ تمسك ﴿بالذي أوحى﴾ من الشرائع ﴿إليك﴾ على صراط مستقيم ﴿لا اعوجاج فيه﴾.

[٤٤] ﴿وإنه﴾ القرآن ﴿لذكر﴾ مذكر ﴿لك ولقومك﴾ وسوف تسألون ﴿عن القيام بحقه﴾.

[٤٥] ﴿واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا﴾ أسأل أممهم، نحو (اسأل القرية)^(٣) ﴿أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون﴾ فكيف ينسبون عبادة الأوثان إلى الأنبياء والفرض أن التوحيد دين الأنبياء كلهم.

[٤٦] ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا إلى فرعون وملأه﴾ أشرف قومه ﴿فقال إني رسول رب العالمين﴾.

[٤٧] ﴿فلما جاءهم بآياتنا﴾ بادلنا ﴿إذا هم﴾ فرعون وملأه ﴿منها﴾ من الآيات ﴿يضحكون﴾ يستهزون بها.

وَلْيُؤْتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرَرًا عَلَيْهَا يَتَكُونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرَفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعَ لَعَلَّوْا الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ عَنْذَرَكَ ﴿٣٥﴾ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٧﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٣٨﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ نَا قَالْ يَبْنَوت بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الشَّرَافَيْنِ فَيَنْسُ الْفَرِيقَيْنِ ﴿٣٩﴾ وَلَنْ يَنْفَعَكَ يَوْمَ إِيذًا ظَلَمْتَ أَتُكْذِرُ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٤٠﴾ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْأَعْمَىٰ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤١﴾ فَإِنَّا نَذْهَبُ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ ﴿٤٢﴾ أَوْ نَرِيكَ الَّذِي وَعَدْتُهُمْ فَإِنَّا عَلِيمٌ مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٣﴾ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٤﴾ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿٤٥﴾ وَسَأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٨﴾

(١) المشرقين: المشرق والمغرب، والثنية للتغليب كالحسينين ﷺ.

(٢) أي أن وما بعدها في تأويل المصدر فاعل (ينفعكم).

(٣) سورة يوسف: ٨٢.

[٤٨] ﴿وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا تَأْتِيهِمْ كَالْعَصَا وَالطُّوفَانِ وَالْجَرَادِ﴾ [إلا هي أكبر من أختها] في الدلالة على صدق موسى ﷺ ﴿وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ﴾ كالجراد والقمل والضفادع ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عن كفرهم.

[٤٩] ﴿وَقَالُوا﴾ أي فرعون وملأه ﴿يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ﴾ أن يكشف عنا العذاب إن صرنا في صدد الإيمان، ادعه بكشف العذاب، فإن كشفه ف ﴿إِنَّا لَمُهْتَدُونَ﴾ نقبل قولك.

[٥٠] ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾ يخالفون عهدهم فلا يؤمنون.

[٥١] ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي﴾ تحت قصوري ﴿أَفَلَا تَبْصُرُونَ﴾ ما أنا فيه من العز والملك.

[٥٢] ﴿أَمْ﴾ تبصرون فتعلمون ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا﴾ موسى ﷺ بزعمه أن كثرة المال والملك دالة على الأفضلية ﴿الَّذِي هُوَ مُهَيَّنٌ﴾ حقير والعباد بالله لا يصلح للرياسة ﴿وَلَا يَكَادُ يَبِينُ﴾ لا يقدر على التكلم، فإن موسى ﷺ لم يكن فصيح اللسان.

[٥٣] ﴿فَلَوْلَا﴾ فهلا إذا كان صادقاً ﴿أَلْقَىٰ عَلَيْهِ﴾ من السماء ﴿أَسُورَةً﴾ جمع سوار، ما يلبس في اليد ﴿مِنْ ذَهَبٍ﴾ وكان ذلك من علائم الملوك يلبسون السوار من الذهب والفضة ﴿أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقَرَّنِينَ﴾ يقرن بعضهم ببعض يشهدون له أنه نبي مرسل.

[٥٤] ﴿فَاسْتَخَفَّ﴾ فرعون ﴿قَوْمَهُ﴾ بأن طلب من قومه الخفة في طاعته ﴿فَاطَاعُوهُ﴾ في الكفر والعصيان ﴿إِنْهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ خارجين عن طاعة الله.

[٥٥] ﴿فَلَمَّا أَسْفَوْنا﴾ أغضبونا لما رأينا من عنادهم ﴿انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

[٥٦] ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سُلَفًا﴾ متقدمين على من أتى بعدهم من الكفار في نزول العذاب بهم ﴿وَمِثْلًا﴾ موعظة وعبرة ﴿لِلْآخِرِينَ﴾ الذين يأتون من بعدهم.

[٥٧] ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مِثْلًا﴾ ضرب المشركون مثلاً لعيسى ﷺ لأجل إبطال كلام الرسول ﷺ حيث أنزل عليه (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم) ^(١) فقالوا على هذا يلزم أن يكون عيسى ﷺ حصب جهنم لأنه عبد من دون الله، جاهلين أنه ورد في الآية (ما) وهي تطلق على ما لا يعقل فلا تشمل الآية المسيح ﷺ ﴿إِذَا قَوْمُكَ﴾ قريش ﴿مِنْهُ﴾ من المثل ﴿يَصِدُّونَ﴾ يصيحون فرحاً لزعمهم أن الرسول ﷺ انقطع ^(٢).

[٥٨ - ٦٠] ﴿وَقَالُوا أَلَهْتْنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ﴾ عيسى ﷺ، فإذا كان عيسى ﷺ الذي هو خير في النار فلتكن آلهتنا أيضاً في النار ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾ بالباطل ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ شديداً الخصومة والجدال، ثم عطف القرآن السياق إلى حقيقة أمر عيسى ﷺ بقوله: ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هُوَ﴾ المسيح ﷺ ﴿إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مِثْلًا﴾ أمراً عجبياً كالمثل السائر، أو آية ﴿لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾. ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ﴾ بلكم ﴿مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ﴾ يخلف بعضهم البعض، فإننا نقدر على إبادتكم أيها الكفار.

(١) سورة الأنبياء: ٩٨.

(٢) صد يصد صدأ: ضج وعج، لسان العرب: ج ٣ ص ٢٤٦.

[٦١] ﴿وإنه﴾ أي هلاك الناس جميعاً ﴿لعلم﴾ سبب علم ﴿للساعة﴾ للقيامة، فإن هلاك الناس بأجمعهم يكون من علامت القيامة ﴿فلا تمترون بها﴾ فلا تشككون أيها الناس في مجيء القيامة ﴿واتبعون﴾ في أوامري ﴿هذا﴾ اتبعي ﴿صراط مستقيم﴾ لا يضل سالكه .

[٦٢] ﴿ولا يصدنكم الشيطان﴾ لا يمنعنكم عن سلوك الطريق المستقيم ﴿إنه لكم عدو مبين﴾ ظاهر العداوة .

[٦٣] ﴿ولما جاء عيسى بالبينات﴾ بالأدلة الظاهرة ﴿قال﴾ قد جئتكم بالحكمة ﴿بالإنجيل الذي هو معرفة مواضع الأشياء في العقيدة والعمل﴾ ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه ﴿من أمور الشريعة السابقة﴾ فاتقوا الله ﴿خافوا عقابه في مخالفتي﴾ وأطيعوني ﴿أطيعوني﴾ .

[٦٤] ﴿إن الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا﴾ توحيدہ ﴿صراط مستقيم﴾ .

[٦٥] ﴿فاختلف الأحزاب﴾ الجماعات ﴿من بينهم﴾ بين الذين أرسل إليهم، فقسم آمنوا به وقسم لم يؤمنوا ﴿فويل للذين ظلموا﴾ أنفسهم بمخالفتهم عيسى ﴿من عذاب يوم﴾ القيامة ﴿اليم﴾ مؤلم .

[٦٦] ﴿هل ينظرون﴾ هل ينتظر هؤلاء الكفار الذين لا يؤمنون بالرسول ﴿بعد إتمام الحجة﴾ إلا الساعة أن تأتيهم بغتة ﴿فجأة﴾ وهم لا يشعرون ﴿بها لغفلتهم عنها﴾ .

[٦٧] ﴿الأخلاء﴾ الأحباب ﴿يومئذ﴾ يوم القيامة ﴿بعضهم لبعض عدو﴾ لأن ما تحابوا عليه صار سبب عدائهم ﴿إلا المتقين﴾ من الأخلاء .

[٦٨] فيقال لهم ﴿يا عباد لا خوف عليكم اليوم﴾ من العذاب ﴿ولا أنتم تحزنون﴾ لفوات ثواب .

[٦٩] ﴿الذين﴾ صفة لـ (عباد) ﴿آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين﴾ أسلموا لله تعالى .

[٧٠] ﴿ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم﴾ زوجاتكم ﴿تحبرون﴾ تسرون سروراً يبدو في وجوهكم .

[٧١] ﴿يطاف عليهم بصحاف﴾ جمع صحيفة أي القصعة فيها الطعام ﴿من ذهب وأكواب﴾ جمع كوب وهو قسم من الكوز لا عروة له، فيه الشراب ﴿وفيهما ما تشتهي النفس﴾ من النعم ﴿وتلذذ الأعين﴾ من المناظر الحسنة ﴿وأنتم فيها﴾ في الجنة ﴿خالدون﴾ دائمون .

[٧٢] ﴿و﴾ يقال لهم ﴿تلك الجنة التي أوردتموها﴾ بأن صرتم أهلها بعد أن لم تكن لكم ﴿بما كنتم تعملون﴾ بسبب أعمالكم الصالحة .

[٧٣] ﴿لكم فيها فاكهة كثيرة منها﴾ من تلك الفاكهة ﴿تأكلون﴾ .

وَأَنَّهُ لَعَلَّكُمْ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُونَ بِهَا وَأَتَّبِعُونَ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدُّكُمْ الشَّيْطَانُ إِنَّكُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلَآئِينَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْآلِيسِ ﴿٦٥﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَتَجَمَّعُونَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ﴿٧١﴾ وَفِيهَا مَا شَتَّىٰ هَبْهُ الْأَنْفُسُ وَلَذَّةُ الْأَعْيُنِ وَأَنُتَرَفُفِيهَا كَخِلَافِهِمْ ﴿٧٢﴾ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أوردتموها كما كنتم تعملون ﴿٧٣﴾ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٤﴾

[٧٤ - ٧٥] ﴿إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ [٧٤] لَا يَشْرَعُهُمْ وَهُمْ يَفْتَرُونَ لَا يَخْفَفُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مَبْلُوسُونَ ﴿٧٥﴾ آيِسُونَ .

[٧٦] ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾ لَأَنْفُسِهِمْ حَتَّى اسْتَحَقُّوا هَذَا الْعَذَابَ .

[٧٧] ﴿وَنَادُوا يَا مَالِكُ﴾ الْخَازِنُ لِلنَّارِ، اطْلُبْ ﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبِّكَ﴾ لِيَمُوتَنَا ﴿قَالَ﴾ مَالِكُ ﴿إِنَّكُمْ مَأْكُوثُونَ﴾ بِأَقْوَانِ لَا مَوْتَ لَكُمْ .

[٧٨] ﴿لَقَدْ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ لَمَّا هُوَ حَقٌّ ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرَكُمُ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ .

[٧٩] ﴿أَمْ﴾ بَلْ ﴿أَبْرَمُوا أَمْرًا﴾ أَحْكَمُوا أَمْرَهُمْ فِي كَيْدِ الرَّسُولِ ﷺ ﴿فَلَمَّا مَبْرَمُونَ﴾ مُحْكَمُونَ أَمْرَنَا فِي إِعْلَاءِ الرَّسُولِ ﷺ .

[٨٠] ﴿أَمْ يَحْسِبُونَ﴾ بَلْ يَظُنُّ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ ﴿أَنَا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ﴾ فِي مَا يَخْفُونَ مِنَ الْكَلَامِ ﴿وَنَجْوَاهُمْ﴾ مَا يَنْجِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا مِنَ الْكَلَامِ ﴿بَلَى﴾ نَسْمَعُ ذَلِكَ ﴿وَرَسُولُنَا﴾ الْحَفِظَةُ ﴿لَدَيْهِمْ يَكْتُوبُونَ﴾ كُلُّ مَا يَبْدُو مِنْهُمْ .

[٨١] ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ﴾ فَرَضًا كَمَا تَزْعُمُونَ ﴿فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ لِذَلِكَ الْوَلَدِ، لِأَن تَعْظِيمَ الْوَلَدِ الصَّالِحِ تَعْظِيمَ لَوْلَاهِ .

[٨٢] ﴿سُبْحَانَ﴾ أَنْزَعَهُ تَنْزِيهًا عَنِ الْوَلَدِ ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ﴾ السُّلْطَةُ الْعَظِيمَةُ ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ يَصِفُونَهُ بِهِ مِنَ الْوَلَدِ .

[٨٣] ﴿فَذَرَهُمْ﴾ أَتْرَكَهُمْ يَا مُحَمَّدٌ ﷺ ﴿يَخْضَعُونَ﴾ فِي بَاطِلِهِمْ ﴿وَيَلْعَبُونَ﴾ فِي دُنْيَاهُمْ ﴿حَتَّى يَلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يَوْمَعُونَ﴾ أَيِ الْقِيَامَةِ .

[٨٤] ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهُ﴾ أَيُّ أَنَّهُ إِلَهُ الْكَوْنِ بِسَمَائِهِ وَأَرْضِهِ ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾ فِي أَعْمَالِهِ ﴿الْعَلِيمُ﴾ بِكُلِّ شَيْءٍ .

[٨٥] ﴿وَتَبَارَكَ﴾ دَامَ وَكَثُرَ خَيْرُهُ ﴿الَّذِي لَهُ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ وَقْتُ قِيَامِ الْقِيَامَةِ ﴿وَلِيهِ تَرْجَعُونَ﴾ إِلَى جَزَائِهِ وَحِسَابِهِ، فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

[٨٦] ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ أَيُّ الْأَصْنَامِ ﴿الشَّفَاعَةَ﴾ لِعِبَادِهَا عِنْدَ اللَّهِ ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ﴾ كَالْمَسِيحِ وَعَزِيرِ ﷺ وَالْمَلَائِكَةِ ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أَنَّهُ لَا تَمْلِكُ الْأَصْنَامُ الشَّفَاعَةَ .

[٨٧] ﴿وَلَمَنْ سَأَلْتَهُمْ﴾ أَيُّ الْمُشْرِكِينَ ﴿مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ لِأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ مَا سِوَاهُ لَيْسَ خَالِقًا ﴿فَأَتَى﴾ إِلَى أَيْنَ ﴿يُؤْفَكُونَ﴾ يَصْرِفُونَ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ .

[٨٨] ﴿وَقِيلَهُ﴾ قَوْلُ الرَّسُولِ ﷺ، أَيُّ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ ﴿يَا رَبِّ إِنْ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ وَهَذَا عَلَى وَجْهِ التَّشْكِي .

[٨٩] ﴿فَاصْفَحْ﴾ أَعْرَضَ عَنْهُمْ قَبْلَ أَمْرِكَ بِقِتَالِهِمْ ﴿وَقُلْ سَلَامٌ﴾ لِأَجْلِ الْوَدَاعِ ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عَاقِبَةُ أَعْمَالِهِمْ السَّيِّئَةِ .

إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَشْرَعُهُمْ وَهُمْ فِيهِ مَبْلُوسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادُوا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبِّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَأْكُوثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرَكُمُ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى أَنَا أَوَّلُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ سُبْحَانَ رَبِّيَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّيَ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨١﴾ فَذَرَهُمْ خَضَعُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يَلْقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يَوْمَعُونَ ﴿٨٢﴾ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَلِيهِ تَرْجَعُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَتَى يُؤْفَكُونَ ﴿٨٦﴾ وَفِيهِ يَوْمَعُونَ ﴿٨٧﴾ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾

٤٤: سورة الدخان

مكية آياتها تسع وخمسون

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

- [١] ﴿حم﴾ رمز بين الله والرسول ﷺ .
- [٢] ﴿والكتاب﴾ قسماً بالكتاب ﴿المبين﴾ الظاهر وهو القرآن .
- [٣] ﴿إنا أنزلناه﴾ أي القرآن ﴿في ليلة مباركة﴾ ليلة القدر فقد نزل القرآن جملة في ليلة القدر على قلب الرسول ﷺ ثم نزل منجماً في ثلاث وعشرين سنة ﴿إنا كنا منذرين﴾ مخوفين ولذا أنزلناه .
- [٤] ﴿فيها﴾ في ليلة القدر ﴿يفرق﴾ يفصل ﴿كل أمر حكيم﴾ محكم .
- [٥] ﴿أمرأ﴾ حال من (أمر) ﴿من عندنا إنا كنا مرسلين﴾ من شأننا إنزال الكتب وإرسال الرسل .
- [٦] ﴿رحمة﴾ أي أنزلناه لأجل الرحمة ﴿من ربك إنه هو السميع﴾ للأقوال ﴿العليم﴾ العالم بكل شيء .
- [٧] ﴿رب السماوات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين﴾ من أهل الإيقان فأيقنوا بهذا .
- [٨ - ٩] ﴿لا إله إلا هو يحيي ويميت ربكم ورب آبائكم الأولين﴾ بل هم في شك ﴿من هذا الكتاب﴾ يلعبون

سُورَةُ الدُّخَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمَّ ١ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ٢ إنا أنزلناه في ليلة
مُبْرَكَةٍ ٣ إنا كنا منذرين ٤ فيها يفرق كل أمر حكيم ٥
أمرأين عندنا إنا كنا مرسلين ٦ رحمة من ربك إنه هو
السميع ٧ العليم ٨ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا
إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ٩ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ
وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ ١٠ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ
١١ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ دُخَانٌ مُبِينٌ ١٢ يَغْشَى
النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٣ رَبَّنَا كَيْفَ عَذَابَ الْعَذَابِ
إِنَّا مُؤْمِنُونَ ١٤ أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ١٥
ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّجُ الْبَلْ إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا
إِنْ كُنَّا عَادُونَ ١٦ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ
١٧ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ
كَرِيمٌ ١٨ أَنْ أَدَّأَوْا إِلَىٰ عِبَادِ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ١٩

في الدنيا ولا يعملون للآخرة .

- [١٠] ﴿فارتقب﴾ فانتظر ﴿يوم تأتي السماء بدخان﴾ فإن السماء تتحول إلى دخان ﴿مبين﴾ ظاهر .
- [١١] ﴿يغشى الناس﴾ يحيط الدخان بالناس ﴿هذا﴾ الذي تشاهدونه ﴿عذاب أليم﴾ مؤلم .
- [١٢] يقولون ﴿ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون﴾ إن كشفت العذاب عنا .
- [١٣] ﴿أتى﴾ من أين وكيف ﴿لهم الذكرى﴾ أن يتذكروا كما قالوا اكشف عنا العذاب نؤمن ﴿وقد جاءهم رسول مبين﴾ ظاهر .
- [١٤] ﴿ثم تولوا عنه﴾ أعرضوا عن الإيمان به ﴿وقالوا معلم﴾ علمه القرآن بشر^(١) ﴿مجنون﴾ كانوا ينسبون الرسول ﷺ إلى الجنون .
- [١٥] ﴿إنا كاشفوا العذاب قليلاً إنكم عائدون﴾ إن كشفنا العذاب قليلاً ولو لمدة قليلة - عدتم إلى ما كنتم عليه من الكفر، كما قال تعالى: (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه)^(٢) .
- [١٦] ﴿يوم﴾ القيامة ﴿نبطش البطشة الكبرى﴾ نأخذ بشدة الأخذة الكبيرة ﴿إنا منتقمون﴾ منكم في ذلك اليوم .
- [١٧] ﴿ولقد فتنا﴾ امتحنا ﴿قبلهم﴾ قبل هؤلاء الكفار ﴿قوم فرعون وجاءهم رسول كريم﴾ موسى ﷺ .
- [١٨] ﴿أن أدوا﴾ أرسلوا معي ﴿إني عباد الله﴾ أي بني إسرائيل الذين استعبدهم فرعون ﴿إني لكم رسول أمين﴾ مأمون على ما حُملت وأرسلت به .

(١) قالوا انه ﷺ تعلم من رومي أو شامي أو فارسي!

(٢) سورة الأنعام: ٢٨ .

﴿١٩﴾ «وَأَنْ لَا تَعْلُوا» لا تتكبروا ﴿عَلَى اللَّهِ إِنْ أَنْتُمْ بِسُلْطَانٍ﴾ بحجة ﴿مبين﴾ ظاهرة.

﴿٢٠﴾ «وَأَنْتِي عَذْتُ» استجرت ﴿بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ﴾ تضربوني بالحجارة، فإن الكفار كانوا يهددون الأنبياء بالرمي بالحجارة إن استمروا في دعوتهم.

﴿٢١﴾ «وَأَنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ» اتركوني لا لي ولا علي.

﴿٢٢﴾ «فَدَعَا» موسى ﷺ ﴿رَبِّهِ أَنْ هُوَلَاءَ﴾ فرعون وملاه ﴿قَوْمٌ مُجْرِمُونَ﴾ لا ينفع معهم النصيح والإرشاد.

﴿٢٣﴾ «فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ» «فَأَسْرَ» أي سر ليلًا ﴿بِعِبَادِي﴾ مع بني إسرائيل ﴿لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ﴾ يتبعكم فرعون وجنوده لإرجاعكم.

﴿٢٤﴾ «وَأَتْرَكَ الْبَحْرَ رَهْوًا» ساكنًا إذا قطعتة وعبرته فلا تضربه بعصاك ليرجع ماؤه كما كان ﴿إِنَّهُمْ جَنْدٌ مَغْرُقُونَ﴾ لأجل أن يأتي فرعون وجنده في البحر فيغرقون.

﴿٢٥﴾ «كَمْ تَرَكُوا» أي آل فرعون ﴿مِنْ جَنَّاتٍ﴾ بساتين ﴿وَعِيُونَ﴾ ماء.

﴿٢٦﴾ «وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ» مجالس حسنة ومنازل جميلة.

﴿٢٧﴾ «وَنَعْمَةٍ» تنعموا بها ﴿كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ﴾ ناعمين.

﴿٢٨﴾ «كَذَلِكَ» هكذا فعلنا بهم ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا﴾ أعطينا كل نعمهم ﴿قَوْمًا آخَرِينَ﴾ بني إسرائيل لأنهم حكموا مصر بعد فرعون.

﴿٢٩﴾ «فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ» أي لم يكن لهم أهمية حتى تحزن عليهم ﴿وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾ أي لما أتاهم العذاب لم يمهلوا.

﴿٣٠﴾ «وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ» المذل لهم وهو عذاب فرعون وإذلاله لهم.

﴿٣١﴾ «مَنْ فَرَعُونَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا» متجبراً ﴿مَنْ الْمُسْرِفِينَ﴾ الذين يتعدون الحد.

﴿٣٢﴾ «وَلَقَدْ اخْتَرْنَا لَهُمْ» بني إسرائيل ﴿عَلَى عِلْمٍ﴾ منا باستحقاقهم ذلك ﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ عالمي زمانهم.

﴿٣٣﴾ «وَأَتَيْنَاهُمْ» أعطيناهم ﴿مِنْ الْآيَاتِ﴾ كالعصا واليد وقلق البحر ﴿مَا فِيهِ بَلَاءٌ﴾ امتحان ﴿مبين﴾ واضح.

﴿٣٤﴾ «إِنْ هُوَلَاءَ» كفار مكة ﴿لَيَقُولُنَّ﴾.

﴿٣٥﴾ «إِنْ هِيَ» ما الموتة التي تعقب الحياة ﴿إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى﴾ إلا موتة نموتها في الدنيا ولا حشر بعدها ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ﴾ للحساب.

﴿٣٦﴾ «فَأَتُوا» يا أيها النبي والمؤمنون ﴿بِآيَاتِنَا﴾ أحيوهم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أن بعد الموت حياة.

﴿٣٧﴾ «أَهْمٌ خَيْرٌ» أشد قوة وأكثر جمعا ﴿أَمْ قَوْمٌ تُبْعَ﴾ أحد الملوك الكبار ﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ كفوم نوح وعاد وثمود وغيرهم ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ فاستحقوا الهلاك، وهؤلاء مثلهم فإن بقوا على إجرامهم أهلكناهم.

﴿٣٨﴾ «وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ» لأجل العبث حتى لا يكون حساب وجزاء.

﴿٣٩﴾ «مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ» وذلك يقتضي إثابة المحسن وعقاب المسيء ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك لتركهم التأمل والتفكير.

وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّي عَذْتُ
بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا
رَبَّهُ أَنْ هُوَلَاءَ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرَى لَيْلًا إِنَّكُمْ
مُتَّبِعُونَ ﴿٢٣﴾ وَأَتْرَكَ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مَغْرُقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ
تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعِيُونَ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ
كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾
فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ
نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِنْ فَرَعُونَ إِنَّهُ
كَانَ عَلِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ اخْتَرْنَا لَهُمْ مِنْ الْآيَاتِ مَا فِيهِ
بَلَاءٌ لِقَوْمٍ يُفَكِّرُونَ ﴿٣٢﴾ وَأَتَيْنَاهُمْ بِالْآيَاتِ كَالْعَصَا وَالْيَدِ
وَالْبَحْرِ مَاءً يَنْصَرِفُ ﴿٣٣﴾ وَقَدْ جَاءَهُمْ كَذِبٌ مِنْ رَبِّكَ لَقَدْ
جَاءَكُمْ يُحْيِيكَمُ إِذْ كُنْتُمْ مَيِّتِينَ لَمَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ
يَعْلَمُ السِّرَّ وَالنُّجُومَ ﴿٣٤﴾ لَقَدْ جَاءَكُمْ يُخْرِجُكُمُ الْيَوْمَ مِنَ
الْأَرْضِ وَلَكُمْ جَهَنَّمُ أَهْلِكُكُمْ بِهَا بِمَآثِمِكُمْ بَلَدُ بَلَدٍ لَكُمْ
لَقَدْ جَاءَكُمْ يُخْرِجُكُمُ الْيَوْمَ مِنَ الْبِلَادِ الَّتِي كُنْتُمْ فِيهَا لَكُمْ
يَوْمَئِذٍ مَوْتٌ وَمَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُخْرِجُكُمُ الْيَوْمَ
مِنْ أَرْضِكُمْ وَلَكُمْ جَهَنَّمُ أَهْلِكُكُمْ بِهَا بِمَآثِمِكُمْ بَلَدُ بَلَدٍ لَكُمْ
لَقَدْ جَاءَكُمْ يُخْرِجُكُمُ الْيَوْمَ مِنَ الْبِلَادِ الَّتِي كُنْتُمْ فِيهَا لَكُمْ
يَوْمَئِذٍ مَوْتٌ وَمَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ فَاتُوا يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ وَالْمُؤْمِنُونَ
بِآيَاتِنَا أَوْحِي إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ مُبْتَلَوْنَ ﴿٣٧﴾ وَأَمْ قَوْمٌ تُبْعَ
أَحَدُ الْمُلُوكِ الْكِبَارِ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَقَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ
وغيرهم أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ فَاسْتَحَقُّوا الْهَلَاكَ وَهَؤُلَاءِ
مِثْلُهُمْ فَإِنْ بَقُوا عَلَى إِجْرَامِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ ﴿٣٨﴾ وَمَا خَلَقْنَا
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ لَأَجْلَ الْغَبْثِ حَتَّى لَا يَكُونَ
حِسَابٌ وَجَزَاءٌ ﴿٣٩﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَذَلِكَ يَفْتَضِي
إِثَابَةَ الْمُحْسِنِ وَعِقَابَ الْمُسِيءِ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ذَلِكَ
لَتَرْكِهِمُ التَّأَمُّلَ وَالتَّفَكُّرَ.

[٤٠] ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ﴾ يوم القيامة الذي فيه يُقضى ويفصل بين الخلائق ﴿مِيقَاتِهِمْ﴾ موعدهم للجزاء ﴿أَجْمَعِينَ﴾.

[٤١] ﴿يَوْمَ لَا يَفْنَى مَوْلَى﴾ لا يفيد ولي بقرابة أو صداقة أو سيادة ﴿عَنْ مَوْلَى شَيْئاً﴾ بأن يخفف عن إثمه ﴿وَلَا هُمْ يَنْصُرُونَ﴾ لا ينصرهم أحد.

[٤٢] ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ﴾ بالعفو عنه ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ﴾ الذي لا يغالب ﴿الرَّحِيمُ﴾ بعباده.

[٤٣] ﴿إِنَّ شَجَرَتِ الزَّقْوِمِ﴾ شجرة مرة جداً.

[٤٤] ﴿طَعَامٌ﴾ يأكله ﴿الْأَنِيمِ﴾ المذنب، في الآخرة.

[٤٥] هي ﴿كَالْمُهْلِ﴾ النحاس المذاب في البشاعة [٤٦] ﴿يَغْلِي﴾ هذا الطعام ويفور ﴿فِي الْبُطُونِ﴾.

[٤٦] ﴿كَغَلِي الْحَمِيمِ﴾ مثل فوران الماء الشديد الحرارة.

[٤٧] ويقال للزبانية ﴿خَذُوهُ﴾ أي الأنيمة ﴿فَاعْتَلَوْهُ﴾ جروه بعنف وغلظة ﴿إِلَى سِوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ وسطها.

[٤٨] ﴿ثُمَّ صَبَوْا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ﴾ من الماء المغلي.

[٤٩] ويقال له تهكماً ﴿ذُقْ﴾ هذا العذاب ﴿إِنَّكَ﴾ بزعمك ﴿أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ ولذا كنت تتمتع عن الإيمان اغتراراً بنفسك.

[٥٠] ﴿إِنَّ هَذَا الْعَذَابُ﴾ ما كنتم به تمترون ﴿تَشْكُونَ﴾

إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يَفْنَى مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئاً وَلَا هُمْ يَنْصُرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ إِنَّ شَجَرَتِ الزَّقْوِمِ طَعَامٌ الْأَنِيمِ ﴿٤٣﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٤﴾ كَغَلِي الْحَمِيمِ ﴿٤٥﴾ خَذُوهُ فَاعْتَلَوْهُ إِلَى سِوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٤٦﴾ ثُمَّ صَبَوْا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٧﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٨﴾ إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ﴿٤٩﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥٠﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٥١﴾ كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٢﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ ﴿٥٣﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَدْهُمْ عَذَابُ الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَضْلاً مِّن رَّبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٥٥﴾ فَإِنَّمَا يَنْتَرِفَةُ بَلِّسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَنْدَكَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٧﴾

سُورَةُ الدَّخَانِ

حيث تقولون لا بعث.

[٥١] ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ﴾ محل ﴿أَمِينٍ﴾ من المكارة.

[٥٢ - ٥٣] ﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ﴾ الحرير الرقيق ﴿وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ الحرير الخشن، وهذا أجمل مظهراً وذلك أحسن ملمساً، في حال كونهم ﴿مُتَقَابِلِينَ﴾ جالسين بعضهم في قبال بعض للأنس.

[٥٤] ﴿كَذَلِكَ﴾ الأمر ﴿وَوَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ﴾ نساء جميلات بيض^(١) ﴿عِينٍ﴾ واسعات العيون.

[٥٥] ﴿يَدْعُونَ﴾ يطلبون ﴿فِيهَا﴾ في الجنة ﴿بِكُلِّ فَاكِهَةٍ﴾ مما يشاءون ﴿آمِنِينَ﴾ من كل خوف وضرر.

[٥٦] ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا﴾ في الجنان ﴿الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾ فإن ما يشاهدونه طول حياتهم من أول الدنيا إلى الأبد هو موت واحد، بخلاف الكافر في النار الذي يأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت.

﴿وَوَقَاهُمْ﴾ حفظهم ربهم ﴿عَذَابِ الْجَحِيمِ﴾ النار.

[٥٧] أعطوا كل ذلك ﴿فَضْلاً﴾ زيادة بدون استحقاق إذ لا يستحق أحد على الله شيئاً ﴿مَنْ رَبُّكَ﴾ ذلك ﴿الدُّخُولَ لِلْجَنَّةِ﴾ هو الفوز العظيم الذي ليس فوقه فوز.

[٥٨] ﴿فَإِنَّمَا يَسِرْنَاهُ﴾ سهلنا القرآن حيث أنزلناه ﴿بِلِسَانِكَ﴾ بلغتك ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ يتعظون.

[٥٩] ﴿فَارْتَقِبْ﴾ انتظر لترى ما يحل بهم ﴿إِنَّهُمْ مُّرْتَقِبُونَ﴾ منتظرون ليروا ما يحل بك.

٤٥: سورة الجاثية

مكية آياتها سبع وثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ﴿١﴾ نَزَّلَ الْكِتَابَ مِنْ أَفْئِدَةِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُذُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ
لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَخِلَافَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أُنْزِلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ
مِنْ رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ
يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ ذَلِكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ الْحَقُّ قَائِلٌ حَدِيثٌ بَعْدَ
أَلَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَيَلْ لَّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ تَسْمَعُ آيَاتِ
اللَّهِ تُنَلِّى عَلَيْهِ ثُمَّ يَصِرُ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ
﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ
مُّهِينٌ ﴿٩﴾ مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا
وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ هَذَا
هُدًى وَلَئِنْ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَكُمُ الْعَذَابُ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾
اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتُنْفَعُوا مِنْ
فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تُشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي
الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾

- باطلاً ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ﴾ بعد الحديث عن وجود الله وصفاته ﴿وآياته﴾ دلائله ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ والحال أنهم لا يؤمنون بهذه الأمور الظاهرة، والاستفهام للتعجب.
- ﴿٧﴾ وَيَلْ لَّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ كثير الإثم.
- ﴿٨﴾ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ﴾ من القرآن ﴿تُنَلِّى﴾ تقرأ ﴿عليه ثم يصير﴾ على كفره ﴿مستكبراً﴾ متكبراً عن قبول الحق ﴿كَأَن﴾ كأنه ﴿لَمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ﴾ تهكماً ﴿بعذاب أليم﴾ مؤلم.
- ﴿٩﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا﴾ القرآن ﴿شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا﴾ جعلها مادة لاستهزائه ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ ذو إهانة لهم.
- ﴿١٠﴾ مِنْ وَرَائِهِمْ﴾ بعد أن يموتوا ﴿جَهَنَّمُ﴾ ولا يغني عنهم ما كسبوا ﴿من مال وجاه﴾ شيئاً ﴿في دفع العذاب عنهم﴾ ولا يغني عنهم ﴿مَّا﴾ أي الأصنام التي ﴿اتَّخَذُوا﴾ ها ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ غير الله جاعلين الأصنام ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ لهم ﴿ولهم عذاب عظيم﴾.
- ﴿١١﴾ هَذَا﴾ القرآن ﴿هُدًى﴾ وسيلة هداية الناس ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ﴾ أشد العذاب ﴿أَلِيمٌ﴾ مؤلم.
- ﴿١٢﴾ اللَّهُ﴾ هو ﴿الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ﴾ ذلله بحيث تنتفعون به ﴿لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ﴾ السفينة ﴿فِيهِ﴾ في البحر ﴿بِأَمْرِهِ﴾ بإذنه وتكرار كلمة بأمره في كثير من الآيات للدلالة على أن الله لم يكن مجبوراً فيما فعل سخره لتركبوا إلى مقاصدكم ﴿وَلِتُنْفَعُوا﴾ تطلبوا ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ بالتجارة والغوص ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نعمه.
- ﴿١٣﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ لأنها مذللة لاستفادة الإنسان منها ﴿جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ في حال كون كل ذلك منه تعالى ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في صنائع الله تعالى، والتخصيص بهم لأنهم المتفكرون بالآيات.

[١٤] ﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا﴾ فلا يقابلوا أذاهم بالمثل ﴿لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ﴾ من الكفار ﴿إِيَّامَ اللَّهِ﴾ أي الأيام التي يجري الله فيها أمراً عظيماً من إحسان أو انتقام، لأنهم كفار بالله فلا يتوقعون شيئاً من قبله ﴿لِيَجْزِيَ﴾ الله ﴿قَوْمًا﴾ أي الكافرين ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ أي بمقابل ما عملوه من الأعمال السيئة، فإنه إن قابل المسلم الكافرين في أذاهم فربما لم يبق لجزاء الله موقع بعد ذلك، أما إن صفح المؤمنون فإنه يبقى محلاً لمجازاة الله التي هي أكبر من جزاء المؤمنين لهم.

[١٥] ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾ لأن جزاءه عائد إلى نفسه ﴿وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ على نفسه ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكَ تَرْجَعُونَ﴾ في الآخرة فيجازي كلأ جزاء عمله.

[١٦] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا﴾ أعطينا ﴿بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿وَالْحِكْمَ﴾ السلطة والحكم بين الناس ﴿وَالنَّبُوءَ﴾ كان فيهم أنبياء كثيرون ﴿وَوَرَّزْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ اللذائذ المحللة ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ عالمي زمانهم، حيث إنهم حينذاك كانوا على الحق ومن عداهم على الباطل.

[١٧] ﴿وَأَتَيْنَاهُم بَيْنَاتٍ﴾ أدلة واضحة ﴿مِّنَ الْأَمْرِ﴾ أوامرنا لهم ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا﴾ في ذلك الأمر ﴿إِلَّا مَن بَعْدَ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ بما هو الحق وما هو الباطل ﴿بَغْيًا﴾ حسداً ﴿بَيْنَهُمْ﴾ فأراد كل فريق أن يجلب الناس إلى ناحيته فأبدع شيئاً جديداً ﴿إِن رَّبِّكَ يَقْضِي﴾ يحكم ﴿بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ فيما

قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكَ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَ وَالنَّبُوءَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَاهُم بَيْنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مَن بَعْدَ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَنَبَغْتَوا عَنكَ مِن اللَّهِ شَيْئًا وَإِن الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَذَا صَبْرٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُم كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مِّثْلَهُمْ وَمِمَّا نُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِيُجْزِيَ كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾

كانوا فيه يختلفون﴾ بإثابة المحق وعقاب المبطل.

[١٨] ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ﴾ يا محمد ﷺ ﴿عَلَىٰ شَرِيعَةٍ﴾ طريقة ﴿مِّنَ الْأَمْرِ﴾ أمر الدين ﴿فَاتَّبِعْهَا﴾ اعمل بهذه الشريعة ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الحق في أي شيء من أمر الدين.

[١٩] ﴿إِنَّهُمْ لَنَبَغْتَوا﴾ لن يفيدوا ﴿عَنكَ﴾ من الله ﴿مِمَّا أَرَادَ اللَّهُ بِكَ﴾ شيئاً ﴿بِأَن يَدْفَعُوا عَنكَ﴾ وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض ﴿فليس المسلم منهم﴾ والله ولي ﴿وهذا كالعلة في﴾ (لا تتبع) ﴿المتقين﴾ فإنه تعالى يتولى شؤونهم فاللازم عليهم أن يتبعوا أوامره لا أهواء الكفار.

[٢٠] ﴿هَذَا﴾ القرآن ﴿بَصَائِرُ﴾ أسباب بصيرة ﴿لِلنَّاسِ وَهُدًى﴾ من الضلال ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ أسباب رحمة ﴿لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ بما قاله الله، والاختصاص بهم لأنهم المتفوعون بالقرآن.

[٢١] ﴿أَمْ﴾ هل ﴿حَسِبَ﴾ زعم ﴿الَّذِينَ اجْتَرَحُوا﴾ اكتسبوا ﴿السَّيِّئَاتِ﴾ الكفر والمعاصي ﴿أَن نَّجْعَلَهُم كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مِّثْلَهُمْ وَمِمَّا نُهُهُمْ﴾ حياتهم وموتهم بأن نسعدهم في الدنيا والآخرة، والاستفهام للإنتكار ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ بشس الحكم حكمهم.

[٢٢] ﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ لا بالبعث والباطل ﴿وَلِيُجْزِيَ﴾ عطف على (بالحق) أي كان الخلق لأجل إحقاق الحق ولأجل الجزاء، ولعل معنى (بالحق) أن كمال الخالق واقتضاء المخلوق يقتضي الخلق ﴿كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ من خير وشر ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ في الجزاء فلا يزداد على إساءة المسيء ولا ينقص من إحسان المحسن.

[٢٣] ﴿أَفَرَأَيْتَ﴾ أخبرني ﴿من اتخذ إليه هواه﴾ بأن اتبع هوى نفسه، لا ما يشاهده من الحق ﴿واضله الله﴾ بأن تركه حتى ضل حيث عائد الحق ﴿على علم﴾ منه حيث علم الحق فأنكره ﴿وختم على سمعه﴾ بأن جعله بحيث لا يستفيد من السماع ﴿وقلبه﴾ بأن لا يفهم الحق وذلك حيث ترك هو الحق عناداً ﴿وجعل على بصره غشاوة﴾ أي الغطاء فلا يرى جمال الحق ﴿فمن يهديه من بعد الله﴾ أي بعد أن تركه الله حتى صار كذلك ﴿أفلا تذكرون﴾ تذكرون أيها الكفار أنه لا هادي لكم إن تركتم هداية الله .

[٢٤] ﴿وقالوا﴾ أي الكفار ﴿ما هي﴾ الحياة ﴿إلا حياتنا الدنيا﴾ القريبة فلا حياة في الآخرة ﴿نموت ونحيا﴾ تموت الآباء وتحيا الأبناء وهكذا إلى الأبد ﴿وما يهلكنا إلا الدهر﴾ مرور الزمان، فليس هناك إله يميت الناس فلا مبدأ ولا معاد ﴿وما لهم بذلك﴾ القول ﴿من علم﴾ حجة ومستند ﴿إن﴾ ما هم إلا يظنون، ظناً بما يقولونه .

[٢٥] ﴿وإذا تتلى﴾ تقرأ ﴿عليهم آياتنا بينات﴾ واضحات في حشر الناس وبعثهم ﴿ما كان حجتهم﴾ التي قبلوا بها الآيات البينات ﴿إلا أن قالوا انتوا بآبائنا﴾ أحيوهم ﴿إن كنتم صادقين﴾ في أن بعد الموت بعثاً وحياة .

[٢٦] ﴿قل الله يحييكم﴾ يعطيكم الحياة ابتداء ﴿ثم يميتكم﴾ في الدنيا ﴿ثم يجمعكم﴾ أحياء للنشور وينهي بكم ﴿إلى يوم القيامة﴾ للجزاء ﴿لا ريب فيه﴾ ليس هذا محل شك وريب ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ لقلة تفكيرهم .

[٢٧] ﴿ولله ملك السماوات والأرض﴾ فليس كما قلتم من أن الدهر يميتكم ﴿ويوم تقوم الساعة﴾ يوم القيامة ﴿يومئذ يخسر المبطلون﴾ الذين قالوا وعملوا باطلاً .

[٢٨] ﴿وترى كل أمة جاثية﴾ تبرك على الركب للخوف والهول ﴿كل أمة تدعى إلى كتابها﴾ الذي أنزله الله عليها، ليزن عملها بذلك الكتاب، ويقال لهم ﴿اليوم تجزون ما﴾ أي جزاء الذي ﴿كنتم تعملون﴾ من خير وشر .

[٢٩] ﴿هذا كتابنا﴾ ديوان الحفظة ﴿ينطق﴾ يشهد ﴿عليكم بالحق﴾ فلا يزيد ولا ينقص شيئاً ﴿إنا كنا نستنسخ﴾ نكتب في دار الدنيا ﴿ما كنتم تعملون﴾ من خير وشر .

[٣٠] ﴿فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته﴾ التي منها الجنة ﴿ذلك﴾ الإدخال في الرحمة ﴿هو الفوز﴾ الفلاح ﴿المبين﴾ الظاهر .

[٣١] ﴿وأما الذين كفروا﴾ فيقال لهم ﴿أفلم تكن آياتي تتلى عليكم فاستكبرتم﴾ تكبرتم عن الإيمان بها ﴿وكنتم قوماً مجرمين﴾ أذنبتم بتكذيب الآيات .

[٣٢] ﴿وإذا قيل إن وعد الله﴾ بالبعث ﴿حق﴾ كائن لا محالة ﴿والساعة﴾ القيامة ﴿لا ريب فيها﴾ ليست محلاً للشك ﴿قلتم ما ندرى ما الساعة﴾ إنكاراً لها ﴿إن﴾ ما ﴿نظن إلا ظناً﴾ بأنها كائنة ﴿وما نحن بمستقينين﴾ لا يقين لنا بالآخرة، ولذا لا نعمل لأجلها .

أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٌ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّبَوْنَا آيَاتِنَا أَنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِخُ الْمُسْطَلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُحْزَنُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَذَا كِتَابُنَا يُنِيطُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنْ كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُستَقِينَ ﴿٣٢﴾

ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ لقلة تفكيرهم .

[٢٧] ﴿ولله ملك السماوات والأرض﴾ فليس كما قلتم من أن الدهر يميتكم ﴿ويوم تقوم الساعة﴾ يوم القيامة ﴿يومئذ يخسر المبطلون﴾ الذين قالوا وعملوا باطلاً .

[٢٨] ﴿وترى كل أمة جاثية﴾ تبرك على الركب للخوف والهول ﴿كل أمة تدعى إلى كتابها﴾ الذي أنزله الله عليها، ليزن عملها بذلك الكتاب، ويقال لهم ﴿اليوم تجزون ما﴾ أي جزاء الذي ﴿كنتم تعملون﴾ من خير وشر .

[٢٩] ﴿هذا كتابنا﴾ ديوان الحفظة ﴿ينطق﴾ يشهد ﴿عليكم بالحق﴾ فلا يزيد ولا ينقص شيئاً ﴿إنا كنا نستنسخ﴾ نكتب في دار الدنيا ﴿ما كنتم تعملون﴾ من خير وشر .

[٣٠] ﴿فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته﴾ التي منها الجنة ﴿ذلك﴾ الإدخال في الرحمة ﴿هو الفوز﴾ الفلاح ﴿المبين﴾ الظاهر .

[٣١] ﴿وأما الذين كفروا﴾ فيقال لهم ﴿أفلم تكن آياتي تتلى عليكم فاستكبرتم﴾ تكبرتم عن الإيمان بها ﴿وكنتم قوماً مجرمين﴾ أذنبتم بتكذيب الآيات .

[٣٢] ﴿وإذا قيل إن وعد الله﴾ بالبعث ﴿حق﴾ كائن لا محالة ﴿والساعة﴾ القيامة ﴿لا ريب فيها﴾ ليست محلاً للشك ﴿قلتم ما ندرى ما الساعة﴾ إنكاراً لها ﴿إن﴾ ما ﴿نظن إلا ظناً﴾ بأنها كائنة ﴿وما نحن بمستقينين﴾ لا يقين لنا بالآخرة، ولذا لا نعمل لأجلها .

[٣٣] ﴿وَبَدَأْ﴾ ظهر ﴿لهم سيئات ما عملوا﴾ جزاء سيئات أعمالهم ﴿وَوَحَّاq﴾ أحاط ﴿بهم ما كانوا به يستهزءون﴾ من العذاب .

[٣٤] ﴿وَقِيلَ﴾ للكفار ﴿اليوم ننساكم﴾ نترككم في العذاب كأنكم منسيون ﴿كما نسيتم لقاء يومكم هذا﴾ فلم تعملوا له ﴿وما أوام﴾ محلكم ﴿النار وما لكم من ناصرين﴾ يدفعون العذاب عنكم .

[٣٥] ﴿ذَلِكُمْ﴾ الذي فعلنا بكم ﴿بِ﴾ سبب ﴿أنكم﴾ أيها الكفار ﴿اتخذتم آيات الله هزواً﴾ مهزواً بها ﴿وغيرتكم﴾ خدعتكم ﴿الحياة الدنيا﴾ فتكالبتم عليها ولم تعملوا للآخرة ﴿فاليوم لا يخرجون منها﴾ من النار ﴿ولا هم يستعبدون﴾ أي لا يطلب منهم العتبي وهي أن يرضوا ربهم بالتوبة إذ لا محل للتوبة .

[٣٦] ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ خالق جميع الأكوان والعوالم .

[٣٧] ﴿وَلِلَّهِ الْكِبْرِيَاءُ﴾ السلطان القاهر ﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ الذي لا يُغلب ﴿الحكيم﴾ في كل تدبيراته .

٤٦: سورة الأحقاف

مكية آياتها خمس وثلاثون

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

وَبَدَأْ لَهُمْ سَيِّئَاتٍ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾
وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسِيكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوُكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ أَخَذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْبَدُونَ ﴿٣٥﴾
فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾

سُورَةُ الْأَحْقَافِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
حَمْدٌ ﴿١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتُنَادِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَتُنَادِرُونَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ كُفْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَهُمْ عَنِ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥﴾

[١] ﴿حم﴾ رمز بين الله والرسول ﷺ .

[٢] ﴿تنزيل﴾ إنزال هذا ﴿الكتاب﴾ القرآن إنما هو ﴿من الله العزيز الحكيم﴾ الذي لا يُغلب ﴿الحكيم﴾ في تدبيره .

[٣] ﴿ما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق﴾ خلقاً متلبساً بالحكمة وهو ما يقتضيه الحكمة ﴿وب﴾ ﴿أجل﴾ وقت ﴿مسمى﴾ فقد سمي عند الله مدة كونهما ﴿والذين كفروا عما أُنذروا﴾ خُوفوا من عقاب الله ﴿معرضون﴾ فلا يهتمون به .

[٤] ﴿قل أرايتم﴾ أخبروني ﴿ما تدعون من دون الله﴾ من الأصنام ﴿أروني ماذا خلقوا من الأرض﴾ فهل خلقوا شيئاً مما في الأرض ﴿أم لهم شرك﴾ شراكة ﴿في﴾ خلق ﴿السماوات﴾ فإذا لم يكن لهم لا هذا ولا ذاك فلماذا استحقوا العبادة ﴿أتدعون من قبل هذا﴾ القرآن، ليدل على صحة عبادة الأصنام ﴿أو أثارة﴾ بقية ﴿من علم﴾ الأولين تؤيد دعواكم ﴿إن كنتم صادقين﴾ في أن الأصنام آلهة .

[٥] ﴿ومن أضل﴾ أكثر ضلالاً وانحرافاً عن الطريق ﴿ممن يدعو﴾ يعبد ﴿من دون الله﴾ غير الله ﴿من﴾ أي الصنم ﴿لا يستجيب له إلى يوم القيامة﴾ فإن الأصنام جماد لا تعقل ولا تستجيب ﴿وهم﴾ أي الأصنام ﴿عن دعائهم﴾ دعاء العباد لتلك الأصنام ﴿غافلون﴾ لا يشعرون لأنها جمادات .

[٦] ﴿وَإِذَا حُشِرَ جَمْعُ النَّاسِ فِي الْقِيَامَةِ﴾ كانوا ﴿كانوا﴾ أي الأصنام ﴿لهم﴾ لعبادها ﴿أعداء﴾ لأن الصنم يضر صاحبه ﴿وكانوا﴾ أي الأصنام ﴿بعبادتهم﴾ لها ﴿كافرين﴾ فإن الجحاد إذا شعر كفر بعبادة الكافر له .

[٧] ﴿وَإِذَا تَتْلَى﴾ تُقرأ ﴿عليهم﴾ على الكفار ﴿آياتنا﴾ بينات ووضحات ﴿قال الذين كفروا للحق﴾ للقرآن ﴿لما جاءهم هذا﴾ مفعول (قال) ﴿سحر﴾ وليس بمعجزة ﴿مبين﴾ ظاهر .

[٨] ﴿أَمْ﴾ بل ﴿يقولون﴾ أي الكفار ﴿افتراه﴾ افتري محمد ﷺ القرآن ونسبه كذباً إلى الله ﴿قل إن افتريته﴾ فرضاً ﴿فلا تملكون لي من الله شيئاً﴾ أي كيف أجتري على الافتراء والحال أن الله إن عاقبني لم تقدرُوا أنتم على دفع عقابه عني ﴿هو﴾ الله ﴿أعلم بما تفيضون﴾ تدخلون ﴿فيه﴾ من الطعن في القرآن ﴿كفى به﴾ بالله ﴿شهِدًا بيني وبينكم﴾ وشهادة الله هي إجراء المعجزة على يد الرسول ﷺ ﴿وهو الغفور﴾ لمن استغفر ﴿الرحيم﴾ بعباده فلا يعاجلكم بالعقوبة .

[٩] ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بَدْعًا﴾ جديداً ﴿من الرسل﴾ بل أنا رسول كالرسل السابقين فأدعوكم كما دعت الرسل الأمم السابقة ﴿وما أدري ما يفعل بي ولا بكم﴾ فإن مشيئة الله في خلقه ومستقبلهم لا يعلمها إلا الله ﴿إن﴾ ما ﴿أتبع﴾

في قلبي وعملي ﴿إلا ما يوحى إلي وما أنا إلا نذير﴾ أنذركم من بأس الله ﴿مبين﴾ واضح .

[١٠] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ أخبروني ﴿إن كان﴾ القرآن ﴿من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل﴾ بعض من آمن من اليهود ﴿على مثله﴾ أي مثل القرآن، بأن قال إن في التوراة ما يصدق ما في القرآن من أحوال المبدأ والمعاد وسائر الأمور ﴿فأمن﴾ لأنه وجد القرآن مطابقاً لما في كتابه ﴿واستكبرتم﴾ تكبرتم عن الإيمان، أستم أظلم الناس حينئذ ﴿إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾ الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والفساد يتركهم حتى يضلوا عن الحق .

[١١] ﴿وقال الذين كفروا للذين آمنوا﴾ أي قالوا عن المؤمنين وفي شأنهم ﴿لو كان﴾ هذا الذي يدعوننا إليه من الإيمان والقرآن ﴿خيراً﴾ نافعاً ﴿ما سبقونا﴾ أي المؤمنون ﴿إليه﴾ إلى هذا الخير، لأنه لو كان خيراً لسبقناهم إلى الإيمان به ﴿وإذا لم يهتدوا به﴾ بالقرآن، لأنهم لم يتدبروه، أو عاندوا ﴿فسيقولون هذا﴾ القرآن ﴿إفك﴾ كذب ﴿قديم﴾ أساطير الأولين .

[١٢] ﴿ومن قبله﴾ قبل القرآن ﴿كتاب موسى﴾ التوراة في حال كونه ﴿إماماً﴾ يؤتم به ﴿ورحمة﴾ للناس، ومع ذلك كفر الناس به ﴿وهذا﴾ القرآن ﴿كتاب مصدق﴾ بكتاب موسى ﷺ في حال كونه ﴿لساناً عربياً﴾ أنزل بلسان العرب ﴿لينذر﴾ يخوف من العقاب ﴿الذين ظلموا ويشري﴾ بشارة ﴿للمحسنين﴾ الذين أحسنوا في القول والعمل .

[١٣] ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا﴾ جمعوا بين التوحيد في العقيدة والاستقامة في العمل ﴿فلا خوف عليهم﴾ من العذاب ﴿ولا هم يحزنون﴾ لفوات مطلوب عنهم .

[١٤] ﴿أولئك أصحاب الجنة خالدين﴾ دائمين ﴿فيها جزاء بما كانوا يعملون﴾ .

وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءُ وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾ وَإِذَا تَتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا يَنْتَوِيذُونَ قَالُوا الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفَنُفِثَ بِهِ قُلٌّ مِنْ أَفْرَتِهِمْ فَلَا تَصِلُكَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَى بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنْ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَيْعَ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ بِعَلَىٰ مِنْهُ فَقَامَنَ وَأَسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا أَفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمَنْ قَبْلَهُ كَتَبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كَتَبَ مُصَدِّقًا لِسَانًا عَرَبِيًّا لِنُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَنُشَرِّىَ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

[١٥] ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا﴾ بأن يحسن إليهما إحساناً ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كَرهًا وَوَضَعَتْهُ كَرهًا وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي بُنَيْتُ لَكَ إِنَاءً مِنْ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَقَبِلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصَّادِقُ الَّذِي كَانُوا يُوْعَدُونَ ﴿١٦﴾ وَالَّذِي قَالَ لِيُؤَدِّيَ أَفِي لَكُمْ أَتَعِدْ إِنِّي أَنْ أُخْرِجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَعْجِلَانِ اللَّهَ وَبَلَغَ أَمْنٌ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ يَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمُورٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوفيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ يُعْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾

من سيئاتي ﴿وإني من المسلمين﴾ المتقادين لأوامرك. [١٦] ﴿أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا﴾ أحسن قبول لعملهم، أي نقبله بأحسن القبول فنجازيهم أحسن الجزاء ﴿ونتجاوز عن سيئاتهم﴾ نغفرها لهم وهم معدودون ﴿في أصحاب الجنة﴾ أهلها ﴿وعد الصدق﴾ نعدهم هذا وعداً لا خلف فيه ﴿الذي كانوا يوعدون﴾ في الدنيا.

[١٧] ﴿والذي﴾ مبتدأ خبره ﴿أولئك﴾ ﴿قال لوالديه﴾ حينما دعياه إلى الإيمان ﴿أف لكم﴾ بعداً لكم، فإن ﴿أف﴾ كلمة لإظهار السخط ﴿أتعداني﴾ من الوعد ﴿أن أخرج﴾ من القبر للبعث ﴿وقد خلت﴾ مضت ﴿القرون﴾

الأمم ﴿من قبلي﴾ ولم يخرج أحد منهم من القبر ﴿وهما﴾ والداه ﴿يستغيثان الله﴾ يسألان الله الغوث والإعانة بتوقيفه للإيمان، قائلين له ﴿ويلك﴾ كلمة تضجر، أي الهلاك لك ﴿أمن﴾ بالله واليوم الآخر ﴿إن وعد الله﴾ بالبعث ﴿حق﴾ في جوابهما ﴿ما هذا﴾ القول بالبعث ﴿إلا أساطير الأولين﴾ خرافاتهم وليس له حقيقة.

[١٨] ﴿أولئك﴾ هؤلاء الأولاد الذين هذا شأنهم ﴿الذين حق﴾ ثبت ﴿عليهم القول﴾ أي كلمة العذاب ﴿في﴾ جملة ﴿أمم قد خلت﴾ مضت ﴿من قبلهم من الجن والإنس﴾ الذين كانوا كافرين بالله والمعاد ﴿إنهم كانوا خاسرين﴾ قد خسروا دنياهم وأخرتهم.

[١٩] ﴿ولكل﴾ من المؤمن والكافر ﴿درجات مما عملوا﴾ حسب تفاوت أعمالهم ﴿وليوفيهم﴾ يعطيهم الله جزاء أعمالهم وهم لا يظلمون ﴿بنقص في الثواب أو زيادة في العقاب﴾.

[٢٠] ﴿و﴾ اذكر ﴿يوم﴾ هو يوم القيامة ﴿يعرض الذين كفروا على النار﴾ يؤتون إليها فيقال لهم ﴿أذهبتم﴾ آثرتهم ﴿طيباتكم في حياتكم الدنيا﴾ بأن أخذتم قسطكم منها في الدنيا ﴿واستمتعتم بها﴾ تمتعتم وتلذذتم بالطيبات فما بقي لكم شيء منها ﴿فالיום تجزون عذاب الهون﴾ العذاب الذي فيه الهوان ﴿بما كنتم تستكبرون﴾ بسبب تكبركم ﴿في الأرض﴾ بغير الحق ﴿إذ لا يحق للإنسان أن يتكبر﴾ وبما كنتم تفسقون ﴿تخرجون عن طاعة الله﴾.

[٢١] ﴿وَإِذْ كَرَّمْنَا بِمُحَمَّدٍ﴾ يا محمد ﴿أَخَا عَادَ﴾ أي هود النبي ﷺ الذي بعث إلى قبيلته عاد ﴿إِذْ أَنْذَرْتُ خَوْفَ قَوْمِهِ بِالْأَحْقَافِ﴾ جمع حقف: رمل مرتفع دون الجبل وهو واد كان يسكنه عاد قرب عمان ﴿وَقَدْ خَلَّتْ﴾ مضت ﴿النُّذُرُ﴾ المنذرون ﴿مَنْ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أمامه قبل زمانه ﴿وَمَنْ خَلْفَهُ﴾ بعد أن أرسل في زمانه، أو بمعنى قبله وبعده^(١)، قائلين أولئك الرسل للقوم ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ إن عديتكم غيره.

[٢٢] ﴿قَالُوا﴾ يا هود ﴿أَجِئْنَا لِنُفَكِّنَا﴾ لتصرفنا ﴿عَنْ آلِهَتِنَا﴾ التي نعبدھا ﴿فَأَنَّا بِنَا تَعْدِنَا﴾ من العذاب ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في مجيء العذاب.

[٢٣] ﴿قَالَ﴾ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ ﴿فَهو يعلم الوقت الصالح لعذابكم﴾ ﴿وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ﴾ وإنما أنا مبلغ إليكم ﴿وَلَكِنِّي أُرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ بالله وبآياته وبعذابه لمن كذب وكفر.

[٢٤] ﴿فَ﴾ جاءهم العذاب في صورة سحب وقد اشتد حر الهواء قبل ذلك ﴿وَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ العذاب الموعود ﴿عَارِضًا﴾ سحباً ﴿مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ﴾ يأتي نحو واديههم ﴿قَالُوا﴾ فرحاً: ﴿هَذَا عَارِضٌ مِمِّطَرٌ﴾ يمطر فيبرد الهواء ونخلص من هذا الحر ﴿بَلْ﴾ ليس سحباً ممطراً وإنما ﴿هُوَ مَا﴾ العذاب الذي ﴿اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ﴾ طلبتم تعجيله عليكم ﴿رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم.

[٢٥] ﴿تَدْمَرُ﴾ تهلك ﴿كُلُّ شَيْءٍ﴾ من النفوس والنبات والحيوان وغيرها ﴿بِأَمْرِ رَبِّهَا فَاصْبَحُوا﴾ متبين بحيث ﴿لَا يَرَى﴾ إذا جاءهم الرائي ﴿إِلَّا مَسَاكِنَهُمْ﴾ فقط بدون أن يكونوا فيها ﴿كَذَلِكَ﴾ هكذا ﴿نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ الذين أجرموا بالكفر والعصيان.

[٢٦] ﴿وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ فِيهِ﴾ أي جعلنا لهم من الأموال والقوة ما لم نجعل مثله لكم ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا﴾ ليسمعوا الآيات ﴿وَأَبْصَارًا﴾ ليراوا العبر ﴿وَأَفْئِدَةً﴾ قلوباً ليفهموا الأشياء ﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ إذ لم يستعملوها في صلاحهم ﴿إِذْ﴾ لأنهم ﴿كَانُوا يَجْحَدُونَ﴾ ينكرون ﴿بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ أدلته ﴿وَحَاقَ﴾ حل ﴿بِهِمْ﴾ ما كانوا به يستهزئون ﴿أَيِ الْعَذَابِ الَّذِي اسْتَهْزَؤُوا بِهِ﴾ وهذا تهديد للكفار بأنهم عذبوا على كثرة قوتهم وبأسهم فكيف بكم وأنتم أقل منهم قوة وبأساً.

[٢٧] ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿مِنَ الْقُرَى﴾ البلاد كعاد وثمود وقوم لوط حيث كانت بلادهم في أطراف الجزيرة ﴿وَصَرَفْنَا الْآيَاتِ﴾ كررناها ليعتبروا بها ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عن كفرهم ولكن لما أصروا أهلكتناهم.

[٢٨] ﴿فَلَوْلَا﴾ فهلا ﴿نُصْرُهُمْ﴾ منعهم من العذاب الأصنام ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا﴾ لأجل أن تقر بهم إلى الله ﴿آلِهَةً﴾ بدل من (قرباناً) ﴿بَلْ ضَلُّوا﴾ تلك الآلهة ﴿عَنْهُمْ﴾ وقت نزول العذاب ﴿وَذَلِكَ﴾ الاتخاذ ﴿إِفْكَهْمُ﴾ كذبهم ﴿وَمَا كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ على الله من أنها شركاءه، ومن المعلوم أن الإله الكاذب لا ينصر.

[٢٩] ﴿وَاذْكُرْ إِذْكَرَ زَمَانًا﴾ ﴿صرفنا﴾ و﴿جها﴾ ﴿إليك﴾ نقرأ ﴿جماعة﴾ ﴿من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه﴾ حضر الجن النبي ﷺ عند قراءته القرآن ببطن نخلة عند انصرافه من الطائف إلى مكة، وذلك قبل الهجرة ﴿قالوا﴾ قال بعضهم لبعض ﴿أنصتوا﴾ اسكتوا حتى نستمع للقرآن ﴿فلما قضى﴾ تم القرآن بأن فرغ النبي ﷺ من التلاوة ﴿ولوا﴾ انصرفوا ﴿إلى قومهم﴾ من الجن ﴿منذرين﴾ يخوفونهم من الكفر والعصيان.

[٣٠] ﴿قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتاباً﴾ أي القرآن ﴿أنزل من بعد موسى﴾ لعلهم لم يكونوا سمعوا بالمسيح ﷺ أو كانوا يهوداً ﴿مصدقاً لما بين يديه﴾ لما تقدمه من الكتب ﴿يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم﴾ لا انحراف فيه.

[٣١] ﴿يا قومنا أجبوا داعي الله﴾ محمداً ﷺ ﴿فيما يدعوكم إليه﴾ و﴿آمنوا به يغفر﴾ الله ﴿لكم من ذنوبكم﴾ أي من هذا الجنس ﴿ويجركم﴾ يمنعكم ﴿من عذاب اليم﴾ مؤلم في الآخرة.

[٣٢] ﴿ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض﴾ أي لا يقدر أن يعجز الله في الأرض بأن يفوته حتى لا يتمكن الله من عقابه ﴿وليس له من دونه﴾ دون الله ﴿أولياء﴾ ينصرونه من بأس الله ﴿أولئك﴾ الذين لا يجيبون داعي الله ﴿في ضلال﴾ انحراف عن الحق

وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين ﴿٢٩﴾ قالوا ينقومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم ﴿٣٠﴾ يقولنا أجبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم ﴿٣١﴾ ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض وليس له من دونه أولياء أولئك في ضلال مبين ﴿٣٢﴾ أولوا يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يعم بحلقه يقدر على أن يحيي الموتى بلى إنه على كل شيء قدير ﴿٣٣﴾ ويوم يعرض الذين كفروا على النار أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ﴿٣٤﴾ فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بل بلغ فهل ينهلك إلا القوم الفاسقون ﴿٣٥﴾

سُورَةُ الْأَحْقَافِ

﴿مبين﴾ واضح.

[٣٣] ﴿أو لم يروا﴾ ألم يعلم الكفار المنكرون للبعث ﴿أن الله الذي خلق السماوات والأرض ولم يعي بخلقهن﴾ أي لم يتعب في خلقه لهما، أي الذي بهذه القدرة العظيمة ﴿بقادر﴾ أي قادر خير (إن) والباء للتأكيد ﴿على أن يحيي الموتى﴾ للبعث ﴿بلى إنه على كل شيء قدير﴾ ومنه إحياء الموتى.

[٣٤] ﴿ويوم يعرض الذين كفروا على النار﴾ يقدمون إليها بقصد إدخالهم فيها، فيقال لهم ﴿أليس هذا﴾ الذي تشاهدون ﴿بالحق﴾ لأنهم كانوا يقولون في الدنيا ليست النار إلا كذباً ﴿قالوا بلى وربنا﴾ قسماً به إنه حق ﴿قال﴾ الله لهم ﴿فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون﴾ أي بسبب كفركم في الدنيا.

[٣٥] ﴿فاصبر﴾ يا رسول الله ﷺ ﴿كما صبر أولوا العزم﴾ أصحاب العزم والثبات الشديد ﴿من الرسل ولا تستعجل لهم﴾ بأن تطلب عذابهم عاجلاً ﴿كأنهم يوم يرون ما يوعدون﴾ من العذاب في الآخرة ﴿لم يلبثوا﴾ لم يبقوا ﴿إلا ساعة من نهار﴾ كأن لبثهم في الدنيا ساعة واحدة فقط ﴿بلاغ﴾ هذا تبليغ لكم حتى تتم الحجة عليكم ﴿فهل يهلك﴾ ويعذب بعد البلاغ ﴿إلا القوم الفاسقون﴾ الخارجون عن طاعة الله بعد إتمام الحجة عليهم، والاستفهام في معنى النفي، أي لا يهلك إلا الفاسقون.

٤٧: سورة محمد

مدنية آیاتها ثمان وثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالُهُمْ ﴿١﴾ وَالَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ؕ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ
رَبِّهِمْ كَفَرْتُمْ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ
اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ﴿٣﴾ فَإِذَا لَقِيتَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَقَضَىٰ رَبُّ الرَّقَابِ حَقَّهُ
إِذَا أَتَخْتَمُوهُمُ فَشَدُّوا الْوُثَاقَ ؕ وَإِمَامًا بَعْدَ وَفَاءٍ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ
أُوزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ
بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالُهُمْ ﴿٤﴾ سَيَجْزِيهِمْ
وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيَدْخُلُهُمُ الْجَنَّةُ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ
آمَنُوا أَنْ تَضُرُّوا اللَّهَ يَصْرَكُمْ وَيُنَبِّتُ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا
فَتَعَسَّاهُمْ أَضَلَّ أَعْمَالُهُمْ ﴿٨﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ
فَاجْتَبَوْا أَصْنَافَهُمْ ﴿٩﴾ أَفَلَا تَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَنْظُرُوا كَيْفَ
كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا ﴿١٠﴾
ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ﴿١١﴾

[١] «الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله» بأن منعوا الناس عن الإيمان، أي ضلوا وأضلوا «أضل» أبطل الله «أعمالهم» الحسنة كصلة الرحم وإطعام الفقراء لأن الكفر مبطل للأعمال.

[٢] «والذين آمنوا» بالله «وعملوا الصالحات و آمنوا بما نزل على محمد» بكل الأحكام «و» الحال إن ما نزل على محمد «هو الحق من» قبل «ربهم كفر» ستر الله بالغفران «عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم» حالهم في دنياهم وأخراهم.

[٣] «ذلك» الإضلال لأولئك، والغفران لهؤلاء «وب» سبب «أن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم» الذي جاءهم من قبل الله «كذلك» هكذا «يضرب» يبين «الله للناس أمثالهم» أحوالهم، ليعتبر الناس بهم.

[٤] «فإذا لقيتم الذين كفروا» رأيتموهم في حال القتال «فضرِب الرقاب» اضربوا أعناقهم ضرباً «حتى إذا اتختمتموهم» أكثرتم من القتل فيهم «ف» أسروهم

و«شددوا» أحكموا «الوثاق» أي الحبل الذي يوثق به لثلاثي يفرأ «فإما» تمنون عليهم «منأ بعد» الأسر بأن تطلقوا سراحهم بدون فداء «وإما» تفادوهم وتأخذوا منهم «فداء» في مقابل إطلاقهم «حتى تضع الحرب أوزارها» أقالها بأن تنتهي، وذلك بأن يضع المسلمون والكفار سلاحهم «ذلك» الأمر هكذا «ولو يشاء الله لانتصر منهم» بإهلاكهم بدون قتال «ولكن» يبقوهم ويأمرهم بحربهم «ليبلوا» ليختبر «بعضكم ببعض» المؤمنين بالكافرين فيظهر المطيع من العاصي «والذين قتلوا في سبيل الله» في الجهاد من المؤمنين «فلن يضل أعمالهم» لن يضيع الله ما عملوا بل يشيهم عليها.

[٥] «سيهديهم» إلى طريق الجنة «ويصلح بالهم» حالهم في الآخرة.

[٦] «ويدخلهم الجنة» في حال كونه «عرَّفها لهم» في الدنيا.

[٧] «يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله» أي دينه «ينصركم» على أعدائكم «ويثبت أقدامكم» في مواقف الخوف والصعوبات.

[٨] «والذين كفروا فتعسَّاهم» أي هلاكاً لهم، وهذا دعاء عليهم بالهلاك «وأضل» ضيع الله «أعمالهم» الصالحة كالإحسان والصلة.

[٩] «ذلك» الإضلال لأعمالهم «بأنهم كرهوا ما أنزل الله» من الأحكام «فاجتبط أعمالهم» أبطلها ولم يشيهم عليها.

[١٠] «أفلم يسيروا» ليسافر هؤلاء الكافرون «في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم» من الأمم الذين أهلكوا، فإن المسافر يرى آثار بلادهم ويسمع أخبار هلاكهم «دمر الله عليهم» أهلكهم الله «وللكافرين» في المستقبل «أمثالها» أمثال تلك العقوبات التي نزلت بالأمم السابقة.

[١١] «ذلك» نصر المؤمنين وتدمير الكافرين «وب» سبب «أن الله مولى الذين آمنوا» ناصرهم والمتولي لشؤونهم «وأن الكافرين لا مولى لهم» ينصرهم.

وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نَزَّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُنْظَرُونَ إِلَيْكَ وَنَظَرَ الْمَغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَئِكَ لَهُمْ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْصَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ۚ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ۚ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ ۚ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ ۚ أَلَمْ يَكُنْ أَمْرًا عَلَى قُلُوبِ أَقْفَالِهَا ۚ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَنَّى لَهُمْ ۚ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَطَطِيْعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ۚ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَذِنَهُمْ ۚ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا آسَخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ۚ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَنَهُمْ ۚ

[٢٠] ﴿ويقول الذين آمنوا﴾ أي من أظهروا الإيمان ﴿لولا﴾ هلا ﴿نزلت سورة﴾ تأمرنا بالقتال ﴿فإذا أنزلت سورة محكمة﴾ صريحة ﴿وذكر فيها القتال﴾ الأمر بالقتال ﴿رأيت الذين في قلوبهم مرض﴾ شك ونفاق ﴿ينظرون إليك نظر المغشي عليه﴾ الذي أخذته الغشوة ﴿من الموت﴾ من جهة قرب موته، والمراد إن حالتهم تصبح كحالة المحتضر من الخوف والجبن ﴿فاولي لهم﴾ هذا مثال بمعنى وليهم المكروه، يقال: أولى لك أي وليك المكروه، أو بمعنى أولى لهم.

[٢١] ﴿طاعة﴾ بأن يطيعوا ﴿وقول معروف﴾ يقولون قولاً معروفاً بإظهار الموافقة للحرب ﴿فإذا عزم﴾ جد ﴿الأمر﴾ مجازاً^(١)، أي عزم أصحاب الأمر للقتال ﴿فلو صدقوا الله﴾ بامتنال أمره ﴿لكان﴾ الصدق ﴿خييراً لهم﴾ في دنياهم وآخرتهم.

[٢٢] ﴿فهل عسيتم﴾ أي هل يتوقع منكم يا معاشر المنافقين ﴿إن توليتم﴾ أعرضتم عن الدين وذهبتم ﴿أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم﴾ أي أنتم أهل الفساد لا أهل القتال.

[٢٣] ﴿أولئك﴾ المنافقون هم ﴿الذين لعنهم الله﴾ أبعدهم عن رحمته ﴿فأصمهم وأعمى أبصارهم﴾ أي تركهم أصم عن سماع الحق وأعمى عن رؤية الحق.

[٢٤] ﴿أفلا يتدبرون القرآن﴾ بأن يتفكروا فيه حتى يعتبروا ﴿أم على قلوب أقفالها﴾ جمع قفل فلا يدخل قلوبهم معانيه.

[٢٥] ﴿إن الذين ارتدوا على أدبارهم﴾ بأن كفروا قلباً ونافقوا كمن يرجع مولياً دبره ﴿من بعد ما تبين﴾ ظهر ﴿لهم الهدى﴾ بحقيقة الرسول ﷺ ﴿الشیطان سول﴾ زين ﴿لهم﴾ النفاق والعصيان ﴿وأملى﴾ أمد ﴿لهم﴾ في الآمال.

[٢٦] ﴿ذلك﴾ التسويل والإملاء ﴿ب﴾ بسبب ﴿أنهم﴾ أي المنافقين ﴿قالوا للذين﴾ لأسيادهم الكفار ﴿كرهوا ما نزل الله﴾ أي كرهوا الإسلام والدين ﴿سنطيعكم في بعض الأمر﴾ كالنظاير على عداوة الرسول ﷺ والتشكيك في القرآن ﴿والله يعلم إسرارهم﴾ ما يسره بعضهم إلى بعض فيجاذبهم.

[٢٧] ﴿فكيف إذا توفتهم﴾ أخذت أرواحهم ﴿الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم﴾ المواضع التي كانوا لم يقاتلوا توفياً منهم لها.

[٢٨] ﴿ذلك﴾ التوفي بهذا الحال ﴿ب﴾ بسبب ﴿أنهم﴾ أي المنافقين ﴿اتبعوا ما أسخط الله﴾ أغضبه ﴿وكرهوا رضوانه﴾ رضاه بأن لم يفعلوا ما يرضيه ﴿فأحبط أعمالهم﴾ أبطلها ولم يثبهم على أعمالهم الحسنة كصلة الرحم والإنفاق.

[٢٩] ﴿أم﴾ بل ﴿حسب﴾ زعم ﴿الذين في قلوبهم مرض﴾ النفاق ﴿أن لن يخرج الله أضغانهم﴾ أحقادهم للنبي ﷺ والمؤمنين.

(١) أي نسبة العزم إلى الأمر مجازاً، لأن الأمر لا يتصف بالعزم، بل الأمر يتصف به.

[٣٠] ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ﴾ أي عرفناك يا رسول الله المنافقين بدلائل تدل على نفاقهم ﴿فلتعرفتهم﴾ بعد أن أريناكمهم ﴿بسيماهم﴾ بعلاماتهم ﴿ولتعرفتهم في لحن القول﴾ كيفية كلامهم فإن في كلامهم التواء وانحرافاً ﴿والله يعلم أعمالكم﴾ فيجازيكم عليها.

[٣١] ﴿ولنبلونكم﴾ أي نختبرنكم بالجهاد ونحوه ﴿حتى نعلم﴾ يظهر علمنا إلى عالم الخارج ﴿المجاهدين منكم والصابرين﴾ على الشدائد ﴿ونبلو أخباركم﴾ أي ما تقولونه عن أنفسكم: بأنكم مؤمنون صابرون مجاهدون، نمتحن هل هذا الكلام صدق أم لا.

[٣٢] ﴿إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله﴾ بأن منعوا الناس عن سلوك طريق الحق ﴿وشاقوا الرسول﴾ خالفوه ﴿من بعد ما تبين﴾ ظهر ﴿لهم الهدى﴾ بأن علموا بصدق الرسول ﷺ ﴿لن يضروا الله شيئاً﴾ وإنما يضررون أنفسهم ﴿وسيحبط﴾ يبطل الله ﴿أعمالهم﴾ الحسنة بسبب كفرهم ونفاقهم.

[٣٣] ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم﴾ الحسنة بالشك والنفاق.

[٣٤] ﴿إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار﴾ بأن لم يتوبوا ﴿فلن يغفر الله لهم﴾ لأن الكافر المعاند لا غفران له.

[٣٥] ﴿فلا تنهوا﴾ لا تضعفوا أيها المسلمون ﴿وتدعوا إلى السلم﴾ الهدنة، أي لا تدعوا إلى ذلك ﴿و﴾ الحال ﴿أنتم الأعلون﴾ قوة وعدة ﴿والله معكم﴾ ناصركم ﴿ولن يترككم﴾ لن ينقصكم أجر ﴿أعمالكم﴾ فإن اللازم محاربة الكافرين لأجل إحقاق الحق وإنقاذ المظلومين من براثن الحكام الجائرين.

[٣٦] ﴿إنما الحياة الدنيا لعب ولهو﴾ ما يلهي الإنسان عن المقصد، فلا ترجحوا الدنيا حتى لا تقاتلوا ﴿وإن تؤمنوا وتتقوا﴾ الكفر والعصيان ﴿يؤتكم﴾ يعطكم الله ﴿أجوركم﴾ ثواب أعمالكم ﴿ولا يسألكم﴾ الله ﴿أموالكم﴾ حتى تفروا خوفاً وتحفظاً على الأموال.

[٣٧] ﴿إن يسألكموها﴾ أي إن يسألكم أن تعطوا جميع أموالكم في سبيل الله ﴿فاحفكم﴾ يجهدكم بطلب كل أموالكم ﴿تبخلوا﴾ ولم تبذلوا ﴿ويخرج﴾ البخل ﴿أضغانكم﴾ أحقادكم على الدين، ولذا لا يكلفكم تكليفاً شاقاً يوجب انحرافكم، تفضلاً منه.

[٣٨] ﴿ها﴾ للتنبيه ﴿أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله﴾ بعض أموالكم لأجل الجهاد وغيره ﴿فمنكم من يبخل ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه﴾ لأن ضرر البخل يعود إلى نفسه ﴿والله الغني﴾ عن أموالكم ﴿وأنتم الفقراء﴾ فأمركم بالإنفاق لأجل أن يغنيكم من الثواب ﴿وإن تتولوا﴾ تعرضوا عن اتباع أوامر الله ﴿بستبدل﴾ ببذلكم الله ﴿قوماً﴾ إلى أناس آخرين مطيعين لله والرسول ﷺ ﴿غيركم﴾ ثم لا يكونوا أمثالكم ﴿في التولي عن الطاعة﴾ بل هم مطيعون لله والرسول ﷺ فيما أمراً.

وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعَرَفْتَهُمْ فِي لَحَنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَنَیْضُرَّ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالُهُمْ ﴿٣٢﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ فَلَا تَنْهَوْا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَكُمْ إِنَّمَا أَلْهَوُا إِلَىٰ الدُّنْيَا لَعِبَ وَلَهُمْ ءِزْءٌ وَلَٰكِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ جُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ ﴿٣٥﴾ إِنْ يَسْأَلْكُمْوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبَخَّلُوا وَخَرَجَ أَصْغَرُكُمْ ﴿٣٦﴾ هَٰذَا نَتْلُوهُ هَٰذَا لَا تَدْعُونَ لِنُفْضِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنِ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ﴿٣٨﴾

۴۸: سورة الفتح

مدنية تسع وعشرون

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

[۱] ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ﴾ قضينا لك بالفتح ﴿فَتْحاً مَبِيناً﴾ ظاهراً، والمراد فتح مكة.

[۲] ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ﴾ فإن الفتح سبب لأن يغفر لك أهل مكة ما زعموه من ذنبك كنفي آلهتهم وما أشبه، حيث إن الناس يغفرون للسلطان معاصيه السابقة إلههم إذا سيطر وأحسن ﴿مَا تَقْدُمُ مِنْ ذَنْبِكَ﴾ قبل الهجرة ﴿وَمَا تَأْخُرُ﴾ عن الهجرة ﴿وَيَسِّرْ لَكَ اللَّهُ﴾ بإعطائك السيطرة على الجزيرة العربية ﴿وَيَهْدِكُمْ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً﴾ يثبتك عليه، لأن الإنسان في كل يوم يحتاج إلى هداية جديدة وكذلك في كل عمل.

[۳] ﴿وَيَنْصُرْكَ اللَّهُ﴾ نصرأ عزيزاً، فإن نصره على مكة يوجب نصره الكامل الذي لا ذل بعده عن الناس.

[۴] ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ﴾ الطمأنينة ﴿فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا﴾ بما أنزل عليك ﴿مَعَ إِيمَانِهِمُ﴾ السابق فإن الإيمان ملكة له مراتب ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الملائكة والجن وقسم من الناس وسائر الكائنات فيتمكن من نصر من يشاء ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً﴾ بكل شيء ﴿حَكِيماً﴾ في تدبيره.

[۵] وإنما زادهم إيماناً ﴿لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ والمؤمنات جنات تجري من تحتها ﴿تَحْتَ قُصُورِهَا وَأَشْجَارِهَا﴾ الأنهار خالدين دائمين ﴿فِيهَا وَيَكْفُر عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ أي يمحيها ﴿وَكَانَ ذَلِكَ﴾ الثواب ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ فوزاً عظيماً، أي فوزاً عظيماً عند الله.

[۶] ﴿وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ﴾ فإن المنافق يتأذى من تقدم الرسول ﷺ ﴿وَالْمُشْرِكِينَ﴾ والمشركات بالغلبة والسيطرة عليهم ﴿الظَّالِمِينَ﴾ بالله ظن السوء ﴿بِأَنَّ اللَّهَ لَا يَنْصُرُ دِينَهُ وَنَبِيَّهُ﴾ عليهم دائرة السوء ﴿أَي تَدُورُ عَلَيْهِمُ الْفَلَكَ بِدَائِرَةِ سَيِّئَةٍ وَهَذَا دَعَاءُ عَلَيْهِمْ﴾ و غضب الله عليهم ولعنهم طردهم عن رحمته ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ محلاً أي جهنم.

[۷] ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً﴾ فيما أراد ﴿حَكِيماً﴾ في تدبيره.

[۸] ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً﴾ على أمتك بما يفعلون تشهد عليهم يوم القيامة ﴿وَمُبَشِّراً﴾ بالجنة ﴿وَنَذِيراً﴾ بالنار.

[۹] ﴿لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ أي تنصروا الله ﴿وَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ﴾ تعظموه ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ تنزهوه عما لا يليق به ﴿بِكُرَّةٍ﴾ صباحاً ﴿وَأُصِيلًا﴾ عصراً.

سورة الفتح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴿١﴾ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ
وَمَا تَأَخَّرَ وَيُسِّرْ لَكَ يَسْرًا وَيَهْدِكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢﴾
وَيَنْصُرْكَ اللَّهُ نَصْرًا عَظِيمًا ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ
الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرُ عَنْهُمْ
سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبُ
الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمَاتِ
يَا لَلَّهِ ظَنُّكَ السُّوءَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السُّوءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ
شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأُصِيلًا ﴿٩﴾

[١٠] «إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ وَالْبَيْعَةُ أَنْ يَمِدَ الشَّخْصَ بِهِ مَادَّةُ بَيْدِ الرَّسُولِ ﷺ كُنَايَةً عَنْ أَنَّهُ بَاعَ كُلَّ شَيْءٍ لِلرَّسُولِ ﷺ وَالْمُرَادُ هُنَا بَيْعَةُ الْحَدِيثِيَّةِ «إِنَّمَا يَبَايِعُونَ اللَّهَ» لِأَنَّهُ الْمَقْصُودُ بِالْبَيْعَةِ وَلَأَن طَاعَةَ الرَّسُولِ ﷺ هِيَ طَاعَةُ اللَّهِ «يَدِ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ» تَمْثِيلٌ لِلتَّأَكِيدِ حَيْثُ شَبَّهَتْ يَدَ الرَّسُولِ ﷺ حَالَ الْبَيْعَةِ بَيْدِ اللَّهِ «فَمَنْ نَكَثَ» نَقَضَ الْبَيْعَةَ «فَإِنَّمَا يَنْكَثُ عَلَى نَفْسِهِ» إِذْ ضُرِرَ النِّكَثُ يَعُودُ إِلَى نَفْسِهِ «وَمَنْ أَوْفَى» ثَبَتَ عَلَى الْوَفَاءِ «بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ» يَجُوزُ فِي الضَّمِيرِ الْمَجْرُورِ الْخَفْضُ وَالضَّمُّ، وَهَذَا الْقِرَاءَةُ عَلَى الضَّمِّ «اللَّهُ فَيُؤْتِيهِ» فِي الْآخِرَةِ «أَجْرًا عَظِيمًا» هُوَ الْجَنَّةُ.

[١١] «سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلْفُونَ» الَّذِينَ خَلَفَهُمْ ضَعْفُ الْبَقِيَّةِ فَلَمْ يَخْرُجُوا مَعَ الرَّسُولِ ﷺ إِلَى مَكَّةَ عَامَ الْحَدِيثِيَّةِ خَوْفًا مِنَ الْكُفَّارِ «مِنَ الْأَعْرَابِ» أَهْلُ الْبَادِيَةِ الَّذِينَ كَانَ لَهُمْ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ حَلْفٌ «شَغَلْتَنَا» عَنْ الْخُرُوجِ مَعَكَ «أَمُونا» الَّتِي كُنَّا بِصُدِّ إِصْلَاحِهَا «وَأَهْلُونَا» الَّذِينَ كُنَّا نَدَارِيهِمْ وَنَقُومُ بِحَوَائِجِهِمْ «فَاسْتَغْفِرْ لَنَا» أَطْلَبُ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَنَا قَعُودَنَا عَنِ الْخُرُوجِ مَعَكَ «يَقُولُونَ بِالْأَسْنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ» لِأَنَّ عَدَمَ خُرُوجِهِمْ كَانَ خَوْفًا لَا شَغْلًا «قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا» أَيُّ مَنْ يَمْنَعُكُمْ عَنِ مَرَادِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ إِيقَاعَ ضَرَرٍ فَمَا فَائِدَةُ

فِرَارِكُمْ مِنَ الْخُرُوجِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ مَعَ أَنَّ اللَّهَ مُسَيِّطِرٌ عَلَيْكُمْ «أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا» جَاءَ هَذَا لِتَمْثِيلِ الْكَلَامِ وَبَيَانِ الْقَاعِدَةِ الْكَلِمَةِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هُوَ بِالذَّاتِ مَحَلُّ الِاسْتِشْهَادِ «بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ» مِنَ التَّخَلُّفِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ خَوْفًا «خَبِيرًا» فَيَجَازِيكُمْ عَلَيْهِ.

[١٢] «بَلْ ظَنَنْتُمْ» أَيُّهَا الْأَعْرَابُ «أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا» لَا يَرْجِعُونَ، لِأَنَّ الْكُفَّارَ سَيَقْتُلُونَهُمْ وَلِذَا لَمْ تَخْرُجُوا «وَزِينَ» زِينَةُ الشَّيْطَانِ «ذَلِكَ» الظَّنُّ «فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنَ السُّوءِ» بِهَلَاكِ الرَّسُولِ ﷺ «وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا» جَمْعُ بَائِرٍ، أَيُّ هَالِكِينَ، بِسَبَبِ تَخَلُّفِكُمْ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ.

[١٣] «وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا» هَيْئًا «لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا» نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ.

[١٤] «وَلِلَّهِ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» فَيُدْبِرُهَا كَيْفَ يَشَاءُ حَسَبَ الْمَصْلُحَةِ «يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ» مِنْ أَسْتَحَقَّ الْعِقَابَ «وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا» كَثِيرَ الْغَفَرَانِ «رَحِيمًا» فَقَدْ سَبَقَتْ رَحْمَتُهُ غَضَبُهُ.

[١٥] «سَيَقُولُ الْمُخَلْفُونَ» الَّذِينَ تَخَلَّفُوا عَنِ الرَّسُولِ ﷺ فِي عَامِ الْحَدِيثِيَّةِ «إِذَا انْطَلَقْتُمْ» أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ «إِلَى مَغَانِمٍ» غَنَائِمٍ «لِتَأْخُذُوهَا» وَالْمُرَادُ غَنَائِمُ خَبِيرٍ، إِذْ النَّبِيُّ ﷺ لَمَّا رَجَعَ عَنِ الْحَدِيثِيَّةِ غَزَى خَبِيرَ بَنِي شَهْدِ الْحَدِيثِيَّةِ فَفَتَحَهَا وَخَصَّهُمْ بِغَنَائِمِهَا دُونَ مَنْ سِوَاهُمْ «ذَرُونَا» دَعَوْنَا «نَتَّبِعْكُمْ» فِي الْغَزْوِ وَأَخَذَ الْغَنِيمَةَ «يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ» فَإِنَّ اللَّهَ وَعَدَ أَصْحَابَ الْحَدِيثِيَّةِ بِغَنَائِمِ خَبِيرَ دُونَ مَنْ سِوَاهُمْ فَأَعْطَاهُمُ الْمُخَلْفِينَ مِنَ الْغَنَائِمِ تَبْدِيلَ لِكَلَامِ اللَّهِ «قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا» نَفِي فِي مَعْنَى النَّهْيِ «كَذَلِكَ» هَكَذَا وَ(كَمْ) لِلخُطَابِ «قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ» قَبْلَ عُدُونَا مِنَ الْحَدِيثِيَّةِ «فَيَقُولُونَ» أَيُّ الْمُخَلْفُونَ «بَلْ تَحْسُدُونَنَا» أَنْ نُنَاشِرَكُمْ فِي الْغَنِيمَةِ «بَلْ» لَيْسَ كَذَلِكَ وَإِنَّمَا «كَانُوا» أَيُّ الْمُخَلْفُونَ «لَا يَفْقَهُونَ» لَا يَفْهَمُونَ الْحُكْمَ وَالْمَصَالِحَ «إِلَّا قَلِيلًا» مِنْهَا، فَإِنَّ هَذَا الْعَمَلَ يُوجِبُ أَنْ لَا يَتَخَلَّفَ أَحَدٌ مِنْ بَعْدِ عَنْ أَوَامِرِ الرَّسُولِ ﷺ خَوْفًا مِنْ أَنْ يَصِيبَهُ الْحَرَمَانُ.

إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَكَ اللَّهُ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ
فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكَثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ
اللَّهُ فَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلْفُونَ
مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلْتَنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ
بِالْأَسْنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ
شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
خَبِيرًا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى
أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزِينَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنَ السُّوءِ
وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا
أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا
رَحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ الْمُخَلْفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى
مَغَانِمٍ لِتَأْخُذُوا هَذَا زَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا
كَلِمَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكَ يَقُولُ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ
فَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾

[١٦] ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سُدْعُونَ﴾ فيما بعد ﴿إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ أصحاب قوة ومراس في الحرب، كثقيف وهوازن وغيرهما ﴿تَقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ﴾ بأن تخيروهم بين الأمرين من الإسلام أو القتال، وذلك لنقضهم العهد مع الرسول ﷺ ﴿فَإِنْ تَطِيعُوا﴾ بإجابة الرسول ﷺ إلى القتال ﴿يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا﴾ غنيمة في الدنيا وثواباً في الآخرة ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ تعرضوا عن القتال ﴿كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ﴾ في الحديبية ﴿يُعَذِّبُكُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلماً.

[١٧] ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ﴾ ضيق في ترك الجهاد ﴿وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ﴾ الذي يصعب عليه الجهاد ﴿حَرَجٌ وَمَنْ يَطْعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَدْخُلْهُ جَنَّاتُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا أَنْهَارٌ﴾ تحت أشجارها ﴿الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ﴾ يعرض عن أوامر الله والرسول ﷺ ﴿يُعَذِّبُهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلماً.

[١٨] ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ﴾ يا رسول الله ﷺ ﴿تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ التي كانت في الحديبية، فقد خرج الرسول ﷺ في أصحابه لأجل العمرة، ولما وصل إلى الحديبية وهي موضع قرب مكة أرسل بعض أصحابه إلى قريش يخبرهم أنه لم يأت للقتال، فشاع بين المسلمين أن من ذهب إلى قريش قتل،

فغضب النبي ﷺ للخبر وجمع أصحابه وأخذ منهم بيعة ثانية لقتال قريش، لكن قريشاً لما علموا بالخبر أرسلوا بعضهم للمفاوضة مع النبي ﷺ في الرجوع والمجيء إلى مكة في العام المقبل، وتبين أن الإشاعة كانت باطلة، وبعد الحديبية ذهب النبي ﷺ إلى خيبر وفتحها ﴿فَعَلِمَ﴾ الله ﴿مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ من صدق النية للقتال ﴿فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ﴾ السكون والطمأنينة ﴿عَلَيْهِمْ وَأَتَاهِهِمْ﴾ أعطاهم ثواب صدقهم ﴿فَتَحَّا قُرَيْبًا﴾ هو فتح خيبر.

[١٩] ﴿وَأَتَاهِهِمْ مَغَانِمٌ﴾ غنائم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزاً ﴿فِي سُلْطَانِهِ حَكِيمًا﴾ في أفعاله. [٢٠] ﴿وَعَدَكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ﴾ من المشركين وغيرهم في المستقبل ﴿كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ﴾ غنائم خيبر أعطاكم إياها عاجلاً ﴿وَكَفَّ﴾ منع ﴿أَيْدِي النَّاسِ عَنْكُمْ﴾ فإن يهود خيبر وحلفاءهم لم يقدرُوا على مقابلة النبي ﷺ ﴿وَلَتَكُنَ﴾ هذه الغنائم العاجلة ﴿آيَةً﴾ علامة على صدق الرسول ﷺ حيث وعدهم ثم صار كما وعد ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ فإنهم المستفيدون منها ﴿وَيَهْدِيكُمْ﴾ يثبتكم على الهداية ﴿صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾.

[٢١] ﴿وَعَدَكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ﴾ أخرى ﴿عَاجِلَةً أَيْضًا كَغَنَائِمِ خَيْبَرَ﴾ لم تقدرُوا عليها بعد ﴿قَدْ أَحَاطَ﴾ استولى ﴿اللَّهُ بِهَا﴾ حيث علم أنكم تأخذونها عن قريب ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾.

[٢٢] ﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة في الحديبية ﴿لَوَلَّوْا الْأَدْبَارَ﴾ انهزموا ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا﴾ يلي أمرهم بحفظهم ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ ينصرهم، وإنما أمر الله بالصلح معهم، لأنه تعالى أراد فتحها بدون إراقة دم وبدون جهد.

[٢٣] ﴿سَنَةِ اللَّهِ﴾ أي سن الله غلبة أنبيائه سنة ﴿الَّتِي قَدْ خَلَتْ﴾ مضت ﴿مِنْ قَبْلِ﴾ في سائر الأنبياء ﷺ حيث نصرهم على الكفار ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسَنَةَ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ تغييراً.

قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سُدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ
نَقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ فَإِنْ تَطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا
وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا لَيْسَ
عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ
وَمَنْ يَطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَدْخُلْهُ جَنَّاتُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبُهُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ
الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ
فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٧﴾ وَمَغَانِمَ
كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٨﴾ وَعَدَكُمْ اللَّهُ
مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ
النَّاسِ عَنْكُمْ وَلَتَكُنَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيكُمْ صِرَاطًا
مُسْتَقِيمًا ﴿١٩﴾ وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا
وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٠﴾ وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا
لَوَلَّوْا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢١﴾ سَنَةِ
اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِ وَلَنْ تَجِدَ لِسَنَةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾

[٢٤] ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِطَّنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ ﴿٢٥﴾ هُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْمَدْيَةِ مَعَكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ حِلَّةُ وَلَوْ لَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطْشُوهُمْ فَتُصِيبُكُمْ مِنْهُمْ مَعْرَةٌ بَغِيرَ عِلْمٍ لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٦﴾ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٧﴾ لَقَدْ صَدَّقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الْرَّاهِقَ لِتَدْخُلَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٨﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٩﴾

[٢٥] ﴿هَم﴾ أهل مكة ﴿الذين كفروا وصدوكم﴾ منعوكم أيها المسلمون ﴿عن المسجد الحرام﴾ في عام الحديبية فلم يأذنوا لدخولكم إليها لأداء المناسك ﴿و﴾ صدوا ﴿الهدى﴾ الأنعام التي كانت معكم مهداة إلى الكعبة لأجل ذبحها في حال كونه ﴿معكوفاً﴾ ممنوعاً ممنوعاً منعاً ﴿أن يبلغ محله﴾ مكانه المعهود لنحره وذبحه وهو مكة ﴿ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات﴾ في مكة ﴿لم تعلموهم﴾ لم تعرفوهم بأعيانهم لاختلاطهم بالكفار ﴿أن تطشوهم﴾ أي لولا مخافة وطنكم أي قتلكم للمسلمين في مكة، إذا صارت المحاربة في الحديبية ﴿فتصيبكم منهم﴾ من جهة أولئك المسلمين ﴿معرفة﴾ تبعة كلزوم الدية والكفارة والتأسف ﴿بغير علم﴾ منكم، متعلق بـ ﴿تطشوهم﴾، وجواب (لولا) مقدر أي لأذن الله لكم في قتال أهل مكة ﴿ليدخل﴾ علة أخرى لعدم إذهابهم في القتال، وهو دخول الناس في الإسلام، لأن صلح الحديبية صار سبباً لدخول جماعات في الإسلام ﴿الله في رحمته من يشاء لو تزيلوا﴾ تفرقوا وتميز الكافر من المؤمن في مكة ﴿لعذبنا﴾ بإجازة القتل والقتال ﴿الذين كفروا منهم عذاباً أليماً﴾ مؤلماً يقتلهم وأسرهم.

[٢٦] ﴿إِذ﴾ اذكر زماناً ﴿جعل الذين كفروا﴾ من أهل مكة ﴿في قلوبهم الحمية﴾ العصبية ﴿حمية الجاهلية﴾ حيث قالوا كيف يدخل محمد ﷺ مكة بلدنا وقد قتل في أحد آبائنا وإخواننا والحال أن الحج والعمرة لا يرتبطان بالمنازعات - حتى في عرف الكفار - ﴿فأنزل الله سكينته﴾ طمأنينته ﴿على رسوله وعلى المؤمنين﴾ لأنهم هاجوا حيث أراد النبي ﷺ الصلح، ثم أسكن الله قلوبهم حتى رضوا بما أراد الرسول ﷺ ﴿وألزمهم كلمة التقوى﴾ أن اتقوا معصية الرسول ﷺ ﴿وكانوا﴾ أي المسلمون ﴿أحق بها﴾ بالتقوى من غيرهم ﴿و﴾ كانوا ﴿أهلها﴾ أي أهل التقوى ﴿وكان الله بكل شيء عليم﴾ فعلم صدق نياتهم وإطاعتهم للرسول ﷺ.

[٢٧] ﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا﴾ المنام الذي رآه الرسول ﷺ قبل الحديبية أنه دخل مكة وأدى المناسك فقص رؤياه على أصحابه، ولما أراد الصلح قال بعض الأصحاب فأين رؤياك يا رسول الله، قال ﷺ: إنه سيكون في المستقبل - ولم أقل لكم أنه في هذا العام - وكان كما قال ﷺ إذ دخل مكة بعد ذلك وأدى المناسك ﴿بالحق﴾ صدقاً متلبساً بالحق، فالصدق مطابقة الشيء للواقع، والحق مطابقة الواقع للشيء ﴿لتدخلن﴾ أي أيها المسلمون لتدخلن في المستقبل - كما رأى الرسول ﷺ رؤيا صادقة - ﴿المسجد الحرام إن شاء الله آمنين﴾ في حال أمن ﴿محلقين رؤوسكم ومقصرين﴾ هو أخذ بعض الشعر والظفر، وأحدهما سبب التحليل عن الإحرام ﴿لا تخافون﴾ تأكيداً لـ (آمنين) ﴿فعلم﴾ الله ﴿ما لم تعلموا﴾ من الحكمة في تأخير دخولكم مكة ﴿فجعل من دون ذلك﴾ قبل دخول مكة ﴿فتحاً قريباً﴾ هو فتح خيبر.

[٢٨] ﴿هو﴾ الله ﴿الذي أرسل رسوله بالهدى﴾ أي مع ما يهدي الناس كالقرآن ﴿ودين الحق﴾ الإسلام ﴿ليظهره﴾ أي يغلب دينه وهو الإسلام ﴿على الدين كله﴾ كل الأديان ﴿وكفى بالله شهيداً﴾ شاهداً على أن ما وعده سيكون لا محالة.

[۲۹] ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء﴾ جمع شديد ﴿على الكفار رحماء بينهم﴾ يرحم بعضهم بعضاً ﴿تراهم ركعاً سجداً﴾ جمع راکع وساجد ﴿يبتغون﴾ يطلبون ﴿فضلاً من الله ورضواناً﴾ زيادة ثوابه ورضاه ﴿سيماهم﴾ علامتهم ﴿في وجوههم من أثر السجود﴾ كالمحل الخشن في الجبهة ﴿ذلك﴾ الوصف المذكور: (أشداء...) إلخ ﴿مثلهم﴾ الذي يعرفون به ﴿في التوراة ومثلهم في الإنجيل﴾ فقد عرفتوا في الكتابين بهذه الأوصاف فهم ﴿كزروع﴾ نبات ﴿أخرج شطأه﴾ فراخه ﴿فأزره﴾ فغوى الزرع الشطأ ﴿فاستغلف﴾ صار غليظاً ﴿فاستوى﴾ استقام الزرع ﴿على سوقه﴾ جمع ساق، بأن صار محكماً قوياً ﴿يعجب﴾ ذلك الزرع ﴿الزراع﴾ الزارعين لاستوائه وغلظته، ووجه الشبه أن النبي ﷺ دعا وحده، ثم كثروا وقفوا حتى أن الراي يعجب من كثرتهم وقوتهم وحسن عملهم، وإنما فعل الله بالمسلمين ذلك ﴿ليغظ بهم﴾ أي بسبب المسلمين ﴿الكفار﴾ فإنهم أعداء الله فأغاظهم الله بالمسلمين ﴿وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم﴾ من المسلمين - لأن جماعة منهم كانوا منافقين فليس الوعد لهم - ﴿مغفرة﴾ غفراناً لذنوبهم ﴿وأجر عظيم﴾ في الآخرة.

مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرِزَجٍ أَخْرَجَ مِنْهُ خَشَقَةً فَأَنزَلُوهَا فَاسْتَقْلَطُوهَا فَاسْتَوَى عَلَى سُوْقِهِمْ يُعْجِبُ الزَّرْعَ لِيَغْظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٠﴾

سُورَةُ الْحَجَرَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ شَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ فَلَا يَقُولُ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّا نَذِيرُكَ مِنْ وراءِ الْحَجَرَاتِ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾

۴۹: سورة الحجرات

مدنية آیاتها ثمانی عشر

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

- [۱] ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا﴾ بقول أو فعل ﴿بين يدي الله ورسوله﴾ أي لا تعجلوا بأمر قبل إذنهما فيه، والأصل أن أمام الإنسان يكون بين يديه، ولذا استعير بين اليدين للأمام ﴿واتقوا الله إن الله سميع﴾ بأقوالكم ﴿عليم﴾ بأفعالكم.
- [۲] ﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي﴾ فإذا كلمتموه لا يكن صوتكم أرفع من صوته ﷺ ﴿ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض﴾ أي كما يجهر أحدكم في الكلام إذا تكلم مع الآخر، بل اخفضوا عند النبي ﷺ أصواتكم، كما ينبغي عند العظماء فإنه مرتبة من الاحترام والتكريم، وذلك لـ ﴿أن﴾ لا ﴿تجبط﴾ تبطل ﴿أعمالكم﴾ الحسنة بسبب رفع الصوت أو الجهر ﴿وأنتم لا تشعرون﴾ لا تفهمون أنها أجبت.
- [۳] ﴿إن الذين يفضون﴾ يخفضون ﴿أصواتهم عند رسول الله﴾ إجلالاً له ﴿أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى﴾ اختبرها فرأها أهلاً للتقوى، ولذا منح التقوى لها ﴿لهم مغفرة﴾ غفران لذنوبهم ﴿وأجر عظيم﴾ في الآخرة.
- [۴] ﴿إن الذين ينادونك من وراء الحجرات﴾ كانوا يأتون والنبي ﷺ في غرفته بعد فصيحون من وراء الباب يا محمد يا محمد ﷺ ﴿أكثرهم لا يعقلون﴾ إنه مخل بالآداب، ولعل الإتيان بلفظ (الأكثر) لأجل أن بعضهم كانوا مغرضين في ذلك.

[٥] ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ﴾ بدون أن ينادوك ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ من الاستعجال لما في الصبر من حفظ الآداب ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ لمن تاب ﴿رَحِيمٌ﴾ ولذا لا يعاجلهم بالعقاب.

[٦] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ﴾ بخبر ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ اطلبوا بيان صدقه وكذبه ولا ترتبوا الأثر على خبره فوراً وذلك لـ ﴿أَنْ﴾ لا ﴿تَصِيَّبُوا﴾ بمكرهه ﴿قَوْمًا﴾ ممن وشي الفاسق عليهم ﴿بجهالة﴾ في حال كونكم جاهلين أمرهم ﴿فَتَصَبَّحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ﴾ من إصابة القوم بالأذى ﴿نَادِمِينَ﴾ حين تبين كذب الفاسق، وقد وشي الوليد الفاسق على بني المصطلق كذباً فأراد جمع من المسلمين الانتقام منهم وطلبوا من الرسول ﷺ ذلك فنزلت الآية ناهية عن الاستعجال وإنه يلزم عليهم اتباع الرسول ﷺ لا أن يطلبوا من الرسول ﷺ اتباع آرائهم.

[٧] ﴿وَاعْلَمُوا أَن فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ﴾ الذي تريدون أن يتبع رأيكم فيه ﴿لَعَنْتُمْ﴾ وقعتم في العنت والمشقة ﴿وَلَكِنْ﴾ بيان لعذر المسلمين حيث استعجلوا في تصديق الخبر فإنهم من فرط حبههم للإيمان وكرهتهم الكفر أشاروا على النبي ﷺ بالانتقام من القوم ﴿اللَّهُ حَبِيبُ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانُ وَزِينَهُ﴾ أي الإيمان ﴿فِي قُلُوبِكُمْ﴾ وكره إليكم الكفر والفسوق ﴿الخروج عن الطاعة

وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصَيَّبُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿٦﴾ وَاعْلَمُوا أَن فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبُ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانُ وَزِينَتُهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَتْ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضَلَّ مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلَيْهِ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبَغَى حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بَشَرٌ لِّكُلِّ نَسَمٍ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾

﴿وَالْعِصْيَانُ أُولَئِكَ﴾ المستثنون ﴿هَمُ الرَّاشِدُونَ﴾ المهتدون الذين لهم رشد فكري. [٨] ﴿فضلاً من الله﴾ حب وكره فضلاً وزيادة منه تعالى لا باستحقاقكم ﴿ونعمة﴾ منه عليكم ﴿والله عليكم﴾ بأحوال المؤمنين ﴿حكيم﴾ في أوامره ونواهي.

[٩] ﴿وإن طائفتان﴾ جماعتان كما حدث بين الأوس والخزرج على عهد رسول الله ﷺ ﴿من المؤمنين اقتتلوا﴾ تقاتلوا ﴿فأصلحوا بينهما﴾ بالنصح ودعوتهم إلى الرجوع إلى موازين الشريعة ﴿فإن بغت﴾ تعدت بعد النصح ﴿إحداهما على الأخرى فقاتلوا﴾ أيها المسلمون الطائفة ﴿التي تبغي حتى تفيء﴾ ترجع ﴿إلى أمر الله﴾ في الصلح والرضوخ لحكم الشرع ﴿فإن فاءت﴾ رجعت الطائفة المعتدية ﴿فأصلحوا بينهما بالعدل﴾ بأن تأخذوا من الظالم منهما دية المظلوم وما أشبه ذلك، لا بمثل الأحكام الاعباطية والعادات القبلية ﴿واقسطوا﴾ اعدلوا في كل أمر ﴿إن الله يحب المقسطين﴾.

[١٠] ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ كان الدين أب لهم فهم أخوة في الدين ﴿فأصلحوا بين أخويكم﴾ إذا تخاصما ﴿واتقوا الله﴾ لعلكم ترحمون ﴿بتقواكم﴾.

[١١] ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم﴾ رجال ﴿من قوم عسى﴾ لعل ﴿أن يكونوا﴾ أي المسخورون ﴿خيراً منهم﴾ من الساخرين، عند الله فكيف يسخرهم لبعض الأمور الدنيوية ﴿ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ولا تلمزوا أنفسكم﴾ لا يعيب بعضكم بعضاً فإن المؤمنين كنفس واحدة ﴿ولا تنابزوا بالألقاب﴾ لا يدعو بعضكم بعضاً بلقب يكرهه ﴿بئس الاسم﴾ أي العلامة ﴿الفسوق﴾ الخروج عن طاعة الله ﴿بعد الإيمان﴾ فإنكم حيث كنتم مؤمنين لا تعملوا على أنفسكم علامة الفسق بسبب التنابز بالألقاب ﴿ومن لم يتب﴾ من هذه المعاصي ﴿فأولئك هم الظالمون﴾ أنفسهم بتعريضها للعقاب.

[١٢] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ﴾ أي ظن السوء، فإنه الكثير في ظنون الإنسان، مقابل الظن الحسن كحسن الظن بالله وبالمؤمنين ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ معصية ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ لا تبحثوا عن عورات المسلمين ﴿وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ والغيبة هي ذكرك أخاك في غيبته بما يكره ﴿أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ في حال موت الأخ، فعرضه ك لحمه، وغيبته كالموت، لأنه الغائب والميت كلاهما لا يشعران ﴿ذَكَرْتُمُوهُ﴾ كما كرهتم ذلك فافكروا الغيبة لأنها نظيره ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ﴾ يتوب على من تاب ﴿رَحِيمٌ﴾ ولذا لا يعاجلكم بالعقوبة.

[١٣] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ﴾ حواء ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا﴾ جمع شعب أعم من القبيلة ﴿وَقَبَائِلَ﴾ جمع قبيلة، فلا النسب ولا الشعب والقبيلة موجبة لرفع الإنسان وكرامته ﴿لَتَعَارَفُوا﴾ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴿أَكْثَرُكُمْ تَقْوَىٰ﴾ فإن ميزان الفضيلة عند الله التقوى ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بما تفعلون ﴿خَبِيرٌ﴾ ببواطنكم.

[١٤] ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ﴾ جماعة من أهل البادية أظهروا الإسلام في سنة جذبة لينالوا من الصدقة التي كان الرسول ﷺ يوزعها على الفقراء ﴿أَمَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا﴾ وهذا تحريض لهم على الإيمان فلا ينافي قوله تعالى (ولا

يَتَّخِذُ الَّذِينَ آمَنُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يٰٓأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَمَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَدِينُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يٰٓمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَيَّ أَسْلَمْتُكُمْ بِلِ اللَّهِ يٰٓمُنَّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾

تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً^(١) ﴿وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ دخلنا في الإسلام بإظهار الشهادتين ﴿ولما يدخل الإيمان في قلوبكم﴾ أي بعد لم يدخل الإيمان الذي هو الاعتقاد القلبي ﴿وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتمسكم﴾ لا ينقصكم ﴿من﴾ ثواب ﴿أعمالكم شيئاً﴾ أي يعطيكم ثوابكم كاملاً ﴿إن الله غفور﴾ لمن تاب ﴿رحيم﴾ بعباده حيث لا يعاجلهم بالعقوبة.

[١٥] ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ حقيقة هم ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ لم يشكوا فيما آمنوا به ﴿وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ لأجل إعلاء كلمة الله ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ الذين صدقوا في كونهم مؤمنين.

[١٦] ﴿قُلْ أَتَعْلَمُونَ﴾ الله بدينكم ﴿أَيُّ هَلْ تَخْبِرُونَ اللَّهَ بِقَوْلِكُمْ﴾ (أما) إنكم متدينون، والاستفهام للتوبيخ ﴿والله يعلم ما في السماوات وما في الأرض والله بكل شيء عليم﴾ فهو أعلم بأنكم مؤمنون أم لا.

[١٧] ﴿يٰٓمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾ أي بإسلامهم، كأنه منة على الرسول ﷺ ﴿قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ﴾ بإسلامكم ﴿بَلِ اللَّهِ يَمُنْ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ﴾ حيث هداكم ﴿لِلْإِيمَانِ﴾ إن كنتم صادقين ﴿في ادعاء إيمانكم﴾.

[١٨] ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ﴾ ما غاب عن الحواس في ﴿السَّمَوَاتِ وَ﴾ في ﴿الْأَرْضِ﴾ فهو يعلم أنكم صادقين في إيمانكم أم لا ﴿والله بصير بما تعملون﴾ فسوف يجازيكم عليه.

٥٠: سورة ق

مكية آياتها خمس وأربعون

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

سُورَةُ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ إِنْ دَامَتْكُمْ آيَاتُنَا بِذَلِكَ رَجِعُوا بَعِيدٌ ﴿٣﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كَنْزٌ حَفِيفٌ ﴿٤﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيعٍ ﴿٥﴾ أَفَأَنْزِلُكُمْ إِلَى الْأَرْضِ فَنَنْظُرُ إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضُ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ نَبْتٍ وَزَيَّنَّاهَا بِالنَّجْمِ الْمُنِيرِ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةٌ وَذِكْرٌ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَالَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادُ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُيُوسُفَ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحُوَّعِدُوا قُلُوبُهُمْ بِالْخُلُقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لِسَنِ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٤﴾

[١] ﴿ق﴾ رمز بين الله ورسوله ﷺ ﴿والقرآن المجيد﴾ ذو المجد والرفعة، وجواب القسم مقدر، أي أنكم مبعوثون، دل عليه (بل عجبوا) الخ.
[٢] ﴿بل عجبوا أن جاءهم منذر﴾ الرسول ﷺ ﴿منهم﴾ من جنسهم ﴿فقال الكافرون هذا﴾ الذي يقوله محمد ﷺ ﴿شيء عجيب﴾
[٣] ﴿إذا متنا وكنا تراباً﴾ نرجع أحياء ﴿ذلك﴾ الرجوع إلى الحياة ﴿رجع﴾ رجوع ﴿بعيد﴾ أن يكون.
[٤] ﴿قد علمنا ما تنقص الأرض منهم﴾ ما تأكل الأرض من أجسادهم، فإذا أردنا إحياءهم جمعنا الأجزاء ﴿وعندنا كتاب حفيظ﴾ حافظ لكل شيء، والمراد اللوح المحفوظ أو علم الله.
[٥] ﴿بل كذبوا بالحق﴾ النبوة ﴿لما جاءهم فهم في أمر مريع﴾ مضطرب فيقولون عن النبي ﷺ تارة إنه شاعر وتارة كاهن وهكذا.
[٦] ﴿أفلم ينظروا﴾ للاستدلال على الله وصفاته وقدرته على البعث ﴿إلى السماء فوقهم كيف بنيناها﴾ بلا عمد

بهذا الشكل الجميل ﴿وزيناها﴾ بالكواكب ﴿وما لها من فروع﴾ شقوق توجب خللاً فيها.
[٧] ﴿والأرض مددناها﴾ بسطناها ﴿والقينا فيها رواسي﴾ جبالاً ثوابت ﴿وانبتنا فيها من كل زوج﴾ صنف من النبات ﴿بهيج﴾ حسن ذو بهجة يسر من رآه.
[٨] ﴿تبصرة وذكرى﴾ أي فعلنا كل ذلك لأجل تبصيرهم وتذكيرهم بالفطرة الكامنة فيهم ﴿لكل عبد منيب﴾ راجع إلى ربه.
[٩] ﴿ونزلنا من السماء ماء﴾ المطر ﴿مباركاً﴾ كثير البركة ﴿فانبتنا به جنات﴾ أشجار ونباتات ﴿وحب الحصيد﴾ حب الزرع الذي من شأنه أن يحصد، كالحنطة.
[١٠] ﴿و﴾ أنبتنا به ﴿النخل باسقات﴾ طوالاً ﴿لها طلع﴾ أول ما يطلع منها وفيه التمر ﴿نضيد﴾ منضود بعضه على بعض.
[١١] ﴿ورزقاً﴾ لأجل الرزق والأكل ﴿للعباد وأحيينا به﴾ بالمطر ﴿بلدة ميتاً﴾ باليس لا نبات فيه ﴿كذلك﴾ كالإحياء للبلدة بعد الموت ﴿الخروج﴾ خروج الموتي أحياء عند البعث.
[١٢] ﴿كذبت قبلهم﴾ قبل قومك يا رسول الله ﷺ ﴿قوم نوح وأصحاب الرس﴾ البشر التي رسوا فيها نبيهم قرب شط الرس ﴿وثمود﴾.
[١٣] ﴿وعاد وفرعون وإخوان لوط﴾ أي قومه.
[١٤] ﴿وأصحاب الأيكة﴾ قوم شعيب النبي ﷺ ﴿وقوم تبع﴾ الملك كما سبق في سورة الدخان ﴿كل﴾ أي كل واحد من هؤلاء الأقوام ﴿كذب الرسل فحق﴾ ثبت عليهم ﴿وعيد﴾ وعيدي أي عذابي فأهلكتهم.
[١٥] ﴿أفميناً﴾ أي هل عجزنا ﴿بالخلق الأول﴾ أي بهذه الخلقة ابتداءً، حتى لا نقدر على إعادة الخلق للآخرة، والاستفهام للإنكار ﴿بل﴾ لم نعي وإنما هم الكفار ﴿في لبس﴾ شك ﴿من خلق جديد﴾ من أن نخلق الناس جديداً للحساب.

[١٦] ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسَّوَسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [١٧] ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ [١٨] ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [١٩] ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [٢٠] ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ﴾ [٢١] ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [٢٢] ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [٢٣] ﴿وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَى عَتِيدٍ﴾ [٢٤] ﴿الَّذِي فِيهَا يَكْتُمُ كُلُّ كَفَّارٍ عَيْنٍ﴾ [٢٥] ﴿مَتَاعٌ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٌ﴾ [٢٦] ﴿الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْفَيَا فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ﴾ [٢٧] ﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ [٢٨] ﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدِيَ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ﴾ [٢٩] ﴿مَا يُبْدِلُ الْقَوْلَ لَدَى وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لَلْعَبِيدِ﴾ [٣٠] ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَنَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ [٣١] ﴿وَأَزَلَّتِ الْجَنَّةُ السُّفْلَىٰ عَنْ عُرْسَيْدٍ﴾ [٣٢] ﴿هَذَا مَا تَوْعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيفٍ﴾ [٣٣] ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْعَلِيمَ﴾ [٣٤] ﴿وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾ [٣٥] ﴿أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾ [٣٦] ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [٣٧]

[١٧] ﴿إِذْ﴾ اذكر زماناً ﴿يَتَلَقَّى﴾ يأخذ ﴿المتلقيان﴾ الأخذان وهما ملكان يكتبان ما يعمل الإنسان ﴿عن اليمين﴾ أحدهما قاعد ﴿وعن الشمال قعيد﴾ أي قاعد، وفي بعض الروايات أنهما على الشدقين أي طرفي الفم.

[١٨] ﴿ما يلفظ﴾ لا يتكلم الإنسان ﴿من قول﴾ كلمة ﴿إلا لديه﴾ لدى التلفظ ﴿رقيب﴾ يراقب كلامه ﴿عتيد﴾ حاضر مستعد لكتابته.

[١٩] ﴿وجاءت سكرة الموت﴾ شدته المزيلة للفعل، كالسكر ﴿بالحق﴾ أي بالحقيقة من أمر الإنسان، فإن الحقائق هناك تنكشف ﴿ذلك﴾ الموت ﴿ما﴾ الذي ﴿كنت﴾ أيها الإنسان ﴿منه تحيد﴾ تهرب.

[٢٠] ﴿ونفخ في الصور﴾ يوق ينفخ فيه إسرافيل لأجل إحياء البشر للحساب ﴿ذلك﴾ الوقت ﴿يوم الوعيد﴾ يتحقق فيه الوعيد بالعذاب.

[٢١] ﴿وجاءت كل نفس معها سائق﴾ ليسوقها ﴿وشهيد﴾ شاهد يشهد عليها بما عملت في الدنيا.

[٢٢] ويقال له: ﴿لقد كنت في غفلة من هذا﴾ اليوم، كالإنسان الغافل لا تعمل لهذا اليوم ﴿فكشفنا﴾ رفعنا ﴿عنك غطاءك﴾ الذي كان على قلبك في الدنيا فيمنعك عن فهم الحقائق ﴿فبصرك اليوم حديد﴾ حاد يرى الحقائق إذ زالت الشهوات والموانع عن القلب.

[٢٣] ﴿وقال قرينه﴾ الملك الشاهد عليه: ﴿هذا ما لدي﴾ هذا الأمر الذي هو مكتوب عندي ﴿عتيد﴾ حاضر.

[٢٤] ﴿الْقِيَا﴾ أيها السائق والشهيد ﴿في جهنم كل كفار عتيد﴾ كثير الكفر المعاند للحق.

[٢٥] ﴿متاع للخير﴾ كثير المنع للأعمال الخيرية ﴿معتد﴾ مجاوز للحق ﴿مريب﴾ شاك في الدين.

[٢٦] ﴿الذي جعل مع الله إلهاً آخر﴾ من الأصنام أو نحوها ﴿فألفيا في العذاب الشديد﴾.

[٢٧] ﴿قال قرينه﴾ الشيطان الذي كان يغويه في الدنيا: ﴿ربنا ما أطغيته﴾ لم أكن سبباً لطغيانه ﴿ولكن كان في ضلال بعيد﴾ هو كان ضالاً فدعوته فاستجاب لي، والبعيد يعني بعيد عن الحق، وهو يقول ربنا إنه أضلني.

[٢٨] ﴿قال﴾ الله: ﴿لا تختصموا﴾ لا يخاصم أحدكم الآخر ﴿لدي﴾ الآن فلا يفيد الاختصاص ﴿وقد قدمت إليكم بالوعيد﴾ على أن من كفر فجزاؤه النار.

[٢٩] ﴿ما يبديل القول لدي﴾ لا يقع خلاف وعيدي للكفرة ﴿وما أنا بظلام﴾ بذي ظلم ﴿للعبيد﴾ فلا أعاقب إلا من استحق العقاب.

[٣٠] ﴿يوم﴾ اذكر يوماً ﴿نقول لجهنم هل امتلأت﴾ والسؤال لأجل التقرير وتبكيه الداخلين فيها ﴿ونقول هل من مزيد﴾

أي هل في موضع زيادة، كناية عن امتلائها كما قال سبحانه: (لأملأن جهنم)^(١).

[٣١] ﴿وَأَزَلَفْتُ﴾ قَرَّبْتُ ﴿الْجَنَّةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ الذي كانوا يتقون الكفر والعصيان في الدنيا، في حال كونها ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ منهم.

[٣٢] وَيُقَالُ لَهُمْ ﴿هَذَا﴾ الثَّوَابُ ﴿مَا﴾ كُنْتُمْ ﴿تَوَعَدُونَ﴾ في الدنيا فهو ﴿لِكُلِّ أَوَابٍ﴾ كثير الأوبة والتوبة ﴿حَفِيزٌ﴾ حافظ نفسه عن الكفر والعصيان.

[٣٣] ﴿مَنْ﴾ بَدَلَ مِنْ (أَوَابٍ) ﴿خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ﴾ حال كونه لا يرى الله ﴿وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾ راجع إلى الله.

[٣٤] وَيُقَالُ لَهُمْ ﴿ادْخُلُوهَا﴾ أي الجنة ﴿بِسَلَامٍ﴾ سالمين عن المكروه ﴿ذَلِكَ﴾ اليوم ﴿يَوْمَ الْخُلُودِ﴾ خلود أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار.

[٣٥] ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا﴾ في الجنة، من أنواع النعم ﴿وَلَدِينَا مَزِيدٌ﴾ زيادة على ما يشاءون، مما لا يخطر ببالهم.

وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي
الِالْبَدَايِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ
لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا
مِنْ لُغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ
قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ
وَادْبَرْ الْأَسْجُدِ ﴿٤٠﴾ وَاسْمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادُ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ
﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمَ الْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا
نَحْنُ نَحْيِي وَنُؤَيِّتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ
عَنْهُمْ سَرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْهِمْ يُسَيِّرُ ﴿٤٤﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ
وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدَ ﴿٤٥﴾

سورة الذاريات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالَّذِينَ ذَرَوْا ﴿١﴾ فَأَلْحَمْنَا وَوَقَرًا ﴿٢﴾ فَأَلْجَيْنَا بِنُورٍ ﴿٣﴾
فَأَلْمَمْنَا بِأَمْرٍ ﴿٤﴾ إِنَّمَا تَوَعَّدُونَ لِصَادِقٍ ﴿٥﴾ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ﴿٦﴾

﴿٣٦﴾ «وكم أهلكنا قبلهم» قبل هؤلاء الكفار «من قرن»
أمة «هم» ذلك القرن «أشد منهم» من هؤلاء «بطشاً»
قوة وأخذاً «فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ» فتحو المسالك في البلاد
لشدة بطشهم وقوتهم فـ «هل من محيص» مهرب من
العذاب إذا جاءهم، فلم تقدم قوتهم ونقيهم.

﴿٣٧﴾ «إِنَّ فِي ذَلِكَ» إهلاك الأمم السابقة «لذكري»
تذكرة للاعتبار «لمن كان له قلب» عقل يتفكر به «أو»
ألقى السمع «أصغى للاستماع» وهو شهيد «حاضر»
القلب، ليفهم الحقائق.

﴿٣٨﴾ «وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ
أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ» تعب، أي لم نتعب، ومن هو
بهذه القدرة قادر على البعث.

﴿٣٩ - ٤٠﴾ «فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ» أي الكفار، فيك
وفي القرآن «وسبح بحمد ربك» نزهه حامداً له «قبل
طلوع الشمس» في صلاة الصبح «وقبل الغروب» في
صلاة الظهر والعصر «ومن الليل فسبحه» أي في صلاة
المغرب والعشاء «وَأدبر السجود» أي بعد
الصلاة، وأدبر جمع دبر بمعنى العقب.

﴿٤١﴾ «وَاسْمِعْ» أي انتظر سماع قول إسرافيل «يوم يناد
المناد» هو إسرافيل، ينادي لإحياء الأموات «من مكان
قريب» بحيث يسمعه كل الأموات فيحيون.

﴿٤٢﴾ «يَوْمَ» بدل من (يوم ينادي) «يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ» نداء إسرافيل «بالحق» الذي هو البعث «ذلك» اليوم «يوم
الخروج» من القبور.

﴿٤٣﴾ «إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي» من التراب «ونميت» في الدنيا «وإِلَيْنَا» إلى جزائنا «المصير» العود في الآخرة.

﴿٤٤﴾ «يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ» تفتتح الأرض «عنهم» عن الأموات «سراعاً» في حال كونهم مسرعين إلى المحشر «ذلك
حشر» جمع للناس للحساب «علينا يسير» سهل.

﴿٤٥﴾ «نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ» في إنكار البعث «وما أنت عليهم بجبار» بمسلط قادر على أن تجبرهم على الإيمان
«فذكر» لأن شأنك التذكير «بالقرآن من يخاف وعيد» أي وعيدي، وخص به لأنه المتفجع بالتذكير.

٥١: سورة الذاريات

مكية آياتها ستون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ «وَالذَّارِيَاتُ» قسماً بالرياح التي تذري التراب وتشره في الهواء «ذرواً» مصدر تأكيد.

﴿٢﴾ «ف» قسماً بالرياح «الحاملات» للسحاب «وقراً» أي حملاً ثقيلاً.

﴿٣﴾ «ف» قسماً بالرياح «الجاريات» التي تجري من مهابها جرياً «يسراً» سهلاً.

﴿٤﴾ «ف» قسماً بالرياح «المقسمات» ما تأمرها بتقسيمها كالمطر وتلقيح الثمار والأزهار «أمرأ» أي ما تؤمر به وهناك
تفاسير أخر للآيات.

﴿٥﴾ «إِنَّمَا» جواب القسم «توعدون» من البعث وغيره «لصادق» لا خلف فيه.

﴿٦﴾ «وَإِنَّ الدِّينَ» الجزاء «لواقع» يقع لا محالة.

[٧] ﴿و﴾ قسماً بـ ﴿السماء ذات الحبك﴾ الطرق للملائكة والطيور والأمطار وما أشبهه .

[٨] ﴿إنكم﴾ جواب القسم ﴿لنفي قول مختلف﴾ حول الرسول ﷺ والقرآن والله سبحانه، أي ليس قولكم عن منشأ صحيح بل عن الهوى ولذا هو مختلف .

[٩] ﴿يؤفك﴾ يصرف ﴿عنه﴾ عن الإيمان ﴿من أفك﴾ من صرف عن الخير .

[١٠] ﴿قتل﴾ دعاء عليهم بأن يقتلوا ﴿الخراصون﴾ الكذابون .

[١١] ﴿الذين هم في غمرة﴾ جهل يغمرهم ﴿ساهون﴾ يسهون ويغفلون عن البعث والجزاء .

[١٢] ﴿يسألون﴾ استهزاء ﴿أيان﴾ أي وقت يكون ﴿يوم الدين﴾ الجزاء .

[١٣] وقت يوم الدين هو ﴿يوم هم على النار يفتنون﴾ يعذبون .

[١٤] ويقال لهم ﴿ذوقوا فنتنكم﴾ عذابكم ﴿هذا﴾ العذاب هو ﴿الذي كنتم به تستعجلون﴾ تطلبون تعجيله في دار الدنيا، استهزاء به .

[١٥] ﴿إن المتقين﴾ الذين اتقوا الكفر والعصيان ﴿في جنات وعيون﴾ من الماء .

[١٦] ﴿أخذين﴾ في حال كونهم قد أخذوا ﴿ما آتاهم ربهم﴾ من النعم ﴿إنهم كانوا قبل ذلك﴾ في دار الدنيا ﴿محسين﴾ في عقيدتهم وعملهم .

[١٧] ﴿كانوا قليلاً من الليل ما﴾ زائدة للتأكيد ﴿يهجمون﴾ الهجوع النوم، أي يصلون ويذكرون الله أكثر الليل .

[١٨ - ٢١] ﴿وبالأسحار هم يستغفرون﴾ وفي أموالهم حق ﴿نصيب يعطونه﴾ للساائل والمحروم ﴿الذي هو عفيف فيظن غناه فيحرم من الإعطاء﴾ . ﴿وفي الأرض آيات﴾ دلائل على وجود الله وقدرته ﴿للموقنين﴾ الذين يريدون اليقين، وخصهم لأنهم المستغفون بالآيات . ﴿و﴾ آيات ﴿في أنفسكم أفلا تبصرون﴾ هذه الآيات لتعتبروا بها .

[٢٢ - ٢٣] ﴿وفي السماء رزقكم﴾ فإن المطر ينزل من السماء، كما أن تقدير الرزق هناك ﴿وما توعدون﴾ من الثواب والعقاب، فإن تقديره هناك . ﴿فورب السماء والأرض إنه﴾ أي القرآن، أو ما قلناه ﴿لحق مثل ما أنكم تنطقون﴾ فكما أن نطقكم واضح وحق عندكم، كذلك ما قلناه .

[٢٤] ﴿هل أتاك﴾ سمعت ﴿حديث﴾ قصة ﴿ضيف إبراهيم المكرم﴾ صفة (ضيف) كانوا ذوي كرامة، لكونهم ملائكة .

[٢٥] ﴿إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً قال﴾ إبراهيم عليه السلام ﴿في جوابهم﴾ سلام قوم منكرون ﴿أي أنتم أناس لا تعرفكم﴾ .

[٢٦ - ٢٨] ﴿فراغ﴾ مال إبراهيم عليه السلام وذهب ﴿إلى أهله﴾ عائلته ليأتي إليهم بالأكل ﴿فجاء بعجل﴾ ولد البقر المشوي ﴿سمين﴾ . ﴿فقربه﴾ أدناه إبراهيم عليه السلام ﴿إليهم﴾ إلى الضيف ليأكلوا لكنهم لم يأكلوا منه ﴿قال ألا﴾ للعرض أي لماذا لا ﴿تأكلون﴾ منه . ﴿فأوجس﴾ فاحس ﴿منهم خيفة﴾ خوفاً حيث ظن أن عدم أكلهم دليل أنهم يريدون به سوء ﴿قالوا لا تخف﴾ إنا ملائكة ﴿وبشروه بغلام﴾ ولد ﴿عليم﴾ عالم هو إسحاق عليه السلام .

[٢٩ - ٣٠] ﴿فأقبلت امرأته﴾ سارة لما سمعت البشارة ﴿في صرة﴾ في صيحة تصيح تعجباً ﴿فصكت﴾ لطمت ﴿وجهها﴾ بأطراف الأصابع كما يفعل المتعجب ﴿وقالت﴾ كيف ألد وأنا ﴿عجوز﴾ تجاوزت سن الولادة بالإضافة إلى أنني ﴿عقيم﴾ عاقر لا ألد أصلاً . ﴿قالوا كذلك﴾ أي هكذا، والكاف خطاب إليها ﴿قال ربك إنه هو الحكيم﴾ في تدبيره فيعطيك الولد بحكمته ﴿العليم﴾ عليم بحالك .

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحَبْكِ ﴿٧﴾ أَنْكُرَ لَنِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤَفِّكُ عَنْهُ مِنَ
أَفْكَ ﴿٩﴾ فَبَلَّيْنَا الْخَرَصُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾
يَسْتَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٢﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا
فَنَتَكُفُّ هَذَا الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ
وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ خَالِدِينَ فِيهَا إِنَّهُمْ بِهَمٍّ إِيَّاهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾
كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾
وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ
لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصَرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ
وَمَا تَوَعَّدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ
نُطْقُونَ ﴿٢٣﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثٌ صَفِيفٍ إِنْرِهِمُ الْمُكَرَّمِينَ ﴿٢٤﴾
إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنْكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَى
أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾
فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشِّرُوهُ بَعْلَكُمُ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾
فَأَقْبَلَتْ امْرَأَتُهُ فِي صَرَةٍ فَفَصَّكَتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجْزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾
قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾

[٣١] ﴿قَالَ﴾ إبراهيم ﴿عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾: ﴿فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ ما شأنكم ولأي أمر جئتم ﴿إِيهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ الملائكة.

[٣٢] ﴿قَالُوا إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمٍ مَجْرِمِينَ﴾ وهم قوم لوط.

[٣٣] ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ﴾ أصله طين وقد جف وهو أشد إيذاءً.

[٣٤] ﴿مُسَوَّمَةٌ﴾ معلّمة لتكون عذاباً ﴿عِنْدَ رَبِّكَ﴾ العذاب من عنده ﴿لِلْمُسْرِفِينَ﴾ الذين تجاوزوا الحد في الكفر والعصيان.

[٣٥] ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا﴾ في القرية ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ لوط ﴿عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾ وعائلته.

[٣٦] ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ هو بيت لوط ﴿عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾.

[٣٧] ﴿وَوَرَكْنَا فِيهَا﴾ في القرية بعد إهلاكها ﴿آيَةً﴾ علامة وهي البيوت الخربة والصحراء التي لا تزرع ﴿لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ المؤلم، وخصهم بالذكر لأنهم المستمعون بالآية.

[٣٨] ﴿وَفِي مُوسَى﴾ آيات، عطف على (في الأرض) ﴿إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ بحجة ظاهرة هي العصا وسائر المعجزات.

[٣٩ - ٤٠] ﴿فَتَوَلَّى﴾ أعرض فرعون ﴿بِرُكْنِهِ﴾ الركن ما يعتمد عليه ويتقوى به من الملك والجند ﴿وَقَالَ﴾: إن

موسى ﴿سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾. ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ﴾ طرحناهم ﴿فِي الْيَمِّ﴾ البحر ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ آت بما يلام عليه، أو يلوم نفسه حين أدركه الغرق.

[٤١] ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ لم تكن كسائر الرياح التي توجب ولادة السحاب أو تلقح الأشجار، بل ما كانت تلد، فإنها كانت ريح عذاب.

[٤٢] ﴿مَا تَذَرُ﴾ لا تدع تلك الرياح ﴿مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ﴾ مرت عليه ﴿إِلَّا جَعَلْتُهُ كَالرِّيمِ﴾ كالرماد في حرقه وتفتيته، أو كالعظام البالية.

[٤٣] ﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا﴾ بالدنيا ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ أي ثلاثة أيام حيث إنهم لما عقروا الناقة قال لهم صالح بعد ثلاثة أيام تهلكون.

[٤٤] ﴿فَعَتَوْا﴾ أعرضوا ﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ العذاب الذي صعقهم أي أهلكهم ﴿وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ وقت نزول العذاب لا يقدرون دفعه.

[٤٥] ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ﴾ بأن يقوموا بعد الصاعقة ﴿وَمَا كَانُوا مُتَتَّبِعِينَ﴾ ممنوعين منها.

[٤٦] ﴿وَوُهِمٌ﴾ أهلكنا ﴿قَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلِ﴾ قبل عاد ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ خارجين عن طاعة الله.

[٤٧] ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ بقوة ﴿وَأَنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ نوسع في السماء.

[٤٨] ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا﴾ جعلناها فراشاً ﴿فَنَعْمٌ﴾ نحن ﴿الْمَاهِدُونَ﴾ جاعلون المهل للاستقرار.

[٤٩] ﴿وَمَنْ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجِينَ﴾ ذكرأ وأنثى ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ فتعلمون أن خالق الأزواج فرد لا شريك له.

[٥٠] ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ التجئوا إليه بالإيمان والطاعة، فراراً عن عقابه ﴿إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ﴾ من عنده ﴿نَذِيرٌ﴾ أخوفكم عقابه ﴿مُبِينٌ﴾.

[٥١] ﴿لَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ ظاهر الإنذار.

﴿قَالَ فَاخْطُبْكُمْ أَهْلَ الْمُرْسَلُونَ﴾ ﴿قَالُوا إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ﴾ ﴿مُسَوَّمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ ﴿لِلْمُسْرِفِينَ﴾ ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿وَوَرَكْنَا فِيهَا آيَةً﴾ ﴿لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ ﴿وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ ﴿فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَحَرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ ﴿فَمَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ﴾ ﴿إِلَّا جَعَلْتُهُ كَالرِّيمِ﴾ ﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ﴾ ﴿فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ﴾ ﴿وَقَوْمٌ نُوحٍ مِنْ قَبْلِ أَنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾ ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ ﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾

[٥٢] ﴿كَذَلِكَ﴾ هكذا كما قالوا لك ﴿مَا أَنَى الدِّينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من رسول إلا قالوا ﴿أَيُّ الْأَمَةِ الَّتِي أَنَا هُمْ رَسُولُهُمْ﴾ ساحر أو مجنون وفيه تسلية للنبي ﷺ .

[٥٣] ﴿اتواصوا به﴾ استفهام إنكاري أي هل أوصى بعضهم بعضاً بأن يقولوا للأنبياء إنهم سحرة مجانيين ﴿بل﴾ ليس قولهم بالتواصي ﴿هم قوم طاغون﴾ فإن الطغيان جمعهم في تفكير واحد.

[٥٤] ﴿فَتَوَلَّ﴾ أعرض يا رسول الله ﷺ ﴿عَنَّهُمْ﴾ ولا تقابلهم بالمثل ﴿فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٌ﴾ على إعراضك.

[۵۵] ﴿وَذَكَرْهُمْ عِظَمُ ذَلِكَ﴾ ﴿فَإِنَّ الذِّكْرَ يَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي طَرِيقِ الْإِيمَانِ.

[٥٦] ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ فعدم عبادتهم خلاف ما خلقوا لأجله.

[٥٧] ﴿مَا أَرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا﴾ ﴿فَمَا خَلَقْتُهُمْ لِيَنْفَعُونِي بَلْ لَأُنَفَعَهُمْ

[٥٨] ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرِّزَاقُ﴾ لكل من يحتاج إلى الرزق ﴿ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينِ﴾ الشديد الذي لا يُغالب.

[٥٩] ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أنفسهم بالكفر والعصيان ﴿ذُنُوبًا﴾ نصيباً من العذاب ﴿مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ﴾ سائر الأقوام السابقة المكذبة للرسل ﴿فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ فلا يطلبوا عجلة عذابهم فإنهم معذبون لا محالة .

[٦٠] ﴿فَوَيْلٌ﴾ وأسوء حالهم ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ هو يوم القيامة، أو يوم نزول العذاب عليهم.

٥٢: سورة الطور

مكية آياتها تسع وأربعون

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

[١] ﴿وَالطُّور﴾ قسماً بالجبل الذي كلم الله عليه موسى ﷺ .

[۲] ﴿وكتاب﴾ القرآن ﴿مسطور﴾ قد سطر وكتب.

[٣] ﴿فِي رَقٍ﴾ الورق الذي يكتب فيه ﴿مَنْشُورٍ﴾ المبسوط المفتوح.

[٤] ﴿وَالْبَيْتِ﴾ الكعبة ﴿المعمور﴾ بالحجاج والزوار.

[٥ - ٦] ﴿وَالسَّقْفَ السَّمَاءِ﴾ المرفوع. ﴿وَالْبَحْرَ الْمَسْجُورَ﴾ المملوء بالماء.

[٧] ﴿إِنْ عَذَابُ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ يقع لا محالة .

[۸] ﴿مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ﴾ يدفعه عن الكفار.

[٩] ﴿يوم تمور السماء موراً﴾ تتحرك وتضطرب، وذلك في يوم القيامة.

[١٠] ﴿وتسير الجبال سيرا﴾ من مقامها حتى تستوي الأرض.

[١١] ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ كَاذِبُونَ﴾ ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ﴿لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ ﴿بِالرُّسُولِ﴾ ﴿

[١٢] ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ﴾ في حديث باطل يخوضون ﴿يلعبون﴾ يلهون عن البعث.

[١٣] ﴿يَوْمَ يَدْعُونَ﴾ يدفعون بعنف ﴿إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دُعَاءً﴾ دفعاً بشدة.

[١٤] ويقال لهم ﴿هذه النار التي كنتم بها تكذبون﴾ في الدنيا.

كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجُنَّونَ ﴿٥٥﴾ أَتَأْتُوا بِهَدْيٍ بَلِ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٦﴾ فَنُفِّلْنَاهُمْ مِنْهَا أَنْتَ يَمْكُومُ ﴿٥٧﴾ وَذَكَرْنَا لِلْكَرِيِّ نَفْعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِعِبَادُونَ ﴿٥٩﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُبْعِدُونِ ﴿٦٠﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٦١﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا شَبِلَ ذُنُوبُ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعِجِلُونَ ﴿٦٢﴾ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾

سُورَةُ الطُّورِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالطُّورِ ﴿١﴾ وَكُنْتَ مَسْطُورٌ ﴿٢﴾ فِي رَقٍّ مَّنْشُورٍ ﴿٣﴾ وَالْبَيْتِ
الْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَالسَّيْفِ الرَّفُوعِ ﴿٥﴾ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ
عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ مَا لَكَ مِنْ دَافِعٍ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ أَسْمَاءُ
مُورًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ قَوْلٌ مَّوَدَّعٍ لِلْمُكَذِّبِينَ
الَّذِينَ هُمْ فِي حَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١١﴾ يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَى نَارٍ
جَهَنَّمَ دَعَاً ﴿١٢﴾ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُمْ بِهَا تَكْذِبُونَ ﴿١٣﴾

Journal of Management Inquiry 18(6)

[١٥] ﴿أَفَسِحْرَ هَذَا﴾ استفهام بقصد التوبيخ، لأنهم كانوا في الدنيا كلما شاهدوا من المعجزات قالوا إنه سحر ﴿أَمْ أَنْتُمْ لَا تَبْصُرُونَ﴾ النار كما كنتم تقولون في الدنيا إنا لا نبصر المعجزات وإنما هي على خلاف واقعها.

[١٦] ﴿أَصْلَوْهَا﴾ ادخلوا النار ﴿فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ﴾ لأن الصبر وعدمه لا يفيدكم في دفع العذاب ﴿إِنَّمَا تَجْزُونَ مَا﴾ جزاء الأعمال التي ﴿كنتم تعملون﴾.

[١٧] ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ﴾ الذين اتقوا الكفر والعصيان ﴿فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ﴾ نعمة.

[١٨] ﴿فَاكِهِينَ﴾ ناعمين متلذذين ﴿بِمَا آتَاهُمْ﴾ أعطاهم من أنواع النعيم ﴿رَبِّهِمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ﴾ حفظهم الله من عذاب الجحيم.

[١٩] يقال لهم: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا﴾ بلا مشقة وسوء عاقبة ﴿بِمَا﴾ بسبب ما ﴿كنتم تعملون﴾ من الأعمال الصالحة.

[٢٠] ﴿مُتَكَبِّرِينَ﴾ في حال كونهم ﴿على سرر﴾ جمع سرير ﴿مُصَفَّوْفَةٌ﴾ مصطفة متصلة بعضها ببعض ﴿وَزُوجَانَهُمْ بِحُورٍ﴾ نساء جميلات بيضاوات ﴿عِينٍ﴾ واسعات العيون.

[٢١] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ في الجنة ليكمل سرورهم بذلك ﴿وَمَا أَتَيْنَاهُمْ﴾

نقصناهم بسبب هذا الإلحاق ﴿مَنْ عَمِلَهُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ فليس هناك كالدنيا توجب الأولاد المشاركة مع الآباء في خيراتهم ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهينَ﴾ كل إنسان مرهون عند الله بعمله فإن عمل صالحاً فك من النار ولم يعذب وإلا هلك.

[٢٢] ﴿وَأَمْدَدْنَاهُمْ﴾ زدناهم وقتاً بعد وقت ﴿بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ من مختلف أنواعها.

[٢٣] ﴿يَتَنَازَعُونَ﴾ يتعاطون بالتجاذب مزاحاً ﴿فِيهَا﴾ في الجنة ﴿كَأَسَا لَا لُغُو﴾ لا يتكلمون للغو بسبب تلك الكأس كما يفعل السكارى في الدنيا ﴿فِيهَا وَلَا تَأْتِيهِمْ﴾ لا إثم فيها.

[٢٤] ﴿وَيُطَوَّفُونَ﴾ يجيء ويذهب بالكأس والطعام ﴿عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ﴾ جمع غلام أي الأولاد ﴿لَهُمْ﴾ مخصصون بهم ﴿كَأَنَّهُمْ﴾ في البياض والصفاء ﴿لَوْ لَوْ مَكُونُونَ﴾ قد حفظ فلم يغيره الزمان.

[٢٥] ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ عن أحوالهم.

[٢٦] ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلَ فِي الدُّنْيَا﴾ في أهلنا مشفقين ﴿خَافِينَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ﴾.

[٢٧] ﴿فَمَنْ لَّهِ عَلِينَا﴾ بالجنة ﴿وَوَقَانَا﴾ حفظنا من ﴿عَذَابِ السَّمُومِ﴾ النار النافذة في المسام^(١).

[٢٨] ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلَ فِي الدُّنْيَا﴾ ندعوه تعالى ونسأل فضله ﴿إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ﴾ البار ﴿الرَّحِيمُ﴾ بعباده المؤمنين.

[٢٩] ﴿فَذَكَرُ النَّاسِ﴾ يا رسول الله ﷺ ولا تبال بما يقال فيك ﴿فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ﴾ بسبب إنعامه عليك ﴿بِكَاهِنٍ﴾ تخبر بواسطة الشياطين ﴿وَلَا مَجْنُونٍ﴾ كما يزعمون.

[٣٠] ﴿أَمْ﴾ بل ﴿يَقُولُونَ شَاعِرٌ﴾ لأن القرآن بقولهم شعر ﴿تَرْتِيصٌ﴾ نتنظر ﴿بِهِ﴾ بالنبى ﷺ ﴿رَبِّ﴾ ما يقلب ﴿الْمُنُونِ﴾ الموت، أي نتنظر به الموت حتى نستريح منه.

[٣١] ﴿قُلْ تَرَبُّصُوا﴾ انتظروا ﴿فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُرْتَصِينَ﴾ لنرى الغلب مع أيها.

أَفَسِحْرَ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تَبْصُرُونَ ﴿١٥﴾ أَصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تَجْزُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كَلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَكَبِّرِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَتَيْنَاهُمْ مِنْ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهينَ ﴿٢١﴾ وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لُغُو فِيهَا وَلَا تَأْتِيهِمْ ﴿٢٣﴾ وَيُطَوَّفُونَ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلَ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنْ لَّهِ عَلِينَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلَ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ فَذَكَرْنَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ يَكَاهِنُ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرْتِيصُ بِهِ رَبُّ رَبِّ الْمُنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبُّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُرْتَصِينَ ﴿٣١﴾

[٣٢] ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ﴾ عقولهم ﴿بهذا﴾ الذي يقولون فيه من أنك شاعر وكاهن ومجنون، وهل يمكن الجمع بين هذه الأمور ﴿أَمْ هُمْ﴾ بل هم ﴿قوم طاغون﴾ مجاوزون الحد فهم معاندون.

[٣٣] ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقُولُهُ﴾ ادعاه على الله كذباً ﴿بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لعنادهم فيرمون القرآن بهذه المطاعن.

[٣٤] ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ﴾ مثل القرآن ﴿إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ في أنه كلام آدمي.

[٣٥] ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ من غير خالق فلذا ينكرون الله ﴿أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ بأن أحدثوا هم أنفسهم.

[٣٦] ﴿أَمْ خُلِقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضُ بَلْ لَا يُوقِنُونَ﴾ بالله ولا لوحده وأطاعوا رسوله ﷺ.

[٣٧] ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ﴾ خزائن فضله حتى يعطوا النبوة من شاءوا ﴿أَمْ هُمُ الْمَصِيرُونَ﴾ المسلطون على العالم يدبرونه كما يشاءون حتى لا يريدوا نبوتك.

[٣٨] ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ﴾ يصعدون بسببه إلى السماء ﴿يَسْتَمْعُونَ فِيهِ﴾ في ذلك السلم فيعلمون ما هو الحق فيسمعون فرضاً أن الله لم يبعثك بالرسالة فيكفرون بك ﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمْعِيهِمْ﴾ إن قالوا بذلك الصعود ﴿بِسُلْطَانٍ﴾ دليل ﴿مبين﴾ واضح على دعواه بأن محمداً ﷺ ليس برسول.

أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ هَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُهُمْ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خُلِقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضُ بَلْ لَا يُؤْقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمَصِيرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمْعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمْعِيهِمْ بِسُلْطَانٍ ثَبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ الْكَلِمَتُ وَلَكُمْ الْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِنْدَهُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرَهُمْ حَتَّى يَلْقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنِ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ﴿٤٩﴾

سُورَةُ الطُّورِ

[٣٩] ﴿أَمْ لَهُ﴾ لله ﴿البنات﴾ كما قالوا بأن الملائكة بنات الله ﴿ولكم البنون﴾.

[٤٠] ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا﴾ على تبليغ الرسالة ﴿فهم من مغرم﴾ غرامة هي أجر الرسالة ﴿مثقلون﴾ لأنه يثقل عليهم ولذا لا يقبلون رسالتك فراعاً من الغرامة.

[٤١] ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ﴾ يعلمون ما غاب عن الحواس ﴿فهم يكتبون﴾ عن ذلك اللوح، ولذا لا يؤمنون بالبعث لأنهم رأوا في الغيب تكذيباً له.

[٤٢] ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾ مكرًا لإفنائك ﴿فالذين كفروا هم المكيدون﴾ يعود عليهم وبال كيدهم.

[٤٣] ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ﴾ كما يقولون ﴿سبحان الله﴾ أنزهه تنزيهاً أن يكون له شريك ﴿عما يشركون﴾ عن شركهم.

[٤٤] ﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا﴾ قطعاً ﴿من السماء ساقطاً﴾ على الكفار كما قالوا (أسقط علينا كسفاً من السماء) ^(١) ﴿يقولوا﴾ عناداً هذا ﴿سحاب مركوم﴾ مجموع بعضه فوق بعض.

[٤٥] ﴿فذرهم﴾ اتركهم ﴿حتى يلاقوا﴾ يروا ﴿يومهم الذي فيه يصعقون﴾ يموتون، أو يعذبون.

[٤٦] ﴿يوم لا يغني عنهم كيدهم﴾ ومكرهم ضد أعدائهم ﴿شيئاً﴾ في دفع العذاب عنهم ﴿ولا هم ينصرون﴾ لا ينصرهم أحد.

[٤٧] ﴿وَإِنِ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ﴾ قبل عذاب الآخرة، في الدنيا بالإفناء، أو عذاب القبر ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ ذلك لأنهم لا يؤمنون بكلام الرسول ﷺ.

[٤٨] ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ واحتمل أذى القوم ﴿فإنك بأعيننا﴾ بمرئى منا، جمع عين، فنجازيك بالثواب على الصبر ﴿وسبح بحمد ربك﴾ نزهه حامداً له ﴿حين تقوم﴾ من النوم صباحاً.

[٤٩] ﴿ومن الليل﴾ بعضه ﴿فسبحه﴾ أيضاً ﴿وإدبار النجوم﴾ حين تدبر النجوم بظهور النهار.

٥٣: سورة النجم

مكية آياتها إثنان وستون

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنْطِقُ
عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾
ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴿٨﴾
فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾
مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾ أَفَتَسْتَوُونَ عَلَىٰ مَبْرَأٍ ﴿١٢﴾ وَقَدْ رَأَىٰ
نَزْلَهُ أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِنْدَ هَاجَةِ الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾
إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾
مِنْ أَيِّ رَيْبٍ الْكِبْرَىٰ ﴿١٨﴾ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنْوَةَ
الْثَالِثَةَ الْآخِرَىٰ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنْثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذْ أَسْفَسَ
ضُرِبُكُمْ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَّتُوهَا أَثَمَ وَأَبَا وَكُم مَّا أَنْزَلَ
اللَّهُ مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ
وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَىٰ ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ
الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ وَلَكُمْ فِي السَّمَوَاتِ لَا تَعْنَى
شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ ﴿٢٦﴾

[١ - ٢] ﴿والنجم﴾ قسماً بجنس النجم ﴿إذا هوى﴾ إذا مال نحو الغروب. ﴿ما ضل﴾ لم ينحرف ﴿صاحبكم﴾ محمد ﷺ ﴿وما غوى﴾ عن إصابة الرشد.
[٣ - ٥] ﴿وما ينطق﴾ لا يتكلم ﴿عن الهوى﴾ التشهي وهوى النفس. ﴿إن﴾ ما ﴿هو﴾ الذي ينطق به ﴿إلا وحي يوحى﴾ إليه من الله. ﴿علمه﴾ لهذا الوحي - من قبل الله - ملك ﴿شديد القوى﴾ هو جبرئيل.
[٦ - ١٠] ﴿ذو مرة﴾ قوة عقلية كبيرة ﴿فاستوى﴾ على صورته القوية العاقلة. ﴿وهو﴾ جبرئيل ﴿بالأفق الأعلى﴾ من السماء. ﴿ثم دنا﴾ اقترب من النبي ﷺ ﴿فتدلى﴾ فتعلق في الهواء ونزل. ﴿فكان﴾ جبرئيل من النبي ﷺ مقدار ﴿قاب﴾ المسافة بين طرفي ﴿قوسين﴾ أي بمقدار بعد قوسين ﴿أو أدنى﴾ أقل بعداً. ﴿فأوحى﴾ ألقى جبرئيل ﴿إلى عبده﴾ محمد ﷺ ﴿ما أوحى﴾ الله إليه.
[١١] ﴿ما كذب الفؤاد﴾ قلب الرسول ﷺ ﴿ما رأى﴾ من جبرئيل فلم يكن قلبه يحكم بخلاف الواقع فيما رآه كما يحكم قلب من يرى السراب أنه ماء كذباً.

[١٢] ﴿أفتمارونه﴾ تجادلون محمداً ﷺ ﴿على ما يرى﴾ على ما رآه.

[١٣] ﴿ولقد رآه﴾ رأى محمد ﷺ جبرئيل على صورته ﴿نزله﴾ عند نزول جبرئيل مرة ﴿أخرى﴾ قبل ذلك.

[١٤] ﴿عند سدرة﴾ هي ﴿المتنهي﴾ في محل ارتفاع الملائكة وهي شجرة عن يمين العرش.

[١٥] ﴿عندها جنة المأوى﴾ التي تأوي إليها نفوس المتقين.

[١٦ - ١٧] ﴿إذ﴾ في زمان ﴿يغشى السدرة ما يغشى﴾ يحيط بها ما يحيط من النور والبهاء وذلك حين عرج النبي ﷺ إلى السماء. ﴿ما زاغ البصر﴾ أي لم يمل يميناً وشمالاً ﴿وما طغى﴾ لم يجاوز الحد.

[١٨] ﴿لقد رأى﴾ الرسول ﷺ ﴿من آيات﴾ بعض آيات ﴿روبه الكبرى﴾ صفة الآيات كالجنة والنار ونحوهما.

[١٩ - ٢٢] ﴿أفرأيتم اللات والعزى﴾ هي ثلاثة أصنام كان أهل الجاهلية يعبدونها ﴿الأخرى﴾ صفة للثالثة، بمعنى هي الأخرى أيضاً إله لكم في زعمكم. ﴿الكم الذكر﴾ بأن يولد لكم الأولاد الذكور ﴿وله الأنثى﴾ البنات إذ قالوا الملائكة بنات الله وهذه الأصنام الثلاثة هياكل لأولئك الملائكة. ﴿تلك﴾ القسمة بأن لكم الذكر وله الأنثى ﴿إذا﴾ على ما تقولون ﴿قسمة ضيزى﴾ جائزة غير عادلة حيث أخذ الله البنات التي تكرهونها وأعطاكم الأولاد.

[٢٣ - ٢٦] ﴿إن﴾ ما ﴿هي﴾ الأصنام التي تسمونها آلهة ﴿إلا أسماء﴾ فقط لا حقيقة لها، إذ ليست بآلهة ﴿سميتموها﴾ أنتم وأبائكم بدون حجة ﴿ما أنزل الله بها﴾ بكونها آلهة ﴿من سلطان﴾ دليل ﴿إن﴾ ما ﴿يتبعون إلا الظن﴾ لا العلم ﴿وما تهوي﴾ تميل ﴿الأنفس﴾ حسب ميلكم ﴿ولقد جاءهم من ربهم الهدى﴾ فتركوه عناداً. ﴿أم﴾ منقطعة بمعنى الإنكار ﴿للإنسان ما تمنى﴾ أي ليس للإنسان ما تمناه من شفاعاة الأصنام. ﴿فله الآخرة والأولى﴾ فالشفاعة والإعطاء والمنع كل له لا شريك له. ﴿وكم﴾ للتكثير ﴿من ملك في السماوات لا تغني شفاعتهم شيئاً﴾ إلا من بعد أن يأذن الله ﴿في الشفاعة﴾ لمن يشاء من عباده ﴿ويرضى﴾ عنه فإذا كان حال الملائكة هكذا فكيف يكون حال الجماد، وإنما قال (كم) والحال إن كل الملائكة هكذا لأن قسماً من الملائكة ليسوا في محل الشفاعة أصلاً لأنهم لا يرتبطون بمثل هذه الأمور.

[٢٧ - ٢٨] ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمُونَهُمْ أَلْفًا مِّنْ أَلْفَيْنِ﴾^(١) وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا^(٢) فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَوْ يُرِيدُ إِلَّا الْآخِرَةَ الدُّنْيَا^(٣) ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى^(٤) وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحَقِّ^(٥) الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذَا أَنشَأَ كُرْمًا فِي الْأَرْضِ وَإِذَا أَنشَأَ أَعْنَابًا فِي بَطْنٍ أَمْهَتَكُمْ فَلَا تَذْكُرُوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى^(٦) أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى^(٧) وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى^(٨) أَعِندَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى^(٩) أَمْ لَمْ يَلْبَسْ بِمَا فِي صُحُفٍ مُّوسَى^(١٠) وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَكَّى^(١١) الْأَلَا وَرِزْقُ رَبِّكَ وَرِزْقُ آخَرَى^(١٢) وَأَنْ لِّسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى^(١٣) وَأَنْ سَعِيهِ سَوْفَ يَرَى^(١٤) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوَّلَى^(١٥) وَأَنْ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى^(١٦) وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى^(١٧) وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا^(١٨)

[٣١ - ٣٢] ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ﴾ علة لـ (أعرض) أي أعرض عنهم بعله أن الله هو المجزي ولست أنت مجزياً والجمل في الوسط من صلة المعلول ولذا قدمت على العلة ﴿الذين أساءوا بما عملوا﴾ يعقاب أعمالهم ﴿ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى﴾ أي بالمشوبة الحسنة وهي الجنة. ﴿الذين﴾ صفة (الذين أحسنوا) ﴿يجتنبون كباير الإثم﴾ ما كبر من الآثام كالشرك ﴿والفواحش﴾ ما تعدى عن الحد في القبح كالزنا ﴿إلا اللمم﴾ ما ألم به الإنسان في حياته من غير قصد و عمد، وهو ما يقع فيه الإنسان غالباً من الصفات فإن الضعف

البشري يسبب ذلك في غير من له ملكة قوية ﴿إن ربك واسع المغفرة﴾ غفرانه يسع مرتكبي اللمم ﴿هو أعلم بكم﴾ بضعفكم ولذا يغفر اللمم لكم ﴿إذ﴾ حين ﴿أنشأكم﴾ ابتداء خلقكم ﴿من الأرض﴾ فإن الإنسان كان أرضاً فنباتاً قدماً فنفطاً ﴿وإذ أنتم أجنة﴾ جمع جنين، الطفل في بطن الأم، فهو يعلم ضعفكم من أول الأمر ﴿في بطون أمهاتكم فلا تزكوا أنفسكم﴾ لا تمدحوها فإن الإنسان معرض للخطأ ومن هو كذلك لا يستحق المدح ﴿هو﴾ الله ﴿أعلم بمن اتقى﴾ الكفر والمعاصي. [٣٣ - ٣٥] ﴿أفرأيت الذي تولى﴾ أعرض عن الحق. ﴿وأعطى قليلاً﴾ في سبيل الخير ﴿وأكدى﴾ قطع العطاء. ﴿أعنده علم الغيب﴾ ما غاب عن الحواس من أمر الآخرة ﴿فهو يرى﴾ أن ما أعطاه قبل ويكفيه في الآخرة ولذا قطع عطاءه.

[٣٦] ﴿أم لم ينبا﴾ يُخبر ﴿بما في صحف موسى﴾ أي في التوراة، والاستفهام للإنكار. [٣٧] ﴿و﴾ صحف ﴿إبراهيم الذي وفى﴾ بما أمر به من تبليغ الأحكام والصبر على المكاره. [٣٨ - ٣٩] فإن في تلك الصحف: ﴿ألا﴾ أن لا ﴿تزر﴾ تحمل ﴿وازره﴾ نفس حاملة ﴿وزر أخرى﴾ حمل إنسان آخر، بل (كل امرئ بما كسب رهين)^(١٩)، فلا يحمل ذنب هذا الغني البخيل أحد غيره، مما يقتضي أن يكثر من الإعطاء لعله يكون سبباً لمحو ذنبه. ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى﴾ إلا سعي نفسه، فله سعيه وعليه وزره. [٤٠ - ٤١] ﴿وأن سعيه سوف يرى﴾ في الآخرة يراه الناس. ﴿ثم يُجزاه﴾ أي يُجزى الإنسان سعيه، بمعنى يعطى جزاء سعيه ﴿الجزاء الأوفى﴾ ما يستحقه وأكثر لأن (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها)^(٢٠).

[٤٢ - ٤٤] ﴿وأن إلى ربك المنتهى﴾ أي انتهاء الخلاق في الحساب إليه تعالى، فإن هذه الأمور المذكورة والآية توجب أن يعمل الإنسان كثيراً. ﴿وأنه هو أضحك وبكى﴾ فعل أسبابهما. ﴿وأنه هو أمات وأحى﴾ الإنسان من التراب.

(١) سورة الطور: ٢١.

(٢) سورة الأنعام: ١٦٠.

[٤٥] ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ﴾ الصنفين ﴿الذكر والأنثى﴾.
 [٤٦] ﴿مِنْ نُّطْفَةٍ﴾ المني ﴿إِذَا تَمَنَّى﴾ تدفق في الرحم.
 [٤٧] ﴿وَأَن عَلَيْهِ النَّشْأَةُ الْآخَرَى﴾ البعث.
 [٤٨ - ٤٩] ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى﴾ الإنسان بالمال ﴿وَأَقْنَى﴾ أعطى القنية أي أصول المال. ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَى﴾ هو نجم في السماء كان بعض الجاهليين يعبدونه.
 [٥٠ - ٥١] ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا﴾ قوم هود عليه السلام ﴿الْأُولَى﴾ فإن من نسلهم كان عاد أخرى. ﴿وَأَهْلَكَ﴾ ثمود ﴿قَوْمَ صَالِحٍ﴾ ﴿فَمَا أَبْقَى﴾ أحداً من الفريقين.
 [٥٢ - ٥٣] ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ﴾ قبل عاد وثمود ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا أَهْمَ أَظْلَمَ﴾ أكثر ظلاماً ﴿وَأَطْفَى﴾ أكثر طغياناً من عاد وثمود. ﴿وَأَهْلَكَ﴾ المؤمنين ﴿أَي الْقُرَى الْمَقْلَبَةِ﴾ وهي قرى لوط عليه السلام ﴿أَهْوَى﴾ أسقطها مقلوبة بعد أن أمر جبرئيل برفعها.

[٥٤] ﴿فَغَشَاهَا﴾ فغطى الله تلك القرى ﴿مَا غَشَى﴾ للتهويل، والمراد به الحجارة التي أمطرت عليهم.
 [٥٥] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ﴾ نعم ﴿رَبِّكَ تَتْمَارَى﴾ تشكك أيها السامع: نعمة الخلق والإعطاء والإضحاك وعدم التعذيب كما عذب السابقين، ولماذا لا تؤمن مع هذه النعم.
 [٥٦ - ٥٧] ﴿هَذَا﴾ الرسول ﷺ ﴿نَذِيرٌ﴾ مخوف عن الله ﴿مَنْ النَّذَرُ﴾ أي من جنسهم ﴿الْأُولَى﴾ فإن الرسول ﷺ من جنس الأنبياء المنذرين. ﴿أَزِفَتْ﴾ اقتربت ﴿الْآزِفَةُ﴾ الساعة وتسمى آزفة لاقترباها.
 [٥٨] ﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ غيره ﴿كَاشِفَةٌ﴾ نفس تكشفها وتأتي بها.
 [٥٩] ﴿أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ﴾ القرآن ﴿تَعْجِبُونَ﴾ والحال أنه ليس مورداً للتعجب.
 [٦٠ - ٦١] ﴿وَتَضْحَكُونَ﴾ استهزاء ﴿وَلَا تَبْكُونَ﴾ خوفاً من الوعيد. ﴿وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ﴾ غافلون ساهون.
 [٦٢] ﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾ ولا تعبدوا غيره.

٥٤: سورة القمر

مكية آياتها خمس وخمسون

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

[١] ﴿اقْتَرَبَتْ﴾ دنت ﴿السَّاعَةُ﴾ القيامة ﴿وَأَنشَقَّ الْقَمَرُ﴾ نصفين فقد سألو النبي ﷺ علامة على نبوته فشق لهم القمر.
 [٢] ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً﴾ معجزة ﴿يَعْرِضُوا﴾ عن تأملها والإيمان بها ﴿وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾ دائم ففي كل معجزة يقولون هذا الكلام.
 [٣] ﴿وَكَذَّبُوا﴾ بالآيات ﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ في أمورهم ﴿وَكُلَّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٍّ﴾ له قرار، وهذا تهديد لهم بأن تكذيبهم سوف يستقر على ما لا يحمد.

[٤] ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ﴾ أي الكفار ﴿مِنَ الْأَنْبَاءِ﴾ أخبار هلاك الأمم السابقة ﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ زجر لهم لو أرادوا التنبه.
 [٥] ﴿حِكْمَةً﴾ هي تلك الأنبياء ﴿بِالْعِلَّةِ﴾ قد بلغتهم ﴿فَمَا تَعْنِ النَّذْرُ﴾ أي لم يفدهم الإنذار الصلادر من النذر - جمع نذير -.
 [٦] ﴿فَتَوَلَّوْا عَنْهُمْ﴾ أعرض عنهم ولا تقابلهم على سفههم ﴿يَوْمَ﴾ مفعول فعل مقدر، دل عليه قوله (فتول)، أي انتظر عاقبة أمرهم يوم ﴿يَدْعُ الدَّاعُ﴾ هو إسماعيل حين ينفخ في البوق ﴿إِلَى شَيْءٍ نَكْرٍ﴾ منكر للنفوس وهو الحساب.

وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى ﴿١٥﴾ مِنْ نُّطْفَةٍ إِذَا تَمَنَّى ﴿١٦﴾ وَأَنَّهُ عَلَى النَّشْأَةِ الْآخَرَى ﴿١٧﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَى ﴿١٩﴾ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى ﴿٢٠﴾ وَثَمُودَ أَمَّا أَبْقَى ﴿٢١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلِ إِيَّاهُمْ كَانُوا أَهْمَ أَظْلَمَ وَأَطْفَى ﴿٢٢﴾ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى ﴿٢٣﴾ فَغَشَاهَا مَا غَشَى ﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى ﴿٢٥﴾ هَذَا نَذِيرٌ مِمَّنْ النَّذَرِ الْأُولَى ﴿٢٦﴾ أَزِفَتْ الْآزِفَةُ ﴿٢٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٢٨﴾ أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٢٩﴾ وَتَضْحَكُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٣١﴾ وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ ﴿٣٢﴾ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ﴿٣٣﴾

سُورَةُ الْقَمَرِ ﴿٣٤﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنشَقَّ الْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعَرِّضُوا ﴿٢﴾ وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ﴿٣﴾ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿٤﴾ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ ﴿٥﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ ﴿٦﴾ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٧﴾ حِكْمَةً بَلَّغْنَاهُمْ فَمَا تَعْنِ النَّذْرُ ﴿٨﴾ فَتَوَلَّوْا عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعُ إِلَى شَيْءٍ نَكْرٍ ﴿٩﴾

[٧] فتراهم ﴿خشعاً﴾ خاشعة ذليلة ﴿أبصارهم﴾ فإن الذل يظهر على البصر ﴿يخرجون من الأجداث﴾ القبور ﴿كانهم جراد منتشر﴾ في الكثرة والتفرق والاضطراب في الاتجاه.

[٨] ﴿مهطعين﴾ مسرعين في المشي ﴿إلى﴾ إجابة ﴿الداع﴾ خوفاً من أن يكون تأخيرهم جرماً ﴿يقول الكافرون هذا يوم عسر﴾ صعب.

[٩] ﴿كذبت قبلهم﴾ قبل قومك ﴿قوم نوح فكذبوا عبدنا﴾ نوحاً ﴿وقالوا مجنون﴾ هو ﴿وازدجر﴾ زجره بالضرب وغيره حتى يكف عن تبليغهم.

[١٠] ﴿فدعا ربه أني﴾ بأنني ﴿مغلوب﴾ غلبني قومي ﴿فانتصر﴾ فانتقم لي يا رب منهم.

[١١] ﴿فتفتحنا أبواب السماء﴾ مجاري المطر، وسمي باباً مجازاً ﴿بماء منهمر﴾ منصب بشدة.

[١٢ - ١٣] ﴿وفجرنا الأرض عيوناً﴾ فالنقى الماء على أمر قد قدر * وحملناه، أي نوحاً ﴿على﴾ سفينة ذات ألواح خشية ﴿ودسر﴾ جمع دسار وهو المسمار.

[١٤] ﴿تجري﴾ السفينة في الماء ﴿بأعيننا﴾ أي بمرأى منا محفوظة بحفظنا، فعلنا ذلك ﴿جزاء﴾ حسناً ﴿لمن﴾ لنوح ﴿الذي﴾ كان كُفراً ﴿كفر به قومه﴾.

[١٥] ﴿ولقد تركناها﴾ أي جعلنا قصة نوح ﴿آية﴾

عبرة يعتبر بها الناس ﴿فهل من مذكر﴾ معتبر أي هل يوجد من يعتبر بهذه الآية.

[١٦] ﴿فكيف﴾ استفهام للتعظيم والتهويل ﴿كان عذابي﴾ لقوم نوح ﴿ونذر﴾ أي نُذري.

[١٧] ﴿ولقد يسرنا﴾ سهلنا ﴿القرآن للذكر﴾ لأن يتذكر به كل أحد ﴿فهل من مذكر﴾ فهل من متعظ يتعظ بالقرآن.

[١٨] ﴿كذبت عاد﴾ رسولهم هوداً ﴿فكيف كان عذابي ونذر﴾ إنذارى لهم هل وفيت بما قلت أم لا.

[١٩] ﴿إنا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً﴾ شديد البرودة ﴿في يوم نحس﴾ شؤم عليهم ﴿مستمر﴾ استمر شؤمه لأنهم لم يرجعوا إلى حال حسن بعدها بل عذابهم استمر إلى الأبد.

[٢٠] ﴿تنزع﴾ تلك الريح ﴿الناس﴾ من أماكنهم وتضرب بهم الأرض بشدة ﴿كانهم أعجاز﴾ أصول ﴿نخل منقر﴾ منقطع حيث لا حياة لها.

[٢١ - ٢٢] ﴿فكيف﴾ كثر للتهويل ﴿كان عذابي ونذر﴾. ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مذكر﴾ متعظ.

[٢٣] ﴿كذبت ثمود﴾ قوم صالح ﴿بالنذر﴾ بالإنذارات، أو بالرسول، لأن تكذيب رسول واحد تكذيب لكل الرسل.

[٢٤] ﴿فقالوا أبشراً منا﴾ من جنسنا ﴿واحداً﴾ منفرداً ﴿تنبه﴾ هذا لا يكون ﴿إنا إذا﴾ إن اتبعناه ﴿لفي ضلال﴾ انحراف وسعر جنون.

[٢٥] ﴿ألقي الذكر﴾ الوحي ﴿عليه من بيننا﴾ ولم ينزل على غيره كيف يكون هذا ﴿بل هو كذاب﴾ في ادعائه الرسالة ﴿أشر﴾ متكبر يريد استعلاء.

[٢٦] ﴿سيعلمون﴾ أي ثمود ﴿غداً﴾ عند نزول العذاب، وهذا حكاية حال ماضية ﴿من الكذاب الأشر﴾ المتكبر، صالح ﴿أم هم﴾.

[٢٧] ﴿إنا مرسلو الناقة﴾ مخرجوها من الجبل ﴿فتنة﴾ امتحاناً ﴿لهم﴾ لأنهم طلبوا هذه المعجزة ﴿فارتقبهم﴾ راقبهم يا صالح ﴿ماذا يفعلون﴾ واصطبر ﴿على ما أمرك ربك وعلى أذاهم﴾.

خُشِعَا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنتَشِرٌ ﴿٧﴾
مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾ كَذَبَتْ
قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا
رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرَ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ
﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ فُضِرَ ﴿١٢﴾
وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءَ لِمَن كَانَ
كُفْرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهُ آيَةً فَهَلْ مِن مَّدَكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ
عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَكِّيرٍ
﴿١٧﴾ كَذَبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ
رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ يَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ
نَخْلٍ مُّنْقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ
لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَكِّيرٍ ﴿٢٢﴾ كَذَبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوا أَبَشْرًا
مِثْلَا وَحَدًّا تَنْبَعُهُ إِنَّا إِذْ لَفِي ضَلَالٍ مُّسْتَعِرٍّ ﴿٢٤﴾ أَلْقَى الذِّكْرَ عَلَيْهِ
مِن بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَابٌ أَشَرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مِّنَ الْكَذَّابِ
الْأَشَرِ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مَرْسَلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾

[٢٨] ﴿وَنَبِّئُهُمْ﴾ أخبرهم ﴿أَن الْمَاء قَسَمَةٌ بَيْنَهُمْ﴾ فيوم لهم ويوم لها ﴿كُلُّ شَرْبٍ﴾ نصيب من الماء ﴿مَحْضَرٌ﴾ يحضره صاحبه، في يومه المقرر له.

[٢٩] ﴿فَنَادُوا﴾ أي ثمود ﴿صَاحِبَهُمْ﴾ صديقهم لأجل أن يعقر الناقة ﴿فَتَعَالَى﴾ أي أخذ السلاح ﴿فَعَقَرُ﴾ جرح الناقة.

[٣٠ - ٣١] ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنَذَرُ﴾ * إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة ﴿صَاحِبَهُمْ﴾ جبرئيل عليه السلام ﴿فَكَانُوا﴾ صاروا بسبب الصيحة ﴿كَهَشِيمٍ﴾ كالخشيش اليابس ﴿الْمَحْظَرُ﴾ الذي يجتمع من بيني الحظيرة لأجل سد فرجها، فإنه لا يعتني بالهشيم كيف ما كسر ووضع.

[٣٢] ﴿وَلَقَدْ يَسْرُنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ متعظ.

[٣٣] ﴿كَذَبَتْ قَوْمٌ لَوْطَ النَّذَرِ﴾ بالإنذارات، أو بالرسل.

[٣٤] ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا﴾ ريحاً رمتهم بالحصاء أي الحجارة ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ﴾ لوط عليه السلام وأهل بيته ﴿نَجَّيْنَاهُمْ﴾ أمرناهم بالخروج من القرية ﴿بِسَحَرٍ﴾ قبل نزول العذاب.

[٣٥] ﴿نِعْمَةٌ﴾ إنعاماً لآل لوط عليه السلام ﴿مَنْ عِنْدَنَا﴾ بإهلاك الكفار المؤذنين له ونجاته ﴿كَذَلِكَ﴾ هكذا ﴿نَجْزِي مَنْ شَكَرَ﴾ عمل الشكر قلباً ولساناً وأعضاء.

[٣٦] ﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ﴾ خوفهم لوط عليه السلام ﴿بِطَشْتِنَا﴾

أخذنا بالعذاب ﴿فَنَمَارُوا﴾ شكوا وكذبوا ﴿بِالنَّذَرِ﴾ بالإنذارات.

[٣٧] ﴿وَلَقَدْ رَاودُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ﴾ حيث جاءت الملائكة في صور جميلة إلى لوط عليه السلام فراودهم القوم يريدون اللواط بهم ﴿فَطَمَسْنَا﴾ محونا ﴿أَعْيُنَهُمْ﴾ لأنهم لما رأوا الضيوف هجموا على بيت لوط عليه السلام، فأشار إليهم جبرئيل فعميت عيونهم فتراجعوا عياناً ذاهلين ﴿فَ﴾ قيل لهم ﴿ذُوقُوا عَذَابِي وَنَذَرُ﴾ إنذاراتي أي العذاب المترتب على الإنذار.

[٣٨] ﴿وَلَقَدْ صَبِّحَهُمْ﴾ آتاهم صباحاً ﴿بِكُرَّةٍ﴾ أول الصبح ﴿عَذَابٍ مُسْتَقَرٍّ﴾ استقر عليهم إلى الأبد.

[٣٩ - ٤٠] ﴿ذُوقُوا عَذَابِي وَنَذَرُ﴾ * ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر متعظ.

[٤١ - ٤٢] ﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النَّذَرُ﴾ كذبوا بآياتنا المعاجز التسع ﴿كُلُّهَا فَاخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ﴾ لا يُغَالِبُ ﴿مُقْتَدِرٍ﴾ قادر على ما يريد.

[٤٣] ﴿أَكْفَارِكُمْ﴾ يا معشر قريش ﴿خَيْرٌ مِنْ أَوْلَئِكَمُ﴾ أحسن من الأمم السابقة، حتى لا يأخذكم العذاب ﴿أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ﴾ من العذاب ﴿فِي الزَّبْرِ﴾ الكتب السابقة بأن من كفر منكم لا يأخذه العذاب.

[٤٤] ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ﴾ جماعة ﴿مُنْتَصِرٌ﴾ نتصر ممن يريد بنا سوء فندفع العذاب عن أنفسنا.

[٤٥] ﴿سَيُهْزَمُ﴾ يفر ﴿الْجَمْعُ﴾ جماعتكم إذا جاء العذاب ولا ينصركم أحد ﴿وَيُؤَلِّوْنَ الْدَبْرَ﴾ فإن الإنسان المنهزم يعطي ظهره عند الفرار.

[٤٦] ﴿بِلِ السَّاعَةِ﴾ القيامة ﴿مَوْعِدِهِمْ﴾ وقت عذابهم الشديد ﴿وَالسَّاعَةُ أَدْهَى﴾ أفضع ﴿وَأَمْرٌ﴾ أكثر مرارة من عذاب الدنيا.

[٤٧] ﴿إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ﴾ عن الحق ﴿وَسُعْرٍ﴾ جنون.

[٤٨] ﴿يَوْمٌ﴾ مفعول (ذوقوا) ﴿يَسْحَبُونَ﴾ يجزّون ﴿فِي النَّارِ﴾ على وجوههم، فإنه أشد نكاية ويقال لهم: ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرٍ﴾ ألم إصابة النار.

[٤٩] ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ بمقدار وميزان، فعذابهم بقدر إنكارهم وعنادهم.

وَنَبِّئُهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قَسَمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شَرْبٍ مُحْضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادُوا صَاحِبَهُمْ فَتَعَالَى فَعَقَرُ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنَذَرُ ﴿٣٠﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمٍ الْحَظِيرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسْرُنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٣٢﴾ كَذَبَتْ قَوْمٌ لَوْطَ النَّذَرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَحْنُ نَحْتَصِرُ ﴿٣٤﴾ نِعْمَةٌ مِّنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بِطَشْتِنَا فَتَمَارَوْا بِالنَّذْرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ صَبِّحَهُمْ بِكُرَّةٍ عَذَابٍ مُّسْتَقَرٍّ ﴿٣٧﴾ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنَذَرُ ﴿٣٨﴾ وَلَقَدْ يَسْرُنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النَّذَرُ ﴿٤٠﴾ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَاخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤١﴾ أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَوْلَئِكَمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزَّبْرِ ﴿٤٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ ﴿٤٣﴾ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدَّبْرَ ﴿٤٤﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذْهَى وَأَمْرٌ ﴿٤٥﴾ إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ ﴿٤٦﴾ يَوْمٌ يَسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرٍ ﴿٤٧﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٨﴾

[٥٠] ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَجِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ [٥٠] وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا
أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ [٥١] وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ
فِي الزَّبْرِ [٥٢] وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ [٥٣] إِنَّ الْيَقِينَ
فِي جَنَّتٍ وَنَهْرٍ [٥٤] فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقَدِّرٍ [٥٥]

[٥١] ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ﴾ أشباهكم في الكفر من
الأمم السابقة ﴿فهل من مدكر﴾ متذكر متعظ بأحوال الأمم
السابقة.

[٥٢] ﴿وكل شيء فعلوه﴾ جميع أعمالهم ﴿في الزبر﴾
صفحة الحفظة، فنجازيهم عليها.

[٥٣] ﴿وكل صغير وكبير﴾ من أعمالهم ﴿مستطر﴾
مستور مكتوب.

[٥٤] ﴿إن المتقين في جنات ونهر﴾ أنهار الجنة.

[٥٥] ﴿في مقعد﴾ مكان ﴿صدق﴾ حق لا أذى فيه ولا
مكروه ﴿عند ملك﴾ ملك عظيم السلطان ﴿مقتدر﴾ قادر
على كل شيء.

٥٥: سورة الرحمن

مدنية آياتها ثمان وسبعون

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

[١ - ٢] ﴿الرحمن﴾ علم القرآن وفيه ما يستقيم به أمر
الدنيا والآخرة.

[٣] ﴿خلق الإنسان﴾ أي جنسه.

وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَجِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ [٥٠] وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا
أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ [٥١] وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ
فِي الزَّبْرِ [٥٢] وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ [٥٣] إِنَّ الْيَقِينَ
فِي جَنَّتٍ وَنَهْرٍ [٥٤] فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقَدِّرٍ [٥٥]

سُورَةُ الرَّحْمَنِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الرَّحْمَنُ [١] عَلَّمَ الْقُرْآنَ [٢] خَلَقَ الْإِنْسَانَ [٣]
عَلَّمَهُ الْبَيَانَ [٤] الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ [٥] وَالنَّجْمُ
وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ [٦] وَالسَّمَاءُ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ [٧]
أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ [٨] وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ
وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ [٩] وَالْأَرْضُ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ [١٠]
فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ [١١] وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ
وَالرِّيحَانُ [١٢] فَيَأْتِيهِ الْآلَاءُ رِيكًا تَكَذِّبَانِ [١٣] خَلَقَ
الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ [١٤] وَخَلَقَ الْجَانَّ
مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ [١٥] فَيَأْتِيهِ الْآلَاءُ رِيكًا تَكَذِّبَانِ [١٦]

[٤] ﴿علمه البيان﴾ ما يفهم الغير بما في ضميره.

[٥] ﴿الشمس والقمر بحسبان﴾ يجريان بحساب مضبوط، مصدر حسب يحسب.

[٦] ﴿والنجم﴾ في السماء ﴿والشجر﴾ في الأرض ﴿يسجدان﴾ ينقادان لأوامره تعالى، أو المراد بالنجم ما لا ساق له
وبالشجر ما له ساق.

[٧] ﴿والسما رفعها﴾ خلقها مرفوعة ﴿ووضع الميزان﴾ العدل في كل شيء، والوضع عبارة عن تقريره وجعله وإرشاد
الناس إليه.

[٨] ﴿وإنما وضع الميزان لـ﴾ ﴿ألا تطغوا﴾ تجوروا ﴿في الميزان﴾ في وزن الأشياء.

[٩] ﴿وأقيموا الوزن بالقسط﴾ بالعدل ﴿ولا تخسروا الميزان﴾ لا تنقصوه بل أعطوا حق من يوزن له.

[١٠] ﴿والأرض وضعها﴾ خلقها ﴿للأنام﴾ للناس.

[١١] ﴿فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام﴾ جمع كم أي أوعية التمر.

[١٢] ﴿والحب﴾ كالحنطة ﴿ذو العصف﴾ ورق الزرع اليابس كالتبن ﴿والريحان﴾ أي الرزق، وهو ما يؤكل من الحب.

[١٣] ﴿فياي آلاء﴾ نعماء ﴿ريكما﴾ أيها الإنس والجن ﴿تكذبان﴾ بأن تقولوا إنها ليست من آلاء الله، وكررت هذه الآية
للتكرير.

[١٤] ﴿خلق الإنسان من صلصال﴾ الطين اليابس ﴿كالفخار﴾ الخزف.

[١٥ - ١٦] ﴿وخلق الجن﴾ أبا الجن ﴿من مارج﴾ لهب صاف من الدخان ﴿من نار﴾ بيان لـ ﴿مارج﴾ ﴿فياي آلاء ريكما
تكذبان﴾.

[١٧ - ١٨] ﴿رب المشرقين ورب المغربين﴾ ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ .

[١٩] ﴿مرج﴾ أرسل ﴿البحرين﴾ بحر الماء العذب الموجود تحت الأرض والماء المالح وهي بحار الدنيا يلتقيان ﴿لقرب أحدهما بالآخر في الأرض﴾ .

[٢٠ - ٢١] ﴿بينهما برزخ﴾ فاصل من طبقات الأرض ﴿لا يبيغان﴾ لا يبغي أحدهما على الآخر فيمازجه ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ .

[٢٢ - ٢٣] ﴿يخرج منهما﴾ أي من البحرين، فإن الخارج من أحدهما خارج من هذا المجموع ﴿اللؤلؤ﴾ الدر و﴿المرجان﴾ الخرز الحمر . ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ .

[٢٤ - ٢٥] ﴿وله﴾ لله تعالى ﴿الجوار﴾ أي السفن، جمع جارية ﴿المنشآت﴾ التي أنشئت وصنعت ﴿في البحر كالأعلام﴾ كالجبال . ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ .

[٢٦] ﴿كل من عليها﴾ على الأرض ﴿فان﴾ يفتنى .

[٢٧ - ٢٨] ﴿ويبقى وجه﴾ ذات ﴿ربك ذو الجلال﴾ يجل عن النقائص و﴿الإكرام﴾ يكرم لما فيه من صفات الكمال ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ .

[٢٩ - ٣٠] ﴿يسأله﴾ يطلب من الله تعالى حوائجه كل من في السماوات والأرض من ذوي العقول وغيرهم

لاحتياج الكل إليه ﴿كل يوم﴾ وقت ﴿هو﴾ الله ﴿في شأن﴾ من إحياء وإماتة وإيجاد وإعدام وهكذا ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ .

[٣١ - ٣٢] ﴿سنفرغ﴾ من أعمال الدنيا ﴿لكم﴾ أيها الخلق، أي لحسابكم ﴿أيها الثقلان﴾ الجن والإنس ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ .

[٣٣ - ٣٤] ﴿يا معشر﴾ جماعة ﴿الجن والإنس إن استطعتم﴾ في يوم القيامة، لأجل الفرار من الحساب ﴿أن تنفذوا﴾ تخرجوا ﴿من أقطار﴾ نواحي ﴿السماوات والأرض فانفذوا﴾ اخرجوا واهربوا ﴿لا تنفذون﴾ لا تستطيعون النفوذ ﴿إلا﴾ بسلطان ﴿بحجة﴾ بأن تموا الحساب ثم تذهبون إلى الجنة أو النار . ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ .

[٣٥ - ٣٦] ﴿يرسل عليكم﴾ أي الجن والإنس ﴿شواظ﴾ لهب ﴿من نار ونحاس﴾ صفر مذاب ﴿فلا تنتصرون﴾ لا ينصركم أحد بدفع العذاب عنكم . ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ .

[٣٧ - ٣٨] ﴿فإذا انشقت السماء﴾ بأن انهدم نظام الكواكب ﴿فكانت وردة﴾ حمراء كالوردة ﴿كالدهان﴾ كالأديم الأحمر ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ .

[٣٩ - ٤٠] ﴿فيومئذ﴾ يوم القيامة، جواب ﴿فإذا﴾، وأصل يومئذ: يوم إذ كان كذا ﴿لا يسأل عن ذنبه﴾ أي ذنب المذنب ﴿إنس ولا جان﴾ بل كل أحد هو المسؤول عن ذنبه، لا أن أحداً غيره يسأل عن ذنبه، أو المراد أن المجرم لا يسأل عن إجرامه لأنه (يعرف المجرمون بسيماهم)، وهذا لا ينافي السؤال لأن مواقف القيامة مختلفة ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ .

رَبِّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبِّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾
مَرْجَ الْبَحْرَيْنِ لِيَجْيَأَنَّ يَسْفِهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴿١٩﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ
رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٠﴾ يُخْرِجُ مِنْهُمَا اللَّوْلُؤَ وَالْمَرْجَانَ ﴿٢١﴾ فَبِأَيِّ
آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٢﴾ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٢٣﴾
﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٢﴾ وَبَقِيَ
وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٣﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٤﴾
يَسْأَلُهُمْ فِيهَا السَّعِيرَاتُ وَالْأَرْضُ كُلُّ يَوْمٍ هُمْ فِي شَانٍ ﴿٢٥﴾ فَبِأَيِّ
آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٦﴾ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيَّهَ الثَّقَلَانِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ
آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾ يَمْعَشَرُ الْجِنُّ وَالْإِنْسُ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ
أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَمْثَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَأَنْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ
إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴿٢٩﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾ يُرْسِلُ عَلَيْكُمْ
شَوَاطِئَ مِنْ نَارٍ وَنَحَاسٍ فَلَا تَنْتَصِرُونَ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴿٣٣﴾
﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ
إِنْسٌ وَلَا جَانٌ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾

[٤١ - ٤٢] ﴿يَعْرِفُ الْمَجْرُمُونَ بِسِمَاهُمْ﴾ بعلامتهم الظاهرة من الكآبة ﴿فِيؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي﴾ جمع ناصية مقدم الرأس ﴿وَالْأَقْدَامِ﴾ فيؤخذ الملائكة هذين الموضوعين لغرض رميهم في النار ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

[٤٣] ويقال لهم ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمَجْرُمُونَ﴾ حيث كانوا يقولون لا وجود لها.

[٤٤ - ٤٥] ﴿يَطُوفُونَ﴾ يسعون ﴿بَيْنَهَا﴾ بين محلهم في جهنم ﴿وَبَيْنَ حَمِيمٍ أَوْ مَاءٍ حَارٍ مَتْنَاهُ فِي الْحَرَارَةِ، لِأَجْلِ أَنْ يَشْرَبُوهُ﴾ ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

[٤٦ - ٤٧] ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ المحل الذي يقوم فيه حكم الله - أي القيامة - ﴿جَنَّاتٍ﴾ جنة للعقيدة الصحيحة وجنة للعمل الصالح ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

[٤٨ - ٤٩] ﴿ذَوَاتَا﴾ صاحبتا ﴿أَفْنَانٍ﴾ أنواع من الشجر، جمع فن ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

[٥٠ - ٥١] ﴿فِيهِمَا عِثَانِ تَجْرِيَانِ﴾ عين من لبن وعين من خمر - مثلاً أو ما أشبه ذلك ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

[٥٢ - ٥٣] ﴿فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ صنفان كبير وصغير - مثلاً - ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

[٥٤ - ٥٥] ﴿مُتَكَتِّئِينَ عَلَى فُرُشٍ﴾ جمع فراش ﴿بِطَائِنِهَا﴾ البطانة مقابل الظهارة ﴿مَنْ اسْتَبْرَقَ﴾ الحرير الغليظ، ولعله إشارة إلى نوع من البرد الموجود هناك فيحتاجون إلى

يَعْرِفُ الْمَجْرُمُونَ بِسِمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَيِّ
آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمَجْرُمُونَ
يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ أَوْ مَاءٍ حَارٍ ﴿٤٣﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
﴿٤٤﴾ وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴿٤٥﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٦﴾
ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴿٤٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٨﴾ فِيهِمَا عِثَانِ
تَجْرِيَانِ ﴿٤٩﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٠﴾ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ
زَوْجَانِ ﴿٥١﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٢﴾ مُتَكَتِّئِينَ عَلَى فُرُشٍ
بِطَائِنِهَا مَنْ اسْتَبْرَقَ وَحَى الْجَنَّتَيْنِ دَانِ ﴿٥٣﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿٥٤﴾ فِيهِنَّ قَصِيرَاتُ الْغُرْفِ لَمْ يَطْمِئْنُوا مِنْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ
وَلَا جَانٌ ﴿٥٥﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٦﴾ كَانَهُنَّ الْيَاقُوتُ
وَالْمَرْجَانُ ﴿٥٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٨﴾ هَلْ جَزَاءُ
الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴿٥٩﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٠﴾
وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦١﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٢﴾
مُدْهَاتَانِ ﴿٦٣﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٤﴾ فِيهِمَا
عِثَانٌ نَضَّخَتَانِ ﴿٦٥﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٦﴾

الدفء ﴿وَجَنَّتَانِ﴾ نمر ﴿الْجَنَّتَيْنِ دَانِ﴾ قريب يناله القاعد والنائم ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

[٥٦ - ٥٧] ﴿فِيهِنَّ﴾ في قصور تلك الجنان ﴿قَاصِرَاتُ الطُّرُفِ﴾ نساء قصرن أعينهن إلى أزواجهن ﴿لَمْ يَطْمِئْنُوا مِنْهُنَّ﴾ لم يجامعوهن ﴿إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ﴾ فهن باكرات، من حور الجنة ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

[٥٨ - ٥٩] ﴿كَانَهُنَّ الْيَاقُوتُ﴾ من الحمرة الحسنة ﴿وَالْمَرْجَانُ﴾ صغار اللؤلؤ، بياضاً وصفاء ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

[٦٠ - ٦١] ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ﴾ في العقيدة والعمل ﴿إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ في الآخرة بالثواب ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

[٦٢ - ٦٣] ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا﴾ دون الجنتين المذكورتين لمن خاف مقام ربه من المتقين ﴿جَنَّاتٍ﴾ لأصحاب اليمين ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

[٦٤ - ٦٥] ﴿مُدْهَاتَانِ﴾ خضراوان تضربان إلى السواد لشدة الخضرة ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

[٦٦ - ٦٧] ﴿فِيهِمَا عِثَانٌ نَضَّخَتَانِ﴾ فوارتان بالماء ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

[٦٨ - ٧١] ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرِمانٌ * فَبَأي آلاءِ ربكما تكذبان﴾ * فيهن - أي في تلك الجنان - باعتبار محلاتها المختلفة - نساء ﴿خيرات﴾ في الأخلاق ﴿حسان﴾ الوجوه والأبدان ﴿فَبَأي آلاءِ ربكما تكذبان﴾ .
[٧٢ - ٧٣] ﴿حورٌ﴾ بدل (خيرات) ﴿مقصورات﴾ مخدرات ﴿في الخيام﴾ فإن لهؤلاء خيام وللأولين قصور ﴿فَبَأي آلاءِ ربكما تكذبان﴾ .

[٧٤ - ٧٧] ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ * فَبَأي آلاءِ ربكما تكذبان﴾ * متكئين على رفرف ﴿جمع رفرفة﴾ هي المخدة ﴿خضر﴾ جمع خضراء ﴿وعبقري﴾ جمع عبقريّة: ثوب موشاة ﴿حسان﴾ حسنة جميلة ﴿فَبَأي آلاءِ ربكما تكذبان﴾ .

[٧٨] ﴿تبارك﴾ تعالى ﴿اسم ربك ذي الجلال﴾ المنزه عن كل نقص ﴿والإكرام﴾ الحائز لكل كمال .

٥٦: سورة الواقعة

مكية آياتها ست وتسعون

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

[١] ﴿إذا وقعت الواقعة﴾ قامت القيامة .

[٢] ﴿ليس لوقعتها﴾ حين تقع نفس ﴿كاذبة﴾ كما يكذب الكفار بها في الدنيا .

[٣] ﴿خافضة﴾ تخفض قوماً بإدخالهم النار ﴿رافعة﴾ ترفع قوماً بإدخالهم الجنة .

[٤] ﴿وإنما تقوم القيامة﴾ إذا رجّت الأرض ﴿خزّت الأرض﴾ رجّت الأرض حركة شديدة .

[٥] ﴿وبست﴾ سُيِّرَتْ عن أماكنها ﴿الجبّال بساً﴾ .

[٦] ﴿فكانت﴾ فصارت الجبال ﴿هباءً﴾ غباراً ﴿منبثاً﴾ متفرقاً منتشراً .

[٧] ﴿وكنتم﴾ أيها البشر ﴿أزواجاً﴾ أصنافاً ﴿ثلاثة﴾ .

[٨] ﴿فأصحاب الميمنة﴾ الذين يؤتون صحائفهم بإيمانهم ﴿ما أصحاب الميمنة﴾ تعجب من حالهم الحسن .

[٩] ﴿وأصحاب المشئمة﴾ الذين يؤتون صحائفهم بشمالهم ﴿ما أصحاب المشئمة﴾ تعجب من حالهم السيئ .

[١٠] ﴿والسابقون﴾ الذين سبقوا إلى الإيمان والطاعة بمجرد ما يظهر لهم ذلك ﴿السابقون﴾ الذين عرفتهم حالهم .

[١١] ﴿أولئك المقربون﴾ إلى الله تعالى قرب شرف ومنزلة .

[١٢] ﴿في جنات النعيم﴾ ذات النعمة .

[١٣] ﴿ثلة﴾ جماعة كثيرة ﴿من الأولين﴾ أمم الأنبياء السابقين .

[١٤] ﴿وقليل من الآخرين﴾ من هذه الأمة، وذلك لكثرة الأنبياء السابقين فكان المؤمنون بهم ابتداءً أكثر .

[١٥] ﴿وهم﴾ على سرر ﴿موضونة﴾ منسوجة بالذهب مشبكة بالدر والجوهر .

[١٦] ﴿متكئين عليها متقابلين﴾ يقابل بعضهم بعضاً للتعم بالنظر إلى الأحباب والحديث معهم .

فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرِمانٌ ﴿٦٨﴾ فَبَأي آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبان ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴿٧٠﴾ فَبَأي آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبان ﴿٧١﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ ﴿٧٢﴾ فَبَأي آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبان ﴿٧٣﴾ مُتَكِّينَ عَلَى رُفُوفٍ خُضْرٍ وَعَبَقَرٍ ﴿٧٤﴾ جِسانِ ﴿٧٥﴾ فَبَأي آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبان ﴿٧٦﴾ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٧٧﴾

سُورَةُ الْوَاقِعَةِ ﴿٧٨﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لَوْعِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رَجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ﴿٤﴾ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ سُيْرًا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا ﴿٦﴾ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ وَالْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ أُولَئِكَ الْمَقَرَّبُونَ ﴿١٠﴾ فِي جَنَّاتِ الْعِوَارِ ﴿١١﴾ ثَلَاثَةٌ مِنْ الْأُولَى ﴿١٢﴾ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿١٣﴾ عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ﴿١٤﴾ مُتَكِّينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ﴿١٥﴾

[١٧] ﴿يَطُوفُ﴾ يسعى من هذا إلى ذاك وهكذا ﴿عليهم﴾

للخدمة ﴿ولدان﴾ جمع وليد، ملائكة صغار في الصورة ﴿مخلدون﴾ دائمون في الجنة في صورة ولدان.

[١٨] ﴿بأكواب﴾ جمع كوب إناء لا عروة له ولا خرطوم

﴿وأباريق﴾ جمع إبريق ما له ذلك ﴿وكأس﴾ الجام ﴿من معين﴾ نهر جار من العيون الخمرية.

[١٩] ﴿لا يصدعون عنها﴾ لا يحصل لهم من الخمر صداع، كما في خمر الدنيا ﴿ولا ينزفون﴾ لا تذهب عقولهم من الخمر.

[٢٠] ﴿و﴾ بـ ﴿فاكهة﴾ الثمار ﴿مما يتخبرون﴾ يشتهون ويختارون.

[٢١] ﴿ولحم طير﴾ مشوي ﴿مما يشتهون﴾.

[٢٢] ﴿وحور﴾ عطف على (ولدان) ﴿عين﴾ واسعات العيون.

[٢٣] ﴿كأمثال اللؤلؤ المكنون﴾ المصون الذي بقي على بياضه وصفائه.

[٢٤] يعطون ذلك ﴿جزءاً بـ﴾ مقابل ﴿ما كانوا يعملون﴾.

[٢٥] ﴿لا يسمعون فيها لغواً﴾ باطلاً ﴿ولا تائيماً﴾ نسبة إلى التائم فلا يقال لأحدهم قد أئمت وأذبت.

[٢٦ - ٢٨] ﴿إلا قليلاً سلاماً سلاماً﴾ أي يسلم بعضهم على بعض. ﴿وأصحاب اليمين﴾ أصحاب اليمين * في سدر ﴿شجر النبق﴾ مخضود ﴿قد خضد وقطع شوكه﴾.

[٢٩] ﴿وطلح﴾ شجر الموز ﴿منضود﴾ قد نضد بعضه على بعض.

[٣٠ - ٣١] ﴿وظل ممدود﴾ منبسط دائم. ﴿وماء مسكوب﴾ جار أبداً.

[٣٢ - ٣٣] ﴿وفاكهة كثيرة﴾ لا مقطوعة في وقت من الأوقات بل هي دائمة ﴿ولا ممنوعة﴾ لا تمنع عمن يطلبها.

[٣٤ - ٣٥] ﴿وفرش مرفوعة﴾ أي النساء المرفوعات القدر. ﴿إنا أنشأناهن﴾ خلقنا تلك النساء ﴿إنشاء﴾.

[٣٦] ﴿فجعلناهن أبكاراً﴾ لم يمسهن قبل أهل الجنة أحد.

[٣٧ - ٣٨] ﴿عرباً﴾ متحبات إلى أزواجهن ﴿أتراباً﴾ مثل أزواجهن في السن. هذه النعم ﴿لأصحاب اليمين﴾.

[٣٩ - ٤٠] ﴿ثلة﴾ أي أصحاب اليمين هم جماعة كثيرة ﴿من الأولين﴾ * وثلة من الآخرين.

[٤١ - ٤٣] ﴿وأصحاب الشمال﴾ ما أصحاب الشمال * في سموم ﴿نار تنفذ إلى المسام أي منافذ البدن﴾ وحميم ماء متناه في الحرارة. ﴿وظل من يحوم﴾ دخان أسود مما يوجب ظلمة وحرارة ووساخة وضيق نفس.

[٤٤] ﴿لا بارد﴾ كسائر الظلال ﴿ولا كريم﴾ لا يكرم من فيه.

[٤٥] ﴿إنهم كانوا قبل ذلك﴾ في الدنيا ﴿مترفين﴾ منعمين قد ألهمتهم النعمة.

[٤٦] ﴿وكانوا يصرون على الحنث﴾ الذنب ﴿العظيم﴾ أي الشرك لأنه حنث لما أودع فيهم من الفطرة.

[٤٧] ﴿وكانوا يقولون إذا متنا وكنا تراباً﴾ صارت لحومنا تراباً ﴿وعظاماً﴾ إنا لمبعوثون في الآخرة، على نحو استفهام الإنكار.

[٤٨] ﴿أو﴾ يبعث ﴿آبائنا الأولون﴾ ممن قد مات سابقاً.

[٤٩ - ٥٠] ﴿قل إن الأولين والآخرين﴾ لمجموعون ﴿يجمعهم الله﴾ إلى أن ينتهي بهم في ﴿مبقات﴾ وقت ﴿يوم معلوم﴾ هو يوم المحشر.

يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وَلَدَانِ مُخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ وَكُنُوسٍ مِنْ مَعِينٍ ﴿١٨﴾ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْفَوْنَ ﴿١٩﴾ وَفَكَهْهُنَّ مِمَّا يَتَخَبَّروْنَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمَ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جِزَاءً لِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿٢٦﴾ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مِمَّا أَصْحَبُ الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣٠﴾ وَفَكَهْهُنَّ كَثِيرَةً ﴿٣١﴾ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٢﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً ﴿٣٤﴾ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٥﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٦﴾ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٣٧﴾ ثَلَاثَةٌ مِنْ أُولَئِكَ ﴿٣٨﴾ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿٣٩﴾ وَأَصْحَابُ الْإِنْمَالِ مِمَّا أَصْحَبُ الْإِنْمَالِ ﴿٤٠﴾ فِي سُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤١﴾ وَظِلٍّ مِنْ يَحْتُمُونَ ﴿٤٢﴾ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٣﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٤﴾ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٦﴾ أَوَءَا بَابُنَا أَلَّا نُولَؤُنَّ ﴿٤٧﴾ فَلْيَاكِ أَلْأُولَئِكَ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿٤٨﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٤٩﴾

[٥١] ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ مِنْهُمْ أَنْبِيَا الضَّالِّينَ﴾ المنحرفون عن الطريق ﴿الْمُكَذِّبِينَ﴾ بالبعث .

[٥٢] ﴿لَا تَكُلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُقُومٍ﴾ شديد المرارة .

[٥٣] ﴿فَمَالِئُتُوهَا﴾ تملئون من كثرة جوعكم ﴿مِنْهَا﴾ من تلك الشجرة ﴿الْبُطُونَ﴾ .

[٥٤] ﴿فَنُشَارِبُونَ عَلَيْهِ﴾ على أكل الزقوم ﴿مِنْ الْحَمِيمِ﴾ الماء البالغ في الحرارة .

[٥٥] ﴿فَنُشَارِبُونَ شَرْبًا﴾ مثل شرب ﴿الْهِيمِ﴾ الإبل العطاش فإنهم مع شدة حرارة الماء يشربون منه كثيراً .

[٥٦] ﴿هَذَا نُزْلُهُمْ﴾ ما هيئ لهم ﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾ يوم الجزاء .

[٥٧] ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾ فهلا صدقتم بالبعث مع أنكم علمتم بالخلق الأول، وأن الله القادر على الأول قادر على الأخير .

[٥٨] ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَمْنُونَ﴾ ما تقذفونه في الأرحام من النطف .

[٥٩] ﴿أَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ﴾ تجعلونه بشراً ﴿أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾ .

[٦٠] ﴿نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ﴾ كما قدرنا خلقكم، فكل من الحياة والموت منا ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ بأن تسبقونا حتى لا نقدر عليكم .

[٦١] ﴿بَلْ نَقْدِرُ﴾ على أن نبدل أمثالكم ﴿أَيَّ نَبْدَلُكُمْ بِأَمْثَالِكُمْ﴾ بأن نفيكم ونوجد آخرين ﴿وَنَنْشَقُّكُمْ﴾ نخلقكم ﴿فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من الصور كالقرد والخنزير .

[٦٢] ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى﴾ أي خلقناكم أولاً ﴿فَلَوْلَا﴾ فهلا ﴿تَذْكُرُونَ﴾ تتعظون .

[٦٣] ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾ تزرعون حبه .

[٦٤] ﴿أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ﴾ تبتونه ﴿أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ فإن الله ينبت النبات .

[٦٥] ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ﴾ أي النبات ﴿حُطَامًا﴾ هشيماً متكسراً ﴿فَنُظِلِّتُمْ﴾ صرتم ﴿فَنُفَكِّهُون﴾ تتكلمون متعجبين من أنه كيف صار حطاماً قائلين :

[٦٦] ﴿إِنَّا لَمُفْرَمُونَ﴾ ملزمون غرامة ما ألزمنا .

[٦٧] ﴿بَلْ نَحْنُ مُحْرَمُونَ﴾ عن الرزق - لا مجرد الغرم فقط - .

[٦٨ - ٦٩] ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾ * أنتم أنزلتموه من المزن ﴿السحاب﴾ ﴿أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ﴾ .

[٧٠] ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ أَجَاجًا﴾ مالحاً ﴿فَلَوْلَا﴾ فهلا ﴿تَشْكُرُونَ﴾ هذه النعم .

[٧١] ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾ تخرجونها من القَدَح .

[٧٢] ﴿أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا﴾ التي منها النار ﴿أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ﴾ الخالقون .

[٧٣] ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا﴾ النار ﴿تَذْكِرَةً﴾ مذكرة بأمر الآخرة ﴿وَمَتَاعًا﴾ منفعة ﴿لِلْمُقِيمِينَ﴾ لنازلي القواء أي الصحراء .

[٧٤] ﴿فَنَسِجَ بَاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ أي نزهه بذكر اسمه .

[٧٥] ﴿فَلَا﴾ لا زائدة للتأكيد، أو المراد الإشارة إلى الحلف بدون أن يحلف ﴿أَقْسَمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ بمحلها من السماء .

[٧٦] ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ﴾ حقيقتها لعلمتم أنه ﴿عَظِيمٌ﴾ فقد ذكر علماء الفلك أن الشمس أكبر من الأرض مليوناً وثلاثمائة ألف مرة، وأن بعض النجوم العادية أكبر من الشمس ستين مليون مرة .

[٧٧] ﴿إِنَّهُ﴾ هذا القرآن ﴿لقرآن كريم﴾ ذو كرامة .
 [٧٨] ﴿فِي كِتَابٍ﴾ في اللوح المحفوظ ﴿مَكْنُونٍ﴾ مصون لا تمسه يد التغيير .
 [٧٩] ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ من الملائكة ، أو من تطهر عن الحدث من البشر .
 [٨٠] هو ﴿تَنْزِيلٍ﴾ إنزال ﴿مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ .
 [٨١] ﴿أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ﴾ القرآن ﴿أَنْتُمْ مَّدْهُونُونَ﴾ متهاونون مجاملون .
 [٨٢] ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ أي بدل أن تشكروا الرازق ﴿أَنْتُمْ تَكْذِبُونَ﴾ بالله وآياته ، والاستفهام للإنكار والتوبيخ .
 [٨٣] ﴿فَلَوْلَا﴾ فهذا - إن زعمتم أنه لا رب لكم - ﴿إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ﴾ وقت نزاع الروح .
 [٨٤] ﴿وَأَنْتُمْ﴾ أيها الحاضرون عند المحتضر ﴿حِينْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ إلى حاله .
 [٨٥] ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ﴾ إلى المحتضر ﴿مِّنكُمْ﴾ علماً وقدره ﴿وَلَكِنْ لَا تَبْصُرُونَ﴾ أنتم ذلك .
 [٨٦] ﴿فَلَوْلَا﴾ فهذا - تكرار للأول ، والجمل بينهما معترضة - ﴿إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ غير مملوكين .
 [٨٧] ﴿تَرْجِعُونَهَا﴾ ترجعون النفس إلى مقرها ، حتى لا يموت ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في قولكم إنه لا رب لكم .
 [٨٨ - ٨٩] ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ إلى

إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكْذِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ سَلَّاتُكَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمَكِيدِينَ ﴿٩٢﴾ الْأَصْبَاتِ ﴿٩٣﴾ فَزَلٌّ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٤﴾ وَتَضِلُّهُ جَمِيعٌ ﴿٩٥﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴿٩٦﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٩٧﴾

سُورَةُ الْحَدِيدِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾
 هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾

الله ورسوله ﷺ . ﴿فَ﴾ له ﴿رُوحٌ﴾ استراحة ﴿وَرِيحَانٌ﴾ رزق طيب ﴿وَجَنَّتْ نَعِيمٌ﴾ ذات نعمة .

[٩٠] ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ الذين يعطون صفهم بأيمانهم ، وهم الصالحون دون المقربين .

[٩١] ﴿فَسَلَامٌ لَّكَ﴾ يا صاحب اليمين ، يسلمون عليك أمثالك ﴿مِّنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ ويقولون أنت سالم مما تكره .

[٩٢] ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمَكِيدِينَ﴾ بالله وآياته ﴿الضَّالِّينَ﴾ عن طريقه وهم أصحاب الشمال .

[٩٣ - ٩٤] ﴿فَنَزَلَ﴾ أي نزلهم الذي أعد لهم ﴿مِّنْ حَمِيمٍ﴾ ماء وطعام حار . ﴿وَتَضِلُّهُ﴾ إدخال ﴿جَمِيعٌ﴾ جهنم .

[٩٥] ﴿إِنْ هَذَا﴾ الذي ذكر في السورة من الفرق وأحوالهم ﴿لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾ أي اليقين الحق المطابق للواقع .

[٩٦] ﴿فَسَبِّحْ﴾ نزه ﴿بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ أي اذكر اسمه منزهاً له عن ما لا يليق به .

٥٧: سورة الحديد

مدنية آياتها تسع وعشرون

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

[١] ﴿سَبِّحْ﴾ نزه ﴿لِلَّهِ﴾ خالصاً له ﴿مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ إما بلسان الحال أو لها لسان خاص (ولكن لا تفقهون تسيبهم) ^(١) ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ في سلطانه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في تدبيره .

[٢ - ٣] ﴿لَهُ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَحْيِي﴾ في الآخرة ، أو الجماد يحوله ذا حياة ﴿وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فهو القادر المطلق . ﴿هُوَ الْأَوَّلُ﴾ السابق على الموجودات ﴿وَالْآخِرُ﴾ الباقي بعد فائتها ﴿وَالظَّاهِرُ﴾ بآثاره ﴿وَالْبَاطِنُ﴾ لا يدرك كنهه العقل ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ عالم .

[٤] ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ أَيَّامٌ ثُمَّ اسْتَوَىٰ﴾ توجه واستولى ﴿عَلَى الْعَرْشِ الْمَلِكِ﴾ يعلم ما يلج ﴿يَدْخُلُ فِي الْأَرْضِ﴾ كالملت يقبر ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ كالنبات ﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ كالمطر ﴿وَمَا يَعْرَجُ فِيهَا﴾ كالملك ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ بعلمه وقدرته ﴿أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيجازيكم عليه .

[٥] ﴿لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ إِلَىٰ حِكْمِهِ وَحِسَابِهِ﴾ ترجع الأمور ﴿أُمُورَ النَّاسِ وَغَيْرِهِمْ﴾ .

[٦] ﴿يُولِجُ الْبَلَدَ﴾ يدخل ﴿اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾ بتمديد الليل ﴿وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ بتمديد النهار ﴿وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بأسرار صدور الناس .

[٧] ﴿آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ﴾ من المال الذي جعلكم خلفاء لمن سلف منكم في ذلك المال ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ ثواب جزيل .

[٨] ﴿وَمَا لَكُمْ لِمَا لَا تُمْنُونَ بِاللَّهِ﴾ أي ماذا يعود عليكم من عدم الإيمان ﴿وَالْحَالُ أَنَّ الرَّسُولَ﴾ محمد ﷺ ﴿يَدْعُوكُمْ لَتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَكُمْ﴾ عهدكم الأكيد بما أودع فيكم من الفطرة الدالة على خالقكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ أي في طريق الإيمان، بأن لم تعاندوا، فإنه يظهر ميثاقه جلياً عليكم .

[٩] ﴿هُوَ الَّذِي يَنْزِلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ﴾ محمد ﷺ ﴿آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ واضحات ﴿لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ ظلمة الكفر والجهل والرهيلة ﴿إِلَى النُّورِ﴾ المرشد للطريق ﴿وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرْؤُوفٌ﴾ حيث يفعل ذلك بكم ﴿رَحِيمٌ﴾ يرحمكم فضلاً منه، والرافة أكثر من الرحمة قلباً، وإن كانت الرحمة أظهر في الأمر العملي .

[١٠] ﴿وَمَا لَكُمْ لِمَا أَنْفَقْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي شيء يعود إليكم في ترك الإنفاق لأجل إقامة الدين ﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يرثهما، وأنتم تتركون أموالكم، فأنفقوا مما لا يبقى لكم حتى تفوزوا بثوابه ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَن أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ﴾ فتح مكة ﴿وَقَاتَلَ﴾ ومن أنفق وقاتل بعد الفتح لأن الناس بعد فتح مكة اطمأنوا بالإسلام ولذا أخذوا يدخلون فيه أفواجاً ويبدلون أموالهم له ﴿أُولَٰئِكَ﴾ المنفقون المقاتلون قبل الفتح ﴿أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتَلُوا وَكَلَّا﴾ من الفريقين ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَى﴾ المثوبة الحسنة ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ فيجازيكم عليه .

[١١] ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يقرضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ بأن ينفق ماله لله، ليسترجعه منه في الآخرة، وكان حسناً بأن كان خالصاً لوجهه ﴿فِيضَاعُفَهُ﴾ الله ﴿لَهُ﴾ بإعطاء العشرة عوض الواحد ﴿وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ مقرون بالكرامة .

هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرَجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١﴾ لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ يَرْجِعُ الْأُمُورَ ﴿٢﴾ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣﴾ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٤﴾ وَمَا لَكُمْ لِمَا لَا تُمْنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لَتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٥﴾ هُوَ الَّذِي يَنْزِلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ ؕ أَلَيْسَ يَنْتَسِبُ لِخُرُوجِكُمْ مِنْ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٦﴾ وَمَا لَكُمْ لِمَا أَنْفَقْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَن أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتَّلَ أُولَٰئِكَ أَكْثَرُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتَّلُوا وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٧﴾ الَّذِي يقرضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيضَاعُفُهُ لَهُ ؕ لَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿٨﴾

[١٢] وذلك في ﴿يوم﴾ وهو يوم القيامة ﴿ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم﴾ فإن القيامة مظلمة ونور المؤمنين يسعى أي يتحرك بحركتهم ﴿بين أيديهم﴾ أمامهم ﴿وبإيمانهم﴾ فإن صحائفهم التي بإيمانهم تشع نوراً، ويقال لهم ﴿بشراكم﴾ البشارة لكم في هذا ﴿اليوم﴾ جنات تجري من تحتها تحت قصورها وأشجارها ﴿الأنهار خالدين﴾ دائمين ﴿فيها ذلك﴾ الفوز بالجنة ﴿هو الفوز﴾ الظفر المطلوب ﴿العظيم﴾.

[١٣] ﴿يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا﴾ انظرونا إلینا فإنهم إذا نظروا نحوهم شع نورهم في جانب المنافقين فأروا طريقهم ﴿نقتبس﴾ نأخذ قبساً وشعلة ﴿من نوركم﴾ قيل لهم تهكمأ بهم ﴿ارجعوا وراءكم﴾ إلى الدنيا ﴿فالتمسوا﴾ اطلبوا ﴿نوراً﴾ بالعمل الصالح ﴿فضرب بينهم﴾ بين الفريقين ﴿بسور﴾ بحائط ﴿له باب﴾ حيث يدخل منه المؤمنون إلى طرف المحشر الذي فيه سلام ويبقى الكافرون والمنافقون في الطرف الذي فيه عذاب ﴿باطنه﴾ داخل السور ﴿فيه الرحمة﴾ والسلام ﴿وظاهره﴾ ظاهر السور ﴿من قبله﴾ من طرف الباب ﴿العذاب﴾ لأنهم في المحشر أيضاً في العذاب.

[١٤] ﴿ينادونهم﴾ أي المنافقون ينادون المؤمنين ﴿الم نكن معكم﴾ في الدنيا لأننا كنا في زمرة المؤمنين فكيف صرنا هكذا مع الكافرين ﴿قالوا﴾ أي المؤمنون ﴿بلى﴾ كنتم معنا في الظاهر ﴿ولكنكم فتنتم أنفسكم﴾ بالنفاق ﴿وتربصتم﴾ أي انتظرتهم بنا شراً ﴿وارتبتهم﴾ شككتهم في الدين ﴿وغررتم﴾ خدعتمكم ﴿الأماني﴾ الآمال الطوال بأن تركتم الدين أملاً للبقاء في الدنيا ﴿حتى جاء أمر الله﴾ بالموت ﴿وغررهم بالله الغرور﴾ الشيطان الخادع غررهم وقال إن الله يتجاوز عنكم.

[١٥] ﴿فاليوم لا يؤخذ منكم فدية﴾ بدل حتى لا تعذبوا ﴿ولا من الذين كفروا﴾ كفراً علانية ﴿مأواكم﴾ محلكم ﴿النار﴾ هي مولاكم ﴿أولى بكم﴾ وبش المصير ﴿المحل﴾ أي النار.

[١٦] ﴿الم بأن﴾ أما حان الوقت ﴿للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله﴾ بأن يكونوا خاشعين بالإضافة إلى الإيمان ﴿و﴾ لـ ﴿ما نزل من الحق﴾ القرآن ﴿ولا يكونوا﴾ أي لم بأن لهم أن لا يكونوا ﴿كالذين أوتوا الكتاب من قبل﴾ اليهود والنصارى ﴿فطال عليهم الأمد﴾ الزمان ﴿فقتل قلوبهم﴾ زال خشوعها، فإن الوعظ إذا بعد عن الإنسان غلظ قلبه ﴿وكثير منهم فاسقون﴾ خارجون عن طاعة الله، بالإضافة إلى قسوة قلوبهم.

[١٧] ﴿اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها﴾ وحياة الأرض بالماء وكذلك حياة القلب بالموعظة والهداية ﴿قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون﴾ لكي يكمل عقلكم.

[١٨] ﴿إن المصدقين والمصدقات﴾ الذين يعطون الصدقة ﴿و﴾ الذين ﴿أقرضوا الله﴾ بأن أنفقوا أموالهم في سبيل الله ليسترجعوها يوم القيامة ﴿قرضاً حسناً﴾ خالصاً لوجهه الكريم ﴿يضاعف لهم﴾ الثواب ﴿ولهم أجر كريم﴾ يعطونه مع التكريم لهم.

يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَسْعَى بَشْرُهُمْ ذَلِكَ يَوْمَ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُوا نَفْسِنَا مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنٌ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرٌ مِنْ قَبْلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾ ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغررتمكم الأماني حتى جاء أمر الله وغررهم بالله الغرور ﴿١٤﴾ فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا ما يؤخذ منكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغررتمكم الأماني حتى جاء أمر الله فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون ﴿١٥﴾ أعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون ﴿١٦﴾ إن المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعف لهم ولهم أجر كريم ﴿١٨﴾

[١٩] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾
المبالغون في التصديق ﴿وَالشَّاهِدَةُ﴾ الذين يشهدون على
الناس ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ يوم القيامة ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾
يوم القيامة ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ
الْجَحِيمِ﴾ الملازمون لجهennem.

[٢٠] ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ﴾ لا حقيقة لها
بالنسبة إلى حياة الآخرة ﴿وَلَهُوَ﴾ ما يسبب إلهاء الإنسان
عن مقصده الحقيقي ﴿وَزِينَةٌ﴾ يتزين بها الإنسان ﴿وَتَفَاخُرٌ
بَيْنَكُمْ﴾ يفتخر بعضكم على بعض ﴿وَتَكَاثُرٌ﴾ مباحاة في
الكثرة ﴿فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ﴾ مطر ﴿عَجَبَ
الْكُفَّارُ﴾ الزراع^(١) ﴿نَبَاتِهِ﴾ الذي نشأ من الغيث ﴿ثُمَّ
يَهْبِجُ﴾ يبيس ﴿فَتَرَاهُ مَصْفُورًا﴾ اصفر قد مات ﴿ثُمَّ يَكُونُ
حُطَامًا﴾ يتحطم ويتكسر، وتذهب الدنيا كما يذهب النبات
﴿وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ لأعداء الله الذين كان كل
همهم الدنيا ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ غفران للمؤمنين ﴿مَنْ اللَّهُ
وَرِضْوَانٌ﴾ رضاه تعالى ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ﴾ ما
يتمتع به ﴿الْفُجُورُ﴾ الذي يغتر به الإنسان وينخدع فيبيع به
آخِرته الباقية.

[٢١] ﴿سَابِقُوا﴾ سارعوا ﴿إِلَى مَغْفِرَةٍ﴾ أسباب الغفران
﴿مَنْ رَبِّكُمْ وَ﴾ إلى ﴿جَنَّةٍ عَرْضُهَا سَعْتَا﴾ سعتهما ﴿كِعْرَاضِ
السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ﴾ هيئت ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ

ذلك﴾ إعطاء الجنة ﴿فَضَلَ اللَّهُ يَوْمَئِذٍ مَنْ يَشَاءُ﴾ ممن استحق ذلك، وكونه فضلاً لأنه زائد على الأجر ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ
الْعَظِيمِ﴾ على عباده.

[٢٢] ﴿وَإِنْ كَانَ عَدَمُ إِنْفَاقِكُمْ وَمَسَارَعَتُكُمْ فِي الْخَيْرِ لِأَجْلِ الْخَوْفِ مِنَ الْفَقْرِ وَالصَّعُوبَاتِ فَاعْلَمُوا﴾ ما أصاب من مصيبة
بيان (ما) ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ كالجذب ﴿وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ كالمرض ﴿إِلَّا﴾ وهو مقدر ﴿فِي كِتَابٍ﴾ اللوح المحفوظ ﴿مَنْ
قَبْلَ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ أن توجد تلك المصيبة، فهي مقدرة سواء علمتم أم لا، وسواء كان الإنسان مؤمناً أم لا ﴿إِنْ ذَلِكَ﴾
الإصابة بالمصائب للناس ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ فليس تتوقف المصائب على الإنفاق والمسارة والجهاد وما أشبه.

[٢٣] ﴿اعْلَمُوا أَنَّ الْمَصَائِبَ ثَابِتَةٌ مَقْدَرَةٌ﴾ لكي لا تأسوا ﴿تَحْزَنُوا﴾ على ما فاتكم ﴿مِنَ النَّعِيمِ الدُّنْيَوِيِّ﴾ ولا تفرحوا بما
آتاكم ﴿مِنَ نَعِيمِ الدُّنْيَا﴾، لأن المصيبة لها أجر، والنعمة قد تجر الإنسان إلى العصيان فلا فرح منها، والمراد النهي عن
الجزع والبطر ﴿وَاللَّهُ لَا يَحِبُّ كُلَّ مَخْتَالٍ﴾ متكبر ﴿فَخُورٌ﴾ يفتخر على الناس والمراد من أبطرته النعمة.

[٢٤] ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ﴾ فإن الذي يخال بالمال يبخل به غالباً ﴿وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبَخْلِ﴾ فإن النفس تنضح بما فيها ﴿وَمَنْ
يَتَوَلَّى يَعْزِضْ﴾ عما يجب عليه ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ فلا يحتاج إلى أموالكم، وإنما الإنفاق يعود إليكم ﴿الْحَمِيدُ﴾
المحمود في أفعاله.

[٢٥] ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بِالْأَدْلَةِ الْوَاضِحَاتِ
﴿وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ لِلنِّظَامِ ﴿وَالْمِيزَانَ﴾ آلَةَ الْوِزْنِ
لِلْعَدَالَةِ فِي الْمَعَامَلَاتِ ، وَإِنْزَالَ الْمِيزَانَ إِلْهَامَ النَّاسِ بِالْوِزْنِ
﴿لِيُقِيمُوا النَّاسَ بِالْقِسْطِ﴾ بِالْعَدْلِ ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ لِدَفْعِ
شُرِّ الْمُعْتَدِي الَّذِي يَخَالِفُ النَّظَامَ وَالْمِيزَانَ ، وَإِنْزَالَهُ تَقْدِيرَهُ
مِنَ السَّمَاءِ أَوْ خَلْقَهُ ﴿فِيهِ بَأْسٌ﴾ لِلْحَرْبِ ﴿شَدِيدٌ﴾ قَوِيٌّ
﴿وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾ فِي صَنَائِعِهِمْ وَحَاجَاتِهِمْ ﴿وَوُضِعَ﴾ أُنْزِلَ
﴿لِيُعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ فِي الْحَرْبِ ﴿وَمَنْ يَنْصُرُ﴾ يَرْسُلُهُ
بِأَلَاتِ الْمُحَارَبَةِ ﴿بِالْغَيْبِ﴾ أَيُّ فِي حَالِ كَوْنِ اللَّهِ غَائِبًا عَنْ
حَوَاسِّ الَّذِي يَنْصُرُهُ ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ﴾ عَلَى مَا يَرِيدُ ﴿عَزِيزٌ﴾
لَا يَغَالِبُ .

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ
وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ
بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَصْهُورُ وُودُّهُ
بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٥٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ
وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُّهُتَدٍ
وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فُتِسِفُونَ ﴿٥٧﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِم
بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ
وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَهَبْنَا لَهُ
أَبْدَعُوهَا مَا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا
رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُم
وَكَبِيرٌ مِنْهُمْ فَفَسِقُونَ ﴿٥٨﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ
وَأَمُوا بِرُسُلِهِ يُؤْتِكُمْ كَفْلًا مِّن رَّحْمَتِهِ وَجَعَلَ لَكُم
نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَبَعَثْنَا لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٩﴾ لَّا يَعْزِمُ
أَهْلَ الْكِتَابِ أَن يَفْقَدُوا عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ
الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٦٠﴾

[٢٧] ﴿ثُمَّ قَفِينَا﴾ أتبنا **﴿عَلَى آثَارِهِمْ﴾** بعد أولئك الرسل أي نوح وإبراهيم **﴿وَعَلَّامًا﴾** ومن في طبقتهم **﴿بِرَسُولِنَا﴾** الكثيرة **﴿وَقَفِينَا﴾** أولئك الرسل - والمراد رسل بني إسرائيل - **﴿بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ﴾** أعطيناه **﴿الْإِنْجِيلَ﴾** وجعلناه في قلوب الذين اتبعوه **﴿تِلْكَ آيَاتُنَا﴾** وأما **﴿وَرَحْمَةً﴾** **﴿مَا كُنَّا نَبْنَاهَا﴾** تلك الرهبانية **﴿عَلَيْهِمْ إِلَّا﴾** استثناء منقطع، أن ذلك كان تطبيقاً للكلية على المصادق، كمن يتكشف في الفرد **﴿فَذَ﴾** بعد ذلك أخلافهم **﴿مَا رَعَوْهَا﴾** أي الرهبانية أوامر الله، بل كفروا بالله بأن اتخذوا آلهة ثلاثة وكفروا **﴿ن﴾** خارجون عن طاعة الله .

[٢٨] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالرسول السابقة ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾ خافوه فيما نهاكم عنه ﴿وَأَمِنُوا بِرَسُولِهِ﴾ محمد ﷺ ﴿يُؤْتِكُمْ كَفْلَيْنِ﴾ نصيبين ﴿مَنْ رَحِمْتَهُ﴾ لإيمانكم بمن تقدم وإيمانكم بمحمد ﷺ ﴿وَيُجْعَلْ لَكُمْ نُورًا﴾ هي الشريعة التي تنير طريق الحياة ﴿تَمْشُونَ بِهِ﴾ في الناس سالكين طرق السعادة ﴿وَيُغْفَرْ لَكُمْ﴾ ذنوبكم ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ لذنوبكم ﴿رَحِيمٌ﴾ بكم.

﴿٢٩﴾ «لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله» أي إنا أرسلنا الرسول ﷺ ليعلم أهل الكتاب أنهم قادرون على نيل فضل الله بأن يدخلوا في الإسلام فينالوا فضل الله، فإن أهل الكتاب كانوا يعلمون بانحرافهم ولا يقدرون على تغيير ذلك ونجاة أنفسهم «وأن» إنما «الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم» فيفضل بما يشاء لمن يشاء، وقيل في الآية معنى آخر.

٥٨: سورة المجادلة

مدنية آياتها إثنان وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

سُورَةُ الْمَجَادِلَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ
وَاللَّهُ يَسْمَعُ خَوَرُكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِينَ يَظْهَرُونَ
مِنْكُمْ مَنْ يَسَابِقُهُمَا هَاتِ هَاتِ أَمْهَاتُهُمْ إِنْ أَمْهَاتُهُمْ إِلَّا الَّتِي
وَلَدْنَاهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ
اللَّهَ لَعَفْوٌ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ يَظْهَرُونَ مِنْ يَسَابِقِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ
لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتِمَّ أَتَادُ لَكُمْ تَوْعَظُونَ
بِهِ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ
مُتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتِمَّ أَتَا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَاطْعَامَ سِتِّينَ
مِسْكِيًا ذَلِكَ لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ
وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُنُوا
كَامَكْتُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ يَبْذُرُونَ وَلِلْكَافِرِينَ
عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا
عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾

[١] ﴿قد سمع الله قول﴾ المرأة ﴿التي تجادل﴾ تتكلم معك يا رسول الله ﴿في زوجها﴾ فإن أوس بن الصامت ظاهر من زوجته خولة فجاءت المرأة إلى النبي ﷺ تستفتيه في جواز رجوعه إليها ﴿وتشتكي﴾ الزوجة ﴿إلى الله﴾ شدة حالها ﴿والله يسمع تحاوركما﴾ أنت والزوجة، أي تراجعكما في الكلام حيث هي كانت تصر على إجازة النبي ﷺ برجوعها إلى زوجها والنبي ﷺ ما كان يأذن لها ﴿إن الله سميع﴾ للكلام ﴿بصير﴾ بالحال.

[٢] ﴿الذين يظاهرون منكم﴾ أيها الرجال ﴿من نسايتهم﴾ بأن يقول لزوجته (أنت علي كظهر أمي) وهذا كان نوع طلاقها في الجاهلية ﴿ما من﴾ النساء ﴿أمهاتهم﴾ على الحقيقة ﴿إن﴾ ما ﴿أمهاتهم﴾ إلا اللاتي ﴿النساء اللاتي ولدنهم﴾ فلا تحرم إلا الأم الحقيقية والمرضعة ﴿وإنهم ليقولون منكرًا من القول﴾ ينكره الشرع ﴿وزورًا﴾ كذبًا ﴿وإن الله لعفو﴾ يعفو عن تاب ﴿غفور﴾ يستر ذنبه.

[٣] ﴿والذين يظاهرون من نسايتهم ثم يعودون لما قالوا﴾ بأن أراد الرجل وطئ زوجته ﴿فتحرير رقبة﴾ فعليهم إعتاق رقبة ﴿من قبل أن يتماسا﴾ يجامعا بالوطء ﴿ذلكم﴾ الإعتاق قبل المس ﴿توعظون به﴾ لئلا تفعلوا الحرام ﴿والله بما تعملون خبير﴾ فيجازيكم عليه.

[٤] ﴿فمن لم يجد﴾ رقبة ﴿فد﴾ عليه ﴿صيام شهرين متتابعين﴾ أحدهما عقب الآخر ﴿من قبل أن يتماسا﴾ يجامعا ﴿فمن لم يستطع﴾ الصيام ﴿فإطعام ستين مسكينًا﴾ لكل مسكين مد من الطعام ﴿ذلك﴾ فرض عليكم كفارة للظهار ﴿لتؤمنوا بالله ورسوله﴾ أي تديموا الإيمان فإن العمل بالأحكام توجب إدامة الإيمان ﴿وتلك﴾ الأحكام المذكورة ﴿حدود الله﴾ فلا تخالفوها ﴿وللکافرين﴾ بأحكام الله ﴿عذاب أليم﴾ مؤلم.

[٥] ﴿إن الذين يحادون الله ورسوله﴾ يخالفونهما ﴿كتبوا﴾ أذلوا ﴿كما كبت الذين من قبلهم﴾ فيمن حاذ الأنبياء ﷺ ﴿وقد أنزلنا آيات بينات﴾ دالات على صدق ﴿وللکافرين﴾ بالآيات ﴿عذاب مهين﴾ يذلهم.

[٦] ذلك العذاب في ﴿يوم﴾ وهو يوم القيامة ﴿يبعثهم﴾ أي المحادين ﴿الله جميعاً فينبئهم﴾ يخبرهم ﴿بما عملوا﴾ لأجل أن يجازيهم ﴿أحصاه الله﴾ علمه وكتبه كاملاً ﴿ونسوه﴾ لكثرتهم وعدم اهتمامهم به ﴿والله على كل شيء شهيد﴾ حاضر لا يغيب عنه شيء.

[١٢] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُنُودِكُمْ صَدَقَةً ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾^(١٢) ثم رُفِعَ الحكم لأنه كان امتحانياً ﴿ذَٰلِكَ﴾ تقديم الصدقة ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ لأنه يوجب الثواب ﴿وَأَطْهَرُ﴾ لأنه يوجب توقيف الرسول ﷺ وطهارة أنفسكم من البخل ﴿فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا﴾ ما تتصدقون به فناجيتكم بدون صدقة ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لمن تاب إذا خالف ﴿رحيم﴾ يرحمكم.

[١٣] ﴿الْأَشْفَقْتُمْ﴾ خفتكم ﴿أَنْ تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ﴾ بأن بخلتم بذلك خوفاً من نقص أموالكم ﴿فَإِذَا لَمْ تَفْعَلُوا﴾ التصديق ﴿وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ لما أظهرتم البخل ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ فلا تفرطوا في هذه الأحكام وقد وضع عنكم إعطاء الصدقة قبل النجوى ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم عليه.

[١٤] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ﴾ وهم المنافقون ﴿تَوَلَّوْا بِالْمَحَبَةِ وَإِطَاعَةِ الْأَمْرِ﴾ قوماً غضب الله عليهم ﴿وهم اليهود﴾ ما هم ﴿ليس هؤلاء المتولون﴾ منكم ﴿أيها المؤمنون﴾ ولا منهم ﴿ولا من اليهود﴾ لأنهم منافقون ﴿ويحلفون على الكذب﴾ بأنهم مؤمنون ﴿وهم يعلمون﴾ أنهم كاذبون.

[١٥] ﴿أَعِدَّ﴾ هيأ ﴿اللَّهُ﴾ في الآخرة ﴿لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من النفاق.

[١٦] ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ﴾ حلفهم بأنهم مؤمنون ﴿جَنَّةٍ﴾ وقاية لحفظ دمائهم وأموالهم ﴿فَصَدَّوْا﴾ منعوا الناس ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ لأن المنافق سذ أمام تقدم الإيمان ﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ مذل لهم.

[١٧] ﴿لَنْ تَغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ بأن تدفع عنهم بعض عذاب الله ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ الملازمون لها ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

[١٨] اذكر ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾ أي المنافقين ﴿جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ﴾ لله بأنهم كانوا مؤمنين ﴿كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ في الدنيا ﴿وَيُحْسِبُونَ﴾ يظنون ﴿أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ﴾ من النفع هناك بحلفهم ﴿إِلَّا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ في حلفهم لله بأنهم كانوا مؤمنين.

[١٩] ﴿اسْتَحْذَرُوا﴾ استولى ﴿عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ﴾ فلا يذكرون الله كالناسي ﴿أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ﴾ جنوده ﴿إِلَّا إِنْ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ الذين فوّتوا على أنفسهم خير الدنيا وسعادة الآخرة.

[٢٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ﴾ يخالفونه، وهم المنافقون ﴿وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ فِي﴾ جملة ﴿الْأَذْلِينَ﴾ لأن العزة للمؤمنين.

[٢١] ﴿كُتِبَ لِلَّهِ﴾ قرّر وقضى ﴿لَا غَلْبَ لَنَا وَرُسُلِي﴾ غلبة في الدنيا والآخرة ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ﴾ على ما يريد ﴿عَزِيزٌ﴾ سلطانه.

يَتَأْتِيهِ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُنُودِكُمْ صَدَقَةً ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ أَشْفَقْتُمْ أَنْ تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُنُودِكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذَا لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾ لَنْ تَغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَّا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٨﴾ اسْتَحْذَرُوا الشَّيْطَانُ فَانْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ فِي الْأَذْلَنِ ﴿٢٠﴾ كُتِبَ لِلَّهِ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾

[٢٢] ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ
يُبْغِضُونَ وَيُؤَادُّونَ مَنْ يُبْغِضُونَ﴾ خالفه ﴿ورسوله ولو
كانوا﴾ أي أولئك المحادون ﴿آباءهم أو أبناءهم أو
إخوانهم أو عشيرتهم أولئك﴾ الذين لم يوادوا ﴿كتب﴾
الله ﴿في قلوبهم الإيمان﴾ بلطفه ﴿وأيدهم﴾ قواهم
﴿بروح منه﴾ من قبله تعالى وهو روح الإيمان
﴿ويدخلهم﴾ في الآخرة ﴿جنات تجري من تحتها الأنهار
خالدين فيها رضي الله عنهم﴾ حيث آمنوا وعملوا صالحاً
﴿ورضوا عنه﴾ لأنه تعالى أثابهم بما أرضاهم ﴿أولئك
حزب الله﴾ جنده ﴿إلا إن حزب الله هم المفلحون﴾
الناجحون الفاتزون بالثواب.

٥٩: سورة الحشر

مدنية آياتها أربع وعشرون

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

[١] ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾
العزیز في سلطانه ﴿الحكيم﴾ في تدبيره.

[٢] ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ
يَهُودَ بَنِي النَّضِيرِ﴾ من ديارهم ﴿بلادهم﴾ ﴿لأول الحشر﴾
جمعهم للإخراج، فإنهم أول من أجلاهم الرسول ﷺ
لخياناتهم، ثم بعد ذلك أجلى قسماً آخر من اليهود عندما

خانوا بالعهد ﴿ما ظننتم﴾ أيها المؤمنون ﴿أن يخرجوا﴾ لما رأيتم من قوتهم ﴿وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم﴾ قلاعهم
﴿من﴾ بأس ﴿الله فاتاهم﴾ أمر ﴿الله من حيث لم يحتسبوا﴾ لم يظنوا حيث لم يخطر ببالهم أن الرسول ﷺ قادر على
إجلانهم ﴿وقذف﴾ ألقى الله ﴿في قلوبهم الرعب﴾ الخوف من المؤمنين ﴿يخربون بيوتهم بأيديهم﴾ حسداً حتى لا
يسكنها المسلمون ﴿وأيدي المؤمنين﴾ حيث أخذ المسلمون يخربون بيوتهم حتى لا يطمعوا في البقاء ﴿فاعتبروا﴾
بحالهم، حتى لا تخالفوا الرسول ﷺ ﴿يا أولي الأبصار﴾ يا أصحاب البصائر.

[٣] ﴿وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْحُكْمَ﴾ حكم ﴿عليهم﴾ على بني النضير ﴿الجللاء﴾ الخروج عن ديارهم ﴿لعذبهم في الدنيا﴾ بأن أمر
الرسول ﷺ بقتلهم ﴿ولهم في الآخرة﴾ مع الجللاء في الدنيا ﴿عذاب النار﴾.

لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ
حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ
أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ
الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي
 مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا
عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾

سُورَةُ الْحُشْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ
﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ
لأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرِجُوا وَظَنُّوا أَنَّهم مَانَعَتُهُمْ
حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَنذَهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ
فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ
فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴿١﴾ وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ
الْجَلَاءَ لَعَذَبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴿٢﴾

[٤] ﴿ذَلِكَ﴾ الذي فعلنا بهم ﴿ب﴾ سبب ﴿أنهم شاقوا﴾ خالفوا ﴿الله ورسوله ومن يشاق الله فإن الله شديد العقاب﴾ فيعاقبه .

[٥] ﴿ما قطعتم من لينة﴾ نخلة من نخيلهم ﴿أو تركتموها قائمة على أصولها﴾ بأن لم تقطعوها ﴿فياذن الله﴾ بأمره ، حيث أمكنكم منهم تفعلون ما تشاءون ﴿وليخزي﴾ ليزل ﴿الفاسقين﴾ أي اليهود حيث يرون أن المسلمين يتصرفون في بلادهم وأموالهم .

[٦] ﴿وما أفاء الله﴾ أرجع الله ، فإن الأرض لله وللرسول ﷺ أما الكفار فإنهم يتصرفون فيها غصباً فإذا أخذها الرسول ﷺ كان إرجاعاً من الله إليه ﴿على رسوله منهم﴾ من بني النضير ﴿فما أوجفت﴾ من الإيجاب وهو سرعة السير ، أي لم تفتحوها أنتم بالسير إليهم أيها المسلمون ﴿عليه من خيل﴾ من جهة ركوب الخيل ﴿ولا ركاب﴾ أي ركوب الإبل ، فهي إذا ليست لكم ﴿ولكن الله يسلط رسله على من يشاء﴾ من الكفار بقذف الرعب في قلوبهم ﴿والله على كل شيء قدير﴾ .

[٧] ﴿ما أفاء الله﴾ بيان للجملة السابقة ، وهذا هو المسمى في اصطلاح الفقهاء : بالفيء ﴿على رسوله من أهل القرى﴾ الكافرة بأن أخذها الرسول ﷺ بدون حرب ولا مشاركة المسلمين ﴿فلله وللرسول ولذي القربى﴾

أقرباء الرسول ﷺ ، أي الإمام ﷺ ﴿واليتامى والمساكين وابن السبيل﴾ من بني هاشم في هذه الطوائف الثلاث ، وإنما يقسم الفيء هكذا ﴿كيلاً﴾ ثلثا ﴿يكون﴾ الفيء ﴿دولة﴾ هي ما يتداوله القوم بينهم ﴿بين الأغنياء منكم﴾ يتداوله الرؤساء كما كانوا يفعلون في الجاهلية ، ولذا خصص بالنبي والإمام والمستحقين فقط ﴿وما آتاكم الرسول﴾ أعطاكم من الأحكام ﴿فخذوه﴾ اعملوا به ﴿وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ عنه ﴿واتقوا الله﴾ ولا تخالفوه ﴿إن الله شديد العقاب﴾ لمن عصاه ، وقد ورد أن الرسول ﷺ قسم حصّة من فيء بني النضير في فقراء المهاجرين .

[٨] وعليه فقوله ﴿للفقراء﴾ متعلق بمحذوف تقديره ، فلله وللرسول يضعه الرسول للفقراء ، وقيل غير ذلك ﴿المهاجرين﴾ من مكة إلى المدينة ﴿الذين أخرجوا من ديارهم﴾ مكة المكرمة ﴿وأموالهم يبتغون﴾ يطلبون بهجرتهم ﴿فضلاً من الله﴾ بأن يتفضل عليهم بالفران ﴿ورضواناً﴾ رضاه تعالى ﴿وينصرون الله﴾ دينه ﴿ورسوله أولئك هم الصادقون﴾ في إظهارهم الإيمان .

[٩] ﴿والذين تبوأوا﴾ جعلوا محلاً ومنزلاً ﴿الدار﴾ أي المدينة وهم الأنصار ﴿و﴾ قبلوا ﴿الإيمان﴾ بأن صاروا مؤمنين ﴿من قبلهم﴾ قبل أن يهاجر المهاجرون إلى المدينة ﴿يجبون من هاجر إليهم﴾ من أهل مكة ﴿ولا يجدون في صدورهم حاجة﴾ حسداً وغيظاً ﴿مما أوتوا﴾ أي مما أعطي المهاجرين من أموال بني النضير ، إذ النبي ﷺ قسم الأموال في المهاجرين ولم يعطها للأنصار ﴿ويؤثرون﴾ أولئك الأنصار ، أي يقدمون المهاجرين ﴿على أنفسهم﴾ فإنهم أنزلوا المهاجرين في منازلهم وواسوهم في أموالهم ﴿ولو كان بهم خصاصة﴾ فقر وحاجة ﴿ومن يوق﴾ يحفظ ﴿شع﴾ بخل نفسه فأولئك هم المفلحون ﴿الفائزون﴾ .

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١﴾ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمْوهَا قَائِمَةً عَلَى أَصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢﴾ وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَا كُنَ اللَّهُ يَسْلُطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣﴾ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كُنْ لَا يَكُنْ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤﴾ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوَفِّقْهُ اللَّهُ فَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٦﴾

[١٠] ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿١٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُوهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُؤْتُوا الْأَذْبَرُثَةَ لَا يَنْصُرُونَ ﴿١٢﴾ لَئِنْ أَشْدَّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنْ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يَقْدِرُونَ عَلَيْكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قَرْيَةٍ مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَادٍ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَذَلِكِ الَّذِينَ مِنْ قِبَلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَذَلِكِ الشَّيْطَانُ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾

وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُوهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُؤْتُوا الْأَذْبَرُثَةَ لَا يَنْصُرُونَ ﴿١٢﴾ لَئِنْ أَشْدَّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنْ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يَقْدِرُونَ عَلَيْكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قَرْيَةٍ مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَادٍ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَذَلِكِ الَّذِينَ مِنْ قِبَلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَذَلِكِ الشَّيْطَانُ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾

[١١] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا﴾ أظهرُوا الإيمان وأبطنوا الكفر كابن أبي وأضرابه ﴿يقولون لإخوانهم﴾ في الكفر ﴿الذين﴾ بدل (إخوانهم) ﴿كفروا من أهل الكتاب﴾ وهم بنو النضير ﴿لئن أخرجتم﴾ من وطنكم بإخراج النبي ﷺ ﴿لكم﴾ لنخرجكم معكم ﴿مواساة﴾ ولا نطيع فيكم ﴿في خذلانكم﴾ ﴿أحدًا﴾ كمحمد ﷺ ﴿أبدًا﴾ وإن قوتلتهم ﴿قاتلكم المسلمون﴾ لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون ﴿فيما يقولون﴾ فقد قال ابن أبي لبني النضير هذا الكلام تقوية لهم على مقابلة المسلمين، ثم حين قابلهم المسلمون وأخرجهم النبي ﷺ من قراهم ظهر كذب ابن أبي فإنه لم يساعدهم بشيء.

[١٢] ﴿لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم﴾ فرضاً ﴿ليولن الأديبار﴾ فراراً من الحرب ﴿ثم لا ينصرون﴾ أولئك المنافقون.

[١٣] ﴿لأنتم﴾ أيها المسلمون ﴿أشد رهبة﴾ مرهوبة

فيخافكم المنافقون ﴿في صدورهم من الله﴾ فإنهم لا يخافون الله وإنما يخافونكم ولذا ينافقون ﴿ذلك بأنهم قوم لا يفقهون﴾ لا يعلمون عظمة الله.

[١٤] ﴿لا يقاتلونكم﴾ أي اليهود ﴿جميعاً﴾ مجتمعين ﴿إلا في قري محصنة﴾ لها حصون وجدران قوية ﴿أو من وراء جدر﴾ حتى يقوا أنفسهم من بأسكم ﴿بأسهم بينهم شديد﴾ فإنهم شديدو الاختلاف فيما بينهم ﴿تحسبهم﴾ تظنهم أنهم ﴿جميعاً﴾ أي مجتمعين في الآراء ﴿وقلوبهم شتى﴾ متفرقة، لكل واحد آراء وأهواء ﴿ذلك بأنهم قوم لا يعقلون﴾ الرشد وإلا لاجتمعوا على الحق.

[١٥] مثلهم في سوء العاقبة ﴿كمثل الذين من قبلهم قريباً﴾ هم الكفار الذين اجتمعوا في بدر قبل غزوة بني النضير بزمان قريب فإن بينهما كان أقل من سنة ﴿ذاقوا وبال﴾ عقوبة ﴿أمرهم﴾ بقتل المسلمين إياهم وأسروهم ﴿ولهم عذاب أليم﴾ مؤلم في الآخرة.

[١٦] ومثل المنافقين ﴿كمثل الشيطان﴾ في أنه يغش الإنسان ثم يده، كما فعل ابن أبي بني النضير ﴿إذ قال للإنسان اكفر﴾ فإني معك ﴿فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين﴾ كما قال الشيطان ذلك لأهل بدر وكذلك يتبرأ من تابعيه في الآخرة.

[١٧] ﴿فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا﴾ الغار والمغرور ﴿أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ بالكفر وبالنفاق.

[١٨] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ ليوم القيامة بأن يراقب عمله حتى يكون قدم لآخرته أعمالاً صالحة ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم على أعمالكم.

[١٩] ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ﴾ تركوا أوامره كترك الناسي ﴿فَأَنسَاهُمْ﴾ الله ﴿أَنفُسَهُمْ﴾ فأهملوها من سعادتها ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ الخارجون عن طاعة الله.

[٢٠] ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ بشواب الله، وأصحاب النار هم المبتلون في العقاب الشديد.

[٢١] ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ﴾ فإن ذرات الكون كلها شاعرة، لكن يقسم آخر من الشعور لا مثل شعور الإنسان والحيوان ﴿لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً﴾ متشققاً ﴿مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ وهذا توبيخ للإنسان كيف لا يخشع للقرآن ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيتعظون، والمراد بتلك الأمثال، هذا المثل وغيره مما ذكر في القرآن.

[٢٢] ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ﴾ ما غاب عن الحواس ﴿وَالشَّهَادَةِ﴾ ما ظهر للحواس ﴿هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾.

[٢٣] ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ﴾ الحق ومن سواه من الملوك إنما هم ملوك بالمجاز ﴿الْقُدُّوسُ﴾ المنزه عما لا يليق به ﴿السَّلَامُ﴾ السالم من كل نقص ﴿الْمُؤْمِنُ﴾ معطي الأمن ﴿الْمُهَيْمِنُ﴾ المسيطر على كل شيء بالعلم والرقابة ﴿الْعَزِيزُ﴾ في سلطانه ﴿الْجَبَّارُ﴾ الذي يقهر الكون حسب إرادته ﴿الْمُتَكَبِّرُ﴾ ذو الكبرياء والعظمة ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ﴾ أنزهه تنزيهاً ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ معه فإنه لا شريك له.

[٢٤] ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ﴾ الموجد للكيفيات والخصوصيات، فمثلاً أن الله سبحانه يخلق خشبة، ثم يبورها بأن يعطيها كيفية القص من زوائدها ﴿الْمُصَوِّرُ﴾ ثم يعطيها صورة الباب - مثلاً - ﴿لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ الحسنة كالغفور والرازق والمحيي، وحسن الاسم باعتبار حسن المعنى الموجود في الله بذاته المدلول عليه بالاسم ﴿يَسْبِغُ﴾ ينزهه ﴿لَهُ﴾ تنزيهاً خاصاً به تعالى ﴿مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وهو العزيز الحكيم في تدبيره.

فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ
الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ
نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ
﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ
هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ
الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا
الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ
اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ
﴿٢١﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ
هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ
الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ
﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى
يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾

سُورَةُ الْحُشْرِ

٦٠: سورة الممتحنة

مدنية آیاتها ثلاث عشرة

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

[١] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فإنه لما أراد الرسول ﷺ فتح مكة أمر الناس بالكتمان لكن (الحاطب) خالف وكتب كتاباً إلى أهل مكة وقد عفا عنه الرسول ﷺ بعد أن أظهره الله على الكتاب، واسترجعه، فنزلت هذه السورة ﴿لَا تَتَخَدُّوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ﴾ كأهل مكة ﴿أُولِيَاءُ﴾ أصدقاء ﴿تَلْقَوْنَ إِلَيْهِم بِالْمُودَةِ﴾ أي تفضون إليهم بما يدل على حبكم لهم ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الرُّسُولِ﴾ أي كفروا وأخرجوا ﴿الرُّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾ من مكة ﴿أَنْ تَتَمَنَّوْا لَهُمُ الْخَيْرَ﴾ أي لأجل إيمانكم ﴿بِاللَّهِ رَبِّكُمْ﴾ من مكة ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ﴾ (لا تتخذوا) ﴿خُرُوجَهُمْ﴾ من مكة ﴿فَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِي﴾ لأجل الجهاد في سبيل الإسلام ﴿وَبِذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ﴾ طلب ﴿مَرْضَاتِي﴾ رضاي ﴿تَسْرُونَ﴾ بدل (تلقون) من السر - فإنه بعث الكتاب سرّاً - ﴿إِلَيْهِم بِالْمُودَةِ﴾ بالحب ﴿وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ﴾ فأجازيكم عليه ﴿وَمَنْ يَفْعَلْهُ﴾ اتخذ الكافرين أولياء ﴿مَنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾.

[٢] ﴿إِنْ يَشْقَوْكُمْ﴾ يظفر الكفار بكم ﴿يَكُونُوا لَكُمْ

أَعْدَاءُ﴾ فلا ينفعكم إلقاء المودة ﴿وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَالسُّنْتَهُمُ بِالسُّوءِ﴾ بما يسوءكم كالقتل والضرب والشتم ﴿وَيُودُوا﴾ تمنوا ﴿لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ بأن تردوا عن دينكم.

[٣] ﴿لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ﴾ قراياتكم ﴿وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ إن كفرتم، بل تبتلون بعذاب الله ﴿يُفَصِّلُ﴾ الله ﴿بَيْنَكُمْ﴾ فيثيب المحق ويعاقب المبطل ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيجازيكم على ما علمتم.

[٤] ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ بأن تقتدوا به ﴿وَبِالَّذِينَ آمَنُوا﴾ معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء ﴿مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي الأصنام ﴿كُفَرْنَا بِكُمْ﴾ بدينكم ﴿وَبَدَأَ﴾ ظهر ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾ البغض والحقد ﴿أَبَدًا حَتَّى تَوْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ دون شريك، فاللازم أن يقتدي المسلم بإبراهيم عليه السلام في أن يكون هكذا مع الكافرين ﴿إِلَّا﴾ أي تأسوا بإبراهيم عليه السلام ﴿فِي قَوْلِ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ﴾ أي لعنه آزر ﴿لَا تَسْجُدْ لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ فإنه كان قبل النهي عن الاستغفار للمشركين ﴿وَمَا أَمْلَكَ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ إذا أراد الله عقابك لا يمكنني دفع ذلك عنك ﴿رَبَّنَا﴾ مربوط بما قبل الاستثناء، أي قولوا أيها المؤمنون ﴿عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا﴾ اعتمادنا في أمرنا حتى لا يؤذينا المشركون ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ رجعنا عن ذنوبنا ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ نعتد بأن صيرورتنا إليك فتجازينا.

[٥] ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بأن تسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب أو بتشكيك ﴿وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ﴾ في سلطانك ﴿الْحَكِيمُ﴾ في تدبيرك.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تَلْقَوْنَ
إِلَيْهِم بِالْمُودَةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الرُّسُولِ
وَإِيَّاكُمْ أَنْ تَوْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ جِهَادِي فِي سَبِيلِي
وَأُبَيْعَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ
وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ۝ إِنْ
يَشْقَوْكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتُهُمْ
يَأْسُوءُ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ۝ إِنْ تَنْفَعُكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُفَصِّلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ قَدْ
كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ
إِنَّا بَرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كُفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَأَ بَيْنَنَا
وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ أَبَدًا حَتَّى تَوْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ۝ إِنْ
قَوْلِ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَسْتَ مَوْلَى لَكَ مِنَ اللَّهِ شَيْءٌ ۝
رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ۝ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا
فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝

[٦] ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أَصْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾
إبراهيم عليه السلام والمؤمنين معه ﴿أصوة حسنة لمن كان يرجو الله﴾ أي ثوابه ﴿وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ بأن يعتقد بالمعاد ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ يعرض فلا يتأسى بهم ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ لا يضره التولي ﴿الْحَمِيدُ﴾ المحمود في أفعاله .

[٧] ﴿عَسَىٰ﴾ لعل ﴿اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُمْ﴾ من الكفار ﴿مَوَدَّةً﴾ بأن يؤمنوا فيوادوكم ، لا أن تنافقوا فتوادوهم وهم كفار ﴿وَاللَّهُ قَدِيرٌ﴾ على أن يجعل بينكم مودة ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ لما سلف من ذنوبكم ﴿رَحِيمٌ﴾ بكم .

[٨] ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ مَوَادِّ الْكُفَرِ﴾ الذين لم يقاتلوكم في الدين ﴿لَاجِلُهُ﴾ ولم يخرجوكم من دياركم ﴿مِن بِلَادِكُمْ﴾ أن تبرؤهم ﴿بَدَلٌ مِّنَ الَّذِينَ﴾ أي لا ينهاكم الله عن برّهم والإحسان إليهم ﴿وَتَقَسَّطُوا﴾ تعدلوا بالنسبة ﴿إِلَيْهِمْ﴾ أيها المسلمون ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ العادلين .

[٩] ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ مَوَادِّ الْكُفَرِ﴾ الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا ﴿تَعَاوَنُوا﴾ على إخراجكم ﴿كَمَشْرِكِي مَكَّةَ﴾ أن تولوهم ﴿بَدَلٌ مِّنَ الَّذِينَ﴾ ومن يتولهم ﴿مِنْكُمْ﴾ فأولئك هم الظالمون ﴿لَا نَفْسَهُمْ﴾ .

[١٠] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ﴾ المظهرات للإيمان ﴿مُهَاجِرَاتُ﴾ من دار الكفر ﴿فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾ اختبروهن بما يدل على موافقة قلوبهن للسانهن بأن خرجوهن لأجل الإسلام لا لكره أزواجهن أو عشق أحد ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ﴾ باطناً وإنما عليكم الاختبار ﴿فَإِن عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٌ﴾ بأن ظهر لكم دليل أو حلفن على صدقهن في إرادة الإيمان ﴿فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَرِ﴾ أي أزواجهن ﴿لَا مِنْ حُلٍّ﴾ حلال ﴿لَهُنَّ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَأَتَوْهُنَّ﴾ أعطوا أزواجهن الكفار ﴿مَا أَنْفَقُوا﴾ عليهن من المهور ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ لا حرج ﴿أَن تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾ مهورهن ، بأن تجعلوا لهن مهراً ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكُوفَرِ﴾ جمع كافرة ، أي لا تبقوا على نكاح المرأة التي كفرت بعد إسلامها - والعصم جمع عصمة ، بمعنى ما اعتصمت به وهو العقد - بل فارقوها ﴿وَإِذَا تَحَقَّقتِ امْرَأَةٌ مِنَ الْكُفَرِ﴾ إذا التحقت امرأة بالكفار بأن كفرت ف ﴿اسْأَلُوا﴾ واطلبوا من الكفار ﴿مَا أَنْفَقْتُمْ﴾ عليها من المهر ﴿وَلْيَسْأَلُوا﴾ أي الكفار منكم ﴿مَا أَنْفَقُوا﴾ فيما إذا التحقت كافرة بكم بأن أسلمت فعليكم إعطاء مهور نسائهم المهاجرات ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور في الآية ﴿حَكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بما يقتضيه الصلاح ﴿حَكِيمٌ﴾ في أحكامه وتديبه .

[١١] ﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾ زوجاتكم و (من) بيان (شيء) ﴿إِلَى الْكُفَرِ﴾ بأن ارتدت امرأة مسلمة وذهبت إلى الكفار ﴿فَعَاقِبْتُمْ﴾ بأن أخذتم المرأة الكافرة التي أسلمت والتحقت بكم ﴿فَاتُوا﴾ أعطوا الكفار ﴿الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ﴾ بأن جاءت زوجاتهم إليكم ﴿مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا﴾ أي مهورهن ، فتدفعون مهر المسلمة المهاجرة عن زوجها الكافر ، إلى زوجها ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فلا تخالفوا أمره ﴿الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ .

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أَصْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ
وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ ۖ عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَجْعَلَ
بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُمْ مَوَدَّةً ۚ وَاللَّهُ قَدِيرٌ ۚ
وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ
إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُم فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُواكُمْ مِّن دِيَارِكُمْ وَلَمْ يُبَرِّئُوا لَكُمُ الدِّينَ ۚ فَالَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُواكُمْ مِّن دِيَارِكُمْ فَإِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتُ فَامْتَحِنُوهُنَّ ۚ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِن عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٌ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَرِ ۚ لَاهُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَهُنَّ أَتَوْهُنَّ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُم أَن تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكُوفَرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا ۚ ذَلِكُمْ حَكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۚ وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَرِ فَعَاقِبْتُمْ فَاتُوا ۚ الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ۚ

[١٢] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبِيَعُكَ﴾ يردن البيعة بهذه الصورة ﴿عَلَى أَنْ لَا يَشْرَكَنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا﴾ لا يجعلن شيئاً شريكاً لله سبحانه ﴿وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾ فإنه كان من عادة الجاهلية قتل البنت وقتل الولد خوف الفقر ﴿وَلَا يَأْتِينَنَّ بَهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلِهِمْ﴾ ولا يعصينك في معروف فيأيعهن واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾

يَسُبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقْتُلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَذَلِكَ بُدِّنَ مَرْصُوصٌ ﴿٤﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يُقَوْمُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٥﴾ تَزُودُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾

سُورَةُ الصَّفِّ

يَسُبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقْتُلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَذَلِكَ بُدِّنَ مَرْصُوصٌ ﴿٤﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يُقَوْمُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٥﴾ تَزُودُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾

٦١: سورة الصف

مدنية آياتها أربع عشرة

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

[١] ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ﴾ بلسان الحال أو بلسان المقال ﴿مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ في سلطانه ﴿الحكيم﴾ في تديره .

[٢] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ بأن تقولوا الخير ولا تعملون به .

[٣] ﴿كَبُرَ﴾ عظم ﴿مَقْتًا﴾ من حيث المقت ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي غضب الله عليكم ﴿أَنْ تَقُولُوا﴾ فاعل (كبر) ﴿مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ نزلت فيمن تحسروا عن فوتهم ثواب بدر وقالوا نحارب في المستقبل فلما جاءت غزوة أحد فزوا .

[٤] ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا﴾ مصطفين، فإنه أكثر رهبة في نفس العدو وقوة في نفس المحارب ﴿كَانَهُمْ بَنِيَانٌ﴾ بناء ﴿مَرْصُوصٌ﴾ ملصق بعضه ببعض في الشدة والمنعة .

[٥] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يُقَوْمُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ للتحقيق ﴿تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ فلما زاغوا مال قوم موسى ﷺ عن الحق بأن استمروا في إيذائه ﴿أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ بأن تركهم حتى زاغت قلوبهم ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ الخارجين عن طاعة الله عناداً، فإنه تعالى لا يلطف بهم الألفاظ الخفية، والإتيان بقصة موسى ﷺ لشباهتها بأذية بعض المسلمين لرسول الله ﷺ في فرارهم وبعض أعمالهم وأقوالهم .

[٦] «وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصداقاً لما بين يدي، لما تقدم ﴿من التوراة﴾ بيان لـ (ما) ﴿ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد﴾ رسولنا العظيم محمد ﷺ ﴿فلما جاءهم﴾ أي عيسى عليه السلام، أو أحمد ﷺ ﴿بالبينات﴾ بالأدلة الواضحة ﴿قالوا هذا الذي جئنا به من المعجزات﴾ سحر مبين واضح.

[٧] ﴿ومن أظلم﴾ أي لا أظلم منه ﴿ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام﴾ بأن قال إن لله شريكاً، أو إن رسوله كاذب، بأن جعل مكان الإجابة الافتراء ﴿والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ المعاندين فلا يطف بهم اللطف الخفية.

[٨] ﴿يريدون﴾ أي الكفار ﴿ليطفنوا نور الله﴾ الإسلام ﴿بأفواههم﴾ الطاعة في الإسلام ﴿والله متم نوره﴾ مظهره بإعلانه وتأييده ونشره ﴿ولو كره الكافرون﴾ إتمامه.

[٩] ﴿هو﴾ الله ﴿الذي أرسل رسوله بالهدى﴾ مع الدين الذي يهدي الناس ﴿ودين الحق﴾ عطف بيان لـ (الهدى) ﴿ليظهره﴾ يعليه ﴿على الدين كله﴾ أي كل الأديان، ويكون ذلك على نحوه الأتم في زمان الإمام المهدي (عج) ﴿ولو كره المشركون﴾ ظهوره.

[١٠] ﴿يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم﴾ أرشدكم ﴿على تجارة تنجيكم من عذاب أليم﴾ مؤلم وهو عذاب الآخرة.

[١١] ﴿تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم﴾ الإيمان والجهاد ﴿خير لكم﴾ في دنياكم وأخراكم ﴿إن كنتم تعلمون﴾ أي إن كنتم من أهل العلم لعلمتم أن ذلك خير لكم.

[١٢] ﴿فإن تفعلوا ذلك﴾ يغفر ﴿لكم ذنوبكم﴾ السابقة ﴿ويدخلكم جنات تجري من تحتها﴾ تحت أشجارها وتصورها ﴿الأنهار﴾ يدخلكم في ﴿مساكن طيبة﴾ حسنة مستلذة ﴿في جنات عدن﴾ إقامة، أي في جنة هي أبدية ﴿ذلك﴾ الغفران وإدخال الجنة ﴿الفوز العظيم﴾.

[١٣] ﴿و﴾ يعطيكم بالإضافة إلى تلك النعمة الآجلة نعمة ﴿أخرى﴾ عاجلة ﴿تحبونها﴾ أي تحبون أنتم هذه النعمة الأخرى وهي ﴿نصر من الله﴾ ينصركم على أعدائكم ﴿وافتح﴾ لبلادهم ﴿قريب﴾ فتح مكة أو مطلق الفتوحات ﴿وبشر المؤمنين﴾ بكل خير.

[١٤] ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله﴾ بنصرة دينه ﴿كما قال عيسى ابن مريم للحواريين﴾ تلاميذه الاثنا عشر ﴿من أنصاري﴾ ينصرنني متبهاً ﴿إلى الله﴾ ومعناه العمل بما يقول للفوز بثوابه تعالى ﴿قال الحواريون نحن أنصار الله﴾ فأخذوا يبلغون الناس الدين ﴿فأمنت طائفة من بني إسرائيل﴾ وصدقت بعيسى عليه السلام ﴿وكفرت طائفة﴾ فلم يؤمنوا ﴿فأيدنا﴾ نصرنا ﴿الذين آمنوا على عدوهم﴾ الكافرين ﴿فأصبحوا﴾ أي المؤمنون منهم ﴿ظاهرين﴾ غالبين على الكفار.

وإذ قال عيسى ابن مريم بنبي إسرائيل إني رسول الله إليكم مصداقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين ﴿٦﴾ ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام والله لا يهدي القوم الظالمين ﴿٧﴾ يريدون ليطفنوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون ﴿٨﴾ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴿٩﴾ يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ﴿١٠﴾ تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ﴿١١﴾ يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار وسكنن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم ﴿١٢﴾ وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين ﴿١٣﴾ يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين نحن أنصار الله قال الحواريون نحن أنصار الله فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا أولئك الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين ﴿١٤﴾

٦٢: سورة الجمعة

مدينة آياتها إحدى عشرة

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

[١] ﴿يسبح﴾ جاء هنا بالمضارع دلالة على المستقبل، وفي بعض السور بالماضي دلالة على الماضي ﴿لله ما في السماوات وما في الأرض الملك القدوس﴾ المنزه عن كل نقص ﴿العزیز﴾ في سلطانه ﴿الحکیم﴾ في تدبيره .

[٢] ﴿هُوَ﴾ الله ﴿الَّذِي بَعَثَ﴾ أَرْسَلَ ﴿فِي الْأُمِّيِّينَ﴾
 الْمُنْسَوِّبِينَ إِلَى أُمِّ الْقُرَى مَكَّةَ أَوْ مَنْسُوبٍ إِلَى الْأُمِّ لِأَنَّهُمْ مَا
 كَانُوا يَقْرَأُونَ وَلَا يَكْتُبُونَ ﴿رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ مِنْ جَنْسِهِمْ
 ﴿يَتْلُو﴾ يَقْرَأُ ﴿عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾ الْقُرْآنَ ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ يَطْهَرُهُمْ
 مِنَ الْكُفْرِ وَالْفُسْقِ ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾ الْقُرْآنَ
 ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ الشَّرِيعَةَ ﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ﴾ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُمْ
 ﴿فَلْيَضَلَّالٌ مُبِينٌ﴾ وَاضِحٌ .

[٣] ﴿وَأَخْرَيْنَا﴾ عطف على (الأمين) ﴿مِنْهُمْ﴾ أي من جنس هؤلاء في الكفر والضلال ﴿لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ بعد لم يَلْحَقُوا بِهِمْ في الإيمان، ويُنْتَظَرُ لِحُوقِهِمْ، والمراد بهم المؤمنون إلى يوم القيامة ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

[٤] ﴿ذلك﴾ الإرسال إلى الناس ﴿فضل الله يؤتيه من يشاء﴾ كما أعطاه للأمة الإسلامية دون الأمم السابقين

سُورَةُ الْحَجِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَسْبِغْ لَكُمْ فِي الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ أَلْيَافَ الْخَنَزِيرِ وَنَجَّسَهُمُ اللَّهُ بِبَوْلِهِمْ وَلِللَّهِ يَوْمَئِذٍ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِينَ رَسُولًا يُرْسِلُونِ عَلَيْهِمْ أَصْحَابُ أَيْدِيهِمْ رِعَازُهُمْ وَيَعْلَمُهُمُ الْكِتَابُ وَالْحِكْمَةُ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ نَفِيِّ صَالِحِ ثُبِينٍ ﴿٢﴾ وَعَآخِرِينَ مِنْهُمْ لِنَايِلِهِ حَقُّوهُمْ هُمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾ مَثَلُ الَّذِينَ خَسِرُوا النَّارَ ثُمَّ لَمْ يَحِيطُوا بِهَا كَمَثَلِ الْجِمَارِ تَتَحَرَّبُ فَأَسْفَارًا يَنْسُ مَثَلُ الْقَوْرِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادَوْا إِن زَعَمْتُ أَنْ أَنِي آتٍ بِاللَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَسْمَعُونَهُ أَبَدًا إِذَا قُدِّمَتْ إِلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مَلَأْنِيكُمْ فَمَنْزَعُكُمْ عَنْ تَرْكُوكِ إِلَىٰ عَلَى الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنشَأُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾

﴿والله ذو الفضل العظيم﴾ الذي يُستحق عند فضله كل فضل.

[٥] ﴿مِثْلَ الَّذِينَ حَمَلُوا الثَّوْرَةَ﴾ كَلَّفُوا حَمْلَهَا وَهُمْ لَا يَرْيَدُونَ الْحَمْلَ وَالْمَرَادُ كَلَّفُوا الْعَمَلَ بِهَا ﴿ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ تَرَكَوْا الْعَمَلَ بِهَا - وَهُمْ الْيَهُودُ - ﴿كَمِثْلَ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ كِتَابًا مِنَ الْعِلْمِ يَتَّبِعُ مِنْ حَمْلِهَا وَلَا يَنْتَفِعُ بِهَا ﴿بِئْسَ الْمِثْلَ بِالْحِمَارِ﴾ مِثْلَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ بِأَدَلَّتِهِ، وَهُمْ الْيَهُودُ الَّذِينَ كَذَبُوا بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ عَنَادًا، فَإِنَّهُ تَعَالَى لَا يُلَظِّفُ بِهِمُ الْأَلْطَافَ الْخَفِيَّةَ.

[٦] ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا﴾ أظهرها اليهودية ﴿إِنْ زَعَمْتُمْ أَنْكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ﴾ إذ كانوا يقولون نحن أجباء الله، دون سوانا ﴿فَتَمْنُوا﴾ اطلبوا من الله ﴿الْمَوْتَ﴾ بنقلكم من دار البلية إلى دار الكرامة ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في زعمكم .

[٧] ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَ أَبَدًا بِمَا قَدِمْت أَيْدِيهِمْ﴾ أي بسبب ما قدموا إلى آخرتهم من الكفر والمعاصي ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ فيجازيهم على ظلمهم.

[٨] ﴿قُلْ إِنْ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُونَ مِنْهُ﴾ بإعداد الوسائل لامتداد حياتكم خوفاً من الآخرة ﴿فَإِنَّهُ مَلَائِكُمْ﴾ تلفونه لا محالة ﴿ثُمَّ﴾ بعد الموت ﴿تَرُدُّونَ﴾ ترجعون ﴿إِلَى عَالَمِ الْغَيْبِ﴾ ما غاب عن الحواس ﴿وَالشَّهَادَةِ﴾ ما ظهر للحواس ﴿فَبِئْسَ ثَمًّا﴾ يخبركم لأجل أن يجازيكم ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

[٩] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ إلى ذكر الله ﴿وَتَرَكُوا الْبَيْعَ﴾ تركوا البيع ذلكم السعي إلى الذكر وترك البيع ﴿خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي إن كنتم من أهل العلم لعلمتم إن ذلك خير لكم.

[١٠] ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَارْجِعْ إِلَىٰ أَهْلِكُمْ﴾ فانتشروا في الأرض إباحة بعد حظر، كل يذهب إلى محل عمله ﴿وَابْتَغُوا فِيهَا مَنَافِعَ اللَّهِ﴾ من فضل الله، بالتجارة والاكسباف ﴿وَاذْكُرُوا لِلَّهِ كَثِيرًا﴾ لثلا تشغلكم الدنيا ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾ تفوزون بثوابه.

[١١] ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا﴾ أي الذين حضروا لصلاة الجمعة تجارة كسباً أو لهواً ما يلهي كالطبل والغناء ﴿انْفَضُّوا﴾ تفرقوا مسرعين إليها إلى تلك التجارة أو اللهو وتركوك يا رسول الله ﷺ قائماً واقفاً تخطب، فقد كان النبي ﷺ يخطب للجمعة إذ جاءت قافلة تجارية إلى المدينة فضربت الطبول للإعلام كما كانت عادتهم فخرج الحاضرون إلا جماعة منهم، وتركوا النبي ﷺ، فنزلت الآية موبخة لهم ﴿قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ من الثواب خير من اللهو لعدم نفعه ﴿وَمِنَ التِّجَارَةِ﴾ لأن نفعها زائل ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ فتوكلوا عليه يرزقكم ولا تحرصوا على تحصيل الرزق بترك الواجبات.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٠﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا فَلْيَذْهَبُوا بِهَا مَنَافِعَ اللَّهِ وَلْيُتْرَكُوا لَهَا قَلِيلًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١٢﴾

سورة المنافقون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا أَتَشْهَدُ أَنَّ لِرَسُولِ اللَّهِ وَبِاللَّهِ يَعْلَمُ إِنَّكَ لِرَسُولِ اللَّهِ وَشَهِدْتَ أَنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَذِبُونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ تَعْجَبُ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسْنَدَةٌ يُحَسِّنُونَ كُلَّ صَیْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قُلْ لَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾

٦٣: سورة (المنافقون)

مدنية آياتها إحدى عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

[١] ﴿إِذَا جَاءَكَ﴾ يا رسول الله ﴿الْمُنَافِقُونَ﴾ والمراد به عبد الله بن أبي ﴿قَالُوا﴾ نفاقاً ﴿تَشْهَدُ إِنَّكَ لِرَسُولِ اللَّهِ وَبِاللَّهِ يَعْلَمُ إِنَّكَ لِرَسُولِهِ﴾ حقيقة ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ في قولهم (تشهد) إذ يخالف قلبهم لسانهم.

[٢] ﴿اتَّخَذُوا﴾ أخذ المنافقون ﴿أَيْمَانَهُمْ﴾ حلفهم ﴿جُنَّةً﴾ وقاية لحفظ مالهم ودمهم ﴿فَصَدُّوا﴾ الناس ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ منعهم عن الإيمان ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي ساء العمل عملهم.

[٣] ﴿ذَلِكَ﴾ العمل السيئ إنما صدر منهم ﴿بِ﴾ سبب ﴿أَنَّهُمْ آمَنُوا﴾ ظاهراً ﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾ باستمرارهم في النفاق، أو المراد آمنوا حقيقة ثم لما رأوا أن الإيمان لا يوافق شهواتهم كفروا ﴿فَطُبِعَ﴾ طبع الله ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ تمكن الكفر منهم حتى صار كالختم على قلوبهم ﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ لا يفهمون الحق.

[٤] ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ تَعْجَبُ أَجْسَامُهُمْ﴾ بحسن منظرهم ﴿وَإِنْ يَقُولُوا﴾ يتكلموا ﴿تَسْمَعُ﴾ تصنع ﴿لِقَوْلِهِمْ﴾ لحسن منطقهم ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ﴾ جمع خشبة ﴿مُسْنَدَةٌ﴾ أسندت إلى الحائط، لها ظاهر جميل لكنها فارغة لا تتمكن من القيام بنفسها، فهم أشباح خالية عن العلم والإيمان ﴿يُحَسِّنُونَ كُلَّ صَیْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ لجبنهم وحب أنفسهم فإذا حدثت صيحة في العسكر أو ما أشبه حسبوها أنها تقع عليهم وأن وبالها عائدة نحوهم فيخافون ويرتجفون، وهذا شأن المنافق دائماً ﴿هُمُ الْعَدُوُّ﴾ الحقيقي إذ الكافر يتمكن الإنسان من اجتنابه أما المنافق فيضرب ولا يمكن عادة التجنب من آثاره السيئة ﴿فَاحْذَرْهُمْ قَاتِلْهُمْ﴾ الله ﴿دَعَا عَلَيْهِمُ بِالْهَلَاكِ﴾ أنى إلى أين وكيف ﴿يُؤْفَكُونَ﴾ يُصرفون عن الحق.

[٥] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ للمنافقين ﴿تَعَالُوا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ﴾ رسول الله لَوْوَا رؤوسهم ﴿أَكْثَرُوا تَحْرِيكَهَا اسْتَهْزَاءً﴾ ورأيتهم يصدون وهم مُستَكبرون ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾ مستكبرون ﴿يَتَكَبَّرُونَ﴾ عن الإتيان إلى الرسول ﷺ ، فإنه ﷺ عند رجوعه من حرب بني المصطلق كان في منزل إذ تنازع أنصاري ومهاجري على الماء فقال ابن أبي: عند رجوعنا إلى المدينة نخرج الرسول والمهاجرين وتكلم بكلام سيئ، فأتى زيد إلى رسول الله ﷺ وأخبره بالخبر، ولما سمع القوم قالوا لابن أبي اذهب إلى الرسول ﷺ واعتذر منه لكنه أبى وأخيراً اضطر إلى أن يأتي ويطلب من الرسول ﷺ العذر وأنكر القصة، فنزلت السورة مصدقة لما قاله زيد.

[٦] ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾ على المنافقين ﴿أَسْتَغْفِرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ لإصرارهم على النفاق ﴿إِنْ﴾ الله لا يهدي القوم الفاسقين ﴿لَا يُلَظْفُ بِالْخَارِجِ عَنْ﴾ أحكام الله عناداً.

[٧] ﴿هُمْ﴾ المنافقون ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ لإخوانهم ﴿لَا تَنَفَّقُوا عَلَىٰ مِنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ أي على فقراء المهاجرين ﴿حَتَّىٰ يَنْفَضُوا﴾ يفرقوا من حول الرسول ﷺ ﴿وَلِلَّهِ﴾ خزائن السماوات والأرض ﴿كَالْمَطَرِ مِنْ خَزِينَةِ السَّمَاءِ﴾ والنبات من خزينة الأرض، فالرزق بيده تعالى لا بأيديهم

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالُوا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفِرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تَنْفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُوا وَاللَّهُ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿يَقُولُونَ لِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلُّ وَاللَّهُ الْعَزِيزُ الرَّسُولُ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿وَأَنْفَقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاهُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقْتُ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾

سُورَةُ النَّجْمِ

﴿ولكن المنافقين لا يفقهون﴾ لا يفهمون ذلك بل يزعمون أن الرزق بيد الناس.

[٨] ﴿يقولون لنن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز﴾ ويقصدون بالأعز المنافقين أنفسهم ﴿منها﴾ من المدينة ﴿الأذل﴾ قاصدين بالأذل الرسول ﷺ وأصحابه المهاجرين ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون﴾ بل يزعمون أن العزة لهم.

[٩] ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم﴾ لا تشغلكم ﴿أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله﴾ الصلاة وغيرها ﴿ومن يفعل ذلك﴾ بأن اشتغل بماله وولده وترك ذكر الله ﴿فأولئك هم الخاسرون﴾ الذين خسروا ثواب الله تعالى.

[١٠] ﴿وأنفقوا من ما رزقناكم﴾ بعض ما رزقناكم ﴿من قبل أن يأتي أحدكم الموت﴾ ﴿فد﴾ لما يأتي ﴿يقول رب لولا﴾ هلاً ﴿أخترتني إلى أجل قريب﴾ زماناً قليلاً ﴿فأصدق﴾ أتصدق بمالي ﴿وأكن من الصالحين﴾ في أعمالي.

[١١] ﴿ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها﴾ منتهى عمرها ﴿والله خير بما تعملون﴾ فيجازيكم عليه.

٦٤: سورة التغابن

مدنية آياتها ثمانى عشرة

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

[١] ﴿يَسِجُ لِّلّٰهِ مَا فِى السَّمٰوٰتِ وَمَا فِى الْاَرْضِ لَهٗ الْمَلَكُ وَلَهٗ الْحَمْدُ وَلَهٗ الْحَمْدُ﴾ لأنه المتفضل بكل شيء ﴿وهو على كل شيء من إيجاد وإعدام ﴿قدير﴾﴾.

[٢] ﴿هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن والله بما تعملون بصير﴾ فيجازيكم حسب عقائدكم وأعمالكم.

[٣] ﴿خلق السماوات والأرض بالحق﴾ بالحكمة لا لأجل اللبؤ ﴿وصوركم فأحسن صوركم﴾ فإن صورة الإنسان جميلة جداً ﴿والله﴾ إلى جزائه ﴿المصير﴾ منتهى كل إنسان.

[٤] ﴿يعلم ما فى السماوات والأرض ويعلم ما تسرون﴾ تخفون من الأعمال والأقوال ﴿وما تعلنون﴾ تظهرون ﴿والله عليم بذات الصدور﴾ بمضمورات القلوب الموجودة في الصدور.

[٥] ﴿ألم بأنكم﴾ أيها الكفار ﴿نبا﴾ خبر ﴿الذين كفروا من قبل﴾ كقوم نوح وصالح وشعيب ولوط وغيرهم ﴿فذاقوا وبال أمرهم﴾ عاقبة أمورهم السيئة ﴿ولهم عذاب﴾ في الآخرة ﴿اليم﴾ مؤلم.

[٦] ﴿ذلك﴾ الوبال والعذاب ﴿ب﴾ سبب ﴿أنه﴾ كفروا بعد إتمام الحجة ﴿كانت تأتيتهم رسلهم بالبينات﴾ الحجج الواضحات ﴿فقالوا أبشر﴾ يقع على الواحد والجمع ﴿يهدوننا﴾ أي كيف يكون البشر رسولاً ﴿فكفروا وتولوا﴾ أعرضوا عن اتباع الرسل ﴿واستغنى الله﴾ أظهر غناه عن إيمانهم وطاعتهم ﴿والله غني حميد﴾ محمود في أفعاله.

[٧] ﴿زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا﴾ في الآخرة ﴿قل بلى وربى﴾ قسماً بربى ﴿لنبعثن ثم لننبن﴾ نخبرن لأجل الجزاء ﴿بما عملتم وذلك﴾ البعث ﴿على الله يسير﴾.

[٨] ﴿فآمنوا بالله ورسوله والنور﴾ القرآن ﴿الذي أنزلنا والله بما تعملون خبير﴾ فيجازيكم عليه.

[٩] ﴿يوم﴾ إن البعث والإخبار والجزاء هو في يوم ﴿يجمعكم ليوم الجمع﴾ من أسماء القيامة لاجتماع الناس فيه ﴿ذلك يوم التغابن﴾ يأخذ فيه أهل الجنة منازل أهل النار، إذ يننى لكل إنسان منزلان: في الجنة و النار، فيأخذ أهل الجنة منازل أهل النار، وبالعكس، فالتفاعل إنما هو من باب المزوجة، إذ لا غبن في طرف أهل الجنة ﴿ومن يؤمن بالله ويعمل﴾ عملاً ﴿صالحاً يكفر﴾ يغفر ﴿عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها﴾ تحت أشجارها وقصورها ﴿الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك﴾ دخول الجنة ﴿الفوز﴾ الوصول إلى المطلوب ﴿العظيم﴾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَسِجُ لِّلّٰهِ مَا فِى السَّمٰوٰتِ وَمَا فِى الْاَرْضِ لَهٗ الْمَلَكُ وَلَهٗ الْحَمْدُ
وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ فَنُكِرْكُمُ كَافِرٌ
وَمِنْكُمْ مُّؤْمِنٌ وَاللّٰهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمٰوٰتِ
وَالْاَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَاَحْسَنَ صُوْرَكُمْ وَاللّٰهُ الْمَصِيْرُ ﴿٣﴾
يَعْلَمُ مَا فِى السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّوْنَ وَمَا تُعْلِنُوْنَ وَاللّٰهُ
عَلِيْمٌ بِذٰتِ الصُّدُوْرِ ﴿٤﴾ اَلَمْ يَكُنْ نُبُوًّا الَّذِيْنَ كَفَرُوْا مِنْ قَبْلُ
فَذٰقُوْا وَاَلْ اَمْرُ يَوْمَ لَمْ يَكُنْ عَذَابٌ اَلِيْمٌ ﴿٥﴾ ذٰلِكَ بِاَنَّهُمْ كَانَتْ تَاْتِيْهِمْ
رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنٰتِ فَقَالُوْا اَبَشِرْ هٰذَا نَتَّكِفُكُمْ وَنَاْتِكُمْ وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنٰى
اَللّٰهُ وَاللّٰهُ غَنِىٌّ حَمِيْدٌ ﴿٦﴾ زَعَمَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا اَنْ لَّنْ يَّعْمُرُوْا قُلُوْبًا وَّرَبِّىْ
لَنُبْعَثَنَّهُمْ لِنُبَيِّنَ لِمَا عَمِلْتُمْ وَذٰلِكَ عَلَى اللّٰهِ يَسِيْرٌ ﴿٧﴾ فَاٰمَنُوْا بِاللّٰهِ
وَرُسُوْلِهِ وَالنُّوْرَ الَّذِىْ اَنْزَلْنَا وَاللّٰهُ يَمَّا تَعْمَلُوْنَ خَبِيْرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ
يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذٰلِكَ يَوْمُ الْتَغٰبِنِ وَمَنْ يُّؤْمِنْ بِاللّٰهِ وَيَعْمَلْ
صٰلِحًا يَّكْفُرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهٖ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِىْ مِنْ تَحْتِهَا
الْاَنْهَارُ خٰلِدِيْنَ فِيْهَا اَبَدًا ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيْمُ ﴿٩﴾

[١٠] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبَشَ الْمَصِيرُ﴾ أي المرجع .

[١١] ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ فإنها إن كانت من الله فواضح وإن كانت من غيره كالقتل فإن الله يخلي بين الإنسان وبين وصول المصيبة إليه حيث خلق الإنسان حراً مختاراً . ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾ يشبهه على الصبر ، لأنه يعلم أنها بعين الله وأنه يشبهه عليها ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ فيجازيكم بأعمالكم .

[١٢] ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَاطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أعرضتم عن الإطاعة ﴿فإنما على رسولنا البلاغ﴾ التبليغ ﴿الْمُبِينِ﴾ الظاهر ، ولا يضر التولي إلا أنفسكم .

[١٣] ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَى اللَّهِ فليتوكل المؤمنون﴾ يكلوا أمورهم إليه .

[١٤] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ﴾ أي بعضهم ﴿عُدُوًّا لَكُمْ﴾ يحملونكم على عصيان الله ﴿فاحذروهم﴾ خافوا منهم حتى لا يخذعوكم ﴿وإن تعفوا﴾ عنهم بترك عقابهم ﴿وتصفحوا﴾ بترك توبيخهم ﴿وتغفروا﴾ لهم ما فرط منهم مما جاز غفرانه ﴿فإن الله غفورٌ رحيمٌ﴾ بهم .

[١٥] ﴿إنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾ امتحان لكم هل تعملون فيهما حسب أمر الله أم لا ﴿والله عنده أجر

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبَشَ الْمَصِيرُ ﴿١٠﴾ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَاطِيعُوا اللَّهَ وَاطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٢﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فليتوكل الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عُدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَإِنَّمَا اللَّهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمَعُوا وَاطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لَّأَنفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تَقْرَضُوا أَثْلَهُ قَرْضًا حَسَنًا يَضَعْفُهُ لَكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَلَيْهِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾

سُورَةُ التَّغَابُنِ

عظيم﴾ فلا يسب المال والولد فوات ذلك الأجر .

[١٦] ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ بقدر وسعكم وطاقاتكم ﴿واسمعوا﴾ أوامره ﴿واطيعوا﴾ أحكامه ﴿وأنفقوا﴾ في طاعته ﴿خيراً﴾ من المال فإنه عائد ﴿لأنفسكم﴾ ﴿ومن يوق﴾ يحفظ من ﴿شح نفسه﴾ أي بخلها الكامن في النفس ، بأن تمكن من الإنفاق ﴿فأولئك هم المفلحون﴾ الفائزون .

[١٧] ﴿إن تقرضوا الله﴾ بأن تنفقوا في سبيله تعالى ﴿قرضاً حسناً﴾ بدون رياء ومنة وعصيان ﴿يضاعفه لكم﴾ أي يعطيكم إياه مضاعفاً ، لكل واحد عشرة ﴿ويغفر لكم﴾ بسبب إقراضكم فد (إن الحسنات يذهبن السيئات) ^(١) ﴿والله شكور﴾ يشكر المحسن ﴿حليم﴾ لا يعجل بعقوبة من خالفه .

[١٨] ﴿عالم الغيب﴾ ما غاب عن الحواس ﴿والشهادة﴾ ما حضر لدى الحواس ﴿العزیز﴾ في سلطانه ﴿الحكيم﴾ في تديره .

٦٥: سورة الطلاق

مدنية آياتها اثنتي عشرة

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

[١] ﴿يا أيها النبي إذا طلقتم﴾ أردتم طلاق ﴿النساء فطلقوهن لـ﴾ وقت ﴿عدتهن﴾ ووقت العدة هو الطهر الذي لم يواقع المرأة فيه، والعدة هي الأيام التي لا يجوز فيها أن تتزوج المرأة ﴿واحصوا العدة﴾ اضبطوها ﴿واتقوا الله ربكم﴾ فلا تخالفوه فيما أمر ﴿لا تخرجوهن﴾ مدة العدة ﴿من بيوتهن﴾ التي طلقن فيها ﴿ولا يخرجن﴾ من بأنفسهن ﴿إلا أن يأتين بفاحشة﴾ معصية ﴿مبينة﴾ ظاهرة كالزنا فتخرج لإجراء الحد، وكليداء أهل الدار فتنتقل إلى مكان آخر ﴿وتلك﴾ الأحكام التي بينها ﴿حدود الله﴾ أحكامه ﴿ومن يتعد حدود الله﴾ بأن خالفها ﴿نفذ ظلم نفسه﴾ حيث عرضها على العقاب، وإنما قلنا ببقائها في بيتها لأنك ﴿لا تدري﴾ العاقبة فـ ﴿لعل الله يحدث بعد ذلك﴾ الطلاق ﴿أمراً﴾ بأن رغب الزوج فيها فأرجعها إلى نفسه.

[٢] ﴿فإذا بلغن أجلهن﴾ بأن قرب إتمام العدة ﴿فأمسكنوهن﴾ بالرجوع إليهن ﴿بمعروف﴾ بحسن المعاشرة لا إمساكاً للإضرار ﴿أو فارقوهن﴾ بأن اتركوهن

حتى تنقضي عدتهن ﴿بمعروف﴾ لا بإضرار وخشونة ﴿وأشهدوا﴾ عند الطلاق ﴿ذوي عدل﴾ رجلين عادلين ﴿منكم﴾ أيها المسلمون ﴿واقیموا الشهادة﴾ أيها الشهود ﴿لله﴾ لوجه تعالى، فإذا طلب منكم أن تشهدوا فاشهدوا ﴿ذلكم﴾ المذكور من الأحكام و (كم) خطاب ﴿يوعظ به﴾ بذلك ﴿من كان يؤمن بالله﴾ بامتثال أوامره ﴿واليوم الآخر﴾ ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ﴿خروجاً من المشاكل﴾.

[٣] ﴿ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ لا يخطر بباله ﴿ومن يتوكل على الله﴾ يكل أموره إلى الله ﴿فهو﴾ فالفه ﴿حسبه﴾ كافيه ﴿إن الله بالغ أمره﴾ يبلغ ما يريد ولا يفوته أمر ﴿قد جعل الله لكل شيء قدراً﴾ مقداراً، فإذا انتهى قدره صار إلى ما يخالفه.

[٤] ﴿و﴾ النساء ﴿اللاتي﴾ أي اللاتي ﴿يشسن من المحيض﴾ أي الحيض ﴿من نسائكم إن ارتبتم﴾ شكتم بأن قطع الحيض عنها لباس أو لعارض ﴿فعدتهن﴾ بعد الطلاق ﴿ثلاثة أشهر واللاتي لم يحضن﴾ وهن في سن الحيض، كذلك عدتهن ثلاثة أشهر ﴿وأولات﴾ صاحبات ﴿الأحمال﴾ المرأة الحامل إذا طلقت ﴿أجلهن﴾ مدة عدتهن ﴿أن يضعن حملهن﴾ قريباً أو بعيداً ﴿ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً﴾ يسر أمره.

[٥] ﴿ذلك﴾ الذي ذكر من الأحكام ﴿أمر الله أنزله إليكم﴾ ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته، يغفرها ﴿ويعظم له أجراً﴾ يعطيه أجراً عظيماً في الآخرة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تَخْرُجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهَدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِمَّنْكُمْ وَاقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ لَكُمْ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴿٣﴾ إِنْ اللَّهُ ابْتَلَعَ أَمْرًا فَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٤﴾ وَالَّتِي يَسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ رَزَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ يَحْضُنَّ وَأُولَتْ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴿٥﴾ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ لِيُذَكِّرَ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٦﴾

[٦] ﴿أَسْكَنُوهُمْ﴾ اسكنوا المطلقات أيها الأزواج ﴿من حيث سكنتم﴾ بعض مكان سكناكم ﴿من وجدكم﴾ وسعكم وطاقتكم ﴿ولا تضاروهن﴾ بإسكانهن ما لا يليق بهن ﴿لتضيقوا عليهن﴾ فتضطروهن إلى الخروج ﴿وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يرضعن حملهن﴾ سواء كانت بائمة أو رجعية ﴿فإن أرضعن لكم فأتوهن أجورهن وأمرنوا﴾ تشارروا لأجل السكنى والنفقة أيها الأزواج والمطلقات ﴿بينكم بمعروف﴾ يقره العرف بدون التشديد والتعاسر ﴿وإن تعاسرتم﴾ في إرضاع الولد، بأن أرادت الزوجة أكثر من حقها، أو أراد الزوج أن يعطي أقل من حقها - ولم يقبل الطرف الآخر - ﴿فسترضع له﴾ للولد امرأة ﴿أخرى﴾ غير الأم المطلقة.

[٧] ﴿لينفق ذو سعة﴾ والد الولد ﴿من سعته﴾ أجره متعارفة ﴿ومن قدر﴾ ضيق ﴿عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله﴾ على قدره، فإن كل واحد مكلف بإعطاء أجره أمثاله ﴿لا يكلف الله نفساً إلا﴾ بقدر ﴿ما آتاها﴾ أعطاهها ﴿سيجعل الله بعد عسر يسراً﴾ فلا يضيق صدر الفقير حيث يرى ضيق أموره.

[٨] ﴿وكانين﴾ كم وهي للكثرة ﴿من قرية عتت﴾ طغت وتعدت ﴿عن أمر ربها ورسله فحاسبناها﴾ لأجل عذابها ﴿حساباً شديداً﴾ بعدم العفو، عما نefو عنه للمؤمن

أَسْكَنُوهُمْ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِضَيِّقِ عَلَيْنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَى حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَرْضَعْنَ حَمَلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَأَمْرُهُمْ بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسْتَرضِعْ لَهُ أُخْرَى ﴿٦﴾ لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعِيَّتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً أَتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ وَكَانَ مِنْ قُرْبَى عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسِبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَبْنَاهَا عَذَابًا ثَقِيلًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عِقَابُهُ أَمْرًا خَسِرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴿١١﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لَعَلَّكُمْ أَنْ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾

﴿وعذبناها عذاباً نكراً﴾ منكرأ بأن أنزلنا عليها العذاب الشديد.

[٩] ﴿فذاقَتْ وبَالَ﴾ عقوبة ﴿أمرها﴾ كفرها وعتوها ﴿وكان عاقبة أمرها خسراً﴾ لا ربح فيه.

[١٠] ﴿أعد الله لهم عذاباً شديداً﴾ يوم القيامة بالإضافة إلى عذاب الدنيا ﴿فاتقوا الله﴾ خافوا عذابه ﴿يا أولي الألباب﴾ يا أصحاب العقول ﴿الذين آمنوا﴾ صفة ﴿أولي الألباب﴾ ﴿قد أنزل الله إليكم ذكراً﴾ تذكيراً للمؤمنين بهذه النعمة العظيمة.

[١١] ﴿رسولاً﴾ بدل من ﴿ذكراً﴾ فإن الرسول ﷺ لكونه في كمال التذكير، صار كأنه ذكر محض نحو: زيد عدل ﴿يتلو﴾ يقرأ ﴿عليكم آيات الله مبينات﴾ موضحات للأمور ﴿ليخرج الذين آمنوا﴾ أي الذين هم في هذا الصدد ﴿وعملوا الصالحات من الظلمات﴾ ظلمة الكفر ﴿إلى النور﴾ نور الإيمان الهادي إلى طريق السعادة ﴿ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً يدخله﴾ الله ﴿جنان تجري من تحتها﴾ تحت قصورها وأشجارها ﴿الأنهار خالدين فيها أبداً﴾ قد أحسن الله له رزقاً ﴿أعطاه رزقاً حسناً في الجنة﴾.

[١٢] ﴿الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن﴾ سبع أرضين كل أرض حولها سماؤها وهي الكواكب السيارة أو غيرها ﴿يتنزل الأمر﴾ أمر الله وحكمه ﴿بينهن﴾ بين السماوات والأرضين إلى النبي والإمام ﷺ، أو المراد مطلق أوامره التكوينية والتشريعية ﴿لتعلموا﴾ فعل ذلك لأن تعلموا ﴿أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً﴾ فله قدرة كاملة وعلم شامل، إذ الخلق والأمر يقتضيان ذلك ودليلان على كمال العلم والقدرة.

٦٦: سورة التحريم

مدنية آیاتها إثنتي عشرة

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

سُورَةُ التَّحْرِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَحْرَمٍ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ بِنَعْيِ مَرْضَاتِ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ
 عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ
 وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذَا أَسَرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا
 فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ، وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ
 فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ، قَالَتْ مَنْ أَنْبَاكَ هَذَا قَالَ نَبَايَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ
 ﴿٣﴾ إِنْ تُؤَايِلْ إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ
 فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاكُمْ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ
 بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَىٰ رَأَيْتُمْ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا
 خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَنَاطَاتٍ بَيْنَ يَدَيْ سِتْرِكِ
 تَنْبِتُ وَأُنْكِارٌ ﴿٥﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا وَآمَنُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيكُمْ
 نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ
 لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ يَأْتِيهَا
 الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْدُوا إِلَيْهِمْ إِنَّهُمْ تُغْنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾

[١] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تَحْرِمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ فقد ورد أنه ﷺ خلا بمارية فاطلمعت بعض زوجاته، فكرهه النبي ﷺ ذلك وحرم على نفسه أن يخلو بمارية فنزلت السورة، وقيل غير ذلك ﴿تبتغي﴾ تطلب بهذا التحريم ﴿مرضات﴾ رضا ﴿أزواجك﴾ أي زوجاتك ﴿والله عفور﴾ ما فعلت من التحريم ﴿رحيم﴾ بك، حيث أرشدك إلى نبذ التحريم، ولا يخفى أنه ليس في الآيات دلالة على أن النبي ﷺ حلف على عدم وطئها بل لعله قال: حرمت على نفسي، مثل (إلا ما حرم إسرائيل على نفسه)^(١)، مضافاً إلى أن عهده كان مشروطاً كما سيأتي.

[٢] ﴿قد فرض﴾ أوجب ﴿الله لكم تحلة﴾ حل ﴿أيمانكم﴾ عهدكم على أنفسكم فإن العهد على النفس إن لم يشتمل على الشروط المذكورة في الفقه لا يوجب تحليلاً ولا تحريماً ﴿والله مولاكم﴾ فهو أعرف بمصالحكم ﴿وهو العليم﴾ بكل شيء ﴿الحكيم﴾ في تدبيره.

[٣] ﴿وإذا﴾ اذكر زماناً ﴿أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثاً﴾ قال لها كلاماً مخفياً، بأن قال لحفصة: أسري قصة مارية فلا أقاربها بعد ذلك ﴿فلما نبأت﴾ أخبرت الزوجة ﴿به﴾ بالحديث خلافاً لكلام رسول الله ﷺ فإنها أخبرت عائشة، ولذا كان النبي ﷺ في حل من عهده حيث كان عدم المقاربة مشروطاً بأن تخفي حفصة القصة ﴿وأظهره الله عليه﴾ أي أعلمه الله تعالى بأن حفصة أخبرت عائشة ﴿عرف﴾ النبي ﷺ وأخبر حفصة بـ ﴿بعضه﴾ بعض ما ذكرته لعائشة ﴿وأعرض عن بعض﴾ بأن لم يخبرها بجميع إفشائها له، تكراً، فإن عادة الكبار أن لا يتعرضوا لكل الحديث الذي يسيء الطرف المقابل أو أساءه، بل يلمحون إليه تلميحاً ﴿فلما نبأها﴾ أخبر النبي ﷺ حفصة ﴿به﴾ بإفشائها لحديثه معها ﴿قالت﴾ حفصة، متعجبة ﴿من أنباءك﴾ أخبرك يا رسول الله ﴿هذا﴾ بأنني أفشيت حديثك إلى عائشة ﴿قال﴾ الرسول ﷺ ﴿نباي العليم الخبير﴾ أي الله العالم بكل شيء والمطلع على الخفايا.

[٤] ﴿إن تتوبا﴾ يا عائشة وحفصة من التعاون على النبي ﷺ بما يؤذيه ﴿إلى الله فقد﴾ كانت التوبة لازمة إذ ﴿صغت﴾ مالت ﴿قلوبكما﴾ من مرضاة الله ﴿وإن تظاهرا﴾ تتعاونوا ﴿عليه﴾ على النبي ﷺ بما يسوؤه ﴿ف﴾ لا يضره تعاونكما إذ ﴿إن الله هو مولا﴾ يلي أمره بما لا يصيبه مكروه ﴿وجبريل وصالح المؤمنين﴾ خيارهم، وفي الرواية أن المراد به أمير المؤمنين علي عليه السلام ﴿والملائكة بعد ذلك﴾ بعد نصر الله وجبريل والمؤمنين ﴿ظهري﴾ ظهراء له وأعوان لدفع الإيذاء عنه ﷺ.

[٥] ﴿عسى﴾ لعل ﴿ربه إن طلقكن﴾ النبي ﷺ ﴿أن يبدله أزواجاً خيراً منكن﴾ مسلمات مؤمنات قانتات ﴿مطيعات لله﴾ تاتبات ﴿عن الذنب﴾ عابدات ﴿لله﴾ صائمات^(٢) ﴿نبيات وأبكاراً﴾.

(١) سورة آل عمران: ٩٣.

(٢) السائح: الجاري، وسمي الصائم بالسائح لجريه في الإمساك من المفطرات.

[٦] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا﴾ احفظوا ﴿أَنفُسَكُمْ﴾ بترك المعاصي ﴿وَأَهْلِيكُمْ﴾ بالنصح والحفظ ﴿نَارًا﴾ عن نار جهنم التي ﴿وَقُودَهَا﴾ حطب تلك النار ﴿النَّاسِ وَالْحِجَارَةِ﴾ فما ظنك بنار وقودها الحجارة والناس ﴿عَلَيْهَا﴾ خزنتها ﴿مَلَائِكَةٌ غِلَازٌ﴾ القلوب لا يرحمون أهل النار ﴿شِدَادٌ﴾ البطش ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ في تعذيب أهل النار فلا يقبلون الاستغاثة والضراعة، كما في وسائط الدنيا.

[٧] فإذا عذبوا الكفرة يأخذون في الاعتذار فيقال لهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ﴾ فإنه لا يلتفت إلى عذركم ﴿إِنَّمَا تَجْزُونَ﴾ جزاء ﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ في الدنيا.

٦٧: سورة الملك

مكية آياتها ثلاثون

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

[١] ﴿تبارك﴾ دام وكثر خيره ﴿الذي بيده الملك﴾ تحت تصرفه ﴿وهو على كل شيء قدير﴾ فيقدر على الإحياء والإماتة وكل شيء يريد.

[٢] ﴿الذي خلق الموت والحياة﴾ بأن قدرهما، أو خلقهما خلقاً فيكون الموت مخلوقاً أيضاً ﴿ليبلوكم﴾ يختبركم ﴿أيكم أحسن عملاً﴾ من الآخر فيجازيكم على أعمالكم ﴿وهو العزيز﴾ الغالب في سلطانه ﴿الغفور﴾ لمن يشاء.

[٣] ﴿الذي خلق سبع سماوات طباقاً﴾ مطابقة بعضها فوق بعض ﴿ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت﴾ تناقض وعدم تناسب ﴿فارجع البصر﴾ أعده متكرراً متأملاً ﴿هل ترى من فطور﴾ صدوع وخلل.

[٤] ﴿ثم ارجع البصر كرتين﴾ مرة بعد مرة ﴿ينقلب﴾ يرجع ﴿إليك البصر خاسئاً﴾ ذليلاً لأنه لم ينل ما كان يترقبه من الخلل ﴿وهو حسيّر﴾ كليل من كثرة النظر.

[٥] ﴿ولقد زينا السماء الدنيا﴾ القريبة ﴿بمصابيح﴾ الكواكب ﴿وجعلناها﴾ أي تلك المصابيح ﴿رجوماً﴾ شهاباً

ترجم ﴿للسياطين﴾ فإن الشياطين إذا اقتربوا من الملائة الأعلى لاستراق السمع رُموا بالشهب من جانب الكواكب ﴿واعتدنا﴾ هيئنا ﴿لهم﴾ للشياطين ﴿عذاب السعير﴾ النار المستعرة الملتبهة.

[٦] ﴿وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم ونش المصير﴾ هي.

[٧] ﴿إذا القوا﴾ أي الكفار ﴿فيها﴾ في جهنم ﴿سمعوا لها﴾ للنار ﴿شهيقاً﴾ صوتاً كصوت الحمار فيزيدهم هولاً وتخويفاً ﴿وهي نفور﴾ تغلي بهم كغلي القدر.

[٨] ﴿تكاد﴾ النار ﴿تميز﴾ تقطع ﴿من الغيظ﴾ الغضب على الكفار، فإن النار الملتبهة يراها الإنسان كأنها تقطع ﴿كلما ألقي فيها﴾ في النار ﴿فوج﴾ جماعة من الكفار ﴿سألهم خزنتها﴾ خزنة النار الموكلون بها ﴿ألم يأتكم نذير﴾ يندرهم من هذه النار.

[٩] ﴿قالوا﴾ أي أهل النار: ﴿بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء﴾ مما تدعوننا إليه من الشرائع ﴿إن﴾ ما أنتم ﴿أيها المنذرون﴾ ﴿إلا في ضلالٍ كبير﴾ حيث تزعمون أنكم مرسلون من قبل الله.

[١٠] ﴿وقالوا﴾ أي أهل النار: ﴿لو كنا نسمع﴾ كلام الرسل ﴿أو نعقل﴾ نستعمل عقولنا حتى نتبعهم ﴿ما كنا في﴾ جملة أصحاب السعير ﴿النار الملتبهة﴾.

[١١] ﴿فاعترفوا﴾ حين لا ينفع الاعتراف ﴿بذنوبهم﴾ وأنهم مذنبون ﴿فسحقاً﴾ أي بعداً عن رحمة الله ﴿لأصحاب السعير﴾.

[١٢] ﴿إن الذين يخشون ربهم بالغيب﴾ في حال أنهم لم يروه تعالى ﴿لهم مغفرة﴾ غفران لذنوبهم ﴿وأجر كبير﴾ هو ثواب الله تعالى في الآخرة.

سورة الملك

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمَلَكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ۝ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوتٍ فَاَرْجِعْ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ ۝ ثُمَّ اَرْجِعْ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ۝ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَيُنْسُ الْمُصِيرُ ۝ إِذَا الْقَوَا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ۝ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِن أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ۝ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝ فَاعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ فَسُحِقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝ إِنَّا الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝

[۱۳] ﴿وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بضماثرها فكيف بما نطقتم به سرا أو جهراً.

[۱۴] ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ فإن الخالق يعلم سر مخلوقه ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ﴾ النافذ علمه في الأشياء ﴿الْغَبِيرُ﴾ ببواطن الأمور.

[۱۵] ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا﴾ ذليلة مسخرة لمنافع الناس ﴿فَأَمْسُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ جوانبها وطرقها ﴿وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ رزق الله ﴿وَالِيهِ﴾ إلى جزائه وحسابه ﴿النُّشُورُ﴾ الحياة بعد الموت.

[۱۶] ﴿أَأَمِنْتُمْ﴾ أيها البشر من ﴿مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ أي الله فإن تقديره ينزل من السماء ﴿أَنْ يَخْسِفَ﴾ من في السماء ﴿بِكُمْ الْأَرْضَ﴾ بأن تبتلعكم ﴿فَإِذَا هِيَ﴾ الأرض ﴿تَمُورُ﴾ تضطرب بكم.

[۱۷] ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مِنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ ريحاً فيها صغار الحصى لأجل إهلاككم ﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾ فستعلمون حين ذاك ﴿كَيْفَ نَذِيرٌ﴾ كيف كان إنذاري لكم صدقاً.

[۱۸] ﴿وَلَقَدْ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ قبل هؤلاء الكفار ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرٌ﴾ إنكاري عليهم بإنزال العذاب.

[۱۹] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ﴾ في الهواء ﴿صَافَاتٍ﴾ باسطات أجنحتهن ﴿وَيَقْبِضْنَ﴾ أجنحتهن أحياناً للجرى ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ﴾ ما يحفظهن من السقوط ﴿إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ فهو يرى الطير ويحفظه.

[۲۰] ﴿أَمْ﴾ استفهام ﴿مَنْ﴾ مبتدأ ﴿هَذَا﴾ خبره ﴿الَّذِي﴾ صفة (هذا) ﴿هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ﴾ أعوان لكم ﴿يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ﴾ يمنعكم من عذابه ﴿إِنْ﴾ ما ﴿الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾ يغرهم الشيطان بأن العذاب لا ينزل بكم.

[۲۱] ﴿أَمْ نَظُنُّ أَنْ يَرْزُقَكُمْ﴾ أي الله ﴿إِنْ أَمْسَكَ﴾ ولم يعطكم ﴿رِزْقَهُ﴾ بسبب حط ونحوه فمن يرزقكم ﴿بَلْ لَجُوا﴾ أصروا ﴿فِي عَتْوٍ﴾ عناد وطفيان ﴿وَنُفُورٍ﴾ عن الحق.

[۲۲] ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا﴾ واقعاً ﴿وَعَلَىٰ وَجْهِهِ﴾ كالذي يسحب على وجهه ﴿أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا﴾ معتدلاً ﴿عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ فالكافر كالأول لأنه لا يعرف الحقائق ولا يهتدي إلى الطريق.

[۲۳] ﴿قُلْ هُوَ﴾ الله ﴿الَّذِي أَنْشَأَكُمْ﴾ خلقكم ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾ جمع فؤاد أي القلوب ﴿قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ تأكيد للقلة ﴿تَشْكُرُونَ﴾ نعمه.

[۲۴] ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ﴾ خلقكم وأكثر نسلكم ﴿فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ تجمعون للجزاء.

[۲۵] ﴿وَيَقُولُونَ﴾ أي الكفار ﴿مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ﴾ بالعذاب الذي تعدون أنه يأخذ الكافرين ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أيها النبي والمؤمنون في وعدكم.

[۲۶] ﴿قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ﴾ بوقته ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ فإنه يعلم وقت العذاب ﴿وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ ظاهر.

وَأَمِيرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾
يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ
الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْسُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾
أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ
تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ مِنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا
فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرٌ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَيْفَ
كَانَ نَكِيرٌ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَائِتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا
يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمِنْ هَذَا الَّذِي
هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴿٢٠﴾
أَمْ نَظُنُّ أَنْ يَرْزُقَكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُوا فِي عَتْوٍ
وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا
عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ
وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ
فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢٦﴾

[٢٧] ﴿فلما رآوه﴾ رأى الكفار العذاب ﴿زلفة﴾ اقترب منهم قرباً ﴿سيئت﴾ قبحت واسودت ﴿وجوه الذين كفروا﴾ خوفاً، والمراد يوم بدر، أو يوم القيامة، أو وقت الموت ﴿وقيل﴾ قال خزنة جهنم أو عزرائيل، أو من كان هناك عند الحرب ﴿هذا﴾ العذاب هو ﴿الذي كنتم به تدعون﴾ تطلبون وتستعجلون، لقد أتاكم.

[٢٨] ﴿قل أرايتم إن أهلكني الله ومن معي﴾ من المؤمنين بأن أماتنا، فلم نر عذاب الكفار في الدنيا ﴿أو رحمنا﴾ بأن أبقانا أحياء ﴿فمن يحير﴾ يحفظ ﴿الكافرين من عذاب أليم﴾ مؤلم، أي فهم معذبون لا محالة.

[٢٩] ﴿قل هو﴾ الذي أَدْعُوكُم إليه ﴿الرحمان﴾ الذي يرحم جميع الناس ﴿آمنا به وعليه توكلنا﴾ في أمورنا ﴿فستعلمون﴾ عند قيام الساعة ﴿من هو في ضلال مبين﴾ واضح، نحن أم أنتم.

[٣٠] ﴿قل أرايتم إن أصبح ماؤكم غوراً﴾ غائراً في الأرض فلم يكن لكم ماء ﴿فمن يأتيكم بماء معين﴾ ظاهر سهل المأخذ، أفلا تشكرون الله على ذلك.

٦٨: سورة القلم

مكية آياتها إثنان وخمسون

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِدَعْوَتِكُمْ تَدْعُونَ ﴿١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِ اللَّهُ مَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢﴾ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَّنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴿٤﴾

سُورَةُ الْقَلَمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
ت وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَا أَنْتَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنْ لَكَ أَجْرٌ أَعْرَضَ عَنْهُ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَيِّكُمْ الْمَقْتُولُ ﴿٦﴾ إِنْ رَأَيْتَ أَنَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا تَطْعُ الْمُكْذِبِينَ ﴿٨﴾ وَذُو الْأَوْدَانِ فِيْدُهُنَّ ﴿٩﴾ وَلَا تَطْعُ كُلَّ حَلَاظٍ مُّهَيَّنٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَاءٍ بَنِيمٍ ﴿١١﴾ مَنَاعٍ لِلْخَبِيرِ مُعْتَدٍ أَسِيرٍ ﴿١٢﴾ عَتَلٌ بَعْدَ ذَلِكَ رَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَنَدِينٍ ﴿١٤﴾ إِذَا تَلَّىٰ عَلَيْهِ أَيْنُنَا قَالَ أَسْطِيرَ الْأُولَىٰ ﴿١٥﴾

[١] ﴿ن﴾ رمز بين الله والرسول ﷺ ﴿والقلم﴾ قسماً بالقلم ﴿وما يسطرون﴾ يكتبون أي أصحاب الأقلام، فإنه من آيات الله تصلح الحلف به.

[٢ - ٣] ﴿ما أنت﴾ يا رسول الله ﴿بنعمة ربك﴾ التي أنعم عليك وهي النبوة ﴿بمجنون﴾ فلست مجنوناً بسبب النبوة كما يقول المعاندون. ﴿وإن لك لأجراً﴾ جزاء كبيراً ﴿غير ممنون﴾ غير مقطوع بل دائم.

[٤] ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ أي قمة الأخلاق الحسنة.

[٥] ﴿فستبصر﴾ أي ترى ﴿ويبصرون﴾ يرون حين ظهر أمرك.

[٦] ﴿بأيكم المقتول﴾ أي الجنون - وهو مصدر - فإنهم كانوا يقولون إن النبي ﷺ مجنون، ولكن المجنون هو العاصي لله تعالى.

[٧] ﴿إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله﴾ فاستحق أن يسمى بالمجنون ﴿وهو أعلم بالمهتدين﴾ فهم في كمال العقل. [٨] ﴿فلا تطع المكذبين﴾ في أقوالهم.

[٩] ﴿ودوا﴾ تمنوا وأحبوا ﴿لو تدهن﴾ تلين لهم في دينك ﴿فيدهنون﴾ يلينون لك أيضاً.

[١٠] ﴿ولا تطع كل حلاف﴾ كثير الحلف بالباطل ﴿مهيّن﴾ حقير.

[١١] ﴿هماز﴾ عياب للناس ﴿مشاء بنعيم﴾ يمشي بين الناس بالنعمة والإفساد.

[١٢] ﴿مناع للخير﴾ يمنع الناس عن عمل الخير ﴿معتد﴾ مجاوز للحد ﴿أئيم﴾ عاص لله تعالى.

[١٣] ﴿عتل﴾ جاف غليظ ﴿بعد ذلك﴾ الذي ذكر من أوصافه ﴿رنيم﴾ دعي إذ لم يظهر له أب، وقيل إن المراد به الوليد بن المغيرة.

[١٤] ﴿أن﴾ لا تطعه لأنه ﴿كان ذا مال وندين﴾ فإنه كان يريد اتباع النبي ﷺ له لما يتمتع به من مال وجاه بين الناس.

[١٥] ﴿إذا تلى عليه آياتنا قال﴾ هذه ﴿أساطير الأولين﴾ أكاذيبهم وخرافاتهم.

[١٦] ﴿نَسْنِسْهُ﴾ نَعْلِمُهُ بِعَلَامَةٍ ﴿عَلَى الْخَرْطُومِ﴾ عَلَى أَنْفِهِ، وَشَبَّهَ بِالْخَرْطُومِ لِتَكْبَرِهِ وَقَدْ خَطَفَ أَنْفَهُ بِالسَّيْفِ يَوْمَ بَدْرٍ.

[١٧] ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ﴾ امتحننا هؤلاء الكفار بإرسال النبي ﷺ ﴿كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ البستان، فقد كان للرجل صالح بستان وكان يعطي الفقراء منه فلما مات قال بنوه نقطع ثمره صباحاً حتى لا يحضر الفقراء فأصبحوا وقد أحرقت الشمار بالصاعقة ﴿إِذْ أَقْسَمُوا﴾ حلفوا أصحاب الجنة ﴿لَيَصْرِمْنَهَا﴾ أي يقطعون ثمرها ﴿مُصْحِينَ﴾ أول دخولهم في الصباح.

[۱۸] ﴿وَلَا يَسْتَنْوِن﴾ سهماً منها للفقراء.

[١٩] ﴿فَطَافَ﴾ أحاط ﴿عليها﴾ على الجنة ﴿طَائِفٌ﴾
والمراد به نار ﴿من﴾ قبل ﴿ربك﴾ والحال أن ﴿هم﴾
نائمون .

[٢٠] ﴿فَأَصْبَحَتْ﴾ الجنة ﴿كَالصَّرِيمِ﴾ كالمقطوع ثمره بلا ثمر أصلاً.

[۲۱] ﴿فَتَنَادُوا﴾ نادى بعضهم بعضاً ﴿مُصْبِحِينَ﴾ في أول الصبح قائلين :-

﴿٢٢﴾ ﴿أَن اْغْدُوا﴾ اخرجوا غدوة ﴿عَلَىٰ حَرْثِكُمْ﴾ ثمركم ﴿إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ﴾ تريدون الصرم والقطع.

[۲۳] ﴿فَانْطَلِقُوا﴾ ذهبوا إلى البستان ﴿وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ﴾ يتشاورون بينهم بكلام خافت قائلين:

[۲۴] ﴿أَنْ لَا يَدْخُلْنَهَا﴾ يَدْخُلْنَ الْبَيْتَانَ ﴿الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ﴾ .

[٢٥] ﴿وَعِدُوا عَلَىٰ حَرْدٍ﴾ منع ﴿قَادِرِينَ﴾ أي زعموا أنهم قدروا على حرد الفقراء ومنعهم فـ (على) متعلق بـ (قادرين).

[٢٦] ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا﴾ الجنة وقد أحرقت ﴿قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ﴾ عن الحق.

[٢٧] ﴿بل نحن محرومون﴾ من ثمرها لما أردنا من منع حقها.

[٢٨] ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَعْدَلُهُمْ﴾ ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ﴾ ﴿قَبْلَ﴾ ﴿لَوْلَا تَسْبِخُونَ﴾ ﴿تَزَّهَوْنَ لِلَّهِ وَلَا تَقْصِدُونَ هَذَا الْقَصْدَ فَإِنْ مِنْ نَزَاهِ سِحْخَانِهِ عَلِمَ أَنَّهُ لَمْ يَجِرْ﴾ ^(١) فِي أَمْرِهِ بِإِعْطَاءِ الْفُقَرَاءِ .

[٢٩] ﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا﴾ نزهه تنزيهاً ﴿إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ فى عزمنا منع الفقراء .

[٣٠] ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبَدِّلْ قَدِيمًا خَلْقًا ۚ ذَٰلِكُمْ أَقْبَلُ لِلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ آلِهِمْ أَشَدُّ وَفًا ۚ﴾ يُلُومُ أَحَدَهُمَا الْآخَرَ.

[٣١] ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا﴾ يا سوء حالنا ﴿إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ﴾ مجاوزين الحد.

[٣٢] ﴿عسى﴾ لعل ﴿ربنا أن يبدلنا خيراً منها﴾ من هذه الجنة، حيث تبنا عن ذنوبنا ﴿إنا إلى ربنا راغبون﴾ نرغب إلى فضله.

[٣٣] ﴿كَذَلِكَ﴾ هَكَذَا ﴿الْعَذَاب﴾ فِي الدُّنْيَا ﴿وَلِلْعَذَابِ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ لَعَلَّمُوا أَنَّ عَذَابَ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ.

[٣٤] ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ فِي الْآخِرَةِ جَنَّاتٍ سَاطِئِينَ﴾ ﴿النَّعِيمِ﴾ ذات نعمة .

[٣٥] ﴿أَفَنَحْنُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ في إعطاء الجزاء الحسن.

[٣٦] ﴿مَا لَكُمْ﴾ أيها القائلون بتساوي الطائفتين ﴿كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ حكماً بالباطل.

(١) من الجور، أى لا يظلم أحداً حينما أمر بالإنفاق للفقراء.

[٣٧] ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ سَمَويٌّ فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾ تقرأون فيه .

[٣٨] ﴿إِنْ لَكُمْ فِيهِ لَمَّا تَخِيرُونَ﴾ تريدون من خير الدنيا والآخرة .

[٣٩] ﴿أَمْ لَكُمْ إِيمَانٌ عَهْدٌ عَلَيْنَا بِالْغَةِ﴾ في التأكيد ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَّا تَحْكُمُونَ﴾ به لأنفسكم بأن أخذتم منا عهداً بذلك .

[٤٠] ﴿سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ﴾ الحكم ، وهو إن لهم ما يتخيرون ويحكمون ﴿زَعِيمٌ﴾ كفيل .

[٤١] ﴿أَمْ لَكُمْ شُرَكَاءُ﴾ في هذا القول ﴿فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ﴾ ليشهدوا بهذا ﴿إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ في أن لهم شركاء يعتقدون مثل اعتقادهم ، والحاصل أنه لا مستند لهم من عقل أو نقل .

[٤٢] اذكر ﴿يَوْمٌ﴾ أي يوم القيامة حيث ﴿يُكْشَفُ﴾ يظهر ﴿عَنْ سَاقٍ﴾ كناية عن شدته ، فإن الإنسان إذا وقع في مشكلة وأراد أن يُنْجِي نفسه كشف ثوبه عن ساقه لئلا يعرقل حركته ثوبه ﴿وَيَدْعُونَ إِلَى السَّجْدِ﴾ توبيخاً لهم ، وبياناً لأنهم لم يسجدوا في الدنيا ولذا ابتلوا بهذا العذاب ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ السجود النافع لأن وقته قد مضى .

[٤٣] ﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ﴾ لا ترفع ﴿ترهقهم﴾ تغشاهم ﴿ذَلَّة﴾ حيث علموا ما لهم من العذاب ﴿وقد كانوا﴾ في الدنيا ﴿يدعون إلى السجود وهم سالمون﴾ ينفعهم السجود فلا يسجدون .

[٤٤] ﴿فذرني﴾ اتركني ﴿ومن يكذب بهذا الحديث﴾ أي القرآن ، فأنا أعاقبه ﴿سنستدرجهم﴾ نقربهم درجة درجة ، بالإنعام عليهم حتى ينسوا ويلهوا ويموا أمدهم في الدنيا ﴿من حيث لا يعلمون﴾ إنه استدراج .

[٤٥] ﴿وأملئ لهم﴾ أمهلهم ﴿إن كيدي﴾ علاجي للأمور ﴿متين﴾ مستحكم .

[٤٦] ﴿أم﴾ هل ﴿تسألهم أجراً﴾ على الرسالة ﴿ف﴾ يفرون لأن ﴿هم من مغرم﴾ غرامة وإعطاء مال ﴿مثقلون﴾ بحملها ولذا لا يؤمنون .

[٤٧] ﴿أم عندهم الغيب﴾ أي علم الغيب ﴿فهم يكتبون﴾ من ذلك العلم وفيه ما ينهاهم عن الإيمان بمحمد ﷺ .

[٤٨] ﴿فأصبر لحكم ربك﴾ بأن بلغه ولا تبال بالأذى ﴿ولاتكن كصاحب الحوت﴾ السمك ، والمراد به يونس عليه السلام حيث إنه لم يصبر على البلاغ ، فقد يئس وخرج عن قومه فألقاه الله في بطن الحوت ﴿إذ نادى﴾ ربه من هناك ﴿وهو مكظوم﴾ مملوء غيظاً .

[٤٩] ﴿لولا أن تداركه نعمة من ربه﴾ بأن استغفر الله على ما صدر منه من ترك الأولى ﴿لنبذ﴾ أي طرح ﴿بالعراء﴾ بالصحرَاء بعد تأديه بطن الحوت ﴿وهو مذموم﴾ بتركه الأولى .

[٥٠] ﴿فاجتنباه﴾ اختاره ﴿ربه﴾ بالعفو عن تركه للأولى ﴿فجعله من الصالحين﴾ الكاملين في الصلاح .

[٥١] ﴿وان﴾ مخففة من الثقلية ﴿يكاد﴾ يقرب ﴿الذين كفروا ليزلقلونك بأبصارهم﴾ أي ينظرون إليك نظر غاضب فيزلونك عن موقفك ، أو المراد يصيبونك بالعين ، لأنهم أرادوا ضرب النبي ﷺ بالعين ﴿لما سمعوا الذكر﴾ القرآن ﴿ويقولون﴾ حسداً ﴿إنه لمجنون﴾ فقله قول المجانين .

[٥٢] ﴿وهو﴾ الحال ﴿ما هو﴾ أي القرآن ﴿إلا ذكر﴾ موعظة ﴿للعالمين﴾ لجميع الناس وليس كلام مجنون .

سورة الحاقة ٦٩

مكية آياتها إثنتان وخمسون

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

[١ - ٢] ﴿الحاقة﴾ القيامة التي هي حق وواجبة الوقوع . ﴿ما الحاقة﴾ أي شيء هي ، والاستفهام للتهويل والتفخيم .

[٣] ﴿وما أدراك﴾ أي شيء أعلمك ﴿ما الحاقة﴾ ما هي ، فإنها أعظم من أن تدرك حقيقتها وعظيم الهول فيها .

[٤] ﴿كذبت ثمود وعاد بالقارعة﴾ الحالة التي تفرق الناس بالأهوال .

[٥] ﴿فأما ثمود فأهلكوا﴾ بسبب تكذيبهم ﴿بالطاغية﴾ بالصيحة المجاوزة الحد في الطغيان .

[٦] ﴿وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر﴾ شديدة البرودة ﴿عاتية﴾ شديدة الهبوب كأنها عتت على خزائنها .

[٧] ﴿سخرها﴾ سلطها الله ﴿عليهم﴾ على عاد ﴿سبع ليال وثمانية أيام حسوماً﴾ متتابعات ﴿فترى القوم﴾ لو حضرتهم ﴿نيها﴾ في تلك الأيام والليالي ﴿صرعى﴾ ملقين في حالة الهلاك ﴿كانهم أعجاز﴾ أصول ﴿نخل خاوية﴾ نخرة ساقطة .

[٨] ﴿فهل ترى لهم من﴾ نفس ﴿باقية﴾ كلا بل أبدانهم جميعاً .

خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرَاهُمْ ذَلَّةً وَقَدْ كَانُوا يَدْعُونَ إِلَى الشُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرْنِي وَمَنْ يَكْذِبْ بِهَذَا الْخَبَرِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأَمْلِئْ لَهُمْ إِنَّ كَيِّدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ قَسَمْتَ لَهُمْ جَآءَهُمْ مِنْ مَّغْرَمٍ مَثْقُلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾ فَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ وَلَا تَذَكَّرْكَ نِعْمَةً مِنْ رَبِّكَ أَلَيْدًا لَعَلَّكَ تَهْتَدُ ﴿٤٩﴾ فَاصْبِرْ رَبِّهِمْ فَنَجْعَلُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥٠﴾ إِنَّ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلَقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾

سُورَةُ الْحَاقَّةِ ﴿٦٩﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَاقَّةُ ﴿١﴾ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلَكُوا بِطَاغِيَةٍ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادُ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾

[٩ - ١٠] ﴿وجاء فرعون ومن قبله﴾ من الأمم المكذبة ﴿والموتفكات﴾ أي أهل القرى التي انتفكت وانقلبت، وهي قرى قوم لوط ﴿ب﴾ الفعله ﴿الخاطئة﴾ من الكفر والمعاصي. ﴿فقصوا﴾ كل جماعة من هؤلاء ﴿رسول ربهم﴾ المبعوث إليهم ﴿فأخذهم﴾ الله ﴿أخذة رابية﴾ زائدة في الشدة.

[١١] ﴿إننا لما طغى الماء﴾ تجاوز حده في زمان نوح ﷺ، لأجل إهلاك قومه ﴿حملناكم﴾ في أصلاب آبائكم ﴿في﴾ السفينة ﴿الجارية﴾ التي كانت تجري في الطوفان.

[١٢] ﴿لنجعلها﴾ أي تلك الفعله بإنجاء المؤمنين وإغراق الكافرين ﴿لكم تذكرة﴾ عبرة ﴿و﴾ ل ﴿نعيمها﴾ تحفظها ﴿أذن واعية﴾ من شأنها أن تعي وتحفظ.

[١٣] ﴿فلما نفخ في الصور﴾ البوق الذي ينفخ فيه إسراfil لأجل إحياء الأموات ﴿نفخة واحدة﴾ لا أكثر.

[١٤] ﴿وحملت الأرض والجبال﴾ من أماكنها، فالجبال تكون سراباً والأرض تحمل من أعاليها لثملاً منخفضاتها ﴿فدكتا﴾ ضربتا بعضهما ببعض ﴿دكة واحدة﴾ في مرة واحدة، لا تطول، فصارت الجبال هباءً والأرض قاعاً صافصفاً.

[١٥] ﴿فيومئذ﴾ في ذلك اليوم ﴿وقعت﴾ قامت ﴿الواقعة﴾ القيامة.

وجاء فرعون ومن قبله والموتفكات ﴿٩﴾ فقصوا رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية ﴿١٠﴾ إننا لما طغى الماء حملناكم في الجارية ﴿١١﴾ لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن ورعية ﴿١٢﴾ فلما نفخ في الصور نفخة واحدة ﴿١٣﴾ وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة ﴿١٤﴾ فيومئذ وقعت الواقعة ﴿١٥﴾ وانشقت السماء فهي يومئذ واهية ﴿١٦﴾ والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ﴿١٧﴾ يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية ﴿١٨﴾ فاما من أوفى كذبه يسمينه فيقول هاؤم اقرءوا كذبيته ﴿١٩﴾ اني ظننت اني ملكي حسية ﴿٢٠﴾ فهو في عيشة راضية ﴿٢١﴾ في جنة عالية ﴿٢٢﴾ قطوفها دانية ﴿٢٣﴾ كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية ﴿٢٤﴾ واما من أوفى كذبه يسمينه فيقول يا ليتني تراوت كذبيته ﴿٢٥﴾ ولترأد ما يحسبه ﴿٢٦﴾ بليتها كانت الفاصية ﴿٢٧﴾ ما أغف عني ماليه ﴿٢٨﴾ هلك عني سلطانتي ﴿٢٩﴾ خذوه فغلوه ﴿٣٠﴾ فركبهم صلوه ﴿٣١﴾ ثم في سلسلة وذرعهما سمعون ﴿٣٢﴾ وراعا فأسلكوه ﴿٣٣﴾ انهم كان لا يؤمن بالله العظيم ﴿٣٤﴾ ولا يحض على طعام المسكين ﴿٣٥﴾

[١٦] ﴿وانشقت السماء﴾ بأن تبدد نظامها ﴿فهي يومئذ واهية﴾ غير مستحكمة.

[١٧] ﴿والملك﴾ جنس الملائكة يرى ﴿على أرجائها﴾ أطراف السماء صعوداً ونزولاً ﴿ويحمل عرش ربك﴾ وهو شيء عظيم خاص بالله تعالى تشريفاً، كالكعبة في الأرض ﴿فوقهم﴾ فوق أكتاف الملائكة ﴿يومئذ ثمانية﴾ من أفرادهم.

[١٨] ﴿يومئذ تعرضون﴾ تحضرون للحساب ﴿لا تخفى منكم خافية﴾ نفس خافية على الله.

[١٩] ﴿فاما من أوتي﴾ أعطي ﴿كتابه﴾ كتاب أعماله ﴿بيمينه﴾ وفي ذلك دلالة على نجاته ﴿فيقول﴾ فرحاً ﴿هاؤم﴾ أمر للجماعة، بمنزلة (هاكم) أي خذوا، والتفتوا ﴿اقرأوا كتابيه﴾ أي كتابي، والهاء للسكت.

[٢٠ - ٢٢] ﴿انني ظننت﴾ علمت ﴿انني ملاق﴾ آلافي وأرى في الآخرة ﴿حسابيه﴾ حسابي، ولذا عملت لهذا اليوم. ﴿فهو في عيشة راضية﴾ مرضية. ﴿في جنة عالية﴾ رفيعة.

[٢٣] ﴿قطوفها﴾ ثمارها ﴿دانية﴾ قريبة من الإنسان حتى إذا أراد أن يتناولها وهو مستلق تمكن.

[٢٤] ويقال لهم: ﴿كلوا واشربوا هنيئاً﴾ أكلاً بدون تعب ولا حزن ﴿ب﴾ سبب ﴿ما أسلفتم﴾ قدمتم من الخير ﴿في﴾ الأيام الخالية الماضية أي أيام الدنيا.

[٢٥ - ٢٧] ﴿واما من أوتي كتابه بسماله﴾ وذلك علامة سوء الحال ﴿فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه﴾ حتى يسئني. ﴿ولم أدر ما حسابيه﴾ لم أعرف حسابي. ﴿يا ليتها﴾ أي الموتة التي ذقتها ﴿كانت القاضية﴾ المبيدة لحياتي إلى الأبد فلم أحي.

[٢٨ - ٣١] ﴿ما أغنى﴾ ما أفادني في النجاة من عذاب الله ﴿عني ماليه﴾ أموالي. ﴿هلك عني سلطانيه﴾ ذهب جاهي وسلطتي ولم يفدني. ثم يقال للملائكة: ﴿خذوه فغلوه﴾ اربطوا يديه ورجليه بالأغلال. ﴿ثم الجحيم صلوه﴾ أدخلوه فيها.

[٣٢ - ٣٤] ﴿ثم في سلسلة﴾ من الحديد ﴿ذرعهما﴾ قدرها بالذراع ﴿سبعون ذراعاً﴾ وهذا المقدار إما لأجل التهويل في عذابهم، أو لأجل لفها على أعضائهم ﴿فأسلكوه﴾ اجعلوه فيها. ﴿إنه كان لا يؤمن بالله العظيم﴾ ولا يحض* ولا يحض* لا يحض* على طعام المسكين* ومن لا يحض لا يبذل، فإنه قسم من الحث، ولعل المراد الزكاة.

[٣٥] ﴿فليس له اليوم هاهنا حميم﴾ صديق .

[٣٦] ﴿ولا طعام إلا من غسلين﴾ صديد أهل النار، وأصله ما يبقى من الغسالة .

[٣٧] ﴿ولا يأكله إلا الخاطئون﴾ الذين تعمدوا الخطيئة .

[٣٨] ﴿فلا أقسم﴾ لا، زائدة للتأكيد، أو المراد التلميح إلى القسم بدون القسم ﴿بما تبصرون﴾ .

[٣٩] ﴿وما لا تبصرون﴾ أي بالمخلوقات كلها، أو بها وبخالقها، لأن الله لا يبصر .

[٤٠] ﴿إنه لقول رسول كريم﴾ على الله، وقول الرسول ﷺ هو قول الله، إذ (ما ينطق عن الهوى إنه هو إلا وحي يوحى) (١) .

[٤١] ﴿وما هو بقول شاعر﴾ كما تزعمون ﴿قليلاً ما﴾ زائدة لتأكيد القلة ﴿تؤمنون﴾ لعنادكم، والمعنى أنكم لا تصدقون إلا ببعض ما ظهر لكم من الحق، لا ب كله .

[٤٢] ﴿ولا بقول كاهن﴾ وهو من يخبر عن الشياطين ﴿قليلاً ما تذكرون﴾ تذكرأ و اتعاطأ قليلاً .

[٤٣] بل هو ﴿تنزيل﴾ إنزال ﴿من رب العالمين﴾ .

[٤٤] ﴿ولو تقول علينا﴾ محمد ﷺ بأن نسب إلينا قولاً بالكذب ﴿بعض الأقاويل﴾ الأقوال .

[٤٥] ﴿لأخذنا منه باليمين﴾ بيمينه .

[٤٦] ﴿ثم لقطعنا منه الوتين﴾ عرق قلبه .

[٤٧] ﴿فما منكم من أحد عنه﴾ عن المقتول ﴿حاجزين﴾ مانعين، بأن يمنعنا عن إزاله وقتله، ولكنه ﷺ لم يكذب علينا قط .

[٤٨] ﴿وإنه﴾ القرآن ﴿لنذكرة﴾ مذكر وواعظ ﴿للمتقين﴾ فإنهم المتفعون بالذكرى .

[٤٩] ﴿وإننا لنعلم أن منكم﴾ يا أهل مكة ﴿مكذبين﴾ فنجازيهم على تكذيبهم .

[٥٠] ﴿وإنه﴾ القرآن ﴿لحسرة على الكافرين﴾ في يوم القيامة حيث يتحسرون لماذا لم يعملوا به في الدنيا .

[٥١] ﴿وإنه﴾ القرآن ﴿لحق اليقين﴾ الحق المتيقن الذي لا شك فيه .

[٥٢] ﴿فسبح﴾ نزه ﴿ب﴾ ذكر ﴿اسم ربك العظيم﴾ صفة (الرب) فإذا قال الإنسان: الله العادل الغني الصادق مثلاً فقد نزهه عن الظلم والاحتياج والكذب .

٧٠: سورة المعارج

مكية آياتها أربع وأربعون

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

[١] ﴿سأل سائل﴾ دعا داع ﴿بعذاب واقع﴾ كان الكفار يقولون (اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء) فالعذاب واقع بهم لا محالة، إن عاجلاً أو آجلاً، وقد ورد إن الآية نزلت في بعض المنافقين يوم الغدير، لما طلب من الله أن يعذبه إن كان نصب أمير المؤمنين علي عليه السلام بأمره تعالى، فرماه الله بحجر فقتله .

[٢] ﴿للكافرين ليس له دافع﴾ لا أحد يدفعه من الكفار .



- [٣] ﴿من الله ذي المعارج﴾ المصاعد، أي السماوات التي تعرج الملائكة فيها، أو درجات الجنة.
- [٤] ﴿تعرج الملائكة والروح﴾ جبرئيل ﴿إليه﴾ إلى محل تشريف الله ﴿في يوم﴾ أي أن العروج يكون في يوم وهو يوم القيامة ﴿كان مقداره﴾ بأيام الدنيا ﴿خمسین ألف سنة﴾.
- [٥] ﴿فاصبر﴾ يا محمد ﷺ ﴿صبراً جميلاً﴾ لا شكوى فيه ولا جزع.
- [٦] ﴿إنهم﴾ أي الكفار ﴿يرونه﴾ أي يوم القيامة ﴿بعيداً﴾ عن أن يكون.
- [٧] ﴿ونراه قريباً﴾ كائناً في وقت قريب، فإن أمد الدنيا قصير مهما طال.
- [٨] ﴿يوم﴾ ظرف لـ (قريباً) ﴿تكون السماء كالمهل﴾ كالفلز المذاب.
- [٩] ﴿وتكون الجبال كالمهن﴾ كالصوف الملون المنفوش، يسير به الريح.
- [١٠] ﴿ولا يسأل حميم حميماً﴾ أي لا يسأل الصديق صديقه لهول ذلك اليوم.

[١١ - ١٢] ﴿يَبْصُرُونَهُمْ﴾ فإن عدم السؤال لتشاغل كل بنفسه، لا لأنه لا يبصر صديقه ﴿يُودِ﴾ بمعنى ﴿المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ﴾ بأن يعطي الفدية ويخلص نفسه ﴿بنيته﴾. ﴿وصاحبته﴾ زوجته ﴿وأخيه﴾.

[١٣ - ١٤] ﴿وفصيلته﴾ عشيرته ﴿التي تؤويه﴾ تضمه فإن العشيرة تضم أفرادها. ﴿ومن في الأرض﴾ من الخلائق ﴿جميعاً ثم ينجيهِ﴾ الافتداء.

[١٥] ﴿كلاً﴾ لا نجاة ﴿إنها﴾ النار المعدة للمجرم ﴿لظى﴾ لهب محرقة.

[١٦] ﴿نزاعة﴾ كثيرة النزاع ﴿للسوى﴾ للأطراف من الجسم.

[١٧] ﴿تدعو﴾ النار إلى نفسها ﴿من أدبر﴾ ذهب عن الحق وأعطى إليه دبره ﴿وتولى﴾ أعرض.

[١٨] ﴿وجمع﴾ المال ﴿فأوعى﴾ جعله في وعاء ومنع حق الله عنه.

[١٩] ﴿إن الإنسان خلق هلوعاً﴾ قليل الصبر شديد الحرص، يفسره قوله:

[٢٠] ﴿إذا مسه﴾ أصابه ﴿الشر﴾ كالفقر والمرض ﴿جزوعاً﴾ يكثر الجزع.

[٢١] ﴿وإذا مسه الخير﴾ كالصحة والغنى ﴿منوعاً﴾ يمنع حق الله في بدنه وماله.

[٢٢ - ٢٣] ﴿إلا﴾ فليس المستثنى هلوعاً ﴿المصلين﴾. ﴿الذين هم على صلاتهم دائمون﴾ مواظبون.

[٢٤] ﴿والذين في أموالهم حق معلوم﴾ كالزكاة.

[٢٥] ﴿للسائل والمحروم﴾ الذي لا يسأل فيحسبه الناس غنياً، فيحرمونه.

[٢٦ - ٢٧] ﴿والذين يصدقون بيوم الدين﴾ يوم القيامة. ﴿والذين هم من عذاب ربهم مشفقون﴾ خائفون.

[٢٨] ﴿إن عذاب ربهم غير مأمون﴾ أن ينزل بالإنسان.

[٢٩ - ٣٠] ﴿والذين هم لفروجهم حافظون﴾ * إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم، أي إيمانهم ﴿فإنهم غير ملومين﴾ من استعمال فرجهم في الزوجة والأمة.

[٣١ - ٣٢] ﴿فمن ابتغى﴾ طلب ﴿وراء ذلك﴾ الذي أباحه الله من الزوجة والمملوكة ﴿فأولئك هم العادون﴾ المجاوزون للحدود. ﴿والذين هم لأماناتهم﴾ أمانة الناس عندهم ﴿وعهدهم﴾ مع الناس ﴿راعون﴾ يراعون ويحفظون.

[٣٣ - ٣٥] ﴿والذين هم بشهاداتهم قائمون﴾ يقيمون الشهادة كما تحملوها. ﴿والذين هم على صلاتهم يحافظون﴾ بأدائها في أوقاتها. ﴿أولئك في جنات مكرمون﴾ يكرمهم الله والملائكة والصالحون.

[٣٦] ﴿فمال الذين كفروا﴾ أي شيء للكفار الذين هم ﴿قلبك﴾ عندك ﴿مهطعين﴾ مسرعين.

[٣٧] ﴿عن اليمين وعن الشمال﴾ عن يمينك وشمالك ﴿عزين﴾ جماعات متفرقة، جمع (عزة) بمعنى جماعة، فإن الرسول ﷺ حين كان يقرأ القرآن كان الكفار يسرعون نحوه للاستهزاء به فيحفون به جماعات جماعات.

[٣٨] ﴿أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم﴾ ذات نعمة، فإنهم كانوا يقولون: لو كان محمد ﷺ صادقاً لكان لنا عند الله أفضل مما له، كما تفضل علينا في الدنيا بالمال والأولاد، ولم يعطها لمحمد ﷺ.

[٣٩] ﴿كلاً﴾ لا جنة لهم ﴿إننا خلقناهم مما يعلمون﴾ من نطفة قدرة فلا كرامة لهم ذاتاً، وإنما تكون الكرامة ودخول الجنة بالإيمان والعمل الصالح.

يَبْصُرُونَهُمْ يَوْمَ الْمُنْجَمِ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمَئِذٍ بَيْنَهُ
وَصَدِيقَتِهِ وَأَخِيهِ ۚ وَفَصِيلَتُهُ الَّتِي تُؤْوِيهِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ
جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ۚ كَلَّا إِنَّمَا لَظَىٰ ۚ نَزَاعَةَ لِّلْشَوَىٰ ۚ تَدْعُو
مَنْ أَذْبَرَ نَفْسَهُ ۚ رَجِعْ فَأَوْعَىٰ ۚ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۚ
إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۚ وَإِذَا مَسَّهُ الْفَرُّ مُنُوعًا ۚ إِلَّا
الْمُصَلِّينَ ۚ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ۚ وَالَّذِينَ فِي
أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۚ لِّلْسَائِلِ وَالْمَحْرُومِ ۚ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ
بِیَوْمِ الدِّينِ ۚ وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ۚ إِنَّ عَذَابَ
رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ۚ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۚ إِلَّا عَلَىٰ
أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۚ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ
ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۚ وَالَّذِينَ هُمْ لَا يُنْتَسِبُهُمْ وَعهْدِهِمْ زَعُونَ
ۚ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ ۚ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۚ
أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمِينَ ۚ قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا لَكُم مُّهْطِعِينَ
عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ۚ أَيطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ
أَن يَدْخُلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ۚ كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ ۚ

[٤٠] ﴿فَلَا اقْسَمْ﴾ (لا) زائدة للتأكيد، أو تلميح إلى القسم فتكون نافية ﴿بِرب المشارق والمغارب﴾ لأن الشمس في كل يوم مشرقاً ومغرباً خاصاً ﴿إنا لقادرون﴾.

[٤١] ﴿على أن نبدل خيراً منهم﴾ بأن نهلكهم ونبدلهم بأناس آخرين خيراً منهم، فلا كرامة لهم عندنا، كما يزعمون ﴿وما نحن بمسبوقين﴾ بمغلوبين، بأن يسبقونا، فلا نصل إليهم، كما يسبق من يفرّ ممن يريد أخذه.

[٤٢] ﴿فذرهم﴾ دعهم ولا تقابلهم بالإساءة ﴿يخوضوا﴾ يدخلوا في باطلهم ﴿ويلعبوا﴾ في دنياهم بدون تفكير بالآخرة ﴿حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون﴾ أي يوم القيامة.

[٤٣] ﴿يوم يخرجون من الأجداث﴾ القبور ﴿سراعاً﴾ مسرعين، فراراً من أهوال المحشر بزعمهم ﴿كانهم إلى نصب﴾ صنم ﴿يوفضون﴾ يسرعون، فإنهم كانوا في الدنيا يسرعون إلى الأصنام لعبادتها.

[٤٤] ﴿خاشعة أبصارهم﴾ ذلاً وخوفاً ﴿ترهقهم﴾ تغشاهم ﴿ذلة﴾ في ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون ﴿به في الدنيا فلا يصدقون به﴾.

٧١: سورة نوح

مكية آياتها ثمان وعشرون

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

فَلَا اقْسَمْ رَبِّكَ لِلْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَدِيرُونَ ﴿١﴾ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرَ لَكُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوبِينَ ﴿٢﴾ فَاذْكُرْهُمْ يَوْمَهُمُ الَّذِي كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٣﴾ وَيَوْمَ يُخْرَجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعاً كَانَهُمْ إِلَى نُصُوبٍ يُوفُضُونَ ﴿٤﴾ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهُقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمَ كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٥﴾

سُورَةُ نُوحٍ ﴿٦﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢﴾ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُمْ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنْ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُونَ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْصِيعَةً فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا وَاسْتَكْبَرُوا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّكُمْ كَانَتْ غُفَارًا ﴿١٠﴾

[١] ﴿إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه أن أنذر﴾ بأن خوف ﴿قومك من قبل أن يأتيهم عذاب اليم﴾ مؤلم، في الدنيا بالغرق، وفي الآخرة بالنار.

[٢] ﴿قال يا قوم إنني لكم نذير مبين﴾ واضح.

[٣] ﴿أن اعبدوا الله﴾ اعتقدوا به ﴿واتقوه﴾ خافوا عقابه ﴿وأطيعوا﴾ أي أطيعوني فيما أمركم الله.

[٤] فإن علمتم ذلك ﴿يغفر لكم من ذنوبكم﴾ بعضها، فإن حق الناس يلزم أن يرد إليهم ﴿ويؤخركم إلى أجل﴾ وقت ﴿مسمى﴾ قد سمي لكم، بأن تموتوا فيه، وإلا أخذتم بالعذاب قبل انتهاء الأجل الطبيعي ﴿إن أجل الله﴾ الوقت المقرر لموتكم أو عذابكم ﴿إذا جاء لا يؤخر﴾ فبادروا إلى الإيمان قبل فوات الأوان ﴿لو كنتم تعلمون﴾ الحقائق لعلمتم ما ذكرت لكم.

[٥] ﴿قال نوح﴾ : ﴿رب إنني دعوت قومي ليلاً ونهاراً﴾ أي دائماً.

[٦] ﴿فلم يزدهم دعائي إلا فراراً﴾ عن الإيمان.

[٧] ﴿وإنني كلما دعوتهم لتغفر لهم﴾ بأن يؤمنوا حتى تغفر لهم ﴿جعلوا أصابعهم في آذانهم﴾ لئلا يسمعوا كلامي ﴿واستغشوا ثيابهم﴾ تغطوا بها على وجوههم لئلا يروني ﴿وأصروا﴾ على كفرهم ﴿واستكبروا﴾ تكبروا عن الإيمان ﴿استكباراً﴾.

[٨] ﴿ثم﴾ لترتيب الكلام ﴿إنني دعوتهم جهاراً﴾ بصوت جهوري.

[٩] ﴿ثم﴾ إنني أعلنت لهم الدعوة في الملا ﴿وأسررت لهم إسراراً﴾ تكلمت معهم في السر أيضاً، والحاصل تكلمت معهم بكل الوجه الممكنة.

[١٠] ﴿فقلت استغفروا ربكم﴾ بالتوبة عن الكفر والعصيان ﴿إنه كان غفاراً﴾ لمن استغفره.

[١١] فَإِنْ اسْتَغْفَرْتُمْ «يرسل السماء» بِإِذْنِ الْمَطَرِ «عليكم مدراراً» مطراً كثيراً.

[١٢] «وَيَمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَنْبِيْنَ» أي يكثرها لكم «وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ» بساتين «وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً» أي يكثّر خيركم.

[١٣] «مَا لَكُمْ» أي شيء لكم في أن «لا ترجون لله وقاراً» أي ثباتاً، فلا تعتقدون بوجوده، فمن لا يعتقد بالله لا يرجوه ولا يخاف عقابه، وأتى بلفظ الرجاء لأن من اعتقد بوجود الله وثباته رجاه.

[١٤] «وَالْحَالِ» قد خلقكم أطواراً» طوراً بعد طور: منياً وجنيناً وهكذا، فإن هذا الخلق يدل على الخالق فلماذا لا تعتقدون به.

[١٥] «أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طَبَاقاً» مطابقة بعضها فوق بعض.

[١٦] «وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ» في السماوات «نُوراً» وجعل الشمس سراجاً مصباحاً.

[١٧] «وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ» أنشأكم «مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتاً» إذ الأرض تتحول إلى العشب فيؤكل وتكون دماً ونظفة.

[١٨] «ثُمَّ يَعِيدُكُمْ» بعد الموت «فِيهَا» في الأرض «وَيُخْرِجُكُمْ إِيْرَاجاً» عند القيامة.

[١٩] «وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطاً» مبسوطة.

[٢٠] «لِتَسْلُكُوا» تشوا «منها» في بعض الأرض «سَبِيلاً فَجَاجاً» واسعات.

[٢١] «قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مِنْ» أي رؤساءهم الذين «لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدَهُ إِلَّا خُسَاراً» فإن الأموال والأولاد إذا صرفت في عصيان الله سبب زيادة الخسارة، بالإضافة إلى كفر الشخص وعصيانه الشخصي.

[٢٢] «وَمَكْرُوا» لأجل إطفاء الدين «مَكْرًا كِبَارًا» كبيراً جداً.

[٢٣] «وَقَالُوا» أي الرؤساء للناس «لَا تَذَرْنِ» لا تدعن «أَلِهَتَكُمْ» لتعبدوا إله نوح ﷺ، ثم ذكروا خمسة من الآلهة الكبار في نظرهم حيث قالوا: «وَلَا تَذَرْنِ وَدًّا وَلَا سَوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا».

[٢٤] «وَقَالَ نُوحٌ ﷺ: يَا رَبِّ» قد أضلوا هؤلاء الرؤساء «كثييراً» رب «لَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ أَنْفُسَهُمْ بِالْعَنَادِ» إلا ضلالاً، بأن تخذلهم أكثر فأكثر.

[٢٥] «مِمَّا» من أجل «خَطِيئَتِهِمْ» معاصي أولئك القوم «أَغْرَقُوا» بالطوفان «فَادْخَلُوا نَاراً» في الآخرة «فَلَمْ يَجِدُوا لَهَا» من دون الله «غَيْرَ اللَّهِ» فلم تنصرهم آلهتهم.

[٢٦] «وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِ» لا تدع «عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دِيَاراً» أي أحداً ينزل الدار.

[٢٧] «إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يَضِلُّوا عِبَادَكَ» المؤمنين «وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا» إلا من يؤول أمره إلى الفجور والكفر.

[٢٨] «رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدِي وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي» منزلي «مُؤْمِنًا» حال كونه مؤمناً، فإنهم كانوا يراودون نوح ﷺ في داره «وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ» عامة «وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا» هلاكاً، لأنهم معاندون، فلا يستحقون زيادة نعمة وفضل.

يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَنْبِيْنَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ مَالَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طَبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لَتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدَهُ إِلَّا خُسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكْرًا أَمَّا كِبَارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرْنِ الْإِلَهَ وَلَا تَذَرْنِ وُدًّا وَلَا سَوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾ وَمِمَّا خَطَبْتَهُمْ أَغْرَقُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا فَتَلَعُوا مِنْهَا دُخَانًا ﴿٢٥﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْكَافِرِينَ دِيَارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يَضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدِي وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي ﴿٢٨﴾ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٩﴾

٧٢: سورة الجن

مكية آياتها ثمان وعشرون

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

- [١] ﴿قُلْ أُوْحِي إِلَيَّ أَنَّهُ تَسْمَعُ قُرْءَانَهُمْ فَتَتَّبِعُونَ أَصْوَابَهُمْ وَقُلْ مَنْ لَّيْسَ بِمُؤْمِنٍ فَلْيُجَنِّبْ رَأْسَهُ وَلْيَنْجُبْ آذَانَهُ وَليَسِّرْ رُجُوعَهُ لَعَلَّهُ يَنْصَرِتُ وَمَنْ جَدَّدَ مَقْعَدَهُ فَثَمَّ مَتَّعُوهُ﴾
- [٢] ﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾ الصواب ﴿فَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾ بالقرآن ﴿وَلَنْ نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ لا نجعل له شريكاً.
- [٣] ﴿وَأَنَّهُ﴾ الشأن ﴿تَعَالَى﴾ ارتفع ﴿جَدَّ رَبِّنَا﴾ أي عظَّمته، يقال جد فلان في عيني أي عظم ﴿مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً﴾ زوجة ﴿وَلَا وَلَدًا﴾ كما يقول الكفار.
- [٤] ﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَفْقَهُ لَفِطْنَتَ رَبِّهِ﴾ أي الشيطان لأنه من الجن ﴿عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾ قولاً كذباً حتى يجعل له الولد والشريك.
- [٥] ﴿وَأَنَا ظَنْنَا أَنَّ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ أي إنما اتبعنا الشيطان السفيف في اتخاذ الولد والشريك لظننا أنه صادق في قوله.
- [٦] ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ﴾ كان الرجل إذا مشى بقفر يقول أعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه ﴿فَزَادُوهُمْ﴾ زاد الجن الإنس

سُورَةُ الْجِنِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أُوْحِي إِلَيَّ أَنَّهُ تَسْمَعُ قُرْءَانَهُمْ فَتَتَّبِعُونَ أَصْوَابَهُمْ وَقُلْ مَنْ لَّيْسَ بِمُؤْمِنٍ فَلْيُجَنِّبْ رَأْسَهُ وَلْيَنْجُبْ آذَانَهُ وَلْيَسِّرْ رُجُوعَهُ لَعَلَّهُ يَنْصَرِتُ وَمَنْ جَدَّدَ مَقْعَدَهُ فَثَمَّ مَتَّعُوهُ

يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ ۚ وَلَنْ نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ۚ وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۚ وَأَنَّهُ كَانَ يَفْقَهُ لَفِطْنَتَ رَبِّهِ ۚ وَأَنَا ظَنْنَا أَنَّ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۚ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۚ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنَّ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ۚ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَثَمَتًا حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَابًا ۚ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدًا لِّلسَّمْعِ ۖ فَمَنْ يَسْمَعِ ۖ آلَانُ بَحْدَلُهُمْ ۖ شَهَابًا رَّصَدًا ۚ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ ۖ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ۚ وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِمَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدْدًا ۚ وَأَنَا ظَنَّنَا أَنَّ لَنْ تَعْجِزَ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ تَعْجِزَ هَرَبًا ۚ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْمَدَىٰ ۖءَامَنَّا بِهِ ۖ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ ۖ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ۚ

﴿رهقاً﴾ تعباً وظلماً بإغوائهم للإنس.

- [٧] ﴿وَأَنَّهُمْ﴾ أي الإنس ﴿ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ﴾ أيها الجن ﴿أَنَّ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾ لا يرسل رسولاً.
- [٨] ﴿وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ﴾ مستسناها لاستراق السمع ﴿فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَثَمَتًا﴾ السماء ﴿حَرَسًا﴾ من الملائكة ﴿شَدِيدًا﴾ في الحراسة ﴿وَشُهَابًا﴾ جمع شهاب، وهي لمن استرق السمع من الشياطين.
- [٩] ﴿وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا﴾ من السماء ﴿مَقَاعِدَ﴾ مجالس ﴿لِّلسَّمْعِ﴾ إلى كلام الملائكة، وذلك قبل محمد ﷺ ﴿فَمَنْ يَسْمَعِ الْآنَ﴾ بأن يذهب إلى تلك المقاعد للاستماع ﴿يَجِدْ لَهُ شُهَابًا رَّصَدًا﴾ قد رصد ليرجم به إذا خطف الخطفة.
- [١٠] ﴿وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ بنزول العذاب إليهم، ولذا ملأ السماء بالرصد والحرس، كما أن الحكومة إذا أرادت تدمير بلد أكثر فيه من الجيش والأرصاد ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ كما أن الحكومة إذا أرادت البناء والتأسيس وال عمران أكثر من العمال والموظفين وما أشبه.
- [١١] ﴿وَأَنَا مِنَّا﴾ معاشر الجن ﴿الصَّالِحُونَ﴾ إيماناً وعملاً ﴿وَمِمَّا دُونَ ذَلِكَ﴾ الصلاح بالفسق ثم الكفر ﴿كُنَّا طَرَائِقَ﴾ ذوي طريقات ومذاهب ﴿قِدْدًا﴾ متفرقة.
- [١٢] ﴿وَأَنَا ظَنَّنَا﴾ تيقناً ﴿أَنَّ لَنْ نَعْجِزَ اللَّهُ﴾ بأن ندافع عن ما يريد بنا من التقديرات، في حال كوننا ﴿فِي الْأَرْضِ وَ﴾ ظننا أن ﴿لَنْ نَعْجِزَهُ هَرَبًا﴾ بأن نهرب منه فلا يدركننا.
- [١٣] ﴿وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْمَدَىٰ﴾ القرآن ﴿آمَنَّا بِهِ﴾ فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخساً ﴿نَقَصًا﴾ في أجره ﴿وَلَا رَهَقًا﴾ ظلماً وتعباً.

[۱۴] ﴿وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَمِنَ الْفَاسِقِينَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ الْبَارُونَ، الْعَادِلُونَ عَنِ الْحَقِّ ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا﴾ طَلَبُوا ﴿رَشَدًا﴾ صَوَابًا.

[۱۵] ﴿وَأَمَّا الْفَاسِقُونَ فَكَانُوا لَجْنَهُمْ حُطْبًا﴾ وَقَدْ أ.

[۱۶] ﴿وَو﴾ عَلِمْنَا ﴿أَنَّ﴾ مَخْفَفَةً مِنَ الثَّقِيلَةِ ﴿لَوْ اسْتَقَامُوا﴾ أَيِ الثَّقَلَانِ ﴿عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾ الصَّحِيحَةِ وَهِيَ الْإِيمَانُ ﴿لَأَسْقَيْنَاهُمْ﴾ الثَّقَاتُ مِنَ كَلَامِ الْجَنِّ إِلَى كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿مَاءً غَدَقًا﴾ كَثِيرًا، وَالْمُرَادُ الرِّزْقُ الْكَثِيرُ فَإِنَّ الْمَاءَ يَسَبِّبُ الْإِرْزَاقَ.

[۱۷] ﴿لَنُفْتِنَهُمْ﴾ نَخْتَبِرُهُمْ ﴿فِيهِ﴾ فِي ذَلِكَ الْمَاءِ، فَإِنَّ كَثْرَةَ النِّعَةِ امْتِحَانٌ، كَمَا أَنَّ الْبَلَاءَ امْتِحَانٌ ﴿وَمَنْ يَعْصِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ﴾ بِأَنْ كَفَرَ وَعَصَى ﴿يَسْلُكُهُ﴾ يَدْخُلُهُ ﴿عَذَابًا صَعَدًا﴾ يَشْمَلُهُ وَيَصْعَدُ عَلَى كُلِّ جَسْمِهِ أَيِ صَاعِدًا.

[۱۸] ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾ بَنِيَتْ لِأَجْلِهِ ﴿فَلَا تَدْعُوا﴾ فِي الْمَسَاجِدِ ﴿مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ كَمَا كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ فِي مَسْجِدِ مَكَّةَ أَوِ الْمُرَادُ بِالْمَسَاجِدِ الْأَعْمَ مِنَ الْأُبْنِيَةِ وَمَوَاضِعِ السُّجُودِ.

[۱۹] ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ﴾ مُحَمَّدٌ ﷺ ﴿يَدْعُوهُ﴾ أَيِ يَدْعُو اللَّهَ وَحْدَهُ ﴿كَادُوا﴾ أَيِ الْجَنِّ ﴿يَكُونُونَ عَلَيْهِ﴾ عَلَى الرَّسُولِ ﷺ ﴿لِبَدَأٍ﴾ أَيِ مُزْدَحْمِينَ لِاسْتِمَاعِ الْقُرْآنِ.

[۲۰] ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾ صَمًّا أَوْ غَيْرِهِ.

[۲۱] ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ نَفْعًا، فَلَا أَقْدِرُ عَلَى نَفْعِكُمْ أَوْ ضَرْكُمْ لِأَنَّهُمَا بِيَدِ اللَّهِ.

[۲۲] ﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يَجِيرَنِي﴾ يَحْفَظُنِي ﴿مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ﴾ إِنْ أَرَادَ بِي ضَرْرٌ ﴿وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ﴾ دُونَ اللَّهِ ﴿مُلْتَحَدًا﴾ مَلْجَأً أَفْرَ إِلَيْهِ إِذَا أَرَادَ بِي ضَرْرًا.

[۲۳] ﴿إِلَّا﴾ اسْتِثْنَاءٌ مِنْ: (لَا أَمْلِكُ) «بِلَاغًا» التَّلْبِيغُ إِلَيْكُمْ «مِنَ اللَّهِ وَ» إِلَّا «رِسَالَتِهِ» عَطَفَ بَيَانُ (بِلَاغًا) «وَمِنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا» يَقُونُ فِيهَا إِلَى الْأَبَدِ.

[۲۴] ﴿حَتَّى﴾ غَايَةُ لِمَحْذُوفٍ دَلَّ عَلَيْهِ الْكَلَامُ، أَيِ أَنَّ الْكُفَّارَ يَسْتَضَعِفُونَ الْأَنْبِيَاءَ وَالْمُؤْمِنِينَ ﴿إِذَا رَأَوْا مَا يُوْعَدُونَ﴾ مِنَ الْعَذَابِ «فَنَسِيْعِلْمُونَ مِنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقْلُ عِدَدًا» أَعْوَانًا، هُمْ أَمْ الْأَنْبِيَاءُ؟

[۲۵] ﴿قُلْ إِنْ أَدْرِي﴾ لَسْتُ أَعْلَمُ «أَقْرَبُ مَا تُوْعَدُونَ» مِنَ الْعَذَابِ «أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا» مَدَّةَ بَعِيدَةٍ إِنَّهُ كَائِنٌ لَا مُحَالَةَ لَكِنْ لَا أَعْلَمُ وَقْتَهُ.

[۲۶] هُوَ تَعَالَى «عَالِمُ الْغَيْبِ» مَا غَابَ عَنِ الْحَوَاسِّ «فَلَا يَظْهَرُ» لَا يُعْلَمُ «عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا» مِنْ خَلْقِهِ.

[۲۷] ﴿إِلَّا مَنْ ارْتَضَى﴾ اخْتَارَهُ اللَّهُ لِأَنَّهُ يَطْلُعُهُ عَلَى بَعْضِ غَيْبِهِ «مِنْ رَسُولٍ» وَعِلْمُ الْأُئِمَّةِ ﷺ بِوِاسْطَةِ الرَّسُولِ ﷺ، وَالْمُرَادُ الْغَيْبُ الْخَاصُّ بِاللَّهِ، أَمَّا مَا جَعَلَ اللَّهُ لَهُ طَرَقًا، وَلَوْ بِوِاسْطَةِ تَصْفِيَةِ النَّفْسِ كَمَا نَرَى فِي الزَّهَادِ وَمِنْ إِلَيْهِمْ فَلَيْسَ مِنَ الْغَيْبِ الْخَاصِّ بِاللَّهِ «فَإِنَّهُ» أَيِ اللَّهِ «يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا» يَجْعَلُ مَلَائِكَتَهُ حَوَالِي الرَّسُولِ ﷺ وَحِينَئِذٍ يُوْحَى إِلَيْهِ بِالْغَيْبِ، حَفْظًا لِلْوَحْيِ مِنْ تَخَالُطِ الشَّيْطَانِ، وَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ هَذَا تَشْرِيفِي، كَسَائِرِ شُؤْنِ الْكَوْنِ مِثْلَ جَعْلِ الْحَفِظَةِ لِأَعْمَالِ الْإِنْسَانِ، مَعَ أَنَّ اللَّهَ مُطْلَعٌ، وَهَكَذَا.

[۲۸] «لِيَعْلَمَ» أَيِ لِيَحْصَلَ عِلْمُهُ تَعَالَى فِي الْخَارِجِ «أَنَّ» مَخْفَفَةً مِنَ الثَّقِيلَةِ «قَدْ أُبْلَغُوا» الرَّسُلُ، أَوِ الْمَلَائِكَةُ الرُّصْدَ الَّذِينَ يَأْتُونَ بِعِلْمِ الْغَيْبِ إِلَى الرَّسُولِ «رِسَالَاتٍ بِهِمْ» بِإِزَادَةٍ أَوْ نَقْصَانٍ «وَو﴾ قَدْ «أَحَاطَ» اللَّهُ عَلِمًا «بِمَا لَدَيْهِمْ» مِمَّا يَفْعَلُونَ فَلَيْسَ الرُّصْدَ لِعِلْمِهِ بِوِاسْطَتِهِمْ «وَأَحْصَى» عَلِمًا «كُلَّ شَيْءٍ عِدَدًا» فَمَنْ يَعْلَمُ عِدَدَ الْأَشْيَاءِ وَيَعْلَمُ مَا لَدَى النَّاسِ، عَالِمٌ بِالْجَمِيعِ.

وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَمِنَ الْفَاسِقِينَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ
تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا الْفَاسِقُونَ فَكَانُوا لَجْنَهُمْ حُطْبًا ﴿١٥﴾
وَالْوُ اسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لَنُفْتِنَهُمْ
فِيهِ وَمَنْ يَعْصِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكُهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَأَنَّ
الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ
يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ
بِهِ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي
لَنْ يَجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا
مَنْ ارْتَضَى مِنَ اللَّهِ مِثْلًا لِمَنْ يَكْفُرُ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ
يَسْتَكْبِرُونَ فَذَرْهُمْ حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ
مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقْلُ عِدَدًا ﴿٢٣﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقْرَبُ
مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا ﴿٢٤﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ فَلَا
يُظْهَرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٥﴾ إِنْ أَمِنْ أَرْقَضَ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ
يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٢٦﴾ لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا
رِسَالَتِي رَحِيمًا وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عِدَدًا ﴿٢٨﴾

٧٣: سورة المزمل

مكية آياتها عشرون

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

[١ - ٢] ﴿يا أيها المزمل﴾ أي المتلفف شبابه، والمراد به النبي ﷺ، ولعله أوحى إليه حال كان ﷺ نائماً في الليل، كما يلوح إلى ذلك قوله: ﴿قم الليل﴾ أي للصلاة في الليل ﴿إلا قليلاً﴾ من الليل فتم فيه.

[٣] ﴿نصفه﴾ بدل من (الليل) ﴿أو انقص منه﴾ من النصف ﴿قليلاً﴾.

[٤] ﴿أو زد عليه﴾ على النصف، والحاصل قم نصف الليل أو أكثر منه أو أقل، ولا يخفى إن الإنسان إذا قام بالعبادة بمقدار نصف الليل، يقال: نام البارحة قليلاً، فهو اصطلاح، لا أن المراد القليل من الليل لغة حتى يقال: كيف يحمل لفظ (قليلاً) على ظاهره ﴿ورتل﴾ اقرأ بهدوء ﴿القرآن ترتيلاً﴾.

[٥] ﴿إنا سنلقي عليك قولاً﴾ أي القرآن ﴿ثقيلاً﴾ والمراد الآيات التي تنزل بعد ذلك، وثقلها لما فيها من الأحكام الشاقة والأوامر والنواهي الصعبة على النفس عملاً، وتبليغاً.

[٦] ﴿إن ناشئة الليل﴾ العبادة التي تنشأ في الليل ﴿هي أشد وطأً﴾ صعوبة على الإنسان لأن ذلك وقت النوم اللذيذ ﴿واقوم قليلاً﴾ أي أصوب قولاً، لكثرة ثوابه.

[٧] ﴿إن لك في النهار سبْحاً﴾ تقلباً في حوائجك ﴿طويلاً﴾ فلا تفرغ لمناجاة الله، ولذا أمرت بالعبادة في الليل، أو المراد: تسبيحاً، فيكون أمراً بصورة خبر، أي سبحه في النهار سبْحاً طويلاً - أيضاً..

[٨] ﴿واذكر اسم ربك﴾ دائماً ﴿وتبتل﴾ انقطع ﴿إليه﴾ في العبادة ﴿تبتيلاً﴾.

[٩] ﴿رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلاً﴾ موكلاً إليه أمورك فإنه يكفيكها.

[١٠] ﴿واصبر على ما يقولون﴾ من تكذيبك ﴿واجرهم﴾ فلا تقابلهم بالمثل ﴿هجرأً جميلاً﴾ بالمدارة لئلا تستفزهم.

[١١] ﴿وذرنني﴾ دعني ﴿والمكذبين﴾ فإنما أجازيهم، وبني غنية عنك ﴿أولي النعمة﴾ أصحاب النعمة أي صناديد قريش ﴿ومهلهم قليلاً﴾ زماناً قليلاً فإنني سوف آخذهم وأنصرك عليهم.

[١٢] ﴿إن لدينا أنكالا﴾ جمع نكل وهو القيد الثقيل ﴿وجحيماً﴾ جهنماً.

[١٣ - ١٤] ﴿وطعاماً ذا غصة﴾ ينشب في الحلق لممارته وحرارته وعفوصته ومنتنه، والغصة ما اعترض في الحلق ﴿وعذاباً أليماً﴾ مؤلماً. وذلك في ﴿يوم﴾ وهو يوم القيامة ﴿ترجف الأرض والجبال﴾ تنزلزل ﴿وكانت الجبال كثيباً﴾ رملاً ﴿مهيباً﴾ منشوراً فإنها تتحرك من هنا إلى هناك.

[١٥ - ١٦] ﴿إنا أرسلنا إليك﴾ يا أهل مكة ﴿رسولاً﴾ محمداً ﷺ ﴿شاهداً عليكم﴾ كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً ﴿موسى عليه السلام﴾. ﴿فعصى فرعون الرسول﴾ المبعوث إليه ﴿فأخذناه أخذاً ويلاً﴾ شديداً أليماً، بالفرق.

[١٧] ﴿فكيف تتقون﴾ وتدفعون العذاب ﴿إن كفرتم﴾ في الدنيا ﴿يوماً﴾ أي عذاب يوم ﴿يجعل﴾ ذلك اليوم ﴿الولدان﴾ أي الأولاد ﴿شيئاً﴾ جمع أشيب، لشدة هوله وطول مدته.

[١٨ - ١٩] ﴿السماء منفطر﴾ منشق ﴿به﴾ أي تنشق و (به) لأجل التعدية ﴿كان وعده﴾ وعد الله باتيان ذلك اليوم ﴿مفعولاً﴾ كأنه لا محالة. ﴿إن هذه﴾ الآيات ﴿تذكرة﴾ لكم ﴿فمن شاء﴾ الهداية بهذه الآيات ﴿اتخذ إلى ربه﴾ رضاه تعالى ﴿سبيلاً﴾ بأن سلك السبيل الموجب لرضوانه.

سُورَةُ الْمَزْمَلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ ۚ وَرَأَيْتَ إِلَّا قَلِيلًا ۚ نَصَفَهُ ۖ أَوْ انْقُصَ مِنْهُ قَلِيلًا ۚ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ ۚ وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ۚ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۚ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَاقُومٌ قِيلًا ۚ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ۚ وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَقَتَّلْ إِلَيْهِ تَتَسِيلًا ۚ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۚ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ ۚ وَأَهْجِرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ۚ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِيَ النَّعْمَةِ وَمَهْلًا لِقَوْمِي ۚ إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا ۚ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ۚ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ ۚ وَكَانَتْ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا ۚ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ رَسُولًا شَهِيدًا ۚ عَلَيْهِ كَذَابُنَا ۚ فَأَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ۚ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ ۚ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ۚ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ ۚ إِنَّ كُفْرَتُمْ يَوْمًا جَعَلَ الْوِلْدَانَ شَيْئًا ۚ السَّمَاءُ مَنفُطْرَةٌ ۚ وَكَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ۚ إِنَّ هَذِهِ مَذْكُرَةٌ ۚ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ۚ

[٢٠] ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ أَقْلٍ﴾ من ثلثي الليل، في بعض الليالي كسبع ساعات من ليلة اثنتي عشرة ساعة - مثلاً - ﴿وَنُصْفَهُ وَلِثْلَهُ﴾ كست وأربع، في بعض الليالي الآخر ﴿و﴾ تقوم أيضاً للعبادة ﴿طائفة من الذين معك﴾ من المؤمنين ﴿والله يقدر الليل والنهار﴾ أي يوجد هما مقدرين بالمقادير المضبوطة بالامتداد تارة والتقليص أخرى ﴿علم أن لن تحصوه﴾ لا تقدر على قيام تمام الليل، فالله المقدر عالم بحالكم ﴿فتاب عليكم﴾ بأن خفف في قيام الليل، وأصل التوبة العطف، وإلا كان مقتضى العبودية أن يقوم الإنسان كل الليل مناجياً مصلياً ﴿فأقروا ما تيسر من القرآن﴾ في الليل عند العبادة، في الصلاة وخارجها ﴿علم﴾ ضعف حالكم، فلم يأمركم بقيام تمام الليل، فالمشقة النوعية سببت إسقاط التكليف الاستجابي ﴿أن سيكون منكم مرضى﴾ والمريض لا يقدر على السهر ﴿وآخرون يضربون في الأرض﴾ يسافرون ﴿يبتغون﴾ يطلبون ﴿من فضل الله﴾ بالتجارة، والمسافر قد تعب في النهار فلا يقدر على السهر ﴿وآخرون يقاتلون في سبيل الله﴾ فالمجاهد ذو تعب كثير فيريد النوم ليلاً ﴿فأقروا ما تيسر منه﴾ ما سهل من القرآن، ليلاً ﴿واقموا الصلاة وآتوا الزكاة وأقروا الله قرضاً﴾ بالإففاق في سبيله، فإنه قرض يرده الله عليكم ﴿حسناً﴾ بإخلاص

﴿وما تقدموا﴾ إلى الآخرة ﴿لأنفسكم من خير﴾ عمل أو مال ﴿تجدوه عند الله﴾ في الآخرة ﴿هو﴾ التقديم يكون لكم ﴿خيراً﴾ من البخل والتقصير ﴿وأعظم أجراً﴾ ثواباً ﴿واستغفروا الله﴾ اطلبوا غفرانه ﴿إن الله غفور﴾ كثير الغفران ﴿رحيم﴾ يرحم عباده المؤمنين .

٧٤: سورة المدثر

مكية آياتها ست وخمسون

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

[١] ﴿يا أيها المدثر﴾ أي المتغطي بالدثار، والمراد به النبي ﷺ .

[٢] ﴿قم﴾ من مضجعتك ﴿فأنذر﴾ الناس، خوفهم من بأس الله .

[٣] ﴿وربك فكبر﴾ عظمه عما لا يليق به .

[٤] ﴿وثيابك فطهر﴾ عن الأدناس، ومن جملة التطهير تقصيره .

[٥] ﴿والرجز﴾ الأوثان ﴿فاهجر﴾ ابتعد عنه .

[٦] ﴿ولا تمنن﴾ في عطيتك ﴿تستكثر﴾ بأن تراه كثيراً .

[٧] ﴿ولربك﴾ لذاته تعالى ﴿فاصبر﴾ على ما تلاقيه من الأذى .

[٨] ﴿فإذا نقر﴾ نفخ ﴿في الناقور﴾ الصور .

[٩] ﴿فذلك﴾ النقر ﴿يومئذ﴾ في ذلك اليوم وهو يوم القيامة ﴿يوم عسير﴾ شديد .

[١٠] ﴿على الكافرين غير يسير﴾ غير سهل .

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنُصْفَهُ وَلِثْلَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يَقْدِرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ فَتَابَ عَلَيْكَ فَاقْرَأْ وَامَّا تيسر من القرآن إن علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله فاقروا ما تيسر منه واقموا الصلاة وآتوا الزكاة وأقروا الله قرضاً وحسناً وما نقديموه لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً واستغفروا الله إن الله غفور رحيم﴾

سورة المدثر

بسم الله الرحمن الرحيم

يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبِّكَ فَكْبِرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿٧﴾ فَإِذَا نَقَرُ النَّاqُورِ ﴿٨﴾ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ عَسيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ عَسيرٌ ﴿١٠﴾ ذَرْنِ وَمَنْ خَلَقْتُ رَجيداً ﴿١١﴾ رَجَعْتُ لَهُ مَا لَا مَمْدُوداً ﴿١٢﴾ وَيَسْأَلُ شُهَدَاؤُا ﴿١٣﴾ وَمَهْدَتْ لَهُمْ مَحْجِداً ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّا إِنَّكَ كَانْتَ لَابِتاً غَيبِداً ﴿١٦﴾ سَاءَ هَؤُلَاءِ صَعُوداً ﴿١٧﴾

- [١١] ﴿ذُرْنِي﴾ دعني فأني أكفيكه ﴿وَمَنْ خَلَقْتُ﴾ أي الوليد بن مغيرة ﴿وَحِيداً﴾ في حال كونه بلا ولد ولا مال ثم تفضلت عليه حيث :
- [١٢] ﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُوداً﴾ كثيراً مبسوطاً .
- [١٣] ﴿وَبَيْنَ شُهُوداً﴾ حاضرين معه بمكة يتمتع بلقائهم .
- [١٤] ﴿وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيداً﴾ هيأت له الأمور من الجاه والرئاسة .
- [١٥] ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾ فيما أنعمت به عليه .
- [١٦] ﴿كَلَّا﴾ لا أزيده فـ ﴿إِنَّهُ كَانَ لَآيَاتِنَا عَنِيداً﴾ معانداً، والمعاندة تسلب النعمة ولا تزيدها فإن الشكر يزيد النعمة .
- [١٧] ﴿سَأَرْهَقُهُ﴾ أكلفه في الآخرة ﴿صَعُوداً﴾ عذاباً يصعد عليه، أو جبلاً يصعد عليه في جهنم، كما صعد بأنفه في الدنيا .

- [٣٩] ﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾ الذين يوتون صحائف أعمالهم بإيمانهم فإنهم يذهبون إلى الجنة إذ لا عمل فاسد لهم .
- [٤٠] فهم ﴿فِي جَنَّاتٍ﴾ البساتين ﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾ يسألون .
- [٤١] ﴿عَنِ الْمَجْرِمِينَ﴾ الذين دخلوا في النار .
- [٤٢] ﴿مَا سَلَكَكُمْ﴾ أدخلكم ﴿فِي سَقَرٍ﴾ النار .
- [٤٣] ﴿قَالُوا﴾ أي المجرمون في جوابهم ﴿لَمْ نَكُ﴾ في الدنيا ﴿مِنَ الْمُصْلِينَ﴾ .
- [٤٤] ﴿وَلَمْ نَكُ نَظْعُمُ الْمُسْكِينَ﴾ لم نترك أموالنا .
- [٤٥] ﴿وَكُنَّا نَخْوُضُ﴾ ندخل في الباطل ﴿مَعَ الْخَائِضِينَ﴾ .
- [٤٦] ﴿وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الدِّينِ﴾ أي بيوم الجزاء فكنا لا نعتقد بالجزاء .
- [٤٧] ﴿حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينَ﴾ أي الموت .

[٤٨] ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ ﴿٥٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذِكْرِ مُعْرِضِينَ
 فرضاً لا تنفعهم لأن الشفاعة لمن أسلم .

[٤٩] ﴿فَمَا لَهُمْ﴾ أي شيء لهم في إعراضهم ﴿عَنِ التَّذِكْرِ﴾ أي التذكّر بسبب القرآن ﴿مُعْرِضِينَ﴾ .

[٥٠] ﴿كَانَهُمْ﴾ في تنفرهم عن التذكّر وبلادتهم ﴿حَمَرٌ﴾ جمع حمار ﴿مُسْتَفْتَرَةٌ﴾ وحشية متفترّة .

[٥١] ﴿فَرَّتْ مِنْ قَسْوَةٍ﴾ أسد .

[٥٢] ﴿بَلْ يَرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ﴾ من هؤلاء الكفار ﴿أَنْ يُؤْتَى﴾ يعطيه الله ﴿صُحُفًا مَنشُورَةً﴾ حيث إنهم قالوا للنبي ﷺ لن نؤمن لك حتى تنزل علينا كتاباً من السماء .

[٥٣] ﴿كَلَّا﴾ إنهم لا يريدون الحجة لأن الحجة تمت عليهم ﴿بَلْ﴾ لا يؤمنون لأنهم ﴿لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ﴾ فلذا أعرضوا عن التذكّر والإيمان .

[٥٤] ﴿كَلَّا﴾ ليس الأمر على ما زعموا حتى لا يخافون ﴿إِنَّهُ﴾ أي القرآن ﴿تَذْكُرَةٌ﴾ مذكّر لهم .

[٥٥] ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾ اتعظ به .

[٥٦] ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ بأن يجبرهم لأنهم معاندين ﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى﴾ أهل لأن يُتَّقَى منه ويخاف ﴿وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ بأن يغفر للمؤمنين .

فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٥٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذِكْرِ مُعْرِضِينَ ﴿٥٩﴾ كَانَهُمْ حَمَرٌ مُسْتَفْتَرَةٌ ﴿٦٠﴾ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَةٍ ﴿٦١﴾ بَلْ يَرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مَنشُورَةً ﴿٦٢﴾ كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ﴿٦٣﴾ كَلَّا إِنَّهُ تَذْكُرَةٌ ﴿٦٤﴾ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ﴿٦٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴿٦٦﴾

سُورَةُ الْقِيَامَةِ ﴿٧٥﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ ﴿١﴾ وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَجْمَعَ عِظَامَهُ ﴿٣﴾ بَلْ يَرُدُّ شَرُّهُ إِلَى نَاسِئَةٍ ﴿٤﴾ بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ﴿٥﴾ يَسْتَلْ أَتَىٰ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا رَأَى الْبَصُرَ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ الْقَمَرَ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ ﴿١٠﴾ أَيْنَ الْمَفَرُ ﴿١١﴾ كَلَّا لَا دَوْرَ ﴿١٢﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴿١٣﴾ يَبْنِئُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٤﴾ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِرَهُ ﴿١٦﴾ لَا تُخَرِّجْكَ بِهِ لِسَانُكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٧﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُمْ وَقَرَهُ أُنْثَىٰ ﴿١٨﴾ فَإِذَا قَرَأْتَ قَائِلٌ فَقَرَأَهُ أُنْثَىٰ ﴿١٩﴾ ثُمَّ لَمْ نَكُنْ لَهَا بَيِّنَةً ﴿٢٠﴾

٧٥: سورة القيامة

مكية آياتها أربعون

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

[١] ﴿لَا﴾ إما زائدة للتأكيد، أو إشارة إلى القسم بلفظ النفي، كما يقال: لا أحلف بك لكن الأمر هكذا ﴿أقسم بيوم القيامة﴾ .

[٢] ﴿وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ المؤمنة التي تلوم صاحبها دائماً على ترك الخير والإتيان بمكروه .

[٣] ﴿أَيْحَسِبُ﴾ هل يزعم ﴿الْإِنْسَانُ﴾ المنكر للبعث ﴿أَلَنْ يَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾ بعد الموت وتفرقها .

[٤] ﴿بَلَى﴾ نجمعها في حال كوننا ﴿قَادِرِينَ﴾ نقدر ﴿عَلَى أَنْ نَسُوءَ﴾ ونحیی ﴿بَنَانَهُ﴾ أنامله، فإن الأنملة لخطوطها المختلفة من أصعب الأشياء إعادة بالنسبة إلى القدرة البشرية المحدودة .

[٥] ﴿بَلْ يَرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾ أي يدوم على فجوره في أوقاته الباقية من عمره، فإنه لا يريد تقييد نفسه بالدين والإيمان .

[٦] ﴿يَسْأَلُ﴾ استهزاء ﴿أَيَّانَ﴾ متى ﴿يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ .

[٧] ﴿فَإِذَا بَرَقَ الْبَصَرُ﴾ تحير رعباً، يقال برق الرجل إذا دهش بصره .

[٨] ﴿وَخَسَفَ الْقَمَرَ﴾ ذهب نوره .

[٩] ﴿وَجُمِعَ﴾ في مكان واحد والمراد طلوع الشمس من المغرب ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ .

[١٠] ﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ﴾ في هذا اليوم ﴿أَيْنَ الْمَفَرُ﴾ أي لا محل للفرار، فالاستفهام لليأس .

[١١] ﴿كَلَّا﴾ لا مفر ﴿لا وزر﴾ لا محل يعتصم به الإنسان .

[١٢] ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ إلى أمره وجزائه ﴿يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾ محل استقرار العباد لحسابهم وجزائهم .

[١٣] ﴿يُنَبِّئُكَ﴾ يُخبر لأن يُجزى ﴿الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ﴾ إلى الآخرة في حياته ﴿وَأَخْرَجَ﴾ بأن تركه بعد وفاته كسنة حسنة أو سيئة .

[١٤] ﴿بَلْ﴾ لا يحتاج ﴿الْإِنْسَانُ﴾ إلى أن ينبأ لأنه ﴿عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ التاء للمبالغة .

[١٥] ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ﴾ أعطى وجاء بـ ﴿مَعَاذِيرَهُ﴾ بأعذاره فإنه يعلم كذبها .

[١٦] ﴿لَا تَحْرُكْ﴾ يا محمد ﷺ ﴿بِهِ﴾ بالقرآن ﴿لِسَانَكَ﴾ قبل إتمام وحيه ﴿لَتَعْجَلَ بِهِ﴾ لتأخذه بعجلة فإنه ﷺ كان يتابع جبرئيل في القراءة خوفاً من أن ينسى .

[١٧] ﴿إِن عَلَيْنَا جَمْعَهُ﴾ في صدرك ﴿وَقَرَأْتَهُ﴾ قراءته .

[١٨] ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ﴾ أي قرأه جبرئيل ﴿فَاتَّبَعَ قُرْآنَهُ﴾ أي قراءته بعد استماعه تماماً .

[١٩] ﴿ثُمَّ إِن عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ بتفهيمك إياه .

[٢٠] ﴿كَلَّا﴾ إنهم يعاندون القرآن ولا يريدون الحق ﴿بل تحبون العاجلة﴾ أي الدنيا.

[٢١] ﴿وتذرون﴾ تدعون ﴿الآخرة﴾ أي العمل لها.

[٢٢] ﴿وجوه يومئذ﴾ في يوم القيامة ﴿ناضرة﴾ ذات بهجة.

[٢٣ - ٢٤] ﴿إلى ربها﴾ إلى رحمته تعالى ﴿ناظرة﴾ لأنه ينتظر الرحمة. ﴿وجوه يومئذ باسرة﴾ عابسة.

[٢٥] ﴿نظن أن يفعل بها فاقرة﴾ داهية تقسم فقار الظهر.

[٢٦ - ٢٧] ﴿كَلَّا﴾ لا تنتظرون رحمة الله ﴿إذا بلغت﴾ النفس ﴿التراقي﴾ أعالي الصدر. ﴿وقيل﴾ قالت الملائكة

الذين حوله ﴿من راق﴾ يرقى بها إلى الملا الأعلى، أي هل يذهب بها ملائكة الرحمة أو العذاب.

[٢٨ - ٢٩] ﴿وطن﴾ المحتضر ﴿أنه الفراق﴾ إن ما حل

به هو فراق الدنيا. ﴿والتفت الساق بالساق﴾ ساقه بساقه من كرب الموت فلا يقدر على تحريكهما.

[٣٠] ﴿إلى﴾ حكم ﴿ربك يومئذ المساق﴾ السوق.

[٣١] ﴿فلا صدق﴾ بالحق ﴿ولا صلى﴾ لله.

[٣٢] ﴿ولكن كذب﴾ بالحق ﴿وتولى﴾ أعرض عن الإيمان.

[٣٣] ﴿ثم ذهب إلى أهله يتمطى﴾ يتبختر إعجاباً بنفسه.

[٣٤] ﴿أولى لك فأولى﴾ هذا مثل، أي المكروه أولى لك، وهذا دعاء عليه.

[٣٥ - ٣٦] ﴿ثم أولى لك فأولى﴾ أيحسب الإنسان أن يترك سدى ﴿هملأ بلا تكليف ولا جزاء.

[٣٧] ﴿ألم يك﴾ في أوله ﴿نطفة من مني يمى﴾ يراق في الرحم.

[٣٨] ﴿ثم كان علقة﴾ قطعة دم ﴿فخلق﴾ الله إياه إنساناً ﴿فسوى﴾ فعذله.

[٣٩] ﴿فجعل منه﴾ من هذا الأصل ﴿الزوجين﴾ الصنفين ﴿الذكر والأنثى﴾.

[٤٠] ﴿أليس ذلك﴾ الفاعل لهذه الأمور ﴿بقادر على أن يحيي الموتى﴾ فإن من خلق ابتداء قادر على الإعادة، فكيف ينكر هؤلاء المعاد.

٧٦: سورة الإنسان (الدهر)

مدنية آياتها إحدى وثلاثون

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

[١] ﴿هل أتى على الإنسان﴾ جنسه ﴿حين من الدهر﴾ مدة من الزمان ﴿لم يكن شيئاً مذكوراً﴾ يذكر، بل كان عدماً محضاً، والاستفهام لأجل التقرير وتذكيرهم بأصلهم.

[٢] ﴿إنا خلقنا الإنسان من نطفة﴾ مني ﴿أمشاج﴾ أخلاط من ماء الزوجين ﴿نبتليه﴾ لأجل أن نمتحنه ﴿فجعلناه سميعاً بصيراً﴾ لأجل أن يكون قابلاً للامتحان.

[٣] ﴿إنا هديناه السبيل﴾ طريق الخير والشر ﴿إما شاكراً﴾ لنعم الله بالإيمان والطاعة ﴿وإما كفوراً﴾ بأنعم الله.

[٤] ﴿إنا اعتدنا﴾ هيتاً ﴿للكافرين سلاسل﴾ لأن يغلوا بها ﴿وأغلالاً وسعيراً﴾ في نار ملتهبة.

[٥] ﴿إن الأبرار﴾ جمع بار ﴿يشربون من كأس﴾ إناء من خمر الجنة ﴿كان مزاجها﴾ ما مزج بتلك الكأس ﴿كافوراً﴾ في بياضه وعطره.

كَلَّا لَئِنْ حُجِّنَ الْعَاجِلَةُ ۖ وَتَذُرُونَ الْآخِرَةَ ۖ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ۖ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ۖ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ۖ كَلَّا ۖ إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ۖ وَقِيلَ لَهَا رَاقٍ ۖ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ۖ وَالْقُلُوبُ أَلْسَاقُ ۖ وَالسَّاقِ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ السَّاقُ ۖ فَلَا صَدَقَ وَلَا ضَلَّ ۖ وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۖ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ بِسَاطِئٍ ۖ فَأُولَٰئِكَ فَأُولَٰئِكَ ۖ ثُمَّ أُولَٰئِكَ فَأُولَٰئِكَ ۖ أَحْسَبُ الْإِنْسَانَ أَنْ يَتْرَكَ سَدًى ۖ أَلَمْ يَكُنْ نَظْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَىٰ ۖ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخُسْوَىٰ ۖ فَعَمَلٌ مِنْهُ ۖ أَلَمْ يَكُنْ أَلْزَوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۖ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ۖ

سُورَةُ الْإِنْسَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ۖ ۝١
إِنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُّطْفَةٍ ۖ أَمْشَاجٍ ۖ نَّبْتَلِيهِ ۖ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا ۖ ۝٢
بَصِيرًا ۖ ۝٣ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ ۖ إِمَّا شَاكِرًا ۖ وَإِمَّا كَفُورًا ۖ ۝٤
إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا ۖ وَأَغْلَالًا ۖ وَسَعِيرًا ۖ ۝٥
إِنَّا أَلْبَسْنَاهُمْ ثِيَابًا ۖ مِّنْ كَاسٍ ۖ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۖ ۝٦

[٦] وترى في الجنة ﴿عينا﴾ من الماء أو اللبن ﴿يشرب بها﴾ منها ﴿عباد الله يفجرونها تفجيراً﴾ يظهرونها حيث ما شاءوا من أماكن الجنة .

[٧] ومن صفاتهم أنهم ﴿يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره﴾ شر ذلك اليوم ﴿مستطيراً﴾ منتشرأ في كل الجهات .

[٨] ﴿ويطعمون الطعام على حبه﴾ حب الله تعالى ﴿مسكيناً ويتيماً وأسيراً﴾ من الكفار عند المسلمين ، فقد نذر علي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم الصلاة والسلام) أن يصوموا ثلاثة أيام فصاموا وأعطوا إفطارهم ليلة للمسكين وليلة لليتيم وليلة للأسير فنزلت فيهم هذه السورة .

[٩] قائلين ﴿إنما نطعمكم لوجه الله﴾ تقريباً لمرضاته ﴿ولا نريد منكم جزاء﴾ في إطعامكم ﴿ولا شكوراً﴾ شكراً على الطعام - والشكور مصدر - .

[١٠] ﴿إننا نخاف من ربنا﴾ عذابه ﴿يوماً عبوساً﴾ تعبس فيه الوجوه ﴿قمطيراً﴾ مكفهاً .

[١١] ﴿فوقاهم﴾ حفظهم ﴿الله شر ذلك اليوم﴾ يوم القيامة ﴿ولقاهم﴾ كساهم وأعطاهم ﴿نصرة﴾ حسناً في وجوهم ﴿وسروراً﴾ في نفوسهم .

[١٢] ﴿وجزاهم بما صبروا﴾ في مقابل صبرهم على الطاعة ﴿جنة﴾ يسكنونها ﴿وحريراً﴾ يلبسونه .

[١٣ - ١٥] في حال كونهم ﴿متكئين فيها على الأرائك﴾

جمع أريكة وهي السرير ﴿لا يرون فيها شمساً﴾ أي حر الشمس ﴿ولا زمهريراً﴾ أي برداً . ﴿ودانية﴾ حال ، أي قريبة ﴿عليهم ظلالها﴾ ظلال أشجارها ﴿وذللّت قطفوها﴾ سهل أخذ ثمارها لأنها قريبة ﴿تذليلاً﴾ . ﴿ويطاف عليهم﴾ يأتي إليهم ولدان الجنة ﴿بآنية﴾ ظرف ﴿من فضة وأكواب﴾ أباريق بلا عروة ، جمع كوب ﴿كانت قواريراً﴾ زجاجاً .

[١٦] ﴿قوارير من فضة﴾ جامعة لصفاء الزجاج وبياض الفضة ﴿قدروها تقديراً﴾ فلها شكل مقدر لا التواء فيها ولا اعوجاج .

[١٧ - ١٨] ﴿ويسقون فيها﴾ في الجنة ﴿كأساً﴾ من الخمر ﴿كان مزاجها﴾ أي الذي مزج بخمر الكأس ﴿زنجبيلاً﴾ فإن طعمه لذيد^(١) . وترى ﴿عينا﴾ في الجنة ﴿تسمى سلسبيلاً﴾ سلسالاً عذباً .

[١٩] ﴿ويطوف عليهم ولدان﴾ لخدمتهم ﴿مخلدون﴾ دائمون في الجنة ﴿إذا رأيتهم حسبتهم﴾ ظننتهم ﴿لؤلؤاً﴾ لياضهم وصفاتهم ﴿مثوراً﴾ لانتشارهم في الخدمة هنا وهناك .

[٢٠] ﴿وإذا رأيت ثم﴾ هناك في الجنة ﴿رأيت نعيماً﴾ كبيراً ﴿وملكاً كبيراً﴾ متسعاً .

[٢١] ﴿عليهم﴾ فوقهم ﴿ثياب سندس﴾ ما رق من الحرير ﴿خضر﴾ جمع أخضر ﴿واستبرق﴾ ما غلظ من الديباج [٢٢] ﴿وحلوا﴾ زينوا ﴿أساور﴾ ما يوضع في يد الإنسان ﴿من فضة وسقاهم رهم شرباً طهوراً﴾ طاهراً من الأقدار .

[٢٢] ﴿إن هذا﴾ الثواب ﴿كان لكم جزاء﴾ على أعمالكم الصالحة ﴿وكان سعيكم﴾ للآخرة ﴿مشكوراً﴾ مقبولاً عند الله .

[٢٣] ﴿إننا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلاً﴾ فلا تهتم بما يرموك من الأقاويل الباطلة .

[٢٤] ﴿فاصبر لحكم ربك﴾ بتبليغه ﴿ولا تطع منهم أثماً﴾ عاصياً ﴿أو كفوراً﴾ كافراً كثير الكفر .

[٢٥] ﴿واذكر اسم ربك بكرة﴾ صباحاً ﴿وأصيلاً﴾ عصراً ، أي دائماً .

عَيْنًا يَشْرَبُ بِعَبَادِ اللَّهِ يَفْجَرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِالْأَنْذَرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعَمُونَ الْأَطْعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِمْ مُسْكِينًا وَتَيْمِيمًا وَآسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبَّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَطَطِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَّعْنَاهُم مِّمَّا ذُكِّرَ لَهُمْ أَنْ يَخْلُودُوا فِي هَٰؤُلَاءِ مَا يَحْكُمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ ﴿١١﴾ وَإِذَا رَأَيْتُمْ ثَمَرًا رَأَيْتُمْ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿١٢﴾ عَلَيْهِمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٍ وَإِسْتَبْرَقٍ وَهَلْ أَسَاوَرُ مِنْ فَضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا ﴿١٤﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا ﴿١٥﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَطْعَمْ مِنْهُمْ إِنَّمَا أَنتَ مُكَفِّرٌ ﴿١٦﴾ وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿١٧﴾

[٢٦] ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ﴾ بعضه ﴿فَاسْجُدْ لَهُ﴾ لربك ﴿وَسَبِّحْهُ﴾ نزهه ﴿لَيْلًا طَوِيلًا﴾ أي في طول الليل أي وقت منه .

[٢٧] ﴿إِنْ هَؤُلَاءِ﴾ الكفار والعصاة ﴿يُحِبُّونَ﴾ الدنيا العاجلة ويذرون وراءهم ﴿كَانَ الْآخِرَةُ خَلْفَهُمْ لِأَنَّهُمْ﴾ مقبلون على الدنيا ﴿يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ عليهم ، فلا يعملون له .

[٢٨] ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ﴾ أحكمنا ربط مفاصلهم ﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَلْنَا﴾ هم بـ ﴿أَمْثَلِهِمْ﴾ بأن أهلكناهم وجئنا بأمثالهم ﴿تَبْدِيلًا﴾ .

[٢٩] ﴿إِنْ هَذِهِ﴾ السورة أو الآيات ﴿تَذَكُّرَةٌ﴾ موعظة لهم ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ﴾ إلى رضاه ﴿سَبِيلًا﴾ بأن سلك سبيل الطاعة .

[٣٠] ﴿وَمَا تَشَاءُونَ﴾ اتخاذ السبيل ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ بأن ينزل إليكم الهدى ، إذ مشيئة الإنسان للهداية لا تنفع إذا لم يكن هناك بعث رسول وإنزال كتاب ﴿إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا﴾ بكل شيء ﴿حَكِيمًا﴾ في تدبيره .

[٣١] ﴿يَدْخُلُ مِنْ يَشَاءَ﴾ أي المؤمنين ﴿فِي رَحْمَتِهِ﴾ أي الجنة ﴿وَالظَّالِمِينَ﴾ بالكفر والعصيان ﴿أَعْدٍ﴾ هيا ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلماً .

٧٧: سورة المرسلات

مكية آياتها خمسون

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

[١] ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ﴾ قسماً بالملائكة المرسلة بأوامره تعالى ﴿عُرْفًا﴾ متتابعة كعرف الفرس ، وهو شعره الكائن في أطراف عنقه .

[٢] ﴿فَ﴾ قسماً بالملائكة ﴿الْعَاصِفَاتِ﴾ التي تعصف عند هبوطها وصعودها ﴿عَصْفًا﴾ كعصف الرياح أي هبوبها .

[٣] ﴿وَ﴾ قسماً بالملائكة ﴿النَّاشِرَاتِ﴾ التي تنشر الكتب المنزلة من السماء ، أو تنشر الشرائع ، أو تنشر أجنحتها ﴿نَشْرًا﴾ .

[٤] ﴿فَ﴾ قسماً بالملائكة ﴿الْفَارِقَاتِ﴾ التي تفرق بين الحق والباطل بسبب ما أتوا به من الدين إلى الأنبياء ﷺ ﴿فَرَقًا﴾ .

[٥] ﴿فَالْمَلْقِيَاتِ﴾ الملائكة التي تلقي ﴿ذِكْرًا﴾ إلى الأنبياء ﷺ والمراد به كل ما يذكر الإنسان بالآخرة من الكتب المنزلة وغيرها ، والحاصل قسماً بالملائكة التي أرسلت إلى الأرض فعصفت فنشرت الشرائع ففرقت بين الحق والباطل فألقت الآيات إلى الأنبياء ، والفاء للترتيب الذكري ، وفي الآيات تفاسير أخر .

[٦] ﴿عُذْرًا﴾ إنما أتى بالذكر لأجل أن يكون عُذراً لمن آمن ﴿أَوْ نَذْرًا﴾ مخوفاً لمن كفر وعصى .

[٧ - ٨] ﴿إِنَّمَا﴾ جواب القسم ﴿تَوَعَّدُونَ﴾ من قيام الساعة ﴿لَوَاقِعَ﴾ لا محالة ﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ﴾ مُحَقَّ نورها .

[٩ - ١٠] ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فَجَتْ﴾ انشقت . ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُفَّتْ﴾ أفلت عن أماكنها .

[١١ - ١٣] ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أَقْبَتْ﴾ جمعت لوقتها المقرر وهو يوم القيامة . ﴿لَا يَوْمَ أَجَلْتِ﴾ أي أخرت جمع الرسل ، والاستفهام للتسهيل . ﴿لَيُومِ الْفَصْلِ﴾ بين الخلائق بإثابة المحق وعقاب المبطل .

[١٤] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الْفَصْلِ﴾ هذا للتسهيل ، أي لا يعلم حقيقة يوم الفصل وأهواله أحد .

[١٥ - ١٩] ﴿وَيْلٌ﴾ هلاك ﴿يَوْمِئِذٍ﴾ في هذا اليوم ﴿لِلْمُكْذِبِينَ﴾ الذين كذبوا بالمبدأ والمعاد . ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ﴾ بالعذاب ، كقوم نوح ﷺ وعاد . ﴿ثُمَّ نَتَّبِعُهُمُ﴾ في الإهلاك ﴿الْآخِرِينَ﴾ من الكفار ، ككفار مكة . ﴿كَذَلِكَ﴾ الإهلاك ﴿نَفْعِلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ الذين أجزموا بالكفر والعصيان . ﴿وَيْلٌ يَوْمِئِذٍ لِلْمُكْذِبِينَ﴾ .

وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾
هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَحْنُ
خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا
﴿٢٨﴾ إِنَّ هَذِهِ تَذَكُّرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾
وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾
يَدْخُلُ مِنْ يَشَاءَ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعْدَاهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣١﴾

سُورَةُ الْمُرْسَلَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ﴿١﴾ وَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا ﴿٣﴾
فَالْفَارِقَاتِ فَرَقًا ﴿٤﴾ فَالْمَلْقِيَاتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُذْرًا أَوْ نَذْرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا
تَوَعَّدُونَ لَوْعَةٍ ﴿٧﴾ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ فَجَتْ
﴿٩﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ سُفَّتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا الرُّسُلُ أَقْبَتْ ﴿١١﴾ لَا يَوْمَ أَجَلْتِ
﴿١٢﴾ لَيُومِ الْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيْلٌ يَوْمِئِذٍ
لِّلْمُكْذِبِينَ ﴿١٥﴾ أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نَتَّبِعُهُمُ الْآخِرِينَ ﴿١٧﴾
كَذَلِكَ نَفْعِلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمِئِذٍ لِلْمُكْذِبِينَ ﴿١٩﴾

[٢٠] ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ﴾ نطفة ﴿مِهين﴾ حقير ذليل .
 [٢١] ﴿فَجَعَلْنَاهُ﴾ أي الماء: النطفة ﴿فِي قَرَارٍ﴾ الرحم ﴿مَكِينٍ﴾ محفوظ .
 [٢٢] ﴿إِلَى قَدَرٍ﴾ مقدار ﴿مَعْلُومٍ﴾ من الوقت كتسعة أشهر .
 [٢٣] ﴿فَقَدَرْنَا﴾ أي قدرناه تقديرأ ﴿فَنَعْمَ﴾ نحن ﴿القَادِرُونَ﴾ على ما أردنا .
 [٢٤ - ٢٥] ﴿وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ ألم نجعل الأرض كفاتأ ﴿أَحْيَاءَ﴾ على ظهرها ﴿وَأَمْوَاتًا﴾ في بطنها فهي تجمع البشر في كل حال .
 [٢٦] ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رِوَاسِي﴾ جبالأ ﴿شَامَخَاتٍ﴾ طويلات ﴿وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فَرَاتًا﴾ عذبأ، بأن خلقنا لكم الماء .
 [٢٨ - ٢٩] ﴿وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ انطلقوا اذهبوا أيها الكفار في يوم القيامة ﴿إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ﴾ من جزائكم .
 [٣٠] ﴿انْطَلِقُوا إِلَى ظُلٍ﴾ دخان جهنم ﴿فِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾ شعبة للكفار وأخرى للمنافقين وثالثة للعصاة، والمراد الانطلاق إلى النار التي فوقها الدخان .
 [٣١] ﴿لَا ظَلِيلٍ﴾ ليس ببارد ﴿وَلَا يَغْنِي مِنَ اللَّهَبِ﴾

أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مِهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رِوَاسِي شَيْمَخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فَرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾ انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ ﴿٢٩﴾ انْطَلِقُوا إِلَى ظُلٍ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَا ظَلِيلٍ وَلَا يَغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّمَا تَرَى بِشَكْرِ كَالْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُمْ جُمُلْتُ صَفَرٌ ﴿٣٣﴾ وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمْعُنَا وَالْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾ إِنْ الْمُنَافِقِينَ فِي ظُلُلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَاكِهِ مَسَامِشْتُهُنَّ ﴿٤٢﴾ كُلُّوْا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُّوْا وَتَمَتُّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ تَجْرُمُونَ ﴿٤٦﴾ وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا لَا تِرْكَعُوكُمْ ﴿٤٨﴾ وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَيَأْتِي حَدِيثٌ بَعْدُ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾

حرارة النار إذ ليس جسمأ يحول دون لهب النار .

[٣٢] ﴿إِنَّمَا﴾ أي النار، أو الشعب ﴿تَرْمِي﴾ تقذف ﴿بِشَرَرٍ﴾ من الحمم التي تطايرها النار ﴿كَالْقَصْرِ﴾ كل شرارة منها كالقصر في عظمتها .
 [٣٣] ﴿كَأَنَّهُ﴾ أي الشرر، في لونه وكثرته وتتابعه ﴿جَمَالَتٍ﴾ جمع جَمَل، أي الإبل ﴿صَفَرٍ﴾ جمع أصفر، فلا رماذ معه .

[٣٤ - ٣٥] ﴿وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ هذا يوم لا ينطقون أي الكفار بما ينفعهم .
 [٣٦] ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ عذراً واهيأ، وهذا موقف من مواقف القيامة .
 [٣٧ - ٣٨] ﴿وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ هذا يوم الفصل ﴿بَيْنَ الْمُحَقِّقِ وَالْمُبْطَلِ﴾ ﴿جَمْعُنَاكُم﴾ يا كفار مكة ﴿وَالْأَوَّلِينَ﴾ من كفار سائر الأمم .

[٣٩] ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ﴾ حيلة لنجاتكم من العذاب ﴿فَكِيدُونِ﴾ وهذا لبيان عجزهم .
 [٤٠ - ٤١] ﴿وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ إن المتقين في ظلال فوق رؤوسهم ﴿وَعُيُونٍ﴾ جارية تحت أرجلهم .
 [٤٢] ﴿وَفَوَاكِهَ مِمَّا﴾ من جنس ما ﴿يَشْتَهُونَ﴾ .

[٤٣] ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا﴾ لا أذى في الأكل والشرب ﴿بِمَا﴾ بمقابل ما ﴿كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ في الدنيا .
 [٤٤] ﴿إِنَّا كَذَلِكَ﴾ هكذا ﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ .

[٤٥ - ٤٦] ﴿وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ كلوا أيها المجرمون في دار الدنيا ﴿وَتَمَتُّعُوا﴾ تَلذَّذُوا بمتاع الدنيا ﴿قَلِيلًا﴾ في أيام قليلة ﴿إِنَّكُمْ مَجْرُمُونَ﴾ فعاقتكم سيئة .

[٤٧ - ٤٨] ﴿وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ وإذا قيل لهم اركعوا اخشعوا لله ﴿لَا يَرْكَعُونَ﴾ .
 [٤٩ - ٥٠] ﴿وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ فبأي حديث بعده أي بعد القرآن ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ إذا لم يؤمنوا بالقرآن .

٧٨: سورة النبأ

مكية آياتها أربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

سُورَةُ النَّبَاِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي هُوَ فِيهِ مُخْلَفُونَ ﴿٣﴾
 كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَتَرْتَجِعُ لِلْأَرْضِ مَهْدًا ﴿٦﴾
 وَالْجِبَالِ أَوْدَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْتَ كُرْسًى وَنَجْمًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾
 وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا
 فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنْزَلْنَا
 مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لَنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّاتٍ
 أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُفْعَلُ فِي الصُّورِ
 قَنَاطُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ
 الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِلطَّاغِينَ
 مَنَآبًا ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ فِيهَا أَهْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَا يَذُقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾
 إِلَّا هَمِيمًا وَغَسَاقًا ﴿٢٥﴾ حَرًّا وَفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا
 لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ
 أَخْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٢٩﴾ فَذُقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾

﴿١﴾ عَمَّ أي عن ماذا ﴿يتساءلون﴾ يسأل الكفار بعضهم بعضاً.

﴿٢﴾ والجواب يتساءلون ﴿عن النبأ العظيم﴾ أي البعث، فإن النبي ﷺ لما أخبرهم بذلك أخذ بعضهم يسأل الآخر: ماذا يقول محمد ﷺ. وفي التأويل: إن المراد بالنبا أمير المؤمنين علي عليه السلام.

﴿٣﴾ الذي هم فيه مختلفون ﴿بالتصديق والتكذيب﴾، فإن بعض الكفار كانوا يؤمنون بالبعث.

﴿٤﴾ كَلَّا ليس كما زعموا أنه لا بعث ﴿سيعلمون﴾ صدق ذلك إذا ماتوا.

﴿٥﴾ ثُمَّ لتأكيد الأمر ﴿كلا سيعلمون﴾.

﴿٦﴾ أَلَمْ نجعل الأرض مهاداً ﴿مهذا للبشر﴾، فمن يقدر على الابتداء يقدر على الإعادة.

﴿٧﴾ والجبال أوداداً ﴿كالمسامير المثبتة بالخشب﴾.

﴿٨﴾ وخلقناكم أزواجاً ﴿أصنافاً، أو ذكراً وأنثى﴾.

﴿٩﴾ وجعلنا نومكم سباتاً ﴿قاطعاً للعمل، لأجل الراحة﴾.

﴿١٠﴾ وجعلنا الليل لباساً ﴿كالغطاء يستتركم﴾.

﴿١١﴾ وجعلنا النهار معاشاً ﴿وقت معاش لتحصيل الرزق﴾. ﴿وبنينا فوقكم سبعاً﴾ سبع سموات ﴿شداداً﴾ محكمات.

﴿١٢﴾ وجعلنا في السماء ﴿سراجاً﴾ الشمس ﴿وهجاً﴾ منيراً متلألئاً

﴿١٣﴾ وأنزلنا من المعصرات ﴿من الرياح التي تعصر السحاب﴾، ومن للابتداء ﴿ماءً ثجاجاً﴾ منصباً بكثرة.

﴿١٤﴾ لنخرج به ﴿حجاً﴾ كالحبة ﴿ونباتاً﴾ كالخشيش.

﴿١٥﴾ ونخرج به ﴿جَنَاتٍ﴾ بساتين ﴿ألفافاً﴾ ملتفة بعضها ببعض.

﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ أي القيامة الذي يفصل فيه بين المحق والمبطل ﴿كان مِيقَاتًا﴾ وقتاً للجزاء.

﴿١٧﴾ يَوْمَ يُفْعَلُ فِي الصُّورِ البوق، ينفخ فيه إسرافيل لإحياء الناس ﴿فَنُتَوْنَ﴾ إلى المحشر أيها البشر ﴿أفواجاً﴾ جماعات.

﴿١٨﴾ وفتحت السماء ﴿ظهر فيها الفرج لتزول الملائكة﴾ فكانت ﴿أبواباً﴾ للصعود والهبوط.

﴿١٩﴾ وسيرت ﴿أزيلت عن أماكنها﴾ الجبال فكانت سراباً ﴿كالسراب يظن أنها جبال وليست بجبال﴾.

﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كانت مرصاداً ﴿يرصد فيها خزنة النار للكفار منتظرين لإيقاعهم فيها﴾.

﴿٢١﴾ للطَّاغِينَ الذين طغوا بالكفر والعصيان ﴿مَنَابًا﴾ مرجعاً ومحلّاً.

﴿٢٢﴾ ﴿لَا يَذُقُونَ﴾ لا يشعرون ﴿فِيهَا أَهْقَابًا﴾ دهوراً متتابعة. ﴿لَا يَذُقُونَ فِيهَا بَرْدًا﴾ هواء بارداً ﴿وَلَا شَرَابًا﴾ يسكن عطشهم.

﴿٢٣﴾ ﴿إِلَّا هَمِيمًا﴾ ماء حاراً ﴿وَوَسْوَاقًا﴾ ما يسيل من الجرح أي الصديد.

﴿٢٤﴾ ويكون هذا لهم ﴿جَزَاءً وَفَاقًا﴾ موافقاً لأعمالهم في الدنيا.

﴿٢٥﴾ ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ﴾ لا يتوقعون ﴿حِسَابًا﴾ لأعمالهم، أي أنكروا المعاد.

﴿٢٦﴾ وكدَّبُوا بِآيَاتِنَا التي أنت بها الرسل ﴿كُذَّابًا﴾ تكذيباً.

﴿٢٧﴾ و﴿كُلُّ شَيْءٍ﴾ كل عمل صدر منهم ﴿أَخْصَيْنَاهُ﴾ كتبناه ﴿كِتَابًا﴾ كتاباً.

﴿٢٨﴾ ﴿فَ﴾ يقال لهم هناك ﴿ذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ فإن الاستمرار يوجب زيادة وإضافة كل حين على سابقه.

[٣١] ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ فوزاً.

[٣٢] ﴿حَدَاتِقٍ﴾ بساتين ﴿وَأَعْنَابًا﴾.

[٣٣] ﴿وَكُوَاعِبٍ﴾ جاريات ظهرت أنداءهن جديداً ﴿اترأباً﴾ في عمر أزواجهن.

[٣٤] ﴿وَكُاسًا﴾ من الخمر ﴿دهاقاً﴾ مملوءة.

[٣٥] ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا﴾ في الجنة قولاً ﴿لِنُغْوِىَ﴾ كذاباً تكذياً من بعضهم لبعض.

[٣٦] ﴿جِزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً﴾ بدل من ﴿جِزَاءٍ﴾ ﴿حَسَابًا﴾ بالحساب، فليس إعطاؤها لهم اعتباراً.

[٣٧] ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ﴾ بدل من ﴿رَبِّ﴾ ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾ لا يملك أحد ﴿منه﴾ تعالى

﴿خُطَابًا﴾ أي كلاماً، فالتكلم إنما يكون هناك بإذنه، ولم يملك أحداً أن يتكلم بدون إذنه.

[٣٨] ﴿يَوْمٍ﴾ ظرف لما سبق ﴿يَقُومُ الرُّوحُ﴾ جبرئيل ﴿وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾ مصطفين كما يصطف الجنود ﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ بأن يتكلم ﴿وَقَالَ﴾ حينذاك ﴿صَوَابًا﴾ كلاماً صحيحاً.

[٣٩] ﴿ذَلِكَ الْيَوْمَ الْحَقُّ﴾ الثابت الوقوع لا محالة ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا﴾ مرجعاً بأن يطيعه فيما أمر.

[٤٠] ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ﴾ يا كفار مكة ﴿عَذَابًا قَرِيبًا﴾ فإن

الآخرة قريبة إلى الإنسان ﴿يَوْمٍ﴾ هو يوم القيامة ﴿يَنْظُرُ الْمَرْءُ﴾ يرى لأن يجزى به ﴿مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ من خير وشر ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ فلم أخلق في الدنيا، أو بقيت تراباً في القبر، أو صرت الآن تراباً.

٧٩: سورة النازعات

مكية آياتها ست وأربعون

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

[١] ﴿وَالنَّازِعَاتُ﴾ قسماً بالملائكة التي تنزع أرواح الناس ﴿غُرَقًا﴾ مستوفياً في النزاع.

[٢] ﴿وَالنَّاشِطَاتُ﴾ الملائكة الجاذبات للأرواح بعد إخراجها، من نشط إذا جذب ﴿نَشْطًا﴾.

[٣] ﴿وَالسَّابِحَاتُ﴾ في الفضاء لأجل إيصال الأرواح إلى أماكنها ﴿سَبْحًا﴾.

[٤] ﴿فَالسَّابِقَاتُ﴾ الملائكة التي تسبق إلى ما أمر الله في إيصال الأرواح إلى أماكنها ﴿سَبْقًا﴾.

[٥] ﴿فَالْمُدَبِّرَاتُ أَمْرًا﴾ الملائكة التي تدبر أمور الأرواح من إيصالها إلى النعيم أو الجحيم، وفي الآيات تفاسير أخر.

[٦] ﴿يَوْمٍ﴾ ظرف لـ ﴿قُلُوبٍ﴾ وهو يوم القيامة ﴿تَرْجَفُ﴾ تضطرب ﴿الرَّاجِفَةُ﴾ الأرض، بسبب الزلزال، وذلك في النفخة الأولى لإماتة الناس.

[٧] ﴿تَتَّبِعُهَا﴾ أي تتبع الراجفة ﴿الرَّادِفَةُ﴾ النفخة التي تردفها لإحياء الناس.

[٨] ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ قلقلة من الخوف.

[٩] ﴿أَبْصَارُهَا﴾ أبصار أصحاب تلك القلوب ﴿خَاشِعَةٌ﴾ ذليلة.

[١٠] ﴿يَقُولُونَ﴾ أي الكفار المنكرون للبعث: ﴿إِنَّا لَمُرْدُودُونَ﴾ نرجع إلى الحياة إذا صرنا ﴿فِي الْحَافِرَةِ﴾ القبور

سورة النازعات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّازِعَاتُ غُرَقًا ۝ وَالنَّشِيطَاتُ نَشْطًا ۝ وَالسَّابِحَاتُ سَبْحًا ۝
فَالسَّابِقَاتُ سَبْقًا ۝ فَاَلْمُدَبِّرَاتُ أَمْرًا ۝ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۝
تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ ۝ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝ أَبْصَارُهَا ۝
خَاشِعَةٌ ۝ يَقُولُونَ أَيْنَا لَمُرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ۝ أَيْنَا ذَا كُنَّا ۝
عِظْمًا تَفْرِقَةٌ ۝ قَالُوا إِنَّكَ إِذَا كُرَّةٌ خَاسِرَةٌ ۝ فَاَلْمَاهِي رَجَرَةٌ ۝
وَحِجَةٌ ۝ فَاَذَاهُمْ بِالسَّاهِرَةِ ۝ هَلْ أُنْذِرَكَ حَدِيثَ مُوسَىٰ ۝

المحفورة أي إذا متنا .

[١١] ﴿إِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً﴾ بالية .

[١٢] ﴿قَالُوا﴾ أي الكفار : ﴿تِلْكَ﴾ الرجعة ﴿إِذَا﴾ إذا كانت كما تقولون ﴿كُرَّة﴾ رجعة إلى الحياة ﴿خَاسِرَةً﴾ لأنها توجب خسارة الإنسان .

[١٣] وجوابهم ﴿فَإِنَّمَا هِيَ﴾ الكرة ﴿زَجْرَةٌ﴾ صيحة ﴿وَاحِدَةٌ﴾ يصيح بهم إسرافيل فيحيون .

[١٤] ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ أي حاضرون في عرصة القيامة .

[١٥] ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾ قصة موسى ﷺ مع قومه ، فاصبر يا محمد ﷺ كما صبر موسى ﷺ على تكذيب القوم .

[١٦] ﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِي الْمَقْدِسِ﴾ المطهر لأنه محل لطف الله ﴿طوى﴾ اسم الوادي .

[١٧] ﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ تجاوز الحد في الكفر والعصيان .

[١٨] ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ﴾ هل تريد ﴿إِلَى أَنْ تَزْكَى﴾ تتطهر .

[١٩] ﴿وَأَهْدِيكَ﴾ أدلك ﴿إِلَى رَبِّكَ﴾ على معرفة ربك ﴿فَتَخْشَى﴾ عقابه أي تعمل صالحاً حتى لا تعاقب .

[٢٠] ﴿فَأَرَاهُ﴾ أرى موسى ﷺ فرعون ﴿الآيَةَ الْكُبْرَى﴾ المعجزة العظيمة ، أي جنسها كالعصا .

[٢١ - ٢٢] ﴿فَكَذَّبَ﴾ بالآية وقال إنها سحر ﴿وَعَصَى﴾ الله فيما أمره موسى ﷺ . ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾ أعرض عن الإيمان ﴿يَسْعَى﴾ لأجل دفع موسى ﷺ .

[٢٣] ﴿فَحْشَرُ﴾ جمع قومه ﴿فَنَادَى﴾ فيهم .

[٢٤ - ٢٥] ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ لا رب فوقي كما يزعم موسى ﷺ . ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ﴾ نكل به ﴿نَكَالَ﴾ عقاب الآخرة ﴿بِالنَّارِ وَالْأُولَى﴾ الدنيا : بالإغراق .

[٢٦] ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ﴾ الذي فعل الله بفِرْعَوْنَ ﴿لَعِبْرَةٌ﴾ اعتباراً وموعظة ﴿لِمَنْ يَخْشَى﴾ فإنه المستفاد بالعبرة .

[٢٧ - ٢٨] ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ أَوْ أَوْفَى وَأَمْتَنُ﴾ خلقاً أم السماء بناها ؟ أي إن الله بنى السماء ، فإذا كان الله قادراً على بناء السماء فيقدر على إعادتكم وخلقكم من جديد ، فما هذا الإنكار منكم للبعث ؟

[٢٩] ﴿وَأَغْطَشَ﴾ أظلم ﴿لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ أي نهارها ، وذلك بسبب الدوران .

[٣٠ - ٣١] ﴿وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ الخلق للسماء ﴿دَحَاهَا﴾ بسطها وحركها ، وكانت قبل السماء مخلوقة غير مدحية ، أو المراد بـ (بعد ذلك) الترتيب الكلامي . ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا﴾ أي العيون ﴿وَمَرَعَاهَا﴾ محل الرعي ، أي نباتها .

[٣٢ - ٣٤] ﴿وَالْجِبَالُ أَرْسَاهَا﴾ أثبتها أوتاداً في الأرض . ﴿مَتَاعاً﴾ أي جعل كل ذلك للتمتع والعيش ﴿لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ . ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ﴾ الداهية التي تطم أي تعلو وتقهر ﴿الْكِبْرَى﴾ والمراد القيامة .

[٣٥ - ٣٦] ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى﴾ ما عمله في الدنيا . ﴿وَيُوبِزُتُ﴾ ظهرت ﴿الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى﴾ لكل راء .

[٣٧ - ٣٨] ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى﴾ بالكفر والعصيان . ﴿وَأَثَرُ﴾ قدم ﴿الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ على الآخرة فاشتغل بها ناسياً الآخرة .

[٣٩ - ٤٠] ﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ أي مأواه ومصيره . ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ أي خاف ربه ، لمقامه الربوبي ﴿وَنَهَى النَّفْسَ﴾ أي نفسه ﴿عَنِ الْهَوَى﴾ أي الشهوات بأن لم يقتربها .

[٤١] ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ تكون مأواه ومصيره .

[٤٢] ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ﴾ أي القيامة ﴿أَيَّانَ﴾ متى ﴿مَرَسَاهَا﴾ إرساؤها أي إقامتها .

[٤٣] ﴿فِيمَ﴾ في أي شيء ﴿أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا﴾ من العلم بها حتى تعلمها ، أي لا تعلم أنت وقتها .

[٤٤] ﴿إِلَى رَبِّكَ مَتَّاهَا﴾ أي منتهى علمها إلى الله ، فهو العالم بوقتها .

[٤٥] ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ﴾ إنما عملك الإنذار لـ ﴿مَنْ يَخْشَاهَا﴾ يخشى القيامة ، وتخصيص الإنذار بهم ، لأجل انتفاع هؤلاء فقط بالإنذار دون سواهم .

[٤٦] ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرُونَهَا﴾ أي حين تقوم عليهم القيامة ﴿لَمْ يَلْبَثُوا﴾ في الدنيا ﴿إِلَّا عَشِيَّةً﴾ أي ليلة واحدة ﴿أَوْ ضُحَاهَا﴾ نهار عشية واحدة ، أو المراد ساعة من ليل أو ساعة من نهار ، لأنهم يستقلون مدة مكثهم في الدنيا .

إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِي الْمَقْدِسِ طَوًى ﴿١٦﴾ أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزْكَى ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى ﴿١٩﴾ فَتَخْشَى الْكِبْرَى ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَى ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ سَعًى ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَى ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى ﴿٢٦﴾ مَا أَنْتُمْ أَشَدُّ خُلُقًا أَمْ لَمَّا بَنَيْنَاهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْعَهَا فَسَوَّيْنَاهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾ وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالُ أَرْسَاهَا ﴿٣٢﴾ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٣﴾ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ ﴿٣٤﴾ الْكِبْرَى ﴿٣٥﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى ﴿٣٦﴾ وَيُوبِزُتُ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى ﴿٣٧﴾ فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴿٣٨﴾ وَاتَّخَذَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٩﴾ مَتَاعًا ﴿٤٠﴾ وَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٤١﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ﴿٤٢﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٤٣﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴿٤٤﴾ قِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِنَاهَا ﴿٤٥﴾ إِلَى رَبِّكَ مَتَّاهَا ﴿٤٦﴾ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ ﴿٤٧﴾ مَنْ يَخْشَاهَا ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرُونَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴿٤٩﴾

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

- [٢٩ - ٣٠] ﴿وزيتونا ونخلًا * وحدائق﴾ بساتين ﴿غلبا﴾ كثيرة الأشجار تغلب بعضها بعضاً في الاستطالة .
- [٣١] ﴿وفاكهة﴾ سائر الفواكه ﴿وأبأ﴾ المرعى .
- [٣٢] ﴿متاعاً لكم﴾ لأجل تمتعكم ﴿ولأنعامكم﴾ كالقت والأب .
- [٣٣] ﴿فإذا جاءت الصاخة﴾ أي الصيحة التي تصم الآذان ، والمراد صيحة القيامة .
- [٣٤ - ٣٦] ﴿يوم يفر المرء من أخيه * وأمّه وأبيه * وصاحبه﴾ زوجته ﴿وبنيه﴾ أولاده ، لثلا يتلى بهم .
- [٣٧] ﴿لكل امرئ منهم﴾ من هؤلاء المذكورين ﴿يومئذ﴾ في ذلك اليوم ﴿شأن يغنيه﴾ حال يشغله عن غيره ، وقوله : (لكل) مربوط ، بـ(فإذا) .
- [٣٨] ﴿وجوه يومئذ مسفرة﴾ مضيئة .
- [٣٩] ﴿ضاحكة مستبشرة﴾ ذات بشارة بما يرى من النعيم .
- [٤٠] ﴿ووجوه يومئذ عليها غبرة﴾ غبار وكدورة .
- [٤١] ﴿ترهقها﴾ تفشاها ﴿قتر﴾ ظلة وسواد .
- [٤٢] ﴿أولئك هم الكفرة الفجرة﴾ الجامعون بين سوء العقيدة وفساد العمل ، بالكفر والفجور .

٨١: سورة التکویر

مکیه آیاتها تسع وعشرون

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

[١] ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ رفع ضوءها .

[٢] ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ أظلمت .

[٣] ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ بأن قلعت وسارت في الفضاء .

[٤] ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ جمع عشاء : الناقة الحامل

﴿عطلت﴾ أهملت لأن أصحابها في هول يوم القيامة .

[٥] ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ جمعت ليتقص منها بما

ظلمت .

[٦] ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ أوقدت ناراً، من سجر التنور .

[٧] ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ قرنت بالأجساد .

[٨ - ٩] ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ بُنْتُ﴾ البنت التي دفنت حية

﴿سئلت﴾ تبيكاً لفاتها . ﴿بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ فإذا قالت

إنها قتلت بلا ذنب، عذب الله قاتلها .

[١٠] ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ للأعمال ﴿نشرت﴾ لحساب

الناس .

[١١] ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾ أي قلعت كما يكشط

الجلد، وذلك بهدم نظام الكواكب .

[١٢] ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِرَتْ﴾ أوقدت فازدادت حرارة .

[١٣ - ١٤] ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾ قربت ليراها الناس . ﴿علمت﴾ جواب ﴿إذا﴾ ﴿نفس﴾ كل نفس ﴿ما أحضرت﴾ من خير وشر .

[١٥ - ١٦] ﴿فَلَا﴾ إما زائدة للتأكيد، أو للنفي وذلك للتلميح بالقسم كما تقدم ﴿أقسم بالخنس﴾ أي النجوم التي

تخنس^(١) وترجع وتخفي . ﴿الجوار﴾ الجاريات في السماء ﴿الكنس﴾ التي تكنس أي تختفي نهاراً .

[١٧] ﴿وَوَقَسَمًا بَـلِّيلٍ إِذَا عَسَسَ﴾ أقبل ظلامه .

[١٨] ﴿وَالصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ أضاء، عبّر به لإقبال النسيم عند الصبح .

[١٩] ﴿إِنَّهُ﴾ أي القرآن، وهذا جواب القسم ﴿لقول رسول﴾ أي جبرئيل الذي جاء به من عند الله ﴿كريم﴾ ذي كرامة .

[٢٠] ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾ في الجسم والعمل ﴿عند ذي العرش مكين﴾ ذي مكانة وجاء عند الله .

[٢١] ﴿مُطَاعٍ﴾ طعيه الملائكة ﴿ثم﴾ هناك ﴿أمين﴾ عند الله .

[٢٢] ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ﴾ محمد ﷺ ﴿بِمَجْنُونٍ﴾ كما زعمتم .

[٢٣] ﴿وَلَقَدْ رَآهُ﴾ رأى محمد ﷺ جبرئيل ﴿بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ﴾ الواضح، أي في طرف الأفق .

[٢٤ - ٢٥] ﴿وَمَا هُوَ﴾ النبي ﷺ ﴿عَلَى﴾ ما يخبره من ﴿الغيب﴾ كالقرآن والشريعة والمبدأ والمعاد ﴿بضنين﴾ بمهتم،

فلا يكذب . ﴿وَمَا هُوَ﴾ القرآن ﴿بقول شيطان رجيم﴾ مرجوم مطرود، كما هو شأن الكاهن حيث ينقل عن الشيطان .

[٢٦] ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ أيها الكفار من الحق إلى الباطل .

[٢٧] ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هو﴾ القرآن ﴿إلا ذكر﴾ موعظة ﴿للعالمين﴾ للإنس والجن .

[٢٨ - ٢٩] ﴿لَمَنْ﴾ بدل من ﴿العالمين﴾ ﴿شاء منكم أن يستقيم﴾ في العقيدة والعمل . ﴿وما تشاءون﴾ الاستقامة ﴿إلا أن

يشاء الله رب العالمين﴾ بأن يرسل الرسول وينزل الكتاب إذ لولا ذلك لا يقدر أحد على الهداية .

سُورَةُ التَّكْوِيْنِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۖ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ۖ وَإِذَا الْجِبَالُ
سُيِّرَتْ ۖ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۖ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ
وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۖ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۖ وَإِذَا
الْمَوْءُودَةُ سُيِّلَتْ ۖ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ۖ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ
وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ۖ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِرَتْ ۖ وَإِذَا الْجَنَّةُ
أُزْلِفَتْ ۖ عَلِمْتُ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرْتُ ۖ فَلَا أَقِيمُ بِالْخَنَسِ ۖ
الْجَوَارِ الْكُنَسِ ۖ وَاللَّيْلُ إِذَا عَسَسَ ۖ وَالصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ ۖ
إِنَّمَا لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۖ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ۖ مُطَاعٍ
ثُمَّ آمِينٍ ۖ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ۖ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ
ۖ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ۖ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ۖ
فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ۖ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ۖ لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ
يَسْتَقِيمَ ۖ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۖ

سُورَةُ الْاِنْفِطَارِ

٨٢: سورة الانفطار

مكية آياتها تسع عشرة

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

- [١] ﴿إذا السماء انفطرت﴾ انشقت .
 [٢] ﴿وإذا الكواكب انتثرت﴾ أي تفرقت ببطلان نظامها .
 [٣] ﴿وإذا البحار فجرت﴾ فتحت بعضها على بعض حتى صارت بحراً واحداً .
 [٤] ﴿وإذا القبور بعثرت﴾ قلب ترابها وأخرج أمواتها .
 [٥] ﴿علمت نفس ما قدمت﴾ في حياتها إلى الآخرة .
 [٦] ﴿وأخرت﴾ من سنة حسنة أو سيئة أو صدقة خلفها لمن بعده .
 [٧] ﴿يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم﴾ حتى عصيته .
 [٨] ﴿الذي خلقك﴾ أوجد أصلك ﴿فسواك﴾ جعلك إنساناً ﴿فعدلك﴾ جعلك معتدل الأعضاء .
 [٩] ﴿في أي صورة ما﴾ زائدة للتأكيد ﴿شاء﴾ الله ﴿ربك﴾ حسنة أو فيحة ذكراً أو أنثى .
 [١٠] ﴿كلا﴾ لا تشكرون الله بالإيمان والإطاعة ﴿بل﴾ تكذبون بالدين .
 [١١] ﴿وإن عليكم لحافظين﴾ يحفظون أعمالكم ، وهم الملائكة .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ۖ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ ۚ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِرَتْ ۖ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۖ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۚ يَتَأَيَّمُوا إِلَىٰ آلِإِنْسَانٍ مَّا غَرَبَ لَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ۚ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ۖ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ۚ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ ۚ وَإِنْ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ ۚ كِرَامًا كَبِيرِينَ ۚ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۚ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۚ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ۚ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الَّذِينَ ۚ وَمَأْوَاهُمُ عَنْهَا بِعَايِينَ ۚ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الَّذِينَ ۚ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الَّذِينَ ۚ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا ۚ وَالْأَمْرُ يَوْمَ لِلَّهِ ۚ

سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَبَلِّ لِلْمُطَفِّفِينَ ۚ الَّذِينَ إِذَا كَانُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۚ وَإِذَا كَانُوا لَهُمْ أَوْزَنُهُمْ تَحْسِرُونَ ۚ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ۚ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۚ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۚ

- [١١] ﴿كراماً﴾ جمع كريم ﴿كاتبين﴾ يكتبون أعمالكم .
 [١٢] ﴿يعلمون ما تفعلون﴾ من خير وشر فيكتبونها .
 [١٣] ﴿إن الأبرار﴾ الأخيار ﴿لفي نعم﴾ الجنة ذات النعمة .
 [١٤] ﴿وإن الفجار﴾ الفاجرين وهم العصاة ﴿لفي جحيم﴾ النار .
 [١٥] ﴿يصلونها﴾ يدخلونها ﴿يوم الدين﴾ يوم القيامة .
 [١٦] ﴿وما هم عنها﴾ عن الجحيم ﴿بغائبين﴾ بل يكونون فيها دائماً .
 [١٧ - ١٨] ﴿وما أدراك ما يوم الدين﴾ ثم ما أدراك ما يوم الدين ﴿تفخيم لشأنه حتى كأن الإنسان لا يطلع على حقيقته .
 [١٩] ﴿يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً﴾ دفاعاً عن عذابها ، أو إثابتها ﴿والأمر﴾ في الثواب والعقاب ﴿يومئذ لله﴾ وحده .

٨٣: سورة المطففين

مكية آياتها ست وثلاثون

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

- [١] ﴿ويل﴾ هلاك ﴿للمطففين﴾ التطفيف بخس المكيال والميزان .
 [٢] ﴿الذين إذا اكْتالوا على الناس﴾ أي كالوا لأجل أن يأخذوا بأن كانوا مشترين ﴿يستوفون﴾ يأخذون الكيل وافيّاً .
 [٣] ﴿وإذا كالوهم﴾ أي كالوا لهم ، بأن باعوا للناس شيئاً ﴿أو وزنوهم﴾ أي وزنوا للناس ﴿يخسرون﴾ ينقصون حق الناس .
 [٤] ﴿ألا يظن أولئك﴾ المطففون ﴿أنهم مبعوثون﴾ بعد الموت .
 [٥] ﴿ليوم عظيم﴾ هو القيامة ، إذ لو ظنوا الحساب لما تجرأوا على هذا العصيان .
 [٦] ﴿يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾ .

[٧] ﴿كَلَّا﴾ لا تطففوا ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ﴾ ما يكتب من أعمالهم ﴿لَفِي سَجِينٍ﴾ الكتاب الذي يجمع فيه أعمال الكفار والعصاة.

[٨] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَجِينٌ﴾ كأنه لا تدري حقيقته وهو ما فيه وما أعد لأصحابه.

[٩] ﴿كُنْتُ مَرْقُومٌ﴾ رقم وكتب فيه أعمال الطغاة.

[١٠] ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ في يوم القيامة ﴿لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ بالله والرسول والمعاد.

[١١] ﴿الَّذِينَ يَكْذِبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ يوم القيامة.

[١٢] ﴿وَمَا يَكْذِبُ بِهِ﴾ بيووم الدين ﴿إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ﴾ مجاوز للحد ﴿أَنَّهُمْ﴾ عاص لله تعالى.

[١٣] ﴿إِذَا تَتْلَى﴾ تُقرأ ﴿عَلَيْهِ آيَاتُنَا﴾ القرآن ﴿قَالَ﴾ هذا ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ أكاذيبهم وخرافاتهم.

[١٤] ﴿كَلَّا﴾ ليس الأمر كما يقول ﴿يَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ غلبت ذنوبهم على قلوبهم ﴿مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ من العصيان فصارت قلوبهم كأنها في غلاف ولذا لا يدركون الحقائق.

[١٥] ﴿كَلَّا﴾ لا يتركون هكذا ﴿إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة ﴿لَمُحْجُوبُونَ﴾ يحجبون ويمنعون عن رحمته.

[١٦] ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا﴾ لداخلون في ﴿الحجيم﴾.

[١٧] ﴿ثُمَّ يُقَالُ﴾ يقول لهم الزبانية ﴿هَذَا﴾ اليوم هو ﴿الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ﴾ في الدنيا حيث كنتم تقولون لا بعث.

[١٨] ﴿كَلَّا﴾ ليس الأمر كما زعم الكفار ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ﴾ ما يكتب من أعمالهم ﴿لَفِي سَجِينٍ﴾ الكتاب الذي يجمع فيه أعمال المؤمنين الصالحين.

[١٩ - ٢١] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَلِيُّونَ﴾ كتاب مرقوم * يشهده المقربون * يحضره الملائكة المقربون لأنه كتاب مهم فاللازم أن يكون بيد المقربين.

[٢٢] ﴿إِنْ الْأُبْرَارُ لَفِي نَعِيمٍ﴾ الجنة ذات النعمة.

[٢٣] ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ جمع أريكة وهي السرير ﴿يَنْظُرُونَ﴾ إلى جمال الجنة.

[٢٤] ﴿تَعْرِفُ﴾ تعرف في وجوههم نضرة النعيم * بهجة التنعم، فإذا نظرت إلى وجوههم ترى فيها آثار النعمة.

[٢٥] ﴿يَسْقُونَ مِنْ رَحِيقٍ﴾ خمر الجنة الذي لا غش فيه * مختوم * قد ختم على ظرفه علامة أنه لم يمسسه أحد من قبل.

[٢٦] ﴿خَتَمَهُ﴾ ما ختم به * مسك * بدل الطين والمداد. ﴿وَفِي ذَلِكَ﴾ النعيم ﴿فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ الذين يتسابقون في الخير، ينبغي أن يتسابقوا لتحصيل هذا النعيم.

[٢٧] ﴿وَمَزَاجُهُ﴾ ما مزج به هذا الرحيق ﴿مِنْ تَسْنِيمٍ﴾ ماء في الجنة في كمال الحلاوة والصفاء والعطر.

[٢٨] ﴿عَيْنًا﴾ حال من (تسليم) * يشرب بها * أي منها ﴿المقربون﴾ إلى الله تعالى بالمنزلة.

[٢٩] ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُجْرِمُوا﴾ من الكفار ﴿كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ﴾ استهزاء.

[٣٠] ﴿وَإِذَا مَرُّوا﴾ أي المؤمنون ﴿بِهِمْ﴾ بالمجرمين ﴿يَتَغَامَزُونَ﴾ يشير بعضهم إلى بعض بعيونهم وأيديهم استهزاء بالمؤمنين.

[٣١] ﴿وَإِذَا انْقَلَبُوا﴾ أي المجرمون ﴿إِلَىٰ أَهْلِهِمْ﴾ ذهبوا إلى بيوتهم ﴿انْقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾ متلذذين بالسخرية بالمؤمنين.

[٣٢] ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا﴾ أي المجرمون ﴿إِنَّ هَؤُلَاءَ﴾ المؤمنين ﴿لَضَالُونَ﴾ عن الطريق حيث آمنوا.

[٣٣] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا﴾ أي الكفار ﴿عَلَيْهِمْ﴾ على المؤمنين ﴿حَافِظِينَ﴾ موكلين بحفظ أعمالهم، فلم هذا الاستهزاء والسباب.

[٣٤] ﴿فَالْيَوْمَ﴾ يوم القيامة ﴿الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ حين يرون حالهم في النار والعذاب.

كَلَّا إِنَّ كُتُبَ الْفُجَّارِ لَفِي سَجِينٍ ﴿٧﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَجِينٌ ﴿٨﴾ كُتُبُ مَرْقُومٍ ﴿٩﴾ وَيَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم يَوْمَئِذٍ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَكْذِبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يَكْذِبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تَتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا سُبْحَانَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمُحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْبَيْتِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِكُمْ تَكْذِبُونَ ﴿١٧﴾ كَلَّا إِنَّ كُتُبَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كُتُبُ مَرْقُومٍ ﴿٢٠﴾ شَهِدَهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقُونَ مِنْ رَحِيقٍ مُخْتَمٍ ﴿٢٥﴾ خَتَمَهُ مُسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمَرْجَاهُهُمْ فِي تَغَامُزٍ ﴿٢٧﴾ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٢٨﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءَ لَضَالُونَ ﴿٢٩﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَفِظِينَ ﴿٣٠﴾ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣١﴾

[٣٥] ﴿على الأرائك ينظرون﴾ إليهم نظر احتقار واستخفاف، كما كان المجرمون ينظرون إليهم في الدنيا.
[٣٦] ﴿هل ثوب﴾ جوزي ﴿الكفار ما كانوا يفعلون﴾ من الكفر والعصيان، والاستفهام للتقرير، أي لقد عوقبوا جزاء لأعمالهم.

٨٤: سورة الانشقاق

مكية آياتها خمس وعشرون

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

[١] ﴿إذا السماء انشقت﴾ علامة للقيامة، بأن ظهرت فيها الفرج.
[٢] ﴿وأذنت﴾ انقادت ﴿لربها﴾ في ما يريد أن يفعل بها من التشقيق ﴿وحقت﴾ أي حق بها أن تنقاد.
[٣] ﴿وإذا الأرض مدت﴾ بسطت، لأن الجبال تنقلع منها، والأغوار تملأ.
[٤] ﴿والقت ما فيها﴾ من الأموات والكنوز ﴿وتخلت﴾ خلت غاية الخلو.
[٥] ﴿وأذنت الأرض﴾ لربها وحقت.
[٦] ﴿يا أيها الإنسان إنك كادح﴾ ساع سعيأ متواصلاً ﴿إلى﴾ أن تنتهي إلى ﴿ربك﴾ عند الموت ﴿كدحاً﴾ تأكيد ﴿فملاقية﴾ ترى ثوابه وعقابه.

[٧ - ٩] ﴿فأما من أوتي كتابه بيمينه﴾ بيده اليمنى ﴿فسوف يحاسب حساباً يسيراً﴾ لا يناقش في الحساب ويتجاوز الله عن سيئاته. ﴿ويقلب﴾ يرجع ﴿إلى أهله﴾ الذين معه في الجنة ﴿مسروراً﴾.
[١٠] ﴿وأما من أوتي كتابه وراء ظهره﴾ بأن تجعل شماله مغلولة وراء ظهره ويعطى كتابه بها.
[١١ - ١٢] ﴿فسوف يدعو ثوراً﴾ أي هلاكاً، فيقول يا ليتني أموت. ﴿ويصلي﴾ يدخل ﴿سعيراً﴾ ناراً ملتهبة.
[١٣] ﴿إنه كان في أهله﴾ في الدنيا ﴿مسروراً﴾ بالملذات والمحرمات لا يدخله خوف الآخرة.
[١٤] ﴿إنه ظن أن لن يحور﴾ لن يرجع بعد الموت.
[١٥] ﴿بلى﴾ يرجع ﴿إن ربه كان به بصيراً﴾ فقد حفظ أعماله السيئة ويجزيه بها.
[١٦] ﴿فلا أقسم﴾ (لا) زائدة للتأكيد، أو نفى للقسم تلميحاً إليه ﴿بالشفق﴾ الحمرة عند الغروب.
[١٧] ﴿وبالليل وما وسق﴾ جمعه فإن الليل يجمع الإنسان والحيوان المنتشر إلى أماكنها.
[١٨ - ١٩] ﴿وبالقمر إذا تسق﴾ تم بدرأ. ﴿لتركين طبقاً عن طبق﴾ أي تركبون حالاً بعد حال، الموت ومواقف القيامة وغيرها، فليس كما تزعمون من الفناء بعد الموت.
[٢٠] ﴿فما لهم لا يؤمنون﴾ بالقيامة، فأى عذر لهم في ترك الإيمان.
[٢١] ﴿وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون﴾ لله، بأن لا يعترفون به مع ظهور الإعجاز في القرآن.
[٢٢] ﴿بل الذين كفروا يكذبون﴾ بالله واليوم الآخر والقرآن.
[٢٣] ﴿والله أعلم بما يوعون﴾ يحفظون في صدورهم من الكفر والضلال، وسوف يجازيهم عليه.
[٢٤] ﴿نفشرهم بمذاب أليم﴾ مؤلم، وهذا من باب التهكم.
[٢٥] ﴿إلا﴾ لكن ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ أي الأعمال الصالحة ﴿لهم أجر﴾ جزاء حسن ﴿غير ممنون﴾ غير مقطوع، بل دائم أبدي.

عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثَوْبٌ الْكَافِرُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾

سُورَةُ الْأَنْشِقَاقِ ﴿٨٤﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾
وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾ يَتَأْتِيهَا
الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أَوْفَى
كُتُبِهِ وَيَعِينُهُ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنْقَلِبُ
إِلَى أَهْلِهِ مُسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أَوْفَى كُتُبِهِ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ
يَدْعُو ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلِي سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي أَهْلِهِمْ مُسْرُورًا ﴿١٣﴾
إِنَّهُمْ ظَنُّوا أَنَّهُ لَنْ يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلْ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ فَلَا أَقْسِمُ
بِالشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴿١٨﴾
لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبِقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ
عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يُسْجِدُونَ ﴿٢١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ ﴿٢٢﴾
﴿٢٣﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٤﴾ فَنُفِشْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾
إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾

٨٥: سورة البروج

مكية آياتها إثنان وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

[١] ﴿وَالسَّمَاءَ﴾ قسماً بالسما ﴿ذات البروج﴾ الاثني عشر.

[٢] ﴿و﴾ قسماً بـ ﴿اليوم الموعود﴾ يوم القيامة.

[٣] ﴿و﴾ قسماً بـ ﴿شاهد﴾ هو النبي ﷺ يشهد على أمته ﴿ومشهود﴾ الأمة، وجواب القسم محذوف: أي إن الكفار يلعنون كما لعن الكفار السابقون، ويدل عليه قوله:

[٤] ﴿قتل﴾ أي قاتلهم الله، والمراد تعذيبهم ﴿أصحاب الأخدود﴾ فإن جماعة آمنوا بعبسى ﷺ فأخذهم الكفار وألقوهم في أخدود من النار وأحرقوهم، والأخدود الشق في الأرض.

[٥] ﴿النار﴾ بدل عن (الأخدود) ﴿ذات الوقود﴾ ما يوقد به النار.

[٦] ﴿إذ هم﴾ أولئك الأصحاب، الكافرون ﴿عليها﴾ على النار ﴿قعود﴾ جالسون يتفرجون.

[٧] ﴿وهم على ما يفعلون بالمؤمنين﴾ من إلقاءهم في النار ﴿شهود﴾ حاضرون يرونه.

[٨] ﴿وما نقموا﴾ أنكروا أولئك الكافرون ﴿منهم﴾ من

المؤمنين ﴿إلا﴾ إيمانهم ﴿أن يؤمنوا بالله العزيز﴾ في سلطانه ﴿الحميد﴾ المحمود.

[٩] ﴿الذي له ملك السماوات والأرض والله على كل شيء شهيد﴾ حاضر فيجازي المحق بالثواب والمبطل بالعقاب.

[١٠] ﴿إن الذين﴾ من الكفار ﴿فتنوا﴾ بلوا بالأذى والإحراق ﴿المؤمنين والمؤمنات﴾ ثم لم يتوبوا ﴿ماتوا كفاراً﴾ فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق ﴿الزائد في الإحراق﴾ لأنهم زادوا على كفرهم فتنة المؤمنين أيضاً.

[١١] ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها﴾ تحت أشجارها وقصورها ﴿الأنهار﴾ ذلك الفوز الكبير ﴿الذي لا فوز يشبهه﴾.

[١٢] ﴿إن بطش ربك﴾ أخذه لأجل العذاب ﴿لشديد﴾ في كمال الألم.

[١٣] ﴿إنه هو يبدئ﴾ الخلق ﴿ويعيد﴾ هم بعد الموت للحساب.

[١٤] ﴿وهو الغفور﴾ لمن تاب ﴿الودود﴾ المحب لمن أطاع.

[١٥] ﴿ذو العرش﴾ صاحب الملك ﴿المجيد﴾ العظيم.

[١٦] ﴿فعال لما يريد﴾ يفعل كل ما يريد ولا يمتنع عليه شيء.

[١٧] ﴿هل أتاك حديث الجنود﴾ حتى يدلك على أنه تعالى كيف يفعل ما يريد.

[١٨] ﴿فرعون﴾ وقومه ﴿وثمود﴾ وحديثهم إن الله أهلهم بتكذيبهم.

[١٩] ﴿بل الذين كفروا في تكذيب﴾ لما جئت به، معرضين عن العبر والآيات.

[٢٠] ﴿والله من ورائهم محيط﴾ بهم قدرة وعلماً فلا يمكنهم الفرار منه.

[٢١] ﴿بل هو﴾ الذي كذبوا به ﴿قرآن مجيد﴾ ذو مجد وعظمة.

[٢٢] ﴿في لوح محفوظ﴾ عن التغير والتحريف.

سُورَةُ الْبُرُوجِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءَ ذَاتَ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَالْيَوْمَ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قِيلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مَلَكُوتُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمُ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ هُوَ يَبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَاعْلَمْ أَيُّهَا الْيَهُودُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنُ وَثَمُودُ ﴿١٨﴾ بِلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبِ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾

سُورَةُ الْفَاتِحَةِ

٨٦: سورة الطارق

مكية آياتها سبع عشرة

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

- [١] ﴿والسَّمَاءِ﴾ قسماً بالسماء ﴿والطارق﴾ الكوكب الذي يظهر ليلاً.
- [٢] ﴿وما أدراك ما الطارق﴾ لأنه شيء عظيم لا يحيط بحقيقته الإنسان - وهذا للتعظيم -.
- [٣] ﴿النجم الثاقب﴾ الذي يثقب بضائه ظلام الليل.
- [٤] ﴿إن﴾ ما ﴿كل نفس لما﴾ إلا ﴿عليها حافظ﴾ من الملائكة يحفظ أعمالها - وهذا جواب القسم -.
- [٥] ﴿فليُنظر﴾ يفكر ﴿الإنسان مم﴾ من ماذا ﴿خلق﴾ وذلك ليعتبر، ويعترف بالمبدأ والمعاد.
- [٦] ﴿خلق من ماء دافق﴾ المني الذي يخرج بدفق وشدة.
- [٧] ﴿يخرج﴾ ذلك الماء ﴿من بين الصلب﴾ عظام الظهر ﴿والترائب﴾ عظام الصدر.
- [٨] ﴿إنه﴾ أي الخالق له ﴿على رجعه﴾ أن يرجعه إلى الحياة بعد أن مات ﴿لقادر﴾ كما قدر على ابتداء خلقه.
- [٩] ﴿يوم﴾ ظرف (رجعه) ﴿تبلى﴾ تظهر وتختبر ﴿السرائر﴾ الضمائر ليظهر ما فيها من خير وشر.
- [١٠] ﴿فما له﴾ للإنسان ﴿من قوة﴾ يمنع بها عن ما يراود

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ۚ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ۚ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ۚ إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَّعَلَيْهَا حَافِظٌ ۚ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۚ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ۚ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ۚ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ۚ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ۚ فَاَلَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلُ لَآ نَاصِرٌ ۚ وَالسَّمَاءُ ذَاتُ الْآرَافِ ۚ وَالْأَرْضُ ذَاتُ الصُّدُوعِ ۚ إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ ۚ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ۚ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۚ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۚ فَمَهْلُ الْكَافِرِينَ أَهْمُ لَهُمْ يَوْمَئِذٍ ۚ

سُورَةُ الطَّارِقِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَجَّ اسْمُ رَبِّكَ الْأَعْلَى ۚ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ۚ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ۚ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ۚ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى ۚ سَتَقَرْنُكَ فَلَا تَنسَى ۚ إِنْ أَمَّا شَاءَ اللَّهِ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى ۚ وَيَبْسُرُكَ لِلْغَيْبِ ۚ تَذَكِّرُنَ نَفْعَ الذِّكْرِ ۚ سَيَذَكِّرُنَ خَشْيَ ۚ وَنَجِّنَهَا الْأَشْفَى ۚ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى ۚ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ۚ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ۚ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ۚ

بها من العذاب ﴿ولا ناصر﴾ ينصره.

- [١١] ﴿والسَّمَاء ذات الرجوع﴾ ترجع نيراتها في كل دورة إلى الموضع الذي تحركت منه.
- [١٢] ﴿والأرض ذات الصدع﴾ التشقق بالأنهار والنباتات.
- [١٣] ﴿إنه﴾ أي القرآن ﴿لقول فصل﴾ بين الحق والباطل.
- [١٤] ﴿وما هو بالهزل﴾ فإنه جد كله.
- [١٥] ﴿إنهم﴾ أي الكفار ﴿يكيدون كيداً﴾ لإبطال القرآن.
- [١٦] ﴿وأكيد كيداً﴾ أي أعالج وأهيم الأسباب في الخفاء لإبقاء القرآن وإعلاء شأن الرسول ﷺ.
- [١٧] ﴿فمهمل الكافرين﴾ لا تتعرض لهم ﴿أهمهم رويداً﴾ قليلاً حتى ترى ماذا أفعل بهم.

٨٧: سورة الأعلى

مكية آياتها تسع عشرة

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

- [١] ﴿سبح﴾ نزه ﴿اسم﴾ إما المراد المسمى، أو الاسم، وتنزيه الاسم عدم اقتترانه بأسماء الأصنام ووصفه بالصفات السيئة ﴿ربك الأعلى﴾ الذي لا يساويه شيء.
- [٢] ﴿الذي خلق﴾ الخلاق ﴿فسوى﴾ خلقها بجعلها مستعدة للكمال اللاتق بها.
- [٣] ﴿والذي قدر﴾ لكل مخلوق ما يصلحه ﴿فهدى﴾ أرشده إلى منفعته ومضاره.
- [٤] ﴿والذي أخرج المرعى﴾ محل رعي الحيوان، أي النبات.

[٥] ﴿فَجَعَلَهُ﴾ بعد خضرته ﴿غُثَاءً﴾ يابساً ﴿أَحْوَى﴾ أسود.

[٦] ﴿سَنَقْرَأُكَ﴾ القرآن، أي نعلّمك ﴿فَلَا تَنْسَى﴾ شيئاً منه، وهذا من إعجاز النبي ﷺ.

[٧] ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ أن تنساه، إشارة إلى أن الأمر بيد الله فلو شاء أن ينسيك تمكن منه ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ﴾ ما ظهر ﴿وَمَا يَخْفَى﴾ ما خفي.

[٨] ﴿وَنُيْسِرُكَ﴾ أي نسهل لك ﴿لِّلْيَسْرِ﴾ أي الشريعة السهلة اليسيرة في العمل.

[٩] ﴿فَذَكِّرْ﴾ الناس بالله والمعاد ﴿إِنْ﴾ قد ﴿نَفَعْتَ الذِّكْرَى﴾ التذكير.

[١٠] ﴿سَيَذَكِّرْ﴾ يتعظ بقولك ﴿مَنْ يَخْشَى﴾ التردّي والعقاب.

[١١] ﴿وَيُتَجَنَّبُهَا﴾ يبتعد عن الذكري ﴿الْأَشْقَى﴾ الأكثر شقوة بسبب المعاصي، والمراد به الكافر.

[١٢] ﴿الَّذِي يَصِلَى﴾ يدخل ﴿النَّارَ الْكُبْرَى﴾ جهنم.

[١٣] ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ في النار ليستريح ﴿وَلَا يَحْيَى﴾ حياة طيبة.

[١٤] ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ فاز بالثواب ﴿مَنْ تَزَكَّى﴾ تطهر من الكفر والإثم.

[١٥] ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ﴾ بقلبه ولسانه ﴿فَصَلَّى﴾ كما أوجب الله له.

[١٦] ﴿بَلْ تَتَّكُونَ الذِّكْرَىٰ وَ تُؤْثِرُونَ﴾ ترجحون الحياة الدنيا ﴿عَلَى الْآخِرَةِ﴾.

[١٧] ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ أَحْسَنُ مِنَ الدُّنْيَا وَابْقَى﴾ لأنها دائمة أبدية.

[١٨] ﴿إِنْ هَذَا﴾ الذي ذكرناه في القرآن ﴿لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ الكتب المنزلة قبل القرآن أيضاً، مثل:

[١٩] ﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ وسائر الصحف.

٨٨: سورة الغاشية

مكية آياتها ست وعشرون

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

[١] ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ القيامة التي تغطي الناس بأهوالها.

[٢] ﴿وَجْهٌ يُومِئُذٍ﴾ في يوم القيامة ﴿خَاشِعَةٌ﴾ ذليلة.

[٣] ﴿عَامِلَةٌ﴾ تعمل في النار ﴿نَاصِبَةٌ﴾ وتتعب.

[٤] ﴿تَصْلَى﴾ تدخل ﴿نَاراً حَامِيَةً﴾ شديدة الحر.

[٥] ﴿تَسْقَى﴾ تعطى الماء ﴿مِنْ عَيْنٍ﴾ ماء ﴿آتِيَةٍ﴾ قد تناهت في الحر.

[٦] ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾ شوك ينبت في النار أمر من الصبر وأتئن من الجيفة.

[٧ - ٨] ﴿لَا يَسْمَنُ﴾ البدن ﴿وَلَا يَغْنَى مِنْ جُوعٍ﴾ فإذا

بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿١٧﴾ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴿١٩﴾

سُورَةُ الْغَاشِيَةِ ﴿٨٨﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴿١﴾ وَجْهٌ يُومِئُذٍ خَاشِعَةٌ ﴿٢﴾

عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تَسْقَى مِنْ عَيْنٍ آتِيَةٍ ﴿٥﴾

لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَا يَسْمَنُ وَلَا يَغْنَى مِنْ جُوعٍ ﴿٧﴾

وَجْهٌ يُومِئُذٍ نَاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لَسَعِيَهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾

لَا تَسْمَعُ فِيهَا لِلْغِيَةِ ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا مَرْمَرٌ مَرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾

وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزُرِّيٌّ مُبْنُوتَةٌ ﴿١٦﴾

أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾

وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾

فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾

إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿٢٦﴾

أكله لا يشبع بل يبقى على جوعه. ﴿وجوه يومئذ ناعمة﴾ متتعة.

[٩ - ١٠] ﴿لَسَعِيَهَا﴾ عملها الذي عملته في الدنيا ﴿راضية﴾ حيث ترى ثوابها. ﴿في جنة عالية﴾ محلاً وشأناً.

[١١] ﴿لا تسمع فيها لغبة﴾ نفساً تلغو وتقول الباطل.

[١٢] ﴿فيها عين جارية﴾ تجري ماؤها.

[١٣] ﴿فيها سرر﴾ جمع سرير ﴿مرفوعة﴾ عن الأرض.

[١٤] ﴿وأكواب﴾ جمع كوب، إناء لا عروة له ﴿موضوعة﴾ قد وضعت بين أيديهم.

[١٥] ﴿ونمارق﴾ جمع نمرقة، المسند ﴿مصفوفة﴾ قد صفت بعضها جنب بعض.

[١٦] ﴿وزراري﴾ جمع زربي، البساط ﴿مبنوتة﴾ مفروشة.

[١٧] ﴿أفلا ينظرون﴾ بنظر الاعتبار ﴿إلى الإبل كيف خلقت﴾ خلقاً دالاً على الكمال في قدرة خالقه.

[١٨] ﴿وإلى السماء كيف رفعت﴾ بلا عمد.

[١٩] ﴿وإلى الجبال كيف نصبت﴾ ثابتة جميلة فيها منافع كثيرة.

[٢٠] ﴿وإلى الأرض كيف سطحت﴾ حتى صارت مهداً للإنسان ومحلاً لحوائجه.

[٢١] ﴿فذكر﴾ الناس بالله وآياته ﴿إنما أنت مذكر﴾ شأنك التبليغ.

[٢٢] ﴿لست عليهم بمصيطر﴾ متسلط تقهرهم على الإيمان.

[٢٣] ﴿إلا من تولى﴾ أعرض ﴿وكفر﴾ فما عليك منه.

[٢٤] ﴿فإنه﴾ يعذب الله العذاب الأكبر وهو عذاب الآخرة.

[٢٥] ﴿إن إلينا﴾ إلى حسابنا وجزائنا ﴿إيابهم﴾ رجوعهم.

[٢٦] ﴿ثم إن علينا حسابهم﴾ كي نجازيهم بما عملوا.

٨٩: سورة الفجر

مكية آياتها ثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

سُورَةُ الْفَجْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْفَجْرِ ۝ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۝ وَالْأَيْلِ إِذَا يَسِرَ ۝
 ١ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حَبْرِ ۝ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝
 ٢ إِرَمَ ذَاتِ الْأَعْمَادِ ۝ الَّتِي لَمْ يَخْلُقْ مِثْلَهَا فِي الْإِلَادِ ۝
 ٣ وَتَمُودَ الَّذِي جَاءَ الْوَادِ ۝ وَالصَّخْرَ بِالْوَادِ ۝ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ۝
 ٤ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْإِلَادِ ۝ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ۝ فَصَبَّ ۝
 ٥ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝ إِنَّ رَبَّكَ لَإِلَٰهٌ مُّرْصِدٌ ۝ فَأَمَّا ۝
 ٦ الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْنَلَهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ۝
 ٧ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْنَلَهُ فَقَدَّرَهُ فَقَدَّرَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ۝
 ٨ وَلَا تَلَّ لِلَّهِ أَكْرَمُونَ ۝ لَا تَخْضُونَ عَلَىٰ طَعَامِ ۝
 ٩ الْمُسْكِينِ ۝ وَأَكْلُوكَ الدُّنَىٰ أَكْلًا لَّمًّا ۝ وَتُحِبُّونَ ۝
 ١٠ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ۝ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا ۝
 ١١ دَكًّا ۝ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝ وَجِئَ يَوْمَئِذٍ ۝
 ١٢ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَنْذِرُ الْإِنْسَانَ وَآلِيَهُ لَذِكْرِهِ ۝

[١] ﴿والفجر﴾ قسماً بالصبح .

[٢] ﴿وليل عشرين﴾ من ذي الحجة .

[٣] ﴿و﴾ قسماً بـ ﴿الشفع﴾ بكل زوج ﴿والوتر﴾ كل شيء فرد .

[٤] ﴿والليل إذا يسر﴾ يمضي ويدبر .

[٥] ﴿هل في ذلك قسم لذي حجر﴾ لذي عقل ، أي هل يكفي العاقل بهذه الأيمان ، حتى يصدق ما نقول ونحلف عليه ، والمقسم عليه محذوف ، أي يعذب الكفار ، كما عذب السابقين .

[٦] ﴿ألم تر كيف فعل ربك بعاد﴾ قوم هود عليه السلام ، حيث أهلكهم .

[٧ - ٨] ﴿إرم﴾ عطف بيان لـ (عاد) أي بإرم بلدهم ﴿ذات العماد﴾ التي كانت ذات أعمدة طوال ، فأهلك القوم ، وخرّب بلادهم ﴿التي لم يخلق مثلها في البلاد﴾ .

[٩] ﴿وتمود﴾ قوم صالح عليه السلام ﴿الذين جاءوا الصخر﴾ نحته وجعلوه بيوتاً ﴿بالواد﴾ واديهم وادي القرى .

[١٠] ﴿وفرعون ذي الأوتاد﴾ فإنه كان يعذب الناس بالأوتاد أي المسامير .

[١١] ﴿الذين﴾ صفة للثلاثة ﴿طغوا﴾ بالكفر والعصيان ﴿في البلاد﴾ .

[١٢] ﴿فأكثرها فيها﴾ في البلاد ﴿الفساد﴾ أي أفسدوا .

[١٣] ﴿فصب عليهم ربك سوط عذاب﴾ عذاباً متواتراً مؤلماً كتواتر السوط وإيلامه .

[١٤] ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾ عجل المراقبة ، يراقب أعمال الناس ، فيجازيهم بما عملوا .

[١٥] ﴿فأما الإنسان إذا ما ابتلاه﴾ اختبره ﴿ربه فأكرمه﴾ جعله ذا مكانة وكرامة في الناس ﴿ونعمه﴾ أعطاه النعمة ﴿فيقول ربي أكرمن﴾ أعطاني لكرامتي عليه .

[١٦] ﴿وأما إذا ما ابتلاه فقدر﴾ ضيق ﴿عليه رزقه فيقول ربي أهانن﴾ أي أهانني وإلا لم يضيّق عليّ ، زاعماً أن المال ميزان الكرامة والهوان .

[١٧] ﴿كلا﴾ ليس الأمر هكذا ﴿بل﴾ فعلكم أسوأ من قولكم فإنكم ﴿لا تكرمون البيتيم﴾ وقد أمر الله بإكرامه وجمع شمله .

[١٨] ﴿ولا تحاضون﴾ لا تحثون ﴿على طعام﴾ إطعام ﴿المسكين﴾ بإعطاء الزكاة وغيرها .

[١٩] ﴿وتأكلون التراث﴾ الميراث ﴿أكلا لماً﴾ جمعاً بين حصتكم وحصّة سائر الوراث .

[٢٠] ﴿وتحبون المال حباً جماً﴾ كثيراً ولذا تمنعون حقوق الله وحقوق الناس .

[٢١] ﴿كلا﴾ ليس عملكم حسناً ﴿إذا دكت الأرض﴾ دقت ﴿دكاً دكاً﴾ حتى تكون مستوية ، أو المراد زلزالها .

[٢٢] ﴿وجاء ربك﴾ أي أمر ربك ﴿وجاء﴾ جاء ﴿الملك﴾ في يوم القيامة ﴿صفاً صفاً﴾ أي في صفوف متعددة .

[٢٣] ﴿وجيء يومئذ بجهنم﴾ تجرّ من مكانها وتقرب من موقف القيامة ﴿يومئذ يتذكر الإنسان﴾ يتعظ ويعرف سوء عمله ﴿وأنى له الذكرى﴾ كيف يفيد التذكر وقد فات الأوان .

[٢٤] ﴿يَقُولُ﴾ تحسراً ﴿يَا لَيْتَنِي قَدِمْتُ﴾ خيراً ﴿لِحَيَاتِي﴾

هذه .

[٢٥] ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ﴾ عذاب الإنسان المقر

عذابه ﴿أَحَدٌ﴾ غير الله، أي لا يتولى تعذيب المعذب إلا الله .

[٢٦] ﴿وَلَا يُوَثِّقُ﴾ أوثقه إذا شد يده أو رجله ﴿وِثَاقَهُ أَحَدٌ﴾

أي لا يتولى أحد غير الله غل المعذب وشد يديه ورجليه .

[٢٧] ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمَطْمَئِنَّةُ﴾ بفضل الله، لأنك كنت مؤمنة عاملة بالصلوات .

[٢٨] ﴿ارْجِعِي إِلَى﴾ ثواب ﴿رَبِّكَ رَاضِيَةً﴾ بما أعطاك ﴿مَرْضِيَةً﴾ عنده تعالى .

[٢٩] ﴿فَادْخُلِي فِي﴾ جملة ﴿عِبَادِي﴾ الصالحين .

[٣٠] ﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ معهم .

٩٠: سورة البلد

مكية آياتها عشرون

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

[١] ﴿لَا أَقْسَمُ﴾ لا إما زائدة للتأكيد، أو نفي، للتلميح إلى القسم، بدون أن يحلف ﴿بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ أي بمكة .

[٢] ﴿وَالْحَالِ﴾ أنت ﴿يَا مُحَمَّدٌ ﷺ﴾ ﴿حُلْ﴾ حال ﴿بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ .

يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدِمْتُ لِحَيَاتِي ﴿١﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدٌ ﴿٢﴾ وَلَا يُوثِّقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ ﴿٣﴾ يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمَطْمَئِنَّةُ ﴿٤﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مَرْضِيَةً ﴿٥﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٦﴾ وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴿٧﴾

سُورَةُ الْبَلَدِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿٢﴾ وَالْوَالِدَيْنِ وَآلِهِ ﴿٣﴾
لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيَّ أَحَدٌ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا بَدَأَ ﴿٦﴾ أَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرََّهُ أَحَدٌ ﴿٧﴾
أَلَّا يَجْعَلَ لِمَوْعِدِي ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾
فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكَّرْ رَقِيعَةً ﴿١٣﴾
أَوْ اطْعَمْ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾
ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْأَيْمَنِ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَنَبَّأُونَ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ ﴿٢٠﴾

سُورَةُ الْبَلَدِ

[٣] ﴿و﴾ قسماً بـ ﴿والد﴾ كل أب ﴿وما ولد﴾ من الأولاد .

[٤] ﴿لقد خلقنا الإنسان﴾ جنسه ﴿في كبد﴾ تعب، أي يكابد الأتعاب .

[٥] ﴿أحسب﴾ هل يظن الإنسان ﴿أن لن يقدر عليه أحد﴾ فيطش به، فكيف ينكر وجود الله القادر عليه .

[٦] ﴿يقول أهلك﴾ أنفيت ﴿ما لا بدأ﴾ كثيراً في مقاصدي .

[٧] ﴿أحسب أن لم يره أحد﴾ كيف أنفق، والمعنى إنا سنجازيه بما أنفق عقاباً، حيث إن إنفاقه كان في سبيل الباطل .

[٨ - ٩] ﴿ألم نجعل له عينين﴾ يصر بهما . ﴿ولساناً وشفتين﴾ للتكلم .

[١٠] ﴿وهديناه النجدين﴾ طريقي الخير والشر .

[١١] ﴿فلا اقتحم﴾ أي لم يقتحم، والاقترحام الدخول بعسر ﴿العقبة﴾ فإن عمل الخير كالعقبة من الجبل الصعب المرتقى .

[١٢] ﴿وما أدراك ما العقبة﴾ تعظيم لشأنها وكثرة ثوابها .

[١٣] ﴿فك رقية﴾ تحرير العبد .

[١٤] ﴿أو إطعام﴾ للمساكين ﴿في يوم ذي مسغبة﴾ ذي جوع، بأن كانت مجاعة وقحط .

[١٥] ﴿يتيماً﴾ أي يطعم يتيماً ﴿ذا مقربة﴾ قرابة بالنسب .

[١٦] ﴿أو مسكيناً ذا متربة﴾ قد لصق بالتراب لفقره .

[١٧] ﴿ثم كان﴾ أي فلماذا لم يكن بالإضافة إلى ذلك ﴿من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر﴾ على طاعة الله ﴿وتواصوا بالرحمة﴾ بالرحمة على عباد الله .

[١٨] ﴿أولئك﴾ المتصفون بهذه الصفات ﴿أصحاب الميمين﴾ اليمين في الآخرة .

[١٩] ﴿والذين كفروا﴾ بآياتنا هم أصحاب المشئمة ﴿الشمال﴾ يؤخذ بهم إلى النار .

[٢٠] ﴿عليهم نار مؤصدة﴾ مطبقة عليهم أبوابها، لا مفر لهم منها .

٩١: سورة الشمس

مكية آیاتها خمس عشرة

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

- [١] ﴿والشمس﴾ قسماً بالشمس ﴿وضحاها﴾ نورها .
 [٢ - ٣] ﴿والقمر إذا تلاها﴾ تلا الشمس في الطلوع أو الغروب . ﴿والنهار إذا جلاها﴾ أبرز النهار الشمس .
 [٤] ﴿والليل إذا يغشاها﴾ غطى الشمس .
 [٥] ﴿والسما وما﴾ من ﴿بناها﴾ خلقها .
 [٦] ﴿والأرض وما طحاها﴾ بسطها .
 [٧] ﴿ونفس وما سواها﴾ خلقها معتدلة .
 [٨] ﴿فألهمها فجورها وتقواها﴾ عرفها طريقي الخير والشر .
 [٩] ﴿قد﴾ جواب الإيمان ﴿أفلح من زكاها﴾ طهرها عن الكفر والمعصية .
 [١٠ - ١١] ﴿وقد خاب﴾ خسر ﴿من دساها﴾ أخفاها بالكفر والإثم . ﴿كذبت﴾ قبيلة ﴿ثمود﴾ بالرسول ﴿بطغواها﴾ بسبب طغيانها .
 [١٢ - ١٣] ﴿إذ﴾ في زمان ﴿انبعث﴾ قام ﴿أشقاها﴾ الرجل الذي هو أشقى القبيلة . ﴿فقال لهم رسول الله﴾ صالح ﴿احذروا﴾ ﴿ناقة الله﴾ فلا تمسوها بسوء ﴿وسقياها﴾ واحذروا شربها الماء فلا تمنعوها .

- [١٤] ﴿فكذبوه﴾ أي كذبوا صالحاً ﴿ففعلوها﴾ جرحوها وقتلوا ﴿فندمهم﴾ فطبق ﴿عليهم ربهم﴾ العذاب ﴿بذنبهم﴾ بسبب ذنبهم ﴿فسواها﴾ فسوى الدمدمة عليهم بأن عمهم بالعذاب .
 [١٥] ﴿ولا يخاف﴾ تعالى ﴿عقباها﴾ أي عاقبة الدمدمة لأنه ليس كالمملوك يخاف إذا دمر أو قتل ، بل لا يسأل عما يفعل .

٩٢: سورة الليل

مكية آیاتها إحدى وعشرون

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

- [١] ﴿والليل﴾ قسماً بالليل ﴿إذا يغشى﴾ يغطي بظلامه الأشياء .
 [٢ - ٣] ﴿والنهار إذا تجلَّى﴾ ظهر . ﴿و﴾ قسماً بـ ﴿ما﴾ بمن ﴿خلق الذكر والأنثى﴾ .
 [٤ - ٥] ﴿إن سعيكم﴾ في الدنيا ﴿لشتى﴾ مختلفة . ﴿فأما من أعطى﴾ حق الله ﴿واتقى﴾ الكفر والإثم .
 [٦] ﴿وصدق بالحسنى﴾ أي الكلمة الحسنة وهي الشهادتان .
 [٧] ﴿فسنيسره﴾ نسهل له ﴿لليسرى﴾ للطريقة السهلة وهي الشريعة الإسلامية .
 [٨] ﴿وأما من بخل﴾ فلم ينفق ﴿واستغنى﴾ عن الثواب .
 [٩ - ١٠] ﴿وكذب بالحسنى﴾ فسنيسره للسرى للطريقة العسرة بأن يسلك الطريق العسير .
 [١١] ﴿وما يغني عنه ماله إذا تردى﴾ هلك ، فإن ماله لا ينجيه .
 [١٢] ﴿إن علينا للهدى﴾ الإرشاد ، فمن شاء اهتدى ومن شاء ضلَّ .
 [١٣] ﴿وإن لنا للآخرة والأولى﴾ فنعطى ما نشاء لمن نشاء ، في الدارين .
 [١٤] ﴿فأنذرتكم﴾ خوفكم أيها الناس ﴿ناراً تلتظى﴾ تلتهب .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالشَّمْسُ وَضَحَهَا ۝ وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّهَا ۝ وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّهَا ۝
 وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَىٰهَا ۝ وَالسَّمَاءُ وَمَا بَنَىٰهَا ۝ وَالْأَرْضُ وَمَا طَحَىٰهَا ۝
 وَنَفْسٌ وَمَا سَوَّاهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝ قَدْ
 أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ۝ كَذَّبَتْ ثَمُودُ
 بِطَغْوَاهَا ۝ إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا ۝ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ
 نَاقَةُ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ۝ فَكَذَّبُوهُ فَفَعَلَوْهَا فَدَمْدَمَ
 عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ يَذَّوْبَهُمْ فَسَوْفَ لَهَا ۝ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ۝

سُورَةُ اللَّيْلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَىٰ ۝ وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَىٰ ۝
 إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ۝ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝
 فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝
 فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ۝ إِنَّ عَلَيْنَا
 لَلْهُدَىٰ ۝ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ۝ فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ۝

- [١٥] ﴿لَا يَصْلَاهَا﴾ لا يدخلها ملازماً لها ﴿إِلَّا الْأَشْقَى﴾ الكافر الأكثر شقوة من العاصي .
- [١٦] ﴿الَّذِي كَذَّبَ﴾ بآيات الله ﴿وَتَوَلَّى﴾ أعرض .
- [١٧] ﴿وَسَيَجْزِيهَا﴾ يُعَذِّبُهَا ﴿الْأَتَقَى﴾ الأكثر تقوى وهو المؤمن العامل للصالحات .
- [١٨] ﴿الَّذِي يُوْتِي مَالَهُ﴾ يعطي الحقوق المالية وينفق حال كونه ﴿يَتَزَكَّى﴾ يتطهر بهذا الإعطاء .
- [١٩] ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى﴾ فليس إعطاؤه جزاء لمن قدم له نعمة من قبل حتى يكون مكافأة .
- [٢٠] ﴿فَلَا يُوْتِي مَالَهُ﴾ ﴿إِلَّا ابْتِغَاءً﴾ طلب رضا ﴿وَجْهٍ﴾ ذات ﴿رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾ .
- [٢١] ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ يرضاه الله بما يتفضل عليه من جزاء إنفاقه .

٩٣: سورة الضحى

مكية آياتها إحدى عشرة

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

- [١] ﴿وَالضُّحَى﴾ قسماً بالنهار، أو وقت ارتفاع الشمس .
- [٢] ﴿وَاللَّيْلَ إِذَا سَجَى﴾ استقر بظلامه .
- [٣ - ٤] ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾ ما تركك الله، والآية نزلت حين أبطأ على الرسول الوحي، فقال الكفار تركه ربه أو غضب عليه ﴿وَمَا قَلَى﴾ ما أبغضك . ﴿وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى﴾ الدنيا الفانية .

لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿١٦﴾ وَسَيَجْزِيهَا الْآتَقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءً وَجْهَ رَبِّهِ الْأَعْلَى ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَى ﴿٢١﴾

سُورَةُ الضُّحَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالضُّحَى ﴿١﴾ وَاللَّيْلَ إِذَا سَجَى ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴿٣﴾
وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴿٥﴾
أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ﴿٧﴾
وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ﴿٨﴾ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾
وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾

سُورَةُ الشَّرْحِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ ﴿٢﴾
أَنقَضْ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾
إِنْ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴿٨﴾

- [٥] ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ﴾ بقدر ﴿فَتَرْضَى﴾ بما أعطاك .
- [٦] ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾ جعل لك مأوى في كنف جدك عبد المطلب عليه السلام .
- [٧] ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا﴾ حيث ضاع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض الصحاري ﴿فَهَدَى﴾ هداك إلى الطريق .
- [٨ - ٩] ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا﴾ فقيراً ﴿فَأَغْنَى﴾ أغناك . ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ فلا تذهب بحقه، ولا تقهره بأخذ ماله وإيذاؤه .
- [١٠] ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ فلا تطرده .
- [١١] ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ الناس، فإن الحديث بالنعمة شكر وتثبيت للإيمان في قلوب الناس .

٩٤: سورة الشرح

مكية آياتها ثمان

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

- [١] ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ نوسعه بالعلم والأخلاق .
- [٢] ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ﴾ حملك الثقيل، حيث خففنا عليك مهمة التبليغ .
- [٣] ﴿الَّذِي أَنْقَضَ﴾ أثقل ﴿ظَهْرَكَ﴾ تشبيه المعقول بالمحسوس .
- [٤] ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ بأن جعلناك نبياً يقرن ذكرك بذكر الله تعالى .
- [٥] ﴿فَ﴾ إذا رأيت عسراً فاصبر حيث رأيت سالف إحساننا بك ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ بعد كل عسر يسر .
- [٦ - ٧] ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ كَرَّرَ للتأكيد . ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾ من أعمالك الضرورية ﴿فَانصَبْ﴾ اتعب نفسك في التبليغ .
- [٨] ﴿وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ بطلب ما عنده من خير الدارين .

٩٥: سورة التین

مكية آیاتها ثمان

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

[١] ﴿والتين والزيتون﴾ قسماً بهذين الثمرين .

[٢ - ٣] ﴿وطور﴾ اسم جبل ﴿سينين﴾ اسم سيناء، أي قسماً بالجبل الذي في سيناء . ﴿و﴾ قسماً بـ ﴿هذا البلد﴾ مكة ﴿الأمين﴾ الذي من دخله كان آمناً .

[٤] ﴿لقد﴾ جواب القسم ﴿خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾ قوام : شكله وصورته ومزاجه ونفسه .

[٥] ﴿ثم رددناه﴾ تركناه فيما إذا عاند الحق ﴿أسفل سافلين﴾ أدنى درك في الخسة والدناءة، والنار في الآخرة .

[٦] ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر﴾ ثواب ﴿غير ممنون﴾ غير مقطوع لأن نعيم الجنة دائم .

[٧ - ٨] ﴿فما يكذبك﴾ أي ما يسبب أن تكذب أيها الإنسان ﴿بعد﴾ أي بعد ظهور هذه الآيات عندك ﴿بالدين﴾ بالجزاء . ﴿أليس الله بأحكم الحاكمين﴾ بأعدل من كل عادل، فيلزم لعدله إقامة دار الجزاء لإثابة المحسن وعقاب المسيء .

٩٦: سورة العلق

مكية آیاتها تسع عشرة

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

[١] ﴿اقرأ﴾ افتح القرآن ﴿باسم ربك﴾ في قول مشهور إنها أول سورة نزلت ﴿الذي خلق﴾ الخلق .

[٢ - ٣] ﴿خلق الإنسان من علق﴾ جمع علقة، وهي قطعة دم جامدة . ﴿اقرأ﴾ تكرير للتأكيد ﴿وربك الأكرم﴾ من كل شيء .

[٤ - ٥] ﴿الذي علم﴾ الخط ﴿بالقلم﴾ لأجل بقاء العلم . ﴿علم الإنسان ما لم يعلم﴾ من علم الدنيا وعلم الآخرة .

[٦] ﴿كلا﴾ لا يطيع الإنسان ولا يقدر هذه النعم ﴿إن الإنسان ليطغى﴾ يتجاوز الحد .

[٧ - ٨] لـ ﴿أن رآه﴾ رأى نفسه ﴿استغنى﴾ بالمال والجاه . ﴿إن إلى ربك الرجعى﴾ الرجوع لجزاء الأعمال .

[٩ - ١٠] ﴿أرايت الذي ينهى * عبداً إذا صلى﴾ الاستفهام للتعجب من حال الناهي .

[١١] ﴿أرايت إن كان﴾ المصلي ﴿على الهدى﴾ .

[١٢] ﴿أو أمر بالتقوى﴾ فكيف ينهاه الناهي؟ ولماذا؟ .

[١٣] ﴿أريت إن كذب﴾ الناهي بالله وآياته ﴿وتولى﴾ أعرض عن الإيمان .

[١٤] ﴿ألم يعلم بأن الله يرى﴾ ما يفعله فيجازه بالعقاب .

[١٥] ﴿كلا﴾ لا يطيع هذا الإنسان ﴿لئن لم ينته﴾ عن كفره وصدته لسبيل الله ﴿لنسفعا﴾ لناخذن بشدة ﴿بالنافية﴾ بناصيته، مقدم رأسه، فنلقيه في النار .

[١٦] ﴿نافية كاذبة﴾ نسبة الكذب إلى النافية من باب علاقة الكل والجزء ﴿خاطئة﴾ ذات أخطاء وآثام .

[١٧] ﴿فليدع﴾ هذا الإنسان ﴿ناديه﴾ أهل مجلسه لينصروه من عذاب الله .

[١٨] ﴿سندع الزبانية﴾ ندعو خزنة جهنم لتعذيبه، فنرى أينأ أقوى وأقدر .

[١٩] ﴿كلا﴾ لا نتركه بحاله ﴿لا تطعه﴾ في مراده ﴿واسجد﴾ دم على سجودك لله ﴿واقرب﴾ تقرب إلى الله بعبادته .

سورة التین

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾
لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾
إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾
فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدَ بِالذِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾

سورة العلق

بسم الله الرحمن الرحيم

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ
الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ كَلَّا إِنَّ
الْإِنْسَانَ لَطَافٌ ﴿٦﴾ أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَى ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَ ﴿٨﴾ أَرَأَيْتَ
الَّذِي يَنْهَى ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّى ﴿١٠﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَىٰ الْهُدَىٰ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ
بِالتَّقْوَىٰ ﴿١٢﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٣﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ زُفِيَٰ عَنْهُ الْبُزَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِنْ
لَرَبَّنَا لَسَفَعَا ﴿١٥﴾ بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٦﴾ نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٧﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٨﴾
سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴿١٩﴾ كَلَّا لَا تَطَّعُهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴿٢٠﴾

٩٧: سورة القدر

مكية آياتها خمس

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

[١] ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ أي القرآن ﴿فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ في شهر رمضان، فقد انزل بمجموعه على قلب الرسول ﷺ، ثم ابتدأ من يوم المبعث منجماً بواسطة جبرئيل.

[٢] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ تعظيم لها وإيهام لفضلها.

[٣] ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ فإنها أفضل عند الله من ذلك، وثواب العمل فيها كثير جداً.

[٤] ﴿تَنْزِيلٌ﴾ تنزل في كل عام ﴿الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ﴾ جبرئيل عليه السلام ﴿فِيهَا﴾ في تلك الليلة إلى الأرض ﴿يُزِيلُ رَبُّهُمْ﴾ بأمرة تعالى، يأتون إلى النبي ﷺ أو الإمام عليه السلام ﴿مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ مربوط بهذا العالم، وذلك مثل عرض الملك ما يريد عمله إلى رئيس الوزراء تشريعاً له.

[٥] ﴿سَلَامٌ هِيَ﴾ ليلة القدر ينزل الله بالسلام لأهل الأرض، لكنهم يغيرونه بسبب المعاصي إلى المكاره ﴿حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ فإن عند طلوع الفجر تنقطع الملائكة وقد جاءوا بكل ما يكون في السنة المقبلة.

٩٨: سورة البينة

مدنية آياتها ثمان

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

[١] ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ (من) للبيان، فإن أهل الكتاب كفروا باتخاذهم الأولاد لله ﴿وَمِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ عبدة الأصنام ﴿مُتَّفَكِينَ﴾ عن كفرهم ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ الحجة الواضحة، وهو:

[٢] ﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ﴾ محمد ﷺ فإنه يفكهم من كفرهم ﴿يَتْلُو﴾ يقرأ عليهم ﴿صُحُفًا﴾ صحائف ﴿مُطَهَّرَةً﴾ منزهة عن الكذب والانحراف.

[٣] ﴿فِيهَا﴾ في تلك الصحف ﴿كُتِبَ﴾ مكتوبات ﴿قِيَمَةٌ﴾ ذات استقامة.

[٤] ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ بأن آمن بعضهم وكفر بعضهم ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ الرسول ﷺ، وإلا قبل مجيئه كان كلهم يصدقون به.

[٥] ﴿وَمَا أَمَرُوا﴾ أهل الكتاب ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ بلا إشراف واتخاذ ولد ﴿حُنَفَاءَ﴾ مائلين عن العقائد الباطلة ﴿وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ﴾ الصحيح، أصوله وفروعه ﴿دِينًا﴾ الملة ﴿الْقِيَمَةَ﴾ المستقيمة.

[٦] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ جحدوا رسالة محمد ﷺ ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ﴾ في نار جهنم خالدين فيها ﴿وَذَلِكَ فِي الْآخِرَةِ﴾ أولئك هم شر البرية ﴿الْخَلِيقَةِ﴾ لأنهم عرفوا فعاندوا.

[٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أولئك هم خير البرية ﴿لَأَنَّهُمْ جُمِعُوا بَيْنَ الْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ﴾.

سُورَةُ الْقَدْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ ﴿٤﴾ فِيهَا يَأْذِنُ رَبُّهُمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴿٥﴾ سَلَّمَ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴿٦﴾

سُورَةُ الْبَيِّنَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَوْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُتَّفَكِينَ ﴿١﴾ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿٢﴾ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً ﴿٣﴾ فِيهَا كُتِبَ قِيَمَةٌ ﴿٤﴾ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ ﴿٥﴾ وَمَا أَمَرُوا إِلَّا لَعِبْدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴿٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٨﴾

جَزَأُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّتْ عَدْنٌ يَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴿٨﴾

سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُخْبِرُهَا ﴿٤﴾ أَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾

سُورَةُ الْعَادِيَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَادِيَاتِ ضَبَابًا ﴿١﴾ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ﴿٥﴾ إِنْ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّمَا عَلَیْكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّمَا لِحَبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ رَمَاهُ فِي الْقُبُورِ ﴿٩﴾

[٨] ﴿جَزَأُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّتْ عَدْنٌ﴾ إقامة ﴿تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ تحت أشجارها ﴿الْإِنْسَانُ مَا لَهَا﴾ تحت أشجارها ﴿الْإِنْسَانُ مَا لَهَا﴾ لا يتابعهم أوامره ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ بما أعطاهم من الثواب ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ فأتاعه .

٩٩: سورة الزلزلة

مدنية آياتها ثمان

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

- [١] ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ﴾ أُرْجِفَتْ لِقِيَامِ السَّاعَةِ ﴿زُلْزِلَتْ﴾ المَقْدَرُ لَهَا .
- [٢] ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ ما فِي بطنها من الكنوز والموتى .
- [٣] ﴿وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا﴾ ما لِلْأَرْضِ تَزَلُّزَلٌ، تَعْجَبًا لَهَا .
- [٤] ﴿يَوْمَئِذٍ تُخْبِرُهَا﴾ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ ﴿تُخْبِرُهَا﴾ الْأَرْضِ ﴿أَخْبَارَهَا﴾ تَنْطِقُ بِلسانِ الْحَالِ بِالْأَهْوَالِ الَّتِي تَغْمُرُ النَّاسَ، أَوْ تَحْدِثُ وَتَشْهَدُ بِمَا عَمِلَ عَلَى ظَهَرِهَا .
- [٥] ﴿تَحْدِثُ﴾ ﴿بِ﴾ سَبَبٍ ﴿أَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾ أَمْرًا بِأَن تَظْهَرَ الْأَهْوَالُ .
- [٦] ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ﴾ يَخْرُجُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ إِلَى مَوْقِفِ الْحِسَابِ ﴿أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ فَيُجَازَوْنَ عَلَيْهَا .
- [٧] ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ تَرَى فِي النُّورِ الْدَاخِلِ مِنَ الْكُوفَةِ فِي الْغُرْفَةِ الْمُظْلَمَةِ ﴿خَيْرًا يَرَهُ﴾ يَرَى ثَوَابَهُ .
- [٨] ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ يَرَى جَزَاءَهُ .

١٠٠: سورة العاديات

مكية آياتها إحدى عشرة

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

- [١] ﴿وَالْعَادِيَاتِ﴾ قَسَمًا بِالْأَفْرَاسِ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّتِي تَعْدُو وَتَرْكُضُ ﴿ضَبْحًا﴾ أَي ضَابِحَةً، وَهِيَ صَوْتُ أَنْفَاسِهَا .
- [٢] ﴿قَدْحًا﴾ قَسَمًا بِـ ﴿الْمُورِيَاتِ﴾ الْخَيْلِ الَّتِي تُورِي النَّارَ بِسَبَبِ ضَرْبِ أَقْدَامِهَا عَلَى الْحَصَى ﴿قَدْحًا﴾ يَقَالُ قَدَحَ الزُّنْدِ إِذَا أَوْرَاهُ .
- [٣] ﴿فَالْمُغِيرَاتِ﴾ أَغَارُوا ﴿ضَبْحًا﴾ وَقْتُ الصُّبْحِ، نَزَلَتْ فِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﴿حَيْثُ حَارَبَ بِأَمْرِ الرَّسُولِ ﷺ﴾ جَمَاعَةً، فَغَزَاهُمْ بَعْدَ صَلَاةِ الصُّبْحِ .
- [٤] ﴿فَأَثَرْنَ﴾ مِنَ الْإِثَارَةِ بِمَعْنَى هَيَّجْنَ ﴿بِهِ﴾ بِذَلِكَ الْوَقْتِ ﴿نَقْعًا﴾ غِبَارًا .
- [٥] ﴿فَوَسَطْنَ﴾ تَوَسَّطْنَ ﴿بِهِ﴾ بِذَلِكَ الْوَقْتِ ﴿جَمْعًا﴾ فِي جَمْعِ الْعَدُوِّ .
- [٦] ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ لِكُفُورِ أَيِّ جِنْسِ الْإِنْسَانِ هَكَذَا .
- [٧] ﴿وَإِنَّمَا عَلَى الْإِنْسَانِ عَلَى ذَلِكَ﴾ عَلَى كُفْرَانِهِ ﴿لَشَهِيدٌ﴾ شَهِيدٌ عَلَى نَفْسِهِ، لِأَنَّهُ يَعْلَمُ بِأَنَّهُ كَافِرٌ، فَيَشْهَدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى نَفْسِهِ .
- [٨] ﴿وَإِنَّمَا لِحَبِّ الْخَيْرِ﴾ أَي الْمَالِ ﴿لَشَدِيدٌ﴾ وَلِذَا يَمْنَعُهُ عَنْ بَذْلِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ .
- [٩] ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ رَمَاهُ﴾ أَخْرَجَ ﴿مِمَّا فِي الْقُبُورِ﴾ مِنَ الْأَمْوَاتِ .

[١٠] ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ ظهر ﴿ما في الصدور﴾ من الكفر والإيمان.

[١١] ﴿إِنْ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ عليهم بأحوالهم فيجازيهم على أعمالهم.

١٠١: سورة القارعة

مكية آياتها إحدى عشرة

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

[١] ﴿القارعة﴾ من أسامي القيامة، لأنها تفرق الناس بأصناف الأحوال.

[٢] ﴿ما القارعة﴾ استفهام للتحويل.

[٣] ﴿وما أدراك﴾ أي شيء أدراك، فكأنه لا تعلم أنت ﴿ما القارعة﴾ لهولها.

[٤] ﴿يوم يكون الناس كالفرش﴾ الجراد ﴿المبثوث﴾ المنتشر.

[٥] ﴿وتكون الجبال كالعهن﴾ كالصوف ﴿المنفوش﴾ المندوف الملون، لتفرق أجزائها^(١) وخفة سيرها.

[٦] ﴿فأما من ثقلت موازينه﴾ رجحت حسناته.

[٧] ﴿فهو في عيشة راضية﴾ مرضية - اسم فاعل بمعنى اسم المفعول -.

[٨] ﴿وأما من خفت﴾ من الحسنات ﴿موازينه﴾.

وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ۝ إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ۝

سُورَةُ الْقَارِعَةِ ۝

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْقَارِعَةُ ۝ مَا الْقَارِعَةُ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ۝

يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ۝

وَيَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ۝ فَأَمَّا

مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۝ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ۝

وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۝ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ۝

وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ ۝ نَارُ حَامِيَةٍ ۝

سُورَةُ التَّكْوِيْنِ ۝

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْهَيْكُمُ التَّكْوِيْنُ ۝ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۝ كَلَّا سَوْفَ

تَعْلَمُونَ ۝ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ

عِلْمَ الْيَقِيْنِ ۝ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيْمَ ۝ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا

عَيْنَ الْيَقِيْنِ ۝ ثُمَّ لَتَسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ النَّعِيْمَ ۝

[٩] ﴿فأما﴾ ماواه الذي يؤمه ويقصده ﴿هاوية﴾ جهنم يهري فيها.

[١٠] ﴿وما أدراك ماهية﴾ لكثرة هولها.

[١١] ﴿نار حامية﴾ شديدة الحر.

١٠٢: سورة التكاثر

مكية آياتها ثمان

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

[١] ﴿الهاكم﴾ أشغلكم أيها الناس عن الآخرة ﴿التكاثر﴾ التباهي بكثرة المال والأولاد.

[٢] ﴿حتى زرتم المقابر﴾ صرتم إليها بأن متم.

[٣] ﴿كلا﴾ لا ينبغي أن يكون الإنسان هكذا ﴿سوف تعلمون﴾ عاقبة سوء عملكم.

[٤] ﴿ثم﴾ للتأكيد ﴿كلا﴾ للردع أيضاً ﴿سوف تعلمون﴾.

[٥] ﴿كلا لو تعلمون علم اليقين﴾ علماً يقينياً بعاقبة أمركم.

[٦] ﴿لترونها﴾ برؤية القلب ﴿الجحيم﴾ المعدة لمن ألهته دنياه.

[٧] ﴿ثم﴾ عند الموت أو في الآخرة ﴿لترونها﴾ أي الجحيم ﴿عين اليقين﴾ اليقين الذي هو معاينة بدخولها.

[٨] ﴿ثم لتسألن يومئذ﴾ عند دخولها ﴿عن النعيم﴾ فتقولون تحسراً أين ذهب ذلك النعيم الذي كنا فيه؟

١٠٣: سورة العصر

مكية آياتها ثلاث

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

[١] ﴿والعصر﴾ فسمّاً بالعصر، والمراد وقت العصر أو الدهر، وفي التأويل أنه الإمام المهدي (عج).
[٢] ﴿إن الإنسان لفي خسر﴾ خسارة، لأنه كلما فات يوم منه ذهب قسم من عمره وفاته ما أمكنه من العمل الصالح فيه ولم يعمله.

[٣] ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا﴾ أوصى بعضهم بعضاً ﴿بالحق﴾ بأن يعمل بالحق ﴿وتواصوا بالصبر﴾ بأن يصبر على المكروه وأتعب التكليف.

١٠٤: سورة الهمزة

مكية آياتها تسع

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

[١] ﴿ويل﴾ سوء وهلاك ﴿لكل همزة﴾ كثير الهمز أي الكسر من أعراض الناس ﴿لمزة﴾ كثير الطعن فيهم.
[٢] ﴿الذي جمع مالا وعدده﴾ حسبه مراراً، فإن الشري الغافل عن الآخرة يكون هكذا همزاً لماًزاً حسباً.
[٣-٤] ﴿يحسب﴾ يزعم ﴿أن ماله أخذه﴾ أبقاه سالمًا عن

الآفات. ﴿كلا﴾ ليس هكذا فإن المال لا يسلم الإنسان ﴿لينبذ﴾ يطرح بذلة ﴿في الحطمة﴾ النار التي تحطم عظام الإنسان.
[٥] ﴿وما أدراك ما الحطمة﴾ تعظيم لها وتهويل فيها.
[٦] ﴿نار الله الموقدة﴾ التي أشعلت.

[٧] ﴿التي تطلع﴾ تستولي ﴿على الأفتدة﴾ القلوب، لأنها مكان الكبر والتعبر.

[٨] ﴿إنها﴾ أي النار ﴿عليهم﴾ على هؤلاء الكفار ﴿مؤصدة﴾ مسدودة الباب فلا يقدرون على الخروج منها.

[٩] وهم ﴿في عمد﴾ تربط أرجلهم بعمد ﴿ممددة﴾ ممدودة، كما تربط أرجل المجرمين بالأعمدة المبنية في الأرض حتى لا يفروا.

١٠٥: سورة الفيل

مكية آياتها خمس

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

[١] ﴿ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل﴾ الذين قصدوا تخريب الكعبة وجاءوا معهم بالفيلة لهذا الغرض.

[٢] ﴿ألم يجعل كيدهم﴾ تدبيرهم لأجل هدمها ﴿في تضليل﴾ تضيق، بأن أهلكتهم وحفظ الكعبة.

[٣] ﴿وأرسل﴾ الله ﴿عليهم طيراً أبابيل﴾ بيان (طيراً).

[٤] ﴿ترميهم﴾ الأبابل ﴿بحجارة من سجيل﴾ الطين المتحجر، وكان كل واحد من الطير يحمل في منقاره ورجليه ثلاثة أحجار فيقتل ثلاثة أشخاص.

[٥] ﴿فجعلهم﴾ الله تعالى ﴿كمصف﴾ كورق زرع ﴿مأكول﴾ أكله الدواب، فإنه لا فائدة فيه ولا منظر له، أي أهلكتهم جميعاً.

سورة العصر

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالْعَصْرُ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خَسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ۝٣

سورة الهمزة

بسم الله الرحمن الرحيم

وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ۝٣ كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ اللَّهِ الْمَوْقُودَةُ ۝٦ الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْتَدَةِ ۝٧ إِنهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ ۝٨ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ۝٩

سورة الفيل

بسم الله الرحمن الرحيم

الَّذِي كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارٍ مِّنْ سِجِيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥

١٠٦: سورة قريش

مكية ياتها أربع

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

[١] ﴿لإيلاف﴾ متعلق بـ﴿فليعبدوا﴾ أي يعبدوا قريش رب البيت لجهة أن الله يسر لهم أن يألفوا ويذهبوا إلى سائر البلاد لجلب الطعام والحاجيات ﴿قريش﴾.

[٢] ﴿إيلافهم﴾ بدل من ﴿إيلاف﴾ في ﴿رحلة﴾ رواهم في ﴿الشتاء﴾ إلى اليمن ﴿والصيف﴾ إلى الشام.

[٣] ﴿فليعبدوا رب هذا البيت﴾ الكعبة.

[٤] ﴿الذي أطعمهم من جوع﴾ بأن هيا لهم الرحلة حتى يجلبوا الطعام ليأكلوا.

﴿وآمنهم من خوف﴾ لأنه جعل مكة حرماً آمناً لا يعتدي عليهم أحد، باحترام مكة.

١٠٧: سورة الماعون

مكية آياتها سبع

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

[١] ﴿أرايت﴾ استفهام تعجب ﴿الذي يكذب بالدين﴾ بالجزاء.

[٢] ﴿فذلك﴾ المكذب - إن لم تعرفه - هو ﴿الذي يدع

سُورَةُ الْقُرَيْشِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لِإِيْلَافٍ قُرَيْشٍ ۝١ لِأَنفِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ۝٢
لِيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۝٣ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ
مِّنْ جُوعٍ ۝٤ وَآمَنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ ۝٥

سُورَةُ الْمَاعُونِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْدينِ ۝١ فَذَلِكَ الَّذِي
يَدْعُ الْبِيتَةَ ۝٢ وَلَا يُحِضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ۝٣
فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ۝٤ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥
الَّذِينَ هُمْ بِرِءَاوُنَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ۝٧

سُورَةُ الْكَوْثَرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۝٢
إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۝٣

اليتيم﴾ يدفعه عن حقه بعنف.

[٣] ﴿ولا يحض﴾ لا يحث نفسه ولا غيره ﴿على طعام المسكين﴾ إطعامه، لما فيه من الشح وتكذيبه بالجزاء.

[٤] وإذا كان عدم المبالاة باليتيم وبالمسكين موجبا للذم ﴿ف﴾ السهو عن الصلاة التي هي عمود الدين أولى بالندم ﴿ويل﴾ هلاك ﴿للمصلين﴾ الغافلين.

[٥] ﴿الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾ غافلون غير مباليين بها، صليت أم لا، بالشرائط أم لا.

[٦] ﴿الذين هم براءون﴾ يرون الناس أعمالهم ليمدحهم بها.

[٧] ﴿ويمنعون الماعون﴾ الخير، بأن يمنعوا أنفسهم والناس عن عمل الخير.

١٠٨: سورة الكوثر

مكية آياتها ثلاث

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

[١] ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ الخير الكثير، ومن مصاديقه إعطائه ﷺ فاطمة ﷺ.

[٢] ﴿فصل لربك وانحر﴾ شكرأ له.

[٣] ﴿إن شائنك﴾ مبغضك ﴿هو الأبر﴾ الذي لا عقب له، ولا خير يبقى بعده، والآية نزلت حين قال الكفار إن محمداً ﷺ أبر لا عقب له.

١٠٩: سورة الكافرون

مكية آياتها ست

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

[١ - ٢] ﴿قل يا أيها الكافرون * لا أعبد ما تعبدون﴾ فقد قالوا: يا محمد نعبد إلهك سنة وتعبد آلهتنا سنة .
[٣] ﴿ولا أنتم عابدون﴾ في المستقبل ﴿ما أعبد﴾ وهذا إخبار منه بأن من قال له هذا الكلام يموت كافراً، وكان كما نزل .

[٤] ﴿ولا أنا﴾ في الحال ﴿عابد ما عبدتم﴾ من الأصنام .
[٥] ﴿ولا أنتم عابدون﴾ في الحال ﴿ما أعبد﴾ فالأولان للاستقبال والأخيران للحال، أو العكس .
[٦] ﴿لكم دينكم ولي دين﴾ ديني، فأنتم لا تتركون دينكم وأنا لا أرفض ديني .

١١٠: سورة النصر

مدنية آياتها ثلاث

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

[١] ﴿إذا جاء نصر الله﴾ بنصرك على أعدائك ﴿والفتح﴾ فتح مكة .
[٢] ﴿ورأيت الناس يدخلون في دين الله﴾ الإسلام ﴿أفواجاً﴾ جماعات جماعات .

[٣] ﴿نسبح بحمد ربك﴾ نزهه عن النقائص بذكر محامده، فإذا قلت: عادل، كان معناه أنه ليس بظالم ﴿واستغفره﴾ اطلب غفرانه ﴿إنه كان تواباً﴾ كثير الغفران لمن تاب واستغفر، وقد تقدم وجه استغفار النبي ﷺ .

١١١: سورة المسد

مكية آياتها خمس

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

[١] ﴿تبت﴾ خسرت ﴿يدا أبي لهب﴾ فإنه كان يضرب الرسول بالحجارة ﴿وتب﴾ خسر هو نفسه .
[٢] ﴿ما أغنى عنه ماله﴾ ما أفاده عن عذاب الله ماله ﴿وما كسب﴾ ما كسبه من الأولاد والجاه، فإنها لا تغنيه عن العذاب .
[٣] ﴿سيصلى﴾ يدخل ﴿ناراً ذات لهب﴾ اشتعال .
[٤] ﴿و﴾ تبت ﴿أمرأته﴾ أم جميل أخت أبي سفيان، حال كونها ﴿حمالة الحطب﴾ كانت تحمل الشوك وتشره في الليل في طريق النبي ﷺ ليؤذي رجله الكريمة .
[٥] ﴿في جيدها﴾ رقبته ﴿حبل من مسد﴾ من ليف، فإنها كانت تحمل الحطب في ذلك الليف .

١١٢: سورة الإخلاص

مكية آياتها أربع

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

- [١] ﴿قل هو الله أحد﴾ لا شريك له .
 [٢] ﴿الله الصمد﴾ السيد المقصود في كل الأمور .
 [٣] ﴿لم يلد﴾ مسيحاً ولا غيره كما قال المسيحيون وغيرهم ﴿ولم يولد﴾ فليس له أب وأم .
 [٤] ﴿ولم يكن له كفواً﴾ مثلاً ﴿أحد﴾ إذ لا أحد يماثله حتى يكون كفواً له .

١١٣: سورة الفلق

مكية آياتها خمس

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

- [١] ﴿قل أعوذ﴾ أجبر نفسي ﴿برب الفلق﴾ الصبح .
 [٢] ﴿من شر ما خلق﴾ مما له شر .
 [٣] ﴿ومن شر غاسق﴾ ظلمة الليل ﴿إذا وقب﴾ دخل ، فإن الليل معرض البلاء .
 [٤] ﴿ومن شر النفاثات﴾ النساء الساحرات اللاتي ينفخن عند السحر ﴿في العقد﴾ جمع عقدة التي يعقدنها في الخيط .

[٥] ﴿ومن شر حاسد إذا حسد﴾ بأن عمل بمقتضى حسده من الأذى والمكر .

١١٤: سورة الناس

مكية آياتها ست

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

- [١ - ٢] ﴿قل أعوذ برب الناس﴾ ملك الناس * ملكهم .
 [٣ - ٤] ﴿إله الناس﴾ من شر الوسواس * الشيطان الذي يلقي الوسوسة والشبهة ﴿الخناس﴾ لأنه يخنس كثيراً ، أي يتراجع ويختفي إذا ذكر الله تعالى .
 [٥] ﴿الذي يوسوس في صدور﴾ قلوب ﴿الناس﴾ .
 [٦] ﴿من﴾ بيان (الوسواس) ﴿الجنة﴾ الجن ﴿والناس﴾ البشر .
 سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين .
 استغرقت كتابته مجموعاً ٤٨ يوماً ، وتم في :

كربلاء المقدسة

١٥ / رجب / ١٣٨٩ هـ

بيد : محمد بن المهدي الحسيني الشيرازي

سُورَةُ الْإِخْلَاصِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝

سُورَةُ الْفَلَقِ

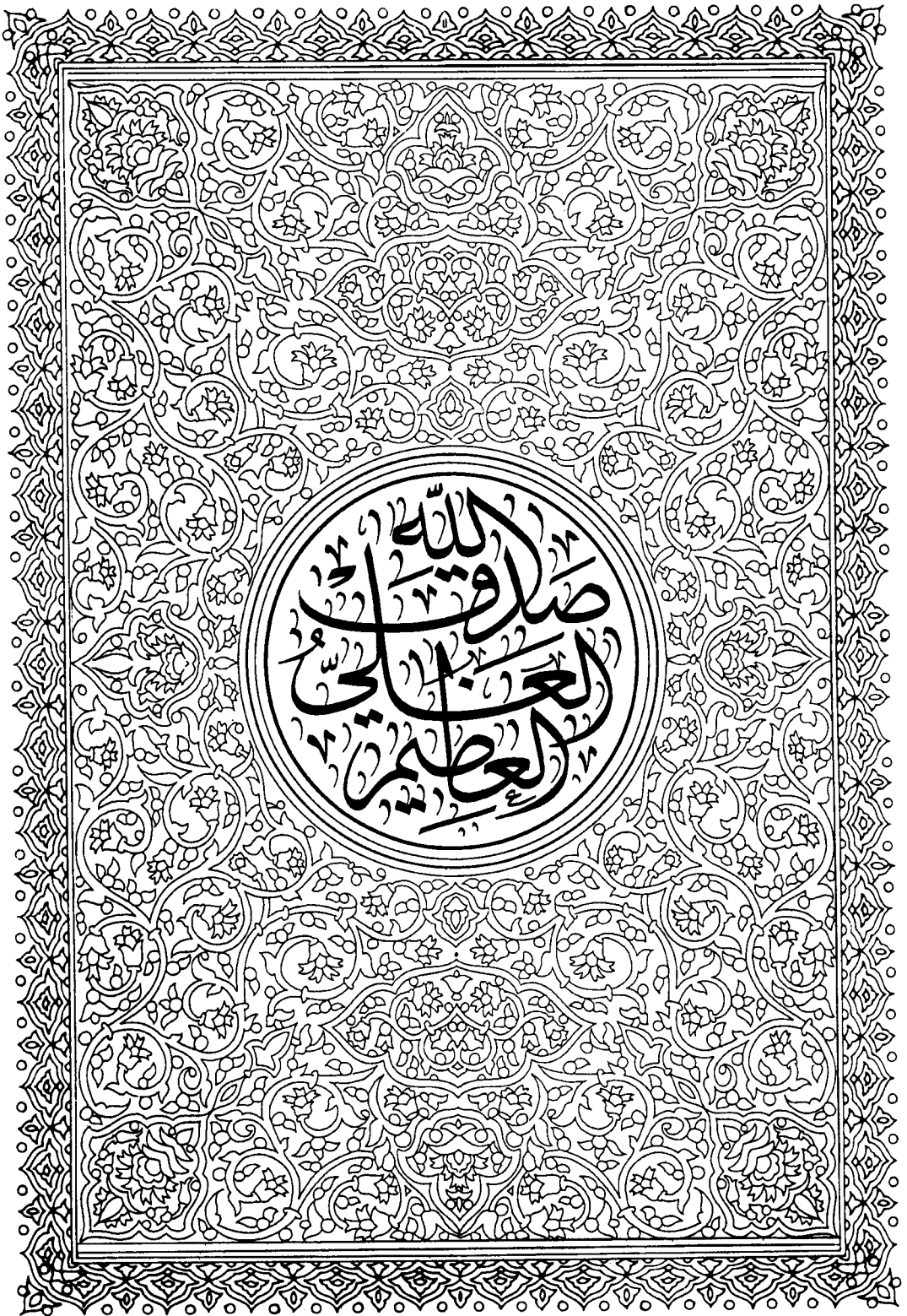
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ۝ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۝ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝

سُورَةُ النَّاسِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝ مَلِكِ النَّاسِ ۝ إِلَهِ النَّاسِ ۝ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ۝ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ۝ مِنَ الْغِيَةِ وَالنَّاسِ ۝



دُعَاءُ خَتْمِ الْقُرْآنِ

اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي بِالْقُرْآنِ وَأَجْعَلْهُ لِي إِمَامًا وَنُورًا وَهُدًى وَرَحْمَةً
 اللَّهُمَّ ذَكِّرْنِي مِنْهُ مَا نَسِيتُ وَعَلِّمْنِي مِنْهُ مَا جَهِلْتُ وَارْزُقْنِي بِلَاوَتِهِ
 أَنَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافِ النَّهَارِ وَأَجْعَلْهُ لِي حُجَّةً يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ ○
 اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عَصَمَةُ أَمْرِي وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا
 مَعَاشِي وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي وَأَجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي
 فِي كُلِّ خَيْرٍ وَأَجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ ○ اللَّهُمَّ اجْعَلْ خَيْرَ عَمْرِي
 آخِرَهُ وَخَيْرَ عَمَلِي خَوَاتِمَهُ وَخَيْرَ أَيَّامِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ ○ اللَّهُمَّ إِنِّي
 أَسْأَلُكَ عِيشَةً هَنِيئَةً وَمِيتَةً سَوِيَّةً وَمَرَدًّا غَيْرَ مُخْزٍ وَلَا فَاضِحٍ ○ اللَّهُمَّ
 إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ الْمَسْأَلَةِ وَخَيْرَ الدُّعَاءِ وَخَيْرَ التَّجَاحِ وَخَيْرَ الْعِلْمِ وَخَيْرَ
 الْعَمَلِ وَخَيْرَ الثَّوَابِ وَخَيْرَ الْحَيَاةِ وَخَيْرَ الْمَمَاتِ وَثَبِّتْنِي وَثَقِّلْ مَوَازِينِي
 وَحَقِّقْ إِيْمَانِي وَارْفَعْ دَرَجَتِي وَتَقَبَّلْ صَلَاتِي وَاغْفِرْ خَطِيئَاتِي

وَأَسْأَلُكَ الْعُلَامِينَ الْجَنَّةِ ۝ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مُوْجِبَاتِ رَحْمَتِكَ
 وَعَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ وَالسَّلَامَةَ مِنْ كُلِّ إِشْمٍ وَالْغَنِيمَةَ مِنْ كُلِّ بَرٍّ
 وَالْفُوزَ بِالْجَنَّةِ وَالنَّجَاةَ مِنَ النَّارِ ۝ اللَّهُمَّ أَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا
 وَأَجِرْنَا مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْآخِرَةِ ۝ اللَّهُمَّ أَقِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ
 مَا نَحُولُ بِهِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعْصِيَتِكَ وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا نُبْلِغُنَا بِهِاجَتَكَ وَمِنْ الْيَقِينِ
 مَا نَهْوُونَ بِهِ عَلَيْنَا مَصَائِبَ الدُّنْيَا وَمَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوتِنَا
 مَا أَحْيَيْنَا وَاجْعَلْهُ أَوَارِثَ مِنَّا وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمْنَا وَانْصُرْنَا
 عَلَى مَنْ عَادَانَا وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرُ هِمًّا
 وَلَا تَبْلُغْ عَلَيْنَا وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا ۝ اللَّهُمَّ لَا تَدْعُ لَنَا
 ذَنْبًا إِلَّا غَفَرْتَهُ وَلَا هَمًّا إِلَّا فَرَّجْتَهُ وَلَا دَيْنًا إِلَّا قَضَيْتَهُ وَلَا حَاجَةً
 مِنْ حَوَائِجِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِلَّا قَضَيْتَهَا يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ۝ رَبَّنَا
 آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ
 وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ
 الْأَخْيَارِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا

السورة	رقمها	الصفحة	السورة	رقمها	الصفحة
الفاتحة	١	١٠	الروم	٣٠	٤١٦
البقرة	٢	١١	لقمان	٣١	٤٢٣
آل عمران	٣	٦١	السجدة	٣٢	٤٢٧
النساء	٤	٨٨	الأحزاب	٣٣	٤٣٠
المائدة	٥	١١٧	سبا	٣٤	٤٤٠
الأنعام	٦	١٤٠	فاطر	٣٥	٤٤٦
الأعراف	٧	١٦٣	يس	٣٦	٤٥٢
الأنفال	٨	١٨٩	الصفافات	٣٧	٤٥٨
التوبة	٩	١٩٩	ص	٣٨	٤٦٥
يونس	١٠	٢٢٠	الزمر	٣٩	٤٧١
هود	١١	٢٢٣	غافر	٤٠	٤٨٠
يوسف	١٢	٢٤٧	فصلت	٤١	٤٩٠
الرعد	١٣	٢٦١	الشورى	٤٢	٤٩٦
إبراهيم	١٤	٢٦٧	الزخرف	٤٣	٥٠٢
الحجر	١٥	٢٧٤	الدخان	٤٤	٥٠٩
النحل	١٦	٢٧٩	الجاثية	٤٥	٥١٢
الإسراء	١٧	٢٩٤	الأحقاف	٤٦	٥١٥
الكهف	١٨	٣٠٥	محمد	٤٧	٥٢٠
مريم	١٩	٣١٧	الفتح	٤٨	٥٢٤
طه	٢٠	٣٢٤	الحجرات	٤٩	٥٢٨
الأنبياء	٢١	٣٢٢	ق	٥٠	٥٣١
الحج	٢٢	٣٤٤	الذاريات	٥١	٥٣٤
المؤمنون	٢٣	٣٥٤	الطور	٥٢	٥٣٧
النور	٢٤	٣٦٢	التجم	٥٣	٥٤٠
الفرقان	٢٥	٣٧١	القمر	٥٤	٥٤٢
الشعراء	٢٦	٣٧٩	الرحمن	٥٥	٥٤٥
النمل	٢٧	٣٨٩	الواقعة	٥٦	٥٤٨
القصص	٢٨	٣٩٧	الحديد	٥٧	٥٥١
العنكبوت	٢٩	٤٠٨	المجادلة	٥٨	٥٥٦

السورة	رقمها	الصفحة	السورة	رقمها	الصفحة
الحشر	٥٩	٥٥٩	الأعلى	٨٧	٦١٣
الممتحنة	٦٠	٥٦٣	الغاشية	٨٨	٦١٥
الصف	٦١	٥٦٥	الفجر	٨٩	٦١٦
الجمعة	٦٢	٥٦٧	البلد	٩٠	٦١٧
المنافقون	٦٣	٥٦٨	الشمس	٩١	٦١٨
التغابن	٦٤	٥٧٠	الليل	٩٢	٦١٨
الطلاق	٦٥	٥٧٢	الضحى	٩٣	٦١٩
التحریم	٦٦	٥٧٤	الشرح	٩٤	٦١٩
المُلک	٦٧	٥٧٧	التين	٩٥	٦٢٠
القلم	٦٨	٥٧٩	العلق	٩٦	٦٢٠
الحاقة	٦٩	٥٨٢	القدر	٩٧	٦٢١
المعارج	٧٠	٥٨٤	البيتة	٩٨	٦٢١
نوح	٧١	٥٨٧	الزلزلة	٩٩	٦٢٢
الجن	٧٢	٥٨٩	العاديات	١٠٠	٦٢٢
المزمل	٧٣	٥٩١	القارعة	١٠١	٦٢٣
المدثر	٧٤	٥٩٢	التكاثر	١٠٢	٦٢٣
القيامة	٧٥	٥٩٦	العصر	١٠٣	٦٢٤
الإنسان	٧٦	٥٩٨	الهمزة	١٠٤	٦٢٤
المُرسلات	٧٧	٦٠٠	الفيل	١٠٥	٦٢٤
النبا	٧٨	٦٠٢	قريش	١٠٦	٦٢٥
النازعات	٧٩	٦٠٣	الماعون	١٠٧	٦٢٥
عبس	٨٠	٦٠٦	الكوثر	١٠٨	٦٢٥
التكوير	٨١	٦٠٨	الكافرون	١٠٩	٦٢٦
الانفطار	٨٢	٦٠٩	النصر	١١٠	٦٢٦
المطففين	٨٣	٦٠٩	المسد	١١١	٦٢٦
الانشقاق	٨٤	٦١١	الإخلاص	١١٢	٦٢٧
البروج	٨٥	٦١٢	الفلق	١١٣	٦٢٧
الطارق	٨٦	٦١٣	الناس	١١٤	٦٢٧